بسم الله الرحمن الرحيم

(وقف لله تعالى)

وَمَن أرادَ طِباعَتِهِ إبْتِغاءَ وَجْه الله تَعالىٰ لا يُريْدُ به عرضـاً مِن الدنيا ، فقد أُذِنَ له في ذلك وَجَزَى الله خيراً مَن طَبَعَهُ وَقْفاً لله ، أوْ أعانَ على طبعِه ، أوْ تَسَبَّبَ لِطَبْعِهِ وتوزيعه على إخوانه المسلمين .

وَسَمَّيْتُهُ (مِفْتَاحَ الأفكارِ للتَّأهُّبِ لِدارِ القَرَارِ)

خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد العزيز المحمد السلمان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سابقاً

الجـــزء الأول

الطبعـة الأولى

١٤١٣هـ

طُبِـعَ عَلَى نَفَقَـةِ مَن يَبْتَغِي بذلك وَجْـهَ الله والدارَ الآخرةَ فَجَـزاه الله عن الإسـلام والمسلمينَ خيراً وغَفَر له ولوالديه ولمن يُعِيْـدُ طِبَـاعَتَه أو يُعيْنُ عليها أو يَتسَبَب لها أو يُشـيرُ على مَنْ يُؤمِـلُ فيه الخيـرَ أنَ يَطبَعَه وَقْفـاً لله تعـالى يُوزَّع على إخـوانِهِ المسلميـن .

اللهـم صلي على محمـد وعلى آله وسـلم

بسم الله الرحمن الرحيم

(فائدةٌ عَظِيْمَةُ النَّفعْ لِمَنْ وَفَّقَهُ الله)

ما أنْعَم اللّه على عَبْدٍ نِعْمةً أفْضَلَ مِنْ أنْ عرَّفَه لا إلهَ إلا اللّه ، وَفَهَّمَهُ مَعْنَاهَا ، وَوَفَّقَهُ لِلعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا ، والدَّعْوَةِ إليْهَا .

أشْرَفُ الأشْيَاءِ قَلْبُكَ وَوَقْتُكَ فإذا أهْمَلْتَ قَلْبَكَ وَضَيَّعْتَ وَقْتَكَ ، فَمَا بَقِيَ مَعَكَ ؟ كُلُّ الفَوائِدِ ذَهَبَتْ فانْتَبِهْ لِنَفْسِكَ .

(فَصْـــــلٌ)

فـــائدة

وَقَفَ قَوْمٌ عَلَى عَالِمٍ فَقَالُوْا إنَّا سَائِلُوكَ أفَمُجِيْبُنا أنْتِ قَالَ سَلُوْا وَلا تُكْثِرُوْا ، فَإنَّ النَّهارَ لَنْ يَرْجِعَ والعُمُرَ لَنْ يَعُوْدَ ، والطَّالِبَ حَثِيْثٌ في طَلَبِهِ ، قَالُوْا فَأوْصِنَا ، قال تَزَوَّدُوْا عَلَى قَدْرِ سَفَرِكُمْ فإنَّ خَيْرَ الزَّادِ مَا أبْلَغَ البُغْيَةَ ، ثُمَّ قَالَ الأيَّامُ صَحَائِفُ الأعْمَارِ فَخَلِّدُوْهَا أحْسَنَ الأعْمال ، فإنَّ الفُرَصَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَاب ، وَالتَّوَانِيْ مِنْ أخْلَاقِ الكُسَالَى وَالخَوالِفِ ، وَمَنْ اسْتَوْطَنَ مَرْكَبَ العَجْزِ عَثَرَ بِهِ ، وتَزَوَّجَ التَّوَانِيْ بِالكَسَلِ فَوُلِدَ بَيْنَهُمَا الخُسْرانُ اهـ . قال بعضُهُم :

شعرا

تَزَوَّجَتِ البَطَــالَةُ بالتَّــوَانِيْ ... فَأوْلَدَهَا غُلَاماً مَــعْ غُلَامَــهْ

فَأمَّا الإبْنُ سَمَّــوْهُ بِفَقْــرٍ ... وَأمَّا البِنْتُ سَمَّوْهَــا نَدَامَــةْ

آخـــر :

الذِّكْرُ أصْدَقُ قَوْلٍ فافْهَمِ الْخَبَرَا ... لِأنَّهُ قَوْلُ مَنْ قَدْ أنْشَأَ البَشَـــرَا

فَاعْمَلْ بِهِ إنْ تُرِدْ فَهْماً وَمَعْرِفَـــةً ... يَاذَا النُّهَى كَيْ تَنَالَ العِزَّ والفَخَرَا

وتَحْمَدِ اللهَ في يَوْمِ المَعَادِ إذَا ... جَاءَ الحِسَابُ وَعَمَّ الخَوفُ وانْتَشَرَا

للهِ دَرُّ رِجَالٍ عَــامِلِيْنَ بِــهِ ... فِيْمَا يَدِقُّ وَمَا قَدْ جَلَّ واشْتَهَرَا

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُلَاحَظـة : لا يُسْمَح لِأيِ إنســانٍ أنْ يَخْتَصِرَهُ أَوْ يَتَعَرَّضَ لَهُ بِما يُسَمُّونَه تَحْقِيْقاً لِأنَّ الاخْتِصَارَ سَبَبٌ لِتَعْطِيلِ الأَصْلِ والتَّحْقِيْق أرَى أنَّهُ اتِّهَامٌ لِلْمُؤلِف ، ولا يُطْبع إلَّا وَقْفاً لله تعالى على من يَنْتَفعُ بِهِ مِن المسلمين

فوائد عَظِيْمَةُ النَّفْع جِداً لِبَعْضِ العُلماء رَحِمَهُمُ اللهُ تعالى :

(١) اللَّيْلُ والنَّهارُ يَعْمَلان فِيْكَ فاعْمَل فيهما أعْمَالاً صَالِحَةً تَرْبَح وتَحْمَدِ العَاقِبَةَ الحَمِيْدَةَ إن شاءَ اللهُ تعالى .

(٢) المَلَائِكَةُ يَكْتُبَانِ مَا تَلفَّظُ به فاحْرِصْ عَلَى أنْ لا تَنْطِقَ إلاَّ بِمَا يَسُرُّكَ يَومَ القِيَامَةِ مِن ذِكرِ اللهِ وما وَالاه .

(٣) إعْلَم أنَّ قِصَرَ الأَمَلِ عليه مَدَارٌ عظيمٌ وحِصْنُ قِصَرِ الأَمَلِ ذِكْرُ الموتِ وحِصْنُ حِصْنِهِ ذكر فجأة الموتِ وَأخْذُ الإنسانِ على غِرَّةٍ وغَفْلَةٍ وهُوَ في غُرُورٍ وفُتُور عن العمل للآخرة . فأحفظ هَذِهِ الفَوائدَ وأعملْ بها تُفْلح وتَرْبَحْ إن شاء الله .

ومَن أرادَ طِبَاعَتِهِ إبْتِغَاءَ وَجْه الله تَعَالىٰ لا يُرِيْدُ به عرضاً مِن الدنيا ، فقـد أُذِنَ لَه في ذلك وَجزَى اللهُ خيراً مَن طَبَعَهُ وَقْفاً لِله ، أو أعانَ على طبعِهِ ، أو تَسَبَّبَ لِطَبْعِهِ وتوزيعه على إخوانه المسلمين . فقد وَرَدَ عنه ﷺ أنه قال :

« إنَّ اللهَ يُدْخِلُ في السَّهْمِ الوَاحِدِ ثلاثة نَفرٍ الجَنَّة : صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ في صَنْعَتِهِ الخَيْرَ والرَّامِيْ بِهِ ، ومُنْبِلَه » الحديث ، رواه أبو داود .

وورد عنه ﷺ أنه قال :

« إذَا مَاتَ الإِنسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صالحٍ يَدْعُوْ له » الحديث رواه مسلم .

وَعَنْ زَيْدْ بن خَالد رَضِي اللهُ عَنْهُ أنّ رسُول الله ﷺ قال : « مَنْ جَهَزَ غَازياً في سَبيلِ اللَّهِ فَقَدْ غزَا وَمَنْ خَلف غازياً في أهْله بِخَير فَقَدْ غزا » متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ مِمَّا يلحَقُ المؤْمِن مِن عَمَلِهِ وحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوتِهِ عِلْماً عَلَّمَهُ ونَشَرهُ وَوَلداً صَالحاً تَرَكَهُ .

أو مُصْحَفاً ورَّثهُ أو مَسْجِداً بَنَاهُ أوْ بَيْتاً لِابْن سَبِيْل بَنَاهُ أوْ نَهْراً أجْرَاهُ أوْ صَدَقَةَ أَخْرجَهَا مِنْ مَالِهِ في صِحَّتِهِ وحَيَاتِهِ تَلْحَقُهُ مِن بَعْدِ مَوْتِهِ » رواه ابن ماجَهْ وابن خُزَيْمَة .

وَرَوَاهُ البَزَّارُ مِن حَدِيث أنسٍ إلاَّ أنَّهُ قال : « سَبْعٌ تَجْرِي للْعَبْدِ بَعْدَ مَوْتِهِ وهـو في قبره مَنْ عَلَّمَ عِلْماً أوْ كَرى نَهْراً أوْ حَفَرَ بئراً أوْ غَرسَ نَخْلاً أوْ بَنى مسجـدا أوْ وَرَّثَ مُصْحَفاً أوْ تَرَكَ وَلَداً يَسْتَغْفِرُ له بَعْدَ مَوْتِهِ » .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الواحد القهار العزيز الغفار مُقَدِّر الأقْدار ومُصَرِّفِ الأُمورِ على ما يَشاءُ ويختار ومُكَوِّر الليل على النهار.

الواحدِ الأحدِ الفردِ العليمِ الحكيمِ الذي أيقَظَ مِنْ خَلْقِه مَن اصْطفاهُ فأدخلَه في جُمْلةِ الأَخيارِ وَوَفَّقَ مَن اختارَ من عَبيدِهِ فجَعَلهُ من الأبرار.

وبَصَّرَ من أحَبَّهُ من خَلْقِهِ لِلْحقائِق فزَهِدُوا في هذا الدار فاجْتهدوا في مَرْضَاتِهِ والتأهُّب لِدارِ القَرار.

وبَعْدُ فإني لَمَّا نَظَرْتُ في غَفْلَتِي عن اكتسابِ الزادِ المُبَلِّغ لِيَوم المعادِ ورأيْتُ أوقاتي قَدْ ضَاعَت فِيمَا لا يَنْفعُني في مَعَادِي ورَأيْتُ اسْتِعْصاءَ نَفْسي عَمَّا يُؤنِسُني في رَمْسِي لاسِيما والشيطانُ والدنيا والهوى معها ظَهير.

فَعَزمْتُ إن شاء الله تعالى على أن أَجْمَعَ في هذا الكتاب ما تَيَسَّرَ من المواعِظِ والنَّصَائح والخُطَب والحِكَمِ والأحْكام والفَوائِدِ والقَواعِدِ والآداب وفَضَائل الأخلاق المُستمدة من الكتاب والسنة ومِنْ كَلَام العُلماء الأوائلِ والأواخِرِ المستَمِدِ منهما ما أرجُو من الله العَلِّي الأعلى أَنْ يَسْتغني به الواعِظُ والخَطيبُ والمُرْشِدُ وغيرهم رَاجياً من الله الحَي القَيُّومِ ذي الجلالِ والإكرام الواحدِ الأحدِ الفَرْدِ الصَّمَدِ الذي لم يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ولم يَكُنْ لهُ كُفْواً أَحَد القوي العزيز الرَّؤوفِ الرحيم اللطيفِ الخبير أن يَنْفَعَ بهِ وأَنْ يَأجُرَ مَنْ يَطْبَعَه وَقْفاً لله تعالى أوْ يُعِينُ على طِباعَتِهِ أو يَتَسَبَّبُ لها وسَمَّيْتُهُ «مِفْتاح الأفكار للتَّأهُّبِ لِدَارِ القَرار».

عبدالعزيز بن محمد بن سلمان

بسم الله الرحمن الرحيم وبِهِ نَستعين

قال تعالى: ﴿واتَّقُوا يوماً تُرْجَعُون فيه إلى الله ثم تُوفَّى كُلُ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وهم لا يُظْلَمُـون﴾. وقـال تبـارك وتعالى: ﴿يوم تأتى كل نفسٍ تجادل عن نفسها﴾ الآية. وقال تبارك وتعالى: ﴿وأنفِقُوا مما رزقناكم من قبـل أنْ يأتي أحـدكم المـوتُ فيقولَ رب لَولاَ أخرتَنِي إلى أجلٍ قَريب فأصدقَ وأكُنْ مِن الصالحين، ولَنْ يُؤَخِّرَ الله نَفْساً إذا جاءَ أَجَلُها والله خبير بما تعملون﴾. وقال جل وعلا: ﴿أَنْ تقول نَفْسٌ يا حَسْرَتَا على ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ الله وإنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرين، أو تقول لَوَ أنَّ الله هداني لَكُنْتُ مِنَ الـمـتـقين أو تقــولَ حينَ ترى العــذابَ لَوْ أنَّ لي كَرَّةً فأكُــونَ من المحسنين﴾. وقـال تعـالى: ﴿ هنالك تبلُو كُلُ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾ وقـال تعـالى: ﴿كُلُ نفسٍ ذائقةُ الموت وإنَّما تُوفَون أُجُوركُم يوم القيامة فمن زُحْزِحَ عن النار وأدخِلَ الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾. وقال تعالى: ﴿حتى إذا جَاءَ أحدَهُم الموت قال ربي ارْجِعُونِ لَعَلي أعمل صالحـا فيمـا تَركْتُ كَلَّا إنها كَلِمَةٌ هو قائِلُها ومِن ورائهم بَرْزَخٌ إلى يوم يُبْعَثُون﴾ الآيات. وقال جَلَّ وعَلا ﴿وأنْذِرهم يومَ الحسرة إذْ قُضِيَ الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾. وقال تعالى: ﴿وبَدَا لهم مِن الله ما لم يكـونـوا يَحْتَسِبُـون، وبَـدَا لَهُمْ سَيئـات ما عَمِلوا وحَـاقَ بِهم ما كانُوا به يَسْتَهْزؤون﴾. وقال تعالى: ﴿ولَوْ تَرَى إذْ فَزِعُوْا فَلا فَوتَ وأُخِذُوا من مكانٍ قَريب، وقالوا آمنا به وأنَّى لَهُم التَّناوُش من مكانٍ بعيد، وقد كفروا به من

قبْلُ وَيقْذِفونَ بالغَيْب من مكانٍ بعيد ، وِحيْلَ بَيْنَهُم وبَيْنَ ما يشتَهُون ﴾ .
وقال تعالىٰ : ﴿قُلْ يَتوفَّاكُم مَلَكُ الموتِ الذي وُكِّلَ بكُمْ ثم إلى ربكم ترجعون ، ولو تَري إِذِ المُجْرمُون نَاكِسُوا رُؤسِهِمْ عند رَبهم ربَّنا أَبْصَرْنا وسَمِعْنا فارجعنا نَعْمل صالحاً إنَّا مُوْقِنون﴾ .

وقـال تعـالى : ﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم يَنْسلُون، قالـوا يا ويلنا من بعثنا مِن مرقدنا هذا ما وعد الرحمنُ وصدق المرسلون، إن كانت إلا صَيْحَة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ . وقال تعالى : ﴿ونُفِخَ في الصُور فصعق مَن في السموٰات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه دَاخرين﴾ . وقال تعالى : ﴿اقْترب للناس حسابَهُم وهم في غَفْلةٍ مُعرضون﴾ . وقال تعالى ﴿وأنذرهُم يوم الأزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين﴾ . وقال تعالى : ﴿وجَاءت سَكْرت الموتِ بالحق ذلك ما كنت منه تحيد، ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد، وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد، لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ . وقال تعالى : ﴿أزِفَتِ الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة﴾ . وقال تعالى : يوم يقوم الروح والملائكة لا يتكلمون إلا من أذِنَ له الرحمن وقال صوابًا، ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا إنا أنذرناكم عذاباً قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ . وقال تعالى : ﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى﴾ . وقال تعالى : ﴿فإذا جاءت الصاخة، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه﴾ . وقال تعالى : ﴿ وجيْ يومئذ بِجَهَنَّم يوم إذٍ يتذكر الإنسان وأنَّى الذكرى ﴾.

الأحاديـــث

وعن ابنِ عمر رضي الله عنهما انَّ رسولَ الله ﷺ قال: (ما حَقُّ امرىء مسلم لَهُ شيءٌ يُوصِيْ فيهِ يَبِيْتُ لَيْلَتَيْنِ إلا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ متفق عليه وعن ابن عمر قال أخذ رسول الله ﷺ بِمَنْكِبَي فقال: (كُنْ في الدنيا كأنك غَرِيبٌ أو عابرُ سبيل، وكان ابن عُمر رضي الله عنهما يقول: إذا أَمْسَيْتَ فلا تَنْتَـظِر الصبـاحَ وإذا أَصْبَحْتَ فلا تَنْتَـظِر المساءَ، وخُذْ مِن صِحَّتِكَ لِمرضِكَ ومِن حَياتِكَ لِمَوْتِكَ رواه البخاري، وقال ﷺ أَكْثِرُوا ذِكْرَ هادم اللذات، يعني المـوت رواه التـرمـذي. وقال حديث حسن، وقال ﷺ (بادروا بالأعمال سَبْعَا، هَلْ تَنْتَظِرُون إلا فقراً مُنْسِيَا أَوْ غِنىً مُطْغِيَا أو مَرَضاً مُفْسِدا، أو هرماً مُفَنِّدا أو مَوتاً مُجْهِزا أو الدَّجَالَ فشرُ غَائِبٍ يُنْتَظَرْ أو الساعة فالساعةُ أَدْهى وأَمَر رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا يَتمَنَّى أَحَدُكُم الموت إمَّا مُحْسِناً فَلَعَلَّهُ يَزْدادُ وإمَّا مُسِيئاً فلَعَلَّه يَسْتَعْتِب متفق عليه. وفي رواية مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: (لا يَتَمَنَّى أحدُكم الموتَ ولا يَدْعُ بهِ مِن قَبْل أَنْ يَأتِيَهُ إنَّه إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقَطَعَ عَمَلُه وإنَّهُ لا يَزيدُ المؤمن عُمرُهُ إلَّا خَيْرا، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لا يَتمنَّينَ أحدكُم الموتَ لِضُرٍّ أَصَابَهُ فإنْ كان لابُـدَّ فاعِلاً فَلْيَقُلْ اللهم أَحْيِني ما كانَت الحياةُ خَيْراً لي وتَوفَّنِي إذا كانتِ الوَفَاةُ خَيْراً لي متفق عليه.

١ «موعظــة»

إِخْـوانِي إِنّ فِي مَوَاعِظِ الأَيَّامِ واللَّيَالِي لَعِبْـرَةً لِذَوِيْ البَصَائِرِ رَكَائِبُ أَمْواتٍ تُزْعَجُ عن مَقْصُوراتِ القُصُورِ ثم تُحمَلُ إلى مَضَائِقِ القُبُورِ، فَكَمْ قَدْ شَاهَدْتُمْ من شَخصِيَّاتٍ في الأرضِ ، قد وُضِعتْ، وكَمْ قَدْ عايَنْتُم مِن أَبْدانٍ نَاعِمَةٍ قَدْ لُفَّتْ وإلى مَضِيقِ الأَلْحَادِ قدْ زُفَّتْ فيالَها من غايةٍ يَسْتَبِقُ إليها العِبَادُ ويَا لَهُ من مِضْمارٍ يَتَناوَبُهُ جَوَادٌ بعدَ جَواد ويالَهُ من هوْلٍ شديدٍ يَعْقِبُـهُ أَهـوالٌ شِدادٌ فِتْنةُ قُبُورٍ وحَشْرٌ في مَوْقِفٍ مَهِيْلٍ موقِفٌ فيه تَنْقَطِعُ الأَنْسَابُ وتَخْضَعُ فيه الرِّقابُ وتَنْسَكِبُ فيهِ العَبَراتُ وتَتَصاعَدُ فيهِ الزَّفَرَاتُ ذلكَ مَوْقِفٌ تُنْشَرُ فيهِ الدَّواوِيْنُ، وتُنْصَبُ فيهِ المَوَازِينُ، ويُمَدُّ فيهِ الصِّرَاطُ، وحِينئذٍ يَقَعُ الامتيازُ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ومُكَرْدَسٌ في النار.

شعرا:

قُمْ في ظَلَامِ اللَّيْلِ واقْصُدْ مُهَيْمِناً ... يَرَاكَ إليـه في الـدُّجَى تَتَـوسَّـلُ
وقُلْ يا عِظِيمَ العَفْوِ لا تَقْطَعِ الرَّجا ... فأنـتَ الـمُـنى يا غايَتِي والمُؤَمَّـلُ
فيا رَبَّ فاقْبَـلْ تَوْبَـتي بِتَفَضُّـلٍ ... فمـا زِلْتَ تَعْفُـو عن كثيرٍ وتُمْهِـلُ
فإنْ أَنتَ لَمْ تَعْفُـو وأَنتَ ذَخيرتي ... لِمَنْ أَشْتكي حَالي ومَنْ أَتَـوَسَّـلُ
حَقيقٌ لِمنْ أَخْطَا وعَـادَ لِمَا مَضَى ... ويَبْـقى على أبـوابـهِ يَتَـذَلَّـلُ
ويَبْكِيْ على جِسْمٍ ضَعِيفٍ مِنَ البِلى ... لَعَـلَّ يَجُـودُ الـسَّيِّدُ المُتَفَضِّـلُ
رَجَـوْتُ إلـهي رحمـةً وتفضُّـلاً ... لِمَـنْ تابَ مِن زَلَّاتِـهِ يَتَـقَـبَّـلُ

اللهم اجْعلنا من المتقين الأَبْرارِ وأَسْكِنَّا معهُم في دارِ القرارَ، اللهم وفقنـا بِحُسْنِ الإِقبال عَليـكَ والإِصْغَاءِ إليك ووفِّقْنا للتعاوُنِ في طاعَتِكَ والمُبَادَرَةِ إلى خِدْمَتكَ وحُسْنِ الآدابِ في مُعَامَلَتِكَ والتسليم لأمرِكَ والرِّضا بِقَضائِكَ والصبرِ على بَلائِك والشكرِ لِنَعْمائِكَ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحمَ الراحمين وصلى الله على محمدٍ وآلِهِ أجمعين.

(فَصْـلٌ)

قال بعض العلماء: مِن عَجيب ما نَقَدْتُ من أَحوالِ الناسِ كَثْرَةِ ما ناحُوا على خَرَابِ الديارِ ومَوْتِ الأَقارب والأسلاف والتَّحَسُّر على الأَرْزاق بِذَمِ الزمانِ وأهلِهِ وذِكر نَكَدِ العيشِ فيه.

وقد رأوا من انْهِدَامِ الإسلامِ وموتِ السُنَنِ وظُهُورِ البدعِ وارْتكابِ المعَاصِي وتَقَضِي العُمْرِ في الفارِغِ الذي لا يُجْدي والقبيح الذي يُوْبِقُ ويُؤذي. فلا أجد أحداً منهم ناح على دينه ولا بَكَى على فارط عمره ولا آسَى على فائت دهره.

وما أَرَى لذلكَ سبباً إلَّا قِلَّةَ مُبالاتِهم في الأَديانِ وعِظَمَ الدُنيا في عُيُونِهم.

ضِدَّ ما كان عليه السلفُ الصالحُ يَرضَونَ بالبلاغ ويَنُوحُونَ على الدين أ هـ.

وكَتبَ بعضُهم إلى صديق له يشاوره في شيءٍ من أمرِ الدنيا فكان الجواب: اطلب الدنيا على قَدْرِ مُكْثِكَ فيها، واطلب الآخرةَ على قدرِ حاجَتِكَ إليها.

وقال يحيى بن معاذ: لَسْتُ آمركم بترك الدنيا آمركم بترك الذنوب، تركُ الدنيا فَضِيلة وتركُ الذنوب فريضة وأنتم إلى إقامة الفريضة أحوج منكم إلى الحسنات.

وقال: لا تكن ممَّنْ يَفْضَحُهُ يوم مَوتِهِ مِيراثُه ويومَ حَشْرِهِ مِيزانُه.

وقال إبراهيم الخواص: دَوَاءُ القلبِ في خمسةِ أشياء: قِراءةِ القُرآن بالتدبر، وخلاءِ البطنِ، وقيامِ الليلِ، والتضرعِ عند السَّحَرِ، ومُجالَسَةِ الصَّالحين.

وقال: على قَدْرِ إعْزازِ المرءِ لأمْرِ الله يُلْبسُه الله من عِزه، ويُقيمُ له العِزَّ في قُلُوبِ المؤمنين.

وقال في الفُنُون لقد عظَّم الله الحيوانَ لاسيَّما ابنَ آدم حيثُ أباحَهُ الشركَ عند الإكراه وخَوفِ الضَّرَرِ على نفسه فقال جل وعلا ﴿إلَّا مَن أكْرِهَ وقَلبُه مُطْمَئِنٌ بالإيمان﴾.

مَن قدَّمَ حُرمَةَ نفْسِكَ على حُرْمَتِهِ حتَّى أَباحَكَ أن تَتَوقَى وتُحامي عن نفسِك بِذِكره بما لا ينبغي له سبحانه.

فَحَقيقٌ أن تُعَظِمَ شَعَائِرَهُ وتَوقِّرِ أوامِرَهُ وزواجره وعَصَم عِرْضَكَ بإيجابِ الحدِ بِقَذْفِكَ وعَصَمَ مالَكَ بِقَطْعِ مُسلمٍ في سَرِقته.

وأَسْقَطَ شَطْرَ الصلاةِ لِأجل مَشَقَّتِكَ وأَقَامَ مَسْحَ الخُفِّ مَقَامَ غَسْلِ الرجلِ إشْفاقاً عليكَ من مَشَقَّةِ الخَلْعِ واللُبس وأباحَكَ الميتةَ سَدةً لِرَمَقِكَ وحِفْظاً لِصحَّتِكَ، وزَجَرِكَ عن مَضارِكَ بحَدٍ عاجِل ووعيدٍ آجلٍ، وخَرَقَ العوائِدَ لأَجْلِكَ وأَنزلَ الكتبَ إليكَ.

أَيَحْسُنُ بكَ معَ هذا الإكرام أن تُرى على ما نَهَاكَ مُنْهَمِكاً وعَمَّا أمَرَكَ مُتَنَكِّبا وعن داعِيهِ مُعْرِضَا ولِسُنَّتِهِ هَاجِرا ولِدَاعي عَدُوِّكَ فيه مُطيعا.

يُعَظِمُكَ وهُو هُوَ وتُهْملُ أمرَهُ وأنْتَ أنْتَ وهو حَطَّ رُتَبَ عبادِهِ لأَجْلِكَ وأهبَطَ إلى الأرض مَن امْتَنَعَ مِن سَجدةٍ يَسْجُدُ لأبيك.

هَلْ عادَيت خادماً طالَتْ خدمتهُ لكَ لتركِ صلاة، هل نفيتَهُ من دارِكَ للإخْلال بِفَرض أو لارتكاب نهي، إنتهى.

قلت وفي وقتنا هل أخْرَجْتَ الملاهي والمنكرات من بَيْتِكَ هل مَنَعْتَ الأجانِبَ والأجنَبيَّاتِ سَوَّاقين وخدَّمات من بيتِك.

فـــــائدة

وَقَفَ قَوْمٌ عَلَى عَالِمٍ فَقَالُوْا إنَّا سَائِلُوكَ أَفَمُجِيْبُنَا أَنْتِ قَالَ سَلُوْا وَلا تُكْثِرُوْا، فَإنَّ النَّهارَ لَنْ يَرْجِعَ والعُمَرَ لَنْ يَعُوْدَ، والطَّالِبَ حَثِيْثٌ في طَلَبِهِ، قالُوْا فأَوْصِنا، قال تَزَوَّدُوْا عَلَى قَدْرِ سفركُمْ فإنَّ خَيْرَ الزَّادِ مَا أَبْلَغَ البُغْيَةَ، ثُمَّ قَالَ الأَيَّامُ صَحَائِفُ الأعْمَارِ فَخَلِدُوْهَا أَحْسَنَ الأعْمال، فإنَّ الفُرَصَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَاب، وَالتَّوَانِيْ مِنْ أَخْلاقِ الكُسَالى وَالخَوَالِفِ، وَمَن اسْتَوْطَنَ مَرْكَبَ العَجْزِ عَثَرَ بِهِ، وتَزَوَّجَ التَّوَانيْ بِالكَسَلِ فَوُلِدَ بَيْنَهمَا الخُسْرَان اهـ.

اللهم يا هادِي المضلين ويا راحم المذنبين ، ومُقِيْلَ عثرات العاثرين ، نسألك أن تُلْحِقنا بعبادك الصالحين الذين أنعمت عليهم من النَّبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين .

اللهم يا عالِم الخفيات ، ويا رفيع الدرجات ، يا غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا أنت إليك المصير .

نسألك أن تذيقنا برد عفوك ، وحلاوة رحمتك ، يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

[فصل في بعض ذكر فوائد ذكر الموت]

إعلم أنَّ في ذكر الموت فوائد عديدة مِن ذلك أنه يَرْدَعُ عن المعاصي ، ويُلَيِّنُ القلبَ القاسِي .

ثانيا : يُذْهِبُ الفرحَ والسرورَ بالدنيا ، ويُزَهِّدُ فيها ، ويُهَوِّنُ المصـــائبَ .

ثالثا : التأثر في مُشاهَدةِ المُحْتَضَرِينَ الذين تَخْرُجَ أرواحُهم ، فإن في النظرُ إليهم ومُشاهَدَةُ سَكَراتِهم عندَ نَزْع أرْوَاحِهِم ، وشُخُوص أبصارِهم عند نَزْعِها ، وعَجْزِهِمْ عن الكلامِ ، عند تَسَلُلِ الرَوح مِن الجَسَدِ .

وتأمُّلِ صُورِهم بَعدَ خُرُوج الروحِ مَا يَقْطِعُ عن النُفوس لَذَاتِها ويَطرُدُ عن القُلوب مَسَرَّاتِها ويَمْنعُ الجفونَ مِن النَّوم ويَمْنَعُ الأبدانَ مِن الراحة .

ويَبْعَثُ على الجِدِ والاجتهادِ في العمل لِلآخرة فرُوِيَ أَنَّ الحسنَ البَصري دَخَلَ على مَريض يَعُودُهُ فَوَجَدَهُ في سَكَراتِ الموت .

فنَظَرَ إلى كُرَبِهِ وشِدَّةِ مَا نَزَلَ به فَرجَعَ إلى أَهلِهِ بغيرِ اللَّونِ الذي خَرَجَ به مِن عندهم .

فقالوا له الطَعامَ فَلَمْ يأكل وقال : فوالله لقَدَ رَأيْتُ مَصْرَعاً لا أزَالُ أعملُ لَهُ حتى اللقَاء .

الرابع : مِمَّا يُلَيِّنُ القلوبَ القاسيةَ زيارةُ القُبور .

فإنها تَبْلُغ مِن القُلوب ما لا يبلغه الأَول والثاني والثالث لأنها تذكر بالآخرة .

ولم أرَى كالأمواتِ أفْجَعَ مَنْظِراً ولا واعِظِي جُلَّاسِهم كالمقـــابِرِ

آخــــر :

وَعَظَتْكَ أَجْدَاثٌ وهُنَّ صُمُوْتُ وأَصْحَابُها تحْتَ التُراب خُفُـــوْتُ

الخـــامس : زيارة المستشفيات والمستوصفات فإنها تلين القلوب وتحث الانسان على حمد الله وشكره وعلى الجد والاجتهاد فيما يَعُودُ نَفْعُه على الانسان في الآخرة .

ويَنْبَغِي للانسان أنْ يُقَوِّي ظَنَّه بالله وَيَسْتَحْضِر رَحْمَتَهُ وَرأفَتَه وَلُطْفَه بعباده ولا سِيَّما عند الاحتضار .

قال ﷺ « لا يَموتُن أَحَدُكم إلا وهو يُحْسِنُ الظنَّ بالله » رواه مسلم وفي حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « قال الله عز وجل : أنا عِندَ ظن عبدي بي » الحديث متفق عليه .

ولا رَيْبَ أن حُسْنَ الظن برب العالمين الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى الحليم الكريم الجواد الرحمن الرحيم الرؤوف بالعباد الغني عنا وعن أعمالنا وعن تَعْذِيبنا وعِقَابنا .

مِن أعظم ما نتقربُ به إليه ومِن أَجْزَلِ ما نَتَوجَّهُ به عليه .
أيُّ عِبادَةٍ أعظمُ مِن حُسْنِ ظنِنَا برب العالمين مَعَ الخوف مِن

مُعَامَلَتِهِ إيَّانا بِعَدْ لِهِ .

فالعاقِلُ يكون بين الخوف والرجاء لكن يُغَلِّبُ الرجَاءَ عندَ الاحِتضار ويحسن الظن بالكريم الغفار ويَستحضر أنه قادم على أكرم الأكرمين . وأجود الأجودين البر الرحيم .

وإن حَصَـل أنْ يتلى عند المحتضَر آياتُ الرجاء وأحاديث الرجاء لِيَقْوَى ظنُه بالله تعالى أجْوَدُ الأجْوَدِين وأكرم الأكرمين .

ومِن آيات الرجاء قوله جَلّ وعلا وتقدس ﴿ **قل يا عبادي الـذين أسْرفُـوا على أنفسهم لا تَقْنَطُوا مِن رحمة الله إن الله يَغْفِرُ الذُنُوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ .

وقال تعالى ﴿ **ورحمتي وسِعَتْ كُلَّ شيء** ﴾ وقوله ﴿ **والذين لا يدعـون مع الله إلهاً آخرَ ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومُن يفعل ذلك يلقى أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا مَن تاب وآمن وعمِل عملاً صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما** ﴾ .

وقوله ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ .

ومن أحاديث الرجاء ما ورد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قُدِمَ على رسول الله ﷺ بسَبْي فإذا إمرأة مِن السَّبْي تَسْعَى إذا وجَدَتْ صَبياً في السَّبْي أخَذَتْهُ فالْزَقَتْهُ بَبطْنها فأرْضَعَتْهُ .

فقال رسول الله ﷺ « أترونَ هَذهِ المرأةَ طارِحَةً ولَدَهَا في النار قُلنَا لا يارسول الله فقال : الله أرْحَمُ بعِبـــادِهِ مِن هَذِهِ بوَلَدِها » متفق عليـــه .

وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « فإنَّ الله حَرَّمَ على النارِ مَن قال : لا إله إلا الله يَبْتَغِي بذلك وجْهَ الله » متفق عليه .

وقـال صلى الله عليه وسلم « لما خَلَق الله الخَلْقَ كَتَبَ في كِتابٍ فهو عنده فوق العرشِ : إن رحمتي تغلب غضبي وفي رواية غلبتْ غضبي وفي رواية سَبَقَتْ غضبي » متفق عليه .

وروي عن الإمام أحمد أنه لما حضرته الوفاة قال لولده عبدالله : الْقِ عَلَيَّ أحاديث الرجاء .

لأَنَّ المؤمن إذا سَمِـعَ آياتِ الـرجاء وأحاديثَ الرجاء قَوِيَ حُسْنُ ظَنِّهِ بِربهِ عَزَّ وَجل واشتاق إلى لِقاءِ سَيِّدِهِ ومولاه الذي هو أرحم به من والديه وأولاده فعند ذلك تهون عليه سكراتُ الموت إذا أَرَادَ الله .

إذا اشْتَكَتْ مِن كَلالِ السَّيْرِ أوْ عَدَهَا
وَصْلَ المُحِبِّ فَتَحْيَا عِندَ مِيْعَـــادِ

والمهم أنه يحرص كل الحرص على تقوية حسن ظنه برب العالمين ثم اعلم أن للموت سكرات قال الله جل وعلا وتقدس ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾ .

وقيل إن الأعضـاء يسلم بعضُهـا على بعض ففي تذكـرة القـرطبي عن أنسٍ مرفوعا « إن العبد لَيُعَالج كُرَبَ الموت وإن مَفَـاصلَهُ لَيُسَلِّمُ بَعْضُهـا على بعض يقول السلام عليكَ تُفَارِقُني وأفارِقُكَ إلى يوم القيامة » .

أي يُودِّعُ بعضُها بَعْضَا .

خُلقْنا لِأَحْدَاث الليالى فَرائِساً   تُزَفُ إلى الأجْدَاثِ مِنَّا عَرائِساَ

تُجَهِّزُ منَّا لِلْقُبورِ عَسَاكِـــراً وتُرْدِفُ أعوادَ المنايا فَوارِسَـــاَ
إذا أمَلٌ أرْخَى لنا مِن عِنَانِهِ غَداً أجَلٌ عَمَّا نُحَاوِلُ حَابِســـاَ
أرَى الغُصْنَ لَمَّا اجْتُثَّ وهو بمائِهِ رَطيباً وما أنْ أصبحَ الغُصْنُ يابساَ
نَشِيدُ قُصوراً لِلْخُلودِ سَفَاهَــــةً ونصبر ما شئنا فتورا دَوَارِســـــا

اللَّهُم وَفِّقْنَا لِصَالِحِ الأعْمَالَ ،ونَجِّنَا من جميعِ الأَهْوَالِ ، وأمِّنَّا مِنَ الفَزَعِ الأكْبَرِ يومَ الرْجْفِ والزِلْزَالْ ، وَاغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأحْيَاءِ منهم والميتين بِرَحْمَتِكَ يا أرحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وصَلى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ وصحبه أجمعين .

(فصـــــل)

إعِلم وَفَّقَنَا اللهُ وإيَّاكَ وجَمِيعَ المسلمين لما يُحِبُّهُ ويَرْضَاهُ أنَّ كَثْرَةَ ذِكْرِ الموتِ تَرْدَعُ عن المعاصي وَتُلَيِّنُ القَلْبَ القَاسي ، وتُذْهِبُ الفَرَحَ بالدُنْيا وزِيْنَتِهَا وزَخارِفِها ولَذَّاتها .

وتَحُثُكَ على الجِد والاجتهادِ في الطاعاتِ وإصلاحِ أحْوَالِكَ وشُؤنِكَ والتَّنَسُخِ مِن حُقُوقِ اللهِ وحقوقُ خَلْقِهِ ، وتَنْفِيذِ الوَصَايَا وَأدَاءِ الآماناتِ والدِيُون .

قال بَعْضُهم فَضَحَ الدنيا والله هذا الموتُ فلم يَترِكْ فيها لِذي عَقْلٍ فَرَحاً .

وقال آخَرُ مَا رَأَيْتُ عاقِلاً قَطُّ إلا وجَدْتُهُ حَذِراً مِن الموتِ حَزِيْناً مِن أجْلِهِ .

وقال آخَرُ مَن ذَكَرَ الموتَ هَانت عليه مَصَائِبُ الدنيا .

وقا آخَرُ : مَن لم يَخَفْهُ في هذه الدار رُبَّمَا تَمَنَّاهُ في الآخِرة فلا يُؤتَاه .

وقال آخر يُوْصِيْ أخَاً له : يا أخي إحْذِرِ الموتَ في هذه الدِار مِن قَبْلِ أَنْ تَصِيْرَ إلىَ دارٍ تَتَمَنَّى بها الموتَ فلا يُوْجَد .

وقال آخر : وأَمَا ذِكْرُ الموتِ والتَّفَكُرُ فيه ، فإنَّهُ وإنْ كان أَمْراً مُقَدَّراً مَفْرُوْغاً منه ، فإنه يكْسُبَك بِتَوْفيْقِ اللهِ التَّجَافِي عن دَارِ الغُرُوْرِ ، والاسْتِعْدَادِ والإنَابَةِ إلى دَارِ الخلودِ ، والتّفَكرُ والنَّظَرُ فيما تَقْدَمُ عَليه وَفيما يَصِيْرُ أمْرُكَ إليه .

ويُهَوِّنُ عَليْكَ مَصَائِبَ الدنيا ويُصَغِرُ عَندكَ نَوائِبَها ، فإن كانَ سَبَبُ مَوْتِكَ سَهْلاً وأمْرُهُ قَرِيْباً فَهو ذَاك ، وإن كانَتِ الأُخرى كُنْتَ مأجُوراً مَعَ النيةِ الصالِحَةِ فيما تُقَاسِيْهِ ، مُثَّاباً على ما تَتَحَمَّلُه مِنْ المَشَاقِّ .

واعلم أنَّ ذِكْرِ الموتِ وَغيرَهِ مِن الأذْكَارِ إنما يَكُوْنُ بالقَلْب وإقْبالِكَ على مَا تَذكرهُ . قال الله جلا جلاله وتَقَدَّسَتْ أسْمَاؤه : ﴿ إن في ذلك لذكرى لِمَنْ كان له قلبٌ أوْ أَلْقَى السمع وهو شهيد ﴾ فأيُ فائِدةٍ لَكَ رَحَمكَ اللهُ في تَحْرِيْكَ لِسَانِكَ إذا لم يَخْطُر بقَلْبكَ .

وإنما مَثَل الذِكْرِ الذِي يَعْقِبُ التنبيه ، ويكون مَعَهُ النفعُ والإيْقَاظِ مِن الغَفْلةِ والنومِ أَنْ تُحْضِرَ المذكورَ قَلْبَكَ وتَجْمَعَ لَهُ ذُهْنَكَ وتَجْعَلَهُ نَصْبَ عَيْنَيْكَ مِن وَلَدٍ أوْ أَهْلٍ أو مالٍ أو غير ذلك ، فَتَعْلَم عِلْماً لا يَشُوْبُهُ شَكٌّ أَنَّكَ مُفَارِقُهُ إمَّا في الحَيَاةِ أوْ في المَمَاتِ ، وهذِهِ سُنَّةُ اللهِ الجَارِيَةُ في خَلقِهِ وحُكْمُهُ المُطَّرِد .

وتُشِعْر هذا قَلْبَكَ وتُفَرِّغُ لَهُ نَفْسَكَ فَتَمَنَعُهَا بذَالكَ عن الميل إلى ذلك المحبوب والتَّعَلُقِ بِهِ والهَلَكَةِ بِسَبَبِهِ .

فَعُقْبَى كُلِّ شيءٍ نَحْـنُ فيـهِ مِن الجَمْـعِ الكثيف إلَى شَتَـاتِ

وَمَا حُزْنَاهُ مِن حِلٍّ وَحُـــرْمٍ يُوَزَّعُ في البَنِـيْنِ وفي البَنَــاتِ
وفِيْمَــنْ لَم نُؤَهِّلْــهُمْ بِفَلسٍ وقِيْمَــةِ حَبَّــةٍ قَبْــلَ المَمَــاتِ
وتَنْسَــانا الأَحِبَّــةُ بَعْدَ عَشْــرٍ وَقَدْ صِـرْنا عِظَـاماً بَالَيـاتِ
كَأنّــا لَمْ نُعَــاشِـرْهُمْ بِـوُدٍّ ولَمْ يَكُ فيـــهِمُ خِـلٌّ مُـؤاتِ

والله أعلم وصلى الله على محمد واله وسلم .

فَصْـــل

واعْلَمْ رَحِمكَ اللهُ أنَّ مّما يُعِيْنُكَ على الفِكْرَةِ في الموت وَيُفَرِّغُكَ لَهُ ويُكثِرُ اشْتِغَالُ فِكرِكَ بِهِ تَذَكُرُ مَن مَضَى مِنْ إخْوَانَكَ وخِلاَنِكَ وأصْحَابِكَ وأقْرانِكَ وزُمَلاَئِكَ وأسَاتِذَتِكَ وَمَشايِخَتِكَ الذين مَضَوْا قبلك وتَقَدَّمُوا أمَامَك .

كانُوا يَحْرِصُونَ حِرْصَكَ ويَسْعَوْنَ سَعْيَكَ ، ويَأمُلُونَ أمَلَكَ ، ويَعْملُونَ في هذه الدنيا عَمَلَكَ وَقَصَتِ المُنوْنُ أعْنَـاقَهُم وقَصَمَتْ ظُهُورَهُم وأصْلاَبَهُم ، وفَجَعَتْ فِيْهِمْ أهْلِيْهِمْ وأحِبَّاءَهُم وأقْرِباءَهم وجيرانَهُم فأصْبَحُوا آيةً لِلْمُتَوسِّمِيْن وعِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرين .

ويَتَذَكَر أيْضَاً ما كانوا عليه مِن الاعْتِنَاءِ بالملابِسِ ونَضَافَتِها ونَضَرة بَشَرَتِهِمْ ، وما كانوا يَسْحَبُونَه مِن أرْدَيِة الشَّبَاب وأنَّهُم كانُوا في نَعِيْم يَتَقَلَّبُون ، وعلى الأسِرَةِ يَتَّكِئُون ، وبِمَا شَاؤا مِن مَحَابِهِم يَتَنَعَمُّوْن .

وفي أمَانِيِّهِم يَقُومُون ويَقْعُدُون ، لا يُفِكِّرُوْنَ بالزَّوَالِ ، ولا يَهُمُّونَ بانتقالَ ، ولايَخْطُرُ الموتُ لَهُمْ على بال ، قد خَدَعَتْهُمْ الدُنّيا بِزَخَارِفها ، وخَلَبَتْهُمْ وخدَعَتْهُمْ بِرَوْنَقِهَا ، وحَدَثَتْهُم بأحَادِيثها الكاذِبَةِ ، وَوَعَدَتْهُمْ بمواعِيْدِهَا المُخْلِفَة الغَرارةِ .

فَلَمْ تَزَل تُقَرِّبُ لَهُمْ بَعِيْدَهَا ، وتَرْفَعُ لَهُم مَشِيْدَهَا ، وتُلْبِسُهُمْ غَضَّهَا وجَدِيْدهَا ، حتى إذا تَمكنَتْ مِنهم علائِقُهَا ، وتَحَكَّمَتْ فيهم رَوَاشِقُهَا ، وتَكَشَّفَتْ لهم حَقَائِقُهَا ، ورَمَقَتْهُمْ مِن المَنِيَّةِ رَوَامِقُهَا .

فَوَثَبَتْ عليهم وثْبَةَ الحَنِق وأَغَصَّتْهُمْ غُصَّةَ الشَّرِق ، وقَتَلَتْهُمْ قَتْلَةَ المُخْتَنِق ، فَكَمْ عَليهم مِن عُيُون بَاكِيَةٍ ، ودُمُوعٍ جَارِيَةٍ ، وخُدُوْدٍ دَامِيَةٍ ، وقُلُوبٍ مِن الفَرح والسُّرُوْرِ لِفقْدِهم خَالِيَة . وأَنْشَدُوا في هذا المَعْنَى :

وريَّانَ مِن مَاء الشَّبَابِ إذا مَشَى
يَمِيْدُ عَلَى حُكْمِ الصِّبَا ويَمِيْدُ

تعَلَّقَ مِن دُنْيَاهُ إذْ عَرَضَتْ لَهُ
خَلُوبَاً لِألْبَابِ الرجالِ تَصِيْدُ

فأصْبَحَ منها في حَصِيْدٍ وقائِمٍ
ولِلْمَرْءِ منها قائمٌ وحَصِيْدُ

خَلَا بالأماني واستَطَابَ حَدِيثَها
فَيَنْقُصُ مِن أطْمَاعِهِ ويَزِيْدُ

وأدْنَتْ لَهُ الأشْيَاءَ وَهْيَ بَعَيْدَةُ
وتَفْعَلُ تُدْنِي الشيءَ وهْوَ بَعِيْدُ

أُتِيْحَتْ لَهُ مِن جَانِبِ الموتِ رَمْيَةٌ
فَرَاحَ بها المَغْرُوْرُ وهْوَ حَصِيْدُ

وصَارَ هَشِيْماً بَعدَمَا كانَ يانِعاً
وعَادَ حَدِيْثاً يَنْقَضِيْ وَيَبِيْدُ

كأَنْ لَمْ يَنَلْ يَوْماً من الدَّهْرِ لَذَّةً
ولا طَلَعَتْ فيه عَلَيْه سُعُوْدُ

تَبَارَكَ مَن يُجْرِيْ عَلَى الخَـلْقِ حُكْمَهُ
فَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْـهُ عنـه مَحِيْـدُ
إنْتَهَى

اللَّهُمَّ اسْلكْ بِنَا مَسْلَكَ الصَّادِقِينَ الأَبْرَارْ ، وَالْحِقْنَا بِعبَادِكَ الْمُصْطَفِيْنَ الأَخْيَار ، وَأتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارْ .

اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوباً أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ ، وَلاَ تُعَذِّبْنَا بِأَلِيمِ عِقَابِكَ يَا أَكْرَمَ مَنْ سَمَحَ بِالنَّوَالِ وَجَادَ بِالإِفْضَالِ ، اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ وَاحْسَانِكَ ، وَتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصــــل)

ثم أعلم أيها الأخ أَنَّه مَا مِن سَاعَةٍ تَمُرُّ على العَبدِ لا يَذْكُر اللَّهَ فيها إلاَّ تَأَسَّفَ وتَحَسَّرَ على فَواتِها بغَيرِ ذكرِ اللَّهِ ولِذَلك يَنْبَغِي للعاقل أَن يَجْعَل مَعَه شيئاً يُذَكِّرُهُ لِذِكر الله كلما غَفَلَ عنه .

ويُقـال إنَّ العبـدَ تُعْرضُ عليه سَاعَاتُ عُمُرِهِ في اليوم والليلة فيرَاها خَزَائنَ مَصْفُوفَةً أَرْبَعَ وعِشرينَ خِزَانَةً فيرَى في كلِّ خِزَانَةٍ أَمْضَاهَا في طَاعَة اللَّه ما يَسُرُّهُ . فإذا مَرَّتْ به الساعاتُ التي غَفَلَ فيها عن ذِكر اللَّهِ رَآآهَا فَارِغَةً سَاءَهُ ذلكَ وتَنَدَّمَ حِينَ لا يُفِيْدُه النَّدَمُ .

وأمـا السـاعاتُ التي كانَ يَذكُر اللَّهَ فيها فلا تسأل عن سُرُوْرِه فيها وفرِحِه بها حتى يكاد أن يقتله الفرح والسرور . قال بعَضُهم أوقاتُ الإنسانِ

أرْبَعَةٌ لا خَامِسَ لها النِعمةُ ، والبليةَ ، والطاعة ، والمعصيةُ .

وِللَّهِ عَلَيْكَ فِي كُلِ وقْتٍ منها سَهْمٌ مِن العُبُودِيَّةِ .

فَمَنْ كانَ وَقْتُه الطاعة للَّهِ فَسَبيلُه شُهُودُ المِنَّةِ مِن اللَّهِ عليه أَنْ هَدَاهُ وَوَفَّقَهُ لِلْقِيَام بها .

ومَن كان وَقْتُه المَعْصِية فعَلَيه بالتَّوبَةِ والنَّدَم والاسْتِغْفَار .

ومن كان وَقْتُه النِّعْمَة فَسَبْيلُه الشكرُ والحمدُ لِلَّهِ واالثناءُ عليه .

ومن كَانَ وَقْتُـه البَلِيَّة فَسَبِيْلُه الـرضـا بالقَضاء والصّبرُ والرِضا رِضَى النَّفْسِ عن الله ، والصَّبْرُ ثباتُ القلب بَيْنَ يَدَي الرب . أهـ .

العُمُـرُ إذا مَضَى لا عِوَضَ ومـا حَصَل لَكَ منه لا قِيْمَةَ لَهُ . فعُمُر الإنسان هو مَيْدانُهُ لِلأعمالِ الصالحة المُقَرِّبَةِ مِن اللَّه تعالى والموجِبَةِ لَهُ جَزِيْلَ الثوّاب في الآخرة . ولَكْنِ ما يَعْرِفُ قَدْرَ العُمُرِ إلَّا نَوادُر العُلَماء .

قال الله جل وعلاَ وتقدسَ ﴿ أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ وقال تبـارك وتعـالى ﴿ كلوا واشربـوا هنِيْئًا بما أسْلَفْتُم في الأيامِ الخالية ﴾ وقال ﴿ إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ﴾ الآيات

وهذه هي السعادَةُ التي يَكْدَح العبد ويسعى من أجلها وليس له منها إلا ما سعى كما قال جل وعلا وتقدس ﴿ وأن ليس لِلإِنسان إلا ما سعى ﴾ .

فَكُلُّ جُزْءٍ يَفُوتُه مِن العُمر خالِيًا من عمل صالح .

يَفُوتُه مِن السَّعَادة بقَدْرِه ولا عِوَضَ له منه .

فالوَقْتُ لا يُسْتَدْرَك ولَيْسَ شيٌ أَعَزَّ منه وكل جزء يحصل له مِن العمر غير خالٍ مِن العمل الصالح يَتوَصَّل به إلى مُلْكٍ كبيْر لا يَفْنَيَ ولا قِيْمَةَ لِمَا يُوصِلُ إلى ذلك لأنه في غايةِ الشَّرفِ والنَّفَاسَةِ .

ولأَجْـلِ هَذا عَظُمَتْ مُرَاعَـاةُ السَّلَفِ الصَّـالِحِ رضي اللَّهُ عنهم

لأنفاسِهم ولحظَاتِهم وبَادَرُوا إلى اغْتِنَام سَاعَاتِهم وَأَوْقَاتِهم ولم يُضَيِّعُوا أَعْمَارَهُم في البَطَالَـةِ والتَّقْصِيْرِ ولم يَقْنَعُوا لأَنْفُسِهم إلاَّ بالجِدِّ والتَّشْمِير فلِلَّهِ درهم ما أبصرهم بتصريْف أَوْقَاتِهم .

تَبْغِي الوُصُولَ بسَيْرٍ فيه تَقْصِيْرُ لاَ شَكَّ أَنَّكَ فِيْمَا رُمْتَ مَغْرُوْرُ
قَدْ سَارَ قَبْلَكَ أَبْطَالٌ فَمَا وَصِلُوا هَذا وفي سَيْرِهم جدٌّ وتشْمِيْرُ

قال بعضُهم أدْرَكْتُ أَقْـوَمًـا كانـوا على ساعـاتِهم أَشْفَقَ منكم على دَنَانِيرِكم ودَرَاهِمكم فَكَما لا يُخْرِجُ أَحدُكُم دِنْيَارًا ولا دِرْهَمًا إلاَّ فيما يَعُوْدُ نَفْعُه عليه فكذالك السلف لا يُحِبُّون أن تَخْرجَ سَاعَةٌ بَلْ وَلا دَقِيْقَةٌ مِن أعمارهم إلا فيما يَعُوْدُ نَفْعُه عليهم ضد ما عليه أهل هذا الزمان من قتل الوقت عند المنكرات .

تَبّاً لِطَالِب دُنْياً لا بَقَاءَ لَهَا كأنما هِيَ في تَعْرِيْفِهَا حُلمُ
صَفَاؤُهَا كَدَرٌ سُرُوْرُهَا ضَرَرٌ أَمَانُهَا غَرَرٌ أَنْوارُهَـا ظُلَـمُ
شَبَابُهَا هَرَمٌ رَاحَاتُها سَقَمٌ لَذَّاتها نَدَمٌ وُجْدَانُهَا عَدَمُ
لا يَسْتَفِيْقُ مِنَ الأنكادِ صَاحِبُها لَوْ كَانَ يَمْلِكُ ما قَدْ ضُمِّنَتْ إِرَمُ
فَخَلِّ عَنْهَا ولا تَرْكَنْ لِزَهْرَتِهَا فإِنَّها نِعَمٌ في طَيِّهَـــا نِقَمُ
واعْمَلْ لِدَارِ نَعِيْمٍ لا نَفَادَلَها ولا يُخافُ بها مَوْتٌ ولا هَرَمُ
انْتَهى

آخـر :

رَفَعْتَ عَرْشَكَ في الدنيا وتُهْتَ بِهِ وما بِهَا لِلَبِيْب تُرْفَـعُ العُرُشُ
وبِتَّ فِيها على فُرُشٍ مُلَيَّـنَةٍ ولَو عَقَلْتَ لَمَا لانَتْ لَكَ الفُرشُ
وَظِلْتَ تَسْعَى لِآمالٍ وتَفْـرِشُهَـا ولِلْمَوَارِيْثِ مَا تَسْعَى وتَفْتَرِشُ
كَم كانَ قَبْلَكَ مِن مَأسُوْرِ رَغْبَتِهِ بالحِرْصِ تُلْدَغُ جَنْبَـاهُ وتُنْتَهَشُ
يمْسِي ويُصْبَحُ في حِلٍ وفي ظَعَنٍ يَضُمُّ هَـذَا الى هَـذَا ويَحْتَوِشُ
عَطْشانَ لِلْمَالِ مُحْمَاةٌ جَوَانِحُهُ أَلْقَى على صَدْرِهِ لِسَانَهُ العَطَشُ

حَتَّى إذَا قِيْلَ قَدْ تَمَّتْ مَطَالِبُهُ　وطَافَ مِن حَوْلِهِ أهْلُوه واحْتَوشُوا
مَدَّتْ إليه يَدٌ لِلْمَوْتِ باطِشَةٌ　خَشْنَاءُ لا دَهَشَ فيها ولا رَعَشُ
فَقصَّعَتْهُ وقِدْماً كَانَ ذَا جيَـدٍ　وأجْهَشَتْهُ ولَمَّا يَدْرِ مَا الجَهَشُ
فَبَاتَ مُسْتَلَبـاً وباتَ وارِثُهُ　وقد تغطَوْا بِذَاكَ المال وافْتَرَشُوا
أمَا سَمِعْتَ بأمْلاكٍ مَضَوا قِدَماً　شُمُّو الأنُوفِ بِروض الملك قد عَرَشُوا
إنْ دُوفِعُوا دَفَعُوا أو زُوحِمُوا زَحَمُوا　أوْ غُوْلِبُوا غلبُوْا أو بُوْطِشُوا بَطشُوْا
جَاءَتْهُمُوْا وجُنُودُ اللهِ غالِبَةٌ　كَتَائِبٌ لِلْمَنَايا كلُهَا حَبَشُ
فَضَعْضَعَتْ جَنَبَاتِ عِزِّهِم ورَمَتْ　مَنَارَهُم بِظَلامٍ ما بِهِ غَبَشُ
لَطَالَمَا أكلُوا وَطَال ما شَرِبُوْا　وطالَ ما رَفَعُوا الآجامَ واعْترشُوا
مَرُّوْا ولا أثر منهم بِدَارِهِمُوْا　ولا حَسِيْسَ ولا رِكْزٌ ولا وَقَشُ
قد كان لِلقَوْم آمالٌ مَبَسَّطَةٌ　فأصْبَحُوا قبضُوا الآمالَ وانْكَمَشُوْا

اللَّهُمَّ اشْفِ قُلُوْبَنَا مِنْ أَمْرَاضِ المَعَاصِيْ وَالآثَامِ وَامْلأْهَا مِنْ خَشْيَتِكَ وَأَقْبِلْ بِهَا إلى طَاعَتِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

[فصـــل]

إعْلم أَنَّهُ يَنْبغِيْ لَلإنسانِ المبادرة إلى الأعمال الصالحة ، وأنْ ينتهز فرصة الامكان قبل هجوم هادم اللذات .

وأن يَستَعينَ بالله ويتوكل عليه ويسأله العَون في تسير الأعمال الصالحة وصرف الموانع الحائلة بينه وبينها .

وليحرص على حفظ القرآن ، وتدبره ، وتفهمه ، والعمل به ، وكذلك السنة ، ويحرص على أداء الصلاة في جماعة .

ويحـرص على مجالس الـذكـر ، ويحفظ لسـانه عن الغيبة والنميمة والسعاية والكذب وجميع الأعمال والأخلاق السيئة .

ويتهيَأ للرحيل ، ويتفقد نفسه بما عليه ، وما له فإن كان عنده حُقُوقٌ لله كزكاة أو لِخَلْقه كأمانات أو عَواري أو وصايا أداها بسُرْعَةٍ خَشْيةَ أن يفْجاءَهُ الموتُ وهي عنده .

فإذا لم تُؤدِهـا أنتَ في حَياتِكَ ، فَمَنْ بَعدَكَ مِن أوْلاد أو إخوان يَبْعُدُ اهْتِمامُهم بذلك ، لأنهم يهتمون ويَشْتَغلونَ بما خَلَّفْتَهُ لهم وضَيَّعْتَ بسَببه نفسك .

فالله الله البـدارَ بالتَفتيش على النفس ، والمبـادرة بالتوبة والاكثار من الاستغفار .

ومما يَحُثُك على ذلك ذكْرُ مَرارة الموت الذي سماه رسُول الله ﷺ هادم اللذات ، وتـذكر شدة النزع والتفكر في الموتى الذي حُبسُـوا على أعـمالهم لِيُجَـازَوا بها فليس فيهم من يَقْدِرُ على محو خَطِيْئَةٍ ، ولا على زِيَادة حَسَنة .

وعادَ بعضهم مريضاً فقال له كيف تجدُك ؟

قال : هو الموت . قال له : وكيف عَلِمْتَ أنه الموت ؟ قال : أجدُني أجْتَذَب اجْتِذَاباً ، وكأن الخَنَاجرَ في جَوْفي ، وكأن جَوفي تَنُورٌ مُحمىً يَتَلَهَّب .

قال له : فاعْهَدْ (أي أوْصى) ، قال : أرَى الأمرَ أعْجَلَ من ذلك فَدَعَا بِدَواة وصحيفة قال : فوالله ما أتِى بِها حتى شَخَصَ بَصَرُهُ فمَاتَ .

وقال إبراهيم بن يزيد العبدي : أتاني رياح القيسي فقال : يا أبا إسحاق انطلق بنا إلى أهل الآخرة نُحْدِثُ بقُرْبِهِمْ عَهْداً .

فانْطَلَقْتُ مَعَه ، فأتى المقابر فجلسنا إلى بعض تلك القبور، فقال : يا أبا اسحاق ما ترى هَذا مُتَمَنِّياً لو مُنِّىء ، قلت: أن يُرَدَّ والله إلى الدنيا فيَسْتَمتِعْ مِن طاعة الله ويُصْلِح .

قال : فها نَحْنُ ، ثم نَهَض فجَدَّ واجْتَهَد ، فلم يَلْبَث إلا يسراً حتى مات .

(فَصْــلٌ)

إعْلَمْ رحمنا الله وإياك وجميع المسلمين أنَّ في القَبْر وظُلْمتِهِ ، وضيقِهِ وَوَحْشَتِهِ وَطَرْحِ الميتِ فيه غَيْرَ مُمَهَّدٍ وَلا مُوَسَّدٍ قد بَاشَرَ التُرابَ وَوَاجَهَ البِلَى وَتَرَكَ الدنيا وزِيْنَتَها لِلْورى .

ونَبَذَ مِنْهَا ما كان في يَدَيْهِ في العَرَاءِ مَعَ حَبِيْبٍ تركَهُ وقَرِيْبٍ أسْلَمَه ، ونَصِيْرٍ أفْرَدَهُ ، وتَرَكَ كُلَّ ما كانَ عَهِدَه إن ذلك لَمِمَّا يَفْطِمُ النُفُوسَ عن الشهواتِ ، وإنْ كانَتْ صَعْبَةَ الفَطَام ، ويَقْطَعُهَا عنِ اللذاتِ ، وإنْ كان قَطْعُهَا بَعْيِدَ المرام ، إذا بَحَثَ عن الحقيقةِ ونَظَرَ بعَيْنِ البَصْيِرة وسَمِع النداء من قريب فبينما الإنسان في رَخاء العَيش مَسْرُوْراً فِيْمَا بَيْنَ يَدَيْهِ غَافلاً عن يَوم صَرْعَتِهِ قد فَتَح لِلْهَوى بَابَهْ ، وأرْسَلَ عليه حِجَابَه ، ولم يُبَالِ بِمَنْ لامَهْ في ذلك أوْعَابَهْ ، إذْ هَجَمَتْ عليه المنيَّةُ ، فَهَتَكَتْ أسْتارَهْ ، وكَسَفَتْ أنْوَارَهْ ، وشتَّتْ شَمْلَه وطَمَسَتْ أعْلَامَهْ وآثارَه .

فأخْرَجَتْهُ من ذَلِكَ القَصْرِ المَشيْد ، والمَنْزِلِ المُنَجَّدِ والمَتَاعِ المُزَخْرَف المُنَضَّدِ ، إلى حُفْرَةٍ مِن الأرْضِ ظَلْمَاءَ ضَيِقَةَ الجوانِبِ مَمْلُوةً مِن الرُّعْبِ

والفَزَعِ والخَوفِ والقَلَقِ والذُعْرِ .

فَحَذَارِ حذارِ وبِدَارِ بدار قبل أنْ تُصرَعَ هذا المصْرَعِ فَيَفتُّ في عَضُدِكَ ويُسْقَطُ في يَدكِ وتُرْمَى بِكَ عن أهْلك وَوَلَدِك في مَهْواةٍ تَزدحِمُ فيها الأهوال ، وتَنقَطعُ فيْهَا الآمال .

قَدْ جُمِعْتَ فِيْهَا جَمْعاً ورُصِعْتَ فيها رَصْعًا وتُرِكْتَ فيه لِلْهَوَامِّ والدِّيْدَان طَعْماً ، ومَرْعَى .

ولَعَلَّكَ مِمَّنْ يَرْغَبُ في تَبْدِيْلِ المنازلِ وإن كانَتْ حِسَاناً ، ولا تَرَى لِرَبِّكَ عَزَّ وجَلَّ فيها تفَضُلاً وامْتِنَانا .

فانْظُرْ الآنَ كَم بين المَنْزِلَتَيْن وكَم قَدْر ما بَيْنَ الوَحْشَتَيْن إلا أنْ يُدْركَكَ الله برحمتِهِ فَتَتَّسِعُ مِن القَبْرِ أقْطَارُه وتمتد فيه أنْوَارُه وأنْشَدُوا في هذا المعنى :

مَن كان يُوْحِشُهُ تَبْدِيل مَنْزِلِهِ	وأنْ يُبَدَّل مِنْهَا مَنْزِلاً حَسَنَا
ماذا يَقُولُ إذَا ضَمَّتْ جَوَانِبَها	عَلَيه واجْتَمَعَتْ مِن هَاهُنَا وهُنَا
ماذا يَقُولُ إذَا أمْسَى بِحُفْرَتِهِ	فَرْداً وقَدْ فَارَقَ الأهْلِيْنَ والسُّكنَا
هُنَاكَ يَعْلَمُ قَدْر الوَحْشَتَيْنِ وَمَا	يلقَاهُ مَنْ باتَ باللذَات مَرْتَهَنَا
يَا غَفْلَةً ورِمَاحُ الموتِ شَارِعَةٌ	والشَّيْبُ ألْقَى برأسِي نَحْوَهُ الرَّسَنَا
وَلَمْ أُعِدُّ مَكَاناً لِلّنِزَالِ وَلَا	أعْدَدْتُ زَاداً ولَكنْ غِرَّةً ومُنَا
إنْ لَمْ يَجُدْ مَنْ تَوالَى جُوْدُهُ أبَدَا	ويَعْفُ مَنْ عَفْوُهُ مِن طالِبِيْهِ دنا
فَيَا إلِهِيْ ومُزْنُ الجُوْدِ وَاكِفَةٌ	سَحّاً فَتُمْطِرُنَا الإفْضَالَ والمِنَنَا
آنِسْ هُنَالِكَ يا رَحْمنُ وحْشَتَنَا	وألْطَفْ بِنَا وتَرَفَّقْ عِنْدَ ذاكَ بِنَا
نَحْنُ العصَاةُ وأنْتَ الله مَلْجَؤُنَا	وأنْتَ مَقْصَدُنَا الأسْنَى ومَطْلَبُنَا
فكُنْ لَنَا عِنْدَ بأسَاهَا وشِدَّتِهَا	أوْلَى فَمَنْ ذَ الذِي فيها يَكُونُ لَنَا

اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا مَنَاهِجَ السَّلاَمَةِ وَعَافِنَا مِنْ مُوْجِبَاتِ الحَسْرَةِ والنَّدَامةِ وَوَفِّقْنَا لِلاسْتِعْدَادِ لِما وَعَدْتَنَا وَأَدِمْ لَنَا احْسَانَكَ وَلُطْفَكَ كَمَا عَوَّدْتَنَا وَاتْمِمْ عَلَيْنَا مَا بِهِ اكْرَمْتَنَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصلى اللَّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصحْبِهِ أَجْمَعِين .

شِعْرَا

تَذَكَّرْ ولا تَنْسَ المَعَادَ وَلاَ تَكُنْ
كَأَنَّكَ مُخَلىً لِلْمَلاعِبِ مُمْرَجُ
وَلاَ تَنْسَ إِذْ أَنْتَ المُوَلْوَلُ حَوْلَهُ
وَنَفْسُكَ مِن بَينِ الجَوَانِحِ تَخْرُجُ
وَلاَ تَنْسَ إذ أَنْتَ المُسَجَّى بِثَوْبِهِ
وإِذْ أَنْتَ في كَرْبِ السِّيَاقِ تُحَشْرَجُ
وَلاَ تَنْسَ إِذْ أَنْتَ المُعَزَّى قَرِيبُهُ
وإِذْ أَنْتَ في بِيْضٍ مِن الرَّيْطِ مُدْرَجُ
ولا تَنْسَ إذ يَهْدِيكَ قَوْمٌ إلى الثَّرَى
إذا مَا هَدَوْكَاهُ انْثَنَوْا لم يُعَرِّجُوْا
ولا تَنْسَ إِذْ قَبْرٌ وإِذْ مِن تُرَابِهِ
عَلَيْكَ بِهِ رَدْمٌ وَلِبْنٌ مُشَرَّجُ
ولا تَنْسَ إِذْ تُكْسَى غَداً مِنْهُ وَحْشَةً
مَجَالِسُ فِيهِنَّ العَنَاكِبُ تَنْسِجُ
ولا بُدَّ مِن بَيْتِ انقِطَاعٍ وَوَحْدَةٍ
وانْ سَرَّكَ البَيْتُ العَتِيْقُ المُدَبَّجُ

أَلا رُبَّ ذِيْ طِمْـرٍ غَـداً في كَـرَامَـةٍ
وَمَـلْكٍ بِـتِـيْـجَـانِ الـهَـوَانِ مُـتَـوَّجُ
لَعَمْـرُكَ مَـا الـدُنْيَـا بِـدَارِ إقَـامَـةٍ
وإنْ زَخْـرَفَ الغَـاوُوْنَ فِيْهَـا وَزَبْـرَجُـوا

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَـا توفيقـاً يَقِيْنَـا عَنْ مَعَـاصِيْكَ وَأَرْشِدْنَا إلى السَّعْيِ فِيْمَا يُرْضِيْكَ وأَجِـرْنَا يَا مَوْلاَنَا مِنْ خِزْيِكَ وَعَذَابِكَ وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لأَوْلِيَائِكَ وأَحْبَابِكَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فصل)

فَائِدة ـ قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ :

لِشَهَادَةِ أَنْ لا الَهَ الا الله عِنْدَ المَوْتِ تَأْثِيْرٌ عَظِيْمٌ في تَكْفِيْرِ السَّيِّئَاتِ وَاحْبَاطِهَا لأَنَّهَا شَهَادَةٌ مِن عَبْدٍ مُوقِنٍ بها عَارِفٍ بمَضْمُونِها قَدْ مَاتَتْ مِنْهُ الشَّهَوَاتِ ولاَنَتْ نَفْسُهُ المُتَمَـرِّدَةِ وَانْقَادَتْ بَعْـدَ إِبَائِهَـا ، وَاقْبَلَتْ بَعد اعْرَاضِهَا .

وَذَلَّتْ بَعْدَ عِزِّهَا وَخَرَجَ منها حِرْصُهَا على الدُّنْيَا وَفُضُولُهَا وَاسْتَخْذَتْ بَيْنَ يَديْ رَبِّهَا وَفَاطِرِهَا وَمَوْلاَهَا الحَقِّ أَذَلَّ مَا كَانَتْ لَهُ وَأَرْجَى ما كانَتْ لِعَفْوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَتَجَرَّدَ مِنْهَا التَّوْحِيْدُ بانْقِطَاعِ أَسْبَابِ الشِّرْكِ وَتَحقُّقِ بُطْلانِهِ .

فَزَالَتْ منها تِلْكَ المُنَازَعَاتِ التي كَانَتْ مَشْغُولَةً بها ، واجْتَمَعَ هَمُّهَا عَلى مَنْ أَيْقَنَتْ بالقُدومِ عَلَيْهِ وَالمَصِيْرِ إلَيْهِ، فَوجَّهَ العَبْدُ وَجْهَهُ بكُلِّيته إليه ، وَأَقْبَلَ بقَلْبَه وَرُوحِهِ وَهَمِّه عَلَيْه ، فَاسْتَسْلَمَ لِلَّهِ وَحْدَهُ ظَاهِراً وَبَاطِنَا

واسْتوى سِرُّهُ وَعلانِيَّتهُ .

فَقَالَ لا إِلَه الاَّ اللهُ مُخْلِصاً مِن قَلْبِهِ ، وقد تَخَلَّص مِنَ التَّعَلُّقِ بغَيْرِه والالْتِفاتِ إلى مَا سِوَاه ، قَدْ خَرَجَتْ الدُّنْيا كُلُّها مِنْ قَلْبِهِ وَشَارَفَ القُدُومَ على رَبِّهِ ، وَخَمَدَتْ نِيرانُ شَهْوَتِهِ ، وَامْتَلأ قَلْبُهُ مِنْ الآخِرَةِ ، فصَارَتْ نُصْبَ عَيْنَيْهِ ، وصَارَتْ الدنيا وَرَاءَ ظَهْرِهِ .

فَكَانَتْ تِلْكَ الشَّهَادَةُ الخَالِصَةُ خاتِمَةَ عَمَلِهِ فَطَهرَّتْـهُ مِنْ ذُنُوبِـهِ وَادْخَلَتْهُ على رَبِّهِ لأنَهُ لَقِيَ رَبَّهُ بِشَهَادَةٍ صَادِقَةٍ خَالِصَةٍ وَافَقَ ظاهِرُهَا بَاطِنَهَا وَسِرُّهَا عَلاَنِيَتَها فَلَو حَصَلَتْ لَهُ الشَّهَادَةُ عَلَى هَذَا الوَجْهِ في أيَّامِ الصِّحَّةِ لاسْتَوْحَشَ مِن الدُّنْيَا ، وَأَهْلِهَا وَفرَّ إلى اللَّهِ مِنْ النَّاسِ وَأَنِسَ بِهِ دُوْنَ مَنْ سِوَاهُ . لَكِنَّهُ شَهَدَ بِهَا بِقَلْبٍ مَشْحُونٍ بالشَّهَوَاتِ وحُبِّ الحَيَاةِ وَأنْسٍ بها وَنَفْسٍ مَمْلُوءَةٍ بَطَلَبِ الحُظُوظِ وَالالْتِفَاتِ الى غَيْرِ اللّهِ فَلَو تَجَـرَّدَتْ كَتَجَرُّدِهَا عِنْدَ المَوْتِ لكانَ لهَا نَبأٌ آخَرُ وَعَيْشٌ آخَرُ سِوَى عَيْشِهَا البَهِيْمِي وَاللهُ المُسْتَعَانُ .

اللهُمَّ اقْسِمْ لنَا مِن خَشْيتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ وَمِنْ طَاعِتَكَ مَا تُبلِّغُنَا به جَنَّتَكَ ومِنْ اليَقِيْن مَا تُهَوِّنُ بِهِ عليْنَا علينا مَصَائِبَ الدنْيَا اللهُمَّ مَتِّعْنَا بأسْماعِنا وَأبْصارنَا وَقُوَّاتِنا مَا أحْيَيْتَنا وَاغْفِرْ لنَا وَلوالِدَيْنا وَلجَمِيْع المُسْلِمِيْنَ الأحْيَاءِ منْهُمْ والميتين بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْن وَصَلى اللهُ على مَحمَّدٍ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

وعن أنَس بن مالك أن معاذ بن جبل رضي الله عنه دخل على رسول الله ﷺ فقال كيفَ أصبحتَ ، يا مُعَاذ قال أصبحتُ مؤمنا بالله حَقًّا – قال « إن لكل قولٍ مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول ؟

قال : يا نَبي الله ما أصبَحْتُ صبَاحاً قَطُ إلا ظننتُ أني لا أصبِحُ ، ولا خَطَوةً خطْوةً إلا ظننتُ أني لا أتبِعُهَا أخرى وكأني أنظر إلى كلِ أمةٍ جاثيةٍ تُدْعى إلى كتابها مَعَهَا نَبيُهَا وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله ، وكأني أنظر إلى عُقُوبةِ أهل النار وثوابِ أهلِ الجنة ، قال عليه الصلاة والسلام عَرَفْتَ فالْزَمْ.

وبَلغ زَيْنُ العابدين مِن الدنيا أفضلَ ما تسعى إليه همةُ رجل ، فَرفَضَها ونبذَها قائلا « هذا سُرورٌ لولا أنه غُرور ، ونَعِيْمٌ لولا أنه عن قَريب عَدِيم ، ومُلْكٌ لولا أنه هُلْك ، وغِنَى لولا أنَّهُ فَنَى ، وأمر جَسِيْم لولا أنه ذمِيْم ، وارتفاعٌ لولا أنه اتِضَاع وحَسْبُ امرىء مِن الدنيا لُقِيماتٌ يُقِيم بها صُلْبَهُ ، وثوبٌ يستُرُ به عَوْرَته ، وصِحة يَسْتقوِي بها على طاعةِ الله .

وَ إعلم يا أخي أن الأجل قَريبٌ وهو مَستُور عنكَ وهو في يد غيرك ، يَسوقهُ حَثِيْثُ الليلِ والنهار ، وإذا إنتهت المدةُ حِيل بينكَ وبينَ العُدة ، فاحتلْ قبـل المُنْتَهـى وأكـرِمْ أجَـلَكَ بحُسْنِ صُحْبَـةِ الصادِقين ، وإذا آنستَكْ السلامـةُ فاسْتَوحِشْ بالعطب ، فإنه الغاية وإذا فرحتَ بالعافية فاحْسِبْ حِسَاباً لِلْبَلاء ، وإذا بَسَطَكَ الأمل فاقبَضْ نفسَك عنه بِذكر الأجل ، فهُو الموعدُ وإليه الموردُ .

كتب بعضُ الحكماء إلى رجل من إخوانه : يَا أخي احْذَرِ الموتَ في هذه الدار قبل أن تَصير إلى دَارٍ تتمنى فيها الموت فلا تجده .

وكانَ عمر بنُ عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كَأَنَّ بينَ أيديهم جَنَازة .

وقال إبراهيم التيمي : شيئان قَطَعَا عَني لَذَّةَ الدنيا ذِكْرُ الموتِ ، والوقوف بين يدي الله عز وجل .

وقال كَعبُ مَن عَرَفَ الموتَ هَانَت عليه مَصَائبُ الدنيا وهمومُها .

وقال شريح : إني أصَابُ بالمصيبة فأحمدُ الله تعالى أربعَ مَراتٍ أحمدُه إذْ لم تكن أعْظَمَ مَنْهَا ، وأحمدُهُ إذْ رَزقني الصَّبْرَ عَليها ، وأحمدُه إذ وَفَّقني لاسْتِرجَاع ما أرجُو فيه مِن الثواب ، وأحمدُهُ إذ لم يَجْعَلْهَا في دِيْني .

وقال حاتَمُ الأصَم : مُصِيْبَةُ الدينِ أعْظَمُ مِن مُصِيْبَةِ الدنيا ، ولقد مَاتَتْ لِي بنتٌ فَعَزَّاني أكثرُ مِن عَشرةِ آلافِ وفَاتَتْني صلاةُ الجَمَاعَةِ فلم يُعَزِني أُحَدٌ .

وقال آخر : كُنْ حَذِراً مِن أرْبَع غَارَاتٍ ، الأوْلَى : غارَةُ مَلَكِ الموت على رُوْحِكَ ، الثانية : غَارَةُ الوَرَثةِ على مَالِكَ ، الثالثة : غارَةُ الدُوْدِ على جِسْمِكَ في قبركَ ، والرابعة : غَارَةُ الخُصَماء على حَسَنَاتِكَ ، فَعَلَيْكَ في الاسْتِعْدَادِ والاحْتِيَاطِ والاكثارِ مِن البَاقِياتِ الصالحات والمداومة على ذكر الله ليلاً ونهاراً وسِراً وجهاراً .

كان محمد بن سيرين يدخل السوق نِصفَ النهار يُكَبر ويُسَبحُ ويَذْكُرُ الله ، فقال له رَجُل : يا أبا بكر في هَذِهِ الساعةِ ، قال : إنها ساعةُ غَفْلَة ينبغي الذِكر والتذكير فيها .

وقال بَعضُ العلماء : إني لأقرأ القرآن فأنظر في آية فيحار عقلي فيها وأعْجبُ مِن حُفَاظِ القرآن كيفَ يَهنِيهم النومُ وهم يتلون كلامَ الرحمن ، أمَا لَوْ فَهِمُوا ما يَتلُونَ وعرفوا حَقه وتلذذوا به واستَحْلَوا المُنَاجَاةَ بِهِ لَذَهَبَ عنهم

النومُ فَرحاً وسُرُّوا بما رَزَقهم الله ووفقهم له .

شعـــــــراً :

فَشَمِّرْ وَلُذْ بالله واحْفَظْ كِتَابَـــــه ففيهِ الهُـــدَى حَقاً ولِلْخَيْرِ جَامِـــعُ
هو الذُخْرُ لِلْمَلْهُوف والكَنْزُ والرَّجَا ومنــه بــلا شَــكٍ تُنَــالَ المنافِــعُ
بِهِ يَهْتَدِي مَن تاهَ في مَهْمَهِ الهَـــوَى بــه يَتَسَلَّـى مَــن دَهَتْــهُ الفَجَـائـعُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(فـــــــائدة)

إذا علم العبدُ أن الله تعالى رحيم به ورَؤُفٌ به وناظر إليه فكل ما يرد عليه من أنواع البَلايا والرَّزَايَا والمَصَائِب يَنْبَغِي له أن يَصْبِرَ ويحتَسِبَ ولا يكترِث بذلك فإنه لم يَتَعَوَّدْ مِن الله إلا خَيراً لَهُ .

فليُحْسِنْ ظَنَّهُ بربه وليَعتَقِدْ أن ذلك خَيْراً له وأن له في ذلك مَصَالِحَ خَفية لا يعلمها إلا الله كما قال تعالى ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم ﴾ فقد يُحِبُّ الانسانُ الشهرةَ والعافيةَ والغِنَاءَ ويكون شراً له كما في قصة قارون وثعلبة .

وخَفَّفَ عَنِّيَ ما ألآقِي مِن العَنَــا بأَنَّكَ أَنْتَ المُبْتَلِي وَالمُقَــــدِّرُ
وما لِامْرِءٍ عَمَّا قَضَى الله مَعْـدِلٌ ولَيسَ له مِنهُ الــذي يَتَخَيَّـــرُ

(فـــــــائدة)

قيل من علاماتِ التوفيق دُخُولُ أعمال البر عليكَ مِن غَيرِ قصْدٍ لها ، وصَرفُ المعاصِي عنكَ مَعَ السَّعْي إليها ، وفَتْحُ بابِ اللَّجَاء والافتقارِ إلى الله تعالى في كل الأحوال ، واتباعُ السَّيئة الحسنة ، وعِظَمُ الذنبِ في قلبكَ وإن كان مِن صغائر الذنوب والاكثار من ذكر الله وشكره وحمده والاستغفار .

ومِن علامات الخذلان تَعَسُّرُ الطاعاتِ عَليكَ مَعَ السعي فيها ، ودُخُولُ المعاصِي عَليكَ مَعَ هَرَبكَ منها ، وغلقُ باب الالْتِجاء إلى الله وتركُ التضرع له

وتَرْكَ الدُعَاء ، وإتباعُ الحَسَنَةِ بالسيئات ، واحْتِقَارُكَ لِذُنُوبكَ وعَدَمُ الاهْتِمامِ بها وإهْمَالُ التوبة منها والاستغفار وَنِسْيَانُكَ لِرَبِّكَ .

ذم الانسان نفسَه واحتقارُهُ لها لِما يَتَحَقّقُهُ مِن عُيُوبها وآفاتها مَطْلُوبٌ منه لأنه يُؤدّيهِ إلى التَّفتِيْشِ عليها ومحاسَبَتِهَا بِدقة ويُؤدّيه أيضاً إلى الحَذَرِ مِن غُرُورها وشُرورها .

فتصْلحَ بسبب ذلك أعمالُه وتصدقُ أحواله وتستقيم بإذن الله أموره وإلا فَسَدَتْ عليه واعْتَلّتْ لدخول الآفات عليها ولا يَصُدنه عن ذلك مدح المادحين وثناء المتملقين لأنه يعلم من عيوب نفسه ما لا يعلمه غيره .

المؤمن الحقيقي هو الذي إذا مُدِحَ وَأُثْنِي عليه وذُكِرَ طَرَفاً مِن مَحَاسِنِهِ استَحْيَا مِن الله تعالى اسْتِحْيَا تعظيم وإجلال أنْ يُثنَى عليه بصفة لَيْسَتْ فيه .

فيزْدَادُ بذلك مَقْتاً لِنفسِهِ واسْتِحْقَاراً لهَا ونُفُوراً عنها ويَقْوىَ عنده رُؤْيةُ إحسانِ الله تعالى إليه وشهودُه فضله عليه ومِنته في إظهار المحاسن عليه ويشكر الله ويحمده على ما أولاه من نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

قيل إن رجلا أخرج من السّجْن وفي رجله قَيْد وهو يسأل الناس فقال لإنسانٍ عاقِل أعْطِني كِسْرةَ خُبزة فقال لو قَنعْتَ بالكسرة لما وُضِعَ القيدُ في رِجْلِكَ ، ورأى رَجُلٌ رجُلاً مِن الحكمَاء يأكل ما تساقطَ مِن البَقْلِ على رَأسِ الماء .

فقال لو خَدَمْتَ السُلطانَ لم تَحْتَج إلى أكْلِ هذا ، فقال الحَكِيمُ وأنْتَ لَوْ قنِعْتَ بهذا لم تَحْتَج إلى خِدْمَةِ السُلطان ، وقال رَجُلٌ لآخَرَ كَيف حالكم مع السُلْطان ، فقال كما قال الله جل وعلا ﴿ سماعون لِلكَذِبِ أكّالُوْنَ لِلسُّحْت ﴾.

(فــــــائدة)

الأسباب الجالبة لمحبة الله لعبده المؤمن نَذْكر ما تَيَسر منها إن شاء الله :

(١) قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه والتفطن لمراد الله منه .

(٢) الإحسان في عبادة الله والإحسان إلى عباد الله ، قال الله تعالى ﴿ والله

يحب المحسنين ﴾ .

(٣) التقوى ، قال الله تعالى ﴿ والله يحب المتقين ﴾ .

(٤) طهارة الباطن والظاهر ، قال الله تعالى ﴿ والله يحب المطهرين ﴾ .

(٥) التقرب إلى الله بالنوافل بعد أداء الفرائض فإنها توصل إلى محبة الله لعبده كما في الحديث « ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه » الحديث .

(٦) دوام ذكر الله على كل حال في كل مكان إلا في المحلات المستقذرة كالخلاء ونحوه ويكون ذلك باللسان والقلب والعمل .

(٧) إيثار مَحَابِّهِ على محابك عند غلبات الهوى .

(٨) مطالعة القلب لأسمائه وصفاته وأفعاله ومشاهدتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة .

(٩) مشاهدة بره وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة .

(١٠) إنكسار القلب بين يديه والتضرع والتذلل له وإظهار الإفتقار إليه وإظهار العجز والمسكنة والتلهف إلى رحمته ورأفته ولطفه .

(١١) مجالسةُ التالِينَ لِلقُرآن العامِلِينَ به والذاكرين الله كثيرا .

(١٢) القتال في سبيل الله ، قال تعالى ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾ .

(١٣) إتباع النبي ﷺ ، قال الله جل وعلا ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ .

(١٤) الصبر ، قال تعالى ﴿ والله يحب الصابرين ﴾ .

(١٥) الخلوة به سبحانه وقت النزول الإلهي أي وقت التجلي الإلهي ، وهو في الاسحار قبل الفجر لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والقالَب بين يديه ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة .

(١٦) مباعدة العوائق والحوائل وكل سبب يحول بين القلب وبين الله عز

وجل .

قال رَجُلٌ لِطَاوُوْسٍ : أوصني قال أوصيكَ أن تحب الله حُباً حَتَّى لا يكون شيءٌ أحَبَ إليكَ منه وخِفْهُ خَوفاً حتى لا يكون شيءٌ أخوفَ إليكَ منه وارجُ الله رَجَـــاءً يَحُولُ بَيْنَكَ وبين ذلك الخـــوف وارض للناس ما ترضى لنفسك .

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيْعَ السَّمواتِ وَالأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوَفِّقَنا لِمَا فِيهِ صَلاَحُ دِيْنِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

[فصـــــــــل]

المراقبة في ثلاثة آشياء : مراقبة الله في طاعته بالعمل الذي يرضيه ومراقبة الله عند ورود المعصية بتركها ومراقبة الله في الهم والخواطر والسر والاعلان قال تعالى ﴿ وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ﴾ وقال النبي ﷺ « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

قالت أسماءُ بنتُ عُمَيْس : إنا لَعِند عَلّي بن أبي طالب بعد ما ضَرَبَهُ ابنُ مُلْجِم ، إذ شَهَقَ ثم أغمِيَ عليه ثم أفاقَ فقال مَرْحباً ، مَرْحَباً ، الحمدُ لله الذي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وأورثنا الجنةَ فقِيل لَهُ مَا ترى ، قال هذا رسول الله وأخِي جَعْفَر وعمِي حَمْزَةُ وأبوابُ السماء مُفَتَّحَة والملائكةُ يَنْزِلُونَ يُسَلمونَ عَلَيَّ ويُبَشِرُوْن وهذه فاطمةُ قد طافَ بها وَصَائِفُها مِن الحُور وهذه مَنَازِلي في الجنة « لمثل هذا فليعمل العاملون » .

عن كثير بن زَيْدٍ قال كَبُرَ حَكيمُ بنُ حِزامٍ حَتّىَ ذَهَب بَصَرُهُ ثم اشتَكى فاشتد وجَعُهُ فَقُلْتُ لأحْضُرَنَّهُ ولا أنْظُرَنَّ ما يَتَكَلَّمُ بِهِ فإذا هو يُهَمْهِمُ ويَقولُ لا

إلهَ إلاَّ الله أحِبُّكَ وأخْشَاكَ حتى مات . إنتهى

ولما حضرت أبا هريرة الوفاة بكى قالوا ما يبكيك ، قال بعد السفر وقلة الزاد وضعف اليقين وخوف الوقوع مِن الصراط في النار .

ولما حضرت معاذ بن جبل الوفاة قال : أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار ثم قال مرحباً بالموت زائر مغيب وحبيب جاء على فاقة اللهم إني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك .

اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لِكَرْيِ الأنْهَارِ ولا لِغَرسِ الأشْجَارِ ولكن لِطُولِ ظمأ الهَواجِرِ وقيامِ ليل الشتاء ومُكَابَدة السَاعات ومُزَاحَمةِ العلماء بالركب عند حلق الذكر ثم قبض رحمه الله .

ولما حضرت أبا الدرداء الوفاةُ جَعَلَ يَجود بنَفْسِهِ ويقول ألا رَجُلٌ يعمل لِمِثْلِ مَصْرِعِي هذا ألاَ رَجُلٌ يَعْمَلُ لمثل يومي هذا ألا رجلٌ يَعْمَلُ لِمثل سَاعتي هذه ثم قبض رحمه الله .

ثم اعْلَم : أنَّ الألَم المُصِيْبَ لِلْبَدِنِ إنما يدرك بواسِطَةِ الروح ، وإذا وصل الألمُ إلى نفس الروح فلا تَسْأَلْ عن كَربِهِ وَأَلَمِهِ حَتَّى قالوا إنَّهُ أشَدُّ من ضَرْبٍ بالسُيوف ونَشْرٍ بالمَنَاشِيْرِ وقَرْضٍ بالمَقَارِيضِ .

والسَبَبُ في أنه لا يَقْدِرُ على الصِّيَاحِ مَعَ شدة الألم لِزِيَادَةِ الوَجْعِ والكَربِ حتى قَهر كلَّ قوةٍ وَضَعَّفَ كُلَّ جَارِحَةٍ فلم يَبْقَ له قُوَّةُ الإسْتِغَاثَةِ والاسْتِعَانَة .

أما العَقَلُ فقد غشيَهُ وَشَوَّشَهُ وأما اللسان فقد أبكمه وأما الأطراف فقد خَدَّرَهَا وضعَّفَهَا فإن بَقِيَتْ فيه قُوةٌ سَمِعْتَ لَهُ خُوَاراً وغَرْغَرَةً مِن صَدْرِهِ وحَلْقِهِ حتى يَبْلغَ بَهَا إلى الحُلْقُوم .

فعِندَ ذَلكَ يَنْقَطِعُ نَظَرُهُ عن الدنيا وأهْلِها وتُغْلَقُ أبواب التوبة قال ﷺ « إنَّ الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يُغَرغر » رواه الترمذي وقال حديث حسن .

فالموفقُ مَن يَكونَ الموتُ نصب عَيْنَيْهِ لا يَغْفُلُ عنه ساعة فَيَسْتَعِدُ للموت.

ويُفَتِشُ على نَفْسِهِ ويَتْفقدها من قبل الصلوات ومن قِبلِ حُقُوقِ الله وحُقُوقِ خلقه هل أقام الصلاة على الوجه الأكمل هل أدَّى الزكاة كاملةً مُكَمَّلَةً هَل أبْرأ ذمَّتَهُ مِن حُقُوقِ الآدَمِيين .

هل أدى الأمانات إلى أهلها هل نَفَّذَ ما عنده مِن وَصَايَا وَوَكالاتِ هَلْ عِنْدَهُ أشْيَاءُ مُعَارَة كُتُبٌ أو نحوها يُرَجِّعُها هَلْ عنده كُتُبٌ زَائِدَةٌ يُفَرّقُهَا على طَلبةِ العِلْم العَامِلِين بعلمِهم . ويتلف إن كان عنده آلات لهو لا تقبض روحه وهي عنده . قالَ بعْضُهم إنَّ عَلامَةَ قِصَرَ الأملِ المُبَادَرَةُ في العَمل قَبْلَ حُلُولِ الأجل وَمَن ادَّعَى قِصَرَ الأمل وهو يعْتني بالدنيا فهو كاذب في دعواه

فالتوفيق أن يكون الموتُ أمامَهُ في كل لَحْظة لا يَغْفُلُ عنه أبَدًا إن أصْبَحَ أضْمَرَ أنه لا يُمْسِي وإنْ أمْسَى قَدَّرَ أنّه لا يُصْبح .

مُدِيمُ العمل بطاعة الله شاكراً له على توفيقه لِذَلِكَ مُلازِماً لِذِكرِ الله لَيْلاً ونَهاراً سِراً وجهاراً .

ولكن لا يَتَيَسَّرُ هَذا إلا لِمَنْ فَرَّغَ قلبَه عن الغَدِ ومَا يكونُ فيه وعن الدنيا وأشْغَالِها وزَخارِفها وجميع متعلقاتها .

إلا ما كان عوناً على الآخرة وأداءً لما وَجَبَ عليه مِن حقوق نسأل الله الإعانة والتوفيق والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

« فَصْــلٌ »

فيا أيها الغافل المُهْمِلُ المفرط وكُلُنا كَذَلكَ انْتَبِهْ وتصَوَّرْ صَرْعَةَ الموت لِنَفْسِكَ وتَصَوَّرْ نَزْعَهُ لِرُوحِكَ وتَصَوَّر كُرَبَهُ وسَكَراتِهِ وغُصَصَهُ وغَمَّهُ وقَلَقَهُ .

وتَصَوَّرْ بُدُوَّ الملكَ لجذبِ رُوحِكَ مِن قَدَمَيْكَ ثم الاسْتِمرار لجِذبِ الرُوح مِن جميع بَدَنِكَ فَنَشِطَتْ مِن أسْفَلِكَ مُتَصَاعِدةً إلى أعلاكَ حتى إذا بَلَغ

منكَ الكربُ والوجعُ والألمُ مُنتهاهُ وعَمَّتِ الآلامُ جميعَ بَدَنِكَ وقلبُكَ وَجِل مَحْزُونٌ مُنْتظِرٌ إما البُشْرى مِن الله بالرضا وإما بالغضب .

فبينما أنتَ في كربكَ وغمُومِكَ وشِدةِ حُزنكَ لارْتقَا بِكَ إحْدَى البُشْرَيَيْن إذ سَمِعْتَ صَوتَهُ إمَّا بما يَسُركَ وإمَّا بما يَغُمُّكَ فَيَلْزَمُ حِيْنَئِذٍ غايةُ الهَم والحَزَن أو الفرح والأنس والسرور قَلْبَكَ حِيْنَ انقضَتْ مِن الدنيا مُدَّتُكَ وانقطعَ منها أَثَرُكَ وحُمِلْتَ إلى دارِ مَن سَلَف مِن الأمم قَبْلَكَ .

وتَصَوَّرْ نَفْسَكَ حين اسْتطار قَلْبُكَ فَرحَاً وسُرُوراً أو مُلِيءَ رُعْباً وحُزناً وعَبْرةً وبزيارة القبرِ وهَولِ مَطْلعِهِ وَرَوْعَةِ الملكين منكر ونكير وسؤالهما لكَ في القبر عن ثلاثة أسئلة ما فيها تخيير ، الأول مَن رَبُّك والثاني ما دينُكَ والثالث من نَبِيُّكَ .

فتصور أصْوَاتَهُمَا عِندَ نِدائهما لكَ لِتَجْلِسَ لِسُؤالهما لكَ فيه فتصَوَّرْ جَلسَتكَ في ضِيقِ قَبْرِكَ وقد سَقَط كَفَنُكَ عن حَقْوَيْكَ والقُطِنُ مِن عَيْنَيْكَ .

ثم تصورْ شُخُوصَكَ بِبَصَرِكَ إليهما وتأمُّلكَ لِصُوْرَتَيهِمَا فإنْ رأيتَهما بأحْسَن صُورة أيْقَنَ قَلبُكَ بالفوز والنجاة والسرور وإنْ رأيتَهما بأقبح صُورة أيقَنْتَ بالعَطَب والهلاك .

شعـــــراً :

ولِلْمَرْءِ يَوم ينقضي فيه عُمْرُهُ	ومَوْتٌ وقَبْرٌ ضيْقٌ فيه يُوْلَجُ
ويَلْقَى نَكيْراً في السُّؤالِ ومُنْكَراً	يَسُومَانِ بِالتنكِيلِ مَنْ يَتَلَجْلَجُ

آخـــــر :

تَفَكَّرْ في مَشِيْبِكَ والمَآب	ودَفْنِكَ بَعْدَ عِزِّك في التُرابِ
إذا وَافَيْتَ قَبْراً أنتَ فِيهِ	تُقِيْمُ بهِ إلى يَوم الحِسَاب
وفي أوصالِ جِسْمِكَ حِيْنَ تَبْقَى	مُقَطَّعَةً مُمَزَّقَةَ الإهَاب
فَلَولَا القَبْرُ صَارَ عَليكَ سِتْراً	لأَنْتَنَتِ الأباطِحُ والرَّوابي
خلقتَ مِن التُراب فَصْرت حَياً	وعُلِّمْتَ الفَصِيْحَ مِن الخِطَاب

فطَلِّقْ هَـذه الـدُنيـا ثـلاثـا وَبَـادِرْ قَبـلَ مَـوْتـكَ بالْمَتَـابِ
نَصَحْتُـكَ فَاسْـتِمَعْ قَـوْلِي ونصْحِـي فمِثْلُكَ قَـدْ يُـدَلُّ عـلى الصَّـوابِ
خُلِقْنـا لِلْمَمـاتِ ولـو تُـرِكْنَـا لَضَـاق بنَـا الفِسْيحُ مِـن الـرحـابِ
يُنَـادى فـي صَبِيْحَـةِ كـل يــوم لِدُوْا لِلمـوْتِ وابْنُـوْ لِلْخَـرَابِ

ثم تَصَوَّرْ كَيْفَ يَكُون شُعُورُكَ إنْ ثَبَّتَكَ الله جَل وعلا ونَظَرتَ إلى ما أَعَدَّ الله لك وقولهما لَكَ هذا منزلكَ ومَصيرك فَتَصَوَّرْ فَرحَكَ وسُرُوْرَكَ بِمَا تُعاينُه مِن النعيم وبَهْجَةِ المُلْكِ وإيْقَانِكَ بالسلامةِ مِمَّا يَسُوْؤكَ .

وإن كانت الأخرى فَتصَوَّرْ ضِدَّ ذلكَ مِن إنتهارِكَ ومُعَايَنَتِكَ جَهَنَّمَ وقولهما لك هذا مَنزلُكَ ومَصيرُكَ فَيَالهَا مِن حَسْرةٍ ويا لهَا مِن نَدَامَةٍ ويَا لهَا مِن عَثْرَةٍ لا تُقَال .

ثم بعدَ ذلك الفَناءُ والبلاءُ حتى تَنْقَطِعَ الأوصالُ وتَتَفَتَّتِ العِظامُ ويَبْلى جَسَدُكَ ويَسْتَمِر حُزْنُكَ فيا حَسْرَةَ رُوحِكَ وغُمومِها وهُمومِها .

حتى إذا تكامَلَتْ عِدَّةُ الأموات وقد بَقي الجَبَّارُ الأعلى مُنْفَرِدًا بعَظمَتِهِ وجَلالِهِ وكِبريائِه ثم لم يَفْجَأكَ إلا نِداء المنادِي لِلْخَلائِقِ لِلْعَرضِ على الله جل وعـــــلا .

قال تعالى ﴿ واستمع يوَمَ يُنَادى المنادِ مِن مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلكَ يومُ الخُروج ﴾ يأمر الله ملكا أن يُنَادي على صخرة بيتِ المقدس أيَّتُهَا العِظامُ البالِية والأوصالُ المُتقَطِّعَة واللحومُ المُتَمَزِّقَة والشُعُور المُتَفَرِقَة إن الله يأمركن أن تجتمعنَ لِفَصْلِ القضَاء .

فتصَوَّرْ وقُوع الصَّوتِ في سَمْعِكَ ودُعَائِكَ إلى العَرْضِ على مَالِكِ المُلْكِ فَيطيْرُ فُؤادُكَ ويَشِيْبُ رَأسُكَ لِلنداءِ لأنها صَيْحَةٌ واحِدة لِلْعَرْض على الرب جل وعلا قال تعالى ﴿ فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة ﴾ .

فبينما أنْتَ في فَزَع مِن الصوتِ إذ سَمِعْتَ بانشقاق الأرض فخرجْتَ

مُغْبَراً مِن غبارِ قَبرِكَ قائماً على قَدمَيْكَ شَاخِصاً بِبَصَرِكَ نَحو النداء قال تعالى ﴿ يَومَ تشقق الأرض عنهم سِراعا ﴾ وقال ﴿ خُشَّعاً أبصارَهم يخرجون من الأجداث ﴾ .

فتصور تَعَرِّيكَ ومَذَلَّتكَ وانْفِرَادَكَ بخَوفِكَ وأحْزانِكَ وهُمُومِكَ وغُمومِكَ في زَحْمَةِ الخلائق خاشعةً أبصارهمُ وأصْوَاتُهم تَرهَقُهم الذِلَّةُ قال تعالى ﴿ وخَشَعَتِ الأصواتُ للرحمن فلا تسمع إلا همسا ﴾ وقال تعالى ﴿ خُشَّعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جرادٌ مُنْتَشِر مهطعين إلى الـــــداعي ﴾ .

اللهمّ ثَبتنَا عَلى قَولِكَ الثابِت في الحَيَاة وفِي الآخِرَة وآتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنة وفي الآخِرَةِ حَسَنة وَقِنَا عَذَاب النَّارِ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْن بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينْ وصلَّى اللهُ على محمدٍ وعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِينْ .

(فصل)

ثم تصور إقبال الوحوش مِن البَراري مُنَكِسَةً رُؤُوْسَها لِهَولِ يوم القيامةِ فبعدَ تَوحُشَها وانفرادها مِن الخلائق ذلَّتْ لِيوم النشور قال تعالى ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ .

وتصور تَكْوِيرَ الشمس وتَنَاثُر النجُوم وانْشِقَاقَ السماء مِن فوق الخلائق مَعَ كَثَافَةِ سَمْكِهَا فيا هَول صوت ذلك الانشقاق .

والملائكةُ على حَافَاتِ ما يَتَفَطر مِن السماء قال الله تعالى ﴿ وانشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على أرجائها ﴾ وقال تعالى ﴿ فإذ انشقت السماء فكانت وردة كالدِّهَان ﴾ وقال تعالى ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ .

قيل تَذُوب كما تَذُوبُ الفِضَّةُ في السَّبْكِ وتَتَلَوَّنُ كما تَتَلَونُ الأَصْبَاغ التي

يُذهَنُ بها فتارة حَمْرَاء وتارة صَفْرَاء وزَرْقاء وخَضْراء وذلك مِن شدة الأمر وهول يوم القيامة وقال تعالى ﴿ يوم تكون السماء كالمهل ﴾ قيل كالفضة المذابة أو الرصاص المذاب وقال تعالى ﴿ يَوماً يجعل الولدان شِيْبًا ﴾ .

فتصور وقوفك مفرداً عرياناً حافياً وقَدْ أدنِيَتِ الشمسُ مِن رُؤوسِ الخلائق ولا ظل لأحد إلا ظل عرش رب العالمين ، فبينما أنتَ على تلْكَ الحَالِ المزعجة اشْتَدَّ الكربُ والوَهَج من حَرِ الشمسِ ثم ازدحمت الأممُ وتدافَعَتْ وتضايقَتْ واختلفَتِ الأقدامُ وانقطَعتِ الأعناقُ من شَدّةِ العطشِ والخوفِ العظيم .

وانْضَافَ إلى حَرِ الشمّسِ كثرة الأنفاسِ وازدحامُ الأجسام والعطشُ تضَاعَفَ ولا نومَ ولا راحةَ وفاضَ عَرقُهم على الأرض حتى اسْتَنْقَعَ ثُمَّ ارتفعَ على الأبدان على قَدْرَ مَراتِبهم ومَنَازِلهم عند ربهم بالسعادة والشقاوة .

ثم تصور مجيء جهنم تقاد ولها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها قال تعالى ﴿ وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى ﴾ .

فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا لركبته يقول يا رب نفسي نفسي فتصور ذلك الموقف المهيل المفزع الذي قد ملأ القلوبَ رُعباً وخوفاً وقلقاً وذُعْرًا يا له من موقف ومنظر مزعج .

وأنت لا محالة أحدهم فتوهم نفسك لكربك وقد علاك العرق والفزع والرعب الشديد والناس معك منتظرون لفصْلِ القضاء إلى دار السعادة أو إلى دار الشقاء ، قال تعالى ﴿ وتُنْذِر يَوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ﴾ .

فتصور أصوات الخلائق وهم ينادون بأجمعهم منفرد كل واحد بنفسه ينادي نَفْسِي نَفْسِي قال الله تعالى ﴿ يوم تأتي كلُ نَفْسٍ تجادل عن نفسِهَا ﴾ وقال تعالى ﴿ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ﴾ الآية .

فتصور نفسَكَ وحالَتَكَ عند ما يَتَبَرأُ منكَ الولدُ والوالدُ والأخُ والصاحبُ لما في ذلك اليوم من المزعجات والقلاقل والأهوال التي مَلأتِ القلوبَ من الخوفِ والفزعِ والرعبِ والذُعرِ .

ولولا عظم هول ذلك اليوم ما كان من الكرم والمروأة والحفاظ أن تفر من أمِّك وأبيكَ وأخيكَ وبَنيك ولكن عظم الخطر وشدة الكرب والهول اضطرك إلى ذلك فلا تلام على فرارك منهم ولا لوم عليهم إذا فروا منك قال الله تعالى ﴿ لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ وقال تعالى ﴿ إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سُكَارَى وما هم بسكارى ولكن عذابَ الله شديد ﴾ .

فبينما أنْتَ في تلك الحالة مَمْلُوءٌ رُعْباً قد بَلَغَتِ القلوبُ الحَنَاجِرَ مِن شِدةِ الأهْوَال والمُزْعِجَات والخوفِ العظيم إذ ارْتفَعَ عَنَقٌ مِن النار يَلْتَقِطُ مَن أمِرَ بأخذِهِ فَينطَوِي عليهم ويُلْقِيْهِم في النار فَتَبْتَلِعُهُمْ ثم تَصَوَّرْ المِيزانَ وعظمَتَه وقَدْ نُصِبَ لِوَزْنِ الأعمالِ وتَصَوَّر الكُتُبَ المتطايِرَةَ في الأيْمَانِ وَالشمائِلَ وقلبُكَ واجِفٌ مَمْلُوأً خوفاً مُتَوَقِّعُ أينَ يَقَعُ كتابُكَ في يَمينِكَ أو في شِمالكَ أو مِن وراء ظهركَ .

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِصَالِحِ الأَعْمَالِ وآتِنا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وفِيْ الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا ولِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

(فَصْــلٌ)

فالأتقياءُ يُعْطَون كتبَهُم بإيمانهم والأشقياءُ بالشمال أو مِن وراء الظهر ، قال تعالى ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً ﴾ وقال ﴿ وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا

ثبورًا ويصلى سعيرًا ﴾ .

وقال تعالى ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه ﴾ الآيات وقال ﴿ وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ﴾ الآيات .

فيالَهَا مِن مَواقِف ويا لَهَا مِن أهوال ويا لها مِن خُطُوب مُجَرَّدُ تَصَوُّرُهَا يُبْكِي المؤمنَ بها حقاً .

عن الحسن « أن رسول الله ﷺ كان رأسه في حجر عائشة فَنَعَسَ فَتَذكَّرَتِ الآخرة فبكَتْ فسالتْ دُموعُها على خدّ النبي ﷺ فاستيقظ بدُمُوعها فرفعَ رَأسَه فَقَالَ ما يُبْكيْكِ فقالت يا رسول الله ذَكَرْتُ الآخرةَ هَلْ تَذْكُرونَ أهْلِيكُم يومَ القيامة .

قال : والذي نفسي بيده في ثلاثةِ مَوَاطِنَ فإنَّ أحَداً لا يَذكُرُ إلاَّ نَفْسَه : إذا وضعتِ الموازينُ وَوُزِنَتِ الأعمالُ حتى يَنْظُرَ ابنُ آدَمَ أيَخِفُّ مِيْزَانُه أم يثقل وعند الصحف حتى ينظر أبيمينِهِ يأخذ أم بشماله وعند الصراط .

وعن أنس بن مالك قال : يُؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يُوْقَفَ بين كفتي الميزان ويوكل به مَلَك فإن ثَقُلَ مِيزانُه نادَى الملكُ بصوتٍ يُسْمِعُ الخلائقَ سَعِدَ فلانُ بنُ فلان سَعَادةً لا يَشْقَى بعدَها أبداً .

وإن خَفَّ مِيْزَانُه نادى بصوت يُسْمِعُ الخلائق شَقِيَ فُلانُ بنُ فُلان شقاوةً لا يسعد بعدها أبدا .

وتَصَوَّرْ بَيْنَما أنتَ واقفٌ مع الخلائق الذين لا يعلم عددهم إلا الله جل وعلا وتقدس إذ نودي بإسمك على رؤوس الخلائق من الأولين والآخرين أين فلان بن فلان هلم إلى العرض على الله عز وجل .

فقمتَ أنتَ لا يقومُ غَيرُكَ لما لزم قلبك من العلم من أنك المطلوب فقمتَ تَرتَعِدُ فَرائصُكَ وتضطربُ رِجْلاكَ وجَميعُ جَوارحكَ وقلبك من شدة الخوف والذهول في أشد الخفقان مرتفعاً إلى الحنجرة .

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ﴾ .

فَتصَورْ تَخوفَكَ وذُلَّكَ وضَعْفَكَ وانهِيَار أعْصَابِكَ وقُواكَ مُتَغَيِّراً لونُكَ مَرْعُوباً مَذْعُوراً مُرْتَكِضاً مُزْعَجاً قَدَ حَلَّ بِكَ الغَم والهَمُّ والاضطراب والقلق والذُهول لِمَا أصَابَكَ ورأيْتَ مِن الشدائِدِ والكروبِ والمُحْزِنَاتَ ما الله به عليم.

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ وترى الناس سُكَارَى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ فيا له من يوم قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ فكيف تتقون إن كَفَرْتُم يَوماً يجعل الولدان شِيبًا ﴾ والآية بعدها .

وتَصَوَّرْ وقُوفَكَ بينَ يَدَيْ بَديعِ السمواتِ والأرضِ الذي الأرض جميعاً قِبضتُه يومَ القيامة والسمواتُ مَطْوِيّاتٌ بيَمينِهِ القوي العزيز وقَلْبُكَ خائفٌ مَمْلُوءٌ مِن الرُعْبِ مَحْزُونٌ وجِلٌ وطرفك خائف خفي خاشعٌ ذليل .

وجَوارحكَ مرتَعِدةِ بيدكَ صحيفة مُحْصاً فيها الدقيق والجليل لا تُغادِر صَغيرةً ولا كبيرةً فقرأتها بلسان كليل وقلب مُنْكِسر ودَاخَلَكَ مِن الخجل والجُبْن والحَيَاء مِن الله الذي لم يَزَلْ إليكَ مُحْسِنًا وعَليكَ سَاتِرا .

فبأي لِسَانٍ تُجيبُهُ حِينَ يَسْأَلُكَ عن قبيح فِعْلكَ وعَظِيمِ جُرْمِكَ وبأي قَدَمٍ تَقِفُ غداً بينَ يَدَيهِ وبأي طَرْفٍ تنظرُ إليه وبأي قَلْبٍ تحتمل كلامَه العَظِيم الجليل ومُسَاءَلَتَهُ وتوبِيْخَهُ .

وتَصَوَّرْ نَفْسَكَ بصغر جسمك بين يدي من السموات السبع والأرض كخردلة في كفه الكبير المتعالي شَدِيْدُ المِحَال الذي ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها وقلوب العباد بين أصبعين من أصابعه لا إله إلا هو القوي العزيز.

وتصور نفسك بهذه الهيئة والأهوال مُحَدِّقَةٌ بِكَ مِن جَوَانِبِكَ ومِن خَلْفِكَ فكم مِن كَبِيْرَةٍ قَد نَسِيْتَهَا أثبَتَهَا عليكَ المَلَكُ وكم مِن بَلِيَّةٍ أحْدَثْتَها فَذكَرْتَها وكم مِن سَرِيْرَةٍ قد كُنْتَ كَتَمْتَهَا قد ظَهَرتْ وبَدَتْ .

وكم مِن عَمَلٍ قد كُنتَ تظنُّ أنه قد خَلَصَ لَكَ وَسَلم فإذا هو بالرياء قد حَبِطَ بَعْدَ ما كانَ أَمَلُكَ فيه عَظِيمًا فيا حَسْرَةَ قلْبِكَ وتأسفك على ما فَرَّطْت في طَاعَةِ رَبِّكَ قال تعالى ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتَا على ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ الله وإنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِين﴾ وقال تعالى ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قُضي الأمر وهم في غَفْلَةٍ وهم لا يؤمنون﴾ .

حتى إذا كُررَ عليك السؤال بذكر البَلايَا ونُشِرَتْ مخبآتُكَ التي طالما أخفيْتَهَا وسَترتها عن مَخْلُوقٍ مِثْلكَ لا يَملكُ لِنفسِهِ ولا لغَيره ضَراً ولا نَفْعًا وقد ظَهَرتْ قلةُ هَيْبَتِك لله وقِلّة حَيائكَ منه وظَهَرتْ مُبَارزتكَ له بفعل ما نهاك عنـــــه .

فَما ظَنُّكَ بسُؤال مَن قد امتلأ سَمْعُكَ مِن عَظَمَتِهِ وجَلالِه وكِبْريائِهِ وسائر صفاة كماله وكيفَ بِكَ إنْ ذَكَّرَكَ مُخَالفَتَك لَهُ وَرُكُوبَكَ مَعَاصِيه وقِلَّةَ اهْتِمامكَ بنَهْيِهِ ونظره إليك وقلَّةَ اكْتَراثكَ في الدنيا بطاعته .

وماذا تقول إن قالَ لكَ يا عَبْدِي ما أجْلَلْتني أما اسْتَحْيَيْتَ مني أمَا رَاقبْتَني اسْتَخْفَفْتَ بنظري إليكَ ألَمْ أحْسِنْ إليكَ ألَمْ أنْعِم عليكَ ما غَرَّكَ مِني .

شَبَابُكَ فيما أبليتَه وعُمُرك فيما أفْنَيْتَه ومالُك مِن أيْنَ اكْتَسَبْتَهُ وفِيْمَ أنْفَقْتَه وعِلْمُكَ ماذا عَمِلتَ فيه .

وورد عن النبي ﷺ أنه قال : « ليقِفَنَّ أحدكم بين يدي الله تبارك وتعالى ليس بينه وبينه حجاب يحْجِبُه ولا بينه وبينه ترجمان يترجم عنه فيقول ألَمْ أنْعِمْ ألَمْ آتِكَ مالا فيقول بلى .

فيقول ألَمْ أرسل إليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة » رواه البخاري .

فأعْظِمْ بِهِ مَوْقِفاً وأعْظِمْ بِهِ مِن سَائِلٍ لا تَخْفَى عليه خَافِيَةٌ وأعْظِمْ بما يُدَاخِلُكَ مِن الخَجَلِ والغَمِّ والحُزْنِ والأسف الشديد .

على ما فَرَّطْتَ في طَاعَتِه وعلى ركوبك معصيته وعلى أوقات ضاعت عند الملاهي والمنكرات ، قال الله تعالى عن حال المجرمين المفرطين ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رُؤوسِهِمْ عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجِعْنَا نعمل صالحاً إنا موقنون ﴾ وقال تعالى ﴿ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد ﴾ الآية .

وكيف تَثْبُتُ رِجْلاكَ عند الوقوف بين يديه وكيف يقدر على الكلامِ لِسَانُكَ عندما يسألك الحي القيوم إلا أن يثبتك جل وعلا ويقدرك على ذلك فإذا تَبَالَغَ فيكَ الجُهْدُ من الغم والحزن والحياء والخجل بدا لك منه أَحَدُ أمرين إمَّا الغضب أو الرضا عنك .

فإما أن يقول يا عبدي أنَا سترتها عليك في الدنيا وأنا اغفرها لك اليوم فقد غفرتُ لَكَ كَبير جُرْمِكَ وكَثيرَ سَيِّئاتكَ وتَقَبَّلْت منكَ يَسيرَ إحسانِكَ فَيَسْتَطِيْرُ قَلْبُكَ بالبهجة والفرح والسرور فيُشرِق ويَسْتَنِيرُ لِذلكَ وَجْهُكَ .

فتصَوَّرْ نفسَكَ حِيْنَ مَا يقال لَكَ وتَهْدَأُ نَفْسُكَ ويَطْمَئِنُ قَلْبُكَ ويَتَنَوَّرُ وَجْهُكَ بَعْدَ كآبَتِهِ وتكَسُفِهِ مِن الحَيَاءِ مِن السُّؤَال .

وتَّصَوَّر رضاهُ عَنْكَ حِينَما تَسْمَعُه منه فثار في قلبكَ فامتلأ سُروراًوكِدْت أن تموتَ مِن الفرح فأيُّ سُرورٍ أعظمُ مِن السُرور والفَرَحِ بِرضا الله عَزَّ وجَل .

اللهمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحْينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجميْعِ المُسْلِميْنَ الأحْيَاءِ مِنْهُم وَالميِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا ارْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلى اللهُ عَلى مُحمد وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ اجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

وتَّصَوَّرْ نفسَكَ وقَدَ بَدَا لَكَ منه الرضا والرحمةُ والمغفرةُ فتكادُ رُوحُكَ أن تَطِيْرَ مِن بَدَنِكَ فرحاً فكَيفَ لو سَمِعتَ مِن الله عز وجل الرِضَا عَنكَ والمغفرةَ لَكَ فأمِنَ خَوفُكَ وسَكَنَ حَذَرُكَ وتَحَقَّقَ أمَلُكَ وَرَجَاؤُكَ بخُلودِ الأبِدِ وأيقَنْتَ بفوزكَ ونَعِيْمِكَ أبَدَا لا يَفْنَى ولا يَبِيْد وطار قلبك فرحاً وابْيَضَّ وَجْهُكَ وأشرقَ وَأنارَ .

ثم خَرَجْتَ إلى الخلائقِ مُستَنِيْرَ الوَجْهِ قَدْ حَلَّ بكَ أكْمَلُ الجَمالِ والحُسْنِ كِتابُكَ بيَمْينكَ وقد شَخَصَتْ أبْصَارُ الخلائقَ إليكَ غِبْطةً لَكَ وَتأسُفاً على أن ينالُوا مِن اللهْ عز وجل مِثلَ مَا نِلْتَ .

وتَصَوَّرْ نَفْسَكَ إن لم يَعْفُ عَنْكَ رَبُكَ وأيْقَنْتَ بالهَلاك وذُهِبَ بكَ إلى جَهَنمَ مُسْوَدَّ الوجْه تتخطَى الخلائقَ بسَوَاد وجْهِكَ وكتابُكَ في شِمالِكَ أوْ مِن وَرَاء ظَهْرِكَ تُنادِيْ بالْوَيلِ والثُبور والمَلَكُ آخِذٌ بعَضُدِكَ ينادي هذا فلانُ بُنُ فُلان قد شَقِيَ شَقَاءً لا يَسْعَدُ بَعْدَهُ أبَدَا .

وتصوَّرْ الصِراطَ وهُو الجَسْرُ المنصوبُ على مَتْنِ جَهَنَّمَ قُدَّامَكَ وتَصَوَّرْ ما يَحِلُّ بِكَ مِن الوَجَلِ والخَوفِ الشدِّيْدِ حِيْنَ رَفَعْتَ طَرْفَكَ فَنَظَرْتَ إليه بدِقَّتِهِ وحُوضِهِ وجَهَنَّمُ تَضْطَرِبُ وتَتَغَيَّض وتَخْفِقُ بأمْوَاجَهَا مِن تَحْتِهِ .

فَيالَهُ مِن مِنْظِرٍ ما أفْظَعَهُ وأهْوَلَهْ وسَمَاعُكَ شَهِيْقَهَا وتَغَيُّضَهَا وقصْفَ أمْوَاجِهَا وجَلَبَةَ ثَورَانِها مِن أسْفَلِهَا وقد اضْطُرِرْتَ على المَشْي عليه وقَدْ مَرَّتْ عَليكَ صِفتُهُ .

ثم قِيلَ لَكَ وأنتَ تنظرُ إلى الجَسْرِ بفَضَاظتِهِ وفَضَاعَتِهِ وقِيلَ للخلق مَعَكَ اركَبُوا الجَسْرَ الذي هو الصراط فَتَصَوَّرْ حَالَتَك وخَفقَانَ قَلْبِكَ وَرَجَفَان جِسْمَكَ مِمَّا عَايَنْتَ مِن المزعجات والكُرُوب والشَدَائِدِ والأهْوالِ وعَظَائِم الأمُور وقِلَّةِ المأكل والمَشْرب والرَّاحَةِ .

ولمَا قيل اركب طار عقلك رُعْباً وخوفًا ثم إذا رَفَعْتَ رِجْلَكَ وأنتَ تَنْتَفِضُ لِتركَب الجَسْرَ فَوَقَعَ قدمُكَ على حِدَّتِهِ ودِقتِهِ فازْدَادَ فزعُك وازداد رَجَفانُ قَلْبكَ ورَفَعْتَ رجلكَ الأخرى وأنتَ مَضْطَرِبٌ تَتَمرْوَج مِن شدة الخوف العظيم وقد اثْقَلَتْكَ الأوزارُ وأنتَ حَامِلُهَا عَلَىَ ظِهرك وأنتَ تَنْظُرَ إلى الناسِ يَتَهافتُونَ مِن بَيْن يَدَيْكَ ومِن وَرَائِكَ .

فَتَصَوَّر مُرُوْرَكَ عَليه بضَعْفِكَ وثِقَلِكَ وَأوْزَارِكَ وقِلَّة حِيْلتِكَ وأنتَ مُندَهِشٌ مِمَّا تحتَكَ وأمَامَكَ مِمَّنْ يَئِنُونَ ويَزِلُونَ وقد تَنكَسَتْ هاماتُهم وأرتفعَتْ أرْجُلُهم وآخرون يُخْتَطفُونَ بالكلالِيْب وتَسْمَعُ العَوِيْلَ والبكاءَ والأصواتَ المزعجاتِ المناديات بالويل والثبور .

فياله مِن مَنْظِرٍ فَظِيْع ومُر تقىً مَا أصْعَبَه ومَجَاز ما أضيقَه ومَكانٍ ما أهْوَلَهُ ومَوْقِفٍ ما أشقَّهُ وكأني بكَ مَمْلواً مِن الذُعْرِ والرعْبِ والقَلَقِ مُلْتَفِتاً يميناً وشمالاً إلى مَن حَولك من الخلق وهم يَتهافتون قُدَّامكَ في جهنم وأنتَ تخْشَى أن تتبعَهُم إلى قعر جهنم .

فتصور هذا بعقلك ما دُمْتَ في قَيْدِ الحَياة قبل أن يُحَالَ بَيْنَك وبينه فلا يفيدك التفكير لَعَلَّك أنْ تتلافى تفريطَكَ وتُحَاسِبْ نفسَكَ قَبْلَ أن يَفُوت الأوان فتبوْأ بالفَشَل والخَيْبَةِ والحِرمان .

وتَصَوَّرْ حَالَتَكَ إنْ بُؤتَ بالخُسْرَان وزَلَّتْ رجلُكَ عن الصراط وَوَقَعْتَ فيما كُنْتَ تُحَاذِرُ وتَخَاف وطَارَ عَقلُكَ ثم زَلَّتْ رِجْلُكَ الأُخْرَى فَنكسْتَ على هَامَتِكَ وعَلَتْ رِجْلاك فلم تَشْعُرْ إلاّ والكَلُّوبُ قد دَخل في جِلْدِكَ ولحمكَ .

فَجُذِبْتَ به وبَادَرَتْ إليكَ النارُ ثائرةً غَضْبَانَةً لِغَضَبِ مولاها وقد غلبَ على قلبِكَ الندمُ والتأسفُ على أوقات ضَيَّعْتَهَا فيما يُسْخِطُ الله .

وتَصَوَّرْ سَمَاعَكَ لِنِدَاء النار بقَوله عَزَّ وجَلَّ ﴿ هل امتلأت ﴾ وسَمِعْتَ إجَابتَها لَهُ ﴿ هَلْ مِن مَزِيْد ﴾ وهي تلتهب في بَدَنِك لَهَا قَصِيْفٌ في جَسَدِكَ ثم لم تَلْبَثْ أنْ تفطِرَ جسْمُكَ وتسَاقَطَ لحْمُكَ وبَقِيَتْ عظامُكَ .

مُحْتَرِقٍ تَطْلُبُ مِنْهُم مَاءً أو نحوَهُ فأجَابُوكَ بالرَّدِ والخَيْبَةِ فتقطع قلبُكَ حَسْرَةً وأسَفًا .

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ ونادَى أصْحَابُ النارِ أصْحَابَ الجنة أنْ أفِيضوُا علينا مِن الماءِ أو مما رَزَقكم الله قالوا إنّ الله حَرَّمَهُمَا على الكافرين ﴾ فَيا خَيْبَةَ مَن هَذا حَالُه وهَذا مآله .

لقد تَقَطَّعَ قلبُكَ حُزْناً إذ خَيَّبوا أمَلَكَ فيهم وبما رَأيتَ مِن غَضَبِهم عليكَ لِغَضَبِ رَبّكَ عَزَّ وَجل فَفَزِعْتَ إلى الله بالنَداء بطَلَب الخُروج مِنها فَبَعْدَ مُدةٍ الله أعلم بها جَاءَ الجوابَ ﴿ إخسَؤُا فيها ولا تكلمون ﴾ .

فلما سَمِعْتَ النِداءَ بالتّخْسِئةِ لَكَ ولأمثالك بَقِيَ نَفَسُكَ مِن شِدة الضّيِق والألم والحَسْرة مُتَردّداً في جَوْفِكَ لا مَخْرجَ لَهُ فَضَاقتْ نَفْسُكَ ضِيْقاً شديداً لا يَعْلَمُ مَدَاهُ إلا الله .

وبَقِيْتَ قَلِقاً تَزْفُر ولا تُطِيْقُ الكلامَ ثم أتَاكَ زِيَادَةُ حَسْرة وندامَةٍ حَيْثُ أُطْبِقَ أبْوَابُ النارِ عَلَيْكَ وعلى أعدائِه فيها فانْقَطَع الأمل كُلّياً .

فَيَا إيَاسَكَ ويَا إيَاسَ سُكانِ جَهَنّمَ حين سمعوا وقع أبْوَابها تطبقُ عَليهم قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ إنها عليهم مُؤصَدَةٌ في عمد ممددة ﴾ .

فعلموا عند ذلك أن لا فرجَ أبدا ولا مَخرجَ ولا محيصَ لَهُم من عذاب الله خلودٌ فلا موتَ وعذابٌ لا زَوَالَ له عن أبدانهم ودَوَامُ حَرَق قلوبهم .

أحْزَانٌ لا تنقضي وهُموم وغمُوم لا تَنْفَدُ وسُقْمٌ لا يَبْرَأ وقُيودٌ لا تُحَلُّ وأغْلَالُ لاَ تُفَكُّ قال تعالى ﴿ إذ الأغلال في أعْنَاقِهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ﴾ .

وقال تعالى ﴿ فالذين كفروا قطعت لهم ثيابٌ من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يُصْهَرُ به ما في بُطُونِهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يَخْرجُوا منهَا مِن غمٍ أعيدوا فيها وذُوْقوا عَذَابَ الحريق ﴾ .

ثم اطَّلعَتِ النارُ على ما في جَوْفِكَ فأكَلَتْ ما فيه وأنْتَ تُنَادِي وتستَغِيْث فلا تُرحَم حتى إذا طَالَ فيها مُكثكَ واشتَدَّ بِكَ العَطَشُ .

فَذَكَرْتَ الشَّرابَ في الدنيا فَزِعْتَ إلى الجحيم فتَنَاولْتَ الآناءَ مِن يَدِ الخازن الموكل بعذابك فلما تناولته تمزَّعَتْ كَفُكَ مِن تحته واحْترقَتْ مِن حَرارتِهِ ثم قربته إلى فمك والألَمُ بَالغٌ مِنكَ كلَّ مَبْلَغ فَشَوَى وجْهَكَ وَتَساقطَ لَحْمُهُ .

ثم تَجَرَّعْتَهُ فَسَلَخَ حَلْقَكَ ثم وَصِلَ إلى جَوفِكَ فَقَطَّعَ أمعاءَكَ قال الله جل وعلا ﴿ وسُقوا ماءً حميماً فقَطَّعَ أمْعَاءَهُم ﴾ وقال جَلَّ وَعَلاَ وتقدَّسَ ﴿ ويسقى من ماء صَدِيد يَتجرعُه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ ﴾ .

ثم ذكرتَ شراب الدنيا وبَرْدَهُ ولَذَّته فبادَرْتَ إلى الحَميم لِتُبَرد به كَبدَكَ كما تعَوَّدَتَ في الدنيا فسُقِيْتَ فقطَّعَ أمعاءَكَ والحميم شراب كالنحاس المذاب يُقَطِّعُ الأحشاءَ والأمعاءَ ثم بادَرْتَ إلى النار رَجَاءَ أنْ تَكُونَ أهونَ منه ثم اشتَدَّ عليكَ حَرِيْقُ النــــار فرجَعْتَ إلى الحميم قـــال الله تعالى ﴿يطوفون بينها وبَين حَميم آن ﴾ وقال في الآية الأخرى ﴿ إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسْحَبُونَ في الحميم ثم في النار يسجرون ﴾ .

فقدِّرْ نفسَكَ مَعَ الضَّائِعِيْنَ والخَاسِرِيْنَ لَعَلَّكَ أن تَلْحَقَ بالأبْرارِ والمُقَرَّبين وتَصَوَّرْ حَالَتَكَ لَمَّا اشْتَدَّ بِكَ الكَرْبُ والعَطشُ وبَلَغَ منكَ كُلَّ مَبْلَغ وذكرتَ الجنانَ وما فيها مِن النَّعيم المقيم والعَيْش السَّليم .

وهَاجَتْ الأحْزَانُ وهَاجتْ غُصَّةٌ في فؤادكَ إلى حَلْقكَ أسفاً على ما فَاتَ مِن رضَى الله عَزَّ وجَل وحُزْناً على نعيم الجنة .

ثم ذكرتَ شَرابَها وبَرْدَ مائِها وذكرتَ أن فيها بعضَ القرابةِ مِن أبٍ أو أم أو ابنٍ أو أخ أو غيرهم من القرابة أو الأصْدِقاءِ في الدنيا فنادَيْتَهُمْ بقَلْبٍ محزُوْن

لا يُرْحَمُ بُكَاؤُهُم ولا يجاب دعاؤهم ولا يغاثون عند تضرعهم ولا تقبل توبتُهم ولا تُقَال عَثْرَتُهم غَضِبُ الله عَزَّ وجَل عَليهم فلا يَرضَى عنهم أبدا فَمَثِّلْ نَفْسَكَ بهَذَا الوَصْف إنْ لم يَعْفُ عنكَ رَبُكَ لعلّكَ أن تَسْتَيْقِض فتستَدْرِك .

فلوْ رَأيت المُعَذَّبِيْنَ وقد أكلَتِ النارُ لُحومَهُم ومَحَتْ مَحَاسِنَ وُجُوهِهِم واندرَسَ تَخْطِيطُهُم فَبقِيَت العِظامُ مُحْتَرَقَةٌ مُسْوَدَّةٌ وقَدْ قَلِقُوا مِن شِدَّة تكررِ العَذَاب الأليم قال تعالى ﴿ وأنَّ عَذَابِي هُوَ العذابُ الأليم ﴾.

وهُم يُنَادُون بالويل والثُبور ويصرخون بالبكاء والعَويل قالَ الله جل وعلا وتقدس ﴿ وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل ﴾ وقال ﴿ وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليومَ ثُبورًا واحداً وادْعُوا ثبوراً كثيراً ﴾ .

فلوْ رَأيتَهُم لَذابَ قَلْبُكَ فزعاً ورُعْباً مِن سُوء خَلْقِهم ولخَرَجَتْ رُوْحُكَ مِن نَتَن رَائحتِهم فكيفَ لو نَظَرْتَ نفسَكَ وأنتَ فِيهم وقَدْ زَالَ مِن قَلْبِكَ الأملُ والرَجاء ولَزمَكَ القُنوطُ والإيَاسُ فمثِّلْ نفسَكَ لَعَلّكَ أن تَتَأثَّر فَتَستَعِدَّ لِلقاء الله.

ونَظَرْتَ إلى النار وهي تَشْتَعِلُ في أجْزاءِ بَدَنِكَ فتدخل أذنَيْكَ وعَينَيْكَ ولا تقدر على إبعادها عنك لِمِلازمَتِهَا لكَ قال الله تعالى ﴿ إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقراً ومقاما ﴾ فهناك يَغلبُ على قلبك التأسُّفُ والحسراتُ والندامة قال جل وعلا وتقدس ﴿وأنْذِرْهُمْ يوم الحَسْرَة ﴾ الآية .

فتَصَوَّرْ تِلْكَ الأهوالَ والعَظائِم بعقل فارغ وعزيمة صادقة وراجع نَفْسَكَ ما دُمْتَ في قَيْدِ الحَيَاة وتُبْ إلى الله توبةً نصُوْحاً عن ما يكرهه مَوْلَاكَ وتضَرَّعْ إليه وابْكِ مِن خَشْيَتِهِ لَعَلَّهُ يَرْحَمُكَ ويُقِيْلُ عَثرتَك فإن الخطرَ عَظِيم والبدنَ ضعيف والمـــوتَ منكَ قرِيْب ، انتهى بتصرف من كلام المحاسبي رحمـــــه الله .

مَثِّلْ وقُوفَكَ يَومَ الحَشْرِ عريانــا مُسْتَعْطِفاً قَلِقَ الأَحْشَــاءِ حَيْرانَا
النارُ تَزْفِرُ مِنْ غَيْظٍ ومِن حَنَــقٍ على العُصَاةِ وتَلْقَ الرَّبَّ غَضْبَانَــا
إقْرَأْ كِتَابَكَ يا عَبْدِيْ عَلَى مَهَـلٍ وانْظُرْ إليه تَرَى هَلْ كَانَ مَا كَانَا
لَمَّا قَرَأْتُ كِتَاباً لا يُغَادرُ لِــيْ حَرْفاً وما كانَ في سِرٍّ وإِعْلاَنَـــا
قَالَ الجَلِيلُ خُذُوْهُ يَامَــلائِكَتِي مُرُوْا بعَبْدِي إلى النِيْرَانِ عَطْشَانَــا
يَارَبِّ لا تُخْزِنَا يَوْمَ الحِسَابِ وَلا تَجْعَلْ لِنَارِكَ فينا اليَوْمَ سُلْطَانَــا

اللهم ارزقنا أنْفُساً تقنع بِعَطَائِكْ ، وتَرْضَى بقضائك ، وتصبر على بلائك ، وتُوْقِنُ بِلِقَائِكَ وتشكر لنعمائك وتحب أولياءَكْ وتبغض أعداءَكْ واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

٢ [مـــوعظـــة]

لِلهِ دَرُّ أقـوامٍ تَركُـوْا الدُنْيَا فَأَصَابُوْا ، وسَمِعُوْا مُنَادِيَ الله فأَجَابُوا ، وحَضَرُوْا مَشَاهِدَ التُّقَى فما غَابُوا ، واعْتَذَرُوا مَعَ التَّحقِيْقِ ثم تَابُوا وأنابُوا ، وقَصَدُوْا بابَ مَوْلاَهُم فما رُدُّوا وَلاَ خَابُوا .

قال عَمْرُو بنُ ذَرٍ لَمَّا رَأَى العَابِدُوْنَ الليلَ قد هَجَم عَليهم ، ونَظَرُوا إِلَى أَهْلِ الغَفْلَةِ قد سَكَنُوا إِلَى فُرشِهِمْ وَرَجَعُوا إِلَى مَلاَذِّهِم .

قامُوْا إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وتعالى فَرِحِينَ مُسْتَبْشِرِينَ بِمَا قَدْ وَهَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ السَّهَرِ وطُوْلِ التَّهَجُدِ .

فأستَقْبَلُوا الليلَ بأبْـدانِهم ، وبَـاشَرُوا ظُلْمَتَـهُ بِصِفَـاحِ وُجُـوهِـهِـم ، فانْقَضى عنهم اللَّيلُ ، ومـا انقَضَتْ لَذَّتُهم مِنَ التِلاوةِ ، ولا مَلَّتْ أبْدَانهم مِن طُولِ العِبَادَة ، فأصْبحَ الفَرِيْقَانِ وَقَدْ وَلَّى الليلُ بِرِبْحٍ وغَبْنٍ .

فاعْمَلوا في هذا الليلِ وَسَوادِه ، فإنَّ المغْبُونَ مَن غُبنَ الدنيا والآخرة ، كَمْ مِن قائمٍ لله تعالى في هَذَا الليلِ قد اغْتبطَ بقيامِهِ في ظلمة حُفْرَته .

[فصـــــــــل]

ويقابل دارَ الأشقياءِ التي تقدمت قريباً دَارُ أُخرى دَارُ قَرَارٍ ونَعِيْمٍ وسرُوُر وحُبُور وأمْنٍ وصِحَّةٍ وحَيَاةٍ أبَديَّةٍ فيها ما تشتهيه الأنفسُ وتلذُّ الأعينُ ممَّا لا عين رَأتْ ولا أذنٌ سَمعَتْ ولا خطَر على قلب بَشرَ .

دَارٌ جعلها الكريمُ جل وعلا دارَ ضِيافَةٍ ، يُكرم فيها عِبَادَهُ الأخْيَار الذين وفقَهم لِخِدْمَتِهِ والعَمَلِ بطاعَتِه .

ولا تظن هذه الضيافة محدودة ، ولا أن الكرامة فيها تَنْتَهي بَلْ كُلُ ما تحبه وتتمناه أمامك إنْ كُنْتَ مِن أهْلِ العَفْو والتَّجاوُز فتوهم إنْ تَفَضَّلَ اللهُ عليك بالعفوِ والتجاوزِ (أي تصور ممرَّكَ على الصراط) .

ونُـورُكَ يَسْعَى بينَ يَدَيكَ وعن يَمِيْنِـكَ ، وكتابُكَ بيمينكَ مُبْيَّضَ الوَجْهِ .

قال الله جل وعلا ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجُوه ﴾ وقد أيْقَنْتَ برضاه عنك وأنْتَ على الصِّراطِ مَعَ زمرةِ العَابِدين ووفودِ المتقين .

والملائكةُ تُنادِي : سَلِّمْ سَلِّمْ ، والوجَلُ مَعَ ذلكَ لا يفارق قلبك ولا قلوبَ المؤمنين ، تُنادِي ويُنَادُون : ﴿ **ربنا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا واغْفِرْ لَنَا إنَّكَ على كل شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ .

فتدبر حينَ رَأوا المنافقين طَفِىءَ نُورُهُم ، وهاجَ الوجَلُ في قُلوبهم ، فَدَعَوا بتَمام النُور والمغفرة .

فَتوهّمْ أيْ تَصوَّرْ وتَخَيَّل وتَمثّلْ نفْسَكَ ، وأنْتَ تَمُرُ خَفِيفاً مَعَ الوَجَلَ وتَصوَّرْ مَمَرَّكَ على قَدْرِ خِفَّةِ أوْزَارِكَ وثِقَلِها وقد انْتَهَيْتَ إلى آخِرِه .

فَغَلَبَ على قلبك النجَاةُ ، وقد عاينتَ نَعِيمَ الجِنان وأنتَ على الصراط ، فَحَنَّ قَلْبُكَ على جِوارِ اللهِ عزّ وجل ، واشتاقَ إلى رضا الله .

حتى إذا صِرْتَ إلى آخره خَطَواتٍ بأحَدِ رجليكَ إلى العَرْصَةِ (أي عَرَصَةِ القِيامة) التي بين آخِرِ الجسر وبين باب الجنة ، فَوضَعْتَها على العَرْصَةِ التي بعد الصراط ، وبَقِيَتِ القَدَمُ الأُخرى ، على الصراط ، والخوفُ والرجاءُ قد اعْتَليَا في قلبك وغلبا عليك .

ثم ثَنَيتَ بالأخرى ، فَجُزْتَ الصراطَ كُلّه واستَقَرَّتْ قَدَمَاكَ على تِلكَ العَرصةِ ، وزِلْتَ عن الجسْرِ بِبدنِكَ ، وخَلَّفْتَهُ وراءَ ظَهْرِك .

وجَهَنَّمُ تَضْطَرِبُ مِن تَحتِ مَن يَمُر عليها ، وتَثِبُ على مَن زَلَّ عنه مُغْتَاظَةً تَزْفُرُ عليه وتَشْهَقُ إليه .

ثم التفتَ إلى الجسرِ فَنَظَرتَ إليه باضطرابه ، ونظرت إلى الخلائق مِن فَوقِهِ ، وإلى جَهَنَّم مِن تَحتِهِ تَثِبُ وتَزْفرُ على الذين زُلْزِلُوا

عن الصِراط .

لها في رُؤُوسِهم وأنْحِائِهم قَصِيْفٌ ، فَطَار قَلْبكَ فَرَحاً إذْ نَجوْتَ بضَعْفِكَ مِن النار وَخَلَّفْتَ النارَ وجَسْرَهَا مِن وَرَاءِ ظَهْرِكَ . مُتَوجِهاً إلى جوار رَبِّكَ .

ثم خَطَوْتَ آمِناً إلى باب الجنةِ امتَلأ قلبُكَ سُروراً وفَرحاً ، فلا تَزَالُ في مَمَرِّكَ بالفَرح والسُرور حتى تُوافي أبْوبَهَا .

فإذا وافيْتَ بَابهَا اسْتَقْبلكَ بِحُسْنِهِ ، فَنَظرتَ إلى حُسْنِهِ ونُورِهِ وحُسنِ صُورةِ الجَنةِ وجُدْرَانها .

وقَلبُكَ مُسْتَطيرٌ فَرَحٌ مَسْرُورٌ مُتَعلقٌ بِدُخُولِ الجنةِ حين وافَيتَ بابها أنت وأولياءُ الرحمن .

فتَوَهَّمْ أي تَخَيَّل وتَصَوَّر نفسَكَ في ذلك الموكِب ، وهُمْ أهلُ كرامةِ الله ورضوانه ، مُبيَضَّةً وُجُوهُهُمْ ، مُشْرِقَةً برضَا الله ، مَسْرُورونَ فَرِحُونَ مُسْتَبْشِرُونَ ، وقد وَافَيْتَ بابَ الجَنةِ بِغُبارِ قَبْرِكَ ، وحَرِّ المقَام ووَهَج مَا مَرَّ بكَ .

فَنَظَرتَ إلى العَين التي أعَدَّهَا الله لأوليائه وإلى حُسْن مائِها ، فانْغَمَسْتَ فيها مَسْرُوراً ، لمَا وَجَدْتَ مِن بَرْدِ مَائِهَا وطِيْبِهِ ، فوجدتَ لهُ بَرْداً وطيباً ، فَذَهَبَ عَنكَ بِحُزْنِ المقَام .

وطَهَّرِكَ مِن كُلِ دَنَس وغُبار ، وأنتَ مَسرورٌ لما وَجَدتَ مِن طِيب مائها لمّا باشَرتَهُ ، وقد أفْلَتَّ مِن وَهَج الصراطِ وَحَرِّه ، لأنَّه قَدْ يُوَافي بَابَها مَنْ أحرقَتِ النارُ بعض جَسَدِهِ بلفْحِهَا وقد بَلَغَتْ منه .

فما ظَنُكَ وقد انْفَلَتَّ مِن حَر المقام ووَهَج أنْفَاس الخلائق ، ومِن شِدة تَوَهُّج حَرِّ الصِراطِ فَوافَيْتَ بابَ الجَنة بذلك ، فَلما

نظرت إلى العين قَذَفْتَ بَنفْسك فيها .

فَتَوهَّمْ (أي تَصَوَّرْ وتَخَيَّل) فَرْحَةَ فُؤادِكَ لما بَاشَر بَرْدَ مائِها بَدَنُكَ بعْدَ حَر الصِراط ، ووَهَج القِيامةِ ، وأنتَ فَرِحٌ لمعرفَتِكَ أنكَ إنما تَغْتَسلُ لِتَتطَهَّر لِدُخُول الجنةَ والخلودِ فيها .

فأنتَ تَغْتَسِلُ منها دَائباً ، ولَونُكَ مُتَغَيّرٌ حُسْناً ، وجَسَدُكَ يَزْدَادُ نَضْرَةً وبَهْجَةً ونَعْيماً ، ثم تَخْرُجُ منها في أَحْسَنِ الصُوَرِ وأتم النور اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا ، اللَّهُمَّ الْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَارْزُقْنَا مَحَبَّةَ اوْلِيَائِكَ وَبُغْضَ أَعْدَائِكَ وَهِجْرانهم وَالابْتِعَادِ عَنْهُمْ وَاغْفِرْ لَنا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعَ المسْلِمْينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

(فَصْــلٌ)

فَتَوهَّمْ (أي تَصَوَّرْ وتَخَيَّلَ) فَرِحَ قَلْبكَ حين خَرَجْتَ منها فَنظَرتَ إلى كمال جَمالكَ ، ونَضارَةِ وَجْهكَ وحُسْنِهِ ، وأنْتَ عَالِمٌ مُوقِنٌ بأنكَ تَتنَظَّفُ لِلدُّخول إلى جوارِ رَبِّكَ .

ثم تَقْصُدُ إلى العَينِ الأخْرَى ، فَتَتناولُ من بعض آنِيتها ، فَتَــوَهَّمْ نَظَرَكَ إلى حُسْنِ الإِنـاء ، وإلى حُسْنِ الشَراب ، وأنْتَ مَسْرُورٌ بمعرفتكَ أنكَ إنَّما تَشربُ هذا الشرابَ لِتُطَهِّرَ جَوْفَكَ مِن كُلِّ غِلٍ ، وجَسَدُكَ نَاعمٌ أبداً .

حتى إذا وضَعْتَ الإِناءَ على فِيكَ ثم شَرِبْتَهُ ، وجَدْتَ طَعم شَراب لم تَذُقْ مثله ، ولم تَعَــوَّدْ شُرْبَــهُ ، فَيَسْلسُ من فيْكَ إلى

جوفِكَ ، فَطارَ قلبُكَ سُروراً لما وَجَدْتَ مِن لَذَّتِهِ ، ثم نقي جَوْفَكَ مِن كُلِّ آفَةٍ .

فَوَجَدْتَ لَذةَ طَهارةِ صَدْرِكَ مِن كُلِّ طَبْعٍ كان فيه يُنَازِعُه إلى الغُمـوم والهُمـوم والحِـرص والشدةِ والغضبِ والغِلِّ ، فيا بَرْدَ طَهارَةِ صَدْرِكَ ، ويارَوْحَ ذلك على فُؤادِكَ .

حتى إذا اسْتَكْمَلتْ طَهـارةُ القلب والبَـدَنِ ، واسْتَكْمَـلَ أحباءُ الله ذلك مَعَكَ ، والله مُطَّلعٌ يَراكَ ويَراهُم .

أمَرَ مَولاكَ الجوادُ المُتَحَنِّنُ خزانَ الجنةِ من الملائكة ، الذين لم يزالُوا مُطيْعِين خَائفينَ منه مُشْفِقِينَ وَجلينَ مِن عِقابِهِ إعظَاماً له وإجَلالاً ، وهَيبْةً لَهُ ، وحَذَراً مِن نِقَمِهِ ، وأمرهُم أن يفتَحُوا بابَ جَنَّتِهِ لأوليائِهِ .

فانْحَدَرُوا من دَارها ، وبَادَرُوا مِن سَاحَاتِها ، وأتَوا بابَ الجنةِ فمدُوا أيدايهم لِيَفْتَحُوا أبوابَهَا .

وأيْقَنْتَ بنالك ، فطارَ قَلبُكَ سُروراً ، وامْتَلأتَ فَرحَاً ، وسَمِعْتَ حُسْنَ صَرِيْرِ أبـوابهـا ، فَعَـلاكَ السُرورُ ، وغَلَبَ على فُؤادِكَ ، فيا سُرورَ قُلوبِ المفتوحِ لهم بَابَ جَنةِ رب العالمين .

فلما فَتَحَ لهم بَابُهَا ، هاجَ نَسيمُ طِيب الجنانَ ، وطِيْب جَرْي مَائِهَا ، فَنَفَحَ وَجْهَكَ ، وجَمِيْعَ بَدَنِكَ ، وثَارَتْ أرَايِيْحِ الجنةَ العِبَقَةِ الطَّيبةِ .

وهاجَ رِيحُ مِسْكِها الأذْفَرِ ، وزَعْفَرانها المُوْنع ، وكافُورها الأصفرِ ، وعَنْبرِها الأشْهَبِ ، وأَرياحُ طِيبِ ثِمارِها وأَشجارِها ، وما فيها مِنَ نَسِيمِهاَ .

فَتَـدَاخَلتْ تلكَ الأرَاييْح في مَشَـامِّـكُ حتى وصَلَتْ إلى دِماغِك ، وصَارَ طِيبُها في قَلبِكَ ، وفاضَ مِن جَميع جَوارِحِكَ .

ونَظَرْتَ بعَينكَ إلى حُسْن قُصُورها ، وتأسِيْس بُنْيانها مِن طَرائق الجَنْـدَلِ الأخْضرِ مِن الزَمُرّدِ ، والياقوتِ الأحْمرِ ، والدُر الأبيَض ، قد سَطَعَ منه نُوره وبَهاؤه وصَفَاؤه .

فقد أكمَلَه الله في الصَّفاءِ والنُور ، ومازَجَهُ نُورُ ما في الجنان ، ونَظَرتَ إلى حُجُب الله ، وفَرِحَ فُؤادُكَ لمعْرفَتِكَ أنكَ إذا دَخَلْتَهَا فإنَّ لَكَ فيها الزيادات ، والنظرُ إلى وجهِ ربكَ ، فاجتمعَ طِيبُ أرايِيْحِ الجنةِ وحسنُ بَهجَةِ مَنْظرها ، وطيبُ نَسِيْمِهَا ، وبَردُ جَوها .

فتصور نفسَكَ إن تفضل الله عليكَ بهذه الهيئةَ ، فلو مُتَّ فرحاً لكان ذلك يَحقُّ لَكَ ، حتى إذا فَتَحُوا بابَها ، أقْبَلُوا عليكَ ضَاحِكينَ في وَجْهكَ وَوُجُوه أولياءِ الله مَعَكَ .

ونادوكم ﴿ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ فتوهم حسن نغماتهم ، وطيب كلامهم ، وحسن تسليمهم ، في كمال صورهم ، وشدة نورهم .

ثم أتبعوا السلام بقولهم : ﴿ **طِبْتُمْ فادْخُلُوهَا خَالدِينَ** ﴾ ، فأثْنَـوّا عليهم بالـطِّيِّبِ والتّهْـذِيب مِن كلِ دَنَس ودَرَنٍ وغِـلٍ وغِشٍ ، وكل آفةٍ في دِين أو دُنيا ، ثم أذنُوا لهُمُ علىَ الله بالدُخُولَ في جِوارِهِ .

ثم أخْـبَروهُم أنهم باقُـون فيهـا أبداً ، فقالوا : ﴿ **طبتم فادخلوهـا خالـدين** ﴾ ، فلما سَمِعَتِ الأذنُ وأولياءُ اللهِ مَعَكَ ، بادَرْتـم البابَ بالدخول ، فكَضَّتِ الأبوابُ مِن الزحام .

فَتَصور نفسَك إنْ عفا الله عنكَ في تِلكَ الزحمةِ مُبادِراً مَع

مُبَادِرين ، مَسْرُوْراً مع مَسْرُورينَ ، بأبدانٍ قد طَهرَتْ ، وَوُجُوهٍ قد أشرَقَتْ وأنارَتْ فهى كالبدر ، قد سَطَع مِن أعراضِهم كَشُعاعِ الشمس .

فلما جاوزتَ بَابَهـا ، وَضَعْتَ قَدَمَيْك على تُربتِهـا ، وهي مسْـكٌ أذفَـرُ ، ونَبْتُ الـزعفران المونع ، والمسكُ مَضْبُوبٌ على أَرْضٍ من فضةٍ ، والزعفرانُ نَابتٌ حَولها .

فذلــك أولُ خَطْوَةٍ خَطَوْتَهـا في أرضِ البقـاءِ بالأمْن مِن العـذاب والمـوت ، فأنتَ تَتَخَـطّى في تُراب المِسك ، ورياضِ الـــزعفَران ، وعَيْنَـاكَ تَرْمُقَـانِ حُسنَ بَهْجَـةِ الـدُرِ ، مِن حُسْنِ أشْجَارِها ، وزينة تَصْويرها .

فبينــما أنْتَ تَتَخَـطّى في عَرَصـاتِ الجنـان ، في رياضِ الـزعفـران ، وكُثْبـانِ المِسـك ، إذ نُودِي في أزَواجِكَ ووِلْدَانِكَ وخُـدَّامِـكَ وغلمانِكَ وقهارمتكَ ، أن فلاناً قد أقبل ، فأجَابُوا ، واسْتَبْشَرُوا لِقُدُوْمِكَ ، كما يُبَشَّرُ أهلُ الغائب في الدنيا بقُدُومِهِ -

اللَّهُمَّ اعْطِنَا مِنْ الخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُوْ وَاصْرِفْ عَنَّا مِنْ السُّوْءِ فَوْقَ مَا نَحْذَرُ . اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوْبَنَا بِرَجَائِكَ وَاقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ . اللَّهُمَّ إنَّكَ تَعْلَمُ عُيُوْبَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمَ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفى بِكَ نَصِيْرًا يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِسُلُوْكِ سَبِيْلِ عِبَادِكَ الأَخْيَارِ وَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءَ مِنْهُم وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْــــلٌ)

فبينــما أنت تنــظرُ إلى قصَــورك ، إذ سَمِعْتَ جَلَبَتَهُم وتَبْشِيْشَهُم ، فاسْتَـطَرْتَ لذلـك فَرَحَـاً ، فبينما أنتَ فَرِحٌ مَسْرُورٌ بِغبطتِهم لِقُدومِكَ لَمَّا سَمِعْتَ إجلابَهَمُ فرحاً بك .

إذ ابْتَدَرَت القَهارَمَةُ إليك وقَامت الولدان صُفُوفاً لقُدومك ، فبينما أتَت القَهارمَةُ مُقبلةً إليك ، إذ اسْتَخَفَّ أزْوَاجك لِلْعَجلَة ، فَبَعَثَتَ كُلُ واحدَةٍ مِنهن بعض خُدَّمِها لينظرَ إليكَ مُقْبلاً .

ويُسْرِعَ بالـرجُـوع إليهـا بقُدومِكَ ، لِتَطْمَئِنَّ إليه فَرحاً ، وتَسْكُنَ إلى ذلـكَ سُروراً ، فَنـظَر إليكَ الخَـدَمُ قبـلَ أنْ تَلْقَـاكَ قَهارَمُتكَ .

ثم بادَرَ رَسُولُ كُل واحدةٍ مِنْهُنَّ إليها فلما أخْبَرهَا بقُدومكَ ، قَالتْ كُلُ واحدةٍ لرسُولها : أنْتَ رَأيتَهُ ، مِن شِدةِ فَرَحها بذلكَ ، ثم أرْسَلَت كُلُّ واحدة مِنهنَّ رَسُولاً آخر .

فلما جَاءتِ البَشَارَاتُ بقُدومِكَ إليهن ، لم يَتمالَكْنَ فرحَاً ، فأرَدْنَ الخُروجَ إليك مُبادِرَاتٍ إلى لِقَائِكَ لولا أن الله كَتَبَ القَصْرَ لهنَّ في الخيام إلى قُدُومِكَ ، كما قال مَلِيكك : ﴿ **حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الخِيَامِ** ﴾ .

فَوضَـعـهن أيديهن على عَضَــائِــدِ أبــوابهن . وأذْرُعهنَّ برؤُوسِهنَّ ، يَنْظُرن متى تبدو لهن صَفْحَةُ وَجْهكَ ؛ فَيَسكُنُ طولُ حَنِينهن ، وشِـدةُ شَوقهن إليكَ ، وينـظرونَ إلى قَرير أعْيُنِهنَّ ، ومَعْدِن رَاحَتهِن ، وأُنسَهُّن إلى وَلِيٍ رَبهِنَّ وحَبيْب مَوْلاهُن .

فتوهم ما عَايَنْتَ ، حين فتِحت أبوابَ قُصُورِكَ ، ورُفِعَت سُتُـورُهُ ، مِن حُسْنِ بَهجـةِ مَقَاصِيره ، وزينةِ أشَجارِهِ ، وحُسْنِ رياضِه ، وتَلألُؤ صَحْنِهِ . ونُور سَاحَاته .

فبينما أنت تَنظر إلى ذلك ، إذ بادَرَتِ البُشرى مِن خُدَّامِكَ يُنَادُوْنَ أَزْوَاجَكَ هذا فُلانُ بنُ فلان قد دَخَلَ مِن باب قَصْرِهِ ، فلما سَمِعْنَ نِداءَ البُشَراء بقُدومِكَ ودُخُولِكَ ، تَوثَّبْنَ مِن الفُرش على الأسرةِ في الحجال .

وعَينُكَ نَاظِرةٌ إليهن في جَوف الخيام والقِباب ، فَنظرتَ إلى وُثُوبهنَّ مُسْتَعْجِلات ، قد اسْتَخَفَهُنَّ الفَرحُ ، والشَوقُ إلى رُؤْيَتِكَ .

فَتَخيَّل تِلكَ الأَبدان الرَّخِيْمَةَ الرُعْبُوبَةَ الخَرِيدةَ الناعِمةَ ، يَتَوثَّبْنَ بالتهادِي والتَّبَخْتُر .

فتصـور كُلَّ واحـدةٍ منهن ، حِينَ وَثَبَتْ في حُسْنِ حُلَلِهَـا وحِلْيَتِها بصَبَاحَةِ وَجْهِهَا ، وَتَثَنِّي بَدَنها بنعمته .

فتوهم انحِدارَهَا مُسْرِعَةً بكمالِ بَدَنِها ، نَازلَةً عن سَرِيْرِهَا إلى صَحْنِ قُبَّتِها ، وقَرارِ خَيْمَتِهَا ، فوثَبْنَ حتى أتينَ أبوابَ خِيامِهِنَّ وقِبَابِهِنَّ .

ثم أخَذْنَ بأيدِيهُنَّ عَضَائِدَ أبواب خِيامِهن لِلْقصْرِ ، الذي ضُرِبَ عَلَيْهِنَّ إلى قدومِكَ ، فَقُمْنَ آخِذَاتٍ بعَضَائِد أبوابهن .

ثم خَرَجْنَ برؤوسهِنَّ وَوُجُـوهِهنَّ ، يَنْحَـدِرنَ مِن أبـواب قِبـابِهن . مُتَـطَلِّعَـاتٍ ، يَنْظُرنَ إليكَ ، مُقْبِلات قَد مُلِئْنَ مِنكَ فَرَحاً وسرُوراً .

وتَخَيَّل نفسَكَ بسرُور قلبكَ وفَرِحِهِ ، وقد رَمَقْتهُنَّ على حُسْنِ

وُجُوهِهن ، وغَنَج أعْيُنِهنَّ .

فلمَا قَابَلْتَ وُجُوهَهُنَّ حَارَ طَرفُكَ ، وهَاجَ قَلبُكَ بالسُرور ، فَبقِيْتَ كالمبهُوتِ الذاهِلِ مِن عَظيم ما هَاجَ في قَلبك مِن سُرور ما رأتْ عَيناكَ ، وسَكَنتْ إليه نَفْسُكَ .

فبينما أنتَ تَرفُلُ إليهن ، إذْ دَنَوتَ مِن أبواب الخِيام ، فأسْرَعْنَ مُبادِرَاتٍ قد اسْتَخفَهُنَّ العِشْقُ ، مُسْرِعَاتٍ يَتَثَنَّيْنَ مِن نَعِيم الأبدانِ ، ويتَهادَيْنَ مِن كَمالِ الأجسام .

ثم نَادَتْكَ كُلُّ واحدةٍ منْهُنَّ : ياحَبيْبِي ما أبْطَأكَ عَلينا ؟ فأجْبَتَها بأن قُلْتَ : ياحَبِيْبَةُ ما زَالَ الله عَزَّ وجَل يُوقفني على ذَنْبِ كَذا وكَذا حتى خَشِيْتُ أنْ لا أصلَ إليكُن .

فَمَشَيْنَ نَحْوَكَ في السُنْدسِ والحرير . يُثِرْنَ المِسْكَ ، وشَوقاً وعِشْقاً لكَ .

فأول مَن تَقَدمَتْ منهُنَّ مَدَّتْ إليْكَ بَنانَها ومعْصَمَها وخَاتَمَها وَضَمَّتْكَ إلى نَحْرِهَا فانْثَنَيْتَ عليها بِكَفِكَ وسَاعِدِكَ حتى وضَعْتَهُ على قَلائدِهَا مِن حَلْقِها ، ثم ضَمَمْتُهَا إليكَ وضَمَّتْكَ إليها .

فتوهم نَعِيم بَدَنِها لمَّا ضَمَّتْكَ إليها كَادَ أن يُدَاخِلَ بَدَنُكَ بَدَنَهَا مِن لِينهِ ونَعِيمِهِ .

فتوهم ما بَاشَرَ صَدْرَكَ مِن حُسْنِ نُهُودِهَا ، ولَذَّةِ مُعَانَقِتها .

ثم شَمَمْتَ طِيبَ عَوارِضِها ، فَذَهَبَ قَلْبُكَ مِن كُلِّ شيءٍ سَواهَا حتى غَرِقَ في السُرورِ ، وامْتَلأ فَرحاً ، لما وصَل إلى رُوْحِكَ مِن طِيب مَسِيْسِها ، ولَذةِ رَوائح عَوارِضها .

فلما اسْتَمْكَنَتْ خفَّةُ السُرور من قلبك ، وعَمَّتْ لَذَّةُ الفَرَح

جَميعَ بَدَنِكَ ، ومَوْعِد الله عَزَّ وَجَلَّ في سُرُورِكَ ، فناديتَ بالحمد لله الذي صَدَقَكَ الوَعْدَ ، وأنْجزَ لك الموعد . ثم ذَكَرْتَ طَلَبَكَ إلى ربكِ إيَّاهُنَّ بالدُؤوب والتَّشْمير .

فأينَ أنتَ في عاقبةِ ذلكَ العمل الذي اسْتَقْبَلْتَهُ وأنْتَ تَلتثِمُهُنَّ وتَشَمُ عَوارِضَهُنَّ ﴿ لِمِثْلِ هذا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ ﴾ .

اللهم انا نَعُوذُ بِكَ مِن الشَّكِ بَعْدَ اليَقِيْنِ ، وَمِن الشَّيْطَانِ الرجيم ، ومِن شَدَائِدِ يَوْم الدِيْن ، وَنَسْألكَ رِضَاكَ والجَنَّةَ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِن سَخطِكَ وَالنَّارِ ، اللهم ارْحَمْنَا إذا عَرِقَ الجَبِيْنُ واشْتَدَّ الكَرْبُ والأنِيْنُ ، واغفر لنا ولوالدينَا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمِين الأحياء منهم والمَيتين بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْن وصلى الله على محمدٍ وعلى آلِه أجمعين .

(فَصْلٌ)

فتوهم صعودَهَا على السرير بِعظيم بدنها ونعِيمه ، حتى استوتْ عليه جالسةً ، ثم ارتقيتَ على السرير ، فاستويتَ عليه مَعَهَا ، فقابَلَتْكَ وأنتَ مُقَابِلُهَا ، فيا حُسْنَ مَنظرِكَ إليها جالسةً في حَالها وحُليها بصَبَاحَةِ وَجْهِهَا ونَعيم جِسْمها ! الأسَاورُ في مَعَاصِمِهَا ، والخواتمُ في أكُفِهَا ، والخلاخِيلُ في أسْواقِها ، والقلائد في عُنُقِهَا ، والأكاليل من الدر والياقوت على قصتها وجبينها ، والتاج من فوق ذلك على رأسها ، والذوائب من تحت التاج ، قد حل من مناكبها ، وبلغ أردافها ، تَرى وَجْهَكَ في نَحرها ، وهى تنظر إلى وجهها في نحرك .

وقد تدلت الأشجار بثمارها مِن جَوانِب حَجلتِكَ ، واطردتِ الأنهارُ حَولَ قصرك ، واسْتَعْلى الجداول على خيمتك بالخمر والعسل واللبن والسلسبيلِ .

وقد كمل حُسْنُكَ وحُسْنُها ، وأنتَ لابسُ الحَرير والسُنْدُس ، وأسَاور الذهب واللؤلؤ على كل مَفْصِل مِن مَفَاصِلكَ ، وتَاجُ الدُرَ واليَاقوتِ مُنْتَصِفٌ فوقَ رأسِكَ ، وأكاليلُ الدُرِ مُفَصَّصَةً بالنور على جَبِيْنكَ .

وقد أضَاءتِ الجنةُ وجَميعُ قُصورِكَ مِن إشراقِ بَدَنِكَ ونُور وَجْهِكَ ، وأنْتَ تُعَايِنُ مِن صَفَاء قُصُورِكَ جميع أزواجَكَ وخُدَّمِكَ وجميع أبنية مَقَاصيركَ .

وقد تَدَلَّتْ عَليك ثِمارُ أشْجَارِكَ ، واطَّرَدَتْ أنَهارُكَ مِن الخَمرِ واللَّبَن مِن تَحتِكَ ، والماءُ والعَسَلُ مِن فَوقِكَ ، وأنتَ جَالسٌ مع زَوْجَتِكَ على أريكَتِكَ ، وقد فُتِحَتْ مَصَاريعُ أبوابكَ ، وأرْخيت عليكَ حِجَالُ خَيْمَتكَ ، وحَفَّتِ الخُدامُ والولدانُ بقُبَّتِكَ ، وسَمِعْتَ زَجَلَهمُ بالتَّقْدِيْس لِرَبكَ عزَّ وجَل .

وأنْتَ وزَوجُكِ بأكْمَلَ الهيئةِ وأتم النعمةِ ، وقد حَارَ فيها طرفُكَ تَنظُر إليها مُتعَجباً مِن جَمَالِهَا وكَمالِهَا ، طَربٌ قَلبُكَ بملاحَتِهَا ، وأنِسٌ قَلْبُكَ بها مِن حُسْنِهَا ، فَهِي مُنَادَمةٌ لك على أرِيْكَتِكَ ، تُنَازِعُكَ وتُعَاطِيْكَ الخَمْرَ والسَّلْسَبيلَ والتَّسِنْيم في كَأساتِ الدُرِ وأكَاويْبِ قَوارير الفضَّة .

فتوهم الكأسَ مِن اليَاقوتِ والدُرِ في بَنانها ، وقد قَرُبَتْ إليكَ ضَاحِكَةً بحُسْنِ ثَغْرهَا ، فَسَطع نُورُ بَنَانها في الشراب ، مع نُور

وَجْهِهَا ونَحرِهَا ، ونُور الجنان ، ونُور وجْهك وأنتَ مُقابِلهَا ، واجْتمعَ في الكَأسِ الذي في بَنَانِها نُورُ الكأس ، ونُورُ الشَرَاب ، ونُورُ وَجْهِهَا ، ونُورُ نَحْرِهَا ، ونُورُ ثغْرِهَا ، إنتهى بتصرف .

وقال ابن القيم :

فَاسْمَعْ صِفَاتِ عَرَائِسِ الجَنَّات ثُمْ ... مَ اخْتَرْ لِنفْسِكَ يَا أخَا العِرْفَانِ

حُورٌ حسانٌ قَدْ كَمُلْنَ خَلائِقاً ... وَمحَاسِناً مِن أجْمَلِ النِّسْوَانِ

حَتَّى يَحَارُ الطَّرْفُ في الحُسْنِ الذي ... قَدْ ألْبِسَتْ فالطَّرْفُ كالحَيْرَانِ

وَيقولُ لَمَّا أنْ يُشَاهِدَ حُسْنَهَا ... سُبْحَانَ مُعْطِي الحُسْنِ والإحْسَانِ

والطَّرفُ يَشْرَبُ مِن كؤسِ جَمَالِهَا ... فَتَراهُ مِثْلَ الشاربِ النَّشْوَانِ

كَمُلَتْ خَلائِقُهَا وأكْمِلَ حُسْنُهَا ... كالبَدْرِ لَيلَ السِّتِ بَعْدَ ثَمَانِ

والشَّمْسُ تَجْرِيْ في مَحَاسِنِ وَجهِهَا ... والليلُ تَحتَ ذوائِبِ الأغْصَانِ

فَتَرَاهُ يَعْجَبُ وَهُوَ مَوْضِعُ ذَاكَ مِن ... لَيلٍ وَشَمْسٍ كَيفَ يَجْتَمِعَانِ

فَيَقُولُ سُبْحَانَ الذِيْ ذَا صُنْعُهُ ... سُبْحَانَ مُتقِنِ صَنْعَةَ الانسانِ

وَكِلاَهُمَا مِرْآةُ صَاحِبِهِ إذا ... مَا شَاءَ يُبْصِر وَجْهَهُ يَرَيَانِ

فَيرَى مَحَاسِنَ وَجْهِهِ في وَجْهِهَا ... وَتَرَى مَحَاسِنَهَا بِهِ بعَيْنَانِ

حُمْرِ الخُدُوْدِ ثُغُورُهُنَّ لآلِئٌ ... سُودُ العُيُونِ فَوَاتِرُ الأجْفَانِ

والبَدْرُ يَبْدُو حِينَ يَبْسُمُ ثَغْرُهَا ... فَيُضِيءُ سَقْفُ القَصْرِ بالجُدْرَانِ

وَلَقَدْ رَوَيْنَا أنَّ بَرْقاً سَاطِعَاً ... يَبْدُوْ فَيَسْألُ عنه مَن بجِنَانِ

فَيُقَالُ هَذا ضَوْءُ ثَغْرِ ضَاحِكٍ ... في الجنةِ العُلْيَا كَمَا تَرَيَانِ

للهِ لاثِمُ ذَلِكَ الثَّغْرِ الذي ... في لَثْمِهِ إدْرَاكُ كُلِ أمَانِ

رَيَّانَةُ الأعْطَافِ مِن مَاءِ الشَّبَا ... بِ فَغُصْنِهَا بالماءِ ذُو جَرَيَانِ

لما جَرَى مَاءُ الشباب بغُصْنِهَا ... حَمَلَ الثِمَارَ كَثِيْرَةَ الألْوَانِ

فالوَرْدُ والتُّفَـــاحُ والرُّمَـــانُ في | غُصْنٍ تَعالى غَـــارِسُ البُسْتَانِ
والقَدُّ منها كالقَضِيبِ اللدن في | حُسْنِ القوام كأوْسَطِ القُضبـــان

إلى أن قال رحمه الله :

وإذَا بَدَتْ في حُلَّةٍ مِنْ لُبْسِهَـــا | وَتَمَايَلَتْ كتَمَـــايُلِ النَّشْـــوَانِ
تَهْتَزُّ كَالغُصْنِ الرَّطِيْبِ وحَمْلُـــه | وردٌ وتَفَـــاحٌ على رُمَـــانِ
وَتَبخْتَرَتْ في مَشْيِهَـــا ويَحقُّ ذَا | لَكَ لِمثْلِهَا في جَنَّـــةِ الحَيَـــوانِ
ووَصَائِفٌ مِن خَلْفِهَـــا وَأَمَامِهَا | وعلى شَمَائِلِهَا وَعَن أيْمَـــانِ
كالبَدْرِ لَيلةَ تِمِّـــه قَدْ حُفَّ في | غَسَقِ الدُّجى بكَواكِبِ المِيْـــزَانِ
فَلِسَـــانُهُ وَفُـــؤَادُهُ والطَّرفُ في | دَهَشٍ وإعْجَـــابٍ وفي سُبْحَانِ
فَالقَلبُ قَبلَ زِفَافِهَا في عُرْسِـــهِ | والعُرسُ إثْرَ العُرْسِ مُتَّصِـــلَانِ
حَتَّى إذَا مَا وَاجهَتْهُ تَقَـــابَلا | أرَأيْتَ إذْ يَتقَـــابَلُ القَمَـــرَانِ
فَسَلِ المُتَيَّمَ أيْنَ خَلَّفَ صَبْـــرَهُ | في أي وَادٍ أمْ بأي مكَـــانِ
وَسَلِ المُتَيَّمِ كَيْفَ حَالَتُه وَقَـــدْ | مُلِئَتْ لَـــه الأُذُنَانِ والعَيْنَـــانِ
مِن مَنْطِقٍ رَقَّتْ حَوَاشِيْه وَوَجْـــ | ـــه كَمْ بِهِ لِلشَّمْسِ مِن جَرَيَـــانِ
وَسَلِ المُتَيَّم كَيْفَ عِيشَـــتُهُ إذاً | وَهُمَا على فُرُشَيْهِمَـــا خَلَـــوَانِ
يَتَسَاقَطَـــانِ لَئَآلئـــاً مَنْثُـــورَةً | مِن بَيْنِ مَنْظُومٍ كَنَظْمِ جُمَـــانِ
وَسَلِ المُتَيَّمَ كَيفَ مَجْلِسُـــه مع الْـــ | مَحْبُوْبَ في رَوْحٍ وفي رَيْحَـــانِ
وَتَدورُ كاسَاتُ الرَحِيْقِ عَلَيْهِمَـــا | بأكُفِّ أقمـــارٍ من الوِلْـــدَانِ
يَتَنَازَعَـــانِ الكَأسَ هَذَا مَرَّةً | والخُودُ أخْرَى ثُمَّ يَتَكِئَـــانِ
فَيَضُمُّهَـــا وَتَضُمُّهُ أرأيْتَ مَعْـــ | شُوْقَيْنِ بَعدَ البُعْدِ يَلْتقِيَـــانِ
غابَ الرَّقِيْبُ وَغابَ كُلُّ مُنَكِّدٍ | وَهُمَا بثَوْبِ الوَصْلِ مُشْتَمِـــلانِ
أتَرَاهُمَا ضَجِرَيْنِ مِن ذَا العَيْشِ لا | وَحَياةِ ربكَ مَا هُمَا ضَجِـــرَانِ

وَيَزِيْدُ كُلٌ مِنْهُمَا حُباً لِصَـــا حِبِـــهِ جَدِيْداً سَائِرَ الأَزْمَـــانِ
وَوِصَالُهُ يَكْسُـــوهُ حُباً بَعْـــدَهُ مُتَسَلْسِلاً لا يَنْتَهِي بِزَمَـــانِ
فَالوَصْلُ مَحْفُوْفٌ بِحُبٍ سَـــابِقٍ وَبِلاحِـــقٍ وَكِلاهُمَـــا صِنْوَانِ
فَرْقٌ لَطِيْفٌ بَيْنَ ذَاكَ وَبَيْنَ ذَا يَدْرِيْهِ ذُوْ شُغْلٍ بِهَذَا الشَّـــانِ
وَمَزِيْدُهُم فِي كُلِّ وَقْتٍ حَاصِـــلٌ سُبْحَانَ ذِي المَلَكُوتِ وَالسُّـلْطَانِ
يا غَافِلاً عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ انْتَبِـــهْ جَدَّ الرَّحِيْلُ وَلَستَ بِاليَقْظَـــانِ
سَارَ الرِّفَـــاقُ وَخَلَفُوكَ مَعَ الأُولى قَنِعُوا بِذَا الحَظِّ الخَسِيْسِ الفَانِ
وَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى مُتَخَلِّفَـــاً فَتَبِعْتَهُـــم فَرَضِيْتَ بِالحِرْمَـــانِ
لَكِنْ أَتَيْتَ بِخُطَّتَيْ عَجْزٍ وَجَهْـــلٍ بَعْدَ ذا وَصَحِبْتَ كُلَّ أَمَـــانِ
مَنَّتْكَ نَفْسُكَ بِاللُّحُوقِ مَعَ القُعُو دِ عَنِ المَسِيْرِ وَرَاحَةِ الأَبْـــدَانِ
وَلَسَوْفَ تَعْلَمُ حِيْنَ يَنْكَشِفُ الغِطَا مَاذَا صَنَعْتَ وَكُنْتَ ذَا إِمْكَـــانِ

وقال ابن القيم رحمه الله :

فَيَاسَاهِياً فِي غَمْرَةِ الجَهْلِ وَالهَوَى صَرِيْعَ الأَمَانِيْ عَنْ قَرِيْبٍ سَتَنْدَمُ
أَفِقْ قَدْ دَنَى الوَقْتُ الذِيْ لَيْسَ بَعْدَهُ سِوَى جَنَّةٍ أَوْ حَرِّ نَارٍ تَضَـــرَّمُ
وَبِالسُّنَّةِ الغَرَّاءِ كُنْ مُتَمَسِّكَـــاً هِيَ العُرْوَةُ الوُثْقَى التِي لَيْسَ تُفْصَمُ
تَمَسَّكْ بِهَا مَسْكَ البَخِيْلِ بِمَالِهِ وَعَضَّ عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ تَسْـــلَمِ
وَدَعْ عَنْكَ مَا قَدْ أَحْدَثَ النَّاسُ بَعْدَهَا فَمَرْتَعُ هَاتِيْكَ الحَوَادِثِ أَوْخَـــمُ
وَهَيِّءْ جَوَاباً عِنْدَمَا تَسْمَعُ النِّدَا مِنَ اللهِ يَوْمَ العَرْضِ مَاذَا أَجَبْتُمُ
بِهِ رُسُلِيْ لَمَّا أَتَوْكُمْ فَمَنْ يَكُنْ أَجَابَ سِوَاهُمْ سَوْفَ يُخْزَى وَيَنْدَمُ
وَخُذْ مِن تُقَى الرَّحْمنِ أَعْظَمَ جُنَّةٍ لِيَوْمٍ بِهِ تَبْدُوْ عِيَاناً جَهَنَّـــمُ
وَيُنْصَبُ ذَاكَ الجِسْرُ مِنْ فَوْقِ مَتْنِهَا فَهَاوٍ وَمَخْدُوْشٌ وَنَاجٍ مُسَـــلَّمُ
وَيَأْتِيْ إِلَهُ العَالَمِيْنَ لِوَعْـــدِهِ فَيَفْصِلُ مَا بَيْنَ العِبَـــادِ وَيَحْكُمُ

وَيَأخُذُ لِلْمَظْلُومِ رَبُّكَ حَقَّــــهُ فَيَابُؤسَ عَبْدٍ لِلْخَلائِقِ يَظْلِـــمُ
وَيُنْشَرُ دِيْوَانُ الحِسَابِ وَتُوْضَعُ الْـ ـمَوَازِيْنُ بالقِسْطِ الذي لَيْسَ يَظْلِمُ
فَلا مُجْرِمٌ يَخْشَى ظَلَامَـــةَ ذَرَّةٍ ولا مُحْسِنٌ مِن أجْرِه ذَاكَ يُهْضَمُ
وَتَشْهَدُ أَعْضَاءُ المُسِيءِ بِمَا جَنَى كَذَاكَ على فِيْهِ المُهَيْمِنُ يَخْتِــمُ
فَيَالَيْتَ شِعْرِيْ كَيْفَ حَالُكَ عِنْدَمَا تَطَايَرُ كُتْبُ العَالَمِيْنَ وتُقْسَـــمُ
أَتَأخُذُ باليُمْنَى كِتَابَكَ أَمْ تَكُنْ بالأخْرى وَرَاءَ الظَّهْرِ مِنْكَ تَسَلَّمُ
وَتَقْرَأ فِيْهَا كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْتَــهُ فَيُشْرِقُ مِنْكَ الوَجْهُ أوْ هُوَ يُظْلِمُ
تَقُوْلُ كِتَابِي فاقْرَؤُهُ فَــإنَّهُ يُبَشِّرُ بالفَوْزِ العَظِيْمِ وَيُعْـلِمُ
وإن تَكُن الأخْرَى فإنَّكَ قَائِلٌ ألا لَيْتَنِيْ لَمْ أُوْتَهُ فَهُوَ مَغْــرَمُ
فَبَادِرْ إذاً مَا دَامَ في العُمْرِ فُسْحَةٌ وعَدْلُكَ مَقْبُوْلٌ وَصَرْفُكَ قَيِّــمُ
وَجُدَّ وَسَارِعْ واغْتَنِمْ زَمَنَ الصِّبَا فَفِي زَمَنِ الامْكَانِ تَسْعَى وَتَغْنَمُ
وَسِرْ مُسْرِعاً فالمَوتُ خَلْفَكَ مُسْرِعاً وَهَيْهَاتَ مَا مِنْهُ مَفَرٌّ وَمَهْـــزَمُ

اللهم ألْهِمْنا القيامَ بحقِك ، وباركْ لنا في الحلالِ مِنْ رِزقِك ، ولا تفضحنا بين خلقك ، يا خيرَ مَنْ دعاه داعٍ وأفضلَ مَنْ رجاه راجٍ يا قاضِيَ الحاجاتِ ويا مجيبَ الدعواتِ هَبْ لنا ما سألناه وحَقِّقْ رجاءَنا فيما تمنيناه وأمّلْناه يا مَنْ يملكُ حوائجَ السائلينَ ويعلمُ ما في ضَمائِرِ الصامِتين ، أذقْنا بَرْدَ عفوِك ، وحلاوة مغْفِرَتِك ، يا أرحمَ الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فَصْلٌ)

قَالَ ابْنُ الجَوْزِيّ رَحِمَهُ اللهُ : الحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ المَعَاصِيْ فَإنَّهَا سَيِّئَةُ العَوَاقِب ، والحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ الذُّنُوبِ خُصُوصاً ذُنُوبُ الخَلَوَاتِ ،

فَإِنَّ المبَارَزَةَ لِلّهِ تَعَالَىٰ تُسْقِطُ العَبْدَ مِنْ عَيْنِهِ سُبْحَانَهُ وَلاَ يَنَالُ لَذَةَ المَعَاصِيْ إِلَّا دَائِمُ الغَفْلَةِ ، فَأَمَّا المُؤْمِنُ اليَقظَانُ فَإِنَّهُ لاَ يَلْتَذُّ بِهَا ، لأَنَّهُ عِنْدَ اِلتِذَاذِهِ يَقِفُ بازائِهِ عِلْمُهُ بِتَحْرِيْمِهَا وَحَذَرُهُ مِنْ عُقُوبَتِهَا ، فَإِنْ قَوِيتْ مَعْرِفَتُه رَأَى بِعَيْنِ عِلْمِهِ قُرْبَ النَّاهِيْ وَهُوَ اللهُ فَيَتَنغَصُ عَيْشُهُ في حَالِ التِذَاذِهِ فَإِنْ غَلَبَهُ سُكْرُ الهَوى كَانَ القَلْبُ مُتَنَغِّصاً بِهَذِهِ المُراقَبَاتِ وَإِنْ كَانَ الطَّبْعُ في شَهْوَتِهِ فَمَا هِيَ إلا لَحْظَةٌ ثُمَّ خِزْيٌ دَائِمٌ وَنَدَم مُلاَزِمٌ وَبُكَاءٌ مُتَواصِلٌ وأَسَفٌ عَلَى مَا كَانَ مَعَ طُوْلِ الزَّمَانِ حَتَّى إِنَّهُ لَوْ تَيَقَّنَ العَفْوَ وَقَفَ بِإِزَائِهِ حِذَارَ العِتَابِ فَأُفّ لِلذُّنُوبِ مَا أَقْبَحَ آثَارَهَا وَأَسْوَءَ أَخْبَارَهَا انْتَهى .

٣ موعظة

عِبَادَ اللهِ اعْتَادَ النَّاسُ أنَّ مَنْ طَلَبَ شَيْئاً مِنْ نَفائِسِ الدُّنْيَا لا يَهْدَأ ولا يَنَامُ ، بَلْ يَسْعَى لِلْوصُولِ إليْهِ ، لَيْلَهُ ، ونَهـارَهُ ، سعْيَ النَّشِيْطِ الهُمَامِ ، وَكُلمَّا سُدَّ في وَجْهِهِ بَابٌ ، قَرع بَاباً آخَرَ ، وَانْ تَعدَّد الأبْوابُ ، كمَا هُوَ دَأْبُ الحَرِيْصِ المِقْدامِ ، وَكُلَّمَا نَظَرَ إلىَ قَدْرِ مَا يَطْلُبُ هَانَ عَلَيْهَ السَّعَيْ ، وَما يلقَاهُ مِنْ مصَاعِبَ وَمتاعِبَ وَالآمٍ وَالعَجِيْبُ أنَّهُ لا يَمَلُّ ولا يَسْأَمُ ، وَإنْ وَاصَلَ السَّعْيَ سِنِيْنَ، وَأعجَبُ مِنْ ذَا أنّهُ لا يَنْثنِيْ عَنْ مَطْلوُبهِ ، وَإنْ مُسَّ شرَفُهُ وَأُهِيْنَ ، وَإنْ اسْتَصعَبَ عليْهِ الوُصُولُ ، اسْتَعان بذويْ الوَجَاهَةِ المُحْتَرَمِيْن ، وَلا يَزالُ هَذا يَوْاصِلُ السَّعْيَ حَتَّى يَصِل مُبْتَهجاً إلى مَالَهُ مِنْ مَرَامٍ . أنْتَ تَطْلُبُ الجَنَّةَ يا هَذا ولا نَفِيْسَ أنْفَسَ مِنْهَا لإنَّها لا تَفنَى وَلا تَبِيْدُ ، وَلِأَنَّ لكَ فِيْهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ ، وَلذَّتْ عَيْنُكَ دُوْنَ أيِّ تَقْيِيدِ ، وَلأنَّكَ خَالِدٌ فِيْهَا أبداً دُوْنَ أنْ يُكدِّرَ ، بأيِّ مُكَدِّرٍ ، ذلِكَ العَيْشُ الرَّغِيْدُ فَهلْ شَمَّرْتَ عَنْ سَاقٍ وَسَعَيْتَ لِلْوُصُولِ إلَيْهَا ، كمَا تَسْعَى فَقَطْ لِذَلكَ الفَانِيْ مِنْ الحُطَامِ ، المُشَاهَدُ أنَّكَ لا تَسْعَى لِتِلْكَ الجَنَّةِ وَلا

يَخْطُرُ لَكَ السَّعْيُ إلَيْهَا عَلَى بَالٍ ، وَلَوْ أَنَّكَ سَاوَيْتَها في السَّعْيِ إلَيْها بأَيِّ مَطْلُوبٍ دُنْيَوِيّ لَكُنْتَ مِنْ عُظَمَاءِ الرِّجَالِ ، وَلكِنْ يَا للأَسْفِ لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ ، وَالسَّعْيُ لِلجَنَّةِ لا يَكُوْنُ بالكَلامِ ، وَلا بالأَمَانِيِّ وَالأَحْلامِ ، وَلكِنْ بصالِحَاتِ الأَعْمَالِ ، وَهَلْ تَزَهَّدْتَ أَنْتَ في شَيْءٍ كَمَا تَزَهَّدْتَ في تِلْكَ الأَعْمَالِ الفِخَامِ ، وَلِذَلِكَ أَجْرَى اللهُ العَادة أَنَّ مَنْ خَافَ شَيْئًا مِنْ مُؤْلِمَاتِ الدُّنَيا يُبْعِدُ عَنْهُ وَيَفِرُّ ، كُلَّ الفِرَار ، وَيَذْهَبُ هُدُوْءُهُ وَطَمَأْنِيْنَتُهُ ، وَرُبَّمَا ذَهَبَ نَوْمُهُ اضْطِرَاراً لا اخْتِيَاراً وَلا يَطْمَئِنُّ بَعْضَ الاطْمِئنَانِ إلا إذَا احْتَرَسَ مِنْهُ بكلِّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْه مِنْ أَعْوَانٍ ، وَأَنْصَارٍ ، يَفْعَلُ كُلَّ ذَلِكَ لِئَلاّ يَصِلَ إلَيْهِ مِنْ الأذى مَا يُكَدِّرُ عليْه حَيَاتَهُ ، وَصَفوَهَا جَهَنَّمُ يَا هَذَا أَعْظَمُ مَخُوْفٍ فَهلْ عَمِلْتَ الاحْتِيَاطَ لهَا كَمَا تَحْتَاطُ لِمُخَوِّفاتِ هذِه الدَّارِ .

الذِيْ يَتَبادَرُ مِنْكَ وَيَظْهَرُ أَنَّ إيْمَانَكَ بهَا ضَعِيْفٌ ، وَأَنَّكَ لَمْ تَعْمَلْ أَيَّ احْتِيَاطٍ لهَا ، فلَوْ كَان ايْمَانُكَ قَوِيٌّ في قَوْلِهِ تَعالَى ﴿ وَجِيْءَ يَوْمَئِذٍ بجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الانْسَانُ وأَنَّى لهُ الذِّكْرَىٰ ﴾ لَسَعْيَتَ جُهْدَكَ في الأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، التِيْ تَحُولُ بَيْنَك وبَيْنَها وَلأَزْعَجَكَ وأَقْلَقَكَ وَلَمْ تَهْنَأ بنَوْمٍ ولا طَعَامٍ وَشَرابٍ ، وأَمَامَك تِلْكَ العَقَباتِ ، شِعْراً :

وكَيْفَ تَنَامُ العَيْنُ وهْيَ قَرِيْرَةٌ
وَلَمْ تَدْرِ في أَيِّ المَكَانَيْنِ تَنْزِلُ

اللَّهُم وَفِّقْنَا لِصَالِحِ الأَعْمَالَ ،ونَجِّنَا من جميعِ الأَهْوَالِ ، وأَمِّنَّا مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ يومَ الرَّجْفِ والزِلْزَالْ ، وَاغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ منهم والميتين بِرَحْمَتِكَ يا أرحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وصَلى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ وصحبه أجمعين .

وصايا وفوائد ومواعظ وآداب

أَوْصَى بعضُهم ، فقـال إذا عَصَيْتَ اللَّهَ بِمَوضَعٍ بأن حَصَل مِنكَ ذَنْبٌ فاعْمَـلْ في ذلك الموضعِ طَاعةً كاسْتِغْفَار وذِكْرٍ لله ونحو ذلكَ فكما يَشْهَدُ عَليكَ يَشهَدُ لَكَ .

قال تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أخْبَارَهَا بأن رَبَّكَ أوْحَى لَهَا﴾ . وكُلَّما تَذَكَّرتَ ذَنْبًا صَدَرَ منك فتُبْ عَقِبَ ذِكْرِكَ إيَّاهُ توبةً نَصُوحًا وأكثرْ مِنْ الاستغفار .

قال الله جل وعلا ﴿ إنَّ الحَسَناتِ يُذهبْنَ السيئآت ﴾ .

وقال تعالى ﴿ والذين إذا فَعلوا فاحِشَةً أو ظلمُوا أنفسَهم ذكروا الله فاستغفَرُ لِذُنُوبِهم ومَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا الله ولَمَ يُصِرُّوا على ما فَعَلوا وهم يعلمون ﴾ . وقال تعالى ﴿ ومَن يعمل سُوءًا أو يظلم نفسه ثم يَستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ﴾ .

إحْرَصْ على أن تَنْوِيَ فِعْل الخير ، وإذا حَدَّثَتْكَ نفسُك بِشَرٍ فاعْزِمْ على تَرْكِهِ لِلَّهِ .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال قال الله عز وجل ﴿ إذا تَحَدَّثَ عَبدى بأَنْ يَعمل حَسَنَةً فأنا أكتبُها له حَسَنَةً ما لم يعمل ، فإذا عَمِلَهَا فأنا أكتبُها بعَشْرِ أَمْثالِها ﴾ .

وإذا تَحَدَّثَ بأن يَعْمَلَ سَيئَةً فأنا أغْفِرُهَا لَهُ ما لم يَعْمَلْها فإذا عَمِلَهَا فأنا أكتُبَها له بمَثْلِهَا . ومما أوصَى به بعضُهم قال عَلَيكَ بِذِكْرِ اللَّهِ قائِمًا وقاعِدًا وَعلى جَنْبِكَ في السر والعلانية وفي الملا .

قال الله جل وعـلا ﴿ الـذين يذكـرون الله قياما وقعـودا وعـلى جُنُوبِهم ﴾ . وقال ﴿ والذاكرين الله والذاكرات أَعَدَّ اللَّهُ لهم مغفرةً وأجرًا عظيما ﴾ . وقال تعالى ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ .

وقال تعالى ﴿ واذكُروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، إنْ ذَكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في مَلأ ، ذكْرته في مَلأ خَيرٍ منهم ، وإن تَقَرَّبَ إليَّ شِبْرًا ، تَقَرَّبْتُ إليه ذِرَاعًا ، وإن تَقَرَّبَ إليَّ ذراعا تَقَرَّبْتُ إليه بَاعًا ، وإن أتَاني يَمْشِي، أتَيْته هَرْوَلَة » .

احْرَصْ على صِيَانَةِ الوَقْتِ وثابرْ على إتْيَانِ جَميعِ ما يُقَرِّبُكَ إلى الله مِن الأعمال وبالأخص الأكثار مِن كلمة الاخلاص وهي لا إلهَ إلا الله .

وأعلم أنها كلمة التوحيد والتوحيد لا يماثله شيء ، وهي كلمة الإسلام ، ومفتاح دار السلام ، وهي كلمة الحق ، ودعوة الحق .

وهي أعلا كلمة وأشرف كلمة وأحسن كلمة وأفضل كلمة وأنجى كلمة وما أنعم الله على عبد نعمةً أفضل من أن عرفه لا إله إلا الله وفَهَّمَهُ مَعْنَاهَا وَوَفَّقَهُ لِلْعَمل بِمُقْتَضَاهَا وعليكَ بالقِيام بما افْتَرضَ اللَّهُ عَلَيْك ومُلاَزَمَتِهِ على الوَجهِ الأكَمل الذي أمركَ اللَّهُ جَلَ وعَلاَ أن تقومَ فيه .

قال الله جل وعلا ﴿ فاستقم كما أُمِرتَ ﴾ . وفي حديث سفيان بن عبدالله قال قلتُ يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غَيْرِكَ قال « قل آمنتُ بالله ثم اسْتَقِمْ » رواه مسلم .

وفي حديث ثوبان عن النبي ﷺ قال « اسْتَقِيْمُوْا ولن تُحْصُوا وأعملوا أنَّ خَيرَ أعْمَالِكم الصلاة ولا يُحَافَظ على الوضوء إلا مُؤمن » . وفي رواية للإمام أحمد سَدِدُوا وقاربُوا ولا يُحَافظُ على الصلاة إلا مُؤمن » . وعليكَ بمراعاةِ أَقوالِكَ كما تُراعِي أَعْمَالَك فإنَّ أَقوالَكَ مِن جملةِ أَعْمَالِكَ قال الله جل وعلا ﴿ وإنَّ عَليكم لحافظين كرامًا كاتبين يعلمون ما تفعلون ﴾ .

وقال تعالى ﴿ ما يلفظ من قول إلا لَدَيهِ رقيب عَتِيْد ﴾ واحْذَرْ الإقامةَ بينَ أظهرِ الكفار فإن في ذلك تشجيعًا للكفار وإهانةً لِدِين الإسلام وإعلاءً لكَلمةِ الكفر .

قال النبي ﷺ « أنا بَريءٌ مِن كل مسلم يُقيمُ بين أظهُرِ المشركين لا تَرآءى نارَاهُما » رواه أبو داود والترمذي . وقال ﷺ «مَن جَامَعَ المشركَ وسَكَنَ مَعَهُ فإنه مثلُه» رواه أبو داود .

وعليك بتلاوة القرآن بتَفَهُّم وتَدَبُّر وتفكُّر ونَظَر فيما تَتْلُوْهُ إلى ما حُمِدَ فيه مِن النُعُوتِ والصِفاتِ التي وَصَفَ اللَّهُ جَلَّ وعَلاَ بها مَن أَحَبَّهُ مِن عِبادِهِ فاتَّصِفْ بها .

وما ذَمَّهُ اللَّهُ في القرآن مِن الصفاتِ فاجْتَنِبْهَا فإنَّ الله جَلَ وَعَلاَ ما أَنْزَلَهَا في كتابِهِ وذَكَرَهَا لَكَ وعَرَّفَكَ بِهَا إلا لِتَعْمَلَ بها .

فإذا قَرأْتَ القُرآنَ فاجْمَعْ قَلْبَكَ وحَضِّرْه وفَكِّرْ فِيْمَا تَتْلُوْ وما أشكلَ عَلَيْكَ فَطَالِعْ مَعْنَاهُ في التَّفْسِيْرِ إنْ كُنْتَ تُحْسِنُ ذَلِكَ وإلا فاسْأَلْ أهْلَ الذِكرِ .

قال الله جَل وَعَلاَ وتقدَس ﴿ فاسْأَلُوا أهْلَ الذكرِ إنْ كنتمُ لا تعلمون ﴾ . ولا أفضلَ مِن تِلاوَةِ كلامِ اللَّهِ فأفْضَلُ الكلامِ كلامُ الملكِ العَلَّامِ جل وعلا وتقدس .

وكُلُ ذِكْرٍ وَرَدَ فَضْلُهُ في خَبرَ أوْ أثَرٍ فهو بعدَ كلام الله فالتَّسْبيْحُ والتهليلُ والتكبيرُ والتحميدُ بَعْدَ التِلاوةِ وَبعدَهُنَّ الصلاةُ على رسَول ﷺ .

وعليك بمُجَالَسَةِ مَن تَنْتَفِعُ بمُجَالَستِهِ في دِيْنِكَ مِن عِلْمٍ تَسْتَفِيْدُهُ أو عَمَلٍ يَكونُ فيهِ أوْ خُلُقٍ حَسَنٍ يكون عليه تَكسِبُهُ مِن صُحْبَتِهِ .

وَعَلَيْكَ بالبَذَاذَةِ فإنَّهَا مِن الإِيْمَانِ وهِيَ تَرْكُ الزِّيْنَةِ وعَدَمُ التَّرَفُهِ ورَثَاثَةُ الهَيْئَةِ والرِضَا بالدُوْنِ مِنِ الثِّيَابِ لِمَا وَرَدَ في الحديث « إنَّ البَذَاذَةَ مِن الإِيمان » وفي الحديث الآخَر « إنَّ اللهَ عَزَّ وَجل يُحبُّ المُتَبَذِّلَ الذي لا يُبَالِي مَا لَبِسَ » وفي الحديث الآخر « ومَنْ تَرَكَ لُبْسَ ثَوْبَ جَمالٍ وهو يَقْدِرُ عليه أحْسبُهُ قال تَوَاضُعًا كَسَاهُ الله حُلَّةَ الكرامةِ » رواه أبو داود(ومَن يَرْتَضِي أَدْنَى اللِّبَاسِ تَواضُعًا سَيُكْسَى الثِّيَابَ العَبْقَرِيَّاتِ في غَدِ)

اللهم يا حَيُّ يا قَيُّومُ طَهِّر قُلوبَنا مِن النِّفَاقِ وعَمَلنا مِن الرِّيَاء وأَلْسُنَنا مِن الكَذِبِ وأَعْيُنَنا مِن الخِيانَةِ إنَّكَ تَعْلَمُ خائِنةَ الأَعْيُنِ وما تُخْفِي الصُّدُورَ واغْفِرْ لنَا ولِوالدِينا ولِجَميعِ المُسلمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الراحِمين وصلى الله على مُحَمَّدٍ وعلى آلهِ وصحبه أَجْمعين .

[فائدة عظيمة النفع]

اعْلَمْ أنَّ مَن كان دَاؤُهُ المعصية ، فشِفَاؤهُ الطاعة ، ومَن كان دَاؤهُ الغَفْلَةُ ، فشِفـاؤه اليَقَظة ، ومَن كان داؤه كثْرةُ الأشغال ، فشفاؤه في تفريغ المال .

فمن تَفَرَّغَ مِن هُموم الدنيا قلبُه ، قَلَّ تَعَبُه ، وتَوَفَّر مِنَ العِبَادة نصيبه ، واتصل إلى الله مَسِيْرُهُ ، وارتفع في الجنة مَصيره ، وتمكن مِن الـذِكـر والفِكـر والـورع والـزهـد والاحـتراس من وساوس الشيطان، وغوائل النفس .

ومِن كثر في الدنيـــا هَمُّه ، أظلم طريْقُه ، ونصَبَ بَدَنُه ، وضَاعَ وَقتُه ، وتَشَتَّتَ شملُه ، وطاشَ عَقْلُه ، وانعقد لِسَانُه عن الذكر ، لِكَثْرة هُمومه وغمُومه ، وصار مُقَيَّدَ الجوارح عن الطاعة ، مِن قلبهِ في كل وادٍ شُعْبَة ، ومِن عُمرهِ لِكل شغل حِصَّة .

فاستعذ بالله من فضول الأعمال والهموم فكل ما شغل العبد عن الرب فهو مشئوم ، ومن فاته رضى مَولاه فهو محروم ، كل العافية في الذكر والطاعة ، وكل البلاء في الغفلة والمخالفة ، وكل الشفـاء في الإنابة والتوبة ، وانظر لو أن طبيباً نصرانياً نهاك عن شرب الماءِ البارد لأجل مَرضٍ في جَسَدِك لأطعتَه في ترك ما نَهاكَ عنه ، وأنتَ تعلم أن الطبيب قَد يَصْدُق وقد يكذب وقد يُصْيبُ وقد

يُخطىء وقد يَنصَحُ وقد يَغشَ ، فما بالك لا تترك ما نهاك عنه أنصحُ الناصحين وأصدق القائلين وأوفى الواعدين لأجل مرضِ القلب الذي إذا لم تشفَ منه فأنتَ من أهْلَك الهالكين .

تَبْغِي الوُصُولَ بسَيْرَ فيه تَقْصِيْـــرُ ... لا شَكَّ أنَّكَ فِيما رُمْتَ مَغْـــرُوْرُ
قَدْ سَارَ قَبْلَكَ أبْطَالٌ فما وَصِـــلُوا ... هَذا وفي سَيْرِهم جِـــدٌ وتَشْمِيْرُ
يامُدَّعِي الحُبَّ في شَرْعِ الغَرامِ وقَد ... أقامَ بَيِّنَـــةً لَكِنَّهَـــا زُوْرُ
أفْنَيْتَ عُمرَكَ في لَهْـــو وفي لعِبِ ... هَذا وأنْتَ بَعْيدُ الدارِ مَهْجُـــوْرُ
لو كانَ قَلْبُكَ حَياً ذُبْتَ مِن كَمَدٍ ... ما لِلْجِرَاح بجسْمِ المَيْتِ تأثِيْرُ

وقـــال ابن القيم رحمـــه الله إن الـــذي يَحْسِمُ مادةَ رَجَـاءِ المَخْلُوقِينَ مِن قَلْبِكَ هو الرضي بحُكْم الله عز وجلَ وقسْمِهِ لك .

فمن رَضي بحُكْمِ اللَّهِ وقَسْمِهِ لم يَبْقَ لِرجَاءِ الخَلْقِ في قلبه مَوْضِع .

والذي يَحْسِمُ مادَةَ الخَوْفِ هو التَّسْلِيْمُ لِلَّهِ فَإنَّ مَن سَلَّمَ لِلهِ واسْتَسْلَم لَهُ وَعَلم أنَّ ما أصابَهُ لم يَكُنْ لِيُخْطِئَه .

وما أخطاءَهُ لم يكن لِيُصِيْبَهُ وعَلِم أنه لَنْ يُصِيْبَهُ إلاَّ ما كَتَبَ اللَّهُ له لم يَبْقِ لِخَوفِ المخلوقين في قلبه موضع أيْضًا .

فإن نَفْسَـه التي يخاف عليها قد سَلَّمها إلى وَلِيِّها ومَوْلاَهَا وعَلم أنه لا يصيبها إلا ما كتب لها .

وأن ما كتب لَها لابد أن يصيبها فلا معنى للخوف من غير الله .

والذي يَحْسِمُ مادة المبالات بالناس شهود الحقيقة .

وهو رؤية الأشياء كلها من الله وبالله وفي قبضته وتحتَ قَهْرِهِ وسُلْطَانه .

لا يَتَحرك منها شيء إلا بحوله وقوته ولا ينفع ولا يَضر شيءٌ إلا بإذنه ومشيئته فما وجه المبالات بالخلق .

اللهمَّ انا نسألك العافية في الدُّنيا والآخرَةِ اللهُمَّ انَّا نَسْأَلُكَ العَفو وَالعَافيةَ في دِينِنَا ودُنيانَا وآخِرَتنا وَأهلِنَا وَمَالِنَا اللهمَّ اسْتُر عَوراتِنا وَأمنِ رَوعاتِنا واحْفَظنا مِن بين أيدينا ومِن خَلفنا وَعن أيمانِنَا وعن شَمائِلنا ومن فوقِنا ونَعُوذ بعَظمتِكَ أن نُغتَالَ من تَحتِنا واغفِرْ لنا وَلِوَالِـدَيْنَا ولجميعِ المسلمينَ برحمتِك يا أرحمَ الراحمينَ وصلى اللهُ على مُحمدٍ وعلى آلهِ وصحبه اجْمَعينَ .

قال أحَدُ العُلماء : لا يكن هم أحدكم في كثرة العمل ، ولكن ليكن همه في إحكامه وإتقانه ، وتحسينه .

فإن العبد قد يُصَلِي وهو يَعْصِي الله في صلاته ، وقد يصوم وهو يَعْصى الله في صيامه .

وقيل لآخـر : كيفَ أصْبَحْتَ فبكى ، وقال أصبحتُ في غَفْلةٍ عَظِيمةٍ عن الموت مَعَ ذُنوُب كثيرةٍ قد أحَاطَتْ بي ، وأجلٌ يسرع كل يوم في عمري ، ومَوْئِل لستُ أدري علامَا أهجم ثم بكى .

وقـال آخـر : لا تَغْتَم إلا مِن شىء يَضُرك غداً (أي في الآخرة) ولا تفرح بشيءٍ لا يَسُركَ غدا ، وأنفعُ الخوف ما حَجزَكَ عن المعـاصي ، وأطـال الحُزْنَ مِنْكَ على ما فاتك من الطاعة ، وألْزَمَكَ الفِكْرَ في بَقِيةِ عُمرك .

وقال آخر : عليك بصُحبةِ مَن تُذَكِّرُكَ اللهَ عز وجل رُؤيَتُه ، وتَقَعُ هَيْبَتُه على باطنكَ ، ويَزِيدُ في عَمَلِكَ مَنْطقُه .

ويُزَهِدُكَ في الدنيا عَمَلُهُ ، ولا تَعْصِى الله مادُمْتَ في قُربه ، يَعِظُكَ بلِسانِ فِعْلِه ولا يَعظُكَ بلِسانِ قَوْلِهِ .

قال إسرافيل : حضَرْتُ ذِى النونَ المصري وهو في الحبس وقد دَخل الشُرطَي بِطَعامٍ لهُ ، فَقَامَ ذُو النونِ فَنَفَضَ يَدَهُ (أي قبضها عن الطعام) .

فقيل له : إنَّ أخاك جَاءَ به ، فقال : إنه على يَدَيْ ظالم ، قال : وسمعتُ رجلاً سأله ما الذي أتعبَ العبادَ وأضْعَفَهُم ؟

فقال : ذِكْرُ المقامِ وقِلةُ الزادِ ، وخوفُ الحِساب ، ولم لا تذوبُ أبدان العمال وتذهلِ عُقولهم ، والعرض على الله جل وعلا أمامَهم ، وقراءة كتبهم بينَ أيديهم .

والملائكة وقوفٌ بين يدي الجبار يَنْتَظِرونَ أمْرَهُ في الأخيار والأشرار ، ثم مثَّلوا هذا في نفوسهم وجَعَلُوه نُصْبَ أعْيُنِهم .

وقال : سَقَمُ الجسد في الأوجاع ، وسقم القلوب في الذنوب ، فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه ، كذلك لا يجد القلب حلاوة العبادة مع الذنوب .

وقال : مَن لم يعرف قدر النعم ، سُلِبَها مِن حَيثُ لا يعلم .

ما خلع الله على عبد خلعة أحسنَ ولا أشرفَ مِن العقل ولا قلده قلادة أجمل من العلم ولا زينه بزينة أفضل من الحلم وكمال ذلك التقوى .

وقال آخر : أدركتُ أقواماً يَسْتَحْيُونَ من الله في سَوادِ الليل مِن طُول الهَجْعَةِ ، إنما هو على الجنب فإذا تحَرَّكَ قال لنفسه : ليسَ لك قومُي خُذِي حَظَّكِ مِن الآخرة .

وقال أبو هاشم الزاهد : إن الله عز وجل وسَمَ الدنيا بالوحشة ، ليكن أنْسُ المريدين به دونها ، وليُقْبِل المطيعُونَ له بالاعراض عنها ، وأهْلُ المعرفة بالله فيها مُسْتَوْحِشُون ، وإلى الآخرة مُشتَاقُون .

فتفكر يا أخي في ذَلكَ عَسَى الله أن يَنْفَعَنا وإيَّاك واستعن بالله واصْبر واجتهد وشَمِّرْ وبَادر بالأعمال الصالحة قبل أن يُحَالَ بَيْنَكَ وبَيْنَهَا فلا تجد إليها سبيلا .

وكن حذرا من مُفاجأةِ الأجلِ فإنك غرضٍ للآفات وهَدَفٌ مَنْصُوبٌ لِسهام المنايا وإنما رَأسُ مالَك الذي يمكنُكَ إن وَفّقَكَ الله أن تشتري به سَعَادةَ الأبد هذا العُمْر .

إخواني المؤمنُ يَتقَلَّبُ في الدنيا على جَمَراتِ الحَذَر في نيران الخوف ، يَرهبُ العَاقبة ، ويَحْذرُ المُعَاقَبَةَ ، فالخوفُ مِن النار مُتمكِنٌ مِن سُوَيْدَاءِ قلبه .

فإنْ هَفَا بأن حَصَل منه زَلَّةٌ توقّدَتْ في قلبه نارُ النَّدَم ، وإنْ تَذَكر ذَنْباً إضطَرَمَتْ نارُ الحُزْنِ في بَاطِنِه ، وإنْ تفكر في مصيره ومُنْقَلبه التَهَبَتْ نارُ الحَذرِ في قَلْبِهِ ، وصَارَ لا يَهْنؤهُ طَعَامٌ ولا شَرَاب .

خُذْ مَا صَفَا لَكَ فالحَيَاةُ غُـرورٌ	والموتُ آتٍ واللَّبِيْبُ خَبِيْـرُ
لا تَعْتِبَنَّ على الزمـان فإنَّهُ	فَلَكٌ على قُطْب الهلاكِ يَـدورُ
تعْفُو السُطورُ إذا تَقَادَمَ عَهْدُهَـا	والخَلْقُ في رِقَ الحَيَاةِ سُـطُورْ
كلُّ يَفرُ من الـرَّدَى لِيَفُوْتَـهُ	وله إلى مَا فر مِنْـهُ مَصِيْـرُ
فانظُرْ لنَفْسِكَ فالسّلامة نُهْـزَةٌ	وزَمَانُها ضَافي الجَنَاحِ يَطِيْـرُ

مِرْآةُ عَيْشِكَ بالشَّبَابِ صَقِيْلَـــةٌ   وجَناحُ عُمْرِكَ بالمَشِيْبِ كسِـــيْرُ
بَادِرْ فإنَّ الوَقْتَ سَيْفٌ قَـــاطِعٌ   والعُمْرُ جَيْشٌ والشَبابُ أمِــيْرُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فائدة عظيمة النفــــع]

قال بعض العلماء : ذِكْــر الله تعـالى في ابتـداء الأقـوال والأفعال أنْسَةٌ مِن الوَحْشَة وهدَايَة من الضلال .

وحَمْدُه جل وعلا فرضٌ لازمٌ لِكُلِّ أحَد على كُلِّ حَال لأنه أهلٌ أنْ يُحْمَدَ إن ابْتَلى ، وإنْ منع ، وإن أنَال .

ففضلُه جل وعلا عَمَّ النساء والرجال والكُهُولَ والأطفال .

ولَطَفَ في قَدَره وقضائِهِ بأهل أرضه وسمائه فلم يَخْلُ مِن لُطْفِهِ سَافِلٌ ولا عال .

اللهم يَامَنْ لا تُمَدُّ الأيْدِي بالـرغبةِ والمسألةِ إلا إليه ، ولا يُعَوَّلُ في كَشْف الشدائد والكروب في الدنيا والآخرة إلا عليه .

يامَن كُلُ الرغائب والمطالب لَدَيه ، وجميع المواهب لديه .

ليس لِضُرنا سِواكَ كاشف ، ولا على ضُعْفِنَا سِواكَ عَاطِف .

المُعَافَى مَن عَافَيْتَه ، فَعَافنا يامَوْلانا مِن مُوجبَاتِ سَخَطِك وعِقَابك ، والمَهْدِيُ مَن هَديْتَه ، فاهدنا ياربنا سُبُل الواصِلينَ إلى مَرْضَاتِك .

بذِكر الله تحَيَا القُلُوب من مَوْتِ غَفْلَتَهَا فالله الله بالمداومة على ذكــر الله سِراً وجهـــاراً ليلاً ونهاراً قيامــاً وقُعُــوداً مَاشِـينَ ومُضْطَجِعِين .

ذاكر الله لا يستطيع الشيطان في ظِلِّهِ مَقيلا ، ذاكر الله لا يجد الشيطان إلى إغوائه سبيلا ، ذاكر الله لا يزال شيطانُهُ مَدْحُوراً

ذليلا ، ذاكر الله قد تكفل الله بحفظه وكيفَ يضيعُ مَن كان الله به كفيلا ، بذكر الله تطمئن القلوب وتَحْيَا ، قال الله تعالى ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ وقال تعالى ﴿ **فاذكروني أذكركم** ﴾ .

ذِكْرُ إله الزَمْ هُدِيْتَ لِذِكْـــرِهِ فيه القلوبُ تَطِيْبُ والأفـــوَاهُ

آخر : والذِكرُ فيه حَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ كَما تَحيا البِلادُ إذا ما جَاءَهَا المَطَـــرُ

اللُّهُمَّ انَّ نَوَاصِيْنَا بِيَدَيْكَ وَأُمُوْرُنَا تَرْجِعُ الَيْكَ وَأَحْوَالُنَا لاَ تَخْفَي عَلَيْكَ ، وأَنْتَ مَلْجَؤُنَا وَملاذُنَا ، وَالَيْكَ نَرْفَعُ بَثَّنَا وَحُزْنَنَا وَشِكَايَتَنَا ، يَا مَنْ يَعْلَمُ سِرُنَا وَعَلاَنِيَتَنَا نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنَا مِمَّنْ تَوكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ واسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ وَهَبْ لَنَا مِنْ فَضْلِكَ العَظِيْمِ وَجُدْ عَلَيْنَا بِاحْسَانِكَ العَمِيْمِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالميِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلى اللهُ عَلَى مُحَمد وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

[فـــوائد ومواعـــــظ]

إعلم يا أخي أن الناس عند الموت ثلاثة أقسام : الأول : ذو بصيرة علم أن الانسان وإن طال عمره في الدنيا فهو كخطفة برق لَمَعَتْ في السماء ثم عادت للاختفاء .

فلا يثقل على العاقل اللبيب الخُروج من الدنيا إلا بقدر ما يفـوتـه مِن خِدمـةِ ربه عز وجل ، والازدياد مِن ما يقربه إليه ، والاشفاق مما يقول أو يقال له .

كما قال بعضهم لَمَّا قيل له لِمَ تجزع قال : لأني أسْلُكُ طريقاً لم أعْهَدْهُ ، وأقدم على ربي جل وعلا ولا أدري ما أقول وما يقال لي .

ومثْـلُ هذا الشخص لا يَنْفُـر من الموت بل إذا عَجزَ عن العبادة رُبَّما أشتَاقَ إليه .

وقال بعضُهم في مناجاتِهِ : إلهي إنْ سَألْتُكَ الحياة في دار المات فقد رغبتُ في البعد عنك ، وزهدتُ في القرب منك .

فقد قال نَبيُكَ وصَفيُك ﷺ « مَن أَحَبَّ لِقَاءَ الله أَحَبَّ الله لِقَاءَهُ ومَن كَرِهَ لِقَاءَ الله كَرِهَ الله لقاءه » .

الثاني : رجلٌ رديءَ البصيرة مُتَلَطِّخُ السريرة مُنْهَمِكٌ في الدنيا مُنْكرٌ للبعث ، قد رضي بالحيـــــاة الدنيا واطمأن بهَا ويَئِسَ مِن الآخـــــرة .

فهـذا مَصِـيْرُهُ كما ذكـر الله ﴿ **إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون** ﴾ .

القسم الثاني : مَن خلطوا عملا صالحاً وآخر سَيئاً واعترفوا بذنوبهم وهؤلآء أيضاً مصيرهم كما ذكر الله ، قال الله جل وعلا وتقـدس ﴿ **وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم** ﴾ .

ثم اعلم أن طول العمر محبوب ومطلوب إذا كان في طاعة الله ، لقوله عليه الصلاة والسلام « خيركم من طال عمره وحسن عمله » وكلما كان العمر أطول في طاعة الله ، كانت الحسنات أكثر والدرجات أرفع .

وأما طوله في غير طاعة ، أو في المعاصي ، فهو شر وبلاء ، تكثر السيئات ، وتضاعف الخطيئات .

ومن زعم أنه يحبُ طول البقاء في الدنيا لِيَسْتَكْثِرِ مِن الأعمال الصـالحـةِ المقربة إلى الله تعالى فإن كان مع ذلك حريصاً عليها

ومُشمِّراً فيها ومجانباً لما يشغل عنها من أمور الدنيا فهو بالصادقين أشبه .

وإن كان متكاسلاً عنها ومُسَوِّفاً فيها أي الأعمال الصالحة فهو مِن الكاذبين المُتَعَلِّلين بما لا يُغْني عنه .

لأن مَن أحب أن يَبْقَى لأجلَ شيء وَجَدْته في غاية الحرص عليه مَخَافَةَ أن يَفُوتَهُ ويُحَال بَيْنَهُ وبَيْنَه .

ولا سِيَّما والعمل الصالح مَحَلُّه الدنيا ولا يمكن في غيرها لأن الآخرة دارُ جَزَاء وليست بدارِ عمل .

فتفكر يا أخي في ذَلكَ عَسَى الله أن يَنْفَعَنَا وإيَّاك واستعن بالله واصْبِر واجتهد وشَمِّرْ وبَادر بالأعمال الصالحة قبل أن يُحَالَ بَيْنَكَ وبَيْنَهَا فلا تجد إليها سبيلا .

وكن حذر من مفاجأة الأجل فإنك غرضٍ للآفات وهَدَفٌ مَنْصُوبٌ لِسهام المنايا وإنما رَأسُ مالك الذي يمكنُكَ إن وَفَّقَكَ الله أن تشتري به سَعَادةَ الأبد هذا العُمْر .

قال الله جل وعلا ﴿ أو لم نعمركم ما يَتَذَكَّرُ فيه من تذكر ﴾ الآية فإيَّاكَ أن تنفق أوقاتَه وأيامَهُ وسَاعَاتِه وأنفاسَه فيما لا خير فيه ولا منفعة فيطول تَحَسُّرِكَ ونَدَمُك وحُزْنُكَ بعد الموت .

إذا كان رأسُ المالِ عُمْرِكَ فاحْتَرِزْ
عليه من الإنفاقِ في غَيْرِ وَاجب

قال محمد بن القاسم خادم محمد بن أسلمَ قالَ محمد بن أسلم : مالي ولهذا الخلق كُنتُ في صلب أبي وحْدِي .

ثم صرت في بطن أمي وحْدِي .

ثم دَخَلْتُ الدنيا وحْدِي .

ثم تُقْبضُ رُوحي وحدي .

ثم أدخل في قبري وحدي .

ثم يأتيني منكرٌ ونكير فيسألاني وحدي ، فإن صرت إلى خير صرت وحدي .

ثم يوضع عملي وذنوبي في الميزان وحدي .

وإن بُعِثْتُ إلى الجنة بُعِثْتُ وحدي .

وإن بُعِثْتُ إلى النار بعثتُ وحدي ، فما لي وللناس .

ثم تفكَّرَ سَاعَةً فوقَعَتْ عليه الرِّعْدَةُ حتى خشِيْتُ أن يَسْقُط

قال وسمعته يحلف كذا وكذا مرة يقول : لو قَدِرْتُ أن أَتَطَوَّعَ حَيْثُ لا يَرَاني مَلَكَايْ لفَعَلْتُ .

ولكني لا أستَطيع ذلك خوفاً مِن الرياء .

وكان يدخل بَيْته ويُغْلِقُ بابه ويدخل معه كُوزاً مِن ماء فلم أدري ما يصنع .

حتى سَمِعْتُ إبناً له صَغِيراً يحكى بُكَاءَهُ فنهَتْهُ أمُهُ فقُلْتُ لها : ما هذا البكاء ؟

فقالت : إنَّ أبا الحسن يدخل هذا البيتَ فيقرأ القرآن ويبْكي فيَسْمَعُه الصَّبي فيَحْكِيه (أي يقلده) .

وكان إذا أرادَ أن يَخْرُجَ غَسَل وجهه واكتحل لئلا يُرى عليه أثَرُ البُكاء .

بلَغ يا أخي الذين يذكرون أعمالهم للناس من حج وصدقة وصيام رِيَاءً وسُمْعَةً .

وَكان يَصِل قوماً ويُعْطِيهم ويكسُوهُم فيَبعَثُ إليهم ويقول لِلرسُولِ : أنظر أن لا يَعْلمُوا مَن بَعَثه إليهم ويأتيهم هو بالليل

فيذهب به إليهم ويخفي نفسه .

ولا يعلمون مَن الذي أعطاهم ولا أعلم أنه وَصَل أحَداً بأقلّ مِن مائة درهم إلا أنْ لا يمكنه ذلك .

ودَخَلْتُ عليه قبل موته بأربعة أيام فقال : يا أبا عبدالله أبشر بما صَنَعَ الله بأخيك مِن الخير قَدْ نَزَلَ بي الموتُ وقد مَنَّ الله عليّ أنه ليس عندي دِرهم يُحَاسِبُني الله عليه .

وقد عَلِم ضَعْفِي فإني لا أُطِيقُ الحِسابَ ، فلم يَدَعْ عِندِي شيئا يُحَاسِبني الله عليه ثم أغْلِق البابَ ولا تأذن لأحدٍ علي حتّى أموت .

واعلم أني أخرجُ مِن الدنيا وليس أَدَعُ مِيْراثاً غيرَ كِسَائِي ، وإنائي الذي أتَوَضَأ فيه وكُتبي .

وكانت معه صُرّةٌ فيها نَحو ثلاثينَ دِرهما ، فقال : هذا لابْني أهْداهُ إليه قريبٌ لهُ ولا أعلم شيئا أحَلَّ لي منه لأن النبي ﷺ قال «أنْتَ ومالُك لأبيك» .

فكَفِّنُوني منها وابْسُطُوا على جَنَازَتي لِبَدِي وغطوا عليَّ بكسائِي وتَصَدَّقُوا بإنائِي أعطُوهُ مِسْكِيناً يَتوضأ منه ثم مات باليوم الرابع رحمه الله .

٤ موعظة

كان السلفُ رحمهم الله ومَن سَار على نهجهم مِنَ الخلف احرص الناس على حِفْظِ الوَقْتِ ، وتَعْبَيَتِه بالأعمال الصالحة سواء في ذلك العالِم ، وطالب العلم ، والعابد .

وكانوا يقتدى بعضهم ببعض ويوصي أحدهم الآخر على

صِيَانتِـهِ وملئـه بالخـير وكـانـوا يسـابقـون الساعات ، ويَبادرون اللحظات ، حِرصا منهم على الوقت ، وأن لا يَذْهَبَ هَدَرًا .

لَعِلْمِهم أنه يَمُر مَرَّ السحابِ ويَجْري جَرْيَ الريح .

قيل إن نوُحًا عليه وعَلى نبينا محمدَ أفضل الصَلاة والسلام جاء ملك الموت ليقْبض رُوحهْ بعد ألف سنة أو أقل أو أكثر الله أعلم .

فسـألـه ملكُ المـوت قال له يا أطْـول الأنبياءِ عُمْرًا كيفَ وَجَدْتَ الدنيا فقال كَدارٍ لَهَا بَابَان دَخَلْتُ مَعَ أَحَدِهما وخرجْتُ مِن الآخرَ .

قال الله جل وعلا وتقدس « كأَنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار » .

وقال تبارك وتعالى « كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحَاها » .

وقال تبارك وتعالى وتَقَدَّسَ « ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم » .

ومن خصائص الوقت أن كل ساعة أو يوم أو لحظة تمر ليس يمكن اسْترجاعها .

وقـال الحسن البصري ما مِن يوم يَنْشق فجره إلا وينادي يا أبنِ آدم أنا خَلْقٌ جَدِيد وعلى عَملك شَهِيْد فتَزَوَّدْ مِني فإني إذا مَضَيْتُ لا أعود .

وما المرءُ إلَّا رَاكِبٌ ظَهْرَ عُمْره ... على سَفَرٍ يُفْنِيْه باليوم والشهرِ
يَبِيْتُ ويُضْحِى كل يـومٍ ولَيْـلَـةٍ ... بَعِيْدًا عن الدنيا قَرِيْبًا إلى القَبْرِ

فالذي ينبغي للانسان أن يحافظ على وقته أعظم من مُحَافَظَتِهَ على ماله ، وأن يحرصَ على الاستفادة منه في كل لحظة فيما ينفعه في دِيْنِهِ وفي دُنْيَاه ، مِمَّا هو وسِيْلَةٌ إلى الدار الآخرة .

قال عمـر بن عبـد العـزيز إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما .

وقال حكيم مَن أمْضَى يَومًا من عُمُرَهِ في غير حق قضاه ، أو فرض أداه ، أو مجد أثَلَهُ ، أو حمد حصله ، أو خير أسَّسَهُ ، أو عِلم اقْتَبسَهُ ، فقد عَقَّ يَومَهُ وظَلَمَ نَفْسَه .

والذي يُعِيْنُ على اغتنام الزمان ، العزلة مهما أمكن ، إلا لضَرُورَة ، أو حَاجَةً لمنْ يَلْقَاهُ ، أوْ يَزُوْرُهُ ، وقِلَّةُ الأكل .

لِأَنَّ كَثْرَتَه تُكَسِّلُ البَدَنَ ، وسَبَبٌ للِنَّوم الطَّوِيْلِ ، وضيَاع الليل ، وفوات التجهد ، أو تقليله . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصـــــــــل]

ولقد كانَتْ همَمُ السلفِ عالية يدل عليها كثرة مُصَنَّفَاتِهِمْ التي هي خلاصة أعْمَارِهِمْ .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى باستباق الخيرات والمسارعة إليها قبل أن تشغل عنها الشواغل أو تعوق العوائق .

قال الله جل وعلا « فاستبقوا الخيرات » .

وقال عزَّ من قائـل « وسـارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » .

وقال جل وعلا « سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضُها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله » .

ومدح الصالحين من أهل الكتاب بأنهم « يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويُسَارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين » .

وقد حث النبي ﷺ على المبادرة بالعمل قبل حلول العوائق والفتن .

فقال « هَلْ تَنْتَظِرُوْنَ إلا غنًى مُطْغِيَا أو فقرً مُنْسِيَا أو مرضا مفسدا أو هَرَمًا مفندا أو موتا مجْهزًا أو الدَّجَالَ فشر غَائِبٍ ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر » رواه الترمذي .

وقال بن القيم رحمه الله وعمارة الوقت الاشْتِغَالُ في جميع آنَائِهِ بما يُقَـرِّبُ إلى الله تعالى أو يُعِيْنُ على ذلك من مأكل ومَشرَبٍ أو منكح أو منام أو راحة .

فإن متى أخذها بنية القوة على ما يحبه الله وتَجَنُّبِ ما يسخطه كانَتْ مِن عمارة الوقت .

وإن كان له فيهـا أتَمَّ لَذَّةٍ فلا تحسب عمارة الـوقت بهجر اللذات والطيبات المباحة .

قال بعض العلماء أُغْلِق بابُ التَّوفيق عن الخلق مِن سِتةِ أشياء .

انشغالهُم بالنعْمَة عن شكرها .

ورغبتُهم في العلم وتركهم العَمل .

وإقبال الآخرة وهم معرضون عنها .

والاغْتِرَارُ بصحبة الصالحين وترك الاقتداء بفعالهم .
وإدبارَ الدنيا عنهم وَهُمْ يَتْبَعُونَهَا .
والمسارعة إلى المعاصي والذنوب وتأخير التوبة .

وكَمْ ذِيْ مَعَاصٍ نَالَ مِنْهُنَّ لَذَّةً ... ومَاتَ وخَلَّاهَا وذَاقَ الدَّوَاهِيَا
تَصَرَّمُ لَذَّاتُ المَعَاصِي وتَنْقَضِي ... وتَبْقَي تباعَاتُ الْمَعَاصِي كَمَا هِيَا
فَيَاسَوْءَتَا واللَّهُ رَاءٍ وَسَامِعٌ ... لِعَبْدٍ بعَيْنِ اللَّهِ يَغْشَى المَعَاصِيَا

آخر :

تَوارَى بِجُدْرَانِ البُيوتِ عَن الورى ... وأنْتَ بعَيْنِ الله لاشك تُنْظَرُ

وقال آخر : إن لِلهِ عبادا جعلوا ما كتب عليهم من الموت مثالاً بَيْنَ أعينهم وقطعُوا الأسباب المتصلة بقلوبهم من علائق الدنيا فهم أَنْضَاءُ عِبَادَته حُلَفَاءُ طَاعَته .

قد أنْضَجُوْا خُدُوْدَهُم بوَابل دُمُوعِهم وافْتَرشُوا جِبَاهَهُمْ في مَحَارِيْبِهم يُنَاجُونَ ذَا الكِبْرِيَاءِ والعَظَمَةِ في فكَاكِ رقَابهم .

ومَرَّ إبْرَاهيمُ بنُ أدهَمَ برجل يَتَحِدَّثُ فيما لا يَعْنِيْه فوقَفَ عليه فقال كلامُكَ هذا ترجُو به الثواب .

قال لا فقال أفتأمَنُ عليه العقاب قال لا .

قال فما تَصْنَعُ بكلام لا تَرجُو عليه ثوابًا وتخاف منه عِقَابا .

قال بعَضُهم لو بقْت لَحْظَةً من إقْبَالِكَ على الله بمقدار عمر نوح في ملك قارون لَكُنْتَ مَغْبُوْنًا في العَقْد .

قال سفيان الثوري دَخلتُ على جعفر الصادق فَقُلْتُ له ما لي أراكَ سَكَنْتَ دَارَكَ ولا تُخَالِطُ الناسَ .

فقال نَعَمْ يا ابْنَ سَعيد في العُزلَة دَعَة وفي الدعةِ القناعة

وما قُدّرَ لكَ يأتيك .

يا سُفيان فَسَدَ أهلُ الزمان وتغيّرَ الأصْدِقاء فرأيتُ الانفراد أسكن للفؤاد . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فَصْــــلٌ)

إعلَمْ أنَّ قِصرَ الأمَلِ دَيْدَنُ العُلَماءِ العَامِلُونَ المتَّقُونَ الوَرِعُوْنَ المبْعِدُوْنَ عَنْ التَّكَـالُبِ عَلَى الـدُّنْيَا الـزَّاهِدُوْنَ في حُطَامِهَا الفَانِيْ وكَذَلِكَ أرْبَابُ القُلُوب الوَاعِيَةِ وانْ لَمْ يكُونوا عُلَمَاءَ يُقَصِّرُوْنَ أَملَهُم ويَحْتَقِرُوْنَ الدّنْيَا ويَعْلَمُوْنَ أنَّهَا زائِلةٌ عكسُ مَا عَليهِ أكْثَرُ أَهْلِ الزَّمانِ عَبِيْدُ الدُّنْيَا لِلْبُطُونِ والفُرُوْجِ .

قَالَ ﷺ مَا الدُّنْيَا في الآخِرَةِ إلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُم أَصْبُعَه في اليمّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعْ رَوَاهُ مُسْلِم .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنهما قالَ أخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبي فَقَالَ كُنْ فِي الدُّنْيَا كأَنَّكَ غَرِيْبٌ أو عَابِرُ سَبِيْلٍ وكَانَ ابنُ عُمَرَ رضِيَ اللَّهُ عنهما يَقُولُ إذَا أمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَـظِرْ الصَّبَـاحَ وَإذَا أصْبَحْتَ فلا تَنْتَـظِرْ المَسَـاءَ وَخُذْ مِن صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ رَوَاهُ البُخَارِيّ .

قَالُوا في شَرْحِ هَذَا الحَدِيْثِ مَعْنَاهُ لاَ تَرْكَنْ إلى الدُّنْيَا ولاَ تَتّخِذْهَا وَطَناً وَلاَتُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِطُوْلِ البَقَاءِ فيها ولا تَشْتَغِلْ فِيْهَا إلاَّ بِمَا يَشْتَغِلُ به الغَرِيْبُ فَقَطْ الَذِيْ يُرِيْدُ الذَّهَابَ إلَى أَهْلِهِ وَأَحْوَالُ الإِنْسَانِ ثَلاَثٌ حَالٌ لَمْ يَكُنْ فِيْهَا شَيْئاً وهِيْ قَبْلَ أنْ يُوْجَدْ .

وحَالُ أُخْرَى وَهِيَ مِنْ سَاعَةِ مَوْتِهِ إلى مَا لا نهَايَةَ لَهُ في البَقَاءِ السَّرْمَدِيّ فَأَنَّ لِنَفْسِكَ وُجُودٌ بَعْدَ خُرُوْجِ الرُّوْحِ مِن البَدَنِ إمَّا في الجَنَّةِ وَإمَّا في النَّارِ وهُوَ الخُلُودُ الدّائِمُ وبين هاتَيْنِ الحَالتَين حَالةٌ مُتَوَسِّطَة وَهِيَ أيّامُ حياتهِ في الدُّنْيَا فَانْظُرْ إلى مِقْدارِ ذلِكَ بالنِّسْبَةِ إلى الحَالَتَيْنِ يَتَبَيَّنَ لَكَ أَنَّهُ أقلُّ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ في مِقْدَارِ عُمْرِ الدُّنْيَا .

وَمَنْ رَأَى الدُّنْيا بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَبِهَذا التَّفْكِيْرِ السَّلِيْمِ لَمْ يَلْتَفِتْ إليها وَلَمْ يُبَالِيْ كَيْفَ انْقَضَتْ أيَّامُهُ بها في ضَرَرٍ وضِيْقٍ أو سَعَةٍ وَرَخَاءٍ ورَفَاهِيَةٍ ولِهَذا لَمْ يَضَعِ النبي ﷺ لَبِنَةً على لَبِنَةٍ ولا قَصَبَةٍ عَلَى قَصَبَةٍ .

وَقَالَ عِيْسَى عَلَيْهِ السَّلامُ الدُّنْيا قَنْطَرَةٌ فَاعْبُرُوهَا ولا تَعْمُرُوهَا هَذَا مَثَلٌ واضِحٌ فَإنَّ الدنيا مَعْبَرٌ إلى الآخِرَةِ وَالمَهْد هُوَ الرُّكْنُ الأوَّلُ على أوَّل القَنْطَرَةِ وَاللَّحْدُ هُوَ الرُّكْنُ الثَّانِيْ عَلَى آخِرِ القَنْطَرَةِ .

شعـرا :

يا غَافِلَ القَلبِ عن ذكرِ المَنِيَّاتِ ... عَمَّا قَلِيْل سَتُلقى بَيْنَ أمْوَاتِ
فاذْكُرْ محلّكَ مِن قبْلِ الحُلُولِ به ... وتُبْ إلى اللَّهِ مِن لَهْوٍ ولذَّاتِ
إنَّ الحِمَامَ لَهُ وقْتٌ إلى أجلٍ ... فاذْكُرْ مَصَائبَ أيَّامٍ وساعاتِ
لا تَطْمَئِنَّ إلى الدنيا وزِينَتِهَا ... قد آن لِلْمَوْتِ ياذَ اللَّبِّ أنْ يأتي

وصلى الله على محمد وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجْمعين .

(فَصْـــلٌ)

وَمِنْ النَّـاسِ مَنْ قَطَعَ نِصْفَ القَنْـطَرَةِ وَمِنْهُم مَنْ قَطَعَ ثُلُثَهَـا وَمِن النَّاسِ مَن قَطَعَ الثُلُثَيْنْ ومنهم مَن قَطعَ ثَلاثَة أرْبَاع المَسَافَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَبْقَ

له إلاَّ ثُمُنُ المَسَافةِ ومنهم مَنْ لَمْ يَبْقَ لَهُ إلاَّ خُطْوَةَ وَاحِدة وَهُوَ غَافِلٌ عَنْهَا وَكَيْفَ مَا كَانَ فَلاَ بُدَّ مِن العُبُوْرِ فَمَنْ وَقَفَ يَبْنِي على القَنْطَرَةِ وَيُزَيِّنُها وَهُوَ يُسْتَحَثُّ عَلَى العُبُورِ عَلَيْهَا فَهُوَ في غايَةِ الجَهْلِ والحُمْقِ والسَّفَهِ .

وَرُوِيَ عَنْ الحَسَن قَالَ بَلَغَنِيْ عَنْ رَسُـول اللَّهِ ﷺ أنهُ قَالَ إِنَّمَا مَثَلِيْ وَمَثَلُكُم وَمَثَلُ الدّنيا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَلَكُوا مَفَازَةً غَبْرَاءَ حَتَّى إذَا لَمْ يَدْرُوا مَا سَلَكُوا مِنْهَا أَكْثَرُ أَوْ مَا بَقِيَ أَنْفَذُوا الزَّادَ وَخَسِرُوا الظَّهْرَ وبَقُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ المَفَازَةِ لاَ زادَ وَلا حَمُولَةَ فَأَيْقَنُوا بالهَلَكَة .

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ في حُلَّةٍ يَقْطُرُ رَأْسُهُ فَقَالُوا انَّ هَذَا قَرِيْبُ عَهْدٍ بريْفٍ وَمَا جَاءَ هَذَا إلاَّ مِنْ قَرِيْبٍ فَلَمَّا انْتَهَى إلَيْهِمْ قَالَ يَا هَؤُلاَءِ عَلاَمَ أنْتُم قَالُوا عَلَى مَا تَرَى قَالَ أرَأَيْتَكُم إنْ هَدَيْتُكُم إلى مَاءٍ رُوَاءٍ وَرِيَاضٍ خُضْرٍ مَا تَعمَلُوا قَالُوا لا نَعْصِيْكَ شَيْئاً .

قَالَ عُهُـوْدَكُم وَمَـوَاثِقَكُمْ باللَّهِ فَأَعْـطُوْهُ عُهُوْدَهُمْ وَمَوَاثِيْقَهُمْ باللَّهِ لا يَعْصُوْنَهُ شَيْئاً قَالَ فَأَوْرَدَهُم مَاءً وَرِيَاضاً خَضْرَاء فمَكَثَ فيهم مَا شَاءَ اللَّهُ ثم قَالَ يَا هَؤُلاَءِ الرَّحِيْلِ قَالوا إلى أَيْنَ قال إلى مَاءٍ لَيْسَ كَمَائِكُم وإلى رِيَاضٍ لَيْسَتْ كَرِيَاضِكُمْ فَقَالَ أَكْثَرُ القَوْمِ واللَّهِ مَا وَجَدْنَا هَذا حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَجِدَهُ وَمَا نَصْنَعُ بعَيْشٍ خَيْرٍ مِنْ هَذا .

وقالت طائفةٌ ألم تُعطُوا هذا الرجلَ عُهودَكُم ومَواثِيقَكُم باللَّه لا تَعْصُوْهُ وَقَدْ صَدَقَكُم في أوَّل حَدِيثِهِ فَوَاللَّهِ لَيَصْدُقَنَّكُم في آخِرِهِ قَالَ فَراحَ فِيْمَنْ اتَّبَعَهُ وَتَخَلَّفَ بقِيَّتُهُم فَنَزَلَ بِهِمْ عَدُوٌّ فَأَصْبَحُوا مِنْ بَيْنِ أسِيرٍ وقَتِيْلٍ .

وَعَنْ ابن عُمَـرَ أنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قَال مَا حَقُّ امْرِءٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوْصِيْ فِيْهِ يَبِيْتُ لَيْلَتَين إلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ متفق عليه .

وَعَنْ أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ خَطَّ النَّبي ﷺ خطّاً مُرَبَّعاً وخَطَّ خطّاً في الوسَطِ خارجاً مِنْهُ وَخَطَّ خُطَطَاً صِغَاراً إلى هَذَا الذي في الوَسَطِ مِن جَانِبِهِ فَقَالَ هَذَا الإِنْسَانُ وَهَذَا أجلُهُ مُحِيْطٌ به - أو قَدْ أحَاطَ به . وَهَذَا الذي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ وَهَذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارِ الأَعْرَاض فَأنْ أَخْطَأهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا وَانْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا رَوَاهُ البُخَارِيّ .

والمَرْءُ يُبْلِيْه في الدنيا ويُخْلِقُهُ حِرْصٌ طَوِيْلٌ وعُمْرٌ فيه تَقْصِيْرُ
يُطَوِّقُ النَّحْرَ بالآمالِ كاذِبةً ولَهْذَمُ الموتِ دُوْنَ الطَّوْق مَطْرُوْرُ
جَذْلَانَ يَبْسِمُ في أَشْرَاكِ مِيْتَتِهِ إنْ أَفْلَتَ النَّابُ أرْدَتْهُ الأظَافِيْرُ

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ رَوَاهُ الترمذي وقالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيْحٌ .

وَقَالَ ﷺ مَالِيْ وَلِلدُّنْيَا أَنَّمَا مَثَلِيْ وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رَاكِبٍ قَالَ في ظِلِّ شَجَرَةٍ في يوم صَائِفٍ ثمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا وفي صَحِيْح مُسْلِم من حَدِيْث المُسْتَوْرِدِ بن شَدَّادٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا الدُّنْيَا في الآخِرَةِ إلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أحدكُم أَصْبُعَهُ في ألْيمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعْ وَأشَارَ بالسَّبَّابَةِ .

وَلَيْسَ العَجَبُ مِنْ انْهِمَاكِ الكَفَرَةِ في حُبِّ الدُّنْيَا وَالمَالِ فَأنَّ الدنيا جَنَّتُهُم وإنَّمَا العَجَبُ أن يَكُونَ المُسْلِمُوْنَ يَصِلُ حُبُّ المَالِ وَالدّنْيَا في قُلُوبِهِمْ إلى حَدٍّ أنْ تَذْهَلَ عُقُوْلُهُم وَأنْ تَكُونَ الدُّنْيَا هِيَ شُغْلُهُم الشَّاغِلُ لَيْلاً وَنَهَاراً وَهُمْ يَعْرِفُوْنَ قَدْرَ الدُّنْيَا من كتَاب رَبِّهِمْ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ أَلَيْسَ كِتَابُ الله هُوَ الذي فِيْهِ « مَنْ كانَ يُرِيْدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ له في حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيْدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَالَهُ في الآخرَةِ مِنْ نَصِيْب » .

وَيَقُـوْلُ ﴿ مَنْ كَانَ يريْدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيْهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيْدُ ثم جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُوماً مَدْحُوْرَاً وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فأولَئك كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً ﴾ .

وَتَقَدَّمَتْ الأحَادِيْثُ عَنْ النَّبي ﷺ المُبَيِّنَة لِحَقَارَةِ الدنيا وَلَيْسَ المَعْنَى أَنْ نَتْرُكَ الدنيا وَنَبْقَى جِيَاعاً عَارِيْنَ مُحْتَاجِيْنَ بَلْ مَعْنَاهُ أن لا نَجْعَلَهَا مَقْصَدَاً كَمَا جَعَلَهَا الكُفَّارُ بَلْ نَجْعَل الدُّنْيَا وَمَا فيهَا وَسِيْلَةً إلى تِلْكَ الحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ فَنَكُونُ مِن الفَرِيْقِ الذِي يُحِبُّ المَالَ لأَجْلِ الآخِرَةِ .

وَقَدْ كَانَ عَلى هَذَا المَبْدَءِ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِيْنَ وَكَذَلِكَ التَّابعُوْنَ لَهُمْ اتَّخَذُوا الدُّنْيَا مَطِيَّةً لِلآخِرَةِ فَسَادُوا بِهَا أَهْلَ الدُّنْيَا وَلَمَّا تَخَلَّفْنَا عَنْهُم في هَذَا المَبْدَءِ وَجَعَلْنَا المَالَ هُوَ المَقْصَدُ سَكَنَّا إلى الدُّنْيَا وَأَحْبَبْنَا الحَيَاةَ وَلَذَائِذَهَا وَالدَّاهِيَةُ العَظِيْمَةُ هِيَ أَنَّا ضُرِبْنَا بِالذّلِّ .

وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبي ﷺ « انَّ أَكْثَرَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لكُم مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ » رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلِم وَقَالَ ﷺ فوَاللَّهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخْشَى أَن تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُم فَتَنَافَسُوْهَا كَمَا تَنَافَسُوْهَا فَتُهْلِكَكُم كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

اللهم إنا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا فاغفر لنا ذُنُوبَنَا وهَبْ لَنَا تَقْوَاكْ واهدِنَا بِهُدَاكْ ، ولا تَكِلْنَا إلى أَحَدٍ سِوَاكْ ، واجْعَلْ لَنَا مِن كُلِّ هَمٍ فَرَجَا ، ومِن كُلِّ ضِيْقٍ مَخْرَجَا .

اللهم أَعِذْنَا بِمُعَافَاتِكَ مِن عُقُوبَتِكْ ، وبِرِضَاكَ مِن سَخَطِكْ ، واحْفَظْ جَوَارِحَنَا مِن مُخَالَفَةِ أَمْرِكْ ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فَصْــلٌ)

فائدة نفيسة قال أحد العلماء رحمه الله تعالى إعلم أنّ الدّنيا رأسُ كُل خَطِيئَةٍ كما قال ﷺ وقد صارت عدوّةً لله وعدوّةً لِأَوليائِهِ وعـدوّةً لأَعْدَائِهِ ، أما عَدَاوتُها لله تعالى فلأَنّها قَطَعَتِ الطريقَ بينهَ وبينَ أوليائِه .

ولهذا فإنّه لم يَنْظُر إليها مُنْذُ خَلَقَهَا ، وأمّا عداوتُها لأوليائِهِ فلأنّها تَزَيَّنَتْ لهم بزينَتِها وغَمَرتْهُم بزَهْرتها وتَزَهَّتْ لهم بنَضَــارَتِهَا حتى تَجَرَّعُو مَرَارَاتِ الصَّبرِ في مُقَاطَعَتِهَا وتَحَمَّلُوا المَشَاقَ في البُعْدِ منها .

وأَمَّـا عَداواتُهـا لِأَعْـدَائِـهِ فلأنها اسْتَـدْرَجَتْهُم بمكْـرِهَـا ومَكَـايِدِهَـا واقْتَنَصَتْهم بحَبَائِلِهَا واقْصَدَتْهُم بِسِهامِهَا حتى وَثِقُوا بها وعَوَّلُوا عليها .

فَخَذَلَتْهُم أَحْوَجَ ما كانوا إليها وغَدَرَتْ بهم أَسْكَنَ ما كانُوا إليها فاجْتَنَوْا منهـا حَسْرةً تَنْقَـطِعُ دُونَهَا الأَكْبَادُ . وحَرَمَتْهُم السّعادَةَ الأُخْرَوِيَّةَ على طُوْلِ الآمَاد فانْتَبه يا مَن اغتر بها قبل أن يُصِيْبَكَ مثل مَا أصاب المغترين بها .

وقـال بعض العـارفين إذا كان أبونا آدم بعد ما قيل له اُسْكُنْ أنتَ وزوجـك الجنة صَدَرَ منه ذَنْبٌ وَاحِدٌ فأمِرَ بالخُروج مِن الجنةِ فكَيْفَ نَرْجُوْا دُخُولَهَا مَعَ ما نحنُ مُقِيْمُونَ عليه من الذُّنُوبِ المُتَابعَةِ والخَطَايَا المُتواتِرَةِ .

كان أبو الفتح المنهى قد برع في الفقه وتقدم عند العوام وحَصَل له مال كثير ودَخَلَ بَغدَاد وفوِّضَ إليه التَّدريس بالنظامية وأدْرَكَهُ الموتُ بهَمَدان .

فلما دَنَتْ وَفَاتُهُ قال لأصْحَابِهِ أُخْرُجُوْا فَلَمَّا خَرَجُوا عنه جَعَلَ يَلْطُمُ وَجْهَهُ ويَقُولُ « يا حَسْرَتَا على مَا فَرَّطْتُ في جنب الله » ويقول لِنَفْسِهِ مُوَبِّخا لَهَا يَا أبا الفَتْحِ ضَيَّعْتَ العُمُرَ في طَلَب الدنيا وتحصِيل المال والجاه والتَّرَدُّدِ إلى السَّلاطِين ويُنْشِدُ هذَيْن البَيْتَين :

عَجِبْتُ لأَهلِ العِلم كَيْفَ تَغافَلُوا   يَجُرُّوْنَ ثوبَ الحِرْص حَول المَمالِكِ
يَـدُوْرُوْنَ حَـوْلَ الظـالِـمِيْنَ كأَنَّهُـم   يَطُوْفُوْنَ حَوْلَ البَيْتِ وقْتَ المناسِكِ

أرْسَلَ عثمانُ بنُ عَفان رضي الله عنه مَعَ عَبدٍ له كِيْسًا مِن الدراهم إلى أبي ذر رضي الله عنه وقال لِعَبْدِهِ إنْ قَبِلَ هَذا أبُو ذَرٍ فأَنْتَ حُرٌّ أي عَتِيق فأتى بالكيس إلى أبي ذَرٍ وَأَلَحَّ عليه في قَبُولِهِ فلم يَقْبَلْ فقال الغُلامُ لأبي ذر إنه عَلَّقَ عِتْقِي على قَبُولِكَ هذا الكِيْسَ فقالوا أبُو ذَرٍ لكِنَّ في قَبُولِهِ رِقِّي .

هذه القصيدة الشيبانية عدَّلنا فيها بعض أبيات وكان بعضها في شيء لا يصلح .

سَأَحْمَـدُ رَبِّـي طَـاعَـةً وَتَعَبُّـدَا   وَانْظِـمُ عِقْـداً في الْعقِيـدةِ أَوْحَـدَا
وَأَشْهَـدُ أَنَّ الله لا رَبَّ غَـيْرُهُ   تَعَـزَّزَ قِـدْمـاً بالْبَقَـاء وَتَفَـرَّدَا
هُـوَ الأَوَّلُ المُبْـدِى بغَيْرِ بِـدَايَـةٍ   ولا بعـده شَـيْءٌ عـلا وتـوحَـدَا
سمِيعٌ بَصِـيرٌ عـالِـمٌ مُتَكَلِّـمٌ   قَـدِيـر يُعِيـدُ الْعـالَمِين كَمـا بَـدَا
مُـرِيـدٌ أَرَادَ الْكَـائِنَـات لِـوَقْتِـهَا   قَـدير فَـأَنْشَـا مـا أَرَادَ وَأَوْجَـدَا
إِلَه عَلَى عَرْشِ السَّمَـاءِ قَدِ اسْتَوَى   وَبَـايَـنَ مَخْـلُوقـاتِـه وَتَـوَحَّـدَا
إِذِ الْكَوْنُ مَخْلُوقٌ وَربـي خَـالِـقٌ   لَقَـدْ كـانَ قَبْـلَ الْكَـوْنِ رَبـاً وَسَـيِّداً
وَلَيْسَ كَمِثْـلِ الله شَـيْءٌ وَلاَ لَـهُ   شَـبِيهٌ تَعَـالـى رَبُّنَـا وتَـوحَّـدَا
وَمَـنْ قـالَ فـي الـدُّنْيـا يَـرَاهُ بعَيْنِـهِ   فَـذَلِكَ زِنْـدِيـقٌ طَغَـى وَتَمَـرَّدَا
وَخَـالَفَ كُتْبَ الله وَالـرُّسْـلَ كُلَّهُمْ   وَزَاغَ عَنِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَأَبْعَدَا
وَذَلِـكَ مِمَّـنْ قَـالَ فِيـهِ إِلهُنَـا   يُـرَى وَجْهُـهُ يَـوْمَ الْقِيَـامَـةِ أَسْوَدَا
ولَكِـنْ يَـرَاهُ فـي الجِنَـانِ عِبَـادُهُ   كما صَـحَّ في الأَخْبَـارِ نَرْوِيهِ مُسْنَدا
وَنَعْتَقِـدُ الْقُـرْآنَ تَـنْزِيـلَ رَبِّنَـا   بِـهِ جـاءَ جِـبْرِيـلُ النَّبِيَّ (مُحَمَّداً)
وَأَنْـزَلَـهُ وَحْيـاً إِلَيْـهِ وَأَنَّـهُ   هُـدَى الله يَا طُوبَى بِهِ لِمَن اهْتَـدَى
كَـلام كَـريـم مُـنْزَلٌ مـن إلهنـا   بِـأَمْـرٍ وَنَهْـيٍ وَالـدَّلِيـلُ تَـأَكَّـدَا

كَلامُ إلهِ الْعَالَمِينَ حَقِيقَة — فَمَنْ شَكَّ في هَذا فَقَدْ ضَلَّ وَاعْتَدَى
وَمِنْهُ بَدَا قَوْلاً ولا شَكَّ أنهُ — يَعُودُ إلَى الرَّحْمٰن حَقاً كما بَدَا
فَمنْ شَكَّ فِي تَنْزِيلِه فَهْوَ كافِرٌ — وَمَنْ زَادَ فِيهِ قَدْ طَغَى وَتَمَرَّدا
وَمَنْ قالَ مَخْلُوقٌ كَلامُ إلهِنَا — فَقَدْ خالَفَ الإجْمَاعَ جَهْلاً وَألْحَدَا
وَنُؤمِنُ بالْكُتْب الَّتي هِيَ قَبْلَهُ — وَبالرُّسْلِ حَقاً لاَ نُفَرِّقُ كالْعِدَا
وَإيمَانُنَا قَوْلٌ وَفِعْلٌ وَنِيَّةٌ — وَيَزْدَادُ بالتَّقْوَى وَيَنْقُصُ بالرَّدَى
فَلا مَذْهَبَ التَّشْبِيه نَرْضَاهُ مَذْهَباً — وَلاَ مَقْصدَ التَّعْطِلِ نَرْضَاهُ مَقْصداَ
وَلٰكِنَّ بالْقُرْآنِ نَهْدِي وَنَهْتَدِي — وَقَدْ فازَ بالْقُرْآنِ عَبْدٌ قَدِ اهْتَدَى
وَنُومِنُ أَنْ الخَيرَ وَالشَّرَّ كُلَّهُ — مِنَ الله تَقْديراً عَلَى الْعَبْدِ عُدِّدَا
فَمَا شَاءَ رَبُّ الْعَرْشِ كانَ كما يَشَا — وَما لَمْ يَشَا لا كَانَ في الخَلْقِ مُوجَدَا
وَنُؤمِنُ أَنَّ المَوْتَ حَقٌّ وَأنّنا — سَنُبْعَثُ حَقاً بَعْدَ مَوْتِتِنَا غَدَا
وَأَنَّ عَذَابَ الْقَبْرَ حَقٌّ وَأَنَّهُ — عَلَى الْجِسْمِ والرُّوحِ الَّذي فِيهِ أُلْحِدَا
وَمُنْكَرُهُ ثُمَّ النَّكِيرُ بِصُحْبَةٍ — هُما يَسْأَلاَنِ الْعَبْدَ في الْقَبْرِ مُقْعَدَا
وَمِيزَانُ رَبِّي وَالصِّرَاطُ حَقِيقَةٌ — وَجَنَّتُهُ وَالنَّارُ لَمْ يُخْلَقا سُدَى
وَأَنَّ حِسَابَ الخَلْقِ حَقٌّ أَعَدَّهُ — كَمَا أَخْبَرَ الْقُرْآنُ عَنْهُ وَشَدَّدَا
وَحَوْضُ رَسُولِ الله حَقاً أَعَدَّهُ — لَهُ الله دُونَ الرُّسْلِ ماءً مُبَرَّدَا
وَيَشْرَبُ مِنْهُ الْمُؤْمِنونَ وَكُلُّ مَنْ — سُقِي مِنْهُ كَأْساً لَمْ يَجِدْ بَعْدَهُ صَدَا
أَبارِيقُهُ عَدُّ النُّجُوم وَعَرْضُهُ — كَبُصْرَى وَصَنْعاً في المَسَافَةِ حُدِّدَا
وَأَنَّ رَسُولَ الله أَفْضَلُ مَنْ مَشَى — عَلَى الأرْضِ مِنْ أَوْلادِ آدَمَ أَوْ غَدَا
وَأَرْسَلَهُ رَبُّ السَّمٰوَاتِ رَحْمَةً — إلى الثَّقَلَيْنِ الإِنْسِ وَالْجِنِّ مُرْشِدَا
وَأَسْرَى بِهِ لَيْلاً إلَى الْعَرْشِ رِفْعَةً — وَأَدْنَاهُ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ مُصْعِدَا
وَخَصَّصَ مُوسَى رَبُّنَا بِكَلامِهِ — عَلَى الطورِ نَادَاهُ وَأَسْمَعَهُ النِّدَا
وَكُلُّ نَبِيٍّ خَصَّهُ بِفَضِيلَةٍ — وَخَصَّصَ بالقُرآن رَبِي مُحَمَّدَا

وَأَعْطَاهُ فِي الْحَشْرِ الشَّفَاعَةَ مِثْلَ ما رُوِي فِي الصَّحِيحَيْنِ الحَدِيثُ وَأُسْنِدَا
فَمَنْ شَكَّ فِيهَا لَمْ يَنَلْهَا وَمَنْ يَكُنْ شَفِيْعاً لَهُ قَدْ فَازَ فَوْزاً وَأُسْعِدَا
وَيَشْفَعُ بَعْدَ الْمُصْطَفَى كُلُّ مُرْسَلٍ لِمَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا وَمَاتَ مُوَحِّدَا
وَكُلُّ نَبِيٍّ شَافِعٌ وَمُشَفَّعٌ وَكُلُّ وَلِيٍّ فِي جَمَاعَتِهِ غَدَا
وَيَغْفِرُ دُونَ الشِّرْكِ رَبِّي لِمَن يَشَا وَلَا مُؤْمِنٌ إِلَّا لَهُ كَافِرٌ فِدَا
وَلَمْ يَبْقَ فِي نَارِ الجَحِيمِ مُوَحِّدٌ وَلَوْ قَتَلَ النَّفْسَ الحَرَامَ تَعَمُّدَا
وَنَشْهَدُ أَنَّ اللهَ خَصَّ رَسُولَهُ بِأَصْحَابِهِ الأَبْرَارِ فَضْلاً وَأَيَّدَا
فَهُمْ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ بَعْدَ أَنْبِيَائِهِ بِهِمْ يَقْتَدِي فِي الدِّينِ كُلُّ مَنِ اقْتَدَى

وَأَفْضَلُهُم بَعْدَ النَّبِيِّ (مُحَمَّدٍ) أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ذُو الفضلِ والنَّدَى
لَقَدْ صَدَّقَ الْمُخْتَارَ فِي كُلِّ قَوْلِهِ وآمَنَ قَبْلَ النَّاسِ حَقّاً وَوَحَّدَا
وَفَادَاهُ يَوْمَ الْغَارِ طَوْعاً بِنَفْسِهِ وَوَاسَاهُ بِالأَمْوَالِ حَتَّى تَجَرَّدَا
ومِنْ بَعْدِهِ الْفَارُوقُ لَا تَنْسَ فَضْلَهُ لَقَدْ كَانَ لِلإِسْلَامِ حِصْناً مُشَيَّدَا
لَقَدْ فَتَحَ الْفَارُوقُ بِالسَّيْفِ عَنْوَةً كثير بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَمَهَّدَا
وَأَظْهَرَ دِينَ اللهِ بَعْدَ خَفَائِهِ وَأَطْفَأَ نَارَ الْمُشْرِكِينَ وَأَخْمَدَا
وَعُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ قَدْ مَاتَ صَائِماً وَقَدْ قَامَ بِالْقُرْآنِ دَهْراً تَهَجُّدَاً
وَجَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرِ يَوْماً بِمَالِهِ وَوَسَّعَ لِلْمُخْتَارِ والصَّحْبِ مَسْجِداً
وَبَايَعَ عَنْهُ الْمُصْطَفَى بِشِمَالِهِ مُبَايَعَةَ الرِّضْوَانِ حَقّاً وَأَشْهَدَاً
وَلَا تَنْسَ صِهْرَ الْمُصْطَفَى وَابْنَ عَمِّهِ فَقَدْ كَانَ حَبْراً لِلْعُلُومِ وَسَيِّدَا
وَفَادَى رَسُولَ اللهِ طَوْعاً بِنَفْسِهِ عَشِيَّةَ لَمَّا بِالْفِرَاشِ تَوَسَّدَا
وَمَنْ كَانَ مَوْلَاهُ النَّبِيُّ فَقَدْ غَدَا عَلِيٌّ لَهُ بِالحَقِّ مَوْلَىً وَمُنْجِداً
وَطَلْحَتُهُمْ ثُمَّ الزُّبَيْرُ وَسَعْدُهُمْ كَذَا وَسَعِيدٌ بِالسَّعَادَةِ أُسْعِدَا
وكَانَ ابْنُ عَوْفٍ بَاذِلَ الْمَالِ مُنْفِقاً وكَانَ ابْنُ جَرَّاحٍ أَميناً مُؤَيَّداً

وَلاَ تَنْسَ بَـاقِيَ صَحْبِـهِ وَاهْـلَ بَيْتِهِ وَأَنْصَـارَهُ وَالتَّـابِعِـينَ عَـلَى الهُـدَى
فَكُلُّهُــمُ أَثْنَى الإِلَـــهُ عَـــلَيْهِمُ وَأَثْـنَى رَسُــولُ الله أَيْضَـاً وَأَكَّــدَا
فَـلاَ تَـكُ عَبْـداً رَافِضِيـاً فَتَعْتَـدِي فَوَيْـلٌ وَوَيْـلٌ فِي الْـورَى لِمَن اعْتَـدَى
وَنَسْكُتَ عَنْ حَرْبِ الصَّحَابَةِ فَالَّذِي جَـرَى بَيْنَهُـمْ كَـانَ اجْتِهاداً مُجَـرَّداً
وَقَـدْ صَـحَّ فِـي الأَخْبارِ أَنَّ قَتِيلَهُمْ وَقَـاتِلَهُمْ فِـي جَنَّـةِ الْخُـلْدِ خُـلِّدَا
فَهٰـذَا اعْتِقَـادُ الشَّـافِعِـيِّ إِمـامِنَـا وَمـالِك والنُّعْمـانِ أَيْضَـاً وَأَحْمَـدَا
فَمَـنْ يَعْتَقِـدْهُ كُـلَّهُ فَهْـوَ مُـؤْمِـنٌ وَمَـنْ زَاغَ عَنْـهُ قَـدْ طَغَـى وَتَمَـرَّداَ

وَصَلى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قصــــــة

تَوَجَّهَ عَافِيةُ بنُ يَزِيْدُ الأَودِي القاضي إلى المهدي يوماً في وقتِ الظَّهيرة لِمُقابَلَتِهِ عَلى عَجَل .

فلَمَا أذِنَ لَهُ إذَا بِهِ يحمل أوراقَه بينَ يَدِيه ويَسْأَل المهدي أن يُعْفيهِ مِن القضـاء ويَسْتـأذنـه في تسليم الأوراق التي في حَوْزَتِـهِ إلى مَن يَأمُر الخليفةُ بتَسلِيمها له .

وظَنَّ الخليفـةُ أن القـاضيِ عَافية قَد أَقْدَمَ عَلى طَلَبَ الاسْتِعْفَاءِ مِن القَضَاء لأن أحد رجالِ حَاشِيَته ومَنْ هُم مَحْسُوبُونَ على الخَليفةِ قد تَطاوَلَ عَليهِ أو نالَ منه أو أَسَاء مُعَامَلَته أو أَبْدَى عَدَمَ إحْترامٍ له أو تَدَخل في شأنٍ مِن شؤون قَضائِهِ فأضْعَفَ سُلْطَانَه في تنْفِيذِ أحْكامِهِ ولشَدَّ مَا كانَتْ دَهْشَةُ الخَليفةِ حِيْنَمَا عَرَفَ أنه لم يَقَعْ شَيءٌ مِن ذلك .

فأحَبَّ الخَليفةُ أن يَتعرَّفَ مِن ذَلكَ السَّبَبَ الحَقِيْقِي الذي دَفَعَ القَاضِي إلى الاسْتَعْفَاءِ على عَجَلٍ في ذلك الوَقْت الذي يَلْجَأُ الناسُ فيه إلى الرَّاحَةِ وهوَ وَقْتِ الظَهِيْرةِ .

١

ولما أصَرَّ الخليفةُ عَلى طلب مَعْرفَةِ السَبب لم يَجِدَ القاضِي بُداً من أن يَرْوي لَهُ ما جرىَ لَه مما كان سَبَباً في طلب الإعْفَاءِ حِرْصَاً على دِيْنِه وَطَهَارةً لِنَفْسِهِ .

فقال القاضي عافِيةُ مُنْذُ شَهْرَيْن وأنا أتَابعُ البَحْثَ في إحدى القَضَايَا المُعْضِلَةِ مُحاولاً أنْ أصِلَ فيها إلى وَجْهِ الحَقِّ فقد تَقَدَم إليّ خصْمان مُوْسِرَانِ وَجِيْهَانِ في قضِيَّةٍ مُعْضِلَةٍ مُشْكِلَةٍ .

وكُلٌ منهما يَدَّعِي بَيِّنَةً وشُهُوداً ويُدْلي بحُجَجٍ تحتاجُ إلى تأمُلٍ وتَثَبُتٍ .

ولما لم يَتَبَيَّنْ لي وَجْهُ الحقِ رَدَدْتُ الخُصُومَ رَجَاءً أن يَصْلَحُوا أو يَتَبَيَّنَ لي وجْهُ فَصْلٍ بَيْنَهُمَا .

وأثْنَاءَ ذَلِكَ وَقَفَ أحَدُ الخَصْمَيْنِ مِن خَبَرِي على أني أحِبُّ الرُّطَبَ السُّكَرِيْ .

فَعَمَدَ في وقْتِنَا هذا وهُوَ أوَّلُ وقْتِ الرُطَبِ وجَمَعَ رُطَباً سُكَّرياً لا يَتَهيَأ في هذا الوقتِ لأحدٍ جَمْعُ مِثْلِهِ إلاَّ لأمير المؤمنين وحَقاً مَا رَأيْتُ أحْسَنَ منه .

ثم عَمَدَ إلى بَوَّابي فَرَشَاهُ جُمْلَةَ دَرَاهِم لِيُدْخِلَ الطَّبَقَ إليَّ على أنه لا يُبَالِي بَعْدَ ذَلكَ أنْ أقْبَلَ الطَّبَقَ أو أرُدَّهُ .

فلما أدْخَلَ الطبقَ إليَّ أنْكَرْتُ أمْرَهُ وطَرَدْتُ بَوَّابي وأمَرْتُ برَدِّ الطَّبَقِ فَرَدَّهُ لِسَاعَتِهِ .

فلما كان اليومُ تَقَدَّمَ إليَّ هَذَا الرجلُ مع خَصْمِه فَهَالَنِي أنَّهُمَا لَمْ يَتَسَاوَيَا في قَلْبي ولا في عَيني .

وهذا يا أمير المؤمنين وأنا لَم أقْبَلْ فكيف يكون حَالي لو قَبِلْتُ ولا آمَنُ أن يَقَعَ على حِيْلَةٍ في دِيْني فأهْلِكُ وقد فَسد الناسَ فأقِلْني أقَالَكَ الله وأعْفِني .

ولم يَسَعِ الخليفةُ وهو يَستَمِعُ إلى ذلك الكلامَ المنبي عن شِدَّةِ الوَرَعِ

والحرص الخالص على نزاهةِ الحكم وبُعْدِ القاضي عن المؤثرات أيّاً كان نوعُها إلَّا أن يَسْتَجِيْبَ لِطَلَبِ القَاضِي النَّقِي النَّبِيْل فأعْفَاهُ مِن القَضَاء .

فَتَأَمَّلْ هَذِه القِصَّةِ بدقة . وقارِنْ بَيْنَهُ وبَيْنَ كَثِيرٍ من قُضَاةِ هذا الزمن يَتَبَينَّ لَكَ الفرق العظِيمُ والبُوْنُ الشاسِع نسأل الله العافية .

اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوبَنَا وَنَوِّرْهَا بنُورِ الايْمَانِ وَزَيِّنْها بِمَحَبَّتِك وَجَمِّل أَلْسِنَتَنا بذِكرِكَ وَشُكْرِكَ وَحَسِّنْ أعْمَالَنَا ووَفِّقْنَا لِحِفْظِ أَوْقَاتِنا وَأَحْيِينا حَيَاةً طَيِّبَةً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ وَصَلَّى الله عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْـــلٌ)

٥ [موعظـــــــــــة]

عباد الله يجب على مَن لا يَدْرِي مَتَى يَبْغَتُه الموتُ أن يكونَ مُسْتَعِـداً لَهُ ولا يَغْـتَرَّ بشَبَابِهِ وصَحَّتِهِ فإن أقلَّ مَن يَموتُ الشُيوخُ الطاعِنين في السن .

وأكثرُ من يموت الشُبانُ خُصوصاً في زمننا الذي كثُرتْ فيه الحوادث ولهذا يَنْدُرُ مَن يَكْبرُ وقد أنشدوا :

يُعَمَّرُ واحدٌ فَيَغُرُّ قَوْمـــاً ... ويُنْسَى مَن يَمُوتُ من الشَّبَاب

آخــــر :

لا تَغْتَرِرْ بشَبَابٍ ناعِمٍ خَظِلٍ ... فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَّيْبَ شُبَّانُ

ومما يعينكَ على الجد والاجتهاد في الطاعة تصور قِصَرِ عُمُركَ وكَثْـرَةَ الأشغال ، وتصور قُوةَ الندم على التفريط والاضاعة عند الموت ، وطول الحَسْرَةِ على البدار بعد الفوت .

وتصـــور عظم ثواب الســابقـين الكاملين وأنْتَ ناقص ،

والمجتهدين وأنْتَ متكَاسل ، واجْعَلْ نصبَ عَيْنَيْكَ ما يَلِي : قوله تعالى ﴿ يوم تَبْلُو كُلُ نَفْس ما أسْلَفَت ﴾ .

وقوله تعالى ﴿يومَ تَجِدُ كُلُّ نفس ما عَمِلَتْ مِن خيرٍ محضرا﴾ .

وقوله تعالى ﴿ يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ﴾ .

وقـوله تعالى ﴿ أن تقول نفس ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله ﴾ .

وقوله تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذْ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴾ فتصور الحسرة والندامة والحُزنَ عندما ترى الفائزين .

إذا أنْتَ لم تَرْحَلْ بزَادٍ مِن التُقى ... وأبْصَرْتَ بَعْدَ الموتِ مَن قد تزوَّدَا
نَدِمْتَ على أنْ لا تكُونَ كمِثْلِـــهِ ... وأنَّكَ لم تُرْصِدْ كَمَا كَانَ أرْصَــــدَا

فالبــدارَ البِــدارَ والحــذر الحَـذَرَ مِنَ الغفلة والتسـويف وطول الأَمل فإنَّهُ لولا طولُ الأمل ما وَقَعَ إهْمَالٌ أصْلاً .

وإنـما يُقْدِمُ على المعاصي ويُؤخر التوبةَ لِطُول الأمل وتَبادُرِ الشهوات .

وتَنْسَى التوبةُ والإنابةُ لِطُول الأمل وتَفَقَّد أوقاتَكَ وما عَمِلْتَ فيها من الذُنُوب .

وتَنْسَى التـوبـةُ والإنابةُ لِطُول الأملِ فيا أَيُّها المُهْمِلُ وكُلُّنا كَذَلِكَ انْتَهِزِ فُرصَةَ الإمكان وتَفَقَّد أوقاتَكَ وما عَمِلْتَ فيها من الذُنُوب .

فبادر في محوها بالتوبة النصوح وأكثر من الدعاء والاستغفار كُل وقت خصوصاً أوقاتَ الاجابة .

ومن أوقات الأجابة ثُلُثُ الليلِ الآخر . قال تعالى ﴿ وبالأسْحَارِ هم يَسْتَغْفِرون ﴾ .

ويومُ الجمعة عند صعود الامام المنبر للخطبة .

وفي آخر ساعةٍ من يوم الجمعة وعند دخول الامام للخطبة .

وعندما تسمع الأذان إلى أن يفرغ .

وبين الأذان والاقامة .

وبعد الصلاة الفريضة وبعد النافلة .

وعند الفطر للصائم وفي أيام رمضان ولياليه .

وعند نُزُول الغَيث .

وعَشية عرفة .

وفي السجود .

وعند ختم القرآن وفي ليلة القدر .

وعند البكاء والخشية من الله .

فعلى الانسان أن يُكْثِرَ مِن الدعاء والالحاح فيه ، فإن الدعاءَ له أثرٌ عظيم ، ومَوْقعٌ جَسِيم ، وهو مُخُ العبادة .

لا سيما مَعَ حُضور قلب ، وإخباتٍ ، وخشوع ، وذُلٍ ، وانكسار ، ورقةٍ ، وتضرع ، وخَشيةٍ ، واستقبال القبلة حَالَ دُعَائِه وعلى طَهارة ، ويُجَدِّدُ التوبة ، ويُكثر من الاستغفار ، ويبدأ بحمد الله وتنزيهه ، وتمْجيْده ، وتقْدِيْسِهِ ، والثَّناءِ عليه ، وشكره ، ثم يصلي على النبي ﷺ بعد الثناء على الله .

ويدعو بالدعاء المشروع باسم من أسماء الله الحسنى ، مناسب لمطلوبه ، فإن كان يُرِيْدُ عِلماً قال يَاعَليم عَلِمْني ، وإن كان يطلب رَحْمَةً قال يارحمنُ إرحَمني ، وإن كان يَسْأَلُ رزقاً قال يارزَّاقُ أرْزُقْني ونحو ذلك ، ويُوقِنُ بالاجابة ، فإن الله جل وعلا أصدقُ

القائلين وقد قال سبحانه وتعالى ﴿ أدعُوني اسْتجبْ لكم ﴾ وقال لرسـوله ﷺ ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيْبُ دعوة الـداعي إذا دَعَـان ﴾ وقال عَزَّ مِن قائل ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخُفْية ﴾ وقال ﴿ أمَّنْ يُجيب المضطر إذا دعاه ﴾ وهو سبحانه أو في الوَاعِـدِيْن قال تعالى ﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ﴾ وقال جل وعلا ﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾ ﴿ومن أصدق من الله حديثا﴾ وقال أهل الجنة ﴿ الحمد لله الذي صَدَقنا وعده ﴾ .

وإذا وقعت في محنة يصعب الخلاص منها ، فليس لك إلا الدعاء واللجاء إلى الله ، بعد أن تقدم التوبة من الذنوب ، فإن الـزَّلـل يُوجبُ العقوبة ، قال الله جل وعلا ﴿ وما أصابكم من مُصِيْبَةٍ فبما كسبت أيدكم ﴾ .

فإذا زَالَ الذَّنْبُ بالتوبةِ الصادقة النصوح ، إرتفع السَّبَب . فإذا أتَيتَ ودَعَوتَ ولم تَر لإجابةِ الدُعَاءِ أثراً ، فَتَفَقَّدْ نَفْسَك فربما كانت التوبةُ ما صَحَّت فَصَحِّحْها .

ثم ادْعُ ولا تَضْجَر ولا تمل من الدعاءَ فإنه عبادة ، وربما كانت المصلحـة في تأخـير الاجـابة ، وربما لم تكن المصلحة في الاجـابـة ، قال تعالى ﴿ وعَسَى أنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وهو خَيْرٌ لكم وعَسَى أنْ تُحِبوا شيئاً وهو شرٌ لكم ﴾ .

فأنْتَ تُثاب وتُجَابُ إلى مَنَافِعِكَ ومِن منافعك أنْ لا تعطى ما طَلَبْتَ بل تعوض غيره .

فإذا جاءك الشيطان فقال إلى مَتَى تدعو ولا تجاب فقل : أنا أتعبد بالدعاء ، الدعاء مخ العبادة وأنا واثق كل الثقة بالاجابة لأن الله أصدق القائلين .

وقد قال جل وعلا وتقدس لنبيه ﷺ ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان** ﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ **أدعوني أستجب لكم** ﴾ .

واعلم أنه رُبَّما كان التأخيرُ لبعض المصَالح فهـــو يجيءُ في وقتٍ مُنَاسِب وإذا سألت شيئا فاقرنه بسؤال الخيرة فربما كان المطلوبُ سبباً للهلاك .

وإذا كُنْتَ قَدْ أمِرْتَ بالمشَاوَرَةِ في أمُـورِ الدنيا ليُبَيِّنَ لكَ صَاحِبُكَ في بعض الآراء ما يَعْجَزُ رَأيُكَ عنه ثم ترى أن ما وقع لكَ لا يَصْلَح فكيفَ لا تسأل الخيرَ رَبَّكَ الذي أحاط بكل شيء علماً، والاستخارة مِن حسن المشاورة .

كُلُ الوُجُوْدِ لِعِزِّ قَهْرِكَ خَاضِــــعٌ	والكُلُ في صَدقاتِ جُودِكَ طَامِعُ
يامَعْشَرَ الفُقَراءِ أمُّوا بَابَـــهُ	فَهُنَاكَ فَضلٌ لِلْبَرِيَّةِ وَاسِـــعُ
يُعْطِي العَطَاءَ فلا يُمانِعُ مَانِـــعٌ	يَقْضِي القَضَاءَ فلا يُدَافِعُ دَافِعُ
ما لِلْعِبَادِ عَليه حَقٌ واجِـــبٌ	كَلَّا ولا سَعْيٌ لَدَيْهِ ضَـــائِعُ
إن عُذِّبُوا فبعَدْ له أو نُعِّمُـــوْا	فبِفَضْلِهِ وهُوَ الكريْمُ الواسِـــعُ
إلزَمْ طَرِيْقَ الذِكْرِ عُمْرِكَ دَائِبـــاً	فالذِكْرُ في القَلْبِ المحَبَّـــةَ زَارِعُ

قال أحـدُ الـوُعاظ هذا نذير الموت قد غدَا يقول الرحيل غداً، كأنكم بالأمـر وقـد قَرُبَ ودَنا ، فطوبى لِعَبدٍ اسْتَيْقَظ مِن غَفْلتِه ووَعا .

كيف بكم إذا صَاحَ إسرافيلُ ونفخ في الصور قال جل وعلا ﴿ **ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون** ﴾ .

فتصور خُروجَك مَذْعُوراً تَسْعَى مِن تَحْتِ المَدَرِ وقد رُجَّتِ الأرضُ وبُسَّتِ الجبال وشخَصَتِ الأبصارُ لِتلك العَظائِم والأهوال

والمزعجات ﴿ وخَشَعَتِ الأصواتُ للرحمن فلا تَسمعُ إلا همسا ﴾ .

فَقَلِقَ الخَائِفُ ، وشَابَ الصَّغِيرُ ، وَزَفَرَتِ النارُ ، وأحَاطَت الأوزار ، ونُصِبَ الصِراط ، وُوُضِعَ الميزان ، وحَضَر الحِسَاب .

وجي بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ، قال تعالى ﴿ وجيء يومَئِذٍ بجهنم يَومئذ يتذكر الانسانُ وأنَّى لَهُ الذِكرى ﴾ .

وشَهِـدَ الكتاب وتَقَطَّعَتِ الأسباب ، فكم مِن كبيرٍ يَقُولُ واشَيْبَتَاهْ ، وكم مِن كَهْلٍ يُنَادِي بأعلى صَوْتِهِ واخَيْبَتَاهْ ، وكم مِن شاب يصيح واشَبَابَاه .

وبَرَزَت النارُ ، قال الله جل وعلا وتقدس ﴿وبُرِّزَتِ الجحيم للغَاوين﴾ وقال جل وعلا وتقدس ﴿وبُرِّزَتِ الجحيم لمن يَرى﴾ .

وسَمِعَ الخَلائِقُ حَسِيْسَهَا إلاَّ مَن سَبَقَتْ له الحُسْنَى من الله قال تعالى ﴿إن الذين سَبَقَت لهم منا الحُسْنَى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حَسِيْسَهَا وهم فيما اشْتَهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾ .

وأيقنَ بالردى والهلاك كل فاجر ، قال تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذالقلوب لدى الحناجر ﴾ وقامَت ضَوْضَاءُ الجَدَل ، وأحاط بصَاحِبه العَمَلْ قال جل وعلا وتقدس ﴿ ورآى المجرمون النار فَظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مَصْرِفا ﴾ .

وحالت الألوان ، وتوالت المِحَنُ عَلى الانسان ، فأينَ عُدَّتُكَ يَاغَافِلُ عن هذا الزمان ، أين تصحيحُ اليقين والايمان .

أتَــرْضَى بالخُسرانِ والهــوان ، أمـا عَلمْتَ أنَّـك كما تَدينُ تُدَان أما تخاف أن تقول ﴿ يا حَسْرَتَا على ما فرطتُ في جَنْبِ الله ﴾ أما علمتَ أعظم الخسران .

قال جل وعلا وتقدس ﴿ قل أنَّ الخاسرينِ الذين خسروا أنْفُسَهُم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسرانُ المبين ﴾ .

كم في كتـابك من خطأ وزلل ، وكم في عملك من سَهو وخَلَل ، هذا وشَمْسُ عُمْـرِكَ على أطْـرَافِ الـذوائب وقـد قَرُبَ الأجـل ، كم ضَيَّعْتَ واجبـاً وفـرضاً ، وكم نَقَضْتَ عَهْداً مُحْكَماً نَقْضَا ، وكم أتَيْتَ حَرَاما صَرِيحاً مَحْضا ، يا أجْسَاداً صِحَاحاً فيها قُلُوبٌ مَرْضَى .

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الأيمانَ هادِماً لِلسيئآت ، كَمَا جَعَلْتَ الكُفْرَ هَادِمَاً لِلْحَسَنَاتِ وَوَفقنا لـلأَعْمَالِ الصـالِحاتِ ، واجعلنـا مِمَّنْ تَوكَّـلَ عليكَ فَكَفيْتَهُ ، واسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ وَدَعَاكَ فأجَبْتَهُ ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياءِ منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

[فصـــــــــــــل]

نُبْـذَةٌ مِمَّا جَرَى لأولياءِ الله مِن المِحَن والقَتِلِ والضرب مِن الظلمة والطُغاة والمُجْرمَين جَازَاهُم الله بما يَستحقون .

لما قتـل الحجَاجُ بنُ يوسفَ عَبدَ الله بنَ الزُبَير أمَرَ بخشبةٍ فَصَلبه عليها .

فلما أقبلت أمُّهُ أسْمَاءُ بنتُ أبي بكر الصديق رضي الله عنهما

إلى الخشبة فعانَقَتْهَا وجَلَسَت تبكِي وتقول واغوثاه .

ياللَه ما أعظَم ما نَزَل بَنا بعدك يا محمد يارسول الله لو تُدْرِك ما نَزَل بعدك بأصْهَارِكَ وأرْحَامك وأبْنَاءِ المُهَاجِرين لرَأيْتَ أمرًا عظيما .

اللهم فبلغ عنا نبيك ﷺ في عَظيم ما نزلَ بنَا فأخبرَ بمَقَالتها عبدَاالله بنَ عُمر فبَكَى حتى كادَتْ نَفْسُه تَفِيْض .

ثم قال لابنه قُدْني إليها وقد كَبُرَ وكان يَرْتعش مِن الكَبر وكان قد عُمِّرَ فقادَه ابنُهُ إليها فلما أشْرَفَ على الخَشَبة نَظَر إليه مَصْلُوبًا .

قال سَمِعْتُ رسـول الله ﷺ يقـول ليَقْتُلُني أمِيْرٌ جَائِر على طَاعَـة أحَبُّ إليَّ مِن أمُـوْتَ مُجاهِدًا في سبيل الله فَأَتَى شقيٌ مِن الأشقياء فَبَلَّغَ ذَلكَ إلى الحجاجَ فبلغَ منه قولُ ابن عمر كُلَّ مَبلغ .

فركبَ إلى خشبة بن الزُبَير فأصابَ أمَّهُ عندَها تبكيْ وابنَ عُمَر وابنَه سالِمًا فقال لَيس مِثلُه يُبكى عليه فقال ابنُ عمر قومى فقامت ولم تكلِمْهُ وانصَرَف ابنُ عُمرِ إلى مَنْزله .

فدَعا الحجاجُ رِجالَه فقال إنَّ ابنَ عُمَر بنِ خَلِيفَة وصَاحِبُ رسول الله ﷺ وأخافَ إن خَرَجْنا أن يَستَحل مِنَّا مَا اسْتَحَل ابنُ الزُبير وعُلماءُ العِراق .

قالوا فما تَرى قال هذا أعْظَم مما كان منَّا إنما عَمَدْنَا إلى جَبَلِ الإسلام وحَاجِب محمد ومَن عُرِضَتْ عليه الخلافة فلم يقبلها ومَن حج أربعين حجة ومن سَمَّتْهُ قُرَيْشُ حَمَامَةَ البَيْت يُريْد بن عمر .

وقَدْرُهُ في العَرَب كَما عَلمتم وحُبُّ الأوس والخَزْرج لأبيه عُمر بن الخطاب . نَعُوذُ بالله مِن الظَّلَمةِ وأعْوَانِهم .

فبعث الحجاجُ غلامَهُ أنْ يركب فَرَسًا جَامحًا وأمَرهُ أنْ يَطحَنهُ بالفَرس ويَقْتُلَه .

فركبَ الغُلام الفَرسَ فَنظَر إلى ابن عمر وهو سَائِرٌ يومَ الجُمُعَة فَحمل عليه وصَدَمَهُ ورَضَّهُ .

فَبَادَرَ الناسُ إليه وقَالُوا ياغُلام أهْلكْتَ المُسْلِمين في علمهم فَطَلبَك الله وأقام الحجاجُ يَنتَظِر مَوْتَه .

فلما أبطأ عليه عمد إلى الحديدة التي في الرمح فَسَمَّهَا سُمًا نَاقِعًا وجَعَلهَا في عَصَا وقال لأحَدِ رِجاله ضَعْه على ظَهْر قَدَمِهِ واتَّكِىءْ عليه حَتَّى يَدْخُل .

فإن قال أهلكْتَني فقل ما عَلمْتُ أن رِجْلَكَ هَا هُنَا .

فَفَعَل ذَلكَ ثم خَرجَ عنه فاشْتَعَل جَسَدُ ابنِ عُمَر سُمًا فأقامَ ثلاثةَ أيام فمات رحمةُ الله عليه .

ودَخَل الحَجَاج على ابن عمر يَعُوده قبل مَوْته فقال ابنُ عُمر أنْتَ قَتَلْتني ، حَسْبُنا الله ونعم الوكيل .

ومَن الذين أوذُوْا في سبيل الله وقتِلُوا سعيدُ بنُ جبير وقصته أشهر مِن تذكر فلا نطيل بِذكرها وكان قد دعا مِن قبل أن يَذْبَحَهُ الحَجَاج فقال اللهم لا تُسَلِّطه على أحَدٍ يَقتُلُه بَعْدي .

وقيل إنه عاشَ بَعد قتلهِ لِسَعِيد سِتةَ عَشَر يومًا فقط وقَعَتِ الآكلة في بَطْنه .

وكانَ ينَادِي في بَقية حياتِهِ مَالِي ولِسَعيد بن جبير كُلَّما اردْتُ النومَ أخَذَ برجْلي .

وقيلَ دَعَا عليه بالزَّمْهَرِيْر البَرْدِ العَظيم فكانُوا يجْعلون حَولَه الكوانِين تلْتَهبُ جَمْرًا مَعَ مَا عَليه من الثياب التيى يُدَثِّرونَه بها .

فمازَالَ في العذابَ الأليم ثم أرْسَلَ في طلب الحسن البصري التابعي المشهور فأتاه واشْتكي إليه ما نَزَلَ به مِن الألم ، فقال قَد نَهَيْتُكَ مَرةً بعْدَ أُخرى لا تتعَرَّضْ لِلصَّالحين ، ولا تكن منهم إلا بسبيل خَير فأبَيْتَ وَلَجَجْتَ (ليقْضِيَ اللَّهُ أمرًا كان مَفعُولا) .

وذكر في كتاب المَحن أن الحجاج أرسَل إلى أبي صَالح مَاهَان المُسَبِّحُ فلما أتاه قال بَلغَنِي عَنكَ صَلاحٌ وخَيْرٌ وإني أرِيدُ أن أولِّيكَ القَضاء .

قال لَهُ أنا قال نَعَمْ قال أنا لاَ أُحسِن أعُدُ عَشرة قال يامُرائِي علي تَتَبَالَهْ .

قال والفُراتُ قَدْ مَدَّ فَعَدَا من بين يَدَيْهَ وهو شيخ كبير يَجْنَح حتى وقَفَ على جُرْفِ الفُراتِ .

فقـال اللهم إنْ كنتُ مُرَائِي كما زَعَم الحَجَاج فغَرِقْنِي قال فرِمَى بنَفْسِهِ .

فقام على مَتْن الماء فلم تَغِبْ قدَمَاهُ قال فوالله ما نَهْنَهَهُ ذلك فأخَذهُ وصَلَبَه على بابه .

ومِمَّن ضُرِبَ مَالِكَ ابنُ أنس رضي الله عنه وذلك أن الحُسَّادَ دَسُّوْا إلى أبي جعفر بن سليمان مَن قال له إنَّ مَالكًا يُفْتِي الناس أن أيْمان البيعة لا تلزمهم لمخَالَفَتِكَ واسْتكَارهك إيَّاهُم عَليها .

فدَسَّ عليه جَعْفَرُ مَن يَسأله عن ذلك فأفتاهُ مَالِك طُمَأنِينَةً إليه وحِسْبَة منه .

فجاءَهُ رسُولُ جَعْفر بن سليمان وإتى بهِ مُنْتهك الحُرْمَةِ مُهَانا فأمَر به جَعْفر فضِربَه سَبْعِيْنَ سَوْطًا .

ومِنْ مَا جرَى على عبدالله بن عون البصري الذي قيل ما كان بالعراق أعلم بالسنة منه .

وكان ورعًا تزوج إمرأةً عَربية فضربَه بلال بنُ أبي بردة عشرة أسواط وقال له إنزل عنها قال لا أفعل فقال له بلال والله لا أبرح أضربك حتى تطلقها .

فقال ابن عون والله لا أبرح أصبر ولا أطلقها حتى أعْجَز قال وكان رجلا نَحِيْفًا لا يَحتمَل الضَّرب بالسوط قال فضربه أيضا عشرة أسواط وقال بلال هو ما ترى .

قال فأمر به فضرب عشرة أسواط وقال يا ابن عون هو ما ترى حتى تُطلِقَها قال هي طالق قال بتتها .

وممن امتحن عطاء بن أبي ربـاح وذلك أن رجلا أتى من الحجاج إلى مسجد مكة .

فنام فكشفت الريح الثوب عن بطنه فظهر جراب الفلوس فمر به أصحابه فخافوا عليه فنزعوا الجراب .

وبعد قليل انتبه الرجل فنظر فإذا جِرَابَه مأخوُذ فنظر يمينًا وشمالا فلم يَرى حَولَهُ إلا عَطاء بن أبي رباح قائما يُصَلي .

فَجَاءَهُ فأخَذَ بتَلابِيْبِهِ وَضيَّقَ عليه وقال له يا عَدُوَّ الله فَعَلْتَ الذي فَعَلْتَ بي فَلَمَّا رَهَقْتُكَ قُمتَ تُصَلي .

فقال له ما بَالُكَ يا هذا قال منْطَقَتي حَلَلْتَها (أي الجراب) قال له وكم فيها قال مائتان دِيْنار قال فهل سَمِعَ بهذا غيرُكَ قال لا .

قال فاذْهَبْ مَعِي حتى أعْطِيْكَ ما ذَهَبَ لكَ قال فذهبَ فَعَدَّ لَهُ مِائتَي دِيْنار فذهبَ إلى أصْحَابه فأخبرهم الخبر .

فقالوا لَه ظَلَمْتَ والله الرجَل كان مِن قصَّتِنَا كَيْتَ وكَيْتَ ثم حَلَلْنَا عَنْكَ خَوفًا عَلَيْهَا وها هِيَ هَذِه .

فقامُوا بأجمعهم إلى الرجُل فوقَفُوا عليه فسألوا عنه فقيلَ لَهُم هو عَطَاء بن أبي رباح فَقِيْهُ أهل مكة وسَيِّدهم .

فاعْتَذَرُوا إليه وسَأَلُوهُ أن يَجْعَل الرجلَ في حِلٍّ ويَقْبَلَ الدَّنَانِير .

فقال لهم هَيْهاتَ ما كانَتْ بالتي ترجَع إليَّ إذْهَبْ فأنْتَ في حِل وهَي لك .

شَمِّــر عَسَـى أنْ يَنْفَـعَ التَّشْمِـيرُ وانْظُرْ بِفكْـرِكَ ما إليْـهِ تَصِـيْرُ
طَوَّلْتَ آمالاً تكَنَّفَهَا الهَوَى ونسِيتَ أنَّ العُمْرَ منكَ قصِيْرُ
قد أفْصَحَتْ دُنْيَاكَ عن غدَرَاتِها وأتَى مَشِيْبُكَ وَالمشِيْبُ نَذِيْرُ
دَارٌ لَهَوْتَ بِزَهْوِهَا مُتَمَتِّعًا تَرْجُوْ المقامَ بهَا وأنْتَ تسيْرُ
واعْلَمْ بأنكَ رَاحِلٌ عَنْهَا ولَوْ عُمِّرْت فيها مَا أقامَ ثَبِيْرُ
لَيْسَ الغِنَى في العَيشِ إلا بُلْغَةَ ويَسِيْر ما يَكْفِيْكَ منه كثِيْرُ
لا يَشْغَلَنَّكَ عَاجِلٌ عن آجلٍ أبدًا فَمُلْتَمِسُ الحَقِيْرِ حَقِيْرُ
ولَقَدْ تَسَاوَى بَيْنَ أَطْبَاقِ الثرَّى في الأَرْضِ مأمُوْرٌ بهَا وأمِيْرُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصـــــــــل]

بعث أبو جَعْفَر في طلب أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق فقيل له إن أمير المؤمنين متغيظ عليك فدخل وهو يُحَرِّكُ شفتَيْهِ .

فلما رآه أبو جعفر نهض إليه واعْتَنَقَهُ وأجْلسَه معه ثم عانقه .

وقال له يا أبا عبدالله ما هذا الذي يَبْلُغُنِي عنك لقد هَمَمْتُ .

فقال له إن أيوب ابْتُلِي فصبر وإن سليمان أعْطى فشكر وأنْتَ من ذلك النَسْج .

قال ، فيُرْفَعُ إليَّ أن الأموال تُجْبَى إليك بلا سَوْطٍ ولا عَصَا ثم أمر بالرافع فأحْضِرَ .

فقال أبُو عبدالله أحَقًا رَفَعْتَ إلى أمِير المؤمنين قال نَعَمْ ، قال فاسْتَحْلِفْهُ يا أمير المؤمنين قال أبو عبدالله رد اليمين عليه .

فقال له أبو جعفر إحْلفْ فقال والله الذى لا إله إلا هو فقال له أبو عبدالله ليس هو كذا إنَّ العَبْدَ إذا مَجَّدَ اللَّهَ في يَمِيْنِه أمْهَلَهُ في العُقُوبة .

ولكنْ قُلْ أنا بَرِىءٌ مِن اللَّه واللَّهُ بَرِىءٌ مِّنْي وأنا خَارِجٌ مِن حَوْلِ اللَّهِ وقُوَّتِهِ رَاجِعٌ إلى حَوْل نَفْسِي وقُوتِها .

قال فحَلَفَ فَوَاللَّه ما رُفِعَ إلا مَيِّتا فَرَاعَ ذلك أبا جَعْفَر وقال انْصَرِفْ يَا أبا عَبْدَاللَّه فَلَسْتُ أسْألُكَ بَعْدَهَا .

وسئِل عمَّا حَرَّكَ به شَفَتَيْهِ حِيْنَما دَخل عليه فَقَال قُلْتُ اللهم بك اسْتَفْتِحْ وبك اسْتنتج اللهم ذَلِلْ حُزونَتَه وكل حُزُوْنة وسَهِّلْ لي صُعُوبَتَهُ وكلَّ صُعُوبة .

اللهم أعْطِني منه مِن الخير ما أرجُو واصْرِفْ عَني منه مِن الشر ما أحْذَر فإنك تمحُو ما تشاءُ وتُثْبِتُ وعندَكَ أمُّ الكتاب ولا حَول ولا قوةَ إلا بالله .

كان صفوان بن سليم قد كُفَّ بَصَرُهُ في آخر عمره فبينما هو ذاتَ يَوم بالسوق يُقَاد إذ دخل بلال بن أبي بُردَة فسمع الطريق

والجلاوزَة بينَ يدَيْهِ .

فقـال مَا هذا فقيل بلال فقال سحائب صيف عن قريب تقشع فسمعه بلالٍ .

فقال والله لأُذيقنَّكَ مِن برْدكَ شُؤبُوْنَا فلما نَزَلَ بهيْكَلِه بَعَثَ في طلبه ثم ضَرَبَهُ بالسِّيَاط نعوذ بالله من الظلمة وأعوانهم

عن مالك بن أنس أنه قال لو قيْلَ لِصَفْوانَ بن سليم غَدًا يومُ القيَامَةِ ما قَدِرَ على أن يَزيدَ على ما هُو فيه من العِبَادَة شَيْئا .

ومِنَ ذلك ما امتحنَ به أبو مسلم الخولانيْ لما أُلْقِيَ في النار وذلك أن الأسود العَنَسِي تَنَبأ باليَمن فَدَعَا أبا مُسْلم الخولانيْ فقال إِشْهَدْ أني رسول الله .

قال لا أسْمَعْ قال اشْهَدْ أنْ محمدًا رسول الله قال نَعَم فأمر الأسودُ بنار فَقَذَفَ فيها أبا مسلم فخرَجَ يَرشَحِ عَرَقَا .

فقيل للأسود إنفِهِ عَنكَ لا يُفْسِدُ عليكَ الناس فأخرجُوهُ ثم قدمَ المدينةَ وبها أبُو بَكر وعُمر رضي الله عنهما .

فقال له عُمر مِن أين أقبل الرجُل قال مِن اليمنْ قال ما فَعَل الرجلُ الذي أحْرَقَهُ الكذَّاب قال ذلكَ عَبدُالله بنُ ثوب .

قال له عُمـــر أنشـدُكَ بالله أنْتَ هُو قال نعم قال فأدْخَلَه وأجلسَهُ بينَه وبينَ أبي بكر .

وقال الحمدُ لله الذي أراني في هذه الأمة مَن فُعلَ به مثلَ مَا فُعلَ بإبراهيم خليل الرحمن .

ومِمَّنْ قُتِلَ صَبْرًا كُمَيْل بنُ زياد النَّخعي الكُوفي كان شجاعا زاهدًا قَتلَهَ الحجاجُ بنُ يُوسف .

وذلِكَ أن الحَجاجَ نقم عليه لأنه طَلَبَ من عثمان بن عفان

القِصَاصَ مِن لطْمَةٍ لَطَمَها إيَّاهُ فَلَمَّا مَكَّنَهُ عُثمان من نفسه عَفَا عنه .

فقال له الحجاجُ أومِثْلِكَ يَسْأَلُ مِن أمِيْرِ المؤمنينَ القِصَاصَ ثم أمر به فضُرِبَتْ عُنُقُهُ نسْأَلُ العافية .

وذكر أنَّ رِياحَ بنَ يزِيْد على أتانه في سفر إذْ غَشِيَتْهُ السَّلاَبَةُ (أي قطاع الطريق) وهو يَسِيْرُ فاخَذُوْا أَتَانَهُ ونَزَعُوا ثِيَابِه إلاَّ واحدًا ثم ذَهَبُوا عنه .

فمال رِيَاح إلى مَوضع فأحْرَمَ بتكْبيْرَةٍ ثم أقبل يُصَلي فبَيْنَما هُو يُصَلى إذ أَظْلمت السَّماء فلم تَدْرِي السَّلابَةُ أيْنَ يَتوجَّهُون .

فلمَّا طَوَّل في الصلاة قالوا أَحْسنْ صَلاتَكَ ياعبدَالله أما تَرى ما نَزَل بنا ولا نَحْسِبُ ذلك إلاَّ مِن أجْلِكَ .

فَسَلَّم ثم الْتَفَتَ إليهم فقال مَا تُرِيْدُوْنَ أخَذْتُوا ثِيابي وحِمَارِي فَرَدُّوا عليه ثيابه ودابتَهُ فانجلتْ عَنهم الظُّلمة .

فَرغبوُا عندَ ذلكَ إليه وسَأَلُوهُ مَن هُو وأقسَمُوا عليه فقال لهم رِيَاح بن يَزِيد .

طَالِعْ تَوارِيْخَ مَن في الدهر قد وُجِدُوا	تَجِدْ خُطُوْبًا تُسَلِّيْ عَنْكَ مَا تَجِدُ
تجِدْ أَكَابِرَهُمْ قَدْ جُرِّعُوا غُصَصًا	مِنَ الرَّزَايا بِهَا قَدْ فُتِّتَتْ كُبُدُ
عَزْلٌ ونَهْبٌ وضَرْبٌ بالسِّياط يَلِيْ	حَبْسٌ وَقَتْلٌ وَتَشْرِيْدٌ لِمَنْ زَهِدُوْا
وإنْ وُقِيْتَ بحَمْد اللَّهِ شِرَّتَهمْ	فَلْتَحْمدِ اللَّهَ في العُقْبَى كَمَنْ حَمِدُوْا

آخــــر :

إنَّ الشَّدَائدَ قَدْ تَغْشَى الكَرِيْمَ لأنْ	تُبيْنَ فَضْلَ سَجَيَاهُ وتُوْضِحُهُ
كَمُبْرَدِ القَيْنِ إذْ يَعْلُوْ الحَدِيْدَ بِهِ	ولَيْسَ يأكُلهُ إلاَّ لِيُصْلِحَهُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصـــــــل]

قال ابن القيم ومِن تَجْرِيْبَات السَّالِكِين التي جَرَّبُوْهَا فألْفَوْهَا صَحِيْحَةً أن من أدْمَنَ (أي أكْثَرَ) من قول « ياحُيٌّ ياقيوم لا إله إلا أنْتَ » أوْرَثَهُ ذَلِكَ حَيَاةَ القَلْب والعَقْل .

وكـان شيخ الإسـلام شَدِيْدَ اللَّهْج بهَا جِدًّا وقال لِيْ يَوْمًا لِهَذَيْنِ الاسْمينْ وهما « الحي القيوم » تأثير عظيم في حَيَاةِ القَلْب .

وكأنَّه يُشِيْر إلى أنهما الاسم الأعظم وسمعته يقول مَن واظَب على أربعـين مرة كل يوم بين سُنَّـةِ الفجر وصلاة الفجر « ياحَيُّ يَاقيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث » حَصَلَت لَهُ حَيَاةُ القَلْبِ ولَمْ يَمُتْ قَلْبُه .

قال العلماء إعلم أنه لا يَقِفُ على الدواء مَن لا يَقِفُ على الداء إذْ لا مَعْنَى لِلدّواء إلَّا مُنَاقضَةُ أسْبَاب الداء ولا يَبْطُل الشيء إلا بضده .

وسَبَبُ الاصرار الغفلة والشهوة ولا تضادُ الغفلة إلا بالعِلم

ذكـر ابن القيم رحمه الله أن من كيده العجيب أنه يُشَام النفسَ حتى يَعْلم أيَّ القُوَّتَيْنْ تَغْلِبُ عليه قوة الإقدام والشجاعة أم قوة الانكفاف والاحجام والمَهانة .

فإن رأى الغالب على النفس المهانة والإحجام أخذ في تثبيْطِه وإضعاف همته وإرادته عن المأمور به وثقله عليه فهون عليه تَركه جَملةً أو يقصر فيه ويتهاون به .

وإن رأى الغالب عليه قوة الإقدام وعلو الهمة أخذ يُقَلِّلُ عنده المأمورَ ويُوهِمُه أنه لا يكفيه وأنه يحتاجُ مَعَه إلى مُبَالغةٍ وزِيادة ينقص بالأول ويتجاوز بالثاني .

كما قال بعض السلف : ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نَزْعَتَان ، إما إلى تفريط وتقصير ، وإما إلى مجاوزة وعلو ، ولا يُبَالي بأيِّهما ظَفر .

وقد اقْتَطَعَ أكثر الناس إلا أقلَّ القليل في هذين الوَادِيَيْنِ ، وادي التقصير ووادي المجاوزة والتعدي .

والقليل منهم جدًّا الثابت على الصراط المستقيم الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه .

فقومٌ قَصَّرَ بهم عن واجبات الطهارة .

وقومٌ تجاوز بهم إلى مُجَاوَزَةِ الحد بالوسواس .

وقومٌ قصَّرَ بهم عن إخراج الواجب من المال .

وقومٌ تَجَاوَزَ بهم حتى أخرجوا جميع ما بأيديهم .

وقومٌ قَصَّرَ بهم حتى عن تناول ما يَحتَاجُونَ إليه مِن الطعام والشراب واللباس حتى أضروا بأبْدَانهم وقُلوبهم .

وقومٌ تَجَاوَزَ بهم حتى أخذوا فَوق الحاجة فأضروا بقلوبهم وأبدانهم .

وقَصَّرَ بقوم في حق الأنبياء وورثتهم حتى قتلوهم .

وتَجَاوَزَ بآخرين حتى عَبَدُوهم .

وقَصَّرَ بقوم في خُلْطَةِ الناس حتى اعْتَزَلُوهُم في الطاعات كالجمعة والجماعات والجهاد وتعَلُّمِ العِلْم .

وتَجَاوَزَ بقَوم حتى خالطوهم في الظلم والمعاصي والآثام .
وقَصَّرَ بقوم حتى امْتَنَعُوا مِن ذَبْح عُصْفُورٍ أو شاةٍ ليأكلهُ .
وتجَاوَزَ بآخرينَ حتى جَرَّأهُم على الدِّمَاءِ المَعْصُومَةِ .
وقَصَّرَ بقوم حتى مَنَعَهُم مِن الاشتغال بالعلم النافع .
وتَجَاوَزَ بآخَرِيْنَ حتى جَعَلوا العِلْمَ وحْدَهُ هُوَ غَايتهم دُونَ العَملَ به .
وقَصَّرَ بقَومٍ حتى أطعَمَهُم مِن العُشب ونَبَاتِ البرية دونَ غِذَاءِ بني آدم .
وتَجَاوَزَ بآخَرين حتى أطعمهم الحرامَ الخالصَ .
وقَصَّرَ بقوم حتى زين لهم ترك سنة النبي ﷺ مِن النكاح فرغبوا عنه بالكلية .
وتجاوز بآخرين حتى ارتكبوا ما وصلوا إليه من الحرام .
وقَصَّرَ بقوم حتى جفوا الشيوخ من أهل الدِين والصلاح وأعرضوا عنهم ولم يقوموا بحقهم .
وتجاوز بآخرين حتى عبدوهم مع الله .
وقَصَّرَ بقوم حتى منعهم قبول أقوال أهل العلم .
وتَجَاوَز بآخرين حتى جعلوا الحَلالَ ما حَلَّلُوه والحرام ما حرموه وقدموا أقوالهم على سنة رسول الله ﷺ الصحيحة الصريحة .

وعد رحمه الله أشياء كثيرة يطول ذكرها إقتصرنا على ذكر بعضها والله أعلم وصلى الله على محمد واله وصحبه وسلم .

٦ (موعظـــــة)

قال الله جل ذكره ﴿وذكّر فإنّ الذكرَى تَنْفَعُ المؤمنين﴾ وقال جل وعلا ﴿فذكر إن نَفَعَتِ الذّكرى﴾ وقال عزَّ مِن قائل ﴿فذكّر بالقرآن من يخافُ وعيد﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ فذكر فما أنتَ بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون﴾ .

وقال تعالى ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ وقال جل وعلا ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ وقال جل وعلا وتقدس ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا﴾ .

وكان النبي ﷺ يتَخَوَّلُ أصحَابَهُ بالموعظة فالوعظ والتذكيرُ فريضتان واجِبتان ماضيتان على أهلهما بكتاب الله وسنة رسوله، ﷺ .

وقد أمر الله المُوْعَوْظِين بالاستماع والإصغاء للموعِظَة لِمَا فيها من المنافع العظيمة .

فعلى كل إنسان مهما جل قدره وعظم خطره أن يحرص ويجتهد على استماع الموعظة وقبول النصيحة لأنه إذا فعل ذلك فاز بقسطه الأوفر وحظه الأجزل واستحق من الله البشرى في العاجل والثواب في الآجل ومن عُقلاء خلْقِه الثناء الحسن والمدحَ والإكرام والدعاء .

فإنّ الله جل ذكره يقول ﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنَه﴾ ثم قال ﴿إولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾ .

وقد شَبَّه الله الكفرةَ المعرضين عن القرآن الذي هو مشتمل على التذكرة الكبرى والموعظة العظمى بالحُمُر قال تعالى ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حُمُرٌ مُستَنْفِرة فرَّت من قَسْوَرة﴾ فليحذر المسلم أن يتشبه بهم ويُعرض عن الموعظة .

وقد جعل الله جل ذكره الخَيْرَ في الاعتبار والاعتبار بالتفكير وحَثّ عليه في عِدَّة مواضِعَ من كتابه قال تعالى ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ وقال ﴿إن في ذلك لَعِبْرة لأولي الأبصار﴾ .

وقال جلا وعلا ﴿أو لم يتفكروا في أنفُسِهِم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجَلٍ مسمى﴾ وقال جل وعلا وتقدس ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ .

وقال عز من قائل ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾ وقال جل وعلا ﴿إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ .

فمن قريب ما يجبُ أن يُفكِّر فيه اللبيبُ ويتدبَّره أن يتذكر أحوالَ الأممِ والقرونِ الماضية والملوك الأولين الذين كانوا من أشد خلقِ الله قوةً وأكثر جمعا وأبيَن آثاراً وأطول أعماراً الذين بَنوا المدائن وجمعوا الخزائنَ وحفَروا الأنهارَ وعَمَّروا الديار وشيَّدوا القصورَ .

ودبروا الأمور وجمعوا الجُموع وقادوا الجُيُوش وساقوا الخيولَ ودَوَّخوا البلاد وأذلوا العبادَ ومشَوْا في الأرض مَرَحاً واختالُوا بما أوتوا فرحا فأخذهم الله بما كانوا يكسبون .

فأصبحوا بَعْد العز والمَنَعَة والملك والرفعة والصِّيت والسطوة والذكر والصولة عظاماً رميماً ورفاتاً هشيما وأصبحت منَازِلهم خاوية وقصورهم خالية وأجسادهم بالية وأصواتُهم هَادئة .

تُخبرك آثارُهم مُعاينة وتَقْرع سمعك أخبارُهم مجاهرة فلم يصحبهم من الدُنيا ما جَمَعوا ولم يَدْفع عنهم الرَّدى ما كسبوا ولَعَلهم نَدِموا حيثُ لم تنفعهُم النَّدامة وتلهفوا حيثُ لا يغني عنهم التلهف شيئا .

وإنّ الباقي عَمَّا قليل كالفاني والغابرُ عمَّا قليل كالماضي وما بينهما إلا أنفاسٌ معلومَة وأيامٌ معدودة سريعة الانقضاء قريبةُ الانتهاء .

فليحذر المُغتر بملكه والمُتَمَتِّع بعزه هذه الصَّرْعةَ وليستعدَّ لهَذه الوجبة ولْيَنْته لهذه الموعظة فإنّ الله جعلها في أوائل مواعظِه .

وكرَّرها في مواضِعَ من كتابه حيث جل وعلا وتقدس يقول ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشدَّ منهم قوةً وآثاروا الأرض وعَمَرُوها أكثر مما عَمَرُوها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ .

وقال تعالى ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ماكانوا يكسبون﴾ .

وقال جل وعلا وتقدس ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وماكان لهم من الله من واق﴾ .

وعد جل وعلا كثيراً منهم في كتابه ووصفهم وسماهم في خطابه حيث يقول ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سَوطَ عذاب إن ربك بالمرصاد﴾ .

وقال ﴿وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيرا﴾ هذا خَبَرُ أصدَقِ القائلين وهذا قول حق وقد جعَلَ الله بكل ما شُوهِدَ في أيامه وعوينَ في زَمانه ممن رُفعوا ثم وُضِعوا وعَلَوا ثم صُرعوا ودارَت عليهم الدوائر ونابتهم النوائب ما في بعضِه مَقْنَعٌ لمُعتبر وبلاغٌ لمذكر .

قالوا وأشرف أبو الدرداء صاحبُ رسول الله ﷺ على أهل حِمْصٍ فقال يا أهل حمص أتبنون ما لا تسكُنُون وتأملُون ما لا تدركون وتجمعُون ما لاتأكلون .

إنّ من كان قبلكم بَنَوْا شديدا وأمَّلوا بعيدا وجَمَعوا كثيرا فأصبحت اليوم مساكنهم قبورا وأمَلهُم غرورا وجمعهم بورا .

وقد قال أحد فصحاء الملوك في خطبته : ألم تروا مَصَارع من كان قبلكم

كيف استدرجتهم الدنيا بزخارفها ونفتهم ثم تركتهُم وقد تخلّت عنهم فهم في حيرة وظلمة مُدْلَهِمَّة تركوا الأهلين والأولاد والعيالَ والأموال .

مَسَاكِنُهُم القُبور وقد خلتْ منهم الدور وتقطَّعت منهم الأوصالُ والصُّدور وصاروا تراباً بالياً وكان الله لهم ناهياً قال تعالى ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور إن الشيطان لكم عدوٌّ فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير .

شعـــــــرا :

نُبكِي على الدنيا وما مِن مَعْشَرٍ ... جَمَعَتْهُم الدنيا فلَمْ يَتفرَّقُوا

أَيْنَ الأَكاسِرَةُ الجَبَابِرةُ الأُولَى ... كَنزُوا الكُنوزَ فما بَقِينَ ولا بَقُوا

مِن كُلِ مَن ضاقَ الفضَاءُ بجيشِهِ ... حتَّى ثَوى فحَواهُ لَحْدٌ ضَيِّقُ

خُرُسٌ إذا نُودُوا كأَنْ لم يفْهَمُوا ... أنَّ ا لكلامَ لهُم حَلالٌ مُطْلَقُ

فالموتُ آتٍ والنفوسُ نَفَائِسٌ ... والمُسْتَغِرُ بِمَا لَدَيْهِ الأحْمَقُ

آخــــــــر :

أُجِدَّكَ مَا الدنيــا وماذا نَعِيْمُها ... وهَــلْ هِيَ إلاَّ جَمْرَةٌ تَتَوقَّــدُ

لَعَمرِي لَقَدْ شَاهَــدْتُ فيها عَجَائِبًا ... وصَاحِبَنِي فيهـــا مَسوْدٌ وسَــيِّدُ

رأيــتُ بهـا أهْلَ المَواهِـبِ مَرَّةً ... وقد طَابَ عَيْشٌ والسُرور يُجَدَّدُ

فمـا رَاعَهمُ إلّا الـرُّزا يـا ثَـوابِتٌ ... عَليهِم وقـامَـت في أذاهـم تُحَشَّــدُ

وأَسْقَتْهُمُوْا كاساً مِن الذُلِ مُتْرَعاً ... وكـانَ لهُـم فَـوقَ السِّمَاكَينِ مَقْعَـدُ

ودَانَتْ لِمَنْ نـاوَاهُمْ بَعْضَ بُـرهَـةٍ ... على نَكَـدٍ فِي كُلِّ يَومٍ يُجَدَّدُ

اللهم وَفقْنَا لِلزُوْمِ الطَّرِيْقِ الذِيْ يُقَرِّبُنَا إلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُوْراً نَهْتَدِي بِهِ إلَيْكَ وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسَّرْتَهُ لأهْلِ مَحَبَّتِكَ وَأيْقِضْنَا مِنْ غَفَلاَتِنَا وَألْهِمْنَا رُشْدَنَا واسْتُرْنَا في الدُنْيَا والآخِرَةِ واحْشُرْنَا في زُمْرَةِ عِبَادِكَ المُتَّقِيْنَ والْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ واغفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ

والمَيِتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

فَصْلٌ

قَالَ عَلِيُّ بن أبي طالب مِن هَوان الدُنْيَا وحَقَارَتهاَ أنَّ الله أخرجَ أطَايِبهَا مِن خَسائِسِها فالدنيا سَبْعَةُ أشياء : مَأكولٌ ومَشْروبٌ وملبوسٌ ومشموم ومنكوح ومَسْمُوع ومُبْصَرٌ .

أمَّا المأكولات فأشرفها العَسل وهو لُعَابٌ ذُبَابٍ وأطيب المشروباتِ الماءُ ويَسْتوِي فِيْ شُربِهِ الأدمي والكَلْبُ والخِنْزِيْرُ والحِمارُ .

وأفضلُ الملبوساتِ الحريرُ والإبْرِيْسِم وهو لُعَابُ دُوْدَةٍ وأشرف المناكحِ النِسَاءُ وحقيقَتُهَا مَبَالٌ في مَبَال وأشرف المشموماتِ المِسْكُ وهو دَمُ غَزَالٍ والمَسْمُوع والمُبْصَرُ مُشْتَرِكٌ بَيْنَ ذلك وَبَيَنَ البهائِم .

قَدْ أَوْلَعَ الناسُ في الدنيا بأَرْبَعَـــةٍ أَكلٍ وشُرْبٍ ومَلْبُوسٍ وَمنكُــــوحِ
وغَايَةُ الكُلّ إنْ فَكَّرْتَ فِيهِ إلـــــى رَوْثٍ وبَولٍ ومَطْرُوحٍ ومَفضــــوحِ

فإن قيل ما السبب في حب الدنيا والتعلق بها والتكالب عليها مع كثرة همومها وغمومها وأنكادها فالجواب قلة المعرفة بعيوبها فلو كشف الغطاء لهربوا منها فإن قيل ما سبب زهد الأمراء في أبواب العلماء ورغبة العلماء فيما عند الأمراء قيل سبب زهدهم لقلة رغبتهم ومعرفتهم بالعلم وأما رغبة العلماء فلمعرفتهم بفضيلة المال عند الحاجة إليه والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم **(فائدة في مُعَالَجةِ حُبِّ الدنيا المستغرقِ لِلوقت)**

إعلم أن حُبَّ الدنيا يَنْدُرُ مَن يَسلم منه وهو يَنْبَعِثُ مِن طُولِ الأمل لأن

الانسانَ يَقُول الأيامُ بَيْنَ يَدَيَّ وأفْعَلُ غداً كَذَا وبَعدَ غَدٍ سَأَفْعَلُ وأَتمَتَّعُ بالدنيا والتوبةُ مفتوحٌ بَابُها وتتمادَى به الأيامُ في جمع الأموال وبناءِ القُصُور ونحو ذلك وتَتَشَعبُ آمالهُ إلى أن يَنْسَى أن النَّفَسَ الواحِدَ يُبَعِّدُهُ مِن الدُنيا ويُدْنِيهِ من الآخرة .

وما نَفَسٌ إلّا يُباعِدُ مَوْلِداً ... ويُدْنِي الْمَنَايَا لِلنُّفوسِ فَتَقْرُبُ

ولكن مِن العلاج النافِع أن يَقُول الموتُ لَيْسَ بِيدِي فكيفَ اعْتَمِدُ على الحياة فَرَبُّنَا قضَى والموتُ لا يَتَأَخرُّ بِكراهَتِي قال الله جل وعلا ﴿ فإذا جَاء أجلُهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ وقال عَزّ مِن قائل ﴿ ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلُها ﴾ .

ومن ذلك أن يقول هَبْنِي جَمَعْتُ الدنيا أَلَيْسَ عندَ الموت أتركُ ذلكَ وأسْأَل عنه ويَتَمَتَّعُ فيه غَيْرِي فَلِمَا لا أُفكِرُ في ذلك أجمَعُ الدنيا لِغيري وَأَبُوءُ بِحِسَابِهَا وأَضْرَارِهَا . وأكون كما قال الشاعر :

كَدُودٌ كَدُودِ القَزِّ يَنْسِجُ دَائِماً ... ويَهْلِكُ غَمّاً وَسْط ما هُوَ نَاسِجُ

آخر : وذِي حِرصٍ تَرَاهُ يُلِمُّ وَفرًا ... لِوَارِثِهِ ويَدْفَعُ عن حِمَاهُ

ككَلْبِ الصَّيْد يُمْسِكُ وهُو طَاوٍ ... فَرِيسَتَهُ لِيَأْكَلَهَا سِوَاهُ

ومِن العلاج أن يَعْلَم أن مَن كانتْ دُنياهُ أكثرُ حَسْرَتُه أَشَدَ وخَوفُه أعظَمَ بخِلافِ مَن كان أخفّ منه دُنْياً فأمْرهُ أسهَلُ فصَاحِبُ الألفَين أشدُ حِسَاباً مِن صاحِب الألِف وهَلمَّ جرًّا .

ومِن العلاج زِيارَةُ المقابر والنظرُ في مَصَارِع الآباءِ والأُمَّهَاتِ والأخوة والأخَوات وسَائِرِ القَرَابَاتِ والأقْرَان والزُملاء والأصْدِقاء ويَزوُرُ المُسْتَشفيات والمرضَى والسجون والمستوصفات لِيشكر الله على نِعمه العظيمة .

تَزَوَّدْ مِن الدُنيا فإنكَ رَاحِلُ ... وَبَادِرْ فإنَّ الموتَ لا شَكَّ نَازِلُ

آخر : خَلتْ دُورُهُم منهم وأقْوتْ عِراصُهُم ... وساقَهُمُ نَحْو المنَايَا المَقَادِرُ

وخلّوْا عَن الدُنيـا ومـا جَمعُوا لهـا وضَمَّهُـمُ تَحْـتَ التُرابِ الحَفَـائِرُ

آخر: وعَضتَكَ أجْدَاثٌ وهُنَّ صُمُوْت وَأصْحَابُهَا تَحْـتَ التُراب خُفُـوْتُ

أيـا جَـامِعَ الدنيـا ومُهْمِـلُ نَفسِهِ لِمَنْ تَجْمَـعِ الدُنْيَـا وأنْتَ تَمُـوْتُ

ومن العلاج أن يَنظُر الانسان إلى جِسْمِه وانحلال قُواهُ واشتَعال الشيب الذي هو بَرِيْدُ الموت وضُعْفِ نَظَرِهِ وسَمْعِهِ وتَقَارُبَ خُطاه وسُقُوطِ أَسنانِهِ.

تَسَاقَطُ أسْنِانٌ ويَضْعُفُ نـاظِـرٌ وتَقْصُـرُ خُطْـواتٌ ويَثْقُـلُ مَسْمَعُ

ومِن العلاج أن تقوْلَ الرُسُلُ أعْلَمُ مِني قَنِعُوا بالقُوت ورَضُوا بالكَفَافِ وما طَلَبُوا الدُنيا فلمَاذا أنْهَمِكُ فيها وأُحْرِقُ نَفْسِي وأغْفُلُ عن ما قُدَّامِي مِن الأهَوالِ والعَظائِم التي أنا مُقْبِلٌ عَليها في الآخرة.

أين الملوكُ أينَ الجَبَابِرَة أينَ الطُغاةُ وأعوانُهم انظُري يا نَفْسُ هَلْ بَقِي منهم أحَدٌ قال تعالى ﴿هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً﴾.

ومِن العلاج أن تَقُولَ نَفرِضُ أنك مَلَكْتِ الدُنيا بأسْرِها وَصَفا لَكِ عذْبُها وزِلالُها وَأدْرِكْت الأماني ألَيْسَ آخِرُ ذَلِكَ الموتُ وعاقِبَته الفَوتُ فِلماذَا تُحْرِقُ نَفْسَكَ في طَلَب ما هُوا عَارِيَّةٌ وَوَدِيْعَةٌ ولا تَذْهب إلاَّ بالكفَنِ فقط.

فَقُـلْ لِلَّذِي قـد غـرَّهُ طُـولُ عُمْـرِهِ وما قَـدْ حَـوَاهُ مِن زَخَـارِفَ تَخْـدَعُ

أفِـقْ وانظُـرِ الـدُنيـا بعَيْـنِ بَصِيْـرَةٍ تَجِـدْ كُـلُّ ما فيهـا وَدَائـعَ تَـرْجِـعُ

آخـر:

ومـا المـالُ والأهْـلُوْنَ إلاّ وَدَائـعٌ وَلابُـدَّ يَـومـاً أنْ تُـرَدُّ الـوَدَائِـعُ

آخر: هَوِّنْ عَلَيْكَ فما الدُنْيا بِدَائمةٍ وَإنَّمَـا أنْـتَ مِثْـلَ النـاسِ مُغْـرُوْرُ

ولـو تَصَـوَّرَ أهـلُ الـدهْـرِ صُـورَتَـهُ لـم يُمْسِ منهُـمْ لَبِيبٌ وَهْـوَ مَسْـرُورُ

آخر: لَمَا تُؤْذِنُ الدُّنْيَا به مِن صُرُوْفِهَا يكُـونُ بُكَـاءُ الطِفْـلِ سَـاعَـةَ يُـوْلَـدُ

آخر: نَصِيْبُكَ مِمَّا تَجْمَعَ الدَّهْرَ كُلَّهُ رِدَاآنِ تُطْـوىَ فِيْهِمَـا وحَنُـوطُ

والله أعلم وصلّى الله على محمّدٍ وآلِهِ وسلّم

(فَصْـلٌ)

عن إبراهيم التيمي قال يَنْبَغِي لِمَنْ لا يَحْزَنْ أن يَخَافَ أن يكون مِن أهل النار لأن أهل الجنة قالوا «الحمد لله الذي أذْهَبَ عنا الحَزَنَ» ويَنْبَغِي لمِن لم يُشْفِقْ أن يَخافَ أن لَا يكون مِن أهل الجنة لِأَنَّهمُ قالوا «إنا كنا قَبْلُ في أهْلِنَا مُشْفِقِين» .

وعن الفضيل بن عياض قال قِيل لِسُليمان التيمي أنْتَ وأنْتَ أيْ يُثْنُونَ عليه قال لا تقُولوا هكذا فإني لا أدْرِيْ ما يَبْدُوْ لِيْ مِن رَبي عز وجل سَمِعْتُ الله عز وجل يقول ﴿ وبَدَا لهم مِن الله ما لم يكونوا يَحْتَسِبُون ﴾ وإني أخْشَى أن يَبدو لي مِن الله ما لم أكن احْتَسِبْ .

وعن عكرمة عن محمد بن المنكدر أنه جَزِعَ عِندَ الموتِ فَقِيْلَ لَهُ لِمَ تَجْزَعْ فقال أخْشَى آيةً مِن كتاب الله عز وجل قال الله تعالى ﴿ وبَدا لهم مِن الله ما لم يَكونُوا يَحتَسِبُون ﴾ وإني أخشَى أن يَبْدُو لي مِن الله ما لم أكُنْ أحْتَسِبْ .

قلت وفيه آيات أخرى يَنْبغي أن تكون نَصْبَ عَيْنِي العاقل اللبيب وذلك قوله تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غَفْلةٍ وهم لا يؤمنون ﴾ وقوله تعالى ﴿ يومَ تَبْلُوا كل نَفْسٍ ما أسْلَفتْ ﴾ وقوله ﴿ أن تقول نفس يا حسرتا على ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ الله وإنْ كُنْتَ لمِنَ السَّاخِرين ﴾ وقوله جل وعلا وتَقَدس ﴿ لَولَا أخرتني إلى أجل قريْب فأصَّدَق وأكن من الصالحين ﴾ .

وقال عبدُ الأعلى التَّيمِي شَيْئان قَطَعا عَنى لَذّة الدنيا ذِكْرُ الموت والوقوفُ بينَ يدي الله عز وجل .

وعن أبي إسحاق قال أوَى أبُو مَيْسَرَة عَمرو بن شُرحبيل إلى فِراشه فقال

ياليتَ أمّي لم تَلِدْني فقالت لَه إمرأته أبا مَيسَرَة أليسَ الله قد أحسنَ إليكَ هَدَاكَ للإسلام وفَعَلَ بكَ كذا قال بَلى ولكن الله أخبرنا أنا واردونَ على النار ولم يُبيِّن لنَا أنَّا صادِرُون عنها .

وقال الحسنُ إنَّ المؤمِنَ يُصبِحُ حَزيناً ويُمْسي حَزيناً ويَنقلبُ باليقين في الحُزْن ويَكفيه ما يَكفِي العُنَيْزةَ الكفُّ مِن التمرِ والشَّربَةُ مِن الماء .

وقال حبيبُ ابن أبي ثابت ما استقرضتُ مِن أحد شيئا أحَبُّ إلى من نَفسي أقولُ لها أمْهِلِي حتى يَجيء مِن حيثُ أحِبُّ .

شعـــــراً :

إذا رُمتَ أنْ تَستَقْرِضَ المالَ مُنْفِقاً على شهواتِ النَّفْسِ في زَمَنِ العُسْرِ
فَسَلْ نَفسَكَ الإنفاقَ مِن كَنْزِ صَبْرِها عَلَيْكَ وإنْضاراً إلى زَمَنِ اليُسْرِ
فإن فَعَلَتْ كُنْتَ الغَنيَّ وإن أبَتْ فكُلّ مَنُوع بَعْدَها واسِعُ العُذْرِ

وقال الثَّوري ما ضرَّهُم ما أصابَهُم في الدنيا جَبَر الله لهم كلّ مُصيبَةٍ بالجنة . وسأل رجل سفيان الثوري فلم يكن معه ما يعطيه فبكى سفيان فقال له مِسْعَرُ بنُ كُدَام ما يُبْكِيكَ قال وأيُّ مُصيبة أعْظَمُ مِن أن يُؤَمِّلَ فيكَ رَجَلٌ خيراً فلا يُصيبُه عِندكَ .

وبكَى ثابِتُ حتى كَادَتْ عَيْنُه تَذْهَب فجاؤا برجَل يُعَالجها فقال الرجُلُ أعَالِجُها علىَ أن تطيْعَني قال وَأيُ شيءٍ قال عَلى أن لا تَبْكِي قال فما خَيْرُهُما إن لم تَبْكِيَا وَأبَى أنْ يُعَالِجَهَا .

وكان شقيقُ بن سَلمة إذا صَلى في بَيتِهِ يَنْشُجُ – أيْ يَخْشَعُ وَيَبكِي – ولو جُعِلت له الدنيا على أن يَفْعَلَهُ وأحَدٌ يَسْمَعُهُ أو يَراهُ ما فَعَلَهُ – أي يَخْشَى من الريَاء . رَوَى شدادُ بنُ أوس أنَّ النبي ﷺ قال «أخْوَف ماأخَاف على أمَّتِي الرِّيَاء» .

وكان عَمْرُو بنُ عُتْبَةَ بنُ فَرْقَد يَخرجُ على فرسِهِ ليلاً إلى المقبرة فَيقفُ على القُبور فيقولُ يَا أهلَ القُبور قد طُوِيَتْ الصُحُفُ وقد رُفِعَت الأعمالُ ثم يَبكي ويَصُفُ قَدَمَيْهِ حتى يُصْبِحَ فيرجِعَ فيشَهدَ صَلاةَ الصُبح .

وقالت إمْرأةُ حسانِ بن سِنان كان يَجِيءُ فيدخل مَعِي في فِراشي ثم يُخَادِعُني كما تُخادِعُ المرأةُ صَبِيَّهَا فإذا عَلِمَ أني نُمْتُ سَلَّ نَفْسَه فخرجَ ثم يقوم فيُصَلِي قالت فَقُلْتُ لَهُ يا أبَا عَبدَ الله كم تُعَذِبُ نَفسَكَ أرفُقْ بنَفسِكَ فقال اسكُتِي ويْحَكِ فَيُوشِكُ أنْ أرقُدَ رقدةً لا أقومُ منها زَمَاناً .

عن عبد الله بن المبارك قال حدثنا وهَيْبُ قال ما اجتمع قومٌ في مجلس أوْ مَلأ إلا كان أوْلَاهُم بالله الذي يَفْتَتِحُ بذكِرِ الله حتى يُفِيضُوا في ذِكْرِهِ وما اجتمع قومٌ في مجلس أو ملأ إلا كان أبْعدهم مِن الله الذي يَفتتِحُ بالشرِ حتى يخوضوا فيه وفي الحديث طُوبَى لِمَنْ كان مِفْتاحاً لِلْخَيْرِ مِغلاقاً لِلشرِ وَوَيْلٌ لِمَنْ كان مِفْتاحاً لِلشرِ مِغْلاقاً لِلْخَيْر .

« فصل »

كتب عُمرُ بنُ عبدالعزيز إلى سالم بن عبدالله أن اكتب إلى بشيء مِن رَسائِل عُمَرَ بن الخطاب فَكَتَبَ أن يَا عُمرَ اذكر الملوكَ الذين تَفقَأَتْ أعينُهم الذينَ كانَتْ لا تَنْقَضِي لَذَاتُهم وانْفَقَأتْ بُطُونُهم الّتِي كانُوا لا يَشْبَعُونَ بها وصَارُوا جِيفاً في الأرض وتَحْتَ أكنَافِها أن لو كانت إلى جَنْب مِسْكِين لَتَأذى بريحِهم .

وقال بلالُ بنُ سَعَدٍ رُبَّ مَسْرُورٍ مَغْبُون ورُبَّ مَغْبُون لا يَشْعُر فَوَيلٌ لِمَن له الويلُ ولا يَشْعر يأكلُ ويشربُ ويَضْحَكُ ويَلْعَبُ وقَد حَقَّ عليه في قضاءِ الله أنه مِن أهلِ النار .

عن عون بن عبد الله بن عُتْبَةَ أنه كان يقول يا وَيْحَ نَفْسِي كَيفَ أغْفُلُ ولا يُغْفَلُ عني أمْ كيفَ تَهنِيْنِي مَعِيْشَتِي واليومُ الثقيلُ وَرَائِي أمْ كيفَ يَشتد عُجْبِي بِدارٍ في غيرها قَرَارِي .

وكان دَاوُد الطائي في دارٍ واسِعَةٍ خَرِبَةٍ ليسَ فيها إلاّ بَيْتٌ ولَيسَ على بَيته بابٌ فقالَ بعضُ القوم أنتَ في دَارٍ وَحْشَة فلو اتخذتَ لبَيْتِكَ هذا بَاباً أما

تستَوحِشْ فقال حَالَتْ وحْشَة القبْرِ بَيْني وبَيْنَ وَحْشَةِ الدنيا .

وقال محمدُ بنُ كعب : الدنيا دَارُ فناءٍ مَنْزِل بُلْغَةٍ رَغِبَتْ عنها السُعداء وأسْرَعَتْ مِن أيدِي الأشقِياءِ فأشقى الناس بها أرغبُ الناس فيها وأسْعَدُ الناسِ فيها أزْهَدُ الناس بها هي المعذِبَةُ لِمَن أطَاعَها المُهْلِكَة لِمَنْ اتَّبَعَها الخائنةُ لِمن انقادَ لَهَا عِلْمُها جَهلٌ وغِناؤُها فَقْرٌ وزيادتها نُقْصَانٌ وأيامُها دُوَل .

وعن بكر بن محمد قال : قُلْتُ لِداود الطائي أوصِني قال : عَسْكَرُ الموتى يَنْتَظِرُوْنكَ .

وقال أبو حازم : مَن عَرفَ الدنيا لم يَفْرحْ فيها بِرَخَاء ولم يَحْزَنْ على بَلْوَى .

وقال ابنُ المبارك : أهلُ الدنيا خَرَجُوا مِن الدنيا قَبْلَ أن يَتطَعَّمُوْا أطيبَ ما فيها قيل لَهُ وما أطيبُ ما فيها قال المعرفةُ بالله عز وجل .

وقال شَدَّادُ بْنُ أوْسٍ رضي الله عنه : إنكم لم تَرَوا مِن الخَيرِ إلا أسْبَابَهُ ولم تَرَوْا مِن الشرِ إلا أسْبَابَهُ الخيرُ كلُه بِحَذَافِيرِهِ في الجنةِ والشرُ كلُه بحذافيره في النَار وإن الدنيا عرضٌ حاضرٌ يأكلُ منه البَرُ والفاجر والآخرةَ وعْدٌ صَادِقٌ يحكمُ فيها ملكٌ قاهِر ولِكُلٍ بَنُون فكوُنُوا مِن أبناءِ الآخرةِ ولا تكونوا مِن أبناءِ الدنيا .

وقال عُمَرُ بنُ ذَرٍ اعْمَلُوا لأنْفُسِكُم رَحمكمُ الله في هذا الليل وسوادِهِ فإنَّ المغبونَ مَن غُبِنَ خَيرَ الليلِ والنهارِ والمحرومَ مَن حُرِمَ خيرهما وإنما جُعِلا سَبِيْلاً لِلْمُؤمنين إلى طاعةِ رَبهم وَوَبَالاً على الآخَرِين لِلْغَفَلَةِ عن أنفُسِهم فأحْيُوا لله أنفسَكم بِذِكرِهِ .

فإنما تَحيَا القلوب بذِكر الله كم مِن قائم في هذا الليلِ قَد اغْتَبَط بقيامِهِ في حُفْرَتِهِ وكم مِن نائم في هَذا الليل قَدْ نَدِمَ على طُول نَومِهِ عندَ ما يَرى مِن كَرامَةِ الله عَز وجل لِلْعَابِدينَ غَداً فاغتَنِمُوا مَمَرَّ الساعاتِ والليالي والأيام .

وقال رَجُلٌ لِدَاود الطائي أوصِنِي فَدَمَعَتْ عَيناهُ ثم قال لهُ يَا أخِي إنَّما اللّيلُ والنهارُ مَرَاحِل تَنْزِلُ بالناسِ مَرْحَلةً مرحلة حتى يَنْتَهِي بهم ذلكَ إلى آخر

سَفرهم فإن استَطِعْتَ أنْ تُقَدّمَ في كُلّ يَوم مَرحَلةً زاداً لِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ فافعل .

فإنَّ انْقِطَاعَ السَّفر عن قريب والأمْرَ أعْجَل من ذلكَ فَتزوَّدْ لِسَفرِكَ واقْضِ ما أنتَ قاض مِن أمرِكَ فكَأنَّكَ بالأمرِ قَدْ بَغَتَكَ إني لأقولُ هَذا ومَا أعلَمُ أحَداً أشدَّ تضْيِيْعاً مِني لِذَلِكَ ثم قام .

وجاءَ دَاوُد الطائي أحَدُ أصْحَابِهِ بالفَي دِرْهمٍ وقال هَذَا شَيءٌ جَاءَ الله به لم تَطْلُبه ولم تَشْرَهْ له نَفسكَ قال دَاوُد إنَّه لَمِنْ أمثَلِ ما يأخُذُوْنَ قال فما يَمنعُكَ منه قال لَعَلَّ تَرْكَهُ أن يكونَ أنْجَى .

وقال محمدُ بنُ واسِع : لقد أدْرَكت رِجَالاً كان الرجُل يكون رأسُه مَعَ رأسِ إمرأتِهِ على وسَادَةٍ واحدةٍ قدْ بلَّ مَا تحتَ خدِّهِ من دُمُوعِهِ لا تشعُر بِهِ إمرأته ولقَدْ أدركتُ رجالًا يقومُ أحَدهم في الصَّفِ فتسيلُ دُمُوعُه على خدِّهِ ولا يشعُرُ به الذي إلى جَنْبِهِ .

وقال سلمانُ الفارسي رضي الله عنه أضْحَكَني ثلاثٌ وأبكاني ثلاث ضحكتُ مِنْ مُؤمِّل الدنيا والموتُ يطلُبه وغافل لا يُغْفَلُ عنه وضاحِكٍ مِلء فيه لا يدري أمُسْخِطٌ ربَّهُ أم مُرْضِيه .

وأبْكاني ثلاثٌ فُرقَةُ الأحِبَّةِ محمدٍ وحِزبه وهولُ المطلع عند غمراتِ الموتِ والوُقُوفُ بينَ يَدَيْ ربِّ العالمين حينَ لا أدري إلى النارِ انصرافي أم إلى الجنة .

وقال أحدُ السلَفِ لأنْ أعْلم أنَّ الله تَقبَّل مِنّيْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِن خَرْدَلٍ أحَب إلي مِن الدنيا وما فيها لأن الله تعالى يقُول ﴿ إنما يتقبل الله مِن المتقين ﴾ .

وقال إبراهيم التيمي مَثَّلْتُ نَفْسي في النارِ أعالج أغْلالَها وسَعيْرَهَا وآكُلَ مِن زَقُومِهَا وأشربُ مِن حَمِيْمها فَقُلْتُ يا نفسُ أيُ شيءٍ تَشْتَهِيْن قالَتْ ارْجِعُ إلى الدنيا أعْمَلُ عَمَلاً أنْجُو به مِن هَذا العذاب .

وَمثَّلْتُ نفْسِي في الجنةِ مَع حُورها ألْبسُ مِن سُنْدُسِهَا وإستبْرقِهَا وحَرِيرِها

فقلتُ يا نَفسُ أيُ شيءٍ تَشتَهِين قَالَتْ أرْجعُ إلى الدنيا فأعمَلُ عَمَلاً أزْدَادُ بِهِ مِن هذا الثواب فَقُلْتُ الآنَ أنْتِ في الدنيا وفي الأمنية. والله أعلم وصلّىٰ الله على محمد وآله وسلم .

٧ موعظة

عِبَادَ اللّهِ إنَّ مِفْتَاحَ سَعَادَةِ المَرءِ في دُنْيَاهُ وأُخْراهُ أنْ يُرَاقِبَ مَوْلاَهُ بِحَيْثُ يَكُونُ في كُلِّ حَالٍ مِنْ أحْوالِهِ مُسْتَحْضِراً عَظَمَةَ رَبِّهِ وَجَلاَلَه ولا يَنْساهُ مُؤْمِناً بأنهُ تَعالَى يَراهُ أيْنَما كانَ وَيَعْلَمُ سِرَّهُ وَنَجْوَاهُ فَمَنْ كَانَ هَكَذا أوْرَثَهُ ذَلِكَ خَشْيَةَ رَبِّهِ في سِرِّهِ وَعَلاَنِيَتِهِ ، فَإذَا خَافَ الأنْسَانُ رَبَّهُ خَوْفاً صَحِيْحاً وَقَفَ وَلاَ بُدَّ عِنْدَمَا حُدَّ لهُ مِن حُدُودٍ يَفْعَلَ أوَامِرَهُ وَيَجْتَنِبُ نَوَاهِيَهُ ، لا يَحْمِلُهُ عَلَى ذَلِكَ إلاَّ إجْلاَلُهُ لِرَبِّهِ ، وَمِنْ أبْعَدِ البُعْدِ أنْ يَقْرَبَ المَعْصِيَةَ مَنْ كَانَ هَكَذَا ، لأنَهُ يَسْتَحْضِرُ أنَّ اللهَ تَعالَى يَراهُ ، ويُوْقِنُ أنَّ اللهَ تَعَالَى يُجَازِيْهِ عَلَى كُلِّ مَا قَدَّمَ مِنْ طَاعَةٍ أو مَعْصِيَةٍ فإذَا وَصَلَ العَبْدُ إلى هَذِهِ الحَالَةِ كانَ مَعَ تَوْفِيْقِ اللهِ لهُ مِنْ صَفْوَةِ خَلْقِ اللهِ المتَّقِيْنَ الذِيْنَ لِلَّهِ تَعالَى بِهِمْ عِنَايَة فَوْقَ مَا يَتَصوَّرُه المُتَصَوِّرُونَ هُوَ أنهُ تَعالَى أخْبَرَهُ عن مَبْلَغِ هَذِهِ العِنَايَةِ في الكِتَابِ المُبِيْنِ أخْبَرَ تعالَى أنَّهُ مَعَهُم لِمَا هم عليه مِمّا وَفَّقَهُمْ لَهُ مِنْ تَقْوَى وَاحْسَانٍ ، وإذا كانَ الأمرُ هَكَذا . فَمِنْ يَغْلِبُ التَقِيَّ وَمَعَهُ القَاهِرُ الغَلاَّبُ وَمَنْ يُذِلُّهُ وَمَعَهُ مَنْ بِيَدِهِ نَاصِيَةَ كُلِّ مَخْلُوقٍ وَمَنْ يُحوِجُهُ وَمَعَهُ مَن كُلُّ العَوَالِمِ تَتقَلبُ في بَحْبُوحَةِ جُودِهِ وكَرَمِهِ البَاهِرْ ، ومَنْ يُشْقِيْهِ وَمَعَهُ مَنْ لا سَعَادَةَ إلا وهِيَ مِنْ فَيْضِ كَرَمِهِ وإحْسَانِهِ . فَعَلَيْكَ بِلُزُوْمِ تَقْوَىٰ اللهِ وَطَاعَتِهِ تَنَلْ السَّعَادَةَ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، قَالَ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أفْضَلُ الأيْمَانِ أنْ تَعْلَمَ أنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ » رَوَاهُ الطَبَرَانِيّ .

شِعْراً

أَعَـارَتْـك دُنْيَـاً مُسْـتَردٌّ مُعـارُهَـا ... غَضَارَةَ عَيش ٍ سَوْفَ يَذْوِى اخْضِرَارُها

وهَـلْ يَتَمَنَّى المُحْـكَمُ الرأى عِيْشَةً ... وقـد حَـانَ مِن دُهـم المَنَـايا مَزارُها

وكَيـفَ تَلـذُّ العَينُ هَجْعَةَ سَـاعَةٍ ... وقـد طَـالَ فِيـهَا عَـايَنَتْهُ اعْتِبَارُهـا

وكَيفَ تَقِـرُّ النَّفْـسُ فـي دَار نُقْـلَةٍ ... قـد اسْـتيقَنَتْ أَنْ لَيسَ فيها قَرارُهَا

وأنَّ لَهَا فِي الأَرض خَـاطِرُ فِكْـرَةً ... ولَـمْ تَـدْرِ بَعْـدَ الموتِ أَيْنَ مَحَارُهَا

أَلَيسَ لَهَا فِي السَّعْي لِلْفوز شَاغِلٌ ... أمَـا فِي تَوَقِّيهَا العَذابَ ازْدِجارُها

فَخَابَتْ نُفُوسُ قَـادَهَا لَهْـو سَـاعَةٍ ... إلَىَ حَـرِّ نَـارٍ لَيْـس يَطْـفَى أُوارُهَـا

لَهَـا سَـائِقٌ حَـادٍ حَثِيْثٌ مُبَـادِرٌ ... إلَى غـير ما أَضْحَى إليـه مَـدَارُهَـا

تُـرادُ لأَمْـرٍ وهْـيَ تَطْـلُبُ غَـيرَهُ ... وَتَقْصِـدُ وَجْهـاً في سِـوَاهُ سِـفَارُهَا

أَمُسْـرِعَـةٌ فِيمَـا يَسُـوءُ قِيـامُهَـا ... وقَدْ أَيْقَنَتْ أنَّ العَـذَابَ قُصَـارُهَا

تُعَطِّلُ مَفْـرُوْضـاً وتَعْـنَى بفَضْـلَةٍ ... لَقَـدْ شَـفَّهَا طُغْيَـانُهَا واغْـترارُها

إلـى مَا لَهَـا مِنْهُ البَـلاءُ سُكُونُهَا ... وعَمَّـا لَهَـا مِنـهُ النَّجَاحُ نِفَـارُهَـا

وتُعْرِضُ عن رَبِّ دَعَـاهَا لِرُشْـدِهَا ... وتَتَبـعُ دُنْيـاً جَـدَّ عنهـا فِـرارُهَـا

فيـأَيُّهـا المَغْـرُوْرُ بـادِرْ بِـرَجْعَـةٍ ... فَلِلَّـهِ دَارٌ لَيْسَ تَخْمُـدُ نَـارُهَـا

ولا تَتَخَـيَّرْ فَانِيـاً دُوْنَ خَـالِـدٍ ... دَلِيلٌ على مَحْضِ العُقـول اخْتِيَارُهَا

أَتَعْـلَمُ أنَّ الحـقَّ فِيْمَـا تَـركْتَـهُ ... وتَسْـلُكُ سُـبْلاً لَيسَ يَخْفَى عِوَارُهَا

وتَتْرُكَ بَيْضَـاءَ المَنَـاهِجَ ضِـلَّةً ... لِبَهْمَاءَ يُؤْذِيْ الرِّجْلَ فيها عِثَارُهَا

تُسَـرُّ بلَهْـوٍ مُعْقِـبٍ بنَـدَامَـةٍ ... إذا مَا انْقَضَى لا يَنْقَضِيْ مُسْتَشَارُهَا

وتَفْنَى اللَّيَـالِي والمَسَـرَّاتُ كُلُّهَا ... وتَبْقَى تِبَـاعَـاتُ الذُّنـوب وعَـارُهَا

فَهَـلْ أَنْتَ يا مَغْبُـونُ مُسْتَيْقِظٌ فَقَدْ ... تبَيَّنَ مِن سِـرِّ الخُطُـوبَ اسْـتِتَارُهَـا

فَعَجِّلْ إلىَ رِضْـوانِ رَبِّـكَ واجْتَنِبْ ... نَـوَاهِيَـهُ إذْ قَـدْ تَجَلَّى مَنَـارُهَـا

تَجِدُّ مُـرُوْرُ الدهـرِ عَنْكَ بلاَعِبٍ ... وتُغْـري بدُنيـا سَـاءَ فِيْكَ سِرَارُهَا

فَكَمْ أُمَّـةٍ قَدْ غَـرَّهَا الدَّهْـرُ قَبْلَنَا وهَـاتِيْـكَ مِنها مُقْفِـرَاتٌ دِيَـارُهَـا
إِذَا حَفُّهُـمْ عَفْـوُ الإلـهِ وفَضْـلُهُ وأَسْـكَنَهُم دَاراً حَلاَلاً عقَـارُهَـا
يَفـزُّ بَنُـو الدنيـا بِدُنْيـاهُـم الَّتِي يُظَنُّ على أهلِ الحظوظ اقْتِصَارُهَا
هِيَ الأُمُّ خَـيرُ الـبِرِّ فيها عقُـوقُهَا ولَيْسَ بغيرِ البَذلِ يُحْمَى ذِمارُهَا
فمـا نَـالَ منهـا الحـظَّ إلا مُهِيْنُهَا ومَـا المُلْكُ إلاَّ قُـربُها واعْتِمـارُهَا
تَهـافَتَ فيهـا طَـامِعٌ بَعْدَ طَامِـعٍ وقَـد بـانَ لِلُّـبِ الـذَّكِيِّ اخْتِبَارُهَا
تَطَامَنْ لغَمْرِ الحادِثاتِ ولا تَكُنْ لَهَا ذَا اعْتِمـارٍ يُجْتَنَبْكَ غِمَـارُهَـا
وإيَّـاكَ أَنْ تَغْـتَّرَ منهـا بمـا تَـرَى فَقَدْ صَـحّ في العقلِ الجَلي عِيَارُهَا
رَأَيْتُ مُلُوكَ الأرضِ يَبْغُـونَ عُـدَّةً ولَـذَّة نَفْـسٍ يُسْتَطابُ اجْـترَارُهَا
وخَـلَّوا طَـرِيْقَ القَصْدِ في مُبْتَغَاهُمُ لِتَّبِعَةِ الصِفَـارُ جَـمٌّ صِغَـارُهُ
وإن الَّتِي يَبغُـونَ نَهْـجَ بَقِيَّـةٍ مَكِينٌ لِطُلاب الخَلاصِ اخْتِصَارُهَا
هَل العِـزُّ إلاَّ هِمـةٌ صَـحَّ صَـوْنُهَا إذا صَـانَ هَمَّاتِ الرجـالِ انْكسَارُهَا
وهَـلْ رَابِـحٌ إلا امْـرُؤٌ مُتَـوكِّـلٌ قَنُـوعٌ غَنِـيُّ النَّفْـسِ بـادٍ وَقـارُهَـا
ويَلْقَـى وُلاةُ المُلْكِ خَـوفـاً وفكـرةً تَضِيْقُ بها ذَرْعـاً ويَفْنَى اصْطِبَارُهَا
عِيـاناً نَـرَى هـذا ولَكِـنَّ سَـكْرَةً أَحَـاطَتْ بنـا مَا إن يُفِيْقُ خُمَـارُهَا
تَدَبَّرْ مَن الباني عَلَى الأرضِ سَقْفَهَا وفِـي عِلْمِهِ مَعْمُـورُهَا وقِفَـارُهَـا
ومَن يُمْسِكُ الأجرامَ والأرضَ أَمْرُهُ بِـلاَ عَمَـدٍ يُبْـنَى عَلَيـهِ قَـرارُهَـا
ومَـنَ قَـدَّرَ التَّـدبِـيْرَ فِيهـا بحِكْمَةٍ فَصَـحَّ لَـدَيْهَـا لَيْلُهـا ونَهـارُهَـا
ومَنَ فَتَقَ الأمـواهَ في صَفْحِ وَجْهِهَا فَمِنهـا يُغَـذِّي حَبُهـا وثِمـارُهَـا
ومَـن صَـيَّرَ الألـوانَ في نَـوْرِ نَبْتِها فأشـرقَ فيها وَرْدُهَـا وبَهَـارُهَـا
فَمِنْهـنَّ مُخْضَـرٌّ يَـرُوقُ بَصِيْصُـهُ ومِنْهنَّ مَـا يَغْشَى اللَّحَاظَ احْمِرارُهَا
ومَـن حَفَـرَ الأنهـارَ دُوْنَ تَكلُّـفٍ فَثَارَ مِن الصُـمِّ الصِّلاب انْفِجَارُهَا

وَمَن رتَّبَ الشمسَ المنيرَ ابْيِضَاضُهَا ... غُـدوّاً وَيبْـدُو بالعَشِـيّ اَصْـفرارُهَا
ومَن خَلـقَ الأفـلاكَ فامْتـدَّ جَـرْيُهَا ... وأَحْكَمَهَا حتى اسْـتَقَامَ مَـدَارُهَا
تَذَكَّـرْ عَـلَى مَا قَدْ مَضَى واعْتَبِرْ بِـهِ ... فـإنّ المُذَكّيْ لِلْعُقُـولِ اعْتِبَـارُهَـا
تَحَامَى ذُراهَا كُلَّ بَـاغٍ وطَـالِـبٍ ... وكَـانَ ضَمَاناً في الأَعَادِي انْتِصارُهَا
تَوافَتْ بِبَطْنِ الأَرضِ وانْشَتَّ شَمْلُهَا ... وعَـادَ إِلَى ذي مُلكَـةٍ مُسْـتَعَارُهَا
وكَـمْ رَاقِـدٍ فـي غَفْـلَةٍ عَنْ مَنِيَّـةٍ ... مُشَـمِّرَةٍ في القَصْـدِ وهْـوَ سِـعَارُهَا
وَمَظْلَمَـةٍ قَـدْ نَـالَهَـا مُتَسَـلِّطٌ ... مُـدِلٌّ بأَيْـدٍ عِنْدَ ذِي العَرشِ ثَارُهَا
أَرَاكَ إِذَا حَـاوَلْـتَ دُنْيَـاكَ سَـاعِيـاً ... عَـلَى أَنَّهَا بَـادٍ إلَيْـكَ أَزْوَرَارُهَـا
وفـي طَـاعَةِ الرحمـنِ يُقْعِدُكَ الوَنَى ... وتُبْـدِيْ أَنَـاةً لا يَصِـحُّ اعْتِـذَارُهَـا
تُحَـاذِرُ إِخْـوَانـاً سَـتَفْنَى وتَنْقَضِـي ... وتَنْسَـى الَّتِي فَرْضٌ عَلَيْكَ حِـذارُهَا
كَأَنِّي أَرَى مِنْـكَ التَّـبَرُّمَ ظَـاهِـراً ... مُبِيْنـاً إذَا الأَقْـدَارُ حُـلَّ اضْطِرَارُهَا
هُنَاكَ يَقُولُ المـرءُ مَن لي بأَعْصُـرٍ ... مَضَتْ كَانَ مِلْكاً في يَدَيَّ خِيَارُهَا
تَنَبَّـهْ لِيَـوْمٍ قَـدْ أَظَـلَّكَ وِرْدُهُ ... عَصِيْبٍ يُوافي النَّفْسَ فِيْهِ احْتِضَارُهَا
تَـبَرَّأَ فِيـهِ مِنْـكَ كُـلُّ مُخَـالِـطٍ ... وَإِنَّ مِـنَ الآمـالِ فيـهِ انْهِيَـارُهَـا
فأَوْدِعْـتَ في ظَـلْمَا ضَنْكٍ مَقَـرُّهَا ... يَلُـوْحُ عَلَيْهَا لِلْعُيُـونِ اغْبِرَارُهَـا
تُنَـادَى فلا تَـدري المُنَـادي مُفْـرداً ... وقَـدْ حُطَّ عن وَجْـهِ الحَيَـاةِ خِمَـارُهَا
تُنَـادَى إلى يـومٍ شَـدِيْدٍ مُفَـزِّعٍ ... وسَـاعةِ حَشْرٍ لَيْسَ يَخْفَي اشْتِهَارُهَا
إِذا حُشِرتْ فيه الوُحُوشُ وَجُمِّعَتْ ... صَحَـائِفُنَا وانْثَـالَ فِيْنَـا انْتِشَارُهَا
وزُيِّنَتِ الجَنَّـاتُ فِيـهِ وأُزْلِفَـتْ ... وأُذْكِيَ مِن نَـارِ الجحـيمِ اسْتِعَارُهَا
وكُـوِّرتِ الشَّمْسُ المُنِيْرَةُ بالضُّحَى ... وأُسْرِعَ مِن زُهْـرِ النُّجُومِ انْكِدَارُهَا
لَقَـدْ جَـلَّ أَمْـرٌ كـانَ مِنـه انْتِظَامُهَا ... وقَدْ عُطِّلَتْ مِن مَـالِكِيْهَا عِشَارُهَا
فإِمَّا لِـدَارٍ لَيْسَ يَفْـنَى نَعِـيْمُهَا ... وإِمَّـا لِـدَارٍ لا يُفَـكُّ إِسَـارُهَـا

بِحَضْرَةِ جَبّارٍ رَفِيْقٍ مُعَاقِبٍ ... فَتُحْصَى المَعَاصِي كُبْرُها وصِغَارُهَا

وَيَنْدَمُ يَومَ البَعْثِ جَانِي صِغَارِهَا ... وتُهْلِك أَهْلِيْهَا هُنَاكَ كِبَارُهَا

سَتُغْبَطُ أَجْسَادٌ وتَحْيَا نُفُوسُهَا ... إذا ما اسْتَوى أَسْرارُهَا وجِهارُهَا

ومَن إنْ أَلمتْ بالعُقُولِ رَزِيَّةٌ ... فَلَيْسَ إلى حَيٍ سِواهُ افْتِقَارُهَا

تَجِدْ كُلَّ هَذا رَاجِعٌ نَحْوَ خَالِقٍ ... لَهُ مُلْكُهَا مُنْقَادَةً وائتِمَارُهَا

أَبَانَ لَنَا الآيَاتِ فِي أَنْبِيائِهِ ... فأَمْكَنَ بَعْدَ العَجْزِ فيها اقْتِدَارُهَا

فَأَنطَقَ أَفْواهاً بِأَلْفَاظِ حِكْمَةٍ ... ومَا حَلها إثْغَارُهَا واتِّغارُهَا

وأبرزَ مِن صُمِّ الحِجَارةِ نَاقَةً ... وأَسْمَعمُ فِي الحِين منها حُوَارُها

لِيُوقِنَ أقوامٌ وتكفُرَ عُصبةٌ ... أتَاهَا بأَسْبَابِ الهَلاكِ قِدَارُهَا

وشَقَّ لِموسَى البَحْرَ دُونَ تَكَلُّفٍ ... وبَانَ مِنَ الأمواجِ فيه انْحِسَارُهَا

وسَلَّم مِن نارِ الأنوق خَلِيْلَهُ ... فَلَمْ يُؤذِهِ إِحْرَاقُهَا واعْتِرَارُهَا

ونَجّى مِنَ الطوفانِ نُوحاً وقد هَدَتْ ... بِهِ أُمَةٌ أَبْدَى الفُسُوقَ شِرَارُهَا

ومَكَّنَ دَاوُداً بِأَيْدٍ وإبْنَهُ ... فَتَعْسِيرُهَا مُلْقَى لَهُ وبِذَارُهَا

وذَلَّلَ جَبَّارَ البِلادِ بِأَمْرِهِ ... وَعَلَّمَ طَيْراً فِي السماءِ حِوَارُهَا

وفَضَّلَ بالقُرآن أُمَّةَ أَحْمَدٍ ... ومَكَّنَ في أَقْصَى البِلادِ مُغَارُهَا

وشَقَ لَهُ بَدْرَ السَمَاءِ وخَصَّهُ ... بآياتِ حَقٍ لا يُخَلُّ مُعَارُهَا

وأَنْقَذَنَا مِن كُفْرِ أَربابنا بِهِ ... وقد كان مِن قُطْبِ الهلاكِ مَنَارُهَا

فَمَا بالُنَا لا نَتْرُكُ الجهلَ وَيْحَنَا ... لِنَسْلَمُ مِن نَارٍ تَرامَى شَرَارُهَا

اللهُمَّ تُبْ عَلَيْنَا قَبْلَ أَنْ تَشْهَدَ عَلَيْنَا الجَوَارِحُ وَنَبِّهْنَا مِنْ رَقَدَاتِ الغَفَلاَتِ وَسَامِحْنَا فَأَنْتَ الحَلِيْمُ المُسَامِحُ وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَعَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا فَمِنْكَ الفَضْلُ وَالمَنَائِحُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحمدٍ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِيْنَ .

[فصـــــــل]

قال الفُضيْلُ بْنُ عِيَاضٍ الدُخولُ في الدُنْيا هَينٌ ولكن الخُرُوْجُ مِنَها شديد وقالَ آخر عَجباً لِمَنْ عرفَ أنَّ الموت حَقٌ كيْفَ يَفْرح وَعَجباً لِمنْ عَرَفَ النَارَ وأنها حق كيفَ يَضحُك ، وعَجَباً لِمَنْ رَأى تَقَلْبَ الدنيا بأهْلِها كَيفَ يَطمئِن إليها ، وعَجَباً لِمن يَعْلَمُ أنَّ القدرَ حَق كيفَ يَنْصَب .

قال مالك بن دينار : إصْطَلَحْنَا على حُبّ الدنيا ، فلا يأمر بعضُنا بَعْضــــاً ، ولا يَنْهَى بَعْضُنا بعضاً ، ولا يدعنا الله على هذا فليت شِعْري أي عذاب الله يَنْزِلُ عَلينا .

وقِيلَ لِبشْرٍ ماتَ فلانُ فقال ، جَمَعَ الدنيا وذَهبَ إلى الآخرة وضيَّعَ نَفْسَه .

وقال آخر : الدنيا تَبَغَّضُ إلينا ونحن نحبها فكيف لو تَحَبَّبَتْ إلينا .

وقال آخر : لا يَصبرُ عن شَهوات الدنيا إلا مَن كان في قَلْبِهِ ما يَشْغَلُه بالآخــــرة .

وقال آخر : يَعِظُ أخاً له في الله ويُخَوِفُهُ بالله ، فقال يا أخي إن الدنيا دَحَضٌ مَزَلّةٌ ، ودَارٌ مَذَلّةٌ ، عُمْرانُها إلى الخراب صَائِر ، وعامرها إلى القبور زائر، شَمْلُهَا على الفُرقة موقُوف ، وغِناها إلى الفقر مصروف ، الإكثار فيها إعسار والإعسار فيها يسار .

فافزعْ إلى اللهِ وارضَى برزق الله ، لا تَتسَلَّفْ مِن دار فَنَائِكَ إلى دَارِ بقائك فإن عَيْشكَ في الدنْيا فَيءٌ زائل وجِدارٌ مَائِل أكثرْ مِن عَمَلِكْ وأقِلْلْ مِن أمَلِكْ .

وقال يَحْيَا بنُ مُعَاذ العقَلاء ثلاثةٌ مِنَ تَرِكَ الدنيا قَبْلَ أن تَتْركَهُ ، وبَنَى قَبْرَهُ قبلَ أنْ يَدْخُلَه وأرْضَى خَالِقَه قبلَ أن يلقاه .

وقال بُنْدار إذَا رَأيتَ أبناءَ الدنيا يَتَكلمونَ بالزُهْدِ فاعلم أنهم في سُخرِيَّةِ إبليس .

وذَكَر أُناسٌ الدنيا وأقبلوا على ذمها عند رابعة العَدَوية ، فقالَتْ اسْكتُوا عن ذِكرها فلولا موقعها مِن قلوبكم ما أكثرتم مِن ذِكرها ، إن مَن أحب شيئا أكثرَ مِن ذِكره .

شعـــــراً :

ألا إنما الدنيا كجيْفَة مَيْتَــــةٍ وطُلّابُها مِثْلُ الكِلاب الهَـــوامِسِ
وأعظمُهمْ ذَمّاً لَهَا وأشـــدُهُمْ بهَا شَغَفاً قومٌ طِوالُ القـــلانِسِ

وقال آخر : الدنيا مَزْبَلَةٌ ومَجْمَعُ كِلاب وأقل مِن الكلاب مَن عكف عليها ، فإن الكلب يأخذ مِن الجيفة حاجته وينصرف والمحب للدنيا لا يفارقها بحال .

وقيل لأبراهيم بن أدهم كيفَ أنْتَ فقال :

نُرقِعُ دُنْيَانَا بتَمْزِيْق دِيْنِنَـــا فلا ديْنُنَـــا يَبْقَى ولا مـــا نُرَقّـــعُ
فَطُوبَى لِعَبْدٍ آثَرَ الله وجْـــدَهُ وجَادَ بِدُنْيَاه لِمِاَ يُتَوقَّـــــعُ

وقال آخـــــر :

أرَىَ طالبَ الدنيا وإن طَاَلَ عمْرُهُ ونالَ مِن الدُنياَ سُـــروراً وأنْعُمَا
كَبَانٍ بَنَى بُنْيَانَهُ فأقـــامَهُ فلَمَّا استَوى ما قَدْ بَنــاه تَهَدَّمَا

وقال لقمان لابنه : يا بُنَيَّ بعْ دُنْياكَ بآخرتِكَ تَرْبَحْهُمَـــا جَمِيْعَـــا ولا تِبَعْ آخرتَكَ بدُنْياك تَخْسَرهُما جَميعا .

وقال محمد بن الحسين لَمَّا عَلِمَ أهلُ الفضلِ والعِلمِ والمعرفةِ والأدَبِ أنَّ الله عَزَّ وَجَل قد أهانَ الدنياوأنه لم يَرضَها لأوليائِه وأنها عنده حَقيرة ذليلةٌ .

وأن رسول الله ﷺ زَهِدَ فِيها ، وحَذر أصحابه مِن فِتنتها أكلُوا منها قَصْدًا وقدَّمُوا فَضْلا وأخذوا منها ما يَكْفِي ، وتَركُوا ما يُلْهِي ، لَبِسُوا مِن

الثياب ما سَتَر العَوْرَةَ ، وأكلوا مِن الطعامِ أدْناه مِمَّا سَدَّ الجَوْعَة .

ونَظَرُوا إلى الدنيا بعَينِ أنها فانية وإلى الآخرة أنها باقية ، فَتَزَوَّدُوا مِن الدنيا كَزادِ الراكب ، فَخَرَّبُوا الدنيا وعَمَّرُوا بها الآخرة .

ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم فعَلموا أنهم سَيَنْظُرونَ إليها بقُلُوبهم وأعْيُنِهِم، ولمَّا عَلِمُوا أنهم سَيَرْتَحِلونَ إليها بأبدانهم تَعِبُو قليلا وتنعَّمُوا طَويلا كل ذلِكَ بتوفيقِ مَوْلاهم الكريم أحَبُوا ما أحَبَّ لَهُمْ وكَرِهُوا مَا كَرِهِ لهم .

قال عبدالله بن مسعود نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثّر في جنبه فَقُلْنَا يَا رسُولَ الله لو اتَّخَذْنَا لكَ وِطَاءً فقال مَالي ولِلدُّنْيَا ما أنا في الدنيا إلا كَراكِبٍ استَظَلَّ تَحْتَ شجرة ثم راح وتركها .

إعلم بأن طَرِيقَ الحـــق مُنفَرِدٌ   والسَّالِكُونَ طَرِيْقَ الحـــقِ أفْرَادُ
لا يَطْلُبُـــونَ ولا تُطْلَبْ مَساعِيهُمْ   فهُمْ على مَهَلٍ يمَشُـــون قُصَّــادُ
والناسُ في غَفْلَةٍ عَمَّالهُ قَصَـــدُوْا   فَجُلُّهُمْ عن طَرِيقِ الحَـــقِ رُقَّادُ

وخَطَبَ عُمر بنُ عبدالعزيز رحمه الله فقال : يا أيُها الناس إنكم خُلِقْتُم لأمر إن كُنتُم تُصدِقون به وهَذَا عَمَلُكُم فإنكُم حَمْقَى ، وإن كنتُم تكذبون به فَإنكُم هَلْكَى فما خُلِقْتُم لِلأبَدِ ولكنكم مِن دار إلى دار تُنْقَلُون

عبادَ الله إنكم في دار لكم فيها مِن طعامكم غُصَصٌ ومِن شرابكم شَرَق لا تصفُوا لكم نعمةٌ تسرون بها إلا بِفراقِ أخْرى تكرهُون فِراقها ، فاعْمَلُوا لِمَا أنتُم صَائِرونَ إليه وخَالِدونَ فيه ثم غَلَبُه البُكاءُ ونَزَلَ .

وقال بعضهم في وصف مراحل السلوك : إن المؤمن إذا آمَنَ بالله واستحكم إيمانه خافَ الله تعالى فإذا خَافَ الله تعالى تولّدَ مِن الخوف الهيبةُ .

فإذا سكَنَتْ غلبةُ الهيبةِ دَامَتْ طاعتُه لِربَه ، فإذا أطاع رَبَّهُ تولّدَ مِن الطاعة الرجَاء .

فإذا سكَنَتْ دَرَجَةُ الرجاء في القلب تولد مِن الرجاء المحبة .

فإذا استَحْكَمَتِ المحبةُ في قلبِ العبدِ سَكَنَ بَعْدَهَا مَقَام الشوق ، فإذا اشتاق أَدَّاهُ الشَّوْقُ إلى الأُنسِ بالله ، فإذا أَنِسَ بالله اطْمَأَنَّ إلى اللَّهِ ، فإذا اطمأن إلى الله كان لَيْلُه في نَعِيْم ونهارُهُ في نَعِيْم وسِرُّهُ في نَعِيْم وعَلَانِيَتُهُ في نَعِيْم .

وقال بعضهم يَا ابن آدم ما أنصفتَ إذْ يَدْعُوكَ دَاعِي الدنيا بكلمة واحِدة لِشيء ذاهَبٍ فتجيبُه مُسْرِعًا ، ويَدعوكَ داعِي الآخرةِ لِشيءٍ باقِي صَافِي ثابتٍ فلا تُجِيْبُه مُسْرِعا ، فَلَيْتَكَ إذ لم تُقَدّرِ الآخرةَ سَوَّيْتَ بَيْنَهُمَا .

وقال آخر : العلماءُ العامِلون أَرْأَف بأمة محمد مِن آبائهم وأمهاتهم واشفق عليهم ، قيلَ له كيفَ ذلك ، قال لأنَّ آباءَهم وأمهاتِهم يحفظونهم مِن نار الدنيا ، والعُلماءُ يحفظونهم مِن نار الآخرة وأهوالها .

وقال آخر : مِن أقوى القُوى أن تغلبَ نفسَكَ ، مَن عَجَزَ عن أدب نفسِهِ كان عن أدبِ غيره أعجز ، وقال : مِن علامات الاسْتِدراج لِلْعَبدِ عَماهُ عن عَيبه ، وتطلعُه إلى عيوبِ الناس ، وقالَ مِن النذالة أن يأكل العبدُ بِدِيْنِهِ .

وقال آخر وقد سئِلَ عن الطريق إلى الله ، فقال : تَوْبَةٌ تحلُ الإصْرَارَ ، وخوفٌ يُزِيلُ الغُرورَ ورَجَاءٌ يَنْهَضُ الخَيرات ، ثم مراقبةُ الله في خواطرِ القلوب.

قال أَحْمَدُ بن عاصم : أنفعُ اليقينِ ما عَظَّمَ في عَيْنَيْك مَا به أيْقَنْتَ وأنفَعُ الخَوفِ ما حَجَزَكَ عن المعاصِي ، وأطَالَ مِنْكَ الحُزْنَ على ما فات ، وأَلْزمَكَ الفكرَ في بَقِيّة عُمُرِكَ وخاتمة أَمْرِكَ .

وأنفَعُ الصِّدق أن تُقِرَّ لله عَزَّ وجَلَّ بعُيوب نَفْسِكَ ، وأنفعُ الحَياءِ أن تَسْتَحِي أنْ تَسألَهُ ما تُحِبُ وتأتي ما يَكْرَه .

وأنفَـعُ الصَّـبْرِ ما قَوَّاكَ على خِلافِ هَوَاكَ وأفضَـلُ الجهادِ مُجَاهَدتُكَ نَفْسَكَ لِتَردَّها إلى قَبُول الحق .

وأوجَبُ الأعـداءِ مْنكَ مُجَاهَدةً أقْرَبُهُم مِنْكَ دُنُوًّا وأخْفَاهُم عَنكَ شَخْصاً وأَعْظَمُهُم لَكَ عَداوَةً وهوَ إبْلِيس .

قُلْتُ : فما تَرَى في الأنس بالناس ؟ قال : إن وَجَدْتَ عاقِلاً مأموناً فأنَسْ به واهرُبْ من سَائِرِهم كَهربكَ مِن السِّباع .

قُلْتُ : فما أفضَلُ ما أتَقَرَّبُ به إلى الله عزّ وجَلَ ؟ قال : تَرْكُ مَعَاصِيْه الباطنة .

قُلْتُ : فما بَالُ الباطنةِ أوْلَى مِن الظاهِرةِ ؟ قال : لأنَّكَ إذا أجْتَنَبْتَ الباطنةَ بَطَلَت الظاهرةُ والباطنةُ .

قُلْتُ : فَما أضَرُّ الطاعاتِ لي ؟ قال : ما نسِيْت بها مَسَاوئَكَ ، وجَعَلْتَهَا نُصْبَ عَيْنَيْكَ إدْلالاً بها وأمناً .

قال : وسمعته يقول : اسْتَكْثِر من الله عزّ وجلّ لِنَفْسِكَ قَلِيْلَ الرزق تَخلُّصاً إلى الشُكْرِ ، واسْتَقْلِلْ مِن نَفْسِكَ لله عزّ وجلّ كَثِير الطَاعةَ إزراءً على النَّفْسِ وتَعَرُّضاً لِلْعَفْو .

واسْتَجْلِبْ شِدّةَ التَيَقُّظَ بشِدَّةِ الخَوفِ ؛ وادفَعْ عَظِيمَ الحِرص بإيثار القَنَاعَةِ ، واقْطَعْ أسْبَابَ الطَّمَعِ بصِحّةِ اليأسِ ؛ وسُدّ سَبيْلَ العُجْب بمعرفةِ النفس .

واطْلُبْ رَاحَةَ البَدن باجْمامَ القلب ، وتَخَلَّصْ إلى إجْمَام القَلْب بقِلَّةِ الخُلَطاءِ ، وتَعَرَّضْ لِرقّةِ القلَب بدوام مجالسة أهلِ الذكرَ ، وبادِر بانتهازِ البُغْيةِ عِندَ إمكانِ الفُرْصَةِ ، وأُحذِّرُكَ «سَوْفَ» .

وكُنْ صَارِماً كَالْوَقْتِ فَالمَقْتُ في عَسَى وإيَّاكَ مَهْلاً فهي أخْطَرُ عِلّتي
وجُذَّ بسَيْفِ العَزْمِ سَوْفَ فإن تَجُذْ تَجِدْ نَفَساً فالنَّفْسُ إنْ جُدْتَ جدَّتِ

عن الأوزاعي أنه وعظ فقال في موعظته : أيها الناس تقوَّوْا بهذه النِعم التي أصْبَحْتُم فيها على الهربِ مِن نار الله الموقدة التي

تطلع على الأفئدة .

فإنكم في دَارٍ الثواءُ فيها قَلِيل وأنتم فيها مُؤَجَّلُون خَلاَئِف مِن بعد القُرون الذين اسْتَقْبَلوا مِن الدنيا أنفها وزَهْرتَهَا .

فهم كانـوا أطـولَ منكم أعـماراً وأمدَّ أجساماً وأعْظَمَ آثاراً فَخَـدُوا الجبَالَ وجَابُوا الصُخُورَ ونَقّبُوْا في البلاد مُؤَيَّدَيْنَ بَبْطش شَدِيدٍ وأجسام كالعِمَادِ .

فما لَبَثَتِ الأيامُ والليالي أنْ طَوَتْ مُدَدَهُم وعَفَّتْ آثَـارَهُم وأخْوَتْ مَنَزِلَهُم وآنْسَتْ ذِكْرَهُمَ ، فما تُحِسُ منهم مِن أحدٍ ولا تَسمعُ لَهم رِكزاً .

كانُوا بلَهْو الأمل آمِنِيْنَ لِبَيات قوم غَافِلين أو لِصباح قوم نَادِمِين ، ثم إنكَم قد عَلمتم الذي نَزلَ بِسَاحَتِهم بيَاتاً مِن عُقُوبةِ الله عز وجل .

فأصْبَـحَ كثيرٌ منهم في دِيارِهم جاثمِين وأصْبَحَ الباقُون يَنْظُرون في آثارِ نِقمةٍ وزَوال نِعْمَةٍ ومَسَاكن خَاوِيَة فيها آيةٌ لِلَّذِين يَخافُون العذابَ الأليم وعِبرَةٌ لِمَنَ يَخْشَى .

وأصبحتُم مِن بَعْدِهِم في أجَلٍ مَنْقُوصٍ ودُنَيا مَقْبُوضَة في زمان قد وَلَّى عَفْوُهُ وذَهَبَ رَخَاؤُهُ .

فلم تَبْقَ منه إلا حُمَة شرٍ وصُبَابَةُ كدر ، وأهاويلُ عِبَر ، وعُقُوباتُ غِيرٍ وأرْسَالُ فِتَن ، وتَتَابُعُ زَلازلَ ورَذالةُ خَلَفٍ بهم ظَهَرَ الفَسَادُ في البرّ والبحر .

فلا تكونُوا أشباهاً لِمَنْ خَدَعَهُ الأملُ وَغُرَّ بطولُ الأجَل وتَبلَغَ بالأماني . نسأل الله أن يجعلنا وإياكم مِمَّنْ وَعَى نذْرَهُ ، وعَقَلَ فمهد

لنفســـــه .

اللهُمَّ أَنْظِمْنَا في سِلْكِ عِبادِكَ المُفلِحينَ واحْشُرنَا مَعَ الذينَ أَنعمت عليهم مِن النبيينَ والصديقينَ والشهَداءِ والصَّالِحينَ واغفرْ لنا ولوَالِدَيْنَا ولجميعِ المسلمينَ الاحياءِ منهم والميتين برحمتِكَ يا أرحمَ الراحِمِينَ وصلَّى اللهُ على مُحمدٍ وعَلى آلهِ وَصحبِه أجمَعِينَ .

(فصل)

كَتَبَ بعضهم إلى أخ يُوصيه : أمَّا بَعد فإنِّي أُوصيك بتقوى الله ، والعمل بما علَّمك الله عز وجل ، والمراقبة حيث لا يراك أحد إلَّا الله عز وجل والاستعداد لما ليس لأحدٍ فيه حيلة ، ولا تنفع النّدامة عند نُزوله .

فاحسِر عن رأسك قِناع الغافلين ، وانتبه من رَقْدة الموتى ، وشمِّر للسّباق غداً فإن الدنيا ميدان المسابقين ، ولا تغتَرَّ بمن أظهر النُّسك ، وتَشَاغَل بالوصف ، وتَرك العمل بالموصوف .

واعلم يا أخي أنه لابدّ لي ولك من المقام بين يدي الله عز وجـل ، ولست آمن أن يسـألني وإياك عن وَسَاوس الصّدور ، ولحظات العيون ، وإصغاء الأسماع ، وما عسى أن يَعْجز مثلي عن صِفته .

واعلم أنه مما وُصِف به منافقوا هذه الأمة أنهم خالَطوا أهل الدنيا بأبدانهم وطابَقوهم عليها بأهْوائهم ، وخَضَعوا لما طَمِعوا من نائلهم ، وداهَن بعضُهم (بعضاً) في القول والفعل ، فأشِرٌ وبَطِرٌ قولُهم ، ومُـــرٌّ خبيثٌ فِعلُهم ، تَركـوا باطِنَ العمـل بلا تَصْحِيْح

فحرَمهم الله تعالى بذلك الثمنَ الرَّبيح .

واعلم يا أخي أنه لا يجزى من العمل القولُ ، ولا من البَذل العِدَةُ ، ولا من التَّقوى ولا من التوقّى التّلاوُم .

وقـد صِرْنا في زَمانٍ هذه صفة أهله فمن كان كذلك فقد تعرّض للمقْت وصُدّ عن سَواءِ السبيل . وفقنا الله عزَّ وجلّ وإياك لما يحب ويرضى ، إنتهى والله أعلم وصـلى الله على محمـد وآله وصحبه وسلم

[فـــــــائدة]

كُلَّما قوِيَتْ حَاجَةُ الناس إلى الشيء ومَعْرِفَتِهِ يسّرَ الله أسْبَابَه كما يُيَسرُ ما كانَتْ حاجَتُهم إليه في أبدانهم أشدَ .

فلما كانت حاجتهم إلى النَّفسَ والهوى أعظم منها إلى الماء كان مَبْذُولاً لكل أحد في كل وقت .

ولما كانَتْ حاجَتُهم إلى الماء أكثر مِن حَاجَتِهم إلى القُوت كان وجود الماء أكثر لذلك .

فلما كانَتْ حَاجَتُهم إلى مَعْرفَـةِ الخالق أعظم كانَتْ آياتُه ودَلائلُ رُبُوبيته وقدرَتِهِ وعلمِه ومَشِيئَتِه وحكمتِهِ أعظم مِن غيرها .

ولمـا كانت حاجتهم إلى مَعْـرِفَةِ صِـدْق الرسلِ بَعْدَ ذَلكَ أعظَمَ مِن حاجتهم إلى غير ذلك .

أقام الله مِن دَلائِل صِدقهم وشَواهِدِ نُبُوَّتِهم وحُسْن حَالِ مَن اتَّبَعَهُم وسَعـادَته ونجاته وبَيَان ما يحصل له مِن العلمَ النافع والعمل الصالح .

وقُبْح حالِ مَن خالفَهم وشقاوتهم وجهله وظلمه ما يظهر لن تدبر ذلكَ ﴿ ومَن لم يجعل الله له نورا فما له من نور

وختاما فالواجب على الانسان المبادرة إلى الأعمال الصالحة وأنْ ينتهز فرصة الامكان قبل هجوم هادم اللذات .

وأن يَستَعين بالله ويتوكل عليه ويسأله العَون في تسير الأعمال الصالحة وصرف الموانع الحائلة بينه وبينها .

وليحرص على حِفظ القرآن ، وتَدبره ، وتفهمه ، والعمل به ، وكذلك السنة ، ويحرص على أداءِ الصلاة في جَماعَة .

ويحـرص على مجالس الـذِكـر ، ويحفظ لسـانه عن الغيبة والنميمة والسعاية والكذب وجميع الأعمال والأخلاق السيئة .

وَيتهيأ لِلرحيل ، ويتفقد نفسه بما عليه ، وما له فإن كان عنده حُقُوقٌ لله كزكاة أو لِخَلْقه كأمانات أوَ عَواري أو وصايا أداها بسُرْعَةٍ خَشْيةَ أن يفْجَاءَهُ الموتُ وهي عنده .

فإذا لم تُؤدِهـا أنتَ في حَيَاتِكَ ، فَمَنْ بَعدَكَ مِن أوْلاد أو إخوان يَبْعُدُ اهْتِمامُهم بذلك ، لِأنَّهُمْ يُهتمون ويَشْتَغلونَ بما خَلَّفْتَهُ لهم وضَيَّعْتَ بسَببه نَفْسُكَ .

فالله الله اَلبـدارَ بالتَفتيش على النفس ، والمبـادرة بالتوبة والاكثار من الاستغفار .

ومما يَحُثُك على ذلك ذكْرُ مَرارة الموت الذي سماه رسُول الله ﷺ هادم اللذات ، وتـذكر شدة النزع والتفكر في الموتى الذي حُبسُـوا على أعـمالهم لِيُجَـازَوا بها فليس فيهم من يَقْدِرُ على محو خَطِيْئَةٍ، ولا على زِيَادة حَسَنة .

وعادَ بعضهم مريضاً فقال له كيف تجدُك ؟

قال : هو الموت . قال له : وكيف عَلِمْتَ أنه الموت ؟ قال:

أجدُنِي أجْتَذَبِ اجْتِذَاباً ، وكأن الخَنَاجِرَ في جَوْفِي ، وكأن جَوفِي تَنُورٌ مُحمىً يَتَلَهَّب .

قال له : فاعْهَدْ (أي أوْصى) ، قال : أرَى الأمرَ أعْجَلَ من ذلك فَدَعَا بِدَواة وصحيفة قال : فوالله ما أتِى بها حتى شَخَصَ بَصَرُهُ فَمَاتَ .

وقال إبراهيم بن يزيد العبدي : أتاني رِياح القيسي فقال : يا أبا إسحاق انطلق بنا إلى أهل الآخرة نُحْدِثُ بقُرْبهِمْ عَهْداً .

فانْطَلَقْتُ مَعَه ، فأتى المقابر فجلسنا إلَى بعض تلك القبور، فقال : يا أبا اسحاق ما تَرى هَذا مُتَمَنِّياً لو مُنِّء ، قلت: أن يُرَدَّ والله إلى الدنيا فيَسْتَمتعْ مِنِ طاعَة الله ويُصْلح .

قال : فها نَحْنُ ، ثم نَهَضَ فجَدَّ واجْتَهَد ، فلم يَلْبَث إلا يسراً حتى مات .

ومما يَحُثُكَ على التأهب والاستعداد لهادم اللذات أنْ تُصَوِّر لِنَفْسِكَ عَرْضَهَا على رَبكَ وتَخْجِيْلِه إيَّاكَ بمَضِيْض العِتاب على فِعْلِ مَا نَهَاكَ عنه قال جلَ وعلا ﴿ وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾ .

اللهم إنا نسْألُكَ نَفْساً مُطْمَئنةً تُؤمِنُ بِلقَائِكَ وتَرْضَى بقَضَائك ، اللهم إنا نسألك باسْمِكَ الطاهِر الطَّيب المُبَارَك الأحَبِّ إليك الذي إذا دُعِيْتَ به أجَبْتَ ، وإذا سُئلْتَ به أعْطَيْتَ، وإذا اسْتُرْحِمْتَ به رَحِمْت ، وإذا استفرجْتَ به فَرَّجْتَ أن تَغفرَ سَيئاتنا وتبدِلها لنِا بحَسَنات يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فصـــــــل)

قال رسول الله ﷺ « ما منكم مِن أحد إلا سَيُكَلِّمُهُ ربه تبارك وتعالى ليس بينه وبينه ترجمان » .

وعن صفوان بن محرر قال : كنتُ آخذاً بيد ابن عمر إذ عَرَضَ له رَجُـل ، فقـال كيف سَمِعْتَ رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة .

فقال : سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول « إن الله يُدْني المؤمن فَيَضَعُ عليه كَنَفَه ، ويَسْتُره مِن الناس ، ويُقَرِّرُهُ بذُنُوبه .

ويقُولُ له أتَعْرفُ ذَنْبَ كذا ، أتعرف ذنب كذا ، حَتَّى إذا قرره بذنوبه ورأى فيَ نفسه أنه قد هلك .

قال : فإني قد سَتَرْتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم .

ومما يَحُثُكَ على الاستعداد للموت والابتعاد عن المعاصِي أن تَتَخايل وتَتَصَوَّر شَهَادَةَ المكان الذي تَعْصِي فيه عَليكَ يومَ القيامة .

فعن أبي هريرة قال : قرأ رسول الله ﷺ ﴿ **يومئذ تحدث أخبارها** ﴾ فقال « أتدرون ما أخبارها ، أن تشهَدَ على كل عبد بما عمل على ظهرها ، أن تقول عَمِلَ كذا وكذا في يوم كذا وكذا ، فهو أخبارها » .

ومـا يحثك على التأهب والاستعداد للموت والابتعاد عن المعاصي أنْ تُمَثِلَ نَفْسَكَ عند بعض زَلَلِكَ كأنه يُؤمَرُ بك إلى النار التي لا طاقَةَ لمخلوق بها .

وتصور نفادَ اللذة وذهابَهَا وبَقَاءَ العارِ والعذاب .

تَفنى اللَّذَاذَةُ مِمَّنْ نَالَ شَهْــــوَتَهُ   مِن الحَرَامِ ويَبْقى الإثم والعَـــارُ
تَبْقى عَوَاقِبُ سُوْءٍ في مَغَبَّتِهَـــا   لا خَيْرَ في لَذَّةٍ مِن بَعْدِهَا النَّارُ

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « ناركم هذه ما يُوقِدُ بَنُوا آدَمَ جُزْءٌ واحدٌ مِن سَبْعِينَ جزءاً من حر جَهَنَّمَ » قالوا : والله إن كانت لكافية .

وقال بعض السلف : ربما مُثِّلَ لي رأسي بين جبلين من نار وربما رأيتني أهوى فيها حتى أبلغ قعرها فكيف تهنا الدنيا من كانت هذه صفته .

وكان عمر رضى الله عنه ربما توقد له النار ثم يدني يديه منها ثم يقول : يا ابن الخطاب هل لك على هذا صَبر .

ومما يحثك على الاستعداد وتفقد شؤنك وأمرك ذكر أحوال كثير من السلف الصالح الذي أقلقهم خوفُ الحساب والعذاب في البرزخ والنار .

لما أهْدِيَت مُعَاذَة العدوية إلى زوجها صِلة بن أشيم أدْخلَه ابن أخيه الحَمامَ ثم أدخله بَيْتاً مُطَيَّبا فقام يصلي حتى أصبح وفَعَلَتْ زوجتُه مُعَاذَةُ مِثْلَه .

فلما أصبح عاتبَهُ ابنُ أخيه على فعله ليلة الزواج فقال له : أدْخَلْتَنى بالأمس بَيْتاً ذَكَّرْتَني به النار ثم أدْخَلْتَنِي بَيْتاً ذَكَّرْتَني به الجنة فما زَالَت فِكْرَتي فيهما حتى أصْبَحْتُ .

ونظر عمر بن عبدالعزيز إلى رجلٍ عنده مُتَغَيِّرٌ اللون ، ، فقال له ما الذي بك ؟ فقال : إني ذُقْتُ حَلاوَةَ الدنيا فَصَغُر في عيني زَهْرَتُها ومَلاعِبُها ، واستوى عِنْدِي حِجَارَتُها وذَهَبُهَا .

ورأيْتُ كأن الناس يُساقُونَ إلى الجنة ، وأنا أسَاقُ إلى النار ، فأسْهَرْتُ لِذَلِكَ لَيْلِي ، وأظمأتُ نهارِي ، وكُلُ ذلك صغيرٌ حقيرٌ في جَنْبِ عَفو الله ، وثوابه عز وجل وجَنْب عِقابه .

وقال إبراهيم التَّيْمِي مَثَّلْتُ نَفْسِي في النار آكلُ من زَقُومِها وأشْربُ مِن صَدِيدها وأعَالجُ سَلاسِلَها وأغْلالها .

فقلتُ لِنَفْسِي أيُّ شيءٍ تُرِيْدِين ، قالت أرِيْدُ أنْ أرَدَّ إلى الدنيا فأعْمَلَ صَالحاً ، قال : فقلتُ أنْتِ في الأمْنِيَّةِ فاعْمَلِي .

وسمعَ عُمَرُ بن الخطاب رَجُلاً يَتَهجَّدُ في الليل ويَقْرَأ سُورةَ الطَوْر ، فلما بلغ قوله تعالى ﴿إن عَذابَ ربك لواقع ما له من دافع﴾ .

قال عمر : قَسَم ورب الكعبة حق ، ثم رَجَعَ إلى بيته فمرضَ شهرا يَعُوده الناس ، ولَا يَدْرُونَ ما سَبَبُ مرضه .

وكان جماعة مِن السلف مَرِضوا مِن الخوف ولِزمُوا مَنَازِلهم وبَعْضُهم صار صاحبَ فراش .

وكان الحسنُ يقول في وصف الخائفين : قد بَراهُم الخوفُ فَهم أمثالُ القِداح يَنظر إليهم الناظر فيقول مَرْضَى وما بهم مَرَضٌ ويقولُ قد خُولِطُوا وقد خَالَطَ القومَ مِن ذِكرِ الآخِرةِ أمْرٌ عَظِيم .

هذه القصيدة عَدَّلنا فيها بعض الأبيات :

وحَقِّكَ ياذَ الجُودِ مَالي مَلْجَـــؤٌ	ولا لي إلى أبْوَاب غَيـــرِكَ مَطْلَبُ
إذا لم تَكُنْ لي عِندَ غَيْرِكَ حَاجَـــةٌ	فكَيْفَ إلى أبْوَابِ غَيْرِكَ أذْهَبُ
إذ لم يَكن مُعْطٍ سِـــوَاكَ بمَطْلَبِي	فكيفَ سِوَى مَعْرُوْفِ جُوْدِكَ أطْلُبُ
عَذُوْ لِي فيهِ مَا يَرَى مَا رَأيْتُـــهُ	فَيُكْثِرُ مِن لَوْمِي عَلَيْـــهِ ويُطْنِبُ
سَلَكْتُ سَبيْلًا ما اهْتَدَى لسُلُوْكِها	فأعْجَبُ مِنْهُ وَهْوَ منِّيَ يَعْجَـــبُ

وَكَيْفَ سُلُوٌّ عن جَمَــالٍ مُحَجَّبٍ — أَيَادِيْه عن كُلِ الوَرَى ليس تُحْجَبُ
إذا سْتَأنَسَ الحَادُوْنَ لِلرَّكْب باسْمِهِ — فكُلُّهُمُوْا حتى الركائب تَطْــرَبُ
يَطيْبُ ويَحْلُوْ لِلْمُحِبِّيْنَ ذِكْــرُهُ — فَلا طَيِّبٌ إلا وذكْرُكَ أطْيَــبُ
فإنْ قُلْتُ شَهْداً فهو أحْلَى مَذَاقَةً — وإنْ قُلْتُ مَاءً فهو أصْفَى وأعْذَبُ
سَأَلْتُكَ يَا حَادِي الرَكَائِب حَاجَةً — إذا مَا بَدَتْ يَوماً لِعَيْنَيْكَ يَثْـرِبُ
فَسَلِّم على مَنْ قَدْ حَوَتْهُ قِبَابُهَــا — وشِرْعَتُه في الكَونِ تُمْلَى وتُكْتَبُ
مُحَمَّدٌ المُخْتَارُ والماجِــدُ الذي — إلى فَخرِهِ كُلُ المناسِب تُنْسَــبُ
هو الصادِقُ الدَّاعِي إلى الله وَحْدَهُ — فمَنْ لم يُجِبْهُ فَهْوَ في الحَشْرِ يُنْدَبُ
فَصَلوا عليه دائماً فَصَــــلاتكم — ثَوابُكُمُوا فيها مِن الله يُطْلَــبُ

وختاماً فالواجب علي العاقل المبادرة إلى الأعمال الصالحة ما دام في قيد الحياة وخصوصاً الصلاة التي فرضها الله جل وعلا على عبـاده آكد أركان الاسلام بعد الشهادتين ومحلها من الدين محل الرأس من الجسد .

فكما أن لا حَيَاةَ لمنْ لا رَأسَ له فكذلك لا دِيْنَ لمنْ لا صَلاةَ له وهى خاتمةُ وصيَّةِ النبي ﷺ عند آخر عَهْدِهِ مِنِ الدنيا .

فعن أنسٍ رضى الله عنه قال : كانت عَامةُ وصيَّةِ رسول الله ﷺ حِينَ حَضرَتْـهُ الوفَاةُ وهُو يُغرغر بنَفْسِهِ « الصلاة وما ملكت أيمانكم » رواه أحمد وأبو داود .

وهي أول ما يُحَاسبُ به العبـد يوم القيامة كما ورد بذلك الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة مِن عمله صلاته فإن صلحت فقـد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر »

الحديث رواه الترمذي .

والصلاة أكبر عون للعبد على مصالح دينه ودنياه قال الله تعالى ﴿ واسْتَعِينُوا بالصبر والصلاة ﴾ الآية .

فالصلاة سعادة وسرور للمؤمن الخاشع المحب لربه ، فقد قال رسول الله ﷺ « وجعلت قرة عيني في الصلاة » وكان إذا حز به أمر فزع إلى الصلاة ، فالصلاة جَسَدٌ وَرُوْح .

أما جسدها فهو كلام اللسان وحركات الأعضاء وأما روحها فهو الخشوع ، قال الله جل وعلا ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ .

والخشوع حضور الذهن وأن يَتَصَوَّرَ الانسانُ أنَّ رَبَّهُ أَمَامَهُ يَسْمَعُه ويناجيه فلا يشغل فكره بشيء من الدنيا مَا دام في صلاته ويجمع فكره إلى تأمل ما يتلو وما يسمع من الإمام ويحرص كل الحرص على طرد الهَوَاجيس .

قال أحد العلماء : إن مِن المعلوم أن المنتصبَ لِخطاب مَلِكٍ مِن مُلوكِ الدنيا يَجْمَعُ قَلْبَهُ للاقبال عليه ويُحْسِن التَّودُد إليه وَيَتَحرزُ التحرز الكلي عن أنْ تَفْرط منه كلمةٌ مُسْتَهْجَنَةٌ أو التفاتَةٌ غير مُسْتَحْسَنَةٍ أو ذُهُول عَمَّا يُخَاطُبهُ بِه أو يَتَلقاهُ من خِطَابِهِ وإنْ كان لا يَخَاف نِقْمتَهُ ولا يَرجُو نِعْمتَه .

فياعَجَباً مِن مُنْتَصِبٍ لِمُناجَات مِلِكِ السموات والأرض وهو يَعْلَمُ أنه حَاضِرٌ لَدَيه وَرَقِيبٌ عَليهِ وأنه مُحْتَاجٌ في كُلِّ لَحْظَةٍ إليهِ غير مُسْتَغْنٍ عنه وإن إحْسَانَهُ إليه فوقَ كُل إحسان .

وعاقبة عِصيانه إنه الخلودُ في قَعْر النيرانِ وإن عَظَمَتَهُ لا

تُدَانِيهـا عظمـة سُلطان ومع ذلك يترِكُ الاقبالَ عليه ويَعْرِضُ له الذهولُ عَنهُ لخواطِرَ دُنْيَوِيةٍ ووَسَاوسَ غير نَافِعة ولا مَرْضِيَّة حتى لا يشعر بمعاني ما يتلوه في صلاته ولا يعقل ما المطلوبُ بها ويَسهو عن أركانها وأذكارها هذا مما تحارُ فيه العقول .

ولعل السبيل إلى ذلك هو التحفظ عن تلك الشواغل في حالة الصلاة التي هي عماد الدين والفارقةُ بينَ الكَفَرَة والمؤمنين التي فرضَهـا الله ليَتَـطَهَّرَ بها عبادُهُ عَمَّا اقْتَرفُوه فيما بين أوقاتها مِن الذنوب ويَغسِلُوا بها أبدانهم وأرواحهم عن دَرَنِ الحُوْب .

كما يشعِرُ به قوله ﷺ « مَثَلُ الصلواتِ الخمس كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ يَمُرُّ على باب أحدكم يَغتسل منه كُلَّ يوم خمسَ مراتٍ . وفي رواية فماذا تِرَوْنَ أيَبْقَى عليه مِن الدَرَنِ بعد ذلك » .

والمهم أن يَصْرِفَ العبدُ ذِهنَهُ إلى أن قِيَامَهُ لِلْوُضُوْءِ والصلاةِ إنما هو لخطاب مَلِكِ المُلُوكِ والاعتذار إليهِ مِن التقصير في الحَيَاءِ منه في أحْوالِهِ السابقة وليطْلُبْ مِنه العفوَ والمسامحةَ والاحسانَ ولأداءِ مَا كَلَّفَهُ مِن العِبادة .

اللهم إنـا نسْـأَلُـكَ نَفْسـاً مُطْمَئِنـةً تُؤمِنُ بلِقَائِكَ وتَرضَى بقَضَـائـك ، اللهم إنـا نسـألك باسْمِكَ الطاهِرِ الطَّيب المُبَارَك الأحَبِّ إليك الذي إذا دُعِيتَ به أجَبْتَ ، وإذا سُئِلَتَ به أعْطَيْتَ ، وإذا اسْتُرْحِمْتَ به رَحِمْت ، وإذا استفـرجْتَ به فَرَّجتْ أن تَغفرَ سَيئاتنا وتبدِلها لنِا بحَسَنات يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعينَ .

[فصـــــــل]

قال شيخ الإسلام :

القَلْبُ لا يَصْلَح ولا يُفْلح ولا يَسُر ولا يلتذ ولا يَطِيْب ولا يَسْكُن ولا يَطْمئنُ إلا بعبادة رَبه وحُبّهِ والانابةِ إليه .

ولـو حصَلَ له كُلُ ما يَلْتَذُ به مِن المخلوقات لم يَطْمئنَّ ولم يَسْكُنْ إذْ فيه فَقْرٌ ذاتِي إلى رَبهِ مِن حيثُ هُو مَعْبودُهُ ومحبوبُه ومطلوبُه .

وبذلك يَحْصُلُ لَه الفَرَحُ والسُرورُ واللَّذَةُ والنِّعْمَةُ والسُكونُ والطمأنينةُ .

وهذا لا يَحْصُل إلا بإعانة الله لهُ ولا يقدرُ على تحصيل ذلك لَهُ إلا الله فهُو دائماً مُفْتَقِرٌ إلى حقيقةِ إيَّاكَ نَعَبُدُ وإيَّاكَ نَستَعِينَ .

فهو مفتقرٌ إليه مِن حيثُ هو المطلوبُ المحبُوبُ المعبُودُ ومِن حيثُ هو المُسْتَعَانُ به المتوكلُ عليه .

فهو إلهُهُ لا إله لَهُ غَيرهُ وهو رَبُّهُ لا رَبَّ له سِوَاهُ ولا تتِمُ عُبُودَّيتُه إلا بهذين .

وقال : إعراض القلب عن الطلب من الله والرجا له يوجب إنصراف قلبه عن العبودية لله لا سيما مَن كان يرجو المخلوق ولا يرجو الخالق .

بحيث يكـون قلبه معتمداً إما على رئاسته وجنوده وأتباعه وإمـا على أهله وأصدقائه وإما على أمواله أو غيرهم ممن ماتَ أو يموت قال تعالى ﴿ **وتوكل على الحي الذي لا يموت** ﴾ .

وقال على كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ ولا يتقدم بين يديه .

بل ينظر ما قال فيكون قوله تبعاً لقوله وعمله تبعاً لأمره فمن قول الله وقول رسوله يتعلم وبه يتكلم .

وكل من خالف ما جاء به الرسول لم يكن عند علم بذلك ولا عدل بل لا يكون عنده إلا جهل وظلم وظن وما تهوى الأنفس ﴿ ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ .

وقال رحمه الله : من ابتِلي بِبَلاءٍ قَلْبِي أزْعَجَهُ فأعْظَمُ دَواءٍ له قُوةُ الالتجاء إلى الله ودَوامُ التضرع والدُّعاء بأن يَتَعلم الأدعيةَ المأثورة ويَتوخى الدُعاء في مَظانِ الإجابة .

مِثْلُ آخرِ الليل وأوقات الأذان والاقامة وفي سجوده وأدْبَار الصلوات ويَضُمَّ إلى ذلك الاسْتغفارَ .

وليتخذْ وِرْداً مِن الأذكار طرفي النهار وعندَ النوم وليَصْبِرْ على ما يَعْرضُ له مِن الموانعِ والصوارف .

فإنه لابُدَّ أن يُؤيِّده الله بروح منه ويكتب الايمان في قلبه .

وليحرص على إكمال الفرائض من الصلوات الخمس بباطنه وظاهره فإنها عمود الدين .

وليكن هجيراه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فإنه بها يحمل الأثقال ويكابد الأهوال وينال رفيع الأحوال .

ولا يَسْأم مِن الدعاء والطلب فإن العبد يستجاب له ما لم يعجل .

وليعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العُسر يسرا .

وقال ابن القيم : مراقبة الرب علم العبد وتيقنه باطلاع الله على ظاهره وباطنه فاستدامته لهذا العلم واليقين هي المراقبة .

وهى ثمرة عمله بأن الله سبحانه رقيب عليه ناظر إليه سامع لقوله ومطلع على عمله كل وقت وكل لحظة .

قال النبي ﷺ « ذاقَ طَعْمَ الإيمان من رضى بالله ربـاً وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا .

وقـال : من قال حين يسمـع النِّداءَ رضيتُ بالله ربـاً وبالاسلام دينا وبمحمد نبيًا غفرت ذنوبه » .

وهذا الحديثان عليهما مدار مقامات الدين وإليهما يَنْتَهي .

وقد تضَمَّنَا الرضا بربوبيته سبحانه وألوهيته والرضا برسوله والرضا بدينه والتسليم له .

ومن اجتمعت له فهو الصديق حَقًا وقال : الأدبُ اجتماعُ خصال الخير في العبد وهي ثلاثة أنواع :

أدب مع الله بأن يَصُونَ قَلْبَهُ أن يَلتَفِتَ إلى غيره أو تَتَعَلّق إرادته بما يَمْقُتُه عليه ، ويصون معاملته أن يشوبها بنقيصه .

وأدب مع الرسول بكمال الانقياد ، وتلقى خبره بالقبول والتصديق وأن لا يعارضه بغيره بوجه من الوجوه .

وأدب مع الخلق بمعاملتهم على اختلاف مراتبهم بما يليق بهم ويناسب حالتهم .

وقـال رحمه الله : المقبول من العمل قسمان : أحدهما أن يُصلى العبد ويَعمل سائر الطاعات وقلبه متعَلِق بالله عز وجل ذاكر الله على الدوام فعمله في أعلى المراتب .

الثاني : أن يَعْمَلَ العبد الأعمال على العادة والغفلة وينوي بها الطاعة والتقرب إلى الله .

فأركانه مشغولة بالطاعة وقلبه لاه عن ذكر الله وكذلك سائر أعماله فهذا عمله مَقْبُولٌ ومُثابٌ عليه بحَسَبه .

اللهُمَّ اجْعَلْنَا مِن المتقينَ الأبْرارِ وأَسْكِنَّا مَعَهمُ في دارِ القرارَ ، اللهم وفقنا بِحُسْن الاقبالِ عَليك والإِصْغَاءِ إليك ووَفِّقنْا لِلتّعاوُنِ في طَاعَتِكَ والمُبَادَرَةِ إلى خِدْمَتكَ وحُسْن الآداب في مُعَامَلَتِكَ والتّسليم لأَمْرِكَ والرِّضا بِقَضَائِكَ والصَّبرْ على بَلائِك والشّكْرِ لِنَعْمَائِكَ ، واغفرَ لَنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتِكَ يا أرْحَمَ الراحمين وصلى اللهُ على محمدِ وآلِهِ أجمعين .

فــوائــد ومــواعــظ ونصــائــح

قال أحد العلماء إعلم أنه لا يسلم إنسان من النقص إلا منَ عصمه الله كالرسل قال الله جل وعلا عن الإنسان ﴿ إنه كان ظلوما جَهُوْلا ﴾ .

وقال ﷺ « كل بَني آدمَ خطًّا وخير الخطائين التوابون » فَمَنْ خَفِيَتْ عليه عُيُوبُهُ فَقَدْ سَقَط .

وصَارَ مِن السَّخَفِ والرذَالَةِ والخِسَّةِ وضَعْفِ التَّمْييز والعَقِل وقِلَّةِ الفَهْمِ بِحَيْثُ لا يَتَخَلَّفْ عنه مُتَخَلِّفٌ مِن الرَّذَائِل .

وعليه أن يَتَدَارَكَ نفسَه بالبَحْثِ عن عُيُوبهُ والسُّؤالِ عنها بدِقَةٍ وأكثرُ مَن يَفْهَمُ عُيُوبَ الإنسان أعْدَاؤُهُ لأنهم دائماً يُنَقِبُونَ عنها .

وكذلكَ الأصْدقَاءُ الناصحين الصَّادقين المنصِفين يَفْهَمُونها غالباً .

فالعَاقِل يشْتَغِلُ بالبَحْثِ عنها والسَّعْي في إزالتها ولا يَتَعَرَّض لِعُيُوب الناسِ التي لا تضره لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا من باب النصيحة .

كما لو رآى إنسانا مُعْجَبًا بنَفْسِهِ فَيُبْدِي له النُصْحَ وجهاً لِوَجْهٍ لا خَلْفَ ظَهْرِهِ .

واحْـذرْ أن تقـارن بَيْنَـكِ وبينَ مَن هو أكثرَ منْكَ عُيوبًا فتسْتَسْهِلْ الرَّذَاائِلَ وتهَاوَنُ بعُيُوبِكَ .

لكن قارنْ بينَ نَفْسِـكَ ومَن هُو أفضـلُ منـكَ لِتسْلَم مِن عُجْبكَ بنَفْسِـكَ وتفُيْقَ مِن دَاءِ الكِـبر والعُجْب الـذي يُوَلِّـدُ عليكِ الاسْتِحْقارَ والاسْتِخْفَافَ بالناسِ معَ العِلم بأن فيهم مِن هُو خَيْرٌ مِنْك .

فإذا اسْتَخْفَفْتَ بِهِمْ بغَيْرِ حَقٍ اسْتَخَفُّوا بك بحقَ لأن اللَّهِ جل وعلا وتقدس يقول ﴿ وجَزَاءُ سَيئَةٍ سَيئةٌ مثلها ﴾ .

فَتُسَببْ على نفسِكَ أن تكون أهْلاً للإسْتِخْفافِ بكَ مَعَ ما تَجْنِيْهِ مِن الذنوب وطَمْس ما فيكَ مِن فضيلة .

فإنْ كُنْتَ مُعْجَبًا بعَقْلِكَ فَفَكِّرْ وتأمل في كُلِّ فكْرَةِ سُوْءٍ تَحِلُ بخَاطِرِكَ وفي أضَاليل الأمَاني الطائفة بِكَ فإنكَ تَعْلم نقصَ عَقْلِكَ حِيْنَئِذٍ .

وإنْ أعْجبْتَ بآرَائِكَ فَتَأَمَّلْ وفكِّرْ في غلطَاتكَ وسَقَطَاتِكَ واحْفَظْهَا وتَذكُّرهَا وَلا تَنْسَهَا .

وفي رَأْيٍ كُنْتَ تراهُ صَوابًا فتَبَيَّنَ لَكَ خَطَؤُكَ وصَوَابُ غَيرِكَ والغالِبُ أن خَطَأَكِ أكْثَرُ مَن الصَّوَاب .

وهكذا تَرَىَ النَاسَ غيرَ الرُسُلِ والأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وإنْ أعْجبْتَ بعَمَلِكَ فتفكر في مَعَاصيْكَ هل بَيْتُكِ خال من الملاهي والمنكرات مثل الصور والتلفاز والمذياع وأغانيه والمجلات والجرائد التي فيها صور ذوات الأرواح .

وهَلْ هُو خالٍ مَن الأولاد الذي لا يَشهدون الجماعة وهَلْ أنت سَالمٌ مِن الغِيْبَةِ وإخلاف الوعد والكَذب والحَسَد والكِبرِ والرياء .

والعُقُـوق وقـطيعـةِ الرحم والظُلم والرِباء والدُخان وحَلْقِ اللِحْيَةِ

والغِش وقول الزور وسُوءِ الظن بالمسلمين والتجسس ِ عليهم والاحتقارِ لهم ونحو ذلك .

فأَنْتَ إذا تَفَقَدْتَ نَفْسَكَ وبيْتَكَ وأولادَكَ وجَدْتَ عندك مِن الشُرور والآثام ما بَعْضهُ يَغْلِبُ على ما أعجِبْتَ به من عَمَلِكَ الذي لا تدرى هل هو مقبول أو مردود .

وان أعْجبْتَ بعلمك أو عَمَلِكَ فأعلم أنه موهبة من العزيز العليم وهبك إيَّاها فلا تُقَابِلْهَا بما يسخطه عليك .

قال الله جل وعـلا ﴿ وفـوق كل ذي علم عليم ﴾ وقال سبحانه وتعالى ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ .

وأسأل الله أن يزيد منه ، وأن يجعله حجة لك لا عليك ، قال تبارك وتعالى ﴿ وقل رب زدني علما ﴾ .

وتفكر فيما تحمله من العلم هل أنتَ عَامِل به أم لا واجْعَلْ مَكانَ عُجْبكَ بنَفْسِكَ اسْتِنْقاصاً لها واستقصاراً فهو أولى بك .

وتفكر فيمن كان أعلم منك تجدهم كثيراً ، ثم اعلم أن العلم الذي تفتخر فيه ربما يكون وبالاً عليك .

فيكون الجاهل أَحْسَنَ حَالاً ومآلاً وأعذرَ مِنْكَ فبذلكَ التفكير يَزُوْلُ العُجْبُ والكبرُ عنك وتهون نفسُكَ عِنْدَكَ حِيْنَئِذٍ .

وإن أعْجبْتَ بشجَاعَتِكَ وقُوتِكَ فتفكر فِيْمَنْ هو أشْجعُ وأَقْوَى مِنكَ ثم أنْظُرْ في تلكَ النَّجْدَة التي مَنَحَكَ اللَّهُ تعالى فِيْمَ صرَفْتَهَا .

فإن كُنْتَ صرَفْتهـا في مَعْصِيَةِ اللَّهِ فأَنْتَ جَاهِـل آثِم لأنكَ بَذَلْتَ نفسَكَ فيما لَيْسَ ثمنًا لَهَا .

وإن كُنْتَ صرَفْتَهَا في طاعةِ فقد أفْسَدْتَهَا بإعْجَابكَ بعَمَلِكَ .

ثم تفكر في زوالها عَنْكَ وقْتَ الكِبَر عندما تَنْحَل قُوَّتُكَ ويَضْعُفُ

جِسْمُكَ .

نَسـاقَطُ أَسْـنَانٌ ويَضْـعُفُ نَـاضِـرٌ وتَقْصُـرُ خُطْـوَاتٌ ويَثْقُـل مَسْمَـعُ

قال الله جل وعـلا وتقدس ﴿ الله الذي خلقكم مِن ضَعْفٍ ثم جَعَل من بعد ضَعْفٍ قُوَّةً ثم جَعَل مِن قُوَّةٍ ضَعْفًا وشَيْبَة يَخْلُقُ مَا يَشاءُ وهو العليم القدير ﴾ .

وقال وصاحب التَّعَبُدِ المُطْلَقِ ليسَ لَهُ غَرضٌ في تَعَبُّدٍ بعَيْنِهِ يُؤثِرُهُ على غيره .

بل غَرضُـه تَتَبُّعُ مَرْضَاةِ اللَّهِ تعالى أَيْنَمَا كانَتْ فَمَدَارُ تَعَبُّدِهِ عليها فلا يَزَالُ مُتَنَقِّلاً في مَنَازِلِ العُبُودِيَّةِ كلما رُفِعَتْ له منْزِلَةٌ عَمِلَ على سَيْرِهِ إليها واشتَغَل بها .

اللهم وَفِّقْنَا لِسُلوكِ سبِيْلِ أهْلِ الطَّاعَةِ وارزقنا الثبات عليه والاستقامة وعافنا من موجبات الحسرة والندامة وأمنا مِن فزع يوم القيامة واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

٨ مـوعظـة

اسْمَـعْ يا غَائِبُ في صَلاتِـهْ ، يا شَتِيْتَ الهَمِّ في جِهَاتِهِ
يا مَشْغُولاً بآفاتِهِ عن ذِكْر وَفَاتِهْ ، يا قَليلَ الزَّادِ مَعَ قُرْب مَمَاتِهْ .

يا مَن يَرحَـلُ عنَ الدُنيا في كُلِّ لَحْظَةٍ مَرْحلة ، وكِتَابُهُ قد حَوَى حَتَّى مِقْدَارَ الخَرْدَلَةْ ، وما يَنْتَفِعُ بالنَّذِيْرِ والنُذُرُ مُتَّصِلَةْ .

ومـا يَرْعَويْ لِنَصِيْح وكَم قدْ عَذلَهْ ، ودِرْعُهُ مُتَخَرِّقَةٌ والسِهَامُ

مُرْسَلَة ، ونور الهُدَى قد يُروي وما رَآهُ ولا تأمّلهْ وهو يأمَل البَقاءَ وقَدْ رَآى مَصيرَ مَن أَمَّلَهْ .

وأَجَلُهُ قَدْدَني ولكِن أَمَلهُ قَدْ شَغَلهْ ، وقد عَكَفَ على العَيْب بَعْدَ الشّيْبِ بِصَبابَةٍ ووَلَهْ ، ويُحضّرُ بَدَنه في الصلاة وأمَّا القَلْبُ فقد أهْمَلَهْ .

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فبَيْنَ يَدَيْكَ الحِسَابُ والـزَّلْـزَلَة ، ونَعِّمْ جِسْمَكَ فلا بُدَّ لِلدُّود أنْ يأكُلَهْ .

يا عَجَبًا مِن فُتُور مُؤمن بالجُزاءِ والمَسْألَةْ ، أيَقِينٌ بالنَّجَاةِ أمْ غُرُورٌ وبَلَهْ ، بادِرْ مَا بَقِيَ مِنْ عُمْـرِكَ واسْتَدْرِكْ أوَّلَهْ ، فَبَقِيَّةُ عُمُر المؤمِن لا قِيْمَةَ لَهْ .

ومُسْنَدُوْنَ تَعاقَروا كَأْسَ الرَّدي	ودَعَا بِشُرْبِهِمُ الحِمَامُ فَأَسْرَعُوْا
بَرَكَ الزَّمانُ عَلَيْهُمُوْا بِجِرَانِه	وهَفَتْ بِهِم رِيحُ الخُطُوب الزَّعْزَعُ
خُرُسٌ إذَا نَادَيْتَ إلاّ أنَّهُمْ	وعَظُوْا بِمَا يَزَعُ اللَّبِيْبَ فَأسْمَعُوْا
والدَّهْرُ يَفْتِكُ بالنُفُوس حِمَامُهُ	فَلِمَنْ تُعَدُّ كَرِيْمَةٌ أوْ تُجْمَعُ
عَجَبًا لِمَنْ يُبْقِيْ ذَخائِرَ مَالِه	ويَظَلُّ يَحْفَظُهُنَّ وهْوَ مُضَيَّعُ
ولِغَافِلٍ ويَرَى بكُلِّ ثَنِيَّةٍ	مُلْقًى لَهُ بَطْنُ الصَّحَائِفِ مَضْجَعُ
أَتَراهُ يَحْسَب أنَّهُم مَا أسْأرُوْا	مِن كَأسِه أضْعَافَ مَا يَتَجرَّعُ

عِبَادَ اللَّهِ كَمْ أخْلَى الموتُ دارَ ، وتَرَكَ المَعْمُورَ قِفَارًا ، كم أوْقَدَ مِن الأسَفِ في الجوانحِ نارا ، وكَمْ أذَاقَ الغُصَصَ المُرَّةَ مِرَارا .

لَقَدَ جَالَ يَمِيْنًا ويَسَارا فما حَابَى فَقْرًا ولا يَسَارًا ، أين الجيشُ العَرَمْرَمْ ، أيْنَ الكَبيْرُ المُعظَّم ، أُلحِقَ الأخِيْرُ بمَنْ تَقَدَّم .

قال محمد بن كعب القرظي إنما الدنيا سُوقٌ خَرَجَ الناسُ منها بما يَضُرهُم وبما يَنْفَعُهم .

وكم اغـتَرَ نَاسٌ فخـرجُـوا مَلُومِينَ واقْتَسَمَ ما جَمَعُوْا مَن لم يَحْمَدْهُم وصاروا إلى مَن لا يعذرهم .

فَيحقُ لنا أنَ نَنْظُرَ إلى مَا نغبطهم بِهِ مِن الأعمال فَنَعْمَلُهَا ، وإلىَ مَا نَتَخوَّفُ فَنَتَجَنَّبُهَا .

ذَهَبَ الشَّبَابُ بَجْهلِهِ وبعارِهِ ۝ وأتَي المَشِيْبُ بحِلْمِهِ ووَقَارِهِ
شَتَّانَ بَيْنَ مُبعِّدٍ مِن رَبِّهِ ۝ بغُرورِهِ ومُبَشِّرٍ بجوارِهِ
مازلْت أمْرَحُ بالشباب جَهَالَةً ۝ كَالطِّرْفِ يَمْرَحُ مُعْجَبًا بعِذَارِهِ
وسَحَبْت أثواب البَطالَةِ لاهِيًا ۝ وجَررت مِن بَطرٍ فُضولَ أزارِهِ
حتي تقَلْصَ ظِلُه فتكشَفَتْ ۝ عَوْرَاتُه وبَدَا قبيحُ عَوَارِهِ
لم أحْظَ مِنْهُ بِطائلٍ غَيْرُ الأسَى ۝ وتَندمٌ مِنِّي عَلَى أوْزارِهِ
والآنَ قدْ خَطَّ المشيبُ بمفْرقِي ۝ بِمَوَاعِظٍ والحقُّ في تَذْكَارِهِ
والنَّفْسُ تَركَبُ غَيَّهَا لا تَرعَوي ۝ عنه ولا تُصْغِ إلىَ إنْذارِهِ
لَهفِي على عُمْرٍ يَمُرُّ مُضَيَّعًا ۝ مُحْصًى على بلَيْلِهِ ونَهَارِهِ

قال عليٌّ بنِ أبِي طالب رضِي الله عنه مَيْدَانُكُم نُفُوسُكُم فإنْ انْتصَرْتُم عليها كُنتُم على غيرها أقْدَرَ ، وإنْ خُذِلتُم فِيْها كُنْتُم على غيرها أعْجَزْ ، فجَرّبُوا مَعَهَا الكِفَاح أوّلاً .

كان سُفْيَانُ الثوري ما ينام إلاَّ أوَّلَ الليلِ ، ثم يَنْتفِضُ فَزعَا مَرْعُوبَا يُنَادِي النارَ النار شَغَلنِي ذِكْرِ النار عن النَّوْمِ والشهوات .

ثم يَتوضَأ ويقُولُ عَلى أثر وَضُوئِهِ ، اللهم إنَّك عَالمٌ بِحَاجَتِي غير مُعَلَّم وما أطلبُ إلا فَكَاكَ رَقَبتِي مِن النار .

قال عَمُرُ بنُ عبدِالعزيز أيُّهاَ الناس إنما يُرادُ الطَّبيْبُ لِلْوجَعِ الشديْدِ ، ألاَ فَلاَ وَجَعَ أشَدُّ مِن الجَهلِ ولا داءَ أخْبَثُ مِن الذُّنُوب ولا خَوْفَ أخوفُ مِن الموت .

يُرْوَى عن الأصمعي قال قرأتُ « والسارقُ والسارِقَةُ فاقْطَعُوا أيْدِيَهَا جزاءً بما كَسَبا نكالا من الله » والله غفورٌ رَحيم .

وبجنبي أعرابي فقال كلامُ مَنْ هَذا فَقُلْت كلامُ الله .

قال أعِدْ فأعَدْتُ فقال لَيْسَ هَذا كلامُ اللَّهِ ، فانْتبهْتُ فقرأتُ « واللَّهُ عَزيْزٌ حَكِيم » .

فَقَال أصَبْتَ هَذا كلامُ الله ، فَقُلْتُ أتقْرأُ القرآن ، قال لاَ فَقُلْتُ مِن أينَ عَلِمْتَ .

فقال يا هَذا عَزَّ فَحَكَمَ فقَطَع ، ولو غَفَر وَرَحِمَ لما قطَع .

كان أحد العلماء له وظِيْفَةٌ يأخذَ عليها راتبٌ جَيِّدٌ فاتَّفقَ أنَّه كان ياكلُ يَوْمًا مَعَ أصحابه طَعَامًا فجاء قط فَرَمَوْا لهُ شَيْئًا فأخَذه وذَهَبَ سَرِيعا .

ثم رجَعَ فَرَمَوْا لَهُ أيضا شَيْئًا فانْطَلقَ بهِ سَرِيْعًا ثم جَاءَ أيْضَا فَرَمَوْا له شَيْئًا فعلموا أنَّه لا يَأكلُ هَذا كلَّه فتبعُوْهُ فإذَا هوَ يَذْهَبُ بهِ إلى قِطٍ آخَرَ أعْمَى في سَطْحٍ هُنَاكَ فَتَعَجَّبُوْا مِن ذَلِكَ .

فقال الشيْخ ياسُبْحَانَ الله هَذا حَيَوان بَهيم قدْ سَاقَ اللَّهُ إليه رِزْقَهُ على يَد غَيرهِ أفلا يَرْزُقُني وأنا عَبْدُهُ واعْبُدُه .

ثم تركَ ما كانَ لَهُ مِن الرَّاتِب وجمع حَوَاشيه .

وأقبَل على العِبَادَةِ والْمُلاَزَمَة في غرفة في جامعِ عَمْرو بنِ العاص إلى أن مَات .

وكَتَبَ بعضُهم إلى أخ له إيَّاكَ وتأمِير التَّسْويف على نفسكَ وإمْكَانِهِ مِن قَلْبِكَ ، فإنه مَحَلُّ الكَلال ومَوْئِل التَّلف وبه تنقطع الآمالُ وفيه تَنْقَطِعُ الآجال وبادِرْ يا أخي فإنه مُبَادَرٌ بكَ وأسْرِعْ فإنه مُسْرَعٌ بكَ وجدَّ فإنَّ الأمْرَ جِدٌّ وتَيَقَّظْ مِن رَقْدَتكَ وانْتَبِهْ مِن غفلتكَ .

وتَذكَّر ما أسْلَفْتَ وقَصرَّتَ وفَرَّطْتَ وجَنَيْتَ وعَمِلْتَ فإنه مُثْبَتٌ مُحْصَى فكأنك بالأمر قد بَغَتكَ فاغْتَبِطْ بما قَدَّمْتَ أو نَدِمْتَ على ما فَرَّطْتَ .

ثم أعلم أن في التسويف وتأخير الواجب آفاتٌ منها أنك لا تضمن أنْ تَعِيشَ إلى الغد ولا سِيَّمَا في هذا العصر الذي كثرت فيه الحوادث برغم تقَدم الطب وتوفر النعم وتقدم العلم .

ولكن لا يمنع ذلك الموتَ بسَبَبِ الحَوادثِ التي لا تُحْصَى كُلَّ يَوم مِن أسْباب أدَوَاتَ الحَضَارَة : السَّيَّارَاتِ والطائرات والآلات والأجْهِزَة المِيْكَانِيْكِيَّةِ والكَهْرَبائِية والقَزِ والنَّفْطِ وغَيرها بل العلم هو الذي نشَأتْ عنه هَذه الأسباب بإذن الله حَيْثُ كَان الإنسان قبل حُصُول هذه في أمان منها .

ثانياً : إنكَ إن بَقِيتَ إلى الغَدِ لا تأمَنْ مِن المُعَوِّقات مِن مَرضٍ طارىء أوْ شُغْل عَارِض أو بَلاءٍ نَازِل به فلهذا يَنْبَغِي للعاقل الحازم أن يُبَادر إلى اغتنام الفُرصِ وفِعْل الخيرات وأدَاءِ الواجبات وكان العَجْزُ أن تؤخِرَ وتُؤجِل حتى تَفُوتَكَ الفُرصة وتَشْكُو مِن الغُصة وقد قيل :

ولا تُؤَخِّرْ إذَا مَا حَاجَةٌ عَرَضَـــتْ فَهُمْ يَقولُونَ لِلتَّأخير آفَـــاتُ

آخـــــر :

عَليكَ بأمْرِ اليومِ لا تَنْتَظِرْ غَـــداً فَمَنْ لغَدٍ مِن حَادِثٍ بكَفِيـــلِ

آخـــــر :

ولا أُأَخِرُ شُغْل اليوم عن كَسَلٍ إلى غَـدٍ إن يَومَ العَاجزينَ غَـدُ

اللهمَّ يا خالقَ الخَلْقِ يا قَيُّومُ نسألُكَ بأسْمائِكَ الحُسْنَى أنْ تنصُرَ الإسْلَامَ والمسلمينَ وأنْ تُعْلِي بفضْلِكَ كَلِمَةَ الحقّ والدِّينِ وأنْ تَشْمَلَ بعنايَتِكَ وَتَوْفِيقِكَ كلَّ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وأنْ تَمْلأَ قلوبَنا بِمَحَبَّتِكَ وَمَحَبَّةِ مَنْ يُحِبُّكَ وأنْ تأخُذَ بِنَوَاصِيْنَا إلَى ما تَرْضَاهُ وأنْ تَرْزُقَنا الاسْتعدادَ لِمَا أمَامَنَا وأنْ تُهَوِّنَ أمْرَ الدُّنْيا علينا وأن تَغْفِرَ لَنا ولوالدِيْنَا وَلِجميعِ المسلمين برحْمَتِكَ يا أرحَمَ الراحمينَ وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى أهْلِهِ وصحْبِهِ أجمعين .

(فَصْلٌ)

قال بَعْضُهُمْ أعْجَبِ حالات الإنسان أنه يَحْسِبُ لِكلِ شيءٍ حِسَابا ويَسْتَعِدُ لهُ يَخْشَى الفقر فَيدَّخِرُ لَهُ المالَ ويَخْشَى البَرْدَ فيستعِدُ له والحَرَّ كذلك .

ويخشى الشَّيْخُوخَةَ والكِبَرَ فَيَسْعَى في تَحْصِيْلِ الأَوْلادِ لَعَلَّهُم يَخْدمُونَهُ عند العَجْزَ ويَخْلِفُونَه في شُؤُونِهِ الدُّنْيوية والأُخْرَوِيَّةِ وهكذا .

لَكِنَّهُ لا يَدْخُلِ الموتُ الذي رُبَّمَا فاجأَهُ في حِسَابِهِ فلا يَسْتَعدُ له مَعَ أنه يُشاهِدُ الموتَى يَذهَبُونَ ولا يَعُودُون .

وهُوَ مُهَدَّدٌ بالموت في كل ساعة خُصُوصاً في زمننا الذي كثُرتْ فيه أسْبَابُ مَوْتِ الفجأة نَسأل الله أنْ يُوقِضَ قُلُوبَنَا لِلاستعداد لَهُ .

وقال علي رضي الله عنه : أيها الناس اتقوا الله الذي إن قُلْتُم سَمِعَ وإنْ أضْمَرْتمُ عَلِم ، وبادروا الموت الذي إن هَرَبْتُم عنه أدرككم ، وإن أقمتُم أخذَكم، وإن نَسيتُمُوْهُ ذَكَرَكم .

وقال رضي الله عنه : إذا كُنْتَ في إدْبَار والموتُ في إقْبَالٍ فما أسْرَعَ المُلْتَقى .

وقال آخر : الدنيا كطريق فيه شوك مُغْطى بالتراب يدُوْسُهُ مَن لا

يَعْرِف مَسْلَكَهُ فَيَنْخَسُهُ ويَضُرهُ ويُؤلمه ويَقِفُ عنه مَن استرابَ به فَيَسْلَمُ مِن شَـــرِّه .

وقال مَن مَالَ إلى الدُنيا تَعَجَّلَ التَّعَبَ فيها وكان على يَقِينٍ مِن فَنَائِهِ .

وقال ما أغْفَلَ مَن تَيَقَنَ بالرحيل عن الدنيا وهو مُنْهَمكٌ مُجتَهِدٌ في عِمارتها والجَدِيْرُ بالعاقل أن يجَعَلَ جُلَّ أوقاتِهِ للآخرة ولا يَنْسَى نَصِيْبَهُ مِن الدنيا .

فمن جعل همه كله للدنيا ضَيَّعَ نفسَه ، وفِعْلُ السبب لا ينافي التوكل قال ﷺ « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطَاناً » رواه الترمذي .

ففي الحديث دلالة على طلب الرزق الكفاف وعمارة الآخرة تفيد الراحة في الدنيا والنعيم في الآخرة وعمارة الدنيا تكسب التعب فيها والشقاء بعد مفارقتها .

والآخرة صَبْرٌ قليل وسرور طويل .

وقال آخر : الموت راحة لمن كان عبد شهوته ومملوكَ هَواه لأنه كُلَّما طالت حَيَاتُه كَثُرتْ سيئاته وانْبَثَّتْ في العالم جناياتُه .

وقال : الموت محمود على كل حال لِلْبَرِّ والفاجر ، فأما البَرُّ فَيَصلُ إلى مَا قَدَّمَ مِن صالح أعماله وجميلِ أفعالِهِ ، وأما الفاجر فيستريح العالم من فجوره وشروره ويقل تَزَيُّدُه مِن الأوزار .

وختاماً فإن الانسان عند موته ينكشف له الحجَاب فإن كان ممن رضي الله عنه ينكشف له من سعة رحمة الله وجلاله ما تكون الدنيا بالاضافة إليه كالسجن المُضَيَّق .

يفتح له باب إلى الجنة ويأتيه من روحها وريحانها ويوسع له قبره مد بصـــــره .

وإن كان من أهل الشقاء فيرى نفسه محفوفة بالمخازي والفضائح والأنكال ويضيق عليه قبره . ويفتح له باب إلى النار ويأتيه من حرها وسمومها نعوذ بالله من ذلك .

والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين أيدينا وأعجب من ذلك فرحنا بأموالنا وأهلينا وأولادنا وأصدقائنا مع العلم أننا سَنُفَارق الجميع ولكننا في غفلة ولو لم يكن للعاقل هم ولا غم إلا التفكر والتأمل في خطر تلك الحالة وهول المطلع لكان كافياً في استغراق جميع العمر ولكن ما عَرفَ قَدر العُمرِ وعَرف الدنيا حَقيقةً إلا أفراد من الآلاف الذي تمسكوا بسيرة النبي ﷺ وأصحابه الذين جعلوا الدنيا مَطيةً للآخرة نسأل الله العظيم أن يُوفقنا لِسُلوكِ طرِيقِهم وأن يجزيهم عنا وعن جميع المسلمين خيراً ، اللهم طَهِرْ قلوبنا مِن النِّفَاقِ والحَسَدِ والكِبر والعُجْبِ والرِّياءِ وأعْيُنَنَا من الخيانة فإنَكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الأعْينِ وما تخفي الصُدور واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين وارحمنا برحمتك الواسعة يا رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال بعضهم مُوَبِّخاً نَفْسَـــهُ :

دَع التَّشَاغُلَ بالْغِزْلاَنِ والغَـــزَلِ ... يَكْفِيكَ مَا ضَاعَ مِنْ أيَّامِكَ الأوَلِ

ضَيَّعْتَ عُمْرَكَ لا دُنْيَا ظَفِرْتَ بهَا ... وَكُنْتَ عَنْ صَالحِ الأعمَالِ في شُغُلِ

تَرَكْتَ طُرقَ الهُدَى كالشمس واضِحَةٍ ... وَمِلْتَ عنها لِمُعْوَجِّ مِنَ السُّـــبُلِ

ولم تَكُنْ نَاظِراً في أمْر عَاقِبَـــةٍ ... أأنْتَ في غَفْلَةٍ أم أنْتَ في خَبَلِ

يَا عَاجِزاً يَتَمادَى في مُتَابَعَةِ النَّـــ ... ـفسِ اللجُوجِ ويَرْجُو أكْرَمَ النُزلِ

هلا تَشَبَّهْتَ بالأكياس إذْ فَطِنُوا ... فَقَدَّمُوا خَيْرَ مَا يُرْجَى مِنَ العَمَلِ

فَرَّطْتَ يَاصَاحِ فَاسْتَدْرِكْ عَلَى عَجَلٍ ... إن المَنِيَّةَ لا تَأتي على مَهَـــلِ

هِلْ أنْذَرَتْكَ يَقِيناً وَقْتَ زَوْرَتِهَـــا ... أوْ بَشَّرَتْكَ بعُمْرٍ غَيْرِ مُنْفَصِـــلِ

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ مَا الدُّنْيَا بباقِيَةٍ ... ولا الزَّمَانُ بِمَا أمَّلْتَ فيـــه مَلي

لا تَحْسَبَنَ الليَـــالي سَالَمَتَ أَحَداً ... صَفْواً فَمَا سَالَمَتْ إلا على دَخَــــلِ

ولا يَغُرَّنْكَ مَا أوليتَ مِنْ نِعَمٍ ... فَهَلْ رَأَيْتَ نَعِيماً غَيْرَ مُنْتَقِــــــلِ

كَمْ مِنْ فَتىً جَبرَتْهُ بَعْدَ كَسْرَتِهِ ... فَقَابَلَتْهُ بِجُرْحٍ غَيْرِ مُنْدَمِــــــلِ

إلاَمَ تَرْفُلُ في ثَوْبِ الغُرُورِ على ... بِسَاطِ لَهْوِكَ بين التِّيهِ والجَـــــذَلِ

والشَّيْبُ وَافَاكَ مِنْهُ نَاصِحٌ حَذِرٌ ... فَمَا بِهِ كُنْتَ إلا غَيْرَ مُهْتَبِـــــلِ

وَلَمْ تَرَعْ مِنْهُ بَلْ أَصْبَحْتَ تَنْشُـــدُهُ ... إنِّي أَتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ في عَذَلِ

وَسِرْتَ تَطْلُبُ حَظَّ النَّفسِ مِنْ سَفَهٍ ... فَبَهْجَةُ العُمْرِ قَدْ وَلَّتْ ولَمْ تَصِلِ

وَمَالَ عَصْرُ التَّصَابي مِنْكَ مُرْتَحِلاً ... وَحَالَةٌ عَنْ طَرِيقِ الغَيِّ لَمْ تَحُلِ

أَقْسَمْتُ بالله لو أَنْصَفْتَ نَفْسَكَ مَا ... تَرَكْتَهَا بِاكْتِسَابِ الوِزْرِ في ثِقَلِ

أَمَا عَلِمْتَ بِأَنَّ الله مُطَّلِـــــعٌ ... على الضَّمَائِرِ والأَسْرَارِ والحِيَـــلِ

وكُلُّ خَيْرٍ وشَرٍّ أَنْتَ فَاعِــــلُهُ ... يُحْصَى ولو كُنْتَ في الأَسْتَارِ والكِلَلِ

أَمَا اعْتَبَرْتَ بِتَرْدَادِ المَنُـــونِ إلى ... هَذِى الخَلِيقَةِ في سَهْلٍ وفي جَبَلِ

وسَوْفَ تَأْتي بِلا شَكٍّ إليكَ فَمَا ... أَخَّرْتَ عَمَّنْ مَضَى إلاَّ إلى أَجَلِ

لكِنَّهُ غَيْرُ مَعْلُومٍ لَدَيْكَ فَخُــذْ ... بالحَزْمِ وانْهَضْ بِعَزْمٍ مِنْكَ مُكْتَمِلِ

دَعِ البَطَالَةَ والتَّفْرِيطَ وَابْكِ على ... شَرْخِ الشَّبَابِ الذي وَلَّى ولَمْ يَطُلِ

وَلَمْ تُحَصِّلْ بِهِ عِلْماً ولا عَمَـــلاً ... يُنْجِيكَ مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الحَادِثِ الجَلَلِ

وابْخَل بِدِينِكَ لا تَبْغِي به عِوَضاً ... ولَوْ تَعَاظَمَ واحْذَرْ بَيْعَةَ السِّفَــلِ

واتْلُ الكِتَابَ كِتابَ الله مُنْتَهِيـــاً ... عَمَّا نَهَى وتَدَبَّرْهُ بلا مَــــلَلِ

وكُلُّ مَا فِيهِ مِنْ أَمْرٍ عَلَيْكَ بِهِ ... فَهْوَ النَّجَـــاةُ لِتَالِيهِ مِنَ الظُّلَلِ

ولازِمِ السُّنَّةَ الغَـــرَّاءَ تَحْظَ بِهَا ... وَعَدِّ عَنْ طُرُقِ الأَهْـــوَاءِ واعْتَزِلِ

وَجَانِبِ الخَوْضَ فِيمَا لَسْتَ تَعْلَمُهُ ... واحْفَظْ لِسَانَكَ واحْذَرْ فِتْنَةَ الجَدَلِ

وكُنْ حَرِيصاً على كَسْبِ الحَلالِ ولَوْ ... حَمَّلْتَ نَفْسَكَ فيه غَيْرَ مُحْتَمَــلِ

واقنَعْ تَجِدْ غُنْيَةً عن كَلِّ مَسْأَلَةٍ فَفِي القَنَاعَةِ عِـــزٌّ غَيْرُ مُرْتَحِلِ
واطْلُبْ مِنَ اللهِ واتْرُكْ مَنْ سِوَاهُ تَجِدْ مَا تَبْتَغِيهِ بلاَ مَنٍّ ولا بَـــدَلِ
ولا تُدَاهِنْ فَتىً مِنْ أَجْلِ نِعْمَتِهِ يَوْماً ولَوْ نِلْتَ مِنْهُ غَايَةَ الأَمَـــلِ
واعْمَلْ بعِلْمِكَ لا تَهْجُرْهُ تَشْقَ بِهِ وانْشُرْهُ تَسْعَدْ بِذِكْرٍ غَيْرِ مُنْخَذِلِ
ومَنْ أَتَى لَكَ ذَنْباً فَاعْفُ عَنْهُ ولا تَحْقِدْ عَلَيْهِ وفي عُتْبَاهُ لا تُطِـــلِ
عَسَاكَ بالعَفْوِ أَنْ تُجْزَى إذَا نُشِرَتْ صَحَائِفٌ لَكَ مِنْهَا صِرْتَ في خَجَلِ
ولا تَكُنْ مُضمِراً مَا لَسْتَ تُظْهِرُهُ فَذَاكَ يَقْبحُ بَيْنَ النَّاسِ بالرَّجُلِ
ولا تَكُنْ آيِساً وارْجُ الكَرِيمَ لما أَسْلَفْتَ مِنْ زَلَّةٍ لكِنْ على وَجَلِ
وَقِفْ على بَابِهِ المَفْتُوحِ مُنْكَسِـــراً تَجْزِمْ بتَسْكِينِ مَا في النَّفْسِ مِنْ عِلَلِ
وارْفَعْ لَهُ قِصَّةَ الشَّكْوَى وَسَلْهُ إذا جُنَّ الظَّلامُ بِقَلْبٍ غَيْرِ مُشْتَغِـــلِ
ولازِمِ البَابَ واصْبِرْ لا تَكُنْ عَجِلاً واخْضَعْ لَهُ وتَذَلَّلْ وادْعُ وابْتَهِلِ
ونَادِ يَا مَالِكِي قَدْ جِئْتُ مُعْتَذِراً عَسَاكَ بالعَفْوِ والغُفْرَانِ تَسْمَحُ لي
فَإِنَّني عَبْدُ سَوْءٍ قَدْ جَنَى سَفَهـــاً وضَيَّعَ العُمْرَ بَيْنَ النَّوْمِ والكَسَلِ
وغَرَّهُ الحِلْمُ والإِمْهَالُ مِنْكَ لَهُ حَتَّى غَدَا في المَعَاصِي غَايَةَ المُثُلِ
ولَيْسَ لي غَيْرُ حُسْنِ الظَّنِّ فِيكَ فَإِنْ رَدَدْتَنِي فَشَقَـــاءٌ كَانَ في الازَلِ
حَاشَاكَ مِنْ رَدِّ مِثْلِي خَائِباً جَزِعاً والعَفْوُ أَوْسَعُ يَامَوْلاى مِنْ زَلَلِي
ولَمْ أَكُنْ بِكَ يَوماً مُشْرِكاً وإلى دِينٍ سِوَى دِينِكَ الإِسْلامِ لَمْ مِلِ
وكَانَ ذَلِكَ فَضْلاً مِنْكَ جُدْتَ بِهِ ولَيْسَ ذَاكَ بسَعْيِي كَانَ مِنْ قِبَلِي

اللهم اعْتِقْنَا مِن رِقِّ الذُنُوبْ ، وخَلِّصْنَا مِن أَسْرِ النَّفوسْ ، وأذْهِبْ عَنّا وَحْشَـةَ الإِسَـاءَةْ ، وطَهِّرْنا من دَنَس الذنوب ، وباعِدْ بَيْنَنَا وبَيْنَ الخَطَايَا وأَجِرْنا مِن الشيطان الرجيم .

اللهم طَيِّبْنَـا لِلِقَـائِـكَ ، وأَهِّلْنَـا لِوَلائِـكْ وأَدْخِلْنَا مَعَ المَرْحُومِينْ مِن

أَوْلِيَائِكْ ، وتَوفَّنَا مُسْلِمِيْنْ والحقَنَا بالصالحين .

اللهم أعِنَّا على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبَادَتِكْ ، وتلاوَةِ كِتَابِكْ ، واجْعَلْنَا من حِزْبكَ المُفْلِحِيْنَ ، وأيِّدْنَا بجُنْدِكَ المنْصُورين ، وارْزُقْنَا مُرافَقَةَ الذيْنَ أنْعَمْتَ عليهم من النبيينَ والصِّدِيقينَ والشهداء والصَّالحِينِ . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فوائد ومواعظ وارشادات وأحكام

قال ابن مَسْعود رضي الله عنه إني لأكره أنْ أرى الرَجُل فارِغًا لا في أَمْرِ دُنْيَاهُ ولا في أَمْرِ دِيْنِهِ .

وقال عُمرُ بن الخطاب رضي الله عنه لا يَقْعُدْ أَحدُكم عن طَلَبِ الرِزْقَ ويَقُوْلُ اللَّهُمَّ ارْزُقْني فقد عَلِمْتُمْ أَنَّ السَّماءَ لا تُمْطِر ذَهَبًا ولا فِضَّةً .

وكان مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ يَغرِسُ في أرْضِه فقال عمر رضي الله عنه أَصَبْتَ اسْتَغْنِ عن الناس يَكُوْنُ اصْوَنُ لِدِيْنِكَ وأَكْرَمُ لكَ عليهم .

وَسُئِلَ إبْراهِيمُ النَّخعِيْ عَن التَّاجِرُ الصَّدُوْقُ أَهُوَ أَحبُّ إليْكَ أَم المُتَفِرِّغُ لِلْعِبَادَة .

قال التاجر الصَّدُوْقُ أَحَبُّ إلِيَّ لأَنَّهُ في جِهَادٍ يَأْتِيْهِ الشَّيْطَانِ مِن طَرِيْقِ المِكْيَالِ والمِيْزَان ، ومِن قِبَلِ الأَخْذِ والعَطَا فَيُجَاهِدُهُ .

وقِيْلَ للإمـام أَحْمَدِ ما تَقُولُ فِيمَنْ جَلَسَ في بَيْتِهِ أَوْ مَسْجِدِه وقال لا أَعْمَلُ شَيْئاً حتى يأتِيْني رزْقِي .

فقال أَحْمَدُ هذا رَجُلٌ جَهِلَ العِلْمِ أَمَا سِمَعَ قول النبي ﷺ « إنَّ الله جَعَلَ رِزْقِي تحْتَ ظِلِّ رُمْحِي » .

وقوله ﷺ حِيْنَ ذَكَرِ الطَّيْرَ « تَغْدُوا خِمَاصًا وتَرُوحُ بِطَانًا » فذكر أنها تَغْدُوْا

فِي طلب الرزقِ .

وكـان أَصْحَـابُ رَسُـول الله ﷺ يَتَّجِرُونَ في البَرِّ والبَحْرِ وَيَعْمَلُونَ في نَخِيْلِهِمْ والقُدْوَةُ بهم .

وَجَاءَتْ رِيْحٌ عَاصِفَةٌ في البَحْرِ فقال أَهْل السَّفِيْنَةِ لإبْرَاهِيْمَ بْنِ أَدْهَم رحمه اللَّهُ وكان مَعَهم في السَّفِيْنَةِ .

أَمَا تَرَى هَذه الشِّدَّة فقال ما هَذه شِدَّةٌ إِنَّما الشِدَّةُ الحَاجَةُ إلى الناس .

ورُوِي أَنَّ الأَوْزَاعِي لَقِي إِبْـرَاهِيْمَ بْنَ أَدْهَم وعلى رَأْسِهِ حُزْمَةُ حَطَب فقال يَا أَبَا اسْحَاقَ إلى مَتَى هَذَا إِخْوَانُكَ يَكفُونَكَ .

فقَالَ دَعْني عن هَذا يَا أَبَا عَمْرو فإنَّهُ بَلَغَني أَنَّهُ مَنْ وَقَفَ مَوقفَ مَذَلَّةٍ في طلب الحَلالَ وجَبَتْ له الجَنَّة .

وقال أبُو سُلَيْمانَ الدَّارَني لَيْسَ العبَادَةُ عِنْدَنَا أنْ تَصُفَّ قَدَمَيْك ، وغَيْرُكَ يَقُوْتُ لك ، ولَكِنْ إِبْدَأ برَغِيْفيْكَ فأَحْرِزْهُمَا ثم تَعَبَّدْ . أهـ .

فالإنسـانُ البَصِـيْرُ يَتَسَببُ ويَسْـتَرزِقُ اللَّهَ ويَبِيْعُ ويَشْـتَرِي بإخَلاصٍ ونُصْحٍ لِنفسِهِ ولِلمسلمين .

كانَ عنـدَ يُونُس بْنِ عُبَيْد حُلل مُخْتَلِفَةَ الأَثمانِ قِسْم مَنها قِيْمَةُ الحُلَّةِ أَرْبَعْمائةٍ ، وقِسْمٌ قِيْمَةُ الحُلَّةِ مِئتَانِ .

فَذهَبَ مُبَـادِرًا إلى الصلاة وخَلَّفَ ابنَ أَخِيْهِ في الدُّكَانِ فَجاءَ أَعْرَابِيٌّ وطلب حُلَّةً بأَرْبَعْمائة .

فَعَرضَ عليه مِن حُلَلِ المِئَتَين فاسْتَحْسَنَهَا ورَضِيَها فاشتراهَا بأَربَعْمَائة وذَهَبَ بها .

فلَقِيَهُ يُونُسُ فقال بِكَمْ اشتَرَيْتَ هَذِهِ فقال بأَرْبَعِ مِائَةِ فقال لا تُساوِيْ أَكثر مِن مِأَتَينْ فارْجِعْ حتى تَرُدَّهَا .

فقال هَذِه تُسَاوي في بَلَدِنَا خَمْسُمائة وأنَا ارْتَضَيْتُها فقال لَهُ يُونُسُ انْصَرِفْ

فإنَّ النُصْحَ في الدِيْن خَيْرٌ من الدُنْيَا وَمَا فِيها .

ثـم رَدَّهُ إلى الدُّكَانِ ورَجَّعَ عليه مِئَتَيْ دِرْهَم وَوَبخ ابْنُ أَخِيْهِ وقال لَهُ أَما اسْتَحْيَيْتَ أَمَا اتَّقَيْتَ اللَّهَ تَرْبَحُ مِثْلَ الثمَنِ وتَتْرُكَ النُصْحَ لِلْمُسْلِمِين .

فقال واللَّهِ ما أَخَذَهَا إلاَّ وَهُوَ رَاضٍ بها قال فَهَلاَّ رَضِيْتَ لَهُ ما تَرْضَاهُ لنَفْسك .

وكان يُوْنُسُ بنُ عُبَيْد المذكور التابِعي خَزَّازًا (أَيْ يَبِيْعُ الخَزَّ) فَطَلَبَ منه المُشْتَرِي خَزًا لِلشِرَاءِ .

فأَخْرَجَ غُلاَمُهُ سِفْطَ الخَزّ ونَشَرَهُ ونَظَرَ إليه وقال اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الجَنَّةَ .

فقال لِغُلاَمُهُ رُدَّهُ إلى مَوْضِعِهِ ولم يَبِعْهُ ، لأَنَّهُ خَافَ أَن يَكُونَ كَلاَم الغُلاَمِ تَعْرِيْضًا بالثَّنَاءِ على السِّلْعَةِ ومَدْحًا لَهَا فَيَكُونُ مِن باب الغِش والخِدَاع .

اللَّهُمَّ يا مَنْ لا تَضُرُّهُ المعصيةُ ولا تَنْفَعُهُ الطاعَةُ أيقَظْنَا مِنْ نَوم الغَفلة وَنَبِّهْنـا لاغتِنَام أوقـاتِ المُهْلَة وَوَفّقْنَـا لِمَصَالِحِنَا واعْصِمْنا من قبائِحِنَا ولا تؤاخِذْنا بما انْطَوَتْ عليهِ ضَمائِرُنَا وأَكَنَّتْهُ سَرَائِرُنا مِنْ أنواع القَبَائِح والمعائِب التي تَعْلَمُها مِنا ، وامنُنْ علينا يا مولانا بتوبةٍ تمحو بها عَنا كُلَ ذَنْبٍ واغفِرْ لنـا ولـوالـدِيْنـا ولجميعِ المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمَتِك يا أرحم الراحمين وصلى اللَّهُ على محمدٍ وآلِهِ وصحْبِه أجمعين .

(فَصْــــلٌ)

وكانَ لُمحَمَّدِ بن المنكَدِرِ قِطَعُ قماشٍ بَعْضُها بِخَمْسَةٍ وبَعْضُها بِعَشَرَةٍ فباعَ غُلاَمُهُ قِطْعَةً مِن القِطَع التي على خَمسَة بِعَشَرَةٍ .

فلما عَلِم محمدُ بذلك ذَهَبَ يَطْلُب الَذي اشْتَرَى مِن غلامِهِ لِيَردَّ عليه خَمسةً فلم يَزَلْ يَطْلُبُهُ طُولَ النَّهَار حتى وجَدَهُ .

فقال لَهُ إنَّ الغُلامَ قَدْ غَلِطَ باعَكَ ما يُسَاوِي خَمْسَةً بعَشرةٍ .

فقال يا هَذا أنَا قَد رَضِيْتُ فقال له وإنْ رَضِيْتَ فإنا لا نَرضَى لَكَ إلا ما نَرْضَاهُ لأنْفُسِنَا .

فاخْتَرْ إحْدَى ثلاثَ خِصَالٍ إما أن تأخُذْ بَدَلَهَا مِن القِطَعِ التي على عَشَرةٍ بدَرَاهِمِكَ وإمَّا نَرُدَّ عَلَيْكَ خَمسَةً وإمَّا أنْ تَرُدَّ القِطْعَةَ وتأخُذَ دَرَاهِمَكَ .

فقال أعْطني خَمْسَةً فرجَّعَ عليه خَمْسَةً وأخَذَهَا وانصرف .

فقال مَن هذا الرجل الناصح لِنَفْسِهِ ولِلْمسلمين فقالوا هذا مُحَمَّدُ بنُ المنكَدِر رحمه الله . هذا من رقم (١) في الزهد والورع .

وكان لِيُونس بن عُبيد غلام يُجَهِّزُ إليه السُكْرُ فكَتَبَ إليه مَرَةً أنَّ قَصَبَ السُكَرِّ قَدْ أَصَابَتْهُ آفةٌ هذه السَّنَة فاشْتَرِ السُكرَ قال فاشتَرى سُكرًا كثِيْرًا .

فلَما جاءَ وَقْتُهُ رَبِحَ فِيْهِ ثلاثينَ أَلْفًا فانْصرَفَ إلى مَنْزِلِهِ ، فأفْكَر لَيْلَتَهُ وقال رَبِحْتُ ثلاثِيْنَ ألفا وخَسِرْتُ نُصْحَ رَجُلٍ مِن المُسْلمين .

فلما أصْبَحَ غدا إلى بَائِعِ السُكر فدَفَع إليه ثلاثين ألْفَا وقال بارَكَ اللَّهُ لكَ فيها فقال مِن أيْنَ صَارَتْ لِي فقال إني كتمتُكَ حَقِيْقَةَ الحال وكان السُكَّرُ قد غلا في ذلك الوَقْت .

فقال رحَمك اللَّهُ قد أعْلَمْتني الآن وقد طَيَّبْتُها لكَ قال فرجَعَ بها إلى مَنْزِلِهِ وتفكَّر وَبَاتَ سَاهِرًا وقال مَا نَصَحْتُهُ فَلَعَلَّهُ اسْتَحْيَا منِّيْ فَتَرَكَهَا لِيْ .

فبكر إلَيه مِن الغَدِ وقال عَافَاكَ اللَّهُ خذْ مالَكَ إليْكَ فهو أطْيَبُ لِقلْبِي فأخَذَ منه ثلاثِيْنَ ألْفَا . هذا مِن رقم (١) في الورع والزُهْد .

ونُقِلَ عن بَعْضِ الوَرِعِيْنَ أنه اشْتَرى كُرَّ لَوْزٍ وهُوَ سِتُون قَفِيْزًا بِسِّتِيْنَ دِيْنارا .

وكَتَبَ في دَفْتَرِهِ ثَلاثَةَ دَنانِيْرَ رِبْحُهُ .

وكأنَّهُ رَأى أنْ يَرْبَحَ على العَشَرةِ نِصْفَ دِيْنار فصَار اللَّوزُ بتِسْعِينْ .
فأتاه الدلال فطلَبَ اللَّوْزَ فقال خُذْهُ قال بكَمْ قال بثلاثة وسِتّين دِيْنَارًا .
فقال الدَّلاَلُ وكان مِن الصَالِحِين الوَرعِين قَدْ صَارَ اللُّوزُ بتسْعِينْ .
فقال قد عَقَدْت عَقْدًا لا أُحُلُّهُ لَسْتُ أَبِيْعُهُ إلا بثلاثٍ وسِتين .
فقال الدَّلاَلُ وَأَنَا عَقَدْتُ بَيْني وبَيْنَ اللَّهِ أَلاَ أغُشَّ مُسْلِماً لَسْتُ أخُذْهُ مِنْكَ إلاَّ بِتِسْعِين .
فَتَفَرَّقَا بِدُونِ بَيْع .
كُلُّ منهما مَا يُرِيْدُ أَنْ يُفْسِدَ نِيَّتَهُ وهذانِ مِن رقم واحِد في الوَرَع .
وباعَ ابنُ سِيْرين شاةً فقال لِلْمُشْتَري إن فِيها عَيْبًا « إنها تَقْلبُ العَلَفَ برجْلِهَا » قلت فعلى المسلم الناصح أن يُبيِنّ لأَخِيْهِ المُسْلِم كُلَّ مَا يَعْلَمُه في المبيع مِن العُيُوبِ كَكَوْنِ الدابةِ تأكل العَذِرَةَ أو تأكل الخِرَقَ أوْ ما تحلبِ إلا عَلى نَوع من الطعام
ويُحْكَى أنَّ وَاحِدًا كان لَهُ بَقَرة يَحْلبَهَا ويَخْلِطُ لبَنَهَا بالماءِ ويَبِيْعُهُ فجاء سَيْلٌ فَغَرَّقَ البَقَرَة .
فقال أحَدُ أوْلاَدِهِ إنَّ تِلْكَ المِيَاه المُتَفَرّقَةِ الَّتِي غَشَّيْنَا فيها اللَّبَنَ اجتَمَعَتْ دُفْعَةً واحِدَةً فأَغْرَقَتِ البَقَرَةَ .
وعن أحَدِ التابعين أنَّهَ قال لَوْ دَخَلْتُ الجَامِعَ وهو غَاصٌ بأَهْلِهِ وقِيْلَ لِيْ مَن خَيْرُ هَؤلاَء لَقُلْتُ أنْصَحُهُمْ لَهُمْ ، فإذا قالُوا هذا قُلْتُ هُوَ خيرهم .
ولو قِيْلَ لي مِنْ شَرُهُمْ قُلْتُ أغشُهُمْ لَهُمْ فإذَا قِيْلَ هَذَا قُلْتُ هُوَ شَرُهُمْ .
وبَاعَ الحَسَنُ بنُ صَالح وهو مِن رجال البُخَاري جَارِيَةً فقال لِلْمُشْتَري إنَّهَا تَنَخَّمَتْ عِنْدَنَا دَمًا .
وخِتَامًا فَعَلَى المُسْلِم أن يَجْتَنِبَ بَيْعَ المنكرات والملاهي كالصُور والتِلفاز والفِيديو وجَميعَ المُحَرَّمات والمُنْكَرات وأَوَاني الذهب والفِضَّةِ لمن يَسْتَعْمِلُهَا .

والدُّخانَ وَأَوْرَاقَ اللَّعِبْ والطُبول والمزامِير وكُلّ ما يُشْغِلُ عن طاعةِ اللَّهِ أَوْ يُعِينُ عَلَى مَعَاصِي اللَّهِ .

ويَنْصَح مَنْ يَتَعَاطى هذه وأمثالَها نسأل اللَّهَ أن يُعَافِينَا وجميع المسلمين .

تَـورَّعْ وَدَعْ مَـا إنْ يَـريبُـكَ كُـلَّهُ   جَمِيْعـاً إلـى مَـا لا يَـريبُكَ تَسْـلَم
وحَافِظْ عَلى أَعْضائِكَ السَّبْعِ جُمْلَةً   وَرَاعِ حُقُـوقَ اللَّهِ في كُلِّ مُسْـلِم
وكُـنْ رَاضِـياً باللَّهِ رَبًّـا وحَـاكِمًا   وفَـوِّضْ إلَيْـهِ في الأُمُـوْرِ وَسَـلِّم

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِصَالحِ الأَعْمَالَ ، ونَجِّنا من جميعِ الأَهْوَالِ ، وأَمِّنَّا مِنَ الفَـزَعِ الأكْـبَرِ يومَ الـرَّجْفِ والـزلْـزَالْ ، وَاغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ منهم والميتين بِرَحْمَتِكَ يا أرْحَم الرَّاحِمِيْنَ ، وصَلى اللَّهُ على محمدٍ وآلِهِ وصحبه أجمعين .

عن أبي بَرْزة الأسلمي أن جُلَيْبِيباً كان امرأ من الأنصار ،

وكان أصحاب النبي ﷺ إذا كان لأحدهم أيِّم (أي لا زَوْجَ لها) لم يزوجها حتى يُعلِمَ النبي ﷺ : هَلْ لَهُ فِيهَا حَاجَةً أَمْ لا ؟

فقال رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ لِرَجُلٍ مِن الأنصار : يافُلَانُ زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ . قال : نَعَمْ ونِعْمَةُ عَيْنٍ . قال : إني لَسْتُ لِنفْسِي أُرِيدُهَا قال : لِمَنْ ؟ قال : لِجُلَيْبِيبْ . قال : يارسولَ ﷺ حَتَّى أستأمِرَ (أي أشَاوِرُهَا) وأمَّهَا .

فأتاها فقالَ : إن رسول الله ﷺ يَخْطُبُ ابنَتَكِ . قالتْ : نَعَمَ ونِعْمِةُ عَيْنْ ، زَوِجْ رسولَ الله ﷺ .

قال : إنه لَيْسَ لنَفْسه يُرِيدُهَا . قَالتْ : فلِمَنْ ؟ قال : لِجُلَيْبِيب . قالت : حَلْقَى أَلِجُلَيْبِيب ؟ لا لَعَمْرُ الله لا أزَوِجُ جُلَيْبِيباً .

فلما قَامَ أبُـوهَـا لِيأْتي النبي ﷺ قَالت الفتـاةُ مِن خِدْرِها لأبَـويْهـا : مَن خَطَبني إليكُما ؟ قالا : رسولُ الله ﷺ . قالتَ : أفتَرُدُّونَ على رسول الله ﷺ أمْرَهُ ؟ ادْفَعُوني إلى رسولُ الله فإنَّهُ لَنْ يُضَيِّعَني .

فَذَهَبَ أبُـوها إلى النبي ﷺ فقال : شأنَكَ بِها . فزوَّجَهَا جُلَيبيباً .

قال اسحاق بن عبد الله بنُ أبي طلحة لِثَابت : أتَدْري ما دَعَا لها به النبي ﷺ ؟ قال : وما دَعَا لها به النبي عليه السلام ؟

قال : اللهم صُبّ عَلَيها الخَيرَ صَبّاً ولا تجْعَلْ عَيشَهَا كَدّاً كَداً .

قال ثَابتُ : فَزَوَّجَهَا إيَّاهُ ، فبينما رسولُ الله ﷺ في مَغزَى له قال : هَلْ تَفْقِدُونَ مِن أحَدٍ ؟ قالوا : نَفْقِدُ فُلاناً ونَفِقْدُ فُلاناً ونَفْقِدُ فلاناً .

ثم قال : هَلْ تَفْقِدُونَ مِن أحَدٍ ؟ قالوا : نفقد فلاناً ونفقد فلاناً .

ثم قال : هل تَفْقِدُونَ مِن أحَدٍ ؟ قالوا : لا .

قال : لَكِني أفْقِدُ جُلَيْبِيباً فَطْلبُوه في القَتْلى .

فَنَظَرُوْا فَوَجَدُوْهُ إلى جَنْبِ سَبْعَةٍ قد قَتَلَهمُ ثم قَتَلُوه .

فقال رسولَ الله ﷺ : هذا مِنِّي وأنا مِنه ، أقَتَلَ سَبْعَةً ثم قَتَلُوه هَذَا مِنِّي وأنا مِنْهُ أقَتَلَ سَبْعَةً ثمْ قتلوْه هذا مني وأنا منه .

فوضعه رسول الله ﷺ على ساعِدَيهِ ثم حَفَرُوْا لَهُ ما له سَرِيْر إلا ساعِدَي رسول الله ﷺ حتى وضعه في قبره .

لله در هذه الأنفس فما أعزَّها وهذه الهمم فما أرفعها !

وَلَمَّا رَأَوا بَعْضَ الحياةِ مَذلـــــةً عليهم وعِزّ المـــوتِ غيرَ مُحَرَّمِ
أبَوْا أنْ يَذُوقُو العَيْشَ والذَمُّ واقعٌ عليـــه وماتُوا مِيْتَةً لَمْ تُذَمَّـــمِ
ولا عَجَبٌ لِلأسْدِ إنْ ظَفِرَتْ بها كِلابُ الأعادِي مِن فَصِيحٍ وأعَجَمِ
فَحَرْبةُ وحْشِيٍّ سقَتْ حَمزةَ الردَى وحَتْفُ عليٍّ في حُسَامِ ابنِ مُلْجَمِ

روى مسلم في أفـراده من حديث أنس بن مالـك قال : انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه إلى بَدْر حتى سبقوا المشركين ، وجاء المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى جنةٍ عَرْضُها السمواتُ والأرض .

قال : عُمَيْر بن الحمام الأنصاري : يارسول الله جنةٍ عَرْضُها السموات والأرض ؟! قال • نعم . قال : بَخٍ بَخٍ يارسول الله . فقال : ما يحملك على قولك بَخٍ بَخٍ ؟ قال [لا] والله يارسول الله إلا رَجَاءَ أن أكونَ مِن أهلها ، قالَ : فإنكَ مِن أهلها .

قال : فأخْرَجَ تَمراتٍ مِن قَرْنه فَجعَلَ يأكُلُهنَّ ثم قال : إنْ أنا حَيِيْتُ حَتَّى آكُلَ تَمراتي هذه إنها لَحياةٌ طويلة . فَرَمَى بما كان مَعَهُ مِن التمر ثم قاتل حتى قُتل .

قال الواقدي : لما أراد عمرو بن الجَمُوح الخروج إلى أحد، منعه بَنُوه ، وقالوا : قد عَذَرَكَ اللهُ . فجاء إلى النبي ﷺ فقال : إن بَنِيَّ يُرِيدُونَ حَبْسِي عن الخُروج مَعَكَ وإني لأرجُو أنْ أطأ بعرْجتي [هذه] في الجنة ، فقال : « أمّا أنْتَ فقد عَذَرَكَ اللهُ » ثم قال لِبَنِيهِ: لا عليكم أنْ لا تمنعوه لَعَلّ الله عز وجل يرزقه الشهادة . فخلّوا سَبِيلَه .

قالَت امـرأتـه هند بنت عمرو بن خُزَام : كأني أنظر إليه مُوَلِّياً، قد أخذ دَرقته وهو يقول : اللهم لا تردَّني إلى خَرْبى وهي

منازل بني سلمة .

قال أبو طلحة : فنظرتُ إليه حين انكشف المسلمون ثم ثابوا ، وهو في الرَّعيل الأول ، لكأني أنظر إلى ظَلع في رجله وهو يقول : أنا والله مشتاق إلى الجنة !

ثم أنظر إلى ابنه خَلَّاد [وهو] يَعْدو [معه] في إثْره حتى قتلا جميعاً .

وفي الحديث أنه دُفن عمرو بن الجَمُوح وعبدالله بن عُمر وأبو جابر في قبر واحد ، فَخرَّب السيلُ قُبورهم ، فحفر عنهم بعد ست وأربعين سنة فوجدوا لم يتغيروا كأنهم ماتوا بالأمس .

عن أنس بن مالـك قال : كنا جُلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: يَطْلُعُ الآنَ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أهْلِ الجَنَّة ، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَار تَنْطفُ لِحيَتُهُ مِنْ وَضُوئهِ قَدْ عَلَّقَ نَعْلَيْه بيَدِه الشِّمال .

فَلَمَّا كانَ الغَـدُ قال النبي ﷺ : مِثْلَ ذلكَ ، فَطَلَعَ ذلك الرَّجُلُ مِثْلَ المرَّةِ الأولى .

فلمَّا كان اليومُ الثالثُ قال النبي ﷺ مِثْلَ مقالته أيضا فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى فلما قام النبي ﷺ تَبعَهُ عبدالله ابنُ عمـرو ، فقـال: إني لاحَيْتُ أبي ، فأقسمتُ أني لا أدخُـلُ عليه ثلاثاً، فإن رأيْتَ أن تُؤْوِيَني إليكَ حتى تَمْضِي فَعَلْتَ . قال : نعم .

قال أنسٌ : فكانَ عبدالله يُحَدِّثُ أنَّهُ باتَ معهُ تلكَ الثَّلاثَ الليالي فَلَمْ يَرَهُ يَقُـومُ مِن الليلِ شَيْئاً غير أنهُ إذا تَعارَّ تَقَلَّبَ على فِرَاشِهِ ذكرَ الله عز وجل ، وكبر حتى لِصَلاة الفجر .

قال عبدالله : غَيْرَ أنِّي لم أسمعهُ يقولُ إلا خَيْراً ، فلمَّا مَضَتِ الثَّلاثُ الليالي ، وكِدْتُ أنْ أحْتَقِرَ عَمَلَهُ .

قُلْتُ : يا عبدالله لمْ يَكُنْ بيْني وبَيْنَ أبي غَضَبٌ ولا هُجْرَةٌ ، ولكن سَمعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ لكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ : يَطْلُعُ عليكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِن أهل الجنة ، فَطَلَعْتَ أنتَ الثلاثَ المَرَّاتِ ، فأرَدْتُ أن آوِيَ إليكَ .

فأنْـظُرَ مَا عَمَلُكَ ، فَأقْتَـدِيَ بكَ ، فلم أرَكَ عَمِلْتَ كبيرَ عَمَلٍ ، فما الذي بَلَغَ بكَ ما قال رسولُ الله ﷺ ؟

قال : مَاهُوَ إلا مَارَأيْتَ ، فلمّا وَلَّيْتُ دَعَاني فقال : ماهُوَ إلا مارأيْتَ غيرَ أني لا أجدُ في نفسي لأحَدٍ مِن المسلمِين غِشًّا ولا أحْسُدُ أحداً على خَيْرٍ أعطاهُ الله إيَّاهُ .

فقال عبدالله : هذه التي بَلَغَتْ بِكَ ، رواه أحمد بإسناد على شرط البخاري ومسلم والنسائي .

عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بعث جيشاً فيهم رجل يقال له : حُدَيْر . وكانت تلك السنة قد أصابتهم سَنة مِن قِلةِ الطعام ، فزوّدَهمُ رسولُ الله ﷺ ونَسِيَ أنْ يُزَوِّدَ حُديراً .

فخرجَ حُديرٌ صابراً محتسباً وهو في آخر الركب يقول : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، وسبحان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . ويقول : نعْم الزّاد هو يارَب . فهو يردّدها وهو في آخر الركب .

قال : فجاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال له : إن ربِّي أرسَلَني إليك يُخْبِرُكَ أنكَ زَوَّدْتَ أصَحابَكَ ونسيتَ أنْ تُزَوِّدَ حُدَيْراً ، وهو في آخر الركب يقول : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله

فدعا النبي ﷺ رجلاً فدفع إليه زاد حُدير وأمره إذا إنتهى

إليه حفظ عليه ما يُقول ، وإذا دفع إليه الزاد حَفِظَ عليه ما يَقُول، ويقول له : إن رسول الله ﷺ يُقرئك السلام ورحمةَ الله ، ويُخْبِرك أنه كان نَسِيَ أنْ يَزُوِّدكَ ، وإن ربِّي تبارك وتعالى أرسل إليّ جبريل يذكّرني بك ، فذكّره جبريل وأعلمه مكانك .

فانتهى إليه وهو يقول : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ويقول : نعم الزاد هذا يارب. قال : فدنـا منـه ثم قال له : إن رسول الله ﷺ يُقرئك السلام ورحمةَ الله وقد أرسلني إليك بزادٍ مَعي ، ويقول : إني إنما نَسِيتُكَ فأرسلَ إليّ جبريل مِن السماء يُذَكِّرُني بك . قال : فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ .

ثم قال : الحمد لله رب العالمين ، ذَكَرنَي ربِّي مِن فوق سبع سمواتٍ ، ومِن فوق عرشه ، ورحِم جُوعي وضَعفي ، يارَبّ كما لم تنس حُديراً فاجعلْ حُديْراً لا ينساك .

قال : فحفظ ما قال ورجع إلى النبي ﷺ فأخبره بما سمع منه حين أتاه ، وبما قال حين أخبره ، فقال رسول الله ﷺ : أما إنك لو رفعت رأسك إلى السماء لرأيتَ لكلامه ذلك نوراً ساطعاً ما بين السماء والأرض .

عن محمد بن سعد قال : كان ذو البجادَيْن يتيماً لا مال له . فمات أبوه ولم يورثه شيئاً ، وكفله عمه حتى أيسر .

فلما قدم النبي المدينة جَعَلت نفسه تتوق إلى الإسلام ولا يَقْدِرُ عليه من عمه حتى مَضَتْ السُنُون والمشاهد .

فقال لِعَمِّهِ : ياعَمُّ إني قد انْتَظَرْتُ إسْلاَمَكَ فلا أراك تريد محمداً ، فأذن لي في الاسلام .

فقـال : والله لئن اتَّبَعْتَ محمداً لا أتْرُكُ بيدكَ شَيئاً كُنْتُ أعْطَيتُكَهُ إلا نَزَعْتُه منك، حتى ثَوبَيْك .

قال : فأنا والله مُتَّبِعٌ محمداً وتاركٌ عِبادَةَ الحَجَرِ ، وهذا ما بيَدِي فَخُذْهُ ، فأخذ ما أعطاه حتى جَرَّدَهُ مِن إزاره .

فأتى أمَّـهُ فَقَـطَّعَتْ بجَـاداً لها باثنين فأتَزَرَ بواحدٍ وارْتَدَى بالآخر ثم أقبل إلى المدينة وكان بِورِقَانِ فاضطَجَعَ في المسجد في السَّحَرِ .

وكان رسولُ الله ﷺ يَتَصفَّحُ الناسَ إذا انْصَرَفَ مِن الصُّبْحِ فَنَظَرَ إليه فقال : مَنْ أنْتَ ؟ فانْتَسَبَ لَهُ ، وكان اسمه عبدُ العزّى.

فقال : أنْتَ عبدُ الله ذُوْ البجَادين .

ثم قال : انْزِلْ مِني قَرِيْباً . فكان يكون في أضْيَافِهِ حتى قرأ قرآناً كثيراً .

فلما خرج النبي ﷺ إلى تَبُوكَ قال : ادْعُ لي بالشهادةِ . فَرَبَطَ النبي ﷺ على عَضُدِهِ لِحَى سَمُرة وقال : اللهمَ إني أُحَرِّم دَمَهُ على الكفارِ .

فقال : ليسَ هذا أرَدْتُ .

قال النبي ﷺ : إنك إذا خَرَجْتَ غازياً فأخَذَتْكَ الحُمَّى فَقَتَلَتْكَ فأنْتَ شهيْد ، أو وَقَصَتْكَ دَابَّتُكَ فأنْتَ شَهيد . فأقامُوا بتَبُوكَ أياماً ثم تُوفِّيَ .

قال بلالُ بْنُ الحارث : حَضَرْتُ رسولَ الله ﷺ ومَعَ بلال المؤذنُ شُعْلَةٌ مِن نار عندَ القبرِ وَاقِفاً بها .

وإذا رسولَ الله ﷺ وهو يقول : «أدْنيا إليّ أخَاكُما . فلما هَيأه

لِشِقِّهِ في اللَّحْدِ قال : اللهم إني قد أمْسَيتُ عنه راضياً فارْضَ عنه» .

فقال ابنُ مسعود : لَيْتني كُنْتُ صَاحبَ اللَّحْدِ .

وعن أبي وائل ، عن عَبدالله قال : والله لكأني أرى رسول الله ﷺ في غزوة تَبُوك وهو في قَبْرِ عبدالله ذِي البِجادينِ ، وأبُو بكر وعُمر يقول : أدْنِيَا إلي أخَاكُما .

وأخَذَهُ مِن القِبْلَةِ حتى أسْكَنَهُ في لَحْدِه ثم خَرَجَ النبيُّ ﷺ وَوَلَّيَاهُمَا العَمَلَ .

فلما فرغَ مِن دَفْنِه اسْتَقْبَل القبلةَ رَافعاً يديه يقول : « اللهم إني أمسيتُ عنه راضياً فارْضَ عنه » .

وكان ذلك ليلاً فوالله لوددتُ أَنِّي مَكَانَه ، ولقد أَسْلَمْتُ قَبْلَهُ بخَمس عَشْرَ سَنَة .

عن محمد بن سعد قال : أتَى وَاثِلةُ رسول الله ﷺ فصلى معه الصبح . وكان رسول الله ﷺ إذا صلى وانصرف تَصَفَّحَ أصْحَابَهُ . فلما دَنا مِن واثِلةَ قال : مِنْ أنْتَ ؟ فأخبره .

فقال : ما جَاءَ بكَ ؟ قال : جِئْتُ أبايِعُ . فقال رسول الله ﷺ : فيما أحْبَبْتَ وكَرِهْتَ ؟ قال : نعم . قال : فِيما أطَقْتَ ؟ قال: نَعَمْ . فأسلم وبَايَعَهُ .

وكان رسول الله ﷺ يَتَجَهزُ يومئذ إلى تَبُوكَ فَخَرَجَ واثلةُ إلى أهْلِهِ فَلَقِي أبَاهُ الأسقعَ فلما رَأى حَالُه قال : قَدْ فعلتها؟ قال: نعم. قال أبوه : والله لا أكلِمُكَ أبَدَاً .

فأتى عمه فَسَلَّمَ عليه فقال : قَدْ فَعَلْتَهَا ؟ قال : نَعَمْ . قال: فلامَهُ أيْسَرَ مِن مَلامَةِ أبيه وقال : لم يَكُنْ يَنْبَغِي لَكَ أن تَسْبِقْنَا بأمرٍ .

فَسَمِعَتْ أختُ واثِلَةَ كَلامَـهُ فَخَـرجَتْ إليه وسَلَّمَتْ عليه بتَحِّيةِ الإِسلام . فقال وَاثِلةُ : أنَّى لَكِ هذا يَا أخَيَّةُ ؟ قالت : سَمِعْتُ كَلامَكَ وكلامَ عمك فأسْلَمْتُ .

فقـال : جَهزِّي أخَاكِ جَهازَ غَازٍ فإنَّ رسولَ الله ﷺ على جَنَاحِ سَفَرٍ . فَجَهزَتْهُ فلحِقَ برسولِ الله ﷺ قَدْ تحَمَّلَ إلى تَبُوكَ وبَقِي غُبَّراتٌ مِن الناسِ وهم على الشُّخُوص .

فَجَعَلَ يُنادِي بسُوقِ بَني قَينُقَاع : مَن يَحْمِلُني و له سَهْمِي؟ قال : وكُنْتُ رَجُلا لا رُحلَةَ بِيَ .

قال : فَدَعَـاني كَعْبُ بنُ عُجْـرةَ فقال : أنَا أحْمِلُكَ عُقْبةً بالليلِ وعُقْبةً بالنهار وَيَدُكَ أسْوَةُ يَدِي وسَهْمُكَ لِي . قال واثلة : نعم .

قال واثلة : جَزَاهُ الله خيراً لقد كان يَحْمِلُني ويَزِيْدُني وآكُلُ مَعَـهُ ويَرفَعُ لي حتى إذا بَعَثَ رسول الله ﷺ خالِدَ بنَ الوَليد إلى أكَيْدِرِ بن عبدالملك بدَوْمَةِ الجَنْدَل .

خَرجَ كَعبٌ في جَيْش خَالِد وخَرجْتُ مَعَهُ فأصَبْنا فَيْئاً كَثِيْراً فَقَسمَـه خالِـدُ بيننا فأصابنِي ستُّ قَلائِصَ فأقبَلْتُ أسُوْقُها حتى جِئْتُ بها خَيْمَةَ كَعْبِ بن عَجْرَةَ فَقُلْتُ : اخْرُجْ رَحِمَكَ الله فانْظُر إلى قَلائِصِكَ فاقْبِضْهَا .

فَخَرجَ وهُوَ يَبْتَسِمُ ويَقُولُ : بَارَكَ الله لَكَ فِيها ما حَمَلْتُكَ وأنا أرِيْدُ أنْ آخُذَ مِنْكَ شَيئاً .

عن بشر بن عبدالله عن واثِلةَ بن الأسْقَع رضي الله عنه قال: كُنَّا أصحابَ الصفّةِ في مسجد رسول الله ﷺ وما فِينا رَجُلٌ

لهُ ثَوْبٌ .

ولَقَدْ اتَّخَذَ العَرَقُ في جُلُودِنا طُرُقاً مِن الغُبار ، إذْ خَرَجَ علينا رسول الله ﷺ فقال : « لِيَبْشِرْ فُقَراءُ المهاجرين » ثلاثاً .

عن نعيم بن ربيعة بن كعب قال : كنتُ أخدِمُ رسولُ الله ﷺ وأقومُ له في حَوائِجه نهارِي أجمع ، حتى يُصَلي رسول الله ﷺ العشاء الآخرة .

فأجلسُ على بابه إذا دَخَلَ بيتَه ، أقولُ : لَعلهَا أنْ تَحْدُثُ لرسول الله ﷺ حاجَةٌ . فما أزالُ أسْمَعُه سُبحانَ الله ، سُبْحانَ الله ، سبحانَ الله وبحمده حتى أمَلَّ فأرجعُ أو تَغلُبني عَيني فأرقُد .

فقال لي يوماً لما رأى مِن خَفّتي (أي العناية والخدمة) له وخِدْمَتي إيَّاه ، يارَبيْعَةُ سَلْني أُعْطِك . قال : فقلتُ : أنْظُر في أمْرِي يارسول الله ثم أعْلِمُكَ ذلك .

فقال : ففكرتُ في نفسي فعلمتُ أن الدنيا مُنْقَطِعَةٌ وزائلةٌ وأنَّ لي فيها رزقاً سيأتيني ، قال : فقلتُ أسأل رسول الله ﷺ لآخِرَتي فإنه مِن الله عزَّ وجل بالمنزل الذي هو به .

فجئتُه فقال : ما فَعَلْتَ يارَبيعَةُ ؟ فقلتُ : أسألُكَ يارسولَ الله أن تَشْفَعَ لي إلى رَبكَ فَيَعْتِقَني مِن النار .

فقال : مَنْ أمَرَكَ بهذا ياربيعة ؟ فقلتُ : لا والذي بَعَثَكَ بالحق ما أمرني به أحَدٌ ولكنكَ لَمَّا قُلْتَ سَلْني أعْطك وكُنْتَ من الله بالمنزل الذي أنتَ به نَظَرْتُ في أمري فَعَرفتُ أن الدنيا مُنْقَطِعة وزائلةٌ وأنَّ لي فيها رِزْقاً سَيأتيني .

فقلتُ أسأل رسولَ الله ﷺ لآخِرَتي . قال : فَصَمَتَ رسولُ

الله ﷺ طَويْلاً ثم قال لي: إني فاعِلٌ فأعِنِّي على نَفْسكَ بكثرةِ السُجُود.

وأخرجا في الصحيحين، من حديث قيس بن عبادة قال: كنت جالساً في مسجد المدينة في ناس فيهم بعض أصحاب النبي ﷺ.

فجاء رَجلٌ في وَجْهِهِ أثَرُ خُشُوع، فقال بعضُ القوم: هذا رَجُلٌ مِن أهلِ الجنة. فصلى ركعتين تَجَوَّزَ فيهما. ثم خَرجَ فاتْبعتُه فدخل مَنزلَه فَدَخَلْتُ فأخْبرتُه.

فقال: لا يَنْبَغِي لأحَدٍ أن يَقولَ ما لا يعلم، وسأحَدِثُك لِمَ ذاكَ؟ رَأيْتُ رُؤْياً على عهد رسول الله ﷺ فَقَصَصْتُهَا عليه.

رأيتُني في رَوْضَةٍ، وَسَطَ الروضةِ عَمُودٌ مِن حَديد، أسْفَلُه في الأرض وأعلاهُ في السماء، في أعلاه عُرْوَةٌ.

فقيلَ لي إرْقَه. فَقُلْتُ: لا أسْتَطِيعُ. فجاءني مِنْصَفٌ، يَعْنِي خادماً، فقال بثيابي مِن خَلْفِي، فأخَذْتُ بالعُروَةِ.

فَقَصَصْتُها على رَسول الله ﷺ فقال: تِلْكَ الروضةُ الاسلام، وذاكَ العَمُودُ عَمُودُ الاسلام، وتلك العُروةُ، العُروة الوثقى، وأنْتَ على الإسلام حتى تموت، والرجلُ عبدالله ابن سلام.

وعن أبي بُردة بن أبي موسى قال: قدمتُ المدينة فأتيتُ عبدالله بن سلام، فإذا رجلٌ مُتَخشِّعٌ، فجلستُ إليه فقال: يابنَ أخِي إنكَ جَلَسْتَ إلينا وقَدْ حَانَ قِيامُنا، أفتأْذَنُ؟

اللَّهُمَّ ارْحَمْ غُرْبَتَنَا في القُبُورِ وَآمِنَّا يَوْمَ البَعْثِ وَالنُّشُوْرِ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

هَذِهِ قصيدة وعظية أُلقي لها سمعك
إنتهى

آخــر :

انِسْتُ بِلأْواءِ الزمـانِ وذِلِـهِ ... فيا عِزَّةَ الدنيا عليكِ سَلامُ
إلىَ كَمْ أُعَانِي تِيْهَهَا ودَلاَلَهَا ... أَلَمْ يَأنِ عَنْهَـا سَلْوَةٌ وسَـآمُ
وقد أَخْلَقَ الأَيامُ جِلْباب حُسْنِهَا ... وأَضْحَتْ وديبَاجُ البَهَاءِ مَسَـامُ
عَلَى حِيْنَ شَيْبٌ قد أَلَمَّ بمَفْرِقِي ... وعَادَ رُهَـامُ الشَّعْرِ وهُوَ ثُغَامُ

طَلائِعُ ضَعْفٍ قدْ أَغَارَتْ على القُوى ... وثَارَ بِمَيْدَانِ المِزاجِ قَتَـامُ
فَلا هِيَ في بُرْجِ الجَمَالِ مُقِيْمَةٌ ... ولا أَنَا في عَهْدِ المُجُونَ مُدَامُ
تَقَطَّعَت الأَسْبَابُ بَيْنِي وَبَيْنَها ... ولَمْ يَبْقَ فِينَا نِسْبَةٌ ولِئَـآمُ
وعادَتْ قَلُوصُ العَزْمِ عَنِّي كَلِيْلَةً ... وقَدْ جُبَّ مِنْهَا غَارِبٌ وَسَنَامُ
كأنِي بِهَا والقَلْبُ زُمَّتْ رِكَابهُ ... وقُوِّضَ أَبْيَـاتٌ لَـهُ وخِيَـامُ
وسِيْقَتْ إلى دَارِ الخُمُولِ حُمُولهُ ... يَحُنُّ إليها والدُمُـوُعُ رُهَـامُ
حَنِينَ عجُول غَرَّهَا البَوُّ فانْثَنَتْ ... إليْهِ وفِيْهَـا أَنَّـةٌ وضُغَـامُ
تَوَلَّتْ لَيالٍ لِلْمَسَرَّاتِ وانْقَضَتْ ... لِكُلِ زَمَـانٍ غَـايَـةٌ وتَمَـامُ
فَسَرْعَانَ مَا مَرَّتْ وَوَلَّتْ وَلَيْتَهَا ... تَدُوْمُ وَلكِنْ مَا لَهُـنَّ دَوَامُ
دُهُورٌ تَقَضَّتْ بالمسَرَّاتِ سَـاعَةً ... ويَومٌ تَـوَلَّى بالمَسَـاءَةِ عَـامُ
فلِلَّهِ دَرُّ الغَمِّ حَيثُ أَمَـدَّنِي ... بِطُولِ حَيَـاةٍ والهُمُومُ سِهَـامُ
أَسِيْرُ بِتَيْمَاءِ التَّحَـيُرِ مُفْـرَداً ... وَلِيْ مَعَ صَحْبِيْ عِشْـرَةٌ ونَدَامُ
وكَمْ عِشْرَةٍ ما أَوْرَثَتْ غَيْرَ عُسْرَةٍ ... وَرُبَّ كَلَامٍ في القُـلُوبِ كُلَامُ
فَمَا عِشْتُ لا أَنْسَى حُقُوقَ صَنِيْعِهِ ... وهَيْهَاتَ أَنْ يُنْسى لَدَيَّ ذِمَـامُ
كَمَا اعْتَادَ أَبْنَاءُ الزَّمَانِ وَأَجْمَعَتْ ... عَلَيْهِ فِئَـامٌ إثْـرَ ذَاكَ قِيَـامُ
خَبَتْ نَارُ أَعْلَامِ المَعَارِفِ والهُدَى ... وشُبَّ لِنِيْرانِ الضَّـــلالِ ضِرَامُ
وكَانَ سَرِيرَ العِلْمِ صَرْحاً مُمَـرَّداً ... يُنَاغِي القِبابَ السَّبْعَ وهْـيَ عِظـامُ
مَتِيْنـاً رَفِيْعـاً لا يُطَـارُ غُرابُـهُ ... عَزِيـْزاً مَنِيْعـاً لآ يَكَـادُ يُــرامُ

يَلوحُ سَنابَرْقِ الهُدَى مِن بُرُوْجِهِ كَبَرْقٍ بَدَا بَيْنَ السَّحَابِ يُشَامُ
فَجَرَّتْ عَلَيْهِ الراسِيَاتُ ذُيُولَهَا فَخَرَّتْ عُرُوشٌ مِنْهُ ثُمَّ دَعَامُ
وسِيْقَ إلىَ دَارِ المَهَانَةِ أَهْلُهُ مَسَاقَ أَسَيْرٍ لا يَزَالُ يُضَامُ
كَذَا تَجْرِي الأَيَامُ بَيْنَ الوَرَى عَلَى طَرَائِقَ مِنْهَا جائِرٌ وقَوامُ
فما كُلُ ماقَدْ قِيلَ عِلْمٌ وحِكْمَةٌ وما كُلُ أفْرادِ الحَدِيْدِ حُسَامُ

ولِلْدَّهْرِ ثاراتٌ تَمُرُّ على الفَتَى نَعِيْمٌ وبُؤْسٌ ، صِحَّةٌ وسَقَامُ
ومنَ يَكُ في الدُنيا فَلَا يَعْتبِنَّهَا فَلَيْسَ عَلَيْهَا مَعْتَبٌ ومَلَامُ
أَجِدَّكَ ما الدنيا وماذَا مَتَاعُهَا وماذَا الذي تَبْغِيْهِ فَهْوَ حُطَامُ
تَشَكَّلَ فِيْهَا كُلُّ شَيءٍ بِشَكْلِ مَا يُعَانِدُهُ والنَّاسُ عَنْهُ نِيَامُ
تَرَى النَّقْصَ في زِيِ الكَمَالِ كَأَنَّمَا عَلَى رَأْسِ رَبَّاتِ الحِجَالِ عِمَامُ
فَدَعْهَا ونَعْمَاهَا هَنِيْئاً لِأَهِلْهَا ولاتَكُ فِيْهَا رَاعِياً وسَوَامُ
تَعَافُ العَرانِيْنُ السِمَّاطَ عَلى الخِوى إذَا ما تَصَدَّى لِلطَّعَامِ طَغَامُ
عَلَى أَنَّهَا لَا يُسْتَطَاعُ مَنَالُهَا لِمَا لَيْسَ فِيْهِ عُرْوَةٌ وعِصَامُ
ولَوْ أَنْتَ تَسْعَى إثْرَهَا أَلْفَ حَجَّةٍ وقَدْ جَاوَزَ الطِبْيَيْنِ مِنْكَ حِزَامُ
رَجَعْتَ وقَدْ ضَلَّتْ مَساعِيْكَ كَلُّها بِخُفَيْ حُنَينٍ لِاتَزَالُ تُلَامُ
هَبِ إنَّ مَقَالِيْدَ الأُمُورِ مَلَكْتَهَا ودَانَتْ لَكَ الدُنيا وأَنْتَ هُمَامُ
ومُتِّعْتَ باللذاتِ دَهْراً بِغِبْطَةٍ أَلَيْسَ بحَتْمٍ بَعْدَ ذَاكَ حِمَامُ
فَبَيْنَ البَرايَا والخُلُودِ تَبَايُنٌ وبَيْنَ المنَايَا والنُّفُوسُ لِزَامُ
قَضَيَّةٌ انْقَادَ الأَنَامُ لِحكْمِهَا وما حَادَ عَنْهَا سَيِدٌ وغُلَامُ
ضَرورِيَةٌ تقضي العقولُ بِصدْقِها سَلْ إن كانَ فيها مِرْيَةٌ وخِصَامُ
سَل الأَرْضَ عن حالِ الملوكِ الّتي خَلَتْ لهم فَوقَ، فَوقَ الفرقدين مَقَامُ
بأبوابهم لِلوافِدِين تَراكُمُ باعتابِهِم للعاكِفين زِحَامُ
تُجْبكَ عن أسرار السيوفِ التي جَرَتْ عَلَيْهم جَواباً لَيْسَ فيه كَلَامُ

بِأَنَّ المنــايَـا أَقصَدَتْهـمُ نِبَالُهـــا   وما طَاشَ عن مَـرْمَى لَهُـنَّ سِهَامُ
وَسِيقُوا مُسَاق الغابِرينَ إلى الرَّدى   وأقفــرَ منهم مَـــزَلٌ ومَقَــامُ
وخَلُوا محــلاً غَـيْرَ ما يَعهــدُونـه   فَلَيْسَ لَهـم حتـى القيــام قِيــامُ
أَلَـمَّ بهم رَيبُ المنـــونِ فَغَالَهُـــم   فهم بَيْـنَ أطبــاقِ الرُغَـامِ رُغَـامُ

إنْتَهَى

(فصـــــل)

اعلم وفَّقَنا الله وإيَّاكَ وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه أنَّ من رَضِي عن نَفْسِهِ اسْتَحْسَنَ حَالَهَا وسَكَنَ إليها ومَن اسْتَحْسَنَ حال نَفْسِهِ وسَكن إليها اسْتَوْلَتْ عليه الغَفْلَةُ .

وبالغَفْلَةِ يَنْصَرِفُ قَلْبُه عن التَّفَقُّدِ والمُرَاعَاةِ لِخَواطِرِهِ فَتَثُوْرُ حِيْنئذٍ دَوَاعِيْ الشهوة على العبد .

ولَيْسَ عنده مِن المراقبةِ والملاحظةِ والتَّذْكِيرِ ما يَدْفَعُهَا به ويَقْهَرُهَا .

فتصير الشهوةُ غَالِبَةً له بسَبَبِ ذلك ومَنَ غَلَبَتْهُ شَهْوَتُهُ وَقَعَ في المعاصي .

وأصل ذلك كُله رِضَاه عن نَفْسِهِ ومَن لم يَرْضَ عن نفسِهِ لم يَسْتَحْسِنْ حَالَهَا ولم يَسْكُنْ إليها .

ومَن كان بهذا الوَصْفِ كان مُتَيَقِّظًا مُتْنبهًا لِلطَّوَارِىء وبالتَّيَقُّظ والتَّنَبُّهِ يَتمكَنُ من تفَقُّدِ خَوَاطِرِه ومُرَاعَاتِها .

وعند ذلك تَخْمُدُ نِيْرانُ الشَّهْوَةِ فلا يكونُ لَهَا غَلَبَةٌ ولا قُوَةٌ فَيَضْعُفُ العبد حِيْنَئِذٍ بصِفةِ العِفَّةِ .

فإذا صار عَفِيْفًا كان مُجْتَنِبًا لِكُلِّ مَا نَهَاهُ اللَّهُ عنه مُحَافِظًا على جميع ما أَمَرَهُ بِه وهَذَا هُوَ مَعْنَى الطَّاعَةِ لِلَّهِ عَزَّ وجَل وأصلُ هذا كلِه عَدَمُ الرِضا عن

نَفْسِهِ .

فإذًا يجبُ على الإنسان أنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ ويَلْزَمُ مِن ذلك عَدَمُ الرضا عنها وبقَدْرِ تحَقُّقِ العبدِ في مَعْرَفَة نَفْسِهِ يصلح له حَالُهَ ويَعْلُوا مَقَامُه .

وكان العلماءُ المُخْلِصُونَ يَذُمُّونَ نُفُوسَهم ويَتهمُوْنَهَا ولا يرضون عنها .

قال بعضُهم من لم يتَّهِمْ نَفْسَهُ على دَوَامِ الأوقات ولم يُخَالِفْهَا ولم يجُرَّهَا إلى مكروهها فهو مَغْرُورٌ ومَنْ نَظَر إليها باسْتَحْسَانِ شيء منها فقد أهلكها .

وكيف يرضى عنها عاقل وهي الأمارة بالسُّوء وقال بعض العلماء لا تسكن إلى نفسك وإنْ دامَتْ طاعَتُهَا لَكَ في طَاعَةِ الله .

وقال آخر : ما رَضِيْتُ عن نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ .

وقال آخر : إنَّ مِن النَّاسِ ناسٌ لَو مَاتَ نِصْفُ أَحَدِهم ما انْزَجَرَ النصفُ الآخَرُ ولا أحْسِبُنِي إلا منهم .

وقال آخر : فائدة الصحبة إنما هي لِلزِّيَادَة في الحال وعَدَم النُّقْصان فيها فإيَّاكَ وصُحْبَةَ من لا يُنْهِضُكَ حَالُه ولا يَدُلُّكَ على اللَّهِ مَقَالُه .

فصحبة مَن يَرْضَى عن نفسِهِ وإنْ كانَ عَالِماً شَرٌّ مَحْض ولا فائدة فيها لأن علمه في الغالب غير نافع له .

وجهلُه الذي أوجَبَ رِضاه عن نفسه صَارَ غايةَ الضرر لأنَّهُ فَاتَه العلم الذي يُرِيْهَ عَيْبَه حتى لا يرضى عن نفسه ا لأمارة بالسُّوء .

وقال ابن القيم رحمه الله لما ذكر النفسَ الامارةَ بالسوء قال منها أن يَعرِفَ أنها جاهلةٌ ظالمة وأن الجهلَ والظلم يصدرُ عنهما كل قَولٍ وعملٍ قبيح .

ومَن وَصْفُه الجهلُ والظلم لا مَطْمَعَ في استقَامَتِهِ واعتدالِهِ البتة فيوجب له ذلك بَذْلُ الجُهْدِ في العلم النافع الذي يُخْرِجُها به عن وصْف الجَهْل

والعمل الصالح الذي يَخرجُها به عن وَصْفِ الظُلْم وَمَعَ هذا فجهلُهَا أكثر من عِلْمَها وظلمُهَا أعظَم مِن عَدلها .

فحَقيْقٌ بمَنْ هَذا شأنهُ أَنَّ يرغَبَ إلى خالقها وفاطِرهَا أن يَقِيْه شرَّهَا وأنْ يُؤتِيْهَا تَقْوَاهَا ويُزَكِيْهَا فهو خير مَن زكاها وأنْ لا يَكِلهُ إليها طَرْفةَ عينَ فإنهُ إن وَكله إليها هَلَكَ فما هَلكَ مَن هَلكَ إلاَّ حَيْثُ وكِلَ إلى نفسِه .

وقال النبي ﷺ لِحُصَيْنِ بن المنذر « قل اللهم أَلْهِمْني رُشدِي وقِني شر نفسِي » وفي خُطْبَـةِ الحَاجةِ « ونعوذ بالله مِن شُرورِ أنفُسِنا » وقد قال تعالى ﴿ ومَن يُوق شح نفسه فأولَئك هم المفلحون ﴾ وقال ﴿ إنَّ النَّفْسَ لأمَّارةٌ بالسُّوء ﴾ .

فمَن عرف حَقِيْقَة نفسِه وما طُبعَت عَليْه عَلمَ أنها مَنْبَع كُلِ شَرٍ ومَأوَى كل سُوء وأنَّ كلَّ خير فيها ففَضْلٌ من اللَّهِ مَنَّ به عَلَيْها لم يَكُنْ منها كما قال تعالى ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحدٍ أبدا ﴾ .

وقال تعالى ﴿ ولكن الله حبب إليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفـر والفُسُوقَ والعصيان ﴾ فهذا الحُبُّ وهذِهِ الكراهةُ لم يَكُونَا في النفس ولا بها .

ولكن هو اللَّهُ الـذي مَنَّ بِهما فجعـل العبـد بسَبَبِهـما من الراشدين ﴿ فضلاً من الله ونعمةً واللَّهُ عليم حكيم ﴾ عليم بِمَن يَصْلَحُ لِهذا الفضل ويَزكوا عليه وبه ويثمر عنده حكيم فلا يَضَعُه عندَ غيرِ أَهْلِهِ إنتهى بِتَصَرُّفٍ يَسِير .

فعلى العاقل اللبيب مُحاسَبَةُ نَفْسِهِ دَائمًا والمُحَاسَبَةُ هي مَطَالَعَةُ القلبِ وأَعْمَالِ اللّسَانِ وأَعْمَالِ الجوارح .

فأجْعَل ذُنوبَكَ نَصْبَ عَيْنَيْكَ فإنْ غَفَلْتَ عنها اجْتَمَعَتْ بُسْرعَةٍ وكَثُرتْ .

وتأمل وفكِّر فَلَو أنَّكَ وضَعْتَ في كل مَعْصِيَةٍ تُحْدِثُهَا حَجَرًا في دَارِكَ لامْتَلأ بَيْتُكَ في مُدَّةٍ يَسْيرةٍ .

فمثلاً عندكَ غِيْبَةٌ أو عندكَ كَذِبَ أو عندكَ رِيَاء أو عندَكَ عقوق أو قطيعة رحم أو ظلمَ لِمُسْلم أو لنفْسِكَ أو لأهْلِكَ أو لأولادِكَ أو لجِيرانِكَ أو تُعامِل مُعَاملةً لا تَجُوز .

أو عندَكَ كُفَارَ خُدَّام أو سوَّاقِين أو عندكَ مَلاهِي كالتلفاز والفيديو أو عندكَ صُور أو تشرب الدُخان أو حلق لحية أو إسْبَال أو تشبه بكفار أو سفر لبلادهم .

أو لكَ أولادٌ يَدْرسُون عندهم برضا مِنْكَ أو أكلُكَ وشربُكَ ولُبْسَكَ مِن شَركَاتٍ تَتعامَلُ بالرِّبَا أو أنَّ عَمَلَكَ لا تُؤدِيْهَ كامِلاً مُكَملاً وتَأخُذ ما عليه كامِلاً .

أو لا تَتَنَسَّخ مِن الزكاة أو نحو ذلك مِمَّا لا يَحْصُرُهُ العَدُّ .

فَتَيقَّظْ وحَاسِب نَفْسك وفتش عليها بدِقّةٍ وأسأل الله الحي القيوم أن يَتَجَاوَزَ عَنك .

فَإنْ تَنْجُ منهَا تَنْجُ مِن ذِي عَظِيمَةٍ وإلاَّ فَإنّي لَا إخَالُكَ نَاجِيَا

قال تبارك وتعالى ﴿ وإنْ تُبْدُوْا مَا في أنْفُسِكُم أو تُخفِوه يُحَاسِبْكُم بِهِ الله ﴾ قِيلَ إنَّ هَذِه الآية أعْظَم آية في المؤآخذَةَ .

ولَمَّا نَزَلَت بكى عَبدُ اللَّهِ بنُ عُمَر رضي الله عنهما فقال ابنُ عباس يَرحَمُ أَبَا عَبدالرحمن وإن اللَّهَ تبارك وتعَالى يقول ﴿ لا يكلف اللَّهُ نَفْسًا إلا وُسْعَهَا ﴾ .

وقال ابن القيم رحمه الله فَمَن له بصيرةٌ بنفسِهِ وبصيرة بحُقوق الله وهو صادقٌ في طلبه لم يُبْقِ له نَظَرُهُ في سَيئآتِهِ حَسَنَةً البتة فلَا يلْقَى الله إلا بالإفلاس المحْض والفقرِ الصِّرْف .

لأنه إذا فَتَّش عن عُيوب نفسِه وعُيوب عَمَلِه عَلِمَ أنَّها لا تَصْلحَ لله وأنَّ تلكَ البضَاعَةَ لا تشْتَرَىَ بها النَّجاةَ مِن عَذاب الله فضْلاً عن الفوز بعظيم ثوابه .

فإن خلص له عمل وحال مَعَ الله وصَفَا لَهُ مَعَهُ وَقْتٌ شاهَدَ مِنَّةَ الله عليه به ومُجَرَّدَ فَضْلِهِ وأنَّه ليسَ مِن نَفْسِهِ ولا هِيَ أهلٌ لذاك .

فهو دَائمًا مشاهدٌ لِمِنَّةِ الله عليه وَلِعُيوب نفسِهِ وعملِهِ لأنه متى تطلبَها رآها وهذا مِن أجَلِّ أنواع المعارف وأنفعها للعبد .

ولذلك كانِ سيد الاستغفار « اللهم أنْتَ ربي لا إله إلا أنْتَ خلقتني وأنا عَبْدُكَ وأنا على عهدك ووعدك ما اسْتَطَعْتُ أعُوذ بكَ مِن شر ما صَنَعْتُ أبُوءُ لَكَ بِنِعْمتِكَ عَلَيَّ وأبُوءُ بذَنْبي فاغْفِرْ لي إنه لا يغْفِرُ الذنوب إلا أنْتَ » .

فتضمَّنَ هذا الاستغفارُ الاعْتِرَافَ من العبد برُبُوبيَّةِ الله وإلهيَّتِهِ وتوحِيْدِهِ والاعتراف بأنه خالقُهُ العَالِمُ بِهِ إذْ أنْشَأَهُ نَشْأَةً تَسْتَلزمُ عَجْزَهُ عن أدَاءِ حَقِّهِ وتَقْصِيْرَهُ فيه والاعتراف بأنه عَبْدُهُ الذي ناصِيَتُه بيده وفي قَبْضَتِهِ لا مَهْرَبَ له منه ولا ولي له سواه .

ثم التِزَمَ الدخول تحت عهده وهو أمْرُهُ ونَهْيُهُ الذي عَهِدَهُ إليه على لسان رسوله ﷺ وانَّ ذلك بحَسَب اسْتِطَاعَتي لا بحَسَب أدَاءِ حَقِّكَ فإنَّهُ غيرُ مَقْدُوْرٍ لِلْبَشَرِ إنما هو جُهْدُ الْمُقِلِ وقَدْرُ الطاقة .

ومَعَ هذا فأنا مُصَدِق بوعدك ثم أنْزع إلى الاسْتِعَاذة والاعتصَام بكَ مِن شر ما فَرَّطْتُ فيه مِن أمرِكَ ونهْيكَ فإنكَ إنْ لم تُعِذْني من شرِه وإلا أحاطَتْ بِي الهَلَكَةُ فإنَّ إضَاعَةَ حَقِّكَ سَبَبُ الهلاك وأنا أقرُ لك والتزم وأبْخَعُ بذَنْبي .

فمَنْكَ المِنَّةُ والاحسانُ والفضلُ ومِني الذنبُ والإساءَةُ فأسألِك أنْ تَغفِرَ لي بمحْو ذنبي وأنْ تعْفِيْني من شره إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فلهذا كان

هذا الدعاء سَيِّدُ الاستغفار .

وهو مُتضمنٌ لَمحْض العُبودية فأيُ حَسَنَةٍ تبقى لِلبَصِيْر الصادِق مع مُشاهَدَتِه عُيوبَ نفْسِهِ وعملِه ومنَّةَ اللَّهِ عليه فهذا هو الذي يُعْطِيه نظَره إلى نفسِه ونقصِه أ هـ .

قال بعضُ الزهاد لا يكون العبد من المتقين حتى يُحَاسِبَ نفَسَه أشد من مُحْاسَبةِ الشرَّيكِ لِشَريكه والشريكان يَتَحَاسَبَان بَعْدَ العمل .

وقال الحسنُ المؤمنُ قوَّامٌ على نفسه يُحَاسِبُهَا لله تعالى وإنما خَفَّ الحسابُ على قومٍ حاسَبُوا أَنْفُسَهم في الدنْيا وإنما شَقَّ الحسابُ على قومٍ أَخَذُوا هَذَا الأمْرَ مِن غيرِ مُحَاسَبَة .

وفي حديث أبي طَلحَة أنه لَمَّا شغله الطِّينُ في صلاته فَتَدَبَّرَ شُغْلَهُ فجعَل حَائطهُ صَدَقَةً لله تعالى ندَمًا ورَجَاءً لِعوض مِمَّا فَاتَه وتأدِيْبًا لِنَفْسِه .

المهم أن يعلم العبد أن أعْدَى عَدُوٍ له نَفْسُه التي بَينَ جَنْبَيْهِ وقد خُلقَتْ أمارةً بالسوء أمارة بالشر فَرَّارَةً من الخير .

والإِنسانُ مأمُورٌ بتَزْكِيتِهَا وتَقْوِيْمِهَا وقَوْدِهَا بسَلاَسِلِ العِبَرِ إلى عِبَادَة رَبهَا وخالِقهَا ومَنْعِهَا عن لَذَّاتِها وشهواتها المُهْلِكَة .

فإنْ أهملها شَرَدَتْ وَجَمَحَتْ ولم يَظْفُر بها بَعْدَ ذلك وإن لازَمَهَا بالتَوْبِيْخِ والتَّقْريع والمُعَاتَبَةِ والعَذْلِ والمَلامَةِ ولم يَغْفُلْ عن تَذْكِيْرها وعِتَابها اعْتَدَلَتْ بإذنِ الله تعالى .

والنَّفْسُ كالطِفْلِ إنْ تُهمِلْهُ شَبَّ على حُـبِّ الرَّضَـاع وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِم
ورَاعِهَا وهْي في الأعْمَالِ سَائمةً وإنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ المَرْعَى فلا تُسِمِ
كـم حَسَّـنَتْ لَـذَّةً لِلْمَـرْءِ قـاتِلَةً مِن حَيْثُ لم يَدْري أنَّ السُّم في الدَّسَمِ

فالعاقل اللَّبِيْبُ مَن يُوَبِّخُ نَفْسَهُ ويُعَاتِبُها ويُوَضحُ لَهَا عُيُوبَهَا كُلَّهَا ويُقرِّر

عْندهَا جَهْلَهَا وحَمَاقَتَهَا فإنها إذا أَرَادَ اللَّهُ تُعْذِر وتَرْعَوي وترجع .

فيقول لها مَا أعظم جَهْلَكِ تدَّعِينَ الحِكْمَةَ والفِطْنَةَ وأَنْتِ من أَجْهَل الناس وأحْمَقِهم .

وأكْبَرُ برهان على ذلك إهْمَالُكِ واسْتِهَانَتُكِ أمَا تَعْرفِينَ ما بين يَدَيْكِ من الأهوال والعَظَائِم والمُزْعِجَات والمَخَاوُف .

أمَـا تَقْـرئِـينَ وتَسْمَعِينَ قول أصدق القائلين وأوفى الواعدين وأقْدرَ القادرين ﴿ إنا لَدَيْنَا أنكَالاً وجَحِيْمًا وطَعَامًا ذا غُصَّةٍ وعَذَابًا ألِيْمًا يَوم تَرجُف الأرضُ والجِبَالُ وكانت الجبَالُ كُثِيْبًا مَهيْلا ﴾ .

وقـولـه تعـالى ﴿ وجيء يومَئذٍ بجَهَنَّم يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإنسانُ وأنَّي له الذكرى يقول يا ليتنى قَدَّمْتُ لِحَياتي ﴾ الآية .

وقوله عَزَّ مِنْ قَائل ﴿ وإذا أُلْقُوا منها مكانًا ضيقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ الآية .

وقوله جل وعلا ﴿ مِن ورائه جَهَنم ويُسْقَى مِن مَاءٍ صَدِيْدٍ يَتَجرَّعُهُ ولا يَكادُ يُسِيْغُه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ ﴾ .

وقوله تبارك وتعالى ﴿ فأنذرتكم نارا تلظى ﴾ .

وقوله جل وعلا ﴿ إنها تَرْمي بِشَرَرٍ كالقَصرِ كأنه جِمَالَةٌ صُفر ﴾ .

ونحو هذه الآيات المخوفة ثم يقول لنفسه فمالك تفرحِينَ وتَضْحَكِين وتشتغلين باللهو وأَنْتِ مَطلوبَةٌ لهذا الأمر العظيم والخطب الجسيم وبينَ يَدَيْكِ إحْدَى مَنْزلَتَين الجنةِ أو النارِ فَكَيْفَ يهْنَؤكِ نَومٌ أو يَلَذُّ لَكِ مأكول أو مشروب وأنتِ لا تَدْرِيْن في أَيِّ الفريقين تكونِينْ « فريق في الجنة وفريق في السعير » .

وكَيْـفُ تَنَـامُ العَـينُ وهـي قَـريْرَةٌ ولَـمْ تَـدْرِ فـي أيِّ المَكانَيْنِ تَـنْزلُ

وقُلْ لَهَا أمَا تَعْلمَينْ أنَّ كُلَّ ما هو آتٍ قَريب وأن البَعيْد مَا لَيْسَ آتٍ .

أما تَعْلمَيْنَ أنَّ المَوْتَ يأتي بَغْتَةً مِن غَيرِ تَقْدِيْم رسُول ومِن غَيْرِ مُوَاعَدَةٍ وأنَّه لا يأتي في شِتاءِ دُوْنَ صَيْفٍ ولا في صَيْفٍ دُوْنَ شِتَاءٍ ولا في نَهَارٍ دُوْنَ ليل ولا في ليلَ دُوْنَ نَهَار ولا يَأتي في الصبَّا دُوْنَ الكبر ولا في الكِبر دُوْنَ الصبَّا .

بل كُلُ نَفْس يُمكنُ أنْ يَأتِيَهَا الموتُ بَغْتَةً فإنْ لم يأتِ الموتُ بَغْتَةً جاءَهُ المَرَضُ لا محَالةَ ثم المرض يُفْضِي إلى الموت .

فمالكِ يا نَفْسُ لا تسْتعِدين والموت أقرب إليك من حبل الوريد .

فَهكَذَا مُعَامَلَةُ الزُّهَادِ والعُبَّادِ في تَوْبِيْخ أنفُسِهم وعِتَابها فإنَّ مَطْلَبَهُم من المناجاة الاسْتِرْضَاء ومَقْصُوْدُهُم مِن المُعَاتَبَةِ التَّنْبِيْه والاستِرْعاء .

فَمَنْ أهْمَلَ مُعَاتَبَةَ نَفْسِهِ وتَوبِيْخَهَا وأهْمَلَ مُناجَاتها لم يكُنْ لِنَفْسِهِ مُرَاعِيَا فَنَسْأَلُ اللَّهَ العظيم الحي القيوم مَعْرِفَةً حَقِيْقَةً بأحْوَالِ أنْفُسِنا وغرورها .

وخِتَامًا فالعاقلُ مَن بَذَلَ وُسْعَه في التَّفكُرِ التَّام وعَلِمَ أنَّ دَار الدنيا رِحْلَةْ فَجمَعَ لِلسَّفَرِ رَحْلَهْ .

فمَبْدَأُ السَّفَرِ مِن ظهورِ الأباء إلى بُطُونِ الأمَّهَاتِ ثُمَّ إلى الدنيا ثُمَّ إلى القبر ثُمَّ الحشر ثم إلى دَارِ الاقامة الأبدِيَّة .

فَدَارُ الإقـامـة لِلْمُؤْمِنِ هِي دَار السلام مِن جَمِيْعِ الآفات وهِي دَارُ الخلود والعَدُّوُ سَبَانا منها إلى دَارِ الدنيا .

فالواجِبُ علينا الأجْتِهَادُ في فَكَاكِ أسْرِنا ثم في حَثِّ السير إلى الوصول إلى دارنا الأولى وفي مِثْلِ هذا قِيل :

فَحَيَّ عـلى جَنَّـاتِ عَـدْنٍ فـإنَّهـا ... مَنَـازِلُكَ الأوْلَـى وفيهـا المُخَـيَّمُ
وَلَكِنَّنَا سَبْيُ العَـدُوِّ فَهَـل تَـرى ... نُـرَدُّ إلَـى أوْطَـانِنَا ونُسَـلَّمُ

آخر : تَرَكْتُ هَوَى لَيْلَى وَسُعْدَى بِمَعْزِل ... وعُـدْتُ إلى تَصْحِـيْحِ أوْلَ مَـنْزِلِ
ونادَتْ بِي الأشْوَاقُ مَهْلاً فَهذِهِ ... مَنَـازِلُ مَـنْ تهـوى رُوَيْـدَكِ فَانْـزِلِ

ثم اعْلَمْ أَنَّ مِقْدَارَ السَّيْرِ في الدنيا يَسِيْر ويُقْطَعُ بالأَنْفَاسِ كما قيل :

ومــا نَفَــسٌ إلَّا يُبَـاعِـدُ مَـوْلِـدًا ... ويُــدْنِـي المَنَـايَـا لِلنُّفُـوس فَتَقْـرُبُ

ويَسِيْرُ الإنسانُ في هذه الدنيا سَيْرَ السفِيْنَةِ لا يُحُسُ بسَيْرِهَا وهُوَ جَالِسٌ فيها كما قيل :

وإنّـا لَفِـي الـدنيـا كَـرَكْـبِ سَفِيْنَةٍ ... تَظُـنُّ وقُـوْفًـا والـزمـانُ بهـا يَجْـرِى

ويقوُل الآخر :

نَسِـيْرُ إلى الآجـالِ فـي كُلّ لَحْظَـةٍ ... وأَيَّـامُنَـا تُطْـوَى وهُـنَّ مَـرَاحِـلُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فصــل : إعلم أيها الأخ أن جميع مُصِيْبَاتِ الدنيا وشُرُوْرها وأَحْزَانها كأحلام نوم أو كظِلٍ زائل .

إنْ أضحَكَتْ قليلاً أبْكَتْ كثيراً وإنْ سَرَّتْ يَوْمًا أو أيَّامًا سَاءَتْ أَشْهُرًا أو أعْوَامًا وإنْ مَتَّعَتْ قليلاً مَنعَتْ طَوِيْلا .

وما حَصَل لِلْعَبْدِ فيها مِن سُرُوْر إلَّا أعقَبَهُ أَحْزَان وشُرور كما قيل : « مَن سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أزْمَانُ » .

وقال بعضَ العُلماء لِبعضِ الملوك إن أحَقَّ الناس بِذَمِّ الدنيا وقِلاهَا مَن بُسِطَ له فيها وأعْطِيَ حاجَتَه منها .

لأنه يَتوقَّعُ أفَةً تَعْدُو على ماله فَتَجْتَاحُهُ ، أو على جَمْعِهِ فَتُفَرِّقَه ، أو تأتِي سُلطانَه فَتَهْدِمَه من قَوَاعِدِه .

أو تَدِبُّ إلى جِسْمِهِ فَتسْقِمُهُ ، أَوْ تَفْجَعُهُ بشَيءٍ هُو ضَنِينٌ به مِن أحْبَابِهِ .

فالدنيا أحق بالذَّم هيَ الآخذةُ لِمَا أعْطَتْ ، والراجعَةُ لِمَا وَهَبَتْ .

بَيْنَمَا هِيَ تُضْحِكُ صاحِبَهَا إذا هِيَ تُضْحِكُ منه غيره .

وبَيْنَمَا هِيَ تَبْكِي لَهُ إذْ بَكَتْ عليه .

وبَيْنَمَا هِيَ تَبْسُطُ كَفَّهُ بالاعطاء إذْ بَسَطَتْهَا بالاسترداد .

تَعْقِدُ التاجَ على رَأس صَاحِبِهَا اليوم وتُعَفِّرُهُ بالتُراب غَدًا .

سَواءٌ عليها ذَهَابُ ما ذَهَبَ وبقاءُ ما بَقِي تَجِدُ في الباقي مِن الذاهبِ خَلَفًا وتَرْضَى بِكُلٍّ بَدَلا .

شعــرا :

بِأَمْـرِ دُنْيـاكَ لا تَغْفُـلْ وكُـنْ حَذِرًا ... فَقَـدْ أَبانَـتْ لأَرْبـاب النُّهَي عِبَرَا

فـأيُّ عَيْــشٍ بهَـا ما شَــابَـهُ غِـيَرٌ ... وَأيُّ صَفْـوٍ تنَـاهَى لـم يَصِـرْ كَـدِرَا

كَمْ سَالِمٍ أَسْلَمَتْهُ لِلرَّدَى فَقَضى ... حَتْفًا ولم يَقْضِ مِن لَذَّاتها وطَـرا

ومُتْرَفٍ قَـلَبَتْ ظَهْـرَ المِجَـنِّ لَـهُ ... فَعـادَ بَعْـدَ عُـلوٍّ القَـدْرِ مُحْتَقَـرَا

فابْعِـدَنْهَـا ولا تَحْفَـلْ بِـزخْـرُفِهَا ... وغُـضَّ طَـرْفَـكَ عنـه قَـلَّ أو كَـثُرَا

فَكُلُّ شَيءٍ تَرَاهُ العَيْنُ من حَسَنٍ ... كَـرُ الأَهِــلَّةِ لا يُبْقِــي لَـهُ أثـرًا

واصْحَبْ وصَـلِّ وَواصِـلْ كُلِّ أونَـةٍ ... عـلى النـبي سَــلامًا طَـيِّبًا عَطِـرَا

وصَحْبِـهِ ومَـنِ اسْتَهْـدَى بِهَدْيِهِمُـوْا ... فَهُـمْ أئِمَّـةُ مَـن صَــلَّى ومَـن ذَكَـرَا

ثم علم أيها الأخ أنَّ مَن بورِكَ له في عُمُرِهِ أَدْرَكَ في يَسِيرِ الزمنِ مِن مِنَنِ اللَّهِ ما لا يَدْخُل تَحْتَ دَوائِرِ العِبَارَةِ .

فَبركَةُ العُمْرِ أَنْ يَرْزُقَ اللَّهُ العَبْدَ مِن الفِطنَةِ واليَقَظَةِ ما يَحْمِلُه على الجِدِّ والاجْتهادِ على اغْتِنَام أَوْقَاتِ عُمُرِهِ وانتِهَازِ فُرْصَةِ إمكانه .

فيبـادِرْ إلى الأعـمال القَلْبِيَّةِ والأعمال البَدَنِيَّة ويَسْتَفْرِغُ في ذَلِكَ مَجْهُودَهُ بالكُلِيَّة وكُلُّ ذلك في عُمُرٍ قَصِيرٍ وزَمَنٍ يَسِيرٍ .

والخُذْلَان كُلَّ الخُذْلان أنْ تَتَفَرَّغَ مِن الشَّوَاغِلِ ثم لا تَتَوجَّهَ إلى الله جل وعلا .

ومِن الخُذْلان أيضا أن تَصُدَّك العَوائِقُ والشواغِل عن التَّوجُّهِ إلى الله تعالى .

والواجب عليكِ أن تبادِرَ إلى التوجه إلى الله بالأعمال الصالحة وأن تَرمِي بالعَوائِقِ والشَّوَاغِل خَلْفَ ظَهْرِكَ .

وقد قيل سِيْرُوا إلى الله عُرْجًا ومَكَاسِيْرَ ولا تَنْتَظِروا الصِّحَّةَ فإنَّ انْتِظَار الصِّحَّـةَ بَطَالَةٌ والعاقِلُ مَن بَادَرَ إلى الأعمالِ الصالحة قال الشاعر حاثًا على اغتنام الوقت :

وخُذ مِن قَرِيْبٍ واسْتجِبْ واجْتَنِبْ غدًا ... وشَمِّرْ عن السَّاقِ إجْتِهَادًا بِنَهْضَةِ
وكُنْ صَارِمًا كالْوَقْتِ فالْمَقْتُ في عَسَى ... وإيَّـاكَ مَهْـلًا فَهْـيَ أَخْطَـرُ عِـلَّـةِ
وسِرْ زمِنًا وانْهَضْ كَسِيْرًا فَحَظُّكَ الْـ ... ـبَطَالَةُ مَا أَخَّـرْتَ عَـزْمًـا لِصِحَّـةِ
وجُـدَّ بسَيْفِ العَزْمِ سَوْفَ فإنْ تَجُدْ ... تَجِدْ نَفَسًا فالنَّفْسُ إنْ جُدْتَ جَدَّتِ

اللَّهُمَّ انظِمْنَا في سِلْكِ عِبَادِكَ المخلصينَ ووفِّقْنَا للقِيَامِ بأَرْكانِ دينكَ القَويمِ وَنَجنا مِن لَفَحاتِ الجَحِيْمِ وأَسْكِنَّا في جَناتِ النَّعيم واغفرْ لَنا ولِوالدِيْنَا ولِجَميع المُسْلمين الأحْيَاءِ منهم والميتين بِرَحْمَتِك يا أَرْحَمَ الراحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وعلى آله وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصـــل)

قال ابنُ الجوز تَبَاعَد عن أهلِ السُوءِ وباعِدْ أَوْلادَكَ عنهم لا يُعَادُوْنَكَ بأَفْعَالِهم وأَقْوالِهم وطِباعِهم ولا يَزَالُ يَقْسُو قَلْبُكَ حَتَّى يَسْتأنِسُ بِهِم فهُنَاكَ الهَلَاكُ .

والسُوءُ يَتَفَاوَتُ فَمِنْ أَهْلِهِ أهلُ الفَواحِشِ ومنهم أهلُ اللَّهْوِ ومنهم أهلُ الغِيْبَةِ والنَّمِيْمَةِ ومنهم أهلُ الملاهي وآلات الطرب .

فإنهم يَسْبُوْنَ أَهْلَ العُقول عُقُوْلَهُم حتى يَنْحَلُّوا عن دِيْنِهم ومُرُوءَتِهم فَيَعْسرُ عليهم الخلاصُ لِمَا يَجِدُوْنَهُ مِن لَذَّةِ النَّغَماتِ والأصْوَاتِ .

حَتَّى يَكـون عَادَةً وطَبْعَا فَرُبَّما يَجْلِس الرجُلُ إليهم وهُو كَارِهٌ لِسَماعِ لَغْوِهِم مُسْتَوْحِشٌ مِن نَفْسِهِ ثم لا يَزَالُ على ذلكَ حتى يَرَاهُ حَسَنَا .

من كيد الشيطان أن يورد ابن آدم الموارد التي يخيل إليه أن فيها منفعته ثم يصدره المصادر التي فيها عَطَبُه ويَتَخَلَّى عنه ويُسْلِمُه لِلْهَلاكَ ويَقِفُ يَتَشَمَّتُ به ويضحك منه .

فيأمره بالسرقة والقتل واللواط والزنا ويدل عليه ويفضحه قال الله تعالى ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر فلما كفر قال إني بَرِيْءٌ مِنكَ ﴾ .

وقال تعالى ﴿ وإذْ زَيَّنَ لهم الشيطان أعمالَهُم وقال لا غالبَ لكم اليوم من الناس وإني جَارٌ لكم فلما تَراءتِ الفِئتانِ نكصَ على عَقِبَيْهِ وقال إني بَرِيءٌ منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب ﴾ .

ذكر ابن القيم رحمه الله الأَسْبابَ التي يُعتَصَمُ بها مِن الشيطان الأول إلاسْتِعاذَةُ باللَّهِ مِن الشيطان الرجيم قال تعالى ﴿ وإما ينزغنك مِن الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴾ .

والمرادُ بالسمعِ هُنَا سَمعِ الاجابة لا السمعِ العام .

الثاني قراءة المعوذتين فإنَّ لهما تأثيرًا عَجيْبًا في الاسْتِعَاذَةِ بالله مِن شر الشيطان ودَفْعِهِ .

ولِهَذا قال النبي ﷺ ما تَعَوَّذَ المُتَعَوِذُوْنَ بمثلِهما وكان ﷺ يَتَعَوَّذُ بِهِما كلَّ ليلة عند النوم .

وأَمَرَ عُقْبَةَ بنَ عَامر أن يَتَعَوَّذُ بهما دُبُرَ كُلِ صَلاةٍ وذَكَرَ ﷺ أنَّ مَن قَرَأَهُمَا مَعَ سُوْرَةِ الاخلاصِ ثلاثًا حِينَ يُمْسِي وثلاثًا حِيْنَ يُصْبِح كَفَتَاهُ مِن كُلِ شر .

الثالثُ قراءةُ آيةِ الكُرسِي .

الرابع قراءة سورة البقرة ففي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال « إن البيتَ الذي تُقْرَأ فِيْه سُورَة البَقرة لا يَدخُلُه الشيطان .

الخامسُ خاتِمَةُ سُورَةِ البَقرة فقد ثَبَتَ في الصحيح عنه ﷺ أنه قال مَن قَرأ الآيتين مِن آخِرِ سُورة البَقرةِ في ليلَةٍ كَفَتَاهُ .

السادس أول سورة حم المؤمن إلى قوله ﴿ إليه المصير ﴾ ففي الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ مَن قَرأ حَم المؤمن إلى قوله ﴿ إليه المصير ﴾ .

وآيَةَ الكُرسي حين يصبح حُفِظ بهما حتى يُمْسِي ، ومن قرأهما حين يُمْسِي حفظ بهما حتى يصبح .

السابع لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة .

ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال مَن قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة .

كانت عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سَيئة وكان حرزًا له من الشيطان .

يَوْمَهُ ذلك حتى يمسي ولم يأتِ أَحَدٌ بأفضل منه إلا رجلٌ عَمِلَ أكثر من ذلك .

الثـامِنُ وهو أَنفعُ الحِروز مِن الشيطان كَثرةُ ذكِر اللَّهِ عَزَّ وجَلَ وهذا بعَيْنِهِ هو الذي دَلَّتْ عليه سُوَرَةُ الناس .

فإنَّه وَصَفَ الشيطان فيها بأنه الخَنَّاسَ الذي إذا ذَكَر العبدُ رَبَّهُ انْخَنَسَ فإذا غَفَل عن ذكر الله التَقَمَ القَلْبَ وألْقَى إليه الوَسَاوِسَ .

فما أَحْرَزَ العبدُ نَفْسَهُ مِن الشيطانِ بمثلِ ذِكرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَل .

الحرز التاسع الوضوء والصلاة وهذا من أعظم ما يحترز العبدُ به ولا سِيَّما عنذَ الغضب والشهوة فإنها نارٌ تَصْلَى في قَلْب ابن آدم .

كما روى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قَال ألا وإن الغَضَبَ جَمرةٌ في قَلْبِ ابنِ آدَمَ فما أطْفَأَ العبدُ جَمرةَ الغَضَب والشهوة بِمِثْلِ الوضوءِ والصلاة .

فإن الصلاة إذا وَقَعَتْ بخشُوعِها والإقبالِ على اللَّهِ فيها أذْهَبَتْ أثَرَ ذلك جُمْلَةً وهَذا أَمْرٌ تجربَتُهُ تُغْني عن إقامةِ الدليل عليه .

الحرزالعاشِرُ إمْسَاكُ فُضُولِ الكلام فإنها تَفْتَحُ أَبْوَابًا مِن الشرِ كُلّها مَدَاخِل للشيطان فإمساكُ فُضولِ الكلام يَسُدُ عنكَ تلك الأبواب .

والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فوائد ونصائح ومواعظ وحكم وآداب وَوَصَايا

مِن أَخْـلاَق المؤمِن حُسْنُ الحديث ، وحسنُ الاستماع إذا حُدِّث ، وحُسْنُ البِشرِ إذا لَقِي ، ووفاء بالوَعْدِ إذا وَعَدَ ومِن حُسْنِ إسلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيْه .

سُوْءُ الخُلُق سَبَبُ النكـدِ في الحَيَاة والشُرور والآثـام ، فعلى العاقل اللَّبيب أَنْ يَعْرِفَ الأَخْلاقَ السَّيئَةَ لِيَجْتَنبَهَا ، وهي كثيرةٌ ولا يَخْلُوا أَحَدٌ منها فَتَفَقَّدْ نفسَكَ وأَزِلْ ما فيها .

فَمِن ذلك المَكْرُ ، والخَدِيْعَةُ والخِيَانَةُ والغِشُ ، والكَذبُ ، والغِيْبَةُ ، والنميمـةُ ، والسَّعَـايَةُ ، والـظُلْم والـرياء والعُقوقُ ، والقَطِيعةُ ، والكِبرُ ، والعُجْبُ ، والزَّهُوُ ، والأَنفَةُ مِن المسْكَنةِ .

والنِّفَــاقُ ، والخِيانـةُ ، والغَـدرُ ، والحَسَـدُ ، والغِـلُ ، والحِقْـدُ ، والشَّمَاتَةُ ، والبَغْضَاءُ ، وسُوءُ الطن ، والتَّجَسُسُ على المسلمين .

وإضمارُ السُوء ، والتَّربُص بالدَّوائِر ومُسَاعَدَةُ الهَوى ، ومُخالَفةُ الحقُ والرِضَى بالهِوَىَ والحِبُّ والبُغض بالهَوى ، والجَفَاءُ .

والقَسْوَةُ ، وقِلَّةُ الرحمة ، والحِرصُ ، والشَّرهُ والطَّمعُ والطِّيَرة ، والطُغيان بالمال ، والفَرَح بإقبال الدنيا ، واسْتِقلال الرزق .

واحْتقار النِعم ، والاحتقار بمَصَائِب الدِين ، واستعظامُ الدنيا ، والحُزْنُ على ما فات منها .

والاسْتَهَانَةُ بعِلم الله عز وجل عند فِعْلِكَ لِلذَّنْبِ والاسْتِهانَة بسَماعِهِ ما يَصْدُرُ منكَ مِن المَعَاصِي قولا وفِعلا .

وقِلَّة الحَيَاءِ مِن إطلاعِ اللَّهِ عَليكَ ومِن اطلاعِ مَن عَن اليَمين وعن الشمال قَعِيْد .

وأنْتَ لَو أطَّلَعَ عَليكَ مَخْلُوقٌ ضعِيْفٌ وأَنْتَ تعملُ مَعْصِيَةَ اللَّهِ لا نْزَعَجْتَ .

فَتَنَبَّهْ لِذَلِكَ ورَاقِبِ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا وتَقَدَّسَ وكُنْ منه عَلى حَذَر .

تَوارَى بِجُدْرَانِ البُيُوتِ عن الوَرَى   وأنْتَ بِعَيْنِ اللَّهِ لا شَك تُنْظَرُ

وقال ابنُ القيم رحمه الله :

وهُوَ الحليمُ فلاَ يُعَاجِلُ عَبْدَهُ   بَعقُوبَةٍ لِيَتُوبَ مِن عِصْيانِ
لَكِنَّهُ يُلْقِي عَليه سِتْرَهُ   فهو السَّتِيْرُ وصَاحِبُ الغُفْرانِ
وهُوَ العَفُوُ فعفْوُهُ وسِعَ الورَى   لَوْلاَهُ غَارَ الأرضُ بالسُّكانِ
وهُوَ الصَّبُورُ على أَذَى أعْدَائِهِ   شَتَمُوهُ بَلْ نَسَبُوْهُ لِلْبُهْتَانِ
قالُوا لَهُ ولَدٌ ولَيْسَ يُعِيْدُنَا   شَتْمًا وتَكْذِيْبًا مِن الإنسانِ
هَذَا وَذَاكَ بسَمْعِهِ وبِعِلْمِهِ   لَوْ شَاءَ عَاجَلهُم بكُلِّ هَوَانِ
لَكِنْ يُعَافِيهِمْ ويَرْزُقُهُم وهُمْ   يُؤْذُوْنَهُ بالشِرْكِ والكُفْرانِ

قال بَعضُ العلماء إخواني إذا تَقَرَّبَ الناسُ إلى الله عَزَّ وجَل بأنواع البرِّ الظاهِرَةِ مِثْلَ الجِهادِ والحج والصوم والزكاةِ والصدقةِ وتلاوةِ القرآنِ وغيرِ ذلك .

فَنافِسُوهُم فيها واجْعَلُوا أعْظَمَ الرَّغْبَةِ في طَاعَةِ القُلُوب التي لا يَطَّلِعُ عليها الانسُ ولا الملائكةُ ولا الجنُ ، ولا يَعْلَمُهَا إلا عَلاَّمُ الغُيُوب .

فإنَّ القَلِيْلَ مِن أعْمَالِ البرِ كَثِيْرٌ لِسلاَمَتِهِ مِن الرِّيَاءِ وجَمِيْعِ المُكَدِّراتِ .

ألا فَتَقَرَّبُوا إلى الله بطَاعَةِ القُلُوب فإن فيها المعرفَةَ بعَظَمَةِ اللّهِ وكِبْريَائهِ وجَلالِهِ وقُدْرَتِهِ وعَظِيم قَدْرِهِ سُبْحَانَهُ .

وتَقَـرَّبُوا إليه بمَحَابِهِ ، وبُغْض مَكارِههِ والرِّضَا والغضَبِ لَهُ وفيه ، وتَقَرَّبُوا إليه بشِدَّةِ الحُبِّ لَهُ .

والحُبِّ فيه والبُغْض مِن أَجْلِهِ ، وتَقَرَّبُوا إلى الله بالمعرِفَةِ بأيادِيْهِ الحَسْنَةِ ونعَمِهِ الظاهِرَةِ والبَاطِنَةِ ، وأَفْعَالِهِ الجَمِيْلَةِ .

ومِنَنِـهِ المُتَواتِرَةِ على تَواتُرُ الإسَاءَةِ مِنَّا ، وهُوَ جَل وعَلا وتَقدَّسَ يَعُودُ بأَنْوَاعِ النِعَم عَلَيْنا .

ألا فَتَقَرَّبُوا إليه بالخَوْفِ مِن زَوَال النِّعَم ، وشِدَّةِ الحَيَاءِ من التَّقْصِيرِ في الشكر .

وتَقَرَّبُوا بالوَجَلِ مِن مَكْرِ الله تعالى والاشْفَاقِ على إِيْمَانِكم .

وتَقَرَّبُوا إلى اللّهِ بشِدَّةِ الخَوفِ منه .

وحَقِيْقَـةِ الرجَاءِ فيهِ ، والسُرُوْرِ بذِكره ، ومُنَاجَاتِهِ ، والشَّوقِ إليه ، والرَّغْبَةِ في جِوَارِهِ .

وتَقَرَّبُوا إلى الله بِصِدْقِ اليَقِينِ والتَّوكُلِّ عليه والثِّقَةِ به والطُّمأنينةِ إليهِ والأُنْسِ به والانقطاعِ إليه .

وتَقَربُوا إليه بالوَفَاءِ ولِيْنِ الجانِبِ والجَنَاحِ والتَّواضُعِ والخُشوع والخُضُوع .

وتَقَرَّبُوا إليه بالحِلم والاحْتِمَال وكَظْمِ الغَيْظِ وتَجَرُّعِ المَرَارَةِ .

وتقرَّبُوا إليه بسَلاَمَةِ الصَّدْرِ وإرَادَةِ الخَيْرِ للامَّةِ وكَراهَةِ الشَّرِ لَهُم .
وتَقَرَّبُوا إلى اللَّهِ بالرأفَةِ والرحمةِ والشَفَقَةِ والحَوْطَةِ على المسلمين .

وتَقَرَّبُوا إليهِ بالجُودِ والكَرَم والتَّفَضُلِ والاحسَانِ وصِدق الوَفاء .
وتَقَرَّبُوا إليه بالقَنَاعَةِ والعَفَافِ والكَفَافِ والرِضَى بالبُلْغَةِ واليأسِ مِنْ نَائِلِ الناس .
وتَقَرَّبُوا إليه بالتَّدبُرِ لِكِتابهِ وتفَهُّمِهِ والعَمَلِ به والاخلاص .
وتَقَرَّبُوا إليه بمُجَاهَدِةِ إبليس لَعَنَهُ اللَّهُ ومُخَالَفةِ الهَوى والنفس الأَمَّارَةِ بالسُوء والتَّفَقُدِ لأحْوَالِكم والتَّقْوىَ في كل أُمُورِكُمْ وتَقَربُوْا إلى الله بأَدَاءِ الأمانات .
وتَقَرَّبُوا إليه بالاحسان إلى المُسِيء والإيثارِ على أَنْفُسِكُم وإن كان بكم خَصَاصَة .
وارْغَبُوا في مَكَارِم الأَخلاق .
وتَقَرَّبُوا إلى الله بالتواضُعِ والابتعَادِ عن التَّرَفُعِ على عباد الله المؤمنين .
وتَقَرَّبُوا إلى الله بالفَرَحِ بِمَصَائِبِ الدنيا ، والرضا بقضاء الله وقدره .
وتَقَرَّبُوا إلى الله بالاستعداد للموت والبعث والنشور والحساب والميزان

ألم ترأنَّ المرء يحبسُ ماله
وَوَرَاثِهِ فيه غداً يَتَمَتَّعُ كَأَنَّ الحماة

المشفقين عَليْكَ قَدْ غَدَوا بكَ أَوْ رَاحُوا رَوَاحاً فَأَسْرَعُوا
وما هُوَ إلاَّ النَّعْشُ لَوْ قَدْ أَتَوَا بِهِ
تُقَلُّ فتَلقَى فَوْقَهُ ثُم تُرْفَعُ

وَمَا هُوَ إلا حَادِثٌ بعْدَ حَادِثٍ
عَلَيْكَ فَمِنْ أيِّ الحَوَادِثِ تَجْزَعُ
وَمَا هُوَ إلاَّ المَوْتُ يَأْتِيْ لِوَقْتِهِ
فمَالكَ في تَأْخِيْرِهِ عَنْكَ مَدْفَعُ
ألاَ واذا وُدِّعْتَ تَوْدِيْعَ هَالِكٍ
فَآخِرُ يَوْمٍ مِنْكَ يَوْمٌ تُوَدَّعُ
ألا وَكَمَا شَيَّعْتَ يَوْماً جَنَائِزاً
فَأنْتَ كَمَا شَيَّعْتَهُم سَتُشَيَّعُ
رَأَيْتُكَ في الدُّنْيَا على ثِقَةٍ بهَا
وَإنَّكَ في الدّنْيَا لأنْتَ المُرَوَّعُ
وَصَفْتَ التُّقى وَصْفاً كَأنَّكَ ذُوْ تُقَى
وَرِيْحُ الخَطَايَا مِنْ ثِيَابِكَ تَسْطَعُ
وَلَم تُعْنَ بالأَمرِ الذي هُوَ وَاقِعُ
وَكُلُّ امْرِئٍ يَعْنَى بمَا يَتَوَقَّعُ
وَإنَّكَ لَلْمَنْقُوصِ في كُلِّ حَالَةٍ
وَكلُّ بَنِيْ الدُّنْيَا عَلى النَّقْصِ يُطْبَعُ
وَمَا زِلْتُ أرْمِيْ كُلَّ يَوْمٍ بِعِبْرَةٍ
تَكَادُ لهَا صُمُّ الجِبَالِ تَصَدَّعُ
فَمَا بَالُ عَيْنِيْ لاَ تَجُوْدُ بِمَائِهَا
وَمَا بَالُ قَلْبِيْ لاَ يَرِقُّ وَيَخْشَعُ
تَبَارَكَ مَنْ لاَ يَمْلِكُ المُلْكَ غَيْرُهُ
مَتَى تَنْقَضي حَاجَاتُ مَنْ لَيْسَ يَقْنَعُ

وَأيُّ امْـرِءٍ في غَـايَـةٍ لَيْسَ نَفْسُـهُ
إلى غَـايَـةٍ أُخْـرَى سِوَاهَـا تَـطَلَّعُ
وَبَعْضُ بَنِي الـدُّنْيَـا لِبَعْضٍ ذَرِيْعَـةٌ
وَكُـلٌّ بِـكُـلِ قَـلمَّـا يَـتَـمَـتَّـعُ
يُحِبُّ السَّعِيْدُ العَدْلَ عِنْدَ احْتِجَاجِـهِ
وَيَبْغِي الشَّقِيُّ البَغْيَ والبَغْيُ يَصْـرَعُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلى نَهجِ الاسْتِقَامَةِ وَأَعِذْنَا مِنْ مُوْجبَاتِ الحَسْـرةِ وَالنَّدَامَةِ يَوْمَ القِيَامةِ وَخَفِّفْ عَنَّا ثُقْلَ الأَوْزَارِ ، وَارْزُقْنَا عِيْشَةَ الابْرَارِ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِينَ برحْمتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِين .

٩ مَوْعِظة

عِبَادَ اللَّهِ كُلُّنَا نَعْلَمُ أَنَّ حَيَاتَنَا مَهْمَـا امْتَدَّتْ وَصَفَتْ لِلزَّوالِ ، وَكَذلِكَ كُلّ وَاحِدٍ منَّا يَعْلَمُ أنه أتى للدنْيَا للاختِبَارِ بِمَا كُلِّفنا به مِنَ العِبَادَاتِ وَالمعَامَلاتِ ، وَسَيُصْبِحُ الوَاحِدُ مِنَّا عَمّا قَرِيْبٍ في حُفْرَةٍ وَحْيداً لَيْسَ مَعَهُ أوْلادٌ وَلا أمْوَالٌ ، وَحِيْنَئِذٍ تَكُوْنُ أَيُها الأخُ كأنكَ مَا رأيْتَ الدُّنْيَا وَلا هِيَ رَأَتْكَ لَحْظَةً مِنْ اللّحظَاتِ .

وَيَالَيْتَكَ إذَا زَالَتْ الحَيَاةُ تَزُوْلُ دُوْنَ أَنْ يَتَرَتَّبَ عَلَيْهَا آثَارٌ لَوْ كَانَ ذَلِكَ لاحَبَّ بَعْضُنَا المَوْتَ ، لأنَّهُ يَكُونُ بَشِيْراً بانْتِهَاءِ الأَمْرَاضِ وَالمَصَائِبِ وِالآلامِ ، لكِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّه يَعْقُبُ ذَلِكَ المَوْتَ اهْوَالٌ ، وَأُمورٌ مُزْعِجَاتٌ ، تُلاقِيْ جَزَاءَ مَا كَانَ مِنْكَ قَبْلَ المَوْتِ في الاخْتِبَار .

فَانْ كُنْتَ قَدْ أَحْسَنْتَ ، رَأَيْتَ قَبْرَكَ رَوْضَةَ نَعِيمٍ ، وَانْ كُنْتَ مُسِيئاً رَأَيْتَهُ نِيْرَاناً مُحْرِقَاتٍ .

عَنِ البَرَاءِ بن عَازِبٍ قَالَ كُنَّا في جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنْ الانْصَارِ وَمَعَنا رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم فانْتَهينا إلى القَبْرِ ولم يُلْحَدْ ، وَوُضِعَتْ الجَنَازَةُ ، وَجَلَسَ رسولُ اللهِ صلى الله عَليه وسلم ، فَقَالَ إنَّ المؤمِنَ إذا احْتُضِرَ ، أتاه مَلَكُ الموتِ في أَحْسَنِ صُوْرَةٍ ، وأَطْيَبَ رِيْحاً ، فَجَلَسَ عِنْدَه ، لِقَبْضِ رُوْحِهِ ، وَأَتَاه مَلَكَانِ بحَنُوطٍ مِنَ الجَنَّةِ وَكَانَا منه على بَعِيْدٍ فَاسْتَخْرَجَ مَلَكُ المَوْتِ رُوْحَهُ مِن جَسَدِهِ رَشْحاً .

فَإِذَا صَارَتْ إلى مَلَكِ المَوْتِ ابْتَدَرَهَا الملكَانِ فَأَخَذَاهَا مِنْهُ فَحَنَّطَاهَا بحَنْوطٍ من الجَنَّةِ وكَفَّنَاهَا بكَفَنٍ من الجَنة ثم عَرَجا بهَا إلى الجَنة ، فَتُفْتَحُ له أَبْوابُ السَّمَاءِ ، وتَسْتَبْشِرُ الملائِكةُ بهَا وَيَقُولُوْنَ لمن هَذِه الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ التي فُتِحَتْ لها أَبْوَابُ السَّمَاءِ .

وَيُسَمَّى بأَحْسَنِ الأَسْمَاءِ التي كان يُسَمَّى بها في الدنيا ، فَيُقَال هذه رُوْحُ فُلانٍ فإذا صَعَدَا بها إلى السَّمَاءِ شَيَّعَها مُقَرَّبُوا كُلِّ سَمَاءٍ ، حتى تُوْضَعَ بين يَدَيْ اللهِ عندَ العَرْشِ ، فَيُخْرَجُ عَمَلُهَا مِن عِلِّيِّينَ فيَقُولُ الله عَز وجَلّ للمُقَرَّبين اشْهَدوا أَنّي قد غَفَرْتُ لصَاحِبِ هذا العَمَل ، وَيُخْتَمُ كِتَابُه فيُرَدُّ في عِلِّيِّيْنَ .

فيَقُولَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رُدُّوا رُوْحَ عَبْدِي إلى الارْضِ ، فَإِنِّي وَعَدْتُهُم أَنِّي أَرُدُّهُم فِيْها .

ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم « مِنْهَا خَلَقْنَاكُم وَفيها نُعِيْدُكم ومنها نُخْرِجُكم تَارَةً أخْرَى » فإذَا وُضِعَ المؤْمِنُ في لَحْدِهِ تَقُولُ لهُ

الأَرْضُ إنْ كُنْتَ لَحَبِيْباً إليَّ وَأَنْتَ عَلى ظَهْرِيْ ، فَكَيْفَ إذْ صِرْتَ اليَوْمَ في بَطْنِيْ سَأُرِيْكَ مَا أَصْنَعُ بِكَ ، فَيُفْسَحُ لهُ في قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ .

وَقَالَ رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا وُضِعَ الكَافِرُ في قَبْرِهِ أتَاهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٍ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ ، فَيَقُولَ لا أدْرِيْ فَيَقُولاَنِ لَهُ لادَرَيْتَ ، فَيَضْرِبَانِه ضَرْبَةً فَيَصُيْرُ رَماداً ، ثمَّ يُعَادُ فَيَجْلَسُ فَيُقَالُ لَهُ مَا قَوْلُكَ في هَذا الرَّجُلِ ، فَيَقُولُ أَيَّ رَجُلٍ فَيَقُولاَنِ مُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ قَالَ النَّاسُ إنَّهُ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وسَلم فَيَضْرِبَانَه ضَرْبَةً فَيَصِيْرُ رَماداً .

وَيَا لَيْتَ الأَمْرُ يَنْتَهِي ، وَيَقِفُ عند هَذَا الحَدِّ ،فَتَبْقَى في قَبْرِكَ عَلى الدَّوَامِ ، فَإنَّه أخَفُّ مِمَا بَعْدَهُ ، فَتَكُونُ آلامُكَ فِيْهِ أخفُّ إنْ كُنْتَ مِن أهْلِ الشَّقَاءِ وَالآثامِ ، وَلَكِن تَعْلَمُ أنَّ مَا أَخْبَرَ بِهِ اللّهُ سَيَقَعُ ، وَهُو القِيَامُ مِن القُبَورِ ، قَالَ اللهُ تَعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالِمَيْنَ ﴾ .

وَحِيْنَئِذٍ تَسُوقُكَ نَتيجَةُ اخْتِبَارِكَ إمَّا إلى الجَنَّةِ وإمَّا إلى السَّعِيْرِ ، مَنْ كَانَ مكذبا بِهَذا والعَياذُ باللَّهُ فلا كَلامَ لَنَا مَعَهُ ، لإنَّ مَآلَهُ إلى جَهنَّمَ وَبِئْسَ المِهَادِ لأَنَّهُ مِن الكافِرينَ ، وَإنْ كَانَ مُؤْمِناً بذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فهُوَ الذِي تُفِيْدُ فِيْهِ المَواعِظُ وَضَرْبِ الأمْثَالِ وَيُقَالُ لِمَاذا نَرَاكَ مُتَّصِفاً بِمَا يُخَالُف قولك :

يا قَسْوَةَ القَلْبِ مَالِي حِيْلَةٌ فِيْكَ	مَلَكْتِ قَلْبِي فأَضْحَى شَرَّ مَمْلُوكِ
حَجَبْتِ عَنِي إفَادَاتِ الخُشُوعِ فَلَا	يَشْفِيْكِ ذِكْرٌ ولاوَعْظٌ يُـدَاوِيْكِ
ومَا تَمَادِيْكِ مِن كُثْفِ الذُنُوبِ وَلَـ	ـكِنَّ الذُنُوبَ أَرَاهَا مِن تَمَادِيْكِ
لَكِن تَمَادِيْكِ مِن أُصلِ نَشَأْتِ بِهِ	طَعام سُوْءِ عَلَى ضَعْفِ يُقَوِّيْكِ

وأنْت يا نَفسُ مَأْوَى كُلِّ مُعْضِلَةٍ ... وكُلُ دَاءٍ بِقلبِي مِن عَوادِيْكِ
أَنْتِ الطَّلِيْعَةُ لِلشَّيْطَانِ فِي جَسَدِيْ ... فلَيْسَ يَدْخُلُ إلاَّ مِن نَواحِيْكِ
لَمَا فَسَحْتِ بِتَوفِيْرِ الحظُوظِ لَهُ ... أَضْحَى مَعَ الدَّمِ يَجْرِيْ فِي مَجَارِيْكِ
وَالَيْتِهِ بِقَبُوْلِ الزُورِ مِنْكِ فَلَنْ ... يُوَالِي اللهَ إلاَّ مَن يُعَـادِيْكِ
مازلْتِ فِي أَسْرِهِ تَهْوِيْنَ مَوْثقةً ... حَتَّى تَلِفْتِ فأَعيانِي تَلَافِيْـكِ
يَا نَفْسُ تُوبِي إِلَى الرحمنِ مُخْلِصَةً ... ثم اسْتَقِيْمِيْ عَلَى عَزْمٍ يُنَجيْـكِ

واسْتَرْزِكِيْ فَارِطَ الأَوْقَاتِ واجْتَهِـدِيْ ... عَسَاكِ بالصِدْقِ أَنْ تَمْحَيْ مَسَاوِيْكِ
واسْعَيْ إِلَـى البِرِّ والتَّقْـوىَ مُسَارِعَـةً ... فَرُبَّمـا شُكِـرَتْ يَومـاً مَسَـاعِيْـكِ
ولَنْ يَتِمْ لَكِ الأَعْمَالُ صَالِحةً ... إلاَّ بِتَركِكِ شَيْئاً شَرٌّ مَتْرُوْكِ
حُبُّ التَّكَاثُرِ فِي الدنيـا وزِيْنَتِهَا ... فَهْيَ التِي عَن طِلَابِ الخَيرِ تُلْهِيْكِ
لا تُكْثِرِيْ الحِرْصَ فِي تَطْلَابِهَا فَلَكَمْ ... دَمٌ لَهَا بسُيُوفِ الحِرْصِ مَسْفُوْكِ
بَلِ اقْنَعِي بِكَفَافِ الرِّزْقِ رَاضِيَةً ... فَكُلَّمَا جَازَ مَا يَكْفِيْكِ يُعْطِيْكِ
ثُمَّ اذْكُرِيْ غُصَصَ الموتِ الفَظِيْعِ تَهُنْ ... عَلَيْكِ أَكْدَارُ دُنْيـاً لا تُصَافِيْكِ
وظُلْمَةَ القَبْرِ لا تَخْشَيْ وَوَحْشَتَهُ ... عِنِدَ انْفِرَادِكِ عَنْ خِلٍ يُوَالِيْكِ
والصَّالِحَاتِ لِيَومِ الفَاقَةِ ادَّخِرِيْ ... فِي مَوْقِفٍ لَيْسَ فَيْهِ مِن يُوَاسِيْكِ
وأَحْسِنِي الظَّنَّ بالرحمنِ مُسْلِمَةً ... فَحُسْنُ ظَنِّكِ بالرحمنِ يَكْفِيْكِ

اللَّهُمَّ إنَّـا نَسْأَلُكَ نَفساً مُطْمَئنةً تُؤمِنُ بلِقَائِكَ وتَرضَى بقَضَائِك ، اللهم إنا نَسأَلُكَ باسْمِكَ الطاهِرِ الطَّيبِ المُبَارَكِ الأَحَبِّ إليك الذي إذا دُعِيْتَ به أَجَبْتَ ، وإذا سُئِلْتَ به أَعْطَيْتَ ، وإذا اسْتُرْحِمْتَ به رَحِمْتَ ، وإذا استفـرِجْتَ به فَرَّجَتْ أنْ تَغفرَ سَيئاتنا وتُبدلها لنا بِحَسَنات يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصبحه أجمعين .

١٠ « مـوعظـة »

كتبَ عَليٌّ بنُ أبِي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ إلى وَلَدِهِ الحُسَيْنِ مِنْ عبدِ اللَّهِ عَليٍّ أَميرِ المؤمنينَ الوَالِدِ الفَانِي الذَّامِّ للدُّنْيَا السَّاكِنِ مَسَاكِنَ المَوْتَى ، إلى الوَلَدِ المُؤَمِّلِ مَا لاَ يُدْرِكُ السَالِكِ سَبِيْلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ ، عُرْضَةُ الأَسْقامِ وَرَهينَةُ الأيامِ وأَسِيْرُ المنايا وقَرِينُ الرَّزَايَا وَصَرِيْعُ الشَهَوَاتِ وَنُصُب الآفاتِ وَخَلِيْفَةُ الأَمْواتِ .

يا بُنيَّ إنْ بَقِيْتُ أو فَنِيْتُ فإني أُوصِيْكَ بتَقْوى اللَّهِ عَزَّ وَجَلّ وَعِمَارَةِ قَلْبَكَ بذِكرِهِ ولْاعْتِصَامِ بحَبْلِهِ فإنَّ اللَّهِ يَقُولُ واعْتَصِمُوا بحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً ولاَ تَفَرَّقُوا واذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عليكم الآية وأيُّ سَبَبٍ يا بُنَيَّ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبينَ الله عزَّ وجلّ .

أَحْيِي قلبَكَ بالمَوْعِظَةِ وَنَوِّرْهُ بالحِكْمَةِ وَقَوِّه بالزُهْدِ وَذَلِّلْهُ بالمَوْتِ وَقَرِّرْهُ بالفَنَاءِ وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَهْرِ وَتَقَلُّبَ اللَيَالي .

وَاعْرِضْ عليهِ أَخْبَارَ الماضِينَ وَسِرْ في دِيارِهِمْ وآثارِهِمْ فانظُرْ مَا فَعَلُوا وأيْنَ حَلُّوا فَأنَكَ تَجِدُهُمْ قَدِ انْتَقَلُوا مِنْ دارِ الغُرورِ وَنَزَلُوا دارَ الغُرْبَةِ .

وكأنكَ عنْ قَليلٍ يا بُنَي قد صِرْتَ كأحَدِهِمْ فبعْ دُنْيَاكَ بآخِرَتكَ وَلاَ تَبـعْ آخِـرَتك بدُنياكَ وَدَع القَوْلَ فِيْمَا لا تَعْرِفُ والأَمْرَ فِيْمَا لا تُكَلَّفُ وَمرْ بالمعروفِ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ وَكُنْ مِن أَهْلِهِ وأَنْكِرِ المُنْكَرَ بيَدِكَ وَلِسَانِكَ وَبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ .

وَخضْ الغَمَـرَاتِ إلى الحَقِّ وَلاَ تَأخُـذْكَ في اللَّهِ لَوْمَةُ لائِمَ واحْفَظْ وَصِيَّتِي فلا خَيْرَ في عِلْمٍ لا ينفَعُ وَاعْلَمْ أنه لا غِنَى بك عن حُسْنِ الارتِيَادِ

مَعَ بَلاغِك مِنَ الزادِ .

فإنْ أَصبْتَ مِنْ أهلِ الفَاقَةِ مَنْ يَحْتَمِلُ عنْكَ زَادَكَ فيُوَافِيكَ بِهِ في مَعَادِكَ فاغْتَنِمْهُ فانَّ أمامَكَ عقبةً كَؤُوداً لا يُجاوزُها إلا أخَفُّ الناسِ حِمْلاً .

وأَجْمِلْ في الطَلَبِ وأَحْسِنْ في المَكْسَبِ فَرُبَّ طَلَبٍ قدْ جَرَّ إلى حَرْبٍ وإنَّما المَحْرُوبُ مَنْ حُرِبَ دِينَهُ والمَسلوبُ مَنْ سُلِبَ يَقينَه واعْلَمْ أَنهُ لا غِنَى يَعْدِلُ الجَنةَ وَلاَ فقرَ يَعْدِلُ النارَ والسلام عليكَ ورحمةُ اللَّهِ .

قال الناظم رحمه الله :

وكُنْ بينَ خَوفٍ والرَّجَا عامِلاً لِمَا
تَخَافُ وَلاَ تَقْنطْ وُثُوقاً بِمَوْعِدِ

تَذَكَّرْ ذُنوباً قَدْ مَضَيْن وَتُبْ لَهَا
وَتُبْ مُطْلقاً مَعْ فَقْدِ عِلْمِ التَّعَمُّدِ

وبادِرْ مَتَاباً قَبْلَ يُغْلَقُ بابُه
وَتُطوَى على الأعمالِ صُحْفُ التزَوُّدِ

فحِينَئِذٍ لا يَنْفَعُ المَرْءَ تَوْبَةٌ
إذا عايَنَ الأَمْلاكَ أو غَرْغَرَ الصَّدِي

ولا تَجْعَلِ الآمَالَ حِصْناً فإنَّها
سَرَابٌ يَغُرُّ الغافلَ الجاهلَ الصَّدِي

وَيُسْتَحَبُ أنْ يَقُولُ لَهُم في وَقْتٍ بَعْدَ وَقْتٍ مَتَى رَأَيْتُم مِنِّيْ تَقْصِيْراً في شَيْءٍ انْهَوْنِيْ عَنْهُ برِفْقٍ وَلُطْفٍ لأَنَّ النَّفْسَ تَضْعُفُ في ذَلِكَ الوَقْتِ وَأَدُّوْا إِلَيَّ النَّصِيْحَةَ في ذَلِكَ فإِنِّيْ مُعَرَّضٌ لِلْغَفْلَةِ والسَّهْو والكَسَلِ والإِهْمَالِ فإِذَا قَصَّرْتُ فَنَشِّطُوْنِيْ وَعَاوِنُونِيْ عَلى التَّأَهبِ لِهَذَا السَّفرِ البَعِيْدِ والتَّغَرُّبِ المُخِيْفِ .

وإذا حَضرَهُ النَّزْعَ فَلْيُكْثِرْ مِن قَوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ لِتَكُون آخِرَ كَلاَمِهِ فَيَالَهُ مِن خِتَامٍ وَيَا لَهُ مِنْ طَابَعٍ ، فَعَنْ مُعاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه قال قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لَقِنُوْا مَوْتَاكُم لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ .

وَيَسْتَحْضِرْ أَحَادِيْثَ الرَّجَا مِثْلُ حَدِيْثِ أَبي ذَرٍ قَالَ أَتَيْتُ النَّبيَ ﷺ وعليه ثَوْبٌ أَبيضُ وَهو نَائِمٌ ثم أَتَيْتُهُ وقد اسْتَيْقَظَ فقالَ ما مِنْ عَبْدٍ قال لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ثم مَاتَ عَلى ذَلِكَ إلا دَخَلَ الجَنَّةَ قُلْتُ وانْ زَنَى وإِنْ سَرَقَ قال وإِن زَنَى وَإِنْ سَرَقَ الحديثَ متفق عليه .

وَحَدِيث ابن عباس أنَّ نَاساً مِن أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوْا قَدْ قَتَلُوا وَأَكْثَرُوْا وَزَنَوا وأَكْثَرُوْا فَأَتَوْا مُحَمَّداً ﷺ فقالُوا إِنَّ الذي تَدْعُوا إِليهِ لَحَسَنٌ لو تُخْبِرْنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَارةً فَنزَلَ ﴿ والذين لا يَدْعُونَ مع اللَّهِ إلهاً آخرَ ولا يقتلونَ النفسَ التي حَرَّمَ اللَّهُ إلا بالحق ولا يَزْنُون ﴾ الأيتين - ونَزَل ﴿ قل يَا عِبَادِي الذين أسرفُوا على أنفسِهم لا تَقْنَطُوا مِن رحمة اللَّهِ ﴾ الآية ونحو هذه الآية والأحاديث التي سَبَقَتْ .

شعــراً :

إذا أَتى اللَّهُ يـومَ الحَشـرِ في ظُـلَلٍ ... وجـيءَ بالأُمَـمِ المَاضِينَ والرُّسُـلِ
وحاسَبَ الخَلْقَ مَنْ أَحْصَى بقُدرَتِه ... أَنْفَـاسَـهُم وتَـوفَّـاهُـم إِلـى أَجَـلِ
ولـم أَجِـدْ فـي كِتَـابِـي غَـيْرَ سَيِّئَةٍ ... تَسُـوءني وعَسَى الإِسْـلاَمُ يَسْـلَمُ لي
رَجَـوتُ رَحمَـةَ ربِّـي وهـيَ واسِعُـةٌ ... ورَحْمَـةُ اللَّهِ أَرْجَـى لي مِـنَ العَمَـلِ

اللَّهُمَّ اجْعَلْ في قُلوبنَا نُوْراً نَهْتَدِيْ بِهِ إِلَيْكَ وَتولَّنا بحُسْنِ رِعَايَتِكَ حَتَّى نَتوكلَ عَلَيكَ وارْزُقْنَا حَلاَوَةَ التَّذلل بَينَ يَدَيكَ فَالعزيزُ مَنْ لاَذَ بعزِّكَ والسَّعيدُ مَن الْتَجأَ إلى حَمَاكَ وَجُودِكَ والذليلُ مَنْ لَمْ تَؤيِّدْهُ بعنايَتِكَ والشَّقِيُ مَن رَضِيَ بالإعْرَاض عنْ طَاعَتِكَ اللهم نَزِّهْ قُلوْبَنَا عنْ التَّعَلق بِمَنْ دُونَك واجْعَلْنَا مِنْ

قوم تحبُّهُمْ ويُحبُّـونَكَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الراحِمِينَ وصلى اللَّهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

١١ مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ كَانَ سَلَفُنَا في مَحَبَّةِ بَعْضِهِم بَعْضاً آيَة مِن الآيَاتِ وَكَانَ التَّرَاحُمُ بَيْنَهُم بَالِغاً مَبْلغاً يَعُدُّهُ أَهْلُ الانْصَافِ غَايَةَ الغَايَاتِ لِذَلِكَ كَانُوا في مَحَبَّةِ الخَيْرِ لِبَعْضِهِم عَلَى أَرْقَى مَا يُتَصَوَّرُ في الدَّرجَاتِ .

وَهَلْ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُم في أَشَدِّ الجُوْعِ وَيُؤْثِرُ أَخَاهُ بِمَالَهُ مِنْ طَعَامٍ عَامِلِيْنَ بِقَـوْلِهِ تَعَـالَى ﴿ وَيُؤْثِرُوْنَ عَلى أَنْفُسِهِم وَلَـوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ وَقَولِهِ ﴿ وَيُطْعِمُوْنَ الطَّعَامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيْناً وَيَتِيْماً وَأَسِيْراً ﴾ وَبِقَوْلِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيْهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ .

وَإِنّ الخَجَلَ لَيَعْلُو وُجُوْهَنَا إِذَا نَحْنُ قَارَنَّا بَيْنَ هَؤُلاَءِ وَبَيْنَ أَبْنَاءِ هَذَا الزَّمَانِ ، نَحْنُ في حَالةٍ تَصَوُّرُ حَقِيْقَتِهَا فَقَطْ يُثِيْرُ في قُلُوبِ المؤمِنِيْنَ الأَحْزَانَ .

كَيْفَ وَنَحْنُ إِذَا فَتَّشْنَا ثم فَتَّشْنَا لا نَجِدُ قَلْبَيْنِ مَعَ بَعْضِهِمَا مَعِيَّةَ الاخَاءِ التَّامِّ يَكُوْنُ الجَارُ في نِهَايَةِ الفَقْرِ وَلاَ يَلْتَفِتُ إِليهِ جَارُهُ المُثْرِي وَيَنْزِلُ بالأَخِ الشَّقِيْقِ أَوِ العَمِّ الشَّقِيْقِ أَو نَحْوِهِمَا مَا يَنْزِلُ مِن الكَوَارِثِ وَلاَ أَثَرَ لِنُزُوْلِهَا عِنْدَ أَخِيْهِ وَلاَ كَأَنَّهُ يَرَى تِلْكَ المَصَائِبَ الفَادِحَة وَلَعَلَّكَ مُنْتَظِرٌ الجَوَابَ مَا هُوَ السَّبَبُ في ذَلِكَ فَأَلْقِ سَمْعَكَ وَأَحْضِرْ قَلْبَكَ .

فَأَقُولُ لِكُلِّ النَّاسِ اليَوْمَ شُغْلٌ وَاحِدٌ هُوَ المالُ شَغَلَهُم عَمَّا عَدَاهُ وَأَنْسَاهُم كُلَّ مَا سِوَاهُ مَلأَ القُلُوبَ حُبُّ هَذَا المالِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ في القُلُوبِ مُتَّسَعٌ لِسِوَاهُ فَمِنْ أَجْلِهِ تُسْتَبَاحُ الاعْرَاضُ وَمِنْ أَجْلِهِ تُرَاقُ الدِّمَاءُ وَمِنْ أَجْلِهِ يَكُونُ الصَّفا والمُعَادَاةُ هُوَ القُطْبُ الذِي تَدُورُ حَوْلَهُ أَفْعَالُ العِبَادِ في هَذَا الزَّمَانِ .

فَالقُلُوبُ في سُرُوْرٍ مَا دَامَ المالُ سَالماً وإن انهَارَ بنَاءُ الشَّرَفِ والدِّيْن والنُّفُوْسُ في هُدُوءٍ وَطُمَأْنِيْنَةٍ ما ابْتُعِدَ عَن المالِ فَإِذَا قُرِبَ حَوْلَهُ هَاجُوا هَيَجَانَ الجِمَالِ وَهُمْ في تَوَاصُلٍ مَا لَمْ يُتَعَرَّضْ لِلْمَالِ فَإِذَا تُعِرِّضَ لَهُ انْقَطَعَت الصِّلاتُ حَتَّى بَيْنَ الأَقْرَبِيْنَ مِنْ آبَاءٍ وَأُمَّهاتٍ وأوْلَاد وَإِخْوَانِ .

وهذا من ثمرات البُخْل قال بعضهم البخيل يستعجل الفقر الذي هرب منه ويفوته الغِنى الذي يطلبه فيعيش في الدنيا عَيْش الفُقَراء ويُحَاسَبُ حِسَابَ الأَغْنِيَاء فالبخيلُ هو الوحيدُ الذي يَسْتَبْشِرُ وَرَثَتُهُ بمَرَضِه وَمَوْتِه وتجده لَيْلَهُ ونَهارَهُ مُسْتَغْرَقٌ في جَمْعِ المالِ لا يَفْتُر خَوفًا مِن الفَقْرِ وهذا هُوَ الفَقْرُ كما قيل :

ومَن يُنْفِقِ الساعاتِ في جَمْعِ مَالِهِ ... مَخافَةَ فَقْرٍ فالذي فَعَلَ الفَقْرُ

آخـــر :

يُفْنِي البَخِيْل بجَمْعِ المالِ مُدَّتَهُ ... ولِلْحَوادِثِ والوُرَّاثِ ما يَدَعُ
كَدُوْدَةِ القَزِّ ما تَبْنِيْهِ يَهْدِمُهَا ... وغَيْرُهَا بالذي تَبْنِيْهِ يَنْتَفِعُ

آخـــر :

وذِيْ حِرْصٍ تَراهُ يُلِمُّ وفْرًا ... لِوَارِثِه ويَدْفَعُ عن حِمَاهُ
كَكَلْبِ الصَّيْدِ يُمْسِكُ وهْوَ طَاوٍ ... فَرِيْسَتَهُ لِيأْكُلَهَا سِوَاهُ

أَمـا عَلِمَ هَؤُلَاءِ أَنَّ المالَ الذِي كَانَ بأَيْدِيْنَا كَانَ قَبْلَنَا بيَدِ اخْوَانِنَا في الإِنْسَانِيّةِ الذين سَبَقُونَا إلى الدنيا ثم انْتَقَلَ إلى مَنْ بَعْدَهُم ثم انْتَقَلَ مِن جِيْلٍ إلى جِيْلٍ إلى أنْ وَصَلَ الَيْنَا سَعِدَ بِهِ مَنْ صَرَفَهُ مَرَاضِيْ اللّهِ وَشَقِيَ بِهِ مَنْ صرَفَهُ في مَا يُغْضِبُ اللّهَ .

وَلَعَلَّكَ يَا أَخِيْ تَتَكَدَّرُ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّهُ سَيَنْتَقِلُ عَنْكَ في أَسْرَعِ وَقْتٍ فلا تَفْزَعْ وَلاَ تَتَكَدَّرْ وَوَطِّنْ نَفْسَكَ وَاعْلَمْ انَّكَ وَاللّهِ مَيِّتٌ وَمَوْرُوثٌ عَنْكَ مَا جَمَعْتَ وَمَنَعْتَ رَغْمَ أَنْفِكَ يَتَمَتَّعُ بِهِ ذَلِكَ الوَارِثُ العَاقُّ أَوْ البار وَإِنْتَ تُسْأَلُ عَنْهُ هَلَلَةً وَقِرْشَاً قِرْشاً .

وَتَكُـوْنُ النَّتِيْجَـةُ إِنْ كُنْتَ جَمُوعاً مَنُوعاً شَقَاءً تَسْتَغِيْثُ مِنْهُ فَلاَ تُغَاثُ وَتَتَمَنَّى لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا بيَدِكَ وَافْتَدَيْتَ نَفْسَكَ بهَا تَكُونُ النَّتِيْجَةُ ذَلِكَ إِنْ كُنْتَ مِنْ المَغْرُورِيْنَ الغَافِلِيْنَ لذِيْنَ ظَنُّـوا أَنَّ السَّعَادَةَ كُلَّهَا تَيْسِيْرُ جَمْعِ المَالِ وَتَكْدِيْسُهُ عِنْدَكَ آلافاً وَمَلَايينَ وَعَمَائِرَ وَفِلَلٍ وَأَرَاضِيْ وَبُيوتٍ كَدَأْبِ أَهْلِ هَذَا العَصْرِ الغَافِلِ المُظْلِمِ بالمَعَاصِيْ وَالبِدَعِ والمُنْكَرَاتِ .

الذيْ اعْتَاضَ أَهْلُهُ عَنْ كِتَابِ اللّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ العُكُوْفَ عَلى الجَرَائِدِ حَمَّالَةِ الكَذِبِ والمَجَلاتِ الخَلِيْعَاتِ وَالكُتُبِ الهَدَّامَاتِ والجُلُوسَ حَوْلَ المَلاَهِيْ والمُنْكَرَاتِ فَسَوْفَ تَنْدَمُ وَتَتَحسَّرُ حِيْنَما يَنْكَشِفُ عَنْكَ الغِطَا وَيَتَبيَّنُ لَكَ ذَلِكَ الخَطَأَ وَتَتَمَنَّى أَنَّكَ أَمْضَيْتَ أَوْقَاتَكَ في طَاعَةِ مَوْلَاكَ وَهَيْهَاتَ أَنْ يَحْصُلَ لَكَ مُنَاكَ ذَهَبَ الآوَانُ وَبَقِيَ النَّدَمُ وَالحِرْمَانُ .

قال تعالى ﴿ ولو ترى إذْ فزعُوا فلا فوتَ وأخذوا من مكان قريب . وقالوا آمنا به وأنَّي لهم التناوش من مكان بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد . وحِيلَ بينهم وبين ما يشتهُون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شكٍ مريب ﴾ .

لَقَدْ أَنْسَى النَّاسَ حُبُّ هَذَا المالِ مَا لَهُم مِن شَرَفٍ وَمُرُوْأَةٍ وَدِيْنٍ وَجَعَلَهُم حَوْلَ حُطَامِ الدُّنْيَا كَمَا وَصَفَهُم الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَمَا هِيَ إِلَّا جِيْفَةٌ مُسْتَحِيْلَةٌ عَلَيْهَا كِلَابٌ هَمُّهُنَّ اجْتِذَابُهَا
فَإِنْ تَجْتَنِبْهَا كُنْتَ سِلْماً لِأَهْلِهَا وَإِنْ تجتذبها نَازَعَتْكَ كِلَابُهَا

أَمَا عَلِمُوا أَنَّ المَالَ مِن خَدَمِ الدِّيْنِ فَاذَا تَجَاوَزَ ذَلِكَ كَانَ نَكْبَةً عَلَى أَصْحَابِهِ وَكذاكَ الأَولادُ إِنْ كانُوا غَيْرَ صَالِحِيْنَ فَهُمْ ضَرَرٌ عَلى أَبِيْهِم وَعَلى أَنفُسِهِم وَكَذَلِكَ الزَّوْجَةُ وَلِذلك وَرَدَ عَنْ دَاوُدَ عليهِ السلامُ أنهُ كَانَ يَقُولُ « اللهُمَّ إِنِّيْ أَعُوذُ بكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ وَمِنْ مَالٍ يَكُونُ عَلَيَّ عَذاباً وَمِنْ وَلَدٍ يكُونُ وَبالاً ومِنْ زوجَةٍ تُشِيْبُنِيْ قَبْلَ المشِيْبِ وَمِنْ خَلِيْلٍ مَاكِرٍ عَيْنُهُ تَرْعَانِيْ وَقَلْبُهُ يَشْنَانِيْ إِنْ رَأَى خَيْراً أَخْفَاهُ وَإِنْ رَأَى شَراً أَفْشَاهُ » .

وَقِيْلَ إِنَّهُ سُئِلَ عِيْسَى عليه السَّلامُ عَن المالِ فقَالَ لا خَيْرَ فيْهِ قِيْلَ وَلِمَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ لأَنَّهُ يُجْمَعُ مِنْ غَيرِ حِلٍّ قِيلَ فانْ جُمِعَ مِنْ حِلٍّ قال لا يُؤَدَّى حَقُّهُ قِيْلَ فإِنْ أَدِّيَ حَقهُ قالَ لا يَسْلَمْ صَاحِبُهُ مِن الكِبْرِ وَالخُيَلاَءِ قِيْلَ فانْ سَلِمَ قَالَ يُشْغِلُهُ عن ذِكْرِ اللَّهِ قِيْلَ فإنْ لم يَشغَلْهُ قالَ يُطِيْلُ عليهِ حِسَابَهُ يَوْمَ القِيَامةِ .

فتَأَمَّلْ هَذِه العَقَباتِ الخَمْسَ وَقَلِيْلٌ منْ يَتَجاوَزُها سَالِماً وَوردَ عَنْ عَطاءِ بن السّائِب عَن أَبِيْ البخْتَري قالَ كَانَ بَيْنَ عمّارِ بْن يَاسِرٍ وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ فِي المَسْجِدِ فَقَال عَمَّارٌ أَسْأَلُ اللَّهَ تعَالَى إِنْ كُنْتَ كَاذبًا أَنْ لا يُمِيْتَكَ حَتّى يُكْثِرَ مَالَكَ ووَلَدَكَ وَيُوَطِّىءَ عَقِبَكَ وَوَرَدَ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ رسولُ الله ﷺ « خِيَارُكُم فِي المائَتَيْنِ كُلُّ خَفِيْفِ الحاذِّ » قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الخَفِيْفُ الحَاذُّ قال : « الذِيْ لا أَهْلَ لَهُ وَلاَ وَلَد » .

شِعْرًا :

يَقُـولُ الذِيْ يَـرْجُو مِن اللّهِ عَفْـوَهُ
وَيَـرْجُوهُ نَصْـراً عَـاجِـلاً غَيْـرَ آجِـلِ

لِمَنْ يَتَّقِيْ المَـوْلَى وَيَـرْجُـو لِقَـاءَهُ
وَعَمَّـا يَقُـولُ النَّـاسُ لَيْسَ بِسَـائِـلِ

أَقُــولُ بِحَمْــدِ اللّهِ قَــوْلاً مُنَقَّحـاً
وَلَوْ أَنَّ فَهْمِيْ قَاصِـر فِي المَسَائِـلِ

عَلَيْـهِ مِن النَّصِّ الصَّرِيْـحِ شَـوَاهِـدٌ
إِذا قُلْتُـهُ يَهْـوى لَـهُ كُـلُّ عَـاقِـلِ

أُسِــرُّ بِمَــا بِيْ وَالـعُيُـوْنُ عَـوَابِــرٌ
بِـدَمْعٍ عَلى الخَـدَّيْنِ ثَجَّـاً بِـوَابِـلِ

وَفِي مُـدَّعِيْ الإِسْـلَامِ قَلْبِيْ كَـأَنَّـهُ
عَلى الْمُهْلِ مِنْهُم لَيْسَ عَنْهُم بِذَاهِلِ

فَمَــا بَيْنَ دَهْـرِيٍّ وَمَــا بَيْنَ مُشْـرِكٍ
وَلَمْ يَعْـرِفِ الإِسْلَامَ غَيْـرُ القَـلائِـلِ

وَلَـوْ بَـذَلُــوْا الأَمْـوَالَ نَفْــلاً لِـرَبِّنـا
إِذَا الفَـرْضُ ضَاعَ لَاغِنَى بِـالنَّوَافِـلِ

تَـرَكْنَـا الكِتَــابَ وَالحَـدِيْثَ وَرَاءَنَــا
لِأَجْــلِ مَجَـلاتٍ أَتَتْ بِــالتَّهَــازُلِ

لَقَـدْ حَصَّـلَ المَقْصُـودَ مِنَّـا عَـدُوُّنَـا
وَمَقْصُــودُنَـا مِنْهُم فَلَيْسَ بِحَــاصِـلِ

مَشَيْنَـا جَمِيْعـاً فِي فَسَـادِ صَـلاحِنَــا
وَرُمْنَـا مَرَامـاً خَـاسِـراً غَيْـرَ طَـائِـلِ

وَتَستَعْجِبُ الأَعْداءُ مِنّا لأَنَّنَا
كَمِثْلِ القَطا تَصْطَادُنَا بِالحَبَائِلِ
أَحاطَتْ بِنا الأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
كَأَنَّا طَعَامٌ قَدَّمُوهُ لِآكِلِ
وَصارُوْا بِحاراً يُغْرِقُ الفُلْكَ مَوْجُهَا
وَنحنُ لَهُمْ صِرْنَا كَمِثْلِ الجَداوِلِ
وَتَخْتَرِعُ الأَعْدَاءُ لِلْحَرْبِ قُوَّةً
وَقَدْ هَدَّدَتْ مَنْ لَمْ يُطِعْ بِالقَنَابِلِ
وَلَيْسَ لَنَا مِنَّا زَعِيْمٌ مُصَادِمٌ
أَتَتْ تَتمطىٰ مَا لها مِنْ مُقَابِلِ
وَنَحْنُ هَبَطْنَا لِلتُّرَابِ تَوَاضُعاً
نُرِيْدُ نَجاحاً مِنْ خَفِيْفِ القَسَاطِلِ
« فَتَبّاً لِعُبَّادِ الدَّنَانِيْرِ كُلِّهِمْ
وَتَبّاً لِخَبِّ جَاهِلٍ مُتَعَاقِلِ »
وَتَبّاً لِعَبْدٍ مُشْرِكٍ خَانَ رَبَّهُ
وَضَيَّعَ دِيْناً مَا لَهُ مِنْ مُمَاثِلِ
وَتَبّاً لِقَوْمٍ عَزَّ فِيْهِمْ سَفِيْهُهُمْ
وَصَارَ ذَلِيْلاً عِنْدَهُمْ كُلُّ فَاضِلِ
وَمِنْ أَعْظَمِ الخُسْرَانِ عِزُّ عَدُوِّهِمْ
وَذُلُّهُم مِنْ بَعْدِ عِزِّ الأَوَائِلِ
فَيَا لَيْتَ للإِسْلامِ في الحَالِ شَوْكَةً
ذَوُوا نَجْدَةٍ يَخْشَاهُمُ كُلُّ جَاهِلِ

رِجَـالٌ يَـرَوْنَ المَـوْتَ مَجْـداً وَجُنَّـةً
عَن الذُّلِّ مِنْ فِعْلِ الصُّقُوْرِ الحَلاَجِلِ
تَـذُوْدُ عَنِ الـدِّيْنِ القَـوِيْمِ بِسَيْفِهَـا
ومِنْ أرْضِهَـا تنفِيْ جَمِيْعَ الأَرَاذِلِ

اللهُم اخْتِمْ بالسَّعادَة آجالَنا وَحقِّقْ بالزِّيَادَةِ أعْمالَنا وَاقْرِنْ بالعَافِيَةِ غُدُوَّنا وَآصَالَنَا واجْعَلْ إلى رَحْمَتِكَ مَصِيْرَنَا وَمَآلَنَا وَاصْبُبْ سِجَالَ عَفْوِكَ على ذُنُوبِنَا وَمُنَّ بإِصْلاحِ عُيُوبِنَا واجْعَل التقوى زَادَنا وفي دِيْنِك اجْتِهَادُنا وَعَليْكَ تَوَكّلُنا وَاعْتِمَادُنا إلهَنا ثَبِّتْنَا على نَهْجِ الاسْتِقَامَةِ وَأَعِذْنَا مِن مُوْجبَاتِ النَّدامَةِ يومَ القيامة وَاغفرْ لنا ولِوَالدَيْنا وجَميعِ المسلمين برَحمتِك يا أرحَمَ الرَّاحِمينَ وصَلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِه أجْمَعِينَ .

١٢ مَوْعِظَةٌ

رَوَى أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وسَلم « تَفَرَّغُوا مِنْ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهُ مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا أكْبَرَ هَمِّهِ ، فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أمْرَهُ وَجعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ أَكْبَرَ هَمِّهِ جَمَعَ اللهُ لَهُ أمُورَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ في قَلْبِهِ وَمَا أَقْبَلَ عَبْدٌ بِقَلبِهِ إلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إلَّا جَعَلَ اللهُ قُلُوبَ المُؤْمِنِيْنَ تَفِدُ إليه بِالوُدِّ وَالرَّحْمَةِ وَكَانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إلَيْهِ بِكُلِّ خَيْرٍ أَسْرَعُ » وَلَمَّا دَخَلَ أبُو الدَّرْدَاءِ الشَّامَ قَالَ يا أهْلَ الشَّامِ اسْمَعُوا قَوْلَ أَخٍ نَاصِحٍ فاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ مَا لِيْ أرَاكُمْ تَبْنُونَ مَا لا تَسْكُنُونَ وَتَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ وَتُؤَمِّلُونَ مَا لَا تُدْرِكُوْنَ إنَّ الذِينْ كَانُوا قَبْلَكُم بَنَوا مَشِيْدًا وَأَمَّلُوا بَعِيْداً وَجَمَعُوا عَتِيْدًا فَأَصْبَحَ أَمَلُهُم غُرُوْرَا وَمَسَاكِنُهُمْ قُبُوْرا : وَقَالَ بعضهم :

إنَّ كُلَّ يَوْمٍ يَمُرُّ بِكُمْ يَحْمِلُ مَا ثَبَتَ فِيْهِ مِنْ خَيْرٍ أو شَرٍّ ثُمَّ يَمْضِيْ فَلاَ يَعُودُ أَبَدَاً فَإِنْ قَدَرْتُمْ أَنْ تَحْظَوا كُلَّ يَوْمٍ بِمَكْرَمَةٍ وَتُثْبِتُوا فِيْهِ حَسَنَةً فَلاَ تُؤَخِّرُوا فإِنَّ الأَيَّامَ صَحَائِفُ فَخَلِّدُوا فِيْهَا الجَمِيْلَ فَقَدْ رَأَيْتُمْ حِفْظَهَا لِمَا اسْتودعتْ مِنْ المَحَامِدِ والمَحَاسِنِ وَالمَكَارِمِ فِي قَدِيْمِ الدَّهْرِ وَحَدِيْثِهِ.

شِعْراً:

لَيْسَ الغَرِيْبُ غَرِيْبَ الشامِ واليَمَنِ
إِنَّ الغَرِيْبَ غَرِيْبُ اللَّحْدِ والكَفَنِ
تَمُرُّ سَاعَاتُ أَيَّامِيْ بِلاَ نَدَمٍ
ولا بُكَاءٍ ولاَ خَوفٍ ولا حَزَنِ
سَفَرِيْ بَعِيْدٌ وَزَادِيْ لا يُبَلِّغُنِي
وَقِسْمَتِي لم تَزَلْ والموتُ يَطْلُبُنِي
مَا أَحْلَمَ اللهَ عني حَيْثُ أَمْهَلَنِي
وَقَدْ تَمَادَيْتُ في ذَنْبِي وَيَسْتُرنِي
أَنَا الذِي أُغْلِقُ الأَبْوَابَ مُجْتَهِدَاً
عَلَى المعاصِي وَعَيْنُ اللهِ تَنْظُرُنِي
يا زَلَّةً كُتِبَتْ يا غَفْلَةً ذَهَبَتْ
يا حَسْرَةً بَقِيَتْ في القَلْبِ تَقْتُلُنِي
دَعْ عَنْكَ عَذْلِيْ يا مَن كَانَ يَعْذِلُنِي
لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا بِي كُنْتُ تَعْذُرُنِي
دَعْنِي أَنُوحُ على نَفْسِي وَأَنْدِبُهَا
وَأَقْطَعُ الدَّهْرَ بالتَّذْكَارِ والحَزَنِ

دَعْنِي أَسِحُّ دُمُوعاً لا انقطاعَ لَهَا
فَهَلْ عَسَى عَبْرَةٌ مِنْهَا تُخَلِّصُنِي

كَأَنَّنِي بَيْنَ تِلْكَ الأَهْلِ مُنْطَرِحاً
على الفِرَاشِ وَأَيْدِيهِمْ تُقَلِّبُنِي

وَقَدْ أَتَوْا بِطَبِيْبٍ كَيْ يُعَالِجُنِي
وَلَم أرَ مِن طَبِيْبِ اليَوْمِ يَنْفَعُنِي

وَاشْتَدَّ نَزْعِي وَصَارَ الموتُ يَجْذِبُها
مِن كُلِّ عِرقٍ بِلاَ رِفْقٍ وَلاَ هَوَنِ

وَاسْتَخْرَجَ الرُّوْحُ مِنِّيْ في تَغَرْغُرِهَا
وَصَارَ في الحَلْقِ مُراً حِيْنَ غَرْغَرنِي

وَغَمَّضُونِي وَرَاحَ الكُلُّ وَانْصَرَفُوا
بَعدَ الإِيَاسِ وَجَدُّوا في شِرَا كَفَنِي

وَقَامَ مَنْ كَانَ أَوْلَى الناسِ في عَجَلٍ
إلى المُغْتَسِلِ يأتِيْنِي يُغَسِّلُنِي

وقَال يا قَوْمُ نَبْغِي غَاسِلاً حَذِقاً
حُراً أدِيْبَاً أَرِيباً عَارِفاً فَطِنِي

فَجَاءَنِيْ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَرَدَنِي
مِنَ الثِّيَابِ وَاعْرَانِي وأفرَدَنِي

واطَّرحُونِي عَلَى الأَلْواحِ مُنْفَرِداً
وَصَارَ فَوْقِي خَرِيْرُ الماءِ يُنْظِفُنِي

وَأَسْكَبَ الماءَ مِن فَوقِي وَغَسَّلَنِي
غَسْلاً ثَلاَثاً وَنَادَى القَوْمَ بِالكَفَنِي

وَأَلْبَسُــوْنِي ثِيَــابَــاً لا كُمُــومَ لَهَــا
وَصَــارَ زَادِي حَنُــوطَــاً حِيْنَ حَنَّـطَنِيْ
وَقَدَّمُونِي إلى المِحْرَابِ وانصرفُـوا
خَـلْفَ الأمَــامِ فَصَـلَّى ثُمَّ وَدَّعَـنِيْ
صَلُّوا عَلَيَّ صَــلاَةً لا رُكُـوعَ لَهَــا
ولا سُجُــوْدَ لَعَــلَّ اللهَ يَـرْحَمُـنِي
وَأَنْــزَلُـونِي فِي قَبْـرِي عَلَى مَهَــلِ
وأنــزَلُــوا واحِــدَاً منهم يُلَحِّــدُنِـيْ
وَكَشَّفَ الثَّـوْبَ عن وَجْهِي لِيَنْـظُرنِي
واسْبَـلَ الـدَّمْـعَ مِن عَيْنَيْـهِ أَغْــرَقَنِيْ
فَقَــامَ مُحْتَـرِمَــاً بـالعَــزْمِ مُشْتَمِـلاً
وَصَفَّفَ اللَّبِنَ مِن فَــوقِي وَفَــارَقَـنِي
وَقَـالَ هُلُّوا عَلَيْـهِ التُّــرْبَ واغْتَنِمُـوا
حُسْنَ الثَّوَابِ مِن الرحمنِ ذِي المِنَنِ
في ظُلْمَــةِ القَبْـرِ لاَ أُمٌّ هُنَــاكَ ولا
أَبٌ شَـفِيْــقٌ ولا أَخٌ يُـؤَنِّـسُـنِــيْ
وَأَوْدَعُـوني وَلَجُـوا في سُــؤ الِهُمُـوا
مَــا لِي سِــوَاكَ إلَهي مَن يُخَلِّصُنِيْ
وَهَالَنِي صُـوْرةٌ في العَيْنِ إذْ نَظَرَتْ
مِن هَوْلِ مَطْلَعِ مَا قَدْ كَان أَدْهَشَنِي
من مُنْكَــرٍ وَنَكِيْــرٍ مــا أَقُــولُ لَهُم
إذْ هــالَنِي مِنْهُمَـا مـا كـانَ أَفْـزَعَنِي

فـامْنُن عَلَيَّ بِعَفْـو مِنْـكَ يَـا أَمَلِي
فَـإِنَّنِي مُـوثَقٌ بـالـذَّنْبِ مُـرْتَـهَنِ
تَقَاسَمَ الأَهْلُ مالِيْ بَعْدَمَـا انْصَرَفُـوا
وَصَـارَ وِزْرِي على ظَهْـرِيْ فـأَثْقَلَنِي
فَـلا تَغُـرَّنَـكَ الـدُنْيَـا وزِينَتُـهـا
وَانْظُرْ إلى فِعْلِهَا في الأَهْلِ والوَطَنِ
وانْظُر إلى مَن حَوَى الدنيا بأَجْمَعِهَا
هَـلْ رَاحَ منهـا بغَيْـرِ الـزَّادِ والكَفَنِ
خُـذِ القَنَاعَةَ مِن دُنْيَـاكَ وارضَ بها ... لَـوْ لَـمْ يَكُـنْ لَكَ إلَّا رَاحَـةُ البَـدَنِ
يَا نَفْسُ كُفِّيْ عَنِ العِصْيَانِ واكْتَسِبي ... فِعْـلًا جَمِيْـلًا لَعَـلَّ اللَّـهَ يَرْحَمُـنِي

اللَّهُمَّ أَيْقِـظْنَـا مِنْ غَفْلَتِنَـا بِفَضْلِكَ وَاحْسَانِكَ وَتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ وَأَلْحِقْنَا بالذِيْنَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمَ في دَارِ رِضْوَانِكَ وَارْزُقْنَا كَمَا رَزَقْتَهُمْ مِنْ لَذِيْذِ مُنَاجَاتِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى محمد وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فصـــل)

ثم أعلم أيها الأخ أَنَّه مَا مِن سَاعَةٍ تَمُرُّ على العَبدِ لا يَذْكُرِ اللَّهَ فيها إلَّا تَأَسَّفَ وتَحَسَّرَ على فواتها بغَيرِ ذِكرِ اللَّهِ ولِذلك يَنْبَغِي للعاقل أَن يَجْعَل مَعَه شيئاً يُذَكِّرُهُ لِذِكرِ الله كُلَّما غَفَلَ عنه .

ويُقَـال إِنَّ العبـدَ تُعْرَضُ عليه سَاعَاتُ عُمُرِهِ في اليوم والليلة فيرَاها

خَزَائِنَ مَصْفُوفَةً أَرْبَعَ وعِشرينَ خِزَانَةً فيرَى في كلِّ خِزَانَةٍ أَمْضَاهَا في طَاعَةِ اللَّه ما يَسُرُّهُ . فإذا مَرَّتْ به الساعاتُ التي غَفَلَ فيها عن ذِكر اللَّهِ رَآهَا فَارِغَةً سَاءَهُ ذلكَ وتَنَدَّمَ حِينَ لا يُفِيْدُه النَّدَمُ .

وأمـا السـاعاتُ التي كانَ يَذكُر اللَّهَ فيها فلا تسأل عن سُرُوْرِهِ فيها وفرحِه بها حتى يكاد أن يقتله الفرح والسرور . قال بعَضُهم أوقاتُ الإنسانِ أرْبَعَةٌ لا خَامِسَ لها النعمَةُ ، والبليةُ ، والطاعة ، والمعصيةُ .

ولِلَّهِ عَلَيْكَ في كُلِ وقْتٍ منها سَهْمٌ مِن العُبُودِيَّةِ .

فَمَنْ كانَ وَقْتُه الطاعة للَّهِ فسَبيلُه شُهُوْدُ المِنَّةِ مِن اللَّهِ عليه أَنْ هَدَاهُ وَوَفَّقَهُ لِلْقِيَام بها .

ومَن كان وَقْتُه المَعْصِية فَعَلَيهِ بالتَّوبَةِ والنَّدَم والاسْتِغْفَار .

ومن كان وَقْتُه النَّعْمَة فَسَبْيلُه الشكرُ والحمدُ للَّهِ واالثناءُ عليه .

ومن كَانَ وَقْتـه البَلِيَّة فَسبيْلُه الـرضـا بالقَضَاء والصَّبرُ والرضا رِضَى النَّفْسِ عن الله ، والصَّبْرُ ثباتُ القلب بَيْنَ يَدَي الرب . أهـ .

العُمُـرُ إذا مَضَى لا عِوَضَ ومـا حَصَل لَكَ منه لا قِيْمَةَ لَهُ . فعُمُر الإنسان هو مَيْدانُهُ لِلأعمالِ الصالحة المُقَرِّبَةِ مِن اللَّهِ تعالى والموجِبَةِ لَهُ جَزِيْلَ الثوّاب في الآخرة . ولَكِنِ ما يَعْرِفُ قَدْرَ العُمُرِ إلَّا نَوادُر العُلَماء .

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ وقال تبـارك وتعـالى ﴿ كلوا واشربـوا هنِيْئًا بما أَسْلَفْتُم في الأيامِ الخالية ﴾ وقال ﴿ إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ﴾ الآيات .

وهذه هي السعادَةُ التي يَكْدَح العبد ويسعى من أجلها وليس له منها إلا ما سعى كما قال جل وعلا وتقدس ﴿ وأن ليس لِلْإنسان إلا ما سعى ﴾ .

فَكُلُّ جُزْءٍ يَفُوتُه مِن العُمر خالِيًا من عمل صالح .

يَفُوتُه مِن السَّعَادة بقَدْرِه ولا عِوَضَ له منه .

فالوَقْتُ لا يُسْتَدْرَكُ ولَيْسَ شيٌّ أَعَزَّ منه وكل جزء يحصل له مِن العمر غير خال مِن العمل الصالح يَتوَصَّل به إلى مُلْكٍ كبيْر لا يَفْنَي ولا قِيْمَةَ لِمَا يُوصِلُ إلى ذلك لأنه في غايةِ الشَّرفِ والنَّفَاسَةِ .

ولأَجْــلِ هَذا عَظُمَتْ مُرَاعَـاةُ السَّلَفِ الصَّـالِـحِ رضي اللَّهُ عنهم لأَنْفَاسِهم ولحَظَاتِهم وبَادَرُوا إلى اغْتِنَامِ سَاعَاتِهم وَأوْقَاتِهم ولم يُضَيِّعُوا أَعْمَارَهُم في البَـطَالَـةِ والتَّقْصِيْرِ ولم يَقْنَعُوا لأَنْفُسِهم إلاَّ بالجِدِّ والتَّشْمِير فلِلَّهِ درهم ما أبصرهم بتصريْف أَوْقَاتِهم .

تَبْغِي الوُصُولَ بسَيْرٍ فيه تَقْصِيْرُ ... لاَ شَكَّ أَنَّكَ فِيْمَا رُمْتَ مَغْرُوْرُ
قَدْ سَارَ قَبْلَكَ أَبْطالٌ فَمَا وَصِلُوا ... هَذا وفي سَيْرِهِم جِدٌّ وتَشْمِيْرُ

قال بعضُهم أدْرَكْتُ أَقْــوَمًــا كانـوا على ساعـاتِهم أَشْفَقَ منكم على دَنَانِيركم ودَرَاهِمكم فَكَمَا لا يُخْرِجُ أحَدُكُم دِنْيَارًا ولا دِرْهَمًا إلاَّ فيما يَعُوْدُ نَفْعُه عليه فكذالك السلف لا يُحِبُون أن تَخْرجَ سَاعَةٌ بَلْ وَلا دَقِيْقَةٌ مِن أعمارهم إلا فيما يَعُوْدُ نَفْعُه عليهم ضد ما عليه أهل هذا الزمان من قتل الوقت عند المنكرات .

بَقِيَّةُ العُمرِ عندِي ما لِه ثمنٌ ... وإنْ غَدَا غيرَ مَحْسُوبٍ من الزمَنِ
يَسْتدَرِكُ المرءُ فيها كلَّ فائِتةٍ ... مِن الزمانِ ويَمْحُو السُّوءَ بالحَسَنِ

آخـــر :

لا يَحْقِر الرَّجُلُ الرَّفِيْعُ دَقِيْقَةً ... في السَّهْو فيها لِلْوَضِيْعِ مَعَاذِرُ
فَكَبَائِرُ الرَّجُلِ الصَّغِير صَغِيْرَةٌ ... وصَغَائِرُ الرجُلِ الكَبِير كَبَائِرُ

رَآى أَحَدُ الزهاد إنسانًا يأكل فَطُوْرَهُ وهو يَحْتَاجُ إلى مَضْغٍ فقال هذا يَسْتَغْرِقُ وقتاً طِويلا فلما أَخْرَجَ فطُوْرَهُ وإذا هُوَ مَا يَسْتَغرق إلا وَقْتًا يَسِيرا .

فقال له ما حَمَلَكَ على هذا فقال إني حَسَبْتُ مَا بَيْنَ المَضْغِ والسَّفِّ سَبعِينَ تسْبِيْحَة .

لله دره على هذه الملاحظة ولقد بَلَغَنَا أن أَحَدَ عُلماءِ السلف كان يأكُلُ باليُمْنَى والكراسُ باليُسْرى .

وإِذَا دَخَلَ الخَلا أَمَرَ القارِيَء أن يَرْفَعَ صَوْته كُلُ هَذا مُحَافَظَةً على الوَقْتِ .

بَلِّغْ يَا أخِي قَتَّالَةَ الأوقات عند الملاهي والمنكرات مِن تِلْفَاز ومِذياع وكُوْرَاتٍ وجَرائدَ ومجلاتٍ وقيلٍ وَقَالٍ ونحو ذلك .

وَيَا أخِي إنْ كُنْتَ مِمَّنْ عَصَمَهُم اللَّهُ مِن هذه الشرور والبلايا والمنكرات فَكَثِّر من حَمْدِ اللَّهِ وشُكرِهِ وذِكره وأسأله الثبات حتى الممات .

وانصح إخوانك المسلمين واجتذبهم عن ضياع الأوقات فلَعَلَّكَ أن تكُونَ سَبَبًا لِهِدَايَتِهِم .

ولا يَذْهَبَنَّ العُمْرُ منكَ سَبَهْلَلاَ ... ولا تُغْبَنَنْ بالنِّعْمتينَ بل اجْهَدِ
فَمَنْ هَجَر اللذَّات نَالَ المُنَى وَمَنْ ... أكَبَّ على اللَّذاتِ عَضَّ عَلى اليَدِ
فِفي قَمْعِ أهْوَاءِ النُّفُوسِ اعْتِزَازُهَا ... وفي نَيْلِها ما تشتهِي ذِلُّ سَرْمَدِ

ثم أعلم أيها الأخ إنَّ الوَقْتَ لَيسَ من ذَهَبٍ كما يَقُول الناس فإنه أغلَى مِن الذهب والفضة مهما بَلَغَا كثرةً إنه الحياة مِن ساعةِ المِيلاد إلى ساعة الوفاة فَتَنَبَّهْ لِذلِكَ وحَافِظْ عليه واقْتَدْ بالسلف الصالح الذين عَرفُوا قيمةَ الوقت .

قال بنُ مسعود رضي الله عنه ما نَدِمْتُ على شيء نَدَمِي على يَومٍ غَرَبَتْ شَمَسُه نَقَصَ فيه عُمُري ولم يَزِدْ فيه عَمَلي .

وقال آخَرُ كُلُ يَومٍ يَمُرُّ بي لا أزادَادُ فيه عِلْمًا يُقَرِبُني مِن اللَّهِ عَزَّ وجَل فلا بُورِكَ لي في طُلُوعِ شَمسِهِ .

وقالَ آخَرُ مَن أَمْضَىَ يَومًا مِن عُمُرِهِ في غيرِ حَقٍّ قَضَاه أو فرضٍ أَدَّاهُ أَوْ مَجْدٍ أَثَّلَهُ أو حَمْدٍ حَصَّلَهُ أو خَيْرٍ أَسَّسَهُ أَو عِلْمٍ اقْتَبَسَهُ فَقَدَ عَقَّ يَوْمَهُ وظَلَم نفسَه . ولاتَسْأَلْ عن نَدَمِهِ يَوْمَ يَنْظُر المرءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاه .

وإذا كان هذا حِرْصُ السلف على الـوقت والمحـافظة عليه وتقديره عندهم فإن مما يُحْزِنُ الْمُسْلِمَ ويَجْرحه ويدمي القلب ويُمَزقُ الكبد أَسًى وأَسَفًا ما نُشَـاهُده عند كثيرين مِن المؤمنين مِن إضَاعَةٍ لِلْوقتِ تَعدَّتْ حَدَّ التَّبْذِيرِ والاسْرَاف والتَّبْدِيْد .

وبالحقيقة أنَّ السفيهَ هُو مُضِيّعُ الوقت لأن المالَ لَهُ عَوَض أمَّا الوقْتُ فلا عِوَضَ لَهُ .

فالعاقل مَن حَفِظَ وَقْتَهُ وتَجَنَّبَ ما يُضَيِّعُه عليه كالجلوس عند الملاهي والمنكـرات ومـطالعـة في الكتب الهـدّمات إنَّ مِن أخْسرِ الناس أعمارا مَن شغلتهم شهواتهم عن أمور دِينهم ومَصَالِح أمورهم قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ ولا تطع مَن أغْفَلْنَا قَلْبَهُ عن ذِكرِنا واتّبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ وقال عز من قائل ﴿ أفمن زين له سُوْءُ عمله فرآهُ حَسَنَا ﴾ .

اللهُمَّ انْفَعْنَـا بِمَا عَلَّمْتَنَـا ، وَعَلِّمْنَـا مَا يَنْفَعُنَـا ، وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا فَهَّمْتَنا ، اللهُمَّ إِنْ كُنَّا مُقَصِّرِيْنَ في حِفْظِ حَقِّكَ ، وَالوَفَاءِ بِعَهْدِكَ ، فَأَنْتَ تَعْلَمُ صِدْقَنَا في رَجَاءِ رِفْدِكَ ، وَخَالِص وُدِّكَ ، اللهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِنَا مِنَّا ، فَبِكَمَالِ جُوْدِكَ تَجَاوَزْ عَنَّا ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ ، الأَحْيَاءِ مِنْهُم والمَيِّتِيْنَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَّى اللَّهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

شِعْراً: قَصِيْدَةٌ زُهْدِيَّةٌ وَعْظِيَّةٌ سَقَطَ بَعْضُها وَعَوَّضْنَاهَا عَنْهُ مَا بَيْنَ الأَقْوَاسْ:

لاَ تَأْسَفَنَّ عَلَى الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا ... فَالْمَوْتُ لاَ شَكَّ يُفْنِيْنَا وَيُفْنِيْهَا

وَمَنْ يَكُنْ هَمُّهُ الدُّنْيَا لِيَجْمَعَهَا ... فَسَوْفَ يَوماً عَلَى رَغْمٍ يُخَلِّيْهَا

لاَ تَشْبَعُ النَّفسُ مِنْ دُنْيَا تُجَمِّعُها ... وَبُلْغَةٌ مِنْ قِوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِيْهَا

إِعْمَلْ لِدَارِ الْبَقَا رِضْوَانُ خَازِنُهَا ... الْجَارُ أَحْمَدُ وَالرَّحْمنُ بَانِيْهَا

أَرْضٌ لَهَا ذَهَبٌ والمِسْكُ طِيْنَتُهَا ... والزَّعْفَرانُ حَشِيْشٌ نَّابِتٌ فِيْهَا

أَنْهَارُهَا لَبَنٌ مَّحْضٌ وَمِنْ عَسَلٍ ... والخَمْرُ يَجْرِي رَحِيْقاً فِي مَجَارِيْهَا

وَالطَّيْرُ تَجْرِي عَلَى الأَغْصَانِ عَاكِفَةً ... تُسَبِّحُ اللَّهَ جَهْراً فِي مَغَانِيْهَا

مَنْ يَشْتَرِي قُبَّةً فِي العَدْنِ عَالِيَةً ... فِي ظَلِّ طُوْبِي رَفِيْعَاتٍ مَبَانِيْهَا

دَلاَّلُهَا الْمُصْطَفَى واللَّهُ بَائِعُهَا ... وَجُبْرَئِيْل يُنَادِي فِي نَوَاحِيْهَا

مَنْ يَشْتَرِيْ الدّارِ فِي الفِرْدَوْسِ يَعْمُرَها ... بِرَكْعَةٍ فِي ظَلاَمِ اللَّيْلِ يُخْفِيْهَا

أَوْ سَدُّ جَوْعَةِ مِسْكِينٍ بِشِبْعَتِهِ ... فِي يَوْمِ مَسْغَبَةٍ عَمَّ الغَلاَ فِيْهَا

النَّفْسُ تَطْمَعُ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ عَلِمَتْ ... أَنَّ السَّلاَمَةَ مِنْهَا تَرْكُ مَا فِيْهَا

وَاللَّهُ لَو قَنِعَتْ نَفْسِي بِمَا رُزِقَتْ ... مِنَ المَعِيْشَةِ إِلاَّ كَانَ يَكْفِيْهَا

وَاللَّهِ وَاللَّهِ أَيْمَانٌ مُكَرَّرَةٌ ... ثَلاَثَةٌ عَنْ يَمِيْنٍ بَعْدَ ثَانِيْهَا

لَوْ أَنْ فِي صَخْرَةٍ صَمَّا مُلَمْلَمَةٍ ... فِي البَحْرِ رَاسِيَةٌ مِلْسٌ نَوَاحِيْهَا

رِزْقًا لِعَبْدٍ بَرَاهَا اللَّهُ لاَنْفَلَقَتْ ... حَتَّى تؤدِيْ إليهِ كُلَّ مَا فِيْهَا

أَوْ كَانَ فَوْقَ طِباقِ السَّبْعِ مَسْلَكُهَا ... لَسَهَّلَ اللَّهُ فِي المَرْقَى مَرَاقِيْهَا

حَتَّى يَنال الَّذِيْ فِي اللَوْحِ خُطَّ لَهُ ... فَإِنْ أَتَتْهُ وإِلاَّ سَوْفَ يَأْتِيْهَا

أَمْوَالُنَا لِذَوِيْ المِيْرَاثِ نَجْمَعُهَا ... وَدَارُنَا لِخَرَابِ البُومِ نَبْنِيْهَا

لاَ دَارَ لِلْمَرْءِ بَعْدَ المَوتِ يَسْكُنُهَا ... إِلاَّ التِي كَانَ قَبْلَ المَوْتِ يَبْنِيْهَا

فَمَنْ بَنَاهَا بِخَيْرٍ طَابَ مَسْكَنُهُ ... وَمَنْ بَنَاهَا بِشَرٍّ خَابَ بَانِيْهَا

والنَّاسُ كالْحَبِّ والدّنْيا رَحىً نّصُبتْ لِلْعَالَمِيْنَ وَكفُّ المَوْتِ يُلْهِيْهَا
فَلاَ الاقَامَةُ تُنْجي النّفسَ مِنْ تَلَفٍ وَلاَ الفِرَارُ مِنَ الأحْدَاثِ يُنجيْهَا
ولِلنُّفُوس وَأَنْ كَانَتْ عَلَى وَجَلٍ مِن المنيةِ آمَالٌ تُقَوِّيْهَا
فالمَرءِ يَبْسُطُهَا والدَّهْرُ يَقْبضُهَا والبِشْرُ يَنشُرُهَا والمَوْتُ يَطْويْهَا
وَكُلُّ نَفْسٍ لَهَا زَوْرٌ يُصَبِّحُهَا مِنَ المَنِيَّةِ يَوْماً أَوْ يُمَسِّيْهَا
تِلْكَ المَنَازِلُ فِي الآفَاقِ خَاوِيَةٌ أَضْحَتْ خَرَاباً وَذَاقَ المَوْتَ بَانِيْهَا
كَمْ مِن عَزِيزٍ سَيَلْقَى بَعد عِزته ذُلاً وضَاحِكَةٍ يوما سَيُبْكِيها
ولِلْمَنَايَا تُرَبِّي كُلُّ مُرضِعَةٍ وللْحِسَاب بَرَى الأَرواحَ بارِيها
لا تَبرَحَ النّفْسُ تنعَى وهي سَالمةٌ حَتَّى يَقُومَ بنَادِ القَوم نَاعِيها
وَلَنْ تَزَالَ طِوَالَ الدَّهْرِ ظَاعِنَةً حَتَّى تُقِيْمَ بِوَادٍ غَيْرِ وَادِيها
أَيْنَ المُلوكُ الَّتِي عَنْ حَظِّهَا غَفَلَتْ حَتَّى سَقَاهَا بِكَأْسِ المَوْتِ سَاقِيْهَا
أَفْنَى القُرْونَ وَأَفْنَى كُلَّ ذِي عُمُرٍ كَذَلِكَ المَوْتُ يُفْنِي كُلَّ مَا فِيْهَا
فَالمَوْتُ أَحْدَقَ بالدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا والنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَنْ كُلِّ مَا فِيْهَا
لَوْ أَنَّهَا عَقَلَتَ مَاذَا يُرَادُ بهَا مَا طَابَ عَيْشٌ لَهَا يوماً وَيُلْهيْهَا
« تَجْنِي الثِّمَارَ غَداً فِي دَارِ مَكْرُمَةٍ لاَ مَنَّ فِيْهَا وَلاَ التَّكْدِيْرُ يَأْتِيْهَا »
« فِيْهَا نَعِيْمٌ مُقِيْمٌ دَائِماً أَبَداً بِلاَ انْقِطَاعِ وَلا مَنَّ يُدَانِيْهَا »
« الأُذْنُ وَالعَيْنُ لَمْ تَسْمَعْ وَلَمْ تَرَهُ وَلَمْ يَدْرِ فِي قُلُوبِ الخَلْقِ مَا فِيْهَا »
« فَيَا لَهَا مِنْ كَرَامَاتٍ إِذَا حَصَلَتْ وَيَا لَهَا مِنْ نُفُوسٍ سَوْفَ تَحْوِيْهَا »
« وَهَذِهِ الدَّارُ لاَ تَغْرُرْكَ زَهْرَتُهَا فَعَنْ قَرِيْبٍ تَرَى مُعْجِبَكَ ذَاوِيْهَا »
« فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ لاَ يَخْدَعكَ لاَمِعُهَا مِنَ الزَّخَارِفِ وَاحْذَرْ مِنْ دَوَاهِيْهَا »
« خَدَّاعَةٌ لَمْ تَدُمْ يَوْماً عَلَى أَحَدٍ وَلاَ اسْتَقَرَّتْ عَلَى حَالٍ لَيَالِيْهَا »
« فَانْظُرْ وَفَكِّرْ فَكَمْ غَرَّتْ ذَوِي طَيْشٍ وَكَمْ أَصَابَتْ بِسَهْمِ المَوْتِ أَهْلِيْهَا »

اعْـتَزَّ قَـارُون في دُنْيَـاهُ مِـنْ سَـفَهٍ وَكَـانَ مِـنْ خَمْـرِهَـا يَا قَـوْمُ ذَاتِيْـهَا
يَبِيْـتُ لَيْـلَتَهُ سَهْـرَانَ مُنْشَـغِلاً فـي أَمْـرِ أَمْـوَالِـهِ فـي الهَـمِّ يَفْـدِيْهَا
وفـي النَّهَـارِ لَقَـدْ كَـانَتْ مُصِـيْبَتُهُ تَحُـزُّ فـي قَلْبِـهِ حَـزّاً فَيُخْفِـيْهَا
فَمَـا اسْتَقَـامَتْ لَهُ الدُّنْيَـا وَلا قَبلَتْ مِنْـهُ الـودَادَ وَلَـمْ تَـرْحَـمْ مُحِبِّيْـهَا
« ثُمَّ الصَّـلاَةُ عَلَى المَعْصُومِ سَيِّدِنَا أَزْكَـى الـبَرِيَّـةِ دَانِيْهَـا وَقَـاصِيْهَـا »

١٣ (مــوعظـــة)

قال الله جل وعلا ﴿ فاعتبروا يا أولى الأبصار ﴾ الاعتبار : النظر في الأمور ليعرفَ بها شيء مِن غيرِ جنسها ، والأبصار : العقول والمعنى تَدَبَّرُوْا .

إخواني : الدنيا دار عبرة ما وقَعَتْ فيها حبرة إلا ورَدِفَتْهَا عِبْرَة أَيْنَ من عاشرنـاه كثـيراً وأَلِفْنَا ، أَيْنَ مِنْ مِلْنَا إليه بالوداد وانعَطَفْنَا ، أَيْنَ مَنْ ذكرْناهُ بالمحاسنِ ووَصَفْنَا ما نعْرِفُهم لو عنهم كَشَفْنَا ، ما ينطقون لو سَألنَاهُم والْحَفْنَا .

وسَنَصِيْرُ كما صَارُوْا فلَيْتَنَـا أنصَفْنَـا ، كم أغمضْنَـا مِن أحبابنا على كرههم جَفْنَا ، كَمْ ذَكَّرتْنَا مَصارِعُ مَن فَنِيَ مَن يَفْنَى ، كم عزيزٍ أَحْبَبْنَا دَفَنَاهُ وانصرفنا ، كَمْ مُؤنسٍ أَضْجَعْنَاهُ في اللحد وَما وَقَفْنَا ، كم كريم علينا إذا مَرَرْنَا عليه انْحَرَفْنَا .

ما لنا نَتَحقَّقُ الحَقَّ فإذا أَيْقَنَّا صَدَفْنَا ، أما ضَرَّ أهلهُ التَّسْوِيْفُ ، وَهَا نَحْنُ قد سَوَّفْنَا ، أمَا التُّرَابُ مَصِيرُنَا فلماذَا مِنه أنِفْنَا ، ألامَ تَغُرُّنَا السَّلامَةُ وكأَنْ قد تَلِفنَا .

أَيْنَ حَبْيْبَنَا الذي كان وانتَقَلْ ، أمَا غَمَسَهُ التَّلَفُ في بَحْرِهِ وارتحلْ أما خلا في لحده بالعملْ أَيْنَ مَن جَرَّ ذَيْلَ الخُيَلاَءَ غافلاً ورَفَلْ أما سَافَر عَنا وإلى الآنَ مَا قَفَلْ .

أَيْنَ مَن تَنعَّمَ في قَصْرَه وفي قَبْرِه قَدْ نَزَلْ ، فكأنه بالدَّار ما كانَ وفي اللَّحْدِ لم يَزَلْ ، أَيْنَ الجبابرة الأكاسرة الأولَ الذين كنزوا الكنوز العُتَاةُ الأول ، مَلَكَ الأموالَ سِواهُم والدنيا دُوَلْ .

شِعْـرَاً :

تَنامُ وَقَدْ أُعِـدَّ لكَ السُهَادُ ... وتُوقِنُ بالرَّحِيْلُ وَلَيْسَ زَادُ
وتُصبِحُ مِثْلَ ما تُمْسِيْ مُضِيْعًا ... كَأَنَّكَ لَسْتَ تدْرِيْ مَا المُرَادُ
أَتَطْمَعُ أَنْ تَفُوْزَ غَدًا هَنيًا ... ولَمْ يَكُ مَنْكَ في الدُنْيَا اجْتِهَادُ
إِذَا فَرَّطْتَ في تَقْدِيمِ زَرْعٍ ... فَكَيْفَ يَكونُ مِنْ عَدَمٍ حَصَادُ

اللّهُمَّ اجْعَلْ في قُلوبنَا نُوْراً نَهْتَدِيْ بِهِ إِلَيْكَ وَتَولَّنَا بحُسْنِ رِعَايَتِكَ حَتّى نَتَوكلَ عَلَيكَ وارْزُقْنَا حَلاَوَةَ التَّذلل بَينَ يَدَيكَ فَالعزيزُ مَنْ لاَذَ بعزِّكَ والسَّعيدُ مَن الْتَجَأَ إلى حِمَاكَ وَجُودِكَ والذليلُ مَنْ لَمْ تَؤَيّدْهُ بعنايَتِكَ والشَّقِيُ مَن رَضِيَ بالإعْرَاضِ عنْ طَاعَتِكَ اللهم نَزِّهْ قُلوْبَنَا عنْ التَّعلق بِمَنْ دُونَكَ واجْعَلْنَا مِنْ قوم تحُبُّهُمْ ويُحِبُّـونَكَ واغفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الراحِمِينَ وصلى اللّهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

١٤ مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللّهِ سَيَجِيْءُ يَوْمٌ يَتَغَيَّرُ فِيْهِ هَذَا العَالَمُ تَنْفَطِرُ فِيْهِ السَّمَاءُ وَتَنْتَثِرُ فِيْهِ الكَوَاكِبُ وَتُطْوَىٰ السَّمَاءُ كَطَيِّ الصَّحِيْفَةِ يُزِيْلُهَا اللهُ وَيَطْوِيْهَا جَلَّ وَعَلاَ وَتُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأرْضِ وَيُنْفَخُ في الصُّوْرِ فَيَقُوْمُ النَّاسُ مِنْ قُبُوْرِهِمْ أَحيَاءً كَمَا كَانُوا في هَذِهِ الدُّنْيَا حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً .

وحِينَئِذٍ يُحْشَرُ الكَافِرُ أَعْمَى لَا يَرَىٰ أَصَمَّ لَا يَسْمَعُ أَخْرَسَ لَا يَتَكَلَّمُ يَمْشِيْ عَلى وَجْهِهِ لِيَعْلَمَ مَنْ أَوَّلَ أَنَّهُ أَهْلٌ لِلإِهَانَةِ وَيَكُوْنُ أَسْوَدَ الوَجْهِ أَزْرَقَ العَيْنَيْنِ فِي مُنْتَهَى العَطَشِ فِي يَوْمٍ مِقْدَارُهُ خَمْسِيْنَ أَلفَ سَنَةٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ إِلَّا مِقْدَارُ مِيْلٍ إِذْ ذَاكَ يَقِفُ ذَاهِلَ العَقْلِ شَاخِصَ البَصَرِ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِ طَرْفَه وَفُؤَادُهُ هَوَاء وَيُعْطَى كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ فَيَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يُعْطَهُ .

ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ إِلى النَّارِ وَيُسْلَكُ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُوْنَ ذِرَاعاً وَبَعْدَ دُخُولِهَا لا يَخْرُجُ أَبداً وَلا يَزِيْدُهُ إِلا عَذَاباً إِذَا اسْتَغَاثَ مِنْ العَطَشِ يُغَاثُ بِمَاءٍ كَالمُهْلِ يَشْوِيْ الوُجُوْهَ وَيُذِيْبُ الأَمْعَاءَ والجُلُودَ تُحِيْطُ بِهِ جَهَنَّم مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَكُلَّمَا نَضِجَ جِلْدُهُ بُدّلَ غَيْرَهُ .

وَلَهُ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيْدٍ ، كُلُّ هَذَا العَذَابِ يُعَانِيْهُ وَلَا يَمُوْتُ وَيَأْتِيْهُ المَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ومِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيْظٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ لايَمُوْتُ فِيْهَا وَلَايَحْيَا ﴾ وَسَوَاءٌ صَبَرَ أَوْ لَمْ يَصْبِرْ هُوَ خَالِدٌ فِي هَذَا العَذَابِ خُلُوْدَاً لا نِهَايَةَ لَهُ هَذَا أَقْصَى عَذَابٍ يُتَصَوَّرُ لأَنهُ جَزَاءُ أَقْصَى جَرِيْمَةٍ هِيَ الكُفْرُ باللهِ هَذَا عَذَابٌ مُجَرَّدُ تَصَوُّرِهِ يُطِيْشُ العُقُوْلَ وَيُذْهِلُ النُّفُوْسَ وَيُفَتِّتُ الأَكْبَادَ فَاسْتَعِذْ باللهِ مِنهُ أَيُّهَا المُؤْمِنُ وَاسْأَلِ اللهَ التَّثْبِيْتَ عَلى الاسْلَامِ وَحُسْنِ الاعْتِقَادِ .

شِـعْراً :

اذَا مَـا خَلَوْتَ الـدَّهْـرَ يَـوْمـاً فَـلا تَقُـلْ
خَـلَوْتُ وَلَـكِـنْ قُـلْ عَـلَيَّ رَقِـيْـبُ
وَلَا تَـحْـسَـبَـنَّ الـلهَ يَـغْـفَـلُ سَـاعَـةً
وَلَا أَنَّ مَـا يَـخْـفَـى عَـلَيْـهِ يَـغِـيْـبُ

لَهَوْنَا لَعَمْرُ اللهِ حَتَّى تَتَابَعَتْ
ذُنُوبٌ عَلى آثَارِهِنَّ ذُنُوبُ
فَيَالَيْتَ أَنَّ اللّهَ يَغْفِرُ مَا مَضَى
وَيَأْذَنَ في تَوْبَاتِنَا فَنَتُوبُ
أَقُولُ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي
وَحَلَّ بِقَلْبِي لِلْهُمُومِ نُدُوبُ
لِطُولِ جِنَايَاتِي وَعُظْمِ خَطِيئَتِي
هَلَكْتُ وَمَالِيْ في المَتَابِ نَصِيْبُ
وَيَذْكِرُنِيْ عَفْوُ الكَرِيْمِ عَنْ الوَرَى
فَأَحْيَا وَأَرْجُو عَفْوَهُ وَأُنِيْبُ
فأَخْضَعُ في قِولي وأَرْغَبُ سائلا
عَسَى كاشِفُ البَلْوى عَلَيَّ يَتُوب

١٥ مَوْعِظَةْ

خَطَبَ عَليٌّ رَضْيَ اللّهُ عَنْهَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ في خُطْبَتِهْ : اتَّقُوا اللّه عِبَادَ اللّهْ ، وَبَادِرُوا آجالَكُمْ بأعْمَالِكُمْ ، وَابْتَاعُوا مَا يَبْقَى بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ - أيْ اشْتَرُوا مَا يَبْقَى مِنَ النَّعِيْم الأَبدِيْ ، مِمَّا لاعَيْنٌ رأتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلاَ خَطَر عَلى قَلْبِ بَشَرْ ، بِمَا يَفْنِي مِنْ لذَة الْحَيَاةِ الدّنْيَا ، وَشَهَواتِها الزَّائِلَةْ ، وَترحلَوُا فَقَدْ جَدَّ لَكُمُ الانْتِقَالْ - أيْ حُثِثْتُمْ وَأُزْعِجْتُمْ إلى الرَّحِيْل - وَاسْتَعِدّوا فانْتَبِهُوا وَاعْلَمُوا أنّ الدُّنْيا لَيْسَتْ بِدَارِ إقامةٍ ، فَاسْتَبْدِلُوهَا بِدَارِ الآخِرَةْ فَإنّ اللّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً ، وَلَمْ يَتْرُكُكُمْ

سُدَى ـ أيْ مُهْمَلِيْن ، بلا رَاعٍ يزْجُرُكُمْ عَمَّا يَضُرُّكُم ، وَيسُوقَكُمُ إلى مَا يَنْفَعُكُمْ ـ وَما بَيْنَ أحَدِكُمْ وَبينَ الْجَنّة أو النَّارِ إلاّ الْموتُ أنْ يَنْزِلَ بِهْ ، وَإنَّ غَايةً هِيَ الأَجَلُ ، تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ ، وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ ، لَجَدِيْرَةٌ بِقِصَرِ المُدَّةِ ، وَإنَّ غَائِبَاً يَحْدُوُهُ الْجَدِيْدَانِ اللّيْلُ وَالنَّهَارُ لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الأوْبَةِ ، وَإنَّ قَادِماً يَقْدُمُ بالْفَوْزِ أوِ الشَّقْوَةِ ، لَمُسْتَحِقٌّ لِافضلِ الْعُدَّةْ فَتَزَوَّدُوا في الدُّنْيَا مِنَ الدّنْيا ، مَا تُحْرزُون به أنْفُسَكُم غداً ، فاتَّقى عَبْدٌ رَبَّهُ ، نَصَحَ نَفْسَهُ ، قَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ ، فَإنَّ أجَلَهُ مَسْتَورٌ عَنْهُ ، وَأمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ ، والشَّيْطانُ مُوَكّلٌ بِـه ، يُزَيْنُ لَهُ الْمَعْصِيْةَ لِيَرْكَبَهَا وَيمَنِّيْهِ التَّوْبَـةَ لِيُسَوفِهَا حَتَّى تَهْجُمَ مَنِيَّتَهُ عَلَيْه ، أغْفَلُ مَا يَكُونَ عَنْهَا ، اللّهُمَّ اجْعَلْنا مِمَّنْ لا تُبْطِرُهُ النَّعْمَةُ ، وَلاَ تُطْغِيْهِ ، وَلاَ تُسْدِلُ عَلَى بَصِيْرتِهِ حُجُبَ الْغَفَلةِ عَمَّا هُوَ صَائِرٌ إليْه ، وَلا تَقْصُرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبّهِ غَايَةٌ ، وَلاَ تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمُوتِ نَدامَةٌ ، وَاغْفِـرْ لَنَا وَلِـوَالِدَيْنـا .وَلِجَمْيعَ المُسْلِمين بِـرَحْمَتِكَ يـا أرْحَمَ الرّاحِمين ، وصَلّى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ وصحبهِ أجْمعين .

هَذِهِ قَصِيْدَةٌ بَلِيْغَةٌ جِدَّاً وَهِيَ زُهْدِيَّةٌ وَعَظِيَّةٌ أَلْقِ لَهَا سَمْعك

سِهَامُ الْمَنَايَـا فِي الـوَرَى لَيس تُمْنَـعُ
فَكُـلٌّ لَـهُ يَـوْمـاً وَانْ عَـاشَ مَصْـرَعُ

وكُـلٌّ وِانْ طَـالَ المَـدَى سَـوْفَ يَنْتَهِيْ
إلى قَعْـرِ لَحْـدٍ في ثَـرَىً مِنْـهُ يُـوْدَعُ

فقُـلْ لِلَّذي قَـدْ عَـاشَ بَعْـدَ قَـرِيْنِـهِ
إلى مِثْلِهَـا عَمَّـا قَلِيْـلٍ سَتُـدْفَـعُ

فَكُلُّ ابْنِ أُنْثَى سَوْفَ يُفْضِيْ إلى الرَّدَى
وَيَـرْفَـعُـهُ بَعْـدَ الأرائِـكِ شَـرْجَـعُ

وَيُــذْرِكُــهُ يَــوْمـاً وَإِنْ عَــاشَ بُــرْهَــةً
قَضَــاءٌ تَسَاوَى فِيْــهِ عَـوْدٌ وَمُــرْضَــعُ

فَـلاَ يَفْـرَحَنْ يَـوْمـاً بِـطُولِ حَيَـاتِـهِ
لَبِيْبٌ فَمَـا فِي عَيْشِـهِ الْمَـرْءُ مَـطْمَـعُ

فَمَــا الْعَيْشُ إلاَّ مِثْلُ لَمْحَــةِ بَــارِقٍ
وَمَـا الْمَوْتُ إلاَّ مِثْـلُ مَا الْعَيْن تَهْجَـعُ

وَمَــا النَّــاسُ إلاَّ كَــالنَّبَــاتِ فَيَــابِسٌ
هَـشِيْـمٌ وَغَضٌّ إثْـرَ مَـا بَـادَ يَـطْلَعُ

فَـتَـبـاً لِـدَارٍ مَـا تَـزَالُ تَـعُـلُّنَـا
أَفَـاوِيْـقَ كَـأْسٍ مُـرَّةً لَيْس تُـقْنِـعُ

سَحَــابُ أَمَــانِيْهـَا جَهَــامٌ وَبَــرْقُـهَــا
إذا شِيْـمَ بَـرْقٌ خُـلَّبٌ لَيْسَ يَـهْـمَـعُ

تَـغُــرُّ بَنِيْهَــا بــالـمُنَى فَـتَـقُــودُهُـمْ
إلى قَعْـرِ مَهْـوَاةٍ بِهَــا المَـرْءُ يُـوْضَـعُ

فَكَمْ أَهْلَكَتْ فـي حُبِّهــا مِنْ مُتَيَّمٍ
وَلَم يَحْــظَ مِنْهَــا بــالمُنَى فَيُـمَتَّـعُ

تُمَنِّيْــهِ بــالآمَــالِ في نَيْــلِ وَصْلِهَــا
وَعَنْ غَيِّـهِ فـي حُبِّهَــا لَيْسَ يَنْـزِعُ

أَضَــاعَ بِهَـا عُمْـراً لَـهُ لَيْسَ رَاجِعَـاً
وَلَـمْ يَـنَـلِ الأَمْــرَ الَّــذِي يُـتَـوَقَّـعُ

فَصَــارَ لَهَـا عَبْــداً لِجَمْـعِ حُـطَامِهَـا
وَلَمْ يَهْنَ فِيها بـالَّــذِي كَـانَ يَجْمَـعُ

وَلَـوْ كَـانَ ذَا عَقْـلٍ لأغْنَتْـهُ بُلْغَـةٌ
مِنَ العَيْشِ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَكُ يَجْشَعُ

إِلَى أَنْ تُـوَافِيْـهِ المَنِيَّـةُ وَهُـوَ بَـالْ
قَـنَـاعَـةِ فِيْـهَـا آمِـنـاً لَا يُـرَوَّعُ

مَـصَـائِبُـهَـا عَمَّـتْ فَلَيْسَ بِمُـفْلَتٍ
شُـجَـاعٌ وَلَا ذُو ذِلَّـةٌ لَـيْسَ يَـدْفَـعُ

وَلَا سَـابِحٌ فِي قَعْـرِ بَحْرٍ وَطَـائِـرٌ
يُـدَوِّمُ فِـي بُـوْحِ الفَـضَـاءِ وَيَـنْـزِعُ

وَلَاذُوْ امْتِنَـاعٍ فِـي بُـرُوجٍ مُشَيْـدَةٍ
لَهَـا فِي ذُرَى جَوِّ السَّمَـاءِ تَـرَفُّـعُ

أَصَـارَتْـهُ مِنْ بَعْـدِ الحَيَاةِ بِـوَهْـدَةٍ
لَـهُ مِنْ ثَـرَاهَـا آخِـرَ الـدَّهْـرِ مَضْجَـعُ

تَسَـاوَى بِهَـا مَنْ حَـلَّ تَحْتَ صَعِيْدِهَـا
عَلَى قُـرْبِ عَهْـدٍ بِـالمَمَـاتِ وَتُبَّـعُ

فَسِيَّـانِ ذُو فَـقْـرٍ بِهَـا وَذُوُوْا الـغِنَـى
وَذُوْ لَكَنْ عِـنْـدَ المَـقَـالِ وَمِصْـقَـعُ

وَمَنْ لَمْ يَخَفْ عِنْـدَ النَّوَائِبِ حَتْفَـهُ
وَذُوْ جُبُنٍ خَـوْفـاً مِنَ المَـوتِ يُسْـرِعُ

وَذُوْ جَشَـعٍ يَسْـطُو بِنَـابٍ وَمِخْـلَبٍ
وَكُـلُّ بُـغَـاثٍ ذِلَّـةً لَـيْسَ يَـمْـنَـعُ

وَمَـنْ مَـلَكَ الآفَـاقَ بَـأْسـاً وَشِـدَّةً
وَمَنْ كَـانَ مِنْهَـا بِـالضَّـرُوْرَةِ يَقْنَـعُ

وَلَـوْ كَشَفَ الأَجْـدَاثَ مُعْتَبِـراً لَهُـمْ
لِيَنْـظُرَ آثَـارَ البِلَى كَيْفَ يَصْنَـعُ
لَشَـاهَـدَ أَحْـدَاقـاً تَسِيْـل وَأَوْجُهـاً
مُعَفَّـرَةً في التُّـرْبِ شُـوْهـاً تُـفَـزِّعُ
غَـدَتْ تَحتَ أَطْبَاقِ الثَّـرَى مُكْفَهِـرَّةً
عُبُـوْساً وَقَـدْ كَـانَتْ مِنَ البِشْـرِ تَلْمَعُ
فَلَمْ يُعْـرَفِ المَـوْلَى مِنَ العَبْـدِ فِيْهِم
وَلَا خَـامِـلاً مِـنَ نَـابِـهٍ يَتَـرَفَّـعُ
وَأَنَّـى لَـهُ عِـلْمٌ بِـذَلِـكَ بَـعْـدَمَـا
تَبَيَّنَ مِنْـهُمْ مَـا لَـهُ العَيْـنُ تَـدْمَـعُ
رَأَى مَـا يَسُوءُ الطَّرْفَ مِنْهُمْ وَطَـالَمَا
رَأَى مَـا يَسُـرُّ النَّـاظِـرِيْـنَ وَيُمْـتِـعُ
رَأَى أَعْـظُمـاً لَا تَسْتَـطِيْـعُ تَمَـاسُكـاً
تَـهَـافَـتَ مِـنْ أَوْصَـالِـهَـا وَتَـقَـطَّعُ
مُـجَـرَّدَةً مِنْ لَـحْمِـهَـا فَهِـيَ عِـبْـرَةٌ
لِـذِيْ فِـكْـرَةٍ فِيْـمَـا لَـهُ يَتَـوَقَّـعُ
تَخَـوَّنَهـا مَـرُّ اللَّيَـالِي فَـأَصْبَحَـتْ
أَنَـابِيْبَ مِنْ أَجْـوَافِهـا الرِّيْـحُ تُسْمَعُ
إِلَـى حَـالَـةٍ مُـسْـوَدَّةٍ وَجَـمَـاجِـم
مُـطَأْطَـأَةٍ مِـنْ ذِلَّـةٍ لَـيْس تُـرْفَـعُ
أُزِيْـلَتْ عَنِ الاعْـنَـاقِ فَهِـيَ نَـوَاكِسٌ
عَلى التُّرْبِ مِنْ بَعدْ الـوَسَائِـدِ تُوْضَـعُ

عَــلاَهَــا ظَــلاَمٌ لِـلْبِـلَى وَلَــطَالَــمَــا
غَدَا نُورُهَــا فِي حِنْدِسِ الـظُّلْمِ يَلْمَعُ

كَـأن لَمْ يَكُنْ يَوْمـاً عَـلاَ مَفْـرِقـاً لَهَـا
نَــفَــائِسُ تِــيْــجَــانٍ وَدُرٍّ مُــرَصَّــعُ

تَـبَــاعَــدَ عَنْـهُمْ وَحْشَــةً كُــلُّ وَامِقٍ
وَعَــافَـهُمُ الأَهْـلُونَ والنَّــاسُ أَجْمَــعُ

وَقَــاطَعَهُمْ مَنْ كَــانَ حَــالَ حَـيَــاتِــهِ
بِــوَصْلِهِمْ وِجْـداً بِهِمْ لَيْسَ يَــطْمَــعُ

يُبَكِّيْهِـمْ الأَعْــدَاءُ مِنْ سُــوءِ حَــالِـهِمْ
وَيَــرْحَمُهُمْ مَنْ كَـانَ ضِــداً وَيَجْــزَعُ

فَقُــلْ لِلّذِي قَـدْ غَــرَّهُ طُــوْلُ عُمْــرِهِ
وَمَـا قَـدْ حَـوَاهُ مِنْ زَخَـارِفَ تَخْــدَعُ

أَفِقْ وَانْــظُرِ الــدُّنْيَــا بِـعَيْـنٍ بَصِـيْــرَةٍ
تَجِـدْ كُـلَّ مَــا فِيْهَــا وَدَائِــعَ تَــرْجِــعُ

فَأَيْنَ المُلُوكُ الصِّيْدُ قِـدْماً وَمَنْ حَوَى
مِنَ الأَرْضِ مَا كَانَتْ بِهِ الشَّمْسُ تَطْلَعُ

حَــوَاهُ ضَــرِيــحٌ مِنْ فَضَــاءِ بُسَيْــطِهَا
يُقَصِّــرُ عَنْ جُثْـمَــانِــهِ حِيْـنَ يُــذْرَعُ

فَـكَمْ مَـلِكٍ أَضْـحَى بِهَــاذَا مَــذَلَّــةٍ
وَقَــدْ كَــانَ حَيَّــاً لِلْمَـهَــابَــةِ يُتْـبَــعُ

يَقُـودُ عَلى الخَيْـلِ العِتَــاقِ فَـوَارِسَــاً
يَسُــدُّ بِهَــا رَحْبَ الفَـيَــافِي وَيُـتْــرِعُ

فَــأَصْبَــحَ مِنْ بَعْــدِ التَّنَعُّمِ فِي ثَــرَى
تُــوارِي عِــظَامــاً مِنْــهُ بَهْمَــاءُ بَلْقَــعُ

بَعِيْــداً عَــلى قُــرْبِ المَــزَارِ إِيــابُــهُ
فَلَيْسَ لَــهُ حَتَّى القِيَــامَــةَ مَــرْجِــعُ
غَــرِيْبــاً عَنِ الأحْبَــابِ والأَهْــلِ ثَــاوِيــاً
بِــأَقْصَى فَلاَةٍ خَــرْقُــهُ لَيْس يُــرْقَــعُ
تُــلِحُّ عَلَيْــهِ السَّــافِيَــاتُ بِــمَنْــزِلٍ
جَــدِيْبٍ وَقَدْ كَــانَتْ بِــهِ الأَرْضُ تُمْــرِعُ
رَهِيْنــاً بِــهِ لاَ يُمْلِــكُ الــدَّهْــرَ رَجْعَــةً
وَلاَ يَــسْتَــطِيْــعَنَّ الــكَــلاَمَ فَــيُــسْــمَــعُ
تَوَسَّدَ فِيْــهِ التُّرْبَ مِنْ بَعْــدِ مَا اغْتَــدَى
زَمَــانــاً عَلَى فُــرُشٍ مِنَ الخَــزِّ يُــرْفَــعُ
كذَلِكَ حُكْمُ اللهِ فِي الخَلْقِ لَنْ تَــرَى
مِنَ النَّــاسِ حَيّــاً شَمْلُهُ لَيْسَ يُصْــدَعُ

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ المُفْلِحين وأَلْبِسْنَــا خِلَعَ الايْمَانِ واليَقِيْن وَخُصَّنَا مِنْكَ بالتَّوْفِيْقِ المُبين وَوَفِّقْنَا لِقَوْلِ الحَقِ واتِّبَاعِهِ وَخَلِّصْنَا مِنَ البَاطِلِ وابْتِدَاعِهِ وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدا وَلاَ تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدا وَاجْعَلْ لَنا عَيْشاً رَغَدَا وَلاَ تُشْمِتْ بِنَا عَدوًّا وَلاَ حَاسِداً وارْزُقْنَا عِلْماً نافِعاً وَعَمَلاً مُتَقَبَّلاَ وَفَهْماً ذَكِيّاً وَطَبْعاً صَفِيّا وَشِفَاً مِنْ كُلِّ دَاء واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَميع المُسْلِمين بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين وصَلَّى اللَّهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْن .

١٦ « موعظـــة »

عِبادَ اللّه مَن تَكَبَّرَ أَذَلَّهُ وَمَنْ تَواضَعَ لِلّهِ رَفعَهُ اللّهُ والمُتَكَبِّرُوْنَ يُحْشَرُوْنَ يَوْمَ القِيامَةِ في صُوَرِ الذَّر تَطَؤُهُمْ النّاسُ لِهَوانِهِمْ عَلَى اللّهِ تعالى المُتَكَبِّرُوْنَ شِرَارَ الخَلْقِ وأهلُ النّارِ كُلُّ جَعْظَرِيّ جَواظٍ مُسْتكْبِرٍ ، المُتَكبِّرُ يَشْمَخُ بأنْفِهِ إذا تَكلَّمَ ، وَيُجَافِي مِرْفَقَيْهِ عَن جَنْبَيْهِ لَاوِياً عُنُقَهُ، يُقَارِبُ خُطَاهُ إذا مَشى ، مُتَطاوِلاً عَلَى إخْوَانِهِ ، مُتَرَفِّعاً على أقْرَانِهِ ، يَنْظُرُ النّاسَ شَزَراً بمُؤَخَّرِ العَيْنِ ، مُتَقَدِّماً عَلَيْهِم إذا مَشى ، مُحْتَقِراً لِلْعَامَّةَ ، ولا فَرْقَ عِنْدَهُ بَيْنَهُم وَبَيْنَ الحَميْرِ اسْتِجْهَـالاً مِنْهُ لَهُم ، فالمُتَكَبِّرُ لا يُحِبُّ لِلْمُؤْمِنينَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، لأنَّهُ لا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ، ولا يَقدِرُ على التَّواضُعِ وَهُوَ رَأسُ أخْلاَقِ المُتَّقِيْنَ ، وَلا يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِ الحِقْدِ ، وَلا يَقْدِرُ أنْ يَدُوْمَ عَلَى الصِّدْقِ ، ولا يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِ الغَضَبِ ، وَلا عَلَى كَظْمِ الغَيْظِ ، ولا يَسْلِمُ مِنَ الازْدِرَاءِ بالنّاسِ واحْتِقَارِهِم ولاَ يَسْلَمُ مِنْ اغْتِيابِهِمْ ، وتَنْقُصِهِمْ ، لِأنَّ فِيْهِ مِنَ العَظَمَةِ والعِزَّةِ والكِبْرِيَآء ، مَا يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَمَا مِن خُلُقٍ ذَمِيْمٍ إلا وَصَاحِبُ الكِبْرِ والعَظَمَةِ مُضْطَرٌّ إلَيْهِ ، لِيَحْفَظَ بِهِ عِزَّهُ وَعَظَمَتُهُ ، وَمَا مِن خُلُقٍ مَحْمُوْدٍ إلاّ وَهُوَ عَاجِزٌ عَنْهُ خَوْفاً مِن أنْ يَفُوتُهُ عِزُّهُ وعَظَمَتُهُ ، ولِذَلِكَ وَرَدَ فِي الحَدِيْثِ أنَّهُ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ ،ومِمَّا جَاءَ فِي وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لابنِهِ﴿ وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تمشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إنَّ اللّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ » ومِن تَعَالِيمِ رَبِّنَا لِهَذِهِ الأُمَّةِ وَنَبِيِّهَا عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسّلامُ ، بِقَولُ تَعالى : ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحاً إنّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأرْض ولنْ تَبْلُغَ الجبالَ طُوْلَا﴾ فَيَا أَيُّها المُتَكَبِّرُ النَّاظِرُ في عِطْفَيْهِ ، المُتَعَاظِمُ فِي نَفْسِهِ ، إنَّ شَأنَكَ حَقِيْرٌ ، وَقَدْرُكَ صَغِيْرٌ وَلَسْتَ بمَحْسُوبٍ في العِيْرِ ، ولا في النَّفِيْرِ ، وَمَا لَكَ عِنْدَ عَاقِلٍ مِنْ حِسَابٍ ، ولا تَقْدِيْرٍ ، لَا قَلِيْلٍ ولا كَثِيْرٍ ، فَهَوِّنْ عَلَيْكَ ، وارْفُقْ بنفسِكَ ، فَإنَّكَ مَغْرُوْرٌ ،

يا مِسْكِيْن وَتَدَبَّرْ كَلامَ رَبِّ العَالَمِيْن ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْتَكْبِرِيْن﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُوْنَ عَن عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِين ﴿قِيْلَ ادْخُلُوا أبوابَ جَهَنَّمَ خَالِدِيْنَ فِيْهَا فَبِئْسَ مَثْوَى المُتكَبِّرينَ﴾ وذَمُّ الكِبْر في القُرآنِ كَثِيرٌ ، والمُتَكَبِّرُ عَدُوٌّ لِلّهِ ولِنَفْسِهِ ، ولِلّناسِ ، يُقَصِّرُ في الوَاجِبِ ويَدَّعِيْ مَا لَيْسَ لَهُ وَيَتَشَدَّقُ في الكَلَامِ ، وَيَتَأَلَّقُ في اللِّبَاسِ ، وإنّهُ لَثَقِيْلٌ فِي حَرَكَاتِهِ ، وسَكَنَاتِهِ ، بَغِيْضٌ في أمْرِهِ ونَهْيِهِ ، وَمُجالَسَتِهِ ، ومُؤاكَلَتِهِ وَمُشَارَبَتِهِ ، والوَيْلُ كُلُّ الوَيْلِ لِمَنْ صَاهَرَهُ أوْ شَارَكَهُ أوْ رَبَطَتْهُ بِهِ صِلَةٌ ، لأنَّ دَاءَ الكِبْرِ يُعْدِي ويَسْرِي فَتَبْعُدُ السَّلَامَةُ مِن المقْتَرِبِ مِنْهُ رَأى بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ مَنْ يَخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ فَغَمَزَ جَنْبَهُ ، ثُمّ قَالَ لَيْسَتْ هَذِهِ مِشْيَةُ مَنْ فِي بَطْنِهِ خِراءٌ ، وكَيْفَ يَتَكَبَّرُ مَنْ أوَّلُهُ نُطْفَةٌ مذِرَةٌ ، وَآخِرُهُ جِيْفَةٌ قَذِرَةٌ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَحْمِلُ البَوْلَ والعَذَرَة ، هَذَا أَكْبَرُ بُرْهانٍ على أنّهُ دَنِس جَاهِلٌ مَجْهُوْلٌ نَكِرَةٌ مُمْتَلِئاً كِبْراً وإعْجَاباً بِنَفْسِهِ وسُمْعَةً ، ورِيَاءً ، ولُؤْماً وشُؤْماً وشَرَهاً فَهُوَ أَشْبَهُ شَيْءٍ بالدُّخَانِ يَمْلأُ الفَضَاءَ ويَتُكُ صُدُوْرَ النّاسِ وأصْلُهُ مِن القُمَامَاتِ والأَوْسَاخِ المُبَعْثَرَةِ نَسألُ اللّهَ أن يُقَلِّلَ هَذَا النوعَ المُنْحَطَّ وأنْ يُكثِّرَ ضِدَّهُ مِنْ أهْلِ التَّواضُعِ واللّيْنِ والعَطْفِ والحَنَانِ : قَالَ اللّه تعَالى ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخرة نَجْعَلُها لِلّذِينَ لَا يُرِيْدُونَ عُلوا فِي الأرْضِ ولا فَسَاداً والعَاقِبَةُ لِلمتّقِين﴾

نُحْ وابْكِ فالمعروف أقْفَرَ رَسْمُهُ ... والمنكرُ اسْتَعْلَى وأثَّرَ وَسْمُهُ
لَمْ يَبْقَ إلاَّ بِدعَةٌ فَتَّانَةٌ ... بهوى مُضِلٍ مُسْتَطِير سُمُّهُ
وطَعَامُ سُوْءٍ من مَكَاسِبَ مُرَّةٍ ... يُعْمِي الفُوآدَ بِدَائِهِ ويُصِمُّهُ
فَفَشَا الرِّيَاءُ وغِيْبَةٌ ونَمِيْمَةٌ ... وقَسَاوةَ مِنْهُ وأثْمَر إثْمُهُ
لَمْ يَبْقَ زَرْعٌ أوْ مَبِيْعٌ أوْ شِرَى ... إلاَّ أُزِيْلَ عَن الشَّرِيْعَةِ حُكْمُهُ
فَلِكَيْفَ يُفْلِحُ عَابِدٌ وعِظَامُهُ ... نَشَأَتْ عَلَى السُّحْتِ الحَرَامِ ولَحْمُهُ

هذا الذي وَعَدَ النَّبِيُّ المُصْطَفَى بظُهُوْرِهِ وَعْداً تَوثَّقَ حَتْمُهُ
هذا لعَمْرُ إلٰهِكَ الزَّمن الذِي تَبْدُو جَهالَتُهُ وَيُرْفَعُ عِلْمُهُ
هذا الزمانُ الآخِرُ الكَدِرُ الذِيْ تَزْدَادَ شِرَّتُهُ وينْقُصُ حِلْمُهُ
وَهَتِ الأمانَةُ فِيْهِ وانْفَصَمَتْ عُرَى التَّقْوَى بِهِ والبِرُّ أَدْبَرَ نَجْمُهُ
كَثُرَ الرِّيَا وفَشَا الزِّنَا ونَمَا الخنَا ورَمِي الهَوَى فيهِ فَأَقْصَدُ سَهْمُهُ
لَمْ يَبْقَ إلاَّ ظَالِمٌ هُوَ مُرْتَشٍ أَوْ حَاكِمٌ تَخْشَى الرَّعِيَّةُ ظُلْمَهُ
وَالصَّالِحُونَ عَلَى الذَّهَابِ تَتَابَعُوْا فَكَأَنَّهُمْ عِقْدٌ تَنَاثَرَ نَظْمُهُ
لَمْ يَبْقَ إلاَّ رَاغِبٌ هو مُظْهِرٌ لِلزُّهْدِ والدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ هَمُّهُ
لَوْلَا بَقَايَا سُنَّةٍ ورِجَالِهَا لَمْ يَبْقَ نَهْجٌ وَاضِحٌ نأتُمُّهُ
يَا مُقْبِلاً فِي جَمْعِ دُنْيَاً أَدْبَرَتْ كَبِنَاءِ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ هَدْمُهُ
هَذِي أَمَاراتُ القِيَامَةِ قَدْ بَدَتْ لِمُبَصِّرٍ سَبَقَ العَوَاقِبَ فَهْمُهُ
ظَهَرَتْ طُغَاتُ التركِ واجْتَاحُوْا الوَرَى وأبادَهُم هَرْجٌ شَدِيْدٌ حَطْمُهُ

الصغيرُ مِنّا والكبيرُ الكَمَالَ في نَفْسِهِ ومَن اعْتَقَدَ ذلكَ في نَفْسِهِ هَوَى لأنَّهُ لا يَلْتَفِتُ إلى مَا بِهِ كَمَالُ الرِّجَالِ ، وَمَرَضٌ يُنْتِجُ مَرَضاً آخَرَ هُوَ مَرَضُ الكِبْرِ وَصْفُ الأنْذَالِ والأرْذَالِ والجُهَّالِ ، والمُتَكَبِّرُ لا يُنْظَرُ إليهِ بعَيْنِ الرضَا والكِبْرُ يَنْشأُ عَنه مَرَضُ الحَسَدِ والحَسُودُ يَتَمَنَّى زَوَالَ نِعْمَةِ اللهِ عَن خَلْقِهِ ، والحَسَدُ يُوَلِّدُ الحِقْدَ الذِي رُبَّمَا حَمَلَ صَاحِبَهُ على قَتْلِ مَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ إلاَّ ما أَوْلاهُ اللهُ مِن النِّعَمِ ، ولَيْسَ هَذَا كُلُّ مَا فِي قُلُوبِنَا مِن الأمْرَاضِ بَلْ فِيْهَا مَرَضُ البُخْلِ وَالشُّحِّ الذِي وَصلَ بِنَا إلى مَنْعِ الزكاةِ أو بَعْضِهَا ، وغيرُ ذَلِكَ كَثِيْرٌ وَكُلُّهَا أمْرَاضٌ مُهْلِكَاتٌ ، ونحنُ لا نَهْتَمُّ بقُلُوبِنَا ولا بأَمْرَاضِهَا وإنَّمَا نَهْتَم بأمْرَاضِ أَجْسَامِنَا ، ونُبَادِرُ في عِلاَجِهَا إلى المُسْتَشْفَيَاتِ ، وأَمْرَاضُهَا يَسِيْرَةٌ بَسِيْطَةٌ بِالنِّسْبَةِ إلى أمْرَاضِ القُلُوبِ ، ونَهْتَمُّ أيْضاً بِجَمَالِ ظَوَاهِرِنَا فنُبَالِغُ فِي تَحْسِيْنِ مَلاَبِسِنَا ومَرَاكِبِنَا ومَسَاكِنِنَا ومَجَالِسِنَا وأبْدَانِنَا ، أنْظُرْ إلَيْنَا عِنْدَ الذَّهَابِ إلَى مَقَرٍّ

العَمَلِ لِتَتَعَجَّبَ مِن تَغفِيْلِنا وانْخِدَاعِنَا ، ولَو كانَتْ عنَايَتُنا بالقُلُوبِ كَعِنَايَتِنا بالمَلَابِسِ فَقَطْ مَا كُنَّا بِهَذِهِ الحَالاَتِ المحزنات .

اللهُم يا عالِمَ الخَفياتِ وَيَا سَامِعَ الأَصْواتِ ويَا بَاعِثَ الأَمْواتِ وَيَا مُجِيْبَ الدَعَواتِ وَيَا قَاضِيَ الحَاجَاتِ يَا خَالقَ الأرضِ والسَّمواتِ أَنْتَ اللَّهُ الاَحدُ الصمدُ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يولَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد الوَهَّابُ الذي لا يَبْخَلُ والحَليمُ الذي لا يَعْجَلُ لا رادَّ لامْرِكَ ولا مُعَقِّبَ لِحُكَمِكَ نَسْأَلكَ أنْ تغفرَ ذنوبَنَا وَتُنورَ قلوبنَا وَتُثَبِّتَ مَحَبَّتَكَ فِي قُلوبِنَا وَتُسْكِنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إنك عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدِير وَصَلَّى على محمدٍ وآلِه وَصَحْبه أَجْمَعِيْنَ .

١٧ « موعظــة »

عِبَادَ اللّهِ إن دَاءَ الحَسَدِ مِن أَعظَمِ الأَدْوَاءِ ، والإبْتِلاءُ بِهِ مِن أَشَدِّ البَلْوَى ، يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى مَرْكَبٍ صَعْبٍ ، ويُبْعِدُهُ عنْ التَّقْوَى ، ويُرْكِبُهُ الأَهْوَاءَ فَيَظَلُّ وَيَغْوَى ، يَضِيْقُ صَدْرُ الحَسُوْدِ ويَنْفَطِرُ قَلْبُهُ إذا رَأى نِعْمَةَ اللّهِ عَلَى أخِيْهِ المُسْلِمِ فَيُعَانِي مِن البُؤْسِ واللَّأوى ، مَا لاَ يَسْتَطِيْعُ أنْ يَبُثَ مَعَهُ مَا يَجِدُهُ مِن الحُزْنِ والقَلقِ ، وَلا يَقْدِرُ عَلَى الشَّكْوَى ، إلاّ إلَى الشَّيْطَانِ ونَفْسِهِ الأمَّارَةِ بِالسُّوْءِ أوْ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ في الحَسَدِ ، فَقَاتَلَ اللّهُ الحَسُوْدَ لا يَفْعَلُ الخَيْرَ ولاَ يُحِبُّهُ لإخْوانِهِ المُسْلِمِين ، غَايَةُ أُمْنِيّتِهِ زَوَالُ نِعْمَةِ اللّهِ عن عِبَادِهِ إنَّهُ بعَمَلِهِ سَالِكُ طَرِيْقَ إبْلِيْسَ لَعَنَهُ اللّهُ ، فَمَا أوْقَعَ الشّيْطانُ في مَعْصِيَةِ اللّهِ إلاّ حَسَدُهُ لِأَبِيْنَا آدَمَ وامْتِنَاعُهُ مِنَ السُّجُودِ بَعْدَ مَا أمَرَهُ اللّهُ ، وَمَا حَملَ قَابِيْلَ عَلَى قَتْلِ هَابِيْلَ إلاّ حَسَدُهُ لأخِيْهِ حَيْثُ تَقَبَّلَ اللّهُ مِنْهُ قُرْبَانَهُ الّذي أرَادَ بِهِ وَجْهَ اللّهِ والدّارَ

الآخِرَةَ وَمَا مَنَعَ المُشْرِكِيْنَ والمُتْرَفِيْنَ مِن اتِّبَاعِ الرُّسُلِ إلاّ الحَسَدُ والكِبْرُ ، وَمَا حَمَلَ أهْلَ الكِتابِ عَلَى كَرَاهَةِ الدِّيْنِ الإسلامِيّ وَصَرْفِ المُسْلِمِيْنَ عَنْ كِتَابِ اللّهِ والإيْمَانِ بِسَيِّدِ الرُّسُلِ وَخَاتَمِهِمْ إلاَّ مَا ذَكَرَهُ اللّهُ عَنْهُمْ ﴿وَدَّ كَثِيْرٌ مِن أهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوْنَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الحَقُّ﴾الآية، وقال ﷺ « الحَسَدُ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النّارُ الحَطَبَ » الحَاسِدُ لا يُضْمِرُ إلاّ غَدْراً ولا يَعْمَلُ إلاّ شَرّاً ولا يُدَبِّرُ إلاّ مَكْراً وجُمْلَةُ القَوْلِ أنَّ الحَاسِدَ مُيَسَّرٌ لِلْعُسْرَى لا تُجْدِيْ مَعَهُ المَوَاعِظُ والنَّصَائِحُ وَقَدْ قِيْلَ إنَّ بضَاعَةَ إبْلِيْسَ خَمْسَةُ أَصْنَافٍ يَبِيْعُهَا مِنْ قَوْمٍ مَعْرُوْفِيْن ، وَهِيَ الحَسَدُ وأهْلُهُ العُلَمَاءُ ، وأَهْلُ الحِرْفَةِ الوَاحِدَةِ ، أيْ كُلُّ مَنْ يَتَّفِقُ عَمَلُهُمْ مُسْلِمِيْن أَوْ غَيْرَ مُسْلِمِيْن ، والكِبْرُ وأهْلُهُ الأنْذَالُ والسَّفَلَةُ والسُّفَهَاءُ والْحَمْقَاءُ ومَنْ لا خَيْرَ فِيهِ مِن المُحْتَرِفِيْنَ .

والجَوْرُ والطُّغْيَانُ ، وأهْلُهُ المُلُوكُ والأُمَراءُ والوزَرَاءُ والعُظَمَاءُ ، وأعْوَانُهُمْ مِنَ الفَسَقَةِ والمُجْرِمِيْنَ ، والكَيْدُ ، وأهلُهُ النِّسَاءُ ، والنَّمامِيْنَ والدَّلاَلِيْنَ ، والمُتَسَبِّبِيْنَ وبِئْسَتِ البِضَاعَةُ بِضَاعَةُ الشَّيْطانِ ، ويا حَسْرَةَ المُشْتَرِيْنَ ، وَيَا نَدَامَتَهُم ﴿يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلىً عنْ مَوْلىً شَيْئاً وَلاَ هُمْ يُنْصَرُوْنَ﴾ ﴿ولا يَحِيْقُ المَكْرُ السّيءُ إلاَّ بأهْلِهِ﴾ قِيْلَ إنّهُ كَانَ رَجُلٌ يَغْشَى أحَدَ المُلُوْكِ فَيَقُوْمُ بِحِذاءِ المَلِكِ فَيَقُولُ أَحْسِنْ إلى المُحْسِنِ بإحْسَانِهِ ، فَإن المُسِيءَ سَيَكْفِيْكَهُ إسَاءَتُهُ ، فَحَسَدَهُ رَجُلٌ عَلَى ذَلِكَ المَقَامِ ، والكَلام فَسَعَى بِهِ إلى المَلِكِ ، فَقَالَ إنَّ هَذا الّذي يَقُومُ بِحِذَائِكَ وَيَقُوْلُ وَيَقُوْلُ ما يَقُوْلُ يَزعُمُ أَنَّكَ أَبْخَرُ ، فقَالَ لَهُ المَلِكُ وَكَيْفَ يَصِحُّ ذَلِكَ عِنْدِي ، قَالَ تَدْعُوْهُ إلَيْكَ فَإنَّهُ إذَا دَنا مِنْكَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى أَنْفِهِ لَئِلا يَشُمُّ رَائِحَةَ البَخرِ ، فَقَالَ لَهُ انْصَرِفْ حَتَّى انْظُرَ وأَتَحَقَّقَ ذَلِكَ ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِ المَلِكِ ، فَدَعَا الحَاسِدُ ذَلِكَ الرَّجُلَ إلَى مَنْزِلِهِ فَأَطْعَمَهُ

طَعَاماً فِيهِ ثُوْمٌ فَخَرَجَ الرَّجُلُ مِن عِنْدِهِ وَذَهَبَ إِلَى المَلِكِ عَلَى عَادَتِهِ وَقَامَ بِحِذاءِ المَلِكِ فَقَال أَحْسِنْ إِلَى المُحْسِنِ بِإِحْسَانِهِ فَإِنَّ المُسِيْءَ سَيَكْفِيْكَهُ إِسَاءَتُهُ فَقَالَ لَهُ المَلِكُ إِدْنُ مِنّيْ ، فَدَنَا مِنْهُ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى فِيْهِ ، مَخَافَةَ أَنْ يَشُمَّ المَلِكُ مِنْهُ رَائِحَةَ الثُّوْمَ فَقَالَ المَلِكُ فِي نَفْسِهِ مَا أَرَى فُلَاناً إِلاّ صَدَقَ ، قَالَ وَكَانَ المَلِكُ لا يَكْتُبُ بِخَطِّهِ إِلاَّ بِجَائِزَةٍ أَوْ صِلَةٍ ، فَكَتَبَ لَهُ كِتَاباً بِخَطِّهِ إِلى عامِلِهِ : قَالَ فِيْهِ إِذَا أَتَاكَ حَامِلُ كِتَابِي هَذا فَاذْبَحْهُ ، وَاسْلَخْهُ ، وَأَحْشُ جِلْدَهُ تِبْناً وَابْعَثْ بِهِ إِلَيَّ ، وأَخَذَ الكِتَابَ وخَرَجَ فَلَقِيَهُ الرَّجُلُ الّذِي سَعَى بِهِ إِلَى المَلِكِ وكَذَبَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ مَا هَذَا الكِتَابُ قَالَ خَطُّ المَلِكِ لِيْ بِهِ صِلَةٌ فَقَالَ هَبْهُ لِيْ فَقَالَ هُوَ لَكَ فَأَخَذَهُ ، السَّاعِيْ وَمَضَى بِهِ إِلَى عَامِلِ المَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ العَامِلُ : فِي كِتَابَكَ أَنِّيْ أَذْبَحُكَ ، وأَسْلَخُكَ فَقَالَ إِنَّ الكِتَابَ لَيْسَ لِيْ ، فَاللَّهَ اللَّهَ ، فِي أَمْرِي حَتّى تُرَاجِعَ المَلِكَ فَقَالَ لَيْسَ لِكِتَابِ المَلِكِ مُرَاجَعَةٌ فَذَبَحَهُ وَسَلَخَهُ وَحَشى جِلْدَهُ تِبْناً ، وأَرْسَلَهُ لِلْمَلِكِ ، ثُمَّ عَادَ الرَّجُلُ إِلَى المَلِكِ كَعَادَتِهِ وَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ ، فَتَعَجَّبَ المَلِكُ ، وَقَالَ لَهُ مَا فَعَلَ الكِتَابُ ، فَقَالَ لَقِيَنِيْ رَجُلٌ هُوَ فُلانٌ فَاسْتَوْهَبَهُ مِنِّيْ فَوَهَبْتُهُ لَهُ ، قَالَ لَهُ المَلِكُ إِنَّهُ ذَكَرَ لِيْ أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنِّي أَبْخَرُ قَالَ مَا قُلْتُ ذَلِكَ ، قَالَ فَلِمَ وَضَعْتَ يَدَكَ عَلَى فِيْكَ قَال لأَنَّهُ أَطْعَمَنِيْ طَعاماً فِيْهِ ثُوْمٌ فَكَرِهْتُ أَنْ تَشُمَّهُ ، قَال صَدَقْتَ ، ارْجِعْ إِلَى مَكَانِكَ ، فَقَدْ كَفَى المُسِيءَ إِسَاءَتُهُ فَانْظُرْ يَا أَخِيْ كَيْفَ دَارَتْ عَلى البَاغِي الدَّوَائِرُ وَاسْأَلْ رَبَّكَ أَن يُعَافِيْكَ مِن هَذِهِ الأَمراضِ الفَتَّاكَةِ الّتي رُبَّمَا قَضَتْ عَلَى حَيَاتِهِ وَأَوْصَلَتْهُ فِي الآخِرَةِ نَارَ جَهَنَّمَ .

وخِتَاماً فَعَلى اللَّبِيْبِ أَنْ يَتَجَنَّبَ الحَسَدَ فإِنَّهُ مِن خُلُقِ الأَدْنِيَاء وصِفَةِ الجُهَلاءِ فَإِنْ أَبْصَرْتَ بقائِمٍ بالحَقِّ فاعْضُدْهُ وَيَسِّرْ لَهُ السَّبِيلَ حَسَبَ اسْتِطَاعَتِكَ وإِنْ رَأَيْتَ نِعْمَةً أَسْبَغَهَا اللّهُ عَلَى عَبدٍ مِن عِبادِهِ فاسْعَ إِلَى مِثْلِهَا بِقَلْبٍ طَاهِرٍ

وَوِجْدَانٍ نَقِيٍ لعلّكَ أنْ تَبْلُغَهَا بإِذْنِ اللّهِ .

فَعَزِيْزُ النَّفْسِ إنْ أَبْصَرَ غَيْرَهُ فِي أَمْرٍ يُثْنَى عَلَيْهِ بِهِ ، أَوْ رَآهُ فِي مَنْزِلَةٍ يُغْبَطُ عَلَيْهَا فَلا يَجُوْلُ فِي وَهْمِهِ أَنْ يَحْسِدَهُ على نِعْمَتِهِ أَوْ يَحُطَّ مِن مَنْزِلَتِهِ بَلْ يَسْعى كُلَّ السَّعْيَ لِيَنَالَ مِثْلَ مَنَالِهِ وَيَرْقَى مِثْلَ رُقِيِّهِ فإنْ زَادَتْ فِيهِ عِزَّةُ النَّفْسِ والإباءِ فَلاَ يَرْضَى لِنَفْسِهِ إلاّ بِمَا فَوْقَ ذَلِكَ المَقَامِ :

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا توفيقاً يَقِيْنا عَنْ مَعَاصِيْكَ وَأَرْشِدْنَا إلى السَّعْيِ فِيْمَا يُرْضِيْكَ وأَجِرْنَا يَا مَوْلاَنَا مِنْ خِزْيِكَ وَعَذَابِكَ وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ وأَحْبَابِكَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

١٨ موعظة

عِبَادَ اللهِ مَا بَالُ الكَثِيْرِ اليَوْمَ لا يَسْمَعُونَ ، وَإِذَا سَمِعُوا لا يَنْتَفِعُون ، أفي آذانِهم صَمَمٌ ، أمْ هُمْ في الأمْرِ مُتهاوِنُوْنَ، وَلأيِّ شَيْءٍ يَجْتَمِعُونَ ، وَيَقُومُ فِيهِمْ الخُطَبَاءِ المُجِيْدُوْنَ ، وَالوُعَّاظُ المُبَلغُونَ ، وَيُذكِّرونَهُمْ أيَّامَ اللّهِ فلا يَخْشَعُ الوُعَاظُ وَلا المُوعَّظُونَ ، ويُـرَغِّبُونَهم في الخَيْـرِ فلا يُسَارِعُونَ ، وَيُنْذِرُونَهُم عَوَاقِبَ السُّوْءِ فلا يَتأثَّرُون « فَسُبْحَانَ الذِيْ بِيَـده مَلكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإليْهِ تُرْجَعُونَ » لقَدْ كَانَ السَّلفُ الصَّالِحُ إذا وَعَظُوا تَأثَّرَ المُستمِعُ لهُمْ تـأثـراً عـظِيْمـاً ، وفَارَقَ مَـا عِنْـدَهُ مِنْ المُنْكـرَاتِ ، وَالمُحَرَّمَاتِ ، وَفَارَقَ مَنْ أصرَّ عَليْهَا مِنْ أقَارِبِهِ ، وَأوْلادِهِ ، وَإخْوَانِهِ ، وآبَائِهِ ، وَجَدَّدَ تَوْبَةَ نَصُوْحَاً ، عَمّا سَلفَ لـهُ مِنْ الأعْمَالِ ، التِيْ لا يَرْتَضِيْها الدِّيْنَ الاسْلامِيّ ، فَأيْنَ أوْلئكَ مِنْ هَؤلآءِ الخَلَفُ ، الذِيْنَ ضَيَّعُوا

تعالِيْمَ الدِّيْنَ الاسْلامِي ، وَضَيَّعُوا العَمَل بهِ ، وتَركُوا الانْقيادِ لِكتَابِ الله ، وَسُنَّةِ رَسُولِه صَلَّى اللهُ عليه وسَلم ، تَأمَّل كيْفَ ترى أكثرهَم أضاعُوا الصَّلاةَ ، وَعَطَّلوا الأحْكَام، وتَسَاهَلوْا بأمْرِ الحَرام ، يَمُرُّوْنَ بالمساجدَ ، وَقْتَ الصَّلاةِ ، فلا يُعِيْرونْهَا أيَّ اهْتِمَام أمَّا الملاهِيْ وَالمُنْكَراتِ فإليْهَا يُسْرِعُونَ وعَليْها يَعْكُفُون وَإلَى ما فِيْهَا مِنْ الأغَانِيْ وَالمجُونِ والسُّخْفِ يَتسابَقُونَ فإنّا للهِ وَإنّا إليْه راجِعُونَ ، أيْنَ الخوفُ مِنْ الجَبَّارِ ، أيْنَ الحَيَا مِنْ فَاطِر الأرض وَالسَّموَاتِ ، أيْنَ المُروْءَةُ وَالاعْتِصَامُ بالقُرْآن ، ومَا كانَ عليْهِ آبَاؤكُمْ وَأجْدَادُكم العُبَّاد الكِرَامُ ، الذِيْنَ كانَتْ المَسَاجِدُ تغُصُّ بهِمْ شُيُوخاً وشُبَّانا ، وَكانَتْ تَعُجُّ بأصْواتِهم تَسْبِيْحاً ، وَتحْمِيْدا وتَهْلِيْلاً ، وَتكبيرَا ، وَاستغْفَاراً ، وقُرْآناً ، وكَانوا يَؤْمُّونَ المساجَد قَبْلَ الآذانِ زُرَافَاتٍ وَوحْدانَا ، ولاَ يَتَخَلَّفُ مِنْهُم إلا مَعْذُورٌ ، إمَّا مَرِيْضٌ أو غَائِبٌ ، أو نَحْو ذلِكَ ، وكَان المارُّ بِبُيُوتِهم لَيْلاً يَسْمَعُ زَجَل التسبيح ،

والتَّهْلِيْل ، وَالبُكَاءِ والأنِيْنَ والتَّضرُّعِ إلىَ بَدِيْعِ السَّموَاتِ وَالأرْض ، وَالألحَاحِ بدُعَائِهِ ، وَالالتِجَاءِ إليْهِ وَالانَابَةِ ، عَكْسُ مَا عَلَيْهِ هَؤلآءِ الخَلَفِ ، الذِيْنَ صَدَقَ عليْهِمْ قَوْلُ اللهِ تَعالَى ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهم خَلْفٌ أضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فسَوْفَ يَلقَونَ غَيّا ﴾ الذِيْنَ إنْ بَحَثْتَ عَنْهُم في الليْلِ ، وَجَدْتَهُم حَوْلَ الملاهِيْ وَالمُنْكَراتِ ، مُتربِّعِيْنَ أمَامَ التِّلفزْيُونِ ، وَغِنَاءِ المُطْرِبِيْن ، وَإنْ بَحَثْتَ عَنْهُم في صلاةِ الفَجْرِ وَجَدْتَهُم في فُرُشِهم ، إثر سَهَرِهِم حَوْلَ تِلْكَ المُنْكَراتِ ، وَانْ بَحَثْتَ عَنْهُم وَقْتَ صَلاةِ الظهْر ففِي شؤون الدُّنْيَا ، ومَا يَتعَلَّقُ بهَا ، وَإنْ أرَدْتَهُم في صلاةِ العَصْرِ ، وَجَدْتَ بَعْضَهُم عِنْدَ الكُورَةِ ، وَالبَعْضَ عِنْدَ التِّلفِزْيُون ، وَالبَعْض عِنْدَ المذْيَاع ، وَأغَانِيْهِ ومَلاهِيْهِ ، وَإنْ سَألتَ عَنْهَم وَقْتَ صلاةِ المَغْرب ،

وَجَدْتَ بَعْضَهُم يَمْشِيْ مُتَردداً،والبَعْضَ في المَلْعَب ، وَالبَعْضَ عِنْدَ التلفِزْيُونِ،أوِ المذْيَاع، وَأمّا العِشَاءُ الآخِرَة فَتِلْكَ هُمْ فيْها أقْسَامُ اكثَرُهم حَوْلَ التّلفِزْيون أو في الأسْواقِ ، أو يَلْعَبُونَ ورَقَةً ، أو نْحو ذَلكَ مِنْ المُنْكَراتِ وَهَكذا قَتَلوا أوْقَاتَهُمْ الثَّمِيْنَةَ ، وَضَيَّعُوهَا، وَقَضَوْا عَلَى مُسْتَقْبَلِهِمْ ، فَإنّا للهِ وإنّا إليهِ رَاجِعُونَ وَلا حَوْلَ وَلا قُوّةَ إلاّ باللّهِ وَاللهُ أعْلَمُ بِمَا أرَادَهُ بعِبَادِهِ ، قَالَ تَعَالى ﴿ ظَهَرَ الفَسَادُ في البَرِّ وَالبَحْرِ بمَا كَسَبْت أيْدِيْ النَّاسِ لِيُذِيْقَهُم بَعْضَ الذِيْ عَمِلُوا لَعلَّهُم يَرْجِعُون ﴾ وَالحالة هَذِه مُخِيْفَة لِذَوِيْ العُقُولِ وَالفُهوم ، لا سِيَّمَا وَقد تَوالتْ أسْبَابُ الهَنَاءِ وَالرَّاحَةِ ، وَالسُّرُورِ ، وَالاطْمِئنَانِ ، وَقَدْ قِيْلَ إذا رَأيْتَ اللهَ تَعالَى أنْعَمَ على عَبْدٍ وهُو مُقِيْمٌ على مَعْصِيَتِه فَاعْلَمْ أنَّهُ مُسْتَدرَجٌ وَرَوَى عُقْبَةُ بنُ عامرٍ أنَّ رسُول الله صلى الله عليه وسلم قالَ إذا رَأيْتَ اللهَ يُعْطِيْ العَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُو مُقِيْمٌ على مَعْصِيَتِهِ فإنّما ذلكَ اسْتِدْرَاجٌ ثُمَّ تَلاَ ﴿ فَلَما نَسُوا مَا ذُكِرُوا به فتَحْنا عليهم أبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إذَا فَرِحُوا بمَا أوتُوا أخَذناهُم بغتَةً فاذا هم مُبْلِسُونَ ﴾ وَقال قتادةُ ما أخذَ اللهُ قَوْماً إلاّ عِنْدَ سَكَرتِهم وغِرّتِهم ، ونِعْمَتِهم ، فلا تَغْتَرُّوا باللهِ ، فإنَّهُ لا يَغترُّ بالله إلا القومُ الفاسِقُونَ .

١٩ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللهِ لَقَدْ تَوعَّدَ اللهُ الذِيْنَ يُخَالِفُونَ أمْرَهُ وَيَنْصَرِفُوْنَ عَنْ ذِكرِهْ وَيَجْتَرؤُنَ على مَعَاصِيْهِ بشَدِيْدِ غَضَبِهِ وَعَظِيْم سَخَطِهِ وَحَذّرَهُمْ بأسَهُ وَانْتِقَامَهُ فمَا بَالُ كَثِيْرٍ مِنْ النَّاسِ بَعْدَ القُرُوْنِ الأوْلى عَمَدُوا إلى مَحَارِمِ اللّهِ فارْتَكَبُوهَا وَمَأمُوْرَاتِهِ فَاجْتَنَبُوهَا ثُمَّ عَادُوا بمُرِّ الشَّكْوَى مِنْ تَغَيُّرِ الأحْوَالِ

وَانْتِزَاعِ البَرَكَةِ مِنْ الأرْزَاقِ والأمْوالِ .

أحَسِبْتَ أنَّكَ يَا ابْنَ آدَمَ تُهْمَلُ وَتُتْرَكُ فَلا تُعَاقَبْ ، وَتَظْلِمُ وَتَتَقَلَّبُ في النَّعِيْمِ كَيْفَ شِئْتَ وَلا تُحَاسَبْ أنَسِيْتَ قَوْلَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسَلم « إنَّ اللهَ لَيُمْلِيْ لِلظَّالِم حَتَّى إذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ » كُلُّ هَذا مِنْ جَهَالَتِكَ وَانْطِمَاسِ بَصِيْرَتِكَ وَلكِنْ اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَسيرى اللهُ عَمَلكَ ثُمَّ تَرُدُّ إليْهِ وَيُجازِيْكَ بِما تَسْتَحِقُّ ، جَهِلْتَ في حَالِ النَّعِيْمِ وَكانَ الواجِبُ عَلَيْكَ أنْ تَتعرَّف إلىَ اللّهِ في الرَّخاءِ لِيَعْرِفَكَ في الشِّدَّةِ ، وَلكِنْ لَمْ تَفْعَلْ ، وَأصْبَحتْ بَعْدَ زَوَالِهَا مِنْكَ تَشْكُوْ لِمَنْ ؟ تَشْكُوْ لِمَنْ عَصَيْتَهُ بالأمْسِ تَشْكَو لِمَنْ خَالَفْتَ أوَامِرَهُ وَفَعَلْتَ نَواهِيْهِ مَعَ عِلْمِكَ إنَّهُ المُنْتَقِمُ الجَبَّارُ تَشْكُوْ لِمَنْ حارَبْتَهُ بالمعَاصِيْ المُتَنَوِّعَةِ وَقَدْ أسْبَغَ عَلَيْكَ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنة وَلَو شَاءَ لَمَنعَها عَنْكَ لإنَهُ الفعَّالُ لِمَا يُرْيدُ تَشْكُو لِمَنْ تَأكُلُ نِعَمَهُ في أرْضِهِ مُسْتَعِيْناً بهَا على مَعَاصِيْهِ ألِيْسَ عَمَلُكَ هَذا في مُنْتَهَى اللآمَةِ وَالخَسَاسةِ يُمِدُّكَ بالنِّعَم وَتبارِزُهُ بالمعـاصِيْ ، ألَكَ صَبْـرٌ عَلَى جَهَنَّمَ وَزَمْهرِيْرِهَا ، ألَكَ طَاقةٌ بالوَيْلِ والغَسَّاقِ وَالزَّقُّومِ وَالحَمِيْمِ وَالضَّرِّيْعِ ، عِبَادَ اللهِ هَذا الذي نحنُ فيه مِنْ الانْهُمَاكِ في الدنيا وقَتْلِ كلِّ الوَقْتِ في جَمْعِهَا وَالابْتِعَادِ عَنْ الآخِرَةِ وَانْتِشَارِ المَعَاصِيْ بسُرْعَةٍ هَائِلةً مَا هُوَ والله إلاّ بِمَا كَسَبَتْ أيْدِيْنا،قَالَ تَعَالى﴿ظَهَرَ الفَسَادُ في البَرِّ وَالبَحْرِ،بمَا كَسَبَتْ أيْـدِيْ النَّاسِ﴾ الآيَــةِ . عِبَــادَ الله إنَّ غَـلاء الأسْعَـارِ ، وانْتِشَـارَ الأمْرَاضِ ، ومَا رَأيْتُم مِنْ الفِتَنِ وَالتَّعْقِيـدِ في المُمْتَلَكَاتِ وَالتَّقَـاطُعِ وَالعُقوقَ ، مَا هُوَ واللهِ إلاّ جَزاءُ عَمَلِنَا وَمَا هُوَ إلاَّ قَلِيْلٌ مِنْ كَثِيْرٍ فَقَدْ تَمَادَيْنا في المَعَاصِي وَاللهُ يغَارُ عَلَى أوَامِرِهِ أنْ تُجتَنَبْ ومَحَارِمِهِ أنْ تُرْتَكَبْ قَالَ صلىَّ اللهُ عليه وسلم « لا أحَدَ أغْيَرُ مِنْ الله » الحَدِيْث .

اللّهُمَّ تَوفَّنا مُسْلِمِينَ وأَلْحِقْنَا بِعِبادِكَ الصَّالِحِينَ الّذِينَ لاَ خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلّى اللَّهُ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٢٠ « مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ مَا لِلأَلْسُنِ عَنْ شُكْرِ نِعَمْ اللَّهِ المُتَتالِيَةِ قَاصِرَةٌ ، وَمَا لِلعُيُونِ إلى زَهْـرَةِ الحَيَاةِ الـدُّنْيَا الفَـانِيَةِ نَاظِـرَةٌ ، وَمَا للأَقْدَامِ عَنْ طَرِيْقِ الهِدَايَةِ الـوَاضِحَـةِ حَائِـرَةٌ وَمـا لِلعَـزَائِمِ وَالهِمَمِ عَنْ العَمَلِ الصَّالِحِ فَاتِرَةٌ وَمَا لِلنُّفُوسِ لا تَتَزَوَّدُ مِنْ التَّقْوى وَهِيَ مُسَافِرَةٌ وَمالَها لا تَتَأَهَّبُ وَتَسْتَعِدُّ لِلنُّقلةِ إلىَ الـدَّارِ الآخِرَةِ ، أَرُكُوناً إلى الدُّنْيَا وقَدْ فَرَّقَتْ الجُمُوعِ وَكَسَرتْ أَعْنَاقَ الأَكاسِرَةِ وَقَصَّرَتْ آمَالَ القَيَاصِرَةِ وَأَدَارَتْ عَلى أَهْلِهَا مِنْ تَقَلُّبِهَا الدَّائِرَةَ أَمْ اغْتَرَاراً بالاقامَةِ ، وَمَطَايَا الأَيَّامِ بكمُ في كلِّ لَحْظَةٍ سَائِرَةٍ أَمْ تَسْوِيْفاً بالتَّوبَةِ وَالأَعْمَالِ فَهذَه واللَّهِ الفِكْرَةُ والصَّفقَةُ الخاسِرَةُ لَقَدْ رَانَتْ عَلى القُلُوب قَبَائِحُ الأَعْمَالِ ، وَضَرَبَتْ عَلَيْهَا وَعَلى المَسامعِ مِنْ الذُّنُوبِ أَقْفَالٌ فيا خَجْلَةَ مَنْ سُئِلَ فَعَدِمَ الجَوَابَ أَوْ بِجَوَابٍ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ أَلِيْمَ العَذاب ويَا حَسْرَةَ مَنْ نُوْقِشَ عنْ الدّقِيْقِ وَالجَلِيْلِ في الآخِرَةِ الحِسَابَ ، وَيا نَدَامَةَ مَنْ لَمْ يَحْصُلْ إلاّ عَلَى الغَضَبِ مِنْ الكَرِيْمِ الوَهّابِ ويَا خَيْبَةَ مَنْ مَآلَهُ إلىَ نَارٍ تَلْتَهِبُ إلى إحْرَاقِهِ التِهابَا ، فَمَتَى تُقْبِلُونَ عَلى اللَّهِ بِقُلوبٍ صَادِقَةٍ لا تَنْتَهُونَ مِنْ مُفَارَقَةِ الذنُوب بَعْزَمةٍ صَادِقةٍ ، لا في الصَّادِقِيْنَ تَيَقَّنُونَ أَنَّهُ ثابتٌ لَكُمْ قَدَمٌ ، وَلا في التَّائِبِيْنَ صَحَّتْ لكمُ تَوْبَةٌ وَاقْلاعٌ وَعْزمٌ وَنَدَمٌ . ولا عِنْدَ تِلاَوَةِ كِتابِ اللَّهِ تَقْشَعِرُّ مِنْكُمُ الجُلُودُ وَلا عَنْدَ سَمَاعِ المَواعِظِ تَرِقُّ مِنْكُم القُلُوبُ ، التي هِيَ

أقسى من الجُلْمُودِ فَبِمَاذَا تَرْجُون لَحَاقَ السُّعَدَاءِ وَكَيْفَ تَطْمَعُونَ فِي الفوْزِ وَالنَّجاةِ مَعَهُم غَداً وَأَنْتُم تُتْبِعُونَ الخطَايَا بالخَطَايا وَتُبَارِزُونَ .

اللَّهَ بهَا في البُكْرِ والعشيا ، فَيَا حَسْرَةَ نُفُوس أطْمَأَنَّتْ إلى الدُّنْيَا دَارِ الغُرورِ ، ويَا خَرَابَ قُلُوبٍ عُمِرَتْ بَأَمَانيّ كُلُّهَا بَاطِلٌ وَزُوْرٍ ، وَيَا نَفَاذَ أَعْمَارٍ يَنْقُصُ مِنْهَا كلُّ يَوْمٍ وَسَاعَةٍ وَلا يُزَادُ وَيَا خَيْبَةً مُسَافِرٍ يَسِيْرُ السَّيْرَ السَّرِيْعَ وَهُوَ بلا زَادٍ ، فَالبِدَارَ البِدَارَ عِبَادَ اللَّه بالتَّوْبَةِ البِدَارَ والغَنِيْمَةَ الغَنِيْمَةَ قَبْلَ خُرُوْجِ وَقَتْ الاخْتِيَارِ ، وإتيان وَقْتٍ لا تُقَالُ فِيْهِ العِثَارِ :

نَسِيرُ إلىَ الأجَالِ فِي كُلِ لَحْظَةٍ وأَيَّامُنا تُطْوَى وَهُنَّ مَرَاحِلُ
ولم نَرَ مِثْلَ المَوت حَقاً كَأَنَّهُ إذَا مَا تَخَطَّتْهُ الأَمَانِيُ بَاطِلُ
تَرَحَّلْ مِن الدُّنْيَا بِزَادٍ مِنَ التُقَى فَعُمْرِكَ أيَّامٌ تُعَدُّ قَلائِلُ

اللهم يا حيُّ ويا قيوُّم فَرِّغْنَا لما خَلَقْتَنَا له ، ولا تُشْغِلْنَا بما تَكَفَّلْتَ لنا به ، واجعلنا مِمَّن يُؤمِنُ بلقَائِك ، ويَرْضَى بقَضَائِك ، ويقنعُ بعطائك ، ويخشَاكَ حَقَّ خَشْيَتِك .

اللهم اجْعَلْ رِزْقَنَا رَغَدَا ، ولا تشمِتْ بنَا أَحَدَا .

اللهم رَغِّبْنَا فيما يبقى ، وزهدنا فيما يَفْنى ، وهب لنا اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه ، ولا يُعَوَّلُ في الدين إلا عليه .

اللهم إنا نسألك بعزك الذي لا يرام ومُلْكِكَ الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفينا شر ما أهمنا وما لا نهتم به وأن تعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

٢١ « موعظة »

عِبَادَ اللهِ إنَّ لَكُمْ بِأَبْدَانِكُم عِنَايَةً عَظِيْمَةً لا تُسَامِيْهَا العِنَايَاتُ بَلْ كُلَ حَيَاتِكُم ذَاهِبَةٌ فِيْمَا تَبْذِلُونَهُ لِخِدْمَةِ هَذَا البَدَنِ مِنْ مَجْهُودَاتٍ أَلِيْسَ لَيْلُكُم وَنَهارُكُم في كَدٍّ مُدِيْمٍ لِجَمْعِ الأَمْوَالِ وهَلْ كلُ تِلْكَ الأَمْوَالِ إلا وَسِيْلَةٌ تَصِلُونَ بِهَا مَا لِهَذَا البَدَنِ مِنْ مَلْذُوْذَاتٍ .

لا بَأْسَ بالاعْتِنَاءِ بالبَدَنِ لَكِنْ بدُوْنِ هَذَا الافْرَاطِ الَّذِيْ لَا يَرْتَضِيْهِ العَاقِلُ اللَّبِيْبُ لِأنَّ البَدَنَ مَهمَا أكْرِمَ مَآلُهُ إلَى التُّرَابِ تَتَمَتَّعُ بِلَذِيْذِ لَحْمِهِ الدِيْدَانُ والذي يَنْبَغِي أَنْ تَهْتَمَّ بِهِ وتَصْرِفَ عِنَايَتَكَ بِهِ نَفْسَكَ قَبْلَ جِسْمِكَ الَّتِيْ أَنْتَ بِهَا مِن صَفْوَةِ هَذا العَالَمِ وعَلَى العِنَايَةِ بِهَا تَتَوَقَّفُ سَعَادَتُكَ في هَذِهِ الحَيَاةِ وَبَعْدَ المَمَاتِ .

ولِهَذِهِ النَّفْسُ غِذَاءٌ وَلَعَلَّكَ تَوَدُّ أَنْ تَعْرِفَهُ وهُوَ جَدِيْرٌ بالإعْتِنَاءِ مِنْكَ والتَّقْدِيْرِ والجِدّ لَهُ والتَّشْمِير لأنَّ مَنْفَعَتَهُ دُنْياً وأُخْرَى ولا نِسْبَةَ بَيْنَهَا وبَيْنَ مَنْفَعَةِ هَذِهِ الأَبْدَانِ .

ذَلِكَ الغِذَاءُ أَوِ القُوْتُ هُوَ أَنْوَاعُ الطَّاعَاتِ كاخْلاَصِ الأَعْمَالِ للهِ والذِكْرِ لَهُ والشُكْرِ لَهُ وَمَحَبَّتِهِ وتَعْظِيْمِهِ والقِيَامِ التَّامِ بأرْكَانِ الاسلامِ الشَّهَادَتَيْنِ وَالصلاةِ والزَّكَاةِ والصِيَامِ والحَجِ وسَائِرِ البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وأَنْوَاعِ العُلُومِ والمَعَارِفِ أَوْحَاهَا اللهُ وأَوْدَعَهَا هَذِهِ المَصْنُوعَاتِ .

والاعْتِنَاءِ بمكَارِمِ الأخلاقِ ومَحَاسِنِ الشِيَمِ وما إلى ذَلِكَ مِن أنْوَاعِ القُرُبَاتِ والذي يَظْهَرُ لَنَا مِن حَالِكَ وسِيْرَتِكَ أَنَّكَ في شُغْلٍ شَاغِلٍ عن الإِقْبَالِ عَلَى النَّفْسِ وتَغْذِيَتِهَا بِمَا قُلْنَا مِن أنْوَاعِ الطَّاعَاتِ ذَلِكَ أنَّ قَلْبَكَ مُتَعَلِّقٌ بتَحْصِيْلِ غِذَاءِ الجِسْمِ والاعْتِنَاءِ بِهِ فَهُوَ الذي نَصْبَ عَيْنَيْكَ .

ولِذَلِكَ تَشِبُّ وتَشِيْبُ وتَمُوْتُ وأَنْتَ جَاهِلٌ بِضَرُوْرِيَاتِ الدِيْنِ الإسْلامِي ورُبَّمَا مَرَّ عَلَيْكَ مُدَّةٌ طَوِيْلَةٌ بِدُوْنِ أنْ تَتفَكَّرَ بِنِعَمِ اللهِ وتذْكُرَهُ بِلِسَانِكَ وتَشْكُرَهُ عَلَى مَا أوْلاكَ وكَذَلِكَ الآخِرَةَ رُبَّمَا أنَّهَا تَمْضِيْ المُدَّةُ لا تَذْكُرُهَا ولا تَسْتَعِدُّ لَهَا .

وكَمَا أنَّ لِلأَبْدَانِ أمْرَاضٌ كَثِيْرَةٌ فَلِنَّفْسِ أمْرَاضٌ أكْثَرُ وأعْظَمُ وأخْطَرُ وتِلْكَ الأمْرَاضُ هِيَ السَّيئآتِ التِيْ مَن وُقِيَهَا رُحِمَ قال الله تعالى « ومَن تَقِ السَّيئآتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيْم » .

وكذلكَ مِن أمْرَاضِ النَّفْسِ رَذَائِلُ الأَخْلاَقِ والجَهْلُ بالشَّرْعِ الحَكِيمِ ولِهذه الأمْرَاضِ دَوَاءٌ نافِعٌ بإذنِ اللهِ أنْ تَتُوْبَ تَوْبَةً نَصُوْحاً إلى اللهِ وتَتَخَلَّقَ بِضِدِّ الفِعْلِ أوِ الخُلُقِ الذَّمِيْمِ فهَلْ لَكَ شَوْقٌ إلى هَذَا الدَّوَاءِ الشَّافِي بإذْنِ اللهِ كَمَا أنَّكَ تَشْتَاقُ بَلْ تُهَرْوِلُ وتُسْرِعُ إلى طَبِيْبِ الأَبْدَانِ وَمَعَكَ مَا مَعَكَ مِن المَالِ إذَا أحْسَسْتَ بِمَرَضٍ في بَدَنِكَ وانْ لَمْ تَجِدْ في بِلاَدِكَ ذَهَبْتَ تَطْلُبُ الشِّفَاءَ ولَو فِي بلادِ الحُرِّيَةِ والكُفْرِ مُحَكِّمَة القَوانِيْن أعداءَ اللهِ ورَسُوْلِهِ والمؤمِنِيْن .

أمَّا بَدِيْعُ السَّمَواتِ والأَرْضِ فلا أرَاكَ تَلْتَجِي لَهُ إلا عِنْدَ الشَّدَائِدِ وهذا وَاللهِ قَبِيْحٌ مِمَّنْ يَدِيْنُ بِدِيْنِ الاسلامِ ويُؤْمِنُ بالبَعْثِ والنُشُوْرِ ، فالتَفِتْ يَا أخِيْ لِنَفْسِكَ وَذَكِّرْهَا بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْكَ لِتَتَمَكَّنَ مَحَبَّتُهُ مِنها واقْبِلْ عَلَيْهَا وَعَوِّدْهَا على الآدابِ الشَّرْعِيَّةِ .

شعراً :

لِلَّـهِ قـومٌ أَخْلَصُـوْا فـي حُبّـِهِ	فكَسَـا وجُـوهَهُـمُ الوَسِـيْمَةَ نُـوْرَا
ذكَـرُوْا النَّعِـيْمَ فَطَلَّقوْا دُنْيَاهُمُوْا	زُهْـدًا فَعَـوضَهُمْ بـذَاكَ أُجُـوْرَا

قامُوْا يُناجُوْنَ الإِلهَ بأدْمُعٍ تَجْري فَتَحْكِيْ لُؤْلُؤاً مَنْثُورًا
سَتَروْا وُجُوهَهُمُوْا بأسْتَار الدُّجَى لَيْلاً فأضْحَتْ في النهار بُدُوْرَا
عَمِلُوا بِمَا عَلِمُوْا وَجَادُوْا بالذي وَجَدُوا فأَصْبَحَ حَظهُم موفُورَا
وإِذَا بَدَا لَيْلٌ سَمِعْتَ حَنِيْنَهُمْ وشَهَدْتَ وجْدًا مِنْهُمُوْا وزَفِيْرَا
تَعِبُوْا قَلِيْلاً في رِضَا مَحْبُوبِهِمْ فأراحَهُمْ يَوْم اللِّقَاءِ كَثِيْرَا
صَبَرُوا على بَلْوَاهُمُوا فجَزَاهُمُوْا يَوْمَ القِيَامَةِ جَنَّةً وحَرِيْرَا
يَا أَيُّهَا الغِرُّ الحَزِيْنُ إلى مَتَى تُفْنِي زَمَانَكَ بَاطِلاً وغُرُوْرَا
بَادِرْ زَمَانَكَ واغْتَنِمْ سَاعَاتِهِ واحْذَرْ تَوَانَاكَي تَحُوزَ أُجُوْرَا
واضْرعْ إلى المَولى الكريم ونَادِهِ يا وَاحِدًا في مُلكِهِ وقَدِيْرَا
ما لِيْ سِوَاكَ وأَنْتَ غَايَةُ مَقْصَدِي وإِذَا رَضِيْتَ فَنِعْمَةٌ وسُرُوْرَا

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِن المتقينَ الأبْرار وأَسْكِنَّا مَعَهمُ في دار القرارَ ، اللَّهُمَّ وفقنا بحُسْن الاقبالِ عليك والإِصْغَاءِ إليك ووَفّقْنا لِلتّعاوُن في طَاعَتِكَ والمُبَادَرَةِ إلى خِدْمَتِكَ وحُسْن الآداب في مُعَامَلَتِكَ والتّسليم لأَمْرك والرّضا بقَضَائِكَ والصَّبْرَ على بَلائِك والشّكْرِ لِنَعْمَائِكَ ، واغفرَ لَنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتِك يا أَرْحَمَ الراحمين وصلى اللّهُ على محمدٍ وآلِهِ أجمعين .

٢٢ مَوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللهِ طَلَبُ الرِّزْقِ الحَلاَلِ فَرِيْضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فَالْتَمِسْ الرِّزْقَ أَيُّهَا المُسْلِمُ مِنْ حِلِّهِ وَإِيَّاكَ وَمَا نَهَاكَ اللهُ عَنْهُ وَحَرَّمَهُ فَمَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيْلٌ ؛ أَيُّهَا المُسْلِمُ إِنَّ جَمْعَكَ لِلْمَالِ مِنْ حِلِّهِ عِبَادَةٌ إِذَا كُنْتَ تُرِيْدُ بِهِ إِعْفَافَ نَفْسِكَ ، وَالقِيَامَ بِمَا أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ مِنْ الحُقُوْقِ ، واحْذَرْ مِنْ تَرْكِ العَمَلِ ، وَافْعَلْ الأَسْبَابَ التِيْ بِهَا يَحْصُلُ الرِّزْقَ بِإِذْنِ اللَّهِ ، واعْلَمْ

أَنَّ مَنْ تَرَكَ العَمَلَ وَغَلَبَ عَلَيْهِ الكَسَلُ حَتَّى صَارَ كَلًّا عَلَى الخَلْقِ يَعُدُّهُ أَهْلُهُ ثُقْلًا وَيَرَاهُ صَاحِبُهُ بَغِيْضاً ، وَلَا يَلْقَاهُ أَحَدٌ إِلَّا وَكَرِهَ لُقْيَاهُ قَالَ تَعَالَى حَاثّاً عَلَى طَلَبِ الرِّزْقِ ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيْهُم تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ وَالمُؤْمِنُ المُحْتَرِفُ الكَسُوْبُ الذِيْ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ مُكْرَمٌ مَحْبُوبٌ مُحْتَرَمٌ ، عِنْدَ أَهْلِهِ ، وَالأَوْلَادُ ، وَكَانَ نُوْحٌ وَدَاوُدُ يَحْتَرِفَانِ التِّجَارَةَ وَمُحَمَّدٌ صَلى اللهُ عليه وَسَلَّمَ رَعَى الغَنَمَ ، وَمُوْسَى كَانَ أَجِيْراً عِنْدَ صَاحِبِ مَدْيَنَ وَكَانَ ادْرِيْسُ خَيَّاطاً ، وَمَا أَبْعَدَ هَذِهِ الأَعْمَالِ الشَّرِيْفَةِ عَنْ الكَسَلِ وَالبَطَالَةِ وَكَانَ السَّلْفُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عُمَّالاً مُكْتَسِبِيْنَ ، فَكُلُّهُمْ مَا بَيْنَ غَنِيّ شَرِيْفٍ وَفَقِيْرٍ شَرِيْفٍ عَفِيْفٍ ، لَا تَشْغَلُهُمْ الدُّنْيَا عَنْ الآخِرَةِ وَلا يَمْنَعُهُمْ الدِّيْنُ عَنْ طَلَبِ الكَسْبِ ، وَالقِيَامِ بِالوَاجِبَاتِ ، وَهُمْ مَعَ هَذَا مِنْ أَقْوَى النَّاسِ تَوَكُّلاً عَلَى اللهِ وَرِضىً بِمَا قَدَّرَ اللَّهُ وَقَضَاهُ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لا تَضُرُّهُ المَعْصِيةُ ولا تَنْفعُهُ الطاعَةُ أيقظْنَا مِنْ نَومِ الغَفلةِ وَنَبِّهنَا لاغْتِنَامِ اوقاتِ المهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا واعْصِمْنَا من قَبَائِحِنَا ولا تؤَاخِذْنَا بما انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمائِرُنَا واكَتَّمْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أنواعِ القَبَائِحِ والمعَائِبِ التي تَعْلَمُهَا مِنا ، وامنُنْ عَلَيْنَا يا مَولانَا بتوبةٍ تَمحُو بهَا عَنَا كُلَ ذَنْبٍ واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدَيْنَا ولِجَمَيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأحْياءِ منْهم والميتيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلى اللهُ عَلَى محمدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ أجمعيْنَ .

٢٣ « مَــوْعِظَــةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ لِلْعِلْمِ الدِيْنِيْ آثارٌ جَلِيْلَةٌ كَمْ جَلَّ بِهَا رَجُلٌ حَقِيْرٌ وَكُلَّمَا كَانَ الرَّجُلُ أَعْلَمَ بِالعِلْمِ الدِيْنِي كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وعندَ العُقلاءِ جَلِيْلٌ مَضَى

السَّلفُ الصَّالِحُ الذِيْنَ يَطِيْبُ المَجْلِسُ بِذِكْرِهِمْ لِقَدْرِهِمُ المُنْقَطِعِ النَّظِيْرِ كأنوارِ رِجالاً مِثْلَنَا وَلَكِنْ بِبَرَكَاتِ مَا وَهَبَهُمْ مَوْلاَهُمْ مِن العِلْمِ الدِيْنِي وَآثَارِهِ الجَلِيْلَةِ كَانُوا خَيْرَ الناسِ بَعْدَ النَّبِيِّيْنَ كانُوْا أغْنَى العَالَمِ لأَنَّهُمْ رَضُوْا بِقِسْمَةِ مَوْلاَنا الحَكِيم الخَبِيْرِ وكانُوا أَشْجَعَ الناسِ لأَنَّهُم عَلِمُوْا أَنَّ الأَجلَ لا يُطِيْلَهُ الجُبْنُ الذَّمِيْمُ فَكَمْ مِن قَتْلَةٍ قُرِنَتْ بالجُبْنِ كَمَا قِيْلَ :

كَمْ مَخْلَصٍ وَعُـلاً في خَـوْضِ مَهْلَكَـةٍ
وَقَتْلَةٍ قُـرِنَـتْ بـالـذَّمِ فـي الـجُبُـنِ

وكانُوا في الحِلْمِ والعَقْلِ كالجبَالِ الرَّوَاسِيْ وكانُوا مَحطَّ رِحَالِ الجُوْدِ والكرمِ لأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أنَّ البَخِيْلَ بَعِيْدٌ مِن اللَّهِ بَعِيدٌ مِن الناسِ وانَّ الذِي يَرْضَى بالبُخْلِ وَيَحُثُّ عَلَيْهِ ابْلِيْسُ لَعَنَهُ اللَّهُ وكانُوا يَسْتَقْبِلُونَ البَلاَيَا مَهْمَا قَسَتْ بالصَّبْرِ الجَمِيْلِ لِعِلْمِهِم أَنَّها تَصَرُّفُ الحَكِيْمِ الخَبِيْرِ وكانُوا يَسْتَقْبِلُونَ النِعَمَ بالحَمْدِ والشُكْرِ لِجَزْمِهِمْ أنها لِلَّهِ وَمِن اللَّهِ وَأَنَّهُ يَزِيْدُ الشَّاكِرِيْنَ وَيَرْضَى عن الحَامِدِيْن وكانُوا أَبْعَدَ الناسِ عن الشَّرِ ولا يُحِبُّوْنَ أَهْلَهُ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ يُغْضِبُ اللَّهَ وكانُوا يُحِبُونَ الخَيْرَ لإخْوَانِهِمْ المسْلِمِيْنَ وكانُوا لا يُضْمِرُوْنَ حَسَداً ولا شَراً لأحدٍ مِن اخْوَانِهِمْ المُؤْمِنِين لِعِلْمِهِمْ أنَّ اللَّهَ يُحِيْطُ عِلْماً بِمَا يُسِرُّوْنَ وَمَا يُعْلِنُونَ وَكانُوا إذا قالوا أوْ فَعَلُوا يَتَحَرَّوْنَ ما يُرْضِيْ اللَّهَ تعالى فِيْمَا يَقُولُونَهُ وَيفْعَلُونَهُ وكَانُوا لاَ يَشْهَدُوْنَ المنكر والزُوْرَ بَلْ يُنْكِرُوْنَ عَلَى مَنْ يَحْضُرُوْنَ وَكَانُوْا يَحُنُّوْنَ إلى مَجَالِسِ الذِكْرِ حَنِيْنَ الإِلْفِ فارَقَهُ الإِلفُ وهَكَذَا كانُوْا إذا أَرَادُوْا أَنْ يَتَحَرَّكُوا أَوْ يَسْكُنُوْا باسْتِشَارَةِ العِلْمِ الدِيْنِيْ يَتَحَرَّكُوْنَ ويَسْكُنُوْن لِهَذا كَانُوا لِلْيَوْمِ مَوْضِعَ اعْجَابِ الشَّرْقِ والغَرْبِ وَنَالُوا فَوْقَ هَذَا رِضَى رَبِّ العَالَمِين هَكَذا كانُوْا بِبَرَكاتِ ما وَهَبَهُمُ اللَّهُ مِن العِلْمِ الدِيْنِيْ أمَّا نَحْنُ فَقَدْ كُنَّا مَوْضِعَ إعْجَابٍ مِن نَاحِيَةٍ أَنَّ هَدَفَنا

في التّعْلِيْمِ هُوَ الحُطَامُ الفَانِي لا غَيْرُ لِهَذَا كانَ الوَاحِدُ مِنَّا إذَا رَسَبَ يَكَادُ يَنْتَحِرُ وَيَقُولُ فَاتَ عَلَيَّ سَنَةٌ مَحْصُولُ رَوَاتِبِهَا لَا يَقِلُ عَن خَمْسَةِ آلافٍ وَلَوْ كَانَ قَصْدُهُ العِلْمَ بِمَا جَهِلَهُ وَتَوْجِيْهَ عِبَادَ اللّهِ عِنْدَمَا يَنْجَحُ كانَ عِنْدَه يَتَسَاوَى السُرْعَةُ والبُطْءُ لِأَجْلِ أَنْ يَمْهَرَ في المَعْلُومَاتِ لِهَذَا القَصْدِ مَاتَتَ الفَضَائِلُ وانْتُزِعَتْ بَرَكَةُ العِلْمِ وفُقِدَتْ هَيْبَةُ العَالِمِ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ وَصَارَ كُلُّ يُفْتِيْ وَكُلُّ يُرَشِّحُ نَفْسَه لِلْفُتْيَا فَوْراً وَلَكِنَّ النَّاسَ الوَرِعِيْنَ لَا يَطْمَئِنُّوْنَ إلَّا إلى النَّوادِرِ مِمَّنْ يُوْثَقُ بِدِيْنِهِمْ وَأَمانَتِهِمْ وَيَتْرُكُونَ المُرَائِيْنَ والمُحِبِّيْنَ لِلظُّهُوْرِ والشُّهْرَةِ الذين ضَاعُوا وضَيَّعُوا عِبادَ اللهِ .

وَخِتَاماً فَلَوْ أَنَّنَا أَحْيَيْنَا طَرِيْقَةَ سَلَفِنَا في العِلْمِ المُطَابِقِ لِلْعَمَلِ لأَصْبَحْنَا وَقَدْ أَحْيَيْنَا عِزَّهُمْ وَشَرَفَهُمْ الدَّفِيْنَ رَحْمَةُ اللّهِ على تِلْكَ الأَرْوَاحِ العَامِلَةِ بِمَا عَلِمَتْ .

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبْكِ العُلُومَ وَأَهْلَهَا
وَقَدْ غَيَّبْتَهَا في التُرَابِ لُحُوْدُ
فَأَنْتَ بَهِيْمِيُّ الطِّبَاعِ وَإِنَّمَا
قُصَارَاكَ ثَوْبٌ نَاعِمٌ وَثَرِيْدُ
سَتَبْكِيْ العُلَا قَوْماً تَسَامَوْا لِنَيْلِهَا
كَأَنَّ لَهُمْ دَمْعَ العُيُونِ هُجُودُ
يُعِيْدُوْنَ مِنْهَا مَا تَعَفَّتْ رُسُوْمُهُ
فَتُضْحِيْ عَلَيْهَا لِلْفِخَارِ بُرُوْدُ
كَفَى غُرْبَةً لِلدِّيْنِ هَذَا الذِيْ نَرَى
فَلَيْسَ عَلَى ذَا الاغْتِرَابِ مَزِيْدُ

اللهُمَّ يَا مُثَبِّتَ القُلُوبِ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَوَفِّقْنَا لِمَحَبَّةِ أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضِ أَعْدَائِكَ وَيَسِّرْنَا لليُسْرَى وَجَنِّبْنَا العُسْرَى وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ وبكتَابكَ وبرُسُلِكَ مُقْتَدِيْنَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وَصحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٢٤ « موعظـة »

عِبَادَ اللّهِ نَحْنُ فِي عَصْرٍ بَارَكَ اللّهُ فِيْهِ بَرَكَةً عَمَّتِ المَشَارِقَ والمَغَارِبَ وَكُلَّ مَا للأَرْضِ مِنْ أَنْحَاءَ مِمَّا نَعْلَمُهُ وَجَّهَ بِقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ أَفْكَارَ بَنِي آدَمَ إِلى مَا أَوْدَعَهُ فِي خَلْقِهِ مِن أَسْرَارٍ تَفُوْتُ الاحْصَاءَ وَيَسَّرَ لَهُمْ السَّبِيْلَ فَوصِلُوا مِنْ التَّرَاقِيْ فِي الاخْتِرَاعِ والاطّلاعِ إلى مَا يُدْهِشُ الأَفْكَارَ وتَزْدَادُ بِهِ عَقِيْدَةُ المُؤْمِنِ قُوَّةً فَلا يَعْتَرِيْهِ أَدْنَى شَكٍّ فِي مَا أَخْبَرَ اللّهُ بِهِ وَرَسُولُه .

أَصْبَحَتِ الدُّنْيَا كُلُّها كَأَنَّهَا بَيْتٌ وَاحِدٌ يُكَلِّمُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً مَعَ بُعْدِ المَسَافَةِ وَيُسَافِرُوْنَ بَرّاً وَبَحْراً فَيَقْطَعُوْنَ بِالمَرَاكِبِ البَرِيَّةِ والبَحْرِيَّةِ فِي مُدَّةٍ يَسِيْرَةٍ مَا يَحْتَاجُ إِلَى مُدَّةٍ طَوِيْلَةٍ فِيْمَا مَضَى وَتَنْقُلُ تِلْكَ المَرَاكِبُ الّتِي خَلَقَهَا اللّهُ لَنَا مِنَ الأَثْقَالِ بِقُوَّةٍ وسُرْعَةٍ تَقِفُ أَمَامَهَا الأَلبَابُ حَائِرَاتٍ بَلْ لَوْ أَرَادُوْا مُسَابَقَةَ الطّيْرِ فِي السَّمَاءِ لَسَبَقُوْهُ بِالطّائِرَاتِ .

فَسُبْحَانَ مَنْ أَرْشَدَ عِبَادَهُ إِلَى صُنْعِ هَذِهِ المُخْتَرَعَاتِ قَالَ تَعَالَى « واللّهُ أخرجَكُم مِن بُطُوْنِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُوْنَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ والأَفْئِدَةَ لَعَلّكُمْ تَشْكُرُوْنْ » .

وانْظُر إِلَى الكَهْرَبَاءِ وَفَائِدَتِهِ العَظِيْمَةِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَقَدْ صَارَ اللَّيْلُ

بِأنْوَارِهِ وكَأَنَّهُ نَهارٌ وَمَا فِيْهِ مِنْ أَسْبَابِ الرَّاحَةِ والمَنَافِعِ العَظِيْمَةِ الّتِي لَمْ تَحْصُلْ لِمَنْ قَبْلَنا أَلَيْسَ هَذا مِن أَعْظَم البَرَاهِيْنِ والأدِلّةِ عَلى صِدْقِ مَا أَخْبَرَ اللّهُ بِهِ بِقَوْلِهِ « سَنُرِيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفاقِ وفي أَنْفُسِهِمْ حتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ » .

وَعَلَى صِدْقِ مَا أَخْبَرَ بِهِ الصَّادِقُ المَصْدُوْقُ مِنْ أَنَّ الزَّمَانَ يَتقَارَبُ وَهَا أَنْتَ لاَ تَمْشِيْ شَرْقاً وَلاَ غَرْباً إلاّ وَأَنْت تَرى وَتَسْمَعُ مِنْ تِلْكَ الأَسْرَارِ مَا تَحارُ بِهِ الأَفْكَارُ فَنحْنُ اليَوْمَ نَتقَلَّبُ فِي كُلِّ أَحْوَالِنَا فِي نَعِيْمٍ لَمْ يَظْفَرْ بِهِ عَصْرٌ مِنَ الأَعْصَارِ حَتَّى إنَّكَ تَرى حَيَوانَ هَذَا العَصْرِ فِي رَاحةٍ وإكْرَامٍ لَمْ تَتمَتَّعْ بِهَا بَنُو العُصُورِ الْمَاضِيَاتِ إنَّ حَقّاً عَلَيْنَا إزاءَ كُلِّ هَذَا أنْ نَكُوْنَ أَسْبَقَ الأجْيَالِ فِي مَيْدَانِ شُكْرِ اللّهِ لِيُبَرْهِنَ كُلٌّ مِنَّا أَنَّهُ يُحِسُّ وَيَشْعُرُ بِمَا اخْتَصَّهُ بِهِ مَوْلاَهُ أ ـ هـ .

ولكِنْ يَا لِلأَسَفِ لَمْ يَكُنْ مِنَّا شُكْرُ هَذِهِ النِّعَمِ وَاسْتِعْمَالُهَا فِي طَاعَةِ اللّهِ وَمَرَاضِيْهِ وَدَلِيْلُ ذَلِكَ مَا تَرَى وَتَسْمَعُ مِن المَعَاصِي والمُنْكَراتِ الّتِي تَكَادُ أنْ تَبْكِي مِنْ فُشُوِّهَا وَازْدِيَادِهَا الجَمَادَاتُ .

فَيَا لَلّهِ لِلْمُسْلِمِيْنَ إنَّهَا لَتجْرَحُ قَلْبَ المُؤْمِنِ السَّالِمِ مِنْهَا جَرْحاً يُوْشِكُ أنْ يُوصلَهُ إلى القَبْرِ اللّهُمَّ وَفِّقْ وُلاَتَنَا لإزالَة هَذِهِ المُنْكَراتِ وَلِتأْيِيْدِ الإسلام وَالمَسْلمين في جَميع الجهَات وَوَفّقهُمْ لِلرّفْق في رِعَايَاهم والنُّصْح لَهُم وَسدِّدَ خطَايهَمْ وَالله أعلَم وِصَلىَ الله عَلىٰ مُحمدٍ وِالِهِ وصَحبْهِ

٢٥ موعظة

عِبَادَ اللهِ انَّما حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ الخَمْرَ ، لِمَا فِيْهِ مِنْ الأَضْـرَارِ وَالأَخْطَارِ ، وَمَا مَنَعَكُمْ مِنْ شُرْبِهَا إلا لما يَنْشَأُ عَنْ ذَلكَ مِنْ المفَاسِدِ والشُّرُوْرِ والأضرار، فشَارِبُ الخَمْرِ مَلْعُونٌ عَلَى لِسَانِ نبيِّكُمْ مُحَمَّد صَلى

اللهُ عليه وسلم ، وبَائِعُهَا ، وشَارِبُهَا ، وعَاصِرُهَا وَمُعْتَصِرُهَا ، وسَاقِيْهَا ، وحَامِلُهَا ، وَالمحَمُولَةِ إِلَيْهِ ، وَمُدْمِنُ شُرْبِهَا لَا يَدْخلُ الجَنَّةَ ، بَلْ يَدْخُلُ النَّارَ وَيُسْقَى مِنْ طِيْنَةِ الخَبَالِ ، عَرقُ أَهْلَ النَّارِ ، وَوَرَدَ أنَّ مُدْمِنُ الخَمْرِ كَعابِدِ وَثَنٍ فَشَارِبُ الخَمْرِ مُفْسِدٌ لدِيْنِهِ ، وَمُفْسِدٌ لِجسْمِهِ ، وَصِحَتِهِ ، وَجَانٍ عَلَى نَفْسِهَ ، وعَلى أوْلَادِهِ ، وَأَقَارِبِهِ ، وَأهْلِهِ وَجيْرَانِهِ وَمُفرِّطٌ في مَالِهِ وَمُسْرِفٌ فِيْهِ وَعَابِثٌ بَكرامَتِهِ ، وَسَاعٍ إلى الشَّرِّ وَالفَسَادِ بيَدِهِ ، وَرِجْلِهِ ، وَلِسَانِهِ ، وَصَائِلٌ ، خَبِيْثٌ ، عَلَى الأَخْلاَقِ وَالأدْيَانِ شَارِبُ الخَمْر عُضْوٌ مَسْمُومٌ في جِسْمِ مُوَاطِنِيْهِ ، إذَا لمْ يُبَادِرُوهُ بالعِلاج أو يَقطِعُوهُ أصابَهُم ضَرَرُهُ ، شَارِبُ الخَمْرِ يُزَيِّنُ الشَّرَّ وَيُحَسِّنُه ، لِبَنِيْهِ ، وبَنَاتِهِ ، وَأصْدِقَائِهِ وَيَدْعُوهُم بلسِانَ حالِه وَمَقالِهِ ، وَأنْتُم تَعْلَمُونَ أنَّ دَاعِيَ الفَسَادِ مُجَابٌ في كُلِّ زَمَانٍ ومَكَانٍ وأنْصَارُه بلا عَدٍّ وَلا حُسْبَان ، وَاذا دَبَّتْ الخَمْرُ في رَأسِ شَارِبها فَقَدَ شُعوره ، وَزنَى ، وَلاطَ ، أو لِيْطَ به ، وَجاء بأنْوَاعِ الفُحْشِ ، وَالفُجُورِ ، وَسَبَّ وَشَتَمَ ، وَقَذَفَ ، ولَعَنَ ، وَطَلَّقَ وَسَبَّ الدِّيْنَ وَالمُسْلِمْينَ ، بَلْ رُبَّما وَقَع على أُمِّهِ ، أو بِنْتُهِ أو أُخْتِهِ أو عَلَى نِسَاءِ جيرانه ، أو عَلَى بهائِمِهِ ، وَرُبَّمَا كَفَر باللهِ وَارتْدَّ عنْ الاسْلام ، وَتَرَكَ الصَّلاةَ ، وأفْطَرَ في رَمَضَانَ ، وَسَبَّ القُرْآن ، وبالجُمْلَةِ أنَّ مَنْ تعاطَى الخَمْرَ سَقَطَ مِنْ شَاهِقِ مَجْدِه إلَى مُسْتَوَى الخَنَازِيْرَ، والقِرَدَةِ يُصَدِّقُ بهَذا مَنْ عَايَن شَارِبَ الخَمْرِ وَقَدْ اسْتَولَى عَلَيْهِ الشَّرَابُ وَغَطَّى عَقْلَهُ فَترى مَنْ يَقُودُهُ مُتعَبُ ، يَجُرُّهُ كَما يَجُرُ الدَّابَّةَ الحَرُونْ بَلْ الدَّابَّةُ تَمْشِيْ أحْيَاناً هَادِئَةً إِذَا جُرَّتْ لا تُتْعِبُ القَائِدَ دَائِماً ، وَأمَّا السَّكرانُ فَيمِيْلُ بقَائِدِهِ هَكذَا وَهَكَذَا ، حَتَّى يكلِّفَهُ مَتاعِبَ عَظِيْمَةٍ ، وَالدَّابَّة إذَا رَأتْ حُفْرَةً امْتَنَعَتْ عَنْهَا وَتَباعَدَتْ عَنْهَا ، أمَّا شَارِبُ الخَمْرِ فَتكُونُ الحُفْرَةُ أمَامَهُ ، وَيَسْقُطُ فِيْهَا ، وَالدَّابَّةُ رُبَّمَا دَافعَتْ عَنْ طعَامِهَا وَشَارِبُ الخَمْر تُسْلَبُ مِنْهُ النُّقودَ ، وَلا

يَحْصُلُ مِنْهُ أدْنَى مُمَانعَةً ، وَمَعنَى هَذا أنَّ البَهيْمَةَ أرْجَحُ وأحْسَنُ حالاً مِنْهُ ، وَقَدْ قَالَ الخَبِيْرُ بأحْوَالِ شُرَّابِ الخَمْرِ ، مَنْ أرادَ أنْ يَعْرِفَ قَدْرَ السِّكِّيْرَ ، فَلْيَنْظُرْ إلىَ قَهْقَهته ، وضَحِكِهِ ، وَالخَمَّارُ يُوالِيْ الصَّفَعَاتِ عَلَى قَفَاهُ ، وَلْيَنْظُرْ رَقْصَهُ أَمَامَ البُزُوْر ، كأَنَّهُ قِرْدٌ يُرَقِّصُهُ صَاحِبُه ، لِيَضْحَكَ مَنْ يَراهُ ، وَلْيَنْظُرْهُ وهُوَ يَجْرِيْ وَرَاءَ أُمِّهِ ، أو بنْتِهِ ، لِيَقْضِيْ مِنْهَا حَاجَتَـهُ ، وَمُنَاهُ ، وَلِيَنْظُرْه وَامْرَأتُهُ تَكْنِسُ مَلا بسَهُ ، وَتمْسحُها مِنْ الأوْسَاخِ ، التِيْ يَقْذِفُها عَلَى ثِيَابهِ ، وَالقاذُورَاتِ ، هَذا قَدْرُ شَارِبِ الخَمْرِ عندنَا ، أمّا عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فهُوَ كعابدِ وَثَنٍ مَلْعُونٌ ، نَسْأَلُ اللهَ جَلَّ وَعَلا أنْ يَعْصِمَنا وَاخوَاننا المسلِمْينَ منها ومَنْ سَائِرِ المعَاصِيْ وَأنْ يَلْطُفَ بِنَا ويُوَفِّقَنا لِمَا يُرْضِيْهِ عَنَّا وَيَغْفِرَ لنَا وَلوالِدَيْنا وَلِجَمْيعِ المُسْلِمْينَ بِرَحْمَتِهِ أنهُ أرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ وصَلى اللهُ علىَ مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ وصَحْبِه أجْمَعِيْنَ .

شِـعْراً :

نَـبْنِي وَنَجْـمَـعُ والآثـارُ تَـنْـدَرِسُ
وَنَـأْمَـلُ اللُّبْثَ والأعمـارُ تُخْـتَلَسُ

ذَا اللُّبِ فَكِّرْ فَمَا في العَيْشِ مِن طَمَعٍ
لا بُـدَّ مـا يَنْتَهِي أَمْـرٌ وَيَـنْعَـكِسُ

أَيْـنَ المُـلُوْكُ وَأَبْنَـاءُ الـمُلُوكِ وَمَـن
كانُوا إِذَا النَّاسُ قَامُـوا هَيْبَةً جَلَسُـوا

وَمَنْ سُيُـوفُهُم فـي كُـلِّ مُعْـتَـرَكٍ
تُخْشَى وَدُوْنَهُم الحُجَّـابُ والحَـرَسُ

أَضْحَـوْا بِمَهْلَكَـةٍ في وَسْطِ مَعْـرَكَـةٍ
صَرْعَى وَصَارُوا بِبَطْنِ الأَرْضِ وانْطَمَسُوا

وَعَمُّهُم حَـدَثٌ وَضَـمَّهُـمْ جَـدَثٌ
بَاتُوا فَهُم جُثَثٌ في الرَّمْسِ قَدْ حُبِسُوا
كَـأَنَّهُم قَطُّ مَـا كَـانُـوا وَمَـا خُلِقُـوْا
وَمَـاتَ ذِكْـرُهم بَيْنَ الـوَرَى وَنُسُـوْا
واللَّهِ لَـو عَايَنْتَ عَيْنَـاكَ مَـا صَنَعَتْ
أَيْـدِي البِلَى بِهِمُـوا والـدُّودُ يَفْتَـرِسُ
لَعَـايَنتْ مَنْـظِراً تُشْجَى القُلُوبُ لَـهُ
وَأَبْصَـرَتْ مُنْكَـراً مِن دُوْنِـه البَلَسُ
مِن أَوْجُـهٍ نَـاظِـرَاتٍ حَـارَ نَـاظِـرُهَـا
في رَوْنَقِ الحُسْنِ مِنْهَا كَيْفَ يَنْطَمِسُ

(فصـــــل)

قال بعض العُلماء لَيْسَ في العَالَم مُنذْ كانَ إلى يَتَناهى أَحَدٌ يَسْتَحْسِنُ الهَمَّ ولا يُرِيْدُ إلا طرحَهُ عن نفْسِهِ .

فلما اسْتَقرَّ في نَفْسِي هذا العِلْمُ الرَّفِيعُ وانْكشَفَ لِيْ هذا السِرُّ العَجِيْب وأنارَ اللَّهُ تعالى لِفِكْري هذا الكنز العظيم .

بَحَثْتُ عن سَبِيْل مُوْصِلَةٍ على الحَقِيْقَةِ إلى طَرْد الهَمِّ الذي هُو المطلوبُ النَفِيْس الـذي اتفقَ جَمِيْعُ أنـواع الإنسـان الجـاهلِ منهم والعَالِمِ والصالح والطالحِ على السَّعْي لَهُ فلم أجِدْ إلَّا التَّوجُّهَ إلى الله عَزَّ وجَلَّ بالعَمَل للآخِرَةِ .

وإلَّا فإنَّما طَلَبَ المال طُلَّابُهَ ليَطْرُدُوا به هَمَّ الفَقْر عن أَنْفُسِهِم .

وإنما طَلَبَ الصِّيْتَ مَن طَلَبَهُ لِيَطْرُدَ به عن نَفْسِهِ هَمَّ الاسْتِعْلاءِ عليها .

وإنما طلَبَ العِلْمَ مَن طَلَبَهُ لِيَطْرُدَ به عن نَفْسِهِ هَمَّ الجهل .

وإنما هَشَّ إلى سَمَاعِ الأَخبارِ ومُحَادَثةِ الناس من يَطْلُبَ ذلك لِيَطْرُدَ بِهَا عن نَفْسِهِ هَمَّ التَّوحُّدِ ومُغيَّبَ أحوالِ العَالَمِ عنه .

وإنَّما أكَلَ مَن أكل وشَرِبَ مَن شَرِبَ ونَكَحَ مَن نَكَحَ ولَبِسَ مَن لَبِسَ ولَعِبَ من لَعِبَ واكْتَنَزَ مَن اكْتَنَزَ ورَكِبَ مَن رَكِبَ ومَشَى مَن مَشَى وتَوَدَّعَ مَن تَوَدَّعَ .

لِيَطْرُدُوْا عن أنفسهم أضْدَادَ هذه الأفعال وسائر الهُمُوم .

وفي كل ما ذَكَرْنَا لِمَنْ تَدَبَّرَهَ هُمُومٌ حَادِثَةٌ لابُدَّ لها من عَوارِض تعرضُ في خِلالها وتعذُّرُ ما يَتَعَذَّر منها .

وقال رحمه الله وَجَدْتُ العَمَل للآخِرَةِ سَالماً مِن كُلِّ عَيْب خالِصًا مِن كُلِ كَدَرٍ مُوْصِلاً إلى طَرْدِ الهَمّ على الحَقِيْقة .

وَوَجَدْتُ العامِلَ للآخِرَةِ إنْ امْتُحِنَ بِمَكْرُوْهٍ في تِلْكَ السَبِيْلِ لم يَهْتَم بَلْ يُسَرُّ .

إذْ رَجاؤهُ في عَاقِبَةِ مَا يَنالُ به عَونٌ على مَا يَطْلُبُ وزائِدٌ في الغرَض الذي إيَّاهُ يَقْصُد .

وَوَجَدْتُه إن عَاقَه عَمَّا هُو بسَبِيْلِه عائِقٌ لم يَهْتَمَّ إذْ لَيْسَ مُوآخَذًا بذَلِكَ فهو غَيرُ مؤثرٍ فيما يَطلُبُ ورأيتُهُ إن قُصِدَ بالأَذَى سُرَّ .

وإنْ نَكَبَتْهُ نَكْبَةٌ سُرَّ وإن تَعِبَ فيما سلك فيه سُرَّ فَهُوَ في سُرُوْرٍ مُتَّصِلٍ أَبَدًا وغيره بِخِلافِ ذَلِكَ أبدا .

وقال رحمه الله تعالى : ولو تَدَبَّرَ العَالِمُ في مُرُوْرِ سَاعَاتِهِ ماذَا كَفَاهُ العِلْمُ مِن الذُلِ بتَسلِيْطِ الجُهَال .

ومِن الهَمّ بمَغِيْبِ الحَقائِقِ عنه ومِن الغِبْطَة بِما قَدْ بانَ لَه وجْهُهُ مِن الأُمور الخَفَّيةِ عن غَيرِه .

لزادَ حمدًا وشكراً وذِكرًا لله عَزَّ وجَل وغِبْطَةً بِما لَدَيْهِ مِن العِلْم وَرَغْبَةً في المَزِيْدِ مِنْهُ .

أجَلّ العُلُوم ما قَرَّبَكَ إلى خالِقِكَ جَلّ وعَلا وما أعانكَ على الوُصُوْلَ إلى رِضاه .

العُلُومُ الغَامِضَةُ كالـدَّوَاءِ القَوي يُصْلحُ الأَجْسَادَ القَويَّةَ ويُهْلِكُ الأَجْسَادَ الضَّعِيْفَةَ .

وكذلك العُلُوم الغامِضَة تَزِيْدُ العَقْلَ القَويَّ جَوْدَةً وتُصفِّيهِ مِن كل آفةٍ وتُهْلِكُ ذَا العَقْلِ الضَّعِيْف .

العاقلُ في الدُنْيَا مُتْعَبٌ ومِن جهةٍ أُخْرىَ مُسْتَرِيح .

وَوَجْهُ ذلك أنه مُتْعَبٌ ومُتكدِرٌ فيما يَرى مِن انتشار الباطِلِ وغَلَبَةِ دَوْلَتِهِ وبِما يُحَالُ بَيْنَهُ من إظهار الحق .

وأَمَّا وَجْهُ رَاحَتِهِ فمِن كُلّ ما يَهْتم به سَائِرُ الناس مِن فُضُول الدنيا .

إذا حَقَّقْتَ أَمْر الدنيا لم تَجِدْهَا إلاَّ الآن الذي هَوُ فَصْلٌ بيْنَ زَمَانَيْنَ فقط .

وأمَّا ما مَضى وما لم يأتِ فمَعْدُوْمَانِ كما لم يكن .

فمن أضل مِمَّنْ يَبْيتُ باقِيًا خَالِدًا بمُدَّةٍ هيَ أَقَلُ مِن كرِ الطَّرْف .

مَن شغَل نَفْسَهُ بأدنى العُلُوم وترك أعلاها وهو قادر عليه كان كغارس الأثل والسدر في الأرض التي يَجُوْدُ ويَزكُوا فيها النخيل والتِينُ والمَوْزُ والعِنَب .

نَشْرُ العِلْم عنـدَ مَن لَيس من أَهْلِهِ مُفْسـدٌ لَهُمْ كإطْعَـامِكَ العَسَل والسُكَرَ وَالتَّمْرَ مَن بهِ مَرضُ السُّكَّر ومَن به احْتَراق وحُمَّى .

وكَتَشْمِيْمِكَ المِسْك والعَنبر لَمَنْ بهِ صُدَاع الصفراء ، أو به شَقِيْقَةٌ وهو وجَعُ نِصْفِ الرأس .

مَن أرادَ الآخِـرَةَ وحِكْمَةَ الدُنيا وعَدْلَ السِيْرَةِ والاحْتَوَاءَ على مَحَاسِنِ الأعـمالِ والأَخْـلاقِ والآداب كُلها واستحقاق الفَضَائِلِ بأَسْرِهَا فليَقْتَدِي بمُحَمَّد ﷺ ولْيَسْتَعْمِلْ أَخْلاقَهُ وسِيَرهُ .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فصـــــــل)

وقال رحمه الله مَنْفَعَةَ العلم في اسْتِعْمالِ الفَضَائِل عَظيمةِ وهو أنْ يَعْلَم حُسْنَ الفضائِلِ فياتيَهَا ويَعْلَم قُبْحَ الرَّذَائِل فَيَجْتَنِبُهَا ويَسْتَمِعُ الثناء الحَسَنَ فَيَرْغَبُ في مِثلِهِ والثناءَ الرَّدِيَ فَيَنْفُرُ منه .

فَعَـلى هَذِهِ الْمُقَـدِّمَـاتِ وَجَبَ أن يكون لِلْعِلمِ حِصَّة في كل فَضِيْلَةٍ ولِلْجَهْل حِصَّةٌ في كل رَذِيْلَةٍ .

وقـال وقـد رَأَيْتُ مِن غِمارِ العَـامَّـةِ مَن يَجْري مِن الاعتـدالِ وحَمِيْدِ الأَخلاق إلى مالا يَتَقَدَّمُهُ فيه حَكَيمٌ عَالِمٌ رَائِضٌ لِنَفْسِهِ ولَكِنَّهُ قليلٌ جدًا .

ورَأَيْتُ مِمَّنْ طَالَعَ العُلومَ وعَرَفَ عُهُودَ الأَنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ ووَصَايَا الحُكَماءِ وهو لا يَتَقَدَّمُهُ في خُبْثِ السيرة .

وفَسَـادِ العَـلانِيةِ والسِّـيْرَةِ شِرَارُ الخَلْقِ وهذا كثيرٌ جِدًّا فعَلِمتُ أنهما مَوَاهِبُ وحِرْمَان مِن الله تعالى .

وقال مَنْ جَالَسَ الناسَ لم يَعْدِمْ إثْماً وهما يُؤلم نَفْسَهُ وغَيْظاً يُنْضِج كَبْدَهُ وذُلاً يُنَكِّسُ هِمَّتَهُ .

فما الظن بعد بمن خالطهم ودَاخَلَهُمْ وانْدَمَجَ مَعَهُم .

وإنما يَنْدَمُ ويَحْزَنُ ويَتَحسَّرُ على ذلكَ في مَعَادِهِ .
فالعِزُ والسُرورُ والأُنْسُ والراحةُ والسلامةُ في الانفراد عنهم .
ولكن اجْعَلْهُم كالنار تَدَفَّأُ بها ولا تُخَالِطْهَا .
وقال آخرُ مِن مَضَار مُجالسة الناس ومُخالَطتِهم الانْهمَاكُ في الغِيْبَةِ .
ثانياً ضَيَاعُ الوَقْت في الآثام .
ثالثاً فواتُ الأعمالِ النافعةِ في الآخرةِ أو الأعمال الدنيوية التي يَعُودُ نَفْعُهَا في الآخرة ولا سَبِيْل إلى السَّلامَةِ مِن ذلك إلا بالانفراد عن مجالَستِهم جُمْلَةً .

مَن جَنَّبَ الناسَ يَسْلَمْ مِن غَوَائِلهم وعَـاشَ وَهـو قَـرِيْر العَيْنِ جَـذْلَانَ

وقال لا تَحْقرنَّ شَيْئًا مِن عَمَل غَدٍ بأنْ تُخَفِّفَهُ وتَعجله اليوم وإن قَلَّ فانَّ مِن قَلِيلِ الأعْمَالِ يَجْتَمعُ كثيرُهَا .

لا تَحْقِـرَنَّ مِـن الأُمـورِ صِغَـارَهَـا فالْقَطْـرُ منـه تَـدَفَّـقُ الخِـلْجَـانِ

وربما أن الأعمال إذا لم تُخَفَّفْ يُعْجزُ أَمْرُهَا فَيَبْطُلُ الكُلُ .
ولا تَحْقِرْ شَيْئًا مِمَّا تُثَقِّلُ به مِيْزانكَ يومَ البعث أنْ تُعَجِّلُه الآن وإنْ قَلَّ .
فإنَّه يَحُطُ عنكَ كَثِيراً لو اجْتَمَعَ لَقَذَفَ بك في النار .
اجْتَهِدْ في أنْ تَسْتَعِينَ في أُمُورِكَ بِمَنْ يُرِيْدُ منها لِنَفْسِهِ مِثل مَا تُرِيْدُ منها لِنَفْسِكَ .
أَبْلَغَ في ذَمِّكَ من مَدَحَكَ بما ليس فيك لأنه نَبَّهَ على نَقْصِكَ .
وأبْلغَ في مَدْحِكَ مَن ذَمَّكَ بِمَا لَيْسَ فيك لأنه نَبَّه على فَضْلِكَ ولَقَدِ انْتَصرَ لَكَ مِن نَفْسِكَ بِذَلِكَ وباسْتِهْدافِهِ إلى الإنكار واللاَّئِمَةِ .
ولو علم الناقصُ نَقْصَهُ لَكَانَ كَامِلاً إذا عَدَّلَهُ .
مِن عَيْبِ حُبِّ الذِكْرِ أَنَّهُ رُبَّما يُحْبِطُ الأعمال إذا أَحَبَّ أن يُذْكَر بها لأنه

يَعْمَلُ لِغيرِ الله عز وجل .

وهو يَطْمِسُ الفَضَائِل لأنَّ صَاحِبَهُ لا يكاد يَفْعَلُ الخَيْرَ حُبًا لِلْخَيْرِ لكن لِيُذْكَرَ به .

مِن أَفْضَل نِعم الله على العبدِ أنْ يُحَبِّبَ إليه العَدْلَ ويُوَفِّقَهُ لِلْعَمل بهِ ويُحَبِّبَ إليه الحَقَ وإيْثارَهُ وَالعمل بهِ .

ومِن قِلَّةِ تَوْفِيْقِ العَبْدِ وخُذْلانه أنْ يُطْبَعَ على الجَوْر واسْتِيْسهَا لِهِ وعلى الظلم واسْتِخْفَافِهِ .

ومَن كان كذلك فلْيَيْئَسْ مِن أَنْ يُصْلِحَ نَفْسَهُ أَوْ يُقَوِّمَ طِبَاعَهُ أَبَدَ إلاَّ أن يشأ الله .

إذا حَضَرتْ مَجْلِسَ عِلْم فلا يكون حُضُوْرُكَ إلا حُضُوْرَ مُسْتَزِيْدٍ عِلْمًا وأَجرًا لا طَالبًا لِعَثْرَةٍ أَوْ زَلَّةٍ تُشَنِّعُهَا أَوْ غَرِيْبَةٍ تُشِيْعُهَا .

فإنَّ تَتَبُّعَ العَثراتِ والزَّلَاتِ أَفْعَالُ الأَرَاذَلِ والسُفَل الذين لا يُفْلِحُونَ في العلم فإذا حَضرتَهَا على طلب الاسْتِرْشَادِ فقد حَصَّلْتَ خَيْراً .

وإنْ لم تَحْضُـرها على نَيَّـةٍ صَـالِحَةٍ فَجـلُوسُك في مَنْزلك أَحْسَـنُ وَأَرْوَحُ لِبَدَنِكَ واكرم لِخُلُقِكَ وأَسْلم لِدِيْنِكَ .

فإذا حضرتها فالْتَزِمْ أَحَد ثلاثةِ أُوجُه أحدها إمَّا أن تسكت فَتَحْصُلُ على أجْـرِ النية بالمشاهدة وعلى الثناء عَليكَ بقلِةِ فُضُولِ الكلامَ وعلى كرم المجالسةَ ومَودةِ مَن تُجَالِس .

وإذا سألت فاسْأل سُؤآل المُتَعَلِّم عما لا تَدْرِي فإنَّ السُؤآل عَمَّا تَدْرِي سَخَفٌ وقِلَّةُ عَقَل ولا تخلو من العُجْب .

وفيهِ شُغْلٌ عَمَّا هُوَ أَوْلَى وفيه قَطْعٌ لِزمَانِكَ بما لا فائدة فيه لَا لَكَ ولا لِغيْرِكَ ورُبَّمَا تَرتَّبَ عليه مَفْسَدةٌ أوْ مَفاسِد .

وإذا أَرَدْتَ أن تُراجِعَ فَراجِع مُرَاجَعَةَ العَالِم .

وصِفَةُ ذلك أنْ تُعَارِضَ جَوَابَه بما ينقضُهُ نَقْضًا بَيِّنًا فإن لم يكن عندك إلا تكرار قولك أو لُمَعَارَضَةٍ بما لا يَرَاهُ خصْمُكَ معارضة فأمْسِكْ .

لِأَنَّـكَ لا تَحْصُـلُ بتكرار ذلك على أَجْرٍ زَائِدٍ ولا على تعليم بل ربما حَصَلْتَ على ما يَسُؤكَ مِن الغَيْظِ والعَدَاوَةِ .

واحْذَرْ سُؤَآل التَّعَنُّت ومُرَاجَعَةُ المكابر الذي يَطْلُبُ الغَلَبَةَ بغير علم فهما خلقا سوء دليلان على قلة الدين وضعف العقل وقوة السخف وكثرة الفضول . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فصــــــــــل)

صَلاحُ القلب بِتقوى الله وطاعتِه والتوكلِ عليه وتوحِيده واخلاص العمل لوجْههِ الكريم .

وفسادُ القلب بعدم التقوى والتوكل والطاعة والتوحيد والاخلاص .

ومما يورث فساد القلب وانْتِكَاسُهُ وفَسَادُ الأخْلاق مجالسةُ أمواتِ القُلُوب وأهـلِ الآراء الفـاسِـدَةِ وأهل البدع كالأشاعَرة والمُعْتَزِلة والرافضة والفَسَقَةِ كأهلِ الملاهِي والمنكرات .

عليك بمُجَالَسَةِ أَهْلِ الدين والصلاح فإنهم هم الناس لأن أعقل خلق الله من امْتَثَلَ أَمْرَهُ واجْتَنَبَ نهيه .

وأَجْهَلَ خَلْقِ الله مَن عَصَى اللَّهَ .

العلماء العـاملون المخلصـون هم السـالكـون طَرِيْقَةَ الرسل عليهم الصلاة والسلام .

الذين لا يَطْلُبونَ مِن الناسِ أجْـرًا على أَعْمَـالِهم بل يُرِيْدُوْن وجْهَهُ عـز وجـل قال الله جل وعلا لنبيه ﷺ ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة

والعَشِي يُريدون وجهه ﴾ وقال جل وعلا ﴿ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جَزاءً ولا شكوراً ﴾ .

قُلُوبٌ صَافِيَةٌ طَاهِـرةٌ مُعْرِضةٌ عن الخَلْقِ مُقْبِلَةٌ على الخالقِ ذاكرة لَهُ نَاسِيَة للدنيا ذاكرة للآخرة .

الجلوس مع الذين يطيعون الله نعمةٌ مِن اللَّهِ على عَبدِهِ والجلوسُ مَعَ المنافقين والمكذبين نِقْمَةٌ على العبد نَعُوذُ باللَّهِ مِن مُجَالسةِ أهل الضلال والبدع والأخلاق المنحرفة وأهل الملاهي والمنكرات .

فالواجبُ هِجْرَانُهم والابْتِعَادُ عنهم والتَّحذِيْرُ عنهم .

واهْجُرْ أيضا أقْرَانَ السُوءِ واقطع المَوَدَّةَ والصِّلَة بَيْنَكَ وبينهم وواصْلها بينك وبين الصالحين .

قال بعضهم لا تَغْتَرَّ بمَوضِعِ صالحٍ فلا مَكَانَ أَصْلَحَ مِن الجنةِ فلَقِي فيها آدَمُ مَا لَقِي ولا تَغْتَرَّ بكثرةِ العِبادَةِ فإن إبليسَ لَعَنه اللَّهُ بَعْدَ طُولِ تَعَبُّدِهِ لَقِيَ ما لَقِي .

ولا تَغْتَرَّ بكثرة العِلمِ فإنَّ بُلْعَامَ كانَ يُحْسِنُ الاسم الأَعْظَم فانظر ماذَا لَقِي .

ولا تَغْتَرَّ برُؤيَةِ الصَّالحين فلا شَخْصَ أكْبَرِ مِن المصطفى ﷺ ولم يَنتفِعْ بلقائه أعْدَاؤُهُ وبعضُ أقاربه .

وقال إذا سَمِعْتَ بحال الكفار وخُلُودَهم في النارِ فلا تأمنَ على نَفْسِكَ فإن الأمر على الخطر ولا تدري ماذا يكون مِن العاقبة وماذا سَبَقَ لك في حكم الغيب .

ولا تَغْتَرَّ بصَفَاءِ الأَوْقاتِ فإنَّ تحتَها غَوَامِضُ الآفات .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فصـــــــل)

كتب أبو حامد العَزَالِي إلى أبي الفتح بن سلامة فقال : قَرَعَ سَمْعِي بأنك تلتمِسُ مِنّي كلاماً وجِيْزًا في مَعْرِض النُصْح والوَعْظِ وإني لَسْتُ أَرَى نَفْسِي أَهْلًا له .

فإنَّ الوَعْظَ زَكاةُ نِصَابِهِ الاتِعَاضُ فَمَنْ لانِصَابَ لَهُ كَيْفَ يُخْرِجُ الزكاةَ وفَاقِدُ النُور كَيْفَ يَسْتَنِيْرُ به غَيْرُه ومَتَى يَسْتَقِيْمُ الظِلُ والعُود أعْوَجُ .

وقد أَوْصَى اللَّهُ جَلَّ وعَلاَ عِيْسَى بنَ مَرْيَم عَلَيْهِما السلام يا ابنَ مَرْيَم عِظْ نَفْسَكَ فإن اتَّعَظَتْ فعِظِ الناسَ وإلاَّ فاسْتَحْيِي مني .

وقال نبيُنا ﷺ تركتُ فيكم ناطقًا وصَامتًا فالناطِقُ هو القرآن والصامتُ هو الموت وفيهما كفاية لكل مُتَّعِظ فَمَنْ لم يَتَّعِظْ بهما كَيْفَ يَعِظُ غَيْرَه .

ولقد وعَظْتُ نَفْسِي بهمَا وقَبِلَتْ وصَدَّقَتْ قولاً وعِلْما وأبَتْ وتمَرَّدَتْ تَحْقِيْقًا وفِعْلا .

فقلت لِنَفْسِي أما أَنْتَ مُصَدِّقَة بأن القرآن هو الواعظ وأنه كلام الله المنزل الذي ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه وَلاَ من خلفه ﴾ فقالَت بَلَى فَقُلْتَ لها قد قال الله تعالى ﴿ مَن كان يريد الحياة وزينتها نُوفِّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يُبْخَسون أولَئك الذين ليس لهم في الاخرة إلا النار وحَبِطَ ما صَنَعُوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾ .

فقد وعَدَ اللَّهُ جَلَّ وعَلاَ بالنار على إرادة الدنيا وكل ما لا يصحب بعد الموت فهو من الدنيا فهل تَنَزَّهْتِ عن حُبّ الدنيا وإرادتها .

ولَوْ أَنَّ طَبِيْبًا نَصْرَانِيًا وعدك بالموت أو بالمرض على تناوُل الَذِّ الشهوات لَتَحَامَيْتِيْهَا وأَنِفْتَ منا وجَنَّبْتِهَا أَفَكانَ النصراني عندَكِ أَصدَقَ مِن الله جل وعلا .

فإن كان كذلك فما أَكْفَرَكِ أم كان المرض أشد عَلَيْكِ مِن النار فإن كان كذلك فما أَجْهلكِ فَصَدَّقَتْ ثم ما انْتَهَتْ بل أصرت على الميل إلى العاجلة واسْتَمَرَّتْ .

ثُمَّ أَقْبَلْتُ عليهـا فَوَعَظْتُها بالواعظ فَقُلْتُ لها قد قال الله جل وعلا ﴿ قل إن الموت الذين تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ .

وقلت لها هَبي أنَّكِ مِلْتِ إلى العاجلة أَفَلَسْتِ مُصَدِّقةً بأن الموتَ لا مَحَالةَ يأتيْك قاطِعًا عَليْكِ ما أَنْتَ مُتمسِّكةٌ به وسَالِبًا مِنْكِ كُلَّ ما أَنْتِ راغبة فيه .

وأن كُلَّ ما هو آتٍ قريب وقـد قال الله جل جلالـه ﴿ أفـرأيتَ إنْ مَتَّعْنَاهُم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغْنَى عنهم ما كانوا يُمَتَّعُون ﴾ .

وقـال مُخْبِرًا عن نَفْسِـهِ عِنْـدَمَـا وَعَـظَهَا ولم تجتهد في التَّزَوُّدِ لِلْآخِرةِ كاجتهادها في تَدْبِيْرِ العَاجِلةِ ولم تجتِهدْ في رضا الله كاجتهادها في طَلَبِ رِضَاهَا وطَلَبِ رِضَا الخَلْقِ .

ولم تَسْتَحِى مِنَ اللّهِ تعالى كما تَستحِي من واحدٍ من الخَلْقِ ولم تُشَمِّرْ للإِسْتِعْـدَادِ للآخـرة كَتَشْمِيْرِها في الصَّيْفِ لأجل الشتَاءِ وفي الشِتَاءِ لأَجْل الصَّيف فإنها لا تطمئن في أوائل الشتاء ما لم تتفرغ عن جميع ما تحتاج إليه فيه مَعَ أنَّ الموتَ رُبَّما يَخْطِفُها والشِتَاءُ لا يُدْرِكُها .

فَقُلْتَ لها أَلَسْتِ تَسْتَعِدِّيْنَ لِلصَّيْفِ بِقَدْرِ طُوْلِهِ وتَصْنَعِينَ لَهُ آلة الصيف بقدر صبرك على الحر قالت نعم .

ثم اسْتَمرت على سَجِيَّتِها ولَمَّا رَأَيْتُهَا مُتَمادِيَةً في الطُغْيَان غير مُنْتفِعَةٍ

بِمَـوْعِـظَةِ الموت والقُرآن رَأَيْتُ أَهَـمَّ الأمور التَّفْتِيْشِ عن سَبَبِ تَمَادِيْهَا مَعَ اعْتِرَافِهَا وتَصْدِيْقَها فإن ذلك مِن العَجَائِبِ العَظِيْمَةِ .

فَطَالَ تَفْتِيْشِي عنه حَتى وقَفْتُ على سَبَبِه وها أنا ذَا مُوص نَفْسِي وإيَّاكَ بالحَذَرِ منه فهو الداء العظيم وهو السبب الداعي إلى الغرُوْرِ والإهمال .

وهو اعْتِقَادُ تَرَاخِي الموت واسْتِبْعَادُ هُجُومِهِ على القُرب فإنَّهُ لو أُخْبِرَ صَادِقٌ في بَيَاضِ نَهَارِهِ أنَّه يَمُوْتُ في لَيْلَتِهِ أَوْ يَمُوْتُ بَعْدَ أُسْبُوْعٍ أَوْ شَهرٍ لاسْتَقَامَ واسْتَوى على الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْم .

فانْكشَفَ لي تحقيقًا أنَّ مَن أَصْبَحَ وهو يُؤَمِّلُ أنه يُمْسِي أَوْ أمْسَى وهو يؤمِّلُ أنْ يُصْبِحَ لم يَخْلُ مِن الفُتُورِ والتَّسْوِيْف .

فأُوْصِيْكَ ونَفْسِي بما أوصَى به رسولُ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ قال « صَلِّ صلاةَ مُوَدِّعٍ » ولَقَدْ أُوْتِيَ جَوَامِعَ الكَلِم وفصل الخطاب ولا ينتفع بوعظ إلا به .

ومَن غلبَ على ظَنِهِ في كل صلاة أنها آخرُ صَلاتِهِ حَضَرَ مَعَهُ خَوْفُهُ مِن الله تعالى وخَشْيَتُهُ منه .

بخلاف مَن لم يخطر بخاطِرِهِ قِصَرُ عُمُرِهِ وقُرْبُ أجلِهِ وغَفَلَ قَلْبُه عن صلاته وسَئِمَتْ نَفْسُهُ فلا يَزَالُ في غَفْلَةٍ دَائمةٍ وفُتُورٍ مُسْتَمِر وتَسْوِيْفٍ مُتَتَابِعٍ إلى أنْ يُدْرِكَهُ الموتُ ويهلكه حَسْرَة الفَوْتِ .

فعلى الإنسان العاقل أن يَحْذَرَ مَواقعَ الغُرور ويَحْترِزْ مِن خِدَاعِ النفس فإن خداعها لا يقف عليه إلا الاكياس وقليل ما هم .

والـوصايا وإنْ كانَت كثيرةً والمذكورَاتُ وإن كانَتْ كبيرةً فَوَصِيَّةُ اللَّهِ أَكْمَلُهَا وأَنْفَعُهَا وأَجْمَعُهَا وقد قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ ولقد وَصَّيْنا الذين أوتو الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ﴾ فما أَسْعَدَ مَن قبل وَصِيَّةَ اللَّهِ وعَمِلَ بها وادَّخَرَهَا لِيَجدَها يَومَ مَرَدِّهَا ومُنْقَلَبَهَا .

عَصَمَنَا اللّهُ وإيَّاكُمْ مِنْ الزَّلَل وَوَفَّقَنَا لِصَالح العَمَل وَهَدَانَا بفَضْلِه سَبيْلَ الرَّشَادِ وَطَرِيْقَ السَّدَادِ إِنَّهُ جَلَّ شَأنُهُ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيْرِ وَصَلَّى اللّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْــــلٌ)

وَقَال ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ لا يَتِمُّ الرَّغْبَةُ في الآخِرَةِ إلاَّ بالزُّهْدِ في الدُّنْيَا وَلاَ يَسْتَقِيْمُ الزُّهْدُ في الدنيا إلاَّ بَعْدَ نَظَرَيْنِ صَحِيْحَيْنِ : نَظَرٌ في الدُّنْيَا وَسُرْعَةِ زَوَالِهَا وَفَنَائِهَا وَاضْمِحْلاَلِهَا وَنَقْصِهَا وَخِسَّتِهَا وأَلَمِ المُزَاحَمَةَ عَلَيْهَا وَالحِرْصِ عَلَيْهَا وَمَا فِي ذَلِكَ مِنْ الغُصَصِ وَالنَّغَصِ وَالأَنْكَادِ .

وَآخِر ذَلكَ الزَّوَالُ وَالأَنْقِطَاعِ مَعَ مَا يُعْقِبُ ذَلِك مِن الحَسْرَةِ وَالأَسَفِ فَطَالِبُهَا لاَ يَنْفَكُّ مِنْ هَمٍّ قَبْلَ حُصُوْلِهَا وَهَمٍّ في حَالِ الظَّفَرِ بِهَا وَغَمٍّ بَعْدَ فَوَاتِهَا فَهَذَا أَحَدُ النَّظَرَيْن .

(النَّظَرُ الثَّانِيْ) النَّظَرُ في الآخِرَةِ وَاقْبَالِهَا وَمَجِيْئِهَا وَلاَ بُدَّ وَدَوَامِها وَبَقَائِهَا وَشَرَفِ مَا فِيْهَا مِن الخَيْرَاتِ وَالْمَسَرَّاتِ وَالتَّفَاوتِ الذي بَيْنَهُ وَبين مَا هَهُنَا فهي كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ﴿ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ فَهي خَيْرَاتٌ كَامِلَةٌ دَائِمَةٌ ، وَهَذِهِ خَيَالاَتٌ نَاقِصَةٌ ، مُنْقَطِعَةٌ مُضْمَحِلَّةٌ .

فَإِذَا تَمَّ لَهُ هَذَانِ النَّظَرَانِ آثَرَ مَا يَقْتَضِي العَقْلُ إِيْثَارهُ وَزَهِدَ فِيْمَا يَقْتَضِي الزُّهْدَ فِيْهِ فَكُلُّ أَحَدٍ مَطْبُوْعٌ على أَنْ لاَ يَتْرُكَ النَّفْعَ العَاجِلَ وَاللذَةِ الحَاضِرَةِ إلى النَّفْعِ الآجِلِ وَاللَّذَّةِ الغَائِبَةِ الْمُنْتَظَرَةِ إلاَّ إِذَا تَبَيَّنَ لَهُ فَضْلُ الآجِلِ عَلَى العَاجِلِ وَقَوِيَتْ رَغْبَتُهُ في الأَعْلَى الأفضل فإذا آثَرَ الفَانيَ الناقصَ ، كان ذلك إما لِعَدَمِ تَبيُّن الفضْل لَهُ وإمَّا لِعَدَهم رَغْبَتِهِ في الأَفْضَل .

وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ الأَمْرَيْنِ يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ الأَيْمَانِ وَضَعْفِ العَقْلِ وَالبَصِيْرَةِ فَانَّ الرَّاغِبَ فِي الدُّنْيَا الحَرِيْصَ عَلَيْهَا المُؤْثِرَ لَهَا إمَّا أنْ يُصَدِّقَ أَنَّ مَا هُنَاكَ أَشْرَفُ وَأَفْضَلُ وَأَبْقَى وَأَمَّا أنْ لا يُصَدِّقَ فإنْ لَمْ يُصَدِّقْ بِذَلِكَ وَلَمْ يُؤْثِرْهُ كَانَ فَاسِدَ العَقْلِ سَيِّءَ الأَخْتِيَارِ لِنَفْسِهِ .

وَهَذَا تَقْسِيْمٌ حَاصِرٌ ضَرُوْرِيٌّ لَا يَنْفَكُّ العَبْدَ مِن أَحَدِ القِسْمَيْنِ مِنْهُ فَإِيْثَارُ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ إمَّا مِنْ فَسَادٍ فِي الأَيْمَانِ وَإمَّا مِن فَسَادٍ فِي العَقْلِ وَمَا أَكْثَرَ مَا يَكُونُ مِنْهُمَا وَلِهَذَا نَبَذَها رَسُولُ اللَّهِ صَلى اللَّهُ عليه وسلَّم وَرَاءَ ظَهْرِهِ هُوَ وَاصْحَابُهُ ، وَصَرَفُوا عَنْهَا قُلُوْبَهُم وَاطَّرَحُوْهَا وَلَمْ يَأْلَفُوْهَا وَهَجَرُوْهَا وَلَمْ يَمِيْلُوا إليها وَعَدُّوْهَا سِجْناً لا جَنَّةً فَزَهِدُوا فيها حَقِيْقَةَ الزُّهْدِ وَلَو أَرَادُوْهَا لَنَالُوا مِنْهَا كُلَّ مَحْبُوبٍ وَلَوَصَلُوا مِنْهَا إلى كُلِّ مَرْغُوبٍ .

فَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ مَفَاتِيْحُ كُنُوزِهَا فَرَدَّهَا وَفَاضَتْ عَلَى أَصْحَابِهِ فَأثَرُوا بِهَا وَلَم يَبِيْعُوا بِهَا حَظَّهُم مِن الآخِرَةِ بِهَا وَعَلِمُوا أَنَّهَا مَعْبَرٌ وَمَمَرٌّ لَا دَارُ مَقَامٍ وَمُسْتَقَرٍّ وأَنَّهَا دَارُ عُبُورٍ لَا دارُ سُرُوْرٍ وَأنها سَحَابَةُ صَيْفٍ تَنْقَشِعُ عن قليلٍ وَخَيَالُ طَيْفٍ مَا اسْتَتَمَّ الزِّيَارَةَ حتى آذَنَ بالرَّحِيْلِ .

قَالَ النبي صَلى اللهُ عليه وسلم « مَا لِي وَللدُّنْيَا إنَّمَا أنَا كَرَاكِبٍ مَالَ في ظِلِّ شَجَرةٍ ثم رَاحَ وَتَرَكَهَا » وقال « ما الدنيا في الآخرةِ إلا كَمَا يُدخل أَحَدُكُم أصْبُعَهُ في اليَمِّ فَلْيَنْظُر بِمَ تَرْجِع » .

وقَالَ خَالِقُهَا سُبحانه « إنَّما مَثَلُ الحَيَاةِ الدنيا كَماءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِن السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأرضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأنْعَامُ حَتَّى إذا أخَذَتِ الأرْضُ زُخْرفَها وَازَّيَنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُم قَادِرُوْنَ عَلَيْها أَتَاهَا أمْرُنا لَيْلاً أوْ نَهاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيْداً كَأنْ لَمْ تَغْنَ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُوْنَ وَاللَّهُ يَدْعُو إلى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِيْ مَنْ يَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ ».

فَأَخْبَرَ عَن خِسَّةِ الدنيا وَزَهَّدَ فيها وأخبَرَ عن دَارِ السَّلَامِ وَدَعَا إليها وقَال تعالى ﴿ وَاضْرِبْ لهم مَثَلُ الحَيَاةِ الدنيا كَماءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِن السَّماءِ فاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأرض فأَصْبَحَ هَشِيْمَاً تَذْرُوْهُ الرياحُ وَكانَ اللهُ على كُلِّ شَيءٍ مُقْتَدرا• المالُ والبنُونَ زِيْنَةُ الحَيَاةِ الدنيا وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخيْرٌ أَمَلا ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِيْنَةٌ وَتَفَاخر بَيْنَكُم وَتَكَاثُر في الأَمْوَالِ وَالأوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أعَجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثم يَكُونُ حُطَاماً وفي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيْدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ اللهِ ورِضْوَانٌ ومَا الحَيَاةُ الدنْيَا إلاَّ مَتَاعُ الغُرُوْرِ﴾ .

وَقَالَ ﴿ زيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَهَوَاتِ مِن النِّسَاءِ وَالبَنِيْنَ وَالقَنَاطِير المقَنْطَرَةِ مِن الذهبِ والفِضَّةِ والخَيْلِ المُسَوَّمَةِ والأَنْعَامِ وَالحَرْثِ ذلِكَ مَتَاعُ الحَيَاة الدنيا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المآبِ ﴿قُل أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذِلِكُمْ لِلَّذِيْنَ اتَّقوا عِنْدَ رَبِّهِم جَنَّاتٌ تَجْرِي مَنْ تَحْتِهَا الأَنْهَار خَالِدِيْنَ فِيْهَا وَازْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ وَاللهُ بِصِيْرٌ بِالعِبَادِ ﴾

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَفَرِحُوا بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا في الآخِرَةِ إلاَّ مَتَاعٌ ﴾ وَقَدَ تَوَعَّدَ سُبْحَانَهُ أَعْظَمَ الوَعِيْدِ لِمَنْ رَضِيَ بالحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّ بِهَا وَغَفَلَ عَنْ آيَاتِهِ وَلَمْ يَرْجُ لِقَاءَهُ فَقَالَ ﴿ إنَّ الذِيْنَ لا يَرْجُوْنَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بالحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا ـ وَالذِيْنَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ• أُولئِكَ مَأوَاهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ وَعَيَّرَ سُبْحَانَهُ مَنْ رَضِيَ بالدُّنْيَا مِن المؤمِنِينَ فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوا مَالَكُمْ إذَا قِيْلَ لَكُم انْفِرُوا في سَبِيلْ اللهِ اثَاقَلْتُمْ إلى الأرْضِ ، أَرَضِيْتُم بِالحَيَاةِ الدّنْيَا مِنْ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدّنْيَا في الآخِرَةِ إلاَّ قَلِيْل ﴾ .

وَعَلَى قَدْرِ رَغْبَةِ العَبْدِ في الدُّنْيَا وَرِضَاهُ بهَا يكونُ تَثاقُلُهُ عَنْ طَاعَةِ اللّهِ وَطَلَبِ الآخِرَةِ وَيَكْفِي في الزُّهْدِ في الدُّنْيَا قولُـهُ تَعَالى ﴿ أَفرأيْتَ إن مَتَّعْنَاهُم سِنِيْنَ. ثمَّ جَاءَهُم مَا كانوا يُوْعَدُوْنَ ما أغْنَى عَنْهُم مَا كَانُوا يُمَتَّعُوْنَ ﴾ وَقَوْلُهُ .

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُم كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إلاَّ سَاعَةً مِنْ النَّهَارِ يَتَعارَفُوْنَ بَيْنَهُمْ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوْعَدُوْنَ لَمْ يَلْبَثُوا إلاَّ سَاعَة مِن نَهارٍ بَلاَغٌ فَهَل يُهْلَكُ إلاَّ القَوْمُ الفاسِقُوْنَ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ يَسْأَلُوْنَكَ عَن السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاها . فِيْمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا .إلى رَبِّكَ مُنْتهاهَا. إنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا .كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إلاّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاها ﴾ .

وَقَوْلُهُ ﴿ وَيَوْمَ تَقُوْمُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ المُجْرِمُوْنَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ وَقَوْلُه ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُم في الأرْضِ عَدَدَ سِنِيْنَ . قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمَاً أوبَعْضَ يَوم فَاسْألِ العَادِّيْنَ . قَالَ إنْ لَبِثْتُم إلاَّ قَليلاً لَوْ أَنَّكُم كُنْتُم تَعْلَمُون ﴾ وَقَولُهُ ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ في الصـورِ وَنَحشُرُ المُجْرِمِيْنَ يَوْمَئِذٍ زُرْقا . يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إنْ لَبِثْتُم إلاَّ عَشْرا . نَحْنُ أعْلَمُ بِمَا يَقولُونَ إذْ يَقُولُ أمْثَلُهُم طَرِيْقَة إنْ لَبِثْتُم إلاَّ يَوْمَاً ﴾ وَاللّهُ أَعْلَمُ وَصَلى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

خُـلِقْـنَـا لأَحْـدَاثِ الـليـالِـي فَـرائسـاً
تـزَفُّ إلـى الأجـداثِ مِنَّـا عَـرائِـسـاَ

تُجَهِّـز مِنَّـا لِلْقُـبـور عَسَـاكِـراً
وتُـرْدِفُ أعـوادُ المـنـايـا فَـوارِسـاَ

إذا أمَـلٌ أرْخَـى لَنَـا مِـن عِنَـانـه
غَـدَا أجَـلٌ عَمَّـا نُحـاوِلُ حَابِـسـاَ

أَرَى الـغُـصْـنَ لَمَّـا اجْـتُـثَّ وهـو بمـائِـه
رَطـيبـاً ومـا إنْ أَصْبَـحَ الغُصْـن يابسـاَ

نَشِـيدُ قُصُـوراً لِلْخُـلُودِ سَـفَـاهَـةً
وَنَـصـبِرُ مـا شِـئـنـا فُتُـوراً دَوَارِسـاَ

وقـد نَعَـتِ الـدُّنـيـا إلـينَا نُفُـوسَنـا
بِمَـنْ مَـاتَ مِنَّـا لَو أصَـابَتْ أكَـايسـاَ

لَقَـد ضَـرَبَـتْ كِسْـرَى المُلُوكِ وتُـبَّـعـا
وقَـيْصَـرَ أمْـثَـالاً فـلم نَـرَ قَائِـسـاَ

نَـرَى ما نَـرى مِنهـا جِهَـارا وقـد غَـدَا
هَـوَاهَـا عَـلى نُـور الـبَـصِـيرةِ طَـامِـسـاَ

وقـد فَضَـح الـدنيـا لَنَـا الموتُ وَاعِظَـاً
وهَـيْهَـاتَ مـا نَـزْدَادُ إلا تَقَـاعُـسـاَ

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا بَدِيْعَ السَّمَواتِ وَالأَرْض نَسْأَلُكَ أَنْ تُوَفِّقَنا لِمَا فِيهِ صَلاَحُ دِيْنِنَـا وَدُنْيَانَـا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَـا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

مَوْعِظَةٌ : عِبَادَ اللَّهِ انَّ النَّاسِ فِي هَذِهِ الحَيَاةَ انْقَسَمُوا قِسْمَيْنِ قِسْمٌ جَعَلُوا غَايَتَهُم الأَكْـلُ والشُّرْبُ وَالتَّمَتـع بِملاَذِّ الدنيَا مِنْ مَسَاكِنَ وَمَلاَبِسَ وَقَضَاءِ وَطَرٍ وَلَيْسَ وَرَاء هَذِهِ الغَايَةِ عِنْدَهُمْ غَايَةٌ أُخْرَى فَهُمْ يَقْضُونَ أَوْقَاتَهُمْ يَصْرِمُوْنَ أَعْمَارَهُمْ لِيَتَمَتَّعُوا مَا وَسِعَهُم التَّمَتُّعُ فَمَا بَعْدَ نَظَرِهِمْ الكَلِيْلِ الحَسِيْرِ وَقُلُوبِهِم المَيِّتَةِ إلاّ العَدَمَ وَالفَنَاءُ .

وَهَؤُلاءِ هُمْ جُنْدُ الشَّيْطَانِ شَرُّ خَلْقِ اللّهِ وَأَشْقَاهُمْ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَذَرْنِي وَالمُكَـذِبِيْنَ أُوْلِيْ النَّعْمَـةِ وَمَهِّلْهُم قَلِيْلا ﴾ وَقَـالَ ﴿ وَالذِيْنَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُوْنَ كَمَا تَأْكُلُ الأنعامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَّهُمْ ﴾ فَهُمْ صَارُوا كَالأَنْعَام لا يَخْتَلِفُوْنَ عَنْهَا إلاَّ فِي الصُّورَةِ وَالشَّكل وَإلاَّ فِي دُخُولِهِم النَّارَ وَلِذَلِكَ قَالَ اللّهُ جلَّ وَعَلا

﴿ إنْ هُمْ إلاَ كالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيْلاَ ﴾ .

تِلْكَ هِيَ غَايَةُ هَذَا الصِّنْفِ أمَّا مَرْكَزُهُم بَيْنَ النَّاس فَهُوَ مَرْكَزُ الأفْسَادِ والأضْلالِ وَمآلُهُمْ جَمِيْعاً دُخُوْلُ النَّار ، قالَ تَعَالَى ﴿ لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الذِيْنَ كَفَرُوا في البِلاَدِ مَتَاعٌ قَلِيْلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المِهَادِ ﴾ وَقَالَ ﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإنَّ مَصِيْرَكُمْ إلى النَّارِ ﴾ .

الصِّنْفُ الثَّانيْ الذِينَ عَرَفُوا الحَقِيْقَةَ وَالغَايَةَ التِيْ خُلِقُوا لَهَا عَرَفُوا أَنَّ اللَّه خَلَقَهُم لِعِبَـادَتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والأنْسَ الَّا لِيَعْبُدُوْن ﴾ أَيْقَنُوا بِقَوْلِهِ تَعَالى ﴿ يَا أَيُّها الأنْسَانُ إنَّكَ كَادِحٌ إلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاَقِيْهِ ﴾ فَغَايَتُهم كَمَا تَقَدَّمَ عِبَادَةُ اللَّهِ .

وَمِنْهَا الجِهَادُ في سَبيْلِ اللَّهِ وَالدَّعْوَةُ إلَيْهِ وَعِمَارَةُ الأرْضِ بِفِعْلِ الخَيْرِ وَهِـدَايَةُ الحَيَارَى إلى الحَقِّ وَقِيَادَتُهمْ في دُرُوْبِ الحَيَاةِ الـدنيَا وَوَرَاءَهَا الغَايَةُ العُظْمَى وَالعُليا وَهِيَ ابْتِغَاءُ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَحْدَهُ جَلَّ جَلاَلُهُ .

قَالَ اللَّهُ تَعَـالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوْا واعبُدُوا رَبكم وَافْعَلُوا الخَيْرَ لَعَلَّكُم تُفْلِحُوْنَ . وَجَاهِدُوْا في اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُم وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ في الدِّيْنِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيْكُمْ إبْرَاهِيْم هُوَ سَمَّاكُمْ المُسْلِمِيْنَ من قبلُ وفي هَذَا ليَكُونَ الرَّسُوْلُ شَهِيْدَاً عَلَيْكُم وَتَكُونوا شُهَدَاءَ على الناسِ فَأقِيْمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيْرِ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُم على تِجَارَةٍ تُنْجِيْكُم مِن عَذَابٍ ألِيْم ، تُؤمِنُـوْنَ باللَّهِ وَرَسُـولِـه وَتُجَـاهِـدُوْنَ في سبيلِ الله بِأمْـوَالِكُم وأَنْفُسِكُم ذلِـكَ خَيْرٌ لكُم ان كُنتُم تَعْلَمُونَ ، يَغْفِرْ لكُم ذُنُوبكُم وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي من تَحْتِهَا الأنْهَارُ وَمَسَاكِنُ طَيِّبَةٍ في جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الفَوْز العَظِيْم ﴾ .

هَذِهِ مُهِمَّةُ المُسْلِمِ وَغَايَتُهُ فيها عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ وَجِهَادُهُ في سَبِيلِهِ يُجَاهِدُ نَفْسَهُ حَتَّى يَحْمِلَهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَيُبْعِدَهَا عَنْ المَعْصِيَةِ جُهْدَهُ وَيُجَاهِدُ بِقَلَمِهِ وَلِسَانِهِ وَمَالِهِ وَيَدِهِ في سَبِيْلِ اللَّهِ حَتَّى تَعْلُو كَلِمَةُ اللَّهِ ويَسْتَنِيْرَ البَشَرُ بِنُوْرِ الإِسْلَامِ .

وقَدْ اخْتَارَ اللَّهُ المُسْلِمِيْنَ لِهَذِهِ المُهِمَّةِ الخَطِيرَةِ مُهِمَّة دَلَالَةِ الناسِ وَقِيَادَتِهِم وَإِخْرَاجِهِم مِنْ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ فَلَا مَجَالَ لِلتَّخَلِّيْ عَنْ هَذِهِ المُهِمَّةِ الشَّرِيْفَةِ هَذِهِ طَرِيْقَةُ الرُّسُلِ عَلَيْهِم أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلَامِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُم في رَسُوْلِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ .

وَقَالَ صَلى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ المُسْلِمِيْنَ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ حَالِهِ وَلَا يُعْذَرُ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُم أمةً وَسَطاً لِتَكُونوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُوْنَ الرَّسُوْلُ شَهِيْداً عَلَيْكُم ﴾ .

فَالذِي يَقُولُ إِنَّهُ مُسْلِمٌ عليه أَنْ يُبَلِّغَ وَيَدْعُو وَيُؤَدِّي هَذِهِ الشَّهَادَةِ لِهَذَا الـدِّيْنِ شَهَادَةً تُؤَيِّدُ حَقَّ هَذَا الدِّيْنِ في البَقَاءِ وَيُؤَيِّدُ الخَيْرَ الذِي يَحْمِلَهُ هذا الدِّيْنُ لِلْبَشَرِ .

وَهُـوَ لا يَؤَيِّـد هَذِهِ الشَّـهَادَة تَمَاماً حَتَّى يَجْعَـلَ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ خُلُقِـهِ وَمِنْ سُـلُوْكِهِ وَمِنْ حَيَـاتِهِ صُوْرَةً لِهَذَا الدِّيْنِ صُوْرَةً يَرَاهَا النَّاسُ فَيَرَوْنَ فِيهَا مَثَلًا رَفِيْعاً يَشْهَدُ لِهَذَا الدِّيْنِ الأَسْلَامِيّ بالأحَقِيَّةِ في الوُجُودِ بالخَيْرِيَّةِ وَبالأَفْضَلِيَّةِ عَلَى سَائِرِ مَا فِيْ الأَرْضِ .

فَالشَّهَادَةُ في النَّفْسِ أَوَّلًا بِمُجَاهَدَتِهَا حَتَّى تَكُونَ تَرْجَمَةً لَهُ تَرْجَمَةً حَيَّة في شُعُورِهَا وَسُلُوكِهَا حَتَّى صُوْرَةُ الأَيْمَانِ في هَذِهِ النَّفْسِ فَيَقُولُوْا ما أَطْيَبَ هَذَا الأَيْمَانِ وَمَا أَحْسَنُهُ وَمَا أَزْكَاهُ .

وَهُوَ يَصُوغُ أَصْحَابَهُ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ مِن الخُلُقِ وَالكَمَالِ فَتَكُونُ هَذِهِ شَهَادَةً لِهَذَا الدِّيْنِ في النَّفْسِ يَتَأَثَّرُ بِها الآخَرُوْنَ وَالشَّهَادَةُ لَهُ بِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ وَبَيَانِ فَضْلِهِ وَمَحَاسِنِهِ وَمَزِيَّتِهِ بَعْدَ تَمَثُّلِ هَذَا الفَضْلِ .

وَهَذِهِ المَزِيَّةُ في نَفْسِ الدَّاعِيَةِ فَمَا يَكفِي أَنْ يُؤَدِّيَ المُؤْمِنَ الشَّهَادَةَ لِلايْمَانِ في ذَاتِ نَفْسِهِ إِذَا هُوَ لَمْ يَدْعُ إِلَيْهَا النَّاسَ وَمَا يَكُوْنُ قَد أَدَّى الدَّعْوَةَ والتَّبْلِيْغَ وَالبَيَانَ قَال تعالى ﴿ ادْعُ الى سَبِيلِ رَبِّكَ بالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بالتِيْ هِيَ أَحْسَنُ ﴾ وَقَال ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيْلِيْ أَدْعُو إِلى اللهِ عَلَى بَصِيْرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِيْ ﴾ الآية .

ثُمَّ الشَّهَادَةُ لِهَذَا الدِّيْنِ بِمُحَاوَلَةِ إِقْرَارِهِ في الأَرْضِ مَنْهَجاً لِلْجَمَاعَةِ المُؤْمِنَةِ وَمَنْهَجاً لِلْبَشَرِيَّةِ جَمِيْعَا والمُحَاوَلَةِ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ الفَرْدُ مِنْ وَسِيْلَةٍ وَبِكُلِّ مَا تَمْلِكُ الجَمَاعَةُ مِنْ وَسِيْلَةٍ .

فَإِقْرَارُ هَذَا المَنْهَجِ في حَيَاةِ البَشرِ هُوَ كُبْرَى الأَمَانَاتِ بَعْدَ الأَيْمَانِ الذَّاتِيّ وَلَا يُعْفَى مِنْ هَذِهِ الأَمَانَةِ الأَخِيْرَةِ فَرْدٌ وَلَا جَماعَةٌ وَمِنْ ثَمَّ فَالجِهَادُ مَاضٍ إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ أ هـ .

اللَّهُمَّ خَفِّفْ عَنَّا الأَوْزَارَ وَارْزُقْنَا عِيْشَةَ الأَبْرَارِ وَاصْرِفْ عَنَّا شَرَّ الأَشْرَارِ واعْتِقْ رِقَابَنَا وَرِقَابَ آبائِنَا وَأُمَّهاتِنَا مِنْ النَّارِ يَا عَزِيْزُ يا غَفَّارُ يَا كَرِيْمُ يَا سَتَّارُ وَيَا حَلِيْمُ يَا جَبَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

شِعْرَاً :

لَقَدْ عَفَتْ مِنْ دِيَارِ العِلْمِ آثَارُ
فَأَصْبَحَ العِلْمُ لا أَهْلٌ وَلَا دَارُ

يَـا زَائِـرِيْنَ دِيَـارَ العِلْمِ لاَ تَفِـدُوا
فَمَـا بِـذَاكَ الحِمَى وَالـدَّارِ دَيَّـارُ
تَـرَحَّـلَ القَـوْمُ عَنْهَـا وَاسْتَمَـرَّ بِهِم
مُشَمِّـرٌ مِنْ حُـدَاةِ البَيْنِ سَيَّـارُ
قَدْ أَوْرَدَ القَوْمَ حَادِيْهِم حِيَاضَ رَدَى
فَمَـا لَهُم بَعْـدَ ذَاكَ الـوِرْدِ اصْدَارُ
لَهَفِيْ عَلَى سُرُجِ الدُّنْيَا الَتِي طَفِئَتْ
وَلاَ يَـزَالُ لَهَـا فِي النَّـاسِ أَنْـوَارُ
لَهَفِيْ عَلَيْهِمْ رِجَـالاً طَـالَمَـا صَبَرُوا
وَهَـكَـذَا طَـالِبُ العَلْيَـاءِ صَبَّـارْ
لَهَفِيْ عَلَيْهِم رِجَـالاً طَـالَما عَـدَلُـوا
بَيْنَ الأَنَـامِ وَمَـا حَـابَـوْا وَلاَ جَـارُوْا
مَـالُـوا يَمِيْنَـاً عَنْ الـدُّنْيَـا وَزَهْـرَتِهَـا
لِأَنَّهَـا فِي عُيُـوْنِ القَـوْمِ أَقْـذَارُ
وَصَـاحَبُـوْهَـا بِـأَجْسَـادٍ قُـلُوْبُهُـم
طَيْرٌ لَهَا فِي ظِـلاَلِ العَرْشِ أَوْكَـارُ
هُم الـذِيْنَ رَعَـوا لِلْعِلْمِ حُـرْمَتَـهُ
لِـلعِلْمِ بَيْـنَـهُـم شَـأْنٌ ومِـقْـدَارُ
صَـانُـوْهُ طَـاقَتَهُم عَنْ مَا يُـدَنِّسُـهُ
كَمَـا يَصُـونُ نَفِيْسَ المَـالِ تُجَّـارُ
وَأَحْسَنُـوا فِيـهِ تَصْـرِيْفـاً ,لأَنَّهُـم
لَـهُـمْ مِـن اللهِ تَـوْفِـيْقٌ وإِقْـدَارُ
رَأَوْهُ كَـالنَّجمِ بُعْـدَاً لَيْسَ يُـدْرِكُـهُ
بَـاعٌ قَصِيْـرٌ وفَـهْم فِيْـهِ إِقْصَـارُ

اللهم أَلْهِمْنا القيامَ بحقك ، وبارِكْ لنا في الحلال مِنْ رزقك ، ولا تفضحنا بين خلقك ، ياخيرَ مَنْ دعاه داعٍ وأفضلَ مَنْ رجاه راجٍ ياقاضِيَ الحاجاتِ وياجيبَ الدعواتِ هَبْ لنا ماسألناه وحَقِّقْ رجاءَنا فيما تمنيناه وأمّلْناه يامَنْ يملكُ حوائجَ السائلينَ ويعلمُ مافي ضمائر الصامتين ، أذقْنا بَرْدَ عفوك ، وحلاوة مغْفِرتك ، ياأرحمَ الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

٢٦ موعظة

عِبَادَ اللهِ كُلُّنَا يَعْلَمُ أَنَّ الزِّنَا مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ وَأَنَّ فِيْهِ فَسَاداً لِلزَّانِي وَالزَّانِيَةِ أَمَّا فَسَادُهُ لِلزَّانِيَةِ فَهُوَ وَاضِحٌ لأنها بِذَلِكَ الجُرْمُ العَظِيْمُ ـ جُرْمُ الزِّنَا ـ تَجِدُ حَلاَوَةً ، فَتُفْسِدُ كُلَّ مَنْ اتَّصَلَ بِهَا ، فَيُصْبِحُوْنَ في تَعَلُّقِهِم بالنِّسَاءِ كالكَلْبِ المَسْعُورِ هَذَا مِنْ جِهَةٍ وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى تُفْسِدُ فِرَاشَ زَوْجِهَا إنْ كَانَتْ ذَاتَ زَوْجٍ وَرُبَّمَا ادْخِلَتْ عَلَيْهِ أَوْلاَداً مِنَ الزِّنَاةِ يُنْفِقُ عَلَيْهِمْ طُوْلَ حَيَاتِهِ وَيَرِثُوْنَ مِنْهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، وَيَتَفَوَّظُونَ حَرَمَ الزَّوْجِ ، وَرُبَّمَا تَوَلَّوا عَقْدَ نِكَاحٍ لَهُنَّ ، أَوْ صَارُوا مَحَارِمَ لَهُنَّ في حَجٍّ أو نَحْوِ ذَلِكَ نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ وَمِنْ جِهَةِ فَسَادِ الزَّانِيْ ، فَإِنَّهُ بِالزِنَا يَنْكَلِبُ ، وَيَتَوَلَّعُ فِيْهِ ، وَكُلُّ أُنْثَى يَتَعَدَّى عَلَيْهَا يَحْلُو لَهَا هَذَا السِّفَاحُ فَتَفْسدُ كالأولى كَثِيْرِيْنَ مِنْ النَّاسِ تَنَبَّهُوا بَعْدَ أنْ كَانُوا غَافِلِيْنَ فَيُفْسِدُونَ مِنْ النِّسَاءِ كَثِيْرَاتٍ وَهَكَذَا فَالزَّانِي لِصٌّ يَسْرِقُ ثَرْوَةَ النَّاسِ في حَيَاتِهِمْ وَبَعْدَ المَمَاتِ بِمَا يُدْخِلُهُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَوْلاَدٍ يَعُولُونَهُم ، وَإِنْ كانَتْ المَرْأَةُ التِيْ تَعَدَّى عَلَيْهَا غَيْرُ مُتَزَوِّجَةٍ ، فَقَدْ أَفْسَدَ حَيَاتَها ، بِهَتْكِ عِرْضِهَا ، وَصَرْفِ أَنْظَارِ رَاغِبِيْ الزَّوَاجِ عَنْهَا ، فَتَعِيْشُ بَعْدَ جُرْمِ الزِّنَا عِيْشَةَ ذُلٍّ وَهَوَانٍ لاَ زَوْجَ يُحَصِّنُهَا وَلاَ عَائِلَ يَعُولُهَا هَذَا مُضَافاً إلَى سُوْءِ السُّمْعَةِ وَإِلَى الجِنَايَةِ عَلَى شَرَفِهَا وَأَهْلِهَا فَيقِفُونَ مِنْهُ

مَوْقِفَ الأنْتِقَام غَالِباً وَرُبَّمَا قَضَوْا عَلَيْهِ أو عَلَى إبنتهِمْ وَانْ لَمْ يَقْضُوا وَثَبَتَ ذَلِكَ بِطَرِيْقِ الشَّرْعِ فإمَّا جَلْدُ مِائةٍ ، وَإمَّا رَجْمٌ يُؤَدِّي بالنَّفْسَيْنِ ، هَذَا عَاقِبَةُ هَذِهِ الكَبِيْرَةِ عَصَمَنَا اللهُ وَايَّاكُمْ مِنْهَا وَمِنْ جَمِيْعِ المَعَاصِيْ فَعَلَى الأنْسَانِ أنْ يُـفَـكِّـرَ ويَعْرِفَ عَوَاقِبَ الجِنَايَاتِ عَلَى الأعْرَاضِ لِيَحْذَرَ وَيُحَذِّرَ عَنْهَا أجْنَبِيَّةً أو قَرِيْبَةً وَلاَ أدْرِيْ كَيْفَ يُقْدِمُ الزَّانِيْ عَلَى الزِّنَا وَهُوَ يُؤْمِنُ أنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ لا تَخفَى عَلَيْهِ مِنهُ خَافِيَةٌ وَأنَّ جَزَاءَهُ إنْ لَمْ يَتُبْ تَوْبَةً نَصُوحاً الهَاوِيَةُ نَسْأَل اللهَ السَّلامَة مِنها وَلا أَدْرِيْ كيفَ يَزْنِيْ وَهُوَ لاَ يَشُكُّ انهُ سَيُجَازَى عَلَى فِعْلِهِ في الدنيا قَبْلَ الآخِرَةِ ، وَمَنْ كان الزِّنَا مِنْ أعْمَالِهِ فَلاَ يُؤْمَنُ حَتَّى عَلَى مَحَارِمِهِ وَلاَ يُرْغَبُ في مُصَاهَرَتِهِ وَلاَ مُجَاورَتهِ وَلاَ مُشَارَكَتِهِ وَلاَ مُعَامَلَتِهِ وَلاَ الأجْتِمَاع مَعَهُ في مَحَلِّ عَمَلِهِ قَالَ اللهُ تعاَلَى ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إنَّهُ كانَ فَاحِشَةً، وَسَاءَ سَبِيْلاَ ﴾ وَقَالَ صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ﴿ اذا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا في قَرْيَةٍ ، فَقَدْ أحَلُّوا بِأنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللهِ ﴾ رَوَاهُ الحَاكِمُ اللَّهُمَّ احْمِنَا مِنْ الفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَن وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

٢٧ « مَــوعظــة »

عِبَادَ اللهِ إنَّ صِفَاتِ الشَّرِ وَخِصَالِ السُّوْءِ مَا وُجِدَتْ فِي قَوْمٍ إلاَّ كَانُوْا أَهْلاً لِغَضَبِ اللهِ وَسَخْطِهِ فَاسْتَحَقُّوْا الشَّقَاءَ والذِلَّ في الـدُّنْيَا والآخِرَةِ وإنَّ مِن أَقْبَحِ الخِصَالِ وَأَشْنَعِ الخِلَالِ الغِيْبَةَ والنَّمِيْمَةَ وقد انْهَمَكَ الناسُ فِيْهِمَا وَصَارَتْ مَجَالِسُهم لا تَعْمُرُ إلاَّ بِهِمَا يَسْمَعُ المَرْءُ مِن أَخِيْهِ الكَلِمَةَ لِيُفَرِّجَ بِهَا مِن كُرَبِهِ وَيُخَفِّفَ بِهَا مِن آلامِهِ فَيَنْقُلُهَا إلى صَاحِبِهَا قَصْدَ الايقاعِ بِهِ والتَّفْرِيْقِ بَيْنَ المؤمِنِيْنَ هَذِهِ يَا عِبَادَ اللهِ غَايَةُ الدَنَاءَةِ، وَمُنْتَهَى الخِسَّةِ والنَّذَالةِ واللآمَةِ، أَلاَشَهَامَةَ تَحْمِلُ النَّمَامَ عَلَى كِتْمَانِهِ سِرَّ أَخِيْهِ أَلاَ مُرُوْءَةَ تَمْنَعُهُ مِن أَنْ يَنِمَّ عَلَى أَخِيْهِ المُسْلِمِ، إنَّ النَّمَامَ لا يَعْرِفَ لِلشَّهَامَةِ سَبِيْلاً، ولا لِلْمُرُوْءَةِ طَرِيْقاً، إنَّ مَنْ يَنِمُّ عَلَى المُسْلِمِيْنَ لِيُبَدِّلَ الوِدَّ جَفَاً وَبُغْضاً والصَّفْوَ كَدَراً وَحِقْداً وَيَفْتَحَ أَبْوَابَ الشُّرُوْرِ وَالجِنَايَاتِ عَلَى مِصْرَاعَيْهَا بَيْنَ المؤمِنِيْنَ مِن أَكْبَرِ المَصَائِبِ، وَاشَدِّ الرَّزَايَا عَلَى هَذَا المُجْتَمَعِ الإنْسَانِي، وَكَذَلِكَ الغِيْبَةُ فَإنَّهَا تُذْهِبُ الحَسَنَاتِ، وَأَنْتَ إذا قُلْتَ في أَخِيْكَ كَلِمَةً يَكْرَهُهَا فَأَنْتَ لَهُ بِهَا مُغْتَابٌ وَهُوَ لاَ يَكْرَهُ كَلِمَةً إلاَّ إذا كَانَتْ مُتَضَمِّنَةً عَيْباً، ذَلِكَ العَيْبُ الذي أَنْتَ تُرِيْدُ أَنْ تَكْشِفَهُ لِلنَّاسِ تُرِيْدُ مِنْهُم أَنْ يَحْقِرُوْهُ وَيَزْدَرُوْهُ وَيَحْتَرِسُوْا مِنه أَنْ يَكُونَ يَوْماً لَهُم مِن الأَصْحَابِ أَنْتَ تُرِيْدُ مِنْهُم أَنَّهُ أَن خَطَبَ مِنْهُم مَنَعُوْهُ لِتَحْقِيْرِكَ إيَّاهُ عِنْدَهُمْ تُرِيْدُ مِن غِيْبَتِكَ لَهُ أَنْ يُبْعِدَ مِنْهُمْ وَيَكُونَ مُنْطَوِيَاً عَنْهُم لِمَا لَقَنْتَهُمْ مِمَّا ذَكَرْتَهُ فِيْهِ وَيَكُوْنَ في وَحْشِيَةٍ مِنْهُمْ وَتُرِيْدُ مِن غِيْبَتِكَ أَنَّهُ إذَا احْتَاجَ لاَ يُدْلِيْ عَلَيْهِم بِشَيْءٍ يَقْضِيْ فِيْهِ حَاجَتَهُ بَلْ تُرِيْدُ مِنْهُمْ أَنْ لاَ يَرُدُوْا عَلَيهِ السلامَ إذا سَلَّمَ لِمَا عِنْدَهُم لَهُ مِمَّا لَقَنْتَهُم مِن الازْدِرَاءِ والاحتقارِ وإن كان صَانِعاً فَبِسَبَبِ

غِيْبَتِكَ لَهُ أَنْ يَجْفُوا صَنْعَتَهُ فَتَقِفُ ، وَإِنْ كَانَ تَاجِراً فَتُرِيْدُ بِعَيْبَتِكَ أَنْ تَخْسَرَ تِجَارَتُهُ لإِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ ، وَتُرِيْدُ أَنَّهُ إذا كَانَ لَهُ أَوْلاَدٌ أَوْ بَنَاتٌ يُرْغَبُ في تَزْوِيْجِهِمْ أَنْ يَأْنَفَ الناسُ مِنْهُم فَيَبُوْرُوْنَ ، هَذَا واللهِ شَيْءٌ يُؤلِمُ النُفُوسَ الزَّكِيَّةَ لأَنَّهَا مَضَارٌ عَظِيْمَةٌ جِداً تَنْزِلُ بِمَن تَغْتَابُهُ فَعَلَى العَاقِلِ أَنْ لاَ يُصَدِّقَ المُغْتَابَ وَأَنْ يَرُدَّهُ خَائِبَاً ولا يَظُنَّ بِأَخِيْهِ المُسْلِمِ إلاَّ خَيْرَاً واللهُ أَعْلَمُ .

شِـــعْرَاً :

حَيَاتُـكَ في الـدُنْيَا قَلِيْـلٌ بَقَـاؤُهَـا
وَدُنْيَـاكَ يَـا هَـذَا شَـدِيْــدٌ عَنَـاؤُهَـا

ولا خَيْـرَ فِيْهَـا غَيْــرَ زَادٍ مِنَ التُقَى
يُنَــالُ بِـهِ جَنَّــاتُ عَـدْنٍ وَمَــاؤُهَــا

بَـلَى إِنَّـهَــا لِـلْمُـؤْمِـنِيْـنَ مَـطِيَّـةٌ
عَلَيْهَــا بُلُوغُ الخَيْـرِ والشـرُ دَاؤُهَـا

وَمَنْ يَزْرَعِ التقْوىَ بهَا سَوْف يَجْتَني
ثِمَاراً مِنَ الفِرْدَوْسِ طَـابَ جَنَاؤُهَـا

نُؤَمِــلُ أَنْ نَبْقَى بِهَــا غَيْــرَ أَنَّـنَـا
عَلَى ثِقَــةٍ أَنَّ المَمَـاتَ انْتِهَــاؤُهَــا

فَكُنْ أيُهـا الإنْسانُ في الخَيْـرِ رَاغِباً
يَلُوحُ مِن الـطَّاعَـاتِ فِيْـكَ بَهَـاؤُهَـا

وَجَـانِبْ سَبِيْلَ الغَي واتْـرِكْ مَعَاصِيـاً
يُـذِيبُـكَ مِنَ نَــارِ الجَحِيْمِ لَظَاؤُهَـا

اللّهُمَّ توَفّنَا مُسْلِمِين وألْحِقْنا بِعِبادِكَ الصَّالِحِيْنَ الّذِينَ لاَ خَوْف عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِديْنا وجَمِيع المُسْلِمِيْن بِرَحْمتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلّى اللّهُ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِيْن .

٢٨ « موعظـة »

عِبَادَ اللّهِ نحْنُ فِي زَمَنٍ بَلَغَ فِيْهِ الفَسَادُ مَبْلَغاً مَا كَانَ يَدُوْرُ فِي خلدِ إنسانٍ وَهَانَ عَلَى كَثِيْرٍ مِنَ النّاسِ اليَوْمَ أنْ يَتَقَدَّمُوا إلى المَعَاصِيْ مُطْمَئِنِّيْنَ وَخَفَّ عَلَيْهِم جِداً أنْ يَرْتَكِبُوا مَا حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ غَيْرَ هَيَّابِيْنَ وَسَهُلَ كُلَّ السُّهُوْلَةِ عَلَيْهِمْ أنْ يَقْتَحِمُوا حَتّى مُوْبَقاتِ الأَوْزَارِ غَيْرَ خَائِفِيْنَ مِنَ اللّهِ تَعَالى وَلاَ مُبَالِيْنَ بِنواهِيه .

وَلَعَلَّ زَمَنَنَا هَذَا يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ مَا فِي حَدِيْثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يأتِي على النّاسِ زَمَانُ القَابِضُ عَلَى دِيْنِهِ كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ وَمَا فِي حَدِيْثِ أبي هُرَيْرَةَ رضِيَ اللّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنّهُ قالَ « بَدَا الإِسْلاَمُ غَرِيْباً وَسَيَعُودُ غَرِيْباً كَمَا بَدَا فطُوبى لِلْغُرَبَاءِ أخرجَهُ مسلم .

وأخْرجَهُ الإمَامُ أحمَدُ وابْنُ ماجَةَ مِنْ حَدِيْثِ بنِ مَسْعُودٍ بزيادةٍ فِي آخِرِهِ وهي ـ قِيْلَ يا رَسُولَ اللّهِ ومِنَ الغُرَبَاءُ قَالَ « النُّزَّاعُ مِنَ القَبَائِلِ » وأخرجه أبو بكر الآجُرِيُّ وعِنْدَهُ ـ قِيْلَ ومَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللّهِ ، قال « الذين يَصْلَحُوْنَ إذا فَسَدَ النّاسُ » .

وخَرَّجَهُ غَيْرُهُ وعِنْدَهُ قال « الّذِينَ يَفِرُّوْنَ بِدِيْنِهِمْ مِنَ الفِتَنِ » وخَرَّجَهُ التِّرمِذيُّ مِنْ حَدِيثِ كَثِيْرِ بْنِ عَبْدِ اللّه المُزَنِيّ عَنْ أبِيهِ عنْ جَدِّهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ « إِنَّ الدِّيْنَ بَدَا غَرِيْباً وَسَيَرْجِعُ غَرِيْباً فطُوبى لِلْغُرَبَاءِ الّذِيْنَ يُصْلِحُوْنَ مَا أفْسَدَ النّاسُ مِنْ سُنَّتِي » وفِي حَدِيْثِهِ قِيْلَ وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللّهِ قالَ « الّذِيْنَ يَصْلَحُوْنَ حِيْنَ فَسَادِ النّاسِ » .

أمّا الحَدِيْثُ الأوَّلُ فَهُوَ وَاضِحٌ وَمُنْطَبِقٌ كُلَّ الانْطِبَاقِ عَلى هَذا الزَّمَانِ فِيْمَا أرَى وَاللّهُ أعْلَمُ وَذَلِكَ أَنَّكَ تَرَى الشَّرَّ والفَسَادَ فِي كُلِّ مَكَانٍ مُنْتَشِراً والخَيْرَ نَادِرُ الوُجُودِ فالفِتَنُ فِي البُيُوْتِ والأَسْوَاقِ والدَّكَاكِيْن والسَّيَّارَاتِ والقِطَارَاتِ والطّائِرَاتِ فِتَنُ شَهَواتٍ نِساءُ سَافِرَاتٌ وفِتَنُ شُكُوكٍ وإلحَادٍ وشُبُهَاتٍ مِن أناسٍ مُنْحَرِفِيْنَ وكُتُبُ ضَلالٍ ومَجَلَّاتٌ تَحْمِلُ فِي طَيِّهَا البَلاَيَا والشُّرُوْر وفِدْيُواتٌ تُعَلِّمُ الفَسادَ أبْلَغَ تَعْلِيْم وتُهَيِّجُ عَلَيْهِ ، حَدَثَ فِتَنٌ يُرَقِّقُ بَعْضُها بَعْضاً وحَوَادِثُ الأُخرَى أعْظَمُ مِن الأُولَى ومن أعظَم ما حَدَثَ كَثْرَةُ الخَدَّامِينِ والخَدامات والسّوَاقِينَ والطباخينَ والمُربينَ فإنَّ ضررهم عَظِيمٌ على الدينِ والأخلاقِ والدنيا . فأنتبه يا مَن زُينَ له سُوءُ عَمَلِهِ وأَتى بكفار أعداء الله ورسوله والمؤمنين وأمنهم على محارمه خدامين أو سوَاقين أو مربين أو نحو ذلك عياذا بالله من ذلك .

يا غافلاً عن سَاعَةً مَقْرُوْنَةٍ بنــوَادِبٍ وصَوَارِخٍ وثَوَاكِـلِ
قَـدِّمْ لِنَفْسِكَ قَبْـلَ مَـوْتِـكَ صَـالِحـاً
فـالمَوْتُ أسْـرَعُ مِن نُزُوْلِ الهَـاطِلِ
حَتّـامَ سَمْعُـكَ لا يَعِي لِمُـذَكِّـرٍ
وصَـمِيْـمُ قَلْبِـكَ لا يَـلِيْنُ لِعَـاذِلِ

تَبْغي مِنَ الــدُّنْيا الكَـثِيْــرَ وإنَّمَــا
يَكْفِيْــكَ مِنْ دُنْيَاكَ زَادُ الــرَّاحِــلِ
آيُ الكِتَــابِ يَهُــزُّ سَمْعَــكَ دَائِمــاً
وتَصُمُّ عَنْهــا مُعْـرِضــاً كـالغَــافِـلِ
كَمْ لِــلإلٰـهِ علَيْــكَ مِن نِعَمٍ تُـرَى
وَمَــواهِــبٍ وفَــوائِــدٍ وفَــوَاضِــلِ
كَمْ قَـد أَنَالَـكَ مِن مَـوَانِـحِ طَـوْلِـهِ
فـأسْألْـهُ عَفْواً فهُـوَ غَـوثُ السَّـائِـلِ

اللّهُمَّ مَكِّنْ حُبَّكَ في قُلوبِنا وأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ ووفّقْنا لامْتِثَالِ طَاعَتِكَ وأمْرِكَ واغْفِرْ لَنَا ولِوالِديْنَا ولجَمِيعِ المُسْلِمينَ بِرَحْمتِكَ يَا أرْحَمَ الرّاحِمِين وصلّى الله على مُحَمّد وآلهِ وصحْبِهِ أجمَعِين .

٢٩ « موعظــة »

عِبَادَ اللّه مَن تَكَبَّرَ أَذَلَّهُ وَمَنْ تَوَاضَعَ لِلّهِ رَفَعَهُ اللّهُ والمُتَكَبِّرُوْنَ يُحْشَرُوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ في صُورِ الذَّر تَطَؤُهُمْ النّاسُ لِهَوانِهِمْ عَلَى اللّهِ تعالى المُتَكَبِّرُوْنَ شِرَارَ الخَلْقِ وأهلُ النّارِ كُلُّ جَعْظَرِيّ جَوّاظٍ مُسْتكْبِرٍ ، المُتَكبِّرُ يَشْمَخُ بأنْفِهِ إذا تَكلَّمَ ، وَيُجَـافِي مِرْفَقَيْهِ عَن جَنْبَيْهِ لاَوِياً عُنُقَهُ، يُقَارِبُ خُطَاهُ إذا مَشَى ، مُتَطاوِلاً عَلَى إخْوَانِهِ ، مُتَرَفِّعاً عَلى أقْرَانِهِ ، يَنْظُرُ النّاسَ شَزَراً بمُؤَخِّرِ العَيْنِ ، مُتَقَدِّماً عَلَيْهِم إذا مَشَى ، مُحْتَقِراً لِلْعَامَّةِ ، ولا فَرْقَ عِنْدَهُ بَيْنَهُم وَبَيْنَ الحَميْرِ اسْتِجْهَـالاَ مِنْهُ لَهُم ، فالمُتَكَبِّرُ لا يُحِبُّ لِلْمُؤْمِنينَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، لأنَّهُ لا

يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ، ولا يَقدِرُ على التَّواضُعِ وَهُوَ رَأسُ أخْلاَقِ المُتَّقِيْنَ ، وَلا يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِ الحِقْدِ ، وَلا يَقْدِرُ أنْ يَدُوْمَ عَلَى الصِّدْقِ ، ولا يَقْدِرُ عَلى تَرْكِ الغَضَبِ ، وَلا عَلَى كَظْمِ الغَيْظِ ، ولا يَسْلِمُ مِنَ الازْدِرَاءِ بالنَّاسِ واحْتِقَارِهِم ولاَ يَسْلَمُ مِنْ اغْتِيابِهِمْ ، وتَنْقُصِهِمْ ، لِأنَّ فِيْهِ مِنَ العَظَمَةِ والعِزَّةِ والكِبْرِيَآء ، مَا يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَمَا مِن خُلُقٍ ذَمِيْمٍ إلا وَصَاحِبُ الكِبْرِ والعَظَمَةِ مُضْطَرٌّ إلَيْهِ ، لِيَحْفَظَ بِهِ عِزَّهُ وَعَظَمَتَهُ ، وَمَا مِن خُلُقٍ مَحْمُوْدٍ إلاّ وَهُوَ عاجِزٌ عَنْهُ خَوْفاً مِن أنْ يَفُوتَهُ عِزُّهُ وعَظَمَتُهُ ، ولِذَلِكَ وَرَدَ فِي الحَدِيْثِ أنَّهُ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ ،ومِمَّا جَاءَ فِي وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لابِنِهِ﴿وَلاَ تُصَعِّر خَدَّك لِلنَّاسِ وَلَا تمشِ فِي الأرْضِ مَرَحاً إنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُور » ومِن تَعَالِيمِ رَبِّنَا لِهَذِهِ الأُمَّةِ ونَبِيِّهَا عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، بِقُولُ تَعَالى : ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحاً إنّك لَنْ تَخْرِق الأرْضَ ولنْ تَبْلُغَ الجبالَ طُوْلَا﴾ فَيَا أَيُّها المُتَكَبِّرُ النَّاظِرُ في عِطْفَيْهِ ، المُتَعَاظِمُ فِي نَفْسِهِ ، إنَّ شَأنَكَ حَقِيْرٌ ، وَقَدْرُكَ صَغِيْرٌ وَلَسْتَ بِمَحْسُوبٍ في العِيْرِ ، ولا في النَّفِيْرِ ، وَمَا لَكَ عِنْدَ عَاقِلٍ مِنْ حِسَابٍ ، ولا تَقْدِيْر ، لَا قَلِيْلٍ ولا كَثِيْرٍ ، فَهَوِّنْ عَلَيْكَ ، وارْفُقْ بنَفْسِكَ ، فَإنَّكَ مَغْرُوْرٌ ، يا مِسْكِيْن وَتَدَبَّرْ كَلَامَ رَبِّ العَالَمِيْن ﴿إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْتَكْبِرِيْن﴾ إنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُوْنَ عَن عِبَادَتِي سَيَدْخُلونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِين ﴿قِيْلَ ادْخُلُوا أبوابَ جَهَنَّمَ خَالِدِيْنَ فِيْهَا فَبِئْسَ مَثْوَى المُتَكَبِّرينَ﴾ وذَمُّ الكِبْر في القُرآنِ كَثِيرٌ ، والمُتَكَبِّرُ عَدُوٌّ لِلَّهِ ولِنَفْسِهِ ، ولِلنَّاسِ ، يُقَصِّرُ في الوَاجِبِ ويَدَّعِيْ مَا لَيْسَ لَهُ وَيَتَشَدَّقُ فِي الكَلَامِ ، وَيَتَألَّقُ في اللِّبَاسِ ، وإنَّهُ لَثَقِيْلٌ فِي حَرَكَاتِهِ ، وسَكَنَاتِهِ ، بَغِيْضٌ في أمْرِهِ ونَهْيِهِ ، وَمُجَالَسَتِهِ ، ومُؤاكَلَتِهِ وَمُشَارَبَتِهِ ، والوَيْلُ كُلَّ الوَيْلَ لِمَنْ صَاهَرَهُ أوْ شَارَكَهُ أوْ رَبَطَتْهُ بِهِ صِلَةٌ ، لأنَّ دَاءَ الكِبْرِ يُعْدِي وَيَسْرِي فَتَبْعُدُ السَّلَامَةُ مِن المقْتَرِبِ مِنْهُ رَأى بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ مَنْ يَخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ فَغَمَزَ

ومِنْ آثارِ الكِبْرِ تَصْعِيْرُ الخَدِّ ، والنَّظَرُ شَزْراً ، واطْرَاقُ رَأْسِهِ ، وجُلُوسُهُ مُتَرَبِّعاً أَوْ مُتَكِئاً .

وتَظْهَرُ الكِبْرِ أَيْضاً في أَقْوَالِ المُتَـكَبِرِ حَتَّى في صَوْتِهِ ونَغْمَتِهِ وَصِيْغَةِ كَلَامِهِ في الإِيْرَادِ وقِيْلَ لإِحْمَقَ تَكَبَّرَ وقَامَ سَاخِطاً على اسْتَاذِهِ لِماذا قُمْتَ فقال دَخَلْتُ ولم يَحْتَرِمْنِيْ وَجَلَسْتُ فلم يُكْرِمْنِي ولم يَدْرِ مَنْ أَنَا واسْتَشْهَدَ بقولِ جَنْبَهُ ، ثُمّ قَالَ لَيْسَتْ هَذِهِ مِشْيَةَ مَنْ فِي بَطْنِهِ خِراءٌ ، وكَيْفَ يَتَكَبَّرُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ مذِرَةٌ ، وَآخِرُهُ جِيْفَةٌ قَذِرَةٌ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَحْمِلُ البَوْلَ والعَذَرَة ، هَذَا أَكْبَرُ بُرْهانٍ على أَنَّهُ دَنِس جَاهِلٌ مَجْهُوْلٌ نَكِرَةٌ مُمْتَلِئاً كِبْراً وإِعْجَاباً بِنَفْسِهِ وسُمْعَةً ، ورِيَاءً ، ولُؤْماً وشُؤْماً وشَرَهاً فهُوَ أَشْبَهُ شَيْءٍ بالدُّخَانِ يَمْلأُ الفَضَاءَ ويَتُكُ صُدُوْرَ النّاسِ وأَصْلُهُ مِن القُمَامَاتِ والأَوْسَاخِ المُبَعْثَرَةِ نَسأَلُ اللّهَ أن يُقَلِّلَ هَذَا النوعَ المُنْحَطَّ وأنْ يُكثِّرَ ضِدَّهُ مِنْ أَهْلِ التَّواضُعِ واللِّيْنِ والعَطْفِ والحَنَانِ : قَالَ اللّه تعَالى ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرة نَجْعَلُها لِلّذِينَ لَا يُرِيْدُونَ عُلوا فِي الأَرْضِ ولا فَسَاداً والعَاقِبَةُ لِلمتّقِين﴾ : اللّهُمّ أَنْظِمْنا في سِلْكِ عِبادِكَ الأَخْيار ونَجِّنَا بِرحْمَتِكَ مِن عَذَابِ النّارِ وأسكنّا الجَنّة مع أولِيائِكَ الأبرَار واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدَيْنَا ولِجَمِيعِ المُسْلِمينْ يا أَرْحَم الرّاحِمِين وصلّى الله على مُحَمّد وعلى آلِهِ وصَحبِهِ أجمَعِين .

(فَصْــلٌ)

ولِلْكِبْرِ آثارٌ تَظْهَرُ عَلَى الجَوارِحِ كُلُّهَا تَدُوْرُ حَوْلَ ذَلِكَ النَّظَر ، فَتَرَى المُتَكَبِرَ إِنْ سَمَحَ بِمَمْشَاهُ مَعَ الناسِ يَكُونُ مُتَقَدِّماً عَليهم ،حَرِيْصاً جِدّا أَنْ يَكُونُوا كُلُّهُم خَلْفَهُ ، وتَراهُ إن جَلَسَ مَعَهُم ورَضِيَ أَنْ يَكُونُوا جُلَسَاءَهُ ، مُحْتَفِظاً بصَدْرِ الْمَجْلِسِ مُسْتَقِلاً بِهِ وَيَسُرُّهُ أَنْ يُصْغُوْا إلى كَلامِهِ ، ويُؤْلِمُهُ كَلَامُ غَيْـرِهِ وتَجِدُهُ يَنْتَظِرُ مِن النّاسِ أَنْ يَتلقَوْا كَلَامِهِ بالقَبُوْلِ والتَّصْدِيْقِ .

الشاعرِ

(وَلَوْ كَانَ ادْرَاكُ الهُدَى بِتَذَلُّلٍ
رَأَيْتُ الهُدَى أَنْ لاَ أَمِيْلَ إلى الهُدَى)

وَيَظْهَرُ أَيْضاً أَثَرُ الكِبْرِ في مَشْيِهِ وَتَبَخْتُرِهِ وَقِيَامِهِ وَجُلُوسِهِ وَحَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ وَفِيْ تَعَاطِيْهِ لأَفْعَالِهِ ، وَفِيْ سَائِرِ تَقَلُّبَاتِهِ فِيْ أَحْوَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ .

وفي كِتَابِ الخُمُولِ والتَّوَاضُعِ لابنِ أَبي الدُنْيا عن أَبِي بَكْرٍ الهُذَلِي قال : بَيْنَمَا نَحنُ مَعَ الحَسَنِ ، اذْ مَرَّ عَلَيهِ ابنُ الأهْتَمِ يُرِيْدُ المَنْصُورَ وعليهِ جُبَابُ خَزٍ ، قد نَضَدَ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ على سَاقِهِ ، وانْفَرَجَ عَنْهَا قَبَاؤُهُ وهو يَمْشِيْ وَيَتَبَخْتَرُ، إذْ نَظَرَ إلَيْهِ الحَسَنُ نَظْرَةً فقال: أُفٍّ أُفٍّ، شَامِخٌ بِأَنْفِهِ ثَانِي عِطْفِهِ ، مُصَعِّرٌ خَدَّهُ ، يَنْظُرُ في عِطْفَيْهِ أَيُّ حَمِيْقٍ يَنْظُرُ في عِطْفَيْهِ في نِعَمٍ غَيْرَ مَشْكُوْرَةٍ ولا مَذْكُوْرَةٍ ، غَيْرَ المأخُوْذِ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيْهَا ، ولا المُؤَدِيْ حَقَّ اللَّهِ مِنهَا واللَّهِ أَنْ يَمْشِيْ أَحَدُهُمْ طَبِيْعَتَهُ يَتَلَجْلَجُ تَلَجْلُجَ المجنون في كل عضو منه نِعْمَةٌ وللشيطان بها لعنة ، فسمعه ابنُ الأَهْتَمِ ، فَرَجَعَ يَعْتَذِرُ إليهِ ، فقال لا تَعْتَذِرْ إليَّ وَتُبْ إلى رَبِّكَ ، أما سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ تعَالَى ﴿ ولا تَمْشِي في الأرضِ مَرَحاً إنك لَنْ تَخْرِقَ الأرضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبَالَ طُوْلاً ﴾ .

اللهم أمنُنْ علينَا باصْلاحِ عُيوبِنَا واجعلْ التقْوى زادَنا وفي دِيْنِكَ اجتهادَنا وعليكَ توكّلنا واعتَمادُنا واغفرْ لنا ولوالِدِيْنَا ولجميعِ المسلمينَ الاحياءِ منهم والميتينَ برحمتك يا أرحمَ الراحمينَ وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبِهِ أجمعين .

٣٠ « موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ كَانَتِ القُلُوبُ مَوْضِعَ العِنَايَةِ التَّامَّـةِ عِنْدَ السَّلَفِ الصَّالِحِ لِأَنَّهُمْ يَعلمون أنّها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَـدُ كُلُّهُ » وذلكَ لِأَنَّها مَبْدَأُ الحَـرَكَاتِ البَـدَنِيَّةِ ، والإرادات النَّفْسَانِيَّة ، فإن صَدَرَتْ مِن القُلُوبِ إرَادَةٌ صَالِحَةٌ تَحَرَّكَ البَدَنُ حَرَكَةً طاعة ، وان صَدَرَتْ عَنْهَا ارادَةٌ فَاسِدَةٌ تَحَرَّكَ البَدَنُ حَرَكَةً فاسِدَةً ، فَهُوَ كَمَلِكٍ والأعْضَاءُ كَالرَّعِيَّةِ ، ولا شَكَّ أَنَّ الرَّعِيَّةِ تَصْلَحُ بِصَلَاحِ المَلِكِ وَتَفْسُدُ بِفَسَادِهِ ، وكانَ وَاجِباً عَلَيْنَا أن نَكُونَ كَمَا كَانَ سَلَفُنَا في العِنَايَةِ بِهَاتِيْكَ القُلُوبِ لأنّ بِهَا سَعَادَتُنَا بإِذْنِ اللهِ وَبِهَا شَقَاؤُنَا ، ولكن يَا لِلأَسَفْ مَا كَان مِن ذَلِكَ شَيْءٌ والذي كانَ مِنَّا أَنَّنَا أَهْمَلْنَا قُلُوبَنَا إهْمَالاً تَتَجَرَّحُ لَهُ القُلُوبُ ، وَتَذُوبُ لَهُ الأكْبَادُ وَلِذَلِكَ نَشَأَ فِيْنَا نَتِيْجَةَ الإهْمَالِ كَثْرَةُ الأمْرَاضِ فِي القُلُوبِ وَتَشَعَّبَتْ وَأَعْضَلَتْ وَصَعَبَ شِفَاؤُهَا ، وانْعَدَمَ أطبَاؤُهَا وَمَنْ وَصِلَ إلى هَذَا الحَدِّ فَهُوَ في خَطَرٍ عَظِيْمٍ .

فَمِنْ الأمْرَاضِ التِي أَزْمَنَتْ فِي قُلُوبِنَا مَرَضُ الرِّياءِ الذِي لا يَكَادُ يَسْلَمُ منه إلَّا النَّوَادِرُ ، وَمِنَ الأمْرَاضِ التِي أُصِبْنَا بِهَا مَرَضُ العُجْبِ ، ولِهَذَا يَعْتَقِدُ **الصغيرُ مِنَّا والكبيرُ الكَمَالَ في نَفْسِهِ ومَن اعْتَقَدَ ذلكَ في نَفْسِهِ هَوَى لأنَّهُ لا يَلْتَفِتُ إلى مَا بِهِ كَمَالُ الرِّجَالِ ، وَمَرَضٌ يُنْتِجُ مَرَضاً آخرَ هُوَ مَرَضُ الكِبْرِ وَصْفُ الأنْذَالِ والأرْذَالِ والجُهَّالِ ، والمُتَكَبِّرُ لا يُنْظَرُ إليهِ بعَيْنِ الرضَا والكِبْرُ يَنْشأُ عَنه مَرَضُ الحَسَدِ والحَسُودُ يَتَمَنَّى زَوَالَ نِعْمَةِ اللهِ عَن خَلْقِهِ ، والحَسَدُ يُوَلِّدُ الحِقْدَ الذِي رُبَّمَا حَمَلَ صَاحِبَهُ على قَتْلِ مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ إلَّا ما أَوْلَاهُ الله مِن النِّعَمِ ، ولَيْسَ هَذَا كُلُ مَا فِي قُلُوبِنَا مِن الأمْرَاضِ بَلْ فِيْهَا مَرَضُ البُخْلِ**

وَالشُّحّ الذِي وَصلَ بِنَا إلى مَنْعِ الزكاةِ أو بَعْضِهَا ، وغَيرُ ذَلِكَ كَثِيْرٌ وَكُلُّهَا أمْرَاضٌ مُهْلِكَاتٌ ، ونحنُ لا نَهْتَمُّ بقُلُوبِنَا ولا بأمْرَاضِهَا وإنَّمَا نَهْتَم بأمْرَاضِ أجْسَامِنَا ، ونُبَادِرُ في عِلاَجِهَا إلى المُسْتَشْفَيَاتِ ، وأمْرَاضُهَا يَسِيْرَةٌ بَسِيْطَةٌ بِالنِّسْبَةِ إلى أمْرَاضِ القُلُوبِ ، ونَهْتَمُّ أيْضاً بِجَمَالِ ظَوَاهِرِنَا فَنُبَالِغُ فِي تَحْسِيْنِ مَلاَبِسِنَا ومَرَاكِبِنَا ومَسَاكِنِنَا ومَجَالِسِنَا وأبْدَانِنَا ، أنْظُرْ إلَيْنَا عِنْدَ الذَّهَابِ إلَى مَقَرِّ العَمَلِ لِتَتَعَجَّبَ مِن تَغْفِيلِنَا وانْخِدَاعِنَا ، ولَو كانَتْ عنَايَتُنَا بالقُلُوبِ كَعِنَايَتِنَا بالمَلاَبِسِ فَقَطْ مَا كُنَّا بِهَذِهِ الحَالاَتِ المحزنات .

اللهُمَّ يا جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيْهِ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الصِّدْقِ وَالنِّيةِ الصَّالِحَةِ والاخلاصِ والخُشُوعِ والمُرَاقَبَة واليَقِيْنِ والعِلْمِ والمَعْرِفَةِ والفَصَاحَةِ والبَيَانِ وَالفَهْمِ في القُرْآنِ وَخُصَّنا مِنْكَ بالمَحَبَّةِ وَالاصْطِفَائِيَّةِ وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ الرَّشِيْدِ والرِّزْقِ الهَنِيْءِ الذِي لاَ حِجَابَ بِهِ في الدُّنْيا وَلاَ حِسَابَ ولا سُؤالَ ولا عِقَابَ عَلَيْهِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

اللهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا ، وعَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، ووَفِّقْنَا للعمل بمَا فَهَّمْتَنَا ، اللهُمَّ إنْ كُنَّا مُقَصرِّيْنَ فِي حِفْظِ حَقِّكَ ، والوفاء بعَهْدِكَ ، فأنْتَ تَعْلَمُ صِدْقَنَا في رَجَاءِ رِفْدِكَ ، وخالِص وُدِّكَ ، اللهُمَّ أنْتَ أعْلَمُ بنا مِنَّا ، فَبِكَمالِ جُوْدِكَ تَجَاوَزْ عَنَّا ، وَاغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدِيْنَا ولجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، الأحْيَاءِ مِنْهُم والمَيِّتِيْنَ ، برَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وصلى الله على مُحَمَّدٍ وعلى آله وصَحْبِهِ أجمعين .

٣١ (مَـوْعِظَـة)

عِبَادَ اللَّهِ بِمَا أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلاَ مَنَّ عَلَيْكُمْ بِالإِسْلاَمِ فَيَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحِبُّوهُ ، فَإِنَّه الذِيْ بِيَدِهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَأَنْ تُحِبُّوا رَسُوْلَهُ ﷺ الذِيْ لَوْلا اللَّهُ ثُمَّ لَوْلاَهُ لَكُنْتُمْ مِنْ حَطَبِ جَهَنَّمَ تَلْتَهِبُ بِكُمْ أَبَدَ الآبِدِيْنَ ، وَأَنْ تُحِبُّوا أَحْبَابَ اللَّهِ ، وَأَحْبَابُه هُمُ الذِينَ لَزِمُوا طَاعَةَ مَوْلاَهُمْ وَتَبَاعَدُوا عَنْ مَعْصِيَتِهِ كَمَا يَتَبَاعَدَ الإِنْسَانُ عَمَّا يَقْتُلُهُ مِنْ سُمٍّ وَنَحْوِهِ بَلْ السُّمُّ أَهْوَنُ وَأَخَفُّ مِنْ كَثِيْرٍ مِنْ المَعَاصِيْ كَيْفَ لاَ وَالمَعَاصِيْ لاَ تُسْلِمُ فَاعِلَهَا إِلاَّ إِلَى العَذَابِ الأَلِيْمِ إِنْ لَمْ يَتَجَاوَزْ عَنْهُ مَوْلاَهُ ، مَضَى فِي صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ أُنَاسٌ قَالَ اللَّهُ فِيْهِمْ ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّـونَـهُ ﴾ وَهُمْ الـذِيْنَ كَانـوا بِأَرْوَاحِهِمْ فِي سَبِيْلِ اللَّهِ يَجُودُوْنَ ، وكَانُوا يَرَوْنَ السَّعَادَةَ كُلَّ السَّعَادَةِ فِي ذَلِكَ الجُودِ وَإِذَا لَمْ يَسْتَطِيْعُوْا كَانُوا لِذَلِكَ يَحْزَنُوْنَ وَكَانَ هَؤُلاَءِ النَاسُ يُحِبُّونَ رَسُولَهُمْ فَوقَ مَحَبَّتِهِمْ لأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَكَانَ حُبُّ أَحَدِهِم لأَخِيْهِ أَعْظَمَ مِن حُبِّهِ لآثَاثِه وَمَالِهِ يُحِبُّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَلِذَلِكَ كَانُوا فِي كُلِّ المَنَافِعِ لاَ يَعْرِفُوْنَ إلا خُلُقَ الإِيثَارِ ، كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ، وَلَو كانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ سَلِ التَّارِيْخَ عَنْهُمْ يُخْبِرْ عَنْهُمْ أَخبَاراً مَا سَمِعْتَ قَطُّ بِمِثْلِهَا يُخْبِرْكَ أَنَهُمْ كَانُوا سَادَةَ الدُّنْيَا يَعْتَرِفُ بِذَلِكَ العَدُوُّ قَبْلَ الصَّدِيْقِ اعْتِرَافَ إِقْرَارٍ وإذعانٍ يُخْبِرْكَ أَنَهُمْ كانـوا إِذَا اتَّجَهُوا لِغَزْوِ جِهَةٍ يَنْهَزِمُ أَهْلهَا وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ مَسَافَةٌ عَظِيْمَةٌ وَكَيْفَ لاَ يُعِزُهُمْ رَبُّهُمْ وَقُلُوبُهُمْ كَانَتْ وَقْفاً عَلَى حُبِّهِ وَحُبِّ رَسُوْلِهِ ﷺ وَحُبِّ كُلِّ مَا يُرْضِيْهِ مِنْ مَبـارٍّ ، هَؤُلاَءِ كَانـوا عَبِيْدَ اللَّهِ عُبُوْدِيَّةً مَا رَأَتْ الدُّنْيَا عُبُوْدِيَّةً مِثْلَهَا فِي سَائِرِ العَبِيْدِ عَدَا الرُّسُلِ الكِرَامِ لِذَلِكَ كَانُوا يَحُنُّونَ لِطَاعَتِهِ حَنِيْناً لاَ يَنْقَضِي عَجَبُهُ وَهُوَ مُخْلَصٌ وَشَدِيْدٌ كَانُوا لاَ يَشْبَعُونَ مِنَ العِبَادَةِ بِالنَّهَارِ

فَيَسْتَقْبِلُونَ اللَّيْلَ بعَزَائِمِهِمْ بَعَثَتْهَا هِمَمٌ عَالِيَةٌ ، لاَ تَكِلُّ وَلا تَمِلُّ مِنَ العِبَادَةِ ، بَلْ هِيَ فِي العِبَادَةِ كَالسَّمَكِ فِي البَحْرِ ، واللَّيْلُ عَلَى ذَلِكَ شَهِيْدٌ وَمَنْ الذِيْ يقول إنَّ الحَبِيْبَ يَشْبَعُ مِن خَدْمَةِ حَبِيْبِهِ وسَيِّدِهِ ومَوْلاَهُ الذي بيَدِهِ الخَيْرُ كُلُّه خَيْرُ الدُّنْيَا والآخِرَةِ هَؤُلاءِ الذِيْنَ هُمْ خِيْرَةُ اللهِ مِن خَلْقِهِ هُمْ سَلَفُنَا الصَّالِحُ ، فَيَنْبَغِيْ أنْ نَقْفُوا آثَارَهُمْ ، وَنَكُونَ عَلَى مِثْلِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِن المَحَبَّةِ الفائِقَةِ والطَّاعَةِ الفَرِيْدَةِ لِمَوْلاَنا .

اللهم ياعظيم العفو ياواسع المغفرة ياقريب الرحمة ياذا الجلال والاكرام فَرِّغْنَا لِمَا خَلَقْتَنَا له ، ولا تشغلنا بما تكفلت لنا به ، وهب لنا العافية في الدنيا والآخرة ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك ياأرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

٣٢ موعظة

عِبَادَ اللهِ فَتِشُوْا قُلُوْبَكُم بتَأَنٍّ واتِّئَادٍ ، وابْحَثُوْا عَمَّا تَغَلْغَلَ فِيْهَا مِن الأَضْغَان والأَحْقَادِ ، فَاذا وَجَدْتُمْ شَيْئاً مِن ذَلِكَ فاجْتَهِدُوْا وَاعْمَلُوا عَلَى سُرْعَةِ إزَالَتِهِ وَمَحْوِهِ بِجِدٍ واجْتِهَادٍ وأَعْرِضُوْا بِكُلِّيَتِكُم عن وَحْي الشيطانِ وَوَساوِسِهِ ، واسْتَعِيْذُوا باللهِ القَوِيِّ القَدِيرِ مِن هَمَزَاتِهِ وهَوَاجِسِهِ ، فانَّهُ لا يُرِيْدُ إلاَّ إيقَاعَكُم في البَلاَ ، وَتَعْرِيْضَكُم لِسَخَطِ اللهِ ومَقْتِهِ الشَّدِيدِ ، مَاذَا يَضُرُّكُم إنْ تَنَازَلْتُمْ عَنْ بَعْضِ حُقُوقِكُم ، وتَجَاوَزْتُم وصَفَحْتُم عَمَّنْ أَسَاءَ إلَيْكُم مِن إخْوانِكُم ، وقَصَدْتُمْ وَجْهَ اللهِ وثَوابَهُ في صَفْحِكُم وتَنازُلِكُم ، وبذَلِكَ تكُونُونَ قَدْ أرْضَيْتُمْ اللهَ رَبَّ العَالِمَيْن ، وأبْعَدْتُم شَبَحَ الشَّرِ عَنْكُم . وعَنْ إخْوَانِكُم المُسْلِمِيْن وكُنْتُم أَصْحَابَ الفَضْلِ والمِنَّةِ ، يَشْكر

اللهُ والناسُ لكُم هَذَا الخُلُقَ الطَّيِّبَ الحَمِيْدَ ، أَلَا فاحْرِصُوْا عِبَادَ اللهِ على الفَضْلِ العَظِيْمِ ، وأَقْبِلُوا سِرَاعاً إليْهِ ، واكْظِمُوا غَيْظَكُم ، وابْذِلُوا جُهْدَكُم في التَّغَلُّبِ عليهِ ، واعْلَمُوا أنَّ الجَزَاءَ مِن جِنْسِ العَمَلِ ، فاللهُ يَغْفِرُ مِن ذُنُوبِ العَافِيْنَ عن الناسِ ، وَيُمَجِّدُ الكَاظِمِيْنَ الغَيْظَ ، ويَتَوَلَّاهُمْ بالفَضْلِ والكَرَامَةِ ، ويُزَوِّجُهُم مِن حُوْرِ الجِنَانِ ما يَشَاؤُونَ يومَ القِيَامَةِ ، ويَدْعُوْهُمْ يَومَ القِيَامَةِ على رُؤوسِ الخَلائِقِ إلى تِلْكَ الكَرَامَةِ ، لِيَعْلَمَ فَضْلَهُمْ ، ويَشْهَدَ مَجْدَهُمْ القَرِيبُ والبَعِيْدُ . فاذَا مَا عَلِمْتُمْ هَذَا فَقَارِنُوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يُعَامِلُ اللهُ به المُشَاحِنَ الحُقُوْدَ الحَسُوْدَ ، الذِيْ أَجَابَ دَاعِيَ الشَّيْطَانِ ، وأَعْرَضَ عَنْ نصِيْحَةِ رَبِّهِ الذي خَلَقَهُ وَرَزَقَهُ ، ويَسَّرَ لَهُ أُمُورَهُ ، وأَصَرَّ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِن التَّقَاطُعِ والشَّحْنَاءِ والصُّدُوْدِ ، وسَتَرَوْنَ أَنَّهُ بعِنَادِهِ وَإِبَائِهِ واسْتِكْبَارِهِ قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ عَرَّضَ نَفْسَهُ في الدُّنْيَا لِنِقَمِ اللهِ المُتَعَاقِبَةِ ، وأبقَى لَهَا بَعْدَ المَوتِ جَهَنَّمَ يَلْقَى فِيْهَا العَذابَ الأَلِيْمَ ، وَقَدْ وَرَدَ عَن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلم : أنَّ المُتَهَاجِرَيْنَ المُتَشَاحِنَيْنِ ، يُعْـرِضُ اللهُ عنهما ، وَإِذَا أَفَـاضَ عَلَى خَلْقِهِ رَحْمَتَـهُ كَانَ الحِـرْمَانُ نَصِيْبَهُمَا ، ولا يَزَالانِ هكذا . حَتَّى يُزِيْلَا مَا بَيْنَهُمَا مِن الخِصَامِ ، وَيَعُوْدَا إلَى ما كانَا عَلَيْهِ مِن قَبْلُ مِن الصَّفَاءِ والوِئَامِ ، واللهُ سبحانه وتعالى عَفُوٌّ غَفُوْرٌ : تَفَهَّمُوْا يا إخْوَانِي جَيِّداً ، واقْرَعُوْا قُلُوبَكُمْ بِمَا سَمِعْتُمْ مِن الزَّوَاجِرِ والعِـظاتِ ، واعْلَمُوْا أنَّ أَقْـرَبَ المُتَصَـافِيَيْنِ إلى اللهِ أَسْبَقُهُمَـا إلى الصَّفْحِ ، وتَنَاسِيْ مَا فَاتَ ، وأَعْظَمَهُمَا أجْراً مَن بَدَأَ بالسَّعْيِ إلَى إزَالَةِ الأَضْغَانِ والأَحْقَادِ ، فإنْ اسْتَجَابَ خَصْمُهُ لِلصُّلْحِ ، ولَمْ يَتَأَخرْ ، فَبِهَا وَنِعِمَتْ ، واسْتَحَقَّ نَصِيْبَهُ مِنَ الأَجْرِ والثَّوابِ ، وَإن أَبَى وامْتَنَع فَقَدْ احْتَمَلَ الاثمَ والعِقَابَ فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ ، واعْمَلُوا بهذِهِ النَّصِيْحَةِ ،

وسَارِعُوا بالاعتذارِ إلى رَبكُم ، واسْتَجِيْبُوا إلى دَاعِي الهُدَى والرَّشَادِ ، وأَصْلُحوا ذاتَ بَيْنِكم ، وهَلِّمُوا سِراعاً إلى مُصَافَاةِ مَن خَاصَمْتُمْ مِن إخْوانِكُم ، وبذلكَ تَصُونُونَ بُيُوتَكُم مِن الخَرَابِ ، وتَحْفَظُونَ أمْوَالكُم مِن التَّلاشِيْ والذَّهَابِ ، وتَرْجُونَ رِضَا رَبكُم وَعَفْوَهُ يَومَ البَعْثِ والحِسَابِ ، ﴿ يَومَ لا يَنْفَعُ مَالٌ ولا بَنُونَ ، إلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بقَلْبٍ سَلِيْم ، ﴾ ، ﴿إن في ذلك لَذِكْرَى ، لِمَنْ كانَ له قَلبٌ ، أَوْ أَلْقَى السمعَ وهو شهيد﴾ رَوَى أَبُو دَاوُدَ عن أبي هريرة رضي الله عنهُ أنَّ رسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم قال « لا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أنْ يَهْجُرَ مُؤْمِناً فَوْقَ ثَلاثٍ ، فإنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلاثٌ فَلْيَلْقَهُ فليُسَلِّمْ عَلَيهِ ، فإن رَدَّ عليهِ السلامَ فَقَد اشْتَرَكَا في الأَجْرِ ، وإنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ باءَ بالاثِم وَخَرَجَ المُسَّلِمُ مِن الهَجْرِ » وروى الطبراني عن جابر رضي الله عنه أن رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال .

« تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَومَ الاثْنَيْنِ والخَمِيْسِ ، فَمِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيُغْفَرُ لَهُ ، ومِن تَائِبٍ فيُتَابُ عَلَيْهِ ، وَيُرَدُّ أَهْلُ الضَّغائِنِ بضَغَائِنِهِم حتى يَتُوبُوا » وَوَرَدَ عنهُ صلى اللهُ عليه وسلم انَّهُ قال « مَن كظَمَ غَيْظاً وهُوَ قَادِرٌ أن يُنفِذَهُ ، دَعَاهُ اللهُ يومَ القِيَامَةِ على رُؤُوسِ الخَلائِقِ ، حتى يُخَيِّرَهُ مِن الحُوْرِ العِيْنِ مَا شَاءَ والله اعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

٣٣ موعظـة

عِبَادَ اللّهِ إنَّ شَأْنَ الصَّلاَةِ عَظِيْمٌ جِدّاً فِي دِيْنِنَا مَعْشَرَ المُسْلِمِيْنَ وَفِي كُلِّ دِيْنٍ وأَسْرَارُهَا العَظِيْمَةُ وَبَرَكَاتُهَا العَمِيْمَةُ وَفَوائِدُهَا الكَثِيْرَةُ لا تَخْفَى عَلَى كَثِيْرٍ مِنَ المُؤْمِنِيْنَ .

وَلَيْسَتِ الصَّلاَةُ مُجَرَّدُ أَقْوالٍ يَلُوْكُهَا اللِّسَانُ وَحَركَاتٌ تُؤَدِّيْهَا الجَوارِحُ بِلاَ تَدَبُّرٍ مِنْ عَقْلٍ وَلاَ تَفَهُّمٍ وَلاَ خُشُوْعٍ مِنْ قَلْبٍ لَيْسَتْ تِلْكَ الَّتِيْ يَنْقُرُهَا صَاحِبُهَا نَقْرَ الدِّيكَةِ وَيَخْطِفُهَا خَطْفَ الغُرَابِ وَيَمُرُّ بِهَا مَرَّ السَّحَابِ كأَنَّ وَرَاءَهُ طَالِبٌ حَثِيْثٌ وَيَلْتَفِتُ فِيْهَا التِفَاتَ الثَّعْلَبِ يَمِيْناً وَشِمَالاً وَفَوْقاً وَتَحْتاً .

كَلاَّ فَالصَّلاَةُ المُقَامَةُ تَماماً هِيَ الَّتِي تَأْخُذُ حَقَّهَا مِنَ التَّأَمُّل والخَشْيَةِ والخُضُوْعِ والسُّكُوْنِ واسْتِحْضَارِ عَظَمَةِ المَعْبُوْدِ جَلَّ جَلاَلُهُ .

وَذَلِكَ أَنَّ القَصْدَ مِنَ الصَّلاَةِ وَسَائِرِ العِبَادَاتِ هُوَ تَذْكِيْرُ الإِنْسَانِ بِرَبِّهِ الأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى .

وَالصَّلاَةُ صِلَةٌ بَيْنَ العَبْدِ وَرَبِّهِ تَقْوَى بِهَا مَحَبَّةُ العَبْدِ لِرَبِّهِ كُلَّمَا تَكَرَّرَتْ قَالَ ابْنُ القِيم رَحِمَهُ اللَّهُ فَإِنَّ المُحِبَّ يَتَلَذَّذُ بِخِدْمَةِ مَحْبُوْبِهِ وَتَصَرُّفِهِ فِي طَاعَتِهِ وكُلَّمَا كَانَتْ المَحَبَّةُ أَقْوَى كَانَتْ لَذَّةُ الطَّاعَةِ والخِدْمَةِ أَكْمَلُ فَلْيَزِنِ العَبْدُ إِيْمَانَهُ وَمَحَبَّتَهُ بِهَذَا المِيْزَانِ والْيَنْظُرْ هَلْ هُوَ مُلْتَذٌّ بِخِدْمَةِ مَحْبُوْبِهِ أَوْ مُتَكَرِّهٌ لَهَا يَأْتِيْ بِهَا عَلَى السَّآمَةِ والمَلَلِ والكَرَاهَةِ فَهَذا مَحَكُّ إِيْمانِ العَبْدِ وَمَحَبَّتُهُ لِلَّهِ .

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ إِنِّي أَدْخُلُ فِي الصَّلاَةِ فَأَحْمِلُ هَمَّ خُرُوْجِيْ مِنْهَا وَيَضِيْقُ صَدْرِي إذا فَرَغْتُ لِأَنِّي خَارِجٌ مِنْهَا وَلِهَذا قَالَ النَّبِيّ ﷺ وَجُعِلَتْ قُرَّتْ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ وَمَن كَانَتْ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِي شَيْءٍ فَإِنَّهُ لاَ يَوَدُّ أَنْ يُفَارِقَهُ وَلاَ يَخْرُجُ مِنْهُ فَإِنَّ قُرَّةَ عَيْنِ العَبْدِ نَعِيْمُهُ وَطِيْبُ حَيَاتِهِ بِهِ .

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ إِنِّي لأَفْرَحُ باللَّيْلِ حِيْنَ يُقْبِلُ لِمَا تَتَلَذَّذُ بِهِ عيشتي وتَقَرُّبِهِ عَيْنِي مِن مُنَاجَاةِ مَنْ أُحِبُّ وَخَلْوَتِي بِخِدْمَتِهِ والتَّذَلُّلِ بَيْنَ يَدَيْهِ واغْتَمُّ

لِلفَجْرِ إذا طَلَعَ لِمَا اشْتَغِلَ بِهِ بِالنَهَارِ عَنْ ذَلِكَ فَلا شَيْءَ أَلَذُّ لِلْمُحِبِّ مِنْ خِدْمَةِ مَحْبُوْبِهِ وَطَاعَتِهِ أَيْنَ هؤلآء ممن لَذَّتُهم وأنسُهُمْ عند المنكرات.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ تَعَذَّبْتُ بِالصَّلاةِ عِشْرِيْنَ سَنَةً ثُمَّ تَنَعَمْتُ بِهَا عِشْرِيْنَ سَنَةً وَهَذِهِ اللَّذَّةُ وَالتَّنَعُّمُ بالخِدْمَةِ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِالمُصَابَرَهِ عَلَى التَّكَرُّهِ والتَّعَبِ أَوَّلاً فَإذا صَبَرَ عَلَيْهِ وَصَدَقَ فِي صَبْرِهِ أَفْضَى بِهِ إِلَى هَذِهِ اللَّذَّةِ .

وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ سُقْتُ نَفْسِيْ إِلَى اللَّهِ وَهِيَ تَبْكِيْ فَمَا زِلْتُ أَسُوْقُهَا حَتَّى انْسَاقَتْ إِلَيْهِ وَهِيَ تَضْحَكُ أ . هـ .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى « وأَقِمِ الصّلاةَ لِذِكْرِي » .

وَقَالَ ﷺ إِنَّمَا فُرِضَتِ الصَّلاَةُ وأُمِرَ بالحَجِّ وأُشْعِرَتِ المَنَاسِكُ لإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ رَواهُ أَبُو داود ولِهَذا كَانَتْ عُنْوَانٌ عَلَى الفَلاحِ قَالَ تَعَالى « إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ الآية » .

والمُرَادُ بعِمَارَتِهَا بالصّلاَةِ والقُرُبَاتِ وقَال ﷺ إِذَا رَأَيْتُم الرَّجُلَ يَعْتَادُ المَسْجِدَ فَاشْهَدُوْا لَهُ بِالإِيْمَانِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُول : « إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ باللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ » .

وَجَاءَ ذِكْرُ الصّلاَةِ فِي القُرْآنِ في مَوَاضِعَ كَثِيْرَةٍ وأَثْنَى جَلَّ وَعَلا عَلَى المُقِيْمِيْنَ لَهَا والمُحَافِظِيْنَ عَلَيْهَا وأَخْبَرَ أَنَّهَا تَنْهَى عن الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ ومِنْ دُعَاءِ الخَلِيْلِ عَلَيْهِ السّلامُ أَنَّهُ يَسْأَلُ رَبَّهُ أَنْ يَجْعَلَهُ مُقِيْماً لَهَا قَالَ تَعَالَى : « رَبِّ اجْعَلْنِيْ مُقِيْمَ الصَّلاَةِ ومِنْ ذُرِّيَّتِي » .

وَمَدَحَ بِهَا إِسْمَاعِيْلَ قَالَ تَعَالَى « وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيَا » وأَمَرَ جَلَّ وَعَلاَ مُوْسَى بإِقَامَتِهَا أَوَّلَ مَا يَأْمُرُهُ بِهِ فِي سَاعَاتِ

الوَحْيِ الأُوْلَى قَالَ تَعَالَى « وأنَا اخْتَرْتُكَ فاسْتَمِعْ لِمَا يُوْحَى إِنَّنِي أَنَا اللّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وأقِمِ الصّلاةَ لِذِكْرِي » وَقَالَ لَهُ وَلِهَارُوْنَ « أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوْتاً واجْعَلُوْا بُيُوْتَكُمْ قِبْلَةً وأقِيْمُوْا الصَّلاَةَ » .

وفي وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لابْنِهِ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وأْمُرْ بالمَعْرُوْفِ وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ الآيَة ويُنْطِقُ اللّهُ عِيْسَى وَهُوَ فِي مَهْدِهِ فَيَقُوْلُ « وَأَوْصَانِي بِالصّلاةِ والزّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّا » .

وَيَأْمُرُ اللَّهُ بِهَا صَفْوَةَ خَلْقِهِ وَخَاتِمَ أَنْبِيَائِهِ فَيَقُوْلُ جَلَّ وَعَلاَ « اتلُ مَا أُوْحِي إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ وَأَقِمِ الصّلاَةِ » وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلاَ وَتَقَدَّسَ « وأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا » .

وَيَبْتدِؤ بِهَا أَوْصَافَ المُؤْمِنِيْنَ وَيَخْتِمُ بِهَا فَيَقُوْلُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى « قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُوْنَ الّذِيْنَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُوْنَ » الآيَات إلى قَوْلِهِ « وَالّذِيْنَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُوْنَ » .

وَيُؤَكِّدُ المُحَافَظَةَ عَلَيْهَا حَضَراً وَسَفَراً وفِي الأَمْنِ والخَوْفِ والسِّلْمِ والحَرْبِ « حَافِظُوْا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الوُسْطَى وقُوْمُوْا لِلّهِ قَانِتِيْنَ فإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً » .

وَأَخْبَرَ جَلَّ وَعَلاَ عَمَّنْ أَضَاعُوْا الصَّلاَةَ وَاتّبَعُوْا الشَّهَوَاتِ أَنَّ عَاقِبَةَ أَعْمَالِهِمْ وَسُوْءَ مَآلِهِمْ شَرٌّ وخُسْرَانٌ فقالَ « فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوْا الصَّلاَةَ واتَّبَعُوْا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غيا » .

وَجعَلَها النّبِيُّ ﷺ الشِّعارَ الفَاصِلَ بَيْنَ المُسْلِمِ والكَافِرِ فَقَالَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الكُفرِ تَرْكُ الصَّلاَةِ وَقَالَ العَهْدُ الّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلاَةُ فَمَنْ

تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ وَفِي الحَدِيثِ الآخِرِ مَنْ تَرَكَ الصَّلاَةَ مُتَعَمِّداً فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللّهِ وَرَسُوْلِهِ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسّلامُ مَنْ فَاتَتْهُ صَلاَةٌ فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلُهُ وَمَالُهُ .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ شَأْنِ الصَّلاَةِ مَعَ مَا تَقَدَّمَ اهْتِمَامُ المُسْلِمِيْنَ بِتَوْجِيْهِ المُحْتَضَرِ وَهُوَ فِي سَكَرَاتِ المَوْتِ إلى القِبْلَةِ وَكَذَلِكَ وَضْعُهُ فِي قَبْرِهِ مُتَّجِهاً إلى القِبْلَةِ وَمَا ذَاكَ إلّا لأَنَّهَا الجِهَةُ الّتِي يَتَّجِهُ إِلَيْهَا كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَتَعَرَّفَ إلَى رَبِّهِ وَيَدْعُوْهُ وَيُجَدِّدُ الصِّلَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ فِي الصَّلاَةِ .

على الصوات الخمس حَافظْ فإنها ... لآ كَدُ مَفْرُوْضٍ على كلِ مُهْتَدِ
فلا رُخْصَةٍ في تركهَا لِمُكَلَّفٍ ... وأولُ مَا عَنه يُحَاسَبُ في غدِ
بإهْمالِها يَسْتَوجِبُ المَرءُ قَرْنَهُ ... بفرعونَ مَعْ هَامانَ في شرِ مَوْرِدِ
ومازَال يُوصِي بالصلاة نَبِيُّنَا ... لَدَى الموتِ حَتَّى كَلَّ عن نُطْقٍ مِذْوَدِ

وَاللّه أعلَم وصَلّى اللّهُ عَلَى نِبيّنا مُحَمّد وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلّم

٣٤ موعظة

عِبَادَ اللهِ مَا بَالُ الكَثِيْرِ اليَوْمَ لا يَسْمَعُونَ ، وَإِذَا سَمِعُوا لا يَنْتَفِعُون ، أفي آذانِهم صَمَمٌ ، أمْ هُمْ في الأمْرِ مُتَهاوِنُوْنَ، وَلأيِّ شَيْءٍ يَجْتَمِعُونَ ، وَيَقُومُ فِيهِمْ الخُطَبَاءِ المُجِيْدُوْنْ ، وَالوُعَّاظُ المُبَلغُونَ ، وَيُذكِّرونَهُمْ أيَّامَ اللّهِ فلا يَخْشَعُ الوُعَاظُ وَلا المُوَعَّظُونَ ، ويُرَغِّبُونَهم في الخَيْرِ فلا يُسَارِعُون ، وَيُنْذِرُونَهُم عَوَاقِبَ السُّوْءِ فلا يَتأثَّرونَ « فَسُبْحَانَ الذِيْ بَيده مَلكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإليْهِ تُرْجَعُونَ » لقَدْ كَانَ السَّلفُ الصَّالِحُ إذا وَعَظُوا تَأثَّرَ المُستمِعُ لهُمْ تَأثُّراً عَظِيْماً ، وفَارَقَ مَا عِنْدَهُ مِنْ المُنْكرَاتِ ، وَالمُحَرَّمَاتِ ، وَفَارَقَ مَنْ أصَرَّ عَلَيْهَا مِنْ أقَارِبِهِ ، وَأوْلاَدِهِ ، وَإِخْوانِهِ ،

وآبَائِهِ ، وَجَدَّدَ تَوْبَة نَصُوْحاً ، عَمّا سَلفَ لـهُ مِنْ الأعْمَالِ ، التِيْ لا يَرْتَضِيْها الدِّيْنَ الاسْلامِيّ ، فَأيْنَ أُوْلئك مِنْ هَؤلاءِ الخَلَفُ ، الذِيْنَ ضَيَّعُوا تَعالِيْمَ الدِّيْنَ الاسْلامِي ، وَضَيَّعُوا العَمَل بِهِ ، وتَركُوا الانْقيادِ لِكِتَابِ الله ، وَسُنَّةِ رَسُولِه صَلَّى اللهُ عليه وسَلم ، تَأمَّل كَيْفَ ترى أكثرهَم أضاعُوا الصَّلاةَ ، وَعَطَّلوا الأحْكَام ، وتَسَاهَلوْا بأمْرِ الحَرامِ ، يَمُرُّوْنَ بالمساجدَ ، وَقْتَ الصَّلاةِ ، فـلا يُعِيْرونْهَـا أيَّ اهْتِمَام أمَّـا الملاهِيْ وَالمُنْكَراتِ فإليْهَا يُسْرِعُونَ وعَليْهَا يَعْكُفُون وَإلَى ما فِيْهَـا مِنْ الأغَانِيْ وَالمجُونِ والسُّخْفِ يَتَسابَقُونَ فإنّا للهِ وَإنّا إليْه راجِعُونَ ، أيْنَ الخوفُ مِنْ الجَبَّارِ ، أيْنَ الحَيَا مِنْ فَاطِر الأرضِ وَالسَّمَواتِ ، أيْنَ المُروْءَةُ وَالاعْتِصَامُ بالقُرْآن ، ومَا كانَ عليْهِ آبَاؤكمُ وَأجْدَادُكُم العُبَّاد الكِرَامُ ، الذِيْنَ كانَتْ المَسَاجِدُ تغُصُّ بهِمْ شُيُوخاً وشُبَّانا ، وَكانَتْ تَعُجُّ بأصْواتِهم تَسْبِيْحاً ، وَتحْمِيْدا وتَهْلِيْلاً ، وَتكْبيرَا ، وَاستغْفَاراً ، وقُرْآناً ، وكَانوا يَؤمُّونَ المساجَد قَبْلَ الأذانِ زُرَافَاتٍ وَوَحْدانَا ، ولاَ يَتَخَلَّفُ مِنْهُم إلا مَعْذُورٌ ، إمَّا مَرِيضٌ أو غَائِبٌ ، أو نَحْو ذلِكَ ، وكَان المارُّ بِبُيُوتِهم لَيْلاً يَسْمَعُ زَجَل التسبيح ، والتَّهْلِيْل ، وَالبُكَاءِ وَالأنِيْنَ والتَّضرُّعِ إلىَ بَدِيْعِ السَّمَواتِ وَالأرْضِ ، وَالألحَاحِ بدُعَائِهِ ، وَالالتِجَـاءِ إليْهِ وَالانَـابَةِ ، عَكْسُ مَـا عَلَيْهِ هَؤلاَءِ الخَلَفِ ، الذِيْنَ صَدَقَ عليْهِمْ قَوْلُ اللهِ تَعالَى ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهم خَلْفٌ أضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوْفَ يَلقَونَ غَيّا ﴾ الذِيْنَ إنْ بَحَثْتَ عَنْهُم في الليْلِ ، وَجَدْتَهُم حَوْلَ الملاهِيْ وَالمُنْكَراتِ ، مُتَربِّعِيْنَ أمَامَ التِّلفِزْيُونِ ، وَغِنَاءِ المُطْربِيْن ، وَإنْ بَحَثْتَ عَنْهُم في صلاةِ الفَجْرِ وَجَدْتَهُم في فُرُشِهم ، إثر سَهَرِهِم حَوْلَ تِلْكَ المُنْكَراتِ ، وَانْ بَحَثْتَ عَنْهُم وَقْتَ صَلاةِ الظهْر ففِي شؤون الدُّنْيَا ، ومَا يَتَعَلَّقُ بهَا ، وَإنْ أرَدْتَهُم في صلاةِ

العَصْرِ ، وَجذْتَ بَعْضَهُم عِنْدَ الكُورَةِ ، وَالبَعْضَ عِنْدَ التّلفِزْيُون ،وَالبَعْض عِنْدَ المذْيَاع ، وَأَغَانِيْهَ وسَلاهِيْهِ ، وَإِنْ سَألتَ عَنْهَم وَقْتَ صلاةِ المَغْرب ، وَجَدْتَ بَعْضَهُم يَمْشِيْ مُتَردداً،والبَعْضُ في الملْعَب ، وَالبَعْضُ عِنْدَ التلفِزْيُونِ،أوِ المذْيَاع، وَأَمّا العِشَاءُ الآخِرَة فَتِلْكَ هُمْ فيْها أَقْسَامٌ اكثَرُهم حَوْلَ التّلفِزْيون أو في الأسْواقِ ، أو يَلْعَبُونَ ورَقَةً ، أو نْحو ذَلكَ مِنْ المُنْكَراتِ وَهَكذا قَتَلوا أوْقَاتَهُمْ الثَّمِيْنَةَ ، وَضَيَّعُوهَا، وَقَضَوْا عَلَى مُسْتَقْبَلِهِمْ ، فَإِنّا للهِ وإِنّا إليهِ رَاجِعُونَ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّة إلاّ باللّهِ وَاللهُ أعْلَمُ بِمَا أَرَادَهُ بعِبَادِهِ ، قَالَ تَعَالى ﴿ ظَهَرَ الفَسَادُ في البَرِّ وَالبَحْرِ بمَا كَسَبْت أيْدِيْ النَّاسِ لِيُذِيْقَهُم بَعْضَ الذِيْ عَمِلُوا لَعلَّهُم يَرْجِعُون ﴾ وَالحالة هَذِه مُخِيْفَة لِذَوِيْ العُقُولِ وَالفُهومِ ، لا سِيَّمَا وَقد تَوالتْ أَسْبَابُ الهَنَاءِ وَالرَّاحَةِ ، وَالسُّرُورِ ، وَالاطْمِئنَانِ ، وَقَدْ قِيْلَ إذا رَأيْتَ اللهَ تَعالَى أَنْعَمَ على عَبْدٍ وهُو مُقِيْمٌ على مَعْصِيَتِه فَاعْلَمْ أنَّهُ مُسْتَدرَجٌ وَرَوَى عُقْبَةُ بنُ عامرٍ أنَّ رسُول الله صلى الله عليه وسلم قالَ إذا رَأيْتَ اللهَ يُعْطِيْ العَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُو مُقِيْمٌ على مَعْصِيَتِهِ فإنَّما ذلكَ اسْتِدْرَاجٌ ثُمَّ تَلاَ ﴿ فَلَما نَسُوا مَا ذُكِرُوا به فَتَحْنا عليهم أبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إذَا فَرِحُوا بمَا أوتُوا أَخَذناهُم بغتَةً فاذا هم مُبْلِسُونَ ﴾ وَقال قتادةُ ما أخذَ اللهُ قَوْماً إلاْ عِنْدَ سَكَرتِهم وغِرّتِهم ، ونِعْمَتِهم ، فلا تَغْتَرُّوا باللهِ ، فإنَّهُ لا يَغترُّ بالله إلا القومُ الفاسِقُونَ .

اللّهُمَّ حَبّبْ إلَيْنَا الإيْمانَ وَزَيِّنْهُ في قُلوبِنَا وكَرِه إلَيْنَا الكُفْرَ والفُسوقَ والعِصْيانَ واجْعَلنا مِنَ الرّاشِدِين وَاغْفِرْ لَنا ولِوالِدِيْنا وجمِيْع المُسْلمينَ برحْمتِكَ يا أرحَمَ الرّاحِمِيْن وصلّى الله على محمّد وعلى آلهِ وصحبِهِ أجمَعِين .

٣٥ « موعظـة »

إِخْوَانِي إِنَّ فِي مَوَاعِظِ الأَيَّامِ واللَّيَالِي لَعِبْرَةً لِذَوِيْ البَصَائِرِ رَكَائِبُ أَمْوَاتٍ تُزْعَجُ عن مَقْصُوْرَاتِ القُصُوْرِ ثُمَّ تُحْمَلُ إِلَى مَضَائِقِ القُبُورِ ، فَكَمْ قَدْ شَاهَدْتُمْ مِنْ شَخْصِيَّاتٍ فِي الأَرْضِ ، قَدْ وُضِعَتْ ، وكَمْ قَدْ عَايَنْتُمْ مِنْ أَبْدَانٍ نَاعِمَةٍ في الأَكْفانِ قَدْ لُفَّتْ وإِلَى مَضِيْقِ الأَلْحَادِ قَدْ زُفَّتْ فَيا لَهَا مِنْ غَايَةٍ يَسْتَبِقُ إِلَيْهَا العِبَادُ وَيَا لَهُ مِنْ مِضْمَارٍ يَتَنَاوَبُهُ جَوَادٌ بَعْدَ جَوَادٍ وَيَا لَهُ مِنْ هَوْلٍ شَدِيْدٍ يَعْقُبُهُ أَهْوَالٌ شِدَادٌ فِتْنَةُ قُبُوْرٍ وَحَشْرٌ في مَوْقِفٍ مَهِيْلٍ مَوْقِفٌ فِيهِ تَنْقَطِعُ الأَنْسَابُ وَتَخْضَعُ فِيهِ الرِّقَابُ وتَنْسَكِبُ فِيْهِ العَبَرَاتُ وتَتَصَاعَدُ فِيْهِ الزَّفَرَاتُ ذَلِكَ مَوْقِفٌ تُنْشَرُ فِيْهِ الدَّوَاوِيْنُ ، وتُنْصَبُ فِيْهِ المَوَازِيْنُ ، وَيُمَدُّ فِيْهِ الصِّرَاطُ ، وحِيْنَئِذٍ يَقَعُ الامْتِيَازُ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ومُكَرْدَسٌ في النَّار .

دَخَلَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ رحِمَهُ اللّهُ على سابِقِ البَرْبَرِي وهُوَ يَتَمَثَّلُ بالأَبْيَاتِ المَشْهُوْرَةُ مِن قَصِيْدَةِ الأَعْشَى .

أَجِـدَّكَ لَمْ تَـذْكُـرْ وِصَـاةَ مُحَمَّـدٍ
نَـبِيِّ الإِلَـهِ حِيْنَ أَوْصَـى وأَشْهَـدَا
إِذا أَنْتَ لَمْ تَـرْحَلْ بـزَادٍ مِنَ التُّقَى
وأَبْصَرْتَ بَعْدَ المَوْتِ مَنْ قَدْ تَـزَوَّدَا
نَـدِمْتَ عَلَى انْ لاَ تَكُـوْنَ كَمِـثْلِهِ
وَأَنَّـكَ لَمْ تُرْصِـدْ كَمَا كَـانَ أَرْصَدَا

فَغُشِيَ عَلَى عُمَرَ رَحِمَهُ اللّهُ فَلَمَّا افَاقَ قَالَ زِدْنا فَقَالَ القَصِيْدَة الّتِيْ تَلِي

بِسْمِ الّذِي أَنْزلَتْ مِنْ عِنْـدِهِ السُّوَرُ
الْحَمْـدُ لِلّهِ أَمَّـا بَعْـدُ يَـا عُمَـرُ

إنْ كُنتَ تَعْلَمُ مَـا تُبْقِي وَمَـا تَـذَرُ
فَكُنْ عَلَى حَـذَرٍ قَـدْ يَنْفَـعُ الحَـذَرُ
واصْبِرْ عَلَى القَدَرِ المَقْدُوْرِ وارْضَ بِه
وإنْ أتَـاكَ بِمَـا لاَ تَشْتَهِي القَـدَرُ
فَمَـا صَفَى لامْـرىءٍ عَيْشٌ يُسَـرُّ بِـهِ
إلاَّ وأعْـقِبَ يَـوْمـاً صَفْـوُهُ كَـدَرُ
قد يَرعَوِي المَرْءُ يـوْماً بَعْـدَ هَفْوَتِـهِ
وتُحْكِمُ الجَـاهِـلَ الأيَّـامُ والعِبَـرُ
إنَّ الـتُّقَـى خَيْـرُ زَادٍ أنْـتَ حَـامِلُهُ
والبِّـرُّ أفْضَـلُ مَـا تَـأْتِي وَمَـا تَـذَرُ
مَن يَطْلُبِ الجَوْرَ لاَ يَـظْفُرْ بحَـاجَتِهِ
وطَالِبُ العَدْلِ قَدْ يُهْدَى لَـهُ الظُّفَـرُ
وفي الهُدَى عِبَرٌ تُشْفَى القُلُوبُ بِهـا
كـالغَيْثِ يَحْيَى بِهِ مِنْ مَـوْتِهِ الشَّجَـرُ
وَلَيْسَ ذُوْ العِلْمِ بـالتَّقْوَى كَجَـاهِلِهَا
ولا البَصِيـرُ كـأعْمَى مَـالَـهُ بَصَـرُ
نَـدِمْتَ عَلَى انْ لاَ تَكُـوْنَ كَمِثْلِهِ
وَأنَّـكَ لَمْ تُرْصِـدْ كَمَا كَـانَ أرْصَدَا

فَغُشِيَ عَلَى عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَلَمَّا أفاقَ قَالَ زِدْنا فَقَالَ القَصِيْدَة الَّتِيْ تَلِي

بِسْمِ الَّذِي أنْزِلَتْ مِنْ عِنْـدِهِ السُّوَرُ
الْحَمْـدُ لِلّهِ أمَّـا بَعْـدُ يَـا عُمَـرُ

إنْ كُنتَ تَعْلَمُ مَـا تُبْقِي وَمَـا تَـذَرُ

فَكُنْ عَلَى حَـذَرٍ قَـدْ يَنْفَـعُ الحَـذَرُ

واصْبِرْ عَلَى القَدَرِ المَقْدُوْرِ وارْضَ بِه

وإنْ أتـاكَ بِمَـا لاَ تَشْتَهِي القَـدَرُ

فَمَـا صَفَى لامْـرِىءٍ عَيْشٌ يُسَـرُّ بِـهِ

إلَّا واعْـقِبَ يَـوْمـاً صَـفْـوُهُ كَـدَرُ

قد يَرعَوِي المَرْءُ يـوْماً بَعْـدَ هَفْوَتِـهِ

وتُحْكمُ الجَـاهِـلَ الأَيَّـامُ والعِبَـرُ

إنَّ الـتُّقَى خَيْـرُ زَادٍ أَنْـتَ حَـامِلُهُ

والبِـرُّ أَفْضَـلُ مَـا تَـأْتِي وَمَـا تَـذَرُ

مَن يَطْلُبِ الجَوْرَ لاَ يَـظْفُرْ بحَـاجَتِهِ

وطَالِبُ العَدْلِ قَدْ يُهْدَى لَـهُ الظَّفَـرُ

وفي الهُدَى عِبَرٌ تُشْفَى القُلُوبُ بِهـا

كـالغَيْثِ يَحْيَى بِهِ مِنْ مَـوْتِهِ الشَّجَـرُ

وَلَيْسَ ذُوْ العِلْمِ بـالتَّقْوَى كَجَـاهِلِهَا

ولا البَصِيـرُ كـأَعْمَى مَـالَـهُ بَصَـرُ

والـذِّكْـرُ فِيْـهِ حَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ كَمَـا

تَحْيَـا البِلادُ إِذَا مَـا جَـاءَهَـا المَـطَرُ

والعِلْمُ يَجْلُو العَمَى عن قَلْبِ صَاحِبِه

كَمَـا يُجَلِّي سَـوادَ الـظُّلمَـةِ القَمَـرُ

لا يَنْفَـعُ الـذِّكْـرُ قَلْبـاً قَـاسِيـاً أَبَـدَا

وهَـلْ يَلِيْنُ لِقَـوْلِ الـواعِظِ الحَجَـرُ

ما يَلْبَثُ المَرْءُ أَنْ يَبْلَى إِذَا اخْتَلَفت
يَـوْماً على نَفْسِهِ الرَّوْحَاتُ والبِكَـرُ
والمَـرْءُ يَصْعَـدُ رَيْعَـانُ الشَّبَابِ بِـه
وكُـلُّ مُصْعِـدَةٍ يَـوْمـاً سَتَنْـحَـدِرُ
وكُـلُّ بَيْتٍ سَيَبْـلَى بَعْـدَ جِـدَّتِـهِ
ومِن وَرَاءِ الشَّبَـابِ المَـوْتُ والكِبَـرُ
والمَوْتُ جَسْرٌ لِمَنْ يَمْشِيْ على قَدَم
إِلَى الأُمُـورِ الّتِي تُخْـشَى وتُـنْتَـظَرُ
فَهُمْ يَمُـرُّونَ أَفْـوَاجـاً وتَجْـمَعُـهُمْ
دَارٌ يَصِيْـرُ إِلَيْهَـا البَـدْو والحَـظَرُ
كَمْ جَمْعُ قَوْمٍ أشَتَّ الدّهرُ شَمْلَهُمْ
وَكُـلُّ شَمْـلٍ جَمِيْـعٍ سَـوْفَ يَنْتَثِـرُ
وَرُبَّ أَصْيَـدَ سَـامَ الـطَّرْفِ مُقْتَضِباً
بـالتّـاج نِيْـرانُـه لِلْحَـرْبِ تُسْتَعَـرُ
يَـظَلُّ مُفْتَـرِشَ الـدِّيْبَـاجِ مُحْتَجِبـاً
عَلَيْـهِ تُبْنى قِبَابُ المُلْكِ والحُجَـرُ
إِلَى الفَنَـاءِ وإِنْ طَـالَتْ سَـلاَمَتُهُمْ
مَصِيْـرُ كُـلِّ بَنِي أنثَى وإِنْ كَبُـرُوا
إذا قَـضَتْ زُمَـرٌ آجـالَـهـا نَـزَلَتْ
علَى مَنَـازِلِهِمْ مِـنْ بَعـدِهَـا زُمَـرُ
أَصْبَحْتُمْ جُـزُراً لِلْمَـوْتِ يَـأْخُـذُكُمْ
كَمَـا البَهَائِمُ فِي الـدُّنْيـا لَكُمْ جُـزُرُ

أَبَعْـدَ آدَمَ تَـرْجُـونَ الخُلُودَ وهَـلْ
تَبْقَى الفُـروعُ إذا مَا الأصْـلُ يَنْعَقِـرُ
وَلَيْسَ يَـزْجُـرُكُمْ مَـا تُـوعَـظُونَ بِـه
والبَهْمُ يَـزْجُـرُهَـا الـرَّاعِي فَتَنْـزَجِـرُ
لا تبـطُرُوْا واهْجُروا الـدُّنْيا فـإنَّ لَها
غِبـاً وخِيْمـاً وكُفْـرُ النِّعْمَـةِ البَـطَرُ
ثُمّ اقْتَدُوا بالأُوْلَى كَـانُوا لَكُمْ غُـرَراً
ولَـيْسَ مِـن أُمَّـةٍ إلَّا لَـهَـا غُـرَرُ
مَتَى تَكُـونُـوا على مِنْهَـاجِ أَوَّلِكُمْ
وتَصْبِرُوا عَنْ هَوَى الدُّنْيَا كَمَا صَبَرُوا
مَـالِيْ أَرَى النَّـاسَ والـدُّنْيَا مُـوَلِّيَّةً
وَكُـلُّ حَبْـلٍ عَلَيْهَـا سَـوْفَ يَنْبَتِـرُ
لا يَشْعُـرُونَ إذَا مَـا دِيْنُهُم نُقِصُـوا
يـوْمـاً وإنْ نُقِصَتْ دُنْيَـاهُم شَعِـرُوا
حَتّى مَتَى أكُ في الدُّنْيا أَخَـا كَلَفٍ
في الخَـدِّ مِنّي إلى لَـذّاتِهـا صَعـرُ
ولا أرى أثَـراً لِلذِّكْـرِ في جَسَـدِي
والحَبْلُ في الحَجَرِ القَـاسِي لَهُ أَثَـرُ
لَـوْ كَـانَ يُسْهِـر لَيْلِي ذِكْرُ آخِـرتِي
كَمَـا يُؤرِّقِني لِـلْعـاجِـلُ السَّفَـرُ
إذاً لَـدَاوَيْتُ قَلْبـاً قَـدْ أضَـرَّ بِـهِ
طُـولُ السِّقامِ وكَسْـرُ العَظْمِ يَنْجَبِـرُ

ثُمَّ الصَّلاةُ على المَعْصُومِ سَيِّدِنَا
ما هَبَّتِ الرِّيْحُ واهْتَزَّتْ بِهَا الشَّجَرُ

اللهم ثبت إيماننا ثبوت الجبال الراسيات واشرح صدورنا للإسلام وثبتنا عليه واجعلنا من حزبك المفلحين وعبادك الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

٣٦ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللهِ : سُنَّةُ اللهِ في خَلْقِه أنْ لَا يُؤَاخِذَ مُذْنِبَاً بِذَنْبٍ اقْتَرَفَهُ ، أو جَرْيَمَةٍ اجْتَرمَها ، أو جَرِيْرَةٍ ارْتَكَبَها إلا بَعْدَ أنْ يُبَيِّنَ لهُم مَا يَنْبَغِي أنْ يَتَّقُوه مِنْ مَحارِمِه ، ويَجْتَنِبُوهُ مِنَ المُوبِقَاتِ ، الْمُؤَدِّيَةِ بهم إلى هُوَّةِ الهَلاكِ والدَمَارِ ، وقَد أرْسَلَ اللهُ جَلَّ وعَلا إلىَ هَذِهِ الأمَّةِ الاسْلامِيَّةِ مُحَمَّداً رَسُولَه صلى اللهُ عليه وسَلَّمَ النَّبِيّ الأمِّيّ ﴿ الذِيْ يَجِدُونَهُ مَكتُوباً عِنْدَهُم في التَّوْرَاةِ والانْجِيْلِ يَأْمُرهُم بالمعْرُوفِ ويَنْهَاهُمْ عَنْ المنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمْ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ الخبائِثُ ﴾ وَأنْزَلَ عَليْهِ كِتَابَهُ الكرِيْم ، ﴿ قُرْآناً عَرَبيّاً غَيْرَ ذِي عَوجٍ لَعَلَّهُم يَتَّقُونَ ﴾ ﴿ يَهْدِي بهِ اللهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ ﴾ فيْهِ هُدىً ، وَتِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ مِمَّا يَحْتَاجُ إليْهِ النَّاسُ في دُنْيَاهُم وأُخْرَاهُم ، فاسْتَمْسَكَ المُسلِمُون مُدَّةً مِنَ الدَّهْرِ بهَدْيِهِ ، وَتَخَلَّقُوا بآدَابِهِ ، فَكَانُوا في ذَلِكَ الحِيْنِ أهْلَ الحَوْلِ وَالطَّوْلِ وَالقُوَّةِ وَالمَنَعَةِ ، تَعْنُو لهُم الوُجُوهُ ، وَتَخْضَعُ لَهُم الرِّقَابُ فَلَمْ يَقُمْ لَهُم مُنَازِعٌ إلا ابْتَزُّوا مُلكَهُ ، وَاسْتَبَاحُوا مَكانَ العِزَّةِ منْهُ ، وَاخَذُوا بطَرَفي الشَّرْقِ والَغرْبِ ، وَكانُوا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، يَأْمُرُوْنَ بالمعْرُوْفِ وَيَنْهَونَ عَنْ المُنْكَرِ ، وَيُؤَمِنُونَ باللهِ ، كانُوا

في تِلْكَ الأزْمَانِ يَعْمَلُونَ بطَاعَةِ اللهِ وَيَتَّقُونَهُ ، وَيُحْسِنُونَ في عِبَادتِهِ وَإلى عِبَادِه ، وَيَصْبُرُونَ عَنْ مَعَاصِيْهِ ، وَعلى أقدَارِهِ ، فكانَ اللهُ مَعهم بعَوْنِهِ وتوْفِيْقِهِ ، وَنَصْرِهِ وَتأيِيدِه وتَسْدِيْدِه ، يَا عَبَادَ اللهِ كَانَ كُبَراءُ النَّاس وسَادَتُهم في الصَّدْرِ الأوّلِ أشَدُّ النَّاسِ ظُهُوراً بالتَّمَسُّكِ بالدِّيْنِ تَقْتَدِي بهِم العَامَّةُ في توحِيْدِهم وعَبَادَاتِهم ومُعَامَلاتِهم ، فانْعَكَستْ عَلَيْنَا الآنَ القَضِيَّةُ ، وصَارَ العَامَّةِ أشَدُّ تَمَسُّكاً بالدِّيْنِ ، وَأرْسَى عَقِيْدَةً ، من أولئِكَ ، وأصْبَحَ كَثِيْرٌ مِنْ المتعَلِّمِيْنَ الذِين يَزعُمونَ انهُم مُثَقَّفُونَ ، يَحْمِلُونَ المؤهِّلاَتِ المعْرُوفَةِ أزهَدَ النَّاسِ في الدِّيْنِ ، وأبْعَدَهم عَنْ تَعالِيْمِهِ ، نَبَذُه كثِيْرٌ منهُم كَمَا تُنْبَذُ النَّواةُ ، لا لأنهُم وَقَفُوا عَلى عَيْبٍ في الدِّيْنِ ، أو هَفْوَةٍ في أصُولِه ، وَلكنَّهم مُقَلِّدُون في هَذا الضَّلالِ لِقومٍ عَرَفُوْا ﴿ ظَاهِراً مِنْ الحيَاةِ الدُّنْيَا ، وهُم عن الآخِرةِ هُم غافِلُون ﴾ وَرَأوا تكالِيْفَ الدينِ وتعَالِيْمهُ لا تَتَّفِقُ مَعَ شَهَواتِهم ومَلاذِهِم ، فاتَّخَذوا الخُرُوْجَ عَنْ تكاليفِهِ لِلْحُصُولِ على مَلاذِّ الحَيَاةِ ، ﴿ ومَا الحيَاةُ الدُّنَيا الا مَتاعُ الغُرورِ ﴾ .

اللهم أرزقنا حُبّكَ وحُبَّ مَن يَحُبّكَ وحبَّ العَمَل الذي يُقرِّبنا إلى حُبّكَ وألهِمنَا ذِكْرَكَ وشُكْرِكَ وَوَفِّقْنَا لِلقِيَامِ بحقِك وخَلِصنَا مِن حقوقِ خَلقِكَ وَرَضّنَا باليسير مِن رزقَك يا خَيرَ مَنْ دَعَاه دَاعٍ وأفضَلَ مَنْ رجَاهُ راج ، يا قاضي الحاجات ومجيب الدعوات هَب لنا مَاسَألْنَاه وحَقق رجَاءَنَا فِيْمَا تَمنينَاهُ يَا مَن يَملِكَ حَوائِجَ السائلين ويَعْلم ما فِي صَدُوْر الصامِتِيْنَ أذِقنَا بَرْدَ عَفوكَ وحَلاوَةَ مَغْفِرَتِك واغفر لَنَا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

٣٧ « موعظـــة »

عباد الله أين الذين سادوا وشادوا أوطانا ، وحكموا وأحكموا بنياناً ، وجمعوا فحشدوا أموالا وأعوانا عوضوا بأرباح الهوى خسرانا ، وبدلوا بإعزاز الكـبر والتجـبر هَوانـا وأخـرجـوا من ديارهم بعد الجموع وحدانا ، وما استصحبوا مما جمعوا إلا أكفانا .

نَصِيبُـكَ مِمَّـا تَجْمَـعَ الـدَّهْـرَ كُلَّهُ ... رِدَاآنِ تُطْـوَى فِيهِمَـا وحَنُـوْطُ

آخر : فمـا تـزودَ مما كـان يجمعـه ... سِوَى حَنـوط غـداة البين في خرق

وقَــلّ ذلـك مِـن زاد لمنطـلق ... وغـير نِفحـة أعـوادٍ تشـبُّ لـه

يحْمَلْونَ على الأعناق ولا يُسَمَّونَ رُكبانا ، وينْزلُونَ بُطونَ الألحادِ ولا يُسَمَّونَ ضِيْفَانَا ، مُتقاربين في القبور ولا يُسَمَّوْنَ جيرَانَا .

أو ليس قد رأينا كيفَ يُنْقَلُونَ ولا كَفَانَا ، فيا مَن قَد بَقِي مَن عُمُرِهِ القَليلُ ولا يَدْرِي مَتَى يَقَـعُ الرحيل ، كأنكَ بطَرْفِكَ حِيْنَ الموت يَسِيْلُ والـروحُ تنـزعُ والكربُ ثقِيْل ، والنُّقْلَةُ قد قَربَتْ وأينَ المقيل ، أفي الجنةِ ونِعيمها والسَّلْسَبيلِ أم في الجحيم وأنكالِها وأغلالِها وبئْسَ المقيل .

يا مَن تعدُ عليه أنفاسهُ اسْتَدْركْها ، يا منَ سَتَفُوتُه أيامُه أدْرِكْهَا ، إن أعَـزَّ الخَلْق عَليكَ نَفْسُـكَ فلا تُهْلِكْهَا كمَ أغْلقْتَ بَاباً على قَبيحْ ، وكم أعْرَضْتَ عن قولِ المخلصِ النَّصِيْحِ ، أعظم الله أجرك في عمر قد مضى ما رزقت فيه العفو ولا الرضى .

إنقضت فيه اللذات كمن قضى ، وصارت الحسرات من الشهوات عوضا ، قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر

وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴾ وقال تعالى ﴿ أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الخاسرين ﴾ والله أعلم وصلى الله على محمد .

٣٨ « موعظة »

عِباد الله ما هذه الغفلة وأنتم مستبصرون وما هذه الرقدة وأنتم مستيقظون كيف نسيتم الزاد وأنتم راحلون ، أينَ مَن كان قبلكم ألا تتفكرون أما رأيتم كيف نازلهم المنون ﴿ فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ﴾ .

عباد الله لو حضرت القلوب لجرت من العيون عيون فكأنكم بالآلام قد إعْتَرَضَتْ ، وبالأجسام قد إنقضت ، وبالأوصال قد فصلت ، فرحم الله عبدا أعتق نفسه من رق شهواتها ونظر لها قبل مماتها وأخذ من جدته عَتاداً لفقره وإدخر من صحته زاد لقبره قبل أن يفوت زمن الاستدراك بوقوع الهلاك .

فكأنكم بالموت قد حل العراص ، وأنشب مخاليبه في الأرواح للاقتناص ، وأين لكم الفلات فلا تحين مناص ثم يقومون للحساب والجزاء والقصاص .

وإذا الخلائق قد حشرت ، وإذا الصحف قد نشرت ، وإذا جهنم قد سيقت ومرارة الندم قد ذيقت ، فستنطق عليكم الجوارح وتنشر حين القضاء الفضائح .

فيا خجل المقصرين ويا أسف المذنبين ويا حسرة المفرطين ويا سوء منقلب الظالمين ، قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما

يعمل الظالمون . إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار . مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ﴾ .

وقال تعالى ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ .

خَفِ الله في ظلمِ الورَى واحْذَرَنَّهُ   وخَفْ يومَ عض الظالمين على اليد

اللهم سلمنامِن شُرُوْرِ أنفُسِنَا الَّتِي هِي أَقْرَبُ أَعْـدَائِنا وأَعِذْنَا مِن عَدُوكَ واعْصِمْنا مِن الهَوى ومِن فِتنةِ الدنيا وَمَكِّنْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبنَا وقوّهَا وأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْـرَكَ وفَـرِّحْ قُلُوبَنَا بالنَّظَرِ إلى وَجْهِكَ الكَرِيم في جَنَّاتِ النعيم واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

٣٩ « مَـوْعِظَــةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ اغْتَنمُوا مَوَاسِمَ الطَّاعَاتِ فَأَيَّامُ المَوَاسِم مَعْدُوْدَةٌ وَانْتَهِزُوْا فُرَصَ الأَوقاتِ فَسَاعاتُ الإِسْعَادِ مَحْدُوْدَةٌ وَجُدُّوْا في طَلَبِ الخَيْرَاتِ فَمَنَاهِلُ الرِّضْوَانِ مَوْرُوْدَةٌ وَقُوْمُوْا عَلَى قَدَمِ السَّدَادِ واتقوا اللَّهَ الذي إليه تُحْشَرُوْن .

وكُونُوا مِن الذينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم خوفاً وطمعاً وَمِمَّا رَزَقَهُم يُنْفِقُون قال تعالى ﴿ فلا تَعْلَم نفسٌ ما أخفيَ لهم مِن قرة أعينٍ جزاءً بما كانوا يَعْمَلُون * أَفَمَنْ كَانَ مُؤمناً كَمَنْ كانَ فَاسِقاً لاَ يَسْتَوون * أَمَّا الذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فلهُم جَنَّاتُ المَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون ﴾ .

فَيَا سَعَــادَةَ أُولى الـطاعـاتِ الـذينَ اجْتَبَـاهُم مَوْلاَهُم لِدَارِ السـلام واصْـطَفاهُم لِحَضِيْرةِ قُدْسِهِ وَأَوْرَدَهُم مَنَاهِلَ الإِنعام وَأَوْلاَهُم حَلاوَةَ الأُنْس وَوالاَهُم بِمَواهِبِ الإكرام وسَـقاهُم مِن رَحِيْقٍ مَختومٍ خِتَامُهُ مِسْكُ وفي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَس المُتَنافِسُون .

ويا مَسرَةَ مَن شَاهَدَ مَعالِمَ الرُّشْدِ فَسَلَكَ مَسالِكَهُ وَكَانَ مِنْ الْمُسْتَبْشِرِيْنَ الـذينَ يَومَ القِيامَةِ وُجُوهُمْ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ لا يَحْزُنُهم الفَزعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلقاهُم الملائكةُ هَذَا يَوْمُكم الذي كُنتُم تُوعَدُون .

فَتَدَبَّرُوْا عِبَادَ اللَّهِ الأَمْرَ وانْظُرُوْا بعَيْنِ النَّاقِدِ البَصِيْرِ وَتَذَكَّرُوْا العَرضَ يَوْمَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ العَالَمِين العَلِيْمِ الخَبِيْرِ واعْلَمُوا أَنَّ الظالِمِيْنَ مَا لَهُم مِن وَلِيٍّ ولا نَصِيْرٍ « يَوْمَ يُقَالُ » ﴿ هَذا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُم بالحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُم تَعْمَلُون ﴾ .

شعـرا :

لَا تَبْكِ لِلدُّنْيَا ولا أَهْلِهَا ... وإبْكِ لِيَوْمٍ تَسكُنِ الحافرة

وابْكِ إذا صِيْحَ بأهلِ الثرى ... فاجْتَمَعُوْا في سَاعَةِ السَّاهِرةْ

ويْلَكِ يـا دُنْيَـا لَقَدْ قَصَّرَتْ ... آمـالُ مَن يَسْكُنُكِ الآخـرةْ

آخــر :

واذْكُرْ مُنَاقَشَةَ الحِسَابِ فإنه ... لا بُدَّ يُحْصَى ما جَنَيْتَ ويُكتَبُ

لَمْ يَنْسَهُ المَلَكَانِ حِيْنَ نَسِيْتَهُ ... بَلْ أَثْبَتَاهُ وأَنْتَ لاهٍ تَلْعَبُ

اللَّهُم ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنا ثُبُوتَ الجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ واشْرَحْ صُدُرْنَا وَيَسِّرْ أُمُورَنَا وأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ واغفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلَّى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَصْـــــلٌ)

إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فاعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ أَيسَ مِن حَيَاتِهِ بَلْ يُسْتَحَبُّ لَهُ بتأَكُدٍ أَنْ يُكْثِرَ مِن قِرَاءةِ القُرآن والأَذْكَار ويُكْرَهُ لَهُ الجَزَعُ وَسُوءُ الخُلُق وَالشَّتْم

وَالمُخَاصَمَةِ والمُنَازَعَةِ فِي غيرِ الأُمُور الدِّيْنِيَّةِ فِي الدِّفَاعِ عَنْهَا وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ شَاكِراً لِلَّهِ تعالى بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَيَسْتَحْضِرَ فِي ذِهْنِهِ أَنَّ هَذَا آخِرُ أَوْقَاتِهِ مِن الدنيا فَيَجْتَهِدُ على خَتْمِهَا بِخَيْرٍ وَيُكْثِرُ مِن قَولِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَيُبَادِرَ إِلى أَدَاءِ الحُقُوقِ إِلى أَهْلِهَا مِنْ رَدِّ المَظَالِمِ والعَوَارِي وَالوَدَائِعِ والغُصُوبِ وَيَسْتَحِلَّ أَهْلَهُ وزَوْجَتَهُ وَوَالِدَيْهِ وَأَوْلَادِهِ وَغِلْمَانَهُ وَجِيْرَانَهُ وَأَصْدِقَائَهُ وَزُمَلَاءَهُ وَكُلَّ مَنْ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مُعَامَلَةٌ أَوْ مُصَاحَبَةٌ فِي سَفَرٍ أَوْ غَيْرِهِ أَوْ لَهُ تَعَلُّقٌ بِشَيْءٍ .

وَأَخْرَجَ البَيْهَقِيُ وابنُ عَسَاكِرَ عَنْ عُبَادَةَ بن مُحَمَّدٍ بن عُبَادَةَ ابن الصامِتِ قال لَمَّا حَضَرَتْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه الوَفَاةُ قَالَ أَخْرِجُوْا إِلَيَّ مَوَالِيَّ وَخَدَمِيْ وَجِيْرَانِي وَمَن كانَ يَدْخُلُ عَلَيَّ فَجُمِعُوْا له فقال إِنَّ يَوْمِيْ هَذَا لا أَرَاهُ إِلَّا آخِرَ يَوْمٍ يأتِي عَلَيَّ مِن الدُّنْيَا وَأَوَّلَ لَيْلَةٍ مِن الآخِرَةِ .

وإِنِّيْ لَا أَدْرِيْ لَعَلَّهُ قَدْ فَرَطَ مِنِّي إِلَيكُم بِيَدِيْ أَوْ بِلِسَانِي شَيْءٌ وَهوَ والذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ القِصَاصُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأُحَرِّجُ إِلى أَحَدٍ منكُم فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ مِن ذَلِكَ إِلَّا اقْتَصَّ مِنِّيْ مِن قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ نَفْسِيْ فَقَالُوا بَلْ كُنْتَ وَالِداً وَكُنْتَ مُؤَدِّباً قال وَمَا قَالَ لِخَادِمٍ سُوْءاً قَطْ فقالَ اعفَوْتُمْ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ قَالُوا نَعَمْ قال اللَّهم أَشْهَدْ . . . الخ .

وَوَرَدَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بنَ عَمْرٍو لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ قَالَ انْظُرُوْا فُلاناً فإِنِّي كُنْتُ قُلْتُ لَهُ فِي ابْنَتِيْ قَوْلاً كَشِبْهِ العِدَةِ فَمَا أُحِبُّ أَن أَلْقَى اللَّهَ بِثُلُثِ النِّفَاقِ فَأُشْهِدُكُم أَنِّي قَدْ زَوَّجْتُهُ .

وَيَنْبَغِي أَنْ يُوْصِيَ بِأُمُورِ أَوْلَادِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ جَدٌّ يَصْلَحُ لِلْوِلَايَةِ وَيُوصِيْ بِمَا لا يَتَمَكَّنُ مِن فِعْلِهِ فِي الحَالِ مِن قَضَاءِ الدُّيُونِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وأَنْ يَكُونَ حَسَنَ

الظَّنِ باللَّهِ تَعَالَى رَاجِياً عَفْوَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وإِحْسَانَهُ .

وَيَسْتَحْضِرَ في ذِهْنِهِ أَنَّهُ حَقِيْرٌ في مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّ اللَّهَ تعالى غَنِيٌّ عن عَذَابِهِ وَعَن طَاعَتِهِ وأَنَّهُ عَبْدُهُ ولا يَطْلُبُ العَفْوَ والإِحْسَانَ والصَّفْحَ والامْتِنَانَ إلَّا مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ مُتَعَاهِداً نَفْسَهُ بِقِرَاءَةِ آياتٍ مِن القُرْآن العَزِيْزِ في الرَّجَاءِ وَكَذَلِكَ أَحَادِيْثَ الرَّجَاءِ يَقْرَؤُهَا أَوْ يَجْعَلُ مَنْ يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ وَأَنْ يَكُونَ خَيْرُهُ مُتَزَايِداً وَيُحَافِظَ عَلَى الصَّلواتِ الخمسِ في أوقاتِها .

وَيَجْتَنِبَ النَّجَاسَاتِ وَيَحْرِصَ عَلَى التَّطَهُّرِ وَيَصْبِرَ عَلَى مَشَقَّةِ ذَلِكَ وكَذَا بَاقِي وَظَائِفَ الدِيْنَ يَحْرِصُ على أدائِها كَامِلَةً مُكَمَّلَةً وَلْيَحْذَرْ مِن التَّسَاهُلِ في ذَلِكَ فَإِنَّهُ أَقْبَحُ القَبَائِح أَنْ يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِ من الدُنْيَا التي هِيَ مَزْرَعَةُ الآخِرَةِ التَّفرِيْطَ فِيْمَا وَجبَ عَلَيهِ أَوْ نُدِبَ إِلَيْهِ .

وَلِيَجْتَهِدْ في خَتْمِ عُمُرِهِ بِأَكْمَلِ الأَحْوَالِ وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُوْصِيَ أَهْلَهُ وَأَصْحَابَهُ بالصَّبْرِ عَلَيْهِ في مَرَضِهِ واحْتِمالِ عما يَصْدُرُ منه وَيُوْصِيْهِم أَيْضاً بالصَّبْرِ عَلَى مُصِيْبَتِهِمْ بِهِ وَيُوْصِيْهِم بالرِّفْقِ بِمَنْ يَخْلُفَه مِن طِفْلٍ وَغُلَامٍ وَجَارِيَةٍ وَيُوْصِيْهِم بالاحْسَانِ إِلى أَصْدِقَائِهِ وَيُعَلِمُهُم أن النبيَ ﷺ قال إِنَّ مِن أَبَرِ البِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وَدِّ أَبِيْهِ .

وَقَدْ صَحَّ أَنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُكْرِمُ صَوَاحِبَاتِ خَدِيْجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها بَعْدَ وَفَاتِهَا :

وَيُوْصِيْهِم بِتَعاهُدِهِ بالدُّعَاءِ وَفِعْلِ مَا يُقَرِّبُ إلى اللَّهِ وَيَنْوِيْ الثوابَ لَهُ وَذَلِكَ كَالحَجِ والصَّدَقَةِ والأَضْحِيَةِ وَطَبْعِ المَصَاحِفِ والكُتُبِ الدِيْنِيَّةِ المُقَوِّيَةِ لِلشَّرِيْعَةِ المُحَمَّدِيَةِ والإِعَانَةِ على بَنَاءِ المَسَاجِدِ .

وكالعَيْنِ الجَارِيَة وَنَحْوِ ذَلِكَ وَيُوصِيْهِم بِأَنْ لا يَنسَوْهُ بَلْ يَتَعَاهَدُوه بالدُّعَاءِ لَهُ وَلِوَالِدَيْه .

وَيُسْتَحَبُ أَنْ يَقُولُ لَهُم فِي وَقْتٍ بَعْدَ وَقْتٍ مَتَى رَأَيْتُم مِنِّيْ تَقْصِيْراً فِي شَيْءٍ انْهَوْنِي عَنْهُ بِرِفْقٍ وَلُطْفٍ لأَنَّ النَّفْسَ تَضْعُفُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ وَأَدُّوْا إِلَيَّ النَّصِيْحَة فِي ذَلِكَ فَإِنِّيْ مُعَرَّضٌ لِلْغَفْلَةِ والسَّهْوِ والكَسَلِ والإِهْمَالِ فَإِذَا قَصَّرْتُ فَنَشِّطُوْنِيْ وَعَاوِنُونِيْ عَلَى التَّأَهبِ لِهَذَا السَّفَرِ البَعِيْدِ والتَّغَرُّبِ المُخِيْفِ .

وإِذا حَضَرَهُ النَّزْعُ فَلْيُكْثِرْ مِن قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِتَكُون آخِرَ كَلَامِهِ فَيَالَهُ مِن خِتَامٍ وَيَا لَهُ مِنْ طَابَعٍ ، فَعَنْ مُعاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه قال قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لَقِنُوْا مَوْتَاكُم لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَيَسْتَحْضِرْ أَحَادِيْثَ الرَّجَا مِثْلُ حَدِيْثِ أَبِي ذَرٍ قَالَ أَتَيْتُ النَّبيَ ﷺ وعليه ثَوْبٌ أَبيضُ وَهو نَائِمٌ ثم أَتَيْتُهُ وقد اسْتَيْقَظَ فقالَ ما مِنْ عَبْدٍ قال لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثم مَاتَ عَلى ذَلِكَ إلا دَخَلَ الجَنَّةَ قُلْتُ وانْ زَنَى وإِنْ سَرَقَ قال وإِن زَنَى وَإِنْ سَرَقَ الحديثَ متفق عليه .

وَحَدِيث ابن عباس أنَّ نَاساً مِن أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوْا قَدْ قَتَلُوا وَأَكْثَرُوْا وَزَنَوا وأَكْثَرُوْا فَأَتَوْا مُحَمَّداً ﷺ فقالُوا إِنَّ الذي تَدْعُوا إِليهِ لَحَسَنٌ لو تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارةً فَنَزَلَ ﴿ والذين لا يَدْعُونَ مع اللَّهِ إلهاً آخرَ ولا يقتلونَ النفسَ التِي حَرَّم اللَّهُ إلا بالحق ولا يَزْنُون ﴾ الأيتين - ونَزَل ﴿ قل يَا عِبَادِي الذين أسرفُوا على أنفسِهم لا تَقْنَطُوا مِن رحمة اللَّهِ ﴾ الآية ونحو هذه الآية والأحاديث التي سَبَقَتْ .

شعـــراً :

إِذا أَتى اللَّهُ يـومَ الحَشــرِ في ظُـلَلٍ	وجـيءَ بالأُمَـمِ المَاضِينَ والرُّسُـلِ
وحاسَبَ الخَلْقَ مَنْ أَحْصَى بِقُدرَتِه	أَنْفَـاسَـهُم وتَـوفَّـاهُـم إِلـى أَجَـلِ

ولم أجِدْ في كِتابي غَيْرَ سَيِّئةٍ تَسُوءني وعَسى الإسْلامُ يَسْلَمُ لي
رَجَوتُ رَحمَةَ ربِّي وهي واسِعةٌ ورَحْمَةُ اللَّهِ أَرْجَى لي مِنَ العَمَلِ

اللّهُمَّ اجْعَلْ في قُلوبنَا نُوراً نَهتَدِيْ بهِ إلَيْكَ وَتولَّنا بحُسْنِ رِعَايَتِكَ حتّى نَتوكلَ عَلَيكَ وارْزُقْنَا حَلاوَةَ التَّذلل بَينَ يَديكَ فَالعزيزُ مَنْ لاذَ بعزِّكَ والسَّعيدُ مَن الْتَجأَ إلى حمَاكَ وَجُودِكَ والذليلُ مَنْ لَمْ تؤيِّدْهُ بعنايَتِكَ والشَّقِيُ مَن رَضِيَ بالإعْرَاضِ عنْ طَاعَتِكَ اللهم نَزِّهْ قُلوبَنَا عنْ التَّعلق بمَنْ دُونَكَ واجْعَلْنَا مِنْ قوم تحبُّهُمْ ويُحِبُّونَكَ واغْفرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ برَحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الراحِمِينَ وصلى اللَّهُ علَى محُمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبهِ أجْمَعِيْنَ .

٤٠ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللهِ إنَّ قَوَارِعَ الأيَّامِ خَاطِبَةٌ ، فَهَلْ أُذُنٌ لِعظَاتِها وَاعِيَةٌ ، وَإنَّ فَجَائِعَ المَوْتِ صَائِبَةٌ فَهَلْ نَفْسٌ لأَمْرِ الآخِرَةِ مُرَاعِيَةٌ ، إنَّ مَطَالِعَ الآمَالِ إلى المُسَارَعَةِ إلى الخَيْرَاتِ سَاعِيَةٌ ألاَ فَانْظُرُوا بِثَواقِبِ الأَبْصَارِ وَالبَصَائِرِ في نَوَاحِيْ الجِهَاتِ وَالاقْطَارِ فَمَا تَرَوْنَ في حُشُوْدِكُمْ وَجُمُوعِكُمْ إلا الشَّتَاتَ وَلَا تَسْمَعُوا في رُبُوْعِكُم إلَّا فُلاَنٌ مَرِيْضٌ وَفُلاَنٌ مَاتَ أَيْنَ الآبَاءُ الأَكَابِرُ أيْنَ العُلَمَاءُ العَامِلُونَ بِعِلْمِهِمْ الذِيْنَ لا تَأْخُذُهُمْ في اللهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ المُنَاصِحُوْنَ لِوُلاَتِهِمْ وَأَمَّتِهِم الزَّاهِدُونَ في حُطَامِ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ أيْنَ الكُرَمَاءُ الأَفَاضِلُ الذيْنَ يَغَارُونَ إذَا انْتُهِكَتْ المَحَارِمُ أَيْنَ الهَاجِرُونَ المُصَارِمُونَ لِلفَاسِقِ وَالفَاجِرِ أَيْنَ المُنَاصِرُونَ لِلْقَائِمِ عَلى أَهْلِ المَعَاصِيْ وَالكَبَائِرِ أَيْنَ أَهْلُ الوَلاَءِ وَالبَرَاءِ المُحِبُّونَ في اللَّهِ المُبْغِضُونَ لأَعْدَائِهِ .

أَيْنَ المُتَقُّوْنَ لِمآكِلِهِمْوَمَلاَبِسِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ عَنْ الحَرَامِ وَالمُشْتَبِهِ وَهُوَ مَا كَانَ القَلْبُ في الاقْدَامِ عَلَيْهِ وَالكَفِّ عَنْهُ حَائِرٌ .

أَيْنَ الذِيْنَ لاَ يَسْكُنُونَ إلا بِرِضَا صَاحِبِ المُلْكِ خَوْفاً مِن المُخَاطَرَةِ فِي صَلاَتِهِمْ وَصِيَامِهِمْ وَنِكَاحِهِمْ وَمُكْثِهِمْ في الامْلاَكِ المَسْكُوْنَةِ قَهْراً وَغَصْبَاً .

أَيْنَ المُتَفَقِّدُونَ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِيْنِ الذِينَ لَيْسَ لَهُم مَوَارِدُ .

عَثَرَتْ وَاللهِ بِهِمْ العَوَاثِرُ وَأَبَادَتْهم السِّنِيْنُ الغَوَابِرُ وَبَتَرَتْ أَعْمَارُهُم الحَادِثَاتُ البَوَاتِرُ وَاخْتَطَفَهُمْ عَقَبَاتُ كَوَاسِر . وَخَلَتْ مِنْهُمْ المشَاهِدُ وَالمَحَاضِرُ وَعُدِمَتْ مِنْ أَجَسَادِهِمْ تِلْكَ الجَوَاهِرُ وَطَفِئَتْ مِنْ وُجُوهِهِمْ الأَنْوَارُ الزَّوَاهِرُ وَابْتَلَعَتْهُمْ الحُفَرُ والمَقَابِرُ إلى يَومٍ تُبْلى السَّرَائِرُ فَلَوْ كُشِفَتْ عَنْهُمْ أَغْطِيَةُ القُبُوْرِ بَعْدَ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلاثِ لَيَالٍ لَرَأَيْتَ الاَحْدَاق على الخدودِ سَائِلَةً وَالأَوْصَال بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ مَائِلَةً وَدِيْدَانَ الأَرْضِ في نَوَاعِمِ تِلْكَ الأَبْدَانِ جَائِلَةً والرُّؤُسَ المُوَسَّدَةُ عَلَى الايْمَانِ زَائِلَةً يُنْكِرُهَا مَنْ كَانَ عَارِفاً بِهَا وَيَنْفُرُ عَنْهَا مَنْ لَمْ يَزَلْ آلِفاً بِهَا .

فَلاَ يُعْرَفُ السَّيدُ مِنْ المَسُوْدِ وَلاَ المَلِكُ مِنْ المَمْلُوكِ وَلاَ الذَّكِيُّ مِنْ البَلِيْدِ وَلاَ الغَنِيُّ مِنْ الفَقِيْرِ فَرَحِمَ اللهُ عَبْداً بَادَرَ بالاقْلاَعِ عَنْ السَّيِّئَاتِ وَوَاصَلَ الإِسْرَاعَ وَالمبَادَرَةَ في الأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ قَبْلَ انْقِطَاعِ مُدَدِ الأَوْقَاتِ وَطَيِّ صَحَائِفِ المُسْتَوْدَعَاتِ وَنَشْرِ فَضَائِحِ الاقْتِرَافَاتِ وَالجِنَايَاتِ فَلاَ تَغْتَرُّوا بِحَيَاةٍ تَقُوْدُ إلى المَمَاتِ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّمَا تُوْعَدُوْنَ لآتٍ فَالبِدَارَ البِدَارَ قَبْلَ أَنْ تَتَمَنَّوا المُهْلَةَ وَهَيْهَات .

شِعْراً :

نَمْضِيْ عَلى سُبُلٍ كَانُوا لَهَا سَلَكُوا
أَسْلاَفُنَا وَهُمْ لِلدِّيْن قَدْ شَادُوْا

لَنــا بِـهِـمْ أُسْــوَةٌ إِذْ هُـم أَئِـمَّـتُـنَــا
وَنَـحْـنُ لِـلْقَـوْمِ أَبْـنَـاءٌ وَأَحْـفَـادُ
وَالـصَّـبْـرُ يَـا نَـفْسُ خَيْـرٌ كُـلُّهُ وَلَـهُ
عَـوَاقِـبٌ كُـلُّهَـا نُـجْـحٌ وَإِمْـدَادُ
فَـاصْبِـرْ هُـدِيْتَ فَـانَّ المَـوْتَ مُشْتَـرَكٌ
بَـيْـنَ الأَنَـامِ وانْ طَـاوَلْـنَ آمَـادُ
والنَّـاسُ في غَفَـلَاتٍ عَنْ مَصَـارِعِهِمْ
كَـأَنَـهُـمْ وَهُـمْ الأَيْـقَـاظُ رُقَّـادُ
دُنْـيـاً تَـغُـرُّ وَعَـيْشٌ كُـلُّهُ كَـدَرٌ
لَـوْلَا النُّفُـوسُ الَّـتِي لِـلْوَهْمِ تَـنْقَـادُ
كُنَّـا عَـدَدْنَـا لِهَـذَا المَـوْتِ عُـدَّتَـهُ
قَبْـلَ الـوَفَـاةِ وَأَنْ تُحْـفَـرْنَ أَلْحَـادُ
فَـالـدَّارُ مِنْ بَعْـدِ هَـذِي الـدَّارِ آخِـرَةٌ
تَـبْقَـى دَوَامـاً بِهَـا حَشْـرٌ وَمِيْـعَـادُ
وَجَـنَّـةٌ أُزْلِـفَـتْ لِـلْمُـتَّـقِـيْـنَ وَأَهْـ
ـلُ الـحَقِّ وَالـصَّـبْـرِ أَبْـدَالٌ وَأَوْتَـادُ
فَاعْمَلْ لِنَفْسِـكَ مِنْ قَبْلِ المَمَـاتِ وَلَا
تَعْجَـلْ وَتَكْسَـلْ فَـإِنَّ المَـرْءَ جَهَّـادُ
لَا يَـنْفَـعُ الـعَبْـدَ إِلا مَـا يُـقَـدِّمُـهُ
فَبَـادِرِ الفَـوْتَ وَاصْـطَدْ قَبْـلَ تُصْـطَادُ
وَالـمَـوْتُ لِلْمُـؤْمِنِ الأَوَّابِ تُـحْفَـتُـهُ
وَفِيْـهِ كُـلُّ الـذِيْ يَبْـغِـيْ وَيَـرْتَـادُ

اللهُم يا عالمَ الخفياتِ وَيَا سَامِعَ الأَصْواتِ ويَا بَاعِثَ الأَمْواتِ وَيَا مُجيْبَ الدعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الحَاجَاتِ يَا خَالقَ الأرضِ والسَّمواتِ أَنْتَ اللَّهُ الاحدُ الصمدُ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يولَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد الوَهَّابُ الذي لا يَبْخَلُ والحَليمُ الذي لا يَعْجَلُ لا رادَّ لامْرِكَ ولا مُعَقِّبَ لِحُكَمِكَ نَسْأَلكَ أنْ تغفرَ ذنوبَنَا وَتُنورَ قلوبنا وَتُثَبِّتَ مَحَبَّتَكَ في قُلوبِنَا وَتُسْكِنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إنك عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدِير وَصَلَّى على محمدٍ وآلِه وَصَحْبه أجْمَعِيْنَ .

٤١ مـوعظـة

عِبَادَ اللهِ لا شيء أَغْلى عَليكُمْ مِن أَعمارِكُمْ وَأَنْتُم تُضَيّعُونَهَا فيما لا فَائِدَةَ فيه . وَلاَ عَدُوَّ اعدَى لَكُمْ مِنْ إبْلِيْسَ وَأَنْتُمْ تُطِيْعُونَهُ ، ولا أَضَرَّ عَليكُمْ مِن مُوافَقَةِ النَّفْسِ الامَّارَةِ بالسُّوءِ وأَنْتُم تُصَادِقُونَهَا ، لَقَدْ مَضَى مِن أعمارِكُمْ الاطَايِبُ ، فما بَقِيَ بعد شَيْبِ الذوائِبِ .

يا حاضِرَ الجسم والقلبُ غائبُ ، اجتماعُ العَيْبِ مَعَ الشَّيبِ مِن أعظَم المَصَائِب ، يَمْضِي زَمَنُ الصِّبَا في لَعِبٍ وسَهْوٍ وَغَفْلَةٍ ، يا لَهَا مِن مَصَائِب ، كَفَى زاجراً واعظاً تشيْبُ منه الذَوَائِب ، يا غافلاً فاتَه الأَرْبَاحُ وَأَفْضَلُ المَنَاقِبِ ، أَيْنَ البُكاءُ والحَزَنُ والقلقُ لِخَوفِ العظيمِ الطالبِ أَيْنَ الزَّمَانُ الذي فَرَّطْتَ فيهِ ولمْ تخشَ العَواقِبَ ، أَيْنَ البُكَاء دَماً عَلى أوقَات قُتِلَتْ عندَ التَّلَفِزْيُون والمِذياع والكُرَةِ والسِيْنَماءِ والفيديُوْ والخَمْرِ والدُّخَانِ والمَلاعِبْ واللعب بالورق والقيل والقال .

كَمْ في يومِ الحَسْرةِ والنَّدامَةِ مِن دَمْعٍ سَاكِبْ على ذُنُوبٍ قَد حَوَاها كِتَابُ الكَاتِبْ ، مَنْ لَكَ يَومَ يَنْكَشِفُ عَنْكَ غِطَاؤكَ في مَوقِفِ المُحَاسِبْ ، إذا قيلَ لَكَ مَا صَنَعْتَ في كُلِّ وَاجِبْ ، كَيْفَ تَرْجُو النجاةَ وأنتَ تَلْهُوْ بِأَشَرِ المَلاَعِبْ ، لقد ضَيَّعتكَ الأَمَاني بالظَن الكاذِبِ ، أَمَا

عَلِمْتَ أَنَّ الموتَ صَعْبٌ شَديْدُ المَشَارِبْ ، يُلْقِي شَرَّهُ بكأسِ صُدُوْرِ الكَتائِبْ ، وأنَّهُ لا مَفَرَّ مِنْهُ لِهَارِبْ فانظرْ لِنَفْسِكَ واتَّقِ اللهَ أَنْ تَبْقَى سَلِيْماً مِن النَّوائِبِ فقدْ بَنَيْتَ كَنَسجِ العنكبوتِ بَيْتاً أَيْنَ الذينَ عَلَوا فوقَ السُّفنِ والمراكبِ أينَ الذينَ عَلَوْ على مُتونِ النجائِبِ ، هَجَمت عليهِمْ المنايَا فأصبحوا تَحْتَ النصَائِبْ وأنتَ في أَثَرِهِمْ عن قريبٍ عَاطِب ، فانظرْ وَتَفَكَّرْ واعْتَبِرْ وَتَدَبَّرْ قبلَ هُجُومِ مَن لا يَمنعُ عنه حَرَسٌ ولا بابٌ ولا يَفوتُهُ هَرَبُ هارِب .

اللَّهُمَّ اسْلكْ بِنَا مَسْلَكَ الصَّادِقِينَ الأَبْرَارْ ، وَالْحِقْنَا بِعبَادِكَ الْمُصْطَفيْنَ الأَخْيَار ، وَأَتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارْ .

اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوباً أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ ، وَلاَ تُعَذِّبْنَا بِأَلِيمِ عِقَابِكَ يَا أَكْرَمَ مَنْ سَمَحَ بِالنَّوالِ وَجَادَ بِالإِفْضَالِ ، اللَّهُمَّ أَيْقِضْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ وَاحْسَانِكَ ، وَتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٤٢ مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللهِ لمّا كَانَ الانْسَانُ مُكَلَّفاً بالسَّعْي وَالعَمَلِ لِطَلَبِ الرِّزقِ من وُجُوهِهِ المشْرُوعَةِ كان حَقّاً عليه أنْ يَصُونَ نَفْسَه عَنْ مَسْأَلَةِ النَّاسِ .

وَأَنْ لاَ يَمُدَّ يَدَهُ لِسُؤَالِهِم وَلاَ يَتَقَدَّمَ إليهم لِطَلَبِ حُطَامِ الدُّنْيَا إلاَّ عِنْدَ الضَّرُورةِ أَوِ الحَاجَةِ الشَّدِيْدَةِ لِأَنَّهُ إِذَا قَعَدَ عن العَمَلِ وَلَزِمَ البَطَالَةَ وَالكَسَلَ وَنَظَرَ لِمَا في أَيْدِي النَّاسِ مِنْ أَوْسَاخِهم سَاءَتْ حَالُهُ ، وَضَاعَتْ آمَالُه ،

وَضَعُفَ تَوَكلُه ، وَضَاق عَيْشهُ ، وَانْحَطَّتْ نَفْسُهُ ، وَاعْتَادَ السُّؤَالَ الذِي لا يَنْفَكُّ عن ثَلاَثَةِ أُمورٍ مُحَرَّمَةٍ :

الأَوَّلِ : اظْهَارِ الشَّكْوَى مِن اللهِ تَعَالَى، إذ السُّؤَآلَ اظْهَارٌ لِلفَقْرِ وَذِكرٌ لِقُصُورِ نِعْمَةِ اللهِ عنه ، وَهُوَ عَيْنُ الشَّكوى ، وَكَما أَنَّ العَبْدَ المَمْلُوكَ لَو جَعَلَ يَسْأَلُ وَأَنَّهُ مَا يَجِدُ شَيْئاً لَكَانَ سُؤَآلُهُ تَشْنِيْعاً عَلى سَيِّدِه وَلا يَرْضَى بِذَلِكَ وَلِلّهِ المَثَلُ الأَعْلَى .

وَلاَ سِيَّمَا إذا أَتَى إلى بَيْتِ اللهِ يَسْأَلُهُ مِنْ فَضْلِهِ ، ثُمَّ قَامَ مِنْ حِيْنِ مَا يُسَلِّمُ الامَامُ وَجَعَلَ يَشْرَحُ حَالَهُ وَفَقْرَهُ وَأَوْقَفَ النَّاسَ عَنْ تَهْلِيْلِهم ، وَتَسْبِيْحِهِمْ ، وَتَكْبِيْرِهِمْ ، وَالمَسَاجِدُ لَمْ تُبْنَ إلا لِذِكْرِ اللهِ ، وَالصَّلاَةِ فِيْهَا وَقِرَاءةِ القرْآنِ . وهذا المنكر قَلَّ مَن يَنْتَبِهُ له .

الأَمْرِ الثَّانِيْ : أَنَّ في سُؤَالِ النَّاسِ إذْلاَلٌ لِنَفْسِ السَّائِلِ ، وَلَيْسَ لِلإنْسَانِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ وَيُخْضِعَهَا إلاَّ لِلهِ ، الذِي في اذْلاَلِهَا عِزُّهُ ، فَأَمَّا سَائِرُ الخَلْقِ فَإِنَّهُم عِبَادٌ أَمْثَالُه فَلاَ يُذِلُّ لَهُم نَفْسَهُ .

ثَالِثاً : أَنَّ فِيْهِ ظُلْمٌ لِنَفْسِه إلاَّ عِنْدَ الضَّرُوْرَةِ أَوْ الحَاجَةِ الشَّدِيْدَةِ وَفِيْهِ أَيْضاً إيْذَاءٌ لِلمَسْئُولِ خُصُوصاً إذا كَانَ مَعَ إِلْحَاحٍ ، وَالإِيْذَاءُ حَرَامٌ ، فَأَيُّ عَاقِلٍ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِهَذِهِ الحَالَةِ التَّعِسَةِ ، بَلْ كَيْفَ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عُضْواً أَشَلاً في الهَيْئَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ لاَ يُقَامُ لَهُ وَزْنٌ وَلاَ تُقَامُ لَهُ قِيْمَةٌ .

وَقَدْ أَثْنَى اللهُ عَلى الذِيْنَ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَقَالَ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ « لَيْسَ المِسْكِيْنُ الذِيْ يَطُوفُ عَلى النَّاسِ تَرُدَّهُ اللُّقْمَةُ واللقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتان ، وَلَكِن المِسْكِيْنُ الذِيْ لا يَجدُ غِنىً يُغْنِيْهِ وَلاَ يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَلاَ يَقُوْمُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ .

فَفِيْ زَمَنِنَا الذِي اخْتلَطَ فِيْهِ الحَابلُ بالنَّابِلِ وَصَارَ عِنْدَهُمْ الحَلاَلُ مَا وَصَلَ إلى اليَدِ وَذَهَبَ عَنْهُم الوَرَعُ وَالابْتِعَادُ عَن الشُّبُهَاتِ ، عَلى الإنْسَانِ أَنْ يَبْذُلَ جُهْدَهُ وَيَتَثَبَّتَ وَلاَ يَبْذُلُ زَكَاتَهُ إلى كُلِّ مَنْ مَدَّ يَدَهُ ، بَلْ يَسْأَلُ بدِقَّةٍ ، وَيَتَحقَّقُ مِن الإوْرَاقِ التِي تُعْرَضُ عَلَيْهِ ، التِي صَارَتْ تُصَوَّرُ وَتُبَاعُ وَتُشْتَرَى .

وَرُبَّمَا حَصَلَ المُتَسَوِّلُ عَلى أَضْعَافِ مَا فِيْهَا وَلَوْ أَنَّ هَؤُلاَءِ المُتَسَوِّلِيْنَ الشَّحَّاذِيْنَ اسْتَعْمَلُوا في طَرِيْقٍ مُنْتِجٍ مِن تِجَارَةٍ أو غَيْرِهَا مَا يَصِلُ أَلَى أَيْدِيْهِم مِن الصِّدَقَاتِ لما بَقِيَ في الأُمَّةِ مِنْهُم مُتَسَوِّلٌ ، وَلَكِنْ هَؤلاَءِ قَوْمٌ أَلِفُوا هَذَا العَيْشَ وركَنوا إِلَيْهِ لاَ يَدْفَعُهم إِلَيْهِ فَقْرٌ وَلاَ يَرُدُّهُمْ عَنْهُ غِنَى ، وَكَمْ مِمَّنْ اكْتُشِفَ فَصَارَ عِنْدَهُ ثَرْوَةٌ ، وَهَذَا سَبَبُه عَدَم التَّثَبُّتِ وَاجْرَاء العَادَاتِ بِدُوْنِ سُؤَالٍ هَلْ اغْتَنَى أَمْ لا .

وَقَدْ بيَّنَ صَلى اللَّهُ عليه وسلم مَنْ يَحِلُّ لَهُ السُّؤَال وَذَلِكَ فِيْمَا وَرَدَ عَنْ قَبِيصَةَبْنِ مُخَارِقٍ الهِلاَلِيِّ قَالَ تَحمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أسْأَله فِيْهَا ، فقَالَ أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيْنَا الصَّدَقَةُ فآمر لكَ بِهَا ، ثم قَالَ يَا قَبِيْصَة إنَّ المَسْأَلَةَ لا تَحِلُّ إلا لأَحدِ ثَلاَثةٍ : رَجُلٍ تَحمَّلَ حَمَالةً فَحلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيْبَهَا ثم يُمْسِكُ ، أَو رَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيْبَ قِوَاماً مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ سِدَاداً مِنْ عَيْشٍ .

وَرَجُل أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُوْمَ ثَلاَثَةٌ مِنْ ذَوِيْ الحِجَى مِنْ قَوْمِهِ يَقُولُونَ لَقَدْ أَصَابَتْ فُلاناً فَاقَةٌ فَحلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيْبَ قِواماً مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ سِدَاداً مِنْ عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِن المَسْأَلَةِ يَا قَبِيْصَةُ سُحْتٌ يَأْكلُها صَاحِبُهَا سُحْتًا رَوَاهُ مُسْلِم .

وَقَدْ ذَكَرْنَا الأَحَادِيْثَ التِي تَتَضَمَّنُ التَّغْلِيْظَ الشَّدِيْدَ في السُّؤَال مِنْ غيرِ

ضَرُورةٍ وَذلك في مَوْضُوعِ « مَنْ تَحِلُّ لَهُ الصَّدَقةُ » .

شِــعْراً :

غَفَلْتُ وَحَادِيْ المَوْتِ في أَثَرِيْ يَحْدُوْ
فَإِنْ لَمْ أَرُحْ يَوْمِيْ فَلا بُدَّ أَنْ أَغْـدُ
أُنـعِّمُ جِـسْمِـيْ بِـاللِّبَـاسِ وَلِـيْنِـهِ
وَلَيْسَ لِجِسْمِيْ مِنْ لِبَاسِ البِلَى بُدُّ
كَـأَنِّيْ بِهِ قَـدْ مَـرَّ في بَـرْزخِ البِلَى
وَمِنْ فَـوْقِـهِ رَدْمٌ وَمِنْ تَحْتِـهِ لَحْـدُ
وَقَـدْ ذَهَبَتْ مِنِّيْ المَحَاسِنُ وَانْمَحَتْ
وَلَمْ يَبْقَ فَوْقَ العَظْمِ لَحْمٌ وَلَا جِلْدُ
أرى العُمْـرَ قَـدْ وَلَّى وَلَمْ أُدْرِكِ المُنَى
وَلَـيْسَ مَعِـيْ زَادٌ وَفـي سَـفَـرِيْ بُـعْـدُ
وَقَــدْ كُنْتُ جَـاهَـرْتُ المُهَيْمِنَ عَـاصِيـاً
وَاحْــدَثْــتُ أَحْــدَاثـاً وَلَـيْسَ لَهَا رَدُّ
وَأَرْخَيْتُ خَوْفَ النَّاسِ سِتْراً مِنْ الْحَيَا
وَمَا خِفْتُ مَنْ سِرّيْ غَداً عِنْدَهُ يَبْدُو
بَلَى خِفْتُــهُ لَكِـنْ وَثِقْـتُ بِحِـلْمِــه
وَأَنْ لَيْسَ يَعْفُــو غَيْـرُهُ فَلَهُ الحَمْــدُ
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ شَيءٌ سِوَى المَوْتِ وَالبِلَى
عَن اللّهْوِ لَكِنْ زَالَ عَنْ رَأْيِنَا الرُّشْدُ

عَسَى غَـافِرُ الـزَّلَّاتِ يَغْفِـرُ زَلَّتِيْ
فَقَـدْ يَغْفِرُ اَلمَـوْلَى إذَا أَذْنَبَ العَبْـدُ
أَنَـا عَبْدُ سُـوْءٍ خُنْتُ مَـوْلايَ عَهْـدَهُ
كَـذَلِكَ عَبْـدُ السُّـوءِ لَيْسَ لَـهُ عَهْـدُ
فَكَيْفَ إِذَا أَحْـرَقْتَ بِـالنَّـارِ جُثَّتِيْ
وَنَـارُكَ لَا يَقْوَى لَهَـا الحَجَرُ الصَّلْدُ
أَنَا الفَرْدُ عِنْدَ المَوْتِ وَالفَرْدُ في البِلَى
وَأُبْعَثُ فَـرْداً فَـارْحَمْ الفَـرْدَ يَـا فَـرْدُ

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ وَالاجَابَةِ وارْزُقْنَا الاقْبَالَ عَلى طَاعَتِكَ وَالانَابَةَ وَبَارِكْ في أَعْمَالِنَا وَأَعْمَارِنَا وَأَجْزِلْ لَنَا الأَجْرَ والاثَابَةَ وَآتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المسلمين برحمتك ياأرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أَجْمَعِيْن .

٤٣ (مَـوْعِظَـــة)

عِبَـادَ اللَّهِ ، إقْـتَرَبَتِ السَّاعَة وَقَرُبَ التَّحَوُّلُ والمَسِيْر ، وَأَزِفَتِ الْآزِفَةُ وَلَيْسَ هُنَاكَ حَمِيْمٌ وَلَا نَصِيْرٌ وكُتِبَتِ الصَّحِيْفَةُ فَلَا نِسْيَانَ لِقَلِيْلٍ وَلَا كَثِيْرٍ ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إلَّا في كِتَابٍ مُبِيْنٍ ﴾
تَاللَّهِ لَقَدْ غَرَّتِ ٱلآمَانِي أَكْثَر خَلْقِ اللَّهِ فَتَرَكُوا سَبِيْلَ الْهُدَى وأَعْرَضُوا عَنْ دَارِ التَّهَـانِي والْقَرَارِ فَوَقَعُوا في شَرَكِ الرَّدَى وَتَمَادَوْا على التَّوانِي وَظَنُّوْا أَنْ

يُتركُوا سُدًى وَنَسُوا قوْلَهُ تعالَى ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ وَقوْلَهُ تعَالَى ﴿ ذَرْهُمْ يأكلوا ويتَمتعوا ويُلههم الأمل فسوف يعلمون ﴾ وقوله تعالى ﴿ أَيَحْسَبُون أَنَّما نُمِدَهم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَّا يَشْعُرُوْنَ ﴾ .

عِبَادَ اللَّهِ كَيْفَ حَالُكُمْ إذَا قُمْتُمْ مِنَ الْقُبُورِ حَيَارَىٰ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً ، وَقَدْ عَظُمَتِ الْأَهْوَالُ ﴿ وَتَرَىٰ النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ ﴾ وَلَزِمَتِ الصُّحُفُ الْأَعْنَاق ثُمَّ رُدُّوا إلى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَق ألاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِيْنَ .

كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ الْجَبَّارَ ﴿ لَا تَخْتَصِمُوْا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيْدِ ﴾ ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّم هَلِ امْتَلأتِ وَتَقُوْلُ هَلْ مِن مَزِيْد ﴾ وَقَوْلِهُ تَعَالَى ﴿ أَلَمْ أَعْهَد إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلا تَعْبُدُوا الشَّيْطَان إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌ مُبِيْنٌ ﴾ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ يُؤْخَذُ الْمُجْرِمُونَ بِالنَّوَاصِي والاقْدَام ، وَيُطْرَحُ فِي الْجَحِيْمِ مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الْمَعَاصِي جَرَاءَةٌ وَإِقْدَام .

وَيَمْرَحُ بِالنَّعِيْم مَنْ قَدَّمَ الْخَيْرَاتِ لِدَارِ السَّلَامِ وَعَمِلَ بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَيَحْظَىٰ بِجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَاتَّقُوا الله عِبَادَ الله واسْلُكُوا طَرِيْقَ الشَّرعِ الْقَوِيْمِ الذي لَا اعْوِجَاجَ فِيه وَقُوْمُوا بأَوَامِرِ الْمَنَّانِ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانَ .

وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا مِمَّنْ غَرَّتْهُم الْحَيَاة الدُّنْيَا بِزَخَارِفِهَا الزَّائِلَة وَزِيْنَتِهَا الْعَاطِلَة وَأُوْلَئِكَ هُمْ الَّذِيْنَ تَنْقُص الْأَيَّامُ واللَّيالِي آجَالَهُمْ وَهُمْ لَاهُونَ وَتَجْرِي بِهِم الْأَعْوَامُ إِلى مَرَاقِدِ قُبُورِهِمْ وَهُمْ نَائِمُون وَتَتَخَطَّفَهُم الْمَنَايَا وَهُمْ لَاعِبُون وَتُنَادِيْهِم الْعِبَرُ وَالْمَوَاعِظُ وَهُمْ لَا يَسْمَعُون وَلَا يُبْصِرُون وَيَرَوْنَ مَا وَقَعَ بِالْأُمَم مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا نَزَلَ بِآبَائِهِمْ ولكن لَا يَفْقَهُوْنَ واللَّهُ سُبْحَانهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِمَآلِهِمْ

وَمَا إِلَيْهِ صَائِرُون ، إذا هُمْ وَصَلُوا إلى الغَايَة المَفْهُومَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّها الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيْهِ ﴾ .

شِعْرَاً :

يَا غَافِلاً عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ انْتَبِهْ ... جَدَّ الرَّحِيْلُ وَلَسْتَ بِالْيَقْظَانِ

سَارَ الرِّفَاقُ وَخَلَّفُوكَ مَعَ الأُوْلَى ... قَنِعُوا بِذَا الحَظِّ الخَسِيْسِ الفَانِ

وَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى مُتَخَلِّفَاً ... فَتَبِعْتَهُمْ وَرَضِيْتَ بِالحِرْمَانِ

لَكِنْ أَتَيْتَ بِخُطَّتَيْ عَجْزٍ وَجَهْـ ... ـلٍ بَعْدَ ذَا وَصَحِبْتَ كُلَّ أَمَانِ

مَنَّتْكَ نَفْسُكَ بِاللَّحَاقِ مَعَ القُعُو ... دِ عَنِ المَسِيْرِ وَرَاحَةِ الأَبْدَانِ

ولَسَوفَ تَعْلَمُ حِيْنَ يَنْكِشفُ الغِطَا ... مَاذَا صَنَعْتَ وكُنْتَ ذِا إِمْكَانِ

اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِفَضْلِكَ وَاحْسَانِكَ وَتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ وَأَلْحِقْنَا بِالذِيْنَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمَ فِي دَارِ رِضْوَانِكَ وَارْزُقْنَا كَمَا رَزَقْتَهُمْ مِنْ لَذِيْذِ مُنَاجَاتِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى محمد وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٤٤ موعظة

عِبادَ اللهِ إن كُنْتُم في سَعةٍ مِن العَيْشِ فاحْمَدُوْا اللهَ تَعَالَى أن جَعَلَكُمْ مِن أَهْلِ الإيسَارِ وأدِيْمُوا شُكْرَهُ يُدِمْ عَليكُم النِّعْمَةَ ويَزِدْها ، وهو الكريمُ الجوادُ . ومِن تَمَامِ النِعمَةِ أن تَتَسَخُوْا مِنَ الزكاة بإخراجِها كاملةً إلى ذَوي الحَاجاتِ لعلكم أنْ تَفُوزُوا بالخَلَفِ والثَّوَابِ الجَزِيْلِ مِن فاطِرِ الأرضِ والسَّمواتِ ، أَحْسِنُوا إلى عِبَادِ الله كَمَا أحْسَنَ اللهُ إليكُمْ وَرَاعُوا عندَ الإحسانِ الأدَبَ فلا تَمُنُوا على الفَقِيْرِ ولا تُؤْذُوْهُ فإن ذلك مُحْبِطٌ

لِلأعمَالِ واسْتُرُوْا عَطاءَكُم مُخْلِصِينَ مُتَيَقِنِيْنَ أنَّ حَاجَتَكُمْ إلى الثَّوابِ وتكفيرِ الذُّنُوبِ أَشَدُّ مِن حَاجَةِ الفقير إلى ما تُخْرِجُونَ . واعْلَمُوا أن إحْسَانَكُمْ إنَّما هو لأِنفُسِكُم وَاعْصُوا الشيطانَ فإنَّهُ يأمُرُ بالبُخْلِ وينْهَى عن العَطْفِ على المَسَاكِين ، يُخِيفُكُمْ إن تَصَدَّقْتُم أنْ يَذهَبَ مَالكُم وأَنْتُم تَعْلَمُون أنَّ نَصِيْحَةَ العَدُوِّ مَهْلَكَةٌ ، وقد أخبرَ اللهُ جَلَّ وعَلا أن الشيطَانَ للإنسانِ عَدُوٌّ مُبِيْن ، وأَخْبَرَ صلى الله عليه وسلم أنهُ مَا مِن يَومٍ يَصبِحُ العِبَادُ إلا مَلَكَانِ ينزِلانِ فَيَقُوْلُ أَحَدُهُما اللَّهم أَعْطِ مُنْفِقاً خلفاً وَيقول الآخرُ اللَّهم أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفَا . رواه البخاري ومسلم .

اللهمَّ اعصِمْنَا عَنِ المخالفةِ والعصيانِ وألْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ يا كريمُ يا مَنَّان واغفر لنا ولوالدَينا ولجميعِ المسلمينَ الأحياءِ منهم والميتينَ برحمتكَ يا أرحمَ الراحمين وصلَى الله على محمد وعلى آله وصحبه أَجْمَعِيْنَ .

٤٥ موعظة

عبادَ الله إن وُجُودَ الموتِ بينَ الناسِ مَوْعِظَةٌ كُبْرَى لوَ كَانُوا يعقلون فانه بِلِسَانِ الحَالِ يقولُ لِكُلِ واحدٍ مِنا : سَأنْزِلُ بكَ يوماً أو لَيلةً كما تَرىَ النَاسَ بعَيْنِكَ يَمُوتُونَ وقد يَكُونُ لأَحَـدِهِم مِن المالِ والجـاهِ والقوَّةِ والجمَالِ والعِلمِ والفَصاحَةِ والمَرْكَزِ الدُّنيويِ ما يُدهِشُ الناظرينَ لَهُ ، وقد يكونُ قَدْ طَالَ عُمُرُهُ وطالَ أمَلُهُ حتى مَلَّ ومُلَّ مِنْهُ . وبَيْنَ ما هو في حالٍ مِن النَّشَاطِ قويَّ مشْدُودَ أسْرُهُ ، ذُو هِمَّةٍ تَضِيْقُ بها الدنيا ، قدْ أَقْبَلَتْ عليهِ الدُّنيا مِن كُلِّ جِهَةٍ ، وزَهَتْ لَهُ ، إذا تَرَاهُ جُثَّةٌ هَامِدَةٌ أشْبَهَ بِأعْجَازِ النَّخْلِ الخَاوِيَة لا حِسَّ لَهُ ولا حَرَكَةَ ولا أقوالٌ وَلا افعالٌ قَدْ ضَيَّقَ على مَن حَوْلَهُ وإذا لم يُسْرِعُوا بِهِ إلى الدَّفْنِ يَكُونُ جِيْفَةَ مِن الجِيَفِ تُؤْذِي رَائِحتُهَا الكَرِيهةُ كلَ مَن قَرُبَ منها ، هَذا كُلُّهُ يكونُ بعدَ ذلكَ النَّشَاطِ

والقُوَى لِأنَّ هَادِمَ اللّذاتِ نَزَلَ بِهِ .

وبَعْدَ نُزُولِه لا تَسْألُ كان لَهُ ما كَانَ ، وفي الحالِ تُصْبحُ زَوْجَتُه أرْمَلَةً ويُصبِحُ أوْلَادُهُ أيْتاماً . وفي الحالِ تُقَسّم أَمْوَالُهُ التي جَمَعَهَا وقَاسَى على جَمْعِهَا الشَّدَائِدَ . لِأنَّ المَوْتَ يُزيْلُ مُلْكَهُ ويَنْقُلُهُ إلى مُلْكِ وَرَثَتِهِ نَقْلاً تَعْجَزُ عن نَقْضِهِ الأيامُ ، نَعَمْ إنَّهُ بالموت يزولُ مَالُه كُلُهُ وهِيَ أكْبَرُ مُصِيْبَةٍ مَالِيَّةٍ .

وأكْبَرُ مِنَها أنَّهُ يُسْألُ عنه كُلّهِ دَاخِلاً وخَارِجاً مِن حَلَالٍ أمْ مِن حَرَامٍ وبَعْدَ مُدَّةٍ يَسيْرةٍ يُنْسَى هُو وَيُنْسَى مالُه وَيُنسَى جَاهُهُ ويُنْسَى مَرْكَزُهُ ومَكَانَتُهُ ولو كان مَلِكاً أوْ وَزِيْراً ومَا كأنهُ رَأتْهُ العُيُونُ ولا سَمِعَتْ كَلامَهَ الآذانُ

اللّهُمَّ انَّا نَسْأَلُك التَّوبَةَ وَدَوامَها ، وَنَعُوذُ بِكَ مِن المَعْصِيَةِ وأسْبَابها ، اللّهمّ أفِضْ علَيْنا مِن بَحْرِ كَرَمِكَ وَعَوْنِك حَتّى نَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيا على السّلاَمَةِ مِن وَبَالِها وارْأَفْ بِنا رَأْفَةَ الحَبِيْبِ بِحَبِيْبِهِ عِنْدَ الشّدَائِدِ وَنُزُولِها ، وارْحَمْنا مِن هُمُومِ الدّنْيا وَغُمومِها بالرَّوْحِ والرّيْحانِ إلى الجنةِ وَنَعِيْمِها ، وَمَتّعْنا بالنّظَرِ إلى وَجْهِكَ الكريم في جَنَّاتِ النَّعِيمْ : مَعَ الذين أَنْعَمْتَ عليهم من النبيينَ والصّدّيقينَ والشُّهَدَاءِ والصّالِحين ، واغْفِرْ لَنَا ولوالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسلِمينَ ، الأَحياءِ منهم والميتينَ بِـرَحْمَتِـكَ يَـا أرْحَمَ الرَّاحِمينَ ، وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِه وصحبِهِ أَجْمَعِينْ .

٤٦ مَوْعِظَة

عِبَادَ اللّه إنَّ القُلُوبَ إذَا قستْ واسْتَوْلَى عَلَيْها حُبُّ الدُّنْيا دَوَاؤُهَا النَّافِعُ بِإذْنِ اللّهْ ذِكْرُ اللّهْ جَلَّ وَعَلا وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ الْعزِيْزِ وَزِيَارَةُ الْمقَابِرِ لِتَرَى

فِيْها بِعَيْنِكَ مَا صَارَ إِلَيْهِ الأكَابِرْ والاَصَاغِرْ تَرَى فِيْهَا الْمُلوكَ والْوُزَرَاءَ وَالْوُجهَاءَ والْجَبَابِرةَ والظَّلَمَةَ والْمُتَكَبِّرِيْنَ والفَسَقةَ صَرْعَىٰ فِي ضِيْقِ تِلْكَ الْحَفائِرْ وَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا عَلَى سَعَتِها تَضِيْقُ عَمَّالَهُمْ مِنْ آمالٍ وَأَمَانِي .

وَتَرَى هُنَاكَ أَحِبَّاءَ اللّهِ وَأَوْلِيَاءَهُ وَعِبَادَه الصَّالِحْين الْكُلُّ حَكَمَ عَلَيْهِ الْعَزِيزُ الْحَكِيْمُ الْقَهَّار بالمَوْتَ فَلَبُّوا طَائِعِيْنَ أَوْ مُكْرَهِيْن وأصْبَحَ الْكُلُّ مُنْفَرداً لا أَنِيْسَ لَهُ إلا ما قَدَّمَهُ مِن الأعمالِ فالمَطِيعُ لِلّهِ الّذِيْ امْتَثَلَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ وانْتَهَى عَمَّا نَهى اللّهُ عَنْهُ في رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةْ وَعِنْدَهُ عَمَلُهُ الصّالِحْ .

وَأَمَّا الآخرْ فَلَوْ أَنْطَقَهُ اللّهُ لَقَالَ لَكَ كَلاماً تَقَطَّعُ لَهُ الْقُلُوبُ حَسَرَات يَقُولْ إنَّ الْحَكَمُ الْعَدْلُ جَازَانِي بِمَا اسْتَحِق وَإِنِّي بِعَذَابٍ لاَ تَحْتَمِلُهُ الْجِبَال الرَّاسِيَات وَإِنّي مُسْتَحِقٌ لِذَلِك لِأَنِّي اغْتَرَرْتُ بالدُّنْيَا وَزخَارِفَها فَلَمْ أعْبأ بأوَامِرِ رَبِّي وَلاَ نَواهِيْهِ واقْتَحَمْتُ الْمُوبِقَاتِ لِذَا صِرْتُ إِلَى مَا لَوْ رَأَيْتَهُ لِصَعِقْت وَذَهِلْتَ وَغُشِيَ عَلَيْكَ ، وَمُلِئْتَ رُعْبا وَاشْتَعَلَ شَعْرُك شَيْبا وَلَمْ تَنْتَفِعْ بَعْدَ قَوْلِهِ بِأكْلٍ وَشُرْبٍ وَرَأَيْت أَحْدَاقاً عَلى الخُدُودِ سَائِلةً ، وَرَأَيْتَ أَعْظُماً غَيْرَ مُتَمَاسِكةٍ وَأَوْصَالاً مُتَقطِّعةً وَرَأَيْتَ جَمَاجماً قَدْ عَلاَهَا الدُّوْدُ والْخَشَاشُ كأنَّها الأنَابِيْبُ وَرأَيْتَ مَا كَانَ مُجْتَمِعاً مُتَفَرِّقاً رَمِيْما وَرَأَيْتَ الصَّدِيْدَ وَالْقَيْحَ يَجْرِي فَيَالَهُ مِنْ مَنْظِرٍ مَا أفْزَعَهُ وَيَالَهُ مِنْ سَفَرٍ مَا أطْوَلَهْ .

وَالْعَجَبْ مِمَّنْ يَزُوْرُ الْقُبورَ وَيَسْمَعُ ذَلِكَ وَيُصَدِّقُ بِهُ وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَنَامُ مُطْمَئِنّاً مَا كَأَنَّهُ سَيسَاكِنهُمْ عَنْ قَرِيْبٍ ، مَاتَتِ الْقُلُوبُ فاصْبَحَتْ لاَ تَنْتَفِعُ بالْوَعْظِ والتَّذْكِيرْ وَلاَ بِزَاجِرِ الْمَوْتِ وَهُوَ أبْلَغُ زَاجِرٍ لِلأحْيَاءِ فَزُرْ يَا أَخِي الْقُبورَ مُعْتَبِرَا وانْتَبِه مِنْ هَذِهْ الْغَفْلَةِ فالْمَوْتُ مَهْمَا مُدَّ فِي عُمرِكْ لاَبُدَّ

انْ يَأْتِيْكَ فَكُنْ مِنْهُ عَلى حَذَرٍ فَإنّهُ لا يُؤْمَنُ أنْ يَفْجَاكَ وَأَنْتَ سَارِحٌ فِي أوْدِيَةِ الدّنْيَا . وَمَا أكْثَرَ مَوْتِ الْفُجْأَةْ فِي زَمَنِنَا بَوَاسِطَةِ السَّيَّارَاتِ وَالْقَزْ والكَهْرَبَاء والطَّائِرَاتِ وَنَحْو ذَلِكْ .

اللّهُمَّ انَّا نَسْأَلَك التَّوبَةَ وَدوامَها ، وَنَعُوذُ بِكَ مِن المَعْصِيَةِ وأسْبَابها ، اللّهمّ أفِض علَيْنا مِن بَحْرِ كَرَمِكَ وَعَوْنِك حَتَّى نَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا على السّلاَمَةِ مِن وَبَالِها وَارْأَفْ بِنا رَأْفَةَ الحَبِيْبِ بِحَبِيْبِهِ عِنْدَ الشّدَائِدِ وَنُزُولِها ، وارْحَمْنا مِن هُمُومِ الدّنْيا وَغُمومِها بالرَّوْحِ والرّيْحانِ إلى الجنةِ وَنَعِيْمِها ، وَمَتِّعْنا بالنَظَرِ إلى وَجْهِكَ الكريم في جَنَّاتِ النَّعيمْ : مَعَ الذين أنْعَمْتَ عليهم من النبيينَ والصِّدّيقينَ والشُّهَدَاءِ والصّالِحين ، واغْفِرْ لَنَا ولوالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسلِمينَ ، الأَحيـاءِ منهم والميتينَ بِــرَحْمَتِـكَ يــا أرْحَمَ الرَّاحِمينَ ، وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِه وصحبِهِ أجْمَعِينْ .

٤٧ موعظة

أَيُهَا الغَافِلُ رَاقِبْ مَن يَرَاكَ في كُلِّ حَالٍ ، وَطَهِّـرْ سِرَّكَ فَهُوَ عَلِيْمٌ بما يَخْطُرُ بالبَالِ ، إلى مَتَى تَمِيْلُ مَعَ الزَخَارفَ وإلى كَمْ تَرَغَبْ لِسَمَاعِ المَلاَهِيْ والمعازِفِ والمُحَرَّمَاتِ أمَا آنَ لكَ أن تُجَالِسَ صَاحِبَ الدّين والصلاحِ العاكِفِ على عَمَلِهِ يَقْطَعُ لَيْلَهُ بالقيام حَتَّى الصَّبَاحِ وَنَهارَهُ بالصِّيامِ لا يَمِلُّ ولا يَتَوانَى رَجاءَ الفَوْزِ بالأَرْباحِ وأنتَ في غَمْرةِ هَوَاكَ

مَفْتُوناً في الانْهِمَاكِ بِدُنْيَاكَ وكأني بكَ وقد هَجَمَ عَليكَ مَا بَدَّدَ شَمْلَكَ وَأَوْهَنَ قُوَاكَ وَافْتَرَسَكَ مِن بَيْنِ أَهْلِكَ وعَشِيرَتِكَ وأخِلاَّئِكَ وَتَخَلَّى عَنْكَ خَلِيْلُكَ وأَصْدِقَاؤُكَ لا يَسْتَطِيْعُونَ رَدَّ ما نَزَلَ بكَ ولا تَجِدُ له كاشِفاً فانتَبِهْ ما دَامَ جِسْمُكَ صَحِيحاً والعَمَلُ منكَ في إمكان .

وَاذْكُرْ وقُوفَكَ في المَعَادِ وأنْتَ في كَرْبِ الحِسَابِ وأنت عَبْدًا مُفْرَدَا
سَوَّفْتَ حَتَّى ضَاعَ عُمْرُكَ بَاطِلاً وأَطَعْتَ شَيْطَانَ الغِوَايَةِ والعِدَا
فانْهَضْ وتُبْ مِمَّا جَنَيْتَ وقُمْ إلىَ بـابِ الكَـرِيْمِ وَلُـذْ بِـهِ مُتَفَـرِّدَا
وادْعُـوْهُ فِي الأسْحَارِ دَعْوَةَ مُذْنِبٍ وَاعْـزِمْ وتُبْ واحْذَرْ تَكُنْ مُتَرَدِّدَا
واضْرَعْ وقُلْ يَا رَبِّ جِئْتُكَ أرْتَجِي عَفْـوًا ومَغْفِـرَةً بِهَـا كَـيْ أسْـعَدَا
فلَعَـلَّ رَحْمَتَـهُ تعُـم فـإنَّهَـا تَسَعُ العِبَادَ وَمَنْ بَغَي ومَن اعْتَدى
وإذَا أَرَدْتَ بِـأنْ تَفُـوزَ وَتَتَّـقِي نـارَ الجَحِيمِ وحَـرَّهَـا المُتَـوَقِّـدَا
أخْلِصْ لِمَنْ خَلَقَ الخَلاَئِقَ واعْتَلَى فَوْقَ السمواتِ العُـلَى وتَفَـرَّدَا
ثـم الصـلاةُ عـلى النبـيِ مُحَمَّـدٍ خَيْرِ الـوَرَى نَسَـبًا وأكْـرَمَ مَحْتِـدَا

٤٨ موعظة

عِبَادَ اللهِ ، إنَّ بَيْنَ أيْدِيْكُم يَوْمٌ لا شَكَّ فيْهِ وَلا مِرَاءٌ ، يَقَعُ فِيْهِ الفِرَاقُ وَتَنفَصِمُ فِيْهِ العُرَى ، فتَدَبَّرُوا أمْرَكُم ، قبْلَ أنْ تحْضُروا ، وَانْظُرُوا لأنْفُسِكُمْ نَظَر مَنْ قد فَهِمَ ودَرَى ، قالَ اللهُ تعالىَ ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً ﴾ يَا لهُ مِنْ يَوْم يَشِيْبُ فيْهِ الوِلدَانُ ، وَتَسِيْرُ فِيْهِ الجِبَـالُ ، وَتظْهَـرُ فيْهِ الخفـايَا ، وَتَنْـطِقُ فيهِ الأعـضَاءُ ، شَاهِـدةً بَالأعْمَالِ ، فَانْتَبهْ يَا مَنْ قَد وَهَى شَبَابُه ، وَامْتَلأ بالأوْزَارِ كِتابُه ، عبَادَ الله ، أمَا بَلَغَكُم أنَّ النَّارَ لِلكُفَّارِ وَالعُصَاةِ أُعِدَّتْ ، إنَّهَا لَتُحْرِقُ كُلَّ مَا يُلْقَى فِيْهَا ، قالَ اللهُ تَعالىَ ﴿ إذا أُلْقُوا فِيْها سَمِعُوا لهَا شَهِيْقاً وهِيَ تفُورُ تكادُ تَمَيَّزُ منْ الغَيْظِ ﴾ وَقالَ ﴿ إنَّها ترْمِي بشَرَرٍ كالقَصْرِ ، كأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفرٌ ﴾ عِبَادَ اللهِ ، أمَا بَلَغَكُم أنَّ طَعَامَ أهْلِهَا الزَّقُّومُ ، وَشَرابُهم الحَمِيْمُ ، قالَ عَليْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ « لَوْ أنَّ قطْرَةً مِنَ الزَّقُّوم قَطَرَتْ في الأرْضِ لأمَرَّتْ علىَ أهْلِ الدّنْيا مَعِيْشَتَهُم » فكيفَ بمَنْ هُو طَعَامُه ، لا طَعَامَ لَهُ

غيْرُهُ ، قالَ تَعالىَ ﴿ أنَّ شَجَرَةَ الزّقّوم طَعَامُ الاثِيْم كالمُهل يَغْلِيْ في البُطُونِ كغَلْيِ الحَمِيْم ﴾ .

أَخْرَجَ الطبراني وَابْنُ أَبِي حَاتِمْ مِنْ طَرِيْقِ مَنْصُورِ بْنِ عَمَّارٍ حَدَّثنَا بَشِيْرُ بْنُ طَلحَة عن خالِدِ بنِ الدّرِيَك عنْ يَعْلى بن مُنِيِّةٍ رَفَع الحَدِيْث إلىَ النبي صلى اللهُ عليه وسَلمَ قالَ « يُنْشِءُ اللهُ لأهْل النّارِ سَحَابَةً سَوْدَاءَ مُظلِمَةً ، فيُقالُ يَا أَهْلَ النَّارِ أيُّ شيْءٍ تَطْلُبونَ ، فيذكُرونَ بهَا سَحَابَةَ ألدُّنيا ، فيَقُولُونَ يَا ربَّنا الشَّرَابَ ، فتُمْطرُ أغْلالاً تَزِيْدُ في أغْلالِهم ، وسَلاسِلَ تَزِيْدُ في سَلاسِلهم ، وجَمْراً يَلْتَهِبُ عَليهم » .

اللهمّ توفنَا مُسلمين وألحقنَا بالصالحِينْ غَير خَزايا ولا مَفتونينَ واغفرْ لنَا وَلِوالدَيْنَا ولِجميعِ المسلمينَ برحْمَتِكَ يا أرحمَ الراحمينْ وصلّى الله على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينْ .

٤٩ مَوْعِظَةٌ

ابْنَ آدمَ كأنَّك بالْموتِ وَقَدْ فَجَأَكَ وَأَلْحَقَكَ بمَنْ قَدْ سَبقَكَ مِنَ الأُمَمِ وَنَقَلَكَ مِنَ الْقُلَل والْعَمَائِر إلَى بَيْتِ الْوحَدةَ وَالْوحْشَةِ وَالظُّلَمِ وَمِنْ ذَلِكَ إلى عَسْكَرِ الْمَوْتى مُخَيِّمَةٌ بَيْنَ الْخِيَمِ مُفرِّقاً مِن مَالِكَ مَا اجْتَمَعَ وَمِنْ شَمْلِكَ مَا انْتَظَمَ وَلَيْس لَكَ قُدْرَةٌ فَتَدْفَعُهُ بِكَثْرةِ الأمْوالِ وَلا بِقُوةِ الْخَدَمِ ونَدِمْتَ عَلى التَفْرِيْطِ وَلاَتَ سَاعَةَ نَدَمْ .

فَيَا عَجباً لِعَيْنٍ تَنَامُ وَطَالِبُهَا مُجِدٌّ في طَلَبِهَا لَمْ يَنَمْ،مَتَى تَحْذَرُ مِمَّا تُوعَدُ وَتُهدَدْ،وَمَتى تَضَرَّمُ نَارُ الْخَوْفِ في قَلْبِكَ وتتوقّد،إلىَ مَتى حَسَنَاتُكَ تَضْمَحِلُ وَسيئاتُكَ تَتَجدَّد،وإلى مَتَى لا يَهُوْ لُكَ زَجْرُ الْوَاعِظِ وَانْ شَدَّدْ وَإلى

مَتى وَأنْتَ بَيْنَ الْفُتُورِ وَالتَّوانِي تَرَدَّدْ مَتى تَحْذَرُ يَوماً تَنْطِقُ فِيْهِ الْجُلُودُ وَتَشْهَدُ وَمَتى تُقْبِلُ عَلى مَا يَبْقى وَتَتْرُكُ مَا يَفْنَى وينفَدْ .

مَتى تَهُبُّ بِكَ في بَحْرِ الْوُجْدِ رَيْحُ الْخَوْفِ والرَّجا مَتى تَكُونُ في اللَّيْلِ قائِماً إذَا سَجى أيْنَ الَّذِينَ عَامَلُوا مَوْلاهُم بالأخِلاصِ وانْفَرَدُوا وَقامُوا في الدُّجَى فَرَكَعُوا وَسَجَدُوا وَقَدِمُوا إلى بَابِه في الأسْحَارِ وَوَفَدُوا وَصَامُوا هَواجِرَ النَّهارِ فَصَبَرُوا واجْتَهدُوا ، لَقَدْ سَارُوا وَتَخلفْتَ وَفاتَكَ مَا وَجَدُوا وَبَقِيْتَ في أعْقَابِهِمْ وإنْ لَمْ تُسْرِعْ وَتَجْتَهِدْ بَعُدُوا .

فَتَنَبَّهْ وَتَيَقَّظ يَا مِسْكِينُ قَبْلَ أَنْ يُفَاجِئُكَ هَادِمُ اللَّذَّات فَلاَ تَقْدِرُ عَلى اسْتِدْرَاكِ لِمَا فَاتَ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلاَ ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أنْ يَأْتِيَ أحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُوْلَ رَبِّي لَوْلاَ أخَّرْتَنِي إلى أجَلٍ قَرِيْبٍ فَأَصَّدَقَ وَأكُنْ مِنَ الصَّالِحِيْنَ•وَلَن يُوخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إذا جَاءَ أجَلُها واللَّهُ خَبيرٌ بِمَا تَعْمَلوْن ﴾ .

اللهم وَفِقْنَا لِصَالِحِ الأعْمالِ وَنَجِّنا مِن جميعِ الأهوالِ وأمِّنَا مِن الفزعِ والرجفِ والزِلزال ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجميعن .

فـائـدة عظيمـة النفــع

وقال رحمه الله لَيْسَ في الوجود شرٌ إلَّا الذُنُوبُ ومُوجِبَاتُها وكَوْنُها ذُنُوباً تأتي مِن نَفْسِ العبد فإنَّ سَبَبَ الذنب الظُلْمُ والجهلُ وهُمَا مِن نَفس العبدِ كما أَنَّ سَبَبَ الخيرِ الحَمْدُ والعلْمُ والحِكْمَةُ والغِنى .

وهي أمورٌ ذاتيةٌ للرّب وذاتُ الرب سبحانه ، مُسْتَلْزِمَةٌ لِلْحِكْمَةِ والخير والجُودِ .

وذاتُ العبدِ مُسْتَلْزِمةٌ لِلجهلِ والظُلمِ وما فيه مِن العِلْمِ والعَدْلِ فإنما حَصَل لَهُ بِفَضْلِ اللَّهِ عليه وهو أمرٌ خارجٌ عن نَفسه .

فَمَنْ أَرادَ اللَّهُ به خَيْرًا أعطاه هذا الفضل فصدرَ منه الاحسانُ والبرُ والطاعة .

ومَن أرادَ به شَرًا أمْسَكَهُ عنه وخَلاَّهُ ، ودَواعِي نفسه وطَبْعِهِ ومُوجَبُها فَصدَرَ منهُ مُوْجَبُ الجهلِ والظُلمِ مِن كُلّ شَرٍ وقبيح .

ولَيْسَ مَنْعهُ لِذَلَكَ ظلماً منه سبحانه فإنه فَضْلُه وليسَ مَن مَنَعَ فضله ظالماً لا سِيَّما إذا مَنَعَه عن مَحلٍ لا يَسْتَحِقّهُ ولا يليقُ به .

وأيضًا فان هذا الفضلَ هو تَوفيقُه وإرَادَتُه مِن نَفْسِهِ أَنْ يَلْطَفَ بَعبْدِهِ ويُوفِقَهُ ويُعِينَهُ ولا يُخَلّي بينه وبَيْنَ نَفْسِهِ وهذا محضُ فِعْلِهِ وفَضْلِه .

وهو سبحانه أَعَلْمُ بالمَحلِ الذي يَصْلَحُ لهذا الفَضْلِ ويليق به ويُثْمِرُ به ويَزْكُو . وقد أشارَ اللَّهُ تعالى إلى هَذا المعنى بقوله ﴿ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾ الانعام (٣٥) .

فأخبر سبحانه أنه أعلم بمَن يَعْرفُ قَدرَ هذه النعمة ويَشكرُهُ عليها فان أصلَ الشكرِ هو الاعترافُ بانْعَامِ المنعمِ على وَجْهِ الخُضُوعِ والذُلِ والمحبة . فَمَن لم يَعْرفْ النَعمةَ . بَلْ كَانَ جَاهِلاً بها لم يَشْكرُها .

ومَن عَرفَها ولم يَعْرَفْ المنعمَ بها لم يَشكُرهَا أيضاً ومَن عَرف النعمةَ والمنعمَ لكن جَحَدَها كما يَجَحَدُ المنكرُ لِنْعِمَةِ المنعم عليه بها فقد كَفَرَهَا .

ومَن عَرفَ النعمة والمنعمَ وأقَرَّ بها ولم يَجْحَدْها ولكن لم يَخْضَعْ لَهُ ويُحبُهُ ويَرضَى به وعنه لم يَشْكُرَهَا أيضاً .

ومَن عَرَفَها وعَرفَ المنعمَ بها وخَضَعَ للمنعم بها وأَحَبَّهُ ورَضِيَ به وعنه واسْتَعْملَها في مَحَابّهِ وطاعتِهِ فهذا هو الشُكْرُ لها .

فلا بَدَّ في الشكرِ مِن عِلْمِ القلبِ وعَمَلٍ يَتْبَعُ العلمَ وهو الميلُ إلى المنعمِ ومحبتِهِ والخضوعِ له .

كما في صحيح البخاري عن شداد ابن أوس قال قال رسول الله ﷺ : « سَيدُ الاستغفار أن يقولَ العبدُ اللهم أنتَ ربي لا إله إلاَّ أنْتَ خَلَقْتَني وأنا عَبدُكَ وأنا على عَهدَكَ وَوَعْدِكَ ما استطعتُ أعوذُ بك مِن شرَ ما صَنَعْتُ أَبُوء لَكَ بَنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وأبوءُ بذَنْبي فاغْفِرْ لي فإنه لا يَغْفِر الذُنُوبَ إلاَّ أنْتَ » .

« مَن قَالَها إذا أصْبَح مُوْقَنَا بها فماتَ مِن يَومِهِ دَخلَ الجنةَ ومَن قالها إذا أمْسَى مُوْقناً بها فماتَ مِن ليلته دَخَل الجنة » .

فقَولَهُ : « أبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَّي » يَتَضَمَّنُ الأَقرارَ والانابةَ إلى اللَّهِ بعبوديته . فالعبدُ يَبُوءُ إلى اللَّهِ بَنِعْمَتِهِ عليه ويبُوءُ بذَنْبِهِ ويَرجِعُ إليه بالاعْتَرافِ بهَذا وبهذا رُجُوعَ مُطْمَئنٍ إلى ربه منيبٍ إليه ليسَ رُجُوعَ مَن أقبل عليه ثم أَعَرضَ عنه .

فهو مَعْبُودُهُ وهُوَ مُسْتَعانهُ لا صَلاحَ له إلا بعبادتِهِ ولا يُمكنُ أن يَعْبُدَهُ إلَّا باعانتِهِ .

ومِن المعلوم أن أَجّلَ نِعَمِهِ على عبدِهِ نِعْمَةُ الايمانِ بهِ و معرفته ومحبته وطاعته والرضا به والانابة إليه والتوكل عليه والتزام عبوديته .

ومن المعلوم أيضاً أن الأرواحَ منها الخبيثُ الذي لا أخبثَ منه ومنها الطيبُ . وبين ذلك وكذلك القلوبُ منها القلبُ الشريفُ الزَّكي والقلبُ الخَسِيْسُ الخبيثُ .

وهو أعْلَمُ بالقُلوب الزّاكية والأرواحِ الطيبة التي تَصْلحُ لاستقرار هذه النِّعَمِ وإيداعِهـا عِندَها ويَزكُوَ بذْرُهَا فَيها فيكون تخصِيْصُه لها بهذِه النعمة كَتخْصِيْصِ الأَرضِ الطيبةِ القابلةِ للبذر بالبذر .

فليْسَ مِن الحكمةِ أن يبذر البذرَ في الصخور والرمالِ والسباخِ وفاعلُ ذَلِكَ غيرُ حكيمٍ فما الظنُّ ببذرِ الايمان والقُرآن والحكمةِ ونور المعرفة والبصيرةِ في المحالِ التي هِيَ أَخْبَثُ المحالِ فالله أعلمُ حَيثُ يجعلُ رِسَالتَه أصلاً وميراثاً .

فَهوَ أعلمُ بمَن يَصلح لِتَحمُّلِ رِسالتِهِ فَيُؤدِيِّها إلى عِبادِهِ بالأمانةِ والنصيحةِ وتعظيمِ المرسِلِ والقيامِ بَحقِّهِ والصبرِ على أوامِرِهِ والشكرِ لِنعِمه والتقرب إليه . ومَن لَا يَصْلَحُ لِذَلِكَ .

وكـذلِـكَ هو سُبحَـانَـه أعلم بِمَنْ يَصْلحَ مِن الأُمم لِوراثَـةِ رُسُله والقيامِ بخلافَتِهم وحَمْلِ ما بَلَّغُوهُ عن ربهم .

فالربُ سبحانه إذَا عَلْمَ من محَلٍ أَهْليةً لِفَضلِهِ ومحبتِهِ ومعرفتِهِ وتَوحيدِهِ حبب إليه ذلكَ وَوَضَعَهُ فيه وكَتَبه في قَلبِهِ ووَفقَهُ له وأعانَهُ عليهِ ويَسَّرَ له طُرُقَه وأغلَقَ دُونَهُ الأَبوابَ التي تَحُولُ بينَه وبينَ ذلك .

ثم تَولاَّهُ بلُطفِه وتَدْبيرِه وتَيْسيرِه وتَرْبيَتِه أَحْسَنَ مِن تربيةِ الوَالِدِ الشفيقِ الرحيمِ المحسنِ لِوَلَدِهِ الذي هو أَحَبُّ شيءٍ إليه .

فـلا يَزالُ يُعَـامِلُه بلُطْفِهِ ويَخْتَصُّـه بفَضْلِه ويُـؤْثِرهُ بَرحْمَتِهِ ويمده بمعـونته ويؤيده بتوفيقه ويريه مواقع احسانه إليه وبرّه به فيزداد العبد بهَ معرفة وله محبة وإليه إنابة وعليه توكلاً . ولا يَتَولَّى معه غيره ولا يَعبد معه سِواه .

وهذا هو الذي عَرَفَ قَدرَ النعمة وعَرفَ المنعمَ وأقرَ بنعمَتِهِ وصرَفَها في مَرضاتِه .

واقتضتْ حِكمةُ الرب وجُودُه وكرمُه واحسانُه أن بَذَر في هذا القلبِ نورَ الايمانِ والمعرفة وسقاه بالعلم النافعِ والعملِ الصالحِ وأطلعَ عليه مِن نُورِهِ شَمْسَ الهداية وصرَفَ عنه الآفاتِ المانعة مِن حُصول الثَّمرةِ .

فأنْبَتَتْ أرضُه الزاكيةُ مِن كُلِ زوجٍ كَريم فَمَنْ لم يُنْبِتْ قَلْبُه شَيئاً مِن الخير البتة فهذا مِن أشْقَى الأشقياءِ .

فصلواتُ اللَّهِ وسـلامُه على مَن الهُدَى والبيانُ والشفاءُ والعصمةُ في كَلامِهِ وفي أمثالِهِ .

والمقصـودُ أن اللَّهَ سُبحانَه أعلِمُ بمواقع فَضْلِهِ ورحمتِهِ وتوفيقِهِ ومَن يَصلَحِ لها ومَن لا يَصلح وأن حكمتَه تأبى أن يَضَعَ ذلِكَ عندَ غيرِ أَهلِهِ كما تأبى أن يَمْنَعَه مَن يَصلَحُ لَهُ .

وهـو سُبحـانَـهُ الـذي جَعَلَ المحلَّ صَالِحاً وجَعَلَه أهلاً وقابلاً فَمِنه الإعداد والإمداد ومنه السَّبَبُ والمُسَبُب .

وقال رحمه الله كمالُ العبدِ وصلاحُه يَتَخَلَّفُ عنه مِن إحَدِى جهتين إما أن تكوُنَ طَبيعتُهُ يابِسَةً غيرَ لينةٍ ولا مُنْقَادَةً ولا قابلةٍ لِمَا به كمالُها وفلاحُها .

وإما أن تكون لَينةً مُنقادَةً سَلِسَلَةَ القيادَةِ لكنها غَيرَ ثابتَةٍ على ذلكَ بَلْ سَرِيعَةُ الانتقالِ عنه كثيرةُ التَّقَلُّب .

فَمتى رُزقَ العبدُ انقيادًا لِلْحَقِ وثباتاً عليه فَلْيبشِرْ فقد بُشِرَ بكلِ خَيرٍ وذلك فضلُ اللَّهِ يؤتيه مَن يَشاء .

وقال صِدْقُ التأهبِ لِلقاءِ اللَّهِ مِن أَنْفعِ ما لِلْعَبدِ وأبلَغِهِ في حُصُول استقامَتِهِ فإن مَن اسْتَعَدَّ لِلقاءِ اللَّهِ انقطَعَ قلبُه عن الدنيا وما فيها ومطالِبهَا وخَمَدْتَ مِن نفسِه نِيرانُ الشهواتِ وأَخْبَتَ قلبُهُ إلى اللَّهِ وعَكَفَتْ همَّتُه على اللَّهِ وعلى محبتِهِ وايثارِ مرضاتِهِ .

واستحْدَثَتْ هِمَّةٌ أُخْرى وعُلوماً أُخَر وَوُلِدَ ولادةً أُخْرَى نِسْبَةُ قلبه فيها إلى الدار الآخرة كَنِسَبةٍ جِسْمِه إلى هَذِه الدارِ بَعدَ أن كَانَ في بَطنِ أمِهِ فَيولَدُ قَلبُه ولادةً حَقِيْقَية كما وُلِدَ جِسْمُهُ حقيقةَ وكما ان بَطْنَ أمه حِجَاباً لجِسمِهِ عن هَذِهِ الدارِ فهكذا نَفسُه وهَواهُ حَجابٌ لِقلبه عن الدارِ الآخرة .

فَخُروجُ قلبهِ عن نفسهِ بارزًا إلى الدار الآخرةِ كَخُروج جِسْمِهِ عن بطِنِ أمِهِ بارزاً إلى هذه الدار وهذا مَعْنَى ما يُذكَرعن المسيحِ أنه قال يا بَني إسرائيل إنكم لَن تلِجُوا ملَكوتَ السماءِ حتى تُولُدُوا مَرَّتَين .

ولَمَّا كان أكثرَ الناسِ لم يُوْلَدُوا هذه الولادَةَ الثانية وَلا تَصورُوْهَا فَضْلاً عن أن يُصَدِّقُوا بها فَيقُولُ القائُل كيفَ يُولَدُ الرجلُ الكبيرُ أَوْ كيفَ يُولَدُ القلبُ لم يَكن لَهمْ إليها همَّةٌ ولا عَزْيمةٌ إذْ كَيفَ يَعْزِمُ عَلى الشيءِ مَن لا يَعرِفُه ولا يُصَدقُهُ ولكن إذا كُشفَ حِجَابُ الغفلةِ عن القلبِ صَدَّقَ بذلكَ وعلِمَ أنه لَم يُولَدُ قَلْبُهُ بَعدُ .

والمقصودُ أن صَدْقَ التأهبِ لِلقاءِ اللَّهِ هُو مِفتاحُ جَميعِ الأعمالِ الصالحةِ والأَحوالِ الإيمانيةِ ومقاماتِ السالكين إلى اللَّهِ ومنازلِ السائرين

إليه مِن اليقظةِ والتوبةِ والإنابةِ والمحبةِ والرَّجاءِ والخشيةِ والتفويضِ والتسليمِ وسائرِ أعمالِ القلوبِ والجَوارحِ .

فمفتـاحُ ذلكَ كُلِه صِدْقُ التأهبِ والاستعداد لِلقاء الله والمفتاحُ بيد الفتاحِ العليم لا إله غيرهُ ولا رَبَّ سِواهُ .

وقال رحمه الله طُوبَى لِمَنْ أنْصَفَ فأقَرَّ لَهُ بالجهل في علمه ، والآفاتِ في عَمَلِهِ ، والعُيُوب في نَفْسِهِ ، والتَّفْرِيْطِ في حَقِّهِ ، والظُلم في مُعَامَلَتِهِ .

فإنْ أخَذَهُ بذُنُوبه رَأى عَدْلَه ، وإنْ لم يؤخِذْهُ رَأى فَضْلَهُ .

وإنْ عَمِل حَسَنَةً رآها مِن مِنَّتِهِ عليه ، فإن قَبلَها فمِنَّةٌ وصدقةِ ثانية ، وإنْ رَدَّهَا فَلِكَوْنِ مِثْلهَا لا يَصْلحُ أن يُواجَهَ به .

وإنْ عَمِل سَيئَةً رَآها مِن تَخَلِّيْهِ عنه ، وخُذْلانِهِ لَهُ ، وإمْسَاكِ عِصْمَتِهِ ، وذلِكَ مِن عَدْلِهِ فيه .

فَيرى في ذَلِكَ فَقْره إلى رَبه وظلمه في نَفْسِهِ ، فإنْ غَفَر لَهُ فَبِمَحْضِ إحْسَانِهِ وجُوْدِهِ وكَرَمِهِ .

ونُكْتَةُ المَسْأَلَة وسرها أنه لا يرى رَبَّهُ إلا مُحْسِنًا ولا يرى نَفْسَهُ إلاَّ مُسْيئًا ومُفَرّطا أو مُقَصّرًا .

فيرى كل ما يَسُرُّهُ مِن فَضْلِ رَبِّهِ عليه وإحسانِه إليه ، وكُلَّ ما يَسُؤُهُ مِن ذُنُوبه .

وقال مَن لم يَعْرفْ نفسَه كيفَ يعرفُ خالِقَه ؟ فاعلم أن الله خَلَقَ في صَدرِكَ بيتاً وهو القلبُ . ووضعَ في صدره عرشاً لِمَعْرفتِهِ يستوي عليه المثلُ الأعلى ، فهو مُسْتَوٍ على سَرِير القلبِ ، وعلى السرير بِسَاطٌ مِن الرِضا .

ووضعَ عن يمينِهِ وشِمالِه مَرافِقَ شَرائِعهِ وَأوامِره ، وفتحَ إليه باباً مِن جنةِ رَحمتِهِ ، والأنس به ، والشوق إلى لقائه .

وأمْطَرَهُ مِن وابـل كَلاَمِهِ مـا أنْبَتَ فيهِ من أصنافِ الرياحينِ والأشجارِ المثمرةِ ، مِن أنواع الطاعات والتهليلِ والتسبيحِ والتحميدِ والتقديسِ .

وَجَعَل في وَسَطِ البُستانِ شجرةَ مَعْرِفتهِ ، فهي تُؤتي أُكَلها كُلَ حين بإذْنِ ربهـا مِن المحبةِ والإنابةِ ، والخشيةِ والفرحِ به ، والابتهاجِ بِقربهِ ، وأجْرى إلى تِلكَ الشَّجرةِ ، ما يَسْقِيَها مِن تدَبُّر كلامِهِ وفهمِهِ ، والعَملِ بوصاياهُ .

وعَلَّقَ في ذلــك البيتِ قِنـديلاً أسْرَجَـهُ بضَياءِ مَعْـرفَتِـهِ ، وايمانٍ بهِ وتَوحيدِهِ ، فهو يَسْتَمدُ مِن شَجَرةٍ مُبَارَكَة زَيتُونة لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ يَكَادُ زَيتُها يُضيءُ ولو لَم تمَسَسْهُ نار .

ثم أحَاطَ عَليه حَائطاً يَمنَعُهُ مِن دُخُولِ الآفاتِ والمفسدينِ ومَن يُؤذي البُستـانَ ، فلا يَلْحَقـهُ أذَاهُم ، وأقامَ عَليه حَرسَاً مِن الملائكةِ يحفظُونَه في يَقْظَتِهِ ومَنامِهِ .

ثم أُعلِمَ صاحبُ البيتِ والبُستانِ بالساكن فيه فَهُو دائَماً هَمُّهُ إصْلاحُ السَّكَنِ ولمُّ شَعَثِهِ لِيرضَاهُ الساكَنُ مَنْزِلاً .

وإذا أحَسَّ بِأدنَى شَعَثٍ في السَكَنَ بادَرَ إلى إصْـلاحِهِ ولَمِهِ ، خَشْيَةَ انْتقالِ الساكنِ مِنه ، فَنِعْمَ الساكنُ ، ونِعْمَ المسكن فسبحان الله رب العالمين .

كَمْ بَيْنَ هذا البيتِ وبيتٍ قَدْ اسْتَـوْلَى عليه الخَـرَابُ ، وصَارَ مأْوى لِلْحَشَراتِ والهَوامِ ، ومَحَلاً لإلْقَاءِ الأنْتانِ ، والقَاذُوراتِ فيه .

فَمَنَ أَرادَ التَّخَلي وقضَاءَ الحاجةِ وَجَدَ خَرِبةً لا سَاكِنَ ولا حَافِظَ لَهَا .

وهي مُعَـدَّةٌ لِقَضاءِ الحَاجَةِ ، مُظْلِمَةُ الأَرْجَاءِ ، مُنْتِنَةُ الرائحةِ ، قد عَمَّهَـا الخَرابُ ، ومَلأتها القاذُوراتُ . فلا يأنسُ بها ولا يَنْزِلُ فِيها إلا مَن يُناسِبهُ سُكْنَاهَا مِن الحشراتِ والديدان والهَوام .

الشيطانُ جَالِسٌ على سَرِيْرِهَا وَعَلى السرير بساطُ الجَهْلِ وتَخْفِقُ فيه الأَهْوَاءُ ، وعن يَمينِهِ وشِمالِهِ مَرافِقُ الشهواتِ .

وقد فُتِحَ إليهِ بابٌ مِن حَقْلِ الخُذْلانِ وَالوَحْشَةِ ، والرُكونَ إلى الدنيا ، والطُمَأْنينَةِ بها ، والزُهْدِ في الآخرةِ .

وأمطَرَ مِن وَابِـلِ الجهـلِ والهَـوى والشركِ والبدعِ ، ما أَنْبَت فيه أصنافَ الشوكِ والحنظلِ ، والأشجارِ المثمرة بأنواعِ المعاصِي والمخالفاتِ ، مِن الـزوائـد والانتِـدَابَاتِ ، والنـوادِرِ والهزلياتِ والمضحكاتِ ، والأشعارِ الغزلياتِ ، والخمرياتِ التي تُهَيِّجُ على ارْتكابِ المُحَرَّمَاتِ ، وتُزَهِّدُ في الطاعاتِ .

وجَعَلَ في وَسَطِ الحقَلِ شَجَرةَ الجهلِ بِهِ والإعراضِ عنه ، فهي تُؤتي أُكَلَها كُلَّ حِينَ مِن الفُسُوقِ والمعاصِي ، واللهوِ واللعبِ والمُجُونِ ، والذهابِ مَعَ كُلِ رَيْحٍ ، واتباعِ كل شهوةٍ .

ومِن ثمـرِهـا الهُمُـومُ والغُمُومُ ، والأحزانُ والآلامُ ، ولكنها مُتَوارِيةٌ باشتغالِ النفسِ بِلَهْوِهَا ولَعِبها . فإذا أفاقَتْ مِن سُكْرِها أَحْضَرَتْ كُلَّ همٍ وغمٍ وحُزْنٍ وقَلَقٍ ، ومَعِيْشةِ ضَنْكٍ .

وأَجْرِي إلى هذهِ الشجرةِ ما يَسْقِيها مِن اتباعِ الهوى ، وطُولِ الأمل والغُرورِ .

ثم تُرِكَ ذلك البيتُ وظُلُماتُه وخَرابُ حِيْطانِهِ بحَيْثُ لا يُمْنَعُ منه مُفْسِدُ ولا حَيوَانٌ ، ولا مُؤْذٍ ولا قَذَرٌ .

فسبحان خالِق هذا البيتِ وذلك البيتِ ، فمنَ عَرفَ بَيْتَهُ وقَدَّرَ الساكنَ فيه ، وقَدَّرَ ما فيه مِن الكُنوزِ والذخائرِ والآلات انتفعَ بحَياتِهِ ونَفْسِهِ .

ومَن جَهِلَ ذلك ، جَهِلَ نفسَهُ وأضاعَ سَعَادَتَهُ . والله الموفق .

وقال أقامَ اللَّهُ سبحانَه هذا الخلقَ بين الأمرِ والنهيِ والعطاءِ والمنعِ فافْتَرَقُوا فرقةً قابلَتْ أمرَهُ بالتَّركِ ، ونهيَهُ بالارتكاب ، وعَطاءَهُ بالغفلةِ عن الشكرِ ، ومَنْعَهُ بالسُخْطِ ؛ وهَؤلآءِ أَعْداؤُهُ ، وفيهم مِن العَداوةِ بحسبِ ما فيهم مِن ذَلك .

وقِسْمٌ قالُوا : إنَّما نَحْنُ عَبيدُكَ فإنْ أَمرتَنا سارَعْنَا إلى الإجَابةِ ، وإن نَهَيْتَنَا أَمْسَكْنا نُفوسَنَا وكَفَفْنَاهَا عَمَّا نَهيتَنَا عنه ، وان أَعْطَيْتَنا حَمِدْناكَ وشَكَرناكَ ، وإن مَنَعْتَنا تَضَرَّعْنَا إليكَ وذَكَرْنَاكَ .

فَلَيْسَ بينَ هؤلآءِ وبينَ الجنةِ إلَّا سِتْرُ الحياةِ الدنيا ، فإذَا مزَّقه عليهم لموتُ ، صارُوا إلى النعيمِ المقيمِ ، وقُرةِ الأعْينِ كَما أَنَّ أولَئكَ لَيْسَ بينهَم وبينَ النارِ إلا سِتْرُ الحياةِ الدنيا .

فإذا مَزَّقَهُ الموتُ صَارُوا إلى الحسرةِ والألمِ . فإذا تَصادَمتْ جُيوشُ الدُنيا والآخرةِ في قَلْبكَ وأردتَ أن تَعْلَمَ مِن أَيِّ الفريقين أَنْتَ فانْظُرْ مَعَ مَن تَميلُ منِهما ، ومَن تُقَابلُ ؛ إذ لا يُمكِنُك الوقُوفُ بينَ الجيْشَينِ ، فأنتَ مَعَ أحدِهمَا لا مَحالَة .

فقِسْمٌ اسْتَغَشُّوا الهَوى فخَالَفُوهُ ، واستَنْصَحوُا العقلَ فَشَاوَرُوْهُ . وفَرَّغُوا قُلُوبَهُمْ لِلفكرِ فيما خُلقُوا لَهُ وجَوارِحَهم لِلْعَمِلِ بما أمِرُوا بِهِ ، وأَوْقاتَهم

لِعِمَارَتِها بما يعْمُر مَنَازِلَهُم في الآخِرَةِ .

واسْتَظْهَرُوا على سُرْعَةِ الأَجَلِ بالمُبَادَرَةِ إلى الأَعْمَالِ وسَكَنُوا الدُنْيَا وقُلُوبُهُم مُسَافِرةٌ عنها .

واسْتَوْطَنُوا الآخرةَ قبلَ انْتَقالِهِمْ إليها ، واهْتَمُّوا باللَّهِ وطاعتِهِ على قَدْرِ حَاجَتِهِم إليه ، وتَزَوَّدُوا لِلآخرةَ على قدرِ مَقَامِهِم فيها .

فَجَعَّلَ لَهُم سُبْحَانه من نعَيم الجنةِ وَرَوْحِهَا ، أَنْ آنسَهُم بِنَفْسِهِ ، وأَقْبَلَ بقُلُوبِهم إليه ، وجَمَعَهَا على محبَّتِهِ ، وشَوقَّهم إلى لِقَائِهِ ، ونَعَّمَهُم بقُرْبِهِ .

وفرَّغَ قُلُوبَهم مِمَّا مَلأَ به قُلُوبَ غَيرِهِم مِن مَحبةِ الدُنْيَا والهَمِ والحُزْنِ على فَوْتِها ، والغَم مِن خَوفِ ذَهَابِها .

فَاسْتَلانُوا ما اسْتَوْعَرَهُ المُترفُونَ ، وأنِسُوا بما اسْتَوْحَشَ مِنه الجاهِلُونَ ، صَحِبُوا الدنيا بأبْدَانِهِم ، والملأ الأَعْلَى بأرْوَاحِهِم .

فـائـدة : وقال رحمه الله إذا أَصْبَحَ العَبْدُ وأَمْسَى ولَيْسَ هَمُّهُ إلا اللَّهُ وحْدَهُ تَحَمَّلَ اللَّهُ سبحانه حَوَائِجَهُ كُلَّها وحَمَلَ عنه كُلَّ ما أَهَمَّهُ وفرَّغَ قَلْبَهُ لِمَحبَّتِهِ ولِسَانَهُ لِذِكْرِهِ وجَوَارِحَهُ لِطَاعَتِهِ .

وإنْ أَصبحَ وأَمْسَى وَالـدنيا هَمُّهُ حَمَّلَهُ اللَّهُ هُمُومَهَا وغُمُومَهَا وأنكادها ووَكَلَه إلى نفسه .

فشَغَلَ قَلْبَهُ عن محبَّتِهِ بمَحَبَّة الخلق ولِسَانَهُ عن ذكره بذكرهم وجَوَارِحَهُ عن طاعته بخدمتهم وأشْغَالِهِم .

فَهُو يَكْـدَحُ كَدْحَ الوَحْشِ في خِدْمَةِ غيره كالكِيْرِ يَنْفَخُ بَطْنَهُ ويَعْصِرُ أضْلاَعَهُ في نَفْع غيره .

فكُلُ مَن أَعْرَضَ عن عُبُودِيَّةِ اللَّهِ وطاعَتِه ومَحَبَّتِهِ بُلِيَ بعُبُودِيَّةِ المَخْلُوق ومحبَّتِه وخِدْمَتِهِ .

قال تعالى ﴿ ومَن يَعْشُ عن ذكر الرحمن نُقَيِّضْ له شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرين ﴾ .

قال سُفيان بن عُيَيْنَة لا تأتون بِمَثَلٍ مَشْهُور لِلْعَرَبِ إلا جِئْتُكُم به مِن القرآن .

فقال له قَائِلٌ فأَيْنَ في القُرآن أعْطِ أخَاكَ ثَمْرةً فإن أبَى فَجَمْرة .

فقال في قوله تعالى ﴿ ومَن يَعْشُ عن ذكر الرحمن نُقَيِّضْ له شَيْطَانًا ﴾

اللهم وَفِّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إليه القَوْم وأيْقِظْنَا مِن سِنةِ الغَفْلَةِ والنَّوم وأرزِقْنَا الاستعدادَ لِذَلِكَ اليَوْمِ الذي يَرْبَحُ فيه المُتَّقُونَ اللهم وعامِلنَا بإحْسَانِكَ وَجُدْ علينا بِفَضْلِكَ وامْتِنَانِكَ واجعلنا مِن عِبادِكَ الذين لا خَوفٌ عليهم ولا هم يحزنون اللهم ارحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ واجعلْ رَغْبَتَنَا فِيما لَدَيْكَ ، ولا تَحْرِمنا بِذُنوبنا ، ولا تَطْرُدْنَا بعُيوبنا ، واغفر لنا ولوالدينا وَلِجميع المُسْلمين الأَحياء مُنْهُم والمَيتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَم الرَّاحِمِيْن

٥٠ (مَوْعِظَةٌ)

في الْحَثِّ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

عِبَادَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلأَوَّلِينَ والآخرينَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الْذِيْنَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَايَاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فَمَا مِنْ خَيْرٍ عَاجِلٍ وَلاَ آجِلٍ ظَاهِرٍ وَلاَ بَاطِنٍ إلاَّ وَتَقْوَى اللَّهِ سَبِيلٌ مُوصِلٌ إِلَيْهِ ، وَوَسِيلَةٌ مُبْلِغَةٌ لَهُ ، وَمَا مِنْ شَرٍّ عَاجِلٍ وَلاَ آجِلٍ ظَاهِرٍ وَلاَ بَاطِنٍ إلاَّ وَتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِرْزٌ مَتِينٌ وَحِصْنٌ حَصِينٌ

لِلسَّلامَةِ مِنْهُ وَالنَّجاةِ مِنْ ضَرَرِهِ .

وَكَم عَلَّقَ اللهُ العظيمُ في كِتَابِهِ العَزِيزِ على التَّقْوَى من خَيْرَاتٍ عَظِيْمَةٍ وَسَعَادَاتٍ جَسِيْمَةٍ مِن ذَلِكَ المَعِيَّةُ الخـاصَّـةُ المُقْتَضِيَةُ للحفظ والعِنَايَةِ والنّصْرِ والتَّأْيِيْدِ ، قَال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ وَمِن ذَلِكَ المَحَبَّةُ لِمنَ اتَّقى اللهَ ، قال الله تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ التَّوْفِيقُ لِلْعِلْمِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ نَفْيُ الْخَوْفِ وَالْحُزْنِ عَن الْمُـتَّقِي الْمُصْلِح قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَمَن اتَّقى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ الفرقَانُ عِنْدَ الإِشْتِبَاهِ وَوُقُوع الاشْكَالِ وَالْكفَّارَة لِلسَّيِّئَاتِ وَالْمَغْفِرَةِ لِلذُّنُوبِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يـا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا أَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيْم ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَانْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِياً ثُمَّ نُنَجِّي الْذِينَ اتقَوْا ﴾ وَقَـالَ تَعَالَى : ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِيْنَ اتَّقُوا بِمَفَازَتِهِمْ لاَ يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ الْمَخْرَجُ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالرِّزْقُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ قَالَ تَعالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ الْيُسْرُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى . ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ عِظَمُ الأَجْرِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعَظِّمْ لَهُ أَجْراً ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ الْوَعْدُ مِنَ اللَّهِ بِالْجَنَّةِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ جَنَّاتِ عَدْنِ الْتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴾ الآيَاتْ إِلى قَوْلِهِ مَنْ

كَانَ تَقِيّاً .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ فِي مَقعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرْ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يَتقَبَّلَ اللَّهُ مِنَ الْمَتقِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾

ومن ذَلِكَ الْكَرَامَةُ عِنَدَ اللَّهِ بِالتَّقْوَى قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ التَّقْوَى هِيَ امْتِثَالُ الأَوَامِرْ وَاجْتِنَابُ النَّوَاهِي ، فَالْمُتَّقُونَ هُمُ الذِينَ يَرَاهُم اللهُ حَيْثُ أَمَرَهُم ولا، يُقْدِمُونَ على مَا نَهَاهُمْ عنه .

الْمُتَّقُونَ هُمُ الَّذِيْنَ يَعْتَرِفُونَ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِمْ وَيَعْرِفُونَهُ وَيُؤَدُّونَهُ ، وَيُنْكِرُونَ الْبَاطِلَ وَيَجْتَنِبُونَهُ وَيَخَافُونَ الرَّبَّ الْجَلِيْلَ الَّذِي لَا تُخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ، الْمُتَّقُونَ يَعْمَلُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ فَيُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَهُ وَيُحِلُّونَ مَا أَحَلَّهُ .

وَلَا يَخُونُونَ فِي أَمَانَةٍ وَلَا يَرْضُونَ بِالذُّلِّ وَالاهَانَةِ وَلَا يَعْقُونَ وَلَا يَقْطَعُونَ ، وَلَا يُؤْذُونَ جِيرَانَهُمْ وَلَا يَضْرِبُونَ اخْوَانَهُمْ ، يَصِلُونَ مَنْ قَطَعَهُمْ ، وَيُعْطُونَ مَنْ حَرَمَهُمْ ، وَيَعْفُونَ عَمَّنْ ظَلَمَهُمْ الْخَيْرُ عِنْدَهُمْ مَأْمُوْلٌ ، وَالشَّرُّ مِنْ جَانِبِهِمْ مَأْمُوْنٌ لَا يَغْتَابُونَ وَلَا يَكْذِبُونَ وَلَا يُنَافِقُونَ .

وَلَا يَنِمُّونَ وَلَا يَحْسِدُونَ وَلَا يُرَاؤُنَ وَلَا يُرَابُونَ وَلَا يَقْذِفُونَ وَلَا يَأْمُرونَ بِمُنْكَرٍ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنْ مَعْرُوفْ ، بَلْ يَأْمُرُوْنَ بالمعروفِ وَيَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَرْ ، تِلْكَ صِفَاتُ الْمُتَّقِيْنَ حَقّاً الذينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُوْنْ .

اخْوانِي ، لَوْ تَحَلَّى كُلٌ مِنَّا بالتَّقْوى لَحَسُنَ عَمَلُهُ ، وَخَلُصَتْ نِيَّتُهُ ، واسْتَقَامَ على الهُدَى ، وابْتَعَد عَنِ المَعَاصِي والرَّدَى ، وكانَ يَوْمَ القيامَةِ مِن النَّاجِين .

وَصْفُ الْمُؤْمِنْ المُتَّقِي
لِلإمَام عَلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

اَلمُتَّقُونَ هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ مَنْطِقُهُمْ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمْ الاقْتِصَادُ وَمَشْيُهُمْ التَّوَاضُعُ غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَوَقَّفُوْا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ نَزَلَتْ أَنْفسهم مِنْهُمْ في الْبَلاَءِ كَمَا نَزَلَتْ في الرَّخاءِ وَلَوْلاَ الأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهَ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ في أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقاً إلى الثَّوَابِ وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ .

عَظُمَ الْخَالِقَ في أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ في أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنْعِمُوْنَ وَهُمْ والنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُون قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وَشُرُورهُمْ مَأْمُونَةٌ وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ وَحَاجَاتُهُمْ خفِيفَـةٌ وَأَنْفُسُهُمْ عفِيفَةٌ صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً وَتِجارَةً مُرِيْحَةً يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ .

أَرَادَتْهُم الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهُ تَرْتِيلاً يُحْزِنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ .

فَإِذَا مَرُّو بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً وَظَنُّوا أَنَّهَا نَصْبَ أَعْيُنِهِمْ وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا

مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَئِيرَ جَهَنَّم وَشَهِيْقَها في أُصُولِ آذانِهم فَهُم حَانُونَ على أَوْساطِهم مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وأَكُفِّهِم وَرُكَبِهِمْ وأَطْرَافِ أَقْدَامِهِم يَطْلُبُونَ إلى اللهِ تعالى في فَكَاكِ رِقابِهم وأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أَبْرَارُ أتقياءُ .

قَدْ بَرَاهم الخَوفُ بَرْيَ القِدَاحِ يَنْظُرُ إليْهِم الناظِرُ فَيَحْسَبُهُم مَرْضَى وَمَا بالقَـوْمِ مِن مَرَضٍ وَيقُولُ قَدْ خُولِطُوا وَلَقَدْ خَالَطَهُم أَمْرٌ عَظِيْمٌ ؟ لَا يَرْضَوْنَ مِن أَعْمَالِهِم القَلِيْلَ وَلَا يَسْتَكْثِرُوْنَ الكثيرَ فَهُم لِأَنْفُسِهِم مُتَّهَمُونَ وَمِن أَعْمَالِهِم مُشْفِقُونَ إذا زُكِيَ أَحَدُهُم خَافَ مِمَّا يُقَالُ فَيقولُ أنا أَعْلَمُ بِنَفْسِيْ مِن غَيْرِيْ وَرَبِي أَعْلَمُ بي مِن نَفْسِي اللهم لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنونَ ، واغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُوْنَ .

فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِم أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فيدِيْنٍ وَحَزْماً في لِيْنٍ وإِيْمَاناً في يَقِيْنٍ ، وَحِرْصَاً في عِلْمٍ ، وعِلْماً في حِلْمٍ وَقَصْداً في غِنًى وَخُشُوعَاً في عِبَادَةٍ وَتَحمُّلاً في فَاقَةٍ وَصَبْراً في شِدَّةٍ وَطَلَباً في حَلَالٍ وَنَشاطاً في هُدَى وَتَحَرُّجاً عن طَمَعٍ .

يَعْمَلُ الأَعْمَالَ الصَّالِحَة وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ ، يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِكْرُ يَبِيْتُ حَذِراً وَيُصْبِحُ فَرِحاً ، حَذِرَاً لِمَا حَذِرَ مِنَ الغَفْلَةِ ، وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِن الفَضْلِ والرَّحْمَةِ ، إِنْ اسْتَصْعَبَتْ عليه نَفْسُهُ فِيْمَا تَكْرَهُ ، لم يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيْمَا تُحِبُّ .

قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيْمَا لا يَزُوْلُ ، وَزَهَادَتُه فِيمَا لا يَبْقَى ، يَمْزِجُ الحِلْمَ بالعِلْم ، والقَولَ بالعَمَلِ ، تَرَاهُ قَرِيْبَاً أَمَلُهُ ، قَلِيْلاً زَلَلُهُ ، خَاشِعَاً قَلْبُهُ ، قَانِعَةً نَفْسُه ، مَنْزُوْراً أَكْلُهُ سَهْلاً أَمْرُهُ ، حَرِيْزاً دِيْنُهُ ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ مَكْظُوماً

غَيْظُهُ ، الخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ ، والشَرُ مِنْهُ مأمونٌ .

إنْ كَانَ في الغَافِلِيْنَ كُتِبَ في الذَّاكِرِيْنَ وانْ كَانَ في الذَّاكِرِيْنَ لَمْ يُكْتَبْ مِن الغَافِلينَ يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَيُعْطِيْ مَن حَرَمَهُ وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ ، بَعِيْداً فُحْشُهُ ، لَيِّناً قَوْلُهُ غائِباً مُنْكَرُهُ ، حَاضِراً مَعْرُوْفُهُ ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ ، مُدْبِراً شَرُّهُ ، في الزَّلَازِلِ وَقُوْرٌ ، وفي المَكَـارِهِ صَبُوْرٌ وفي الرَّخَاءِ شَكُورٌ .

لَا يَحْيِفُ على مَن يُبْغِضُ ، وَلَا يَأْثَمُ فِيْمَنْ يُحِبُ ، يَعْتَرِفُ بِالحَقِّ قَبْلَ أَن يُشْهَدَ عَليه ، لا يُضَيِّعُ ما اسْتُحْفِظَ ، وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِرَ ، وَلَا يُنَابِزُ بِالأَلْقَابِ ، وَلَا يُضَارُّ بالجَارِ ، وَلَا يَشْمُتُ بالمُصَابِ ، ولَا يَدْخُلُ في البَاطِلِ ، ولا يَخْرُجُ مِن الحَقِّ .

إن صَمَتَ لَم يَغُمُّه صَمْتُهُ ، وانْ ضَحِكَ لم يَعْلُ صَوْتُهُ ، وإنْ بُغِيَ عَليهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللهُ هُو الذي يَنْتَقِمُ لَهُ ، نَفْسُهُ مِنْهُ في عَنَاءٍ والناسُ مِنْهُ في رَاحَةٍ ، أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ ، وأَرَاحَ الناسَ مِن نَفْسِهِ .

بُعْدُهُ عَمَّنْ تَباعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ ، وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِيْنٌ وَرَحْمَةٌ ، لَيْسَ تَبَاعُدُه بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ ، وَلَا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيْعَةٍ .

قالَ فَصَعِقَ هَمَّامُ صَعْقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيْهَا . فَقَالَ أَمِيْرُ المُؤْمنين عليهِ السلامُ أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَال هَكَذَا تَصْنَعُ المَوَاعِظُ البَالِغَةُ بِأَهْلِهَا فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : فَمَا بَالُكَ يا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ فقالَ وَيْحَكَ ، إن لِكلِ أَجَلٍ وَقْتاً لَا يَعْدُوْهُ وسَبَباً لَا يَتَجَاوَزُه أ هـ .

عَلَيْكُم بِتَقْوَى اللهِ لَا تَتْرُكُوْنَهَا
فَإِنَّ التُقَى أَقْوَى وأَوْلَى وأَعْدَلُ

لِبَاسُ التُّقَى خَيْرُ الملابِسِ كُلِّهَا
وأَبْهَى لِبَاساً في الوُجُودِ وَأَجْمَلُ
فَمَا أَحْسَنَ التَّقْوَى وأَهْدَى سَبِيْلَهَا
بِهَا يَنْفَعُ الإنسَانَ مَا كَانَ يَعْمَلُ
فَيَا أَيُّهَا الإنسانُ بَادِرْ إلى التُّقَى
وَسَارِعْ إلى الخَيْرَاتِ مَا دُمْتَ مُمْهَلُ
وَأَكْثِرْ مِن التَّقْوَى لِتَحْمِدَ غِبَّهَا
بِدَارِ الجَزَاء دَارٍ بها سَوْفَ تَنْزِلُ
وَقَدِّمْ لِمَا تَقْدَمْ عَليهِ فإنَّمَا
غَداً سَوْفَ تُجزَى بالَّذي سَوْفَ تَفْعَلُ
وأَحْسِنْ ولا تُهْمِلْ إذا كُنْتَ قادِراً
فَدَارُ بَنِيْ الدُّنْيَا مَكَانُ التَّرَحُّلِ
وأَدِّ فُرُوْضَ الدِّيْنِ واتْقِنْ أَدَاءَهَا
كَوَامِلَ في أَوْقَاتِهَا والتَّنَفلِ
وَسَارِعْ إلى الخَيْرَاتِ لا تَهْمِلَنَّهَا
فإنَّكَ إنْ أَهْمَلْتَ مَا أَنْتَ مُهْمَلُ
وَلَكِنْ سَتُجْزَى بالذي أَنْتَ عَامِلٌ
وعن ما مَضَى عن كُلِّ شَيْءٍ سَتُسْأَلُ
وَلاَ تُلْهِكَ الدُّنْيَا فَرَبُّكَ ظَامِنٌ
لِرِزْقِ البَرَايَا ظَامِنٌ مُتَكَفِلُ
وَدُنْيَاكَ فاعْبُرْهَا وآخْرَاكَ زِدْ لَهَا
عَمَاراً وإيْثَاراً إذا كُنْتَ تَعْقِلُ

فَمَنْ آثَـرَ الـدُنْيَـا جَهُـولٌ وَمَنْ يَبِـعْ
لِأُخْـرَاهُ بِـالـدُنْيَـا أضـلُّ وأَجْهَـلُ
وَلَـذَّاتُـهَـا والجَـاهُ والـعِـزُ والغِـنَـى
بِـأَضْـدَادِهَـا عَـمَّـا قَلِيْـلٍ تَبَـدَّلُ
فَمَنْ عَاشَ في الدُنْيَا وإن طَالَ عُمْـرُهُ
فَـلا بُـدَّ عَنْهَـا رَاغِمـاً سَـوْفَ يُنْقَـلُ
وَيَـنْـزِلُ دَاراً لا أَنِـيْسَ لَـهُ بِـهَـا
لِكُـلٍ الـوَرَى مِنهم مَعَـادٌ وَمَـوْئِـلُ
وَيَبْقَى رَهِيْنـاً بِـالتـرابِ بِمَـا جَنـى
إلى بَعْثِـهِ مِن أَرْضِـهِ حِيْنَ يَـنْسِـلُ
يُـهَـالُ بِـأَهْـوَالٍ يَشِيْبُ بِبعْـضِهَـا
وَلَا هَـوْلَ إلا بَعْـدَهُ الهَـوْلُ أَهْـوَلُ
وفي البَعْثِ بَعدَ المَوتِ نَشْرُ صَحائِفٍ
وَمِـيْـزَانُ قِسْطٍ طَـائِشٍ أَوْ مُـثْـقَّـلُ
وَحَشْـرٌ يَشِيْبُ الـطفْـلُ مِنه لِهَـوْلِـهِ
وَمنـه الجِبَال الـرَّاسِيَـاتُ تَـزَلْـزَلُ
وَنَـارٌ تَلَظَّى في لضَـاهَـا سَـلاسِـلٌ
يُـغَـلُّ بِهَـا الـفُجَـارُ ثُـمَّ يُسَـلْسَـلُ
شَـرَابُ ذَوِيْ الإِجْـرَامِ فِيهَـا حَمِيْمُهَـا
وَزقُّـوْمُهَـا مَـطْعُـومُهُمْ حِيْنَ يُؤْكَـلُ
حَـمِـيْـمٌ وَغَـسَّـاقٌ وآخَـرُ مِـثْـلُهُ
مِن المُهْلِ يَغْلِي في البُطُونِ وَيَشْعَـلُ

يَـزِيْدُ هَـوَانـاً مِن هَــوَاهَـا ولاَ يَــزَلْ
إلى قَعْــرِهَــا يَهْـوِي دَوَامــاً وَيَنْــزِلُ
وَفـي نَــارِهِ يَبْـقَـى دَوَامــاً مُـعَــذَّبَــاً
يَـصِيْــحُ ثُبُــوراً وَنْـحَــهُ يَتَــوَلْــوَلُ
عَــلَيْـهَــا صِـرَاطٌ مَــدْحَضٌ وَمَــزَلَّــةٌ
عَلَيْــهِ البَـرَايَــا في القِيَـامَـةِ تُحْمَــلُ
وفـيــهِ كَـلاَلِـيْـبٌ تَـعَــلَّقُ بـالــوَرَى
فَهَــذَا نَجَـا مِنهـا وَهَــذا مُـخْــرَدَلُ
فَـلا مُـذْنِبٌ يَفْـدِيْـهِ مَــا يَفْتَـدِيْ بِــهِ
وإنْ يَعْتَـذِرْ يَـومــاً فـلا العُــذْرُ يُقْبَـلُ
فَهَــذَا جَـزَاءُ المجــرمينَ على الـرَّدَى
وهــذا الـذي يَــومَ القِيَـامَــةِ يَحْصُـلُ
أعُــوذُ بِــرَبِي مِن لَـظَى وَعَــذَابِـهَــا
وَمِن حَـالِ مَن يَهْـوِيْ بِهَـا يَتَجَلْجَـلُ
وَمِن حَـالِ مَن في زَمْهَـرِيْــرٍ مُعَـذَّب
وَمَن كـانَ في الأَغْـلاَلِ فِيْهَــا مُكَبَّـلُ
وَجَنَّــاتُ عَــدْنٍ زُخْــرِفَتْ ثُمَّ أُزْلِفَـتْ
لِقَــوْمٍ على الـتَّقْــوَى دَوَامــاً تَـبَتَّــلُ
بِهَـا كُـلُ مَـا تَهْـوَى النُّفُـوسُ وَتَشْتَهِيْ
وَقُــرَّةُ عَـيْـنٍ لَـيْسَ عَـنـهــا تَــرَحُّــلُ
مَــلاَبِسُهُـم فِيـهَــا حَـرِيْــرٌ وَسُنْــدُسٌ
وَإِسْـتَـبْــرَقٌ لا يَـعْـتَــرِيْــهِ الـتَّـحَــلُّلُ

وَمَــأْكُوْلُهم مِن كُــلِ مَا يَشْتَهُــونَــهُ
وَمِن سَلْسَبِيْــلٍ شُــرْبُهُم يَتَسَلْسَــلُ
وأَزْوَاجُــهُم حُــوْرٌ حِسَــانٌ كَــوَاعِبٌ
على مِثْلِ شَكْلِ الشَّمْسِ بل هُوَ أَشْكَلُ
يُــطَافُ عَلَيْهِــم بــالــذي يَشْتَهُــونَــهُ
إذا أكــلُوا نَــوْعــاً بــآخَــرَ بُــدِّلُــوْا
فَــوَاكِهُهَــا تَــدْنُــوا إلى مَنْ يُــرِيْــدُهَــا
وَسُكَّــانُهَــا مَهْمَــا تَــمَنَّــوْهُ يَــحْصُــلُ
وأَنْهَــارُهَــا الألْبَــانُ تَجْــري وأَعْسُــلُ
تَــنَــاوُلُــهَــا عِــنْــدَ الإرَادَةِ يَــسْــهُــلُ
بِهَــا كُــلُ أَنْــوَاعِ الفَــوَاكِــهِ كُــلِّهَــا
وَخَــمْــرٌ وَمَــاءٌ سَلْسَبِيْــلٌ مُعَسَّــلُ
يُقَــالُ لَهُمْ طِبْتُمْ سَلِمْتُــمْ مِن الأَذَى
سَــلامٌ عَلَيْكُم بــالسَّــلامَــةِ فــأدْخُلُوا
بــأَسْبَابِ تَقْــوَى للهِ والعَمَــلِ الــذي
يُحِبُّ إلــى جَنَّــاتِ عَــدْنٍ تَــوَصَّــلُوا
إذا كَــانَ هَــذَا والــذي قَبْلَهُ الجَــزَاء
فَحَقٌ على العَيْنَينِ بــالــدَّمْــعِ تُهْمِــلُ
وَحَقٌ على مَــن كَــانَ بــاللهِ مُــؤْمِنــاً
يُــقَــدِّمْ لَــهُ خَــيْــراً وَلاَ يَــتَــعَــلَّلُ
وأَنْ يَــأْخُــذَ الإنْسَــانُ زَاداً مِن التُّقَى
ولا يَــسْــأَمِ التَّــقْــوَى وَلاَ يَــتَــمَــلْمَــلُ

وإنَّ أمَامَ النـاسِ حَشْـرٌ وَمَـوْقِفٌ
وَيَـومٌ طَـوِيْـلٌ ألفُ عَـامٍ وَأطْـوَلُ
فَيـالَـكَ مِن يَـوْمٍ عَلى كُـلِّ مُبْـطِلٍ
فَضِيْـعٍ وأهْـوَالُ القِيَـامَـةِ تُـعْضِـلُ
تَكُـونُ بـه الأطْـوادُ كَـالعِهْنِ أوْ تَكُنْ
كَثِيْبـاً مَـهِيْـلاً أهْيَـلاً يَتَـهَلْهَـلُ
بِـه مِلَّةُ الإسـلامِ تُقْبَـلُ وَحْـدَهَـا
وَلاَ غَـيْـرُهَـا مِن أي دِيْـنٍ فَـيَبْـطُلُ
بِـهِ يُسْـأَلُـونَ النـاسُ مـاذَا عبـدتمـوا
ومـاذا أَجَبْتُـم مَن دَعَـا وَهُـوَ مُـرْسَـلُ
حِسَـابُ الـذي يَنْقَـادُ عَـرْضٌ مُخَفَّفٌ
وَمَن لَيسَ مُنْقَـاداً حِسَـابٌ مُثَـقَّـلُ
أعـوذُ بِـكَ اللَّهُمَّ مِن سُـوْءِ صُنْعِنَـا
وَأسْـأَلُـكَ التَّـثْبِيْـتَ أُخْـرَى وَأوَّلُ
إلـهي فَثَبِّتْنِيْ عَـلى دِيْنـكَ الـذِي
رَضِيْـتَ بِـهِ دِيْـنـاً وإيَّـاهُ تَـقْـبَـلُ
وَهَبْ لِي مِن الفِرْدَوْسِ قَصْرَاً مُشَيَّداً
وَمُـنَّ بِـخَـيْـرَاتٍ بِـهَـا أتَـعَـجَّـلُ
وَلِـلَّهِ حَـمْـدٌ دَائِـمٌ بِـدَوَامِـهِ
مَدَى الدهْرِ لا يَفْنَى ولا الحَمْدُ يَكْمُلُ
يَـزِيْـدُ عـلى وَزْنِ الخَـلاَئِـقِ كُلِّهَـا
وأرْجَـحُ مِن وَزْنِ الجَمِيْـعِ وأثْـقَـلُ

وإنّي بِحَمْـدِ اللهِ في الحَمْـدِ أَبْتَـدِي
وأَنْهِيْ بِحَمْـدِ الـلهِ قَـوْلِيْ وَأَبْـتَـدِي
صَـلاةً وَتَـسْلِيْمـاً وَأَزْكَـى تَـحِيَّـةً
تَـعُمُّ جَـمِيْـعَ الـمُـرْسَلِيْـنَ وَتَشْـمَـلُ
وأَزْكَـى صَـلاةِ الـلهِ ثُـمَّ سَـلاَمُـهُ
عَلَى المُصْـطَفَى أَزْكَى البَـرِيَّـةِ تَنْـزِلُ

اللهم وَفِقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إليه القَوْم وأَيْقِظْنَا مِن سِنةِ الغَفْلَةِ والنَّوم وأرزِقْنَا الاستعدادَ لِذَلِكَ اليَوْمِ الذي يَرْبَحُ فيه المُتَّقُونَ اللهم وعامِلنَا بإِحْسَانِكَ وَجُدْ علينا بِفَضْلِكَ وامْتِنَانِكَ واجعلنا مِن عِبادِكَ الذين لا خَوفٌ عليهم ولا هم يحزنون اللهم ارحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ واجعلْ رَغْبَتَنَا فِيما لَدَيْكَ ، ولا تَحْرِمنا بِذُنوبنا ، ولا تَطْرُدْنَا بعُيوبِنا ، واغفر لنا ولوالدينا .

وَلِجميع المُسْلمين الأَحياء مِنْهُم والمَيتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَم الرَّاحِمِيْن وصلّى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِينْ .

٥١ موعِظَةٌ

عِبَادَ اللّهِ لَقَدْ ضَاعَتْ أَعْمَارُنَا في القِيْلِ وَالقَالِ ، وَالغِيْبَةِ وَالنَّمِيْمَةِ ، والمَدَاهَنَةِ ،وَالأَنْهَمَاكِ في الدنيَا ، إلى أنْ اسْتَلحَقَ كَثِيْرٌ مِنْ النَّاسِ جُزْءاً مِنْ الليلِ مُضَافاً إِلَى النَّهَارِ ، وَكأَنَّنَا لَمْ نُخْلقْ إلا لِهَذِهِ الأَعْمَالِ ، أَفَلاَ نَسْتَيْقِظُ مِنْ غَفْلَتِنَا ، وَنَحْفَظُ أَلْسِنَتِنَا عن نَهْشِ أَعْرَاضِ الغَوَافِلِ ، وَالطَّعْنِ فِي الأَحْسَابِ والأَنْسَابِ ،وَنَصْرِفَ جُلَّ الأَوْقَاتِ ، إِلَى البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ، التِيْ هِيَ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّنَا ثَوَاباً وَخَيْرٌ مَرَدّا ، وَنَذْكُر

مَولاَنَا الذِي فَضْلُهُ عَلَيْنا مِدْرَارٌ ، فَانَّ الذِّكْرَ عَاقِبَتُهُ الجَنَّةُ دَارُ الكَرَامَةِ والقَرَارِ ، مَعَ رِضَى رَبِّنَا الذِي دُوْنَهُ كُلُّ ثَوَابٍ ، تاللهِ لو عَرَفْتُم قِيمَةِ هَذه النَّصِيْحَةِ لَبَادَرْتُمْ إلى العَمَلِ بِهَا كلَّ البِدَارِ ، فَانَّكَ وَأنْتَ تَذْكُرُ اللهَ أفْضَلَ مِمَّنْ يُفَرِّقُ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وسَائِرَ الأمْوَالِ ، وَأَفْضَلُ مِنْ أنْ تُجَاهِدَ العَدُوَّ فَيَضْرِبَ عُنُقَكَ ، أو تَضْرِبَ عُنُقَهُ ، وَتَكُونَ مِنْ الشُّهَدَاءِ الأبْرَارِ ، كَيْفَ لا وَالذِّكْرُ خَيْرُ الأعْمَالِ وَأزكاها ، وأرْفَعَهَا لِلدَّرَجاتِ عِنْدَ مَوْلاَنَا الوَهَّابُ حَسْبُ الذَّاكِرِ : أنْ تَحُفَّهُ الملائِكَةُ ، وَتَنْزِلُ عَلَيْهِ السَّكِيْنَةُ ، وَتَغْشَاهُ الرَّحماتُ ، ومَنْ في الوُجُودِ مِثْلُ الذاكِرُ ، وهُو وقْتُ ذِكْرِهِ للهِ يَذْكُرُهُ بَارِىءُ الكائِنَاتِ ، وَمَنْ مِثْلُهُ فِي الدُّنْيَا وهُوَ بالذِكْرِ في حِصْنٍ حَصِيْنٍ ، يَحْفَظُهُ مَنْ الشَّيْطَانِ وَوَسَاوِسَهِ الفَاتِنَاتِ ، وَمَنزلَةُ الذاكِرِ بَيْنَ الغَـافِلِيْنَ كَمَنْزِلَةِ الحَيِّ بَيْنَ المَيِّتِينَ ، ذِكْر اللهِ يُنِيْرُ القلبَ ، ويُوْقِظُهُ ويُحْيِيهِ ، ويُزِيْلُ رَانهُ ويَهْدِيْهِ إلَى الحَقِّ .

٥٢ مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللّهِ انْتَبِهُوا وَبَادِرُوا بالأعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، فَإنَّ أَعْمَـارَكُم سَرِيْعَةُ الانْصِرَامِ ، وَالأيَّام وَاللَيَالِيْ تَمُرُّ بكم مَرَّ السَّحَابِ ، والدُّنْيَا إذا تَأمَّلهَا اللبِيْبُ رَآهَا كالسَّرَابِ ، وَصَدَقَ القَائِلُ في وَصْفِهَا حَيْثُ قَالَ :

أَلاَ كُـلُّ حَـيٍّ هَـالِـكٌ وَابْنُ هَـالِـكٍ
وَذُو نَـسَـبٍ فـي الـهَـالِـكِيْـنَ عَـرِيْـقُ
إِذَا امْـتَحَـنَ الـدُّنْيَـا لَـبِيْـبٌ تَـكَـشَّـفَـتْ
لَـهُ عَـنْ عَـدُوٍّ فـي ثِـيَـابِ صَـدِيْـقِ

أَعْوَامٌ سَرِيْعَةُ المُرُوْرِ ، وَشُهُورٌ تَقْتَفِي إِثْرَ شُهُورٍ وَعِبَرٌ بَيْنَ ذَلِكَ تَتْرَى ، فَعَلامَ الغُرُورُ ، فلا تَغْتَرّوا بالدُّنْيَا فَقَدْ نَهَاكُم اللهُ عَنْ الاغْتِرَارِ بِهَا ، وَضُرِبَتْ لَكُم بِأَخذِ أَمْثَالِكُم الامْثَالُ ، أَرَتْكُمْ عِيَاناً كَيْفَ تَقَلَّبَتْ بِأَهْلِهَا الأَحْوَالُ ، وَخَدَعَتْهُم الآمَالُ ، حَتَّى انْتَهَتْ لَهُمْ الآجَالُ ، قَبْلَ أَنْ يَحْصُلُوا عَلَى مَا سَيَتَمَنَّوْنَهُ مِنْ صَالِحِ الأَعْمَالِ ، فَاسْتَيْقِظُوا مِنْ نَوْمِكُم ، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُم عَلى مَا اكْتَسَبَتْهُ مِنْ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِيْ الثقالِ ، فَأَيُّ نَفْسٍ مِنَّا لَمْ تَحْمِلْ ظُلماً ، وَأَيُّ جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِنَا لَمْ تَقْتَرِفْ إِثْماً ، وَأَيُّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِنَا يَلِيْقُ بِذَلِكَ المقام ، وَأَيّ وَقْتٍ مِنْ أَوْقَاتِنَا تَمَحَّضَ لِلطَّاعَةِ وَخَلا مِن الآثامِ ، لَقَدْ جَنَيْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا بالذُّنُوبِ جِنَايَة عَظِيْمَةً ، فَلَيِّنُوا قُلوبَكُم بِذِكْرِ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ ، لَعَلَّهَا تَلِيْنُ ، وَعِظُوهَا بِذِكْرِ القَبْرِ وَفِتْنَتِهِ فإِنَّهُما لَحقُّ اليَقِيْن ، وَذَكِّرُوْهَا ﴿ يومَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِيْن ﴾ ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ المرءُ ما قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً ﴾ ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عن نَفْسِهَا ، وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُوْنَ ﴾ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ في الحَيَاةِ وَبَعْدهَا ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ المُفْلِحِيْنَ الذِيْنَ نَوَّرْتَ قُلُوبَهُم بِمَعْرِفَتِكَ ، وَأَهَّلْتَهُم لِخِدْمَتِكَ ، وَحَرَسْتَهُم مِنْ عَدُوِّكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٥٣ موعظة

عِبَادَ اللهِ لَقَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْنَا بِنِعَمٍ كَثِيْرَةٍ ، وجَادَ عَلَيْنَا بِخَيْراتٍ وَفِيْرَةٍ غَفَلْنَا عَنْهَا ، وعَن ضِدِّهَا ، وجهلْنَا حِكْمَتَهَا ، أعطَانَا جلَّ وعَلا

العَقْلَ ، ومَيَّزَنا بِه عن الحَيَوانَاتِ ، وأرْسَلَ إلَيْنَا الرُّسُلَ ، يُرْشِدُونَنَا لِلْحَقِّ وخَالِصِ الإيمانِ ، مَنَحَنَا القُوَّة والعَافِيَةِ ، وصَحَّةَ البَدَنِ ، وسَلاَمَةَ الأعْضَاءِ .

وجَعَلَ لَنَا السَّمْعَ ، والبَصَرَ ، واللِّسانَ ، والشَّفَتَيْنِ ، وعَلَّمَنَا البَيَانَ والإفْصَاحَ ، عَنْ مَا نَقْصُدُ بالكلامِ ، خَلَقَنَا في أحْسَنِ تَقْوِيْم ، وجَعَلَ لنا الأرْضَ فِرَاشاً ، والسماءَ بِنَاءً ، وأنْبَتَ لَنَا في الأرْضِ النَّخِيْلَ ، والأعْنَابَ والزَّرْعَ وسائِرَ ما نَحْتَاجُ إلَيْهِ مِن الثِّمارِ ، ونَسْتَخْرِجُ مِنْهَا المَعَادِنَ ، والخَامَاتِ .

وأجْرَى لَنَا فِيْهَا الأَنْهَارَ ، وأنْبَعَ لَنَا الماءَ الزِلاَلَ ، وخَلَقَ الشَّمَس والقَمَر ، والنُّجُومَ ، مُسَخَّرَاتٍ بأمْرِهِ تَمُدُّنا بالأنْوَارِ ، والمَنَافِعِ ، للأبْدَانِ والثِّمارِ ، والنَّباتَاتِ ، وفِيْهَا مِن الاتْقَانِ ، والجَمَالِ ، والاتِّزَانِ في سَيْرِهَا مَدَى الليالِي والأيَّامِ ، ما يَشْهَدُ لِله بالوَحْدَانِيَّةِ ، والحِكْمَةِ ، والْقُدْرَةِ البَاهِرَة ، والعِلْمِ ، وسَائِرِ صِفاتِ الكمَالِ .

ولِلهِ نِعَمٌ أُخرَى لاَ تُعَدُّ ، ولا تُحْصَى ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وإنْ تَعُدُّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوْهَا ان الانسانَ لَظَلُومٌ كَفَّار ﴾ إذاً يَجِبُ عَلَيْنَا شُكْرُهُ تعالى على نِعَمِهِ ، وهُوَ الغِنِيُّ الحَمِيْدُ ، غَنِيٌّ عَن العَالِمَين ، والخَلْقُ هُمُ الفُقَرَاءُ إلَيْهِ ، كَمَا قَالَ جَلَّ وعَلاَ ﴿ يَا أَيُّهَا الناسُ أنْتُم الفُقَراءُ إلى اللهِ واللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيْدُ ﴾ ، ولَيْس لِله في شُكْرِنَا مَنْفَعَةٌ تَعُوْدُ إلَيْهِ ، ولَيْسَ في كُفْرِ نِعَمِهِ ضَرَرٌ عَلَيهِ ، إنَّمَا تَعُوْدُ مَنْفَعَةُ الشُكْرِ إلى الشَّاكِر كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ومَنْ شَكَرَ فإنَّمَا يَشْكُر لِنَفْسِهِ ومَن كَفَرَ فانَّ رَبِي غَنِيٌّ كَرِيْم﴾ .

إنَّمَا الذي يَنْتَظِرُ الشُكْرَ مَخْلُوقٌ مِثْلَنَا وأنْتَ إذَا شَكَرْتَ اللهَ إنَّمَا

تُبَرْهِنُ عَلَى فَهْمِكَ لِنِعْمَةِ الله ، وتَقْدِيْرِكَ لَهُ إنْ شَكَرْتَ فَقَدْ وَجَّهْتَ النَعْمَةَ وَجْهَةَ الخَيْرِ ، والنَّفعِ ، واسْتَعْمَلْتَهَا فِيْمَا يُسْعِدُكَ في الدُنْيَا والآخِرَةِ ، وانْ كَفَرْتَ فَقَدْ بَرْهَنْتَ عَلى سُوْءِ فَهْمِكَ ، وعَدَمِ تَقْدِيْرِكَ لِرَبِكَ ، وعَلَى تَعمُّقِكَ في اللُؤْمِ والرَّدَاءَةِ .

واذَا تَأَمَّلْتَ الكَثِيْرَ مِن الناسِ وَجَدْتَهُ مُهْمِلاً لِلشُّكْرِ الذِي هُوَ صَرْفُ النِعَـمِ فَيْمَا خُلِقَتْ لَهُ ، واسْتِعْمَالُهَا فِيْمَا شُرِعَتْ لأجْلِهِ ، لِتَظْهَرَ فَائِدَتُهَا وتَتِمَّ حِكْمَتُهَا ، ويَجْنِي العَبادُ مَنَافِعَهَا ، ، فالشاكِرُ بِلسَانِهِ وقَلْبِهِ ، وعَمَلِهِ مِن الفَائِزِيْنَ ، ولَكِنَّهُ قَليْلٌ ، كَمَا قال تَعَالى ﴿وقَلِيْلٌ مِن عِبَادِيَ الشَّكُورَ﴾ الأَكْثَرُ كَمَا تَقدم صَرَفُوْهَا فِيْمَا يَعُوْدُ عَلَيْهِم ، وعَلى أوْلاَدِهِم ، وأهْلِهِم ، وأُمَّتِهِمْ بالضَّرَرِ .

أنْعَمَ عَلَيْهِمْ بالمَالِ فَقِسْمٌ خَزَنُوْهُ وَمَنَعُوْا حُقُوْقَهُ فَلَمْ يَخْرِجُوا زَكَاتَهُ ، ولَمْ يُسَاهِمُوا في مَشَارِيْعَ دِيْنِيَّةٍ ، كَبِنَاءِ مَسَاجِدَ ، وقَضَاءِ دَيْنٍ عَنْ مَدِيْنٍ ومُسَاعَدَةِ فَقِيرٍ ، وإجْرَاءِ مِيَاهٍ لِلْمُسْلِمِينَ ، والمُسَاعَدِة عَلَى نَشْرِ الاسْلامِ وطِبَاعَةِ مَصَاحِفَ طِبَاعَةَ جَيِّدَةً وتَوْزِيْعَهَا عَلَى التَّالِيْنَ لِكِتَابِ اللهِ ، وطِبَاعَةِ الكُتُبِ الدِّيْنِيَّةِ المُقَوِّيَةِ لِلشَّرِيْعَةِ المُحَمَّدِيَّةِ ، وبِنَاء بُيُوْتٍ لِمَنْ لاَ مَسَاكِنَ لَهُمْ ، ونَحَوْ ذَلِكَ .

وقِسْمٌ أنْفَقَوا المالَ في المـلاذِ والمَلاَهِيْ ، والمُنْكَراتِ، وسَائِرِ المُحَرَّمَاتَ ، أذْهَبُوهَا فِي الحَيَاة الدُنْيَا ، واسْتَمْتَعُوَا بِهَا ، ولَم يُرَاقِبُوَا اللهَ فِيْهَا ، أنْعَمَ عَلَيْهِمْ في الصِحَةِ والفَرَاغِ المَفْرُوْضُ أن تُغْتَنَمَ في طَاعَةِ اللهِ .

وَلَكِنْ يَا لِلاسفِ صُرِفَتْ في السَّهَرِ، وفي الفَسَادِ ، وفي المُجُون

والكَسَلِ والتَّكَسُّعِ ، والخُمُولِ أو التَّطَاوُلِ بالقُوَّة عَلَى الضُعَفَآءِ ، والمساكِيْن ، وإعانَةِ الظَّلَمَةِ والفَاسِقِينَ ، ونَحْوِ ذَلكَ ، مِنَ المَفَاسِدِ والشُرُوْرِ .

وقِسْ عَلَى ذَلِكَ بَاقِي النِّعَمِ مِن السَّمْعِ والبَصَرِ واللِّسَانِ والرِّجِلْ فَلَمْ يَبْقَ نِعْمَة إلا وَقَلَبُوْهَا ، ولا هِبَةٌ مِن اللهِ إلاَّ وَجَحَدُوْهَا فَنَزَلُوا بَعْدَ الرِّفْعَةِ وذَلُّوْا بَعْدَ العِزَّةِ فإنَا لِله وإنا إليهِ رَاجِعُوْن .

اللهُمَّ قَوِّى إيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلاَئِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبُرُسُلِكَ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ وَبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا صِيَانَةَ أَوْقَاتِنَا وَحِفْظَهَا عَنْ المَعَاصِيْ وَوَفِّقْنَا لِشَغْلِهَا بِالبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٥٤ « مَــوْعِظَــةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ كَانَ سَلَفُنَا في مَحَبَّةِ بَعْضِهِم بَعْضاً آيَةٌ مِنْ الآيَاتِ وَكَانَ التَّراحُمُ بَيْنَهُم بَالِغاً مَبْلغاً يَعُدُّهُ أَهْلُ الانْصَافِ غَايَةَ الغَايَاتِ لِذَلِكَ

كَانُوا في مَحَبَّةِ الخَيْرِ لِبَعْضِهِم عَلَى أَرْقَى مَا يُتَصَوَّرُ في الدَّرجَاتِ .

وَهَلْ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُم في أَشَدِّ الجُوْعِ وَيُؤْثِرُ أَخَاهُ بِمَالَهُ مِنْ طَعَامٍ عَامِلِيْنَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَيُؤْثِرُوْنَ عَلى أَنْفُسِهِم وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ وَقَولِهِ ﴿ وَيُطْعِمُوْنَ الطَّعَامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيْناً وَيَتِيْماً وَأَسِيْراً ﴾ وَبِقَوْلِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيْهِ مَا يُحِبُّ

لِنَفْسِهِ .

وَإِنَّ الخَجَلَ لَيَعْلُو وُجُوهَنَا إِذَا نَحْنُ قَارَنَّا بَيْنَ هَؤُلاَءِ وَبَيْنَ أَبْنَاءِ هَذَا الزَّمَانِ ، نَحْنُ فِي حَالَةٍ تَصَوُّرُ حَقِيقَتِهَا فَقَطْ يُثِيْرُ فِي قُلُوبِ المؤمِنِيْنَ الآحْزَانَ .

كَيْفَ وَنَحْنُ إِذَا فَتَّشْنَا ثم فتّشْنَا لا نَجِدُ قَلْبَيْنِ مَعَ بَعْضِهِمَا مَعِيَّةَ الاخَاءِ التَّامِّ يَكُوْنُ الجَارُ فِي نِهَايَةِ الفَقْرِ وَلاَ يَلْتَفِتُ إِليهِ جَارُهُ المُثْرِي وَيَنْزِلُ بالأخِ الشَّقِيْقِ أَوِ العَمِّ الشَّقِيْقِ أو نَحْوِهِمَا مَا يَنْزِلُ مِن الكَوَارِثِ وَلاَ أَثَرَ لِنُزُوْلِهَا عِنْدَ أَخِيْهِ وَلاَ كَأَنَّهُ يَرَى تِلْكَ المَصَائِبَ الفَادِحَة وَلَعَلَّكَ مُنْتَظِرُ الجَوَابَ مَا هُوَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ فَأَلْقِ سَمْعَكَ وَأَحْضِرْ قَلْبَكَ .

فَأَقُولُ لِكُلِّ النَّاسِ اليَوْمَ شُغْلٌ وَاحِدٌ هُوَ المالُ شَغَلَهُم عَمَّا عَدَاهُ وَأَنْسَاهُم كُلَّ مَا سِوَاهُ مَلأَ القُلُوبَ حُبُّ هَذَا المالِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي القُلُوبِ مُتَّسَعٌ لِسِوَاهُ فَمِنْ أَجْلِهِ تُسْتَبَاحُ الاعْرَاضُ وَمِنْ أَجْلِهِ تُرَاقُ الدِّمَاءُ وَمِنْ أَجْلِهِ يَكُونُ الصَّفا والمُعَادَاةُ هُوَ القُطْبُ الذِي تَدُورُ حَوْلَهُ أَفْعَالُ العِبَادِ فِي هَذَا الزَّمَانِ .

فَالقُلُوبُ فِي سُرُوْرٍ مَا دَامَ المالُ سَالماً وإِن انهَارَ بِنَاءُ الشَّرَفِ والدِّيْنِ والنُّفُوْسُ فِي هُدُوءٍ وَطُمَأْنِيْنَةٍ ما ابْتَعِدَ عَن المالِ فَإِذَا قُرِبَ حَوْلَهُ هَاجُوا هَيَجَانَ الجِمَالِ وَهُمْ فِي تَواصُلٍ مَا لَمْ يُتَعَرَّضْ لِلْمَالِ فَإِذَا تُعرِّضَ لَهُ انْقَطَعَت الصِّلاتُ حَتَّى بَيْنَ الأَقْرَبِيْنَ مِنْ آبَاءٍ وَأُمَّهاتٍ وأَوْلاَد وَإِخْوَانٍ .

أَمَا عَلِمَ هَؤُلاَءِ أَنَّ المالَ الذِي كَانَ بِأَيْدِيْنَا كَانَ قَبْلَنَا بِيَدِ اخْوَانِنَا فِي الانْسَانِيَّةِ الذين سَبَقُونَا إلى الدنيا ثم انْتَقَلَ إلى مَنْ بَعْدَهُم ثم انْتَقَلَ مِن

جِيْلٍ إلى جِيْلٍ إلى أنْ وَصَلَ اَلَيْنَا سَعِدَ بِهِ مَنْ صَرَفَهُ في مَرَاضِيْ اللهِ وَشَقِيَ بِهِ مَنْ صَرفَهُ في مَا يُغْضِبُ اللهَ .

وَلَعَلَّكَ يَا أَخِيْ تَتَكَدَّرُ إذَا عَلِمْتَ أَنَّهُ سَيُنْقَلُ عَنْكَ في أَسْرَعِ وَقْتٍ فلا تَفْزَعْ وَلاَ تَتَكَدَّرْ وَوَطِّنْ نَفْسَكَ وَاعْلَمْ انَّكَ وَاللهِ مَيِّتٌ وَمَوْرُوثٌ عَنْكَ مَا جَمَعْتَ وَمَنَعْتَ رَغْمَ أَنْفِكَ يَتَمَتَّعُ بِهِ ذَلِكَ الوَارِثُ العَاقُّ أَوْ البار وَأَنْتَ تُسْأَلُ عَنْهُ هَلَلَةً وَقِرْشاً قِرْشاً .

وَتَكُوْنُ النَّتِيْجَةُ إنْ كُنْتَ جَمُوعاً مَنُوعاً شَقَاءً تَسْتَغِيْثُ مِنْهُ فَلاَ تُغَاثُ وَتَتَمَنَّى لَوْ كَانَت الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا بِيَدِكَ وَافْتَدَيْتَ نَفْسَكَ بِهَا تَكُونُ النَّتِيْجَةُ ذَلِكَ إنْ كُنْتَ مِنْ المَغْرُورِيْنَ الغَافِلِيْنَ الذِيْنَ ظَنُّوا أَنَّ السَّعَادَةَ كُلَّهَا تَيْسِيْرُ جَمْعِ المالِ وَتَكْدِيْسُهُ عِنْدَكَ آلافاً وَمَلاَيينَ وَعَمَائِرَ وَفِلَلٍ وَأَرَاضِيْ وَبُيوتٍ كَدَأْبِ أَهْلِ هَذَا العَصْرِ الغَافِلِ المُظْلِمِ بالمعَاصِيْ وَالبِدَعِ والمنْكَرَاتِ .

الذِيْ اعْتَاضَ أَهْلُهُ عَنْ كِتَابِ اللّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ العُكُوْفَ عَلى الجَرَائِدِ حَمَّالَةِ الكَذِبِ والمَجلاتِ الخَلِيْعَاتِ وَالكُتُبِ الهَدَّامَاتِ والجُلُوسَ حَوْلَ المَلاَهِيْ وَالمُنْكَرَاتِ فَسَوْفَ تَنْدَمُ وَتَتَحَسَّرُ حِيْنَمَا يَنْكَشِفُ عَنْكَ الغَطَا وَيَتَبَيَّنُ لَكَ ذَلِكَ الخَطَأَ وَتَتَمَنَّى أَنَّكَ أَمْضَيْتَ أَوْقَاتَكَ في طَاعَةِ مَوْلاَكَ وَهَيْهَاتَ أَنْ يَحْصُلَ لَكَ مُنَاكَ ذَهَبَ الآوَانُ وَبَقِيَ النَّدَمُ وَالحِرْمَانُ .

لَقَدْ أَنْسَى النَّاسَ حُبُّ هَذَا المالِ مَا لَهُم مِن شَرَفٍ وَمُرُءَةٍ وَدِيْنٍ وَجَعَلَهُم حَوْلَ حُطَامِ الدُّنْيَا كَمَا وَصَفَهُم الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ :

وَمَـا هِـيَ إلاَّ جِـيْـفَـةٌ مُـسْـتَـحِـيْـلَةٌ
عَـلَيْـهَـا كِـلاَبٌ هَـمُّـهُـنَّ اجْـتِـذَابُـهَـا

فَـإنْ تَـجْتَنِبْـهَـا كُنْـتَ سِلْمـاً لأَهْـلِهَـا
وَإنْ تجتذبها نَـازَعَـتْـكَ كِـلاَبُـهَـا

أمَا عَلِمُوا أنَّ المَالَ مِن خَدَمِ الدِّيْنِ فَاذَا تَجَاوَزَ ذَلِكَ كَان نَكْبَةً عَلى أصْحَابِهِ وكذاكَ الأولادُ إنْ كانُوا غَيْرَ صَالِحِيْنَ فَهُمْ ضَرَرٌ عَلى أبِيْهِم وَعَلى أنْفُسِهِم وَكذَلِكَ الزَّوْجَةُ وَلِذلك وَرَدَ عَنْ دَاوُدَ عليهِ السلامُ أنهُ كانَ يَقُولُ « اللهُمَّ إنِّيْ أعُوذُ بكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ وَمِنْ مَالٍ يَكُونُ عَليَّ عَذاباً وَمِنْ وَلدٍ يكُونُ وَبالاً ومِنْ زوجَةٍ تُشِيْبُنِيْ قَبْلَ المشِيْبِ وَمِنْ خَلِيْلٍ مَاكِرٍ عَيْنُهُ تَرْعَانِيْ وَقَلْبُهُ يَشْنَانِيْ إنْ رأى خَيراً أخْفَاهُ وَانْ رَأى شَراً أفْشَاهُ.

وَقِيْلَ إنَّهُ سُئِلَ عِيْسَى عليه السَّلامُ عَن المالِ فقَالَ لا خَيْرَ فيْهِ قِيْلَ وَلِمَ يَا نَبيَّ اللهِ قَالَ لأنَّهُ يُجْمَعُ مِنْ غَيرِ حِلٍّ قيلَ فانْ جُمِعَ مِنْ حِلٍّ قال لا يُؤدَّى حَقُّهُ قِيْلَ فإنْ أدِّيَ حَقهُ قالَ لا يَسْلَمْ صَاحِبُهُ مِن الكِبْرِ وَالخُيَلاَءِ قِيْلَ فانْ سَلِمَ قَالَ يُشْغِلُهُ عن ذِكْرِ اللهِ قِيْلَ فإنْ لم يَشغَلْهُ قالَ يُطِيْلُ عليهِ حِسَابَهُ يَوْمَ القِيَامةِ .

فتأمَّلْ هَذِه العَقَباتِ الخَمْسَ وَقَلِيْلٌ منْ يَتَجاوَزُها سَالِماً

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الأيمانَ هادِماً لِلسيئآت ، كَمَا جَعَلْتَ الكُفْرَ عَادِماً لِلْحَسَنَاتِ وَوَفقنا لـلأَعْمَالِ الصـالِحاتِ ، واجعلنـا مِمَّنْ تَوكَّـلَ عَليكَ فَكَفيْتَهُ ، واسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ وَدَعَاكَ فأجَبْتَهُ ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياءِ منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين

٥٥ مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللهِ اتَّقُوا الله تعالى واحْمَدُوْهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ وارْغَبُوْا إِلَيْهِ في حِرَاسَةِ النِّعَم عن الزَّوَالِ فإنَّ نِعَمَ اللهِ قَدْ عَمَّتِ الْبَوَادِيَ وَالأَمْصَارَ وإِنَّ نِعَمَ اللهِ لَا تُعَدُّ ولا تُحْصَى ولا تُحَدُّ بِمِقْدَارٍ .

قال تعالى ﴿ وإِنْ تَعُدُّوْا نِعمَةَ اللهِ لا تُحْصُوْهَا إِنَّ الإنسانَ لَظَلُومٌ كَفَّار ﴾ فكَمْ أَسْدَى مَعْرُوْفاً وكَمْ أَغَاثَ مَلْهُوْفاً فاشْكُرُوْا آلاءَ اللهِ وَأَذْكُرُوْهُ كَثِيْرَاً قال تعالى ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوب ﴾ .

وهُبُّوْا مِنْ هَذِهِ الرَّقْدَةِ وَالمَقَامِ واحْذَرُوْا الأَهْوَاءَ فإِنَّهَا تُوْرِثُ المَهَالِكَ وَالمَذَامَّ ، والْزَمُوْا طَاعَةَ الْمَلِكِ العَلَّام ، واغْتَنِمُوْا بَقِيَّةَ العُمُرِ وَالأَيَّامِ ، وَبَادِرُوْا بالتَّوْبَةِ مِنَ الْمَعَاصِي والإِجْرَامِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يومٌ تَشَقَّقُ فِيْهِ السَّمَاءُ بالغَمَام وَتَظْهَرُ فِيه الخَفَايَا والدَّوَاهِي والأَهْوالُ الطَّوام ، وتُنَكِّسُ فِيْهِ الظَّلَمَةُ رُؤُوْسَهَا وَيعْلُوهَا الذُّلُ مِن الرُّؤُوْسِ إلى الأَقْدَمِ وَيَتَجلَّى لِفَصْلِ القَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ حَاكِمُ الحُكَّام .

قال تعالى ﴿ وَأَشْرَقَتِ الأَرضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الكِتَابُ وَجِيْءَ بالنَّبِيِّيْنَ والشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بالحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُون وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُون ﴾ ونُودِيَ أَيْنَ الظَّلَمةُ وَأَعْوَانُ الظَّلَمَةِ وَمَنْ كَانَ لَهُمْ على الْمَعَاصِي وُثُوبٌ وَإِقْدَامٌ فَيالَهُ مِنْ يَوْمٍ مَا أَطْوَلَهُ وَمِن بَلَاءٍ مَا أَهْوَلَهُ وَمِنْ حِسَابٍ مَا أَثْقَلَهُ وَمِنْ عَذَابٍ مَا أَعْضَلَهُ وَمِنْ جَزاءٍ مَا أَجْزَلَهُ وَمِنْ حَاكِمٍ مَا أَعْدَلَهْ .

هُنَالِكَ شَابَ الْوَلِيْدُ وَحَقَّ الْوَعِيْدُ وَعَظُمَ الْهَوْلُ الشَّدِيْدُ قَالَ تَعالَى ﴿ وجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيْدٌ ، لَقَدْ كُنْتَ في غَفْلَةٍ مِن هَذا

فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيْدٌ ﴾ وَخَضَعَتِ الرِّقَابُ وَذَلَّ كُلُّ فَاجِرٍ كَذَّابٍ وَرَجَعَ الأَشْقِيَاءُ بالخُسْرَانِ والتَّبَابِ فالسعيدُ مَن اسْتَعْمَلَ نَفْسَهُ فِي طَاعةِ الْمَلِكِ الْمَعْبُوْدِ وَخَافَ أَنْ لَا يَنْجُو مِن النَّارِ بَعْدَ الْوُرُوْدِ .

فانْتَبِهْ أَيُّهَا العَبْدُ لأَيَّامِ شَبَابِكَ قَبْلَ فِرَاقِ أَحْبَابِكَ وَاْحْفَظْ أَيَّامَ عُمُرِكَ قَبْلَ حُلُولِ قَبْرِكَ واغْتَنِمْ حَيَاتَكَ قَبْلَ أَوَانِ وَفَاتِكَ فإنَّ العُمُرَ بالسِّنِيْنَ يُنْهَب والأَجَلَ بِمُرُوْرِ الليالِي والأيّامِ يَذْهَب .

٥٦ (مَوْعِظَةٌ)

عِبَادُ اللهِ أَحْسِنُوا إلى الوَالِدَيْنِ مَا أَمْكَنَ لَكُم الأحْسَانُ ، وَإِنْ حَسِبْتُم أَنَّكُمْ كَافَأْتُمُوْهُمْ فِي ذَلِكَ الحُسْبِان ، وَكُونُوا مَعَهُما فِي غَايَةِ الأَدَبِ والأَحْتِرَامِ ، وَاحْذَرُوْا سُوْءَ الأَدَبِ عِنْدَهُما وَإلاّ هَوَيْتُمْ في هُوَّةِ شَقَاءٍ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ وَكُوْنُوا مَعَهُمَا فِي إجْلَالٍ وَاحْتِرَامٍ ، وَتَقْدِيْرٍ تَامٍّ وإنْ حَصَلَ مِنْهُمَا لَكَ ظُلْمٌ .

لأَنَّهُمَا اللّذَانِ لَوْلَا اللّهُ ثُمَّ لَوْلَاهُمَا لَمْ تَخْرُجْ عَلَى هَذَا الوُجُودِ وَلِأَنَّهُمَا اللذَانِ سَخَّرَهُمَا اللهُ لَكَ فَصَبرا عَلَى مَا رَأَيَا مِنْ الأَهْوَالِ ، وَسَخَّرَهُمَا لِتَرْبِيَتِكَ والعِنايَةِ بِكَ في هَذِهِ الحَيَاةِ . تَذكَّرْ زَمَنَ حَمْلِ أُمِّكَ

بِكَ وأنتَ فِي بَطْنِهَا عِلّةٌ مِنْ أكْبَرِ العِلَل ، وَتَذَكَّرْ وَقْتَ أن كانَتْ تَلِدُكَ وَهْيَ مِمَّا بِهَا لا مِن الأَحْيَاءِ وَلَا مِنْ الأَمْوَاتِ وتذكّر مَا خَرَجَ عَقِبَ وِلَادَتِكَ مِنَ النَّزِيْفِ الدَّمِ الذِيْ هُوَ نَفْسُها .

وَتَذَكَّرْ أَنَّكَ كُنْتَ تَمُصُّ دَمَهَا مُدَّةَ الرَّضَاعِ ، وَسُرُوْرُهَا بِكَ تَقْصُرُ عَنْ شَرْحِهِ العِبَارَاتُ . وَتَذَكَّرْ تَنْظِيْفَهَا لِبَدَنِكَ وَمَلَابِسِكَ مِنْ الأَقْذَارِ ،

وَتَذَكَّرْ فَزَعَهَا عِنْدَمَا يَعْتَرِيْكَ خَوْفٌ أو مَرَضٌ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ ، وَتَذَكَّرْ دِفَاعَهَا عَنْكَ إِذَا اعْتَدَى عَلَيْكَ مُعْتَدِيْ .

وَتَذَكَّرْ حِرْصَهَا الشَّدِيْدَ عَلَى أَنْ تَعِيْشَ لَهَا وَلَوْ حُرِمَتْ لَذَّةَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَتَذَكَّرْ سَهَرَهَا عَلَيْكَ عِنْدَمَا يُؤْلِمُكَ شَيْءٌ مِنْ جَسَدِكَ ، وَتَذَكَّرْ كَدَّ وَالِدِكَ عَلَيْكَ فِي تَحْصِيْلِ مَا بِهِ تَحْيَا بِإِذْنِ اللهِ ، لاَ يَهْدَؤُ عَنْ ذَلِكَ وَالِدُكَ مَدَى اللَّيَالِيْ وَالأَيَّامِ ، وَكُلَّمَا خَشِيَ أَنْ تَجُوْعَ تَقَحَّمَ الشَّدَائِدَ وَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ فِي الدنيا لاَ يَرُدُّهُ إلا أَنْ يَرَاكَ فِي يَسَارٍ .

وَتَذَكَّرْ عِنَايَتَهُ بِكَ فِي تَعْلِيْمِكَ وَتَوْجِيْهِكَ إِلَى مَا فِيهِ صَلاَحُ دِيْنِكَ ودُنْيَاكَ وتَذَكَّرْ حِيَاطَتَهُ ونُصْحَهُ لَكَ ومُقَاسَاتُ الشَّدَائِدَ لِرَاحَتِكَ ، وتذكرْ فَرَحَهُ وَاسْتِبْشَارَهُ بِمَحَبَّتِكَ وَنَجَاحِكَ ، وَتَذَكَّرْ دِفَاعَهُ عَنْكَ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ ، وَتَذَكَّرْ دُعَاءَهُ لَكَ فِي مَظِنَّةِ أَوْقَاتِ الأَجَابَةِ أَنْ يُصْلِحَكَ اللَّهُ وَيوفقكَ .

وَتَذَكَّرْ قَلَقَهُمَا وَالأَدْلاَجَ فِي البَحْثِ عَنْكَ إِذَا تَأَخَّرْتَ عَنْ وَقْتِ المَجِيْءِ ، وَتَأَمَّلْ وَتَذَكَّرْ بَشَاشَتَهُمَا فِيْمَنْ يَعِزُّ عَلَيْكَ لِسُرُوْرِهِمَا بِمَا يَسُرُّكَ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَكَّدَ اللهُ وَشَدَّدَ عَلَيكَ بِالوَصِيَّةِ بِهِمَا .

وَأَخْبَرَ نَبِيُّنَا صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمَا جَنَّتُكَ وَنَارُكَ ، وَقَدَّمَ بِرَّهُمَا عَلَى الجِهَادِ ، وَدَعَا أَنْ يُرْغَمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أو أحدَهُمَا فلم يَدْخُلِ الجَنَّةَ ، وَأَخبرَ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ فَذَكَرَ عُقُوقَهُما بَعْدَ الأَشْرَاكِ باللّهِ .

اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ أَنْفُسِنَا وَالشَّيْطَانِ وَالدُّنْيَا وَالهَوَى وَنَسأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلى الله على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٥٧ مَوْعِظَةٌ

قَالَ اللهُ تَعالَى ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدنيا قَلِيْلٌ والآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيْلا ﴾ وَقال ﴿ ومَا الحَيَاةُ الدنيَا إلا مَتَاعُ الغُرورِ ﴾ عِبَادَ اللهِ يَعِيْشُ ابْنُ آدَمَ مَا قَدَّرَ اللهُ لَهْ أنْ يَعِيْشَ، ويَمْشِيْ الانْسَانُ في هَذِه الأرْضِ وَيَتَقَلَّبُ فِيْهَا ، ويَرَى حُلْوَهَا وَمُرَّهَا وَسُرُوْرَهَا وَأحْزَانَها ، وَيَاخُذُ فيهَا حَظَّهُ مِنْ الشَّقَاءِ وَحَظَّهُ مِنْ السَّعَادَةِ ، بِمْقَدارِ مَا قَدَّرَهُ اللهُ لهُ ومَا قَدَّرَهُ عَليْهِ ، وَلِكْن لِكُلِّ هَذا نِهَايَةٌ ، وَلكُلِّ ذَلكَ غَايَةٌ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلا ﴿ كلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ ﴾ وَقال لِنَبِيهِ صلى اللهُ عليه وسَلم ﴿ وَمَا جَعَلْنا لِبَشرٍ مِنْ قَبْلِكَ الخُلدَ افَئِنْ مِتَّ فهُم الخَالِدونَ ، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ ﴾ وقَال: ﴿ إنَّكَ مَيِّتٌ وَانَّهُم مَيِّتُونَ ﴾ فَسبِيْلُ الموتِ غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ ، وَالخُلُودُ في دَارِ الفَناءِ غَيْرُ مَعْقُولٍ ، أيُّها المسْلِمُ عِشْ مَا شِئْتَ فإنَّكَ مَيِّتٌ ، وَاحْبِبْ مَا شِئْتَ فإنكَ مُفَارِقُهُ .

شعرا :

لعَمـرُكَ مَـا الـدُّنْيَا بِـدَارِ إقَـامَـةٍ
إذَا زَال عَنْ عَيْنِ البَصِيَرِ غِطَاؤُهَـا

وَكَيْفَ بَقَـاءَ النَّـاسِ فِيْهَـا وإنَّمـا
يُنَـالَ بـأسْبَـابِ الفَنَـاءِ بَقَـاؤُهَـا

اخر :

سَـلامٌ عَلَى دَارِ الغُـرُوْرِ فـإنَّـهَـا
مُـنَغَّـصَـةٌ لَـذَاتُهَـا بـالـفَجَـائِـعِ

فــإنْ جَمَعَتْ بَيْنَ المُحِبْينَ سَـاعَـةً
فَعَمَّـا قَلِيْـلٍ أرْدَفَتْ بِـالمـوانِـعِ

فَالَبَقَاءُ في الدُّنْيا مُحَالٌ ، هَذِه الدُّنْيَا جِسْرٌ ، هَذِه الدّنْيَا مَمَرٌ ومَعْبَرٌ وطَرْيقٌ إلىَ الآخِرَةِ ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَخَبَّطُ في هَذِه الطَّرِيْقَ ويَتَعثرُ فيهَا ولا يَهْتَدِي ، ومِنْ النّاسِ مَنْ يُوَفقُهُ اللهُ فَيَسْلُكُها مُسْتَقِيْما لا يَلْوِي عَلى شَيْءٍ إلَّا عَلَى زادِ الآخِرَةِ ، وَأمَلٍ يَهْدِفُ اليْهِ ، في تِلْكَ الدّارِ البَاقِيَةِ ، ذلك الهَدفُ هو رِضَى رَبِّ العِزّةِ وَالجَلالِ ، الذِي فيهِ كُلُّ نَعِيْمٍ ، الذِي فيْهِ الهُدُوءُ وَالاطْمَئْنَانُ ، وَالذِي فيهِ الفَوْزَ والنّجَاةُ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ ، تِلْكَ حال مَنْ اتّعَظَ وَاعْتَبَرَ فَنَفَعْتُه العِبْرَةُ ، ولَمِسَ الْموعِظَةُ مِن دُروسِ الحَياةِ وَأحْدَاثِها فاهْتَدى ، وَزَادَهُ اللهُ هُدى ، تِلْكَ حَالُ مَن اعتبروا ، فَنفعتْهُمُ العِبْرَة ، وجَعَلوا التّقَوى إلى اللهِ أمَامَهُم لَا يَحِيْدونَ عنْهَا ، يَخافُونَ رَبَّهُم وَيَخْشَونَ سُوَء الحِسَابِ . ﴿ ومَنْ يُطِعِ اللهَ وَرسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقهِ فأولَئِكَ هُمْ الفَائِزُونَ ﴾ .

أيُّها المُسْلِمُ لقَدْ خَرجْت مِنْ ظُلمَاتٍ ، وسَتَنْتَهِي إلى ظُلُمـاتٍ خَرجْتَ مِنْ ظُلماتِ الأرْحامِ ، وتنْتَظِرُكَ ظُلُماتُ القُبُورِ، خَرجْتَ مِنْ أحْشَاءِ أُمِّكَ ، واسْتَقْبلكَ أحْشَاءُ أُخْرَى ، أقْوَى وَأعْظَمُ ، قـالَ تَعالى ﴿ منْهَا خَلَقْنَاكُم وفيها نُعِيْدكم ، ومْنها نُخْرِجُكم تَارةً أُخْرَى ﴾ دَفعكَ جَوْفٌ يَحِنُّ عَلَيْكَ ، إلىَ جَوْفِ الأرضِ ، وبَيْنَ الجَوفَيْنِ أمورٌ وأُمُوْرٌ، فَفِي الدُّنْيَا السَّرَّاءُ والضَّرَّاءُ والسَّعَادةُ وَالشّقَاءُ إنكَ تخْرُجُ مِنْ شِدةٍ إلى رَخَاءٍ ، ومِنْ رَخَاءٍ إلى بَلاءٍ ، وتُصَادِفُكَ عَقَبَاتٌ في طَرِيْقِكَ ، بعْدَ عَقَباتٍ ، وَتتغيَّرُ أَحْوالُكَ مِنْ حَالاتِ إلى حالاتٍ ، فمِن ذُلّ إلىَ عِزّ ، ومِنْ عِزّ إلىَ ذُلّ ، ومِنْ غِنىٍ إلى فَقْرٍ ومِنْ فَقْرٍ إلى يُسْرٍ ، ومِن صِحّةٍ إلى مَرضٍ ،

ومِنْ مَرَضٍ إلى عَافِيَةٍ ، ومِن رَاحَةٍ إلى تَعَبٍ ، هَذهِ هِيَ الدُّنْيَا وهَذِه أحْوَالُهَا ، عِزُّهَا لا يَدُومُ ، ورخاؤُهَا لا يَبْقَى ، قالَ اللهُ تعالَى ﴿ قُلْ اللهُمَّ مَالِكَ المُلكِ ، تُؤْتِي الملكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ الملكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ، وتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ، بيدِكَ الخَيْرُ إنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْر ﴾ فحَاسِبْ نَفْسَكَ أيُّهَا المُسْلِمُ ، قَبْلَ أنْ تُحَاسَبَ، وَزِنْ أعْمَالَكَ قَبْلَ أنْ تُوْزَنَ عَلَيْكَ ، ورَاقِبْ مَوْلاَكَ الذِي لا يَخْفَى عَليْهِ شَيْءٌ في الأرْضِ ولا في السَّمَاءِ ، وَتُبْ إليْهِ تَوْبَةٍ نصُوحاً ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَإنِّي لغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ .

اللهم وَفِّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إليه القَوْم وأيْقِظْنَا مِن سِنَةِ الغَفْلَةِ والنَّوم وارزقْنَا الاستعدادَ لِذَلِكَ اليَوْمِ الذي يَرْبَحُ فيه المُتَّقُونَ اللهم وعامِلنَا بإحْسَانِكَ وَجُدْ علينا بِفَضْلِكَ وامْتِنَانِكَ واجعلنا مِن عِبادِكَ الذين لا خَوفٌ عليهم ولا هم يحزنون اللهم ارحَمْ ذُلَّنا بَيْنَ يَدَيْكَ واجعلْ رَغْبَتَنا فِيما لَدَيْكَ ، ولا تَحْرِمنا بِذُنوبنا ، ولا تَطْرُدْنَا بعُيوبِنا ، واغفر لنا وَلِوالدينَا وَلِجميع المُسْلمين الأحياء مِنْهُم والمَيتين بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَم الرَّاحِمِيْن وصلَّى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِينْ .

٥٨ « مَوْعِظَةٌ في الحَثِّ عَلى الأقْبالِ عَلى الآخِرَةِ »

اخْوَانِيْ أيْنَ رُفقَاؤُنَا وَاخْوانُنَـا أيْنَ ذَهَبَ مَعَارِفُنَـا وَجيْرَانُنَـا أيْنَ أصْدِقَاؤنَا أيْنَ زُمَلاؤُنا وَأقْرَانُنَا أيْنَ عُلَمَاؤُنَا العَامِلُوْنَ بِعِلمهم أيْنَ آبَاؤُنَا وَأجْدَادُنَا رَحَلُوا وَقَـلَّ والله بَعْدَهُمْ بَقَـاؤُنا. هَـذِهِ مَسَاكِنهُم فِيْهَـا غَيْرُهُمْ قَـدْ نَسِيْنَاهُم وَنَسِيَهُم مُحِبُهم وَجَفَاهُم . أيْنَ أصْحَابُ القُصُوْرِ الحَصِيْنَةِ ،

وَالانْسَابِ العَالِيَةِ الرَّصِيْنَة وَالعُقُولِ الرَّاجِحَةِ الرَّزَيْنةِ ، قَبَضَتْ عَلَيْهِمْ يَدُ المنَايَا فظَفِرَتْ ، وَنُقِلُوا إلَى أجْداثٍ مَا مُهِّدَتْ إذْ حُفِرَتْ وَرَحِلُوا بذُنُوبِ لا يَدْرُونَ هَلْ غُفِرتْ أو بَقِيَتْ فالصَّحِيْحُ مِنْهُم بالحَزَنِ قد سَقِمْ وَالمَدْعُو إلَى دَارِ البَلَى أسْرَعَ وَلَمْ يُقِمْ والكتابُ قد سُطِّرَ بالذنوبِ فَرُقِمْ. وَلَذِيْذُ عَيْشِهم بالتَّنْغِيْصِ قدْ خُتِمَ وفِرَاقُهم لِأَحْبَابِهم وَأمْوَالِهِمْ قد حُتِمَ وَالولدُ قد ذَلَّ وَيَتِمْ ، فتفكّرُوا في القَوْمِ كَيْفَ رَحَلُوا ، وتَذَكَرُوا دِيَارَهُم أيْنَ نَزَلُوا ، وَاسْأَلُوا مَنَازِلهم عَنْهُم مَاذَا فَعَلُوا فانْتَبِهْ مِنْ رُقَادِكَ قَبْلَ أنْ تَصَلِ مَا وَصِلُوا يَا مَنْ غَفَلَ وَسَهَى وَلَهَى وَنَسِيَ المَقَابِرَ وَالبِلَى.

اللَّهُمَّ لَا تُشْغِلْ قُلُوبَنَا بِمَا تَكَفَّلْتَ لَنَا بِهِ ، وَلَا تَجْعَلْنَا في رِزْقِكَ خَوَلًا لِغَيْرِكَ ، وَلَا تَمْنَعْنَا خَيْرَ مَا عِنْدَكَ بِشَرِّ مَا عِنْدَنَا ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

٥٩ مَوْعِظَةٌ

قَال بَعْضُ العُلُمَاءِ بَعْدَ سِيَاقِهِ لِقَوْلِهِ تعالى﴿إنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوْامَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾: أَيُهَا النَّاسُ لَقَدْ كَانَتْ الأُمَّةُ الأسْلَامِيَّةُ فِيْمَا مَضَى مُتَمَسِّكَةً بِكِتَابِ اللهِ ، عَامِلَةً بِسُنَّةِ نَبِيِّهَا صَلَى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، صَحِيْحَةً في عَقَائِدِهَا ، صَالِحَةً في أعْمَالِهَا حَسَنَةً في مُعَامَلَاتِهَا وَعَادَاتِهَا ، كَرِيْمَةً في أخْلَاقِهَا بَصِيْرَة في دِيْنِهَا رَاقِيَةً في آدَابِهَا وَعُلُوْمِهَا ، فَكَانَتْ عَزِيْزَةَ الجَانِبِ ، قَوِيَّةَ الشَوْكَةِ ، جَلِيْلَةً مَهِيْبَةً ، صَاحِبَةَ السُّلْطَانِ وَالصَّوْلَةِ عَلَى مَنْ عَدَاهَا ، وَاليَوْمَ تَغَيَّرَ أمْرُهَا ، وَتَبَدَّلَ حَالُهَا ، اخْتَلَّتْ عَقَائِدُهَا وَفَسَدَتْ أعْمَالُهَا ، وَسَاءَتْ مُعَامَلَاتُهَا وَعَادَاتُها ، وَتَدَهْوَرَتْ أخْلَاقُهَا ، وَجَهِلَتْ أمْرَ

دِيْنِهَا وَدُنْيَاهَا ، وَتَأَخَّرَتْ عُلُوْمُهَا وَصَنَائِعُهَا فصارَتْ ذَلِيْلَةَ الجَانِبِ ، ضَعِيْفَةَ الشَّوْكَةِ ، سَاقِطَةَ الكَرَامَةِ ، فاقِدةَ الهَيْبَةِ مَغْلُوْبَةً عَلَى أَمْرِهَا ، مُتَأَخِّرَةً في مَرَافِقِ حَيَاتِهَا تَتَخَبَّطُ في ظُلُمَاتِ الجَهْلِ ، وَتَنْقَادُ لِلْخُرَافَاتِ وَالأَوْهَامِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ ، وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ ﴾ وَمَا ذَاكَ إلَّا لأَنَّهَا خَالَفَتْ كِتَابَ رَبِّهَا ، وَانْحَرَفَتْ عَنْ طَرِيْقِ الهَادِيْ نَبِيِّهَا ، وَسَارَتْ وَرَاءَ هَوَاهَا ، .وَفُتِنَتْ بِزَخَارِفِ الحَضَارَةِ المُزَيَّفَةِ ، والمَدَنِيَّةِ الكاذِبَةِ وَظَنَّتْ الإِبَاحِيَّةَ حُرِّيَّةً وَالخَلاعَةَ رُقِيّاً ، فَتَعَدَّتْ حُدُوْدَ الدِّيْنِ وَالعَقْلِ . وَأَغْضَبَتْ خَالِقَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ فَسَاءَتْ حَالُهَا ، وَسُلِّطَ عَلَيْهَا عَدُوُّهَا ، قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ فَلْيَحْذَرِ الذِيْنَ يُخَالِفُوْنَ عن أمرِهِ أن تُصِيْبَهُمْ فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ أيها الناس لقد ذَاقَتْ الأُمَّةُ وَبَالَ أَمْرِهَا ، وَعُوْقِبَتْ بِشَرِّ أَمْآلِهَا ، وَتَجَرَّعَتْ مَرَارَةَ الذُّلِ والهوانِ ، وَالتَّفَرُّق والأنْحِلال ، كُلُّ ذَلِكَ نَتِيْجَةٌ لازِمَةٌ لِعَدَمِ اسْتِقَامَةِ الأُمَّةِ، وَانْحِرَافِهَا عَنْ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ ، ﴿ صِرَاطَ اللهِ الذِي لَهُ مَا فِي السَّموَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ، ألا إِلَى اللهِ تَصِيْرُ الأُمُورُ ﴾ كُلُّ ذَلِكَ نازِلٌ بِنَا وَوَاقِعٌ عَلَيْنَا ، وَنَحْنُ لا نُفِيْقُ مِنْ سَكْرَتِنَا ، وَلاَ نَنْتَبِهُ مِنْ غَفْلَتِنَا ، وَلاَ نَنْزَجِرُ بِالمِحَنِ وَالبَلاَيَا ، وَلاَ نَعْتَبِرُ بِحَوَادِثِ الأَيَّامِ فَلَو كَانَتْ لنا نُفُوسٌ حَيَّةٌ وقُلُوْبٌ يَقِظَةٌ وشُعُورٌ حَيٌ وإِحساسٌ قَوِيٌّ ، لَنَبَّهَتْنَا البَلاَيَا ، وَأَيْقَظَتْنَا المُؤْلِمَاتِ ، أَيُّهَا المسلمُ : الدِّيْنُ عَقِيْدَةٌ صَحِيْحَةٌ ، وَعِبَادَةٌ قَوِيَّةٌ ، وَمُعَامَلاَتٌ حَسَنَةٌ عَادِلَةٌ ، وَأَخْلاَقٌ كَرِيْمَةٌ ، فَانْظُرُوْا وَفَكِّرُوا ، وَفَتِّشُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، هَلْ أَنْتُمْ سَائِرُوْنَ فِي أَعْمَالِكُمْ وَأَحْوَالِكُمْ عَلَى مَنْهَجِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ ، أَمْ أَنْتُمْ مُنْحَرِفُوْنَ عَنْهَا ، فَالْزِمُوْهَا السَّيْرَ عَلَى الطَّرِيْقِ القَوِيْمِ ، وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ للأَسْتِقَامَةِ ، وَأَمَّنَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَوَقَانَا وَإِيَّاكُمْ

شَرُّ الحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ ، وَغَفَرَ لَنَا وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، بِرَحْمَتِهِ إنهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٦٠ مَوْعِظَةٌ

اخْوَانِي إِنَّكُمْ في دَارٍ هِيَ مَحَلُّ العِبَرِ وَالآفَاتِ ، وَأَنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَالطَّرِيْقُ كَثِيْرَةُ المَخَافَاتِ ، فَتَزَوَّدُوا مِنْ دُنْيَاكُمْ قَبْلَ المَمَاتِ ، وَتَدَارَكُوا هَفَوَاتِكُمْ قَبْلَ الفَواتِ ، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ وَرَاقِبُوا اللهَ في الخَلَواتِ ، وَتفكَّـرُوا فِيْمَا أَرَاكُمْ مِنَ الآيَـاتِ ، وَبَادِرُوْا بِـالأعْمَالِ الصَّـالِحَـاتِ ، وَاسْتَكْثِرُوا في أَعْمَارِكُمْ القَصِيْرَةِ مِنْ الحَسَنَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُنَادِيْ بِكُمْ مُنَادِ الشَّتَاتِ ، قَبْلَ أنْ يُفَاجِئكُمْ هَادِمُ اللَّذَاتِ ، قَبْلَ أنْ يَتَصَاعَدَ مِنْكُمْ الأَنِيْنُ وَالزَّفَرَاتُ قَبْلَ أَنْ تَنْقَطِعَ قُلُوبُكُمْ عِنْدَ فِرَاقِكُمْ حَسَرَاتٍ ، قَبْلَ أَنْ يَغْشَاكُمْ مِنْ غَمِّ المَوْتِ الغَمَرَاتُ ، قَبْلَ أَنْ تُزْعَجُـوا مِنْ القُصُوْرِ إلى بُـطُوْنِ الفَلَوَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ما تَشْتَهُونَ مِنْ هَذِهِ الحَيَاةِ قَبْلَ أَنْ تَتَمَنَّوا رُجُوعَكُمْ الى الدُّنْيَا وَهَيْهَاتَ .

شِعْرًا :

بَكَى لِأَنْ ماتَ مَيْتٌ من عَشيْرَتِهِ	وقال وَاحَـرَبَا وصَاحَ يَا هَرَبَا
وباتَ فَوَقَ حَشـاهُ لِلْأَسَى لَهَبٌ	إِذَا أَرَادَ خُبُواً فارَ وَالْتَهَبَـا
ولوهُ رَآى بِصَحِيْحِ العَقْلِ حَيْنَ رَآى	وُكَشَّفَ اللهُ عنـه لِلْهَوى حُجُبَـا
لَمَا رَآى الدَّهْرَ مَيْتاً أَوْ أَحسَّ بِهِ	إلاَّ بَكَى نَفْسُهُ المِسْكِيْنُ وانْتَحَبَـا
ومَنْ رَآى السُّمْرَ في جَنْبَيْهِ شَارِعَةً	أنَّى يَراها بِجَنْب نَاءَ أَوْ قَرُبَا
وَطَلْعَةُ الموتِ إنْ تَطْلَعْ عَلى أَحَـدٍ	أَرَتْهُ في نَفْسِهِ مِنْ هَوْلِهَا عَجَبَا

وقَالَ أَحَدَ العلماء رحِمَهُ اللهُ في موعظة وعظها ألاَّ أن الدنيا بَقَاؤُهَا قَلِيل ، وعَزِيْزهَا ذَلِيْل ، وغَنِّيها فَقِيْر ، شَابُّهَا يَهْرمْ ، وحَيُّها يَموت ، ولا يَغُرُكمُ إقْبالُهَا مَعَ مَعْرِفَتِكمْ بصُرْعَةِ إِدْبَارِها والمَغْرُوْرُ مَن اغْتَّر بها .

أيْنَ سُكَانُهَا الذين بَنَوْا مَرَابعَهَا وشقَّقُوْا أنْهارَهَا وغَرَسُوْا أَشْجَارَهَا وأقَامُوْا فيْها أيَّاماً يَسِيْرَةً وغَرَّتْهُمْ بصُحْبَتِهم وَغَرُّوْا بِنَشَاطِهِمْ فَرَكبُوا المَعَاصِيْ إنَّهُم كانُوا واللهِ بالدُنْيا مَغْبُوْطِين بالمال على كثرة المَنْعِ عَلَيْه مَحْسُوْدِيْنَ على جَمْعِهِ .

ما صَنَعَ التُرابُ بأبْدَانِهِمْ والرَّمْلُ بأجْسَامِهِم والدِّيْدَانُ بأوْصَالِهم ولُحُومِهِم وعِظَامِهِم وإذا مَرَرْتَ فَنَادِهِمْ إنْ كُنْتَ مُنَادِياً وادْعُهُمْ إنْ كُنْتَ لا بُدَّ دَاعِيَا .

ومُرَّ بِعَسْكَرِهم وانظر إلى تقارُبِ مَنَازِلِهِمْ وسَلْ غَنِيَّهُمْ ما بَقى مِن غِنَاه وَسَل فَقِيْرَهُمْ ما بقى مَن فَقْرِه واسْأَلْهُمْ عن الأَلْسُنِ التي كانُوا بهَا يَتَكَلَّمُون وعن الأَعْيُنِ التي كانُوا بها ينظرون وَسَلْهُمْ عن الاعْضَاءِ الرَّقِيْقَةِ .

والوُجُوْهِ الحَسْنَةِ والاجْسَاد النَّاعِمَة ما صَنَعَتْ بها الدِيْدَان .

مَحَتِ الألْوان ، وأكَلَت اللُحْمَان ، وعَفَّرَتِ الوُجُوْهُ ، ومَحَتِ المَحَاسِنَ ، وكَسَرَتِ الفَقَار ، وأبانَتِ الأعضاءَ ، ومَزَّقَتِ الأَشْلاء قَـدْ حِيْلَ بَيْنَهُم وبَيْنَ العَمَل وفارَقُوا الأَحِبَّة .

فَكَمْ مِنْ ناعِمٍ وناعِمَةٍ أصْبَحَتْ وِجُوهُهْم بالِية ، وأجْسَادُهم مِن أعْناقِهِم بائِنَةٌ ، وأوْصالُهُمْ مُتَمَزِّقَةٌ ، وقد سَالَتْ الحَدَقُ عَلى الوَجَنَاتِ ، وامْتَلأتِ الافْوَاهُ صَدِيْدَا ، ودَبَّتْ دَوَابُ الأرض في أجْسَامِهِمْ ، وتَفرقَتْ أعْضَاؤُهُم .

ثُمَّ لَمْ يَلْبَثُوْا إلاَّ يَسِيْرَا حَتَّى عَادَتِ العِظَامُ رَمِيْمَا قَدْ فَارَقُوا الحَدَائِقَ فَصَارُوْا بَعْدَ السَّعَةِ إلى المَضَائِق قد تَزَوجَتْ نِسَاؤُهُمْ وتَرَدَّدَتْ في الطُرُق أبْنَاؤُهُمْ .

فَمِنْهُمْ واللهُ الموسَّعُ لَهُ في قبره الغَضُّ الناعم فيه المُتَنَعِّمُ بِلَذَّاتِهِ ، فَيَا سَاكِنَ

القَبْرِ ما الذي غَرَّكَ في الدُنْيا هَلْ تَظُنُ أَنَّكَ تَبْقَى أو تَبْقَى لَكَ أَيْنَ دَارُكَ الفيحاء ونَهْرُكَ المُطَّرِد وأَيْنَ ثَمَرَتُكَ الحاضِرُ يَنْعُهَا وأَيْنَ رِقَاقُ ثِيَابِكَ وأَيْنَ كِسْوَتُكَ لِصَيْفِكَ وشِتَائِكَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ يا مُغمض الوَالِد والأَخ وغَاسِلَهْ وَحَامِلَهُ يا مُدَلِّيْهِ في قَبْرِهِ ورَاحِل عنه ، لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ نِمْت على خُشُوْنَةِ الثَّرَى ، وبأَيِّ خَدَّيْكَ بَدَأَ البلى ، يا مُجَاوِرَ الهَلْكَي صِرْتَ في مَحَلَّةِ الموت ، لَيْتَ شِعْري ما الذي يَلْقَانِيْ به مَلَكُ الموتِ عند خُروجِ رُوْحِي مِن الدنيا .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ في الحياةِ الدُنيا وَفي الآخِرَةِ اللهم وَأَيِّدْنَا بِنَصْرِكَ وَأَرْزِقْنَا مِن فَضلِكَ وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِكَ يومَ تَبْعَثُ عِبادَكَ ، واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المسلمينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الراحِمينَ وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وسَلَّمَ .

٦١ « موعظــة »

عِبَادَ اللّهِ أُوْصِيْكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللّهِ فالْزَمُوْهَا ، وأُحُثُكُمْ على الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فاغْتَنِمُوْهَا ، إِنَّ الزَّمَانَ يَطْوِي بِكُمْ مَسَافَةَ الأعمارِ لا شَكَّ وأَنْتُمْ رَاحِلُونَ عنْ هَذِهِ الدَّارِ فيا مَعْشَرَ الشُّيُوخِ مَاذَا تَنْتَظِرُوْنَ بَعْدَ المَشِيْبِ وَهَلْ بَعْدَهُ إلا المَوْتُ فإِنَّ المَوْتَ قَرِيْبٌ إِنَّهُ لَيْسَ إِلَى البَقَاءِ مِنْ سَبِيْلٍ فَمَاذَا تَزَوَّدْتُم لِلرَّحِيلِ وَيَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ أَنْفَقْتُم غُرَرَ الأَعْمَارِ عِنْدَ المِذيَاعِ والكُرَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وعَنْ الصّلاةِ ويَا مَعْشَرَ التُّجَارِ لَقَدْ ضَاعَتْ أَعْمَارُكُمْ فِي أَلْوُوكَمْ رَبحَ فُلانٌ وَكَمْ بِيْعَ البَيْتُ الفُلانِيُّ والأَرْضُ الفُلانِيَّةُ وخُذْ هَذِهِ الجَرِيْدَةَ وأَعْطِنِي الأُخْرَى أَلَا صَرَفْتُمْ بَعْضَ الوَقْتِ إِلَى المُسَابَقَةِ إِلى غُرَفِ الجَنَّةِ وأَرَاضِيْهَا وأَنْفَقْتُمْ بَعْضَ مَا وَهَبَكُمْ اللّهُ مِنَ المَكَاسِبِ إِلى مَا يُرْضِي اللّهَ مِنْ تَفَقُّدِ الفُقَرَاءِ الَّذِيْنَ لَيْسَ لَهُمْ مَوَارِدُ لا قَلِيْلَةٌ وَلَا كَثِيْرَةٌ مِمَّنْ

يَسْتَعِيْنُونَ بِها عَلَى طَاعَةِ اللّهِ ومِن مَسَاجِدَ تَحْتَاجُ إِلى تَرْمِيْمٍ أو فُرُشٍ وإِلَى إِنْشَاءِ مَسَاجِدَ عِنْدَ مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ مِنْهَا أَوْ إِلى طِبَاعَةِ مَصَاحِفَ طِبَاعَةً جَيِّدةً فتُوزِعُوْهَا عَلَى التالِينَ لِلْقُرْآنِ آنَاءَ اللّيْلِ والنّهارِ أَوْ طَبْعِ كُتُبٍ دِيْنِيَّةٍ فِيها تَقْوِيَةٍ لِلشَّرِيْعَةِ ونَشْرِ لِمَحاسِنِ الإسلامِ كَكُتُبِ شَيْخِ الإِسْلامِ بنِ تَيْمِيَّةَ وتِلْمِيْذِهِ بْنِ القِيَم وابنِ رَجَب وابنِ مُفْلِحٍ وابنِ كَثِيْرٍ والمُوفق والمَجْدِ والشَّيخِ المُجدّدِ الشَّيخِ مُحَمَّد بنِ عبْدِ الوهاب ونَحْوِهِمْ مِنَ العُلَمَاءِ العَامِلِينَ بعِلْمِهِمْ المُصْلِحينَ المُخْلِصِيْنَ الّذينَ لا تَأْخُذُهُم في اللّهِ لَومةَ لائـم نَسأَلُ اللّهَ أنْ يُيَسِّرَ لنا في هَذا الزّمان أمثالَهم لنَصْرِ دينه إِنَّهُ القَادِرُ على ذَلِك .

شعرا :

الـمَـــالُ يَــذْهَـبُ حِــلُّهُ وَحَــرَامَــهُ
طُــرّاً وتَـبْـقَــى فـي غَــدٍ آثَــامَـهُ
لَــيْسَ الـتَّــقِـيُّ بِــمُــتَّــقٍ لإِلاهِــهِ
حَـتَّى يَــطِـيبُ شَــرَابُــهُ وطَعَــامُــهُ
وَيَــطِـيبُ مَـا يَحْــوِي ويَكْسِبُ كَفُّهُ
ويَكُــوْنُ فِي حُسْنِ الحَدِيْثِ كَـلاَمُـهُ
نَــطَقَ الـنَّبِـيُّ لَنَــا بِــهِ عَــنْ رَبِّــهِ
فَـعَلى الـنَّبِـيِّ صَــلاَتُــهُ وَسَــلاَمُــهُ

اللّهُمّ طهِّرْ قُلوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وعَمَلَنَا مِنَ الرِّياء وطَهِّر مَكْسَبَنا مِنَ الرِّبَا وأَلسُنَنَا مِنَ الكَذِب وَوَفّقْنا لِمَصالِحِنَا واعصِمْنا عن ذُنوبنا وقبائحنا ولا تؤ اخذنا بِما انطَوَتْ عَلَيْهِ ضمائِرُنا وأكنته سرائرنا مِن أنواعِ القبائح والمعائب واغفر لنا

وَلِوَالِدَيْنَا ولِجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلى اللهُ عَلى مُحمدٍ وعَلى آلهِ وَصَحْبِه أجْمَعِيْنَ .

٦٢ خطبة في (شؤم المعاصي وخطرها)

الحمد لله كتب العزة والكرامة لمن أطاعه . وقضى بالذل والهوان على من عصاه نحمده سبحانه ونشكره لا رب لنا سواه ولا نعبد إلا إياه . ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، العالم بما في الكون من حوادث وخطوب وبما ألم بالمسلمين من شدائد وكروب ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وبارك عليه وعلى آله وصحبه وكل من سار على نهجه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد فيقول الله سبحانه وتعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) عباد الله اتقوا الله واحذروا وخافوا ما أنذرتكم منه . هذه الآية اذ هي نص صريح بأن الله لا يؤاخذ قوماً الا بما كسبت أيديهم فلا يغير تعالى ما بهم من نعمة بنقمة أو عافية ببلاء أو أمن بخوف أو سرور بحزن أو غنى بفقر حتى يغيروا ما بأنفسهم فيقابل الشكر بالكفران والطاعة بالعصيان تلكم سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً .أيها المسلمون يظهر لنا جلياً مصداق الآية الكريمة وشاهدها من التأمل في ماضي المسلمين الوضاء وحاضرهم المظلم وما طرأ عليه من تحول فظيع لما أن غيروا وتهاونوا بحرمات الله ففي

الماضي إبان أن كانت الأمة الاسلامية صادقة في دعوتها ، متمسكة بكتاب ربها عاملة بسنة نبيها صحيحة العقائد كريمة الأخلاق حسنة المعاملة بصيرة في دينها ودنياها كانت مهابة ، قوية الشوكة ، عظيمة الجانب ، صاحبة السلطة ، تغزو القلوب قبل الأجسام يقول سبحانه : (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب)ويقول ﷺ نصرت بالرعب مسيرة شهر . وبعد أن وهن المسلمون وضعفوا وفتنوا أو معظمهم ، بزخارف الدنيا وساروا وراء أطماعهم الخاصة واتبعوا شهواتهم وأهواءهم وغاروا لأنفسهم ولم يغاروا لحرمات الله والتمسوا الأعذار للمخلوقين ونسوا أو تناسوا مسؤولية رب العالمين . بعد أن وجد فيهم ذلكم سافراً أعذر الله فيهم فسلط عليهم ذلاً لا ينزعه حتى يرجعوا الى دينهم وتداعت عليهم الأمم من كل حدب وصوب حتى أصبحوا خائفين بعد أن كانوا مخوفين ، ومغزيين بعد أن كانوا غازين ، وهائبين بعد أن كانوا مهيبين فلا حول ولا قوة إلا بالله . روى الامام أحمد عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها قلنا يارسول الله أمن قلة بنا يومئذ قال أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل تنزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن قالوا وماالوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت . وماذلكم يا عباد الله إلا شؤم المعاصي وثمرات الذنوب التي أفقدتنا أعظم عدة وأنكى سلاح وهو

غزو القلوب (إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون) فهم ذلكم عقلاء الاسلام فحذروه كل الحذر . روى الامام أحمد رحمه الله عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال لما فتحت قبرص وفرق بين أهلها فبكى بعضهم الى بعض فرأيت أبا الدرداء جالساً يبكي فقلت ياأبا الدرداء مايبكيك في يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله فقال ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله إذا أضاعوا أمره بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا الى ما ترى .

عباد الله . حذار أن تستهينوا بمحارم الله ومعاصيه فان لها حامياً غيوراً يراقب السر والجهر ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . فحذار من معاصيه فانكم بارتكابها تؤججون نار إحراقكم وتحفرون الهوى السحيقة لأنفسكم فقد أخبر القرآن الكريم عن مصير العصاة وما لاقوه من نتائج وخيمة في العاجل والآجل فما الذي يا عباد الله أخرج الأبوين من الجنة دار اللذة والنعيم الى دار الأحزان والآلام إلا شؤم أكلة واحدة نهيا عنها وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وصيره طريداً مصدراً لكل شقاء إلا تكبره وامتناعه من الاتيان بسجدة واحدة وما الذي أغرق أهل الأرض حتى علا الماء رؤوس الجبال وسلط الريح العقيم على قوم عاد وأرسل على قوم ثمود الصيحة حتي قطعت قلوبهم في أجوافهم وما الذي رفع قوم لوط حتى سمع أهل السماء صوت كلابهم ثم قلبها عليهم وما الذي خسف الارض بقارون وأغرق فرعون وهامان وجنودهما ماالذي أطاح بعروش

كثيرة أضحى أهلها بعد العز ألعوبة في يد الطغاة إلا شؤم ذنوبهم وما ذكر الله أولئكم في كتابه الكريم إلا ليخوفنا وينذرنا ويحذرنا مما حل بهم . فحذار عباد الله من معاصي الله فانها شهوة قصيرة عاجلة تعقبها حسرة دائمة ونار حامية . حذار فقد وضح السبيل ولن ينفع عند الله ملفق الأعذار ولا التأويل . نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وجعلنا من أهله . أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

٦٣ خُطبة في (فضل الشهادة بالحق)

وضَرَر كِتمهَا ـ وخطر شهادة الزور

الحمد لله الخبير فلا تخفى عليه خافية يعلم ما توسوس به نفس المرء وما ينطق به سراً او علانية . أحمده سبحانه امرنا بحفظ السنتنا عن قول الزور والفحشاء وأسأله التوفيق لقول الحق في السراء والضراء واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله بشر الصادقين بجنات تجري من تحتها الانهار . وآذن الكاذبين بسوء العاقبة والنار والدمار . صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه اهل الصدق في الاقوال والافعال والبعد عن الزيغ والضلال وسلم تسليما كثيراً

اما بعد فيا ايها المسلمون اتقوا الله واسمعوا قوله سبحانه بآذان

مصغية وقلوب واعية تنشد الحق لتتبعه يقول جل من قائل (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما) عباد الله هاهو جل وعلا امركم بالقسط الذي هو العدل وبأن تكون شهادتكم بحق لشخص او عليه مراداً بها وجه الله سبحانه . أمركم بالاتيان بالشهادة على وجهها من غير التواء او تأويل (ومن يطع الله فقد وقع أجره على الله) فتحروا رحمكم الله في شهاداتكم واقوالكم الحق الذي لاغبار عليه فبشهادة الحق اثبات الحقوق وتوطيد دعائم الأمن واياكم وتحكيم عاطفة القرابة في الشهادة . اياكم والميل الى غني لغناه او فقير رحمة به فالله أولى بعباده منكم فقد تظنون أن الشهادة بالحق عليهم نقمة وهي في باطن الأمر نعمة .

عباد الله ان الشهادة بالحق لا يؤديها الا نفوس علوية متنزهة عن ان تريد بها الدنيا وحطامها الفاني نفوس متطلعة الى الفردوس الى الرحيق المختوم الذي ختامه مسك فاستسيغوا رحمكم الله في ادائها كل مرارة واستسهلوا كل صعب سواء كان سيراً الى المحاكم أو انتظاراً أو كان في ذلك اغضاب لأحد في تأخركم عن أداء شهادة بحق تعلمونه إثم كبير والله يقول (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه) وان القلب يا عباد الله مصدر الفساد والصلاح فاذا أثم القلب فماذا يبقى بعد ذلك فلا تكتموها ففي كتمانها شر على بني الانسانية التي أمرتم بجلب الخير لهم ودفع الشر عنهم

عباد الله اذا كان كتم الشهادة فيه ضرر على البشرية واختلال لنظامها فهناك ما هو اشد منه اثما واكبر خطراً وما ادراكم ماهو ،هو الجريمة العظمى والطامة الكبرى شهادة الزور التي كادت تعدل الاشراك بالله شهادة الزور التي تهددنا في أموالنا ودمائنا وأمننا تلكم التي أخربت بيوتاً عامرة وأزهقت أرواحاً بريئة وأهدرت حقوقاً واضحة فافشت في أمة الا وسادت فيها الفوضى وتحكمت فيها الأهواء لذا وغيره من أضراره الخطرة حذرنا الرسول ﷺ منها بقوله ألا انبئكم بأكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس يقول الراوي كان كان متكئاً فجلس ثم قال وشهادة الزور وقول الزور وما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت . فحذار معشر المسلمين من شهادة الزور وقوله فان فيها اساءة على قضاة المسلمين بتلبيس الحق عليهم فيها إساءة الى المشهود له بمساعدته على الاثم والعدوان . فيها إساءة إلى من حرمه حقه بشهادته وخذله في حين حاجته إلى نصرته فليتق الله شاهد الزور وقائل الزور وليتب الى الله قبل ان يوقف بين يدي احكم الحاكمين واعدل العادلين الذي سيقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء . ليتب الى الله قبل ان يساق الى جهنم مع المجرمين فوالله لو علم ما اعد الله له من الخزي العاجل والعذاب الاليم في الآخرة لتمنى ان لسانه قطع قبل ان ينطق بشهادة زور او كلمة زور فاتقوا الله ايها المسلمون (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولاً). نفعني الله واياكم بهدي كتابه اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم

ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه انه هوالغفورالرحيم

خُطبة في (اكلُ الأَموالِ بالباطلِ ـ وَخَطَرُ الرُّشوة)

الحمد لله الهادي الى سبيل الرشاد . احمده تعالى واعوذ به من مفاتن الدنيا ونزعات الفساد . واشكره واسأله التوفيق المتواصل والسداد . واشهد ان لا إله الا الله وحده لاشريك له. امرنا بالاكل من طيبات الاموال . ونهانا عن كل ما فيه خطر على كياننا من الاعمال . واشهد انسيدناونبينا محمداً عبدهورسولهصلى اللهوباركعليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً

اما بعد فياعباد الله الي بالآذان المفتحة والقلوب الواعية الي لنتعقل ونتفهم الوحي السماوي الذي جاء بما يكفل سعادة الفرد والمجموع جاء بما ان تمسكنا به لن نضل ابداً .جاء بمايقوي الروابط ويحفظ الصلات يقول سبحانه (ولا تأكلواأموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون) عباد الله نهاكم الله في هذه الآية الكريمة عن أن تأكلوا أموالكم أو أن يأكل بعضكم مال بعض بالباطل . وأكله بالباطل أكله من غير الوجه الذي أباحه الاسلام فكلما أنفقه الانسان في حرام أو فيما لا فائدة فيهفهو أكل له بالباطل وما أخذ من انسان بغير وجه شرعي كالزيادة الربوية وأثمان الجزء المغشوش من الأعيان وما كسب بالقمار وما يدفع

للكاهن ومهر البغي والرشوة وما الى ذلك من غلول وشبهه فكل من وصل إليه مال من هذه الطرق يعد آكلا لمال غيره بالباطل وكل من أنفق فيما لا فائدة فيه يعد منفقاً في باطل والباطل هو الزائل الذاهب الذي عاقبته الويل والخسران وما احرى واحق - ياعباد الله - أهل هذه الجرائم الذين أعرضوا عن هذه التعاليم السماوية الكريمة (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) ما أحقهم بالعذاب الاليم وتصلية الجحيم.

عباد الله إن من أكبر الكبائر أكل الأموال بالباطل وأخبثها أخذ الرشوة أو اعطاءها فذلكم الداء الخطر داء السرطان الذي ماخالط جسما الا وقضى عليه مالم يستأصل فما خالطت الرشوة عملا الا أفسدته ولا نظاماً الا قلبته ولا قلباً أو طريقا منيراً الا أظلمته فما فشت في امة الا وأطاحت بسلطانها ما وجدت في امة الا وحل الغش فيها محل الاخلاص والخيانة محل الامانة ولاغرو فكم لله من ألسنة ناطقة أخرستها وضمائر وأدتها، لذا وغيره من اضرارها السيئة وعواقبها الوخيمة لم يقف النظم القرآني بادخالها في الباطل فقط بل قال بعد ذلك مؤكداً لتحريمها ومحذراً من سوء عاقبتها (وتدلوا بها الى الحكام) أي ولا تدلوا بالأموال الى الحكام. والادلاء المنهي عنه له معنيان احدهما ان الله سبحانه ينهاك ايها المسلم ان تدلي بحجتك الى الحاكم ليحلل لك ماأكلته بالباطل. والحاكم انما يحكم بالظاهر فحكمه لايحرم حلالا في باطن الأمر ولا يحل حراماً يقول رسول الله ﷺ انكم تختصمون الي

فلعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما اسمع فمن قطعت له من حق اخيه شيئاً فانما اقطع له قطعة من نار فليأخذها او ليدعها . المعنى الثاني للادلاء ان الله سبحانه ينها كم ان تعطوا الحاكم شيئاً من المال ملتمسين بذلكم استمالته في الحكم كي تتوصلوا الى أكل طائفة من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون ما أنتم عليه من باطل وظلم تعلمون أنكم بذلك أسأتم إلى أنفسكم وعرضتموها للعنة الله وغضبه وعقابه يقول رسول الله ﷺ لعن الله الراشي والمرتشي والرائش . وروى الطبراني عن ابن مسعود موقوفا قال الرشاء في الحكم كفر وفيما بين الناس سحت

عباد الله ليست الرشوة المتوعد أهلها بالطرد والابعاد من رحمة الله مقصورة على دفع مال إلى حاكم وشبهه بل كل نفع تقدمه إلى حاكم أو رئيس مصلحة أو مأمور ثغر تقصد بذلك استمالته واستغلال منصبه في باطل فهو رشوة جاء الحديث النبوي مثبتاً إن هدايا العمال غلول استعمل رسول الله ﷺ رجلا على الصدقة يقال له ابن اللتبية فلما قدم على رسول الله ﷺ قال هذا لكم وهذا أهدي الي فغضب رسول الله ﷺ من ذلك وصعد المنبر فقال ما بال احدكم نستعمله فيقول هذا لكم وهذا أهدي إلي هلا قعد احدكم في بيت امه فينظر ماذا يهدى إليه فاتقوا الله عباد الله وتعاونوا على تطهير نفوسكم ومجتمعكم من داء الرشوة فانه مهدر للحقوق معطل للمصالح فحذار منه فان فشوه في أمة مؤذن بهلاكها كيف لا وهي مساعدة على الاثم والعدوان تقدم الجهلاء

وتؤخر الاكفاء ترفع الخامل وتضع المجد العامل فحذار من الرشى ياعباد الله فإنها فخ المروءة وقبر الامانة والشرف لايقدم عليها الاخائن وضيع دنيء النفس سافل المروءة مساوم في دينه وكرامته . بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم لما فيه من الآيات والذكر الحكيم اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم

٦٤ موعظة

أَيُّهَا الإِخْوَانُ لَقَدْ ذَهَبَ أَكْثَرُ عَامِكُمْ وَفَاتَ ، وَتَقَضَّتْ أَيَّامُهُ ولَيَالِيهِ وَأَنْتُمْ مُنْهَمِكُونَ في اللَّذَّاتِ ، فَمَا أَسْرَعَ مَا تَصَرَّمَتْ مِنْهُ الأوقَاتُ، وَمَا أَكْثَرَ مَا خَطَبَكُمْ لِسَانُ حَالِهِ بِزَوَاجِرِ العِظَاتِ، وما أَطْوَلَ مَا نَادَى بِكُم مُنَادِي الشَّتَاتِ .

أَبَني أَبِيْنَا نَحْنُ أَهْلُ مَنَازِلٍ
أَبَداً غُرَابُ البَيْنِ فِيْهَا يَنْعِقُ

فَطُوبَى لِمَنْ تَدَارَكَ الهَفَوَاتِ ، وَبُشْرَى لِمَنْ لاَزَمَ تَقْوَى اللهِ ، وَعَمِلَ بِالبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ، وَهَنِيْئاً لِمَنْ أَذْهَبَ السَّيِّئَاتِ بالحَسَنَاتِ ، وَيَا خَيْبَةَ مَنْ شَغَلَتْهُ المَلاَهِيْ والمُنْكَرَاتِ ، عنْ طَاعَةِ رَفِيعِ الدَّرَجَاتِ، وَمَا أَعْظَمَ خَسَارَةَ من بَاعَ نَفِيْسَ آخِرَتِهِ بِخَسِيْسِ دُنْيَاهُ ، وَحَسْرَةً لَهُ يَوْمَ ﴿ تَقُولُ نَفْسٌ يا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ ﴾ وَتَعْسا وَجَدْعاً لَهُ ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ :

عِبَادَ اللَّهِ قَدْ سَبَقَ ذِكْرُ المَوْتِ وأَحْوَالِ المَيِّتِ في سَكَرَاتِهِ وَفِتْنَةِ القَبْرِ وسُؤَالِ مُنْكَرٍ ونَكِيرٍ وعَذَابِ القَبْرِ ونَعِيْمِهِ وَخَطَرِ مَنْ كَانَ مَسْخُوْطاً عَلَيْهِ وأَعْظَمُ

مِن ذلِكَ الأَخْطَارُ الّتِيْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ نَفْخِ الصُّوْرِ والبَعْثِ والنُّشُوْرِ والعَرْضِ عَلَى الجَبَّارِ وَالسُّؤالِ عن الدَّقِيْقِ وَالجَلِيْلِ ونَصْبِ المِيْزَانِ لِمَعْرِفَةِ المَقَادِيرِ .

ثُمَّ جَوَازُ الصِّرَاطِ مَعَ دِقَّتِهِ وَحَدَّتِهِ ثُمَّ انْتِظَارُ النِّدَاءِ عِنْدَ فَصْلِ القَضَاءِ إمَّا بالإسْعَادِ وإمَّا بالإشْقاء فَهذِهِ أحْوَالٌ وأهْوَالٌ لا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهَا ثُمَّ الإيْمَانُ بِهَا عَلى سَبِيْلِ الجَزْمِ والتَّصْدِيْقِ ثُمَّ تَطْوِيلُ الفِكْرِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ الّذي مِقْدَارُهُ خَمْسُونَ ألفَ سَنَةٍ .

كَمَا جَاءَ في الكِتَابِ والسُّنَّةِ يَجْمَعُ اللّهُ فِيهِ الأوَّلِيْن والآخِرِيْنَ في صَعِيْدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمْ الدَّاعِيْ وَيَنْفُذُهُمْ البَصَرُ لا يَغِيْبُ مِنْهُمْ أحَدٌ وتَدْنُوْ مِنْهُم الشَّمْسُ ويُلْجِمُهُمُ العَرَقُ هَذا اليَوْمُ هُوَ اليَوْمُ الّذي تَذْهَلُ فِيهِ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَنْ مَا أرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ولَكِنَّ عَذَابَ اللّهِ شَدِيد » .

فِي ذَلِكَ اليَوْمِ يَبْلُغُ الأَمْرُ مِن الحَيْرَةِ والدَّهْشَةِ والاضْطِرَابِ والذُّهُولُ أنْ تَذْهَلَ المُرْضِعَةُ عن وَلَدِهَا الّذي فَمُهُ في ثَدْيِهَا وَهُوَ أعزُّ شَيْءٍ لَدَيْهَا فَكَيْفَ بالذُّهُوْلِ عَمَّا سِوَاهُ وتَسْقِطُ الحَوامِلُ مِنَ الفَزَعِ وَالرُّعْبِ والرَّوْعِ مَا فِي بُطُونِهَا مِن الأَجِنَّةِ قَبْلَ التَّمَامِ وتَرَى النَّاسَ كَأَنَّهُمْ سُكَارَى مِن شِدّةِ الرَّوْعِ والفَزَعِ والخَوْفِ الّذِي صَيَّرَ مَنْ رَآهُمْ يُشَبِّهُهُمْ بالسُّكَارَى لِذَهَابِ عُقُوْلِهِمْ مِن شِدَّةِ الخَوْفِ كَمَا يَذْهَبُ عَقْلُ السَّكْرانِ مِن الشَّرَابِ « يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ تَكُونُ الأرْضُ كالسَّفِيْنَةِ في البَحْرِ عِنْدَ اضْطِـراب الأمْوَاجِ تكَفأُ بأهْلِهَا .

فَيمِيْدُ النَّاسُ عَلَى ظَهْرِهَا ويَتَسَاقَطُونَ مِنْ شِدَّةِ الأَمْرِ وبُلُوغِهِ أقْصَى الغَايَاتِ وَلِهَذا أذْهَلَ العُقُولَ وأذْهَبَ التّمْيِيز والفِكْرَ والصَّحْوَ إنَّهُ يَوْمُ القِيَامَةِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا وأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَها﴾ .

إنَّهَا لَهَزَّةٌ عَنِيْفَةٌ لِلْقُلُوبِ الغَافِلَةِ حَيْثُ تَرْجُفُ الأَرْضَ الثَّابِتَةُ ارْتِجَافاً وتَزَلْزَلُ زِلْزَالاً وَتَنْفُضُ ما فِي جَوْفِهَا نَفْضاً وَتُخْرِجُ مَا يُثْقِلُهَا مِن أَجْسَادٍ وَنُقُوْدٍ وَغَيْرِهَا مِمَّا حَمَلَتْهُ طَوِيْلاً وَهُوَ مَشْهَدٌ يَهُزُّ كُلَّ شَيْءٍ ثَابِتٍ والأَرْضُ تَهْتَزُّوالسَّمَاءِ تَمُوْرُ .

إِنَّهُ لَمَشْهَدٌ مُجَرَّدُ تَصَوُّرِهِ ، يَخْلَعُ القُلُوْبَ يَرَى الإِنْسَانُ مَا لاَ يَعْهَدُ وَيُوَاجِهُ مَا لاَ يُدْرِكُ وَيَشْهَدُ مَا لاَ يَمْلِكُ الصَّبْرَ أَمَامَهُ وَلاَ السُّكُوتَ عَنْهُ ﴿وَقَالَ الإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ ما الَّذِي يُزَلْزِلُهَا هَكَذا وَيَرُجُّهَا رَجّاً .

وكَأَنَّهُ مِنْ شِدَّةِ مَا نَزَلَ يَتَمَايَلُ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ وَيَتَشَبَّثُ وَيُحَاوِلُ أَنْ يُمْسِكَ بِشَيْءٍ لَعَلَّهُ يَثْبُتُ لأَنَّ كُلَّ مَا حَوْلَهُ يَمُوْرُ مَوْراً شَدِيْداً قَدْ إمْتَلأَ مِنَ الرُّعْبِ والفَزَعِ وَالدَّهْشَةِ والعَجَبِ .

يَرَى الجِبَالَ وَهِيَ تَسِيْرُ وإِذَا الجِبَالُ سُيِّرَتْ ، هَذِهِ الجِبَالُ وَقَدْ نُسِفَتْ وبُسَّتْ وَرَاءهَا ذَرَّاتٍ في الهَوَاءِ ﴿وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسّاً فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عنْ الجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفا ، وسُيِّرَتِ الجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا » .

هٰذِهِ تُصَرِّحُ وَتُشِيْرُ إلى حَدَثٍ عَظِيمٍ تَتَزَلْزَلُ مِنْهُ الجِبَالُ وَتَذْهَبُ هَبَاءً يَتَلاَشى ثَبَاتُهَا وَرُسُوخُها واسْتِقْرَارُهَا وَتَمَاسُكُهَا والإِنْسَانُ يَنْظُرُ وَلاَ يَكَادُ يَلْتَقِطُ أَنْفَاسَهُ ﴿إِذِ القُلُوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ كاظِمِيْن﴾ .

هُنَا يُشَاهِدُ وَيُواجِهُ الحَشْرَ والحِسَابَ والوَزْنَ والجَزَاءَ وَيقِفُ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ والملائِكَةُ صَفّاً بَيْنَ يَدَيْ الرَّحْمَنِ ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوْحُ والملائِكَةُ صَفّاً لا يَتَكَلَّمُونَ إلاّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحمن وقال صواباً﴾ « ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوْعٌ لَه

النَاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ يَوْمَ يأتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلاّ بإذْنِهِ » ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ والملكُ صَفّاً صَفّاً﴾ .

وَمَوْقِفُ هَؤُلاءِ المُقَرَّبِيْنَ صامِتِيْنَ خَاشِعِيْنَ خَاضِعِيْنَ لِعَظَمَةِ اللّهِ ﴿وَخَشَعَتِ الأصْوَاتِ للرّحمَنِ فلاَ تَسْمَعُ إلاّ هَمْسَا﴾ وَعَنَتِ الوُجُوْهُ لِلْحَي القَيُّوْمُ وَقَدْ خَابَ مَن حَمَلَ ظُلْمَا » .

مَوْقِفُهُمْ هَكَذا صَامِتِيْنَ لاَ يَتكَلَّمُوْنَ إلاّ بِإذْنٍ مِن الرّحْمَنِ يُلْقِي فِي النَّفْسِ الرَّهْبَةَ والرُّعْبَ والفَزَعِ مِن ذَلِكَ اليَوْمِ العَظِيْمِ الّذي يَنْكَشِفُ فِيْهِ كُلُّ مَسْتُوْرٍ وَيُعْلِمُ فِيْهِ كُلُّ مَجْهُوْلٍ .

وَتَقِفُ فِيْهِ النَّفْسُ أمامَ مَا أحْضَرَتْ مِن الرَّصِيْدِ والزَّادِ فِي مَوْقِفِ الفَصْلِ والحِسَابِ ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوْ كُلُّ نَفْسٍ مَا اسْلَفَتْ﴾ « يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوْءٍ تَوَدُّ لو أنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أمداً بَعِيْداً » يَوْمَ يَنْظُرُ المرءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِيْهِم اللّهُ دِيْنَهُمُ الحَقَّ﴾ .

فِي ذَلِكَ اليَوْمِ يَكُونُ التَغَيُّرُ العَظِيْمُ الشَّامِلُ لِلْمَعْهُوْدَاتِ السّمواتِ والأرْضِ الشَّمْسُ مُكَوَّرَةٌ وَالنُّجُوْمُ مُنْكَدِرَةٌ والسَّمَاءُ مُنْشَقَّةٌ والوُحُوشُ النَّافِرَةُ مَحْشُوْرَةٌ والأنْعَامُ والطُّيُورُ والعِشَارُ مُعَطَّلَةٌ ﴿فإذَا بَرِقَ البَصَرُ وَخَسَفَ القَمَر وجُمِعَ الشَّمْسُ والقَمَرُ يَقُولُ الإنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أيْنَ المَفَر﴾ ﴿إذا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وإذَا الكَواكِبُ انْتَثَرَتْ وإذا البِحَارُ فُجِّرَتْ﴾﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالغَمَامِ ونُزِّلَ المَلاَئِكَةُ تَنْزِيلا﴾ ﴿ فإذا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كالدِّهَانِ ﴾ .

هَذِهِ الآيَاتُ وأمْثَالُهَا تُشِيْرُ إلَى ذَلِكَ الحَادِثِ الهَائِلِ فِي الكَوْنِ كُلِّهِ وَلاَ يَعْلَمُ حَقِيْقَتَهُ إلاّ اللّهُ إنّهُ حَادِثٌ عَظِيْمٌ تَرْجُفُ الأرْضُ مِنْهُ وَتَخَافُ وَتَنْهَارُ فَكَيْفَ

بالخَلْقِ الضِّعَافِ المَهَازِيْلِ الّذِينَ تَهُزُّهُمْ الصَّوَاعِقُ هَزّاً وتَخْلَعُ قُلُوبَهُمْ خَلْعا ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُوْنَ إنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلِ الوِلْدَانَ شِيْبًا السّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ والجِبَالُ وَكَانَتِ الجِبَالُ كَثِيْباً مَهِيْلاَ﴾ .

وفي وَسَطِ هَذَا الرُّعْبِ والخَوْفِ والقَلَقِ والفَزَعِ والذُّهُوْلِ والانْقِلابِ يتساءلُ الإِنْسَانُ المَذْعُوْرُ المَرْعُوْبُ أَيْنَ المَفَرُّ وَيَبْدُوْ ذلِكَ في سُؤَالِهِ وَكَأَنَّمَا يَنْظُرُ في كُلِّ اتّجَاهٍ فَإِذَا هُوَ مَسْدُوْدٌ دُوْنَهُ ماخُوْذٌ عَلَيْهِ وَلاَ مَلْجَأ وَلاَ مَحِيْصَ ولا مَنْفَذَ وَلاَ وِقَايَةَ مِنْ قَهْرِ اللّهِ وأخذِهِ،والرُّجْعَةُ إِلَيْهِ والمَصِيْرُ والمستقَرُّ عِنْدَهُ ﴿كَلَّا لَا وَزرَ إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المُسْتَقَرْ﴾ ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ والإِنْسِ إنْ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذُوا مِن أقطارِ السّمواتِ والأرضِ فانفذوا﴾ .

فَفِيْ هَذَا المَوْقِفِ الرَّهِيْبِ يَتَبَيَّنُ عَجْزُ الخَلاَئِقِ وضَعْفُهُمْ وَكَمَالُ سُلْطَانِ اللّهِ وقُدْرَتِهِ ونُفُوذِ مَشِيئَتِهِ ﴿إِنَّمَا تُوْعَدُوْنَ لآتٍ وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَ﴾ إنّكُمْ في قَبْضَةِ اللّهِ﴿مَا مِن دابّةٍ إلّا هُوَ آخذٌ بِناصِيَتِها﴾ إنّهُ لَيَوْمٌ عَصِيْبٌ وَمَوْقِفٌ رَهِيْبٌ «إنْ كُلُّ مَن فِي السّمواتِ والأرْضِ إلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً لقَدْ أحْصَاهُم وعَدَّهُم عَدّا وكُلُّهُم آتِيْهِ يَوْمَ القِيامَةِ فَرْدا » .

فَلاَ مَجَالَ لِهَرَبِ أَحدٍ وَلا نِسْيَانَ لأَحَدٍ فَعَيْنُ اللّهِ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ وَكلّ فَرْدٍ يَقُوْمُ وَحِيْداً لاَ يَأْنَسُ بأحَدٍ فإذا هُوَ فَرِيْدٌ وَحِيْدٌ أمَامَ الدَّيّانِ ﴿يَوْمَ تأتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عنْ نَفْسِها﴾ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أخِيْهِ وأمِّهِ وأبِيْهِ وصَاحِبَتِهِ وبَنِيْهِ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأنٌ يغنيه﴾ .

مَشْهَدُ المَرْءِ يَفِرُّ وَيَنْسَلِخُ وَيَهْرَبُ مِنْ أقْرَبِ النَّاسِ إلَيْهِ وألْصَقِهِمْ بِهِ أُولَئِكَ الّذِينَ تَرْبُطُهُمْ بِهِ وَشَائِجُ وَرَوَابِطُ لا تَنْفَصِمُ وَلَكِنْ الصّاخةُ وَالطّامَةُ تُمَزِّقُ

هَذِهِ الرَّوَابِطِ وتُقَطِّعُ الوَشَائِجَ والصّلاتِ ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ﴾ .

فَالْهَوْلُ يُفْزِعُ النَّفْسَ ويُقْلِقُهَا وَيفْصِلُهَا مِنْ مُحِيطِهَا وَيَسْتَبِدُّ بِهَا اسْتِبْدَاداً فِلَكُلٍّ نَفْسُهُ وَشَأْنُهُ وَلَدَيْهِ الكِفَايَةُ مِنَ الهَمِّ الخَّاص بِهِ الّذِي لَا يَدَعُ لَهُ فَضْلَةً مِنْ وَعْيٍ أَوْ جُهْدٍ ﴿لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ شَأْنٌ يُغْنِيْهْ﴾ إِذِ القُلُوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ كَاظِمِيْنَ) .

فَهَا هِيَ ذِي السَّاعَةِ الّتِي يَغْفُلُ عَنْهَا الغَافِلُونَ وَيَلْهُوْا عَنْهَا اللَّاهُوْنَ وَيَسْتَعْجِلُ بِهَا المُسْتَعْجِلُون ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالّذِيْنَ آمَنُوا مُشْفِقُوْنَ مِنْهَا وَيَعْلَمُوْنَ أَنّهَا الحَقُّ﴾ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ يَلْبِسُ المُجْرِمُوْنَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كافِرِيْنَ﴾ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ فَأَمَّا الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُوْنَ وَأَمَّا الّذِينَ كَفَرُوْا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُولَئِكَ في العَذَابِ مُحْضَرُوْنَ﴾ .

وَهَؤُلَاءِ المُجْرِمُونَ حَائِرِيْنَ يَائِسِينَ لَا أَمَلَ فِي النَّجَاةِ وَلَا رَجَاءَ وَلَا خَلَاصَ بَلْ قَدْ أَيْقَنُوْا في العَطَبِ ﴿وَرَأَى المُجْرِمُوْنَ النَّارَ فَظَنُّوْا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوْهَا وَلَمْ يَجِدُوْا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ المُجْرِمُوْنَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ . رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنّا مُوْقِنُون﴾ .

هُنَا يَعْتَرِفُوْنَ بِالخَطِيْئَةِ وَيُقِرُّوْنَ بِالحَقِّ الّذِي جَحَدُوْهُ بِالدُّنْيَا وَيُعْلِنُوْنَ اليَقِيْنَ بِمَا شَكُوْا فِيْهِ وَيَطْلُبُوْنَ العَوْدَةَ إلى الدُّنْيَا لإِصْلَاحِ مَا فَاتَ فِي الدُّنْيا وَمَنْظَرُهُمْ إِذْ ذَاكَ مُفْزِعٌ مُخِيْفٌ وَهُمْ نَاكِسُوا الرُّؤُوسِ خَجَلًا وخِزْياً .

فَالأَمْرُ أَمْرٌ فَظِيْعٌ وَالحَالُ مُزْعِجَةٌ أَقْوَاماً حَاسِرِيْنَ مَكْرُوْبِيْنَ وَسُؤَالُ غَيْرُ

مُجاب لِفَواتِ وَقْتِ الإمْهالِ ﴿وَقَالُوْا آمَنَّا بِهِ وأَنَّى لَهُمْ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيْدٍ﴾ .

فَيَا عِبَادَ اللّهِ انْتَبِهُوْا مِنْ رَقْدَتِكُمْ واسْتَدْرِكُوْا بَقِيَّةَ أَعْمَارِكُمْ وَاحْذَرُوْا الإنْهِمَاكَ فِي دَارِ الغُرُوْرِ فَالوَيْلُ كُلُّ الوَيْلِ لَكُمْ إِنْ أَدْرَكَكُمْ المَوْتُ وَأَنْتُمْ عَلَى هَذِهِ الحَالَة ، زَيَّنْتُمْ الفُلَلَ وَالقُصُوْرُ وَنَسِيْتُمُ القُبُوْرَ ، اذْكُرُوْا القَبْرَ وَظُلْمَتَهُ وَوَحْشَتَهُ وَالمَوْتَ وَسَكْرَتَهُ وَالمِيْزَانَ وخِفَّتَهُ أَوْ رَجْحَتَهُ والكِتَابَ وأَخْذَتَهُ وَالصِّرَاطَ وَدِقَّتَهُ ، وَالمَوْتَ ، سَكْرَةٌ فِي سَكْرَةٍ وَحَيْرَةٌ فِي حَيْرَةٍ وَجَذْبَةٌ يَا لَهَا مِنْ جَذْبَةٍ وَكُرْبَةٌ يَا لَهَا مِنْ كُرْبَةٍ فَالمِسْكِيْنُ يُكابِدُ غُصَصَ المَنُوْنِ دَاهِشَ العَقْلِ كالمَحْزُوْنِ .

فاللّهَ اللّهَ عِبَادَ اللّهِ أَفِيْقُوْا مِنْ سَكَرَاتِكُمْ وانْتَبِهُوْا مِنْ نَوْمَاتِكُمْ واسْتَيْقِظُوا مِنْ غَفَلاتِكُمْ قَبْلَ مُفَاجَأَةِ المَنِيَّةِ وحُلُولِ الرَّزِيَّةِ وَوُقُوعِ البَلِيّةِ حَيْثُ لا مَالَ وَلاَ وَلَدَ نَافِعٌ وَلاَ حَمِيْمَ شَافِعٌ وَلاَ فَرِحَ وَاقِعٌ وَلاَ رَجاءَ طَامِعٌ وَلاَ حَسَنَةٌ تُزَادُ وَلاَ سَيِّئَةٌ تُحْذَفُ ولاَ حَيَاةَ تُعَادُ وَيُزَوِّدُكَ أَحْبَابُكَ بالحَزَنِ عَلَيْكَ وَالبُكَاءِ فَلاَ عَثْرَةٌ تُقَالُ وَلاَ رَجْعَةَ تُنَالُ .

اللهم يَا مُصْلِحَ الصَّالِحِيْنَ أَصْلِحْ فَسَادَ قُلُوْبِنَا واسْتُرْ في الدُنْيَا والآخِرَة عُيُوْبَنَا واغْفِرْ بِعَفْوِكَ وَرَحْمَتِكَ ذُنُوْبَنَا ، وَهَبْ لَنَا مُوْبِقَاتِ الجَرَائِرِ واسْتُرْ عَلَيْنَا يَا مَوْلاَنَا فَاضِحَاتِ السرائر ، ولا تُخْلِنَا في مَوْقِفِ القِيَامَةِ من بَرْدِ عَفْوك وَغُفْرَانِك ولا تَتْرُكْنَا مِنْ جِيْلِ صَفْحِكَ وَاحْسانِكَ وآتِنَا في الدُنْيَا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنةً وَقِنَا عذاب النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلوالدينا ولجميع المُسْلِمِيْن بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الراحِمِين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

٦٥ « مَوْعِظَةٌ في الحَثِّ عَلى الأقْبَالِ عَلى الآخِرَةِ »

اخْوَانِيْ أَيْنَ رُفقَاؤُنَا وَاخْوانُنَا أَيْنَ ذَهَبَ مَعَارِفُنَا وَجِيْرَانُنَا أَيْنَ أَصْدِقَاؤَنَا أَيْنَ زُمَلاؤُنا وَأَقْرَانُنَا أيْنَ عُلَمَاؤُنَا العَامِلُوْنَ بِعِلمهم أيْنَ آبَاؤُنَا وَأَجْدَادُنَا رَحلُوا وَقَلَّ والله بَعْدَهُمْ بَقَاؤُنَا. هَذِهِ مَسَاكِنهُم فِيْهَا غَيْرُهُمْ قَدْ نَسِيْنَاهُم وَنَسِيَهُم مُحِبُهم وَجَفَاهُم . أيْنَ أصْحَابُ القُصُوْرِ الحَصِيْنَةِ ، وَالأنْسَابِ العَالِيَةِ الرَّصِيْنَة وَالعُقُولِ الرَّاجِحَةِ الرَّزِيْنةِ ، قَبَضَتْ عَلَيْهِمْ يَدُ المنَايَا فظَفِرتْ ، وَنُقِلُوا إلَى أجْداثٍ مَا مُهّدَتْ إذْ حُفِرَتْ وَرَحِلُوا بذُنُوبٍ لا يَدْرُونَ هَلْ غُفِرتْ أو بَقِيَتْ فالصَّحِيحُ مِنْهُم بالحَزَنِ قد سَقِمْ وَالمَدْعُو إلىَ دَارِ البَلىَ أَسْرَعَ وَلَمْ يُقِمْ والكتابُ قد سُطِّرَ بالذنوبِ فَرُقِمْ. وَلذِيْذُ عَيْشِهم بالتَّنْغِيْصِ قدْ خُتِمَ وفِرَاقُهم لأَحْبَابِهم وَأمْوَالِهمْ قد حُتِمَ وَالولدُ قد ذَلَّ وَيَتِمْ ، فتفكّرُوا في القَوْمِ كَيْفَ رَحلُوا ، وتَذَكَرُوا دِيَارَهُم أيْنَ نَزَلُوا ، وَاسْأَلُوا مَنَازِلهم عَنْهُم مَاذَا فَعَلُوا فانْتَبِهْ مِنْ رُقَادِكَ قبْلَ أنْ تصَلِ مَا وَصِلُوا يَا مَنْ غَفَلَ وَسَهَى وَلَهَى وَنَسِيَ المقَابِرَ وَالبِلَى.

٦٦ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللهِ إنَّ التَّوْبَةَ مِنْ الذُّنُوبِ مِفْتَاحُ السَّعَادَةِ في هَذِهِ الدَّارِ وفي دَارِ القَرَارِ ، وَانَّمَا كَانَتْ التَّوْبَةُ كَذَلِكَ لأَنَّ بِهَا يَغْفِرُ اللَّهُ الذُنُوبَ جَمِيْعاً لا فَرْقَ بَيْنَ صِغَارِهَا والكِبَارِ وَلأَنَّ التَّائِبَ إذَا صَحَّتْ تَوْبَتُهُ بِأَنْ اجْتَمَعَتْ شُرُوْطُهَا وَانْتَفَتْ المَوَانِعُ يُصْبِحُ بِالتَّوْبَةِ أَمِيْناً عَلَى دِيْنِهِ لاَ يُخِلُّ بِوَاجِبٍ مِنْ وَاجِبَاتِ الإسْلاَمِ فَتُوبُوا عِبَادَ اللهِ تَوْبَة نَصُوحاً لِتَسْتَنِيْرَ قُلُوبُكُم وَأَبْدَانُكُم بَدَلَ ظُلُمَاتٍ كَانَتْ مُخَيِّمَةً عَلَيْهَا تُثْقِلُكُمْ عَنْ طَاعَةِ مَوْلاَكُمْ وَسَتَجِدُوْنَ بإذْنِ اللهِ انْشِرَاحاً في صُدُوْرِكُمْ بَدَلَ انْقِبَاضِهَا وَضِيْقِهَا فإنَّ الذُنوبَ تُؤثِّرُ عَلى

القُلُوبِ وَالأبْدَانِ انْقِبَاضاً يَشْتَدُّ عَلَى المُصِرِّ عَلَى الذنُوبِ حَتَّى يَضِيْقَ بِهِ فَسِيْحُ الأَرْجَاءِ وَلَكَ أَيُّهَا التَّائِبُ العَامِلُ بالطَّاعَاتِ الأَمَلُ القَوِيّ بتَوَالِيْ الطَّاعَاتِ لأَنَّ الخَيْرَاتِ تُنْتِجُ بإذْنِ اللّهِ بَعْضُهَا بَعْضاً وَلَكَ الأمَلُ القَوِيّ بِأَنْ تَنْقَادَ لَكَ الأرْزَاقُ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُمْتَنِعَةً فَتُصْبِحُ في يُسْرٍ بَعْدَ أَنْ كُنْتُ في اعْسَارٍ وَلَكَ الأمَلُ في أَنْ العَدَاوَاتِ التِيْ كَانَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الخَلْقِ تُصْبِحُ بإذْنِ اللَّهِ حبّاً يَلْفِتُ الأَنْظَارَ ذَلِكَ أَنَّ الذُنُوبَ وَالمَعَاصِيْ هِيَ أَسْبَابُ الشُرُوْرِ وَالعُقُوبَاتِ المُؤْلِمَاتِ وَأَنَّ المَرْءَ بالتَّوْبَةِ مِنْهَا يُرْضِيْ بَدِيْعَ الأرْضِ وَالسَّموَاتِ فَتَأَكَّدْ أَيُّهَا الأَخُ أَنَّ التَّوْبَةَ هِيَ اليَنْبُوعُ الفيّاضُ لِكُلِّ خَيْرٍ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلا تشُكُّ في أنَّ اللهَ تَعَالَى يُفِيْضُ مِنْ فَضْلِهِ وَجُوْدِه مَا يُفِيْضُ عَلَى مَنْ أَخْلَصَ العَمَلَ لِجَلاَلِهِ فَتُبْ أَيُّهَا الأخُ وَاصْدُقْ في التَّوْبَةِ وَاسْأَلْهُ أَنْ يُبَلِّغَكَ بِهَا رِضْوَانَهُ وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِنْ حِزْبِهِ المُفْلِحِيْنَ الذيْنَ ﴿ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ فَتَعِيْشُ وَتَمُوتُ وَتُبْعَثُ في رِعَايَةِ رَبِّكَ وَلُطْفِهِ وَغَيْرُكَ مِمَّنْ لَمْ يَتُوبُوا في اهَانَتِه البَالِغَةِ يَتقَلَّبُونَ فَعَلَيْكَ بِالاعْتِمَادِ عَلَى اللَّهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَاللَّجَاءِ إلَيْهِ دَائِماً مُتضَرِّعاً مُتمَلِّقاً .

اللهُم اعْمُرْ قُلُوبَنا وَألْسِنَتَنا بذِكْرِك وَشُكْرِكَ وَوَفِّقْنَا للامْتِثَالِ لأمْرِكَ وَأَمِّنا مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكرِكَ واجْعلْنَا مِنْ أَوْلِيَآئِكَ المُتَّقِيْنَ وَحِزْبِكَ المفْلِحِيْنَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٦٧ « مَوْعِظَةَ »

عِبَاذَ اللهِ تَمُرُّ الحَيَاةُ بِأَحَدِنا وهو مُنْهَمِكٌ في مَلَذَّاتِـهِ وَشَهَواتِـهِ وَمَطَامِعِهِ ، لا يُفَكِّرُ في مَآلِهِ ولا في يَوْمِ حِسَابِهِ وَكأَنَّهُ خَالِدٌ في الدنيا لا يَمُوتَ أبَدا ، أو كَأَنَّ عِنْدَهُ يَقِيْنٌ أَنَّهُ لَا يُحَاسَبُ عَلَى مَا جَنَاهُ .

وَمِن العَجِيْبِ أَنَّهُ لَا يَمُرُّ يَوْمٌ بل ولا سَاعَةٌ إلا وفي ذَلِكَ نَذِيْرٌ لابْنِ آدَمَ بالرَّحِيْلِ عن هَذهِ الدّارِ ، يُشَاهِدُ المَوْتَ يَتَخَطَّفُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِ فَلَا يَزْدَجِرُ ، وَتَقُومُ الحَوَادِثُ الجِسَامُ مِن حُرُوبٍ تُفْنِيْ آلافاً مِن البَشَرِ وَتُهَدِّدُ الأَحْيَاءَ بالالْتِحَاقِ بِمَنْ مَاتَ ، وَبِالمَجَاعَاتِ وَالخَرَابِ ، فلا يتَّعِظُ وَلَا يَعْتَبِرُ .

وَيَرَى الحَرَائِقَ مَا بَينَ آونَةٍ وآونَةٍ تُتْلِفُ النُّفُوسَ وَالأَمْوَالَ وَالمَسَاكِنَ ، وَكَيْفَ تَكُونُ حَالَةُ النَّاسِ وَمَطَافِيْهِمْ ، فَلَا يَذْكُرُ جَهَنَّمَ وأَهْوَالَهَا وَأَنْكَالَهَا وَمَا فِيْهَا مِنْ أَنْوَاعِ العَذَابِ الَّـذِيْ لَا تَصْمُدُ لَهُ الجِبَالُ الصُّمُّ الصِّلاَبُ ، قَسَت القُلُوبُ ، وَتَحجَّرَت الضَّمَائِرُ ، (ظَهَرَ الفَسَادُ في البَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيْ النَّاسِ) (انَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيروا مَا بِأَنْفُسِهِم) .

أيُّهَا الغَافِلُوْنَ ، دُنْيَاكُم دَارُ غُرُورٍ وَهُموم وَأَحْزَانٍ ، وَهِيَ بِلَا شَكٍّ فَانِيَةٌ ، وأُخْرَاكُم دَارُ قَرَارٍ بَاقِيَةٌ ، وَأَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ وَالتَّقْوَى مِفْتَاحُ السَّعَادَتَيْنِ الدّنْيَوِيَّةِ وَالآخرَوِيَّةِ ، ضَمَانٌ ضَمِنَهُ اللهُ لِعَبَادِهِ ، وَوَعْدٌ لا يَتَخَلَّفُ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحَاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجـزِيَنَّهُم أجْرَهُمْ بـأحْسَنِ مَا كَـانُـوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

أمَّا المَعَاصِيْ وَالغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ وَالطُّغْيَانِ ، فَلَيْسَ مِنْ وَرَائِهَا إلاّ ضَنْكُ المَعِيْشَةِ في الدنيا بالهُمُومِ المبَرَّحَةِ وَالأَحْزَانِ المجَرِّحَةِ مَعَ العَذَابِ الأَلِيْمِ

في الآخِرَةِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِيْ فَإِنَّ لَهُ مَعِيْشَةً ضَنْكَاً ، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ الآياتِ .

أَيُّهَا العَاقِلُونَ كُلُّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الغَفْلَةَ تُنْسِيْ العَبْدَ رَبَّهُ وَآخِرَتَهُ ، وَمَنْ نَسِيَ رَبَّهُ أَنْسَاهُ اللَّهُ نَفْسَهُ ، قال تعالى ﴿ ولا تكونوا كالذين نَسُوا الله فأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ ، فَلَا تَتَعَرَّضُوا بذَلِكَ لِسَخطِهِ وَكُوْنُوْا دَائِماً ذَاكِرِيْنَ لِلْآخِرَةِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَبْعَثُ عَلَى الخَوْفِ مِن اللَّهِ ، وَمَنْ خَافَ رَبَّهُ اسْتَقَامَ بِأَذْنِ الله ، قَال اللَّهُ تعـالى ﴿ وَأَمّـا مَنْ خَافَ مَقَـامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى ﴾ واللَّهُ أعلمُ وصلى اللَّهُ على محمدٍ وآلِهِ .

٦٨ موعظــة

رُوِيَ عن عَليّ بن أبي طَالب أنّه قَالَ : لا تكُنْ مِمَّنْ يَرجوُ الآخرةَ بغيرِ عَمَلٍ ويؤخرُ التّوبةَ لِطوُلِ الأُملِ ويقولُ في الدّنيا بِقوْلِ الزّاهدِينَ ويعملُ فيها عَمَلَ الراغِبينَ إنْ أُعْطِيَ مِنَ الدّنيا لم يَشْبَعْ وإن مُنْعَ منهَا لَمْ يَقْنَعْ ويَأْمرُ النّاسَ بمَا لا يَأتِيْهِ يُحِبُّ الصَّالِحِينَ ولا يَعملُ أعمَالهمْ ويُبغِضُ المُسيئِينَ وهوَ مِنْهمْ يَكرهُ الموْتَ لِكَثْرةِ ذُنوبه ويُقيْمُ علىَ ما يَكرهُ لَهُ المَوْتَ إنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادماً وانْ صَحّ أمِنَ لاهِياً يَعجبُ مِن نَفْسِه إذَا عُوفيَ ويَقنطُ إذَا تَغلِبهُ نَفْسُهُ على ما يَظُنُّ ولا يَغلِبُهَا على ما يَسْتقِينُ ولا يَثقُ مِن الرِّزقِ بما ضُمِنَ لهُ ولا يَعْملُ مِن العَمَلِ بمَا فُرِضَ عَلَيْهِ إنْ اسْتغنَى بَطِرَ وانْ افتقرَ قَنِطَ وحَزِنَ فهو منَ الذّنبِ في حَالِ النِّعمة والمِحْنة مُوقرٌ ، يَطلبُ الزيادة ولا يشكرُ ويتكلّفُ مِن الناس مالا يُؤمرُ ويضيّعُ الموتَ ولا يُبادرُ الفَوْتَ يَستكبرُ مِن مَعصيةِ غيرِهِ ما يَسهُلُ أكثرُه مِن نفْسه . مَزاهرُ اللهْوِ مع الأغْنياءِ أحبُّ إليهِ مِن الذِّكرِ مع الفُقراءِ يَحكمُ على غيرِهِ لِنفسِهِ ولا يَحكمُ عليها

اللّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوْبَنَا بِنُورِ الإِيْمَانِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِيْهَا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَارْزُقْنَا حُبَّ أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضَ أَعْدَائِكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٦٩ موعظة

عِبَادَ اللهِ إِنَّ مِن أَعْجَبِ العَجَبِ أَنْ يَعْصِي الرَّجُلُ مَوْلاَهُ وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ عَجَباً لأَنَّ المُؤْمِنَ يَتَيَقَّنُ يَقِيْناً لا شَكَّ فِيْهِ أَنْ مَوْلاَهُ جَلَّ وَعَلاَ يَراهُ ، وَيَعْلَمُ سِرَّهُ وَنَجْوَاهُ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الانْسَانَ يَسْتَحِيي أَنْ يَفْعَلَ مَا يُغْضِبُ أَخَاهُ وَهُوَ يَراهُ ، مَعَ أَنَّهُ لاَ يَمْلِكُ لَهُ ضَرَّاً ولا نَفْعَاً في هَذِهِ الدَّارِ ، ولا في دَارِ القَرارِ ، وإِذَا كَانَ هَذَا حَالُهُ مَعَ هَذَا المَخْلُوقِ فَعَجِيْبٌ جِدَاً أَنْ لاَ يَكُونَ أَشَدَّ احْتِرَاماً وَحَياءً مَعَ فَاطِرِ الأَرْضِ والسَّمواتِ ، مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الذِي أَوْجَدَ الجَمِيْعَ مِن العَدَمِ وَهُوَ الذِي يَحْفَظُ عَلَيْكَ الحَيَاةَ وَهُوَ الذِيْ أَسْبَغَ عَلَيْكَ النِّعَمَ ظَاهِرَةً وباطِنَةً ، وَأَدَامَ ذَلِكَ عليْكَ وَوَالاَهُ ، وَلَوْ شَاءَ لَسَلَبَكَ كُلَّ نِعْمَةٍ ، وَأَحَلَّ بِكَ كُلَّ نِقْمَةٍ ، وَجَعَلَكَ في هَذَا الوُجُوْدِ عِبْرَةً لأولِي الأَبْصَارِ ، أَضِفْ إلى ذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الذِيْ يُمِيْتُكَ ، وَيُعَامِلُكَ في قَبْرِكَ بِمَا يُنَاسِبُ مَالَكَ مِن أَعْمَالِ ، وَهُوَ الذِيْ يَبْعَثُكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ، وَيَسُوْقُكَ إلى ذَلِكَ المَوقِفِ الذِيْ هَوْلَهُ يُشِيْبُ الأَطْفَالَ ، وَهُوَ الذِيْ يُحاسِبُكَ عَلى مَا كَانَ مِنْكَ في حَيَاتِكَ الأُوْلَى مِن الأَفْعَالِ ، وهُوَ الذِيْ يَأْمُرُ بِكَ إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ وَإِمَّا إلى النارِ ، نَعَمْ إِنَّهُ مِن أَعجَبِ العَجَبِ أَنْ يُجَاهِرَ المُؤْمِنُ رَبَّهُ بالمَعْصِيَةِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَالِكُ دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ ، إِن البُرْهَانَ الذِيْ لا مَغْمَزَ فِيْهِ على أَنَّكَ تَسْتَحِيْي مِن رَبِّكَ أَيُّهَا المُؤْمِنُ ، أَنْ تَكُوْنَ بَعِيْداً كُلَّ البُعْدِ دَائِماً عن مَعَاصِي اللهِ ، فَتَحْبِسْ لِسَانَكَ عن القَذْفِ والكَذبِ والنَّمِيْمَةِ

والغِيْبَةِ ، والخُلْفِ في الوَعْـدِ ، وعن المِرَاءِ وَالجِـدالِ والاسْتِهْزَاءِ ، والسُّخْرِيَّةِ بالناسِ ، واللَّعْنِ والفُحْشِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مُحَرَّمٌ شَرْعاً أَوْ مَكْرُوهٌ ، لأَنَّ اللِّسَانَ إِنَّمَا خُلِقَ لِتِلاَوَةِ كِتَابِ اللهِ وَذِكْرِهِ ، وَلِتُرْشِدَ بِهِ خَلْقَ اللهِ ، وَتُظْهِرَ بِهِ مَا فِي ضَمِيْرِكَ مِنْ حَاجَاتِ دِيْنِكَ وَدُنْيَاكَ ، وَتُدَافِعَ بِهِ عَنْ دِيْنِكَ وَنَفْسِكَ وَأَهْلِكَ ، فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَهُ في غَيْرِ مَا خُلِقَ لَهُ كَانَ وَبَالاً عَلَيْكَ ، وَتَحْبِسُ عَيْنَكَ ، لأَنَّها إِنَّمَا خُلِقَتْ لَكَ لِتَهْتَدِيَ فِي الظلماتِ ، وَتَسْتَعِيْنُ بِهَا عَلَى قَضَاءِ الحاجاتِ ، وَتَنْظُرُ بِهَا بِعَيْنِ الاعْتِبَارِ الى عَجَائِبِ مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَتَعْتَبِرَ بِمَا فِيْهَـا مِنْ الآيَاتِ البَـاهِرَاتِ ؛ فاحْفَظْهَا عنْ النَّظَرِ إِلَى المُحَرَّماتِ ، مِنْ نَظَرٍ إِلَى غَيْرِ مَحْرَمٍ مِنْ النِّسَاءِ ، أَوْ إِلى مُسْلِمٍ بِعَيْنِ الاحْتِقَارِ والازدِرَاءِ ، أَوْ إِلَى تِلْفِزْيُونٍ أو الى سِيْنَماءٍ ، أو الى صُورَةٍ مَلِيْحَةٍ بِشَهْوَةٍ ، او تَطَّلِعَ بِهَا على عَيْبِ مُسْلِم ، أو الى بَيْتِ جَارٍ أو غيْرِ جَارٍ مِمَّنْ لا يَرْضَى بِذَلِكَ ، أو نَحْوِ ذَلِكَ مِنْ المُحَرَّمَاتِ .

وَأَمَّا الأُذُنُ فَاحْفَظْهَا عَنْ أَنْ تُصْغِيْ بِهَا إِلَى اسْتِمَاعِ المَـلاَهِيْ وَالمُنْكِرَاتِ ، او إِلَى بِدْعَةٍ او إِلَى غِيْبَةٍ أَوْ فُحْشٍ ، او قَذْفِ مُسْلِمٍ أَوْ حَدِيْثِ قَوْمٍ وَهُمْ لاسْتِمَاعِكَ كَارِهُوْنَ ، أَوْ إِلَى الخَوْضِ بِالبَاطِلِ ، أو ذِكْرِ مَسَاوِيءِ النَّاسِ ، لأَنَّهَا خُلِقَتْ لَكَ لِتَسْمَعَ بِهَا كلامَ اللهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ، وَمَا يَنْفَعُكَ في دُنْيَاكَ وَأُخْرَاكَ وَلِتَتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى الاسْتِفَادَةِ مِنْ العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ ، المُوصِلَةِ إِلَى مَرْضَاةِ اللهِ والنَّعِيْمِ المَقِيْمِ ، الدَّائِم في جِوَارِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، فإذا أَصْغَيْتَ بِهَا إِلَى شَيْءٍ مِنْ المُحَـرَّمَاتِ أَوْ المكرُوهَاتِ ، صَارَ ما كانَ لَكَ عَلَيْكَ ، وانقلبَ مَا كَانَ سَبَبَ فَوْزِكَ سَبَبَ هَلاَكِكَ ، وَهَذَا غَايَةُ الخُسْرَانِ ، وَلاَ تَظُنَّ أَنَّ الإِثْمَ يَخْتَصُّ بِهِ القَائِلُ دُوْنَ المُسْتَمِعِ إِلاَّ إِنْ أَنْكَرَ بِلِسَانِهِ ، أَوْ بِقَلْبِهِ انْ خافَ ، وَانْ قَدِرَ عَلَى القِيَام

وَالابْتِعَادِ عَنْهُم ، أَو قَدِرَ عَلَى قطع الكلام بِكلام آخرَ فلمْ يَفْعَلْ فَهُو آثِمٌ ، وَكَذَلِكَ يَكُفُّ البَطْنَ وَالفَرْجَ عَنْ المُحَرَّمَاتِ ، وَاليَدَيْنِ والرِّجْلَيْنِ وَحَاسَّةَ الشَّمِّ .

٧٠ في موعظة جليلة

قال بعضُ العلماءِ على قوله تعالى : ﴿ولا تكونوا كالذين نَسوُا الله فأنساهُمْ أَنفسَهم أولئكَ همُ الفاسقونَ﴾ .

كَشفتْ لنا هذه الآيةُ الشريفةُ عن سُنةٍ من سُنن الله تعالى : وهي أنّ مَن غَفلَ عن تَذكرُّ الله فَنسِيَهُ والْهتهُ دُنياهُ عن العملِ للدّارِ الآخرةِ أنساهُ الله نفَسَه التي بينَ جنبيهِ فلا يَسعىَ لما فيه نَفعُها ولا يأخِذُ في أسْبابِ سعادتِها وإصلاحِها وما يكمّلُها ولا السّعيُ في ازالةِ عِللها وأمراضِها التي تَؤولُ بها الى الفساد والدّمارِ والهلاكِ وهذا مِنْ أعظمِ العُقوُبةِ لِلْعامّةِ والخاصّةِ فأيُّ عُقُوبةٍ أعظمُ مِن عقُوبةِ مَن أهْملَ نفسَه وضيّعَها ونَسِيَ مَصالِحَها ودَاءَها ودَوَاءَها وأسبابَ سَعادتِها وصَلاحِها وحَياتِها الأَبَدِيَّة في النَّعِيْمِ المقِيْم .

ومَن تأملَ هذا المَوضِعَ تَبيْنَ لَهُ أنّ أَكْثَر هَذَا الخَلْق قَدْ نَسُوا أنْفُسَهُمَ وضَيَّعُوْهَا وأَضَاعُوُا حَظَّها مِن اللهِ وباعُوها رَخيْصَةً بثَمَن بَخْس بَيعَ المغْبُوْنِ ويَظْهَرُ ذلكَ عندَ الموتِ ويَتَجَلَّى ذلكَ يَومَ التغابُن يومَ لا يَنْفَعُ نفساً إيْمَانُها لَمَ تَكُنْ آمنَتْ مِن قبلُ أو كَسَبَتْ في إيمَانِها خَيْراً ، إنهَا لِحَسَرْةٌ على كلّ ذي غَفلةٍ دُونَها كلّ حَسْرَةٍ هؤلاء هِمُ الذينَ اشتروا الضلالةَ بالهدى فما رَبِحتْ تجارتُهم وما كانوا مُهتدينَ .

وأما الرَّابِحُون فهمُ الذينَ أنارَ اللَّهُ قُلُوبَهم للْحَقِ فَعَرَفُوا الدُّنْيا

وقيمَتها وقالُوا مَا مِقْدَارُ هَذِهِ الدُّنيا من أوَّلِهَا إلى آخِرِها حَتَّى نَبْيعَ حَظّنا مِن اللهِ تَعالى والدّارِ الآخرة بها فكيفَ بِمَا يَنال العَبْدَ منها في هذا الزّمن القَصِيْرِ الذّي هُوَ في الحَقِيْقَةِ كَغَفْوَةِ حُلْمٍ لا نِسْبة له إلى دَارِ القَرارِ البتّة

فال الله تعالى ﴿ ويَومَ يحشرُهُم كأنْ لم يَلْبَثُوا الا سَاعةً مِن النَهارِ يتعارفُون بينهم ﴾ وقال ﴿ كأنّهم يَومَ يَرَوْنَها لَمْ يَلْبَثُوا إلّا عشيّةً أو ضُحاهَا ﴾ هَؤُلاءِ هُمُ الكَيِّسونَ الذين عَلموْا حقيقَةَ الدّنيا كما عَلِمُوا قِلّةَ لُبثِهم فيها وأنّ لهم داراً غيرَ هذه الدارِ دَارُ الحَيوان وَدَارُ البقاءِ اتّجَرُوا تِجَارَة الأكْياسِ ولم يَغْتَرّوا بتجَارة السُّفهاءِ مِن الناس فَظَهَر لهم يومَ التّغابنِ رَبْح تِجَارَتِهم وَمِقْدَار ما اشْتَرُوْا قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدُلكم على تجارةٍ تُنجيكمْ مِن عَذَابٍ أَلِيْم تُؤْمِنونَ باللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدون في سبيل اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُم خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُون ﴾ .

وفي هذا المَعْنَى يَقُول عُمرُ : رضيَ الله عنه إنمَا الدنيا أملٌ مُخْتَرمٌ أي مُنْتَقَض وبَلاغٌ الى دارٍ غيرها وسَيرٌ إلى المَوْتِ لَيْسَ فيه تَعْرِيْجٌ فَرحِمَ اللهُ امْرءاً أفكرَ في أمَرِهِ ونَصَحَ لِنَفْسِهِ ورَاقبَ رَبّه واستقالَ ذَنْبَه وتابَ إلى رَبِّه إلى أن قال إيّاكم والبِطْنَةَ فانها مَكْسَلةٌ عن الصَّلاةِ ومَفْسَدَةٌ لِلْجِسْمِ ومُؤَدّيَةٌ لِلسَّقمِ وعَليكمُ بالقَصْدِ في قُوتِكمْ فهو أبعدُ عن السَّرفِ وأَصَحُّ لِلْبَدَنَ وأقْوى على العِبَادَةِ إنَّ العَبْدَ لَنْ يَهْلَكَ حَتَّى يُؤْثِرَ شَهْوَتَهُ على دِيْنِهِ .

ومِن العَجَبِ العُجَاب أنَّ العَبْدَ يَسْعَى بنَفْسِهِ في هَوانِ نفسِهِ وهو يَزعُمُ أنها لَها مُكْرمٌ ويَجْتَهِدُ في حِرْمَانِهَا مِن حُظُوظِها وشرفِها وهو يزعمُ أنّه يَسْعَى في حِفظِهَا ويَبْذِلُ جُهدَهُ في تَحقيْرِهَا وتَصْغِيرهَا وتَذْنِيسِهَا وهو يَزعِمُ أنّه يَسْعَى في صَلاحِها وكان بَعْضُ السّلفِ يَقول في خُطبَتِهِ ألا رُبَّ مُهِيْنٌ لِنفْسِهِ وهو يَزعمُ أنَّهُ مُكْرِمٌ لَهَا ومُذَلٌ لِنفْسِهِ وهو يَزْعُمُ أنه مُراعٍ

لحقّها وكفى بالمَرءِ جَهْلاً أن يَكُونَ مَعَ عَدوهِ لِنفْسِهِ يَبلغُ منها بفِعلِهِ ما لا يَبْلغُهُ مِنها عَدوُّه .

مـا يَـبْـلُغُ الأعْـدَاءُ مِـن جَـاهِـلٍ
مـا يَـبْلُغُ الـجَـاهـلُ مِن نَـفْـسِـهِ

فالعاقلُ هو الذي يعملُ مُجِداً لآخِرَتِهِ ولا يُنسِيْهُ نَصْيْبه مِن الدنيا. حَظّه مِن الآخِرة عَاملاً بقوله تعالى : ﴿ وابْتغِ فِيْمَا آتاكَ الله الدارَ الآخرةَ ولا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِن الدُنيا ﴾ ولَو أنّه تأَمَّلَ قَليلاً لَوجدَ أنّ لَذائِذَ الدُّنياَ مُتولّدةٌ مِنْ آلاَمِهَا فَمثلاً لَذةُ الطّعامِ لا تَتحَققُ إلا بألمِ الجوَع ولذةُ الشّرابِ لا بدَّ أنْ يَسبِقَها حُرقَةُ العَطش ولذّةِ النّوم لا يَجدُ الانْسانُ لها شَوقاً إلّا بَعْدَ أنَ يُضنِيهِ التّعبُ الشّديدُ وَهُنَاكَ نوعٌ آخرُ مِنْ الحِكمةِ غَفلَ عنْهُ الكَثيرونَ مِنَ النّاسِ وهوَ أنّها بمثابةِ بَرَاطِيلَ تَحمْلُ الإنْسانَ على قَوامِهِ وبَقاءِ حَيَاتهِ فَلذّةُ الطعَامِ تَدفعُه إلى ألاّ يُهمِلَ جسْمهُ مِن الغِذَاء ولوّلا ما جَعلَ اللّهِ مِن لَذّةِ النّكاحِ لا نقرضَ النّوعُ الإنسانيُّ مِنَ الوُجُودِ ولما وَجدنَا دَابةٌ تَدُبُّ علَى وَجْه الأَرْضِ ولا طَائِراً يَطيرُ في السّماءِ وكذلكَ فَرْحَةُ الأُمِ بطِفْلِهَا تُنْسِيْهَا آلامَ الحَمْلِ والوَحْم والوِلادةِ والتّعبِ والنّصَب والرْضَاع والسّهرِ الطَويل في التّمريضَ ممَا يَقُضّ مَضْجعهَا ويُنسيَها نَفسَها فَسُبحانَ الحكيمِ العلَيمِ الذّي خَلَق كلَّ شَيءٍ فقدّرهُ تقْديراً ، انتهى بتصرف يسير .

٧١ مــوعظــة

كتَب الحسنُ الى عُمر بنِ عبدِ العزيز في ذَمِّ الدُّنْيا كِتاباً طَويلاً قال فيه : أمّا بعدُ فإنّ الدُّنيا دَارُ ظَعَنٍ ليْسَتْ بدارِ مُقَامٍ وانّما أُنزلَ اليهَا آدمُ عُقوبةً فاحْذرْهَا يا أَميرَ المؤمنين فانُّ الزّادَ منهَا تَركُها والغِنَى فيها فَقرُهَا تُذلّ من أعزّها وَتُفقرُ منْ جمعها كالسُّمِ يأكلهُ مَن لا يَعْرِفُهُ وَهُوَ حَتْفهُ

فاحْذرْ هَذِهِ الدّارَ الغرّارةَ الخَتّالةَ الخدّاعةَ وكُن أَسَرَّ ما تَكونُ فِيْهَا أحذَرْ ما تكونُ لهَا ، سُرورُهَا مشُوبٌ بالحُزنِ وَصفوُها مشُوبٌ بالكَدِرِ فلوْ كان الخَالقُ لم يُخبْره عنْها خَبرا وَلم يَضْرِبْ لَهَا مَثَلاً لَكُنْتُ قدْ أَيقظْتُ النّائمَ ونبّهتُ الغَافلَ فكيفَ وَقَــدْ جَاء مِن اللّهِ عزّ وجلّ عنها زاجرٌ وفيها واعِظٌ فما لَها عندَ اللّه سبحانه قَدْرٌ ولا وَزْنٌ ، ما نَظَرَ إليها مُنذُ خَلقهَا وَلَقَدْ عُرِضَتْ على نبيّنا صلى الله عليه وسلم مَفاتِيحُها وَخَزائنُها لا يَنقصُ عند اللّه جَناحَ بَعُوضةٍ فأَبى انْ يَقبَلَهَا وَكَرِهَ أن يُحبَّ ما أبغضَهُ خَالقهُ أو يَرفَعَ ما وَضعهُ مليكُه زَواها اللهُ عن الصّالحين اختياراً وَبَسَطَهَا لِأعْدَائِه اغْتِرَاراً أَفَيَظُنُّ المغْرورُ بها أنّه أُكْرِمَ بِهَا وَنَسِيَ ما صَنَعَ اللهُ بمحمدٍ صلّى اللهُ عليه وسلّمَ حينَ شدَّ على بَطْنِهِ الحَجَرَ ، واللّهِ ما أحدٌ مِن الناسِ بُسِطَ له في الدُّنيا فَلَمْ يَخَفْ أن يكونَ مَكراً إلا كانَ قَدْ نقص عقْلُه وَعَجزَ رأيهُ وما أمْسَكَ عن عَبدٍ فلم يَظُنّهُ خيراً لهُ فيهَا إلاَّ نَقَصَ عقْلُهُ وَعَجزَ رأيهُ .

اللّهُمَّ الهمْنا ذكركَ وَشُكركَ وأرزقْنا الاستقامةَ طوعَ أمركَ وَتَفضّلْ علينا بعافِيتكَ وجزيلِ عَفوِكَ واغفْر لنا ولوالدِينَا ولجميع المسلمينَ الأحياءِ منهم والميتينَ برحمتكَ يا أرحمَ الراحمين وصلى اللهُ على محمّدٍ وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعين .

٧٢ مــوعظــة

وقال الشّيخُ الواسِطيُّ في بعض رَسائِلهِ : اذا أرادَ اللّهُ بعبدٍ خيراً أقامَ في قلبِهِ شَاهِداً منْ ذكر الآخرة يُريدُ فَناءَ الدّنيا وَزَوَالَها وبقاءَ الآخرةِ ودوامها فَيزهّدهُ في الفَاني وَيُرَغّبُهُ في الباقي فَيبدأُ في السّير والسُّلوكِ في طريقِ الآخرة وأوّلُ السيرِ فيهَا تَصحيـحُ التَّوبـةِ ، والتّوبـةُ لا تتمُّ إلا

بالمُحاسبةِ ورعَايةِ الجَوارح السّبعةِ ، العينُ والأذنُ واللّسانُ والبَطْنُ والفَرْجُ واليَدُ والرِّجلُ وكفّها عن جميع المحَارم والمكَارِهِ والفضُول هذا أحدُ شَطْرَي الدّين وَيَبْقَى الشّطرُ الآخرُ وهو القيامُ بالأوامِرِ فَتَحْقِيْقُ الشّطرِ الأوّلِ وهو تَرْكُ المناهِي مِنْ قلبهِ وَقَالبهِ .

أما القَالَب فلا يَعصِي اللّهَ بجَارحةٍ مِن جَوارحهِ ومتَى زلَّ أو أخْطأ تابَ وأما القلبُ فَتُنَقِّي منه المُوبقاتُ المُهلِكاتُ مثلُ الرّياءِ والعجْب والكِبْر والحَسَد والبُغْض لِغَيرِ اللّهِ وَحُبُّ الدّنيا وردُّ الحقّ واستثقالِهِ والازْدِرَاءِ بالخَلْقِ وَمَقْتُهم وَغَيرُ ذلك مِن الكَبائِر القَلبيّةِ التي هِي في مُقَابَلَةِ الكَبائِرِ القَالَبيَةِ مِن شُرْبِ الخَمْرِ والزّنَا والقَذْفِ وغيرِ ذلك فهذِهِ كَبَائِرٌ ظاهِرَةٌ وَتِلْكَ كَبَائرٌ بَاطِنةٌ . وكلاهما ضرر .

قال : فَمَنْ انْطَوى على شَيءٍ مِن الكبائرِ البَاطنيّة ولم يَتُبْ حَبِطَ عَمَلُه بدليلِ لا يدخلِ الجَنّةَ مَن كان في قلبهِ مثالُ ذرةٍ مِن كِبَر وجاء إنّ الحسدَ يأكلُ الحسناتِ كما تأكلُ النارُ الحطبَ وجاء بقول الله تعالى : ﴿ أنا أغْنى الشُّرَكاءِ عن الشركِ مَنْ عمِلَ عملاً فأشركَ مَعِيَ فيه غَيري تَرَكْتُه وشركَه ﴾ وقال تعالى : ﴿ فَمن كان يرجو لقاءَ ربه فليعملْ عملاً صالحَاً ولا يشركْ بعبادةِ رَبِّـه أحداً ﴾ .

فمتَى تَنقّى القلبُ مِن مثْلِ هذهِ الخبائثِ والرذَائِل طَهُرَ وَسَكَنتْ فيه الرّحمةُ في مكان البُغضِ والتواضُع في مَقَابلةِ الكِبْر والنّصيحةُ في مُقابلَةِ الغِشِّ والاخلاصُ في مقابلةِ الرِّياءِ ورؤ ية المنّةِ في مُقَابَلةِ العُجْب ورؤ يةُ النفس فعندَ ذلكَ تَزْكوا الأعمَالُ وَتَصْعَدُ إلى اللهِ تعالى وَيَطْهُرُ القلبُ وَيَبْقى مَحَلاً لِنظَر الحَقِّ بِمَشيْئَةِ الله وَمَعُوْنَتِهِ فهذا أحَدُ شَطْريْ الدِين وهو رِعَايَةُ الجَوارحِ السّبعةِ عن المآثم والمحَارم وانما تَصْلُح وَتَطْهُرُ بِرِعَايَةِ

القلبِ وَطَهَارَتِهِ مِن المُوبِقَاتِ والجَرائِمِ وَمَعْنَى المُوبِقاتِ المهلكات أهـ .

وقال ابنُ القيم رحمه اللهُ : والقلوبُ ثلاثةٌ ، قَلبٌ خـالٍ مِن الإيمانِ وجَمِيْعِ الخَيرِ فذلِكَ قَلبٌ مُظلمٌ قد اسْتَراحَ الشيطانُ مِن إلقاءِ الوَسَاوسَ إليه لأنه قد اتّخذهُ بيّتاً وَوطناًوَتحكّمَ فيهِ بما يُرِيْدُ وَتمكّنَ منه غايةَ التّمكُنِ ، القلبُ الثاني : قلبٌ قد استَنَارَ بنُوْرِ الايمان وأُوقد فيه مِصبَاحُه لكن عليه ظُلْمَةُ الشَّهَواتِ وَعَوَاصِفُ الأَهْوِيَةِ فلِلشَّيْطَانِ هُناكَ اقْبَالٌ وإدْبارٌ وَمَجَالاتٌ وَمَطَالِعُ فالحَرْبُ دُوَلٌ وَسِجَال وَتَخْتَلِفُ أَحْوَالُ هذا الصِّنفِ بالْقِلَّةِ والكَثْرَةِ فَمِنْهُم مَنْ أوقاتُ غَلَبَتِهِ لِعَدُوّهِ أَكْثرُ وَمِنْهُم مَنْ أوقاتُ غَلَبَةِ عَدوّهِ أكْثرُ ومِنهم مَنْ هو تَارةً وَتَارة .

القلبُ الثّالثُ : قلبٌ محْشوٌ بالايمانِ قَـد اسْتَنَارَ بنُـوْرِ الإيمانِ وانْقَشَعَتْ عَنه حُجُبُ الشّهواتِ وأقْلَعَتْ عنه الظُّلُمَاتُ فَلِنُورِهِ في صَدْرِهِ إشْرَاقٌ ولِذَلِكَ الإشراقُ إيقَادٌ لَوْدَنَا منه الوَسْوَاسُ احْترقَ بِهِ فَهْوَ كالسّماءِ الّتي حُرِسَتْ بالنّجوم فلوْ دَنَا مِنْهَا الشّيطانُ يَتخطّاها رُجِمَ فَاحْترق .

وَلَيْستِ السّماءُ بأعظَمَ حُرْمةٍ من المؤْمن وحِراسَةُ اللّه تعالى لَهُ أَتمُّ مِنْ حراسَةِ السّماء والسّماءُ مُتعبّدُ الملائكةِ وَمُستَقَرُّ الوحي وفيها أنَوارُ الطّاعَاتِ وَقَلبُ المؤْمنِ مُستَقر التّوحِيْدِ والمحبّةِ والمعْرِفةِ والإيمَان وَفيهِ أنْوارُها فهوَ حَقيقٌ أَنْ يُحرَسَ وَيُحفَظَ مِن كَيْدِ العدوِّ فَلا يَنالُ منهُ إلا خَطْفَةٌ تَحْصلُ له على غِرّةٍ وَغَفْلةٍ مِن العَبْدِ إذْ هُو بَشَرٌ وأَحكَامُ البَشريّةِ جارِيَةٌ عَليْهِ مِن الغفلةِ والسّهو والذّهُول وَغَلبةِ الطّبع انتهى .

اللهمّ اجْعلَنا مِن حِزْبِكَ المفْلِحينَ وَعِبادِكَ الصّالحينَ الذين أَهّلتهم لِخدمَتِكَ وَجَعلتهُم مِمَن قَبِلتَ أَعَمَالَه يا ربَّ العَالمينَ وصلّى اللّه على مُحمّدٍ وآله وَصَحْبه أَجْمعين .

وقال ابنُ القيم رحمه اللهُ : والقلوبُ ثلاثةٌ ، قَلبٌ خالٍ مِن الإيمانِ وجَمِيْعِ الخَيرِ فذلِكَ قَلبٌ مُظلمٌ قد اسْتَراحَ الشيطانُ مِن إلقاءِ الوَسَاوسَ إليه لأنه قد اتّخذهُ بيّتاً وَوَطناًوَتحكّم فيهِ بما يُريْدُ وَتمكّنَ منه غايةَ التّمكُنِ ، القلبُ الثاني : قلبٌ قد استَنَارَ بنُوْرِ الايمان وأُوقَد فيه مِصبَاحُه لكن عليه ظُلْمَةُ الشَّهواتِ وَعَواصِفُ الأَهْوِيَةِ فلِلشَّيْطَانِ هُنَاكَ اقْبالٌ وإدْبارٌ وَمَجَالاتٌ وَمَطَالِعُ فالحَرْبُ دُوَلٌ وَسِجَال وَتَخْتَلِفُ أَحْوَالُ هذا الصِّنفِ بالْقِلَّةِ والكَثْرَةِ فَمِنْهُم مَنْ أوقاتُ غَلَبَتِهِ لِعَدُوّهِ أكْثرُ وَمِنْهُم مَنْ أوقاتُ غَلَبَةِ عَدوّهِ أكْثرُ ومِنهم مَنْ هو تَارةً وَتَارة .

القلبُ الثّالثُ : قلبٌ محْشوّ بالايمانِ قَد اسْتَنَارَ بِنُوْرِ الإيمانِ وانْقَشَعَتْ عَنه حُجُبُ الشّهواتِ وأقْلَعَتْ عنه الظُّلُمَاتُ فَلِنُورِهِ في صَدْرِهِ إشْرَاقٌ ولِذَلِكَ الإشراقُ إيقَادٌ لَوْدَنَا منه الوَسْوَاسُ احْترقَ بِهِ فَهْوَ كالسّماءِ الّتي حُرِسَتْ بالنّجوم فَلوْ دَنَا مِنْهَا الشّيطانُ يَتخطّاها رُجِمَ فَاحْترق .

وَلَيْستِ السّماءُ بأعظَمَ حُرْمةٍ من المؤْمن وحِراسَةُ اللّه تعالى لَهُ أَتمُّ مِنْ حراسَةِ السّماء والسّماءُ مُتعبّدُ الملائكةِ وَمُستَقَرُّ الوحي وفيها أَنوارُ الطّاعَاتِ وَقَلبُ المؤْمنِ مُستَقر التّوحِيْدِ والمحبّةِ والمعْرِفةِ والإيمَان وَفيهِ أنوارُها فهوَ حَقيقٌ أَنْ يُحرَسَ وَيُحفَظَ مِن كَيْدِ العدوّ فَلا يَنالُ منهُ إلا خَطْفةٌ تَحْصلُ له على غِرّةٍ وَغَفْلةٍ مِن العَبْدِ إذْ هُو بَشَرٌ وأحكَامُ البَشريّةِ جَارِيَةٌ عَليْهِ مِن الغفلةِ والسّهو والذّهُول وَغلبةِ الطّبع انتهى .

هذه قصيدة لبعضهم فيها غُلُوٌ صَلَحْنَا ما فيها مِن الغَلَطِ الإعتقادي وجَعَلنَا عَلَىَ مَافيه تَصْلِيح أقواساً :

تَيقَّضْ لِنَفْس عَنْ هُدَاهَا تَولتِ   وَبَادِرْ فَفِي التّأخير أَعْظَمُ خَشْيَةٍ

فَحَتَّامَ لا تَلْوِي لِرُشْدٍ عِنانَهَا ... وَقَدْ بَلَغَتْ مِنْ غَيِّهَا كُلَّ بُغْيَةِ

وأمَّـارَةٌ بالسُّـوءِ لَوَّامَـةٌ لِمَـنْ ... نَهَاهَا فَلَيْسَتْ لِلْهُدَى مُطْمَئِنَّةْ

إذا أزْمَعَتْ أَمْراً فَلَيْسَ يَرُدُّهَا ... عَنِ الفِعْلِ إخْوَانُ التُّقَى وَالمَبَرَّةِ

وَإنْ مَرَّ فِعْلُ الخَيْرِ في بَالِهَا أَنْثَنى ... أبُـو مُـرَّةٍ يَثْنِيـهِ في كُـلِّ مُـرَّةِ

وَلِـي قَـدَمٌ لَـوْ قُدِّمَـتْ لِظُلاَمَـةِ ... لَطَارَتْ وَلَوْ أَنِّي دُعِيْتُ لِقُرْبَةِ

لَكُنْتُ كَذِي رِجْلَيْنِ رِجْلٌ صَحِيحَةٌ ... وَرِجْلٌ رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتِ

وَقَـائِلَـةٍ لَمَّـا رَأَتْ مَا أَصَـابَنِي ... ومَا أنَا فِيهِ مِنْ لَهِيبِ وَزَفْـرَتِي

رُوَيْدَكَ لا تَقْنُطْ وإنْ كَثُرَ الخَطَا ... ولا تَيْأَسَنْ مِنْ نَيْلِ رَوْحٍ ورَحْمَةِ

مَعَ العُسْرِ يُسْرٌ والتَّصَبُّرُ نُصْرَةٌ ... ولا فَـرَجٌ إلاَّ بِشِـدَّةِ أزْمَـةِ

«وَكَمْ عَامِلٍ أَعْمَالَ أَهْلَ جَهَنَّمٍ ... فَلَمَّا دَعَى المَوْلى أُعِيْـدَ لِجَنَّـةِ»

«فَقُلْتُ لَهَا جُوزِيْتِ خَيْراً على الذي ... مَنَحْتِ مِنَ البُشْرَى وَحُسْنِ النَّصِيحَةِ»

«فَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ لِلنَّجَاةِ مِنَ الرَّدَى ... وَمَا حِـيْلَتِي فـي أنْ تُفَـرَّجَ كُـرْبَتِي»

«فَقَالَتْ فَطِبْ نَفْساً وَقُـمْ مُتَوَجِّهـاً ... لِرِبِّكَ تَسْـلَمْ مِـنْ بَـوَارٍ وخَيْبَـةِ»

«فَكَـمْ آيِـسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ فالْتَجَـا ... إليهِ فَحُطَّتْ عَنْهُ كُلُّ خَطِيئَـةِ»

«فَدَيْتُكَ فَاقْصِدْهُ بِذُلٍّ فَإنـه ... يُقِيلَ بَنِي الزَّلاَّتِ مِنْ كُلِّ عَثْرَةِ»

«إذا مَا أَتَـوهُ تَائِبِيْنَ مِن الـذي ... جَنَوْهُ مِنَ الآثَامِ تَوْبَـةَ مُخْبِتِ»

وصَلِّ إلهِي كُـلَّ يَـومٍ ولَيْلَـةٍ ... علـى أَحْمَـدَ المُخْتـارِ أَزْكـى البَرِيَّة

اللهمّ اجْعلَنا مِن حِزْبِكَ المفْلِحينَ وَعِبادِكَ الصَّالِحينَ الذين أَهّلتَهم لِخدمَتِكَ وَجَعلتهُم مِمَن قَبِلتَ أَعمالَه ياربَّ العَالمينَ وصلّى الله على مُحمّدٍ وآله وَصَحْبِه أجْمعين .

٧٣ موعظة

عبادَ اللهِ أَخْلِصُوا في أَعْمَالِكُم كُلِّها لَا فَرْقَ بَيْنَ عَمَلٍ وَعَمَلٍ سَواءٌ أَكُنْتُم تَعْمَلُونَ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ أَمْ كُنْتُم تعملونَ لِخَلْقِ اللهِ وَسواءٌ أَكُنْتُم بَيْنَ الخَلْقِ وأنتُم تَعْمَلونَ أَمْ كُنْتُمْ في مَحَلٍ خَفِيٍ لَا يَرَاكُم إلا اللهُ والكرامُ الكاتبونَ وسواءٌ أكنتُم في سَرَّاءَ وَقْتِ العملِ أم في ضَرَّاءَ .

ذَلكَ الاخْلاصُ هو أَنْ تَعْمَلَ العَمَلَ الصالحَ لا تُرِيْدُ جَزَاءً عليهِ إلا مِن اللهِ يكونُ ذلكَ قصدُكَ قبلَ العملِ وحينَ مُبَاشَرَتِهِ وَبَعدَ الفَرَاغِ مِنهُ لَا تَذْكُرْهُ بِلسَانكَ إلا مِن بابِ التحدثِ بنعمِ اللهِ أو لِيَقْتَدِي بِكَ غَافِلٌ مُتَّبِعٌ لِهَوَاهُ ، بِهَذا يَكُونُ العَمَلُ عبادةً حقاً وتكونُ أنتَ مِن العابِدِينَ وبِهذا يَثمرُ عَمَلُكَ القَبُولَ عندَ رَبِكَ وعندَ الناسِ ، وبهذا تكونُ أَقْوَى الناسِ لأنَّ وَلِيَّكَ حِيْنَئِذٍ يكونُ مَوْلَاكَ القَوِيُ المَتِيْنُ وبهذا تكونُ مِن أَهْلِ الكَرَامَةِ في هذهِ الدارِ وفي دارِ الجزاءِ .

أَمَّا إذا عَمِلْتَ العَمَلَ الصَّالِحَ لِيُقْبلَ عَلَيْكَ الناسُ وَيَقُوْلُوا إنكَ مِن الصَّالِحينَ فأنتَ إذاً تكونُ مُرَائِياً لا تُخْلِص العَمَلَ بَلْ تَشْرِكْ مَعَه الناظرينُ فتكونُ في دَعْوَى تَمْحِيْصِ العملِ للهِ تعالى لَسْتَ بصَـادِقٍ بَلْ مِن الكاذبين .

وانْظُرْ كَيفَ تكونُ حَالُ مَن يَكْذِبُ على مَن لا تَخْفَى عليهِ خافيةٌ ، لا في الأرضِ ولا في السماءِ ، إن المُرَائِيَ مَهْمَا أَخفَى رِياءَهُ يُظْهِرُ اللهُ تعالى ما فِي قَلْبِهِ لِلْعَالَمين ، رَوَى الامامُ أحمدُ عن أبي سعيدٍ مَرفوعا « لو أَنَّ أَحَدَكُم يَعْمَلُ في صَخْرَةٍ ليسَ لَهَا بابٌ ولا مَنْفَذٌ لأخْرَجَ اللهُ عَمَلَهُ لِلنَّاسِ كائناً مَا كان » .

ولذلكَ يكونُ لِأعمالِ المُرائِي مِن السَّمَاجَةِ في نُفُوسِ الناسِ مالا يَحْكِيْهِ اللّسَانُ ولِهذا يكونُ مَرْذُوْلاً ثَقِيْلاً عندَ الناسِ ، ومِن هذا تَرَاه يَتَوَدَّدُ إلى الناسِ وَيَضْحَكُ إليهِمْ وَنُفُورُهُم عنه عِبْرَةٌ عند العقلاء ثم هو عندَ اللهِ أسوأ حالاً خصوصاً في اليومِ الذي يَشِيْبُ فيه الاطفالُ فقد يُؤْمَرُ بِهِ إلى النارِ وله مِن الأعمالِ أمثالُ الجبالِ لكنَّهَا لَمَّا لَم يُرْد بِهَا وَجْهَ اللهِ خَالِصةً صَارَتْ وبالاً عليه نعوذُ باللهِ مِن الرِّياءِ .

اللهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ وَالاجَابَةِ وَوَفِّقْنَا لِلتَّوبَةِ النَّصُوحِ وَالانابَةِ وَثبِّتْ مَحَبَّتكَ في قُلُوبِنَا تَثْبِيْتَ الجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ آنَاءَ الليْل وَالنَّهارِ وَثبِّتْنَا على قَوْلك الثَّابتِ في الحَيَاةِ الدنيَا وفي الآخِرَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْع المُسْلِمينَ برَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ على مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

٧٤ « موعظـــة »

اعْلَمْ وَفَّقَنَا اللهُ وَايَّاكَ وَجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الخَلْقَ لِيَعْبُدُوْهُ ، وَيَعْرِفُوْهُ وَيَخْشَوْهُ وَيَخافُوهُ ، وَنَصَبَ لَهُم الأدِلَّةَ الدَّالَّةَ عَلَى عَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ لِيَهَابُوْهُ ، وَيَخَافُوهُ خَوْفَ إجْلالٍ ، وَوَصَفَ لَهُم شِدَّةَ عَذَابِهِ ، وَدَارَ عِقَابِهِ التِيْ أَعَدَّهَا لِمَنْ عَصَاهُ ، لِيَتَّقُوهُ بِصَالِحِ الأعْمَالِ ، وَلِهَذَا كَرَّرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كِتَابِهِ ذِكْرَ النَّارِ وَمَا أَعَدَّهُ فِيْهَا لأعْدَائِهِ مِنْ العَذَابِ والنَّكَالِ وَالاغْلالِ ، وَمَا احْتَوتْ عَلَيْهِ مِنْ الضَّرِيْعِ والزَّقُّومِ والحَمِيْمِ وَالسَّلاسِل والغَسَّاقِ وَالغِسْلِيْنِ ، وَغيْرِ ذَلِكَ مِمَّا فِيْهَا مِنْ الأهْوَالِ وَالفَضَائِعِ وَالعَظَائِم ، وَدَعَا عِبَادَهُ بِذَلِكَ إِلَى خشْيَتِهِ وَتَقْوَاهُ ،

وَالمُسَارَعةِ الى امْتِثالِ مَا يَأْمُر بِهِ وَيُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ ، وَاجْتِنَابِ مَا يَنْهَى عَنْهُ وَيَكْرَهُه وَيَأبَاهُ ، وَأَخْبَرَ جَلَّ وَعَلا بِأَنَّ الخَلْقَ وَارِدُوْهَا قالَ تَعَالَى ﴿ وَإِنْ مِنْكُم إِلَّا وَارِدُهَا ، كَانَ عَلَى رَبِّكَ حتْماً مَقْضِيًا ، ثم نُنَجِّيْ الذِيْنَ اتقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِيْنَ فِيْهَا جثِيًا ﴾ فأنْتَ مِنْ الوُرُودِ على يَقِيْنٍ ، وَمِنْ النَّجاةِ في شَكّ ، فَيَا أَيُّها الغَافِلُ السَّاهِيْ عَنْ نَفْسِهِ ، المَغْرُورُ بِمَا هُوَ فِيْهِ مِنْ الاشْتِغَالِ بِعَمَائِرِهِ وَأَرَاضِيْهِ وَسَيّارَاتِهِ ، وَشَركَاتِهِ وَمُقَاوَلاَتِهِ وَزَوْجَاتِهِ وَأَوْلَادِهِ ، وَكُلِّ ما يُلْهِيْهِ عنْ ذِكْرِ اللهِ وَطَاعَتِهِ ، والالتِفَاتِ الى دَارِ القَرَارِ ، دَعْ التَّفكُّرَ وَقَتْلَ الوَقْتِ فِيْمَا أَنْتَ مَرتَحِلٌ عَنْهُ ، وَجَادٌّ في السَّيْرِ عَنْهُ ، وَاصْرِفْ فِكْرَكَ فِيْمَا أَمَامَكَ فَاسْتَشْعِرْ في قَلْبِكَ هَوْلَ ذَلِكَ المَوْرِدِ ، لَعَلكَ تَسْتَعِدّ لِلنَّجَاةِ مِنْهُ وَتَأَمَّلْ في حَالِ الخَلْقِ وَقَد خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِم حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ﴿ مُهْطِعِيْنَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الكافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ تَفَكَّرْ في ازْدِحَامِ الخَلاَئِقِ وَقَدْ صَهرَتْهُم الشَّمْسُ ، إِلَّا مَنْ أَظَلَّهُ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ الا ظِلُّهُ ، وَاشْتَدَّ الكَرْبُ وَالغَمُّ من الوَهَجِ ، وتدافَعَتْ الخلائقُ لِشِدَّةِ الزِّحَامِ ، وَاخْتِلَافِ الاقْدَامِ ، وَانْضَافَ إلى ذَلِكَ شِدَّةُ الخَجَلِ وَالحَيَاءِ ، والخَوْفِ مِنْ الفَضَائِحِ وَالاخْتِزَاءِ عِندَ العَرْضِ عَلَى الجَبَّارِ ، وَقُرْبُ الشَّمْسِ مِنْ الخَلْقِ فَيَبْلُغُ عَرَقُهم في الأرْضِ سَبْعِيْنَ ذِرَاعاً ، كَمَا في حَدِيْثِ أَبِيْ هُرَيْرَةَ الذِيْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ

قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلم « يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُم في الأرْضِ سَبْعِيْنَ ذِرَاعاً » .

بسم الله الرحمن الرحيم

إعْلَمْ وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإيَّاكَ وجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ أنَّهُ لم يُؤْثَرْ عَنْ أَحَدٍ مِن السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَتَابِعِيْهِمْ بِإحْسَانٍ تَعْظِيْمَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ وَالمُوَالِيْنَ لأهْلِ البِدَعِ وَالمُنَادِيْنَ بِمُوَالاتِهِمْ ، لأنَّ أَهْلَ البِدَعِ مَرْضَى قُلُوْب ، وَيخْشَى عَلَى مَنْ خَالَطَهُمْ أو اتَّصَلَ بِهِمْ أنْ يَصِلَ إلَيْهِ مِنْ مَابِهِمْ مِن هَذا الدَّاءِ العُضَال ، لأنَّ المَرِيْضَ يُعْدِيْ الصَّحِيْحَ وَلاعَكسْ ، فَالْحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ جَمِيْع أهْلِ البدَعِ وَمِنْ أهْلِ البِدَعِ الذيْنَ يَجِبُ البُعْدُ عَنْهُمْ وَهِجْرَانُهُمْ ، الجَهْمِيَّةُ ، وَالرَّافِضَةُ ، وَالمُعْتَزِلَةُ ، وَالمَاتُرِيْدِيَّةُ ، وَالخَوَارِجُ ، وَالصُّوْفِيَّةُ ، وَالأشَاعِرَة وَمَنْ عَلَى طَرِيْقَتِهِمْ مِنَ الطَّوَائِفِ المنْحَرِفَة عَنْ طَرِيْقَةِ السَّلَفْ ، فَيَنْبَغِيْ لِلمُسْلِمِ أنْ يَحْذَرَهُمْ وَيُحَذِّرَ عَنْهُم وصلى الله على محمد وآله وسلم .



اللهم يا حي يا قيوم ياذا الجلال والاكرام أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلياء أن تعز الاسلام والمسلمين وأن تذل الشرك والمشركين وان تدمر أعداء الدين اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لى شأني كله لا إله إلا أنت.

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

اللهم إنى اسألك علماً نافعاً ورزقاً طيباً وعملاً متقبلاً يا حي يا قيوم ياذا الجلال والإكرام.

اللهم ارحم في الدنيا غربتي وارحم في القبر وحشتي وارحم في الآخرة وقوفي بين يديك.

اللهم اعتق رقبتي من النار وأوسع لي من الرزق الحلال واصرف عنى فسقة الجن والانس.

اللهم إني أسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه وظاهره و باطنه وأوله وآخره وعلانيته وسره اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والعزيمة على الرشد والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم والفوز بالجنة والنجاة من النار يا حي يا قيوم ياذا الجلال والإكرام.

اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأ برار.

ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار.

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً.

ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً.

اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء.

اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك.

اللهم إنا نعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وغلبة الدين وشماتة الأعداء.

اللهـم إنـا نـعوذ بـك مـن عـذاب جنهـم وعـذاب القبر وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال.

ربـنـا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهـم إني أعـوذ بـرضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

اللهـم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيهـا معاشي واصلح لي آخرتي التي إليها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كـل خير والموت راحـة لي من كل شر. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهـم إني اسـألـك رحمـة مـن عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء.

اللهـم طـهـر قلبي من النفاق ولساني من الكذب وعملي من الرياء وعيني من الخيانة إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

اللهـم إني أسـألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعـلـم وأعـوذ بـك مـن الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

اللهـم إني اسـألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عـلـيه وسلم وعبادك الصالحون وأعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وعبادك الصالحون.

رب قني عذابك يوم تبعث عبادك.

اللـهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل.

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا. رب اشرح لي صدري و يسر لي أمري رب اغفر خطيئتي يوم الدين.

اللـهـم أعـنـا على ذكـرك وشـكـرك وحـسن عبادتك يا حي يا قيوم ياذا الجلال والاكرام.

رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

رب أوزعني أن أشكـر نـعـمـتك التي انعمت على وعلى والدى وأن أعـمـل صـالحـاً ترضاه واصلح لى في ذريتي إنى تبت إليك وإنى من المسلمين. وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عـنـا واغـفـر لـنـا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين. آمين.

سـبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب الـعـالمين. وصلى الله على عـبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(خَاتِمَةٌ ، وَصِيَّةٌ ، نَصِيْحَةٌ)

إِعْلَم وَفقَنا اللَّهُ وإيَّاكَ وجَمِيْعِ المسلمين لما يُحِبُّهُ اللَّهُ ويَرْضاهُ أَنَّ مِمَّا يَجِبُ الاعْتِنَاءُ بِهِ حِفْظًا وعَمَلًا كلامُ اللَّهِ جَلَّ وعَلَا وكلامُ رسوله ﷺ .

وأَنهَ يَنْبَغِي لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تعالى أَنْ يَحُثَّ أَوْلَادَه على حِفْظ القُرآن وما تَيَسَّرَ مِن أَحَاديثِ النبيّ ﷺ المتفق على صحَّتِهَا عنه كالبُخَاري ومُسْلم .

ومِن الفقه مختصَرَ المقْنع لِيَتَيسَّرَ لَهُ اسْتِخْراجُ المسائل ويَجْعَلُ لأَوْلادِهِ مَا يَحُثُّهُم على ذَلِكَ .

فَمَثَلًا يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ القُرآنَ على صَدْرِهِ حِفْظًا صَحِيْحًا عَشَرَةَ آلافِ أَوْ أَزْيَد أَوْ أَقل حَسَبَ حالِهِ في الغِنَى .

ومِن الأَحَادِيث عُقودَ اللُّؤلؤ والمَرْجَان فيما اتفق عَلَيْهِ الإمَامَانِ البُخَاري ومسلم ، يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ ذَلِكَ سِتَّةَ آلاف من الرِّيالات

فإِنْ عَجَزُوا عن حِفْظِهَا فالعُمدة في الحديث يَجْعَلُ لِمَنْ حَفِظها ثلاثةَ آلافٌ أَوْ الأربعين النَّواوِيَّة ويَجْعَل لمن يَحْفَضها أَلْفاً مِن الريالات

ويَجْعَـلُ لِمَنْ يَحْفَظُ مُخْتَصَرَ المقنع في الفقه أَلْفَيْن مِن الريالاتِ فالغيبُ سَبَبٌ لحفظ المسائل وسَبَبٌ لِسُرعَةِ اسْتِخْرَاج ما أُرِيْدَ من ذَلِكَ وما أَشْكَلَ مَعْنَاهُ أَوْ يُدَخِّلُهُم في مَدَارِسِ تَحْفِيْظِ القُرآن فَمَدَارِسُ تَعْلِيْمِ القُرآنِ والسُّنَّةِ هِيَ مَدَارِسُ التَّعْلِيْمِ العَالِيْ المُمْتَازِ البَاقِي النافِعِ في الدُّنْيا والآخرَةِ .

فَمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِذَلِكَ وعَمِلَ أَوْلادُهُ بذَلِكَ كان سَبَبًا لِحُصُول الأَجرِ مِن اللَّهِ وسببًا لِبِرِّهِم به ودُعَائِهِم لَهُ إِذَا ذَكَرُوا ذَلِكَ منهُ ولَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا مُبارَكًا يَعْمَلُ به أَولادُهُ مَعَ أَولادِهم فَيَزِيْدُ الأَجْرُ لَهُ ولهُم نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوفِّقَ الجَمِيعَ لِحُسْنِ النِّيَةِ إِنَّهُ القادِرُ عَلَى ذَلِكَ وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

تمَّ هذَا الجُزْءُ الأوَّل بعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيْقِهِ وَنسْأَل اللهَ الحَيَّ القَيُّومَ العَلِيَّ العَظِيْمَ ذا الجَلَالِ والإِكْرَامِ الوَاحِدَ الأَحَدَ الفَرْدَ الصَّمَدَ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كفواً أَحَدٌ أَنْ يُعِزَّ الإِسْلَامَ والمُسْلِمِيْنَ وأَنْ يَخْذُلَ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِيْنَ وَأَعْوَانَهُمْ وأَنْ يُصْلِحَ من في صلاحه صَلاحٌ للإِسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ وَيُهْلِكَ مَنْ في هلَاكِهِ عز وصلاح للإِسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ وَأَنْ يَلُمَّ شَعَثَ المُسْلِمِيْنَ وَيَجْمَعَ شَمْلَهُمْ وَيُوَحِّدَ كَلِمَتَهُمْ وَأَنْ يَحْفَظَ بِلَادَهُمْ ويُصْلِحَ أولادَهُمْ وَيَشْفِ مَرْضَاهُمْ وَيُعَافِي مُبْتَلَاهُمْ وَيَرْحَمَ مَوْتَاهُمْ وَيَأْخُذَ بِأَيْدِيْنَا إلى كُلِّ خَيْرٍ وَيَعْصِمَنَا وإِيَّاهم مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَيَحْفَظنا وإِيَّاهم مِن كُلِّ ضُرٍ وأَنْ يَغْفِرَ لنا ولوالدينا وجميع المسلمين بِرَحْمَتِهِ إنَّه أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلى الله على محمد وعلى آله وَصَحْبِهِ أجمعين .

والله المسئول أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به نفعاً عاماً إنه سميع قريب مجيب على كل شيء قدير .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرفِ المرسلين نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين . ومَن تَبِعَهُم بإِحسان إِلى يومِ الدين وسلم تسليماً كثيراً .

عبد العزيز المحمد السلمان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سـابقـاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وقف لله تعالى)

وَمَن أرادَ طِبَاعَتِهِ إبْتِغَاءَ وَجْه الله تَعَالىٰ لا يُرِيْدُ به عرضاً مِن الدنيا ، فقد أُذِنَ لَه في ذلك وَجَزى الله خيراً مَن طَبَعَهُ وَقْفاً لله ، أوْ أعانَ على طبعِه ، أوْ تَسَبَّبَ لِطَبْعِهِ وتوزيعه على إخوانه المسلمين .

وَسَمّيتُهُ (مِفْتَاحَ الأفكارِ للتَّأهُّبِ لِدَارِ القَرَارِ)

خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد العزيز المحمد السلمان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سابقاً

الجـزء الثاني

الطبعـة الأولى

١٤١٢هـ

طُبِعَ عَلَى نَفَقَـةِ مَن يَبْتَغِي بذلك وَجْـهَ الله والدارَ الآخرةَ فَجَـزاه الله عن الإسـلام والمسلمينَ خيراً وغَفَر له ولوالديه ولمن يُعِيـدُ طِبَـاعَتَه أو يُعيْنُ عليها أو يَتَسَبَّب لها أو يُشـيرُ على مَنْ يُؤمِلُ فيه الخيـرَ أنَ يَطبَعَه وَقْـفاً لله تعـالى يُوزَّع على إخـوانِهِ المسلميـن .

اللهـم صلي على محمـد وعلى آله وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد عَظِيْمَةُ النَّفع جداً لِبَعْض العُلماء رحمهم الله تعالى :

(١)

اللّيْلُ والنَّهارُ يَعْمَلان فِيْكَ فاعْمَلْ فيهما أَعْمَالاً صَالِحَةً تُرْبَحَ وتحمَدِ العَاقِبَةَ الحَمِيْدة إن شاء الله تعالى .

(٢)

المَلائِكَةُ يَكْتُبَانِ مَا تَلفَّظُ به فاحْرَصْ عَلَى أَنْ لا تَنْطِقَ إلاَّ بِمَا يَسُرُّكَ يَوم القِيَامَةْ من ذكر الله وما وَالاه .

(٣)

إِعْلَم أَنَّ قِصَرَ الأَمَلِ عليه مَدَارٌ عظيم وحِصْنُ قِصَرِ الأَمَلِ ذِكْرُ المِوتِ وحِصْنُ حِصْنِهِ ذكر فجأة المَوتِ وَأَخْذُ الإِنسانِ على غِرَّةٍ وغَفْلةٍ وهُوَ في غُرُرٍ وفُتُورٍ عن العَملِ للآخرة . فأحفظ هذه الفوائد وأعمل بها تُفْلح وتربَحْ إن شاء الله .

شعـــــرا :

مُنَاي من الدنيا عُلُومٌ أَبُثُّهَــــا وأَنْشُرُهَا في كُلِ بادٍ وحَاضِــرِ
دُعَاءٌ إلى القُــرآن والسُنَّةِ التي تَنَاسَى رِجَالٌ ذكرها في المحَاضِــر
وَقَدْ أَبْدَلُوهَا بالجــرائد تَارةً وتِلْفَازِهم رَأْسُ الشُرور المَنَاكِــرِ
ومِذْيِاعِهم أيْضًا فلا تَنْسَ شَـــرهُ فكَمْ ضَاعَ مِن وَقْتٍ بها بالخَسَائِرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُلاحَظة :

لا يُسْمَح لأيِّ إنسانٍ أنْ يَخْتَصِرَهُ أوْ يَتَعَرَّضَ لَهُ بِمَا يُسَمُّونَه تَحْقِيْقاً لأَنَّ الإِخْتِصَارَ سَبَبٌ لِتعْطيلِ الأَصْلِ والتَّحْقِيْقَ أرَى أنَّهُ إتِهَامٌ لِلْمُؤَلِف ، ولا يُطْبع إلاَّ وَقْفاً لله تعالى على مَن يَنْتفِعُ بِهِ مِن المسلمين .

(فائدةٌ عَظِيْمَةُ النَّفَعْ لِمَنْ وَفَّقَهُ الله)

ما أَنْعَم الله على عَبْدٍ نِعْمَةً أَفْضَلَ مِنْ أنْ عَرَّفَه لَا إِلٰهَ إلا الله ، وفَهَّمَهُ مَعْنَاهَا ، وَوَفَّقَهُ لِلعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا ، والدَّعْوَةِ إلَيْهَا .

أشْرَفُ الأَشْيَاءِ قَلْبُكَ ، وَوَقْتُكَ ، فإِذَا أهْمِلْتَ قَلْبَكَ ، وَضَيَّعْتَ وَقْتَكَ ، فَمَا بَقِيَ مَعَكَ ، كُلُّ الفَوَائِدِ ذَهَبَتْ ، فانْتَبِهْ لِنَفْسِكَ »

فائدة عَظيمْةُ النَّفْعِ لِمَنْ وفَّقَهُ الله لِلْعَملِ بِهـا ، قَالَ بَعْضُ العُلمـاء رحمه الله ، مَنْ تَفَكَّر في قِصَـر العُمرُ المَعْمُوْل فِيْهِ ، وَفكرَّ في امْتِدَادِ زَمَانِ الجَزَاءِ الَّذِيْ لَا نِهايَةَ لَهُ ، اخْتَطَفَ اللَّحْظَـةَ والدَّقيْقَةَ مِنْ عُمُرِه وَانْتَهَبَهَا وعَبَّاهَا في البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ، وَزَاحَـم وَسَابَقَ إلى كل فَضِيْلَةٍ ، لَأَنَّهَا إذاَ فاتَتَ لا تُدْرَك أَبَدًا ، وقال رَحِمَهُ الله ، ولله أَقْـوام وفَّقَهُمُ الله مارَضُـوا مِنْ الْفَضَائِل إِلَّا بِتَحْصِيْـلِ جَمِيْعِهَا فَهُـمْ يُبَالِغُوْنَ في كُلِ عِلْمٍ يُقَـرِّبُهُم إلى الله ، وَيَجْتَهِـدُوْنَ فِيـهِ ، وَيُثَابِرُوْنَ عَلَى كُلَّ فَضِيْلَةٍ ، فِاَذَا ضَعُفَـتْ أَبْدانُهُـمْ عَنْ بَعْضِ ذَلِكَ قَامَـتِ النِّيَاتُ نائِبـةَ ،

إنْتَهَى

« ٧٥ » موعظة

اسْمَعْ يا مُضَيِّعَ الزَّمَانَ فيما يَنْقُصُ الايمان ، ومُعْرضاً عن الأرباح ومُتَعَرِضٌ لِلْخُسْران ، لَقَدْ سُرَّ بفِعْلِكَ الشامِتْ .

يامَنْ يَفرحُ بالعِيدِ لِتَحسِينْ لِباسه ، ويُوْقِنُ بالموتِ وما اسْتَعدَّ لِبأسِه ويَغْتَر بإخوانِه وأقرانِه وجُلَّاسِه ، وكأنه قد أمِنَ سُرْعَةَ اخْتِلاسِهْ .

ياغَافِلاً قد طُلِبْ ، ويامُخَاصِماً قد غُلِبْ ، وياواثقاً قد سُلِبْ ، إيَّاكَ والدنيا فما الدنيا بدَائمة ، لَقَدْ أبانَتْ لِلنَّواظِرِ عُيُوْبَها ، وكَشَفَتْ لِلْبَصائِرِ غُيُوبَها ، وعَدَّدَتْ على المَسَامِعِ ذُنُوبَها ، وما مَرَّتْ حتى أمرَّتْ مَشْرُوْبَهَا .

فلذاتُها مِثْلُ لمعَانِ البَرْقْ ومُصِيْبَتُها واسِعَةُ الخَرْقْ ، سَوَّتْ عَوَاقِبُهَا بَيْنَ سُلطانِ الغرب والشرق ، فما نجا منها ذو عَدَدْ ، ولا سلم فيها صاحبُ عُدَدْ ، مَزَّقَت الكُلَّ بكَفِّ البُدَدْ ثم وَلَّتْ فما الْوَتْ على أحَدْ .

قال ﷺ « سبعة يُظِلُّهُم الله في ظِلِّه منهم رجل دَعَتْه امرأةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجمالٍ فقال إني أخافُ الله » .

اسْمَعْ يامَنْ أجَابَ عَجُوزاً هَتْماً عَمْيَا صَمًّا جَرْبَا سَوداءَ شَوْهَاء مُقْعَدَةً على مَزْبَلَة ولكِنْ غُلَبَتْ عليكَ مَحَبَّتُهَا عُرِضَتْ على النبي ﷺ بَطْحَاءُ مَكَّةَ ذَهَبا فأبى أنْ يَقْبَلَها .

مَا هذه الدنيـــا بدَارِ مَسَرةٍ	فَتَخَوَّفي مَكْراً لهَا وخِدَاعَـــا
بَيْنَا الفَتى فيْهَا يُسَرُّ بنفْسِـــه	وبِمالِه يَسْتَمْتِـعُ اسْتِمْتَاعَـــا
حَتَّى سَقَتْهُ مِن المنِيةِ شَـــرْبةً	وحَمَتْه فيه بَعْدَ ذَاكَ رَضَاعَـــا

فَغَداً بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ رَهِينَــــةً   لا يَسْتَطِيعُ لِمَــا عَرَتْهُ دِفَاعَـــا
لَوْ كَانَ يَنْطِقُ قَالَ مَنْ تَحْتَ الثَّرى   فَلْيُحْسِنِ العَمَلَ الفَتَى مَا اسْطَاعَا

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الإِيمَانِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِيهَا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْـرَكَ وَارْزُقْنَا حُبَّ أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضَ أَعْدَائِكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٧٦ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ مَاهَذَا التَّكَاسُلُ عَنِ الطَّاعَـاتِ وَزَرْعُ الأَعْمَارِ قَـدْ دَنَا لِلْحَصَادِ وَمَا هَذَا التَّبَاعُدُ وَمُدَدُ الأَيَّامِ قَدْ قَارَبَتْ لِلنَّفَادِ ، وَمَا هَذَا التغـافلُ والتَّكَاسُلُ عَنْ إِعْدَادِ الزَّادِ لِيَوْمِ المَعَادِ .

تَـزَوَّدْ لِـلَّذِي لاَ بُـدَّ مِـنْـهُ
فَـإِنَّ الـمَـوْتَ مِـيـقَـاتُ الْـعِـبَـادِ

يَـسُـرُّكَ أَنْ تَـكُـونَ رَفِـيْـقَ قَـوْمٍ
لَـهُـمْ زَادٌ وأَنْـتَ بِـغَـيْـرِ زَادِ

عِبَادَ اللَّهِ أَيْنَ الْحَسَرَاتُ عَلَى فَوْتِ أَمْسِ أَيْنَ الْعَبَرَاتُ عَلَى مُقَاسَاتِ الرَّمْسِ أَيْنَ الأَسْتِعْدَادُ لِيَوْمٍ تَدْنُو فِيهِ مِنْكُمُ الشَّمْسُ ، « وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ » .

يَا مَنْ مَشِيبُهُ أَتَى وَشَبَابُه إِضْمَحَلَّ وَخَبَى، مَتَى تَتَضَرَّعَ إِلَى مَوْلاَكَ وَتَقِفُ بِالْبَابِ ، أَمَا اعْتَبَرْتَ بِالرَّاحِلِيْنَ مِنَ الأَقَارِبِ وَالْجِيْرَانِ والزُّمَلاَءِ

وَالأَحْبَابِ ، أَمَا قَرَعَ سَمْعَكَ ﴿ إعْلَمُوا أنما الْحَيَاةُ الدّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْو وَزِيْنَةٌ وَتفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ والأَوْلاَدِ ﴾ الآيةْ .

كَيْفَ حَالُكَ إذَا بَلَغَتِ الرّوْحُ التَّرَاقِ وَقَطَّعَتِ الْحَسَرَاتُ وَالنَّدَمُ عَلاَئِقَ الأَكْبَادِ وَوُضِعْتَ فِي بَيْتِ الظُّلْمَةِ والدُّودِ وَالْوَحْدَةِ وَلاَ وَلِيٌّ لَكَ مِنَ اللّهِ وَلاَ نَاصِرٌ وَضُوعِفَ الْعَذَابُ وَقِيْلَ لِلظَالِمِيْنَ ذُوْقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُون .

كَيْفَ أَنْتَ إذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُوْرِ وَكُلُّ إنْسَانٍ أَلْزِمَ طَائِرَهُ فِي عُنقِهْ يَوْمَ النّشُوْرِ وَحُرِّرَ الْحِسَابُ بَيْنَ يَدَي سَرِيْعِ الْحِسَابِ عَالِمْ السّرِّ والْخفِيَّاتِ وَالْجَلِيَاتِ وَنُصِبَ المِيْزَانُ ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِيْنُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُوْنَ•وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِيْنُهُ فَأولئِكَ الّذِينَ خَسِرُوا أنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بآياتنا يَظْلِمُونْ ﴾ .

اللّهُمَّ أيْقِضْ قُلُوبَنَا وَنَوِّرْهَا بِنُورِ الايْمَان وَثَبِّتْ مَحبَّتكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنا الْمَعْرِفَةَ بِكَ عَنْ بَصِيْرَةٍ وَأَلْهِمْنَا ذِكْـرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفّقْنـا لِطَاعَتِكَ وَامْتِثَالِ أَمْرِكْ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلّى اللّهُ عَلى مُحَمّدٍ وآلِهِ وَصَحْبِهِ اجْمَعِيْن .

٧٧ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللّهِ لَقَدْ امْتَلأتْ الأرْضِ مِنْ الشَّرُّ وَوَسَائِلِهِ . وَضَجّتْ وَمَا فِيْهَا مِمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ المعَاصِيْ الانْسَانَ وَإنْ شِئْتَ فَزُرْ أيْ جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِ العَالَمِ تَرَى مَا يَتقطّعُ لهُ قَلْبُكَ حَسَرَاتٍ افْتَتَنَ النّاسُ بِزخارِفِ الدُّنيَا فاسْتَوْلَتْ عَلى قُلُوبِهِمْ وَمَلَكتْهَا فنَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ واَصْبَحتْ المعَاصِيْ أمْراً مَأْلُوفا عِنْدَ كَثِيْرٍ مِنْ النَّاسِ وَغُلِبَ المَسْتَقِيْمُوْنَ عَلى امْرِهِمْ فَلَمْ

يَسْتَطِيْعُوا إزالَتَهَا فَتمادىٰ المُجْرِمُوْنَ عَلَى انْتِهَاكِ الآدابِ فتَفَاقَمَ الخَطْبُ ثمَّ تفَاقُمَ إلىَ أنْ التَهَبَتْ الدُّنْيَا بالموبقَاتِ خَفَّ الزِّنَى الذِيْ هُوَ مِنْ كبَائِرِ الذنُوبِ حَتَّى صَارَ الغَيُورُ المنْكِرُ لهُ المقَبِّحُ يُسَمَّى رَجْعِيّاً لا يَعْرِفُ الحُرِّيَّةَ مَعَ أنَّ الزِّنَى مِنْ بَيْنِ المَعَاصِيْ عَارٌ تَسْوَدُّ لهُ الوُجُوْهُ ، وَتَنْتَكِسُ لـهُ الرُّؤوسُ ، وَتَنْهَدِمُ بِهِ بيُوتُ المَجْدِ العَالِيَةِ ، وهَانَ التَّعَامُلُ بالرِّبَا مَعَ أنَهُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ المعَاصِيْ قَدْ تَوَعَّدَ اللهُ فَاعِلَه المُسْتَمِرُّ عَلَى التعَامُلِ بِه بالحَرْبِ وقارَفَ كثِيْرٌ مِنْ النَّاسِ المُسْكِرَاتِ مَعَ أنَّ الخَمْرَ أُمُّ الخبَائِثِ وَهَذِهِ شَهَادَةُ الزُّوْرِ قَدْ هَانَتْ مَعَ أنها مِنْ عَظَائِمِ الذُّنُوبِ وهذِه فاحِشَةُ اللُّوَاطِ قَدْ انْتَشَرَتْ انْتِشَارَ الوَبَاءِ ، مَعَ أنّ القُرْآنَ يَحْكِيْ عَنْ أمَّةٍ كانَتْ تَفْعَلُ ذلِكَ أنها خُسِفَ بِهَا ، وَأمْطِرَتْ عَلَيْهَا حِجَارَةٌ مِنْ سِجِّيْلٍ وَأَمَّا الأَرْضُ فَهَانَ اغْتِصَابُهَا مَعَ أَنَّ المُغْتَصَبَ يَكُوْنُ طَوْقاً لمغْتَصِبِه في دَارِ الانْتِقَامِ ، وأمَّا الأمْوَالُ والأعْرَاضُ فَحدِّثْ عَنْ الاسْتِخفافِ بهَا وَانْتِهَاكِهَا وَلا حَرَجَ وهَذَا الغِشُّ قدْ صَارَ عَادَةً لا يكَادُ يَسْلِمِ مِنْهُ مُعَامِلٌ مَعَ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قالَ « مَنْ غشَّنَا فَلْيْسَ مِنَّا » وَهَذا حَلْقُ اللِّحْيَةِ قَدْ أَصْبَحَ عِنْدَ كثِيْرٌ مِنْ النَّاس كَأنهُ وَاجِبٌ مَعَ أمْرِ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عليه وسلم بإغفائها هذا وأضْعَاف أضْعَافِه حَاصِل في هَذا العَصْرِ المظلم الذي عَادَتْ فِيه غُرْبَةُ الدِّين .

نَسْألُ اللَّهَ أن يُوْقظ ولاتَنَا فيَأخُذُوا على أيْدِيْ السُّفَهَاءِ منَّا ويُزيْلَ مَا حَدَث مِنْ هَذِهِ المنْكَرَاتِ ، وأنْ يُوَفقنا وَجَمِيْع المُسلمين لطاعته ، ويتوفّانا مُسْلِمْـينَ ، وَيُلحِقَنـا بعبَـادهِ الصَّـالِحِـينَ ، ويَغْفِـرَ لنَـا ولوَالِدِيْنَا وَلجميع المسلمينَ ، ويَرْحَمَنا برحْمَتهِ أنَّهُ أرْحَمُ الرَّاحِمين ، وصَلَّى اللَّهُ على مُحَمَّدٍ وَعلى آلهِ وصَحْبهِ أجْمَعِيْنَ .

٧٨ مـوعظـة

عِبَادَ اللهِ ذَنْبُ اللُّوَاطِ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ يُغْضِبُ رَبَّ العِبَادِ إنَّهَا لفاحِشَةٌ يَضِيْقُ بِهَا الفَضَا وَتَعِجّ لهَا السَّمَاءُ وَيَحِلُّ بِهَا البَلاَءُ فَكَشْفُ حَالٍ ، وَسُوءُ مآلٍ ، وَدَاءٌ عُضَالٌ وَقُبْحُ أَفْعَال وَعَيْبٌ دُوْنَهُ سَائِرُ العُيُوبِ ، عَيْبٌ تَمُوتُ بِهِ الفَضِيْلَةُ ، وَتَحْيَا بِهِ الرَّذِيْلَةُ وَتَتَفتَّتُ عَلى أَهْلِهَا الأكْبَادُ ، وَتَذُوبُ مِنْ أَجْلِهَا حَيَاةُ القُلُوبِ ، فَعَمَلٌ مَسْبُـوبٌ ، وَوَضْعٌ مَقْلُوبٌ ، وَفَاعِلٌ مَلْعُونٌ ، وَمَفْعُولٌ بِهِ عَلَيْهِ مَغْضُـوبٌ ، وَخُلُقٌ فاسِـدٌ ، وَشَرَفٌ مَسْلُوبٌ ، وَعِرَضٌ مُمَزَّقٌ ، وَكَرَامَةٌ مَعْدُومَةٌ ، وَزُهْرِيٌّ ؛ وَجَرَبٌ ، ذُوْ أَلْوانٍ ، وَقَذَرٌ وَانْتَانٌ ، وَوَسَاخَةٌ دُوْنَها كُلُّ وَسَاخةٍ ، اللهُمَّ إنَّ في هَذِهِ الفِعْلَةِ الشَّنِيْعَةِ مِنْ الخِزْيِ والعَار مَا لا تُطِيْقُهُ الطِّبَاعُ السَّلِيْمَةِ ، كَانَتْ أُمَّةٌ قَدِيْمٌ عَصْرُهَا ، بَاقٍ ذِكْرُهَا ، كَثِيْرٌ شَرُّهَا تَسْكُنُ بَيْنَ الحِجَازِ وَالشَّامِ ، تَرْتَكِبُ هَذِهِ الفاحِشَةَ الشَّنِيْعَةَ ، وَالجَرِيْمَةَ الفظيعةَ عَلناً ، في نَوَادِيْهِم وَيَذرُونَ مَا خَلقَ اللهُ مِنْ أَزْوَاجٍ ، وَلاَ يُبَالُونَ بِمَنْ يَعْتَبُ عليهم ، وَيُشَنِّعُ عَليهم وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ اللُّوَّامِ ، فَبَعَثَ اللهُ إِلَيْهِم لُوْطاً عَلَيْهِ وَعلى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلامِ فَدَعَاهُم إلَى التَّوْحِيْدِ ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ وَحَذَّرَهُمْ مِنْ فِعْلِ فَاحِشَةِ اللوَاطِ ، وَبَالَغَ في انذارِهِم ، وَتَحْذِيْرِهِم ، وَكَانَ الجَزَاءُ والجَوابُ مِنْهُم عَلَى هَذِهِ النَّصِيْحَةِ أَنْ قَالُوا « أَخرِجُوا آلَ لُوْطٍ مِنْ قَرْيَتِكُم إِنَّهُم أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ » وَمَقْصُودُ هَؤُلاَءِ الأشْقِيَاءِ بِهَذَا الوَصْفِ السُّخْرِيَةِ ، وَالتَّهكم ، بِلُوطٍ وَمَنْ مَعَهُ ، وَهَذَا كَمَا يَقُولُه الفُسَّاقُ والمُرَجَةُ المُعَاصِرُونَ ، لِبَعْضِ الصُّلَحَاءِ إذَا أَنْكَرُوا عَلَيْهِم ، وَوَعَظُوهُم ، أَخرِجُوا عَنَّا هَذَا المُتَدَيِّنُ ، أَوْ هَذَا المُتَزَهِّدُ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا باللهِ العَزِيْزِ الحَمِيْدِ .

وَلا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُم
بِهِنَّ فُلُولٌ مِن قِرَاعِ الكَتَائِبِ

فَقُلِبَتْ مَدِيْنَتُهُم وَأُتْبِعُوا بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيْل مُسَوَّمَةً عِنْدَ اللهِ لِلمُسْرِفِيْنَ أَيُّهَا المُسْلِمُ أَتدْرِيْ لِماذا ذَكَرَ اللهُ أَخْبَارَهُم في كِتَابِهِ العَظِيْمِ وعلى لِسَانِ نَبِيِّهِ الكَرِيْمِ إِنَّهُ واللهُ أَعْلَمُ لِنَعْتَبِرَ بِمَا أَصَابَهُمْ ، وَنَحْذَرَ كُلَّ الحَذَرِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ الحَالِ ، وَقُبْحِ الفِعَالِ ، قَالَ اللهُ تَعالَى «وَمَا هِيَ مِنْ الظَّالِمِيْنَ بِبَعِيْد» سُبْحَانَ اللهِ كَيْفَ يَقَعُ ذَكَرٌ عَلَى ذَكَرٍ وُهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا يَرَاهُ . وَقَدْ نَهَاهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ مُخَالَفَةِ العَقْلِ ، وَالدِّيْنِ ، وَمَا فِيْهِ مِنْ مَرَضٍ خَطِيْرٍ ، وَشَرٍّ مُسْتَطِيْرٍ ، وَخِزْيٍ ، وَعَارٍ ، هَذَا بِالحَقِيْقَةِ فِعْلٌ تَتَرَفَّعُ عَنْهُ طِبَاعُ الكِلَابِ . وَالبِغَالِ ، وَالحَمِيْرِ بَلْ وَالقِرَدَةِ وَالخَنَازِيْرِ ، وَما ظَهَرَ اللِّوَاطُ في أمَّةٍ إِلَّا أُذِلَّتْ وَأُخْزِيَتْ ، وَسُلِبَ عِزُّهَا ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِهْلاكَ قَرْيَةٍ فَسَقَ فِيْهَا المُتْرَفُونَ فاسْتَحَقَّتَ الخَرَابَ وَالدَّمَارَ ، قَالَ اللهُ تَعالَى ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيْهَا فَفَسَقُوا فِيْهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا القَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيْرًا ﴾ فَانْتَبِهُوا أَيُّها الأَخْوَانُ وَتَنَاصَحُوا وَاحْفَظُوا أَوْلَادَكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مَسْئُولُون عَنْهُمْ وَعَنْ هُمَالِكُمْ لَهُمْ اَحْرِصُوا عَلَيْهِمْ فَوْقَ حِرْصِكُمْ عَلَى أَمْوَالِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَنْجُوا مِنْ التَّبُعَاتِ وَتَسْلَمُوا مِنْ العُقُوبَاتِ جَعَلَنَا اللهُ وَاِيَّاكُم مِمَّنْ إذَا خُوِّفَ باللهِ نَدِمَ وَخَافَ وَرَزَقَنَا وَاِيَّاكُمْ مِنْ الانَابَةِ وَالأَنْصَافِ مَا يُلْحِقُنَا بِصَالِحِ الأَسْلَافِ وَغَفَرَ لَنَا وَلَكُمْ وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيْمٌ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٧٩ موعظـــة

عِبَادَ اللهِ انَّ النَّاسَ لم يُقَدِّرُوْا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَلَمْ يَعْرِفُوهُ المَعْرِفَةُ التِي تَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَلَو عَرَفُوهُ هَذِهِ المَعْرِفَةَ وَقَدَّرُوْهُ مَا صَدَّقَ العَقْلُ أنْ يَكُونُوا بِهَذِهِ الحَالِ ، إنّ العَارِفَ بِاللّهِ تَعالَى يَخْشَاهُ ، فَتَعْقِلُهُ هَذِهِ الخَشْيَةُ عَمَّا لَا يَنْبَغِي مِنْ الأفْعَالِ كَيْفَ لَا وَهَذَا القُرْآنُ يَقُولُ ﴿ إِنَّمَا يخشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ ﴾ العَارِفُ باللهِ تَعَالَى لَا يَجْرُؤُ أنْ يُحَرِّكَ لِسَانَهُ بِكَلِمَةٍ مِنَ المُنْكَرَاتِ لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَسْمَعُ السِّرَّ وَالنَّجْوى، وَلَا يَجْرُؤ أنْ يَسْتَعْمِل عُضْواً مِنْ أعْضَائِهِ في عَمَلٍ لَيْسَ بِحَلَالٍ ، لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ أنَّ الله تَعالَى يَرَاهُ مَهْمَا اخْتَفَى وَاجْتَهَدَ في الاخْتِفَاءِ ، وَكَذَلِكَ لا يُقْدِمُ وَيَعْزِمْ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ مِنْ المُحَرَّمَاتِ ، لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ بِوَعِيْدِ اللهِ عَلَى مَنْ اجْتَرَأ وَانْتَهَكَ المَحْظُوراتِ ، العَارِفُ باللهِ حَقّ المَعْرِفَةِ لا يَنْطَوِيْ عَلَى رَذِيْلَةٍ كالكِبْرِ والعُجْبِ وَالحِقْدِ وَالنِّفَاقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الرَّذَائِلِ المَمْقُوتَاتِ ، لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ أنّ مَا فِي قَلْبِهِ لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، فَلَا يَسْتَرِيْحُ حَتَّى يَكُونَ بَاطِنُهُ كَظَاهِرِهِ مُطَهَّراً مِنَ الفَوَاحِشِ ، وَكَذَلِكَ لا يَتَعَامَلُ بالرِّبا وَيَبْتَعِدُ كُلَّ البُعْدِ عَنْ الرِّيَاءِ ونَحْوِهِمَا مِنْ المُحَرَّمَاتِ ، وَكَذَلِكَ لَا تَسْمَعُ مِنْ فَمِهِ عِنْدَ نُزُولِ البَلَا إلا الحَسَنَ الجَمِيْلَ ، فَلَا يَغْضَبُ لِمَوْتِ عَزِيْزٍ أَوْ فَقْدِ مَالٍ ، أَوْ مَرَضٍ شَدِيْدٍ ، لأنَّهُ يَعْلَمُ أنَّ غَضَبَهُ يَتَوجَّهُ إلَى الحَكِيْمِ العِلَيْمِ اللَّطِيْفِ الخَبِيْرِ ، وَلَا يَصْدُرُ مِنْ العَارِفِ باللهِ حَسَدٌ لِخَلْقِ اللهِ عَلَى مَا أَوْلَاهُم مِنْ نِعْمَةٍ ، لأَنَّهُ يُؤْمِنُ أنَّ اللهَ قَسَّمَ النِّعَمَ بَيْنَ عِبَادِهِ وَلَيْسَ لِقِسْمَتِهِ رَادٌّ ، وَكَذَلِكَ العَارِفُ لَا يَيْأَسْ مِنْ زَوَالِ شِدَّةٍ مَهْمَا تَعَقَّدَتْ وَاسْتَحْكَمَتْ ، وَلَا يَيْأسُ مِنْ

حُصُولِ خَيْرٍ مَهْمَا سَمَا وَابْتَعَدَ ، لأَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ الأُمُورَ كُلهَا بيد اللهِ الَّذِي إِذَا أَرَادَ شَيْئاً قَالَ لَهُ كُنْ فَكَانَ ، العَارِفُ باللهِ لَا يُقَنِّطَ المؤمِنُ العَاصِيَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، وَلَا يُؤَمِّنُ المُحْسِنَ ، لَكِنَّهُ يَرْجُوْ لِلْمُحْسِنِ وَيَخَافُ عَلَى المِسِيءِ ، العَارِفُ باللهِ لا يَغُشُّ مُؤْمِناً ، وَلَا يُسِيءُ إِلَى الجَارِ وَقِسْ عَلَى ذَلِكَ البَاقِيْ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا المَوْضُوْعِ : اللَّهُمَّ جُدْ عَلَيْنَا بِكَرَمِكَ ، وَأَفِضْ عَلَيْنَا مِنْ نِعَمِكَ ، وَتَغَمَّدْنَا بِرَحْمَتِكَ الوَاسِعَةِ وَعَامِلْنَا بِرَأفَتِكَ ، وَوَفِقْنَا لِخِدْمَتِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٨٠، « موعظة »

عبادَ اللَّهِ إِنَّ أَمَامَكُم يَومٌ لا كَالأَيّامِ يَومٌ فِيهِ مِن الأَهْوَالِ والشَّدائِدِ والكُرُوْبِ ما يُشَيِّبُ الوِالْدَانَ وتَذْهَلُ فِيه المُرْضِعَةُ عَمَّا أَرْضَعَتْ يَوْمٌ يَتَغَيَّر فيهِ العَالَمُ ويَنْتَهِي نِظَامُهُ الذي نَرَاهُ .

فَتَنْتَثِرُ الكَوَاكِبُ وتَتَساقَطُ وتُطْوَى السَّمَاءُ كَطَيِ السِّجِلِ لِلْكُتُبِ يُزِيْلُهَا اللَّهُ وتُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وتُمِدُّ كما أَخْبَرَ اللَّهُ تعالى ويُنْفَخُ في الصُّوْرِ فَيَقُومُ الناسُ مِن قُبُورِهِم لِرَبِ العَالَمِين .

وحِيْنَئِذٍ يُحْشَرُ الكَافِرُ أَعْمَى لا يُبْصِرُ أَصَمَّ لا يَسْمَعُ أَبْكَمُ لا يَنْطِقُ يَمْشِي عَلَى وَجْهِهِ لِيَعْلَمَ مِن أَوَّلِ الأَمر أَنَّهُ مِن أَهْلِ الإِهَانَةِ ويَكُونُ أَسْوَدَ الوَجْهِ أَزْرَقَ العَيْنَيْنِ في مُنْتَهَى العَطَشِ في يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِيْنَ ألفَ سَنَةٌ لَيْسَ بَيْنَهُ وبَيْنَ الشَّمْسِ إلا مِقْدَارُ مِيْلٍ .

إِذْ ذَاكَ يِقِفُ مَبْهُوْتاً ذَاهِلَ العَقْلِ شَاخِصَ البَصَرِ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ تُرَاباً ثُمَّ

يُؤْمَرُ بِهِ إِلى النَّارِ ويُسْلَكُ في سِلْسِلةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً وَبَعْدَ دُخُولِهِ فِيْهَا لا يَخْرُجُ مِنَها أَبَداً وَلاَ يُزَدادُ إِلاَّ عَذَاباً ولا يُفَتَّرُ عنه .

إن اسْتَغَاثَ يُغَاثُ بِمَاءٍ كَالمُهْلِ يَشْوِيْ الوُجُوْهَ ويُذِيْبُ الأَمْعَاءَ وَيُحْرِقُ الجُلُوْدَ تُحِيْطُ بِهِ النارُ مِن كُلِ جِهَاتِهِ لَهُمْ مِن جَهَنَّمَ مَهِادٌ ومِن فَوْقِهِم غَواشٍ كُلَّما نَضِجَ جِلْدُهُ بُدِّلَ جِلْداً غَيْرَهُ .

وَكُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا قُمِعَ بمَقَامِعَ مِن حَدِيْدٍ كُلُ هَذَا العَذَابَ يُعَانِيْهِ ولا يَمُوْتُ« وَيَأتِيْهِ المَوتُ مِن كُلِ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ومِن وَرَائِهِ عذابٌ غَلِيْظٌ » لا يَمُوتُ فِيْهَا ولا يَحْيَا وسَواءٌ صَبَرَ أَمْ لَمْ يَصْبِرْ هُوَ خَالِدٌ في جَهَنَّمَ خُلُوداً لا انْتِهَاءَ لَهُ أَبَدَا .

عَنْ أَبي هُرَيْرةَ رَضِيْ اللَّهُ عَنْه أَنَّ رَسُوْلَ اللَّه ﷺ أَتِيَ بَفَرسٍ يَجْعَلُ كُلَّ خَطْوٍ مِنْهُ أَقْصَى بَصَرَهُ فَسَارَ وَسَارَ مَعَهُ جِبْرِيْلُ عليه السلامُ .

فأتَى عَلىَ قَوْمٍ يَزْرَعُونَ في يَوْمٍ وَيَحْصُدُوْنَ في يَومٍ كُلَّمَا حَصَدُوْا عَادَ كَمَا كَانَ فقالَ يَا جِبْرِيْلُ مَنْ هَؤُلآءِ قال هَؤُلآءِ المُجَاهِدُوْنَ في سَبْيلِ اللَّهِ تُضَاعَفُ لَهُمُ الحَسَنَةُ بسَبْعِمِائَةِ ضَعْفٍ وما أَنْفَقُوا مِن شيءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ .

ثُمَّ أَتى عَلَى قَوْمٍ ترضَخُ رُؤُوسُهُمْ بِالصَّخْرِ كُلَّمَا رُضِخَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ وَلاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ قَالَ يا جِبْرِيْلُ مَن هَؤُلاءِ قَالَ هَؤُلاءِ الّذِينَ تَثَاقَلَتْ رُؤُوسُهُمْ عَنِ الصَّلاَة .

ثُمَّ أَتى عَلىَ قَوْمٍ عَلَى أَدْبَارِهِم رِقَاعٌ وعَلَى أَقْبَالِهِم رَقَاعٌ يَسْرَحُونَ كَمَا تَسْرَحُ الأَنْعَامُ إِلى الضَّرِيْعِ والزَّقومِ وَرَضَفِ جَهَنَّمَ قالَ مَا هَؤُلآءِ يا جِبْرِيْلُ قال هَؤُلآءِ الذينَ لا يُؤَدُّوْنَ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِم وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ومَا اللَّهُ بظلام

لِلْعَبِيْدِ .

ثُمَّ أَتَى عَلَى رَجُلٍ قَدْ جمعَ حُزْمَةً عَظِيْمَةً لاَ يَسْتَطِيْعُ حَمْلَهَا وهُوَ يُرِيْدُ أنْ يَزِيْدَ عَلَيْهَا قالَ يَا جِبْرِيْلُ مَا هَذَا قال هَذَا رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِكَ عَليهِ أمَانَةُ الناسِ لا يَسْتَطِيْعُ أدَاءَهَا وهُوَ يُرِيْدُ أَنْ يَزِيْدَ عَلَيْهَا .

ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ وَأَلْسِنَتُهُم بمَقَارِيْضَ مِن حَدِيْدٍ كُلَّمَا قُرِضَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ لا يُفتّرُ عَنْهُم مِن ذَلكَ شَيْء قال يا جِبْرِيْلُ مَا هَؤُلاَءِ : قالَ خُطَبَآءُ الفِتْنَةِ .

ثُمَّ أَتَى عَلَى جُحْرٍ صَغِيرٍ يَخْرُجُ مِنْهُ ثَوْرٌ عَظِيْمٌ فَيرِيْدُ الثَّوْرُ أَنْ يَدْخُلَ مِن حَيْثُ خَرَجَ فلاَ يَسْتَطِيْعُ قالَ مَاهَذايَا جِبْرِيلُ قَالَ هَذَا الرَّجلُ يَتَكَلَّم بالكَلِمَةِ العَظِيْمَةِ فَيَنْدَمُ عَلَيْهَا فَيُرِيْدُ أَنْ يَرُدَّهَا فَلاَ يَسْتَطِيْعُ .

ثَمَّ أَتَى عَلَى وَادٍ فَوَجَدَ رِيْحاً طَيِّبَةٍ وَوَجَدَ رِيْحَ مِسْكٍ مَعَ صَوْتٍ فقالَ مَا هَذَا قالَ صَوْتُ الجَنةِ تَقُولُ يَا ربُّ ائْتِنِي بأَهْلِي وبِمَا وَعَدْتَنِي فَقَدْ كَثُرَ غَرْسِيْ وحَرِيْرِيْ وسُنْدُسِيْ وَإِسْتَبْرَقِي وعَبْقَرَيّي ومُرْجَانِي وفِضَّتِيْ وذَهَبِي وأَكْوَابِي وصِحَافِي وأَبَارِيْقِي وفَوَاكِهِيْ وعَسَلِيْ ومَائِيْ ولَبَنِيْ وخَمْرِيْ ائتِني بِمَا وَعَدْتَنِي .

قال لَكِ كُلُّ مُسْلِمٍ ومُسْلِمَةٍ ومُؤْمِنٍ ومُؤْمِنَةٍ وَمَنْ آمَنَ بِي وبِرُسُلِي وعَمِلَ صَالِحاً ولَمْ يُشْرِكْ شَيْئاً ولَمْ يَتخِذْ مِن دُوْنِي أنداداً فهُوَ آمِنٌ ومَن سَأَلَنِي أعْطَيْتُهُ ومَنْ أقْرَضَنِيْ جَزَيْتُهُ ومَن تَوكَّلَ عَليَّ كَفَيْتُهُ إِنِيْ أَنَا اللّهُ لاَ إله إلاَّ أنَا لاَ خُلْفَ لِمِيْعَادِيْ قَدْ أَفْلَحَ المؤمِنُوْنَ تَبَارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِيْن فَقالَتْ رَضِيْتُ . ثُم أَتَى عَلَى وادٍ فَسَمِعَ صَوْتاً مُنْكِراً فَقَالَ يَا جِبْرِيْلُ مَا هَذَا الصَّوْتُ قَالَ

هَذَا صَوْتُ جَهَنَّمَ تَقُولُ يَا رَبُّ ائْتِنِيْ بأَهْلِيْ وبِمَا وَعَدْتَنِي فَقَدْ كَثُرَتْ سَلاسِلِيْ وأَغْلاَلِيْ وسَعِيْرِيْ وَحَمِيْمِيْ وَغَسَاقِي وغِسْلِيْنِي وَقَدْ بَعْدَ قعْرِيْ واشْتَدَّ حَرِّيْ ائتِنِيْ بِمَا وَعَدْتَنِيْ قال لَكِ كُلُ مُشْرِكٍ وَمُشْرِكَةٍ وخَبِيْثٍ وخَبِيْثَةٍ وكُلُ جَبَّارٍ لا يُؤْمنُ بِيَوْمِ الحِسَابِ قالَتْ قَدْ رَضِيْتُ رواه البزارُ عن أبي العالِيَةِ ـ أو غيرِهِ ـ عن أبي هَريرَةِ فيِ الترغيب والترهيب جـ ٤ ص ٤٥٤ في كتاب صفة الجنة والنار .

عن أبي سَعِيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه عن النبي ﷺ قال « وَيْلٌ وَادٍ في جَهَنَّمَ يَهْوِيْ فِيْهِ الكَافِرُ أَرْبَعِيْنَ خَرِيْفاً قَبْلَ أنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ .

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عن النَّبِيِّ ﷺ قال في قوله سَأرْهِقُهُ صَعُودَا » قال : « جَبَلٌ مِن نَارٍ يُكَلَّفُ الكَافِرُ أَنْ يَصْعَدَهُ فاذَا وَضَعَ يَدَهُ عليهِ ذَابَتْ فإذا رَفَعَهَا عَادَتْ وإذا وَضَعَ رِجْلَهُ عَلَيهِ ذَابَتْ فإذَا رَفَعَهَا عَادَتْ يَصْعَدُ سَبْعِيْنَ خَرِيفَا ثم يَهْوِيْ كذلك رواه أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد .

اللهم ثَبِّتْ قَوَاعِدَ الايمانِ في قُلُوبنا وشَيِّدْ فِيْهَا بُنْيَانَهُ وَوَطِّدْ فِيها أرْكَانَهُ وألْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ وَوَفِّقْنَا بِطَاعَتِكَ وامْتِثالِ أمْرِكَ وآتِنَا في الدُنْيا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وقِنَا عذابَ النارِ واغْفِرْ لَنَا ولِوَالدينا وجَميعِ المسلمينَ برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

٨١ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللهِ نَحْنُ فِي زَمَنٍ لا نُسِيءُ إذا عَدَدْنَا أكْثَرَ أهْله مِن ضُعَفَاءِ المُتَدَيِّنِيْنَ الذين غَلَبَتْ عليهم المدَاهَنةُ ، والتَّمَلُّقُ ، وَالكَذِبُ ، رَاجِعْ حَالَ السَّلَفِ المؤمنين حَقّاً وَانْظُرْ حَالَنا اليَوْمَ ، تَعْجَبُ مِن الفَرْقِ المُبِيْنِ .

كانَ هَذا المالُ بأَيْدِيهِمْ بكَثْرَةٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ لاَ يَدُورُ عَلَيْهِ الحَوْلُ ، لأَنَّهُم نَصْبَ أعيُنِهِم قَولهُ تَعَالَى ﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأتي أَحَدَكُم الموتُ فَيَقُول ربِّ لولاَ أَخَّرْتَنِيْ إلى أَجَلٍ قَرِيْبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ من الصَّالِحِين ﴾ وقولُه تَعالى ﴿ الذِيْنَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالهم بالليلِ والنَّهارِ سِرّاً وَعَلانيةً فلهم أَجْرُهُم عند رَبِّهم وَلا خَوْفٌ عليهم ولا هُم يَحْزَنُونَ ﴾ .

مُطْمَئِنِّينَ إلى قولِه تَعالى ﴿ ومَا أنفَقْتُم مِن شَيءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِيْنَ ﴾ كَانُوا أَذَا وَصَلَ إليهم المالُ يُصِيْبُهم قَلَقٌ حَتَّى يَتَصَدَّقُوا به عَلى حَدِّ

قولِ الشَّاعِر :

قَالَتْ طُرَيْفَةُ لاَ تَبْقَى دَرَاهِمُنَا
وَمَا بِنَا سَلَفٌ فِيْهَا وَلاَ خَرَقُ
لَكِنْ أَذَا اجْتَمَعَتْ يَوْماً دَرَاهِمُنَا
ظَلَّتْ أَلى طُرُقِ المَعْرُوفِ تَسْتَبِقُ
لاَ يَأْلَفُ الدِّرْهَمْ المَضْرُوبُ صُرَّتَنَا
لكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقُ

آخر :

أَلَمْ تَرَى أنَّ المَالَ يُهْلِكُ أهْلَهُ
إذَا جَمَّ آتِيْهِ وَسُدَّتْ طَرِيْقُهُ
ومَنْ جَاوَزَ المَاءَ الغَزِيْرَ مَسِيْلُهُ
وسُدَّتْ مَجَارِي المَاءِ فَهوَ غَرِيْقُهُ

وجاء الإسلام ودارُ الندوةِ بيد حَكيم بن حِزام فباعَها من معاوية بمائة ألف درهم فقال له عبدُالله بنُ الزبير بعْتَ مَكْرُمَةَ قُرَيش قال : ذَهَبَتِ المكارم إلا مِن التَّقْوَى يا ابْنَ أخِي إني اشْتَرَيْتُ بها دَاراً بالجَنةِ أشْهِدُكَ أني

جَعَلْتُ ثمنَهَا في سبيل الله ، تأمَّلْ يا أخي سِيْرَةَ الرجَالَ الذين عرفوا الدنيا حقيقةً لعلك تقتدىَ بهم فتربح الدنيا والآخرة .

وكَانُوا إذَا عَرَضَ لَهُمْ أَحَدٌ وَأَبْدَى لَهُم احْتِيَاجَهُ يَرَوْنَ غَفْلَتَهم عَنْهُ مِنْ النَّقَائِصِ وَالعُيُوبِ الفَاحِشَاتِ على حد قول الشاعر :

وتَـرْكِـيْ مُـواسَـاة الأَخِـلَّاءِ بالـذي
تَنَــالُ يَـدِي ظُـلْمٌ لَهُـم وعُـقُــوقُ

وإنِّـي لأَسْـتَـحْـيِـي مِـن الله أَنْ أُرَى
بِحَـالِ اتِّـسَـاعٍ والـصَّـدِيْقُ مُضَـيَّـقُ

أَيْنَ هَذَا وَأَيْنَ حَالُنَا اليَوْمَ وَقَدْ بَخِلْنَابحَقِّ المَالِ الزَّكَاة وَهِيَ حَقُّ الفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِيْنِ . . . الخ .

وَكَانُوا إذَا فَاتَتْهُم تَكْبِيْرَةُ الاحْرَامِ مَعَ الإمَامِ رُبَّمَا غُشِيَ عَلَيْهم مِنْ أَلَمِ هَذَا المُصَابِ العَظِيْمِ وَكَانُوا يُعَزُّوْنَ مَنْ فَاتَتْهُ تَكْبِيْرَةُ الاحْرَامِ وَمِنْ بَاب أَوْلى وَأَحْرىٰ مَنْ فَاتَتْهُ الجَمَاعَةُ أو الجُمُعَةُ وَيَنْدُرُ وُجُودُ ذَلِكَ منهم

أَيْنَ هَذَا مِن حَالِ مُجْتَمَعِنَا اليَوْمَ الذي تَرَى الكَثِيْرَ مِنْهُم يُجَافِي عَلَيْهِ البَابَ وَيَشْرَبُ الشَّايَ اوِالدُّخَانَ أبا الخَبَائِثِ وَالنَّاسُ يُصَلوْنَ .

وَكَثِيْرٌ مِنْ الذيْنَ يُصَلُّوْنَ مَعَ الجَمَاعَةِ تَجِدُهُم يَحْرِصُوْنَ عَلى الاتْيَانِ إذا ظَنُّوا أنهَا أُقِيْمَتِ الصَّلاةُ وَيُقْصِدُوْنَ النَّقَّارِيْنَ الذِين لا يَتركَدُونَ في الصَّلاةِ ولا يَطْمَئِنُونَ فيها ولَا يَتَمَكَّنُ المَأْمُومُ مِن قِرَاءةِ الفَاتِحَةِ الَّتِي لا صَلاَةَ لِمَنْ لَم يَقْرَأ بِهَا وَلا يَتَمَكَّنُ مِنْ الاتيَانِ بالتَّشَهُّدِ كَامِلا .

فَإِنْ دَلَّ هَذا عَلى شَيءٍ فَانَّمَا يَدُلُّ عَلى أَنَّهُم لا يَفْهَمُونَ الصَّلاَةَ وَلاَ

الْمقصُودَ مِنْهَا وَلَو فَهِمُوهَا تُمَاماً لَصَارَتْ قرَّةَ أَعْيُنِهم وَلا اسْتَراحُوا بهَا وَاسْتَعَانُوا بهَا عَلى الدِّيْنِ وَالدُّنْيا .

وَكَانُوا أَيْ السَّلَف مِمَّنْ يَحِنُّ إلى بَيْتِ اللّهِ يَتَمَتَّعُونَ به في كُلِّ عَامٍ ، وَلِذَلِكَ تُعَدُّ لِأُحَدِهِم أَرْبَعِيْنَ حَجَّةً ، وَأَزيـدُ ، أَيْنَ هَذا مِمن يُسَافِرُون إلى بِلادِ الكَفرةِ بلادِ الحُرِّيَّةِ مُحكّمَةِ القَوانِيْنِ أعْدَاءُ الإِسْلامِ وَأَهْلِهِ .

وَمَـعَ ذَلِـك يُبَعْثِرُونَ الفُلُوسَ العَظِيْمَةَ ، التِي سَيُنَاقَشُوْنَ عَنْهَا دَاخِلة وَخارِجَة ضِدَّ مَا عَليْهِ أبَاؤُهُم مِن هجرَ ان مَنْ جَاءَ مِنْ بلادِ الكُفْر غَيْرَ مُهَاجِرٍ قَال ﷺ أنا بَريءٌ مِن مُسْلِم بَيْنَ أَظْهُر الْمُشْرِكين وَقَال مَن جَامَع المشرِكين وَسَكَن مَعَهُم فَإنَّه مِثْلُهم . بَلّغْ يا أخي مَنْ يَدْرُسُونَ على الكفار والعِياذُ بالله .

وكَانَ السَّلَفُ يَشْتَاقُونَ إلى الصِّيَامِ ، وَبَعْضُهُم يَصُومُونَ سِتَّةَ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّال ، وَثَلاثَةً مِن كُلِّ شَهْرٍ ، وَيومَ الإِثْنَيْنِ ، وَالخَمِيْسِ ، وَبَعْضُهم يَصُوْمُ كَصِيَامِ دَاوُدَ عَليهِ السَّلامُ ، يَوْمٌ يَصُوْمُ ، وَيَوْمٌ يُفْطِرُ .

أَمَّا نَحْنُ فَيَالَيْتَهُ يَسْلَمُ لَنا رَمَضَانُ مِن المُفْسِدَاتِ وَالمنقصَاتِ وَهَيْهَاتَ . وكانت المساكن لا تهمهم يسكنون فيما تيسر .

عن مالك بن دينار أنَّهُ حَضَرَ رَجُلًا يَبْنِي دَاراً وهو يُعطِي العُمَّالَ الأجرةَ فَمَد يَدَهُ فأعْطاه دِرْهماً فَطرَح الدِرهَمِ في الطِين فَتَعَجَّبَ الرجلُ وقال كيفَ تَطرحُ الدِرهم في الطين .

فقـال أعْجَبُ مِني أنْتَ لِأنَّـكَ طَرَحْتَ كلَّ دَرَاهِمَكَ في الطين يعني ضَيَّعْتَهَا في البناءِ ، ومُرَّ عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه بالعَلاءِ بن زِيَادٍ فرآى سَعَةَ داره فقال له ما كنت تَصْنَعُ بسعةِ هذه الدار في ا لدنيا وأنت إليها في

الآخرة كُنتَ أحوج .

وكان نوح عليه السلام في بَيْتٍ مِن شَعْرٍ ألفَ سَنةٍ فقيل له يا رسول الله لو اتخذتَ بَيْتاً مِن طين تأوِي إليه قال أنا مَيِّتٌ فلم يَزل فيه حتى فَارَق الدنيا وقيل إنه قال بَيْتُ العنكبوت كثيرٌ على مُن يَمُوت .

وقال أبو هريرة بئس بيت الرجل المسلم بيت العروس يُذكِر الدنيا ويُنسِي الآخِرة ، وكان لِشقيق البلخي خُصٌ يكُون هُو ودابته فيه فاذا غزا هَدَمَهُ وإذا رَجَعَ بَناه . بلغ يا أخي أهلُ الفلل والعمائرِ وقل عن قريب ستسكنون في مسكن ثلاث أذرع فقط ويُسِد عليكم فيه لاتخرجُون منه إلا مَعَ الناس ﴿ يَومَ يخرجُون مِن الأجْداثِ سِراعا كأنهُم إلى نصُبٍ يُوفِضُون ﴾

شعــراً :

تبـني المـنــازلَ أعــمــارٌ مُهَــدَّمـةٌ
مِـن الـزمــانِ بأنــفـاسٍ وســاعـاتِ

آخـــر :

أمَّـا بُيــوتُـكَ فـي الــدنــيـا فواسِـعَـةٌ
فـلَيْتَ قَــبْرَكَ بعــد المــوتِ يَتْـسِــعُ

كَانُوا إذَا سَمِعُوا الموعِظَةَ ، أوْ مَرُّوا بحَدَّادٍ يُوقِدُ نَاراً ، صَعِقُوا وَرُبَّما مَكَثُوا بلا وَعْي ، أيَاماً ، أوْ أشْهُراً مُتَتَالِيَاتٍ ، وَقَد سَمِعْتَ بأُنَاسٍ قَتَلَتْهُم المواعِظُ أمَّا نَحْنُ فَتُتْلَى عَلَيْنَا الآيَاتُ مِنْ كِتَابِ اللّهِ وَلا كَأنَّها مَرَّتْ قُلُوبَنَا مِنْ الانْهِمَاكِ بالدُّنْيا وَالغَفْلةِ أصْبَحَتْ لا تُؤثِّرُ فِيْهَا العِظَاتُ .

كَانُوا يَتَعَاوَنُونَ عَلى الأمْرِ بالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ المُنْكَرِ وَيَلْتَفُّونَ كُتْلَةً وَاحِدةً وَيَأخُذُوا عَلى يَدِ السَّفِيْهِ أمَّا نحنُ فَنُثَبِّطُ وَنَقُولُ لِمَنْ يُرِيْدُ المسَاعَدَةَ مَا أنْتَ بمُلزَمٍ اتْرُكهم .

كَانُوا يَنْصَحُونَ أَهْلَ المَعَاصِيْ ، وَيَهْجُرُونَهم ، إِذَا أَصَرُّوا على المَعَاصِيْ وَلَو كانُوا مِمَّنْ لهُم مَنزِلةٌ وَمَكانةٌ في قُلُوبِ كَثِيْرٍ مِن أَهْلِ الدُّنْيَا وَكَانُوا لا تَأخُذُهُم في اللهِ لَوْمَةُ لائِم وَهِمَمُهم عالِيَةٌ وَأَنْفُسهم رَفِيْعَةٌ لا يَخْشَوْنَ إلاَّ اللهَ لا يَتَملَّقُونَ وَلاَ يُدَاهِنُونَ وَلاَ يَخْضَعُـونَ إلا لِلّهِ قَالَ بَعْضُهم :

قَـالُـوا نَـرَى نَفَراً عِنْـدَ المُلُوكِ سَمَوْا
وَمَـالَـهُـمْ هِـمَّـةٌ تَسْمُـوا ولا وَرَعُ

وَأَنْتَ ذُو هِمَّـةٍ فـي الفَـضْـلِ عَـالِيَـةٍ
فَلِمْ ظَمِئْتَ وَهُم في الجَاهِ قَدْ كَرَعُوا

فَقُـلْتُ بَـاعُـوا نُفُـوساً وَاشْـتَرَوا ثَمَنـاً
وَصُنْتُ نَفْسِي فَلَمْ أَخْضَـعْ كَمَا خَضَعُـوْا

قَـدْ يُكْـرَمُ الـقِـرْدُ إِعْجَـابـاً بِخِسَّـتِـه
وَقَـدْ يُهَـانُ لِفَـرْطِ الـنَّخْـوَةِ الـسَّبُـعُ

هَذَا الذِيْ كَانَ مِنْ سَلَفِنَا الكِرَامِ نَحْوَ أَهْلِ المَعَاصِيْ وَالْمُنكَرَاتِ .

أَمَّـا نَحْنُ فَنَتْرُكُهُمْ وَنَقُوْلُ ذُنُوْبُهُمْ على جُنُوْبِهِمْ ، وَرُبَّمَا جَالَسْنَاهُمْ ، وَوَاكلْنَـاهُمْ ، وَعَـظَّمْنَـاهُم ، كَمَا تَسْمَـعُ الكَثِيْرَ يَقُوْلُوْنَ لِلْمُجَاهِرِ بالمَعَاصِيْ كَشَـارِبِ الدُّخَانِ ، وَحَالِقِ اللِّحْيَةِ ، وَمُسْتَعْمِلِ آلاتِ اللَّهْوِ ، يَا مُعَلِّمُ يَا أَسْتاذُ يَا سَيِّدُ وَالواجِبُ هَجْرُهُ لِيَرْتَدِعَ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ .

اللهم وَفِّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِليه القَوْم وأَيْقِظْنَا مِن سِنةِ الغَفْلَةِ والنَّوم وأرزقْنَا الاستعدادَ لِذَلِكَ اليَوْمِ الذي يَرْبَحُ فيه المُتَّقُونَ اللهم وعامِلنَا بإِحْسَانِكَ وَجُدْ علينا بِفَضْلِكَ وامْتِنَانِكَ واجعلنا مِن عِبادِكَ الذين لا خَوفٌ عليهم ولا هم

يحزنـون اللهم ارحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ واجعلْ رَغْبَتَنَا فِيها لَدَيْكَ ، ولا تَحرمنا بِذُنوبنا ، ولا تَطْرُدْنَا بعُيوبنا ، واغفر لنا وَلِوالدينَا وَلِجميع المُسْلمين الأَحياء مِنْهُم والمَيتين بِرَحْمَتِك يَا أَرْحَم الرَّاحِمِينْ وصلّى اللَّهُ على محمدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِينْ .

٨٢ « موعظة »

عِبَادَ اللهِ كُلُّنَا وَلِلِهِ الحَمْدُ قَد رَضِي باللهِ رَباً وَبالاسلام دِيْناً ، وبِمُحَمَّدٍ نَبِياً وَرَسولاً ، وبالقُرآن إمَاماً ، وبالكَعْبَةِ قِبْلَةً وبالمؤمنينَ إخواناً وتَبَرأنَا مِن كُلِ دِيْنٍ يُخَالِفُ دِيْنَ الاسلامِ ، وآمَنَّا بكُلِ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللهُ ، وبكُلِ رسولٍ أَرْسَلَهُ اللهُ ، وبملائكةِ اللهِ ، وبالقدرِ خيرِهِ وشرِهِ وباليومِ الآخِرِ وبكلِ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عليه وسلم عن اللهِ ، عَلَى ذَلِكَ نحْيَا ، وعليه نَمُوتُ ، وعليه نُبْعَثُ إِنْشَاءَ اللهُ مِن الآمِنِيْنَ الذينَ لا خوفٌ عليهم ولا هم يَحْزَنُونَ بفَضْلِهِ وكرمِهِ .

ثم اعْلَمُوا مَعَاشِرَ الاخْوَانِ إنَّه مَن رَضِيَ باللهِ رَباً لَزِمَه أَنْ يَرْضَى بتَدْبِيْرِهِ ، واخْتِيَارِهِ لَهُ ، وبِمُرَقَضائِهِ ، وَأَنْ يَقْنَع بِما قَسَمَ لَهُ مِنَ الرِّزق ، وأَنْ يُدَاوِمَ عَلَى طَاعَتِهِ ، ويُحَافِظَ على فَرَائِضِهِ ، ويَجْتَنِبْ مَحَارِمَهُ ، ويَكُونُ صَابِراً عِنْدَ بَلاَئِهِ ، مُوَطِّناً نَفْسَهُ على ما يُصِيْبُهُ مِن الشَّدائِدِ ، بَعِيْداً كُلَّ البُعْدِ عَن نارِ الجَزَعِ ، التي تَتَأَجَّجُ في قَلْبِ كُلِ امْرىءٍ يَجْهَلُ بَارِئَهُ وَمولاَهُ .

فإنْ رَأَيْتَ نَفْسَكَ أَيُّهَا الأَخُ تُرِيْدُ أَنْ تَجْزَعَ عِندَ مُلِمَّةٍ ، فَقِفْ أَمَامَهَا مَوْقِفَ النَّاصِحِ القَدِيْرَ ، أَفْهِمْهَا أَنَّهَا هِيَ السَّبَبُ فِيْمَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِن بَلاءٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِير .

وإنْ لَمْ تُصَدِّقْكَ فاقْرَأْ عَلَيْهَا قولَ اللهِ تعالى ﴿ وما أَصَابَكُم مِن مُصِيْبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أيديْكُمْ وَيعْفُو عن كَثِير﴾ فإنَّهَا إذا سَمِعَتْ ذَلِكَ وَجَّهَتِ اللَّومَ إلى نَفسِهَا على مَعَاصِيْهَا ، وهَدأَتْ منها الثَّوْرَةُ الثَّقِيْلَةُ .

وأفهِمْهَا أَنْ لَيْسَ بَيْنَها ولا بَيْنَ رَبهَا عَدَاوَةٌ ، فإنَّهُ بِعَبادِهِ الرَّءُوفُ الرَّحِيْمُ ، وأَفْهِمْهَا أنَّ البَلايَا قَدْ تَلْزَمُ العَبْدَ حتى يُصْبِحَ مَغْفُورَةً ذُنُوْبُه كُلُّها ، صَغِيرُهَا ، والكَبْير ، وأفهِمْهَا أنْ نَتِيْجَةُ ذلكَ أنَّ صَاحِبَ البَلايَا يَأتِي يَومَ القِيَامَةُ في أَمْنِ مَوْلاهُ الكَرِيْم .

فَعَنْ أَبِي هريرة رضي اللهُ عنه قَالَ قَالَ رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مَن يُرِدِ اللهُ بهِ خَيْراً يُصِبْ مِنه ، رواه البخارِي وفي حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنه قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إذا أَرادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ في الدُّنْيَا .

وقال صلى اللهُ عليه وسلم أنَّ عِظَمَ الجَزاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاَ وإنَّ الله إذَا أَحَبَّ قَوماً ابْتَلاهَمُ الحديث .

وفي حديث أبي هريرةَ قال قال رسول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مَا يَزَلُ البَلاَ بالمؤمِن والمُؤْمِنَةِ في نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ ومَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ تعالى وما عليه خَطِيْئَةٌ رواه الترمذي ، وقال حديث حسن صحيح ، أَفْهِمْ نَفْسَكَ كُلَّ ذَلِكَ فإنَّهُ يُخَفِفُ عَنْهَا آلامَ البَلاَيا ، وَرُبَّمَا جَعَلَهَا مِن المَحْبُوْبَاتِ .

وأفهِمْهَا أنَّ اللهَ وَعَد الصَّابِرِيْنَ أنْ يَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَاب وأفهِمْهَا أنَّ اللهَ حَكِيْمٌ في كُلِ تَصرفَاتِهِ ، وقُلْ لَهَا إنَّ الجَزَعَ لا يَرُدُّ مَا نَزَل مِن البَلاءِ أَبَدَا ، بَلْ مَا دَبَرَهُ الحَكِيْمُ العَلِيْمُ لاَ بُدَّ مِن وُقُوعِهِ فَلا فائِدَة في الجَزَعِ والحُزْنِ ، وقُلْ إنَّ عَاقِبَةَ الجَزَعِ والتَّسَخْطَ النَّارُ ، وعاقِبَةُ

الصَّبْرِ والرِّضَا بَما قَضَاهُ اللهُ الجنة .

وقلْ إن شَمَاتَةَ الأَعْدَاءِ في الجَزَعِ ، وغَيْظَهُمْ في الصَّبْرِ ، الذي يَتَأكَدُ لُزُوْمُهُ عَلى الرِّجَالِ والنِّسَاءِ .

وتَأَكَّدْ واطْمَئِنَّ أَنَّها إذا سَمِعَتْ مِنْكَ كُلَّ ذلِكَ رَضِيَتْ بإذنِ الله كُلَّ الرِّضَا ، ولَزِمَتِ الآدَابَ ، فَتَعِيْشُ كُلَّ حَيَاتِهَا تَرُوْحُ وتَغْتَدِيْ في جَنَّةِ رِضَاهَا ، مَهْمَا بَرِحَتْ بِهَا البَلايَا والأَوْصَابُ ، وبذلِكَ مَعَ تَوْفِيْقِ اللهِ تعالى تَجْمَعُ بَيْنَ سَعَادَةِ الدنيا والآخِرَةِ وهكذا تكونُ عَوَاقِبُ الصَّابِرِيْنَ الأَبْطال .

اللهم الهمنا ذكرَك ووفقنا لِلقيام بحقك ، وخلّصنا مِن حقوقِ خلقكَ ، وبارِكْ لنا في الحلالِ مِن رِزْقكَ ، ولا تَفْضَحْنا بينَ خَلقكَ ، يا خَيْرَ مَنْ دَعاهُ دَاعٍ وأَفْضَلَ مَن رجاهُ راجٍ يا قَاضِيَ الحَاجَاتِ ، ومُجِيْبَ الدعواتِ ، هَبْ لنا ما سَأَلناهُ ، وحقق رَجاءَنَا فيما تَمَنَّيْنَاهُ ، يا مَنْ يَملِكُ حَوَائجَ السائِلينَ ويَعلَمُ ما في صُدُورِ الصَّامِتينَ أذقنا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلاَوَةَ مَغْفِرَتِكَ واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأَحْيَاءِ منهم والمَيتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

٨٣ « موعظة »

فَيَا أَيُّهَا المُهْمِلُونَ الغَافِلُون تَيَقَّظُوا فَإِلَيْكُم يُوَجَّهُ الخَطَابُ ويَا أَيُّها النَّائِمونَ انْتَبِهُوا قَبْل أنْ تُنَاخَ لِلَرحِيْلِ الركابْ قَبْلَ هُجُوم هَادِمِ اللذَّاتِ ومُفَرِقَ الجَمَاعَاتِ ومُذِلِ الرِّقَابِ ومُشَتِّتِ الأحْبَابِ فَيَا لَهُ مِنْ زَائِرٍ لا يَعُوقُهُ عَائِق ولا يُضْرَبُ دُوْنَهُ حِجَاب ، وَيَالَهُ من نَازِلٍ لا يَسْتَأذِنُ على المُلُوْكِ ولا يَلِجُ مِنْ الأَبْوَابِ ، ولا يَرْحَمُ صَغِيراً ولا يُوَقِّرُ كبيراً ولا يَخافُ

عَظِيماً ولا يَهابُ ألا وإنَّ بَعْدَهُ مَا هُوَ أعْظَمُ مِنْهُ مِنْ السُؤَآلِ والْجَوَابِ ، وَوَرَاءَهُ هَوْلُ البَعْثِ والحَشْرِ وأَحْوَالِهِ الصِّعَاب مِن طُوْل المَقَامِ والإزدِحَام في الأَجْسَامِ والمِيْزانِ والصِّرَاطِ والحِسَابِ ،

٨٤ مَوْعِظَة

عِبَادَ اللَّهِ اتَّقُوا اللَّهِ وَبَادِروا بالتَّوْبَةِ قبل أنْ يُغْلَقَ عنكُم البَابُ ، وابتدِروا الأَوبَةَ قَبْلَ أَنْ يُرْخَى دُوْنَكُم حِجَابُهَا ، وَانْتَهزوا فُرَصَ الحَيَاةِ فَقَدْ اقتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَتَضَاعَفَ اقْتِرَابُهَا ، قال اللَّهُ تعالى ﴿ اقْتَـرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابَهُم وهم في غَفْلَةٍ مُعْرَضون ﴾ فيَا عِبَادَ اللهِ تَذَكَّروا مَوَاقِفَ الخَلاَئِق بَيْنَ يَدَي العَزِيْز الجبَّارِ في يَوْم يُحَرَّرُ فِيهِ الحسَاب ، وَأَعِدُّوا لِلحسَابِ صَوَابَ الجَوَاب ، فَلاَ بُدَّ أَن يُطْلَبَ مِنكمُ على كُلُّ مسأَلَةٍ جَوابُهَا ، واجِتَنِبُوا التَّسوِيْفَ ، فإنَّ سُيُوفَ المِنْيَّةِ قاطعَةَ ، يا مَعْشَرَ المُسَوِّفِيْنَ أَظَنَنْتم أنكمُ في الدنيا مُخَلَّدون ، وأنتمُ مَعَ العَاصِيْنَ قَاعِدُوْن ، كم مَرَّتْ بكمُ مَوَاسِمُ الطَّاعَاتِ ، وأنتمُ عن استِغْلالِها بالباقِيَاتِ الصالحات راقدون ، فما فما بالُكَ أيُّهَا الغَافِلُ تُسارِعُ في مُتَابَعَةِ هَوَاك ، مَعَ أنكَ في العِبَادَةِ مُتكاسِل ، وَتُتْلَى عَلَيْكَ آياتُ مَوْلاَكَ وَأَنْتَ عنهَا مُعْرَضٌ إعْرَاضَ الجَاهِلِ تَسْمَعُ الملاهِيَ فتمِيلُ إليها بقَلْبِكَ وَتُبْصِرُ المَنَاهِيَ مِن تِلفزيُون وَفِديو وَسينَماء وَسَافراتٍ وصُور فلا تَتحرَكُ ولا تَتمعَرَّ ، هَل أَنْتَ مُكَذِّبُ بالتَّحْرِيْم ، أو مُتَشَكِّكٌ في البَعْثِ وعَذَاب القَبْرِ والحِسَاب والصرّاط والمِيْزَان ، فيا مُؤمنا بيوم الحِسَاب تَهَيأ لِلْمُحاسَبَةِ ، وَيَا مُذعِناً بِحُقوقَ الرَّب اسْتَعَدَّ للمُطَالَبَةُ وَيَا طَوِيلَ الأَملِ كَمْ آمالٍ أصبَحَتْ خائبة ، فكأَنَّكَ بالموتِ وقَدْ نَزلَ بِسَاحَتِكَ وَنَزَلْـتَ في القَبْرِ مَع عَمَلِكَ وَحُشرْتَ وَعُـرِضْتَ على عالم سرِيْرتك وعلانَيتِكُ وكَأَنكَ بالحَشْرِ والنشْرْ والحِسَاب بَيْنَ يَدَي اللّهِ عزَّ وجَل ، وكأَنَّكَ بالأَهْوالِ والمَخاوُفِ وقد أَحاطَتْ واشتدَّ الخوفُ

والـوجـلُ وكـأنَّـكَ بالجَحِيمِ وقد سُعِرَتْ وبالجنةِ وقد أُزْلِفَتْ ، فَالبَدَارَ قبلَ انقضاءِ الأعمارِ .

تَجَـرَّدْ مِـن الـدنيـا فـإنَّـكَ إنَّمَـا خُـرِجْـتَ إلى الدنيـا وأنْتَ مُجَـرَّدُ
وتُبْ مِـن ذُنُوبٍ مُوْبقاتٍ جَنَيْتَهَا فَمَا أنْتَ فـي دُنْيَـاكَ هَـذِيْ مُخَـلَّدُ

وفقنا الله وإيَّاكُمْ لِلْفَوزِ بِدَارِ القَرَارِ ، واللَّهُ أعلم وصلى اللَّه على محمد وآله وسَلم .

موعـظةٌ : عبَادَ اللَّه ما نَدمَ مَنْ أَطَاعَ اللَّه في أيِّ وَقْت كَانَ ، وَلاَ عَادَتْ الطاعاتُ على صَاحِبِهَا إلاَّ بالخَيْرِ والبَرَكَةِ في كُلِّ آنٍ ، والعُصَاةُ في كُلِّ زَمَنٍ هُمْ المَمْقُوْتُونَ مَهْمَا ابْتَسَمَتْ لَهُم الدُنْيَا وقَضَوُا فِيْهَا بَعْضَ مآرِبِهِم ، وَمَهْمَا هَامُوْا بِحُبِّهَا وَأَحْكَمُوا أَسَالِيْبَ جَمْعِهَا ، فإنَّ الدُنْيَا لا تَبْتَسِمُ لِفَاسِقٍ إلاَّ لِتَسْحَقَهُ ، ولا تَفْتَحُ ذِرَاعَيْهَا لِمُقْبِلٍ عَلَيْهَا إلا لِتُحْرِقَهُ ، قال اللهُ تعالى ﴿ فلا تَغُرنكم الحياةُ الدنيا ولا يَغرنكم باللهِ الغَرُوْر ﴾ فَمَاذَا غَرَّكَ فِيْهَا أَيُّهَا المِسْكِيْنُ ، إن كانَ الذي غَرَّكَ فِيْهَا كَثْرَةُ النَّقْدَيْنِ أَوْ مَا نَابَ مَنابَهُمَا مِن اوْرَاقٍ ، فإنَّ الجَنَّةَ حَصْبَاؤُهَا اللُؤْلُؤُ ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفرانُ ، وبِنَاؤُهَا الذَّهَبُ والفِضَّةُ ، والدُرُّ واليَاقُوتُ ، وإنْ كَانَ الذي غَرَّكَ مِنْهَا فَوَاكِهُهَا وَمَطْعُوْمَاتُهَا وَمَا حَوَتْ مِن مَتَاعٍ ، فإنَّ في الجَنَّةِ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ ، وانْ كانَ الذي غَرَّكَ جَمَالُ نِسَائِهَا ، فإنَّ في الجَنَّةِ ﴿ قاصِرَاتُ الطَّرْفِ ، لم يَطْمَثِهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُم ولا جَانٌّ ﴾ ﴿وكَواعِبَ أَترابا ﴾ لَوْ ظَهَرَ بَنانُ إحْدَاهُنَّ عَلَى الدُنيَا لأضَاءَتْ مَا بَيْنَ السماءِ والأَرْضِ يَنْظُرُ إلى وَجْهِه في خَدِّهَا أَصْفَى مِن المِرْآةِ ، وَتُسَرُّ بِمُشَاهَدَتِهَا سُرُوْراً لَا يَعْلَمُ قَدْرَهُ إلاَّ اللهُ ، لا تَنْظُرُ إلاَّ إلَيْها ولا تَنظُرُ إلاَّ إلَيْكَ ، لاَ تَتَكَلَّمْ إلاَّ بِمَا

يَسُرُّكَ ، تَأْمُرُهَا فَتَخْضَعُ ، وَتُحَدِّثُهَا فَتَسْمَعُ ، إذا تَكَلَّمَتْ أَطْرَبَتْ ، لاَ تَفْتَخِرُ عَلَيْكَ بِحُسْنِهَا وَجَمَالِهَا ، ولاَ تَمُنُّ بِجَمِيْلِ صُنْعِهَا ، لاَ تَنْفُرُ مِنْكَ وَلاَ تَغْضَبُ ، وَلاَ تَلْهُو عَنْكَ وَلاَ تَصْخَبُ ، الجَمَالُ كِسَاؤُهَا ، والكمالُ رِداؤُهَا ، والوُدُّ والوَفاءُ مِن طَبْعِهَا ، لا يَعْلُوُ صَوْتُهَا عَلى صَوْتِكَ ولا تَجْتَهِدُ إلَّا في مَـرْضَاتِـكَ ، هَادِئَـةٌ ، سَاكِنَـةٌ رَاضِيَةٌ تِلْكَ وَأَمْثَـالُهَا لِلْمُؤْمِنِيْنَ المُعْلُومِيْنَ ، مِن قوله تعالى ﴿ قد أَفْلَحَ المؤمنونَ الذين هُم في صلاتِهِمْ خاشعُون ﴾ إلى قوله ﴿ أولئكَ هُمُ الوَارِثُونَ الذِيْنَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هم فيها خالدون ﴾ أَيُّهَا المسلمونَ ، لَقَدَ فَازَ والله مَنِ اجْتَهَدَ فِيْمَا يُنَجِيْهِ ، وَخَابَ مَن أَتْعَبَ نَفْسَهُ فِيْمَا يُخْزِيْهِ ، وَأَنْتُم الآنَ في فُسْحةٍ مِنْ أَجَلِكُم ، وَصِحَّةٍ مِنْ أَبْدانِكُم ، وَاكْتِمَالٍ مِن عُقُولِكُم ، وَآخِرُ الأجلِ غَائِبٌ عَنْكُم ، ولا تَدْرُون كَيْفَ حَالُكُم بَعْدَ يومِكم فَسَارِعُوا ﴿ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُم وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ مِن قَبْلِ أَنْ يَفْقِدَ البَدنُ صِحَّتَهُ ، وَيَقُولُ الحَقُّ كَلِمَتَهُ ، فَينقضِيْ الأجلُ ، وَيُخْتَمُ عَلَى العَمَلِ ، فلا يُنْقَصُ فيهِ ولا يُزَادُ ، ولا يُعَدَّلُ فِيْهِ شَيْءٌ إلَى المَعَادِ ، تَقُولُ لَيْتَنِي أَطَعْتُ ، وَمَا هِيَ بِنَافِعَةٍ ، وَلَيْتَنِيْ مَا عَصَيْتُ ، وَلَيْسَتْ بِدَافِعَةٍ ، إذاً فَأَضْيَعُ النَّاسِ وَأَخْسَرُهم صَفْقَةً مَنْ سَوَّفَ في طَاعَةِ رَبِّهِ ، وَأَشَدُّهُم خُسْرَاناً مَنْ لَمْ يُبَادِرْ فِيْ التَّوْبَةِ مِنْ ذَنْبِهِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿فأمَّا مَنْ تَابَ وآمَن وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ المُفْلِحِيْنَ ﴾ وفي الحَدِيْثِ « أَحَبُّ الأعْمَالِ إلى اللهِ أَدْوَمُها وانْ قَلَّ » رَوَاهُ البُخارِيّ .

اللهُمَّ أَعِزَّ الإسْلاَمَ والمُسْلِمِيْنَ وانْصُرْ الإسْلاَمَ والمُسْلِمِيْن. واجْعَلْ كَلِمَتِكَ هِيَ العُلْيَا إلَى يَوْمِ الدِّيْنِ وَاخذِلْ الكَفَرَةَ وَأَعْوَانَهُم والمَلحِدِيْنَ والمُبْتَدِعِيْنَ وَأَصْلِحْ مَنْ في صَلاَحِهِ صَلاَحُ الإسْلاَمِ والمُسْلِمِيْنَ وَأَهْلِكْ

مَنْ في هَلاَكِهِ صَلاَحٌ لِلإِسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ وَوَلِّ عَلَى المُسْلِمِيْنَ خِيَارَهُم يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ وَلُمَّ شَعْثَهُم وَاجْمَعْ شَمْلَهُم وَوَحِّدْ كَلِمَتَهُم وَانْصُرْهُم عَلَى مَنْ خَالَفَهُم وَاحفَظْ بِلاَدَنا مِنْ الفَسَقةِ والمُجْرِمِيْنَ وَأَصْلِحْ أَوْلاَدَنَا وَإِشْفْ مَرْضَانا وَعَافِ مُبْتَلاَنَا وَارْحَمْ مَوتَانَا وخُذْ بِأَيْدِيْنَا إِلى كُلِّ خَيْرٍ وَاعْصِمْنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَاحْفَظْنَا مِنْ كُلِّ ضُرٍّ وَاغْفِرْ اللَّهُمَّ لِلمُؤْمِنِيْنَ والمُؤْمِنَاتِ والمسلمين والمسلمات الأحيَاءِ منهم والأمْوَاتِ إنَّكَ قَرِيْبٌ مُجِيْبٌ اللهُمَّ لا تَجْعَلْ الدنيا أكبرَ هَمِّنَا ولا مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلاَ إلَى النَّارِ مَصِيْرَنا ولا تُسَلِّطْ علينا بِذُنوبِنَا من لا يَخَافُكَ فِيْنَا ولا يَرْحَمُنَا ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا وَلاَ تَسْلِبْ نِعْمَتَكَ عَنَّا وَكُنْ مَعَنَا حَيْثُمَا كنَّا يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٨٥ (موعظة)

الاخلاصُ مِسْكٌ مَصُونٌ في القلبِ يُنبِّه رِيحُهُ عَلى حَامِله ، العَمَلُ صُوْرَةٌ والإخلاصُ رُوح ، إذا لم تُخْلِصْ العَمَلَ للّهِ وحْدَهُ فلا تَتْعَب ، لو قَطَعْتَ المنازِلَ لم تكن حَاجًا إلا بشُهُود الوقُوف بالموقف ، ولا تَغْتَرَّ بصُورة الطاعات .

كان أيوبُ السِختياني إذا تَحَدَّثَ فَرَقَّ قلبهُ وجَاءَ الدَّمْعُ قال ما أَشَدَّ الزُكام .

وكان إبْرِهِيمُ بْنُ أدهم إذا مَرِضَ يَجْعَلُ عند رَأسِهِ ما يأكل الأصِحَاء كَيْلاَ يتَشَبَّهُ بالشاكِين .

وكان ابنُ أبي لَيلَى يُصَلي فإذا أَحَسَّ بِدَاخِلٍ نامَ على فِراشه .

وكان النخعي يَقْرَأُ في المُصْحَفِ فإذا دَخل عليه أَحَدُ غطاه .

وكان الواحدُ مِن السلف تأتيهِ العَبْرَةُ والخشوعُ فيقوم خُشية أنْ يُفْطَنَ له .

وكان بعضُهم يُصَلِي وَيبْكِي وإذا جاءه زائر غسَّل وَجْهَهُ عن الدموع لئلا يتنبه له .

كل هذا من الاخلاص بَلِّغْ يا أَخِي مَعْشَرَ المُرَائِينَ الذين إذا سَاهَمُوا في مَشْرُوْع دِيْنِي نَشَرُوا أَسْمَاءَهُم في الجرائد والمجلات والإذاعات والذين يُعَدِّدُوْنَ كَمْ حَجُّوْا مِن سَنَة وهم ما سُئِلُوْا ويقُولون نَحنُ نُعْتمِرُ كلَّ سنة وأهلنا وأولادنا ويَجْلِس بالحرم .

ويُهْمِل عَائِلَتَهُ ولا يُحَافِظ عليهم ولا يَدْرِي أَيْنَ يَذْهَبُون في الليل والنهار وربَّما حَصَل له بسببهم إثمٌ عظيم لِأَن سَيئَةَ الحرم عَظيمة لَيْسَتْ كَغَيرها .

وربما كان مع ذلك المأكل والملبس والمركب حرام نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة .

وهذه المسائل قَلَّ مَن يَنْتَبَّهُ لها مِن طلبة العِلم فَضْلاً عن غيرهم .

فالرياءُ مِن أَصْعَب الأَشياءِ وأَخْفَاهَا وضَرَرُهُ عَظِيم وقد يُحْبِطَ الأعمال .

فَيَنْبَغِي للانسان أَن يَجْعَلَهُ دَائما نَصْبَ عَيْنَيْهِ في الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر الأعمال .

اللَّهُمَّ قَوِّنَا بالْيَقِيْنِ وَامْنَحْنَا التَّوْفِيْقَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَى اللَّهُ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٨٦ موعظة

عِبَادَ اللّهِ لَقَدْ أَصْبَحَ النَّاسُ وَمَا يَتَعَلَّقُ بالدُّنْيَا أَهَمُّ عِنْدَهُمْ بِكَثِيْرٍ مِمَّا يَتَعَلَّقَ بالدِّيْن ، فإنَّا لِلّهَ وإنّا إليْه رَاجِعُونَ ، في لَيْلِهْم ونهارِهم مَشْغُولِيْنَ شُغْلَ العَاشِقِيْنَ المُسْتَغْرِقِيْنَ ، كأَنَّهُم مَا خُلِقُوا إلا لَها ، وأَمّا الدِّيْنُ فلا يَخْطُرُ عَلى بَالِهِم ، وإِنْ خَطَر فَطِيفٌ يَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ، أَثَّر بَعْضُهُمْ

عَلَى بَعْضٍ فِي هَذا الإنْهِمَاكِ العَظِيمْ ، وَذَلِكَ أنَّ الشيطانَ بَلَغ في تَهْوِيْنْ الدِّيْنَ عِنْدَهُم الغَايَةَ ومِمَّا يَدُلُّكَ عَلى ذَلك أنكَ تَرى الشَّخْصَ يَرْتَدُّ عَنْ الدِّيْنِ فَلا يُسْأَلُ ولا يُنَاقَشُ ، ولذلكَ نُزِعَتْ البَرَكَةُ مِنْ أعْمَارِنَا وأعْمَالِنَا وامْوَالِنَا وأوْلَادِنَا ، وَأصْبَحْنَا وقَدْ ضَرَبَ الذلُّ علَيْنا سُرَادِقَهُ ونَحْنُ كأنَّا لسْنا مِنْ الأحْيَاءِ ، أمَّا عَدَمُ البرَكةِ في أعْمَارِنَا ، فلأنَّ أحَدُنا يَمُرُّ عَليْهِ الشَّهْرُ والعامُ لا تَرى لِحَيَاتِهِ مِنْ أثرَ ، في الاصْلَاحِ وَتَوْجِيْهِ المُنْحَرفِيْنَ ، وَالقِيَامِ التَّامِّ المثْمِرِ بالأمْرِ بالمعَروفِ وَالنَّهْي عَنْ المنْكَرِ وَالسَّعْي في ازَالةِ مَا يَمسُّ الدِّيْنَ مِمَّا حَلَّ في بلادِ المسْلِمْينَ مِنْ المُنْكَراتِ والمفاسِدِ والشُّرورِ ، وَلَوْ سَألْتَ احَدُنا هَلْ لكَ مِنْ حَياتِكَ أثرٌ نافِعٌ لَتَلْجلَجَ في الكلامِ ، يَنْظُرُ وَرَاءَهُ فلا يَرى أثراً ، وَيَتَبَيَّنُ لهُ أنَّ الأيَّامَ مرَّتْ سُدَى تَتْلُوها الأيَّامُ ، هَذا مِنْ عَدَمِ البَركةِ في أعْمَارِنَا وأمَّا عَدَمُ البركَةِ في أعْمَالِنا فلأنَّ أحدُنا مَا دَامَ مُسْتَيْقِظاً يَتَحَرَّكُ وَلا تَنْقَطعُ أقوالُه ولاَ أفْعَالهُ ، وَلكنَّها تَدُور بْينَ حرَامٍ أو مَكرُوهٍ ، أو عَبَثٍ لا يَليْقُ أن يَصْدُرَ مِنْ الرِّجَالِ ، فَتجِدُ الكذِبَ وَالنَّمِيْمَةَ وَالقَذْفَ وَالغِيْبَة وَالتَّملُّقَ والنِّفَاقَ والرِّيَاءَ وَتَعْظِيْمَ العُصَاةِ المُجَاهِرِيْنَ بهَا ونحْو ذلكَ ، وأمَّا عدمُ البركَةِ في أمْوالِنَا فلأنَّ أحَدَناَ يكُونُ عِنْدَه المالُ الكَثِيْرُ فَتَراهُ يُبَعْثِرَهُ في سَبِيْلِ شَهَواتِهِ ومَلذَّاتِهِ الفَاجرَةِ أو يَكْنِزهُ ولا يُخْرِجُ منهُ الزَّكَاةَ ، وانْ عَرضْتَ عليْهِ مَشْرُوعاً دِينِيّاً فرَّ مِنْكَ مذعُوراً فأيُّ بَركَةٍ تكوُن في مِثْل هَذا المالِ ، وأمّا عدَمُ البركَةِ في أوْلادِنَا فلأنَّهُم في صِغَرِهِم يَكونُونَ شَيَاطِيْن يُتْعِبُونَ في التَّرْبَيَةِ آبَاءَهُم وَأُمَهَاتِهِم ، فإذا شَبُّوا شُغِلُوا بَشَهواتِهم عَمَّا يَجبُ عليهم لِلْوَالدَيْن مِنْ صُنُوفِ البرِّ وأكثَرُهُم يَكونُ طُوْلَ حَياتِهِ حَرْباً على وَالِدَيْهِ يُرِيْهِما أنْوَاعَ الاهَانَاتِ ، وَالأذَايَا وأيُّ بَركة في أوْلادِ هَذا حالهُم مَع وَالدَيْهِم وَاللهُ أعْلمُ انَّ نَزْعَ البَرَكَةُ مِنْ كلِّ ذلكَ

عقُوَبةٌ لنَا على إِقْبَالِنَا عَلى الدُّنَيا وإعْرَاضِنَا عَنْ الدِّيْنِ فلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاّ باللهِ العِلَيِّ العَظِيْمِ .

اللّهُمَّ ثَبِّتْ وَقَوِّ مَحَبَّتَكَ في قُلوبِنا واشْرَحْ صُدُورَنا وَنَوِّرْها بِنُورِ الإيْمانِ واجْعَلنا هُداةً مُهْتَدين وألْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ واجْعَلنا مِمَّنْ يفُوزُ بالنَّظَرِ إلَى وَجْهِكَ فِي جَنّاتِ النَّعِيمِ يَا حَليمُ وَيَا كَرِيمُ واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدِينا ولِجَميعِ المُسْلِمين الأحياءِ منهُم والميّتينَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحمَ الرّاحِمينَ وصلّى اللّهُ عَلَى مُحمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِين .

٨٧ (موعظة)

عِبادَ الله - الدنيا مَلأى بالمصائبِ والآلام ، والأحزانِ والأسقامِ غنَاها فقْرٍ وعِزُّها ذُلّ . والآجَالُ فيها مَعْدُودة والأعمارُ مَحْدُودة ، قال تعالى : ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ .

نعيمها إلى فناء وعيشها إلى انقضاء متاعُها قليل ، وحسابُها طويل - الخلود فيها لا يكون لإنسان والبقاء الدائم لا يكون إلا للديّان الذي يقول : ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ .

فالسعيدُ مَن اسْتَعَدَّ لِيوم الرَّحِيل ، وجَهَّزَ نفسَه بالعمل الصالحِ لِسفرٍ طويل ، وتَفَكَّرَ فِيمَنْ سَبَقُوه إلى دارِ القرار ، وعَلِمَ أنه لا حقَّ بهم مَهْمَا حَاوَلَ الفِرار ، والأمرُ بعدَ ذلك إمّا نَعيمٌ مُقِيمٌ أوْ شَقَاءٌ وعذابٌ أليم .

فيا مَن بَنَيْتَ الآمَالَ وقَصرَّتَ في الصالحِ مِن الأعمال ، تنبَّه لِلْمَوتِ ، فإن نِسيْانه ضلالٌ مبين ، كَم مِن صَديقٍ لكَ مَاتَ في رَيْعَانِ شَبَابَه ، وكم شَيَّعْتَ إلى الدارِ الآخرةِ مِن أحْبابِهِ ، تَذَكَرْ يا مَغْرُورْ ساعةَ الاحتضارِ وخُروجِ الرَوحِ .

والأولادُ حولَكَ يبكُون والنِسَاءُ تَنُوح ، يُنادِيْكَ ولَدُكَ ، أبَتِي إني بَعدَكَ مِسْكِين ، وتَصْرُخُ الزّوجةُ يا زَوْجِي إلى أيْنَ الرَّحِيل وهَلْ مِن رَجْعَةٍ أوْ غِيابُكَ طَوِيل .

فَتُغَرْغِرُ عَينَاكَ بالدُمُوع ويُلْجَمُ مِنكَ اللسان ، وتُحَاوِلَ النُطقَ فيَتَعذَّرُ عَليكَ الكلام ، وتَطْلُبُ النجاةَ ولكن ﴿ جَاءتْ سَكرَةُ الموتِ بالحق ذلكَ ما كنتَ منهُ تَحِيد ﴾ .

إذا عَلِمْتَ هذا يا أخَا الإسلام ، فكيفَ يكُونُ حالُ أبْنَائِكَ مِن بعِدكَ . ذِلٌ بعدَ عِزّ ، وحِرمانٌ بعدَ حَنَانَ يَنظُرونَ إلىَ الأبناءِ مَعَ آبائِهِم فَيَحْزَنُونَ ، ويَذْكُرونَ عَطْفَ أبيهم فَيَبْكُون ، لَيْلُهُم نَهارٌ ، ونهارُهم لَيل .

أعيادُهم أتراحٌ وأحْزَان ، وأفَراحُهُم هُمُومٌ وأشْجَان ، يَتلفَتُونَ على أحْبَابِ أبيَهِم وأَصْدِقائِهِ ، عَلَّهُم يجِدُونَ عندهُم الحَنَان ويَشتَهون ضَمَّةً أو قُبْلَةً كما يَفْعَلُ الآباءُ بالغِلمان والوِلدان .

فإن كُنْتَ يا مُسلِمُ في حَياتِكَ بَاراً بِمَنْ فَقَدُوا آبَاءَهُم ، عَطُوفاً على اليتامى . تَمْسَحُ دُموعَهم بخَيرِكَ ، وتُعَامِلَهُم كَوَلَدِكَ تُدْخِلُ السُرورَ على قُلُوبِهِمُ الحزينة بما تُقَدِّمُه لَهُم مِن الهَدَايَا والإحسَان ، وما تُظْهِره لَهم مِن حُبٍّ وعَطْفٍ ورِعَايةٍ وحَنَان ، إن فَعَلْتَ هذا في حَيَاتِكَ فأبْشِر .

فإن أوْلَادَكَ بَعْدَكَ في أمان ، تَحْنُوا عليهم القُلوب ، ويَرعَاهم عَلَّامُ الغُيوب . قال تعالى : ﴿ ولْيَخْش الذين لو تركُوا من خَلفِهم ذُرِيةً ضِعافاً خَافُوا عليهم فليتَّقوا اللَّهَ وليقولوا قولا سديداً ﴾ .

أيها المسلمون : إن رِعايةَ اليتيم مِن واجباتِ الدِين ، وإن إهمالَ شأنِه وإذْلَالَهُ وقَهْرَهُ ما يَنْبَغِي للإنسانِ وأكْل مالهُ يُغْضِبُ الدَيان ، ويُوجِبُ

الحِرمان . قال الله تعالى ﴿ فأما اليتيمَ فلا تَقْهَر ﴾ وقال سبحانه ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ﴾ .

إن مِن رعـاية اليتيم تَنْمِيَةُ مَالِـهِ ، وإصـلاحُ حَالِهِ بالتربيةِ والتعليم والتهذيبِ والتقويمِ قال تعالى : ﴿ ويَسأَلونَكَ عن اليَتَامَى قل إصْـلاَحُ لهم خير ﴾ .

وإنْ احتاجَ اليتمُ أَوْ الأَرمَلةُ إلى مُسَاعَدةٍ تَعُودُ على مَصْلَحَتِهِ فَيْنَبَغِي لِوَليهِ أَنْ يَستعينَ بأهلِ الفضلِ والكرمِ مِمَّنْ لَهُم قَدَمٌ ثابت في ذلك وعرق أصيل لانهم احرى من غيرهم في النفع . واحذَرِ الِّئَامَ والبُخَلاء .

اللهُمَّ وَفِّقْنا لِسَبِيْلِ الطَّاعَةِ ، وَثَبِّتْنَا عَلَى اتِّبَاعِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ ، وَلاَ تَجْعَلَنَا مِمَّنْ عَرَفَ الحَقَّ وَأَضاعَهُ ، وَأَخْتِمْ لَنَا بِخَيْرٍ مِنْكَ يَا كَرِيْمُ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُم وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

شِعْـراً :

سَلِ الفَضْلَ أَهْلَ الفضلِ قِدْماً ولا تَسَلْ
عـلى مَـْن نَشَـأَ في الـفـقـرِ ثُـمَّ تَمَـوَّلاَ
فَلَو مَـلَكَ الـدنيـا جَميعـاً بـأسْــرهــا
تُـذَكِّـرُهُ الأَيَّــامُ مــا كَــانَ أَوَّلا

آخــر :

تَجَنَّبْ بُيُـوتـاً شَــبِّعَتْ بَعــد جُــوعِهَا
فـإنَّ بَقَــاءَ الجُــوع فيهـا مُخَمَّــرُ
وَآوِيْ بُيُــوتـاً جُــوِّعَـتْ بَعْـدَ شِبْـعِهَـا
فـإنَّ كَــرِيْــمَ الأَصْــلِ لاَ يَتَغَـيَّرُ

آخــر :

إيَّـاكَ إيَّـاكَ أَنَ تَرجُـوْ امْـرأ حَسُنَتْ أَحْــوَالُهُ بَعْــدَ ضُــرّ كـانَ قَـاسَـاهُ
فَنَفْسُـهُ تِيْـكَ ما زَادَتْ ومَا نَقَصَتْ وذلِـكَ الفقــرُ فَقْــرٌ مَـا تَنَـاسَـاهُ

قَالَ في الفَتْحَ قَال شَيْخُنَا في شَرْحِ التِّرمذي لَعَلَّ الحِكْمَةَ في كَوْنِ كافِلِ اليَتِيْمِ يُشْبِهُ في دُخُولِهِ الجَنَّةِ أو شُبِّهتْ مَنْزِلتُه في دُخُولِ الجَنَةِ بالقُرْبِ من مَنْزِلَةَ النَّبي لِكَوْنِ النبي شَأْنُه أن يُبْعَثَ إلى قَوْمٍ لا يَعْقِلُونَ أمْرَ دِيْنِهم ، فَيَكُونُ كافِلاً لَهُم وَمُعَلِّماً ومُرْشِدَا .

وَكَذَلِكَ كَافِلُ اليَتِيم يَقُومُ بكفَالَةِ مَن لا يَعْقِلُ أَمْرَ دِيْنِهِ بل وَلا دُنياهُ ويُرْشِدُهُ وَيُعَلِّمُهُ وَيُحْسِنُ أدَبه انْتَهى ، قُلتُ وَكثيراً مَا يَفْعَلُ بَعْضُ النَّاسِ ذَلِكَ الاحْسَانَ زَمَناً وَيترُكُهُ وَلا يُتَمِّمُ إِحْسَانَهُ وَبَعْضُهم يُرَحِّبُ بذِلَكَ أوَّلَ الأمْرِ وَلا يَثْبُتُ عَلى ذلِكَ وَقَلِيْلٌ مَنْ يُتَمِّمُ كَلامه وَيَثْبُتُ عَلى جَمِيْلِه وَاحْسَانِهِ وَالتَّوْفِيْقُ بيَدِ اللهِ وَقَدِيْماً قِيْلَ :

وَمَـا كُـلُّ هَـاوٍ لِلْجَمِيْـلِ بِفَـاعِـلٍ وَمَـا كُـلُّ فَعَّــالٍ لَـهُ بِمُتَمِّـمِ

آخـر :

فـأكْـثَرُ مَـنْ تَلْقَـى يَسُـرُكَ قـولـه وَلَكِـنْ قليـلٌ مَـنْ يُسُــرِكَ فِعْـلُـهُ

آخــر :

وَفِي النَّاسِ مَنْ أَعْطَى الجَمِيْلَ بَدِيْهَةً وَظَـنٌ بِفِعْـلِ الخَـيْرِ لَمَّـا تَفَكَّـرَا

عَنْ أبي هُريرة رضي الله عنه قالَ قَالَ النَّبي صلى الله عليه وسلم « السَّاعِيْ على الأرْمَلَةِ وَالمِسْكِين كَالمُجَاهِدِ في سَبِيْـلِ اللّهِ » رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمَالِكُ وَغَيْرُهُما وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ « لَيْسَ المِسْكِيْنُ بِهَذَا الطَّوَّافِ الذي تَرُدُّه اللُّقْمَةُ

وَاللقْمَتَانِ ، والتَّمْرَةُ والتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنِ المِسْكِينُ الـذي لا يَجِدُ غِنىً يُغْنِيْهِ ، وَلاَ يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ » متفق عليه .

وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم « مَنْ عَالَ ثَلاَثَةً مِنْ الأَيْتَامِ كَانَ كَمَنْ قَامَ لَيْلَهُ وَصَامَ نَهَارَهُ وَغَدَا وَرَاحَ شَاهِراً سَيْفَهُ في سَبِيْلِ اللهِ ، وَكُنْتُ أَنَا وَهُوَ في الجَنَّةِ أَخَوَيْنِ كَمَا أَنَّ هَاتَيْنِ أُخْتَانِ » وَأَلْصَقَ أَصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةُ والوُسْطَى رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه .

وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً شَكَا إلى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم قَسْوَةَ قَلْبِهِ فَقَالَ « امْسَحْ رَأْسَ اليَتِيْمِ وَأَطْعِمْ المِسْكِيْن » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرِجَالُه رِجَالُ الصَّحِيْحِ .

وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وسلم « كافِلُ الْيَتِيْمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ ، أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ في الجَنّةِ » وَأَشَارَ مَالكٌ بالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى رواهُ مُسْلِم ورواه مَالكُ عن صَفْوانَ بن مُسْلِمٍ مُرْسَلاً .

وَرَوَاهُ البَزَّارُ مُتَّصِلاً وَلَفظُه قال « مَن كَفَلَ يَتِيماً لَهُ ذَا قَرَابَةٍ أَوْ لا قَرابَةَ لَهُ فَأَنَا وَهُوَ في الجَنَّةِ كَهَاتين » وَضَمَّ اصْبُعَيْهِ « وَمَنْ سَعَى عَلى ثَلاَثِ بَنَاتٍ فَهُوَ في الجَنَّةِ وَكَانَ لَهُ كَأَجْرِ المُجَاهِد في سَبِيْلِ اللهِ صَائِماً قَائِماً »

والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم .

٨٨ « مـوعظـة »

عِبادَ اللَّهِ سُرُوْرَ المُؤمنين يومَ يَعْبُرُوْن القَنَاطِرَ ويَأمَنُونَ العَواثِرَ فَذَلكَ يومُ عِيدِهم ومَادَامُوا في دَارِ الغُرُوْر فلا غِبْطَةَ ولا سُرُوْرَ .
وَأَيُّ سُرُوْرٍ لِمن الموتُ مَعْقُودٌ بناصِيَتِهِ والذُنوبُ رَاسِخَةٌ في آنِيَتِهِ والنَّفْسُ تَقُودُهُ إلى هَوَاهَا والدنيا تَتزَيَّنُ في عَيْنِهِ بِمُشْتَهاها .

والشَّيْطَانُ مُسْتَبْطِنٌ فَقَارَ ظَهْرِهِ لا يَفْتُر عن الوَسْوَسَةِ في صدره ونفسِهِ ومالِهِ بعَرْضِهِ لِلْحَوادث ولا يَدْرِى في كل نَفَسٍ ما عَلَيه حَادِث .

قال بَعْضُهُم :

إنـي بُـلِيْتُ بـأرْبَـعٍ مَـا سُـلِّطُوْا ... إلَّا لأجـل شـقَاوَتِي وعَنَـائِي
إبْليـس والـدُنيـاونَفْسِـي والهـوى ... كَيْـفَ الخَلاصُ وكُلُّـهُمْ أعْـدَائِي

ومن وَرَائِهِ المُغِير ومَسْألَه مُنْكَرٍ ونكِيرٍ ويَتَوسَّدُ التُرابَ إلى يَوم النشور ﴿ يَومَ يَقُومُ الناسُ لرب العالمين ﴾ يَومٌ لا يُبْلَغُ وصْفُ أهْوَالِهِ ولا شَرْحُ أحواله ما لا يَسَعُ المؤمن به أنْ يَسْتَقِرَّ له قَرَارٌ ولا يَخْلُدُ إلى هَذِهِ الدار ولا يكُوْنُ لَهُ هَمٌ في هَذه الدنيا إلَّا التَّقَرُّبُ بأنْوَاعِ القُرَب واجْتِنَابُ الفَوَاحِشِ والريبَ وإقامة الدين الذي في إقامَتِهِ النجاةُ وفي تَضْيِيْعِهِ العَطَب العظيم .

يَـومُ القِيَامَـةِ لو عَـلِمْتَ بهَـوْلِهِ ... لَفَـرَرْتَ مِـن أهْـلٍ ومِـنْ أوْطَـانِ
يَـوْمٌ تَشَـقَّقَتِ السَّـمَاءُ لِهَـوْلِهِ ... وتَشِـيْبُ مِنْـهُ مَفَـارِقُ الـولْـدَانِ
يَـوْمٌ عَبُـوسٌ قَمَطَـرِيْـرٌ شَـرُّهُ ... فـي الخَـلق مُنْتَشِـرٌ عَظِـيْمُ الشـأنِ
يَـوْمٌ يَجِـيءُ المُتَّقُـونَ لِـرَبِهِـمْ ... وَفْـدًا على نُجُـبٍ مِـنَ العِقْـيَاتِ
ويَجِـيءُ فيـه المجرمُـونَ إلى لَظَـى ... يَتَلَمَّظُـوْنَ تَلَمُّـظَ العَطْشَـانِ
والجَنَّـةُ العُـلْيا ونَـارُ جَهَـنَّمَ ... دَارَانِ لِلْخَصْـمَيْنِ دَائِمَتَـانِ

٨٩ مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللّهِ إنَّمَا يَسْعَدُ المُسْلِمُونَ أنْ يَتَّبِعُوا الحَقَّ وَيَدْعُوْا إلَيْهِ ولا تأخُذُهُمْ في اللّهِ لَوْمَةُ لائِمٍ وَيقْبَلُوا النَّصِيْحَةَ مِمَّنْ يَنْصَحُهُمْ وَيَعْمَلُوا بِهَا رَاضِيَةً نُفُوسُهُمْ شَاكِرَةً ألْسِنَتُهُمْ غَيْرَ مُسْتَكْبِرِيْنَ وَلا مُتَعَنِّتِيْنَ وَلَمْ يُعْمِهِمُ الهَوَى عَن اتِّبَاعِ الحَقِّ إذْ ذَاكَ تَكمَلُ لَهُم السَّعَادَةُ ويتمُّ لَهُمْ النَّعِيْمُ وقَدْ فَشَا في النَّاسِ دَاءُ الكِبْرِ

واسْتَحْكَمَ ولا أقْصُدُ بِذَلِكَ مِنَ الكِبْرِ الخُيَلاءَ والتَّبَخْتُرَ فَقَط وَإنَّما أقْصُدُ كِبْرَ المُتَكبِّرِ عن قَبُولِ نَصَحِ النَّاصِحِ وارْشَادِ المُسْتَرْشِدِ فإنَّ الأَوَّلَ وإنْ كَانَ شَرّاً ولَكِنْ الثّانِي شَرٌّ مِنْهُ فإنَّ المَرْءَ إذا لَمْ يَقْبَلَ نَصِيْحَةَ النَّاصِحِ كانَ رَاضِياً عَن نَفْسِهِ وَمَتَى رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ عَمِيَتْ عَن عُيُوبِهَا فَلا يُؤَثِّرُ فِيْهَا نُصْحٌ وَلاَ يَنْفَعُ مَعْهَا إرْشَادٌ لأَنَّ الغُرُوْرَ مُتحكِّمٌ فِيْهَا والشَّهَوَاتِ مُحِيْطَةٌ بِها فإذا أَرَادَ اللّهُ بِعَبْدِهِ خَيْراً بَصَّرَهُ بعُيُوبِ نَفْسِهِ فأَصْلَحَها واتَّهَمَهَا دَائماً بالنَّقْصِ وطَالَبَهَا بالكَمَالِ حَتَّى تَلْتَحِقَ بالنُّفُوسِ الزَّكِيّةِ والأرْواحِ الطَّاهِرَةِ وهكذا كان سَلفنا الصالِحُ فَكَانَ أمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ يَقُولُ رَحِمَ اللّهُ امْرأً أهْدَى إليَّ عُيُوْبِ نَفْسِي وَكَانُوْا إذا أَرْشَدَهُمْ أخٌ مِنْ إخْوَانِهِمْ إلَى عَيْبٍ في نُفُوسِهِمْ فَرِحُوا بِهَذَا التَّنْبِيْهِ وَطَهَّرُوْا نُفُوسَهُمْ مِنْهُ وشَكَرُوْا مَنْ نَصَحَهُمْ وَجَعَلُوا نَصِيْحَتَهُ مِنَّةً لَهُ عَلَيْهِم وَلَمْ يانَفُوا وَلَمْ يَسْتَكْبِرُوْا لأنَّهم يَتَّهِمُونَ نُفُوسَهُمْ وَيَرَوْنَها نَاقِصَةً وَيَسْعَونَ إلَى رِفْعَتِهَا إلى أوْجِ الكَمَالِ وبِهَذَا بَلَغُوْا مَا بَلَغُوا ونَالُوا مَا نَالُوا يا عِبَادَ اللّهِ كيْفَ نَرْضى عنْ نُفُوسِنَا واللّهُ جَلَّ وعَلاَ يَقُولُ ﴿إنَّ النَّفْسَ لأمَّارَةٌ بِالسّوءِ﴾ عِبَادَ اللّهِ مَنْ مِنَّا بَلَغَ مِعْشَارَ مَا بَلَغَهُ عُمَرُ في كَمَالِ نَفْسِهِ وقُوَّةِ إيْمَانِهِ وشِدَّةِ يَقِيْنِهِ وَقَدْ كَانَ يَقُوْلُ لأصْحَابِهِ مَن رَأى مِنْكُمْ فِيَّ اعْوجَاجاً فَلْيُقَوّمْهُ هَكَذَا كَانَ ظَنُّهُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ بِنَفْسِهِ على جَلاَلَةِ قَدْرِهِ وعُلُو مَنْزِلَتِهِ فِي دِيْنِهِ وكُلُّ مَا كَانَ أكْبَرَ كَانَ أقَلَّ اعْجَاجاً بِنَفْسِهِ وأكثَرَ مُطَالَبَةً لَهَا بسُلُوكِ طَرِيْقِ الحَقِّ .

اللّهُمَّ حَبّبْ إلَيْنَا الإيْمانَ وَزَيِّنْهُ في قُلوبِنَا وكَرِه إلَيْنَا الكُفْرَ والفُسوقَ والعِصْيانَ واجْعَلنا مِنَ الرّاشِدِين وَاغْفِرْ لَنا ولِوالِدِيْنا وجمِيْع المُسْلمينَ برحْمتِكَ يا أرحَمَ الرّاحِمِيْن وصلّى الله على محمّد وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمَعِين .

٩٠ موعظة

عِبَادَ اللهِ لَقَدْ امْتَنَّ اللهُ عَلَى خَاتَمِ رُسُلِهِ ، وَصَفْوَةِ خَلْقِهِ ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ بْن عَبْدِ اللهِ بأَشْرَفِ المِنَنِ ، واخْتَصَّهُ بأجَلِّ النِّعَمِ ، وَآتاهُ مِنْ فَضْلِه مَا لَمْ يُؤْتِ أحداً سِوَاهُ ، أَدَّبَهُ فَأَحْسَنَ تَأدِيْبَهُ ، وَهَذَّبه فأكْمَلَ تَهْذِيْبَهُ ، وَمَنحهُ مِنْ الصِّفَاتِ الجَمِيْلَةِ غَايَتُهَا ، وَمِنْ الأَخْلاقِ الكَرِيْمَةِ نِهَايَتَها ، ثمَّ أثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ ﴿ وإنَّكَ لَعَلَى خُلقٍ عَظِيْمٍ ﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : كَانَ خَلقُه القُرْآنُ يَرْضَى بِرِضَاهُ ، وَيَسْخَطُ بِسَخطِهِ ، وَكَانَ ﷺ أوْسَعَ النَّاسِ صَدْرَاً ، وَأَصْدَقَهم قَوْلاً ، وأَلْيَنَهم جَانِباً ، وَأكْرَمَهُم عِشْرَةً ، يُؤَلِفُ النَّاسَ وَلاَ يُنَفِّرُهُم ، ويُكْرِمُ كَرِيْمَ كُلِّ قَوْمٍ ، وَيُوَلِّيهِ عَلَيْهِم ، يَتَفَقَّدُ أصْحَابَهُ وَيُعْطِي كُلَّ جَلِيْسٍ نَصِيْبَهُ ، حَتَّى لَا يَحْسَبُ جلِيْسُه أحداً أكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ ، مَنْ جَالسَهُ أو قَارَبَهُ بِحَاجَةٍ سَايرَهُ ، حَتَّى يكُونَ هُوَ المنْصَرِفُ عنْهُ ، قَدْ وَسِعَ النَّاسَ بَسْطُهُ وَخُلقُه ، فَصَارَ لَهُم أباً رَحِيْماً . وَصَارُوا عِنْدَهُ في الحَقِّ سَوَاءٌ ، لِذَلِكَ اجْتَمَعْتَ عَلَيْهِ القُلُوبُ بَعْدَ نُفُورَها ، وَتَأَلَّفَتْ النُّفُوسُ بَعْدَ جُمُوحِهَا ، تَحْقِيْقاً لِقَوْلِهِ تَعَالَى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللهِ لِنْتَ لَهُم ، وَلَوْ كُنْتَ فَظَّاً غَلِيْظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ وَكَانَ ﷺ حَلِيْماً مَعَ الأذى ، عَفُوّاً مَعَ القُدْرَةِ ، صَبُوراً عَلَى المَكَارِهِ ، وَتِلْك خِصَالٌ أَدَّبَهُ بهَا رَبُّهُ ، فَقَالَ ﴿ خُذْ العَفْوَ ، وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ، وأعْرِضْ عَنْ الجَاهِلِيْنَ ﴾ .

سَأَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ تَفْسِيْرِهَا ، فَقالَ : إنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وَتُعْطِيَ مَن حَرَمَك ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اكْرَمَ النَّاسِ ، وَأَسْخَاهُم يَدا ، وَأَطْيَبَهم

نَفْسَا ، مَا سُئِلَ عَن شَيْءٍ قطُّ فَقَالَ لا ، مَنْ سَألهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إلَّا بهَا ، أو بِمَيْسُورٍ منْ القَوْلِ ، يـجِيْبُ دَعْوةَ مَنْ دَعَاهُ ، وَيقْبَلُ الهَدِيَّةَ ولو كانَتْ كُرَاعاً ، وَيُكَافِىءُ عَلَيْهَا خيْراً مِنْهَا ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أَشْجَعَ النَّاسِ ، وَأَعْظَمَ النَّاسِ غَيْرَةً وَاقْدَامَا ، فَرَّ الفُرْسَانُ وَالابْطالُ عنه غَيْرَ مَرَّةٍ ، وَهُو ثابتٌ لا يَبْرَحُ ، مُقْبِلٌ لا مُدْبِرٌ ، وَلَا يتزَحْزَحُ ، وَكَانَ صلواتُ اللهِ وَسَلامُه عليه أَشَدَّ النَّاسِ حَياءً ، وَأَكْثَرَهُم عَنْ العَوْرَاتِ إغْضَاءً قَالَ أَبُو سَعِيْدٍ الخُدْرِيّ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حيَاءً مِنْ العَذْرَاءِ في خِدْرِهَا ، وَكَانَ اذا كره شَيْئاً عَرفْنَا في وَجْهِهِ وَكَانَ لَا يُخَاطِبُ أَحَدا بِمَا يَكْرَهُ حَياءً وَكَرَماً .

أَمّا شَفِقَتُه وَرَحْمَتُه وَرَأفتُه وَلُطْفُه بجَمِيْعِ الخَلْقِ ، فَمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ ﴿ لَقَدْ جَاءَكُم رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسكم ، عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ ، حَرِيْصٌ عَلَيْكُمْ ، بالمؤْمِنِيْنَ رَؤُوفٌ رَحِيْمٌ ﴾ وَقَالَ عزَّ مِنْ قائِل ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلَّا رَحْمَةً لِلعَالَمِيْنَ ﴾ وَأَمَّا تَوَاضُعُه ـ مَعَ عُلُوِّ مَنْصِبهِ وَمكَانَتِه ، وَرفْعِ رُتْبَتِه ـ فقد خيَّرهُ اللهُ بينَ أَنْ يكُونَ مَلِكاً نبيّا ، أوعبْداً نَبيّا ، فاخْتَارَ عَبْداً نَبيّا ، وَكَانَ يَقُولُ « إنّمَا أَنَا عَبْدٌ ، آكلُ كَمَا يَأْكُلُ العَبْدُ ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ العَبْدُ » وَكَانَ يُجَالِسُ الفُقَراءَ ، وَيَعُودُ المَسَاكِيْنَ ، وَيَجْلِسُ مَعَ أَصْحَابِهِ مُخْتَلِطاً بِهِمْ ، كَأَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْهُم ، وَكَانَ يَقُولُ « اللَّهُمَّ أَحْيِنِيْ مِسْكِيْناً ، وَأَمِتْنِي مِسْكِيناً ، وَاحْشُرْنِي في زُمْرَةِ المسَاكِيْن » .

وَأَمَا عَدْلُه وَأَمَانَتُهُ ، وَعِفَّتُه وَمُرُوْءَتهُ ، وَوَقارُهُ وَهَيْبَتُه ، وَصِدْقُه وَوَفَاؤُه بالعَهْدِ وَحِفْظُه لِلْوَعْدِ ، وَصِلَتُه لِلأَرْحَام ، وَعَطْفُه عَلَى الأَيْتَام ، فَقَدْ بَلَغَ في كُلِّ ذَلِكَ الغَايَةَ ، وَوَصَل إلَى النِّهَايَةِ وَأَمَّا زُهْدُه وَوَرَعُه ، فَقَدْ قَالَ صلَّى اللهُ عليه وسلَمَ « إِنِّي عُرِضَ عَلَيَّ أَنْ تُجْعَلَ لِيْ بَطْحَاءُ مَكَّةَ ذَهباً ، فَقُلْتُ ، لا

يَارَبِّ . أَجُوْعُ يَوْماً ، وَأَشْبَعُ يَوْماً ، فَأمَّا اليَوْمُ الذِيْ أجوعُ فيهِ فاتَضَرَّعُ إلَيْكَ وَأَدْعُوكَ ، وَأَمَّا اليَوْمُ الذي أَشْبَعُ فِيْه فَأَحْمَدُكَ وَأُثْنِيْ عَلَيْكَ » وَقَالَتْ ، أُمُّ المؤمنين عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : إنَّا كُنَّا آلَ مُحَمَّدٍ لَنَمْكُثُ شَهْراً مَا نَسْتَوْقِدُ نَاراً ، إنْ هُوَ إلَّا التَّمْرُ وَالمَاءُ ، وَأَمَّا خَوْفُه مِنْ رَبِّهِ ، وَطَاعَتُه لَهُ فعلَى قَدْرِ عِلْمِهِ بِهِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُم قَلِيْلاً ، وَلَبَكَيْتُم كَثِيْراً ، أَرَى مَا لا تَرَوْنَ ، وَأَسْمَعُ مَا لا تَسْمَعُونَ ، أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيْهَا مَوْضِعُ ارْبَع أَصَابِع إلَّا وَمَلكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِداً لِلَّهِ وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ لَضَحِكْتُم قَلِيْلاً ، وَلَبَكَيْتُم كَثِيْراً ، وَلَمَا تَلَذَّذْتُم بالنِّسَاءِ عَلَى الفِرَاشِ وَلَخَرَجْتُم إلى ا لصُّعَدَاتِ تَجْأَرُونَ إلَى اللهِ تَعَالَى » . . وَكَانَ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ يُصَلي حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ ، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ : أَتَكلَّفُ هَذَا وَقَدْ غفرَ اللهُ لك مَا تقدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ فَقَالَ « أَفَلا أَكُونُ عَبْداً شَكُورَا » ؟ هَذَا يا عِبَادَ اللهِ قَلِيْلٌ مِنْ كَثِيْرٍ مِنْ صِفَاتِ سَيِّدِ المرْسَلِيْنَ ، ذِيْ الخُلُقِ العَظِيْم ، والقدْرِ الفَخِيْم ، فَهَلْ لَكُم أَنْ تَتَأَمَّلُوا هَذِه الصِّفَاتِ الجَلِيْلَةَ ، وَالخِصَالَ الحَمِيْدَةَ ، فَتَمَسَّكُوا بِهَا وَتَسِيرُوا عَلَى نَهْجِهَا ، قَالَ تَعَالَى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ في رَسُوْلِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنة ﴾ الآيَة .

اللَّهم يَا حيُّ يَا قَيُّومُ يَا مَن لا تأخذُه سِنَةٌ ولا نَومٌ يا ذا الجلالِ والاكرامِ يَا وَاحِدُ أَحَد يا فَرْدُ صَـمَدُ يا بَدِيْعَ السمواتِ والأرضِ نَسْأَلُكَ أن تَنْصُرَ الاسلامَ والمُسْلِمينَ وأن تَعْلُى كلَمةَ الحَقِ والدِّيْن وأن تَشمَلَ بعنَايَتكَ وَتوفيقِكَ كُلَّ مَنْ نصر الدِّينَ وأن تَملأَ قُلوُبَنا بمَحَبَّتكَ ومَحبَّةِ رُسُلِكَ وَأوْلِيَائِكَ وَأنْ تُلْهِمَنا ذِكرَكَ وشُكْرَكَ .

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِصَالحِ الأَعْمَال وآتِنا في الدُّنْيَا حَسَنةَ وفِيْ الآخِرَةِ حَسَنَةً

وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا ولِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٩١ موعظـة

عِبَادَ اللَّهِ تَيَقَّظُوا فَالعِبَرُ مِنْكُم بِمَرْأًى وَمَسْمَعٍ ، وَطَالَمَا نَادَاكُم لِسَانُ الزَّوَاجِرِ عَنِ الانْهِمَاكِ فِي الدُّنْيَا وَحُطَامِهَا وَالتَّهَالُكِ عَلَيْهَا فَاسْمَعْ .

عِبَادَ اللَّهِ احْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ مَنْ قَدْ مَحَّضُوْا لِلْدُّنْيَا كُلَّ مَا لَهُم مِنْ أَعْمَالٍ وَأَصْبَحُوا لا يَقْصِدُونَ بِتَصَرُّفَاتِهِمْ إلاَّ الدنْيَا وأَمَّا الآخِرَة فلا تَخْطُرُ لَهُمْ عَلَى بَالٍ .

أَخَذَتْ الدُّنْيَا أَسْمَاعَهُمْ وأَبْصَارَهُمْ وعُقُولَهُم بِمَا فِيْهَا مِن الزَّخَارِفِ الوَهْمِيَّةِ التِيْ هِيَ مَرَاقِد الفَنَاءِ وَمَرَابِضُ الزَّوَالِ وَقَوَاتِلُ الأَوْقَاتِ .

وَهَلَ هِيَ الاَّ الأَلْعَابُ وَالمَلاَهِيْ المُشَارُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِيْنَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ ﴾ الآيَةِ

وَقَوْلُهُ ﴿ وَمَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْو وَانَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُوْنَ ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا لَعِبٌ وَلَهُو ﴾ الآيَةِ ، عِبَادَ اللَّهِ ، كُلُّ مَا تَرَوْنَ مِن البَلاَيَا وَالمِحَنِ مِنْ أَجْلَ الدُّنْيَا وَمَالَهَا مِنْ مَتَاعٍ حَقِيرٍ .

عَجَبٌ أَنْ يَكُونَ كُلُّ هَذَا الاهْتِمَامِ مِنْ أَجْلِ دارِ الغُرُوْرِ وأَيَّامِهَا المَعْدُودَةِ ، وَكُلُّ مَا فِيْهَا مِنْ لذائِذَ مَعْلُومٌ أَنَّهَا مُنَغَّصَاتٌ ثُمَّ مُنْتَهِيَاتٌ ذَلِكَ فَوْقَ أَنَّ الأَرْزَاقَ فِيْهَا قَدْ ضَمِنَهَا اللَّطِيْفُ الخَبِيْرُ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ الذِي مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إلا عَلَيْهِ رِزْقُهَا .

وَهَلْ يَشُكُّ مُؤْمِنٌ عَاقِلٌ في مَا ضَمِنَهُ مَوْلَاهُ الغَنِيُّ الحَمِيْدُ لَقَدْ كَانَ الأَجْدَرُ وَالأَوْلَى بِهَذا الاهْتِمَامَ حَيَاتَنا الثَّانِيَة لِإنَّهَا دارُ القَرَارِ وَلأنَّهَا إذَا فَاتَتْكَ فِيْهَا دَارُ الكَرَامَةِ هَوَيْتَ فِي الْهَاوِيَةِ وَأَنْتَ لا تَدْرِي هَلْ أَنْتَ مِنْ فرِيْقِ الجَنَّةِ أمْ مِنْ فَرِيْقِ السَّعِيْرِ .

فَتَيَقَّظَ يَا مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ في الغَفَلاتِ ! انْتَبِهْ يَا مَنْ يَقْتُلُ أوْقَاتَهُ عِنْدَ الملاهِيْ وَالمنكَرَاتِ .

يَا أسَفِي عَلَى أوْقَاتٍ لاَ تُبَاعُ بماءِ الأَرْضِ ذَهَباً تُضَيَّعُ عِنْدَ التِّلفِزْيُونِ وَالفِدْيُو والسِّيْنَمَاتَ والبكمات .

آهٍ على أوقَاتٍ تُقْتَلُ عِنْدَ المِذْيَاعِ واسْتِمَاعِ أغَانِيْهِ ومَلاَهِيْهِ المُهْلِكَاتِ .

آهٍ على سَاعَاتٍ تَمْضِيْ عِنْدَ الكُرَةِ وَالمُطْرِبْينَ وَالمُطْرِبَاتِ .

آهٍ عَلى أوْقَاتٍ وَتَفْكِيْرَاتٍ تَذْهَبُ في قِرَاءَةِ الكُتُبِ الخلِيْعَةِ وَالجَرَائِدِ وَالمَجَلاّتِ .

آه على أوقاتٍ تَنْقَضِيْ في الإقَامَةِ بَيْنَ أعْدَاءِ اللهِ وَرَسُولِه .

آهٍ عَلى أوْقاتٍ تُقْتَلُ في الغِيْبَةِ وَالبُهْتِ وَالتَّمَلّقِ وَالنِّفَاقِ وَالمُدَاهَنَاتِ .

آهٍ عَلى أوْقَات تُقْتَلُ في الجُلُوسِ في الأَسْوَاق لاَ لِمَصْلَحَةِ دُنْيَا ولا دِيْنٍ بلْ لِأمُورٍ عِنْدَ أهلِ الضَّيَاعِ مَعْلُومات .

آهٍ على أوقاتٍ تُقضىَ في بِلادِ الحُرِّيَةِ وَالفِسْقِ وَالفُجُوْرِ .

آهٍ عَلى أوقاتٍ تُقْتَلُ بالحِكَايَاتِ المضحكَاتِ والتَّمْثِيْلِيَاتِ .

آه على أوقاتٍ تَنْقَضِي بلَغْوِ الكلامِ والمُغازَلات .

آه على أوقاتٍ تَنْقَضي في الاسْتِمَاعِ لِلأَغانِيْ الخَلِيْعَاتِ .

آه على أوْقَاتٍ تَمْضِيْ في السُّكْرِ وَشُرْبِ أبي الخَبَائِثِ الدُّخَانْ .

آهٍ على أَوْقَاتٍ تُقْتَلُ في ذِكْرِ الحَوَادِثِ وَالامُوْرِ المَاضِيَاتِ التِيْ لاَ تَعُوْدُ عَلَيْهِم بِنْفْعٍ بَلْ رُبَّما عَادَتْ بِالضَّرَرِ والنَّكَباتِ .

آه عَلى أوقْاتٍ تذهَبُ سُدَى في النَّوْمِ وَالغَفَلاتِ .

آه عَلى أمْوالٍ تنْفَقُ فيْمَا يُغْضِبُ فَاطِرَ الأرْضِ وَالسَّموَاتِ .

آه على أَلْسنَةٍ لاَ تَفْتُر عَن الكَلامِ فِيْمَا يَضُرُّ وَلَمْ تَسْتبدِلْهُ بِتَمْجِيْدٍ وَتَسْبِيْحٍ وَتَكْبِيْرٍ وَتَهْلِيْلٍ بَدِيْعِ الأَرْضِ وَالسَّموات .

آه عَلى أفْكَارٍ وأَذْهانٍ مَصْرُوفةٍ ومُشْتَغِلَةٍ طوْل لَيْلِهَا وَنهارِهَا فَيْمَا في الدُّنْيَا مِنْ مَتَاعٍ وعَقَارَاتٍ وَلَمْ تُفكِّرْ وَتَلْتَفِتْ وتَسْتَعِدّ إلَى مَا في أمامهَا مِنْ أهْوَالٍ وَشَدائِدَ وَعَقَباتٍ وَمَا في الآخِرَةِ لِمَنْ أطَاعَ اللَّهَ مِن أنْهَارٍ وثِمَارٍ وَحُوْرٍ حِسَانٍ طَاهِرَاتٍ .

تَاللَّهِ لقَدْ فَسَدَتْ أمْزِجَةُ أكْثَر النَّاسِ حَتَّى أثَّرَ فَسَادُهَا عَلى الأَفْهَامِ لِذَلِكَ رَجَّحُوا فَانِياً مُكَدَّراً مُنَغّصاً عَلى بَاقٍ ضَمِنَ صَفْوَهُ مُوْلِيْ الأَنْعَامِ وَهَا هُمْ أَوْلاَءِ كَمَا تَرَى لاَ هَمَّ لَهُمْ وَلاَ عَمَل إلاّ لِلدُّنْيَا وَمَالَهَا مِنْ حُطَامٍ قَالَ تَعَالَى ﴿ بَلْ تُؤْثِرُوْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ خَيرٌ وَأَبْقَى ﴾ .

عِبَادَ اللَّهِ أمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ نَبِيِّكُمْ ﷺ أبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُم فَوَاللَّهِ مَا الفَقْرَ أخْشَى عَلَيْكُم وَلَكِنْ أخْشَى أن تُبْسَطَ الدُنْيَا عَلَيْكُم كَمَا بُسِطَتْ عَلَى

مَن كانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوْهَا كَما تَنافَسُوهَا فَتُهلِككم كَما أهلكَتْهُم رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلِمٌ وَخِتَاماً :

فَيْنَبغِيْ لِلعَاقِلِ أنْ يَعْرف شَرَفَ زَمَانِهِ وَقَدْرَ وَقْتِهِ فَلا يُضِيْعُ مِنْهُ لَحْظَةً في غير قُرْبَةٍ وَيُقَدِّمَ الأَفْضَلَ فالأفْضَلَ مِنْ القَوْلِ وَالعَمَل .

فوائد : كُلُ ما يقومُ به غَيْرُكَ ويَحْصَلُ بذَلِكَ غَرضُكَ فإن تَشَاغلك به غَبْنٌ فاحِش لِأنَّ إحْتِيَاجُكَ إلى التشاغل بما لا يقوم به غَيْرُكَ مِن العلم والعمل والذِكر والفِكر آكدُ والْزَمَ وأنْفَع .

أعلم أن ما احْتَجْتَ إلى مُفَارقته وتركه للناس فَلَيْسَ لَكَ والشُغْلُ بما لَيس لَكَ عَبَث .

اللهُمَّ يا جَامِعُ النّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيْهِ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الصِّدْقِ وَالنِّيةِ الصَّالِحَةِ والاخلاصِ والخُشُوعِ والمُرَاقَبَةِ واليَقِيْنِ والعِلْمِ والمَعْرِفَةِ والفَصَاحَةِ والبَيَانِ وَالفَهْمِ في القُرْآنِ وَخُصَّنا مِنْكَ بالمَحَبَّةِ وَالاصْطِفَائِيَّةِ وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ الرَّشِيْدِ والرِّزْقِ الهَنِيْءِ الذِي لَا حِجَابَ بِهِ في الدُّنْيَا وَلَا حِسَابَ ولا سُؤالَ ولا عِقَابَ عَلَيْهِ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٩٢ مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللهِ إنَّ طَاعَةَ اللهِ صَلاحٌ في الأرْضِ لِهَذَا أَمرَ عزَّ وَجَلَّ بالطاعَاتِ ، وَهَذه الطاعَاتُ تُرْضِي اللهَ سُبْحَانَهُ لأنَّها شُكْرٌ لَهُ على نِعَمِهِ المُتَوالِيَاتِ ، فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَحُثَّ عليْهَا وَأنْ نَأْمُرَ مَنْ تَرَكَ الطاعَةَ أَنْ يَعُودَ إليها إذا كانَتْ مِنْ فَرَائِضِ الدِّيْنِ كالصَّلاةِ وَالزّكاةِ وَالصِّيَامِ وَالحَجِّ ، وَأَنْ نُنْكِرَ على مَنْ رَأَيْنَاهُ

يَقْتَرِفُ مَعْصِيَةَ مِنْ المَعَاصِي ، لأنَّ المَعَاصِيْ بكلِّ أَنْوَاعِهَا شُرُورٌ وَأَضْرَارٌ وَفَسَادٌ وَلَهَا شُؤْمٌ قَدْ يَعُمُّ الدنيا وَيَفْعَلُ الأفاعِيْلَ العِظَامَ في بَنِيْ الانْسَانِ وَمِنْ آثارِهَا المُضرَّةُ بالقَلْب وَالبَدنِ : أَنَّهَا إِفْسَادٌ لِلعَقْلِ فَإِنَّ العَقْلَ نُورٌ والمَعْصِيَةُ تُطْفِىءُ نُورَ العَقْلِ ومنها أنَّ المَعَاصِي مَدَدٌ مِنْ الإِنْسَانِ يَمُدُّ بها عَدُوَّه عليه وَجَيْشٌ يُقَوِّيْهِ بهِ على حَرْبِهِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُوْهِنُ القَلْبَ وَالبَدَنَ وَمِنْهَا أنها تَزْرَعُ أَمْثَالِهَا مِنْ المَعَاصِيْ وَمِنْهَا أَنَّهَا تَمْحَقُ بركَةَ العُمْرِ وَمِنْهَا أَنَّها تُسَبِّبُ شَمَاتَةَ الأعْدَاءِ وَمِنْهَا أنهَا تَعَسِّرُ على الانْسَانِ أُمُورَهُ ، ومِنْهَا أَنَّهَا تسَبِّبُ الوَحْشَةَ بينَ العَاصِي وبينَ أَهْلِ الخَيْرِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُذْهِبُ الحَيَاءَ ومنها أنْ تَسْتَدْعِي نِسْيَانَ اللهِ لِعَبْدِهِ وَتَرْكِهِ ، ومِنْهَا أَنها تُطْفِىءُ مِنْ القَلْبِ نَارَ الغَيرةِ ومنهَا أنَّهَا تُضْعِفُ في القَلْبِ تَعْظِيْمَ الرَّبِّ ومنْهَا أنها تُعْمِي بَصِيْرَةَ القَلْبِ وَتَطْمِسُ نُورَهُ وَمِنْهَا أنها تُسْقِطُ الجَاهَ وَالمَنْزِلَةَ عِندَ اللهِ إِلَى مَالا نِهَايَةَ لَهُ مِنْ الأَضْرَارِ لِهَذَا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَنْهِيَ عَنْ المَعَاصِيْ لا سِيَّما إِذا كَانَتْ مِنْ كِبَارِ المَعَاصِيْ ، ولا تَنْسَ أَنَّ بَنِي اسْرَائِيْلَ لَعَنَهُم اللهُ لَمَّا فَقَدُوا الغَيْرَةَ على انتِهَاكِ الحُرمَاتِ وَلَا تَنَاهَوْ عَنْ المُنْكرِ ، وَتَأمَّلْ أَحْوَالَ الأُمَم وَمَا حَلَّ بِهَا مِنْ العُقوبَاتِ بِأَسْبَابِ الذُّنُوبِ قالَ تَعَالَى ﴿ فَكُلًا أَخَذْنا بِذنْبِهِ فَمِنْهُم مَنْ أَرْسَلنَا عليهِ حَاصِباً ومنهُم مَنْ أَخَذتْهُ الصَّيْحَةُ ومنهم مَنْ خَسَفْنَا بهِ الأَرْضَ ومنهُم مَنْ أَغْرَقْنا وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُم وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهم يَظْلِمُون ﴾ .

اللهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا ، وعَلِّمْتَنَا مَا يَنْفَعُنَا ، ووَفِّقْنَا للعمل بِمَا فَهَّمْتَنَا ، اللهُمَّ إنْ كُنَّا مُقصرِّيْنَ في حِفْظِ حَقِّكَ ، والوفاء بعَهْدِكَ ، فأنْتَ تَعْلَمُ صِدْقَنَا في رَجَاءِ رِفْدِكَ ، وخالِص وُدِّكَ ، اللهُمَّ أنتَ أعْلَمُ بنا منَّا ، فَبِكَمالِ جُوْدِكَ تجَاوَزْ عَنَّا ، وَاغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدِيْنا ولجَمِيْع المُسْلِمينَ ، الأَحْيَاءِ مِنْهُم وَالمَيِّتِيْنَ ، برَحْمَتَكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وصلى الله على مُحَمَّدٍ وعلى آله

وصَحْبِهِ أجمعين .

٩٣ موعظـة

الحمدُ لِلّهِ المستحقِّ لِغَايَةِ التَّحْمِيْد ، المُتَوحِّدِ في كِبْرِيَائِه وعَظَمَتِهِ الوَلِي الحَمِيْد ، الغَنِّي المُغْنِي المُبْدِىءُ المُعِيْد ، المعطي الذي لا يَنْفَذُ عَطَاؤهُ ولا يَبِيْدْ ، المانِعِ فلا مُعْطِي لِما مَنَعَ ولا رَادَّ لِما يُرِيْد .

خَلَقَ الخَلائِق وأَوْضَحَ لَهُمْ أَحْسَنَ طَرِيق ، وهَداهُم إلى الأمْرِ الرَّشِيْد ، وصَوَّرَهُم فأَحْسَنَ صُوَرَهُم ، وبَشَرَ مَنْ أطاعَهَ بِالجنةِ والنَّعِيْمِ والتَّخْلِيد ، وحَذَّرَ مَنْ عَصَاهُ مِن العَذابِ الشَديد .

وحَثَهُمُ على ذِكرِهِ وحَمْدِهِ وشُكْرِهِ وَوَعَدهُم بالمزِيْد ، فقال جَلَّ وَعَلا وهو أصْدَقُ القائِلِين وأوْفى الواعِدِيْنَ : ﴿لَئِنْ شَكَرْتُم لأزِيْدَنكمُ ولِئِنْ كَفرتُمْ إن عَذَابِي لشديْد﴾ .

وحَكَمَ على خَلْقِهِ بالفَناءِ فَمَا لِأُحَدٍ عنه مَحِيْصٌ ولا مَحِيْدْ ، فكم أبْكَي الموتُ خليلاً بِفِرَاقِ خَلِيْلِهْ ، وكَمْ أَيْتَمَ طِفْلاً فَشَغَلَهُ بِبُكَائِهِ وعَوِيْلِهْ .

أَوْحَشَ المنازِلَ مِن أَقْمَارِهَا ، ونَفَّرَ الطُيُورَ مِن أَوْكارِهَا ، وعَوَّضَهُمْ مِن لذَةَ العَيْشِ بالتَّنْغيْصِ والتَّنْكِيْدْ .

فَالمِلكُ والمَمْلُوكُ والغَنِّيُ والصُّعْلُوكُ والقَوِيُّ والضَّعِيْف ، تَسَاوَتْ قُبُورُهم في القَفْرِ والبيْد .

فسُبْحانَهُ مِن إلَهٍ أَذَلَّ بالمَوْتِ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيْدْ ، وكَسَرَ بِهِ من الأكَاسِرَةِ كُلِّ جَبَّارٍ صِنْـدِيْد ، وأُخْرِجُوا مِنْ سَعَةِ القُصُور إلى ضِيْقِ القُبُور ، وقُطِعَ حَبْلُ

أَمَدِهِمْ المَدِيْدْ .

أَخَذَ بِهِ الأَبَاءَ والجدُوْدْ والأطفالَ مِن المُهُوْد ، وأسْكَنَهُم بَعْدَ اللِّيْنِ والسَّعَةِ والرَّفَاهِيَّةِ مَضِيْقَ اللُّحُوْد ، وعَفَّرَ وجُوهَهُمْ في التُّرابِ بَعْدَ لِيْنِ الوَسَائِدِ والفرشُ الناعِمَة والتَمْهِيْد وَبَقُوا في تَحْتَ الأرضِ إلى يَومِ الوعيد .

فَيَا بُؤسَ للدُّنيا شَدَّ مَا عَن ثَدْيَها فَطَمَتْهُمْ ومِنْ سُمِّهَا أطْعَمَتْهُمْ وبِيَدِها البَاطِشِةِ لَطَمَتْهُمْ ، وفي ظُلُمَاتِ الأرضِ وغياباتِ الثُّرى طَرَحَتْهُمْ ، فَقَلَبَتْ قَائِم تِلْكَ الأَعْيَان ، وطَمَسَتْ تِلْكَ الوجُوهِ الحِسان .

وأَعْمَتْ تِلْكَ الأبْصَار ، وأصَمَّتْ تِلْكَ الآذان وأسَالَتْ الحَدَقَ على الخُدود والوَجَنَات ، وغَسَّلَتْ بالصَّدِيْدِ جمِيْلَ القَسَمات ، ومَلأتْ بالتُرابِ اللَّهازِمَ واللَّهَوات .

وكَسَرَتْ تِلْكَ الضَّواحِكَ والرَّبَعِيَاتِ ، وعَبَثَتْ الدِّيْدَانُ بِجُسُوم أُولَئِكَ الفِتْيَانِ والفتيَاتِ ، لَطَالَمَا اغْرَبُوْا ضاحِكِيْنَ ، وتَقَلَّبُوْا فاكِهِيْنَ ، وباتُوا عَلَى سُرُرَهِم مُطْمَئِنِيْنَ آمِنِيْنَ .

فكَمْ بهَا مِن لِسَانٍ فَصِيْحٍ ، طَالَمَا ما أَنْشَدَ وخَطَبَ ، وأَرْهَبَ وأرْغَبْ ، ومَدَحَ وأطْنَبْ ، وكَمْ مِن فصِيْحِ لِسَان وعَظِيْم بَيَان أخْرَسَهُ الحَدَثان ، وتَحَكَّمَتْ في جَسَدِهِ الهَوَّامُ والدِّيْدَانُ .

اللهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا ، وَعَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا فَهَّمْتَنَا ، اللهُمَّ إنْ كُنَّا مُقَصِّرِيْنَ في حفْظِ حَقِّكَ ، وَالوَفَاءِ بِعَهْدِكَ ، فأَنْتَ تَعْلَمُ صِدْقَنَا في رَجَاءِ رِفْدِكَ ، وَخا ِ وُدِّكَ ، اللهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِنا مِنَّا ، فبِكَمَالِ جُوْدِكَ تَجَاوَزْ عَنَّا ، وَاغْفِر لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ،

الأحْيَاءِ مِنْهُم والمَيِّتِيْنَ ، بِرَحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٩٤ موعظـة

عِبَادَ اللهِ يَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلا وَتَقَدَّسَ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ المؤمِنُون الذين هُمْ في صَلاتِهِم خَاشِعُوْنَ ﴾ عِبَادَ اللهِ انَّ الصَّلاَةَ عِمَادُ الدِّيْنِ وَأَعْظَمُ أَرْكَانِ الإِسْلاَمِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ ، وَهِيَ قُرَّةُ عَيْنِ المُؤْمِنِ وَطُمَأْنِيْنَةُ قَلْبِهِ تَبْدُو واضِحَةً في وُقُوْفِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ ، وَخُشُوْعِه وَانكِسَارِهِ ، عِنْدَمَا يَتَّجِهُ إِلَيْهِ في عِبَادَتِهِ ، وَيَقِفُ خَاضِعاً ذَلِيْلاً بَيْنَ يَدَيْ العَزِيْزِ الحَكِيْمِ .

عِبَادَ اللهِ مَنْ حَافَظَ عَلى الصَّلاَةِ فَهُوَ السَّعِيْدُ الرَّابِحُ ، وَمَنْ أَضَاعَهَا فَهُوَ الشَّقِيُّ الخَاسِرُ ، وَإِنَّ اللبِيْبَ العَاقِلَ مَنْ إذا حَضَرَ لِلصَّلاَةِ أَقْبَلَ بِقَلْبِهِ وَقَالبِهِ ، طَرَحَ الدُّنْيَا وَشُؤُنَها وَمُتَعَلِّقَاتِهَا جَانِباً وَتَدَبَّرَ مَا يَتْلُوهُ إِنْ كانَ وَحْدَهُ أَوْ إِمَاماً . وَأَنْصَتَ وَأَحْضَر قَلْبَهُ إِنْ كَانَ مَأْموماً وَتَفَهَّم مَا يَسْمَعُ وَابْتَهَلَ وَتَضَرَّعَ إِلى مَوْلاَهُ .

عِبَادَ اللّهِ إِنَّ الخُشُوْعَ في الصَّلاَةِ هُوَ رُوْحُهَا ، وَالمِحْوَرَ الذِيْ تَدُوْرُ عَلَيْهِ سَائِرُ أَفْعَالِهَا ، وَالخُشُوْعُ فِيْهَا مَعَ الإِخْلاَصِ للهِ آيَةُ الإِيْمَانِ وَسَبَبُ الفَلاَحِ وَأَمَانٌ مِن وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ . أَلاَ وَإِنَّ الصَّلاَة بلا خُشُوْعٍ كَجَسَدٍ بلا رُوْحٍ ، قالَ ابْنُ عَباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا « لَيْسَ لَكَ مِنْ صَلاَتِكَ إِلاَّ مَا عَقَلْتَ مِنْهَا » .

وَفي المُسْنَدِ مَرْفُوعاً إِنَّ العَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلاَةَ وَلَمْ يُكْتَبْ لَهُ إِلاَّ نِصْفَهَا أَوْ ثُلُثَهَا أَوْ رُبْعَهَا ، حَتَّى بَلَغَ عُشْرَهَا ، وَقَدْ عَلَّقَ اللهُ فَـلاَحَ

المصلِّينَ بالخُشُوعِ في صَلاَتِهِم ، فَدَلَّ عَلى أنَّ مَنْ لم يَخْشَعْ فَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ الفَلاحِ وَلَوْ اعْتُدَّ لَهُ بِهَا ثَوَاباً لَكَانَ مِنْ المفْلِحِيْنَ هَكَذَا قالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ .

قالُوا وامَّا الاعْتِدَادُ بِهَا في أَحْكَامِ الدُّنْيَا وَسُقُوْطِ القَضَاءِ فَإِنْ غَلَبَ الخُشُوْعُ وَتَعَقُّلُها اعْتُدَّ بِهَا اجْمَاعاً ، وَكَانَتْ السُّنَنُ والاذْكَارُ عَقِبَهَا جَوابِرَ وَمُكَمِّلاتٍ لِنَقْصِهَا ، وَانْ غَلَبَ عَلَيْهِ عَدَمُ الخُشُوعِ فِيْهَا وَعُدِمَ تَعَقُّلُها .

فقد اخْتَلَفَ العُلَمَاءُ في وُجُوْبِ اعادَتِهَا وَاحْتَجُّوا بِأَنَّهَا صَلاَةٌ لا يُثَابُ عليها ، ولم يُضْمَنْ له فيها الفَلاحُ فلم تَبْرَأْ ذِمَّتُهُ منها ، وَيَسْقُطُ القَضَاءُ عنهُ كصَلاةِ المرَائِي قَالُوا وَلأَنَّ الخُشُوْعَ وَالعَقْلَ رُوْحُ الصَّلاَةِ ، وَمَقْصُوْدُهَا وَلُبُّهَا ، فَكَيْفَ يُعْتَدُّ بصَلاةٍ فَقِدَتْ رُوْحَهَا ، وَلُبَّهَا وَبَقِيَتْ صُوْرَتُهَا وَظَاهِرُهَا .

قَالُوا وَلَوْ تَرَكَ العَبْدُ وَاجباً من وَاجِبَاتِهَا عَمْداً لأَبْطَلَهَا تَرْكُهُ وَغَايَتُه أنْ يَكُوْنَ بَعْضاً مِنْ أَبْعَاضِهَا بِمَنْزِلَةِ فَواتِ عُضْوٍ من أَعْضَاءِ العَبْدِ المُعْتَقِ في الكَفَّارَةِ ، فَكَيْفَ إذَا عُدِمَتْ رُوْحُهَا وَمَقْصُوْدُهَا ، وَصَارَتْ بمَنزِلَةِ العَبْدِ الميِّتِ فإذَا لَم يُعْتَدَّ بالعَبْدِ المقْطُوْعِ اليَدِ يُعْتِقُه تَقَرُّباً إلى اللهِ تَعَالَى في كَفَّارَةٍ وَاجِبَةٍ فَكَيْفَ يُعْتَدُّ بالعَبْدِ الميِّتِ .

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ الصَّلاَةُ كَجَارِيَةٍ تُهْدَى إلى مَلِكٍ مِن المُلُوْكِ فَمَا الظَّنُّ بمَنْ يُهْدِي إِلَيْهِ جَارِيَةً شَلاَءَ أَوْ عَوْرَاءَ أَوْ عَمْيَاءَ أَوْ مَقْطُوْعَةَ اليَدِ أَوْ الرِّجْلِ أَوْ مَرِيْضَةً أَوْ دَمِيْمَةً أَوْ قَبِيْحَةً حَتَّى يُهْدِي إليهِ جَارِيَةً مَيْتَةً بلاَ رُوْحٍ وَجَارِيَةً قَبِيْحَةً فَكَيْفَ بالصَّلاةِ التي يُهْدِيْهَا العَبْدُ وَيَتَقرَّبُ بِهَا إِلى رَبِّهِ تَعَالَى وَاللّهُ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّباً وَلَيْسَ مِن العَمَلِ الطَّيِّبِ صَلاَةٌ لا رُوْحَ فِيْهَا

كمَا أنه لَيْسَ مِن العِتْقِ الطَّيِّب عِتْقُ عَبْدٍ بلا رُوْحٍ .

قَالُوا وَتَعْطِيْلُ القَلْبِ عن عُبُوْدِيَّةِ الحُضُوْرِ وَالخُشُوْعِ تَعْطِيْلٌ لِمَلِكِ الأَعْضَاءِ عن عُبودِيَّتِهِ وَعَزْلٌ له عَنْهَا فمَاذَا تُغْنِي طَاعَةُ الرَّعِيَّةِ وَعُبُودِيَّتُهَا وَقَدْ عُزِلَ مَلِكُهَا وَتَعَطَّلَ .

قَالُوا وَالأَعْضَاءُ تَابِعَةٌ لِلْقَلْبِ تَصْلُحُ بِصَلاَحِهِ وَتَفْسُدُ بِفَسَادِهِ فإذا لم يكن قائِماً بِعُبُودِيَّتِهِ فَالأَعْضَاءُ أَوْلَى أَنْ لا يُعْتَدَّ بِعُبُودِيَّتِهَا وَإِذَا فَسَدَتْ عُبُودِيَّتُه بالغَفْلَةِ وَالوَسْوَاسِ فَأَنَّى تَصِحُّ عُبُودِيَّةُ رَعِيَّتِهِ وَجُنْدِهِ وَمَادَّتُهم مِنْهُ وَعَنْ أَمْرِهِ يَصْدُرُوْنَ وَبِهِ يأْتَمِرُوْنَ .

قَالُوا وَلأَنَّ عُبُودِيَّةَ مَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الغَفْلَةُ وَالسَّهْوُ في الغَالِبِ لاَ تَكُوْنُ مُصَاحِبَةً للإِخْلاَصِ فَإِنَّ الإِخْلاَصَ قَصْدُ المَعْبُودِ وَحْدَهُ بِالتَّعَبُّدِ وَالغَافِلُ لاَ قَصْدَ لَهُ فَلاَ عُبُوْدِيَّةَ لَهُ .

قَالُوا وَقَدْ قَالَ اللّهُ تَعَالَى ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّيْنَ الذِيْنَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُوْنَ ﴾ وَلَيْسَ السَّهْوُ عَنْهَا تَرْكُهَا وَإِلاَّ لَمْ يَكُونُوا مُصَلِّيْنَ وإِنَّمَا السَّهْوُ عَنْ وَاجِبَها إِمَّا عَنِ الحُضُوْرِ أَوِ الخُشُوْعِ .

وَالصَّوَابُ أنَّه يَعُمُّ النَّوْعَيْنِ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَثْبَتَ لَهُم صَلاَةً وَوَصَفَهَا بالسَّهْوِ عَنْهَا ، فَهُوَ السَّهْوُ عن وَقْتِهَا الوَاجِبِ أو عَنْ اخْلاَصِهَا وَحُضُوْرِهَا الوَاجِبَ ، وَلِذَلِكَ وَصَفَهُم بالرِّيَاءِ ، ولو كَانَ السَّهْوُ سَهْوَ تَرْكٍ لما كَانَ هُنَاكَ رِيَاءٌ أهـ .

وَبالتَّالِي فَانَّ العَبْدَ إِذَا مَـرَّنَ نَفْسَهُ وَقَلْبَـهُ على التَّفَهُّمِ وَالتَّدَبُّـرِ وَالخُشُوْعِ وَالخُضُوْعِ في الصَّلاَةِ انْغَرَسَتْ في قَلْبِهِ خَشْيَةُ اللّهِ وَمَحَبَّتِه

وَالرَّغْبَةِ فِيمَا لَدَيْهِ ، وَحَضَرَتْهُ هَيْبَةُ خَالِقِهِ في جَمِيْعِ أَحْوَالِهِ وفي جَمِيْعِ أَعْمَالِهِ .

فَإِذَا سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ أَمراً أَوْ زَيَّنَ الشَّيْطَانُ سُوْءاً تَبرَّأَ مِنهُمَا قَائِلاً إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالمين فَكُنْ في صَلاتِكَ خَاشِعاً خاضِعاً مُخْبِتَا .

فَإِذَا قُلْتَ اللهُ أَكْبَرُ فَاسْتَحْضِرْ عَظَمَةَ اللّهِ وَأَنَّه لا شَيْءَ أَكْبَرَ مِنْهُ وَلاَ شَيْءَ أَعْظَمَ مِنْه وَأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لأَنْ يُعَظَّمَ وَيُجَلَّ وَيُقَدَّرَ وَأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُسَاوِيْهِ أَوْ يُدَانِيْهِ في عَظَمَتِهِ .

وَإِذَا قُلْتَ الحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العَالمين فاسْتَحْضِرْ أَنَّهُ المُسْتَحِقُّ لِلثَّنَاءِ وَانَّهُ المرَبِّي لِجَمِيْعِ الخَلْقِ التَّرْبِيَةَ العَامَّةَ والمُرَبِّي لِخَوَاصِّ خَلْقِهِ التَّرْبِيَةَ الخَاصَّةَ ، وَهِيَ تَرْبِيَةُ القُلُوبِ على العَقَائِدِ النَّافِعَةِ ، وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، وَالأَخْلَاقِ الفَاضِلَة .

وَإِذَا قُلْتَ الرَّحْمنُ الرَّحِيْم اسْتَحْضَرْتَ لِرَحْمتِهِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ رَاجِياً مِنْهُ أَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ كَتَبَهَا لَهُمْ فَإِذَا قُلْتُ مَلِكِ يَوْمِ الْدِّيْنِ مَجَّدْتَهُ وَاسْتَحْضَرْتَ لِوُقُوفِكَ بَيْنَ يَدَيْه وَهُوَ أَحْكَمُ الحَاكِمِيْنَ .

فَإِذَا قُلْتَ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين اسْتَحْضَرْتَ أَنَّكَ تَخُصُّهُ وَحْدَهُ بالعِبَادَةِ والاسْتِعَانَةِ ، المَعْنَى نَعْبُدكَ وَلا نَعْبُدُ غَيْرَكَ وَنَسْتَعِيْنُ بِكَ وَلاَ نَسْتَعِيْنُ بِغَيْرِكَ .

فَإِذَا قُلْتَ اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيْمَ اسْتَحْضَرْتَ أَنَّكَ تَتَضَرَّعُ إِليه وَتَسْأَلُه أن يَدُلَّكَ وَيُرْشِدَكَ وَيُوَفِّقَكَ إلى سُلُوْكِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ وَأَنْ يُثَبِّتَكَ عَليه فَهَذا الدُّعَاءُ مِن أَجْمَعِ الأَدْعِيَةِ وَأَنْفَعِهَا لِلْعَبْدِ وَلِهَذَا وَجَبَ عَلى

العَبْدِ أَنْ يَدْعُوَ به فِيْ كُلِّ رَكْعَةٍ من صَلاَتِهِ لِضَرُوْرَتِهِ إلى ذَلِكَ وَهَذا الصِّرَاطُ هُوَ صِراطُ المُنْعَمِ عَلَيْهِمْ مِن النَّبِيِّيْنَ .

وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيْقًا ، وَافْعَلْ في بَاقِي صَلاَتِكَ كَمَا فَعَلْتَ في أَوَّلِهَا مِنْ التَّدَبُّرِ وَالتَّفَهُّمِ مُحْضِراً قَلْبَكَ لِمَعَانِيْ مَا تَقُولُهُ وَمَا تَسْمَعُهُ حَتَّى تُكْتَبْ لَكَ كَامِلَةً .

عِبَادَ اللّهِ إِنَّ مَنْ حَافَظَ عَلى الصَّلَوَاتِ في أَوْقَاتِهَا وَوَاظَبَ عَلى الجُمُعَةِ وَالجَمَاعَاتِ وَأَدَّاهَا تَأْدِيَةً تَامَّةً بِخُشُوْعٍ وَخُضُوْعٍ ، اسْتَنَارَ قَلْبُهُ وَقَوِيَتْ الصِّلَةُ بَيْنَهُ وَبينَ رَبِّهِ ، وتهَذَّبَتْ نَفْسُهُ وَحَسُنَتْ مَعَ اللّهِ والنَّاسِ مُعَامَلَتُه ، وَحِيْلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ المُحَرَّمَاتِ وَكَانَ على البُؤَسَاءِ عَطُوْفاً وَبالضُّعَفاءِ رَحِيْماً ، وَأَفْلَحَ في دِيْنِهِ وَدُنْيَاهُ وَكَانَ مِنْ المحْبُوبِيْنَ عِنْدَ اللّهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ .

عِبَادَ اللّهِ النَّفْسُ آمِرَةٌ بالسُّوْءِ ، وَالشَّيْطَانُ يَأْمُرُ بالفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالسَّيْفُ القَاطِعُ والدَّوَاءُ النَّافِعُ الذِي جَعَلَهُ اللهُ وِقَايَةً لِلإِنْسَانِ مِن شَرِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ ، إِنَّمَا هُوَ الصَّلاَةُ قالَ اللّهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنْ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَلَذِكرُ اللّهِ أَكْبَرُ ﴾ .

عِبَادَ اللّهِ احْذَرُوا أن تَسْتَهِيْنُوا بالصَّلاةِ وأن لا تَهْتَمُّوْا لَهَا ، فَإِنَّ هَذِهِ صِفَةُ الذِيْنَ خَلَتْ صَلاَتُهُم مِن التَّذَلُّلِ وَالخُشُوْعِ كَمَا تَرَوْنَهُم يُسْرِعُوْنَ في أَدَائِهَا وَهُمْ عَنْهَا غَافِلُوْنَ لا يَعْرِفُوْنَ لَهَا مَعْنَى وَلا يَعْقِلُونَ لها سِرّاً وَلَمْ تَشْعُرْ قُلُوبهُم بحَلاوَتِهَا وَلاَ بِلَذَّةِ المُنَاجَاتِ قَدْ مَلَكَتْهُم الوَسَاوِسُ، وامْتَلأَتْ قُلُوبُهم بشَوَاغِلِ الدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا ، وَاسْتَحْوَذ عَلَيْهِم الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللّهِ .

قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِيْنٌ ﴾ وَمِنْ النَّاسِ مَن عَمِيَتْ بَصَائِرُهم ، وَتَحَجَّرَتْ ضَمَائِرُهُمْ ، فَأَضَاعُوا الصَّلاةَ واتَّبَعُوا الشَّهواتِ ، وَأَهْمَلُوا أَوَامِرَ بَدِيْعِ السَّمَوَاتِ وَغَفَلُوا عَنْ وَاجِبِ شُكْرِهِ وَلَمْ يَخافُوا سَطْوَةَ جَبَرُوتِهِ وَبَطْشِهِ ، وَلاَ سُوْءَ الحِسَابِ ، وَلاَ نَارَ العَذَابِ ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُم أَنْفُسَهُمْ ﴾ ﴿ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمْ الخَاسِرُوْنَ ﴾ .

فَيَا أَيُّها المُسْلِمُونَ اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُم وَحَافِظُوا عَلى صَلاتِكُم وَقُومُوا لِلَّهِ خَاضِعِيْنَ خَاشِعِيْنَ لِتَفُوزُوا بِرِضْوَانِ اللهِ وَتَكُونُوا مِن المُفْلِحِيْنَ .

اللهُمَّ قَوِّى إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلاَئِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ وَبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا صِيَانَةَ أَوْقَاتِنَا وَحِفْظَهَا عَنْ المَعَاصِيْ وَوَفِّقْنَا لِشَغْلِهَا بِالبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٩٥ مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللهِ عليكُم بتَقْوَى اللهِ ، فإنَّ تَقْواهُ عُرْوَةٌ مَالَهَا انْفِصَامٌ وَقُدْوَةٌ يَأْتَمُ بها الكِرَام ، وسِرَاجَ يُضِيْءُ لِلأَفْهَام ، مَنْ تَعَلَّقَ بِهَا حَمَتْهُ بإذن الله مَحذُوْرَ العاقبة ، ومَنْ تَحَقَّقَ بِحَمْلِهَا وَقَتْهُ بإذْنِ اللهِ شُرُوْرَ كُلَّ نـائِبَةْ والحَذَرَ مِن دَارِ فُرْقَةٍ مالَها أسْلافٍ ، وقَرارٍ حُرْقَةٍ مَالَهَا انْصِرافٍ ، وأَنَّي رَجْعَةٍ مَالَهَا إسْعَافٍ ، فانْهَضُوا عِبَادَ اللهِ في اسْتِعْمَالِ ما يُقَربُكُم مِن دَار

لقَرَارِ ، واتْرُكُوا كُلَّ ما يُدْنيْكُم مِن دَارِ البَوَارِ فإِنَّها المُصِيْبَةُ الجَامِعةُ والعُقُوبَةُ الوَاقِعَةُ ، يا لَهَا دَارٌ انقطَعَ مِنَ الرَّجَاءِ انْحِلاَلُهَا وَامْتَنَعَ مِن الفَنَاءِ بَقَاءُ نكالِهَا ، وشِعَارُ أَهْلِهَا الويْلَ الطَويْلَ ، ودِثَارُهُم البُكَاءُ والعَويْلُ ، وسَرَابيْلُ الخزيْ الوبيْلُ ، وَمَقِيْلُهُم الهَاوِيَةُ ، وَبِئْسَ المَقِيْلُ ، يُقَطِّعُ مِنْهُم الحَمِيْمُ أَمْعَاءً طَالَمَا وَلِغَتْ بأكلِ الحَرَام ، وَتُضَعْضِعُ مِنْهُم الجَحِيمُ أَعْضَاءً طَالَما أَسْرَعَتْ إلى اكْتِسَابِ الآثام قَدْ كَثُرَ مِنْهُم الأَنِيْنُ ، وَحَلَّتْ بِهِم المَثُلاَتُ فجلُودُهُم كُلَّما نَضِجَتْ بُدِلَتْ جُلُوْداً غَيْرَهَا ، وكُرِّرَ عَلَيْهِمُ العَذَابُ ، وَوُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ لِسُوءِ الحِساب ، والزَّبَانِيَةُ تَقْمَعُهُم فَيَذُوقونَ أليمَ العِقاب ، يُنَادُوْنَ إِلهاً ضَيَّعُوا أَوَامِرَهُ وارْتَكَبُوا نَوَاهِيَهُ وَنسُوْهُ ، وَحَقَّ عَلَيْهِمُ في الآجِلَةِ حُكْمُهُ لَمَّا أَغْضَبُوْهُ يقولُونَ « رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنها فَإِنْ عُدْنَا فإِنَّا ظَالِمُون » ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لعَادُوْا لِمَا نُهُوْا عنه وإنَّهُم لَكَاذِبُون ﴾ فَيُجِيْبُهُمْ بَعْدَ حِيْن إِجَابَةَ دعوةِ ذِي قُوَّةٍ مَتِيْن ﴿ اخسَؤُوا فِيهَا ولا تُكلِّمُون ﴾ فَحِيْنَئِذٍ يَنْقَطِعُ عِنْدَهَا واللهِ تَأْمِيْلُ المُذْنِبِيْنَ وَيَجْتَمِعُ التَّنْكِيْلُ على المُذْنِبين وَيَرْتَفِعُ في جَهَنَّم عَوِيْلُ المُجرِمِيْنَ المُعَذَّبِيْنَ ﴿ فَإِنْ يَصْبِرُوْا فالنارُ مَثْوَى لَهُم وانْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِن المُعْتَبِين ﴾ فيا لَهَا مِن حَسْرةٍ وَيا لَهَا مِن نَدَامَةٍ لاَ تُشْبِهُهَا نَدَامَةٌ وَيَا لَهَا مِن خَسَارَةٍ لا تُعَادِلُهَا خَسَارَةٌ ﴿ قُلْ إِن الخَاسِرِينَ الذين خَسِرُوا أنفسَهم وأهلِيْهِم يومَ القِيَامَةِ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الخسرانُ المبين ﴾ .

اللهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ والمُسْلِمِيْنَ وانْصُرْ الإِسْلاَمَ والمُسْلِمِيْن. واجْعَلْ كَلِمَتِكَ هِيَ العُلْيَا إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ وَاخذِلْ الكَفَرَةَ وَأَعْوَانَهُم والمَلحِدِيْنَ والمُبْتَدِعِيْنَ وَأَصْلِحْ مَنْ في صَلاَحِهِ صَلاَحُ الإِسْلاَمِ والمُسْلِمِيْنَ وَأَهْلِكْ مَنْ في هَلاَكِهِ صَلاَحٌ لِلإِسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ وَوَلِّ عَلَى المُسْلِمِيْنَ خِيَارَهُمْ

يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ وَلُمَّ شَعْثَهُم وَاجْمَعْ شَمْلَهُم وَوَحِّدْ كَلِمَتَهُم وَانْصُرْهُم عَلَى مَنْ خَالَفَهُم وَاحْفَظْ بِلادَنا مِنْ الفَسَقَةِ والمُجْرِمِيْنَ وَأَصْلِحْ أَوْلادَنا وَإِشْفِ مَرْضَانا وَعَافِ مُبْتَلانَا وَارْحَمْ موتانَا وَخُذْ بِأَيْدِيْنَا إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَاعْصِمْنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَاحْفَظْنَا مِنْ كُلِّ ضُرٍّ وَاغْفِرْ اللَّهُمَّ لِلمُؤْمِنِيْنَ والمُؤْمِنَاتِ والمسلمين والمسلمات الأحياءِ منهم والأمْوَاتِ إِنَّكَ قَرِيْبٌ مُجِيْبٌ اللهُمَّ لا تَجْعَلْ الدنيا أكبرَ هَمِّنَا ولا مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلاَ إِلَى النَّارِ مَصِيْرَنا ولا تُسَلِّطْ علينا بِذُنوبِنَا من لا يَخَافُكَ فِيْنَا ولا يَرْحَمُنَا ولا تُؤَآخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا وَلاَ تَسْلِبْ نِعْمَتَكَ عَنَّا وَكُنْ مَعَنَا حَيْثُمَا كُنَّا يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

٩٦ مَـوْعِظَـةٌ

الحَمْدُ لِلَّهِ غَافِرِ الذُّنُوْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ، شَديدِ العِقَابِ ذِي الطُّولِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ اليهِ المصير ، وأشْهَدُ أنَّ محمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ البشِيْرُ النَّذِيْرُ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أولي الجِدِّ في العبادَةِ والتشْمِيْرِ

عِبَادَ اللهِ ، إنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى الرَّحِيْلِ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ أَحْسَنَ فَعَلَيْهِ بالتَّمَامِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ فَرَّطَ فيه فَلْيَخْتِمْهُ بالْحُسْنَى ، فالعمَلُ بِالْخِتَامِ ، وَبَادِرُوا رَحِمَكُمْ اللهُ أوقاتَ شهْركُم الباقِيَةَ ، وَاسْتَدْرِكُوا ما مَضَى منه بالحَسْرَةِ والنَّدَمِ ، واختِمُوهُ بالتَّوْبَةِ النَّصُوْحِ والرُّجُوعِ إلى صالِحِ العملْ .

عِبَادَاللهْ ، كَمْ أناسٍ صَلَّوا في هذا الشَّهْرِ صلاةَ التراويحِ واوقَدُوا في المساجِدِ طلباً للأجْرِ المَصَابِيْحِ ، ونَسَخُوا بِإحْسَانِهِمْ كُلَّ فِعْلٍ قَبِيْحٍ ، وَقبلَ التَّمَامِ سَكَنُوا الضَّرِيْحَ ، ولَمْ يَنْفَعُهُمْ المالُ والآمَالُ لَمَّا

نُقِلُوا ، رَحَلُوا عن الدُّنْيَا قِدَماً قِدَماً ونُقِصَ مَا بَنَوْهُ هَدْماً هَدْمَا ، أَدَارَتْ عَلَيْهِمُ المنُونُ رَحَاهَا وَاحَلَّتْ وُجُوهَهُمْ في الثَّرَى فَمَحَاهَا .

وَهَذَا حَالُكَ عَنْ قَرِيْبٍ فَتَيَقَّظْ يَا قَلِيْلَ الزَّادِ ، وَحَادِي رَحِيْلِهِ قَدْ حَدَى تَأَهَّبْ لِلْتلفِ وَتَهَيَّأْ للرَّدَى ، ذَهَبَ عَنْكَ شَهْرُ الصيامِ وَوَدَّعَكَ ، وَسَارَتْ فِيهِ قَوَافِلُ الصَّالِحِيْنَ ، وَجَهْلُكَ مَنَعَكَ والتَّوْبِيْخُ مُتَوَفِّرٌ ، فَمَا ارْجَعَكَ وَلاَ ازْعَجَكَ وَانْتَ تُؤَمِّلُ مَنَازِلَ العامِلِيْنَ بأفعالِ الغَافِلِيْنَ فما أطْمَعَكَ .

يَا مَنْ اصْبَحَ ساعياً إلى مَا يَضُرُّهُ سَتَعْلَمُ مَنْ يأتِي غَداً حَزِيناً مُتَنَدِّمَاً ، كَمْ مِنْ صَائِمٍ يَفْضَحُهُ الحِسَابُ والعَرْضِ ، وَكَمْ مِنْ عاصٍ في هذا الشهْرِ تَسْتَغيْثُ مِنْهُ الأَرْضُ ، فيا ليت شِعْرِي من المقبولُ مِنَّا فَنُهَنِّيهِ على توفيقِ اللهِ لهُ بِحُسْنِ عَمَلِهِ وَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَنِ المَطْرُودُ فَنُعَزِّيْهِ بسوءِ عَمَلِهِ ، فَيَا أَيُّها المقبولُ هَنِيْئاً لَكَ بثَوَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ورِضْوَانِهِ وَرَحْمَتِهِ وَغُفْرَانِهِ وَقَبُولِهِ واحْسَانِهِ وَعَفْوِهِ وامْتِنَانِهِ .

وَيَا أَيُّهَا المطْرُودُ بإصْرَارِهِ ، وطُغْيَانِهِ وظُلْمِهِ وَغَفْلَتِهِ وخُسْرَانِهِ وَتَمَادِيْهِ في عِصْيَانِهِ ، لَقَدْ عَظُمَتْ مُصِيْبَتُكَ وخَسِرْتَ تِجَارَتَكَ ، وَطَالَتْ نَدَامَتُكَ ، فَيَا لَهَا مِنْ خُسَارَةٍ لاَ تُشْبِهُهَا خَسَارَةٌ ، لِلَّهِ دَرُّ أَقْوَامٍ حَرَسُوا بالتُّقَى أوْقَاتَهُمْ ، وَتَدَرَّعُوا دُرُوْعَ المُرَاقَبَةِ في صَبْرِهِمْ وَجَمَعُوا بَيْنَ الصِّدقِ والاخلاص في ذِكْرِهِمْ ، صَبَرُوا باليَقِيْنِ على ظَمَإ الهَوَاجِرِ ، وَبَسَطُوا أَقْدَامَهُمْ عَلَى بِسَاطِ الدَّيَاجِرِ وَعَمِلُوا لِيَوْمٍ فيهِ القُلُوبُ لَـدَى الحَنَاجِرِ .

أَقْبَلُوا على خِدْمَةِ رَبِّهِمْ إقْبَالَ عَالِمْ ، وَمَا سَلَكُوا إلاّ الطريقَ السَّالِمْ تَذَكَّرُوا ذُنُوبَهُمْ القَدَائِمَ ، فَجَدَّدُوا التَّوْبَةَ بِصِدْقِ العَزَائِمْ ، وَعَدُّوا التَّقصِيرَ مِن العَظَائِمِ ، وبَذَلُوا المُهَجَ الكِرَائِمَ ، فإذا جَنَّ اللَّيْلُ فَسَاجِدٌ وَقَائِمٌ ، وَلاَ

يَخافُونَ في اللهِ لَوْمَةَ لاَئِم ،أينَ أنْتَ وَهُمْ ؟ فَهَلْ تَرَى السَّاهِرَ كالنَّائِمْ ؟ كَلَّا ، وَلاَ المُفْطِرَ كالصَّائِمْ .

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحمَهُ اللهُ مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خيراً فَتَحَ لَهُ بَابَ الذُّلِّ والانْكِسَارِ وَدَوامِ اللجُوءِ إلى اللهِ تعالى والافْتِقَارِ إليه وَرُؤْيَةِ عُيُوبِ نَفْسِهِ وَجَهْلِهَا وَعُدْوَانِهَا وَمُشَاهَدَةِ فَضْلِ رَبِّهِ واحْسَانِهِ وَرَحْمَتِهِ وَجُودِهِ وَبِرِّهِ وَغِنَاهُ وَحَمْدِهْ . فالعارِفْ : سَائِرٌ إلى اللهِ تعالى بَيْنَ هَذَيْنِ الجَنَاحَيْنِ لا يُمْكِنُهُ أنْ يَسِيرَ إلاَّ بِهِمَا فَمَتَى فَاتَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا فَهُوَ كالطيرِ الذي فُقِدَ أحدُ جَنَاحَيْهِ .

وقَالَ شَيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهْ الْعَارِفُ يَسِيرُ إلى اللهِ بينَ مُشَاهَدَةِ المِنَّةِ ومُطَالَعَةِ عَيْبِ النَّفْسِ والْعَمَلِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلُهُ صَلى اللهُ علَيْهِ وسلم في الحديثِ الصَّحِيْحِ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ رَضي الله عَنْهُ سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أنْ يقولَ العبدُ اللهمَّ أنْتَ رَبِّي لاَ إلَهَ إلاَّ أنتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأنا على عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لي إنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أَنْتَ فَجَمَعَ في قَولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم أبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي بَيْنَ مُشَاهَدَةِ المِنَّةِ وَمُطَالَعَةِ عَيْبِ النفسِ والعَمَلْ .

فَمُشَاهَدَةُ المِنَّةِ تُوجِبُ المَحَبَّةَ والحَمْدَ والشُّكْرَ لِوَلِيِّ النِّعَمِ والإحْسَانِ ومُطَالَعَة عَيْبِ النَّفْسِ والْعَمَلِ تُوجِبُ لَهُ الـذُّلَّ والانْكِسَارَ والافْتِقَارَ والتَّوْبَةَ في كُلِّ وقت وأن لاَّ يَرَى نَفْسَهُ إلاَّ مُفْلِساً وأَقْرَبُ بَاب يَدْخُلُ منهُ العبْدُ على اللهِ تعالى هُوَ بَابُ الإفْلاَسِ فَلاَ يَرَى لِنَفْسِهِ حالاً وَلاَ مَقَاماً وَلا سَبَباً يَتَعَلَّقُ بِهِ وَلاَ وَسِيْلَة مِنْهُ يَمنُّ بِها .

بَلْ يَدْخُلُ على اللهِ من بَابِ الافْتِقَارِ الصِّرْفِ والافلاسِ المحضِ دُخُولَ مَنْ كَسَرَ الفقْرُ والمَسْكَنَةُ قَلْبَهُ حَتَّى وَصَلَتْ تِلْكَ الكَسْرَةُ إلى سُوَيْدَائِهِ فانْصَدَعَ وَشَمَلَتْهُ الكَسْرَةُ مِنْ كُلِّ جِهَاتِهِ وَشَهِدَ ضَرُورَتَهُ إلى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وكَمَالَ فَاقَتِهِ وَفقْرِهِ إلَيْهِ وأَنَّ فِي كُلِّ ذَرَةٍ من ذَرَّاتِهِ الظَّاهِرَةِ فاقةٌ تَامةٌ وضَرُورَةٌ الى رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وأنَّهُ إن تَخَلَّى عَنهُ طَرْفَةَ عينٍ هَلَكَ وخَسِرَ خسارَةً لَا تُجْبَرُ إلَّا أنْ يَعُودَ إلى اللهِ تعالى ويَتَدارَكَهُ بِرَحْمَتِهِ انْتَهَى .

اللَّهم يَا حيُ يَا قَيُّومُ يَا مَن لا تأخذُه سِنَةٌ ولا نَومٌ يا ذا الجلالِ والاكرامِ يَا وَاحِدُ أحَد يا فَرْدُ صَـمَدُ يا بَدِيْعَ السمواتِ والأرضِ نَسْأَلُكَ أن تَنْصُرَ الاسلامَ والمُسْلِمينَ وأن تَعْلَى كلَمةَ الحَقِ والدِّيْن وأن تَشمَلَ بعنَايَتكَ وَتوفيقِكَ كُلَّ مَنْ نصَر الدِّينَ وأن تَملأ قُلوُبَنَا بمَحَبَّتكَ ومَحَبَّةِ رُسُلِكَ وَأوْلِيَائِكَ وَأنْ تُلْهِمَنَا ذِكرُكَ وشُكْرَكَ وَأنَ تَأخُذُ بنَواصِينَا إلى مَا ترضَاهُ وأنْ تَرزُقَنَا الاسْتعْدَادَ لِمَا أمَامَنَا وأنْ تُهوّنَ أمرَ الدّنْيا عَلَينَا وأن تغفِرَ لَنَا ولِوَالِدَينَا وجَمِيْعِ المُسْلِمين الأحياءِ مِنهم والمَيِّتِيْنَ برَحمتِكَ يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فصـــل في ذكـر بعض الأدعية الواردة

عباد الله اغتنموا هذه الأوقات الشريفه وأكثروا فيها من الدعاء فإن الدعاء له أثر عظيم وموقع جسيم .

وهـو مخ العبـادة ولا سيما إذا كان بقلب حاضر وصـادفـا إخباتاً وخشوعا وانكساراً وتضرعاً ورقة وخشية واستقبل القبلة حال دعائه وكان على طهارة .

وجـدد توبـة وأكثر من الاستغفار وبدأ بحمد الله وتنزيهه وتمجيده وتقديسه والثناء عليه وشكره ثم صلى على النبي ﷺ بعد ذلك .

ودعا بدعاء مشروع باسم من أسماء الله الحسنى مناسب لمطلوبه .

فان كان يريد علماً قال يا عليم علمني .

وان كان يطلب رحمة قال يا رحمٰن ارحمني .

وان كان يطلب رزقاً قال يا رزاق إرزقني ونحو ذلك .

ولم يمنع من الدعاء مانع كأكل الحرام وقطيعة رحم وعقوق ونحو ذلك .

وتَحَـرِّي أوقـات الإجـابـة وأتى بأسبابها وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره والانتهاء عن ما نهى عنه .

فالله أصدق القائلين وأوفى الواعدين قال تعالى ﴿ أدعوني استجب لكم ﴾ .

وقال عز من قال ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان ﴾ .

وقال جل وعلا ﴿ أدعوا ربكم تضرعاً وخفية ﴾ .

وقال تبارك وتعالى ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ﴾ .

وقال تعالى ﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ﴾ .

وقال ﴿ ومن أصدق من الله قيلا ﴾ .

ومن أوقات إجابة الدعاء إذا اجتمعت الشروط وانتفت الموانع ثلث الليل الأخير .

ويوم الجمعة عند صعود الامام المنبر أو في آخر ساعة من يومها .

وعند الآذان .
وبين الآذان والاقامة .
وعند نزول الغيث .
وعند فطر الصائم .
وعشية عرفة .
وفي حالة السجود .
وفي ليلة القدر .
وفي أدبار الصلوات .
وفي أدبار النوافل .
وعند ختم القرآن .
وعند البكاء والخشية من الله .

شِعْـرًا

دَعِ البكـاءَعـلى الأطْـلاَلِ والـدَّار
واذْكُـرْ لِمَنْ بَـانَ مِنْ خِـلٍّ وَمِنْ جَـارِ
وَأَذْرِ الدُّمُوعَ نَحِيباً وابْـكِ مِن أَسَفٍ
عـلى فِـرَاقِ لَـيْـالٍ ذَاتِ أَنْـوَارِ

عَلَى لَيَالٍ لِشَهْرِ الصَّوْمِ مَا جُعِلَتْ
إلَّا لِـتَـمْـحِـيْـصِ آثَـامٍ وَأَوْزَارِ
يَـا لَائِمِي فِي البُكَـاءِ زِدْنِي بِـهِ كَلَفـاً
وَاسْمَـعْ غَـرِيْبَ أَحَـادِيثِي وَأَخْبَـارِي
مـا كَـانَ أَحْسَنَنَـا والشَّـمْـلُ مُجْتَمِـعٌ
مِنَّـا المُصَلِّي وَمِنَّـا القَـانِتُ الْقَـارِي
وَفِـي التَّـرَاوِيْـحِ لِلرَّاحَـاتِ جَـامِعَـةٌ
فِيْهَـا المَصَـابِيْـحُ تَـزْهُـوْ مِثْلَ أَزْهَـارِي
فِي لَيْلِهِ لَيْـلَةُ القَـدْرِ الَّتِي شَـرُفَتْ
حَقَـاً عَلَى كُـلِّ شَهْـرٍ ذَاتِ أَسْـرَارِ
تَـنَـزَّلُ الـرُّوحُ والأمْـلَاكُ قَـاطِبَـةً
بِـإِذْنِ رَبٍّ غَـفُـوْرٍ خَـالِقٍ بَـارِي.
شَهْـرٌ بِـهِ يُعْتِقُ اللهُ العُـصَـاةَ وَقَـدْ
أَشْفَـوا على جُـرُفٍ مِن خُـطَّةِ النَّـارِ
نَـرْجُـوا الإلَـهَ مُحِبَ العِفْـوِ يُعْتِقُنَـا
وَيَـحْـفَظُ الـكُـلَّ مِن شَـرٍّ وَأَكْـدَارِ

وَيَشْمَـلُ العَفْـوُ والـرِّضْـوَانُ أَجْمَعَنـا
بِـفَضْـلِكَ الْجَـمُّ لا تَهْـتِـكْ لأَسْـتَـارِ
فَابْكُوا عَلى مَا مَضَى في الشَّهْرِ واغْتَنِمُوا
مَـا قَـدْ بَقِيَ فَهُــوَ حَقٌّ عَنْكُمْ جَـارِي

اللهم اجْعَلْ قُلُوبَنَا مَمْلوُءَةً بحُبِّكَ وأَلْسِنَتَنَا رَطْبَةً بِذِكْرِكَ ونُفُوسَنَا مُطِيعَةً لأَمْرِكَ وأَمِّنَّا مِن سَطوَتِكَ ومَكْرِكْ ، اللهم إنا نَسْأَلُكَ العَافِيَةَ في دِينِنَا ودُنْيَانَا وأُخرانَا وأهلِنا وما لنا اللَّهمَ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وأَمِّنْ رَوْعاتِنَا واحْفَظْنَا مِن بَيْنَ أَيْدِيْنَا ومِن خَلْفِنَا وعن أَيْمَانِنَا وعَنْ شَمائِلنَا ومِنْ فَوقِنا ونعوذُ بعظَمتِكَ أن نغتال من تحتنا واغفر لنا ولوالدينا وجَميع المُسْلمين برَحْمَتِكَ يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمدٍ وعلى آلهُ وصَحْبِهِ أجمعِيْن .

٩٧ موعظة

عِبادَ اللهِ يجبُ عليكُمْ أنْ تَعْلمُوا أنكُمْ ما دُمْتُمْ في هذِهِ الدارِ فأنتُمْ في دارِ المُعامَلاتِ ، وأنَّ لكُمْ داراً أُخْرَى أبَدِيَّةً ، فيها تَسْتَوْفُونَ مَا لكُمْ على هذهِ المعاملاتِ مِنْ جَزَآءتٍ ، فإنْ أحسنتُمْ هُنَا أو أَسأْتُمْ ، كانَ جَزَاؤُكُمْ هُنَاكَ إحْساناً أو إساءاتٍ ، هكذا وعدَكُمْ ربُّكُمْ ، وهو عليمٌ بكلِّ الأعمال ، وعلى جَزائِكُمْ عليها قديرٌ ، قال اللهُ تعالَى (يومَ يَبْعثُهُمْ اللهُ جميعاً ، فينبِّؤُهُمْ بما عَمِلوُا ، أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوْه) وقالَ (وَنَضَعُ الموازينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ ، فَلاَ نُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً، وإن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتيْنَا بِهَا، وَكَفَى بنا حاسِبين) وَقَالَ (يَوْمَ تأتِيْ كلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ، وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ وهم لا يُظْلَمون) مِنْ هَذا قَطْعاً تَعْلَمُ أنَّ شأنَ هَذِهِ المُعَامَلاَتِ عَظِيمٌ ، عِظَماً لا يَعْرِفُ قَدْرَهُ

إلا الرَّجُلُ العَاقِلُ ، البَعيدُ النَّظَرِ الحَكِيمُ ، فإنَّ عليها يَتَرَتَّبُ غضَبُ اللهِ ، وعقابُهُ أوْرِضَاهُ ، والنعِيمُ المُقيمُ ، وشَيْءٌ هذا قَدْرُهُ لا يتوقّفُ ولا يَترَدَّدُ في بَذْلِ العِنَايَةِ بِهِ رجُلٌ بَصِيرٌ ، وهذه المعاملاتُ تارةٍ تكونُ بينكُمْ وبينَ اللهِ ، وتارةً تكونُ معَ عِباد اللهِ ، فأمَّا المعامِلةُ معَ اللهِ جلَّ وعَلا فبأنْ تسمَعَ وَتُطيعَ فيمَا أمَرَ ونَهى ، وأمَّا معاملتُكَ معَ عِباد اللهِ المؤمنينَ ، فبِأنْ تُحِبَّ لهُمْ ما تُحبُّ لِنْفسِكَ ، وذلك بأنْ تجعَلَ نفسكَ مِيزَاناً في مُعامَلَةِ كبيرهمْ وصَغيرهِمْ ، أنتَ تكرَهُ إساءَتَهُمْ لَكَ ، وتُحِبُّ إحْسَانَهُمْ ، فَاحذَرْ إسَاءَتَهُمْ ، وعامِلْهُمْ بالإحْسَان ، وكما تَكْرَهُ أنْ يَمَسُّوا مَالكَ بسُوءٍ ، فلْتَكُنْ أمْوالُهُمْ مِنْكَ في أمَانٍ ، وكَمَا تَكْرَهُ أنْ يَتعرَّضُوْا لأوْلادكَ وأهْلِكَ وَشَخْصِكَ بِشَرٍّ ، فكُنْ لهم خَيْرَ حفيظٍ ونَصِيْر وكما تُحِبُّ أنْ يُرِيْحُوكَ إذا جَاوَرُوكَ، فَأرِحْهُمْ عندَ مُجَاوَرَتِكَ لَهمْ، وَكَمَا تُحِبُّ أنْ يَنْصَحُوْكَ وَيصدُقُوكَ في وُعُودِهْم وعُقُودِهِمْ وأخْبارِهِمْ ، فاسْبِقْهُمْ أنتَ إلى ذلِكَ ، وكما تُحِبُّ أنْ يفرَحُوا لِفَرَحِكَ ، ويَحْزَنُوا لِحُزْنِكَ ، فَكُنْ أنتَ كذلِكَ مَعَهُمْ ، وكما تُحِبُّ أنْ لا يتكلمُوا فيكَ إلا بخَيْر ، فلا تكُنْ أنتَ معهم بِضِدِّ ذلِكَ ، وَقِسْ على ذلِكَ ما يتعلقُ بالمَوْضُوعِ ، وأمَّا مُعَامَلَتُكَ معَ نَفْسِكَ ، فهِيَ أنْ تُعَوِّدَهَا دائماً على الخَيْرِ بِلا ضَجَرٍ .

اللهم إنا نسألك رحمة مِن عندكَ تَهْدِي بها قُلُوْبَنَا ، وتَجْمعُ بها شَمْلَنَا ، وتَلُمُّ بها شَعَثَنَا ، وترفع بها شاهدنا ، وتَحْفَظُ بها غائِبَنَا ، وتزكي بها أعمالنا ، وتلهمنا بها رشدنا ، وتعصمنا بها من كل سوء يا أرحم الراحمين .

اللهم يا هادِي المضَلين ويا راحم المذنبين ، ومُقِيْلَ عثرات العاثرين ، نسألك أن تُلْحِقَنا بعبادك الصالحين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين .

اللهم يا عالم الخفيات ، ويارفيع الدرجات ، يا غافر الذنب وقابل

التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا أنت إليك المصير .

نسألك أن تذيقنا بر عفوك ، وحلاوة رحمتك ، يا أرحم الراحمين ، وأرأف الرائفين وأكرم الاكرمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

٩٨ موعظة

إعْلَمْوا رحمنا الله وإيَاكُمْ أنَ في الجنائزِ عبرة لِلْمُعتْرِينْ وِفكْرة لِلْمُتِفكِرين وَإيْقاظاً لِلنَائمِيْن والسَاهِيْن .

بَيْنَمَا الإنْسانُ في قِيَامٍ وقُعُودٍ ، ونُزُولٍ وصُعُودٍ ، وخُذْ هذا واتْرُكْ هذا ، واشتَرْ هذا وبعْ هَذا ، وابَنْ هَذا واهْدِمْ هذا ، وقد كان وما كان ، وتَقَدَّم هذا وتأخَّرَ هذا ، وعُيِّنَ فلانٌ وفُصلَ فلان ، ورَبِحَ فلان وخَسِرَ فُلان .

إذْ فَاجَأهُ الأمْر الإلهِي والحادِثُ السَّمَاوِي والحُكْم الرباني فَسَكَنَتْ حَرَكَتُه وطَفِئتْ شُعْلَتُه ، وذَهَبَتْ نَظْرَتُهُ وصَارَ كالخشبَةِ المَنْبُوذَةِ والحَجَر المَرْمِي .

إنْ نُودي لم يَسْمَعْ وإنْ دُعْي لم يُجِبْ وإنْ قُطِّعَ أوْ سُحِبَ أوّ حُرِّق لَمْ يُمَانِعْ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ ، عبرة لِمَنْ اعْتَبَرْ وذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ .

ولكِنْ حُبُّ الدنيا وزيْنَتُهَا وشَهَواتُها وحِجَابُ الهَوى غَطَّى القُلُوبَ وأعْمَى البَصَائِر يَمْنَعُ التَّفكُرَ في الجَنَائِز والإعْتِبَارَ بِهَا .

فَصَارَتَ لا تَزيْدُ رُؤْيَتُهَا عند كَثِير من النَّاسِ إلاَّ غَفْلَةً ولا مُشَاهَدَتُهَا إلاَّ قَسْوَة حتى كأن المِيت نائم يستْيقِظْ بَعْدَ سَاعَة أوْ كأنَّ الذي يَرَى الجنازة لا يَكُونُ مِثْلُهَا وكأنَّ الميِّتَ نَزل بِهِ الموتُ وَحْدَهُ وقَصَدَهُ خاصَةً .

ولذلك تَجد كَثيراً من المشيعين يَبْحَثُ في مُخَلَّفَاتِهِ نَعَمْ يَعْلَمُ كلُ إنسان أنه

سَيَمُوتُ لقول الله جل جلاله : ﴿ كُلُ نَفس ذَائِقَةُ الموت ﴾ .

وقد تخالَف الناس إلاَّ في الموتِ فَهُم مُتَّفِقُون ، ولكن لا يَظُنُون ذلك مِن قَرِيْب قد فَسَحُوا لِأَنْفُسِهم في المدة ومَدُّوْا لَهَا في المُهْلَة بِدَليلٍ ما يُنْشِئُوْنَهُ مِن الأَعْمَالِ والقُصُور والشركاتِ ونحو ذلك .

وإنْ دَارَ على لِسَانِهِ ذِكْرِ الموتَ عن قريب فهو قول ضَعِيْف بِدَليل عَدَمِ تَحَركِهِ مِن قِبَلِ الآخِرَةِ وحَالتُه قبل رُؤْيَةِ الجنائِز كَحَالَتِهِ بَعْدَ تَشْيِيْعِهَا أَكْبَرِ بُرهَان على ذلك ورُبَّما تَحَدَّثوا بِحَدِيْث الدنيا وضَحِكُوْا والميتُ يُدْفَنُ .

وقَلَّما يَبْكِي على الجَنَازَةِ إلاَّ أهْلُهَا وذلِكَ لِفِراقها ، لا لِنَفْسِ الموتِ ، كَبكاء الطفل والمرأة الذين لا يَعْقِلان و لا يَعْلَمان ، ولو كانوا يَعْلَمُون لَكَانَ بُكاؤهُم على أنْفُسِهِم لَا عَلى مَيِّتِهِم لأنه ماتَ وهم يَنْتَظِرون الموتَ .

بَكَى لأَنْ مَاتَ مَيْتٌ مِن عَشِيرَتِهِ	وقَالَ واحَـرَبَا وصَاحَ يَا هَـرَبَا
وباتَ فَوقَ حَشَاهُ للأَسَى لَهَبٌ	إِذَا أَرَادَ خُبواً فَارَ وَ الْتَهَبَـا
وَلَوْ رَآى بِصَحِيْحِ العَقْلِ حِيْنَ رَآى	وكَشَفَ اللهُ عَنْهُ لِلْهَوَى حُجُبَـا
لَمَا رَآى الدَّهْرَ مَيْتاً أَوْ أَحَسَّ بِهِ	إلاَّ بَكَى نَفْسَهُ المِسْكِيْنُ وانْتَحَبَـا
ومَنْ رَأى السُّمْرَ في جَنْبَيْهِ شارِعَةً	أنَّى يَرَاهَا بجنْبٍ نَاءَ أو قَرُبَا
وطَلْعَةُ الموتِ ان تَطْلُعْ عَلى أحِدٍ	أرَتْهُ في نَفْسِهِ من هَوْلِهَا عَجَبَا

اللَّهُمَّ اخْتِمْ بِالأعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أعْمَارَنا وحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا وَسَهِّلْ لِبُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ في جَمِيْعِ الأَحْوَالِ أعمالَنَا يَا مُنْقِذَ الغَرْقَى وَيَا مُنْجِيَ الهَلْكَى وَيَا دَائِمَ الإِحْسَانِ أذِقْنَا بَرْدَ عَفوِكَ وَأَنِلْنَا مِنْ كَرمِكَ وَجُودِكَ مَا تَقَرُّ به عُيُونُنَا مِنْ رُؤْيَتِكَ في جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

٩٩ « مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ الَّتِيْ هِيَ آدَابُ الإِسْلامِ جَمَالٌ لا يُوَازِنُهُ جَمَالٌ وَحَظُّ الإِنْسَانِ مِنْهَا يَكُوْنُ بِقَدْرِ مَا تَخَلَّقَ بِهِ مِنْ تِلْكَ الأَخْلاَقِ وَلَمَّا كَانَ النَّبِيّ ﷺ مُتَخَلِّقاً بِجَمِيْعِهَا كَانَ أَجْمَلَ خَلْقِ اللَّهِ أَجْمَعِيْنَ .

وَجَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ « إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ وَجَاءَ فِي حَدِيْثٍ مُرْسَلٍ أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلى النَّبِيّ ﷺ فقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الدِّيْنُ فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ حُسْنُ الخُلُقِ .

وَهَذا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حُسْنَ الخُلُقِ رُكْنُ الإِسْلامِ العَظِيْمِ الَّذي لا قِيَامَ لِلدِّيْنِ بِدُونِهِ كَالوُقُوفِ بِعَرَفَاتٍ بِالنِّسْبَةِ لِلْحَجِّ فَقَدْ جَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ الحَجُّ عَرَفَة أَيْ إِنَّهُ رُكْنُ الحَجِّ العَظِيْمِ الَّذِي لا يَكُونُ الحَجُّ إلاّ بِهِ الوُقُوفُ بِعَرَفَاتٍ .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لِلأَخلاَقِ مَكَانَةً عَظِيْمَةً أَنَّ المُؤْمِنِينَ يَتَفَاضَلُونَ في الإِيْمَانِ وَأَنَّ أَفْضَلَهُمْ فِيْهِ أَحْسَنُهم خُلُقاً جَاءَ عَنْ النَّبِيّ ﷺ في الحَدِيْثِ أَنَّهُ قَالَ لمَّا قِيْلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ المُؤْمِنِيْنَ أَفْضَلُ إِيْمَاناً قَالَ « أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً » .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ المُؤْمِنِيْنَ يَتَفَاوَتُونَ فِي الظَّفَرِ بِحُبِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالقُرْبِ مِنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَكْثَرهمْ ظَفَراً بِحُبِّهِ وَالقُرْبِ مِنْهُ الَّذِيْنَ حَسُنَتْ أَخلاقُهُمْ جَاءَ في الحَدِيْثِ عَنْ النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ « إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِليّ وَأَقْرَبكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقاً » .

وَمِنْ ذَلِكَ أنَّ حُسْنَ الخُلُق أَمْرٌ لازِمٌ وَشَرْطٌ لا بُدَّ مِنْهُ لِلنَّجَاةِ مِنْ النَّارِ وَالفَوْزِ بِالجَنَّةِ وَأَنَّ إِهْمَالَ هَذا الشَّرْطِ لا يُغْنِيْ عَنْهُ الصَّلاَةُ وَالصِّيَامُ جَاءَ فِي الحَدِيْثِ أَنَّ أَحَدَ المُسْلِمِيْنَ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنّ فُلاَنَةَ تَصُوْمُ النَّهارَ وَتَقُومُ

اللَّيْلَ وَهِيَ سَيِّئَةُ الخُلُقِ تُؤْذِي جِيْرانَهَا بِلِسَانِهَا قَالَ لا خَيْرَ فِيْهَا هِيَ في النَّارِ .

وَكَانَ النَّبِيّ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ بأَنْ يُحَسِّنَ خُلُقَهُ وَهُوَ أحْسَنُ النّاس خُلُقاً وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ « اللّهُمَّ حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِيْ » وَيَقُولُ « اللّهُمَّ أهْدِنِيْ لأَحْسَنِ الأَخْلاقِ فَإِنَّهُ لا يَهْدِي لأحْسَنِهَا إلاّ أَنْتَ » وَمَعْلُومٌ أنَهُ لَا يَدْعُو إلّا بِمَا يُحِبُّهُ اللّهُ وَيُقَرِّبُهُ مِنْهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَدْحُ اللّهِ تَعَالَى لِلنَّبِيّ ﷺ بِحُسْنِ الخُلُقِ فَقَدْ جَاءَ فِي القُرْآنِ « وإنّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيْمٍ » وَاللّهُ لاَ يَمْدَحُ إلاّ عَلَى الشَّيْءِ العَظِيْمِ ، وَمِنْ ذَلِكَ كَثْرَةُ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ بِمَوْضُوعِ الأَخْلاقِ أمْراً بالجَيِّدِ مِنْهَا وَمَدْحاً لِلْمُتَّصِفِيْنَ بِهِ وَمَعَ المَدْحِ الثَّوَابُ ، وَنَهْياً عَنْ الرَّدِيْ مِنْهَا وَذَمٌّ لِلْمُتَّصِفِيْنَ بِهِ وَمَعَ الذَّمِّ العِقَابُ وَلاَ شَكَّ أَنَّ كَثْرَةَ الآيَاتِ في مَوْضُوْعِ الأخْلاَقِ دَلِيْلٌ عَلَى أهَمِّيَّتِهَا .

وَبالتَّالِيْ فَالإِكْثَارُ مِنْ الأخْلاقِ الفَاضِلَةِ وَالاقلالُ مِنْهَا يَكُوْنُ جَمَالَ الإِنْسَانِ بِنِسْبَةِ ذَلِكَ الاكْثَارِ أَوْ الاقْلالِ وَكَذَلِكَ تَرْكُ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ شَيْن لِتَارِكِهَا كَبِيْر وَعَلَى قَدْرِ مَا تَرَكَهُ يَكُوْنُ شَيْنُهُ عِنْدَ الكَبِيْرِ مِنّا وَالصَّغِيْرِ فَمَهْمَا أكْثَرْتَ أو أقْلَلْتَ مِنْ تَرْكِهَا يَكُونُ شَيْنُك بِنِسْبَةِ ذَلِكَ التَّقْدِيْرِ .

وَلِذَلِكَ أَنْظُرْ إلَى الكُفَّارِ حَيْثُ أَنَّهُمْ تَرَكُوهَا كُلَّهَا وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مِنْ مَكَارِمِ الأخْلاقِ شَيْءٌ تَجِدُهُمْ فِي قُبْحٍ لاَ نِهَايَةَ لَهُ وَلَيْسَ ذَلِكَ الحُسْنُ

وَالجَمَالُ فِيْمَنْ اتّصَفَ بِمَكَارِمِ الأخْلاقِ عِنْدَنا فَقَطْ بَلْ عِنْدَ اللّهِ بِهِ يَمْدَحُ اللّهُ المُؤْمِنِيْنَ المُتَّصَفِيْنَ بِذَلِكَ ويُدْخِلُهُمْ الجَنّةَ فانْظُرْ أيَّ نَصِيْبٍ نَصِيْبَكَ مِنْ تِلْكَ الخِلاَلِ الحِسَانِ لتَعْرِفُ قَدْرَكَ وَقِيْمَتَكَ عِنْدَ اللّهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ إنَّ الأَلَمَ ليَمْلَؤُ

الجَوَانِحَ عَلَى الأخْلاقِ الفَاضِلَةِ وَعَلى عُشَّاقِهَا الفُضَلاءِ النُّبَلاء مَاتَتْ وَمَاتُوا ، أيْنَ أهْلُ الأخْلاصِ الّذِيْنَ يَرَوْنَ المَوْتَ خَيْراً مِنْ حَيَاةِ الرِّيَاءِ .

أيْنَ أَهْلُ الصِّدْقِ الّذِيْنَ يَرَوْنَ قَطْعَ أَلْسِنَتِهِمْ أَخَفَّ عِنْدَهُمْ مِنْ أَنْ يَكْذِبُوا أوْ يَتَمَلَّقُوا أَوْ يُدَاهِنُوا أَوْ يُنَافِقُوا أَوْ يَنِمُّوا أوْ يَغْتَابُوا أو يَتَجَسَّسُوْا على المُؤْمِنينَ لِيَزُجُونَهمْ بالسُّجُون .

أَيْنَ الّذِيْنَ إِذَا وَعَدُوا صَدَقُوا وَإِذَا عَاهَدُوا وَفَوْا أَيْنَ أَهْلُ العَفْوِ عِنْدَ المَقْدِرَةِ أيْنَ أهْلُ العَدْلِ وَالإِنْصَافِ .

الّذِيْنَ حِلْمُهُمْ مِثْلُ الجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ أَيْنَ الّذِيْنَ يَلْتَمِسُوْنَ الكُرَبَ لِيُفَرِّجُوهَا ، أَيْنَ الّذِيْنَ يَبْتَعِدُوْنَ عَنْ الرِّبَا وَمُعَامِلِيْهِ أيْنَ الّذِيْنَ يَعْرِفُونَ الوَلاَءَ وَالبَراءَ وَلاَ يَأْلَفُونَ وَلا يُجَالِسُونَ إلاّ أهْلُ الصَّلاحِ وَيَبْتَعِدُوْنَ كُلَّ البُعْدِ عَنْ أهْلِ المَعَاصِي .

أَيْنَ الّذِيْنَ يَبْحَثُوْنَ عَنْ الفُقَرَاءِ الّذِيْنَ لاَ مَوْرِدَ لَهُمْ فَيُنْعِشُوْهُمْ بِمَا تَيَسَّرَ مِنْ زَكَاةٍ أَوْ صَدَقَةِ تَطَوُّعٍ دَرَاهِمَ أوْ طَعَامٍ أَوْ كُسْوَةٍ . أوْ يَتَسَبَّبُوْنَ لَهُمْ فِي وَظَائِفَ يَكُفُّونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ عن النَّظَرِ لِمَا فِي أيْدِي النَّاسِ .

أَيْنَ الّذِيْنَ يُؤَدُّوْنَ الزَّكَاةَ مُكَمَّلَةً لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا لا يُحَابُونَ بِهَا وَيَبْحَثُونَ عَنْ أَهْلِ العَوَائِدِ فَإِذَا وَجَدُوْهُمْ غَيْرَ مُسْتَحِقِّينَ لَمْ يُبَالُوا بِهِمْ وَلَمْ يُعْطُوهُمْ لِعِلْمِهِمْ أنَهَا لا تَبْرأُ ذِمَمُهُمْ بِذَلِكَ .

أَيْنَ الّذِيْنَ يَبْحَثُوْنَ عَنْ الأرامِلِ وَالأَيْتَامِ لِيَجْبُرُوا قُلُوْبَهُمْ بِمَا مَنّ اللّهُ عَلَيْهِمْ بِهِ ، أَيْنَ الّذِيْنَ يَهْجُرُوْنَ الفَسَقَةَ وَالظَّلَمَةَ وَالمُجْرِمِيْنَ حَتَّى وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ .

أَيْنَ الرَّجُلُ المُهَذَّبُ الَّذِيْ لا يَتَلَبَّسُ فِي سِرِّهِ وَلاَ فِي عَلانِيَتِهِ بِحَالٍ يَسْتَحِيْ مِنْ اطِّلاعِ العُقَلاءِ عَلَيْهِ وَلاَ يَعْمَلُ عَمَلاً لاَ يَرْفَعُهُ عِنْدَ اللّهِ دَرَجَةً وَلاَ يَقُولُ قَوْلاً غَيْرَ مُفِيْدٍ لِسَامِعِهِ فَائِدَةً فِي دِيْنِهِ وَلاَ يُضْمِرُ لِعَدُوِّهِ سُوْءاً إِذَا سَالَمَهُ وَلاَ يَتَخَلَّقَ إلاّ بِكُلِّ خُلُقٍ جَمِيْلٍ .

أَيْنَ الَّذِيْنَ لا يَعْرِفُوْنَ إلاَّ النُّصْحَ لِلْمُسْلِمِيْنَ يَبْعِدُوْنَ عَنْ الغِشِّ كُلَّ البُعْدِ ، بَعَثَ أَبُو حَنِيْفَةَ بِمَتَاعٍ إِلَى شَرِيْكِهِ فِي التِّجَارَةِ حَفْصِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ واعْلَمَهُ أنْ فِي ثَوْبٍ مِنْهُ عَيْباً وَاسْتَوْفَى الثَّمَنَ كَامِلاً لِثَوْبٍ غَيْرِ كَامِلٍ وَقِيْلَ ثَمَنُ المَتَاعِ الَّذِيْ بِيْعَ ثَلاثُونَ أَلفاً أَوْ خَمْسَةٌ وَثَلاثُونَ أَلْفاً فَأبَى أَبُو حَنِيْفَةَ إلاَّ أنْ يَبْعَثَ لِشَرِيْكِهِ فِي التِّجَارَةِ يُكَلِّفُهُ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ المُشْتَرِي وَلَكِنْ لَمْ يَجِدْهُ بَعْدَ البَحْثِ عَنْهُ .

فَأَبَى أَبُو حَنِيْفَةَ إِلاَّ انْفِصَالاً مِنْ شَرِيْكِهِ وَتَتَارَكَا بَلْ أَبَى أَبُو حَنِيْفَةَ أَنْ يُضِيفَ الثَّمَنَ إِلَى حُرِّ مَالِهِ وَتَصَدَّقَ بِهِ كَامِلاً مِنْ شِدَّةِ الوَرَعِ .

وَيُرْوَى أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ يُوْنُسَ بْنِ عُبَيْدٍ حُلَلٌ مُخْتَلِفَةُ الأَثْمَانِ ضَرْبٌ قِيْمَةُ كُلِّ حُلَّةٍ مِنْهُ أَرْبَعُمَائِةٍ وَضَرْبٌ كُلُّ حُلَّةٍ قِيْمَتُها مائِتَانِ فَمَرَّ إِلَى الصَّلاةِ وَخَلَّفَ ابْنَ أَخِيْهِ فِي الدُّكَّانِ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ وَطَلَبَ حُلَّةً بِأَرْبعمائِةٍ فَعَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ حُلَلِ المِائَتَيْنِ فَاسْتَحْسَنَهَا وَرَضِيَهَا وَاشْتَرَاهَا وَمَضَى بِهَا وَهِيَ عَلَى يَدَيْهِ .

فَاسْتَقْبَلَهُ يُوْنُسُ فَعَرَفَ حُلَّتَهُ فَقَالَ لِلأَعْرَابِيّ بِكَمْ اشْتَرَيْتَ فَقَالَ بِأَرْبعمائِةٍ

فَقَالَ لاَ تُسَاوِيْ أَكْثَرَ مِنْ مِائَتَيْنِ فَارْجِعْ حَتَّى تَرُدَّهَا فَقَالَ هَذِهِ تُسَاوِيْ فِي بَلَدِنَا خَمْسُمَائِةٍ وأَنَا ارْتَضَيْتُهَا فَقَالَ يُوْنُسُ انْصَرِفْ فَإِنَّ النُّصْحَ فِي الدِّيْنِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا .

ثُمَّ رَدَّهُ إِلَى الدُّكَّانِ وَرَدَّ عَلَيْهِ مِائَتَيْ دِرْهَمٍ وَخَاصَمَ ابْنَ أَخِيْهِ فِي ذَلِكَ وَقَالَ أَمَا اسْتَحَيْتَ أَمَا اتَّقَيْتَ اللَّهَ تَرْبَحُ مِثْلَ ثَمَنِهَا وَتَتْرُكُ النُّصْحَ لِلْمُسْلِمِيْنَ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَخَذَهَا إِلاَّ وَهُوَ رَاضٍ بِهَا قَالَ فَهَلْ رَضِيْتَ لَهُ بِمَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ .

وَرُوِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ أَنَّ غُلاَمَهُ بَاعَ لأَعْرَابِيّ فِي غَيْبَتِهِ مِنَ الْخَمْسِيَّاتِ بِعَشَرَةٍ فَلَمْ يَزَلْ يَطْلُبُ ذَلِكَ الأَعْرَابِيّ طُوْلَ النَّهَارِ لِيَرُدَّ عَلَيْهِ خَمْسَةً حَتَّى وَجَدَهُ فَقَالَ لَهُ إِنَّ الْغُلاَمَ قَدْ غَلِطَ فَبَاعَكَ مَا يُسَاوِيْ خَمْسَةً بِعَشَرَةٍ .

فَقَالَ يَا هَذَا قَدْ رَضِيْتُ فَقَالَ وَإِنْ رَضِيْتَ فَإِنَّا لاَ نَرْضَى لَكَ إِلا مَا نَرْضَاهُ لأَنْفُسِنَا وَرَدَّ عَلَيْهِ خَمْسَةً ، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ يُوْجَدُ مِنْ الوَرِعِيْنَ النَّاصِحِيْنَ الَّذِيْنَ يُحِبُّونَ لأَخْوَانِهِمْ الْمُؤْمِنِينَ مَا يُحِبُّونَ لأَنْفُسِهِمْ نَسْأَلَ الله أَنْ يُكْثِرَ أَمْثَالَهُمْ وأَنْ يُقَلِّلَ الغَشَّاشِينَ السَّرَّاقِيْنَ الْمُنَافِقِينَ الكَذَّابِيْنَ ، أَيْنَ الَّذِيْنَ لا تَأْخُذُهُم فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ .

أَيْنَ الَّذِيْنَ يَحِنُّونَ إِلَى بُيُوتِ اللَّهِ حَنِيْنَ الأُلفِ فَارَقَهُ الأَلْفُ .

أَيْنَ الَّذِيْنَ لاَ يَطِيْبُ لَهُمْ مَجْلِسٌ إِلا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ وَالْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٌ وَسَائِرَ السُّنَنِ أَو مَا أُخِذ مِنْهَا أَو مَا هُوَ وَسِيْلَةٌ إِلَيْهَا .

أَيْنَ الَّذِيْنَ إِذَا فَاتَهُمْ قِيَامُ اللَّيْلِ جَلَسُوا يَبْكُوْنَ عَلَى مَا فَاتَ .

أَيْنَ الَّذِيْنَ دَرَسُوا سِيْرَةَ الْمُصْطَفَى وَأَصْحَابِهِ فَكَأَنَّهُمْ بَيْنَهُمْ يَتَرَدَّدُوْنَ .

أَيْنَ الَّـذِيْنَ يَتَقَدَّمُونَ إِلى بُيُوتِ اللَّهِ قَبْلَ الوَقْتِ وَيُسَبِّحُونَ وَيُهَلِّلُونَ مَاتَ هَؤُلاَءِ وَبَلِيَّةٌ مِنْ أَكْبَرِ البَلا أَنْ نَفْقِدَ هَذا الطِّرَازَ فَهَلْ لَكَ يَا أَخِيْ أَنْ تَسْلُكَ سَبِيْلَ هَؤُلاَءِ لِتَكُوْنَ قُدْوَةً وَمَثَلاً لِلْعَامِلِيْنَ .

وَتَفُوْزَ برِضَا رَبِّ العَالَمِيْنَ فَتَحْظَى بالفَوْز بسُكْنَى جَنَّاتِ النَّعِيْمِ الَّتِيْ فِيْهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ مِنْ الحُوْرِ العِيْنِ وَالفَوَاكِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَإِنْ رَغِبْتَ فِي ذَلِكَ فَاجْتَهِدْ فِي تَحْسِيْنِ عَمَلِكَ الَّذِي هُوَ المَهْرُ لِذَلِكَ .

فَإِنْ كُنْتَ لِلْمَهْرِ الَّذِيْ عَزَّ قَادِراً ... فَنَافِسْ وَسَابِقْ نَحْوَهَا كُلَّ سَابِقِ
وَإِنْ كُنْتَ مِثْلِيْ عَاجِزاً فَارْضَ بالدُّنَا ... فَبالدُّوْنِ يَرْضَى الدُّوْنُ عِنْدَ العَلَائِقِ
رَعَى اللَّهُ مَنْ أَضْحَى وَأَمْسَى مُشَمِّراً ... لِنَيْلِ المَعَالِيْ قَاطِعاً كُلَّ عَائِقِ
إِلَى أَنْ عَلَا فَوْقَ المَقَامَاتِ فِي العُلَا ... وَنَالَ المنى مِنْ قُرْبِ مَوْلَى الخَلَائِقِ

اللهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ المفلِحِيْنَ وأَلْبِسْنَا خِلَعَ الإيمانِ واليَقِيْنَ وخُصَّنَا مِنْكَ بالتوفِيْقِ المُبِيْنِ وَوفقْنَا لِقَوْلِ الحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَخَلِّصْنَا مِن البَاطِلِ وابْتِدَاعِهِ وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّد، ولا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدَا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشاً رَغَدَا ولا تُشْمِتْ بِنَا عَدُواً ولا حَاسِداً وَارْزُقْنَا عِلْماً نَافِعا وَعَمَلاً مُتَقَبَّلَا وَفَهْماً ذَكِياً وَطَبْعَاً صَفِياً وَشِفَاءً مِن كُلِّ دَاءٍ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ولِجَمِيْعِ المسلمين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وصحبه أجمعين .

١٠٠ موعظـة

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الإِنْسَانَ مِنَّا كَمَا عَلِمْتُمْ مُعَرَّضٌ لِلأَذَى وَالإِسَاءَةِ والإِهَانَةِ وَعُرْضَةٌ لِلأَخْطَارِ ، والمُهْلِكَات ، فَمَنَحَهُ اللَّهُ قُوَّةً يَدْفَعُ بِهَا الإِهَانَةَ ، ويَدْفَعُ بِهَا الخَطَرَ ، وَيَنْجُوْ بِهَا بإِذْنِ اللَّهِ مِن الهَلَاكِ ، هِيَ قُوَّةُ الغَضَبِ والحَمِيَّةِ .

وَخُلِقَ الغَضَبُ مِنَ النَارِ ، فَتَسَلَّطَ الشَّيْطانُ عَلَيْنا مِنْ هَذَا الطَّرِيْق وَرَكِبَنَا وقْتَ الغضَبِ ، حَتَّى صَارَ النّاسُ فِي غَضَبِهِمْ حَمْقى مُتَهَوِّرِيْنَ ، وسُفَهَاءَ طَائِشِيْنَ .

فَكَرِهَ النّاسُ الغَضَبَ لِذَلِكَ ، واصْطَلَحُوْا على ذَمِّهِ مُطْلَقا ، وَهَذَا خَطَأٌ فَظِيْعٌ وَخَلْطٌ لا يَجُوْزُ ، فَلَيْسَ كُلُّ غضَبٍ مَذْمُوْم وَلاَ كُلّ حِلْمٍ بِمَمْدُوْحٍ ، واللّهُ جَلَّ وَعَلاَ لاَ يَخْلُقُ لَنَا طَبْعاً إلاَّ لِحكمةٍ ، وَلاَ يُرَكِّبُ فِيْنا قُوّةَ الحَمِيَّةِ والغَضَبِ إلاّ لِسَبَبٍ وحِكْمَةٍ .

فَالأَذَى إِذَا جَاءَنَا لاَ يُدْفَعُ إلاّ بالغَضَبِ ، والشَّرُّ إِذَا نَالَنَا لاَ يُدْفَعُ إلاّ بالغَضَبِ ، وحِمَايَةُ الدِّيْنِ والأَعْرَاضِ والشَّرَفِ والكَرَامَةِ لاَ تُدْفَعُ إلاّ بِالغَضَبِ لِلْحَقِّ ، فَمَنْ فَقَدَ قُوَّةَ الغَضَبِ بالكُلّيَةِ ، أَوْ ضَعُفَتْ فِيْهِ الحَمِيَّةُ فَهُوَ نَاقِصٌ مَحْلُولُ العَزْمِ ، مَفْقُوْدُ الحَزْمِ ، مَعْدُوْمُ الرُّجُوْلَةِ .

وَقَدْ امْتَدَحَ اللّهُ غَضَبَ المُؤْمِنِيْنَ عَلَى الكُفَّارِ ، وحَمِيَّتَهُمْ الدِّيْنِيَّةِ ، لِمَا لَهُ مِن أثَرٍ في اعْلاَءِ كَلِمَةِ اللّهِ ، فَقَالَ تَعَالى « أشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ » .

وقال « أَذِلَّةٍ عَلَى المُؤْمِنِيْنَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِيْنَ » وقَالَ « ولْيَجِدُوْا فِيْكُمْ غِلْظَةً » .

وأَمَرَنَا بِالغَضَبِ إِذَا انْتُهِكَتْ حُرْمَةُ الدِّيْنِ ، والغَيْرَةِ عَلَى حُدُوْدِ اللّهِ . فَقَالَ في الزُّنَاةِ « وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِيْنِ اللّهِ إنْ كُنْتُم تُؤْمِنُون بِاللّهِ واليوم الآخِرِ » .

فَمَنْ فَقَدَ قُوَّةَ الغَضَب ، يُصْبِحُ جَبَاناً ، ضَعِيْفاً ، وَذَلِيْلاً حَقِيْراً لاَ يَأنَفُ

مِنَ العَارِ ولاَ يَهُمُّهُ ، وَلاَ يَتَأَلَّمْ لأذَى السُّفَهَاءِ ، يَتَطَاوَلُ السُّفَهَاءُ والفَسَقَةُ عَلَى حَرَمِهِ ، فَلا يَغَارُ لِعِرْضٍ ، ولاَ يَغْضَبُ لِشَرَفٍ ، فَيَكُوْنُ تَيْساً فِي صُوْرَةِ إنْسَانٍ ، وجَمَاداً لاَ إِحْسَاسَ لَهُ ، وَلا شُعُوْر .

وَلَيْسَ مِنَ الحِلْمِ فِي شَيْءٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ جُبْنٌ ، وخَوَرٌ ، وَذِلَّةٌ وَقَدْ وَرَدَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ دَيُّوْثٌ ، قَالُوْا وَمَا الدَّيُّوْثُ يَا رَسُوْلَ اللّهِ قَالَ الّذِي لاَ يَغَارُ عَلَى أَهْلِهِ .

وَقَالَ سَعْدٌ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللّهِ لَوْ وَجَدْتُ مَعَ أَهْلِي رَجُلاً أَمْهِلُهُ حَتَّى آتِي بأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَقَالَ ﷺ نَعَمْ ، فَقَالَ كَلاَّ وَالّذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ ، إِنْ كُنْتُ لأُعَاجِلُهُ بالسَّيْفِ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ ﷺ اسْمَعُوْا إِلَى مَا يَقُوْلُ سَيِّدُكُمْ ، إِنَّهُ لَغَيُّوْرٌ وأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ واللّهُ أَغْيَرُ مِنِّي .

وَإِذَا لَمْ يَغْضَبِ الإِنْسَانُ لِعِرْضِهِ ، ضَاعَتْ الأنْسَابُ ، واخْتَلَطَتِ الأَوْلاَدُ ، وَكُلُّ أُمَّةٍ تَمُوْتُ الغَيْرَةُ فِيْهِمْ لاَ بُدَّ وأَنْ تَضِيْعَ العِفَّةُ ، والصِّيَانَةُ مِنْ نِسَائِهَا ، وَهَذَا هُوَ الضَّعْفُ ، والخَوَرُ ، والعَجْزُ ، وَالجُبْنُ ، الّذِي اسْتَعَاذَ مِنْهُ النَّبِيّ ﷺ ، وَكَيْفَ تَذُمُّ رَجُلاً يَغْضَبُ لِدِيْنِهِ ، إِذَا رَأَى المُنْكَرَاتِ ، وَقَدْ أُمِرَ بِمُحَارَبَتِهَا وكَيْفَ يُصْلِحُ المَرْءُ عُيُوْبَ نَفْسِهِ ، إِذَا لَمْ يَغْضَبْ عَلَيْهَا ، ويَشْتَدُّ فِي رَدِّهَا عَنْ هَوَاهَا .

أَمَّا الغَضَبُ المَذْمُوْمُ فَهُوَ الّذِي يُعْمِي صَاحِبَهُ عَن الحَقِّ ، ويُفْقِدُهُ بَصَرَ البَصِيْرَةِ ، والفِكْرِ فتَأْخُذُهُ العِزَّةُ بالإِثْمِ ، ويُعْرِضُ عَن النُّصْحِ إِذَا نُصِحَ ، وَرُبَّمَا زَادَ هَيْجَاناً ، وإِذَا رُوْجِعَ فِي قَوْلٍ ازْدَادَ سُخْطاً ولِجَاجاً .

وَقَدْ يَحْدُثُ مِنْهُ ضَرَرٌ عَلَى مَنْ حَوْلَهُ ، وتَجِدُهُ مُتَغَيِّراً لَوْنُهُ ، مُرْتَعِشَةً

أَعْضَاؤُهُ ، زَائغاً بَصَرُهُ ، وكَالأَعْمَى يَسُبُّ الجَمَادِ ، والحَيوانَ ، ويَبْطِشُ بِكُلِّ مَا يُصَادِفُهُ ، حَتَّى إِنَّهُ يُتْلِفُ الأَثَاثَ ، وَالرِّيَاشَ ، ورُبَّمَا لاَ يَشْفِي غَلَّةً ، وَقَدْ يَحْدُثُ مِنْهُ طَلاَقٌ ، ولَعْنٌ وَسَبٌّ ، وشَتْمٌ ، فَهَذا غَضَبٌ مَذْمُوْمٌ قَبِيْحٌ مَرْذُوْلٌ يَنْتَصِرُ فِيْهِ إِبْلِيْسُ عَلَى هَذَا الّذي لاَ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْد الغَضَبِ كَمَا قِيْلَ :

وَمَا غَضَبُ الإِنْسَانِ إِلاَّ حَمَاقَةٌ
إِذَا كَانَ فِيْمَا لَيْسَ لِلّهِ يَغْضَبُ

ومِثْلَ هَذَا الغَضَبِ يَهْدِمُ الجِسْمَ ، ويُتْلِفُ الصِّحَّةَ ، ويَحْرِمُ صَاحِبُهُ الرَّاحَةَ والهَنَاءَ وَيَجْعَلُ نَظَرَتَهُ إِلَى الحَيَاةِ مُظْلِمَةً سَوْدَاءَ فالتَّفْرِيْطُ فِي الغَضَبِ ضَعْفٌ ، والإِفْرَاطُ تَهُورٌ وجُنُوْنٌ ، والمَحْمُوْدُ مِنْهُ الوَسَطُ والاعْتِدَالُ والقَصْدُ المَحْمُودُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ غَضَبُكَ لِلدِّيْنِ فَإِذَا اعْتَدَى قَوْمٌ عَلَى الإِسْلامِ بالطَّعْنِ والتَّشْهِيْرِ أَوْ التَّشْكِيْكِ فِي العَقَائِدِ كَمَا يُحاوِلُ المُلْحِدُوْنَ وَكَمَا يَفْعَلُ المُبَشِّرُونَ فَيَجِبُ أَنْ تَغْضَبَ عَلَيْهِم انْتِصاراً لِدِيْنِنَا وَدِفاعاً عَنْ شَرْعِنَا .

وَمِنَ الغَضَبِ المَحْمُودِ الغَضَبُ عَلَى مَنْ تَعَدَّى عَلى بِلاَدٍ إِسْلامِيَّةٍ أَوْ تَعَدَّى عَلَى مُسْلِمٍ أَوْ مَدَحَ غَيْرَ الدِّيْنِ الإِسْلامِيْ أَوْ ذَكَرَ اللّهَ أَوْ كِتَابَهُ أَوْ مَلاَئِكَتَهُ أَوْ رُسُلَهُ بِسُوْءٍ أَو سَبَّ صَحَابِيّاً أَوْ إِمَاماً مَشْهُوْراً بالتُّقَى وَالوَرَعِ والاسْتِقَامَةِ أَوْ طَعَنَ في رِجَالِ الدِّيْنِ لأَجْلِ دِيْنِهِمْ أَوْ كَذَبَ عَلَى اللّهِ أَوْ عَلَى رُسُلِهِ أَوْ أَحَلَّ شَيْئاً مِنَ المُحَرَّمَاتِ أَوْ حَرَّمَ شَيْئاً مِمَّا حَلَّلَهُ اللّهُ أَوْ اسْتَهَانَ بِكِتَابِ اللّهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُوْلِهِ ﷺ أَوْ كُتُبِ أَهْلِ العِلْمِ المُحَقِّقِيْنَ مِثْلُ الإِمَامِ أَحْمَدَ والشَّافِعِيّ ومَالِكٍ وأَبي حَنِيْفَةَ والمُوَفَّق والمَجْدِ وابْنِ أَبِي عُمَرَ وَشَيْخِ الإِسْلامِ وابْنِ القَيِّم وابْنِ كَثِيْرٍ وابْنِ رَجَبَ وابْنِ مُفلحٍ ونَحْوِهِمْ مِنَ العُلَمَاءِ

المَشْهُوْرِيْنَ بالاسْتِقَامَةِ والبُعْدِ عَن البِدَعِ وكَأَئِمّةِ الدَّعْوَةِ .

ومِنَ الغَضَبِ المَحْمُوْدِ الغَضَبُ عَلَى مَنْ مَدَحَ الكَفَرَةَ والمُنَافِقِيْنَ وأئمة الضَّلالِ والحَيَارَى كابنِ عَرَبِيّ وابْنِ رُشْدٍ وَالفَارَابِي وابْنِ سِيْنَا وَابْنِ كُلَّابٍ والعَفِيْفِ التّلْمُسَانِيّ وابْنِ سَبْعِيْنَ وابْنِ الفَارِضِ وابْنِ الرَّاوَنْدِي والكَوْثَرِي والبُوْصِيْرِي والمَعَرّي ونَحْوِ هؤُلاءِ مِنَ المُلاحِدَةِ والزَّنَادِقَةِ والمُبتَدِعَةِ والفَسَقَةِ والظُّلمَةِ وأعْوانِهِمْ .

ومِنَ الغَضَبِ المَحْمُودِ الغَضَبُ عَلَى مَنْ ابْتَدَعَ فِي الدِّيْنِ بِدَعاً أَوْ نَشَرَهَا أَوْ دَعَا إِلَيْهَا أَوْ مَدَحَ مُحَلِّلِيْهَا أَوْ مَدَحَ الكُفَّارَ أَوْ مَدَحَ المَلاهِي والمُنْكَرَاتِ الّتِي حَطَّمَتِ الأخْلاقِ وَقضَتْ عَلَيْهَا وأتْلَفَتِ الأَمْوَالِ وَقَتَلَتِ الأوْقَاتَ وَأَوْرَثَتِ الخَلْقَ أَفَانِيْنَ العَدَوَاتِ وأَحْدَثَتِ التَّفَرُّق فِي البُيُوْتِ والقُلُوْبِ .

شِعْرا :

« إنَّ المَلاهِيَ أَلْقَتْ بَيْنَنَا إحَناً
وَأَوْرَثَتْنَا أَفَانِيْنَ العَدَوَاتِ »

« وَهَلْ أُصِيْبَ شَبَابُ اليَوْمِ وانْحَرَفُوْا
إلَّا بِتَقْلِيْدِ أَصْحَاب الضَّلالاَتِ »

« مِنْ كُلِّ أَهْوَجَ لَا دِيْنٌ وَلَا أَدَبٌ
وَلَا حَيَاءٌ ومَعْدُوْمُ المُرُؤاتِ »

« يَرَى التَّمَدُّنِ فِي تَطْوِيْلِ شَارِبِهِ
وَحَلْقِ لِحْيَتِهِ مِثْلَ الخَواجَاتِ »

« يُقَلِّدُ الكُفْرَ فِي تَطْوِيلِ أَظْفُرِهِ
أَقْبِحْ بِهِ مِنْ سَفِيهٍ سَاقِطٍ عَاتِ »

اللَّهُمَّ قَوِّي إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلاَئِكَتِكَ وبِكُتُبِكَ وبِرُسُلِكَ وبِاليَوْمِ الآخِرِ وبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِلهِدَايَةِ وَجَنِّبْنَا أَسْبَابَ الجَهَالَةِ والغِوَايَةِ اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى الإِسْلامِ والسُّنَّةِ وَلاَ تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّاب ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ الأحيَاءِ مِنْهُمْ والمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْن .

١٠١ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ الله انّ اللهَ اخْتَارَ نَبِيَّهُ مُحَمَّداً صلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمْ وَخَصَّهُ بِمَزَايَا لَمْ تَكُنْ لأحَدٍ مِنَ الْعَالَمِيْنَ وَاخْتَارَ لَهُ أَصْحَاباً خِيْرَةَ النَاسِ مِنْ خَلْقِه ، وَخَصَّهُمْ بِمَزَايَا لَمْ تكنْ لِسُوَاهُمْ مِنْ النَّاسِ أَجمَعِين ، حَاشَا الأنبياءَ والمرسَلِيْن ، وأَثْنَى عليهِم ، سُبْحَانَهُ في غَيْرِ مَوْضِعٍ مِن القرآنِ الكَرِيْمِ تَنْبِيْهَاً عَلَى جَلاَلَةِ قَدْرِهِمْ ، وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِم ، وَعِظَمِ فَضْلِهِمْ ، وَشَرَفِهِمْ . قَالَ تَعالَى ﴿ والسَّابقونَ الأولَونَ مِن المهاجِرين ، والأَنْصَارِ والذين اتبعوهم بإِحْسَانٍ رضي اللهُ عنهُمْ وَرَضُوا عنه ﴾ .

وقَالَ تَعَالَى يَصِفُهُمْ بِشِدَّةِ الرَّحْمَةِ ولِيْنِ الْجَانِبَ لِبَعْضِهِمْ بَعْضا وَشِدَّتِهِمْ عَلَى الكُفَّارِ المُعَانِدِيْنَ ، مُحَمَّدُ رسولُ اللهِ والَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ وَرُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ ورِضْوَاناً سِيْمَاهُمْ في وَجوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ .

وَقَالَ تَعَالَى يَصِفُ الْمُهَاجِرِيْنَ والأَنْصَارِ بأفْضَل مَا يَصِف به إِنْسَاناً

« لِلْفُقَرَاءِ المهَاجِرِيْنَ الذينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وأمْوالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً من اللهِ وَرِضْوَانَا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أولئك هُمُ الصَّادِقُون . والَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّار والإيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إلَيْهِمْ ، وَلاَ يَجِدُوْنَ في صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِم خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُوْنَ » .

وَقَالَ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خَيْرُ القُرُونِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ ، وَلَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ أَصْبَرُ النَّاسِ بعد الرُّسُلِ عَلَى الأذَى في اللهِ فَلَقَدْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍ إلَّا أنْ يَقُولُوا رَبُّنا اللهُ وَصُبَّ عَلَيْهِمُ الأذَى مِن كُلِّ صَوْب ، فَلَمْ يَزِدْهُمْ ذلِكَ إلا إِيْمَاناً قالَ تَعالى : ﴿ الذينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُم ايْماناً ﴾ .

﴿وَقَالُواحَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوكيلِ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِن اللَّهِ وَفَضلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوء ﴾ ا الآية .

وإذا كانَ الصَّحَابَةُ رَضْيَ اللهُ عَنْهُم أرْفَعَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ والمُرْسَلِيْنَ دَرَجَةً وأعْلاَهُمْ مَكَاناً بِشَهَادَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ فَلاَ عَجَبَ أنْ يُعْلِنَ المُصْطَفَى صَلى اللهُ عليهِ وسَلَّمْ بِفَضْلِهِمْ وَيُحَذِّرُ مِنْ سَبِّهِمْ وَمَقْتِهِمْ ، وَيَقُولُ فِيمَا رَوَى التِرْمِذِي « اللَّهَ اللَّهَ في أَصْحَابِي لاَ تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضاً بَعْدِي ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهُ يُوشِكُ أنْ يَأْخُذَهْ »

ويقولُ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تَسُبَّوا أَصْحَابِي فَو الَّذِي نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدُكُمْ أنفَقَ مِثْلَ آحَدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أحَدِهِمْ وَلاَ نَصْيْفَهْ ، فَأَصْحَابُ النَّبيِّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ يَشُكُّ عاقِلٌ أَنَّهُمْ هُمْ الَّذي حَازُوا

قَصَبَاتِ السَّبْقِ ، واسْتَوْلَوْا عَلَى مَعَالِي الأمورَ مِنَ الفَضْلِ والمعرُوفِ والصِدقِ والعِفَةِ ، والكـرَمِ والإحْسَـانِ ، والقنـاعـةِ ، وعُلُوِّ الهِمَّـةِ ، والنَّزاهةِ ، والشَجاعَةِ ، والتُّقَى والتَّواضُعِ ، ونَحْوِ ذَلِكَ .

فَالسَّعِيْدُ مَنِ آتَّبَعَ طَرِيقَهُمْ ، واقْتَفَى مِنْهَجَهُمْ القويم ، والشَّقِيُ مَنْ عَدَلَ عَنْ طَرِيْقِهِمْ ، وَلَمْ يَتَحقَّقْ بِتَحْقِيقِهِمْ ، فأيُ خِطَّةِ رُشْدِهِمْ لَمْ يَسْتَوْلُوا عَلَيْهَا ، وأيُ خَصْلَةِ خَيْرٍ لَمْ يَسْبِقُوا إليها ، لَقَدْ وَرَدُوا يَنْبوعَ الحَيَاةِ عَذْباً صَافِيَاً زُلَالاً . وَوَطَّدُوا قواعِدَ الدِّيْنِ ، والمَعْرُوْفِ فَلَمْ يَدَعُوا لِأَحَدٍ بَعْدَهُمْ مَقَالاً .

فَتَحُـوا القلُوبَ بالقُـرْآنْ ، والذِّكْـرَ والإيمـان، والْقِـرَى بـالسَّيْفِ والسِّنَانْ . وَبَذَلُوا النُّفُوسَ النَّفِيْسَةِ في مَرْضَاةِ رَبهِم ، فَلَا مَعْرُوْفَ إلَّا مَا عُرِفَ عَنْهُم ، وَلَا بُرْهَانَ إلَّا مَا بِعُلُومِهِمْ كُشِفْ ، وَلَا سَبْيْلَ نَجاةٍ إلَّا مَا سَلَكُوهُ وَلَا خَيْر سَعَادَةٍ إلَّا مَا حَقَّقُوهُ وحَلَّوهُ فرِضْوَانُ اللهِ عليهم ، مَا تَحلَّتْ المَجَالِسُ بِنَشْرِ ذِكْرِهِمْ ، وَمَا تَنَمَّقَةِ الطُرُوسُ بِعَرْفِ مَدحِهِمْ وَشُكْرِهِمْ :

وَلَـيْسَ في الأُمَّـةِ كـالـصَّحـابَـةْ
بِـالْفَضْـلِ والمَعْـرُوفِ والإصَـابَـةْ
فـإنَّهُمْ قَـدْ شَـاهَـدُوا الـمُخْـتَـارَ
وَعَـايَـنُـوا الأَسْـرَارَ والأَنْـوَارَا
وَجَـاهَـدُوا فـي اللهِ حَـتَى بَـانَـا
دينُ الهُـدَى وَقَـدْ سَمَـا الأَدْيَـانَـا
وَقَـدْ تُلِيْ في مُحْكَـمَ التَّـنْـزِيْـلِ
مِنْ فَضْلِهِمْ مَـا يَشْفِي مِنْ غَلِيْـلِ

وَفـــي الأحـــاديثِ وفـــي الأخْبَـــارِ
وَفـــي كـــلامِ القَـــوْمِ والأشْـــعَـــارِ
مَـا قَـدْرَ بَي مِنْ أن يُحِيطَ نَـظْمِي
ببِعْضِـــهِ فـاسْمَـــعْ وَخُـذْ مِنْ عِلْمي

اللّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بنُوْرِ الإِيمانِ وَثَبِّتْ محبَّتَكَ فِيْهَا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْـرَكَ وَأَرْزُقْنَا حُبَّ أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضَ أعْدَائِكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

١٠٢ موعظة

عِبَادَ اللهِ اعْتَادَ النَّاسُ أنَّ مَنْ طَلَبَ شَيْئاً مِنْ نَفائِسِ الدُّنْيَا لا يَهْدَأ ولا يَنَامُ ، بَلْ يَسْعَى لِلْوصُولِ إليْهِ ، لَيْلَهُ ، ونَهـارَهُ ، سعْيَ النَّشِيْطِ الهُمَامِ ، وَكُلمَّا سُدَّ في وَجْهِهِ بَابٌ ، قَرَع بَاباً آخرَ ، وَانْ تَعدَّد الأبْوابُ ، كمَا هُوَ دَأْبُ الحَرِيْصِ المِقْدامِ ، وَكُلَّمَا نَظَرَ إلىَ قَدْرِ مَا يَطْلُبُ هَانَ عَلَيْهِ السَّعْيُ ، وَما يلقَاهُ مِنْ مصَاعِبَ وَمتاعِبَ وَالآمٍ وَالعَجِيْبُ أنَّهُ لا يَمَلُّ ولا يَسْأَمُ ، وَإنْ وَاصَلَ السَّعْيَ سِنِيْنَ، وَأعَجَبُ مِنْ ذَا أَنّهُ لا يَنْثَنِيْ عَنْ مَطْلوُبِهِ ، وَإنْ مُسَّ شرَفُهُ وَأُهِيْنَ ، وَإنْ اسْتَصَعَبَ عليْهِ الوُصُولُ ، اسْتَعانَ بذِويْ الوَجَاهَةِ المُحْتَرَمِيْن ، وَلا يَزالُ هَذا يَوْاصِلُ السَّعْيَ حَتَّى يَصِل مُبْتَهجاً إلى مَالَهُ مِنْ مَرامٍ . أنْتَ تَطْلُبُ الجَنَّةَ يا هَذا وهِيَ نَفِيسَةً جـداً لإنَّها لا تَفنَى وَلا تَبيْدُ ، وَلِأَنَّ لَكَ فِيْهَا مَا اشْتَهتْ نَفْسُك ، ولذّتْ عَيْنُكَ دُوْنَ ايِّ تَقْيِيدِ ، وَلأنَّكَ خَالِدٌ فِيْهَا ابَداً دُوْنَ انْ يُكدِّرَ ، بأيِّ مُكدِّرٍ ، ذلِك

العَيْشُ الرَّغِيْدُ فَهلْ شَمَّرْتَ عَنْ سَاقٍ وَسَعَيْتَ لِلْوُصُولِ إِلَيْهَا ، كَمَا تَسْعَى فَقَطْ لِذَلِكَ الفَانِيْ مِنَ الحُطَامِ ، المُشَاهَدُ أَنَّكَ لا تَسْعَى لِتِلْكَ الجَنَّة وَلا يَخْطُرُ لَكَ السَّعْيُ إِلَيْهَا عَلَى بَالٍ ، وَلَوْ أَنَّكَ سَاوَيْتَها في السَّعْي إِلَيْها بأَيِّ مَطْلُوبٍ دُنْيَوِيّ لَكُنْتَ مِنْ عُظَمَاءِ الرِّجَالِ ، وَلكِنْ يَا للأَسْفِ لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ ، وَالسَّعْيُ لِلجَنَّةِ لا يَكُوْنُ بالكَلامِ ، وَلا بالأَمَانِيّ وَالأَحْلامِ ، وَلكِنْ بصالِحَاتِ الأَعْمَالِ ، وَهَلْ تَزَهَّدْتَ أَنْتَ في شَيْءٍ كَمَا تَزَهَّدْتَ في تِلْكَ الأَعْمَالِ الفِخَامِ ، وَلِذَلِكَ أَجْرَى اللهُ العَادة أَنَّ مَنْ خَافَ شَيْئًا مِنْ مؤْلِمَاتِ الدُّنَيا يَبْعِدُ عَنْهُ وَيفِرُّ ، كُلَّ الفِرَار ، وَيَذْهَبُ هُدُؤهُ وَطَمَأْنِيْنَتُهُ ، وَرُبَّمَا ذَهَبَ نَوْمُهُ اضْطِرَاراً لا اختِيَاراً وَلا يَطْمَئِنُّ بَعْضَ الاطْمِئنَانِ إلا إذَا احْتَرسَ مِنْهُ بكلِّ مَا يَقْدِرُ عَليْه مِنْ أَعْوَانٍ ، وَأَنْصَارٍ ، يَفْعَلُ كُلَّ ذَلِكَ لِئلاّ يَصِلَ إليْهِ منْ الأذى مَا يُكدِّرُ عليْه حَيَاتَهُ ، وَصَفوَهَا جَهَنَّمُ يَا هَذَا أَعْظَمُ مخُوْفٍ فَهلْ عَمِلْتَ الاحْتِيَاطَ لهَا كَمَا تَحْتَاطُ لِمُخَوِّفاتِ هذِه الدَّارِ .

الذِيْ يَتَبَادَرُ مِنْكَ وَيظْهَرُ أَنَّ إِيْمَانَكَ بهَا ضَعِيْفٌ ، وَأَنَّكَ لَمْ تَعْمَلْ أَيَّ احْتِيَاطٍ لهَا ، فلوْ كَان ايْمَانُكَ قَوِيٌّ في قَوْلِهِ تَعالَى ﴿ وَجيْءَ يَوْمَئِذٍ بجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الانْسَانُ وأَنَّى لهُ الذِكْرَى ﴾ لَسَعْيَتَ جُهْدَكَ في الأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، التِيْ تَحُولُ بيْنَك وبَيْنَها وَلأَزْعَجَكَ وأَقْلَقَكَ وَلَمْ تَهْنَأ بنَوْمٍ ولا طَعَامٍ وَشَرابٍ ، وأَمَامَكَ تِلْكَ العَقَباتِ ،

اللَّهُمَّ قَوِّي إِيْمَانَنَا بكَ وَبِمَلاَئِكَتِكَ وبِكُتُبِكَ وبِرُسُلِكَ وبِاليَوْمِ الآخِرِ وبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ اللّهُمَّ وَفِّقْنَا لِلهِدَايَةِ وَجَنِّبْنَا أَسْبَابَ الجَهَالَةِ والغِوَايَةِ اللّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى الإِسْلامِ والسُّنَّةِ وَلاَ تُزِغْ قُلُوْبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّاب ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحياءِ

مِنْهُمْ والمَيّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلّى اللّهُ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْن .

١٠٣ « موعظة »

عِبَادَ اللهِ مَضَى رِجَالٌ مِن هَذِهِ الأُمَّةِ كَانُوا يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ خَشْيَةَ العَارِفِينَ الموقِنِينَ لِذَلِكَ كَانَتْ أَقْوَالُهُمْ وأفْعَالُهُم مَوْزُوْنَةٌ بِمَا لِلشَّرْعِ مِن مَوَازِيْنَ كانُوا يَزِنُونَ كَلاَمَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَلْفُظُوا بِهِ لِأَنَّهُم يُوْقِنُوْنَ أنَّ خَالِقَهُمْ سَمِعَهَا وشَهِدَ عَلَيْهَا وهُوَ تَعَالَى خَيرُ شَاهِدٍ .

كَانُوا إِذَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ يَقِفُونَ فِي مَحَارِيْبِهِمْ بَاكِيْنَ مُتَضَرِّعِيْنَ لَهُم أَنِيْنٌ كأَنِيْنِ المَرْضَى ولَهُمْ حَنِيْنٌ كَحَنِيْنِ الثُّكْلَى وكانُوا رُبَّمَا مَرُّوْا بالآيةِ مِن كِتَابِ اللهِ فَجَعَلُوْا يُرَدِّدُوْنَهَا بقَلْبٍ حَزِيْنٍ فأَثَّرَتْ عَلَيْهِم ومَرِضُوْا بَعْدَهَا مَاتَ أُولَئِكَ السَّلَفُ الصَّالِحُ الذِينَ تَتَجافَى جُنُوبُهُم عن المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وطمعاً .

ومَاتَتْ تِلْكَ الخَشْيَةُ واعْقَبَهَا قَسْوَةٌ أَذْهَلَتِ العِبَادَ عن طَاعَةِ اللهِ فَصَارُوْا يَأْتُونَ ويَذَرُوْنَ ما يَذَرُوْنَ دُوْنَ سُؤَالٍ عن سَخَطِ اللهِ ورِضَاه .

وغَدَتْ جَوَارِحُهُم مُطْلَقَةً في كُلِّ مَا يُغْضِبُ الله وصَارَتْ أَفْعَالُهُم فَوْضَى لَيْسَ لَهَا ضَوَابِطُ وَلاَ قُيُودٌ العَينُ تَجُولُ في المَنَاظِرِ المُحرَّمَةِ مِن نِسَاءٍ سَافِرَاتٍ إلى سِيْنَماءٍ إلى تَلْفِزْيُونٍ إلى الفِدْيُوْ مُعَلِّمِ الفَسَادِ إلى كُوْرَة إِلَى مَجلاّةٍ في طَيِّها الشُّرُورُ إلى صُورةٍ مُجَسَّدَةٍ وغَيرِ مُجَسَّدَةٍ إلى كُتُبٍ هَدَّامَةٍ لِلأَخْلاَقِ إلى غَيْرِ ذلكَ مِن المُحَرَّمَاتِ التي تَجْرَحُ القُلُوب .

والفَرْجُ يَسْرَحُ كَمَا شَاءَ إلى الفَوَاحِشِ الدِّيْنُ ضَعِيْفٌ وَالخُلُقُ فَاسِدٌ والاذنُ لا تَشْبَعُ مِن سَمَاعِ مَا يُسْخِطُ رَبَّهَا والبَطْنُ يَسْتَزِيْدُ مِن سُحْتِ الأَقْوَاتِ .

وأما اليَدُ فَحدَّثْ ولاَ حَرَجَ في تَعَدِّي الحُدُوْدَ وأَمَّا اللِّسَانُ فلَيْلُهُ ونَهَارُهُ يَتحَرَّكُ وَيَتَقَلَّبُ في مُنْكَرِ القَوْلِ وزُوْرِهِ وَلاَ كَأَنَّ رَبَّهُ السَّمِيْعُ البَصِيْرُ العَلِيْمُ مَوْجُوْدٌ وَتَرَاهُ يَطْعَنُ في أعْرَاضِ الغَوَافِلِ ويُمَزِّقُ جُلُودَهُم في السَّبِ والغِيْبَةِ والبَهْتِ والكَذِبِ ولا يَعِفُ عَن عِرْضِ أَيِّ بَشَرٍ .

ويَحْلِفُ باللهِ العَلِي العَظِيم كُلَّ يَوم مَرَّاتٍ ولا يَهُمُّهُ أَبَرَّ في يَمِيْنِهِ أمْ فَجرَ وأَمَّا وُعُودُهُ وَعُهُوْدُهُ وعُقُوْدُهُ فتُهْمَلُ وَلاَ كأنَهُ مُكَلَّفٌ باحْتِرَامِهَا فهَذَا وأَمْثَالُهُ قد انْهَمَكُوا في المَعَاصِي وتَوَغَّلُوْا فِيْهَا وصَارَتْ عِنْدَهُم عَادَاتٌ وشَيءٌ طَبِيْعِيٌّ مَألُوفٌ لَهُمْ .

وَلِذَلِكَ إذَا مَرَرْتَ بِهِمْ أَوْ مَرَرْتَ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ اسْتَوْحَشْتَ مِنْ سَمَاعِ الأَغانِيْ والرَّقصِ والمُطْرِبِيْنَ والسَّبِ واللَّعْنِ والقَذْفِ والاسْتِهْزَاءِ بِالدِّينِ وأَخَذْتَ فِي العَجَبِ بَيْنَ هَؤلآءِ وَأُولَئِكَ الذينَ في أَوْقَاتِ التَّجَلِّياتِ في حَنَادِسِ الظُّلمِ يُنَاجُوْنَ رَبَّهُمْ رَاغِبِيْنَ في رِضْوَانِ العَزِيْزِ الجَبَارِ خَائِفِيْنَ مِنْ سَخَطِ المُنْتَقِمِ القَهَّارِ مُتَفَكِّرِيْنَ في سُرْعَةِ حُلُولِ المَنَايَا التي تُسَارِعُ الأَيَّامَ واللَّيَالِيْ في اقْتِرَابِهَا ومُوْقِنِيْنَ بأَنَّهُمْ مُحَاسَبُوْنَ على الفَتِيْلِ والنَّقِيْرِ والقِطْمِيْرِ عَالِمِينَ بأَنَّهُم مُكَلَّفُوْنَ بِوَاجِبَاتِ عُبُوْدِيَّةٍ مَا قَامُوا بِالقَلِيْلِ مِنْهَا وهُمْ عَنْهَا مَسْؤُلُونَ وعلى مَا قَدَّمُوْهُ مِن خَيْرٍ وشَرٍّ قَادِمُوْنَ .

وَهَلْ حَالُ هَؤلآءِ السُّعَدَاءِ في جَانِبِ أُولَئِكَ التُعَسآءِ الأشْقِيَآءِ إلاَّ كَحَالِ المُصَابِ بالجُنُونِ في جَانِبِ أَوْفَرِ الناسِ عَقْلاً وأَكْمَلِهِمْ وَقَاراً فأَكْثِرْ يَا أَخِيْ مِنْ قَوْلِكَ الحَمْدُ للهِ الذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلاَهُمْ اللهُ يُعَافِيْهِمْ وَلاَ يَبْلاَنَا قَال تعالى « قُلْ إن الخَاسِرِيْنَ الذِينَ خَسِرُوْا أَنْفُسَهُم وأَهْلِيْهِم يَومَ القِيَامَةِ ألاَ ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِيْنُ »

وَكُــل كــسْــرٍ فــإن الله يَـجْـبُــرُهُ
وَمَــا لِكَسْـرِ قَنَــاةِ الـدِّيْنِ جُبْـرَانُ

فَتَنَبَّهْ أَيُّهَا المُؤْمِنُ واعْلَمْ أَنَّكَ مَسْؤُلٌ عَن كُلِّ مَا تَعْمَلُ لا مُهْمَلٌ كالأَنْعَام فانْهَجْ نَهْجَ الاِسْتِقَامَةِ وَرَاقِبْ رَبَّكَ في مَصَادِرِكَ وَمَوارِدِكَ لِتَقِفَ عِنْدَ الحُدُوْدِ قَالَ بَعْضُ المُرشِدِيْنِ إلى مَعَالِمِ الرُشْدِ ضَارِباً لِذَلِكَ مَثَلاً .

واعْلَمْ أَنَّ الانسَانَ فِي تَقَلُّبِهِ في أَطْوَارِ حَيَاتِهِ كَمَثَلِ غَرِيْبٍ اَلْقَتْ بِهِ المَقَادِيْرُ إلى قَوْمٍ اسْتَقْبَلُوهُ بِتَرْحَابٍ وتَكْرِيْمٍ وكانَ ذَلِكَ النَّازِلُ فَاقِدَ القوى غَيْرَ عَالِمٍ بِمَا عَلَيْهِ القَوْمُ مِن الشُؤُنِ ولا يَدْرِي مِنْ أَيْنَ أَتَى وَلا إلى أَيْنَ يَذْهَبُ .

فَقَامَ القَوْمُ بوَاجِبَاتِ خِدْمَتِهِ وإكْرَامِهِ حَتَّى قَوِيَتْ حَواسُّهُ وَجوَارِحُهُ ومَدَارِكُهُ وأَخَذَ يَعْمَلُ كَمَا يَعْمَلُ القَوْمُ فَجَاءَ رَجُلٌ مِن عُقَلائِهِم قَائِلاً يا هَذَا إنَّ هَذِهِ الدارَ التِي تَوَطَّنَهَا مُكرِمُوْكَ ما هِيَ دَارُ إقَامَةٍ ولا هِيَ مَمْلُوكَةٌ لِأَحَدٍ مِن الخَلقِ ولكِنَّهُمْ أَمْثَالُكَ نُزَلَاء مَنْ كَانُوا يَعْمِرُوْنَ هَذِهِ الدارَ قَبْلَهُم ثُمَّ رَحَلُوْا وَتَركُوْهَا وَمَا كَانَ رَحِيْلُهُم إلى مَكَانٍ بَعِيْدٍ ولَكِنَّهُ كَانَ إلى سِجْنٍ ضَيِّقٍ وَمَكانٍ مُظْلِمٍ لَوْ أَرْسَلْتَ بِبَصَرِكَ لَرَأَيْتَهُ وقَدْ فَقَدُوْا تِلْكَ القُوى وتَنَاسَوْا ذَلِكَ النَعِيْمَ .

ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ إلى مَكَانٍ قَفْرٍ وأَعْنِي به المَقْبَرَةَ وقَالَ لَهُ هَذَا مُرَاحُ القَوْمِ ومَسْقَطُ رؤُسِهِمْ وإِنَّ الطَّرِيْقَ التِي تُوْصِلُكَ إلى هَؤلَاءِ القَومِ هِيَ الطَّرِيْقُ التي سَلَكَهَا مُكْرِمُوْكَ وإِنَّهَا لَطَرِيْقٌ ذَاتُ عَقَبَاتٍ مُهْلِكَةٍ وَلَهَا أَوْحَالٌ مَنْ تَورَّطَهَا هَلَكَ وَلا مَخْلَصَ مِن تِلْكَ الأَوْحَالِ إلا بتَجَنُّبِ تِلْكَ العَقَبَاتِ أَوْ تَجَاوُزِهَا عَدْواً .

فإنْ رُمْتَ السَّلَامَةَ فَسِرْ فَرِيْداً مُتَحَفِّظاً مِن تَخَاصُمِ القَوْمِ وتَنَازُعِهِم ومِنْ مَلَاهِيْهِمْ وَأَلعَابِهِمْ ولا تُصْغِ لِمَنْ يُنَادِيْكَ مِن خَلْفِكَ فإنَّ الذِي يُنَادِيْكَ مِن

خَلْفِكَ فِي طَرِيْقِ النَّجَاةِ هُوَ أَجْهَلُ مِنْكَ بِهَا ولا تُخَالِفْ مَنْ نَادَاكَ مِن الأَمَامِ فَإِنَّهُمْ أَدْرَى مِنْكَ بمَفَاوِزِ الطَّرِيْقِ .

وإيَّاكَ أَنْ تَشْتَبِهَ عَلَيْكَ الطُّرُقُ وأَصْوَاتُ المُنَادِيْنَ فإِنَّ طَرِيْقَ السَّلامَةِ لَهَا أَعْلامٌ ومَصَابِيْحُ نَيِّرَةٌ عَلَى رَأسِ كُلِّ مَرْحَلَةٍ مِنْ مَرَاحِلِها وأَمَّا بَاقِي الطُرُقِ فإِنَّها مُظْلِمَةٌ مُوْحِشَةٌ مُهْلِكَةٌ وَمَا هِيَ إلا طَرِيْقٌ وَاحِدَةٌ وَلَكِنَّهَاذَاتُ شُعَبٍ ومَسَارِبٍ كَثِيْرَةٍ .

فاحْذَرْ انْ تَتَهَاوَنَ بِنَفْسِكَ كَمَا تَهَاوَنَ القَوْمُ بِنُفُوسِهِمْ فَهَلَكُوْا وَهُمْ لا يَشْعُرُوْنَ فإِنْ كَانَ النَازِلُ الغَرِيْبُ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِتَعَقُلِ النَّصَائِحِ وَذَا قَابِلِيَةٍ تَقْبَلُ الارْشَادَ وقَفَ عَلَى أَفْوَاهِ الطَرِيْقِ وفَتَحَ عَيْنَيْهِ واسْتَعْمَلَ فِكْرَهُ وتَبَصَّرَ في أَمْرِهِ وتَدَبَّرَ عَوَاقِبَ مَا عَلَيه القَومُ وأَخَذَ لِنَفْسِهِ بأَحْوَطِ الأَحْوَالِ وأَقْرَبِهَا إِلَى السَّلاَمَةِ وَجَعَلَ عَيْنَهُ مُتَّجِهَةً لِلنَّظَرِ إلى مَنَازِلِ الرَّاحِلِيْنَ التِي لا أَنِيْسَ بِهَا ولا جَلِيْسَ .

وَتَأَمَّلَ سُرْعَةَ الرَّحِيْلِ وقِصَرَ أَوْقَاتِ الاقَامَةِ وتَجَنَّبَ الأَلْعَابَ والمَلاَهِي وسَلَكَ سَبِيْلَ المُهْتَدِيْنَ وإِنْ كَانَ ضَيِّقَ الحَضِيْرَةِ قَاصِرَ النَّظَرِ ضَعِيْفَ الهِمَّةِ ضَائِعَ العَقْلِ سَيِءَ التَّصَوُرِ فَاقِدَ الفِكْرِ خَبِيْثَ الاسْتِعْدَادِ لَئِيْمَ الطَّبْعِ لا يَجِدُ بُداً مِن مُنَازَعَةِ اللاَّعِبِيْنَ وَمُسَابَقَةِ اللاَّهِيْنَ وَتَغَافَلَ عن عَاقِبَةِ أَمْرِهِ وسُوْءِ مَصِيْرِهِ وتَبَاعَدَ عن صِيَاحِ النَّاصِحِيْنَ وأَصْغَى إِلَى مُدَاهَنَةِ الغَاوِيْنَ أَصْبَحَ مِن النادِمِيْنَ .

وَمَا ضَرَبْنَا لَكَ هَذَا المَثَلَ إلا لِتَعْلَمَ أَنَّكَ أَنْتَ الغَرِيْبُ الذي نَزَلْتَ يَوْمَ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ بقَوْمِكَ وأَنْتَ ضَعِيْفُ القُوَى لا تَعْلَمُ شَيْئاً كَمَا قَالَ تَعالَى « والله أخرجَكُم مِن بُطونِ أُمَّهاتِكُم لا تَعْلَمُون شيئاً وجَعَلَ لَكُم السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ لعلكم تَشْكُرون » فَفَرِحَ بِكَ قَوْمُكَ وأكْرَمُوكَ إلى أَنْ قَوِيَتْ الآتُ

أَعْمَالِكَ وصِرْتَ تُحْسِنُ الرَّحِيْل وَحْدَكَ .

ونُرِيْدُ بالرَّحِيْلِ هُنَا سُلُوكَ إحْدَى الطَّرِيْقَيْنِ إمَّا طَرِيقَ الكَمَالاتِ وإمَّا طَرِيْقَ النَّقَائِصِ لِأَنَّهما مَسَارِبَ المكلفِيْنَ الذينَ لا بُدَّ لَهُمْ مِن السَّيْرِ فِيْهَا لِلوُصُوْلِ إلى أَحَدَ الغَايَتَيْنِ فَإِنَّهُ مَا مِن طَرِيْقٍ إلا وَلَهَا غَايَةٌ يَنْتَهِي إلَيْهَا مَسِيْرُ سَالِكِهَا .

وَمَا نُرِيْدُ بالرَّجُلِ العَاقِلِ المُرْشِدِ إلَّا صَاحِبَ الرِّسَالَةِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ أَوْ النَّائِبِ عَنْهُ فِي تَبْلِيْغِهَا وَمَا نُرِيْدُ بِمَنْ يُنَادِيْكَ مِنَ الأَمَامَ إلَّا السَّلَفُ الصَّالِحُ الَّذِينَ سَبَقُوْنَا بِالإِيْمانِ وَبَيَّنُوْا لَنَا طَرِيْقَ النَّجَاةِ أَوِ الأَتْقِيَاءِ المُقْتَفُوْنَ لآثَارِهِمْ الَّذِيْنَ ثَبَتَتِ اسْتِقَامَتُهُمْ .

وَمَا نُرِيْدُ بِالَّذِيْنَ يُنَادُوْنَكَ مِنْ خَلْفِكَ إلَّا الَّذِيْنَ لَا قَدَمَ لَهُمْ فِي طَرِيْقِ النُّبُوَّةِ فَلَمْ يَسْلُكُوْا سَبِيْلَ المُهْتَدِيْنَ بَلْ اعْتَمَدُوْا فِي ارْشَادِهِمْ عَلَى مَقَالٍ لَا حَالَ مَعَهُ وَلَا عَمَلَ وَهَذا لا تَصْلُحُ مُتَابَعَتُهُ لأَنَّهُمْ أَجْهَلُ النَّاسِ بطَرِيْقِ الاسْتِقَامَةِ .

وَمَا أَهْلُ الاسْتِقَامَةِ إلَّا الَّذِيْنَ رَاقَبُوْا قُلُوْبَهُمْ وأَمْسَكُوْا ألسِنَتَهُمْ وَطَهَّرُوْا أَقْلامَهُمْ فَلَا عَزْمَ لَهُمْ إلَّا عَلَى أَعْمَالِ البِرِّ والمُوَاسَاةِ وَلَا يَقُوْلُوْنَ إلَّا الحَقَّ المُنْجِيْ وَلَا يَكْتُبُوْنَ إلَّا مَا لَوْ سُئِلُوا عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ لأَحْسَنُوْا الإِجَابَةَ وَالَّذِيْنَ يَذْكُرُوْنَ اللّهَ كَثِيْراً وإِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالبَكّاؤُونَ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ المُقْتَفُونَ لآثَارِهِ ﷺ .

شعرا :

نُـورُ الحَـدِيْثِ مُبِيْنٌ فـاذْنُ وَاقْتَبِس
وَاحْدُ الرِّكَابَ لَهُ نَحْوَ الرِّضَا النَّدُسِ

مَـا العِلْمُ إلاَّ كِتَـابُ اللّهِ أَوْ أَثَـرٌ
يَـجْلُو بِنُـوْرٍ هُـدَاهُ كُـلَّ مُلْتَـبِسِ

نُـوْرٌ لِـمُقْـتَبِسٍ خَـيْـرٌ لِـمُلْتَمِسٍ
حِمىً لِمُحْتَـرِسٍ نُعْـمَى لِـمُبْتَئِسِ

فـاعْكُفْ بِبَـابِهِمَـا عَلَى طِـلابِهِمَـا
تَمْحُوْ العَمَى بِهِمَا عَنْ كُـلِّ مُلْتَبِسِ

وَرِدْ بقَلْبِـكَ عـذْبـاً مِنْ حِيَـاضِهِمَـا
تَغْسِـلْ بِمَـائِهِمـا مـا فِيْـهِ مِنْ دَنسِ

واقْـفُ النَّبِيَّ وأتْـبَـاعَ النَّـبِيِّ وَكُـنْ
مِنْ هَـدْيِهِمْ أَبـداً تَـدْنُـوْ إلَى قَبَسِ

والْـزَمْ مَجَـالِسَهُمْ وَاحْفَظْ مُجَـالِسَهُمْ
وَانْدُبِ مَدَارِسَهُمْ بـالأَرْبُعِ الـدُّرُسِ

واسْلُكْ طَـرِيْقَهُمْ وَاتْبَـعْ فَـرِيقَـهُمُ
تَكُنْ رَفِيْقَهُمُ في حَضْـرَةِ القُـدُسِ

تِلْكَ السَّعَـادَةُ إنْ تُلْمِمْ بِسَـاحَتِهَـا
فَحُطَّ رَحْلَكَ قَـدْ عُوْفِيْتَ مِنْ تَعَسِ

وَمَا نُرِيْدُ بِمَرَاحِلِ حَيَاتِكَ إلاّ الأَطْوَارَ الَّتِي تَتَقَلَّبُ بِكَ فِيْهَا الشَّمْسُ كُلَّمَا غَرَبَتْ أَوْ أَشْرَقَتْ وَتَنْتَقِلُ بِكَ إِلَيْهَا اللَّيالِي وَأَنْتَ لا تَشْعُرُ فَمَا أَسْرَعَ مُرُوْرِ الشَّمْسِ بِكَ إلى نِهَايَةِ أَجَلِكَ وَمَا أَغْفَلَكَ عَنْ عَمَلِهَا فِيْكَ .

وَمَا نُرِيْدُ بأَوْحَالِ حَيَاتِكَ إلاّ مُتَابَعَةُ شَهَوَاتِكَ عِنْدَ بُلُوغِ الحُلْمِ فَإِنَّ لِطَوْرِ الشُّبُوبِيَّةِ أَوْحَالٌ مُهْلِكَةٌ وهِيَ الشَّهَوَاتُ البَهِيْمِيَّةُ الَّتِي تَضْطرُّ الشَّبَابَ الَّذِيْ غَلَبَتْ شَهوَتُهُ عقْلَهُ إلى مُغَازَلَةِ الغَانِيَاتِ وَمُعَانَقَةِ المَلاَهِيْ وَتَعَاطِيْ المُحَرَّمَاتِ فَيَصِيْرُ في أَوْحَالٍ تُنَاسِبُهُ .

وَمَا مِنْ أَحَدٍ يَسْتَطِيْعُ تَجنُّبَ تِلْكَ الأَوْحَالَ إلَّا الّذِيْ وَفَّقَهُ اللّهُ فَتَبَاعَدَ عَنْ ظُلُمَاتِ الزَّيْغِ وَتَنَوَّرَ بِنُوْرِ العِلْمِ الدِّينِيْ الّذي عَلَّمَهُ العَلِيْمُ الخَبِيْرُ لِرَسُوْلِهِ ﷺ وأمْرَهُ بِتَعْلِيْمِهِ لِلنَّاسِ لأَنَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ هُوَ الحَكِيْمُ العَلِيْمُ الّذِي عَلِمَ الدَّاءَ ودَبَّرَ الدَّوَاءَ قَال تَعَالى : **﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللّطِيْفُ الخَبِير﴾ انتهى بتصرف يسير .**

شعرا :

مَـثِّـلْ لِنَفْسِـكَ أَيُّـهَـا المَـغْـرُوْرُ
يَـوْمَ الـقِيَـامَـةِ وَالـسَّمَـاءُ تَـمُـوْرُ
قَـدْ كُـوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَـارِ وأُضْعِفَتْ
حَـرّاً عَـلَى رُؤُس العِبَـادِ تَفُـوْرُ
وَإِذَا الجِبَـالَ تَعَلَّقَـتْ بِـأُصُـوْلِهَـا
فَـرَأَيْتَهَـا مِثْـلَ السَّحَـابِ تَسِيْـرُ
وإِذَا النُّجُـومُ تَسَـاقَـطَتْ وَتَنَـاثَـرَتْ
وَتَبَـدَّلَتْ بَـعْـدَ الـضِّيَـاءِ كُـدُوْرُ
وإِذَا العِشَـارُ تَعَـطَّلَتْ عَنْ أَهْلِهَـا
خَلَتِ الـدِّيَـارُ فَمَـا بِهَـا مَعْمُـوْرُ

وإِذَا الوُحُوْشُ لَدَى القِيَامَةِ أحْضِرَت
وتَـقُـوْلُ لِـلأَمْـلاَكِ أَيْـنَ نَـسِـيْـرُ
فَيُقَـالُ سِيْـرُوْا تَشْهَـدُوْنَ فَضَـائِحـاً
وَعَجَـائِبـاً قَـدْ أُحْضِـرَتْ وَأُمُـوْرُ
وإِذَا الجَنِيْنُ بِـأُمِّـهِ مُتَعَـلِّقٌ
خَوْفَ الحِسَابِ وقَلْبُهُ مَذْعُوْرُ
هَذَا بِلاَ ذَنْبٍ يَخَافُ لِهَوْلِهِ
كَيْفَ المُقِيْمُ عَلَى الـذُّنُـوْبِ دُهُـوْرُ

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِلْعَمِلِ بِمَا يُرْضِيْكَ وَجَنِّبْنَا أَسْبَابَ سَخَطِكَ وَمَعَاصِيْكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

١٠٤ « موعظـة »

عِبَادَ اللّهِ نَحْنُ فِي عَصْرٍ بَارَكَ اللّهُ فِيْهِ بَرَكَةً عَمَّتِ المَشَارِقَ والمَغَارِبَ وَكُلَّ مَا للأَرْضِ مِنْ أَنْحَاءَ مِمَّا نَعْلَمُهُ وَجَّهَ بِقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ أَفْكَارَ بَنِي آدَمَ إِلى مَا أَوْدَعَهُ فِي خَلْقِهِ مِن أَسْرَارٍ تَفُوْتُ الاحْصَاءَ وَيَسَّرَ لَهُمْ السَّبِيْلَ فَوَصِلُوا مِنْ التَّرَاقِيْ فِي الاخْتِراعِ والاطِّلاعِ إِلى مَا يُدْهِشُ الأَفْكارَ وتَزْدَادُ بِهِ عَقِيْدَةُ المُؤْمِنِ قُوَّةً فَلا يَعْتَرِيْهِ أدْنَى شَكٍّ فِي مَا أَخْبَرَ اللّهُ بِهِ وَرَسُولُه .

أَصْبَحَتِ الدُّنْيَا كُلُّها كَأَنَّهَا بَيْتٌ وَاحِدٌ يُكَلِّمُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً مَعَ بُعْدِ المَسَافَةِ وَيُسَافِرُوْنَ بَرّاً وَبَحْراً فيَقْطَعُوْنَ بِالمَرَاكِبِ البَرِيَّةِ والبَحْرِيَّةِ في مُدَّةٍ يَسِيْرَةٍ مَا يَحْتَاجُ إِلَى مُدَّةٍ طَوِيْلَةٍ فِيْمَا مَضَى وَتَنْقُلُ تِلْكَ المَرَاكِبُ الّتِي خَلَقَهَا

اللّهُ لَنَا مِنَ الأثْقَالِ بِقُوَّةٍ وسُرْعَةٍ تَقِفُ أَمَامَهَا الألبَابُ حَائِرَاتٍ بَلْ لَوْ أَرَادُوْا مُسَابَقَةَ الطَّيْرِ فِي السَّمَاءِ لَسَبَقُوْهُ بِالطَّائِرَاتِ .

فَسُبْحَانَ مَنْ أَرْشَدَ عِبَادَهُ إِلَى صُنْعِ هَذِهِ المُخْتَرَعَاتِ قَالَ تَعَالَى « واللّهُ أخرجَكُم مِن بُطُوْنِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالأبْصَارَ والأفْئِدَةَ لَعَلّكُمْ تَشْكُرُوْنْ » .

وانْظُر إِلَى الكَهْرَباءِ وَفَائِدَتِهِ العَظِيْمَةِ في اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَقَدْ صَارَ اللَّيْلُ بِأنْوَارِهِ وكَأَنَّهُ نَهَارٌ وَمَا فِيْهِ مِنْ أسْبَابِ الرَّاحَةِ والمَنَافِعِ العَظِيْمَةِ الّتِي لَمْ تَحْصُلْ لِمَنْ قَبْلَنَا أَلَيْسَ هَذا مِن أَعْظَم البَرَاهِيْنِ والأدِلّةِ عَلَى صِدْقِ مَا أَخْبَرَ اللّهُ بِهِ بِقَوْلِهِ « سَنُرِيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفاقِ وفِي أَنْفُسِهِمْ حتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ » .

وَعَلَى صِدْقِ مَا أَخْبَرَ بِهِ الصَّادِقُ المَصْدُوْقُ مِنْ أَنَّ الزَّمَانَ يَتَقَارَبُ وَهَا أَنْتَ لَا تَمْشِي شَرْقاً وَلَا غَرْباً إلّا وَأَنْتَ تَرَى وَتَسْمَعُ مِنْ تِلْكَ الأَسْرَارِ مَا تَحَارُ بِهِ الأَفْكَارُ فَنَحْنُ اليَوْمَ نَتَقَلَّبُ فِي كُلِّ أَحْوَالِنَا فِي نَعِيْمٍ لَمْ يَظْفَرْ بِهِ عَصْرٌ مِنَ الأعْصَارِ حَتَّى إِنَّكَ تَرَى حَيَوَانَ هَذَا العَصْرِ فِي رَاحَةٍ وإكْرَامٍ لَمْ تَتَمَتَّعْ بِهَا بَنُوْ العُصُورِ المَاضِيَاتِ إِنَّ حَقّاً عَلَيْنَا إزاءَ كُلِّ هَذَا أنْ نَكُوْنَ أَسْبَقَ الأجْيَالِ فِي مِيْدَانِ شُكْرِ اللّهِ لِيُبَرْهِنَ كُلٌّ مِنَّا أَنَّهُ يُحِسُّ وَيَشْعُرُ بِمَا اخْتَصَّهُ بِهِ مَوْلَاهُ أ ـ هـ .

ولكِنْ يَا لِلأَسَفِ لَمْ يَكُنْ مِنَّا شُكْرُ هَذِهِ النِّعَمِ وَاسْتِعْمَالُهَا فِي طَاعَةِ اللّهِ وَمَرَاضِيْهِ وَدَلِيْلُ ذَلِكَ مَا تَرَى وَتَسْمَعُ مِن المَعَاصِي والمُنْكَراتِ الّتِي تَكَادُ أَنْ تَبْكِي مِنْ فُشُوِّهَا وَازْدِيَادِهَا الجَمَادَاتُ .

فَيَا لَلّهِ لِلْمُسْلِمِيْنَ إِنَّهَا لَتَجْرَحُ قَلْبَ المُؤْمِنِ السَّالِمِ مِنْهَا جَرْحاً يُوْشِكُ أَنْ يُوْصِلَهُ إِلى القَبْرِ اللّهُمَّ وَفِّقْ وُلَاتَنَا لإزَالَةِ هَذِهِ المُنْكَراتِ وَلِتأْيِيْدِ الإسلامِ

والمُسْلِمِيْنَ في جَمِيْعِ الجِهَاتِ وَوَفِّقْهُمْ لِلرِّفْقِ فِي رَعَايَاهُمْ والنُّصْحِ لَهُمْ وَسَدِّدْ خُطَاهُمْ .

عَنْ ابن عَبَّاسٍ رضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ نِعْمَتَانِ مَغْبُوْنٌ فِيْهِمَا كَثِيْرٌ مِن النَّاسِ الصِّحة والفَرَاغُ رَواهُ البُخاريّ والتّرمذيّ والنّسائيّ وأحْمد وابن ماجة .

لَقَدْ صَدَقَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فِيْمَا قَالَهُ فِي هَذَا الحَدِيْثِ العَظِيْمِ فَإِنَّ كَثِيْراً مِنَ النَّاسِ يُهْمِلُ وَاجِبَ النِّعَمِ عليْهِ فلاَ يَسْتَقْبِلُ النِّعَمَ بِمَا يَجِبُ لَهَا مِنَ الشُّكْرِ وَلَا يُحَاوِلُ اسْتِبْقَاءَهَا بأداءِ حَقِّ اللّهَ فِيْهَا بَلْ يُعْرِضُ عَنْ اللّهِ وَيَنْآى بِجانِبِهِ وَلاَ يَذْكُرُ هَذِهِ النِّعْمَةَ مِنْ نِعَمِ اللّهِ عَلى عَظَمِهَا إلاّ حِيْنَ يَعْدُوْ عَلَيْهَا المَرَضُ فيُذْبِلُ نَضْرَةَ العَافِيَةِ وَيَخْطُوْ بِقُوّةِ الشَّبَابِ على غَيْرِ مَوْعِدٍ إلى ضَعْفِ الشَّيْخُوْخَةِ .

أَمَّا حِيْنَ يَنْعَمُ الإِنْسَانُ بِسلاَمَةِ أَعْضَائِهِ وقُوَّةِ بُنْيَتِهِ وَحِيْنَ يُحِسُّ الحَيَوِيَّةَ تَسْرِيْ فِي عُرُوْقِهِ فَهُوَ يَنْطَلِقُ فِي شَهَوَاتِهِ خَاضِعاً لَهَا ، وَهُوَ يَظُنُّ نَفْسَهُ الآمِرَ النَّاهِي ، وخَاسِراً بِهَا وَهُوَ يَحْسِبُ نَفْسَهُ قَدْ رَبِحَ كُلَّ شَيْءٍ .

وتَمْضِيْ بِهِ أَيَّامُهُ وَلَيَالِيْهِ وَهُوَ يَرْتَعُ كَالحَيَوَانِ فِي مَلَذَّاتِهِ مِنْ مأْكُوْلاتٍ وَمَشْرُوْبَاتٍ دُوْنَ تَفْرِقَةٍ بَيْنَ حَلاَلٍ وَحَرَامٍ ومِنْ غَيْرِ تَمْيِيْزٍ بَيْنَ طَيِّبٍ وَخَبِيْثٍ فَيُسِيءُ إلَى نَفْسِهِ وَيَبْخَسُهَا حَقَّهَا إذْ يُضَيِّعُ طَاقَتَهَا عَلَى العَمَلِ النَّافِعِ وَعلَى الطَّاعَةِ الوَاجِبَةِ فِي اللَّهْوِ واللَّعِبِ .

وَبِلَا شَكٍّ أَنَّ الصِّحَةَ عَرَضٌ لا يَدُوْمُ بَلْ يَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ وأَنَّ المَرَضَ يُفْقِدُ الإِنْسَانَ مُعْظَمَ طَاقَتَهُ عَلَى العَمَلِ بَلْ رُبَّمَا فَقَدَهَا كُلَّها وَعجِزَ فَمِنَ السَّفَهِ والحُمْقِ إذاً أَنْ لاَ يَغْتَنِمَ الإِنْسَانُ فُرْصَةَ الصِّحَّةِ والفَرَاغِ مِن الشَّوَاغِلِ لِلطَّاعَةِ والعِبَادَةِ .

وَكُلُّ إنْسَانٍ يَعْلَمُ أنَّ كُلَّ يَوْمٍ يَتَقَدَّمُ بِهِ الزَّمَنُ يَقْصُرُ عُمُرُهُ وَمَقْدِرَتُهُ عَلَى العَمَلِ تَضْعُفُ كُلَّمَا خَطَا بِهِ الزَّمَنُ وَمَحْصُوْلُهُ مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ يَقِلُّ كُلَّمَا أَقْعَدَهُ المَرَضُ أَوْ أَثْقَلَتْهُ السُّنُوْن فالعَاقِلُ اليَقِظُ يُحَافِظُ عَلَى وَقْتِهِ أَكْثَرَ مِنْ مُحَافَظَتِهِ عَلَى مَالِهِ وَلاَ يُضَيِّعُ مِنْهُ شَيْئاً بَلْ يَسْتَعْمِلَهُ فِيْمَا يُقَرِّبُهُ إلَى اللّهِ والدَّارِ الآخِرَةِ أَوْ مَا هُوَ سَبَبٌ إلى ذَلِكَ فَإنَّ فَاتَهُ شَيْءٌ أَوْ نَسِيَ شَيْئاً مِنْ أَعْمَالِهِ بِاللَّيْلِ قَضَاهُ بِالنَّهَارِ وبِالعَكْسِ .

ولِلّهِ آياتٌ كَوْنِيَّةٌ وآيَاتٌ قُرْآنِيَّةٌ يَتَمَشَّى المُسْلِمُ النَّشِيْطُ المُبْتَعِدُ عَنْ الكَسَلِ والعَجْزِ عَلَى ضَوْئِهَا . قال تَعَالى : ﴿وهُوَ الّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهار خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أنْ يَذّكرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورا﴾ وقَالَ: ﴿إنَّ في اخْتِلافِ اللّيلِ والنّهارِ ومَا خَلَقَ اللّه في السموات والأرضِ لآياتٍ لقَوْم يَتّقُون﴾ .

وقَالَ تَعَالى : ﴿يُغْشَى اللّيلَ النهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً﴾ فاللّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْ هَذِهِ عَبَثاً فَالذّاهِلُونَ عن مَعَانِي هَذِهِ الآياتِ ، الهَائِمُوْنَ وَرَاءَ مَنَافِعِهِمْ المُعَجَّلَةِ حَمْقَى لا يَنْتَصِحُوْنَ مِن حِكْمَةٍ وَلا يَسْتَفِيْدُوْنَ مِنْ دَرْسٍ تَجِدْهُمْ لا يُبَالُوْنَ بإضَاعَةِ أَوْقَاتِهِمْ في غَيْرِ فائِدَةٍ وَرُبَّما أَضاعُوْهَا فِي المَعَاصي .

ثُمَّ اعْلَمْ أنَّ أَهْلَ الضَّيَاعِ لِلْوَقْتِ الّذِيْنَ كَانَ أَمْرُهُمْ فُرُطا وأَعْمَارُهُمْ سَبَهْلَلا لا يُفِيْقُوْنَ مِنْ قَتْلِ أَوْقَاتِهِمْ فِي البَطَالَةِ وعِنْدَ المُنْكراتِ مِنْ كورة وفِدْيو وتلِفزْيُون ومِذْيَاعٍ وسِيْنَما وَوَرَقٍ وغِيْبة ونمِيْمةٍ وتَجَسُّسٍ على المسلمين ونحْوِ ذَلِكَ.

رُبَّمَا أَضَافُوْا إلى ذَلِكَ الجِنَايَةَ عَلَى أَوْقَاتِ الآخَرِيْن فَشَغَلُوهُم عنْ أَعْمَالِهِمْ بِشُئُونٍ تَافِهَةٍ أَوْ فِيْمَا يَعُوْدُ عَلَيْهِم بالخُسْرانِ فَهؤُلاءِ أَسَاؤُوا مِنْ جِهَتَيْن عَلَى أَنْفُسِهِمْ إذْ يُمْضُونَ أَيَّامَهُمْ فِي غَيْرِ عَمَلٍ وَعَلى غَيْرِهِمْ حَيْثُ شَغَلُوْهُمْ عَن العَمَلِ والعَجَبُ أنَّ هَؤُلاءِ الّذِيْنَ اعْتَادُوْا قَتْلَ الوَقْتِ إذَا مَا تَبَيَّنَ فَشَلُهُمْ فِي نَوْبَةِ يَقْظَةٍ رَاحُوْا يَتَساءَلُوْنَ عَنْ سِرِّ هَذَا الفَشَلِ وَيَتَّهِمُوْنَ الأَيَّامَ تارةً والحَظّ تَارَةً

أُخْرَى ، كَأَنَّهُمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ مَطْبُوْعُونَ عَلَى النَّجَاحِ دُوْنَ عَمَلٍ وَأَنْ يَجْنُوْا ثِمَارَ مَوَاهِبِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَتَلُوْا هَذِهِ المَوَاهِبَ .

أَمَّا السَّبَبُ الحَقِيْقي لِفَشَلِهِمْ فَهُوَ لاَ يَخْطُرُ لَهُمْ بِبالٍ وَلا يُفَكِّرُوْنَ فِيْهِ وذَلِكَ لِضُعْفِ عُقُوْلِهم .

فَعَلَى العَاقِلِ أَنْ يَبْتَعِدَ عَن هَؤُلَاء الكُسَالَى كُلَّ البُعْدِ لِئلا يُؤَثِّرُوْا عَلَيْهِ فَيُصِيْبُهُ مَا أَصَابَهُمْ مِن ضَيَاعِ العُمْرِ سُدَى ويَجْتَهِدَ فِي صُحْبَتِهِ ضِدَّ هَؤُلَاءِ أَنَاساً أَتْقِيَاءَ مُحَافِظِيْنَ عَلَى أَوْقَاتِهِمْ لاَ يُمْضُوْنَهَا إلا في طاعَةِ اللّهِ وَمَا أَحْسَن مَا قِيْل :

فَصَاحِبْ تَقِيّاً عَالِماً تَنْتَفِعْ بِهِ
فَصُحْبَةُ أَهْلِ الخَيْرِ تُرْجَى وَتُطْلَبُ
وَإِيَّاكَ والفُسَّاقَ لا تَصْحَبَنَّهُمْ
فَقُرْبُهُمُ يُعْدِي وَهَذَا مُجَرَّبُ
فَإِنَّا رَأَيْنَا المَرْءَ يَسْرِقُ طَبْعَهُ
مِن الإِلْفِ ثُمَّ الشَّرُّ لِلنَّاسِ أَغْلَبُ
وجَانِبْ ذَوِيْ الأَوْزارِ لا تَقْرَبَنَّهُمْ
فَقُرْبُهُمُ يُرْدي ولِلْعِرْضِ يَثْلِبُ

وبالتَّالِي فالّذِي يُرْشِدُنَا إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذا الحَدِيثِ أَنَّهُ يُقَرِّرُ أوّلاً أنَّ صِحَّةَ البَدَنِ نِعْمَةٌ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللّهِ عَلَيْنَا لِيُرَبّي فِيْنَا الوَعْيَ بِقِيْمَةِ الطَّاقَةِ الإِنْسَانِيَّةِ الّتِي خَلَقَهَا اللّهُ فِيْنَا . فَنَسْتَغِلّها فِيْمَا يَعُوْدُ عَلَيْنا أَفْراداً وَجَمَاعَةً بالخَيْرِ والنَّفعِ .

وَيُقَرِّرُ لَنَا ﷺ ثَانِياً أَنَّ الوَقْتَ هُوَ الحَيَاةُ ، وَأَنَّ مَا نَحْسِبُهُ فَرَاغاً فَنَتَفَنَّنُ فِي

وَسَائِلِ قَتْلِهِ هُوَ الطَّرِيْقُ إلى التَّقَدُّمِ فَالحَقِيْقَةُ أَنَّ الحَيَّ الَّذِي يُقَدِّرُ حياتَهُ يَبْخَلُ فِي الوَقْتِ أَنْ يَكُونَ فِيْهِ فَارِغاً وَيَجْتَهِدُ فِيْهِ فِي العَمَلِ الذي يُقَرِّبُهُ إِلَى اللّهِ وإِلَى مَرْضَاتِهِ مِنْ صَلاَةٍ وَصَدقَة وتَهْلِيل وتَسْبِيح وتكْبير وتَحْمِيد .

وَمِن اسْتِغْلالِ الوَقْتِ بأنْفعِ الوَسَائِلِ المُدَاوَمَةُ عَلَى العَمَلِ وَإِنْ كَانَ قَلِيْلَا . وذَلِكَ أَنَّ اسْتِدَامَةَ العَمَلِ القَلِيْلِ عَلَى تَوَالِي الزَّمَانِ واسْتِمْرَارِهِ يُكَوِّنُ مِن القَلِيْل كَثِيْراً مِنْ حَيْثُ لا يَجِدُ الإِنْسَانُ مَشَقَّةً وَلا ضَجَراً .

وفِي الحَدِيْث إنّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلى اللّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ وفِي الحَدِيث الآخَرِ إنَّ الدِّيْنَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدّيْنَ أَحَدٌ إِلاّ غَلَبَهُ فَسَدِّدُوْا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوْا واسْتَعِيْنُوْا بالغَدْوَةِ والرَّوْحَةِ وشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ والقَصْدَ القَصْدَ .

فَقَدْ خَتَمَ ﷺ هَذَا الحَدِيثَ بوَصِيَّةٍ خَفِيْفَةٍ على النُّفُوسِ ، نَافِعَةٍ تُرْشِدُ إلى المُحَافِظَةِ عَلَى الوَقْتِ ، حَيْثُ حَثَّ فِيْهَا عَلَى التَّبْكِيْر وَرغَّبَ أَنْ يَبْدأَ المُسْلِمُ أَعْمَالَ يَوْمِهِ نَشِيْطاً طَيِّبَ النَّفْسِ مُكْتَمِلَ العَزْمِ فَإِنَّ الحِرْصَ عَلَى الانْتِفَاعِ مِنْ أَوَّلِ اليَوْمِ يَسْتَتْبِعُ الرَّغْبَةَ القَوِيَّةَ في أنْ لا يَضِيْعَ سائِرُهُ سُدَى .

فَهَذِهِ الأَوْقَاتُ الثّلاثَةُ المَذْكُورَةُ فِي الحَدِيثِ ، كَمَا أَنَّهَا السَّبَبُ الوَحِيْدُ لِقَطْعِ المَسَافَاتِ القَرِيْبَةِ والبَعِيْدَةِ في الأَسْفَارِ الحِسِّيَةِ مَع رَاحَةِ المُسَافِرِ وَرَاحَةِ رَاحِلَتِهِ وَوُصُوْلِهِ بِرَاحَةٍ وَسُهُوْلَةٍ فَهِيَ السَّبَبُ الوَحِيْدُ لِقَطْعِ السَّفَرِ الأُخْرَوِيِّ وَسُلُوْكِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ والسَّيْرِ إلى اللّهِ سَيْراً جَمِيْلاً .

فَمَتَى أَخَذَ العَامِلُ نَفْسَهُ وَشَغَلَهَا بِالخَيْرِ والأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ المُنَاسِبَةِ لِوَقْتِهِ أَوَّلَ نَهَارِهِ وآخِرَ نَهَارِهِ وشَيْئاً مِنْ لَيْلِهِ وخُصُوصاً آخِرَ اللَّيْلِ حَصَلَ لَهُ مِنْ الخَيْرِ ومِنْ البَاقِيَاتِ الصّالحاتِ أَكْمَلُ حَظٍّ وَأَوْفَرُ نَصِيْبٍ وَنَالَ السَّعَادَةَ والفَوْزَ والفلاحَ وَتَمّ لَهُ النَّجَاحُ بِإِذْنِ اللّهِ فِي رَاحَةٍ وَطُمَأْنِيْنَةٍ مَعَ حُصُوْلِ مَقْصَدِهِ

الدُّنْيَوِيّ وأغْرَاضِهِ النَّفْسِيَّةِ .

وَمِمَّا وَرَدَ فِي الحَثِّ عَلَى صِيَانَةِ الوَقْتِ مَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ : شَبابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ وغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ وَفَراغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ .

وَقَال ﷺ مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غالِيَةٌ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الجَنَّةَ وَرُوِيَ عنْ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ مَرَّ بِي رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ وأنَا مُضْطَجِعَةٌ مُتَصَبِّحَةٌ فَحَرَّكَنِيْ بِرِجْلِهِ ثُمَّ قَالَ يَا بُنَيَّةَ قُوْمِيْ اشْهَدِي رِزْقَ رَبِّكِ وَلَا تَكُونِي مِنَ الغَافِلِيْنَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْسِمُ أَرْزَاقَ النَّاسِ مَا بَيْنَ طُلُوْعِ الفَجْرِ إلى طُلُوْعِ الشَّمْسِ » إِذْ أَنَّ الجَادِيْنَ أَوْ الكُسَالَى يَتَمَيَّزُوْنَ فِي هَذَا الوَقْتِ فَيُعْطَى كُلُّ أمْرِءٍ حَسَبَ اسْتِعْدَادِهِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ .

وخِتَاماً فَيَنْبَغِيْ لِلْعَاقِلِ اللَّبِيْبِ أَنْ لَا يُضَيِّعَ أَيَّامَ صِحَّتِهِ وَفَراغَ وَقْتِهِ بالتَّقْصِيْرِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَأَنْ لَا يَثِقَ بِسَالِفِ عَمَلٍ وَيَجْعَلَ الاجْتِهَادَ غَنِيْمَةَ صِحَّتِهِ ، وَيَجْعَلَ العَمَلَ فُرْصَةَ فَرَاغِهِ . فَلَيْسَ الزَّمَانُ كُلُّهُ مُسْتَعِدّاً وَلَا مَا فَاتَ مُسْتَدْرِكاً اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِصَالحِ الأَعْمَالِ وآتِنا في الدُّنْيَا حَسَنةَ وفِيْ الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

١٠٥ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللهِ نَحْنُ فِي زَمَنٍ كُلُّهُ عَجَائِبُ يُعْجِبُ العَاقِلَ اللَّبِيْبُ وَمِنْ أَعْجَبِ مَا فِيْهِ أنَّ الرِّجَالَ أَصْبَحُوْا لاَ سُلْطَانَ لَهُمْ عَلى النِّسَاءِ إلا النَّادِرَ القَلِيْلَ ، نَعَمَ أَصْبَحْنَا في زَمَنٍ لِلنِّسَاءِ فِيْهِ جَبَرُوْتٌ أمَامَهُ الرِّجَالُ في حَالٍ ضَئِيْلٍ انْعَكَسَ الأمْرُ فَصَارَ القَوِيُّ ضَعِيْفاً وَالضَّعِيْفُ قَوِيًّا فَانْ كُنْتَ في شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ فَاخْرُجْ وانْظُر في الشَّوَارِعِ تَرَى النِّسَاءَ تَجُوْلُ في الشَّوَارِعِ ذَاهِبَاتٍ أيِبَاتٍ وَيَتَثَنَّيْنَ في تَبَخْتُرِهِنَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ الزِّيْنَةِ مَا يُرْغِمُ عَلى النَّظَرِ إلَيْهِنَّ كُلُّ مَنْ لهُ عَيْنَانِ .

وَلاَ تَسْأَلْ عَمَّا يُحْدِثُهُ ذَلِكَ النَّظَرِ في نُفُوْسِ الشُّبَّانِ وَأَشْبَاهِ الشُّبَّانِ تَرَاهُ إذَا لَمَحها أَتْبَعَهَا نَظَرَهُ ثُمَّ جرَى وَرَاءَهَا لأنَّهُ يَفْهَمُ مِنْ هَيْئَتِهَا وَتَثَنِّيهَا وَتَلَفُّتِهَا فَهْمَاً لاَ يُقَالُ لَهُ إنَّهُ فِيْهِ غَلْطَانٌ ، إنَّه يَفْهَمُ أنَّهَا إذَا لَمْ تَكُنْ تُرِيْدُ مِنْهُ مَا تُرِيْدُ مَا عَرَضَتْ نَفْسَهَا فِيْ الشَّارِعِ بذَلِكَ التَّهَتُّكِ وَذَلِكَ الازْدِيانُ وَهِيَ فِي بَيْتِهَا أَمَامَ زَوْجِهَا الذي يَنبَغِي أَنْ تَتَجمَّلَ لَهُ تَكُوْنُ بِحَالَةٍ تَشْمَئِزُّ مِنْ رُؤْيَتِهَا نَفْسُ الانْسَانِ ، تَلْبَسُ لَهُ أَرْدَى المَلابِسَ وَلاَ تَمسُّ طِيْباً وَلاَ تَعْتَنِي لَهُ ، فَاذَا أَرَادَتْ الخُرُوْجَ بَذَلَتْ مِنْ العِنَايَةِ في تَجْمِيْلِ نَفْسِهَا مَا يُلْهِبُ نَارَ الشَّوْقِ إلَيْهَا في نُفُوسِ النَّاظِرِيْنَ .

وَهَذِهِ حَالَةٌ تَجْعَلُ العُيُونَ وَقْفاً عَلى النَّظَرِ إلى تِلْكَ الاَجْسَامِ وَتَشْغَلُ القُلُوْبَ شُغْلاً بهِ تَنْسَى كُلَّ شَيءٍ حَتَّى نَفْسَهَا وَرَبَّهَا وَمَا لَهُ عَلَيْهَا مِنْ وَاجِبَاتٍ ، وَتُوَجِّهُ الأَفْكَارَ إلى أُمُورٍ دَنِيْـئَةٍ يَقْصِدُهَا مِنْ أُوْلئِكَ النِّسَاءِ أَرْبَابُ النُّفُوسِ الدَّنِيْئَاتِ ، بَلْ وَتَدْفَعُ النُّفُوسَ دَفْعاً تَسْتَغِيْثُ مِنْهُ الفَضِيْلَةُ وَيَغْضَبُ لَهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ .

إنَّ أُوْلَئِكَ النِّسَاءُ زَوْجَاتُ وَبَنَاتُ وَأَخَوَاتُ رِجَالٍ يَرَوْنَهُنَّ بأَعْيُنِهِمْ في الشَّوَارِعِ بتِلكَ الحَالِ يَرَوْنَهُنَّ وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ الغَيْرَةِ مَا يُفهِمُ أنهُم مِنْ صِنْفِ الرِّجَالِ ، وَأَمَامَهُمْ يُجْرِيْنَ الـزِّيْنَةَ التِي يَخْـرُجْنَ بِهَا إلى تِلْكَ المَيَادِيْنَ المَلأَىٰ بِالأَنْذَالِ ، وَبَعْضُهُمْ يَسْتَصْحِبُ زَوْجَتَهُ مَعَهُ سَافِرَةً في الشَّوَارِعِ وَرُبَّمَا فَهِمَ بَعْضُ الفُسَّاقِ أَنَّهُ يَتَصَيَّدُ لَهَا وَذَلِكَ يَجْرِي عَلى ألسِنَةِ كَثِيْرٍ مِنْهُمْ .

أَيُّهَا الأَخُ عَصَمَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ أَنْتَ أَقْوَى عَقْلاً وَأَقْوَى دِيْناً مِنَ المَرْأَةِ لَا خِلافَ في ذَلِكَ إِنْ لَم يَعْصِمْكَ اللهُ تَتَمَـنَّى أَنْ يَكُوْنَ مِنْكَ مَعَ المَرْأَةِ مَا يَكُوْنَ إِذَا وَقَعَ نَظَرُكَ عَلَى مَا لَهَا مِنْ بَهَاءٍ وَجَمَالٍ فَتَأَكَّدْ كُلَّ التَّأَكُدُ أَنَّ تَمَنِّيْ المَرْأَةِ أَقْوَى مِنْ تَمَنِّي الرَّجُلِ إِذَا وَقَعَ نَظَرُهَا عَلى جَمِيْلٍ مِنْ الرِّجَالِ وَلاَ تَشُكُّ أنها بَعْدَ رُؤيَتِهَا الجَمِيْلَ تَتَمَنَّى فِرَاقَكَ إِلَيْهِ وَرُبَّمَا دَعَتْ عَلَيْكَ ، نَحْنُ في جَوٍّ مَوْبُوءٍ بِفَسَادِ الأخْلاَقِ ، مَنْ تَعَرَّضَ لَهُ أَصَابَهُ مِن ذلك الوَبَاء مَا يُضَيِّعُهُ في دُنْيَاهُ وَفِي الدِّيْنِ .

فَصُنْ نِسَاءَكَ عَنْ الخُرُوْجِ إِلَيْهِ انْ أَرَدْتَ العَافِيَةَ وَالاَّ فَلاَ تَلُمْ الا نَفْسَك اذَا أُصْبَحْتَ في عِدَادِ الضَّائِعِيْنَ وَالضَّائِعَاتِ أَنْتَ تَرَى كُلَّ يَوْمٍ مَا يَكُونُ في الطُّرُقِ لِنِسَاءِ غَيْرِكَ فَلاَ تَشُكُّ أَنَّ نِسَاءَكَ يُلاقِينَ مِثْلَهُ وَأَشَدَّ مِنْهُ وَأَيُّ رَجُلٍ يَرْضَى أَنْ تَخْرُجَ نِسَاؤُهُ لِيَلْعَبَ بِعَفَافِهِنَّ وَشَرَفِهِنَّ مَنْ لاَ دِيْنَ لَهُ وَلاَ شَرَفَ وَلاَ أَخْلاَقَ ، إنَّ البَهِيْمَ يَغَارُ وَمَعَارِكُ ذُكُوْرِ البَهَائِمِ عَلى إِنَاثِهَا مَعْرُوفَةٌ ، فَلاَ تَكُنْ أَقَلَّ غَيْرَةً مِنْ البَهِيْمِ ، وَلَوْلاَ أَنَّنَا نرى بِأَعْيُنِنَا مَبْلَغَ ضَعْفِ رِجَالِنَا أَمَامَ النِّسَاءِ مَا صَدَّقْنَا أَنْ يَسْتَصْحِبَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ سَافِرَةً رَاكِبَةً أَوْ غَيْرَ رَاكِبَةٍ تَقْدُمُهُ .

أيُّهَا الأخُ أَنْتَ الذِي تَلَقَّى المَشَاقَّ مِنْ حَرٍّ وَبَرْدٍ وَأَنْتَ مَشْغُولٌ بِالكَدِّ لأجْلِ جَلْبِ الرِّزْقِ ، يَكُوْنُ مِنْكَ ذَلِكَ لِتُطْعِمَ المَرْأَةَ وَتَكْسُوْهَا وَتُنْعِمَ عَلَيْهَا فَفَضْلُكَ عَلَيْهَا كَبِيْرٌ كَمَا قَالَ تَعَالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ على النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ على بَعْضٍ وَبِمَا أَنفقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ وَأَنْتَ أَرْجَحُ مِنْهَا عَقْلاً وَأَكْمَلُ دِيْناً ، فَمِنْ الغَلَطِ أَنْ تَكُونَ مَعَها كَالعَبْدِ المَمْلُوكِ يُصَرِّفُهُ مَوْلاَهُ كَيْفَ شَاءَ . وَإِذَا كُنْتَ كَمَا ذَكَرَ اللهُ قَوّاماً عَلَيْهَا فَأَنْتَ مَسْئُولٌ عَنْهَا لِأَنَّكَ رَاعِيْهَا والرَّاعِيْ مَسْئُولٌ عنْ رَعِيَّتِهِ ، فَأَنْتَ مُثَابٌ إِنْ وَجَّهْتَهَا إِلَى عَمَلِ الخَيْرِ وَآثِمٌ انْ سَكَتَّ عَنْهَا وَهِيَ تَعْمَلُ أَعْمَالاً لَيْسَتْ مَرْضِيَّةً ، فَانْظُرْ مَاذا عَلَيْكَ مِنْ الإِثْمِ فِي خُرُوجِ زَوْجَتِكَ وَمَا يَتَرَتَّبُ عَليْهِ مِنَ بَلاَيَا مَرْئِيَّةٍ وَغَيْرَ مَرْئِيَّةٍ ، فَحُلْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا تَعْلَمُ أَنَّ فِيْهِ ضَرَرٌ عَلَيْهَا وَكُلَّ عَمَلٍ يُغْضِبُ رَبَّكَ ، وَالا فَأَنْتَ شَرِيْكٌ لَهَا فِي كُلِّ مَا لَها مِنْ أَوْزَارٍ . أ هـ .

كُلُّ هَذَا سَبَبُهُ مُخَالَطَةُ رَبَائِبِ الاسْتِعْمَارِ الذِيْنَ تَشَبَّهُوا بِهِ وَقَلَّدُوْهُ في الأَقْوالِ وَالأَفْعَالِ ، وَقَلَّدَهُمْ كَثِيْرٌ مِنْ نِسَائِنَا ، وَصَدَقَ المُصْطَفَى صَلى اللهُ عليهِ وَسَلم حَيْثُ يَقُوْلُ : لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ وَذِرَاعاً بِذَرَاعٍ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ دَخَلَ حُجْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوْهُ وَحتّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ جَامَعَ امْرَأَتَهُ بِالطَّرِيْقِ لَفَعَلْتُمُوْهُ ، فَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلا بِاللّهِ العَلِيِّ العَظِيْمِ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيْلِ أ هـ .

اللهُمَّ احْفَظْنَا مِن المُخَالَفَةِ وَالعِصْيَانِ وَلا تُؤاخِذْنَا بِجَرائِمَنَا وَمَا وَقَع مِنَّا مِن الخَطأ وَالنِّسْيَانِ وَاغِفْر لنَا وَلَوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمين الأحْياءِ مِنْهُم وَالميِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَى اللّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

١٠٦ مَـوْعِظَـةٌ

أَخْوَانِيْ إِنَّ الغَفْلَةَ عَنْ اللهِ مُصِيْبَةٌ عَظِيْمَةٌ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَكُوْنُوْا كَالذِيْنَ نَسَوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ فَمَنْ غَفَلَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَأَلْهَتْهُ الدُّنْيَا عَنْ العَمَلِ لِلدَّارِ الآخِرَةِ أَنْسَاهُ العَمَلَ لِمَصَالِحِ نَفْسِهِ فَلاَ يَسْعَى لَهَا بِمَا فِيْهِ نَفْعُهَا وَلَا يَأْخُذُ في أَسْبَابِ سَعَادَتِهَا وَاصْلاَحِهَا وَمَا يُكَمِّلُهَا وَيُنْسَى كَذٰلِكَ أَمْرَاضَ نَفْسِهِ وَقَلْبِهِ وَآلاَمَهُ فَلاَ يَخْطُرْ بِبَالِهِ مُعَالَجَتُهَا وَلاَ السَّعْيْ في إِزَالَةِ عِلَلِهَا وَأَمْرَاضِهَا التي تَؤُلُ إلى الهَلاَكِ وَالدَّمَارِ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ العُقُوْبَاتِ فَأَيُّ عُقُوْبَةٍ أَعْظَمُ مِنْ عُقُوْبَةِ مَنْ أَهْمَلَ نَفْسَهُ وَضَيَّعَهَا وَنَسِيَ مَصَالِحَهَا وَدَاءَهَا وَدَوَاءَهَا وَأَسْبَابَ سَعَادَتِهَا وَفَلاَحِهَا وَحَيَاتِهَا الأَبَدِيَّةِ في النَّعِيْمِ المُقِيْمِ وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا المَوْضِعَ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ كَثِيراً مِنْ الخَلْقِ قَدْ نَسُوْا أَنْفُسَهُم وَضَيَّعُوهَا وَأَضَاعُوا حَظَّهَا وَبَاعُوْهَا بِثَمَنٍ بَخْسٍ بَيْعَ المَغْبُوْنِ وَيَظْهَرُ ذٰلِكَ عِنْدَ المَوْتِ وَيَتَجَلَّى ذٰلِكَ كُلُّهُ يَوْمَ التَّغَابُنِ « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُوْنَ » الآيةُ .

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ نَفساً إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ في ايْمَانِهَا خَيْراً﴾ انَّهَا لَحَسْرَةٌ عَلى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ دُوْنَهَا كُلُّ حَسْرَةٍ ، هَؤُلَاءِ هُمْ الذِيْنَ اشْتَرَوا الضَّلاَلَةَ بِالهُدى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِيْنَ نَسْأَلُ اللهَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .

اللهم انّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ في الأَمْرِ وَالعَزِيْمَةَ عَلَى الرُّشْدِ وَنَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِين .

١٠٧ مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللهِ انَّ المُؤْمِنَ باللهِ حَقًّا يَبْتَعِدُ عَنْ المَعَاصِي كَمَا يَبْتَعِدُ عَنْ النَّارِ فَإِذَا زَلَّ مَرَّةً مِنْ المَرَّاتِ اضْطَرَبَتْ أَعْصَابُهُ وَجعَلَ قَلْبُهُ يَخْفِقُ وَأَصَابَهُ نَدَمٌ عَظِيْمٌ وَكُلَّمَا تَذَكَّرَ تِلْكَ الهَفْوَةِ احْمَرَّ وَجْهُهُ خَجَلاً وَهَاجَتْ عَلَيْهِ أَحْزَانُهُ وَتَذَكَّرَ عِصْيَانَهُ لِسَيِّدِهِ وَمَوْلاَهُ وَلاَ يَزَالُ مُوْجَعَ القَلْبِ مِنْكَسِرُهُ حَتَّى يُفَارِقَ الدُّنْيَا وَيُوارَى في التُّرَابِ .

هَذَا هُوَ المَعْرُوفُ عَنْ المُؤْمِنِ ، وَلاَ يُعْرَفُ سِوَاهُ في أَهْلِ الإِيْمَانِ لأَنَّهم يُدْرِكُونَ تَمَاماً أَنَّهم إِنْ عَصَوا خَالِقَهُم وَرَازِقَهُم أَنهُم سَيَنْدَمُونَ وَيُعَاقَبُونَ إنْ لَمْ يَتُوبُوا إلى مَوْلاَهُم ، هَذَا مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ وَمَنْ تَبِعَهُم ، وَانْظُرْ مَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ النَّاسِ اليَوْمَ في هَذَا العَصْرِ المُظْلِمِ مِنْ الجُرْأَةِ عَلى انْتِهَاكِ مَحَارِمِ اللهِ تَتَمَثَّلُ أَمَامَكَ حَالُهُم بِحَالَةِ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُوْنَ بِثَوَابٍ وَلاَ عِقَابٍ تَرَاهُمْ قَدْ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَأَصَرُّوا عَلى مَنْعِ الزَّكَاةِ إلا النَّوَادِرَ مِنْهُم تَراهُم يُطَارِدُونَ النِّسَاءَ في الأَسْوَاقِ وَيَشْرَبُونَ الدُّخَانَ عَلناً وَيَحْلِقُونَ اللحَا كَذَلِكَ وَيَغُشُّوْنَ في مُعَامَـلاَتِهم تَرَاهُم أَمَـامَ المَلاهِي وَالمُنْكَرَاتِ لَيْلاً وَنَهَارًا ، تَرَاهُم يُوَالُوْنَ أعْدَاءَ اللهِ وَيُعَظِّمُونَهُم تَرَاهُمْ لَمْ يَكْتَفُوا بالمَعَاصِي في بِلاَدِهِم بل يَذْهَبُونَ إلى البِلاَدِ الأُخْرَى ، بِلاَدِ الفِسْقِ والفُجُورِ وَالحُرِّيَةِ وَيُنْفِقُوْنَ فِيْهَا الأَمْوَالَ الطَّائِلَةَ في مَا يُغْضِبُ اللهَ الذي أَغْنَى وَأَقْنَى وَلَكِنْ لِيَعْلَمْ هَؤُلاَءِ الفَسَقَةُ أَنَّ اللهَ لاَ يَغْفَلُ عَنْ أَعْمَالِهِم

السَّيِّئَةِ وَسَوْفَ تَشْهَدُ عَلَيْهِم بِهَا الأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ ، وَلاَ تَبْكِي عَلَيْهِم لاَ هَذِهِ وَلاَ هَذِهِ يَوْمَ يَتَجَرَّعُوْنَ كَأسَ المَمَاتِ ، وَيَشْهَدُ بِهَا عَلَيْهِم المَلَكَانِ كَاتِبُ الحَسَنَاتِ ، وَكَاتِبُ السَّيِّئَاتِ ، وَيَشْهَدُ بِهَا عَلَيْهِمْ الحَفَظَةُ الذِيْنَ يَتَعَاقَبُونَ عَلى حِفْظِهِمْ تَعَاقُبَ الحُرَّاسِ وَيَشْهَدُ بِهَا عَلَيْهِمْ جَوَارِحُهُمْ التِي بَاشَرَتْ فِعْلَ المَعَاصِيْ وَيَشْهَدُ بِهَا خَيْرُ شَاهِدٍ وَهُوَ مَوْلاَهُمْ جَلَّ وَعَلا الذي تَسْتَوِي الشَّهَادَةُ عِنْدَهُ وَالغُيُوْبُ ، وَيَشْهَدُ بِذَلِكَ عَلَيْهِم كُتُبُ أَعْمَالِهِم التي كُلُّ مَا فَعَلُوا بِهَا مَكْتُوبٌ حَتَّى إِذَا رَأَوْهَا يَوْمَ القِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُم في حِسَابٍ فَزِعُوْا وَقَالُوْا يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيْرَةً وَلاَ كَبِيْرَةً إلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوْا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدا ، كُلُّ هَؤُلاَءِ يَشْهَدُوْنَ عَلى العَاصِيْنَ بالمَعَاصِيْ فَيُسَجِّلُونَ عَلَيْهِمْ مَا قَدَّمَتْهُ أَيْدِيْهِمْ وَلَيْسَ لِذَلِكَ نَتِيْجَةٌ انْ لَمْ يَتُوْبُوا إلا غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْهِمْ ، وَالقَاؤُهُمْ في دَارِ المُجْرِمِيْنَ الجَانِيْنَ جَهَنَّمَ ، وَإِذَا كَانَ الأَمْرُ هَكَذَا فَلِمَاذَا يَفْرَحُ العُصَاةُ ، وَمِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ التِيْ لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ . التِي تَرْمِيْ بِشَرَرٍ كَالقَصْرِ كأنهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ .

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوْبَنَا بِنُورِ الإِيْمَانِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِيْهَا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا حُبَّ أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضَ أَعْدَائِكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللّهُ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

١٠٨ مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللهِ أَخْرَجَ البُخَارِيْ في صَحِيْحِهِ عَنْ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَضْمَنْ لِيْ مَا بَيْنَ

لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ ، عِبَادَ اللهِ انَّ هَذَا الحَدِيْثُ عَلى ايْجَازِهِ لَيَحْتَوِي عَلى وَصِيَّةٍ ثَمِيْنَةٍ مِنْ أَبْلَغِ الوَصَايَا وَأَقْيَمِهَا وَأَجَلِّهَا وَأَنْفَعِهَا فَقَدْ اشْتَمَلَ عَلى الأَمْـرِ بِحِفْظِ عُضْوَيْنِ عَلَيْهِمَـا مَدَارٌ عَـظِيْمٌ حَقِيْقَيْنِ بِتَعَاهُدِهِمَا بالرِّعَايَةِ وَالاسْتِقَامَةِ وَالرِّقَابَةِ وَالصِّيَانَةِ أَلاَ وُهُمَا اللسَانُ وَالفَرْجُ وَلَا شَكَّ أَنَّهُمَا إِنْ أُطْلِقَ سَرَاحُهُمَا في الشَّهَوَاتِ وَاللَّذاتِ وَطُرُقِ الغَيِّ وَالفَسَادِ كَانا أَصْلاً لِلْبَلاءِ وَالفِتْنَةِ وَالشَّرِّ وَالهَلاَكِ .

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَن وُقِيَ شَرَّ قَبْقَبِهِ وَذَبْذَبِهِ وَلَقْلَقِهِ فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ الحَدِيْثِ أَخْرَجَهُ مَنْصُورُ الدَّيْلَمِي مِنْ حَدِيْثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَالقَبْقَبُ البَطْنُ وَالذَّبْذَبُ الفَرْجُ واللقْلَقُ اللسَانُ .

فَهَذِهِ الشَّهَوَاتُ بِهَا يَهْلَكُ أَكْثَرُ الخَلْقِ وَسُئِلَ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَايُدْخِلُ النَّارَ فَقَالَ الأَجْوفَانِ الفَمُ والفَرْجُ .

فَالعَاقِلُ مَنْ يُبْصِرُ مَـوَاقِعَ الكَـلَامِ وَيَحْفَظُ لِسَانَـهُ مِنْ الفُضُوْل والهَذَيَانِ وَلَا يَتعدَّى بفَرْجِهِ زَوْجَتَهُ وَمَا مَلَكَتْ يَمِيْنَهُ .

وَقَالَ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم « مَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ » إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ زَلَّاتِ اللسَانِ عَظِيْمَةٌ فَزَلَّةٌ مِنْ زَلَّاتِهِ قَدْ تُؤدِيْ بِالإِنْسَانِ إِلى الهَلاَكِ والعَطَبِ وَمُفَارَقَةِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَأَصْدِقَائِهِ وَجِيْرَانِهِ فَلْيَحْذَرْ الإِنْسَانُ مِمَّا يَجْرِي بِهِ لِسَانُهُ .

قَالَ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْتَقِيْمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيْمَ قَلْبُهُ وَلَا يَسْتَقِيْمَ قَلْبُه حَتَّى يَسْتَقِيْمَ لِسَانُهُ الحَدِيْثِ .

وَعَنْ سَعِيْدِ بنِ جُبَيْرٍ مَرْفُوْعاً إِلى رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَنَّهُ قَالَ « إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ أَصْبَحَتْ الأَعْضَاءُ كُلُّهَا تُذَكِّرُ اللسَانَ أَيْ تَقُولُ اتَّقِ اللهِ فِيْنَا فَإِنَّكَ انْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَانْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَأى أَبَا بَكْرٍ الصِّديقَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ يَمُدُّ لِسَانَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ لَهُ مَا تَصْنَعُ يَا خَلِيْفَةَ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ قالَ : هَذَا أَوْرَدَنِي المَوَارِدَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ قَالَ : لَيْسَ شَيءٌ مِنْ الجَسَدِ إلا يَشْكُو إلى اللهِ اللسَانَ عَلَى حِدَّتِهِ .

وَعَنْ ابنِ مَسْعُودٍ أَنَّه كَانَ عَلى الصَّفَا يُلَبِّي وَيَقُولُ يَا لِسَانُ قُلْ خَيْراً تَغْنَمْ وَاسْكُتْ عَنْ شَرٍّ تَسْلَمُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ فَقِيْلَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَهَذَا شَيءٌ تَقُولُه أو شَيءٌ سَمِعْتَهُ فَقَالَ لا بَلْ شَيءٌ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلَمَ يَقُوْلُ إِنَّ أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَم في لِسَانِهِ .

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَفَّ لِسَانَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ مَلَكَ غَضَبَهُ وَقَاهُ اللهُ عَذَابَهُ وَمَنْ اعْتَذَر إلى اللهِ قَبِلَ اللهُ عُذْرَهُ .

وَقَالَ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِخْزِنْ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّكَ بِذَلِكَ تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ . وَقَال صَلى الله عليه وسلم إذاً رَأَيْتُم المُؤْمِنَ صَمُوتاً وَقُوراً فادْنُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلَقَّنُ الحِكْمَةَ .

وَأَخْرَجَهُ ابنُ مَاجَه مِن حَدِيثِ خَلَّادٍ بِلَفْظ إِذَا رَأَيْتُم الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِى زُهْداً في الدُّنْيَا وَقِلَّةَ مَنْطِقٍ فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ فإِنَّهُ يُلقَّى الحِكْمَةَ » .

وَلَا تَحْسَبَنَّ حِفْظَ اللِّسَانِ قَاصِراً عَلى الصَّمْتِ في مَوْضِعِهِ أو الكَلَامَ بل يَتَعَدَّى إلى حِفْظِهِ مِنْ طَعَام مَشْبُوهٍ أَوْ حَرَامٍ وَانَّ مِنْ المَعْلُومِ أَنَّ اللِّسَانَ هُو الوَسِيْلَةُ لِمَضْغِ مَا يَأْكُلُهُ المَرْءُ وَقَذْفِهِ في المَعِدَةِ بَيْتِ الطَّعَامِ

وَمُسْتَقَرُّهُ وَلِيَصُنْهُ مِنْ الزَّلَلِ وَالحَرَامِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ في عَاقِبَةِ أَمْرِهِ .

وَأَمَّاحِفْظُ الفَرْجِ فَبِتَرْكِ التَّعَدِّي عَلى أَعْرَاضِ النَّاسِ وَحُرُمَاتِهِم وَوَضْعِهِ في الحَلالِ في الطُّرُقِ المَشْرُوعَةِ وَكفِّهِ عن الزِّنَا وَالحَرَامِ والزِّنَا آفَةٌ وَبَيْلَةٌ على المُجْتَمعِ الإنْسَانِي وَقَدْ بَيَّنَا مَضَارَّهُ في الجُزْءِ الثَّانِيْ وَاللهُ أَعْلَمُ .

نَسْأَلُ اللَّهَ أن يُوْقِظ ولاتَنَا فَيَأخُذُوا على أَيْدِيْ السُّفَهَاءِ مِنَّا ويُزِيْلَ مَا حَدَثَ مِنْ هَذِهِ المُنْكَرَاتِ ، وأَنْ يُوَفِقنا وَجَمِيْع المُسلِمين لطاعته ، ويتوفَّانا مُسْلِمِينَ ، وَيُلحِقَنا بعبَادِه الصَّالِحِينَ ، ويَغْفِرَ لنَا ولوَالِديْنا وَلجميع المسلمينَ ، ويَرْحَمَنا برحْمَتِهِ أنَّهُ أرْحَمُ الرَّاحِمين ، وصَلَّى اللَّهُ على مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

١٠٩ موعظة

عِبَادَ اللهِ تَغَيَّرَ النَاسُ في أَحْوَالِهِم الدِّيْنِيَّةِ تَغَيُّراً يُذْهِشُ الناظِرِيْنَ في زَمَنٍ قَلِيْلٍ ، هَذِهِ الصَّلاةِ التي هِيَ آكَدُ أركَانِ الإسلاَمِ بَعْدَ الشهادَتَينِ وهِيَ عَمُودُ الإسلامِ قَدْ أَعْرَضَ عنها الكَثيرُ مِن الناسِ غَيْرَ مُبَالِينَ بِذَلِكَ جَهِلُوا مَا هِيَ الصَّلاةَ وأيُ قِيْمَةٍ قِيْمَتُهَا وَمَا مَنْزِلَتُهَا بَيْنَ الطَاعاتِ ، وما علموا أَنَّها الصِلةُ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ وَلِذَلِكَ هِيَ تُطَهِّرُ المُصَلِيْ مِن جَمِيْعِ ذُنُوْبِهِ إذا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ كَالزِّنَا واللِّواطِ وأَكْلِ الرِّبَا .

وَيَزِيْدُكَ مَعْرِفَةً بِهَا أنْ تَعْرِفَ مَالَهَا مِنْ مُتَعَلِّقَاتٍ . ذَلِكَ أَنَّهُ إذَا تَوَضَأَ لَهَا ذَهَبَتْ ذُنُوبُ أَعْضَاءِ وُضُوئِهِ مَعَ ذَهَابِ الماءِ فإذا تَشَهَّدَ بَعد الوُضُوءِ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ يَدْخلُ مِن أَيِّهَا شَاءَ فإذا مَشَى إلى المَسْجدِ كَانَ لَه

بِكُلِ خَطْوَةٍ يَخطُوهَا تَحُطّ عنه خطيئةٌ وَرُفِعَ لَهُ دَرجةً فإذا انْتَظَر الصلاةَ فإنهُ لا يَزَالُ في صلاةٍ .

وأما المُؤَذِّنُونَ فَهُمْ أَطْوَلُ الناسِ أَعْنَاقاً يَوْمَ القِيَامَةِ وَيشْهَدُ لَهُمْ كلُ مَا يَسْمَعُهُم حتَّى الأَشْجَارَ والأَحْجَارَ .

وَمَنْ قَالَ مِثْلَ مَا يَقُوْلُ المُؤَذِّنُ ثُمَّ دَعَا عَقِبَهُ وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَةُ النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلم وأَمَا قَمُّ المسجدِ وَتَنْظِيْفُهُ فَهُوَ مَهْرُ الحُورِ العَيْنِ في الجَنَاتِ وَمَن بَنى لِهِ مَسْجِداً وَلَو كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ بنى اللهُ له بَيْتاً في الجنةِ .

والخُلاَصَةُ أنَّ المُؤْمِنَ بِصَلاتِهِ أَبَعَدَ الناسِ مِن المُحَرَّمَاتِ والفَوَاحِشِ والزِّنَا واللِّواطِ وَشُرْبِ الخَمْرِ والدخانِ والمَيْسِرِ وَقَوْلِ الزُوْرِ والسَّرِقَةِ والقَتْلِ والقَذْفِ وحَضُورِ آلاتِ اللَّهْوِ المذياعِ والتلفزيونِ والسِّيْنَماءِ والبَكَمَاتِ وأبْعَدَ الناسِ عن الغِشِّ والرِّبَا والبَخْسِ والمَكْرِ والخِدَاعِ وَغَيرِهِمَا مِمَّا يُخِلُ بالدِّيْنِ أو يُنَقِّصُ المُروْءَةَ والشَّرَفَ ، إذْ مِن غَيْرِ المَعْقُولِ أنَّ مَنْ بَلَغَ بِهِ حُبُّهُ في الاستقامَةِ أنْ يَقِفَ أَمَامَ سَيِّدِه وَمَوْلاَهُ الذي رَبَّاهُ وَرَبَّى جَمِيْعَ العَالمين بِنِعَمِهِ وَيَسْتَهْدِيْهِ طَرِيْقَ الهِدَايَةِ وَقَدْ قَدَّرَ رَبَّهُ وَرَكَعَ لَهُ وَسَجَدَ وَحَمِدَهُ وَأَثْنَى عليهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَشَكَرَ لَهُ أن يُرَى بَعْدَ ذَلِكَ جَوَّالاً في طُرُقِ الغوَايَةِ والمآثِمِ الَّتِي يَنْتَابُهَا الفُسَاقُ الذِيْن مَرَدُوْا على الفُجُورِ وَتَفَنَّنُوا فِيهِ . . صَدَقَ اللهُ العظيم .

إن الصَّلاةَ تَنْهَى عَن الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ : هَذِهِ مِن ثَمراتِ الصَّلاةِ .

اللهم انْظمْنَا في سِلْكِ عِبَادِكَ المُفْلِحِينَ وَنَجِّنا مِن لَفَحَاتِ الْجَحِيْم واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيْعِ المُسلمينَ الأَحْيَاءِ مِنهم والميتين برحمتك يا أرحمَ الرَّاحمين وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ أجْمعين .

١١٠ « موعظــة »

إعلمْ وَفَّقَنَا اللهُ وإيَّاكُم وَجَمِيْعَ المُسلِمِيْنَ لِمَا يُحِبُّهُ ويَرْضَاهُ أَنَّهُ شُرِعَ لِهذِهِ الأُمَّةِ الاجْتِمَاعُ لِلْعِبَادَةِ في اوقاتٍ مَعْلومَةٍ . فمنْهَا ما هُوَ في اليَوم واللَّيْلَةِ لِلْمَكْتُوبَاتِ ومِنْهَا مَا هُوَ في الأُسْبُوعِ وهُوَ صَلاةُ الجُمُعَةِ ومنها ما هُوَ في السَّنَةِ مُتَكَرِّرٌ وهُوَ صَلاةُ العِيْدَيْنِ لِجَمَاعَةِ كُلِ بَلَدٍ ومنها ما هُوَ عَامٌ في السَّنَةِ وهُوَ الوُقُوفُ بعَرفَةَ ، وذلكَ لأَجْلِ التَّوَاصُلِ والتَّوَادُدِ والتَّعَاوُنِ والتَّاخِيْ والتَّآلُفِ والتَّعَارُفِ والتَّعَاطُفِ والتَّرَاحُمِ ، وقُوَّةٌ لِلرَّابِطَةِ بَيْنَ المسلِمِينَ ، ومُضَاعَفَةَ الأَجْرِ بالاجْتِمَاعِ ، وَكَثْرَةِ الخُطَى ، ولِتَعْلِيْمِ الجَاهِلِ لأَحْكَامِ الصَّلاةِ .

فَصَلاةُ الجَمَاعَةِ هِيَ المتَكَرِّرُ يَوْمياً الاجْتِمَاعُ لَهَا في المسَاجِدِ وهِيَ وَاجِبَةٌ وُجُوْبَ عَيْنٍ على الرجالِ القادِرِيْنَ حَضَراً وسَفراً حتى في شِدَّةِ الخَوْفِ لِقَولِهِ تَعالى : ﴿ وإذَا كُنْتَ فِيهم فأَقَمْتَ لَهُمُ الصلاةَ فلتقمْ طائفة منهم معكَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ فإن خِفْتُمْ فَرِجَالاً أو رُكْبَاناً ﴾ .

وعن أبي هُرَيْرَةَ قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « اثْقَلُ الصلاةِ على المُنَافِقِينَ صَلاةُ العِشَاءِ وصَلاةُ الفَجْرِ ولو يَعْلَمُونَ ما فِيهِمَا لأَتوهُمَا ولَوحَبْوَا . ولقد هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بالصلاةِ فَتُقَامَ ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلِيْ بالنَّاسِ ثُمَّ انْطَلِقَ مَعي بِرجَالٍ مَعَهُم حِزَمٌ مِن حَطَبٍ إلى قَوْمٍ لا يَشْهَدُوْنَ الصلاةَ فأحَرِّقَ عليهِم بُيُوتَهُمْ في النارِ » متفق عليه .

وعن أبي هريرة أَنَّ رَجُلاً أَعْمَى قال يا رسولَ اللهِ ليسَ لِيْ قَائِدٌ يَقُودُنِي إلى المسجدِ فسأَلَ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ يُرَخِصَ لَهُ فَيُصَلِيَ في بَيْتِهِ فَرَخصَ لَهُ فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فقال هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ قالَ :

نعَمْ قال : فَأَجِبْ . رواه مسلم والنسائي .

وروى أبو داود عن عَمْرِو ابنِ أُمِّ مَكْتُومٍ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم فقال : يا رَسولَ اللهِ إنَّ المدينةَ كَثِيْرَةُ الهوَّامِ والسِّبَاعِ وأنا ضَرِيرُ البَصَرِ شَاسِعُ الدَّارِ وَلِيْ قَائِدٌ لا يُلاَئِمُنِيْ فَهَلْ تَجد لي رخصةً أن أصلي في بيتي فقال النبي صلَّى الله عليهِ وسلم : هـل تَسْمَعُ النِّداءَ قال نَعَمْ قال فَأَجِبْ فإنِيْ لا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً فهَذا رَجُلٌ ضَرِيْرٌ شَكَا مَا يَجِدُ مِنَ المَشَقَّةِ في مَجِيْئِهِ إلى المسجدِ وليسَ له قائِدٌ يَقودُهُ إليهِ وَمَع هذا لَمَ يُرَخِصْ لَهُ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم في الصلاةِ في بَيْتِهِ فكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ صَحِيْحُ البَصَرِ مُتَوَفِرةُ الأَنْوَارُ في طرِيْقِهِ وهُوَ آمِنٌ على نَفْسِهِ وأهلِهِ ومالِهِ .

ومَعَ ذلكَ لا يُجِيْبُ دَاعِيَ اللهِ الذي خَلَقَهُ وَرزَقَهُ وأَعْطَاهُ وأَقْنَاهُ وَوَعَدَهُ إنْ أطَاعَهُ بِجَمِيْعِ مَا تَطْلبُهُ نَفْسُهُ وتَمَنَّاهُ ، وَهَدَّدَ وتَوَعَدَ مَن عَصَاهُ واتَّبَعَ هَوَاه .

وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « مَن سَمِعَ النِّداءَ فلم يَأتِ فلا صَلاةَ لَهُ إلا مِن عُذْرٍ » . وأخرجَ الحاكمُ في مُسْتَدْرَكهِ عَن ابنِ عباسٍ رَضيَ اللهُ عنهما قالَ : قَالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « ثلاثةٌ لَعَنَهُم اللهُ ، مَن تَقَدَّمَ قَوْماً وهُمْ لَه كارِهُونَ وامرأةٌ باتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ ورَجُلٌ سَمِعَ حَيَّ على الصَّلاةِ حَيَّ على الفَلاَحِ ثُمَّ لَمْ يُجِبْ » وحَدِيْثِ لا صَلاةَ لِجَارِ المَسْجِدِ إلا بالمسجدِ رُوِيَ مَرْفُوعاً وَمَوْقُوفاً .

عن ابن عباسٍ قال : قال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : « مَنْ

سَمِعَ النداء فلمْ يَمْنَعْهُ مِن اتِبَاعِهِ عُذْرٌ قالُوا ومَا العُذْرُ قال خوْفٌ أو مَرضٌ لم تُقْبَلْ منه الصلاةُ التي صَلَّى » .

وعن معاذِ بن أنسٍ عن رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أنَّهُ قَالَ : « الجَفاءُ كلُ الجَفَاءِ والكُفْرُ والنِّفَاقُ مَن سَمِعَ مُنَادِيَ اللهِ يُنَادِي إلىَ الصلاةِ فلا يُجِيبُهُ » رواه أحمد والطبراني .

وعن أبِي الدرداءِ قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « ما مِن ثَلاثَةٍ في قَرْيَةٍ ولا بَدْوٍ لا تُقَامُ فِيهم الصَّلاةُ إلا قد اسْتَحْوَذَ عليهم الشيطانُ فَعَلَيْكَ بالجَمَاعَةِ فإنمَّا يَأْكُلُ الذِئْبُ القاصِيَةَ » . رواه أحم د وأبو داود والنسائي .

وعن أمير المؤمنينَ عُمَرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنه قال : « ما بالُ أقْوَامٍ يَتَخَلَّفُونَ عن الصلاةِ فَيَتَخَلَّفُ لِتَخلُّفِهِم آخَرُوْنَ لأَنْ يَحْضُروا الصلاةَ أَوْ لأَبْعَثَنَّ عليهم مَن يُجَافِي رِقَابِهم . وقال ابنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنه : « مَن سَرَّهُ أنْ يَلْقَى اللهَ غداً مُسْلِماً فلْيُحَافِظ على هؤلاءِ الصلواتِ الخَمْسِ حَيْثُ يُنَادَي بِهنَّ فانَّ اللهَ تعالى شَرَعَ لِنَبِّيكُمْ سُنَنَ الهُدَى وإنهنَّ مِن سُنَنِ الهُدَى ولوَ أنَّكُم صَلَيْتُم في بُيُوتِكم كَمَا يُصَلِي هذا المُتَخَلِّفُ في بَيْتِهِ لَتَركْتُم سُنَّةَ نَبِيكُمْ وَلوَ تَركْتُمْ سُنَّةَ نَبِيكُم لَظَلْلتُمْ ولَقَدْ رَأَيْتُنَا وما يَتَخَلَّفُ عَنَها الا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ » .

وقال أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنه : « لأَنْ تَمْتَلِىءَ أُذُنُ ابنِ آدَمَ رَصَاصاً مُذاباً خَيْرٌ لَهُ مِن أنْ يَسْمَعَ حَيَّ علىَ الصلاةِ حَيَّ على الفلاحِ ثُمَّ لَمْ يُجِبْ » وسُئِل ابنُ عَبَاسٍ رضيَ اللهُ عنهُمَا عن رَجُلٍ يَقومُ اللَّيْلَ ويَصُومُ النَّهَارَ وهُوَ لا يَشْهَدُ الجُمَعَةَ والجَمَاعَةَ فقال هُو في النارِ ولَمَّا كانَ عَتَّابُ بنُ أسَيْدٍ

رَضِيَ اللهُ عنه وَالِياً للنَّبِي صلى الله عليه وسلم عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ فَسَمِعَ بِرجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عن الصلاةِ في المَسَاجِدِ جَماعةً فقال يا أهلَ مَكَّة والله لا أسْمَعُ بِرِجَالٍ يَتخلَّفُونَ عن الصلاةِ في الجَمَاعَةِ في المَسَاجِد إلا ضَرَبْتُ أَعْنَاقهم فَعَلَم الصحابةُ رَضِيَ اللهُ عنهم بِذَلِكَ فَزَادَهُ رِفْعَةً عِنْدَهُم وارْتَفَعَ قَدْرُهُ .

وصلاةُ العِشَاءِ والفَجْرِ في جَمَاعَةٍ أَشَدُّ تَأْكِيْداً لِمَا وَرَدَ عن عثمانَ بنِ عفانَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يقولُ مَن صَلىَّ العِشَاءَ في جَمَاعةٍ فكأنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيلِ وَمن صَلَى الصُبْحَ في جَمَاعَةٍ فكأنَّمَا صَلَّى الليلَ كُلَّهُ رواه مسلمَ .

وفي رواية الترمذي عن عثمانَ بنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عنه قال قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مَن شَهِدَ العِشَاءَ في جَمَاعَةٍ كان لَهُ قِيَامُ نِصْفِ لَيْلَةٍ ومَن شَهِدَ العِشَاءَ والفَجْرَ في جَمَاعَةٍ كان لَهُ كَقِيَامِ لَيْلةٍ قال الترمذي حديث حسن صحيح .

وعن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنه أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ ولو يَعْلَمُونَ مَا في العَتَمَةِ والصُبْحِ لأَتَوْهُمَا ولَوْ حَبْوَا متفق عليه . وعنه قال قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ليسَ صَلاةٌ أثْقَلُ على المُنَافِقِينَ مِن صَلاةِ الفَجْرِ والعِشَاءِ ولو يَعْلَمُونَ ما فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا ولَو حَبْوَا متفق عليه .

وروى عن أَبِي أمامةَ رَضَي اللهُ عنه قال قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مَن صَلَّى العِشَاءَ في جَماعَةٍ فَقدْ أَخذَ بحَظِّهِ مِن لَيْلَةِ القَدْرِ . رواه الطبراني في الكبير .

وعن جُنْدُب القَسْرِي قال قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مَنْ صَلى صَلاَةَ الصُبْحِ فَهُوَ في ذِمَّةِ اللهِ فلا يَطْلُبَنْكم اللهُ مِن ذَمَّتِهِ بشيءٍ فإنَّهُ مَن يَطْلُبُهُ مِن ذِمَّتِهِ بِشَيءٍ يُدْرِكْهُ ثُمَّ يَكُبهُ على وَجْهِهِ في نارِ جَهَنَّمَ رواه مسلم .

اللَّهُمَّ اعْطِنَا مِنْ الخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُوْ وَاصْرِفْ عَنَّا مِنْ السُّوْءِ فَوْقَ مَا نَحْذَرُ . اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوْبَنا بِرَجَائِكَ وَاقْطَعْ رَجاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ . اللَّهُمَّ إنَّكَ تَعْلَمُ عُيُوْبَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمَ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيْرًا يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِسُلُوْكِ سَبِيْلِ عِبَادِكَ الأَخْيَارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُم وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

١١١ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللهِ مَا أَحْسَنَ أَنْ يَعِيْشَ المَرْءُ قَانِعاً بِمَا رَزَقَهُ اللهُ في هَذِهَ الحَيَاةِ فَلا يَمُدُّ بَصَرَهُ إلى مَا فِي أَيْدِي النَّاس وَلا تَتَطَلَّعُ نَفْسُهُ إلى سَلْب حُقُوقِ النَّاسِ أَوْ ظُلْمِهِمْ وَالاعْتِدَاءِ عَلَى مَا وَهَبَ اللهُ لَهُمْ مِنْ نِعَمٍ جِسَامٍ فَانَّ القَانِعَ يَشْعُرُ وَيُحِسُّ بِسَكِيْنَةٍ وَطُمَأْنِيْنَةٍ كَمَا يَشْعُرُ بِأَنَّهُ غَنِيٌّ عَن كُلِّ الخَلْقِ قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا كُنْتَ فِي الدُّنْيَا قَنُوعاً
فَأَنْتَ وَمَالِكُ الدُّنْيَا سَوَاءُ

وَذَلِكَ أَنَّ لَهُ نَفْساً رَاضِيَةً بِمَا قَسَم اللهُ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً لَمْ يَتَسَرَّبْ الِيهَا الجَشَعُ وَالطَّمَعُ اللذَان هُمَا مِنْ أَقْبَح القَبَائِحِ وَأَسْوَأِ الشَّمَائِلَ وَلاَ يَزَالُ صَاحِبُ هَذَيْنِ أَوْ أَحَدُهُمَا إلاّ وَهُوَ مَذْمُومٌ وَبِأَقبحِ الصِّفَاتِ مَوْسُومٌ لاَ

تَعْرُضُ لَهُ القَنَاعَةُ وَلَوْ كَانَتَ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا لَهُ . قَدْ مَلأَ حُبُّهَا قَلْبَهُ وَغَمرَ مَحَبَّتُها وَالتَّفَانِيْ فِيْ طَلَبِهَا قَلْبَهُ وَصَارَ لاَ يَرْضَى مِنْهَا باليَسِيْرِ وَلاَ يَقْنَعُ بِالكَثِيْرِ وَقلَّمَا تَجِدُ مُتَّصِفاً بِهَذَا الوَصْفِ إلاَّ وَهُوَ مُتَشَتِّتُ الفِكْرِ قَلِيْلُ الرَّاحَةِ عِنْدَهُ مِنَ الحَسَدِ والهَلَعِ وَضَعْفِ التَّوَكُّلِ عَلى اللهِ الشَّيْءَ الكَثِيْرَ الذِيْ يُخْشَى عَلَيْهِ مَعَ اسْتِدَامَتِهِ مَعَهُ مِنْ سُوْءِ الخَاتِمَةِ .

أَمَّا القَانِعُ ذُوْ النَّفْسِ الأَبِيَّةِ الرَّاضِيَةِ المُطْمَئِنَّةِ المُتَوَكِّلَةِ عَلَى اللهِ فَيُرجَى لهَا أَنْ تَنَالَها الآيَة الكَرِيْمَةُ : ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّة ارْجِعِيْ الى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ الآيةِ .

قَالَ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ مَنْ أَصْبَحَ آمِناً في سِرْبِهِ مُعَافَى فِيْ بَدَنِهِ مَعَهُ قُوْتُ يَوْمِهِ فكأَنَّمَا حِيْزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيْرَهَا .

وقَالَ ابْنُ مَسْعُوْدٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - مَا مِنْ يَوْمٍ الاَّ يُنَادِي فِيْهِ مَلَكٌ مِنْ تَحْتِ العَرْشِ يَا ابْنَ آدَمَ قَلِيْلٌ يَكْفِيْكَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيْرٍ يُطْغِيْكَ .

وقَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ : أَطْيَبُ العَيْشِ القَنَاعَةُ وَأَنْكَدُ العَيْشِ الجَشَعُ وَمِنْ الاخْلاَقِ الذَّمِيْمَةِ التِيْ تَجْعَلُ الانْسَانَ بَخِيْلاً بِمَا فِيْ يَدِهِ مُتَطَلِّعاً لِمَا في أَيْدِيْ النَّاسِ الحِرْصُ والافْرَاطُ في حُبِّ الدُّنْيَا وَجَمْعِهَا وَلَوْ أَدَّى ذَلِكَ إلى اهْدَارِ الكَرَامَةِ وَارَاقَةِ مَاءِ الوَجْهِ فَالحَذرَ عِبَادَ اللهِ مِنْ الحِرْصِ عَلى الدُّنْيَا فَإِنَّ حُبَّهَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيْئَةٍ .

موعظـــة ١١٢

عباد الله إن الدنيا قد آذَنَتْ بِفِراق فَيَا ويْح مَن كان بها جُلّ اشتغالِهِ، كيفَ يَطْمَئِنُّ العَاقِلُ إِلَيْهَا مع تَحققِهِ بِدُنُوِّ ارْتِحَالِهِ. كَيْفَ يَنْخَدِعُ اليَوْمَ بِبوارِقِهَا

مَنْ هو غَداً مُرْتَهِنٌ بِأعمَالِهِ كَيْفَ يَغْتَرُّ فيها بإمْهَالِهِ وإمْهَاله لَمْ يَنْشَأْ إلَّا عن إهْمَالِهِ.

كيفَ يَبِيتُ آمِناً فِي تَوَسُّعِ آمَالِهِ. وهو لا يَدْرِي ما يَطْرُقُ مِنْ بَغْتَةِ آجالِهِ.

فما تَرَوْنَ طَيْفَ الشَّبِيبَةِ قَدْ رَحَلَ وَكَثِيراً مَا حَلَّ بالشبَابِ المَنُونِ.

أَمَا تَرَوْن الشَّيْبَ قَدْ نَزَلَ وَقَبِيحٌ مَعَ الشَّيْبِ المُجُونُ. أما تَرَوْنَ سَيْفَ الأجَلِ قَدْ قَطَعَ الأَمَلَ فإلى متى تُؤَمِّلونَ فِي البَقَاءِ وتَطْمَعُونَ.

أَمَا تَرَوْنَ رِيَاحَ الرَّحيلَ تَهُبُّ في كلِّ مَنزِلٍ وسَبِيل فَلِمَ لا تَرْكَبونَ سُفنَ التَّوْبَةِ وتُقْلِعُونَ.

أما تَرَوْنَ أشْرَاطَ السَّاعَةِ في كلِّ حال تُنَادي بِفَصِيحِ المَقَال يَا أَهْلَ الدُّنْيَا لا مَقَامَ لكمْ فإلى مَتى لا تَرْجِعُونَ. هَل الأعْمَارُ في الاعْتِبَارِ إلَّا أعْوَامٌ. وهَلْ الأعْوامُ إلا أيَّامٌ.

وهَلْ الأيَّامُ إلَّا ساعَاتٌ كالسُّفُنُ يُنَادِي لِسَانُ سَيْرِهَا يَا أَهْلَ الدُّنْيَا لا مُقام. وهَلِ السَّاعةُ إلَّا أنْفَاسٌ تُحْصِيهَا الحَفَظَةُ بِأَمْر المِلِكِ العَلَّام.

فَمَنْ كَانَ هَذَا أسَاسَهُ كَيْفَ يَفْرَحُ بِدَار عَمَارُهَا في الحَقِيقَةِ خَرَابٌ.

فَالسَّعِيدُ مَنْ أَضمَرَ نَفْسَهُ مِنَ المَحْوِ وأَخَفَّ ظَهْرَهُ مِنَ الأوْزَارِ والتَّبِعَاتِ واعْتَبَر بمَنْ مَضَى مِنَ الأمَمِ الماضِيَة أُوْلى النَّجْدَةِ والهِمَمِ العَالِيَةَ.

نُثِرَ والله سِلْكُهمْ بَعْدَ انْتِظَامِهِ. وتَفَرَّقَ شَمْلُهُمْ بَعْدَ إلتِئَامِهِ وعَادُوا كمنْ مَضَى مِنَ الأقْرَانِ كأنَّمَا يَقْظَتُهُمْ كَانَتْ مَنَام. هَكَذا الدُّنْيَا «كلُّ مَنْ عَلَيْهَا فانٍ ويَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ والإِكْرَام».

فَرَحِمَ اللهُ عَبْداً أَقْبَلَ عَلى البَاقِي وأَعْرَضَ عَن الفَاني مِنَ الحُطام. وجَعَلَ لِشَارِدِ النَّفْسِ مِنَ التَّقْوىَ أَقْوَى زِمَام. واجْتَنَبَ الظلم فإنَّ الظلم يُخْرِجُ مِنَ النُّورِ إلى الظَّلَامِ. فَنَسْأَلُكَ اللّهُمَّ تَوْفِيقاً يُقَرِّبُنَا مِنَ الحَلَالِ ويُبْعِدُنَا عَن الحَرَامِ. وَطَرِيقاً إلى الخَيْرَاتِ لِنَتَمَسَّكَ بِالزِّمَام. وأَمْنَاً يَوْمَ الفَزَعِ الأَكْبَر يُبَلِّغُنَا غَايَةَ المُنى. قال الله جلَّ وعلا:

«وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فيها بإذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فيها سَلام». والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فائدة جليلة

إِذَا أَصْبَحَ العَبْدُ وأَمْسَى ولَيْسَ هَمُّهُ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ يَحْمِلُ اللهُ سُبْحَانَهُ حَوَائِجَهُ كُلَّهَا وَحَمَل عَنْهُ كُلَّ مَا أَهَمَّهُ ، وفَرَّغَ قَلْبَهُ لِمَحَبَّتِهِ ولِسَانَهُ لِذِكْرِهِ وَجَوَارِحَهُ لِطَاعَتِهِ وإنْ أَصْبَحَ وأَمْسَى والدُنْيَا هَمُّهُ حَمَّلَهُ اللهُ هُمُومَهَا وَغُمُومَهَا وَأَنْكَادَهَا وَوَكَلَهُ إلى نَفْسِهِ فَشَغَلَ مَحبَّتَهُ بمَحَبَّةِ الخَلْقِ ولِسَانَهُ عن ذِكْرِهِ بِذِكْرِهِمْ وجَوَارِحهُ عن طَاعَتِهِ بِخِدمَتِهِم وأَشْغَالِهِم .

فَهُوَ يَكْدَحُ كَدَحِ الوَحْشِ في خِدْمَةِ غَيْرِهِ كالكِيْر يَنْفَخُ بَطْنَهُ وَيَعْصِرُ أَضْلَاعَهُ في نَفْعِ غَيْرِهِ فَكُلُّ مَنْ أَعْرَضَ عَن عُبُودِيَّةِ اللهِ وطَاعَتِهِ ومَحَبَّتِه بُلِيَ بعُبُودِيَّةِ المَخْلُوقِ ومَحَبَّتِهِ وخِدْمَتِهِ قَالَ تَعالى « وَمَنْ يَعْشُ عن ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ له شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ » أ هـ .

اللهم ثبت قلوبنا على الإيمان ووفقنا لصالح الأعمال ، اللهم تفضل علينا بالقبول والإجابة وارزقنا صدق التوبة وحسن الإنابة ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله

وأصحابه أجمعين .

١١٣ خطبـة

– توسيد الامر الى غير اهله

الحمدُ لله ربّ العالمين ، الحمدُ لله ناصر الأُمَناء المُتَّقين ، ومُؤيّد الأَوْفِيَاء المُخلصين ، أَحْمَدُهُ سُبحانَه لا أُحْصي ثنـاءً عليـه ، وأَستَغْفِرُهُ وأَتوب إليـه ، وأَسْأَلُه تعالى أن يَجعَلَنا مِمّن إذا سمعوا القَوْل عقلوه واتَّبَعوا أَحسنه ، وبلَّغوه كما سمعوه ، وأَشهَدُ أَلّا إلٰه إلَّا الله وحدهُ لا شريكَ لهُ . قال في كتابه الكريم مُخاطباً وُلاةَ الأُمورِ خصوصـاً ، وسائر الأُمَّـة عموماً : (إنَّ الله يأْمركم أَنْ تُؤدوا الأَماناتِ إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدْل) . وأشهـدُ أنّ سيّـدَنا ونبيّنا محمداً عبـده ورسوله صلّى الله وبارك عليـه وعلى آله وأصحابـه الّذين هم لأَمـاناتهم وعهدهم راعون ، وسلّم تسليماً كثيراً .)

أَمّا بعـد – فيا عبادَ الله – لَقدْ أَرْسَلَ الله محمداً بن عبد الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، هادياً

وَمُبَيِّناً للناس ما نزَّلَ إليهم ، أرسله إكراماً لهذه الأُمّة ، ورحمةً للعالمين ، أَرسَلَه لِيُعلِّم الناس شرع الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وإنَّ مّما جاء به شرع الله ، ونادت بمراعاته والاهتمام به رسُل الله تحرّى الأَفضل والأمثل والأَرضى لله في أمرِ الولاية أيّاً كان من إمامة عظمى ، أو وزارة ، أو رئاسة ، أو إمارة ، أو قضاء ، أو إدارة أعمال ، أو نظارة وقف ، أو إمامة صلاة ونحو ذلكم ، ومن تتبّع وقائع التاريخ قديماً وحديثاً ، وما جاء به الإسلام في أمرِ الوِلاية ، عَلِمَ عِلْمَ اليَقين أَنَّ راحة الأُمّة وسعادتها واستقرارها ، بلْ وضمان بقاء مُثلِها العاليَة ، ومبادئها السامية ، مُتَوَقِّفٌ على أَن يَلي أمرها خيارها ، وخيار أهل الإسلام أقْوَاهُم إيماناً ، وأرضاهم لله ، وأبعدهم عن الخيانة والغشّ والمحاباة ، وأَنَّ شقاءها واضطرابها وفقدان الثقة بها مقرون بإسناد أمورها ، وتحميل أعبائها إلى مَن لا يَصلُح لحَمْلها ، ولا غرو فإعطاء المناصب الهامة لأُمَناء أَكفاء ، ذَوي غيرة للحقّ ، وحماية للعقائد ، وإخلاص للأُمّة ، يُؤمّن الناس على دمائهم وأمْوالهم ،

وَمحارمهم وأعراضهم وجميع شؤونهم ، ويجعل صاحب الحقّ يطمع في عدل بلاده ، وذا الكفاءة يُخْلِص في عمله ، وذا الشرّ ينْقبع في مكمنه .

وإنَّ قَوْليّة مَن لم يُراقب الله ، ولم يَعهد منه غيرة ظاهرة للعقيدة السلفيّة ، والأَخلاق الفاضلة ، أَو من علم فيه ضُعف أَو خَوَر أَو خيانة أَو غشّ أَو محاباة ، أَو عدم اهتمام واكتراث بما أُنيط به من عمل على ثغر من ثغور أهل الإسلام ، ولا سيّما ما له صلة بالعقيدة كالتعليم ، أَو بصلب الحكم كالقضاء ونحوه .

إنَّما ذلكم غشٌّ للأُمّة ، وخيانةٌ لها ، وإجرام في حَقّها ، وسعي في إضاعة مصالحها ، بل وغرسٌ للأَحقاد والضغائن والبغض في نفوس مفكّريها ، وذوي الغيرة لها ، إن لم تكُن الطامة الكبرى وهي القضاء على مُقَوّماتها الرّوحيَّة ، ومُثُلِها ٱلْعُلْيَا ؛ عياذاً لِأُمّةِ الإسلام ـــ بالله ـــ من ذلك .

فاتّقوا الله ، عباد الله لِيَتّقوا الله مَنِ ٱئْتمَنهُم الله على شيء مِن ثُغورِ المسلمين ، فإنَّهُم بِوِلايتهم ، صِغار الوُلاة أو كبار ، إن صَلُحوا ووَفوا واستعملوا

في مهامِّ الأُمورِ الأَقوِياء الأَمَناء ، عزَّت البلاد واستقامَ أَمرها ، وعَظُمَ سلْطان وُلاتها على النفوس ، ومشى الناس من ورائهم سعْياً إلى الخير ، إذْ أَنَّ صلاح الوالي مِن أَقوى العوامل في صلاح مَن تحته ؛ فتأْثير الرؤساء على المرؤُوسين له خطره الأَكبر وأَثره العظيم في حياة الأُمَّة ، فالناس – كما في المثل – « على دين ملوكهم » وفي الحكم : « الوُلاة كالسّوق يُجْلَب له ما نَفق فيه » فإن نَفق الخير عند الوالي ، أَيّاً كان مقامه ، سعى مَن حوله في فعْل الخير تأَسّياً به ؛ وإن كانت الثانية وهي فساد الوُلاة وتولية غير الأَكفاء فعلى أُمَّة الإسلام السّلام والويل كل الويل لقوم ٍ تحلّوا بهذه الصّفة . يُروى عن رسول الله ﷺ أَنَّه قال : « مَن استعمل رجلاً على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خــان الله ورسوله والمؤمنين » . ويروى عن يزيد بن أَبي سفيان قال : قال لي أَبو بكر – رضي الله عنه – حين بعثني إلى الشام : يا يزيد إنَّ لَك قرابــة عسيت أن تؤْثرهم بالإمارة وذلك أَكثر ما أَخاف عليك بعدما قال رسول الله ﷺ « من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأَمّر عليهم أَحداً محاباة فعليه لعنةُ اللهُ لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يُدخله جهنم » . وروى البخاري

ومسلم عن معقل بن يسار قال سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « ما من عبد يسترعيه الله رعيّة يموت يوم يموت وهو غاشّ لرعيّته إلّا حرم الله عليه الجنّة » ، وروى البخاري أن رسول الله ﷺ سأله رجل عن الساعة ؟ فقال : إذا ضيّعت الأمانة فانتظر الساعة ، قال : ومتى تضيع ؟ قال : إذا وُسّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة . ويقول أصدق القائلين : (يا أيّها الذين آمنوا لا تخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون، واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فِتنة، وان الله عنده أجر عظيم .)

أقول قولي هذا ، وأسألُ الله سبحانه وتعالى أن ينصر ولاة أمور المسلمين وأن يصْلحهم ويصلح بطانتهم ويرزقهم الأعوان المخلصين .

إنّهُ تعالى نعم المولى ونعم النصير .

١١٤ (خُطْبَةَ)

ما لولاة الأمور وما عليهم من حق

الحمدُ لله الذي بنعمتهِ اهتدى المُهْتَدون ، وبعدْلهِ ضَلَّ الضالون ، لا يُسأل عما يفعل وهُم يُسْأَلون ، أَحْمَدُهُ تعالى وأشكُرُه ، وأشهدُ أَلَّا إِله إِلَّا الله وحدَه لا شريكَ له ، وأشهد أَنَّ سيّدنا محمّداً عبده ورسوله صلّى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلّم تسليماً كثيراً .

أَمَّا بَعد ـ فيا عِبادَ الله ـ لقد جاء دينُ الإسلام إكراماً للبشريّة ورحمةً بها ، جاء لِيُرَتِّبَ ويُنظِّمَ أُمور الناس ، مادّية وروحيّة ، ويُقيمها على أُسس إصلاحيّة وقواعِدَ ثابِتَة ، جاء ليُبَيِّنَ أَسبابَ العطب . وإنَّ ممّا أوضحه وأَبانه الإسلام علاقةُ الإنسانِ بربّه ، وعلاقة الإنسان بنبيّه ـ ﷺ ـ ، وعلاقته بأميره ورئيسه ، يقول سُبحانه : (يا أَيُّها الّذين آمنوا أَطيعوا الله ، وأَطيعوا الرسول ، وأُولي الأَمر منكم) والمُراد بأُولي الأَمر كلّ من له وِلاية شرعيّة ، سواء كان الإمام العام ، أَو العالِم الرُّوحي ،

أو الأَمير ، أَو الرئيس الخاصّ بالإنسان .

عبادَ الله ؛ إِنَّ الله جلَّت قُدرَتُه قد أَوجبَ لوُلاةِ الأُمور الشّرعيّين بهذه الآية ، وما في مَعناها ، حقّاً عظيماً ؛ بالقيام به تَسعدُ الأُمّةُ الإسلاميّة ، ويستَتِبّ لها الأَمن ، ويسود السلام ، أَوْجبه مَن هو عالِمٌ بأَسرار الكون ، وطبائع البشر التي لا تَصلُح ولن تَصْلُح بدون إمام أَو مع إِمام منازع ؛ أَوجبه حفاظاً على الحياة الاجتماعيّة ورعاية ، وحماية لها من فَوْضى الجاهلين ، وطيش المفسِدين ، إِنَّ الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، أَوجبه وجعله طاعة له سبحانه وقربه اليه ، طاعة مؤكّدة معروفة يجب الإِتيان بها في العسر واليسر ، والمنشط والمكره والاستبداد ، إِلّا إِذا أَمر الإِنسان بمعصية الله ، أَو فوق المُستطاع ، فلا سمع ولا طاعة إِذاً لمخلوق في معصية الخالق ، يقول ﷺ : « على المرء المسلم السمع والطّاعة فيما أَحبَّ وكَرِهَ ، إِلّا إِذا أُمِرَ بمعصية فلا سمع ولا طاعة » ، وإِنَّ شيئاً — يا عبادَ الله — أَمَر الله به ورتب عليه سبحانه مصلحةً عُظْمى في الدُّنيَا ، وأَجراً مُضاعفاً في الآخرة ، لجديرٌ بأن يكون موضع رعاية المؤمن واهتمامه .

فاتّقوا الله — أيُّها المسلمون — وتقرَّبوا إلى الله بما أمرَكُم به من طاعة ولاة الأُمور ، ومن الدُّعاءِ لهم ، والتعاون معهم ، والصبر عليهم ، ما أطاعوا الله ورسوله وأقاموا شعائرَ دينه ، فما نزعت يد من طاعة إلَّا صافحها الشيطان وعرَّضها لفتنةٍ عمياء ، وحوت جاهليّة جهلاء ، والعاقل يدرك خطورة عصيان الأئمة الشرعيّين ، وما تأتي به منازَعتهم أو الخروج عليهم من شرّ ، وما يترتّب على ذلك من مفاسد عُظمى لا يَعلَم مداها — على الحقيقة — إلَّا الله سبحانه ، وتفادياً لهذا الشرّ ، ودرءاً له عن الأُمّة الإسلاميَّة ، قال هادي البشريّة عليه الصلاة والسلام : « مَنْ خرج من الطاعة ، وفارَقَ الجماعة فمات ، فميتته جاهليّة » وقال : « إسمعوا وأطيعوا وإن تأمّرَ عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة » . وروى البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت — رضي الله عنه — قال : « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا ، وألَّا ننازع الأمر أهله » . قال — يعني رسول الله — « إلَّا أن تَرَوْا كُفراً بوّاحاً عندكم من الله فيه برهان » .

يا عِبادَ الله ، يا مَن في أيديهم شيء من ولاية ، إن الحَكَم العدل سبحانه ، كما أوجب لكم حقّاً على من لكم عليه

ولاية ، وأمره باحترامه والقيام به ، فكذلكم أوجب عليكم حقاً لمرؤوسيكم ومن في سُلطانكم ، ومن تحت رعايتكم ، وآذنكم بخطورته ، وعِظَم مسؤوليته على لسان رسوله بقوله ﷺ : « كُلُّكم راعٍ ، وكُلُّكم مسؤول عن رعيّته » .
فاتّقوا الله فيما استرعاكم الله فيه ، وأدُّوا ما أَوجبه الله عليكم من حقوق مرؤوسيكم ورعاياكم تكونوا من خير الأئمّة الذين قال الرسول فيهم ﷺ : « إنَّ خيار أئمتكم الّذين تحبُّونهم ويحبّونكم ، وتُصلّون عليهم ويُصلّون عليكم » وتبتعدوا عمّن عناهم ﷺ بقوله : « وشرار أئمتكم الّذين تُبغِضونهُم ويُبغِضونَكم وتلعنونهم ويلعنونَكم » .

وإنَّ أعظَم تلكم الحقوق إقامة العدل بينهم ، والإحسان بهم ، وخفض الجناح لمؤمنهم ؛ يقول تعالى : (إنَّ اللهَ يأْمركم أن تُؤدُّوا الأَمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) . ويقول : (إنَّ الله يأْمر بالعدل والإحسان) ويقول : (واْخفض جناحك لِمَن اتَّبعَك من المؤمنين) ، كما وأنَّ من حقّ الرّعيّة عليكم أن تَحوطوهُم بالنُّصْحِ ، وأَن تَسْعوا بإخلاصٍ وجدٍّ فيما يجلب لهُم النّفْع ، ويَدْرَأُ عنهُم الضّرر ، وأَن تَتجَنّبوا كلَّ مـــا يُثير نفوس أفرادِ الرّعِيّة ، ويُعَرِّضهُم للحقدِ والمُنازعةِ كالاستِئثارِ بالمصالح ، ومعاملتهم بالشدَّة والْقَسْوَة ، وتكليفهم ما يُعنتهم ويشُقُّ عليهم

ونحو ذلكم ، ممّا يسبّب بُغض الرّعيّة للرّاعي ، ويُعرّضهُ للمنازَعة في الدُّنيا ، ولِلْعذاب الأَليم في الآخرة . يقول ﷺ ، فيما رواه البخاري ومسلم : « ما من عَبدٍ يسترعيه الله رعيّةً يموت يوم يموت وهو غاشّ لرعيّته ، إلّا حَرَّم الله عليه الجنَّة . »

وفي روايةٍ لمسلم : « ما من أَمير يلي أُمور المسلمين ، ثم لا يجهد لهم وينصح ، إلّا لم يدخل معهم الجنَّة » .

وروي عن عائذ بن عمرو ، رضي الله عنه أَنّه دخل على عُبيد الله بن زياد ، فقال : أي بُنَيّ : إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ شرَّ الرُّعاة الحطمة ، وإيَّاك أن تكون منهم » والحطمة هو الشديد الغليظ القاسي ، قليل الرحمة والشفقة والحنان » ويقول مُستَجاب الدَّعوَة — ﷺ — « أَللَّهمَّ مَن ولي من أمر أمتي شيئاً فشَقَّ علَيهم فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفُق به . »

أَقول قولي هذا ، وأَسأَلُ الله تعالى أَن يُوَفِّقَ وُلاةَ أُمورِ المسلمين ، حُماةَ الإسلام لِما فيه صلاحُ دينهم ورعاياهم . إنَّهُ تعالى خيْرُ مسؤول ، غفورٌ رحيم .

١١٥ مَوعِظـةٌ وَذكرىٰ

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير، أحمده سبحانه وأتوكل على الحي الذي لا يموت وأسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً، وأشهد أن لا إلٓه إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فيقول الله، سبحانه وتعالى: ﴿هو الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾

عباد الله لقد أوجدنا الله تبارك وتعالى في هذه الدنيا من عدم وأسدى علينا تعالى فيها ألواناً شتى من أنواع النعم وأبلغنا فيها بأوامر وزواجر، وأخبرنا أننا سنموت بعد الميتة التي كتبها تعالى علينا ثم سيحيينا بعد حياة البعث والنشور والجزاء والحساب والثواب والعقاب على ما كان لتلكم الأوامر والنواهي من أصداء وآثار في نفوسنا وواقع حياتنا ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور﴾

ولقد أنذرنابذلكم، أنذر الزمان ووعظتنا به من قبل مواعظ القرآن التي كثيراً ما تقرع أسماعنا قرعاً والتي لو أنزلت على جبل لرأيتموه خاشعاً متصدعاً يقول سبحانه: ﴿القارعةما القارعة وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهيه نار حامية﴾ . ويقول: ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم﴾ . فهل من مذكر أيها الأخوة فلقد جاءنا ـ وأيم الله ـ من الأنبياء ما فيه مزدجر، جاءنا ما ينذر بتصرم الأيام وتقصم الأعمار قيد المنون كما تشاهدون مرسلة آناء الليل

واناء النهار ـ جاءنا ما ينذر ويذكر بنهاية كل منا ، ورجوعه إلى الله ومساءلة الله له عما ولاه فيه مهما طال عمره أو كان أمره ﴿كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون﴾ ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون﴾ ولا عجب أيها الأخوة ، فلكم شهدت الدنيا كثيراً وكثيراً ممن عمروها أكثر مما عمرناها نحن من كانوا فيها أعزة أقوياء أغنياء قادرين على كثير مما يشاؤون من إصلاح وأمر ونهي فتعجلتهم أحداثها قبل ذلك ، أو طوتهم المنون فحيل بينهم وبين ما يشتهون لا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون وأصبحوا مرتهنين ينتظرون وضع الموازين من لدن أحكم الحاكمين وأعدل العادلين الذي لا يظلم مثقال ذرة ﴿وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما﴾ والذي يقول وقوله الحق : ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تُظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل آتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ .

وكم شهدنا نحن وفقدنا من أقران كانوا بالأمس معنا زينة المجالس وبهجة القلوب وأنس النفوس ،يذكروننا بالله وأيامه قد ضمتهم اللحود وخلت منهم ثغر الإصلاح ومواطن الدعوة ومواقع الركوع والسجود،ولو نطقوا لقالوا إخواننا تزودوا فإن خير الزاد التقوى فنحن سلفكم وأنتم في الأثر ولقد جاءكم من الأنباء ما فيه مزدجر.

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ وتذكروا يوم النقلة والرجوع إلى الله وماذا ستقدمون عليه به ، يوم أن تودعوا الثرى ويتخلى عنكم الأهل والأصدقاء يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون ،يوم يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى يقول ياليتني قدمت لحياتي تذكروا ذلكم دائماً تذكر من يريد إصلاح ما به من فساد ، والاستزادة كثيراً مما هو فيه من خير وبر وهدى ورشاد . وخذوا من قوتكم وعزكم لضعفكم وذلكم خذوا من سعتكم وغناكم لضيقكم وفقركم خذوا من عافيتكم وحياتكم لبلائكم وموتكم ، خذوا ليوم تعنو فيه الوجوه للحي القيوم ، ويخيب فيه من حمل ظلماً فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار يقول تعالى وقوله الحق : ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم

العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أنَّ لي كرة فأكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون﴾ ونستغفرك اللهم ونتوب إليك.

١١٦ مَوعِظة وتذكير بحَاجة المُسلِم إلى مَا يقدّمهُ لِغيَره

الحمد لله الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء والظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء، أحمده سبحانه خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإن الله جلت قدرته وتعالت أسماؤه بحكمة بالغة وقدرة باهرة أوجدنا في هذه الدنيا من عدم أوجدنا فيها لا للدوام والبقاء ولكن للموت والفناء ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾

لـــــدوا للموت وابنوا للخراب فكلـــــكم يصـــــير إلى تبـــــاب

فما من نفس في هذه الدنيا إلا وهي ذائقة الموت مهما طال عمرها أو عظم شأنها أو كثر مالها وولدها ﴿كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون﴾ وإن الله سبحانه وتعالى قد أعلمنا بسر هذا الإيجاد وحكمته في هذه الدنيا الفانية وما يتطلبه الانتقال منها بعد إلى الآخرة الباقية بقوله: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ . وقوله في الحديث القدسي الذي رواه الإمام مسلم رحمه الله عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «إنه تبارك وتعالى

قال: يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » .

وإنه ليجدر بالعاقل الذي علم أنه أوجد في هذا الكون لحكمة وأنه سيموت بعد هذا الإيجاد ولا يدري في أي أرض أو في أي ساعة يموت، وأنه سوف لا ينفعه ويصحبه إذا انتقل من هذا العالم الدنيوي الفاني إلى ذلكم العالم الأخروي الباقي إلا ما قدمه في حياته من أعمال بر وخير وهدى، أن ينظر دائماً نظر المستزيد إلى ما قدمه لغده، إلى ما ينفعه عند الله ما دام حياً سوياً قادراً صحيحاً شحيحاً يخشى الفقر ويأمل الغنى امتثالاً لأمر الله ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ . ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ . وقول رسوله ﷺ : « إذا مات ابن آدم تبعه ثلاثة ماله وأهله وعمله فيرجع اثنان المال والأهل ويبقى واحد وهو العمل، إذا مات ابن آدم قالت الملائكة: ما قدم وقال الناس: ما أخر » . وقوله: « من ماله أحب إليه من مال وارثه » قالوا: كلنا ماله أحب إليه من مال وارثه قال: « مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر » .

فاتقوا الله أيها المسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به من تقواه، أطيعوه فيما أمركم به من النظر إلى ما قدمتم وتقدمونه لغدكم - أطيعوا الله فيما أمركم به من المسارعة والمسابقة في الأعمال الصالحة والاستزادة منها، ووجهوا أنفسكم دائماً لذلك وألزموها وعظوها وذكروها بآثارها ونفعها عند الله سبحانه ذكروها بأن الموت قد لا يمهلها لتعمل ما تنوي عمله فقد يكون أقرب إليها وقت التفكير فيه من شراك نعلها أو حبل وريدها، وأنها سوف لا تنقل معها إذا انتقلت إلى الآخرة بما شيدته في هذه الدنيا من قصور ولا بما جمعته فيها من أموال ولا بما

ولته فيها من ولاية ولا بشيء مما التذت به فيها من متع الحياة ولو جمع لها فيها مـــا ذكر في قول الله سبحـــانـــه: ﴿زين للنـــاس حـــب الشهوات من النساء والبنين...﴾ الآية. ولكنها ستنتقل وحيدة بالحالة التي خرجت على الدنيا بها من بطن أمها، مخلفة لما جمعت فيها من أموال مكدساً وراءها، يتقدمها إلى الآخرة حسابه وإثمه إن كانت آثمة فيه ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم﴾ وإن الشأن في هذه الدنيا ليس هو تحصيل شيء من متع الحياة حتى ولو جمع للإنسان فيها ما جمع في قول الله: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين... الآية﴾. ولكن الشأن كل الشأن والأمر الهام الذي ينبغي أن تمتزج العناية به والحرص عليه بلحم الإنسان ودمه، هو أن يوفق الإنسان في هذه الحياة لعمل صالح يكون سبباً لنجاته وزحزحته من النار وفوزه برضى الله ورضوانه، يوم أن توافيه المنية التي كتبها الله عليه بقوله سبحانه ﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾
وما الحياة الدنيا إلا مَتَاع الغُـرور.

١١٧ (موعظـــــــة)

عِبَاد الله إنَ العَجب كل العجبِ مِن إنسانٍ عاقلٍ أخبر أنّه سَيَسلك طَرِيقاً شائكاً وَعْراً مَلِيئاً بالمَخَاوُف والمُزْعِجاتِ والمَهَالِكِ وأنّ عليه أن يَتصوَّرَ هَذِهِ المخاوف والمخَاطِرَ والمهالكَ ويَتصوَّرَ آثارَهَا على مُستَقْبِلِه الأبَدِي والذي أخْبَرهُ أصْدَقُ القَائِلين وَأوْفَى الوَاعِدِين الذي أحاط بكل شيء علماً .

وَمَعَ ذلك تَرَاهُ غافِلاً لا اهْتِمَامَ لَهُ بذلكَ مُنصَرِفاً عن الابْتِعَادِ عن هذِهِ المهالكِ والمزَلّاتِ الفَظِيْعَةِ وَمُشْتَغِلاً بالدَّنَايَا والأمور التَّافِهَة من شُؤون الدنيا المَلْعُونةِ الملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه .

وما أصِيْبَ الإنسانُ بِمَرضٍ أشَدَّ من الغفلة الذي ربما تَحَوَّلَ إلى جُمود وقسْوَة ثم إلى لجاج وعناد ثم إلى كفر وجحود نسأل الله تعالى العافية .

ومِن أكْبَرِ الأدَلةِ على حُمُقِ الإنسانِ وغَبَاوَتِهِ وجَهْلِهِ أنه يَكُدُّ وَيَشْقَى مِن أجْلِ مُسْتَقْبَلٍ مَهْمَا طَالَ فلن يُجَاوِز الثمانين غَالباً وإن تجاوَزَهَا فهو كالمعدوم .

ومَعَ هذا فَيهْمِلُ إهْمَالاً كُلَّياً أو جُزْئِياً العَمَلَ مِنْ أجلِ مُسْتَقْبَل لا نِهَايَةَ لَهُ مُسْتَقْبَلَ الأبَدِ مُستقبل الخُلودِ فيالَهَا مِن خَسَارَةٍ لا عِوضَ لها ولا جَبْرُ منها ولا أمَلَ في تلافيها .

فيا أيُّها الغافل انْتَبِهْ واستَعِدَّ لِما أمامَكَ وتَصَوَّرْهُ تَصَوُراً صَحِيحاً يَظْهَرُ أثَرُهُ في جِدّكَ واجْتِهادِكَ فيما يُقربُكَ إلى الله لا يُفاجئك الأمْرُ وأنْتَ غَافِلٌ فَيَفُوتُكَ زَمَنُ الأمكان وتنْدَمُ وَتَحَسَّرَ قال تعالى وتقدس ﴿ **أتى أمر الله فلا تستعجلوه** ﴾ .

وقال الله جل وعلا ﴿ **إقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضـــــون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وأنذِرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **هنالك تبلو كل نفسٍ ما أسلفت** ﴾ وقال تعالى ﴿ **أن تقول نفسٌ يا حسرتا على ما فرطتُ في جَنْبِ الله وإن كنتُ لمن الساخرين** ﴾ الآيات .

إن الذين غمرَ الإيمانُ قُلوبَهم واستَحوذَتْ مَعْرِفتُهم على مشاعِرهم وَوِجدانهم هُمُ الذين أيْقَنُوا بلقاءِ ربهم وسَمَاعِ الحُكْمِ منه في مَصَائِرهم ، هَؤلاء هم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رَزَقهم الله يُنفقون .

الَّذِيْن قال الله تعالى مخبراً عنهم ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب مِن قبلِهم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا مِن قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ الذين هم من خشية ربهم مشفقون إلى قوله ﴿ **أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون** ﴾

الذين إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينَهم تَفيضُ مِن الدمع مما عرفوا من الحق الآية ﴿ **الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تُلِيَتْ عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ الآيتين .

﴿ **الذين يبيتون لربهم سُجَّداً وقياما** ﴾ الآيات . هَؤُلآءِ هم الذين رَعَوا لِلدِّيْنِ حُرْمَتَه واحْتَرَمُوا آدَمِيَّتَهُم وكَرامتَهم وَوَفَّقَهُم الله جل وعلا فبَنَوا لأنْفُسِهم صُروحَ المجدِ الخَالِد والعِز البَاقي والسَّعَادَةِ الأبَدِيَّة .

ولا يَبْعُد أن يكونَ مِن هؤلاء المذكورين الموصُوفين بالصفاتِ الحَمِيْدَةِ القائلُ لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لَجَالَدونا عليه بالسيُوف ومنهم الباكي حين حضرته الوفاة القائل إني لم أبْكِ جزعاً من الموت حرصاً على الدنيا ولكن أبكي على عَدَمِ قَضَاءِ وطَرِي مِن طاعةِ رَبي وقيام الليل أيام الشتاءِ.

ومنهم الباكي عندَ ما تَفُوتُه تَكبيرةُ الإحرام مَعَ الجماعةِ ومنهم الذي يُمْرَضُ إذا فاتَتْهُ الصلاةُ مَعَ الجَماعة .

ومنهم القائل لم أُصَلِّ الفريضةَ مُنفرداً إلاَّ مَرَّتَيْن وكأني لم أُصلِهمَا مَعَ أنه قارَبَ التِّسْعِينَ سَنَةً .

ومنهم مَن لم تَفُتْه صَلاةُ الجماعة أربعين سنة إلا مرةً واحِدَةً حينَ مَاتَتْ والدتُه اشْتَغَلَ بتَجْهِيزِها .

والقائلُ حِيْنَ ما قال له رجُلٌ أراكَ تُكثِر مِن حَمْدِ الله وشُكْرِهِ مَعَ أنه ابتلاكَ بِبَلاءٍ ما ابْتَلى أحداً بمثله الجُذام في أطرافِكَ وتَمزَّقَت الثيابُ عَلى جَسَدِكَ ولا زَوْجَةَ لَكَ ولَا وَلَد ولَا دَارَ ولا أهْلَ فما شأنُك فقال المُبْتلى :

شعــــــراً :

حَمِدْتُ الله ربي إذْ هَــــــدَاني إلى الإســـــلامِ والدِين الحَنِيفـــي
فَيذْكرُهُ لِسَــــاني كُلّ وَقْتٍ ويَعْرِفُه فـــــوآدِي باللَّطِيْـــــفِ

وكان بعضُ الموفَّقِيْن المُحَاسِبين لأنْفُسِهِم يَكْتُبُ الصَّلواتِ الخَمس في قِرْطَاس ويَدَعُ بَيْنَ كُلِّ صَلاتَين بَياضاً .

وكلّما ارْتكَبَ خَطِيئةً مِن كَلِمَةِ غِيْبَةٍ أو اسْتِهْزَاءٍ أوْ كَذَبَ كِذْبَةً أو تَكَلم فِيْمَا لَا يَعْنِيْهْ أو نَظَر إلى مَا لا يَحِلُ نَظَرُهُ إليه أو اسْتَمَع إلى مَا لَا يَحِلُ الاسْتِماعُ إليه أو أكلَ مُشْتَبهاً أو مَشَىء إلى ما لا يَحِل أو مَدَّ يَدَهُ إلى ما لا يَجُوزُ مَدُّهَا إليه .

ذكره في هذا البياض لِيَعْتَبِر ذُنُوبَهُ ويُحْصِيْها حَسَبَ قُدْرَتِهِ لِتُضَيِّق المحاسَبَةُ مَجَاري الشيطان والنَّفْسِ الأمارةِ بالسُوءِ .

ومقَامُ مُحَاسَبَةِ النفسِ يُقَلِّل الكلام فيما لا يَعْني ويَحْمِلُ الإنسانَ على تَقْلِيْلِ الذُنُوب وعلى الإكثارِ مِن الطاعاتِ لِمُقَابَلَةِ ما صَدَرَ مِنْهُ ولكنَّ هذا الطراز يَعِزُّ وُجودُه في زَمَانِنا هذا .

نُقِلَ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال : حَاسِبُوا أنفسَكم قَبْلَ أن تحَاسَبُوا وَزِنُوهَا قَبْلَ أن تُوزَنُوا وتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الأكبر على الله ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعرضُون لا تَخْفى منكم خَافيةٌ ﴾ .

فالمحاسبة تكون بِضَبْطِ الحَواس ورِعايَةِ الأوقات وإِيْثَارِ المُهِمَّاتِ وحفظ الأنفاس والحرص على أداء العبادات كاملة وبالأخص الصلاة فيكملها بشروطها المذكورة وأركانها وواجباتها وسننها بخُشُوع وخُضُوع وطُمأنِيْنَةٍ وسُكُون .

والعبد يَحْتَاجُ إلى السُّنَنِ الرَّوَاتِب لِتكمِيل الفَرائض ويَحْتَاجُ إلى النوافل لِتكميل السُنن ويحتاج إلى الآداب لِتكميل النوافل ومن الآداب تَرْكُ ما يشغل عن الآخرة .

قال بعضُهم إن الرجل لَيَشِيْبُ عَارِضَاهُ في الإسلام وما أُكْمِلَ لله صلاةً قِيلَ وَكَيْفَ ذَاكَ ، قال لا يُتِم خُشُوعَها وتَواضُعَهَا وإقباله على الله فيها .

رُوِيَ عن بعض أهل العلم في قول الله جل جلاله **﴿وقوموا لله قانتين﴾** قال القنوت الخشوع في الركوع والسجود وغَضُّ البَصر وخفض الجناح مِن رَهْبَة الله عَزَّ وَجَل .

وكان العلماء إذا قامَ أَحَدُهُمْ لِلصَّلاة هَابَ أن يَلْتَفِتَ أو يَعْبَثَ أو يحدث نفسه بشيء من شئون الدنيا إلا ناسياً .

وبلغنا عن بعض أهل العلم أنه قال : ركعتان خفيفتان مُقْتَصِدَتَان في تفكر وتدبر وتفهم لما يقوله ويفعله خَيْرٌ من قِيام لَيْلَةٍ والقلْبُ سَاهٍ في أَوْدِيَةِ الدُنْيا .

فالواجب على الإنسان إذا كان في الصلاة أن يجعلها هَمَّهُ ويُقْبلَ عليها مُفَرّغاً قَلْبَهُ وفِكرَهُ مِن كل ما يُشتِتُه لِيُؤدِيها كامِلَةً مُكَمَّلَةً .

فإنَّه لَيْسَ له منها إلا ما عَقَل منها مِن مَعَانِي الفاتِحة وما يَقْرأ مِن القرآن ومَعَانِي الرُكوع والسُجُود والقِيَام بَيْنَ يدي الله ومَعَانِي العبودية والمناجاة ومعاني التحيات والتكبيرات .

فكم بين رَجُلَيْن أحدهما قد أشْعَرَ قَلْبَه عَظمَةَ خَالِقِهِ الذي هُو واقفٌ بَينَ يَدَيْهِ فامْتَلأَ قَلْبُه مِن هَيْبَتِهِ وذَلَّتْ لَهُ عُنُقُه واسْتَحَى من رَبِّهِ أن يُقْبلَ على غيره أو يَلْتَفِتَ عنه .

وآخَرُ قد انْصَرفَ قَلْبُه إلى الدنيا يُفكِر فيها مُلْتَفِتاً يَميناً وشِمَالاً ولا يَفْهَمُ ما يخـــاطب به لأن قَلْبَهُ لَيْسَ حَاضِراً معه فَبَيْنَ صَلاتَيهِمَا كمـــا قال بعض أهل العلم .

إنّ الرجُلَين لَيكُونَانَ في الصلاة الواحدة وإنّ ما بينهما في الفضل كما بَيْنَ السَّماءِ والأرض وذلك أنَّ أحَدَهُمَا مُقْبِلٌ على الله عز وجل بِقلْبِهِ والآخَرُ سَاهٍ غَافِل يفكر في البيوع والخصومات والأماني والخسارات قد ذهب قلبه كل مذهب في أودية الدنيا .

وروي أن بعض الصحابة رضي الله عنهم كان يصلي في نَخْل له فَشُغِلَ بالنظر إلى النَّخْل فسها في صلاته فاستَعْظَم ذلكَ وقال أصَابَني في مالي فتنةٌ فجعل النخيل في الأرض صدقة في سبيل الله فبلغ ثَمنُ النَّخِيل خَمْسَيْنَ ألْفاً .

فلو أنّ الواحدَ منّا إذا فاتَتْهُ الصلاةُ مَعَ الجماعة تصدق في عشرة فقط لما فاتَتنا الصلاة مع الجماعة إلا نادرًا ورأيتَ ما يسرك من المحافظة على الصلاة وكثرة الجماعة وهذا علاج من أحسن العلاجات .

وينبغي استعماله عند ما يصدر كذب أو غيبة أو نظر محرم أو سماع محرم أو نحو ذلك مما يقوله الإنسان أو يفعله عمداً أو سَهْواً لِيَتأدَب ويَسْتَقِيم ويُقْتَدَى به اللَّهُمَّ اخْتِمْ لَنا بِخَاتِمَةِ السَّعَادَةِ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ كُتِبَتْ لَهُم الحُسْنَى وزِيَادَة اِغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلى اللَّهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

آخر : (مَوْعِظَة نَصِيحَـــة) ١١٨

يَسْمُوُ قَدرُ الإنسان وتَعلوُ دَرَجَتُه ومَنْزِلَتُه عند الله جَلّ وعَلا وعند خَلْقِهِ بِقَدْرِ ما يكون لَه مِن إستقامَةٍ وطهارةِ قَلْبٍ وسَلاَمَةِ صَدْرٍ وحُبٍّ لِلْخير لجميع المسلمين وَبُعْدٍ عن الشر والأذَى وتَضْحِيَةٍ بالنفسِ والمالِ في سبيلِ اللهِ وما يُقَرِّبُ

إلى الله وقَدْ امْتَدَحَ الله إبراهيم الخليلَ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام على ما وَهَبَهُ لَهُ مِن سَلامَةِ قَلْبٍ وعِزّةِ نَفْسٍ وصِدْقِ عَزِيمَةٍ وقُوّةِ إيْمَانٍ .

قال تعالى لما ذكرَ نُوحاً عليه السلام وأثنى عليه أعْقَبَهُ بذكر الخليل فقال « وإنّ مِنْ شيْعَتِهِ لإبراهيم إذْ جَاء رَبَّهُ بقَلْبٍ سَلِيْم ﴾ .

ومِن دُعاءِ إبراهيم عليه السلام ﴿ ولا تُخزِني يَومَ يُبْعَثُون يَومَ لا يَنْفَعُ مال ولا بَنُون إلا مَن أتَى الله بقلب سَليم ﴾ .

وسَلامَةُ القلب خلوصُه مِن الشركِ وقيل هو القلب الصحيح وهو قلب المؤمن لأن قَلْب الكافر والمنافق مريض وقِيل هو القلب السالم من البدعة المطمئن إلى السنة إنتهى .

قلت والذيْ أرَى أن السلامةَ الكامِلةَ لِلْقَلْبِ هي خلوصُه مِن الشركِ والشكِ والنِفاقِ والرياءِ وخُلُوهُ مِن الكبر والحقد والحَسَد والعُجب والمكر السيىء والغلّ والخُيلاءِ .

ونَقَاؤُهُ مِن الأمراض التي تُكَدِرّ الصَّفْوَ وَتُشَتِّتُ الشمْلَ وتخل بالأمن وتقطع الروابط والصلاتبين المُسْلِمِيْن وتُورثُ الضَغَائِنَ والأحقادَ وتُولِّدُ العداوةَ والبغضَاءَ بينَ المؤمنين .

وكان ﷺ يقول في دعائه « اللهم إني أسألك قلباً سليماً » فالقلب السليم هو السالم من الآفات والمكروهات كلها وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله وخشيته وخشية ما يباعد عنه .

وقد اكتفى إبراهيم عليه الصلاة والسلام بذكر سلامة القلب لأن القلب إذا صلح صلح الجسد كله كما في الحديث وإذا فَسَدَ فسد الجَسَدَ كُلُه .

ولأن القلوبَ إذا سَلِمَت سَلمت الجوارحُ اليدُ واللسانُ من الأذى والشرُور وسَلِمَتْ أموالُ الناس وأرواحُهم وأعراضُهم وقَلَّتِ الشُرور والجَرائم والآثام وقيل إن لقمان كان عبداً حَبَشياً فدفع إليه سَيِدُهُ شاةً وقال إذبَحْهَا

وائتِني بأطيب مُضْغَتَيْنِ منها فأتاهُ بالقِلْبِ واللسانِ ثم بَعدَ أيَّامٍ أتاهُ بشَاةٍ أخْرَى .

وقال له إذْبَحْهَا وأئتني بأخْبَثِ مُضْغَتَين منها فأتاهُ بالقَلْبِ واللسان فسألَهُ سَيِّدُهُ عن ذَلكَ فقال هُمَا أَطْيَبُ شَيْءٍ إذَا طَابَا وأخْبَثُ شيءٍ إذا خَبُثَا .

وذكر العلماء أن صلاح القلب :

(١) في قراءة القرآن بالتدبر والتفكر فيه وفيما صح عن النبي ﷺ .

(٢) في تقليل الأكل .

(٣) قيام الليل وإحياؤه بالعبادة .

(٤) التضرع عند السحر .

(٥) مجالسة الصالحين .

(٦) الصمت عما لا يعني .

(٧) العزلة عن أهل الجهل والسفه ومَن فرطت أعمارهم .

(٨) ترك الخوض مع الناس فيما لا يعني .

(٩) أكل الحلال وهو رأسها فإنه ينور القلب ويصلحه فتزكوا بذلك الجوارح وتُدْرأ المَفَاسِدُ وَتكثر المصالحُ فأكْل الحرام والمشتبه يُصَدِّي القلبَ ويُظْلِمُهُ ويُقَسِّيهِ وهو من موانع قبول الدعاء .

وقد قيل يخاف على آكل الحرام والشبْهةِ أن لا يُقَبلَ له عَمَل ولا يُرفُع لَهُ دُعاء لقوله تعالى ﴿ **إنما يتقبل الله من المتقين** ﴾ وآكل الحرام والمسترسل مع المشتبهات ليس بمُتَّقٍ على الاطلاق .

روى عن بعض أهل العلم أن الشيطان يقول خصلة من ابن آدم أريدها ثم أخِلّي بَيْنَه وبينَ مَا يُرِيْد مِن العبادة أجْعَلُ كَسْبَهُ من غَيْر حَلٍ إنْ تزوَّجَ تَزوَّج مِن حَرَامٍ وإن أفطرَ أفْطَر على حَرَامٍ ، وإن حَجَّ حَجَّ مِن حَرَام أ هـ .

فالحذر الحذر من الحرام في طلب القوت ، فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **إن الله طيب لا يَقْبَلُ إلا طيبا وإن الله أمر**

المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال ﴿ **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وأعملوا صالحا** ﴾ وقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم** ﴾ .

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء ويقول : يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذِي بالحرام فأنّي يُسْتَجَابُ لِذلك .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تليت هذه الآية عند رسول الله ﷺ ﴿ **يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طَيِّبًا** ﴾ .

فقام سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه فقال يارسول الله أدع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة فقال له النبي ﷺ « يا سَعْدُ أطِبْ مَطْعَمَكَ تكن مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده إن العبد لَيَقْذِفُ اللقمة الحرام في جَوْفِهِ ما يُتَقَبَّلُ منه عَمَلٌ أربعينَ يَوْمَا وأيُّما عَبدٍ نَبَتَ لَحْمُهُ مِن سُحْتٍ فالنار أوْلَى بِهِ » رواه الطبراني في الصغير .

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال من اشترى ثوباً بعشرة دراهم وفيه درهم من حرام لم يقبل الله عز وجل له صلاة ما دام عليه قال ثم أدخل أصبعيه في أذنيه ثم قال صُمَّتَا إن لم يكن النبي ﷺ سمعته يقوله رواه أحمد .

وروى أبو داود في المراسيل عن القاسم بن مُخَيْمِرَة قال قال رسول الله ﷺ « مَن اكْتَسَبَ مَالاً مِن إثم فوصَلَ به رَحِمَهُ أو تَصَدَّقَ به أوْ أنفَقَهُ في سَبِيْلِ الله جُمِعَ ذَلِكَ كُلُّه جَمِيْعاً فَقُذِفَ به في جهنم » .

وروي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « مَن اشْتَرىَ سَرِقةً وهو يَعلم أنها سَرِقةٌ فقد اشتَرَكَ في عارها وإثمها » رواه البيهقي .

اللهم يا عالمَ الخفياتِ وَيَا سَامِعَ الاصْواتِ ويَابَاعِث الأمْواتِ وَيَا مُجِيْبَ الدَعَواتِ وَيَا قَاضِيَ الحَاجَاتِ يَاخَالقَ الارض والسَّمواتِ أنْتَ اللهُ الاحدُ الصمدُ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يولَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد الوَهَّابُ الذي لا يَبْخَلُ والحَليمُ الذي لا يَعْجَلُ لا رادَّ لامْرِكَ ولا مُعَقِّبَ لِحُكمِكَ نَسْألكَ

أنْ تغفرَ ذنوبَنَا وَتُنورَ قلوبنَا وَتُثَبِّتَ مَحَبَّتَكَ في قُلوبِنَا وَتُسْكِنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إنك عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدِير وَصَلَّى اللهُ على محمدٍ وآلِه وَصَحْبِه أَجْمَعِيْنَ .

١١٩ مــوعظة

قَالَ اللهُ تَعالى ﴿ وَذَكِّرْ فَإن الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِيْنَ ﴾ وَقَالَ ﴿ فَذَكِّرْ إنْ نَفَعَتْ الذِّكْرَىٰ﴾ وَقَالَ تَعَالى ﴿ فَذَكِّرْ بِالقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيْدِ ﴾ فيَا عِبَاد اللهِ لَقَدْ خَاطَبَ اللَّهُ المؤمنينَ بقولِهِ ﴿ كُنتُمْ خيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنّاسِ تَأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ خَاطَبَهُمْ بِهَذَا الخِطَابِ الرّائعِ وَوَصَفَهُمْ بِهَذَا الوَصْفِ العَظِيْمِ ، بِأَنَّهُمْ خَيْرَ أُمَةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ ، وأنَّ مجتَمَعَهُمْ أَعْلا وَأَعزُّ مُجتمعٍ في العالم حاضِره وَمَاضِيهِ لِمَا اتَّصفُوا بِهِ مِن الصِفاتِ الفاضِلةِ ، والأَخلاقِ العالِيَةِ ، والغَيْرةِ الصَّادِقَةِ ، على حُدُودِهِ .

وَهَذا الوَصْفُ وَقْتَ انْ كـانُوا مُتَمَسِّكِينَ بِتَعَـالِيم دِيْنِهِمْ ، وَكَانَ الاسْلامُ وَبَهَاؤُهُ يَلُوحُ في أَعْمَالِهِمْ ، وَمُعَامَلاَتِهِمْ ، وَأَخْلاَقِهِمْ فَلاَ غِشَّ وَلاَ خِدَاعَ ولا كَذِبَ ، ولا خِيَانَةَ وَلاَ غَدْراً ، ولا نَمِيمَةَ ، ولا غِيْبَةَ ، وَلاَ ظُلْمَ وَلاَ نِفَاق وَلاَ رُشَا ولا مَلَق ولا رِيَاءَ ولا بَهْتَ ولا سُخْرِيَّةَ ولا عُقُوقَ ولا قَطِيْعَةَ

هَدَفَهُم القَضَاءُ عَلى المُنكَراتِ وإماتَتِهَا ، وإِعْزَازُ المَعْروفِ وَنَشْره بَيْنَ المسلمين ، وَهَذا يَدُلُّ على قوةِ إيمانِهم ، وَشِدَّةِ تَمَسُّكِهِمْ بِهِ وَرَغبةٍ في النَّجَاةِ التي وَعَدَ اللهُ بِهَا النّاهِي عَنْ السُّوءِ ، قال تعالى ﴿ فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوْا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِيْنَ يَنْهَوْنَ عَنَ السُّوْءِ وَأَخَذْنَا الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا بِعَذَابٍ بَئِيْسٍ بِمَا كَانُوْا يَفْسُقُوْنَ ﴾ .

فَيَا عِبَادَ اللهِ تَأَملوا حَالَتَنَا الحَاضِرَةِ ، وَحَالَةِ سلفنا الكِرام الذينَ

كانوا كلُّ مِنْهم يحبُّ لأَخِيهِ ما يُحبُّ لِنَفْسِهِ ، وَيَرْحَمُ كبيرُهم الصغيرَ ويوقرُ الصغيرُ الكبيرَ ، يَتآمَرونَ بالمَعروفِ ، وَيتناهَونَ عن المنكرِ ، يُنْصِفُونَ حَتَّى الأعْداءِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وأولادِهِمْ .

فَالقَويُّ عِنْدَهُمْ ضَعِيفٌ ، حَتَّى يُسْتَوْفى مِنه الحقُّ ، والضَعِيْفُ عِنْدَهم قَويٌ حَتَّى يَؤْخَذَ حَقُّهُ . إذا فَقَدُوا أَخَاهُم بَحَثُوا عنه فإنْ كانَ مَرِيضاً عادُوه وساوَوْهُ واذا مَاتَ شَيَّعُوهُ ، وانْ احتاجَ أَقْرَضُوهُ ، وَواسَوْه وإنْ نَزَلَ عليهم أَكْرَمُوه .

عامِلِيْنَ بقولِهِ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّم « مَثَلُ المؤْمِنِيْنَ في تَوَادِّهِم وتراحُمِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ إذا اشْتَكى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعى له سَائِرُ الجَسَدِ بالسهر والحمى » ، وحديثِ « المؤمنُ للمؤمِن كالبنيـانِ يشد بعضُـه بعضاً » .

أما نَحْنُ فحالَتُنا حالةٌ مُخيْفَةٌ جِداً لأَننَّا على ضِدِ ما ذَكَرْنَا مِن حالةِ سَلَفِنَا ولا حَاجَةَ إلى تَكْرارٍ ، أَلْقِ سَمْعَكَ وَقَلِّبْ نَظَرَكَ ، وأحضِرْ قَلْبَكَ تَـرَى ذَلِك بِعَيْنِ بَصيرتِكَ وَتَـرى مَا يُخِيْفُـكَ وَيُقْلِقُ رَاحَتَكَ وَيُقْضُ مَضْجَعَكَ من المنكرات في البيوتِ والأسواقِ والبر والبحر.

وإن شَكَكْتَ فَفَتِشْ على نَفْسِكَ تَجِدْ ذلك ، فالمُنْكَرُ نَرَاهُ بِأَعْيُنِنَا وَنَسْمَعُه بِآذَانِنَا بَلْ وفي بُيوتِنَا فهَلْ بيتكَ خالٍ من صِوَرِ ذواتِ الأرواح هَلْ هُوَ خالٍ مِن المِـذْيَاعِ ، هـل هُوَ خـالٍ من التّلفَزيـون ، والسِّيْنَمَاء والبَكَمَاتِ وَمُسَجّلاتِ الاَغاني ، هَلْ هو خالٍ مِنْ شَرابِ المُسْكراتِ ، هَلْ مَا يَأْتي لِبَيتِكَ إلا أُنَاسٌ طيبينَ طاهِري الأَخْلاقِ ، هَلْ هُوَ خالٍ من حَالقي اللِّحى هَلْ هُوَ خالٍ من المخَنْفِسِيْنَ ومطِيْلي أَظفارِهِمْ تَشَبُّهاً

باليَهُود ، وهَل هُو خالٍ من المتشبهينَ بالمَجُوسِ والمتشَبِهِيْنَ بالإفْرَنجِ ، هل هو خالٍ مِمَّن لا يَشْهُدونَ صَلاةَ الجَمَاعةِ أو لا يَصلونَ أَبَداً ، هَلْ هُو خَالٍ مِن النساء القاصَّاتِ لِرُؤ سِهِنَّ المُطِيْلاتِ لأظْفَارِهِنّ ، هَلْ هو خالٍ من شَرَّابِ أَبِ الخَبَائِث الدُّخَانِ ، ونحوهِ مِن المنكرات وأمَا في الاسْواقِ فحدِثْ عَن كثرةِ المنكرَاتِ ولَا حَرَجَ على حدِّ قولِ المتنبي :

وَقَــدْ وَجَـدَتُ مكــانَ القــولِ ذا سَعــةٍ
فــإن وجَــدتَ لِسَــانــاً قَــائــلاً فَقُــلِ

وَمَعَ ذَلِكَ فَلا أَلْسِنَةٌ تَنْطِقُ ولا قُلُوبٌ تَتَمَعَّرُ إلا النَّوادِرَ ، الموجودُ هو التلاومُ والقيلُ والقالُ ، والمداهَنَةُ ، والجُلوسُ مَعَ أَهْلِ المَعَاصِي ، وَمُحَادَثَتُهْم وَمُبَاشَرَتُهم وإظْهَارُ البِشْرِ لَهُمْ وَتَعْظِيْمُهمْ وَتَقْلِيدُهُمْ في الأقوالِ والأَفْعَالِ .

فَيَا عِبَادَ اللهِ اتقُوا اللهَ واسْلُكوا طريقَ سَلفِكُمْ واصْدعُوا بالحقِ وَأمْرُوا بالمَعْرُوفِ وانْهَوْا عن المُنْكَرِ ، واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيْعاً ولا تَفرَّقُوا ، وَكُونوا عِبادَ اللهِ إخواناً ، قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ مَا حَلَّ بِمَنْ قَبْلَكُمْ ، وَتُضْـرَبَ قُلوبُ بَعْضِكِم عَلَى بَعْضٍ ، قَبْـلَ فِتْنَــةٍ لَا تُصِيْبَنَّ الـذين ظَلَمُوْا منْكُم خاصَّةً ، قَبْلَ أنْ تُلْعَنُوا كَمَا لُعِنَ الذينَ مِنْ قَبْلِكُم ، بِسَبَبِ عَدَمِ تَنَاهِيْهِمْ عَنْ المُنْكَر .

قَالَ اللهُ تَعالى ﴿ لُعِنَ الَّذِيْنَ كَفرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائيلَ على لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيْسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوْا لَا يَتَنَاهُوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوْا يَفْعَلُوْنَ ﴾ .

فَيَا عبادَ اللهِ إِنَّ الأمْرَ بالمعروفِ والنَّهْيَ عَنْ المنكرِ لَمِنْ أَعْظَم

الشعَائِر الاسْلامِيّةِ ، وأقوَى الأسُس التي يقومُ عليهَا بناءُ المجتمعاتِ النزيهةِ الراقيةِ ، فَاذا لَمْ يَكنْ أمرٌ ولا نهيٌ أو كانَ ولكنْ كالمَعدوم ، فعلى الأخلاقِ والمُثْلِ العُلْيَا السَّلامُ ، وَيَلٌ يومئذٍ لِلْفَضِيْلَةِ مِن الرذِيلَةِ ، ولِلْمُتدَيِّنِين مِن الفَاسِقِيْنَ والمنافقين .

فَيا عبادَ اللهِ تَدارَكُوا الأَمْرَ قَبْلَ أنْ يَفوتَ الأَوَانُ وَتَعضُّوا على البَنَانِ فقدْ قَالَ لَكْم سيدُ ولدِ عَدْنان مَنْ رَأى منكَم منكراً فليغيْرِه بيدِهِ ، فانْ لَمْ يَسْتَطِع فبِلِسَانِه ، فان لَمْ يَسْتَطِعْ فبقلبِهِ وذلكَ أضْعَفُ الايْمَانِ .

عبادَ اللهِ بالأمْرِ بالمعروفِ والنّهْي عن المُنْكَرِ نأْمَنُ بإذنِ اللهِ على الدّينِ من الاضْمْحلالِ والتَلاشيَ ، ونَأْمَنُ بإذنِ اللهِ عَلى الأخلاقِ الفاضلةِ مِن الـذهابِ والانْحِلاَلِ ، والحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ مُخالَفَةِ القَولِ لِلفِعلِ ، فتأثيرُ الدَّعْوةِ بالفِعلِ أَقْوَى بكثيرٍ منْ الأقوالِ المجَّردَةِ مِن الأفْعَالِ .

وفي المُسْندِ وغيرِه منْ حَديثِ عروةَ عن عَائِشَةَ قالتْ دَخَلَ عَلَيَّ رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلمَ ، وقدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ فعَرَفْتُ في وجْههِ أنْ قَدْ حَفَزَهُ شَيءٌ ، فمَا تَكَلّمَ حتَى تَوَضَّأ وَخَرَجَ فلصِقْتُ بالحُجْرةِ ، فصَعِدَ المِنْبَر فحَمَدَ اللهَ وأثْنَى عَلَيهِ ، ثم قالَ أَيُّهَا الناسُ إنَّ اللهَ عَز وجَلَّ يقولُ لَكُمْ مُرُوا بالمَعْرُوفِ وانْهَوْا عَن المنكَرِ ، قَبْلَ أَنْ تَدْعُوني فَلا أُجيْبكم ، وتَسْتَنْصُروني فَلاَ أَنْصُركُم ، وتَسْألوني فَلا أُعْطِيكُمْ .

وقال العُمَري الزَّاهدُ إنَّ مِنْ غَفْلَتِكَ عنْ نَفْسِكَ وإعْرَاضِكَ عن اللهِ أَنْ تَرَى مَا يُسْخِطُ اللهَ فَتَجَاوَزَهُ ، ولا تَنْهَى عَنه ، خَوفاً مِمَّنْ لا يَمْلكُ لنفْسِهِ ضَراً ولا نَفْعَاً ، قُلْتُ ومَا أَكْثَرَ المُدلْسِين السَّاكِتينَ الذينَ يَمرّونَ بالجَالِسين أَمَامَ التلفِزيُونْ وعِندَ المذيَاع والكورةِ بلْ ولا يأمرُونَهم بالتّي

هِيَ أحْسَن ويَمُرّونَ بأولادِهِمْ في فُرُشِهِم ولا يُوْقِضونَهم لِلصَّلاةِ وكَأَنّ أَمْرَهُمْ أَمرٌ مُبَاحٌ إِنْ شَاءَ أَنْكَرَ وإن شَاءَ تَرَكَ ، وَقَالَ مَن تـرَكَ الأَمْرَ بالمَعْروف والنهيَ عن المنكر مَخَافَةً مِن المَخْلوقِينَ نُزِعَتْ منهُ الطَّاعةُ ، ولو أَمَرَ وَلَدَهُ أو بَعْضَ مَواليهِ لا اسْتَخَفَّ بِحَقِهِ .

وَذَكَرَ الامامُ أحمدُ عن عمرَ بن الخطابِ تُوشِكُ القُرَى أَنْ تَخْرُبَ وهي عامرةٌ قيلَ وكَيْفَ تَخْرُبُ وهِي عامِرةٌ ، قَالَ إذا عَلاَ فُجّارُها أَبْرَارَها وَسَادَ القبيلةَ مُنافِقُوها قلْتُ وممَّا يُؤَيّدُ ذَلِكَ قوله تَعالَى ﴿ وإذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيْهَا فَفَسقُوا فِيْهَا ﴾ الآية

اللهُمّ احفظنَا بالاسلامِ قائمينَ واحفظْنَا بالإسلامِ قَاعِدِينَ واحفظنَا بالإسلامِ رَاقدينَ ولا تُشمِتْ بنا الاعداءَ ولا الحاسِدينَ اللهمّ وعافِنا من محن الزّمانِ وعوارضِ الفِتنِ فإنَا ضعَفاء ، عن حَمْلها وإن كنّا مِن أَهْلها فَعافيتُكَ أَوْسَعُ يا واسعُ يا عليمُ واغفر لَنا ولوالِدينَا ولجميعِ المُسلمينَ يا أرحمَ الرَّاحِمينَ وصلى الله على محمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ .

آخـر :

١٢٠ مَـوْعِظَةٌ

اخْوَانِي : إنَّ قِيامَ الليلِ كَمَا عَلِمْتُمْ فِيهِ فَضْلٌ عَظِيمٌ وَثَوَابٌ جَزِيْلٌ لِمَن وَفَّقَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلاَ ، وَهُوَ مِنْ أَثقَل شَيءٍ عَلى النَّفْسِ وَلاَ سِيَّمَا بَعْدَ أَنْ يَرْقُدَ الانسَانُ ، وانَّمَا يَكُونُ خَفِيفاً بالاعْتِيَادِ ، وَتوطِينِ النَّفْسِ وَتَمْرِينِهَا عَلَيْهِ والمَدَاوَمَةِ والصَّبرِ عَلى المَشَقَّةِ والمُجاهَدَةُ في الابْتِدَاءِ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَنْشَرِحُ وَيَنْفَتِحُ بَابُ الأُنْسِ بِاللهِ وَتَلَذُّ لَهُ المَنَاجَاةُ وَالخَلْوَةُ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَشْبَع الانسَان مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ ، فَضْلاً عَنْ أَنْ يَسْتَثِقِلَهُ أَو يَكْسَلَ عَنْهُ كَمَا وَقَعَ لِكَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ . قَالَ بَعْضُهُم : أَهْلُ الليلِ في لَيْلِهم أَلَذُّ

مِن أهلِ اللهو في لَهْوِهِم وَيَا بُعْدَمَا بَيْنَ الحَالَتَيْنِ ، فَسُبْحَانَ مَنْ وَفقَ أَقْوَاماً فَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالنَّوافِل ، وَأَبْعَدَ بِحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ آخَرِيَن فَهُمْ عَنْ مَا يَنْفَعهم في حَاضِرِهم وَمَآلِهِم غَافِلُونَ .

شِــعْراً :

ذُنُـوبُـكَ يَــا مَغْـرُورُ تُحْصَىٰ وَتُحْسَبُ
وَتُـجْمَــعُ فـي لَــوْحٍ حَفِـيْظٍ وَتُكْـتَبُ

وَقَـلْبُــكَ في سَـهْــوٍ وَلَهْــوٍ وَ وَغَـفْلَةٍ
وَأَنتَ عَلى الـدُّنْيَا حَـرِيصٌ مُعَـذَّبُ

تُبَـاهِيْ بِجَمْـعِ المَــالِ مِنْ غَيْـرِ حِلِّهِ
وَتَسْعَى حَثِيْثاً في المَعَـاصِيْ وَتُــذْنِبُ

أَمَا تَذْكُـرُ المَوْتَ المُفَـاجِيْكَ في غَـدٍ
أَمَـا أَنْتَ مِن بَعْـد السَّـلامَـةِ تَعْـطَبُ

أَمَــا تَـذْكُــرُ القَبْـرَ الـوَحِيْش وَلَحْـدَهُ
بِـهِ الجِسْمُ مِن بَعْـدِ العَمَـارَةِ يَخْـرُبُ

أَمَـا تَـذْكُـرُ اليَـوْمَ الـطَّوِيْـلَ وَهُــو لَـهُ
وَمِيْــزانَ قِـسْطٍ لِلْـوَفَاءِ سَـيُنْــصَـبُ

تَــرُوْحُ وَتَغْـدُو فِي مَــرَاحِــكَ لاَهِيــاً
وَسَــوْفَ بِــأَشْــرَاكِ الـمَنِيَّــةِ تَنْشَـبُ

تُعَـالِجُ نَـزْعَ الرُّوحِ مِنْ كُـلِّ مَفْصِـلٍ
فَــلاَ رَاحِـمٍ يُنْجِى وَلاَ ثَـمَّ مَهْــرَبُ

وَغُمضَتِ العَيْنَانِ بَعْدَ خُرُوجِها
وَبُسِّطَتْ الرِّجْلاَنِ وَالرَّأْسُ يُعْصَبُ
وَقَامُوا سِرَاعاً فِي جِهَازِكَ أُحْضِرُوا
حَنُوطاً وَأَكْفَاناً وَلِلْمَاءِ قَرَّبُوا
وَغَاسِلُكَ المَحْزُونُ تَبْكِي عُيُونُهُ
بِدَمْعٍ غَزِيرٍ وَاكِفٍ يَتَصَبَّبُ
وَكُلُّ حَبِيبٍ لُبُّهُ مُتَحَرِّقٌ
يُحَرِّكُ كَفَّيْهِ عَلَيْكَ وَيَنْدُبُ
وَقَدْ نَشَرُوا الأَكْفَانَ مِنْ بَعْدِ طَيِّهَا
وَقَدْ بَخَّرُوا مَنْشُورَهُنَّ وَطَيَّبُوا
وَأَلْقَوْكَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ وَأَدْرَجُوا
عَلَيْكَ مَثَانِي طَيِّهِنَّ وَعَصَّبُوا
وَفِي حُفْرَةٍ أَلْقَوكَ حَيْرانَ مُفْرَداً
تَضُمُّكَ بَيْدَاءُ مِنَ الأَرْضِ سَبْسَبُ
إِذَا كَانَ هَذَا حَالُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا
فَكَيْفَ يَطِيْبُ اليَومَ أَكْلٌ وَمَشْرَبُ؟!
وَكَيْفَ يَطِيْبُ العَيْشُ وَالقَبْرُ مَسْكَنٌ
بِهِ ظُلُمَاتٌ غَيْهَبٌ ثُمَّ غَيْهَبُ
وَهَوْلٌ وَدِيْدَانٌ وَرَوْعٌ وَوَحْشَةٌ
وَكُلُّ جَدِيدٍ سَوْفَ يَبْلَى وَيَذْهَبُ
فَيَا نَفْسُ خَافِي اللهَ وَارْجِي ثَوابَهُ
فَهَادِمُ لِذَاتِ الفَتَى سَوْفَ يَقْرُبُ

وَقُــولِي إلَـهِي أَوْلِنِي مِـنْــكَ رَحْمَــةً
وَعَـفْــواً فــانَّ اللهَ لِـلذَّنْـبِ يُـذْهِـبُ

وَلاَ تُحْـرِقَنْ جِسْمِي بِنَــارِكَ سَيِّــدِيْ
فَجِسْمِيْ ضَعِيفٌ وَالـرَّجَا مِنْـكَ أَقْـرَبُ

فَمَــا لِيَ إلاَّ أَنْتَ يَـا خَــالِقَ الـوَرَىٰ
عَلَيْــكَ إتِّكَــالِيْ أَنْتَ لِلْخَلْقِ مَهْــرَبُ

وَصَـلِّيِ إلَـهِـيْ كُـلَّمَـا ذَرَّ شَــارِقٌ
عَلَى أَحْمَـدَ المُخْتَـارِ مَـا لاَحَ كَـوْكَبُ

اللهم انا نَعُوذُ بِكَ مِن الشَّكِ بَعْدَ اليَقِيْنِ ، وَمِن الشَّيْطَانِ الرجيم ، ومِن شَدَائِدِ يَوْم الدِيْن ، وَنَسْألكَ رِضَاكَ والجَنَّةَ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِن سَخطِكَ وَالنَّارِ ، اللهم ارْحَمْنَا إذا عَرِقَ الجَبِيْنُ واشْتَدَّ الكَرْبُ والأنِيْنُ ، واغفر لنا ولوالدينَا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمين الأحياء منهم والمَيتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْن وصلى الله على محمدٍ وعلى آلِه أجمعين .

آخـر : ١٢١ « موعظة »

فَيَا أَيُّهَا المُهْمِلُونَ الغَافِلُون تَيَقَّظُوا فَإلَيْكُم يُوجَّهُ الخَطَابُ ويَا أَيُّها النَّائِمونَ انْتَبِهُوا قَبْل أنْ تُنَاخَ لِلرحِيْلِ الركابْ قَبْلَ هُجُوم هَادِمِ اللذَّاتِ ومُفَرِقَ الجَمَاعَاتِ ومَذِلِ الرِقابِ ومُشَتِتِ الاَحْبَابِ فيَا لَهُ مِنْ زَائِرٍ لا يَعُوقُهُ عَـائِق ولا يُضْـرَبُ دُوْنَـهُ حِجَـاب ، وَيَالَهُ من نــازِلٍ لا يَسْتَـأذِنُ على المُلوُكِ ولا يَلِجُ مِنْ الأَبْوَابِ ، و لا يَرْحَمُ صَغِيراً ولا يُوَقِّرُ كبِيراً ولا يَخافُ عَظِيماً ولا يَهابُ ألا وانَّ بَعْدَهُ مَا هو أعْظَمُ مِنْهُ مِنْ السُؤَالِ والْجَوابِ ،

وَوَرَاءَهُ هَوْلُ البَعْثِ والحَشْرِ وأحْوَالِ الصِّعَاب مِن طُوْل المَقَامِ والازدِحَام في الأجسَامِ والمِيزانِ والصِّرَاطِ والحِسَابِ ،

اللَّهُمَّ أَيْقِظْ قُلُوبَنَا وَنَوِّرْهَا بنُورِ الايْمَان وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنَا الْمَعْرِفَةَ بِكَ عَنْ بَصِيْرَةٍ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لِطَاعَتِكَ وَامْتِثَالِ أَمْـرِكَ وَاغْفِـرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين والله أعلم وصلى الله على محمد واله وصحبه وسلم .

آخــر : ١٢٢ موعظــة

عباد الله : تَصَرَّمَت الأعوامُ عاماً بعدَ عام ، وأنتم في غَفْلَتِكمُ ساهون نيام . أما تُشَاهِدونَ مَواقِع المنايا ، وحلولَ الآفاتِ والرَّزَايَا . وكَيفَ فازَ وأفلحَ المتقون ، وكيفَ خَابَ وخَسرَ المبطلون المفرطون فياليتَ شِعِرْي على أيِ شيءٍ تُطْوَى صَحَائِفُ الأعمال أعَلَىَ أعْمالٍ صَالِحَةٍ وتوبةٍ نَصوُح تُمْحىَ بها الآثامْ ، أم علىَ ضِدِهَا فَلْيَتُبِ الجاني إلى رَبه ، فالعملُ بالخِتام . فاتقوا الله عبادَ الله واستدِركُوا عُمُراً ضيعتمُ أوّلَهُ ، فإنَّ بَقِيَةَ عُمُرِ المُؤْمِنِ لا قيمة له . فرحِمَ الله عبداً اغتنمَ أيامَ القُوةِ والشبابِ ، وأسرعَ بالتوبةِ والإنابةِ قَبلَ طيِ الكِتابْ ، وأخَذَ نَصِيْباً مِن الباقياتِ الصالحات ، قَبْلَ أن يَتَمَنَّىَ سَاعةً واحدةً مِن سَاعاتِ الحياةِ . أينَ مَنَ كان قَبْلَكُم في الأوْقَاتِ الماضيةِ ، أما وَافَتْهمُ المنايا وقَضَتْ عَليهم القَاضِيَةُ ، أين آباؤُنَا وأينَ أمهَّاتنا أينَ أقارِبُنا ، وأينَ جيرَانُنا ، أينَ مَعَارفُنا وأينَ أصْدِقَاؤُنَا . رَحَلوُا إلى القُبور وقلَّ واللهِ بَعدهَم بُقَاؤُنا . هَذِهِ دُورُهَمُ فيها سِوَاهمُ ، هَذا صَدِيقُهم قدَ نِسَيَهْم وجَفَاهمُ . أخبارهُم السَّاَلفَةُ تُزعِجُ الأَلْبَابْ ، وَادِّكارُهم يَصْدَعُ قُلُوبَ الأحباب . وأحْوالَهُم عِبرةٌ لِلمُعْتَبِرِينَ . فتأملوا أحْوال الراحِلين ، واتعظُوا بالأُمَمَ الماضِين ، لعل القلبَ القاسيَ يلينْ . وانْظُرُوا لأَنْفُسِكم ما دُمتمُ في زَمَنِ الإمهالِ ، واغْتَنِموُا في حَيَاتكُمُ صَالحَ الأعمالِ ، قَبلَ أن تقولَ نَفسٌ يا حَسْرَتَي

على ما فرّطتُ في جَنْبِ الله ، فيقالُ هَيهاتَ فَاتَ زَمَنُ الامِكانِ ، وَحَصَلَ الإنسانُ على عَمَلِهِ مِن خَيْرٍ أو عِصيّان . فنسألك اللهم يا كريم يا منان ، أن تختم أعمالنا بالعفو والغفران ، والرحمة والجود والامتنان ، وأن تجعل وقتنا مُباركاً حميداً ، وتَرْزُقَنَا فيه رِزْقاً واسِعاً وتَوفِيقاً وتَسْدِيداً . اللهم اخْتمُ بالصالحاتِ أعمالنا ، وأصلح لنا جميع أحوالنا .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ عَمَّ البَرِيَّةَ جُوْدُهُ وَإنْعَامُه نَسْأَلُكَ أَنْ تَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ ، وَجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَى اللهُ عَلَى مُحَمدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

١٢٣ مَـوْعِظَـة

عِبادَ اللَّه إن النَّاسَ في هَذا الزَّمَنْ لَمْ يَعْرِفُوا رَبَّهُمْ المَعْرِفَةَ التي تَلِيْقُ بِجَلاَلِهِ وَعَظَمَتِه وَلَو عَرَفُوه حَقَّ المَعْرِفَةَ لَمْ يَكُونُوا بِهَذِهِ الحَال لأنَهُ من كَانَ باللَّهِ أَعْرَفْ كَانَ مِنْهُ أَخْوَفْ إنَّ العارِفَ باللهِ يَخْشَاهُ فَتَعْقِلُهُ هَذه الخَشْيَةَ بإذْن اللهِ عَمَّا لا يَنْبَغِي مِن الأقوالِ والأفعالِ قالَ اللَّهُ تَعالى : ﴿ إنَّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ ﴾ .

العارِفُ بِاللّهِ لاَ يَجْرَؤُ أنْ يُحَرِّكَ لِسَانَهُ بِكَلِمَةٍ مِنَ المُنْكَرَاتِ أَفْعَالٍ أَوْ أقوالٍ كالغيبةِ والنَّمِيْمَةِ والكذبِ والقَذفِ والْفِسْقِ والسُّخْرِيَةِ والاسْتِهْزاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَلا يَسْتَعْمِلُ عُضْواً مِنْ اعْضَائِهِ في عَمَلٍ لَيْسَ بِحَلالٍ بَلْ يَكُفُّ بَصَرَهُ وَسَمْعَهُ وَيَدَهُ وَرِجْلَهُ عَن المُحَرمَّاتْ لأَنَّهُ يؤمِنُ حَقَّ الايمانِ بأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلا مَهْمَا تَخفَّى وَتَستَّرَ العَبْدُ عَنْهُ فإنَّهُ يَرَاهُ .

والعارِفُ باللّهِ لا يَنْطَوي عَلى رَذِيْلَةٍ كالْكِبْرِ والْحِقْدِ والْحَسَدِ وَسُوءِ الظَّنِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الرَّذَائِلِ المَمْقُوتاتِ لأنَّهُ يُصَدِّقُ أنَّ اللهَ لاَ يَخْفَى عَلَيهِ

شيء في الأَرْضِ وَلاَ في السَّمَاءُ وأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا تُكِنّهُ الصّدورُ ، كَمَا يَعْلَمُ العلاَنِيَة ، فَلاَ يَسْترِيْحُ العارِفُ حَتّى يَكُونَ باطِنُهُ كَظَاهِرِهِ مُطَهّراً مِنْ كُلّ فَحْشَاءٍ وكذلك لا تَسْمَعُ مِنْ فَمِ العارِفِ عِنْدَ نُزُولِ المصَائِبِ والْبَلاَيَا وَالشّدَائِدِ إلاَّ الْحَسَنَ الجميلَ فَلاَ يَغْضَبُ لِمَوْتِ عزيزٍ أَوْ فَقْدِ مَالٍ أَو مَرَضٍ شَدِيْدٍ طَوِيْلٍ لأَنَهُ يَعْلَمُ أَنْ غضبَهُ وَتَسَخُّطُهُ يُفَوّتُ عَلَيهِ أَجْرَهُ وَلاَ يَرُدُّ مَا فَاتَ كَمَا قِيْلَ :

لا تَـلْقَ دَهْـرَكَ إلاَّ غَيْـرَ مُـكْـتَـرِثٍ
مَـا دَامَ يَصْحَبُ فيـهِ رُوْحَـكَ الْبَـدَنُ
فَـمَـا يَـدُومُ سُـرورٌ مَـا سُـرِرْتَ بِـهِ
وَلاَ يَـرُدُّ عَـلَيْـكَ الـفَـائِـتَ الْـحَـزَنُ

وَلاَ يَيْأَسُ العَارِفُ مِنْ زَوالِ شِدّةٍ مَهْمَا اسْتَحْكَمَتْ فَإنَّ الْفَرَجَ بِيَدِ

اللّهِ الّذِي قَالَ وَقَوْلُهُ الحَقْ إنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إنّ مَعَ العُسْرِ يُسْرا وَلاَ يَيْأَسُ مِن حُصُولِ خيرٍ مَهْمَا سَمَا وابْتَعَدَ لأَنَهُ يُؤْمِنُ أَنَّ الأَمْرَ بِيَدِ مَنْ إذا أَرادَ شَيْئاً قالَ لَهُ كُنْ فَكَانْ وإن بَدَا مُحَالاً في نَظَرِ الجُهَلاَءِ وَلا يَقْنَطُ الْعَارِفُ وَلاَ يُقَنِّطُ مُؤْمِناً مِنْ رَحْمَةِ اللهِ الّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ وانْ كَانَتْ ذُنُوبُهُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ والرِّمالِ وَلاَ يُؤَمِّنُ الْعارِفُ مُسْتَقِيْماً مِنَ الْعَذَابِ مَهْمَا كَانَ العَمَلُ مِنَ الصّالحاتْ لأَنّهُ يُصَدّق أنّهُ يَغْفِرُ الذّنُوب جَميعاً وانّهُ لَهُ الْحُجّةُ الْبَالِغَةُ وأَنَّ القُلوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِن اصَابِعهِ جلّ وَعَلاَ فَلاَ تَغْفل عَنْ ذَلِكَ وإنْ أَهْمَلَهُ الكثيرُ مِنَ النّاسِ .

★ ★ ★

اللَّهُمّ ظَلَمْنَا أَنْفُسنا فاغفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَهَبْ لَنا تَقْوَاكَ وَاهْدِنَا بِهُدَاكْ وَلَا تَكِلْنَا إلى أَحدٍ سِواكَ واجْعَلْ لَنَا مِن كُلِّ هَمٍ فَرَجًا ، وَمِنْ كُلِّ ضِيْقٍ مَخْرَجًا اللَّهُمّ اعِذْنَا بِمُعَافَاتِك مِنْ عُقُوبَتِكَ وَبِرِضَاكَ مِنْ سَخطِك واحْفَظْ جَوارِحَنَا مِنَ مُخَالَفَةِ أمرِكْ واغفرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَميعِ المسلمينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُم والميتينَ بِرَحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الرّاحِمين وصلى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ أجمعينْ .

١٢٤ موعظة

عَبَادَ اللهِ انَّ مِنْ تَعْظِيم رَبِّنَا جَلَّ وَعَلا تِعْظِيمُ كُتُبِه وَرُسُلِه وَذَلكَ مِنْ أصولِ الايمانِ فَمَن اسْتَخَفَّ بكتابِ اللهِ أو آيةٍ مِنْهُ أو اسْتَخَفَّ بِرُسُلِهِ خَسِرَ كُلَّ الْخُسْرَانِ عِبادَ اللهِ أيْنَ الْغَيْرَةُ الدِّينِيَّةُ كُلَّ يومٍ نَجْدُ الكُتَبَ التي تَحْتَوي على التَّوْحِيدِ وَعَلى الآياتِ مِن كتابِ اللهِ وعلى الأحاديثِ الشريْفةِ مُلْقات مَعَ القَمَائمِ وفي الْحُفَرِ الْقَذِرَةِ تُدَاسُ بالنِّعالِ وَتُلَوَّثُ بالأَقذَارِ تُلَوَّثُ تَلوْيثاً تَسْتَغيثُ مِنْهُ العواطِفُ الايْمانِيّةِ ألَيْسَ هَذَا مِن المُنْكَراتِ لِمَاذَا لا تُصَانُ وتُرْفَعُ أوْ تُقْبَرُ في مَحِّلٍ طَاهِرٍ .

قُوْلُوا لِمَنْ يُلْقِيْهَا وَلِمَنْ يَقْدِرُ على مَنْعِهِمْ مِن الْقَائِهَا اتَّقُوا اللَّهَ هَذِهِ حالةٌ واللهِ تُؤْلِمُ النفوسَ وتُشْمِتُ بِنَا الأعداءَ قُوْلُوا لَهُمْ كيفَ تَسْمَح نُفُوسُكُمْ تُلْقُونَهَا هَذَا الالْقَاءِ الْحَقِيرَ وَكَذلِكَ كُتُبُ فِقْهٍ وانْ لَمْ يَكُنْ فِيْهَا آياتٌ وَلَا أَحَادِيْثُ يَنْبَغِي احْتَرامُهَا وَرَفْعُها .

وكذلِكَ يَنْبَغِي التَّنْبِيْهِ على بَعْضِ الكُتُبِ التي جُمِعَ والْعِيَاذُ باللهِ بِهَا مَعَ الآياتِ الْقُرآنيةِ والأحاديثِ النبويةِ صُوَرُ ذَواتِ الأرواحِ وقد تكونُ فوقَ الآيَةِ خُصُوصَاً إذَا أُطْبِقَ الكتابُ وَهَذَا واللَّه اسْتِهَانَةٌ عَظِيْمَةٌ وَاسْتِخْفَافٌ

بالآياتِ والآحاديثِ والكُتُبِ الدِّينيةِ لَا يَجُوزُ السّكوتُ على هذهِ الحالةِ المُزْرِيَةِ .

وَمِمَّا يَنْبغي التَّنبيهُ عَلَيْهِ هُوَ عَدَمُ وَضْع الآيـاتِ والأحَادِيْثِ في الجَرَائِدِ بَلْ يشارُ إلى مَحَلَّاتِها وأَرْقَامِها لِأَنَّ الجَرائدَ صارَتْ قِسْمٌ كبيرٌ مِنْ قُمَامَةِ المَحلاتِ وَفِيهَا صُورُ ذواتِ الأَرْوَاحِ وهذِهِ حَالةٌ مُخِيْفَة إنْ دَامَتْ مَعَ مَا انْتَشَرَ مِن المُنْكَراتِ والمَعاصِيَ الَّتي مَلأتِ البرَّ والبَحْرَ يُخْشى أنْ تُحِيْطَ بِهِمْ عُقُوبَتُهَا .

نسألُ اللّه أنْ يُنَجِّيْنَا مِنْ عُقوبَتِهَا وأنْ يُوْقِضَ وَلاَتَنا وَيُنَبِّهَهَمْ لإزَالَتِهَا وَتَطْهِيرِ الأرضِ مِنْهَا إنَّهُ القَادِرُ على ذَلِكَ وَلاَ أَرَى مَخْلِصاً لِلانْسَانِ الذي قَدْ ابْتُلَى بِشِراءِ الجريدةِ حَمَّالَةِ الْكَذِبِ قَتَّالةِ الوَقْتِ إلاّ أنَّهُ يُحْرِقُهَا مِنْ حِينَ يَخْلَصُ مِنْ قِرَاءتِها لِيَسْلَمَ مِن باقِي شُرُورِها وَأُوزَرَارِها .

وَسَوْفَ يُنَاقَشُ عَنْهَا يومَ القيامةِ عَنِ الوَقْتِ الَّذِي ضَيَّعَهُ فِيها والمالُ الذي أنفقهُ فِيها وَما حَصَل بِسَبَبِهِ على الآياتِ والأحاديثِ التي فِيهَا مَنْ الاسْتِهَانَة والامْتِهَانِ واخْرَاجِ الملائِكَةِ عن الْمَحَلِّ التَّي وَضَعَهَا فِيه إذا كانَ فِيهَا صُوَرِ ذَواتِ الأرْوَاحِ حَيثُ أنَّ الملائِكَةَ لا تَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ صُورَةَ .

اللهمَّ انظِمْنا في سِلكِ حِزبِكَ المُفلِحِين ، واجْعلنا مِنْ عبادِكَ المُخْلِصين وآمِنَّا يومَ الفَزَعِ الأكبَرِ يومَ الدِين ، واحشُرْنا مَعَ الذين أنعمْتَ عليهم مِنَ النَبيين والصِّدِّيقينَ والشُهداء والصالحينِ واغفِرْ لنا ولوالدِينا ولجميعِ المسلمينَ الأحياءِ منهمْ والميتينَ برحمتِكَ يا أرْحمَ الراحمينَ ، وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعِين .

١٢٥ موعظة

عِبَادَ اللهِ لا شَيء أَغْلى عَليكُمْ مِن أعمارِكُمْ وَأَنْتُم تُضَيِّعُونَهَا فيما لا فَائِدَةَ فيه . وَلَا عَدُوَّ أعدَى لَكُمْ مِنْ إِبْلِيسَ وَأَنْتُمْ تُطِيْعُونَهُ ، ولا أَضَرَّ عَليكُمْ مِن مُوافقَةِ النَّفْسِ الامَّارَةِ بالسُّوءِ وأَنْتُم تُصَادِقُونَهَا ، لَقَدْ مَضَى مِن أعمارِكُمْ الاطَايِبُ ، فما بَقِيَ بعد شَيْبِ الذوائِبِ .

يا حاضِرَ الجسم والقلبُ غائبُ ، اجتماعُ العَيْبِ مَعَ الشَّيبِ مِن أعظَم المَصَائِب ، يَمْضِي زَمَنُ الصِّبَا في لَعِبٍ وسَهْوٍ وَغَفْلَةٍ ، يا لَهَا مِن مَصَائِب ، كَفَى زاجراً واعظاً تشيْبُ منه الذَوَائِب ، يا غافلاً فاتَه الأَرْبَاحُ وَأَفْضَلُ المَنَاقِبِ ، أَيْنَ البُكاءُ والحَزَنُ والقلقُ لِخَوفِ العظيمِ الطالبِ أَيْنَ الزَّمَانُ الذي فَرَّطْتَ فيهِ ولَمْ تخشَ العَواقِبَ ، أَيْنَ البُكَاء دَماً عَلى أَوقَات قُتِلَتْ عندَ التَّلَفِزْيُون والمِذياعِ والكُرَةِ والسِيْنَماءِ والفيديُوْ والخَمْرِ والدُّخَانِ والمَلاعِبْ .

كَمْ في يومِ الحَسْرةِ والنَّدامَةِ مِن دَمعٍ سَاكِبْ على ذُنُوبٍ قَد حَوَاها كِتابُ الكَاتِبْ ، مَنْ لَكَ يَومَ يَنْكَشِفُ عَنْكَ غِطَاؤكَ في مَوقِفِ المُحَاسِبْ ، إذا قيلَ لَكَ مَا صَنَعْتَ في كُلِّ وَاجِبْ ، كَيْفَ تَرْجُو النجاةَ وأنتَ تَلْهُوْ بِأَسِرِ المَلَاعِبْ ، لقد ضَيَّعتكَ الأَمَاني بالظن الكاذِب ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الموتَ صَعْبٌ شَديْدُ المَشَارِبْ ، يُلْقِي شَرَّهُ بكاسٍ صُدُوْرِ الكَتائِبْ ، وأَنَّهُ لا مَفَرَّ مِنْهُ لِهَارِبْ فانظرْ لِنَفْسِكَ واتَّقِ اللهَ أَنْ تَبْقَى سَلِيْماً مِن النَّوائِبِ فقدْ بَنَيْتَ كَنَسجِ العنكبوتِ بَيْتاً أَيْنَ الذينَ عَلَوا فوقَ السُّفنِ والمراكبِ أينَ الذينَ عَلَوْ على مُتونِ النجائِبِ ، هَجَمت عليهِمْ المنَايَا فأصبحوا تَحْتَ النصَائِبْ وأنتَ في أَثَرِهِمْ عن قريبٍ عَاطِب ، فانظرْ وَتَفَكَّرْ

واعْتَبِرْ وَتَدَبَّرْ قبلَ هُجُومِ مَن لا يَمنعُ عنه حَرَسٌ ولا بابٌ ولا يَفوتُهُ هَرَبُ هارِب .

شــعراً :

وكيفَ قَــرَّتْ لِأَهْــلِ العِلمِ أَعْيُنُـهُمْ
أَوْ اسْتَلَذُوْا لَـذيـذَ النَــومِ أَو هَجَعَـوا
والمــوتُ يُنــذِرُهُمْ جَهْــراً عــلانـيــةً
لَـوْ كانَ لِلقـومِ أَسْمَـاعٌ لَقـد سَمِعُـوا

والـنــارُ ضــاحِيَــةٌ لا بُــدَّ مَــوْرِدُهُــمْ
وليسَ يَــدْرُونَ مَن يَنْجُــو وَمَنْ يَقَــعُ
قَــدْ أَمْسَتْ الــطيــرُ والأنعــامُ آمِنــةً
والنّـونُ في البَحرِ لا يُخْشَى لهَـا فَزَعُ
والآدَمِيُّ بـهــذَا الـكَسْـبِ مُــرْتَـهَـنٌ
لــه رَقـيــبٌ عــلى الأَسْــرارِ يَـطَّلِعُ

حَتّى يُـرَى فِيـه يـومَ الجَمْـعِ مُنْفَـرِداً
وَخَصْمُــهُ الجِلْدُ والأَبْصَــارُ والسَّـمَــعُ
وإذْ يَـقــومُــونَ والأشـهــادُ قــائِـمــةٌ
والجِنُّ والإِنسُ والأمـلاكُ قـد خَشعُـوا
وطـارتْ الصُّحْفُ في الأَيْـدِي مُنْشَّـرَةً
فـيهـا الـسَّــرائــرُ والأَخْـبَــارُ تُـطَّلَعُ
فـكـيـفَ بــالنّــاسِ والأنـبــاءُ واقـعَـةٌ
عَمَّــا قَلِيـلٍ وَمَــا تَـدْرِي بِمَــا تَقَــعُ

أَفِي الجِنَـانِ وَفَـوزٍ لا انقـطاعَ لَـهُ
أمْ في الجَحِيمِ فـلا تُبْقِي ولا تَـدَعُ
تَهْـوِيْ بُسُكَّـانِهَـا طَـوْراً وَتَـرْفَعُهُـمْ
إذا رَجَـوْا مَخْـرَجـاً مِنْ غَمِّهَـا قُمِعُـوا
طَـالَ البُكَـاءُ فَلَم يَنْفَـعْ تَضَـرُّعُـهُم
هَـيْهَـاتَ لا رِقَّـةٌ تُـغْنِـي ولاَ جَـزَعُ

اللهم ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَنَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُور الإِيمانِ واجعلنا هُدَاةً مُهْتَدِيْن وآتِنا في الدُّنيا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وقِنَا عذَابَ النارِ واغْفِرْ لَنَا ولوالدينا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

١٢٦ مَوْعِظَةٌ

كَتَبَ عُمَر بْنُ عَبْدِ العَزِيْزِ إلى القُرَظِي أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِيْ كِتَابُكَ تَعِظُنِي وَتَذْكُرُ مَا هُوَ لِيْ حَظٌّ وَعَلَيْكَ حَقٌّ وَقَدْ أَصَبْتَ بِذَلِكَ أَفْضَلَ الأَجْرِ انَّ المَوْعِظَةَ كالصَّدَقَةِ بَلْ هِيَ أَعْظَمُ أَجْراً وَأَبْقَى نَفْعاً وَأَحْسَنُ ذُخراً وَأَوْجَبُ عَلَى المُؤْمِنِ حَقاً ، لَكَلِمَةٌ يَعِظُ بِهَا الرَّجُلُ أَخَاهُ لِيَزْدَادَ بِهَا في هُدًى رَغْبَةً خَيْرٌ مِنْ مَالٍ يَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَيْهِ وَانْ كَانَ به إلَيْهِ حَاجَةٌ وَلَمَا يُدْرِكُ أَخُوْكَ بِمَوْعِظَتِكَ مِنْ الهُدَى خَيْرٌ مِمَّا يَنَالُ بِصَدَقَتِكَ مِنْ الدُّنْيَا وَلأَنْ يَنْجُوَ رَجُلٌ بِمَوْعِظَتِكَ مِنْ هَلَكَةٍ خَير مِنْ أَنْ يَنْجُوَ بصَدَقَتِكَ مِنْ فَقْرٍ .

فَعِظْ مَنْ تَعِظُ لِقَضَاءِ حَقٍّ عَلَيْكَ وَاسْتَعْمِلْ كَذَلِكَ نَفْسَكَ حِيْنَ تَعِظُ

وَكُنْ كَالطَّبِيْبِ المُجَرِّبِ العَالِمِ الذِيْ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ إِذَا وَضَعَ الدَّوَاءَ حَيْثُ لَا يَنْبَغِي أَعْنَتَ نَفْسَهُ وَإِذَا أَمْسَكَ مِنْ حَيْثُ يَنْبَغِي جَهِلَ وَأَثِمَ وإِذَا أَرَادَ أَنْ يُدَاوِيَ مَجْنُوناً لَمْ يُدَاوِهِ وَهْوَ مُرْسَلٌ حَتَّى يَسْتَوثِقَ مِنْهُ وَيُوَثَّقَ لَهُ خَشْيَةَ أَنْ لَا يَبْلُغَ مِنْهُ مِنَ الخَيْرِ مَا يَتَّقِي مِنْهُ مِنَ الشَّرِ وَكَانَ طِبُّهُ وَتَجْرِبَتُهُ مِفْتَاحُ عَمَلِه وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يُجْعَلْ المِفْتَاحُ عَلى البَابِ لِكَيْمَا يُغْلَقُ فَلا يُفْتَحُ أَوْ لِيُفْتَحَ فَلَا يُغْلَقُ وَلكِنْ لِيُغْلَقَ فِي حِينِه وَيُفْتَحَ فِي حِيِنِهِ . المِهُم الإخلاص في النُصْح .

وَكُنْ نَـاصِحـاً لِلْمُسْلِمِيْنَ جَمِيْعِـهِمْ
بِـإرْشَـادِهِمْ لِلْحَقِّ عِنْـدَ خَفَـائِـهِ

وَمُـرْهُمْ بِمَعْـرُوفِ الشَّـرِيْعَـةِ وَانْهَهُمْ
عَنْ السُّوْءِ وَازْجُرْ ذَا الخَنَا عَنْ خَنَائِهِ

وَعِـظْهُمْ بِـآيَـاتِ الكِتَـابِ بِحِكْمَـةٍ
لَـعَـلَّكَ تُـبْـرِيْ دَاءَهُـمْ بِـدَوَائِـهِ

فَـإِنْ يَهْـدِ مَـوْلَانَـا بِـوَعْـظِكَ وَاحِـداً
تَنَـلْ مِنْهُ يَـوْمَ الحَشْرِ خَيْـرَ عَـطَائِـهِ

وإِلَّا فَقَــدْ أَدَّيْتَ مَــا كَـانَ وَاجِبـاً
عَلَيْــكَ وَمَـا مُلِّكْتَ أَمْــرَ اهْتِـدَائِــهِ

اللَّهُمَّ أيقَـظنـا مِن نَوْم الغَفْلَةِ ونبِّهْنَا لاغتَنام أَوقاتِ المُهْلَةِ ووَفِقْنَا لِمَصَالِحِنا واعْصِمنَا مِنْ قَبَائِحنا وذُنُوبِنا ولا تؤاخِذْنَا بِمَا انَطوتْ عليه ضمائِرنا وَأَكَنَّتْهُ سَرَائِرَنَا واغفِر لَنَا ولِوالدينا وَجَمِيْع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وَصَحْبِهِ أجمعين .

١٢٧ موعظة

عِبَادَ اللهِ تَزَوَّدُوا لِلرَّحِيْلِ فَقَدْ دَنَتْ الآجَالُ واجْتَهِدُوا واسْتَعِدّوا لِلرَّحِيْل فَقَدْ قَرُبَ الارْتِحَالُ وَمَهِّدُوا لأنْفُسِكُمْ صَالِحَ الأعْمَالِ فإن الدُّنيا قد آذَنَتْ بالفِرَاقِ وإنَّ الآخِرَةَ قَدْ أشْرَفَتْ لِلتَّلاَقِ فتَزَوَّدُوا مَن دَارِ الانْتِقَالُ إلى دَارِ القَرَار .

واسْتَشْعِرُوا التَّقْوَى في الأَقْوالِ والأَفْعَالِ وأحْذَرُوا التَّفَاخُرَ والتَكَاثُرُ في الدنيا بِجَمْعِ الحُطَامِ واكْتِسَابِ الآثامِ وإيّاكُمْ والاغْتِرارَ بالآمَالِ فورَاءَكُمْ المَقَابِرُ ذَاتُ الوَحْشَةِ والهُمُوْمِ والغُمُـومِ والكُرُبَـاتُ وتَضَايِقُ الأنْفَاسِ والأهوالِ المُفْضِعَاتْ .

فَسَوْفَ تَرَوْنَ مَا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ في حِسَابِ إذَا نُودِيْتُمْ مِنْ الأَجْدَاثِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً مُهْطِعِيْنَ إلى الدّاعي وَتَعَلَّقُ المَظْلُومُون بالظَّالِمْينَ ووَقَفْتُم بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ العالَمِينَ وَحَلَّ بِكُمْ كَرْب المقَامِ واشْتَدَّ بالْخَلْقِ في ذَلِكَ الموقِفُ الزِّحَامُ وأُخِذَ المجرِمُوْن بالنَّواصِي والاقْدام وبَرَزَتْ جَهَنَّم تُقَادُ بِسَبْعِيْنَ أَلْفِ زِمَام مَعَ كُلِّ زمامِ سَبْعُونَ ألفَ مَلَكٍ يَجُهرونَها والخَزَنَةُ حَوْلَهَا غِلاَظٌ شِدَادٌ .

وَيُنادِي عِنْدَ ذَلِكَ العزيزُ الحَمِيدُ الجَبَّارُ فَيَقُولُ هَلْ امْتَلأتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيد هُنالِكَ يَنْخَلِع قَلْبُكَ وَتَتَذَكَّرُ ما فَرَّطتَ فيه مِن الأوقَاتِ وَتَتَنَدَمُ ولاتَ ساعةَ مَنْدِمِ وَتَتَمَنَّى أنْ لو زِيدَ في الحَسَنَاتِ وخُفِّفَ مِن السَّيِّئَاتِ ولكن أنَّى لَكَ بِهذَا وَهَيْهَاتَ ﴿هُنالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسِ ما أسْلَفَتْ وَرُدُّوا إلى اللهِ مَوْلاَهُمْ الحَقِّ وَضَلَّ عَنْهم ما كانُوا يَفْتَرُون﴾ .

اللّهُم وفّقْنا للاسْتِعْـدَادِ لِمَا أَمَـامَنَا ، اللّهُـمْ وَقَـوِّي إِيْمَانَنَـا بِكَ وَبِمَلاَئِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وبِرُسُلِكَ وباليوم الآخر وبالقَدر خَيرِهِ وشَرِهِ ، اللَّهُمَّ نَوّر قُلُوبَنَا واشْرَحْ صُدُورَنَا وَوَفقْنَا لِمَا تُحِبّهُ وَتَرْضَاهُ وأَلْهِمْنَا ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وأَعِذْنَا مِن عَدُوِّكَ واغْفِر لَنَا ولِوَالِدَيْنا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

١٢٨ (خُطبــة)

الحمد لله الذي أبدع الكائنات المتنوعات على غير نظير ومثال وأتقن جميع المصنوعات فما يرى فيها تفاوت ولا إخلال وجعلها على قدرته ووحدانيته آيات دوال ألا له الخلق والأمر لا اله إلا هو الكبير المتعال جواد لا يبخل وغني لا يفقر وكريم يبتدىء بالاحسان قبل السؤال .

بيده الخير كله فله الحمد على كل حال وفي كل حال أحمده سبحانه على نعمه الجزال وأشكره والشكر لشوارد النعم أوثق عقال وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له في ربوبيته ولا ألوهيته وما له من صفات الكمال ونعوت الجلال .

شهادة تنفي الشرك وتنافي الضلال أرجوه أن يختم بها حياتي يوم الرحيل من الدنيا والانتقال وأن يؤمنني بها من كربات ذلك اليوم وما بعده من الشدائد والأهوال .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وحبيبه وخليله أفضل من تطوع وقال وأشرف من خص بأشرف مقامات الارسال أرسله والكفر قد اشتد فزال وظلام الضلال متراكم فانجال فأضحت به الحقيقة مشرقة لا لبس فيها ولا إشكال، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه خير صحب وآل الذين اعتدل بهم قوام هذا الدين أتم اعتدال صلاة وسلاماً يبلغانهم من ربهم نهاية الآمال .

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى فان تقواه عليها المعوَّل وعليكم بما كان عليه السلف الصالح والصدر الأول واشكروه على ما أولاكم من الانعام والاحسان وخول وصرَّف عنكم المكروه وزوَّل وتهيأوا لا حيل فقد شدت لكم الرحال .

واجتهدوا في أسباب التحويل قبل أن يدهمكم يوم الارتحال وازهدوا في هذه الدنيا فمتاعها قليل ووعدها غرور ومآلها إلى الزوال واعلموا أنكم لم تخلقوا لجمع المال ولا لعمران دار الفناء والتطاول في الآمال .

وانما خلقكم الله لتعبدوه وركب فيكم العقول لتوحدوه وأنزل عليكم القرآن لتتبعوه وأرسل اليكم الرسول لتطيعوه فانهضوا لما خلقكم الله لَهُ واعملوا صالحاً فسيجزي كل عامل ما عمله .

واعلموا أن مع كل شباب هرماً ومع كل صحة سقماً ومع كل حياة موتاً فخذوا من شبابكم لهرمكم ومن صحتكم لسقمكم ومن وجودكم لعدمكم قبل أن تقطع عنكم الأسباب ويختم على ما فيها من حسن أو قبيح الكتاب ويصبح عامر الدنيا منكم وهو خراب وتستبدلوا بمشيد البنيان حفراً مظلمة تحت التراب .

فقد قصر سعي من كانت خطاه معدودة وسفه رأي من كان هواه معبوده وقل حاصل من جمع الحطام وورثه الأكال بينما أحدكم يلهو في أسبابه ويخط في سرباله ويزهو باعجابه ولا يخطر الموت بباله إذ صدع المرضُ هَامته وأحال الدهر قامته ذات الاعتدال ففتّت الوجع في أعضاده وقطعت الصحة حبل وداده وأصبح يندب ما يسفر عنه من الأهوال .

والنفوس لسوء منظره تجزع والقلوب للفكر في مصرعه تخشع وعيون أهله على فرقته في انهمال . هذا وهو بين يدي ربه محضر والروح تتصعد في حلقومه وتتحدر والأرض قد استعدت لدفن جثته إلى يوم المآل فاتقوا الله ونبهوا من غفل ولها .

واستعدوا لهذه النازلة فالسعيد من استعد لها وَوَدِّعُوا شهركم هذا بما ينفعه من صالح الأعمال فقد مضى شهركم المحرم وأنتم عنه في المقال فليت شعري

هل فيكم من تجافى جنبه عن المضاجع في تلك الليال أو تذكر ما يعود نفعه عليه في يوم تشيب فيه الأطفال .

فتداركوا رحمكم الله ما فات في هذه الحصّة وتجرعوا مياه الندم عسى أن تسيغوا بها ما للذنوب من غصة فعسى أن يمن الكريم بالمسامحة والقبول والاقبال وسلوه سبحانه العفو والعافية واللطف بكم في السر والعلانية فانه لا يخفى عليه شيء من الأقوال والأفعال والأعمال .

وفقني الله وإياكم لعمل الساعين الأبرار وجنبنا طريق أهل التّباب والخسار إنّ أحسن القصص والاعتبار كلام الملك العزيز الغفار والله تعالى يقول وبقوله يهتدي المهتدون وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار، ليجزي الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب، هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول قولي هذا الخ .

١٢٩ (خطْبَة)

الحمد لله الذي جاد على العباد وتكرم وأغنى وأفقر وأهان وأكرم وأوجد الأشياء كما شاء ثم أعدم وأشقى وأسعد وأخر وقدم وأمات وأحيا وعافى وأسقم وأحب وكره ورضى وسخط وعفا وانتقم وقدر ودبر وقسم وأقسم واطلع على ما يسر وعلم ما يكتم وخاطب أولي الألباب من يعقل ويفهم وأمر ونهى وأباح وحرم وجعل مبدأ كل عام الشهر المحرم .

أحمده على أن شرفنا بمحمد ﷺ على سائر العرب والعجم وأشكره على أن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس فهي خير الأمم وأشهد أن لا اله إلا الله

وحده لا شريك له إله عز فحكم وأحصى كل شيء عدداً وأحاط به علماً وأجرى به القلم .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بنور ساطع وحق قاطع وعلم نافع فرفع الله به عمود الإسلام فاستتم وأذل به عباد الأصنام وقصم وضعضع به همة كل كافر وهدم . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه وسلم وشرف وكرم وعظم .

أما بعد : فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى وأطيعوه فان تقوى الله شعار المؤمنين ودثار المتقين ووصية الله فيّ وفيكم أجمعين أيها الناس إن أملكم البقاء في هذه الدار لمن أوضح وجوه الاغترار وان عملكم فيها لغير ذي العزة والجلال لقاضٍ بالهلكة والبوار .

ألا فالحظوها كما لحظها العارفون والفظوها كما لفظها الخائفون وشدوا للرحلة أكوار الاعتزام وجدوا للنقلة فكأن قد هجم الحمام ، فاعتبروا بما تدور به الليالي والأيام وما تجول به الساعات والأعوام .

فهذا شهر المحرم قد أناخ بربوعكم وخيّم بجموعكم يستحثكم على الاعتبار ويحملكم على النحيب والاستغفار هو أول شهور السنة في التحريم وأحقها بالتفضيل والتكريم وعاشره خصه الله بالصيام والتعظيم .

فاستقيلوا الله فيه لعثراتكم واستغفروه لسيئاتكم واسألوه أن يوفر لكم من بركة سنتكم أقسامكم وقد مضت من مدة الحياة سنة تدني إلى ورود الوفاة فتداركوا أنفسكم بالتوبة قبل الفوات وتعرفوا إلى الله في الرخاء يعرفكم في الشدات ويدفع عنكم البليات فالسعيد من استودع مدة عمره صالحاً من عمله والشقي من شهدت عليه بقبيح زلله وان امرءاً تنقضي بالبطالة أوقاته وتمضي بالجهالة ساعاته لجدير أن يطول على نفسه بكاؤه ويدوم في طلب التخلص عناؤه ويكثر ممن أمهله حياؤه .

فانتبه أيها العبد لأيام شبابك قبل فراق أحبابك واحفظ أيام عمرك قبل حلول قبرك واغتنم أيام حياتك قبل أوان وفاتك فإن العمر بالسنين ينهب والأجل

بمرور الليل والنهار يذهب أين من أمّـلّ أن يرى هذا العام ويشاهد هــذه الأيـــام .

ذهبوا والله سراعاً لدار البقاء وسلبهم مرير الموت لذيذ العيش فما وقى ولا نفع عنهم ما ادخر من المال واقتنى ونودي مطمئنهم فأسرع وماونى وأصبح عاصيهم أسير الغنى وبقي مجرمهم رهين ما جنى وهذا أمر يبعده الأمل عليك وهو والله قد دنا .

فإلى متى أيها الغافل تشتغل بفنون تعليلك وأنت في قرب نقلتك ورحيلك أما الأيام والليالي تسرع بك إلى مصيرك فبادر عمرك فانه ينتهب في بكورك وأصيلك أين الذي طلبه الموت فأعجزه وأين الذي تحصن في قصره المشيد فما أخرجه وأبرزه وأي متكبّر بالجنود والأعوان ما وحّده وأي متعزز بالعشائر والقبائل ما أفرده .

أما أخذ الآباء والأجداد أما سلب الشباب والأولاد أما ملأ القبور والالحاد أما حال بين المريد والمراد أما فرق بين الأحبة وقطع الوداد أما أرمل النساء وأيتم الأولاد أما تتبع قوم تبع وعاد على عاد .

فاحذر يا مسكين أن يأتيك وأنت على الفساد يا قليل التفكر في مصيره ومآله يا مستأنساً بداره مغتراً بماله يا ناسياً عيبه معرضاً عن إصلاح حاله يا من سيطول سف ه ولم يتزود لارتحاله يا حاملاً لوزره راضياً بأثقاله أسفاً لك لم تتزود غير الكفن إلى قبرك ولم يصحبك ما اعتمدته من عزك وكثْرك .

وأصبحت أسيراً بعد نهيك وأمرك . وقدمت على ضياع أيامك وساعات عمرك وأخرجت ذليلاً من حرمك وقصرك وبعد عنك من كنت ترجوه عند الشدائد لنصرك . أخي لقد نصحتك والمولى لا يخفاه سرك وجهرك جعلني الله واياكم ممن سابق إلى رضاه فاستقاله مما جناه فلم يؤثر على لزوم طاعته شيئاً سواه .

إنّ أحسن ما نطق به متكلم وأبلغ ما أصغى اليه مستفهم كلام من لا يقع في ربوبيته توهم والله تعالى يقول وبقوله يهتدي المهتدون وإذا قرىء القرآن القرآن فاستمعوا وأنصتوا لعلكم ترحمون .

أعوذ الله من الشيطان الرجيم (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني واياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم الخ ...

١٣٠ (خطبـــة)

الحمد لله الذي جدد الأعوام عاماً فعاماً . وحددها شهوراً وجمعاً وأياماً . وأجرى على حسب ذلك الآجال والأرزاق على مقتضى الحكمة والتدبير وافتتح كل عام بهذا الشهر المحرم وجمّله بيوم عاشوراء المبجل المعظم الذي فضله في الجاهلية والإسلام شهير .

أحمده سبحانه على نعمه التي لا تحصى وأشكره على منته التي لا تستقصى وأسأله تعالى اللطف فيما جرت به المقادير وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له المتعالي عن المشاركة والمشاكلة المنزه عن كل ما يخطر بالبـــال والضمير .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وحبيبه وخليله الذي هدى الله الأمة بسراج هديه المنير اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد الكريم المصطفى المختار المجّد وعلى آله وأصحابه ذوي المقام الرفيع والفضـــل الكبير .

أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى فقد دارت الأيام بتجدد الأعوام وأنتم في مهاد الأيام قعود وسارت الركبان إلى رضا الرحمن وأنتم عن موجبات الغفران قعود وتسابقت الفرسان إلى ميدان الاحسان وعاقكم الشيطان عن المسير .

فما هذه السّهوة عن الدار الآخرة وهي المآب والمقر وما هذه الشهوة والتجارة خاسرة ولا محيص عن الحساب ولا مفر وما هذه الغفلة وقد فاز المتيقظون أهل التشمير أتعتقدون أن لا موت ولا قيامة أم تظنون أن الله ينسى ذنباً أو ظلامة .

كلاّ بل هو القاهر المحصي العليم الخبير ألا تعلمون أن تعاقب الأيام على فناء الانام أمارة وإن تناوب الآلام ولقاء الاسقام دليل علىأن الحياة معارة وان كل نفس تساق إلى أجلها وتسير .

وهذا عام جديد نزل بكم فأكرموا نزله وحل فيكم بحلل الايقاظ فالبسوا حلله وظل يومىء اليكم ببيان الانذار ويشير ما من يوم يمر إلا وهو يناديكم بلسان حاله ها أنا مؤذن كلاًّ منكم بقرب ارتحاله فليتأهب للمسير إلى دار المصير .

فيا أيها المسرور بتجدد الأعوام المغرور بقدوم الأهلة وتتابع الأيام أما علمت أنها تقصر من عمرك القصير فانتبه يا مسكين فالدنيا أضغاث أحلام ودار فناء لا تصلح للمقام .

فكأنك بها وقد خسف بدرها المنير واغتنم في شهرك هذا بصالح الاعمال وأكثر فيه من الصوم وأخلصوا النية في الأقوال والأفعال واحذر من التخليط فان الناقد بصير ورافق اخوان الإخلاص والتقى والصفا وفارق أعوان الغفلة والشقاء .

وتخلق بأحسن الأخلاق في كل كبير وصغير ولا تركن إلى دار متاعها غرور وغاية أمرها الوبال وسرورها شرور ونهاية نعيمها الزوال فما صفا لأحد منها وقت الا اتصل به التكدير .

أين من أنس بها ونسي انتقاله إلى دار البقاء وأين من عمر القصور وجمع الأموال وفي عزه ارتقى تقلبت بهم أحوال الأهوال فأصبحوا تحت الثرى والحفير وقريباً ترحلون عن المنازل كما رحلوا ووشيكاً تحملون إلى المقابر كما حملـــوا .

فاما إلى روضة من رياض الجنة وإما إلى حفرة من السعير أهّلني الله وإياكم لاجتلاء غرايس هدايته وطاعته ووفقنا للقيام بامتثال أوامره واجتناء ثمرات مرضاته ، إن أعظم ما اتعظ به أولو الألباب وأبلغ ما اهتدى بـــه حكيم أواب كلام الله الذي من اعتصم به ما خاب والله تعالى يقول وبقوله يهتدي المهتدون وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم «إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين» .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

١٣١ خُطْبَـة

الحمد لله الذي بأمره تقوم السماء وبعدله ينصف المظلوم من الظالم يوم الجزاء وبلطفه أعطى الكثير وطلب اليسير ونمّى فهو المعروف بالمعروف واغاثة الملهوف وهو أهل المنع والعطاء أحمده على السراء والضراء وأشكره على نعمه وشكره يقبل على من شكر الشوارد من النعماء فسبحانه من اله لا يخاف من آمن به وعمل صالحاً ظلماً ولا هضماً .

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له رحيم بعباده وسع كل شيء رحمةً وعلماً وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي هدى به من الضلالة وبصر به من العمى اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الأعلام والعلماء .

أما بعد : فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى وطهروا السراير لمن هو بها عالم وتوجهوا إلى الله بالانكفاف عن المآثم والخروج من الغصوب والمظالم والاقلاع عن الصغائر والعظائم فان أحدكم يعصي وهو غافل هائم فيعود وبال معصيته على الأطفال والبهائم .

فيا حسرة المفرط بنفسه صاحب الشيبة البيضاء والصحيفة السوداء والبصيرة العمياء عن الهدى ويا ندامته يوم اللقاء على اتباعه الهوى وإعراضه عن الهدى ويا خسارته حين غفل ولها عن مجالس الأذكار ومباحثة العلماء .

يا قوم اعتبروا بمن قبلكم واقبلوا نصائح الفصحا قبل أن يصبح أحدكم

منبوذاً في أرض بَيْداَ جسمه الناعم قد كان طمعاً للدود والبلاء وماله قسماً بين الورثة والأقرباء ينفقونه على ما تهوى أنفسهم وترى وصاحبه المسكين مطلوب بالحساب والجزاء بعيد عن الأصحاب والأولاد وحيد فريد قد لَهَى عن الأهل والأقرباء في قبر موحش مظلم ضيق الأرجاء .

إلى يوم يشفق فيه حتى الأولياء والملائكة والأنبياء يوم الحساب والقصاص بالاعتدال لا بالاعتداء يوم يُقْتَصُّ للجماء من القرناء ويؤخذ للآباء من الأبناء ولِلأبناء مِن الآباء بين يدي دُيانِ الأرضِ والسماء يوم الجزاء بأعمال القلوب والجوارح لا بالأموال ولا بالأولاد ولا بالأسماء .

فيا أهل الغفلة أفيقوا بالله مِن سِنةِ الإغفاء وطهروا القلوبُ مِن دنس الأهواء فإن القلب المدنس بالذنوب يعد من داء القلب لأعظَمُ الداء وصلاح القلب هو الأصل الذي تثبت عليه قواعد البناء .

كيف تصلح للعالم معرفته وهو يعمل أعمال الجهلاء كيف تصلح للعابد عبادته وهو يرتدي برداء الرياء والكبرياء كيف تصلح للفتى حريته وهو لا يغضب لله بل يغضب ويرضى لأجل البيضاء والصفراء فهذا بأخبث المنازل لتقديمه الهوى على الهدى كيف تصلح للفقير سلامته وهو لا يصبر ولا يسلم لله في أمر القضاء .

كل هذه علل وأمراض في الدين أسأل الله لي ولكم منها العافية والشفا إذا فسدت البواطن فحق للظواهر بتهدم البناء أي فساد أعظم من المعاصي وان شؤمها يعم ضرر أهل المدن والقرى فاجتنبوا رحمكم الله الربا والزنا والغيبة والنميمة والكذب والحسد فان ذلك سبب نزول البلاء .

ألاوإن أقل المعاصي يكفي في نزول الوباء فكيف بكم إذا اجتمعت علىالولاء والحق تعالى غيور يغار على ملكه من المعاصي وفعل الفحشاء فاذا ظهرت في البلاد والعياذ بالله من ذلك غار جل جلاله فطهرها إما بالسيف وإما بالقحط وإما بالوباء هذه سنة الله نافذة في خلقه فاسألوا عنها في المبتدا والمنتهى فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ألا ترون أنكم كل يوم تشيعون غادياً إلى الله ورائحاً وقد أسرع الموت بخياركم انتقالاً ورُحْلاً .

فالله الله انتبهوا قبل أن يتقطع من أيديكم حبلُ الرجاء فباب الاجابة مفتوح لِصَاحِبِ التضرع والابتهال والدعاء ويد الرحمن مبسوطة لِقَبُول التوبة والاستغفار مِمن عصى فبادروا رحمكم الله فالأمر عظيم وحققوا بالجد والاخلاص في الدعاء اللهم يا سامع الدعاء يا مَن أوجب على خلقه الفناء واختار لنفسه البقاء عافنا وجميع المسلمين والمسلمات مِن كل وبالٍ وبلاء أيقظني الله واياكم من رقدات الغافلين وجعلنا يوم الجزاء من الشاكرين .

إن أبلغ الوعظ للمعتبرين كلام الله الملك الحق المبين والله تعالى يقول وبقوله يهتدي المهتدون وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون أعوذ بالله من الشيطان الرجيم «وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً » بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .. ؟

١٣٢ (خُطبــة)

الحمد لله الذي يجود على عباده بسوابغ النعم ويعود عليهم بالمزيد ويبالغ بالكرم ويتطول على الطالبين وان قصرت منهم الهمم ويتفضل على الراغبين مما لا تنتهي اليه آمالهم ولا جرم جواد لا يحصر جوده جنان ولا لسان ولا قلم فمِن بعض إحسانه يكشف غياهب الظلم رحمن رحيم يعم ويخص برحمته من يشاء من الأمم مجيد عظيم من زعم أنه عرفه حق معرفته فهو مدع متهم .

أحمَده حمْدِ مُكثرٍ وَمُستزيدٌ للنِعَم وأشكُرهُ على كُلّ ما مَنحَ وأعطىَ وقدر وقسم وأستغفره وأتوب اليه من كل هفوة وزلة قدم وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له في ألوهيته والربوبية والبقاء والقِدم وانها لشهادة حق وصدق ما خاب من استمسك بها واعتصم وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد العرب والعجم الذي أرسله الله تتمة للمرسلين ونعمة للمتقين ورحمة للعالمين وشفيعاً وشهيداً لسائر الأمم .

نبي لم يزل يطالع شواهد الحق ويدعم ملاحظة المراقبة حتى كان إذا نامت عيناه فقلبه لم ينم صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أولي الفضل والكرم صلاة وسلاماً دائمين متلازمين بدوام تعلق علمه بكل مخدوم وخدم

أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى سراً وجهراً وتوبوا اليه من الذنوب فالتوبة تجب ما قبلها ولو كان كفراً ولا تكونوا ممن يخالف لله أمْراً وطهروا نفوسكم من الغل والحقد والحسد والبغضاء وكل خلق ذميم وأصْلحوا أعمالكم فانها معروضة على رب العزة الذي هو بكل شيء عليم .

واعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم فطالما أسبغ الله عليكم من النعم حلة بعد حلة وأوجدكم من العدم جملة بعد جملة وأمهلكم في الوجود مهلة بعد مهلة وكثيراً ما قللكم الموت فكثّركم بعد تلك القلة وكم أعزكم في كل موطن بعزته بعد ذلة وكم كشف عنكم هماً وغماً وسقماً وعلة وكم تفضل عليكم في السر والجهر من الاحسان ما لم تكونوا أهلاً له .

فما شَكَرتُم مِن ذلك إلا اليسَير ولا ذَكَرتُم مِنْهُ إلا أقلةَّ ولا أحَدثَتم لِكَل ما أحَدثه الله من النعم الا غَفْلَة بعد غفلة ولا قابلتم ما أمركم الله به مِن الاستَقاله إلا زَلَّة بعد زَلَّة تستَثقِلُوْنَ الطاعات حتى كَأنَّ أمرها عليكم أثقلُ مِن الظُلَّةِ وتَسْتخفّونَ الذُنوبَ حتى إن أكبرها عندكم أهون من قرص نملة .

تجاهرون اللهَ بالمعاصي وهو معكم يعلم ضمير أحدكم وفعله والله لولا حلمه لخسف بنا ونزل علينا من العذاب ما لا نطيق حمله ولكنه يمهل ولا يهمل والحذر من الأخذ بعد المهلة فكأني بكم وقد نزل بكم الحمام وصارت أولادكم تدعى بالأيتام وقد شاهدتم ذلك من غيركم وكأنكم في مسكرة أو نيام هل الاعمار في الاعتبار إلا أعوام وهل الأعوام إلا أيام . وهل الأيام إلا ساعات كالسفن ينادي لسان سيرها أهل الدنيا لا مقام لكم وهل الساعات إلا أنفاس تحصيها الحفظة بأمر الملك العلام .

فمن كان هذا أصله كيف لا يسرع بالمتاب ومن كان هذا أساسه فكيف يفرح بدار عمرها في الحقيقة خراب فرحم الله عبداً أقبل على الباقي وأعرض عن الفاني من الحطام وجعل لشارد النفس من التقوى أقوى زمام واجتنب الظلم فان الظلم يخرج من النور إلى الظلام .

فنسألك اللهم توفيقاً يقرب من الحلال ويبعدنا عن الحرام وطريقاً إلى سبيل

الخيرات لنتمسك بالزمام وأمنا يوم الفزع الأكبر تبلغنا غاية المنى والمرام وأدخلنا مع الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام .

إنَّ أَحْسَنَ الكَلامِ وأبلغ الأحكام كلامُ اللهِ الملكِ العلام والله تعالى يقول وقولُه الحقُّ المبين وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون أعوذ بالله من الشيطان الرجيم « وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » . بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني واياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم الخ ..

١٣٣ خطبة
في التحذير من المعاصي

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، واشهد ان سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله وخليله وصفيه ، أرسله بالحق بشيرا ونذيرا ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين ٠

اما بعد : أيها الناس ، اتقوا الله تعالى واطيعوه ، وراقبوه في السر والعلن ولا تعصوه ، واعلموا ان الذنوب والمعاصي تضر في الحال والمآل ، وان ضَرَرَها في القلوب كضرر السموم في الابدان على اختلاف درجاتها ، وما في الدنيا والآخرة شر وداء الا سببه الذنوب والمعاصي ، فما الذي أخرج الابوين من الجنة دارِ اللذة والنعيم والبهجة والسرور الى دار الآلام والاحزان والمصائب ؟ وما الذي أخرج ابليسَ من ملكوت السماء وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه وبُد ل بالقرب بعدا وبالرحمة لعنة وبالجمال قبحا وبالجنة نارا تلظى ؟ وما الذي أغرق أهل الارض كلِّهم ، حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال ؟ وما الذي سلط الريح

على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الارض كأنهم اعجاز نخل خاوية ، ودمرت ما مرت عليه من ديارهم حتى صاروا عبرةً للامم الى يوم القيامة ؟ وما الذي أرسل على قوم ثمودَ الصيحةَ حتى قطعت قلوبَهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم ؟ وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم ، ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها فأهلكهم جميعا وأرسل عليهم حجارة من سجيل ؟ وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل ، فلما صارت فوق رؤوسهم أمطرت عليهم نارا تلظى ؟ وما الذي بعث على بني اسرائيل قوما أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وقتلوا الرجال واحرقوا الديار ونهبوا الاموال ، ثم بعث عليهم مرة ثانية فاهلكوا ما قدروا عليه وتبروا ما علوا تتبيرا ؟ وما الذي سلط عليهم أنواع العقوبات مرة بالقتل والسبي وخرابِ البلاد ومرة بجور الملوك ومرة بمسخهم قِردة وخنازير ، وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالى ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب·أقوام كثيرة جاءت اخبـار هلاكهم في القرآن الكريم بسبب كفرهم وعصيانهم وعنادهم وتكبرهم عن طاعة الله تعالى وطاعة رسله عليهم الصلاة والسلام ؟ فاعتبروا يا أولي الابصار .

والمعاصي ما حلت في ديار الا أهلكتها ـ ولا في قلوب الا أعمتها ـ ولا في أجساد الا عذبتها ـ ولا في أمة الا أذلتها ـ ولا في نفوس الا أفسدتها ، ولو لم يكن من المعاصي الا أنها سبب لهوان العبد على الله وسقوطه من عينه لكفى ، واذا هان العبد على الله تعالى لم يكرمه أحد ، كما قال عز وجل : (ومن يهن الله فما له من مكرمٍ ان الله يفعل ما يشاء) . ومن عقوبات الذنوب أيضا انهـا تزيلُ النِّعم ، وتُحِل النِّقم ، فما زالت عن العبد نعمة الا بذنب ، ولا حلت به نقمة الا بذنب ، كما قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه : ما نزل بلاء الا بذنب ، ولا رفع الا بتوبة ، وقد قال الله تعالى : (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير . ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم) . فاخبر تعالى انه لا يغير نعمة انعم بها على أحد حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه ، فيغيرُ طاعةَ الله بمعصيته وشكرَه بكفره وأسبابَ

رضاه بأسباب سخطه ، فاذا غَيَّر غُيِّر عليه جزاء وفاقا ، وما ربك بظلام للعبيد ، فان غير المعصية بالطاعة غير الله عليه العقوبة بالعافية والذلّ بالعز ، قال تعالى : (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) • وفي بعض الآثار الالهية عن الرب ـ تبارك وتعالى ـ انه قال : وعزتي وجلالي لا يكون عبدٌ من عبيدي على ما أُحب ثم ينتقل عنه الى ما اكره الا انتقلت له مما يحب الى ما يكره ، ولا يكون عبد من عبيدي على ما أكره ثم ينتقل عنه الى ما أحب الا انتقلت له مما يكره الى ما يحب •

فاتقوا الله عباد الله في السر والعلن ، وتوبوا اليه واستغفروه ، وحاذروا غضبه ولا تعصوه ، فالمعاصي تمحق بركة العمر وبركة الرزق والعلم والطاعة ، وبالجملة تمحق بركة الدين والدنيا فلا تجدون أقل بركة في عمره ودينه ودنياه ممن عصى الله تعالى ، وما مُحقت البركة من الارض الا بمعاصي الخلق ، قال الله تعالى : (ولو ان أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) • وقال تعالى : (وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا) • وفي الحـديث : ان رُوحَ القدُس نفث في رَوعي انه لن تموت نفس حتى تستكملَ رزقَها وأجلها •

فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، فانه ما ينال ما عند الله تعالى الا بطاعته ، وليست سعة الرزق والعملِ بكثرته ، ولا طولُ العمر بكثرة الشهور والاعوام ، ولكن سعة الرزق والعمر بالبركة فيهما ، ومعلوم ان عمرَ العبد هو مدة حياته ، ولا حياة لمن أعرض عن الله واشتغل بغير ذكره ، بل حياة البهائم خير من حياته ، فان حياة الانسان بحياة قلبه وروحه ، ولا حياة لقلبه الا بمعرفة فاطره ومحبته وذكره وعبادته وحده ـ والإنابة اليه والطمأنينة بطاعته ـ والانس بقربه ، ومن فقد هذه الحياة فقد الخير كله ، ولو تعوض عنها بما تعوض ، بل ليست الدنيا بأجمعها عِوَضا عن هذه الحياة ، فمن كل شيء يفوت العبدَ عوض ، واذا فاته الله ـ عز وجل ـ لم يعوض عنه شيء البتة ، وانما كانت معصية الله سببا لمحق بركة الرزق والعمر ، لان الشيطان وُكل بها وبأصحابها ، وكلّ شيء يتصل

به الشيطان ويقارنه فبركته ممحوقة ، ولهذا شُرِع اسمُ الله تعالى عند الاكل والشرب واللبس والركوب والجماع لما في مقارنة اسمِ الله تعالى من البركة ، وكل شيء لا يكون لله فبركتُه منزوعة ، فان الربَّ ـ جل جلاله ـ هو الــذي يبارك وحده ، والبركة كلها منه ، وكل ما نُسِب اليه مبارك ، فكلامه مبارك ، ورسوله مبارك ، وعبده المؤمن النافع لخلقه مبارك ، وبيتُه الحرام مبارك ، فلا مباركَ الا هو وحده لا شريك له ، وكل ما باعده الله من نفسه المقدسةِ من الاعيان والاقوال والاعمال فلا بركة فيه ، ولا خيرِ فيه ، وكل ما كان منه ـ تعالى ـ قريب ففيه من البركة على قدر قربه منه ، وضِدُّ البركة اللعنة ، فارض لعنها الله أو شخص لعنه الله او عمل لعنه الله أبعدُ شيء من الخيرِ والبركة ، وكل ما اتصل بذلك وارتبط به وكان منه بسبيل فلا بركة فيه البتة ، فمن ههنا كان للمعاصي أعظمُ تأثيرٍ في محق بركة العمر والرزق والعلم والعمل ، وكل وقت عصيتَ اللهَ فيه أو مال عصي الله به أو بدن أو جاه أو علم أو عمل فهو على صاحبه ليس له ، فليس له من عمره وماله وقوته وجاهه وعلمه وعمله الا ما أطاع اللهَ تعالى به ، ولهذا فمن الناس من يعيش في هذه الدار مائة سنة أو نحوها ولا يبلغ عمرُه في الحقيقة عشرَ سنينٍ أو نحوها، كما ان منهم من يملك القناطيرِ المقنطرة من الذهب والفضة ولا يبلغ ما له في الحقيقة ألف درهم أو نحوها ... وهكذا الجاه والعلم.

فبادروا ـ رحمكم الله تعالى ـ بالتوبة والاعمال الصالحة قبل فوات الاوان ، فالفرصةُ ها هي ذِي سانحة ، ووسائلُ الهدى ما تزال حاضرة ، وباب التوبة ها هو ذا مفتوح ، وليس على بابه من يمنع ، ولا يحتاج من يلجه الى استئذان ، وهي أُمنية لا ينالها الا الموفقون ، فاذا انتهت هذه الحياة فلا كرَّةَ ولا رجوع . فَهيَّا وأنتم أُولاءِ في دار العمل ، وهي فرصة واحدة ، فاذا انتهت لا تعود ، هيا الى التوبة قبل فوات الاوان ، هيا من قبل أن ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال ، هيا فالوقت غيرُ مضمون ، وقد يُفْصل في الامر ، وتغلق الابواب في أية لحظة مــن لحظات الليل والنهار ، هيا واتبعوا أحسن ما انزل اليكم من ربكم ، وهو هــذا القرآن الذي بين أيديكم ، واهتدوا بهدي نبيكم محمدٍ ـ صلى الله عليه وسلم ـ

(من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) •
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما • وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدَهم الموتُ قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما) •

اللهم اجعلنا من التوابين ، واجعلنا من المتطهرين الذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون • أقول قولي هذا ، واستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، انه هو الغفور الرحيم •

١٣٤ خطبة فى أصول الدين

الحمد لله المعروف بأسمائه وصفاته ، المتحبب إلى خلقه بجزيل هباته .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، المتفرد بالألوهية والوحدانية ، المتوحد فى العظمة والكبرياء والمجد والربوبية .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أكمل الخلق فى مراتب العبودية ، وأعلاهم فى كل خصلة حميدة فهو خير البرية .

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه الأخيار .
وعلى التابعين لهم بالأقوال والأفعال والإقرار .

أما بعد : أيها الناس ، اتقوا الله تعالى ، واعلموا أن الله

حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه . فهو الغنى المطلق ومن سواه إليه فقير ، وهو القوى العزيز ومن سواه عاجز ذليل . وهو الجواد الكريم ، فلا غنى لأحد عن كرمه طرفة عين (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون) ونؤمن أن الله الذى لا إله إلا هو فهو ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين .

فكما أنه لا رب ولا خالق ولا منعم سواه ، فليس للعباد إله ومعبود إلا الله . فمن أخلص له الدين فى ظاهره وباطنه فهو الموحد حقاً . ومن صرف شيئاً من العبادة لغيره فهو المشرك صرفاً قال تعالى (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) وقال (فادعوه مخلصين له الدين) الحمد لله رب العالمين .

فليس لنا معبود سواه فلا نستعين إلا به ولا نعبد إلا إياه فهو الإله المقصود بالتأله والحب والتعظيم . وهو المقصود لقضاء الحاجات وتفريج الكربات وكل أمر عظيم (يسأله خلقكم وأمركم بمعرفته وعبادته ، وحثكم على إخلاص الدين وتحقيق طاعته .

قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وقال (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) وقال (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض

مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير . وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) وقال (فاعلم أنه لا إله إلا الله ، واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم) .

وذلك أنه يجب علينا أن نؤمن ونعترف أن الله هو الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور ، المتفضل على عباده بالنعم الظاهرة والباطنة نعم الدنيا ونعم الدين . وأنه الموصوف بسعة الرحمة وشمول الحكمة والعلم المحيط الشامل . المنعوت بالعظمة والكبرياء والعز الكامل . الحى القيوم الذى لا ينام ولا ينبغى له أن ينام يخفض القسط ويرفعه ويرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار . وعمل النهار قبل عمل الليل على الكمال والتمام . من فى السموات و الأرض كل يوم هو فى شأن) (أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ؟ أإله مع الله قليلا ما تذكرون) .

ونؤمن بنزول ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا كما أخبر به الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى . مع أنه العلى الأعلى . الذى على العرش استوى . وعلى الملك احتوى (وإن تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى ، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى)

ونؤمن أن المؤمنين يرون ربهم فى جنة المأوى ، فرؤيته ورضوانه أكبر نعيم يجزل لهم المولى .

ونشهد أن القرآن تنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلب النبي الكريم بلسان عربي مبين ، فهو كلام الله حقاً منزل غير مخلوق . فهو الهدى والرحمة والشفاء والنور ، وعليه المدار فى الأصول والفروع والأحكام كلها ، وجميع الأمور .

ونشهد ان الله حق ، وقوله حق ، ووعده حق ، ولقاؤه حق ، والنبيون حق ، ومحمد حق (وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور) فيجازيهم بأعمالهم إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فيثيب الطائعين بفضله ، ويعاقب العاصين بحكمته وعدله (والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) .

ونؤمن بجميع ما جاء به الكتاب والسنة من أحوال اليوم الآخر ، والشفاعة ، والحوض ، والميزان ، والصراط ، وصحائف الأعمال . وما ذكر من صفات الجنة والنار . وصفات أهلهما كل ذلك حق لا ريب فيه . وكله داخل فى الإيمان باليوم الآخر .

والحاصل أننا نؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر . والقدر خيره وشره . إيماناً مجملا شاملا . وإيماناً مفصلا فى كتاب ربنا وسنة نبينا .

ونسأله تعالى أن يثبتنا على ذلك ويميتنا . ويحيينا عليه . إنه جواد كريم .

اللَّهُمَّ أَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الأَبْرَارِ وَأَسْكِنَّا الجَنَّةَ دَارَ القَرَارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المسلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

آخر :

١٣٥ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ قَدْ كَثُرَ فِي زَمَنِنَا اليَوْمَ أُنَاسٌ يَرَى أَحَدُهُمْ قَدْرَ نَفْسِهِ فَوْقَ مَا تَتَصَوَّرُهُ الأَفْهَام وَيَجْزِمُ كُلَّ الجَزْمِ أَنَّهُ رَفِيْعُ المَقَامِ ، رِفْعَةً كُلُّ رَفِيْعٍ مَعَهَا تَحْتَ الأَقْدَامِ ، لَا تَذْكُرُ أَمَامَهُ فَاضِلاً إلاّ ضَحِكَ وَهَزَّ رَأسَهُ مُتَهَكِّماً سَاخِراً بِمَا لَهُ مِنْ مَقَامٍ وقَدِيْماً قِيْلَ :

وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ
رَأى غَيْرُهُ مِنْهُ مَالا يَرَى

وَتَجِدُ هَذَا المُتَكَبِّرُ المُعْجَبُ بِنَفْسِهِ شَرِساً أَحْمَقاً ذَا إبَاءٍ وَاسْتِعْصَاءٍ حَتَّى على خَالِقَهَ القَدِيْرالكَبِيْر المُتَعَالِي وَتَرَاهُ نَارِيَّ المِزَاجِ يَلْتَهِبُ التِهَاباً وَيَنْفَجِرُ لِأَدْنَى كَلِمَةٍ لا تُرْضِيْهِ وَلَوْ لَمْ يَقْصِدَ قَائِلُهَا إلَّا الحُسْنَى .

وَمِنْ عَلَامَاتِهِ أَنَّكَ تَجِدُهُ حَرِيْصاً عَلَى أَنْ يَكُوْنَ أَمَامَ النَّاسِ وَأَنْ يُصْغُوا إلَى كَلَامِهِ وَيُؤلِمُهُ كَلَامُ غَيْرِهِ وَلَوْ كَانَ حَقّاً وَتَجِدُ ثِيَابَهُ مُسْبَلَةً وفِي مَشْيِهِ يَتَبَخْتَر مُصَعِّراً خَدَّهُ وَإنْ كَانَ عَلَيْهِ عِقَالٌ تَجِدُهُ مُمِيْلاً لَهُ وَتَجِدُ بَعْضَهُمْ قَدْ وَفَّرَ شَارِبَهُ وَفَتَلَهُ وَسَوَّى شَنَبَاتِهِ كالقُرُوْنِ قَالَ بَعْضُهُمْ :

إنَّ الكَمَالَ الذِيْ سَادَ الرِّجَالُ بِهِ
هُوَ الوَقَارُ وَقَرْنُ العِلْمِ بِالعَمَلِ
فَقُلْ لِمَنْ يَزْدَهِيْ عُجْباً بِمَنْطِقِهِ
وَقَلْبُهُ في قُيُوْدِ الحِرْصِ والأَمَلِ
مَهْلاً فَمَا اللّهُ سَاهٍ عَنْ تَلاَعُبِكُمْ
لَكِنَّ مَوْعِدُكُمْ في مُنْتَهَى الأَجَلِ
وَقُلْ لِمَنْ فَخْرُه في فَتْلِ شَارِبِه
أَضَعْتَ عُمْرَكَ بَيْنَ الكِبْرِ وَالكَسَلِ
حَتَّامَ تُبْرِمُ يَا وَافِيْ القَفَا شَنَباً
مَا فِي طَوَايَاهُ إلاَّ خَيْبَةُ الأَمَلِ
أَصْبَحْتَ بُعْبُعَ مَنْ في البَيْتِ تُزْعِجُهُمْ
هَلاَ أَخَفْتَ العِدَا يَا مَعْرِضَ الخَجَلِ

وَمِنْ عَلاَمَاتِهِ أَنَّكَ تَجِدُ صَاحِبَ الكِبْرِ لا يَرْغَبُ قُرْبَ الفُقَرَاءِ مِنْهُ ولاَ يَأْلَفُ إلاَّ الأَغْنِيَاءَ فَالمُتَكَبِّرُ لا يُحِبُّ لِلْمُؤْمِنِيْنَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ لِأَنَّهُ لا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ بِسَبَبِ كِبْرِهِ وَعُجْبِهِ وَلاَ يَقْدِرُ عَلَى التَّوَاضُعِ وَهُوَ رَأْسُ أَخْلاَقِ الأَصْفِيَاءِ .

وَلاَ يَقْدِرُ المُتَكَبِّرُ عَلَى تَرْكِ الحِقْدِ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدُوْمَ عَلَى الصِّدْقِ وَلاَ يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِ الغَضَبِ وَلاَ عَلَى كَظْمِ الغَيْظِ ولاَ يَسْلَمُ مِنَ احْتِقَارِهِ لِلنَّاسِ وَلاَ يَسْلَمُ مِن الغِيْبَةِ وَالبُهْتِ لِأَنَّهُ فِيْهِ مِن العَظَمَةِ وَالعِزَّةِ وَالكِبْرِيَاءِ مَا يَحُوْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ .

فَمَا مِنْ خُلُقٍ ذَمِيْمٍ وَقَبِيْحٍ إلاَّ وَصَاحِبُ الكِبْرِ مُضْطَرٌّ إِلَيْهِ لِيَحْفَظَ بِهِ عِزَّهُ وَعَظَمَتَهُ وَلِذَلِكَ وَرَدَ في الحَدِيْثِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ في قَلْبِهِ

مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ وفي وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لابْنِهِ يَقُولُ « وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحاً إنَّ اللهلا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُوْرٍ » .

وَمِنْ تَعَالِيْمِ رَبِّنَا لِهَذِهِ الأُمَّةِ وَنَبِيِّهَا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَلاَ تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحاً إنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبَالَ طُوْلا ﴾ .

وَبِالحَقِيْقَةِ إنَّ المتكَبِّرَ مِسْكِيْنٌ ثم مِسْكِيْنٌ إلَى حَدٍّ يَسْتَحِقُّ مَعَهُ الرِّثَاءُ فإنَّكَ بَيْنَمَا تَرَاهُ بِهَذِهِ الكِبْرِيَاءُ وَالعَظَمَةِ تَرَاهُ غَارِقاً في بَحْرِ المَعَاصِيْ وَذُلِّهَا يُلْقِي نَفْسَهُ في جَهَنَّمَ .

أَيَظُنُّ هَذَا المِسْكِيْنُ أَنَّهُ عَزِيْزٌ واللّهُ عَلَيْهِ غَضْبَانُ أَوْ يَظُنُّ أَنَّهُ رَفِيْعٌ وَهُوَ فِي قاذُوْرَاتِ المَعَاصِيْ إنَّ العِزَّةَ والرِّفْعَةَ لاَ يَحْصُلاَنِ بِالدَّعْوَى وَلَيْسَ حُصُوْلُهُمَا بِيَدِ مَخْلُوقٍ وَلَكِنَّهُمَا بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ يَمْنَحُهُمَا إلَى مَنْ يُسَارِعُونَ إلى طَاعَةِ مَوْلاَهُم جلَّ وَعَلاَ وَتَقَدَّسَ .

فَيَا عِبَادَ اللهِ انْصَحُوا مَنْ وَقَعَ فِي وَرْطَةِ الكِبْرِ وَقُولُوا لَهُ تَدَبَّرْ كَلاَمَ رَبِّ العَالَمِيْنَ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْتَكْبِرِيْنَ ﴾وَقَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الذِيْنَ يَتَكَبَّرُوْنَ في الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وإنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإنْ يَرَوْا سَبِيْلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوْهُ سَبِيْلاً وَإنْ يَرَوْا سَبِيْلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيْلاَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِيْنَ » .

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيْهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحْشَرُ المتَكَبِّرُوْنَ أَمْثَالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمْ

الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ يُسَاقُوْنَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ بُوْلُسْ تَعْلُوْهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِيْنَةِ الخَبالِ رَوَاهُ النَّسَائِيّ وَالتِرْمِذِيْ واللَّفْظُ لَهُ وَقَالَ حَدِيْثٌ حَسَنٌ .

اللهُمْ يا جَامِعُ النَاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيْهِ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الصِّدْقِ وَالنِّيةِ الصَّالِحَةِ والاخلاصِ والخُشُوعِ والمُرَاقَبَةِ واليَقِيْنِ والعِلْمِ والمَعْرِفَةِ والفَصَاحَةِ والبَيَانِ وَالفَهْمِ فِي القُرْآنِ وَخُصَّنا مِنْكَ بالمَحَبَّةِ وَالاصْطِفَائِيَّةِ وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ الرَّشِيْدِ والرزْقِ الهَنِيْءِ الذِي لَا حِجَابَ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَلَا حِسَابَ ولا سُؤَآلَ ولا عِقَابَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ

آخر :

١٣٦ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللّهْ مَنْ كَانَ المَوْتُ يَطْلُبُهُ كَيْفَ يَقِرُّ لَهُ قَرَار وَمَنْ كَانَ الدَّهْرُ يُجَارِيْهِ فَكَيْفَ يُطِيْقُ الانْتصَار ، وَمَنْ كَانَ رَاحلاً عَنِ الدّنْيَا إلى الآخِرَةِ كَيْفَ يَلَذُّ لَهُ قَرَارُ ، عَجَباً لِمَنْ يَمْلأُ عينهُ بِالنَّومِ وهُوَ لَا يَدْرِي أَيُسَاقُ إلى الجَنَّةِ أَوْ إلى النَّار .

وَلَقَدْ أَحْسَن مَنْ قَال :

(وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ وَهِيَ قَرِيْرَةٌ
وَلَمْ تَدْرِ فِي أَيْ المَكَانِيْنِ تَنْزِلُ)

إنْ هِيَ إلاَّ غَفْلَةٌ وَأُمْنِيَّةٌ عاجِلَةٌ وَسَجِيَّةٌ عَادِلَةٌ جَرَى بِهَا القَلَمُ وَمَضَى عَلَيْهَا سَالِفُ الأُمَمِ ، فَيَا فَرَائِسَ الاحْدَاث وَيَا غَرَائِسَ الاجْدَاث ، لَقَدْ

صَعَقَ المَوْتُ في دِيَارِكُمْ فَنَعَب ، وَصَدَقَكُمْ صَرْفُ الزَّمَانِ وَمَا كَذَب ، فَكَأَنَّهُ قَدْ أَعَادَ عَلَيْكُمْ الكَرَّةَ وَسَلَب ، وَنَغَّصَ عَلَيْكُمُ الْمَسَّرةَ ، وَانْتَهَزَ فِيْكُم الغِرَّة ، فَمَا أَقَالَكُمْ عَثْرَة .

عَنْ كَعْب أَوْ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِيْن قَال : يَقُوْمُونَ مِقْدَارَ ثَلاَثمائَةِ عَامْ قَالَ سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُوْلُ : مَا ظَنَّكَ بِأَقْوَام قَامُوا لِلَّهِ عَزّ وَجَل عَلى أَقْدَامِهِمْ مِقْدَارُ خَمْسِيْنَ أَلْفَ سَنَة لَمْ يَأْكُلُوا فِيْهَا أَكْلَة وَلَمْ يَشْرَبُوا فِيْهَا شَرْبَـةْ حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ أَعْنَـاقُهِمْ مِنَ الْعَطَشْ وَاحْتَرَقَتْ أَجْوَافُهُمْ مِنَ الجُوْعِ انْصُرِفَ بِهِمْ إلى النَّارْ فَسُقَوا مِنْ عَيْنٍ قَدْ آنَ حَرُّهَا واشْتَدَّ نَفْحُهَا .

فَلَمَّا بَلَغَ المَجْهُودُ مِنْهُمْ مَالاَ طَاقَةَ لَهُمْ بِهْ كَلَّمَ بَعْضُهُمْ بَعْضَاً في طَلَبِ مَنْ يَكْرُمُ عَلى مَوْلاَهُ أَنْ يَشْفَعَ لَهُمْ في الرَّاحَةِ مِنْ مَقَامِهِمْ وَمَوْقِفَهِمْ لِيَنْصَرِفُوا إلى الجَنّةِ أَوْ إلى النَّارْ مِنْ وُقُوفِهِم فَفَزعُوا إلى آدَمَ وَنُوحٍ وَمِنْ بَعْدِهِ ابْرَاهِيْمَ وَمُوْسَى وَعِيْسَى كُلُّهُمْ يَقُولُ إنَّ رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ مِثْلَهُ قَبْلَهْ وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهْ مِثْلَهْ فَكُلُّهم يَذْكُرُ شِدَّةَ غَضَبِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَل وَيُنَادِي بالشُّغُل بِنَفْسِهْ فَيَقُولَ نَفْسِي نَفْسِي فَيَشْتَغِلُ بِنَفْسِهِ عَنَ الشَّفَاعَةِ لَهُمْ إلى رَبِّهِمْ لإِهْتِمَامِهِ بِنَفْسِهِ وَخلاَصِهَا .

وَكَذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَل ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِها فَبَادِرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهْ وَأَنْتُم في مَكَانِ الإِمْكَانْ ، قَبْلَ ضِيْقِ الأَوْطَان ، وَتَقَلُّصِ اللّسَانْ واصْفِرَارِ البَنَان ، والتَّقَلُّبِ مِن جِهَةٍ إلى جِهَة مِنْ شِدَّةِ الآلام.

وَرَفْعُ يَدٍ وَوَضْعُ الأُخْرَى مِنْ شِدَّةِ السَّكَرَات ، لِجَذْبِ الرُّوحِ مِن

العُرُوقِ والعَصَبِ والعِظَام ، قَبْل شُخُوصِ البَصَر ، وَبُرُودَةِ البَدَن ، وَنَقْلِهِ لِبَيْتِ الدَّوْدِ والظُّلْمَةِ وَالوَحْشَةِ والإنْفِرَادِ وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيْرٍ ، وَمَا يَعْقُبُه مِنْ كُلِّ أمْرٍ خَطِيْرٍ في يَوْمٍ يَشِيْبُ مِنْ أَهْوَالِهِ الوِلْدَان .

اللَّهُمَّ نَجِّنَا برحمتِكَ مِن النارِ وَعَافِنَا مِن دَارِ الخِزْيِ والبَوَارِ وأدْخِلنا بِفَضْلِكَ الجنةَ دارَ القَرارِ وعامِلْنَا بِكرمِكَ وَجُودِكَ يا كريم يا غَفارُ واغْفِرْ لَنَا ولوالِدِيْنَا ولجميعِ المسلمينَ الأحياءِ منهْم والميتينَ بِرَحْمَتِكَ يا أرحَمَ الراحمينَ وصَلَّى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبهِ أجمعين .

آخر : ١٣٧ مَوْعِظَةٌ

أبنَ آدمَ كَأَنَّك بالمْوتِ وَقَدْ فَجَأكَ وَأَلْحقَكَ بِمَنْ قَدْ سَبَقَكَ مِنَ الأُمَمِ وَنَقَلَكَ مِنَ الْقُلَلِ والْعَمَائِرِ إلَى بَيْتِ الْوِحدةَ وَالْوحْشَةِ والظُّلَمِ وَمِنْ ذَلِكَ إلى عَسْكَرِ الْمَوْتى مُخَيِّمَةٌ بَيْنَ الْخِيَمِ مُفرِّقاً مِن مَّالِكَ مَا اجْتَمَعَ وَمِنْ شَمْلِكَ مَا انْتَظَمَ وَلَيْسَ لَكَ قُدْرَةٌ فَتَدْفَعُهُ بِكَثْرةِ الأَمْوالِ وَلا بِقُوةِ الْخَدَمِ وَندِمْتَ عَلى التَّفْرِيْطِ وَلاَتَ سَاعَةَ نَدَمْ .

فَيَا عَجباً لِعَيْنٍ تَنَامُ وَطَالِبُهَا مُجِدٌّ في طَلَبِهَا لَمْ يَنَمْ،مَتَى تَحْذَرُ مِمَّا تُوَعدُ وَتُهَدَّدْ،وَمَتَى تَضَرَّمُ نَارُ الْخَوْفِ في قَلْبِكَ وتتوقَد،إلىَ مَتَى حَسَناتُكَ تَضْمَحِلُ وَسيئاتُكَ تَتجدَّد،وإلى مَتَى لا يَهُوْ لُكَ زَجْرُ الْوَاعِظِ وَانْ شَدَّدْ وَإلى مَتَى وَأَنْتَ بَيْنَ الْفُتُورِ وَالتَّوانِي تَرَدَّدْ مَتَى تَحْذَرُ يَوْماً تَنْطِقُ فِيْهِ الْجُلُودُ وَتَشْهَدُ وَمَتَى تُقْبِلُ عَلى مَا يَبْقَى وَتَتْرُكُ مَا يَفْنَىٰ وَينفَدْ .

مَتَى تَهُبُّ بِكَ في بَحْرِ الْوُجْدِ رَيْحُ الْخَوْفِ والرَّجا مَتَى تَكُونُ في اللَّيْل قَائِماً إذَا سَجَى أيْنَ الَّذِينَ عَامَلُوا مَوْلاهُم بالأخِلاصِ وانْفَرَدُوا وَقامُوا

فِي الدُّجَى فَرَكَعُوا وَسَجَدُوا وَقَدِمُوا إلى بَابِه فِي الأَسْحَارِ وَوَفَدُوا وَصَامُوا هَوَاجِرَ النَّهارِ فَصَبَرُوا واجْتَهدُوا ، لَقَدْ سَارُوا وَتَخلفْتَ وَفَاتَكَ مَا وَجَدُوا وَبَقِيْتَ في أَعْقَابِهِمْ وإِنْ لَمْ تُسْرِعْ وَتَجْتَهِدْ بَعُدُوا .

فَتَنَبَّهْ وَتَيَقَّظ يَا مِسْكِينُ قَبْلَ أَنْ يُفَاجِئَكَ هَادِمُ اللَّذَّات فَلاَ تَقْدِرُ عَلى اسْتِدْرَاكِ لِمَا فَاتَ ، قَالَ اللَّهُ جَلاّ وَعَلاَ ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُوْلَ رَبِّي لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلى أَجَلٍ قَرِيْبٍ فَأَصَّدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِيْنَ•وَلَن يُوخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذا جَاءَ أَجَلُها واللَّهُ خَبيرٌ بِمَا تَعْمَلوْن ﴾ .

اللهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ والعَزِيْمَةَ عَلَى الرُّشْدِ وَنَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ وَنَسْأَلُكَ قَلْباً سَلِيْماً وَلِسَاناً صَادِقاً وَنَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ علَى مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

آخـر :

١٣٨ مـوعظـة

عِبَادَ اللهِ لَقَدْ تَغَيَّرَ أَكْثَرُ أَهْلِ هَذَا الزَّمَنِ في أَحْوَالِهِم الدِّيْنِيَّـةِ تَغَيُّراً يُدْهِشُ ذَوِيْ العُقُولِ تَغَيُّراً مَنْ أَمْعَنَ النَّظَرَ فِيْهِم ظَنَّ أَنَهُمْ لَيْسُوْا مِن فَرِيْقِ المُؤْمِنِيْنَ .

هَذِهِ الصَّلاةُ وهِيَ عَمُودُ الإِسْلاَم آكَدُ أَرْكَانِهِ بَعْدَ الشَّهَـادَتَيْنِ ، أَعْرَضُوا عَنْهَا ، وَلَمْ يُبَالُوا فِيْهَا جَهِلُوا مَا هِيَ الصَّلاةُ ، وَأَيُّ قِيْمَةٍ قِيمَتُهَا وَمَا مَنْزِلَتُهَا بَيْنَ سَائِرِ الطَّاعَات .

أَمَا عَلِمُوا أَنَّهَا أَوَّلُ مَا يُنْظَرُ فِيْهِ مِن عَمَلِ العَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، فَإِنْ

وُجِدَتْ تَامَّةً صَالِحَةً قُبِلَتْ مِنْهُ ، وَسَائِرُ عَمَلِهِ ، وانْ وُجِدَتْ نَاقِصَةً رُدَّتْ إِلَيْهِ وَسَائِرُ عَمَلِهِ ، ثُمَّ تَكُونُ كالثَّوبِ الخَلَقِ فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا .

عِبَادَ اللهِ إِنَّ الصَلاَةَ عِبَادَةٌ ، وَمُنَاجَاةٌ ، وَقُرْبَى ، نِظَامُهَا الرُكُوعُ والسُجُودُ ، مَعَ التَّذَلُلِ ، والخُضُوعِ ، وَأَقْوَالُهَا القِرَاءَةُ ، والتَّسْبِيحُ ، والابْتِهَالُ ، إِلى اللهِ ، وَتَحرِيْمُهَا التَّكْبِيْرُ وَتَحْلِيْلُهَا التَّسْلِيْمُ وَرُوْحُهَا الإِخْلاَصُ لِلهِ ، وَسِرُّهَا اظْهَارُ العُبُوْدِيَّةِ ، والاسْتِكَانَةِ ، لِعَظَمَةِ الرَّبِ جَلَّ وَعَلا .

إِنَّهَا خَمْسُ صَلَواتٍ في اليَومِ واللَّيْلَةِ ، خَمْسُ وَقْفَاتٍ يَقِفُهَا العَبْدُ أَمَامَ سَيِّدِهِ وَمَوْلاَهُ ، خَالِقِهِ ، وَمُدَّبِرِ أَمْرِهِ ، وَلَهَا عِنْدَ اللهِ ثَوَابُ خَمْسِيْنَ صَلاةً .

شُرِعَتْ لَهَا الجَمَاعَةُ ، وَأُمِرَ بِبِنَاءِ المَسَاجِدِ لأَجْلِهَا ، وَشُرِعَ لَها الأَذَانُ ، لِيَنْتَبِهِ الغَافِلُ ، وَيَتَذَكَرَ النَّاسِيْ ، والجَاهِلُ ، إِعْلاَماً لِوَقْتِهَا لِيَجْتَمِعَ المُسْلِمُوْنَ إِلَيْهَا ، وَيُؤَدُّوْهَا في جَوٍ يَسُوْدُهُ الإِخَاءُ والمَحَبَّةُ والإِلْفَةُ .

وَهِيَ خَيْرُ العِبَادَاتِ ، وكَانَتْ قُرَّةَ عَيْنِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، كَمَا في الحديثِ « وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصلاةِ » ، وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَرِحْنَا يَا بِلاَلُ بالصلاةِ .

عِبَادَ اللهِ إِنَّ الصَّلاةَ كَمَا عَلِمْتُم عِمَادُ الدِّيْنِ ، وَنُوْرُ اليَقِيْنِ وَمَصْدَرُ البِرِّ ، وَمَبْعَثُ الخَيْرِ ، العَمِيْمِ ، وَعِصْمَةٌ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ عن الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ ، وَنَجاةٌ مِن خَزيِ الدُنْيا وَعَذَابِ الآخِرَةِ .

وقَدْ جَاءَ في الحَديْثِ الصلاةُ نُوْرٌ والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ والصَّبْرُ ضِيَاءٌ وذَكَرَهَا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلام يوماً فَقَالَ مَن حَافظَ عَلَيها كانَتْ لَهُ نُوْرَاً وبُرْهاناً ونجاةً يَومَ القِيَامَةِ .

عِبَادَ اللهِ إنَّ الصلاةَ مِن أَجَلِّ الشَّعَائِرِ الدِّيْنِيَّةِ وأَعْظَمِ المَظَاهِرِ الاسْلامِيَّةِ ومِن أَشْرَفِ العِبَادَاتِ وهِيَ خَيْرُ ما يَتَقَرَّبُ بِهِ العَبْدُ إلى اللهِ وقَدْ كَانَ صَلى اللهُ عليه وسلم يُصَلِّي حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ .

عِبَادَ اللهِ إذا فَهِمْتُم مَا سَبَقَ مِن عِظَمِ شَأْنِ الصَّلاةِ فَمَا بَالُ قَوْمٍ يُهْمِلُونَهَا ويَتَهَاوَنُون بِهَا وَيتكَاسَلُونَ عَنْهَا عندَ حُلُولِ وَقْتِهَا وَمَا بَالُ أَقَوامٍ يَؤَدُّوْنَهَا عَلَى عَجَلٍ وَعلى غَيْر وَجْهِهَا وينْقُرُوْنَهَا نَقْرَ الغُرَابِ كـأَنَّهُم مُكْرَهُونَ عَلَيْهَا وَيَنْسَوْنَ أَنَّهَا وَقْفَةٌ أمامَ بَديْعِ السمواتِ والأَرْضِ فَمِنَ الخَيْرِ أَنْ تَطُوْلَ هَذِهِ الوَقْفَةِ قال صَلى الله عليه وسلم إنَّ طُوْلَ صَلاةِ الرَّجِلُ وقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مَن فِقْهِهِ فأطيْلُوا الصلاةَ واقْصُرُوْا الخُطْبَةَ .

ومِن المُؤْسِفِ أَنَّ أكْثَرَ الخُطَبَاءِ اليَوْمَ عَمِلُوْا بِخَلافِ ذَلِكَ فَأَطَالُوا الخُطْبَةِ وَقَصَّرُوْا الصلاةَ فلا حَوْلَ ولا قوةَ إلا باللهِ .

عِبَادَ اللهِ إنَّ بَعْضَ الناسِ يُؤَدِيْ الصلاةَ تَعُوداً لا تَعَبُّداً وهَذَا مَا جَعَلَهَا لا تَنْهَاهُ عَن فَحْشَاءٍ ولا مُنْكَرٍ لِسَانُ حَالِهِمْ يَقُولَ يا إِمَامُ أَرِحْنَا مِن الصلاةِ .

عِبادَ اللهِ إنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلا أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِنِعَمٍ عَظِيْمَةٍ لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى جَعَلَنَا مِن بَنِيْ آدَمَ وجَعلَ لَنَا سَمْعَاً وأبْصاراً وأَفْئِدَةً ومَنَحَنَا النَّشَاطَ والقُوَّةَ وشَدَّ أَسْرَنَا . وَوَهَبَنَا الصِّحَةَ والعَافِيَةَ والرِّزْقَ وسَهَّلَ عَلَيْنَا الحَرَكَةَ

والسَّعْيَ .

هَذَا البَعْضُ اليَسِيرُ مِن نِعَمِهِ كُلُّهُ كَرَماً مِنْهُ وتَفَضُّلاً ولم يَطْلُبْ مِنَّا إلا دَقَائِقَ مِن يَوْمٍ طَوِيْل نَشْكُرُهُ فِيْهَا وَنَحْمَدُهُ ونَسْأَلُهُ أنْ يَعْفُو عَنَّا ويَرْزُقَنا ويَرْحَمَنَا وَيَحْفَظَنَا وأوْلادَنَا واهَلَنَا وَهَذِهِ لا تَخْرُجُ عن كَوْنِهَا لِخَيرِنَا في الدنْيَا والآخِرَةِ .

فَمَالَنَا لا نَقُومُ بِهَذِهَ الدَّقَائِقَ بِجِدٍّ واجْتِهَادٍ واخْلاصٍ ورَغْبَةٍ ونَشَاطٍ ونَسْعَى إلىَ مُنَاجَاةِ مَوْلانا وسَيِّدِنا رَاغِبِيْنَ ونُحَافِظْ عَلَى أوْقَاتِ الصَّلاةِ ونُقِيْمُهَا على الوَجْهِ الأكْمَلِ لاَ شَكَّ أنَّ العَبْدَ عِنْدَمَا يُحَاسِبُ نَفْسَهُ يَخْجَلُ ويَسْتَحِي جِدًا وَيَتَذَكَّرُ أَنَّ الصلاةَ التي هِيَ صِلَةٌ بَيْنَه وبَيْنَ مَوْلاَهُ لا تَأْخُذُ مِن يومِهِ إلا دَقَائِقَ بَيْنَمَا لهُ بَاقِي اليَومِ كُلِّهِ .

اللَّهُم أرْزُقْنَا المَعْرِفَةَ على بَصِيْرَةٍ بِكَ وبأَسْمَائِكَ وصِفَاتِكَ وَوَفِّقْنا لِما تُحِبُّهُ وتَرْضَاهُ مِن الأَعمَالِ وجَنِّبْنَا مَا تكْرَهُهُ ولا تَرْضَاهُ مِن الأَقْوَالِ والأَعْمَالِ وآتِنَا في الدنيا حَسَنَة وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وقِنَا عَذَابَ النَّارِ يا عَزِيْزُ ويَا غَفَّارُ واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى اللهّ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

١٣٩ خطبة

«في ذكر صفة الجنة وأهلها»

الحَمْدُ للّهِ البرِّ الكريم . الرؤوفِ الرحيم · ذي الفضْلِ العظيم والاحْسانِ الشامِلِ الكامِلِ العميم . وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللّهُ وحدهُ لا شريكَ لهْ الملكُ العظيم. وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبدُه ورسُولهُ

المصطفى الكريمُ. اللّمُ صلِّ وسلّمْ وباركْ على محمّدٍ وعلى آلهِ وأصحابِه السالكين للصّراطِ المستقيم.

أمّا بعدُ: أيُّها النّاسُ اتّقوا اللّهَ تعالى فانّ اللّهَ أعدَّ الجنّةَ للمُتّقين. «الذين يُنْفقونَ في السّرّاء والضراءِ والكاظمينَ الغيظَ والعافينَ عنِ النّاسِ واللّهُ يُحبُّ المحسنينَ والذّين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا انفُسَهمْ ذكرُوا اللّهَ فاستغفروا لذنوبهم ومنْ يغفرُ الذنوبَ إلاّ اللّه ولمْ يُصروا على مافعلوا وهمْ يعلمون أولئك جزاهُمْ مغفرة منْ ربهمْ وجناتٌ تجري من تحتها الأنهارُ خالدينَ فيهاونعِم اجْرُ العاملين» فيها مالا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ ولا خطرَ على قُلوبِ العالمين. فيها أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسنٍ وأنهارٌ من لبنٍ لم يتغير طعمُهُ وأنهارٌ من خمرٍ لذةٍ للشاربين «علينا شقْوتُنا وكنا قوماً ضالين ربّنا اخرِجْنا منها فإنْ عُدنا فإنّا ظالمون قال: اخسَوا فيها ولاتُكلمون. فحينئذٍ ييأسُونَ من كلِّ خيرٍ ويأخذونَ في الزّفيرِ والشهيقِ. وكلما رفعهمْ اللهبُ وأرادوا أنْ يخرجوا منْها: أُعيدوا فيها وقيلَ لهُمْ: ذُوقُوا عذابَ الحريقِ. لايُفتّر عنهم من عذابها وهُمْ فيه مُبْلِسونَ ويبْكونَ دما بعدُ الدّموعِ فلا يُرحمون جزاءً بما كانوا يكسبون. قدْ فاتهم مرادُهمْ ومطلوبُهمْ. واعترفوا بذنُوبِهم واحاطتْ بهمُ ذنُوبهم يدعونَ بالويْلِ والثبورِ ياثُبوراه ياحسرتنا على مافرّطْنا في جَنْبِ

اللهِ . واحزُنَنا من فظيعةِ العذابِ والشَّقا . واكربَنا من دارِ العِقابِ وتجدُّدِ العَنا . وافجيعتَنا من الخلودِ في الجحيمِ وياعظمِ البَلا . فمالنا من شافعين . ولا أولياء وأخلاء دافعين قد نَسِيَنا الرحمنُ في العذاب كما نَسيناهُ . وكما جحدْنا آياتِه وجُزاءَهُ ولِقاهُ . فوالله أنَّ أفئدتَنا لتَفتَّتُ من قوَّةِ العِقابِ . وإنَّ قلوبَنا لتَتقطَّعُ من الكروبِ وعِظَمِ المصابِ . سَواءٌ علينا اجزعْنا أمْ صبرنا فالعذابُ دائمٌ وسواءٌ دعَونا أو سكتْنا فَلَيْسَ لَنا مُشْفِقٌ ولا وَلِيٌّ ولا راحمٌ . باركَ اللّهُ لي ولكمْ في القرآنِ العظيم .

١٤٠ خطبة

« في النارِ وصفتها وأهلها »

الحمْدُ لله الذي جعَلَ النارَ مثْوىً للكافرينَ * وعاقبةَ المجرمين والمتكبرِين والمتجبرين فهو الحكمُ العدْلُ شديدُ العقابِ وأحكمُ الحاكمين وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاشريك لهُ الملكُ الحقُّ المبينُ * وأشْهدُ أن محمَّداً عبدُه ورسُولُهُ الذي حذَّرَ وأنذَرَ وأخبرَ أنَّ جهنَّمَ مثوى الظالمينَ * اللَّهمَّ صلِّ وسلِّمْ على محمدٍ وعلى آلهِ وأصحابِه أئمَّةِ المتَّقين * وعلى التابعينَ لهُمْ باحْسانِ الى يومِ الدّين .

أمَّا بعد : ايُّها الناسُ اتَّقوا ربَّكُمْ واتَّقوا النارَ التي أعدَّتْ للكافرين * وأطيعوا اللهَ ورسُولَه إنْ كُنْتُمْ مؤمنين * فإنَّ اللهَ اخبرَ أنَّهُ لايُصلي النارَ إلاَّ الأشْقى * الذي كذَّبَ وتولّى *

وجمعَ فأوعى * ونَسِيَ المُبتَدأ والمنتهى * فهي دارُ مَنْ طَغَى وبَغى * وتجبَّر على الخلقِ وآثرَ الحياةَ الدُّنيا * دارُ الشقاءِ الأبديِّ * والعذابِ الشديدِ السرمَديِّ * دارٌ جمعَ اللهُ فيها للطَّاغينَ أصنافَ العذابِ * وأحلَّ عَلَى أهلِها السُّخطَ والسعيرَ والحِجابَ * دارٌ اشتَدَّ غيْظُها وزفيرُها * وتَفَاقَمَتْ فظاعتُها وحَمي سعيرُها * قَعرُها بعيدٌ * وعذابُها شديدٌ * ولِباسُ أهلِها القَطِرانُ والحَديدُ * وطَعامُهُمْ الغِسْلينُ وشرابُهُم الصَّديدُ * يَتَجرَّعهُ المجرمُ ولا يكادُ يُسيغُهُ ويأتيهِ الموتُ من كلِّ مكانٍ وما هو بميِّتٍ فيستريحَ من التَّنكيدِ * يتردَّدُ أهلُها بينَ الزمهريرِ المفرِطِ بَرْدُهُ وبينَ السعيرِ * ويلاقونَ فيها العنا والشقا فيا بئسَ المثوى ويابئسَ المصيرُ * ويأتي عليهم الجوعُ الشديدُ المُفظِعُ * والعطشُ العَظيمُ الموجِعُ * فيستغيثُونَ للطعامِ والشرابِ * فيغاثونَ من هذا العذابِ بأفظعِ عذابٍ * يغاثونَ بماءٍ كالمُهلِ وهو الرصاصُ المذابُ * خبيثُ الطعمِ منتنُ الرِّيحِ حرهُ قدْ تَناها * إذا قرُبَ من وجُوهِهِم اسقَطَ جلْدَها ولحمَها وشواها وإذا وقعَ في بطُونِهِمْ صَهرَها وقطَعَ معَاها * يغلي طعامُ الزَّقومِ في بُطُونِهِم كغلي الحميمِ فشاربونَ عليهِ من الحميمِ . فشاربونَ شُرْبَ الإبلِ العِطاشِ الهيمِ . هذا نُزُلَهُمْ فبئسَ النُّزُلُ غيرُ الكريم . ينادونَ مالكاً خازنَ النَّارِ : « ليقْضِ علينا ربُّك » فيقولُ : « إنَّكُمْ ماكثون . لقدْ جئناكُمْ بالحقِّ واكثرُكُمْ

للحقِّ كارهون. ويُنادُونَ مستغيثين بربّهم: « ربَّنا غلبَتْ
وأنهارٌ من عسلٍ مصفى * ولهم فيها من كلِّ الثمراتِ والفواكه
المتنوّعةِ لذيذة الطعمِ سهلةَ المنالِ على المتناولينَ * وفاكهةٍ
ممّا يتخيرونَ ولحمِ طيرٍ ممّا يشتهون * ظلّها ممدودٌ وخيرُها غزيرٌ
غيرُ محدُودٍ * وأنهارُها تجري في غيرِ اخدودٍ * فتباركَ الرَّبُّ
المعبودُ * دارٌ جلَّ منْ سوَّاها وبناها * دارٌ طابتْ للأبرارِ
منازلُها المزخرفةُ وسُكناها دارٌ تبلغُ النُّفوسُ فيها مُنْيتَها
ومُناها * رياضُها النّاضرةُ تجمعُ الأصفياء المتحابّين * وبساتينُها
الزّاهرةُ نُزهةُ المُشتاقين * وخيامُ اللؤلؤِ والدُّرِ على شواطيءِ
أنهارِها بهجةٌ للنّاظرين * فيها خيراتُ الأخلاقِ حسانُ الوجوهِ
قدْ جمعَ اللهُ لهُنَّ الجمالَ الباطنَ والظّاهر من جميعِ الوجُوهِ *
ابكاراً عرباً أتراباً كأنّهُنَّ اللؤلؤ المكنُونُ * قاصراتُ الطّرفِ منْ
حُسْنهنَّ الّذي قصُرَ عنْ وصْفِهِ الواصفونَ * مقصوراتٌ
في خيامِ اللّؤلؤ والزَّبرْجدِ عن رؤيةِ العيُونِ * يتمتّعُ أهلُها
في كرم الرَّبِّ الرَّحيم * وينظرونَ بإبصارِهمْ الى وجْهِه الكريم.
فإذا رأوا ربَّهُمْ تعالى نسُوا ماهمْ فيه من النَّعيم * يُنادي المُنادي
في ارجاءِ الجنّةِ مُبَشِّراً لأهْلِها بدوامِ النعيم سَرْمَداً * إنَّ
لكم إنْ تحيوا فلا تموتُوا ابداً * وإنَّ لكم أنْ تصحّوا فلا تمرضوا
ابداً * وإنْ لكم أن تَشبّوا فلا تهرموا أبداً * وإنْ لكم أنْ تنعَموا فلا

تيأسوا أبداً * وانَّ لكمْ انْ يُحلَّ الكريمُ عليكُمْ رِضْوانَهُ فلا يسْخَطُ عليْكمْ ابداً يتزاورُ فيها الأصحابُ والأقاربُ والأحْبابُ ويجْتَمعُونَ في ظِلِّها الظليل * ويتعاطُونَ فيها كؤُوسَ الرَّحيقِ والتَّسنيم والسَّلْسَبِيلِ * ويتَنَادَمُونَ بأطْيبِ الأحاديثِ مُتحدِّثينَ بِنِعَمِ المولى الجليل * قد نُزِعَ من قلوبِهِمْ الغلُّ والهمُّ والأحْزانُ * وتوالتْ عليهم المسَّراتُ والخيراتُ والكرمُ والإحْسانُ * لِمثْلِ هذه الدارِ فلْيعْمَلِ العاملون * وفي أعمالها الموصِلةِ إليها فَلْيتنَافسِ المُتنافِسُونَ * فواعجباً كيْفَ نامَ طالِبُها * وكيفَ لم يسْمَحْ بِمَهْرِها خاطِبُها * وكيْفَ طابَ القرارُ في هذه الدَّار بعْد سماع أخبارها * وكيفَ قَرَّ للمشْتاقِينَ القرارُ دون معانقَةِ أبْكارها طريقها يسيرٌ على من يسَّره اللهُ عليْه * وهو امتثَالُ الأوامرِ واجْتنابُ النَّواهي والتَّوبَةُ والأنابةُ إليْهِ .

اللَّهُمَّ انَّا نسْألكَ الجنَّةَ وما قرَّبَ اليْها مِنْ قولٍ وعمَلٍ واعْتقادٍ ونعُوذ بكَ مِن النَّار ومايقربنا إليْها من قوْلٍ وعملٍ واعتقاد إنك انتَ الكريم الجواد .

آخر :

١٤١ مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ الله إنَّ الحَيَاءَ كَمَا عَلِمْتُمْ مِنَ الإيْمَان وَإنَّهُ لَا يَأْتِي إلَّا بخَيْرٍ وَأَنَّهُ خُلق الإسْلَام وَذَلِكَ أَنَّهُ يَجُرُّ إلى الكَمالَات وَإلى الفَضَائِل فَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الحَيَاءِ حَقِيْقَةً فَليقتدِي بِهِمْ وَاليَتَشَبَّه بِهِمْ لأَنهُمْ خَاصَّةُ الفُضَلَاءُ .

فَذُو الحَيَاءِ الخُلُقِي يَمْنَعُهُ حَيَاؤُهُ مِنَ العُدْوَانِ عَلَى المَخْلُوقَاتِ ذُو الحَيَاءِ لَا تَبْدُرُ مِنْهُ بَادِرَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الفَضَائِلْ تَنَافي ذُو الحَيَاءِ لَا يُقْدِمُ عَلَى الزِّنَا بَلْ وَلَا عَلَى مُغَازَلَةِ النِّسَاءِ الّتِي هِيَ مِفْتَاحُ الفُسُوق وَلَا يُقْدِمُ عَلَى مُعَامَلَةٍ في الرِّبَا لِعِلْمِهِ أَنَّ مُتَعَاطِي الرِّبَى العَالِمَ بِتَحْرِيْمِهِ مُحَارِبٌ لِلّهِ وَرَسُولِه .

ذُو الحَيَاءِ لَا يَغُشُّ أَخَاهُ المُؤْمِنْ لِعِلْمِهِ بِتَحْرِيْم الغش وَأَنَّ مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا ذُو الحَيَاءِ لَا يَعْثُوْ في لُحُومِ الغَوَافِلِ ، ذُو الحَيَاءِ لَا يَنْقُلُ كَلَامَ مُؤْمِنٍ إلى أَخِيْهِ لِقَصْدِ الإفْسَادِ بَيْنَهُمْ ذُو الحَيَاءِ لَا يَعِقُّ وَالِدَيْهِ وَلَا يَقْطَعُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَلَا يَشْهَدُ بالـزُّوْرِ وَلَا يُؤْذِ جِيْرَانَهْ .

صَاحِبُ الحَيَاءِ يَبْتَعِدُ عَنْ أَكْل الحَرَامْ وَعَنْ المُجَاهَرَةِ بِالمَعَاصِي فَلَا يَحْلِقُ لِحْيَتَه لأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ بِذَلِكَ عَاص لِلَّهِ وَلِرَسُولِهْ وَلَا يُخَنفِسْ وَلَا يَجْعَلُ تَوَالِيت لِعِلْمِهِ أَنْ ذَلِكَ تَشَبُّه بِالافْرَنْج وَلَا يَسْتَعْمِلْ المَلَاهِيَ بِأَنْوَاعِهَا مِنْ تَلِفِزْيُونٍ أَوْ سِينَمَاءٍ أَوْ مِذْيَاع أَوْ كُرَةٍ أَوْ بَكمٍ أَوْ عُودٍ أَوْ فِدْيُو أَو نَحوِ ذَلِكَ مِنَ البِدَعِ المُحَرَّمَاتِ التِي حَدَثَتْ في زَمَنِنَا كالمذكورات.

صَاحِبُ الحَيَاءِ لَا يَشْرَبُ الدُّخَانَ أَوْ إنْ بُلِيَ بِهِ فَلَا يَشْرَبُهُ في

الأَسْوَاقِ وَمَجَامِعِ النَّاسِ لِعِلْمِهِ أَنَّهُ إِذَا جَاهَرَ بِهِ فِي ذَلِكَ إِزْدَادَ إِثْمُهُ وَعَظُمَ جُرْمُهُ ذُوْ الحَيَاءِ لَا يَخْلُو بامْرَأَةٍ لا مَحرَم مَعَهَا لَا فِي بَيْتٍ ولا فِي سَيَّارَةٍ ولا فِي أَيّ مَحَلٍ لِعِلْمِهِ أَنَّ خَلْوَةً بالأَجْنَبِيَّةِ مُحَرَّمٌ لِلأَحَادِيْثِ الواردةِ في ذَلِكَ .

صَاحِبُ الحَيَاءِ لا يَبِيْعُ وَيَشْتَرِي فِي صُوَرِ ذَوَاتِ الأَرْوَاحِ مُجَسَّدَةً أَو غَيْرَ مُجَسَّدَةٍ ولا يَبِيْعُ آلاتِ اللَّهْوِ كَالتَّلفِزْيُونِ والسِّيْنَمَا وَالمِذْيَاعْ لِعِلْمِهِ أَنَّ ذَلِكَ مُحَرَّمٌ وَأَنَّهُ بتَعَاطِيْهِ ذَلِكَ يَكُونُ مُعِيْناً عَلَى نَشْر المَعَاصِي في أَرْضِ اللَّهِ بَلْ وَلَا يُصلِّحُها لِأَنَّ ذَلِكَ مُسَاعَدَةٌ عَلى المَعَاصِي .

وَالأَجْرَةُ حَرَام الَّتِي تَأْتِي مُقَابِلَ تَصْلِيْحِ آلَاتِ اللَّهْوِ وَالفُسُوقْ وَقِسْ عَلى ذَلِكَ بَاقِيَ المُحَرَّمَات فَصَاحِبُ الحَيَاءِ الخُلُقِيَ يَسْتحِي مِنَ اللّهْ وَمن اسْتَحْيَا مِنَ اللّهْ لَمْ يُغْضِبْهُ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُهْلِكَ عَبْداً نَزَعَ مِنْهُ الحَيَاء فَإِذا نَزَعَ مِنْهُ الحَيَاءَ لَمْ تُلْفِهِ إِلَّا مَقِيْتاً مُمَقَّتاً فَإِذَا لَمْ تُلْفِهِ إِلَّا مَقِيْتاً مُمَقَّتاً نُزِعَتْ مِنْهُ الأَمَانَةُ فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الأمانَة لَمْ تُلْفِهِ إِلَّا خَائِناً مُخَوَّناً فَإِذَا لَمْ تُلْفِهِ إِلَّا خَائِناً مُخَوَّناً نُزِعَتْ مِنْهُ الرّحمة فإذا نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَة لَمْ تُلْفِهِ إِلَّا رَجِيْماً مُلَعَّناً نُزِعَتْ مِنْهُ رَبْقَةُ الإِسْلَام رواه ابْنُ مَاجه .

قَالَ العُلَمَاءُ عَلَى هَذَا الحَدِيْث ، وَهَذَا تَرْتِيْبُ دَقِيْقٌ فِي وَصْفِهِ لأَمْرَاضِ النُّفُوسْ وَتَتَبُّعِهِ لِأَطْوَارِها وَكَيْفَ تُسَلِّمُ كُلُّ مَرْحَلَةٍ خَبِيْثَةٍ إِلى أخْرَى أَشَدَّ نُكراً فَإِنَّ الرَّجُلِ إِذَا مَزَّقَ جِلْبَابَ الحَيَاءِ عَنْ وَجْهِهِ وَلَمْ يَتَهَيَّبْ عَلَى عَمَلِهِ حِسَابَا وَلَمْ يَخْشَ فِي سُلُوكِهِ لَوْمَةَ لائِم مَدَّ يَدَ الأَذَى لِلنَّاس

وَطَغَى عَلَى كُلِّ مَنْ يَقَعُ فِي سُلْطَانِهِ .

وَمِثْلُ هَذَا الشَّخص الشَّرِسْ لَنْ تَجِدَ لَهُ قَلْباً يَعْطِفُ عَلَيْهِ بَلْ يَغرِسُ الضَّغَائِنَ في القُلُوبِ وَيُنَمِّيْها وَأَيُّ شَخْصٍ جَرِيءٌ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى النَّاسِ وَلَا يَرُدُّهُ عَنِ الآثامِ حَيَاءٌ فَاذَا صَارَ الشَّخْصُ بِهَذِهِ المثابَةِ لَمْ يُؤْتَمَنْ عَلَى شَيْءٍ قَطْ إِذْ كَيْفَ يُؤْتَمَن عَلَى أَمْوَالٍ لَا يَخْجَلُ مِنْ أَكْلِهَا أَوْ عَلَى أَعْرَاضٍ لَا يَسْتَحِي مِنْ فَضْحِها أَوْ عَلَى مَوْعِدٍ لَا يَهُمُّهُ أَنْ يُخْلِفَهْ أَوْ عَلَى وَاجِبٍ لَا يُبَالِي أَنْ يُفَرِّطَ فِيْهِ أَوْ عَلى بِضَاعَةٍ لَا يَتَنَزَّهُ عَنِ الغِشِّ فِيْها .

فَإِذَا فَقَدَ الشَّخْصُ حَيَاءَهُ وَفَقَدَ أَمَانَتَهُ أَصْبَحَ وَحْشِيًّاً كَاسِراً يَنْطَلِقُ مُعَرْبِدَاً وَرَاءَ شَهْوَاتِهِ وَيَدُوسُ في سَبِيْلِها أَزْكى العَواطِفْ فَهُوَ يَغْتَالُ أَمْوَالَ الفُقَراء غَيْرَ شَاعِرٍ نَحْوَهُمْ برِقَّةٍ وَيَنْظُرُ إلى المَنْكُوبِيْنَ والمُسْتَضْعَفِينَ فَلَا يَهْتَزُّ فُؤَادُهُ بِشَفقَةٍ فَهُوَ لَا يَعْرِفُ إِلَّا مَا يُغوِيْهِ وَيُغْرِيْهِ بِالمَزِيْد .

وَيَوْمَ يَبْلُغُ امرُؤٌ هَذَا الحَضِيْضَ فَقَدْ أُفْلِتَ مِنْ قُيودِ الدِّيْن وَانْخَلَعَ مِنْ رِبْقَةِ الإِسْلَام ، وَلِلْحَيَاءِ مَوَاضِعُ يُسْتَحَبُّ فِيْهَا فالحَيَاءُ في الكلام يَتَطَلَّبُ مِنَ المُسْلِمِ أَنْ يُطَهِّرَ فَمَهُ مِنَ الفُحْشِ وَأَنْ يُنَزِّهَ لِسَانَه عَنِ العَيْب وَأَنْ يَخْجَلَ مِنْ ذِكْرِ العَوْرَاتِ فَإِنَّ مِنْ سُوءِ الأَدَبِ أَنْ تُفْلَت الأَلْفَاظُ البَذِيْئَةُ مِنَ المَرء غَيْرَ عَابِيءٍ بِمَواقِعِهَا وَآثَارِهَا وَمِنَ الحَيَاء أَنْ يَقْتَصِدَ المُسْلِمُ في الكَلَامِ في تَحَدُّثِهِ في المَجَالِس .

اللهم طَهِّرْ قُلوبنا من النِّفاق وعَمَلَنا من الرياء وأَلْسِنتنا من الكَذِبِ وأَعْيُنَنا من الخِيانةِ وآذانَنَا عن الاستماعِ إلى ما لا يُرْضِيكَ وتَوَفَّنا مُسلمين وأَلْحِقْنا بالصَّالحينَ واغفر لنا ولِوالِدَيْنا وجَميعْ المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

١٤٢ خطبة

في الْحَثِّ عَلى تقوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

عِبَادَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلأَوَّلِينَ والآخرينَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الْذِيْنَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَايَاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فَمَا مِنْ خَيْرٍ عَاجِلٍ وَلاَ آجِلٍ ظَاهِرٍ وَلاَ بَاطِنٍ إِلاَّ وَتَقْوَى اللَّهِ سَبِيلٌ مُوصِلٌ إِلَيْهِ ، وَوَسِيلَةٌ مُبْلِغَةٌ لَهُ ، وَمَا مِنْ شَرٍّ عَاجِلٍ وَلاَ آجِلٍ ظَاهِرٍ وَلاَ بَاطِنٍ إِلاَّ وَتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِرْزٌ مَتِينٌ وَحِصْنٌ حَصِينٌ لِلسَّلاَمَةِ مِنْهُ وَالنَّجَاةِ مِنْ ضَرَرِهِ .

وَكَم عَلَّقَ اللهُ العظيمُ في كِتَابِهِ العَزِيزِ على التَّقْوَى من خَيْرَاتٍ عَظِيْمَةٍ وَسَعَادَاتٍ جَسِيْمَةٍ مِن ذَلِكَ المَعِيَّةُ الخاصَّةُ المُقْتَضِيَةُ للحفظ والعِنَايَةِ والنَّصْرِ والتَّأْيِيْدِ ، قَال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ وَمِن ذَلِكَ المَحبَّةُ لِمَنَ اتَّقَى اللهَ ، قال الله تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ التَّوْفِيقُ لِلْعِلْمِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ نَفْيُ الْخَوْفِ وَالْحُزْنِ عَن الْمُتَّقِي الْمُصْلِح قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَمَن اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونْ ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ الفرقَانُ عِنْدَ الإِشْتِبَاهِ وَوُقُوع الاشْكَالِ وَالْكفَّارَةِ لِلسَّيِئَاتِ وَالْمَغْفِرَةِ لِلذُّنُوبِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يـا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا أَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيْمِ ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَانْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِياً ثُمَّ نُنَجِّي الْذِينَ اتَّقَوْا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى :

﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِيْنَ اتَّقُوا بِمَفَازَتِهِمْ لاَ يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونْ ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ الْمَخْرَجُ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالرِّزْقُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ الْيُسْرُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى . ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ عِظَمُ الأَجْرِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعَظِّمْ لَهُ أَجْراً ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ الْوَعْدُ مِنَ اللَّهِ بِالْجَنَّةِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ جَنَّاتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴾ الآيَاتُ إِلى قَوْلِهِ مَنْ كَانَ تَقِيّاً .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرْ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَ الْمَتَقِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾

ومن ذَلِكَ الْكَرَامَةُ عِنَدَ اللَّهِ بِالتَّقْوَى قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ التَّقْوَى هِيَ امْتِثَالُ الأَوَامِرِ وَاجْتِنَابُ النَّوَاهِي ، فَالْمُتَّقُونَ هُمُ الذِينَ يَرَاهُم اللهُ حَيْثُ أَمَرَهُم ولا يُقْدِمُونَ على مَا نَهَاهُمْ عنه .

الْمُتَّقُونَ هُمُ الْذِيْنَ يَعْتَرِفُونَ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِمْ وَيَعْرِفُونَهُ وَيُؤَدُّونَهُ ، وَيُنْكِرُونَ الْبَاطِلَ وَيَجْتَنِبُونَهُ وَيَخَافُونَ الرَّبَّ الْجَلِيْلَ الْذِي لاَ تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ، الْمُتَّقُونَ يَعْمَلُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ فَيُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَهُ وَيُحِلُّونَ مَا أَحَلَّهُ .

وَلاَ يَخُونُونَ فِي أَمَانَةٍ وَلاَ يَرْضُونَ بِالذُّلِّ وَالاهَانَةِ وَلاَ يَعُقُّونَ وَلاَ

يَقْطَعُونَ ، وَلَا يُؤْذُونَ جِيرَانَهُمْ وَلَا يَضْرِبُونَ اخْوَانَهُمْ ، يَصِلُونَ مَنْ قَطَعَهُمْ ، وَيُعْطُونَ مَنْ حَرَّمَهُمْ ، وَيَعْفُونَ عَمَّنْ ظَلَمَهُمْ الْخَيْرُ عِنْدَهُمْ مَأْمُوْلٌ ، وَالشَّرُّ مِنْ جَانِبِهِمْ مَأْمُوْنٌ لَا يَغْتَابُونَ وَلَا يَكَذِبُونَ وَلَا يُنَافِقُونَ .

وَلَا يَنِمُّونَ وَلَا يَحْسِدُونَ وَلَا يُرَاؤُنَ وَلَا يُرَابُونَ وَلَا يَقْذِفُونَ وَلَا يَأْمُرونَ بِمُنْكَرٍ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنْ مَعْرُوفْ ، بَلْ يَأْمُرُوْنَ بالمعروفِ وَيَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَرْ ، تِلْكَ صِفَاتُ الْمُتَّقِيْنَ حَقّاً الذينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالغَيبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُوْنْ .

اخْوانِي ، لَوْ تَحلَّى كُلٌ مِنّا بالتَّقْوَى لَحَسُنَ عَمَلُهْ ، وَخَلُصَتْ نِيَّتُهْ ، واسْتَقَامَ على الهُدَى ، وابْتَعَد عَنِ المَعَاصِي والرَّدَى ، وكانَ يَوْمَ القِيامَةِ مِن النَّاجِين .

وَصْفُ الْمُؤْمِنْ المُتَّقِي
لِلإمَامِ عَلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

اَلْمُتَّقُونَ هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ مَنْطِقُهُمْ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمْ الاقْتِصَادُ وَمَشْيُهُمْ التَّوَاضُعُ غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَوَقَفُوْا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ نَزَلَتْ أَنْفسهم مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَمَا نَزَلَتْ فِي الرَّخَاءِ وَلَوْلَا الأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهَ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقَاً إلى الثَّوَابِ وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ .

عَظُمَ الْخَالِقَ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنْعِمُوْنَ وَهُمْ والنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُون قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ

وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً وَتِجَارَةً مُرِيْحَةً يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ .

أَرَادَتْهُم الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهُ تَرْتِيلاً يُحْزِنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ .

فَإِذَا مَرُّو بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً وَظَنُّوا أَنَّهَا نَصْبَ أَعْيُنِهِمْ وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَئِيرَ جَهَنَّم وَشَهِيْقَها في أُصُولِ آذَانِهِم فَهُم حَانُونَ على أَوْساطِهِم مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وأَكُفِّهِم وَرُكَبِهِمْ وأَطْرَافِ أَقْدَامِهِم يَطْلُبُونَ إِلى اللهِ تعالى في فَكَاكِ رِقابِهِم وأَمَّا النَّهارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أَبْرَارٌ أَتقياءُ .

قَدْ بَرَاهم الخَوفُ بَرْيَ القِدَاحِ يَنْظُرُ إِلَيْهِم النَاظِرُ فَيَحْسَبُهُم مَرْضَى وَمَا بِالقَـوْمِ مِن مَرَضٍ وَيَقُولُ قَدْ خُولِطُوا وَلَقَدْ خَالَطَهُم أَمْرٌ عَظِيْمٌ ؟ لَا يَرْضَوْنَ مِن أَعْمَالِهِم القَلِيْلَ وَلَا يَسْتَكْثِرُوْنَ الكثيرَ فَهُم لِأَنْفُسِهِم مُتَّهَمُونَ وَمِن أَعْمَالِهِم مُشْفِقُونَ إذا زُكِيَ أَحَدُهُم خَافَ مِمَّا يُقَالُ فيقولُ أنا أَعْلَمُ بِنَفْسِيْ مِن غَيْرِيْ وَرَبِي أَعْلَمُ بي مِن نَفْسِي اللهم لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنونَ ، واغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُوْنَ .

فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِم أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فيدِيْنٍ وَحَزْماً في لِيْنٍ وإِيْمَاناً في يَقِيْنٍ ، وَحِرْصاً في عِلْمٍ ، وعِلْماً في حِلْمٍ وَقَصْداً في غِنَى وَخُشُوعاً في عِبَادَةٍ وَتَحمُّلاً في فَاقَةٍ وَصَبْراً في شِدَّةٍ وَطَلَباً في حَلَالٍ وَنَشاطاً في هُدَى وَتَحَرُّجاً عن طَمَعٍ .

يَعْمَلُ الأَعْمَالَ الصَّالِحَة وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ ، يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِكْرُ يَبِيْتُ حَذِراً وَيُصْبِحُ فَرِحاً ، حَذِراً لِمَا حَذِرَ مِن الغَفْلَةِ ، وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِن الفَضْلِ والرَّحْمَةِ ، إِنْ اسْتَصْعَبَتْ عليه نَفْسُهُ فِيْمَا تَكْرَهُ ، لم يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيْمَا تُحِبُّ .

قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيْمَا لا يَزُوْلُ ، وَزَهَادَتُه فِيمَا لا يَبْقَى ، يَمْزِجُ الحِلْم بالعِلْم ، والقولَ بالعَمَلِ ، تَرَاهُ قَرِيْبَاً أَمَلُهُ ، قَلِيْلاً زَلَلُهُ ، خَاشِعاً قَلْبُهُ ، قَانِعَةً نَفْسُه ، مَنْزُوْراً أَكْلُهُ سَهْلاً أَمْرُهُ ، حَرِيْزاً دِيْنُهُ ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ مَكْظُوماً غَيْظُهُ ، الخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ ، والشَرُّ مِنْهُ مأمونٌ .

إِنْ كَانَ في الغَافِلِيْنَ كُتِبَ في الذَّاكِرِيْنَ وانْ كَانَ في الذَّاكِرِيْنَ لَمْ يُكْتَبْ مِن الغَافِلين يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَيُعْطِيْ مَن حَرَمَهُ وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ ، بَعِيْداً فُحْشُهُ ، لَيِّنَاً قَوْلُهُ غائِباً مُنْكَرُهُ ، حَاضِراً مَعْرُوْفُهُ ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ ، مُدْبِراً شَرُّهُ ، في الزَّلاَزِلِ وَقُوْرٌ ، وفي المَكَـارِهِ صَبُوْرٌ وفي الرَّخَاءِ شَكُورٌ .

لاَ يَحْيِفُ على مَن يُبْغِضُ ، وَلاَ يَأْثَمُ فِيْمَنْ يُحِبُ ، يَعْتَرِفُ بِالحَقِّ قَبْلَ أَن يُشْهَدَ عَليه ، لا يُضَيِّعُ ما اسْتُحْفِظَ ، وَلاَ يَنْسَى مَا ذُكِرَ ، وَلاَ يُنَابِزُ بِالأَلْقَابِ ، وَلاَ يُضَارُّ بالجَارِ ، وَلاَ يَشْمُتُ بالمُصَابِ ، ولاَ يَدْخُلُ في البَاطِلِ ، ولا يَخْرُجُ مِن الحَقِّ .

إن صَمَتَ لَم يَغُمُّه صَمْتُهُ ، وانْ ضَحِكَ لم يَعْلُ صَوْتُهُ ، وإِنْ بُغِيَ عَليهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللهُ هُو الذي يَنْتَقِمُ لَهُ ، نَفْسُهُ مِنْهُ في عَنَاءٍ والناسُ مِنْهُ في رَاحَةٍ ، أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ ، وأَرَاحَ الناسَ مِن نَفْسِهِ .

بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ ، وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِيْنٌ وَرَحْمَةٌ ، لَيْسَ تَبَاعُدُه بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ ، وَلَا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيْعَةٍ .

قالَ فَصَعِقَ هَمَّامُ صَعْقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيْهَا . فَقَالَ أَمِيْرُ الْمؤْمِنينَ عليهِ السلامُ أَمَا وَاللهِ لَقدْ كُنْتُ أَخافُهَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَال هَكَذَا تَصْنَعُ المَوَاعِظُ البَالِغَةُ بِأَهْلِهَا فقَالَ لَهُ قَائِلٌ : فَمَا بَالُكَ يا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ فقالَ وَيْحَكَ ، إن لِكلِ أَجَلٍ وَقْتاً لَا يَعْدُوْهُ وسَبَباً لَا يَتَجَاوَزُه أ هـ .

اللهم نَوِّرْ قُلُوبَنَا بنُورِ الايمانْ واجْعَلْنَا هُداةً مُهْتَدِيْنَ وأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ واغفِرْ لَنَا وَلِوَالِديْنا وَجَميعِ المُسلِمِينْ بِرَحْمَتِكَ يا أرحمَ الراحمينَ

اللهُم يا عالمَ الخَفياتِ وَيَا سَامعَ الأَصْواتِ ويَا بَاعِثَ الأَمْواتِ وَيَا مُجِيْبَ الدَعوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الحَاجَاتِ يَا خَالقَ الأَرْضِ والسَّمواتِ أَنْتَ اللَّهُ الاحدُ الصمدُ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يولَدْ ولَمْ يكُنْ لَهُ كُفُواً أَحد الوَهَّابُ الذي لا يَبْخَلُ والحَـليمُ الذي لا يَعْجَـلُ لا رادَّ لامْـرِكَ ولا مُعَقِّـبَ لِحُكَمِكَ نَسْـأَلكَ أنْ تغفرَ ذونوبَنَا وتُنورَ قلوبنَا وَتُثَبِّتَ مَحَبَّتَكَ في قُلوبنَا وَتُسْكِنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إنك عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدِير وَصَلَّى اللَّهُ على محمدٍ وآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

١٤٣ خطبة

في ذم الدنيا والتحذير من فتنتها

الْحَمْدُ لِلّهِ جَعَلَ الدُّنْيَا دَارَ مَمَرٍّ وَالآخِرَةَ دَارَ الْمَقَرِّ. وَأَشْهَدُ أن لاّ إِلَـهَ إلاّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ مَنْ جَحَدَ بِهِ وَكَفَرَ. وأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ إِلَى جَمِيْعِ الْبَشَرِ. اللَّهُـمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعلى

آلِهِ وَصَحَابَتِهِ الَّذِيْنَ جَاهَدُوا فِي سَبِيْلِ اللّهِ فَمَا وَهَنَ عَزْمُهُم عَنِ الْجِهَادِ وَمَا فَتَر.

أَمَّا بَعْدُ. فَقَدْ قَالَ اللّهُ تَعَالَى (أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِيْنَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَخَيْرٌ أَمَلاً) أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَكِدُّ وَيَكْدَحُ وَيَنْصَبُ لِلْمَالِ يَجْمَعُهُ بِعَرَقِهِ وَسَهَرِهِ وَتَعَبِهِ وَتَفْكِيْرِهِ وَهُوَ الْمُنْقَطِعُ الْفَانِي وَالْمُضْمَحِلُّ، وَيُعْرِضُ عَنِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْبَاقِيَةِ والسَّارَّةِ وَالنَّافِعَةِ عِنْدَ اللّهِ تَعَالَى . وَإِنْ جَاءَهَا فبالْقَلِيْلِ مِنَ الْجِدِّ وَالنَّشَاطِ وَالإِخْلاصِ. وَفِي هَذِهِ الآيَةِ الْكَرِيْمَةِ نَصٌّ صَرِيْحٌ إِلَى أَنَّ الْمَالَ وَالْبَنِيْنَ زِيْنَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ تَخْلُقُ وَتَبْلَى وَتَفْنَى. وَأَنَّ الَّذِي يَبْقَى لِلإِنْسَانِ نَفْعُهُ وَأَثَرُهُ مُضَاعَفاً عِنْدَ اللّهِ تَعَالَى هِيَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ. مِنْ صَلاةٍ وَصَدَقَةٍ وَصَوْمٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ وَقِرَاءَةِ قُرْآنٍ وَذِكْرٍ وَتَسْبِيْحٍ وَتَهْلِيْلٍ وَطَلَبِ عِلْمٍ وَتَعْلِيْمٍ نَافِعَيْنِ وَأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ وَنَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ وَبِرٍّ وَإِحْسَانٍ وَصِلَةِ رَحِمٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَقَدْ ذَمَّ اللّهُ الدُّنْيَا وَحَذَّرَ مِنْ خُضْرَتِهَا وَضَرَبَ لَهَا الأَمْثَالَ الكَثِيْرَةَ وَعَرَّاهَا مِنْ زِيْنَتِهَا وَزُخْرُفِهَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيْزِ وَعَلى لِسَانِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . لِيَتَصَوَّرَهَا النَّاسُ حَقَّ التَّصَوُّرِ وَيَعْرِفُوا بَاطِنَهَا وَظَاهِرَهَا فَيُقَارِنُوا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الدَّار الْبَاقِيَةِ وَيُؤْثِرُوا أَيُّهُمَا أَوْلَى بِالإِيْثَارِ. فَقَالَ تَعَالَى (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيْداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) وَقَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِمَنْ قَامَ عَلى الأُمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ

(وَاضْرِبْ لَهُم مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرَا) وَفِي الصَّحِيْحِ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِجَدْيٍ مَيِّتٍ فَأَخَذَ بِأُذْنِهِ فَقَالَ أَيُّكُم يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ فَقَالُوا مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُم. ذَلِكَ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الَّتِي انْشَغَلَ بِهَا الْكَثِيْرُ مِنَ النَّاسِ عَنِ الآخِرَةِ كَالْمَطَرِ يَنْزِلُ عَلَى الأَرْضِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُهَا أَوْ تَنْبُتُ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيْجٍ. فَبَيْنَمَا خُضْرَتِهَا نَاعِمَةٌ زَاهِرَةٌ تَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ،وَزَهْرَتُهَا فَاقِعَةٌ تَسُرُّ النَّاظِرِيْنَ وَتَأْخُذُ بِالأَلْبَابِ،إِذْ أَصْبَحَتْ هَشِيْماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ فَذَهَبَ ذَلِكَ النَّبَاتُ النَّاظِرُ وَالزَّهْرُ الزَّاهِرُ،وَالْمَنْظَرُ الْبَهِيُّ،فَأَصْبَحَتْ غَبْرَاءَ مُوحِشَةٌ قَدْ صَدَفَ عَنْهَا الْبَصَرُ وَانْحَرَفَ عَنْهَا النَّظَرُ، كَذَلِكَ هَذِهِ الدُّنْيَا بَيْنَمَا صَاحِبُهَا قَدْ أُعْجِبَ بِشَبَابِهِ وَفَاقَ فِيْهَا عَلَى أَقْرَانِهِ وَأَتْرَابِهِ وَحَصَّلَ الدِّرْهَمَ وَالدِّيْنَارَ،وَاقْتَطَفَ مِنْ لَذَّاتِهَا الأَزْهَارَ، وَخَاضَ فِي اللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ أَيَّامَهُ،وَظَنَّ أَنَّهُ لاَ يَزَالُ فِي الدُّنْيَا سَائِراً، وَعَلَى تَصْرِيْفِ أَحْوَالِهَا قَادِراً إِذْ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ عَنْهُ سُرُورُهُ وَزَالَتْ لَذَّتُهُ وحُبُورُهُ وَاشْتَدَّتْ آلامُهُ وَفَارَقَ قُوَّتُهُ وَمَالُهُ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ وَنُقِلَ إِلَى قَبْرِهِ لاَ مَالَ وَلاَ وَلَدَ وَلا خَدَمَ وَلا حَشَمَ مُجَرَّداً ضَعِيْفاً وَحِيْداً فَرِيْداً فَمَنْ يَا تُرَى يُنْجِيْهِ مِنْ بَأْسِ اللّهِ وَيُخَفِّفُ مِنْ كُرْبَتِهِ وَيُؤْنِسُهُ فِي وَحْدَتِهِ وَدَارِ غُرْبَتِهِ. اللَّهُمَّ لا شَيْءَ إِلاّ عَمَلٌ صَالِحٌ قَدَّمَهُ فِي دُنْيَاهُ فَهُوَ أَنِيسُهُ فِي قَبْرِهِ وَرَفِيْقُهُ فِي حَشْرِهِ وَنَشْرِهِ (كُلُّ امْرِءٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ) فَمَنْ زَرَعَ الذُّنُوبَ وَالآثَامَ فِي الدُّنْيَا فَلَنْ يَحْصُدَ إِلاّ الشَّوْكَ وَالضَّرِيْعَ وَالْمُهْلَ فِي الآخِرَةِ مِنْهَا طَعَامُهُ (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّوم

طَعَامُ الأَثِيْمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيْمِ) وَمِنْهَا شَرَابُهُ (وَإِن يَّسْتَغِيْثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً) وَمَنْ زَرَعَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤمِنٌ أَثْمَرَتْ لَهُ الْجِنَانَ الْخَالِدَةَ وَالثِّمَارَ الْيَانِعَةَ وَالْحُورَ النَّاعِمَةَ وَالأَنْهَارَ الْجَارِيَةَ وَالْقُصُورَ الْعَالِيَةَ الَّتِي لا يَسْتَطِيْعُ الإِنْسَانُ وَصْفَ نَعِيْمِهَا فَضْلاً عَنْ عَدِّهِ أَوْ حَدِّهِ قَالَ اللّهُ تَعَالَى (إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً خَالِدِيْنَ فِيْهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً) وَفِي الْحَدِيْثِ الْقُدْسِيِّ يَقُولُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ. أَعْدَدتُّ لِعِبَادِي الصَّالِحِيْنَ مَا لا عَينٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَر. وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيْدِ (فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

وَقَدْ ضَرَبَ اللّهُ تَعَالَى لِلْقِيَمِ الزَّائِلَةِ وَالْبَاقِيَةِ مَثَلاً بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا شَاكِرٌ لِنِعْمَةِ اللّهِ وَالآخَرُ كَافِرٌ بِهَا. وَمَا صَدَرَ مِنْ كُلٍّ مِنْهُمَا مِنَ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ وَمَا حَصَلَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مِنَ الْعُقُوبَاتِ وَالثَّوَابِ الْعَاجِلِ وَالآجِلِ لِيَعْتَبِرَ النَّاسُ بِحَالِهِمَا وَيَتَّعِظُوا بِمَا وَقَعَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا، كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِّنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَراً) هَذِهِ هِيَ الْمُقَدِّمَةُ لِلْقِصَّةِ تَبْدَأُ بِذِكْرِ الْقِيَمِ الزَّائِلَةِ وَتَعْرِيْفِهَا بِجَنَّتَيْنِ مُثْمِرَتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ يَحُفُّ بِهِمَا النَّخْلُ وَيَتَوَسَّطُهُمَا الزَّرْعُ وَتَتَفَجَّرُ بَيْنَهُمَا الأَنْهَارُ، وَإِنَّهُ لَمَنْظَرٌ بَهِيْجٌ حَقّاً حِيْنَ تَكُونُ الْحَدِيْقَتَانِ بِهَذَا الشَّكْلِ وَالتَّنَاسُقِ الْبَدِيْعِ وَخَاصَّةً إِذَا تَوَافَرَتِ الثِّمَارُ وَارْجَحَنَّتِ الأَشْجَارُ وَاطَّرَدَتِ الأَنْهَارُ فَلاَ نَقْصَ فِي ثَمَرٍ

وَلا عَوزَ فِي مَاءٍ وَلا وَجَعَ فِي شَجَرٍ وَلا تَعَبَ فِي رَيٍّ كَمَا يُؤْخَذُ مِنَ الآيَةِ الْكَرِيْمَةِ الآنِفَةِ الذِّكْرِ. وَمَعَ ذَلِكَ النَّعِيْمِ لَمْ يَشْكُرْ صَاحِبُ الجَنَّتَيْنِ رَبَّهُ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِأَصْنَافِ النِّعَمِ بَلْ بَطِرَ وَانْتَفَشَ وَرَكَنَ إِلَى الدُّنْيَا وَافْتَخَرَ بِمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَأَنْصَارِهِ وَأَنْكَرَ الْبَعْثَ كَمَا أَخْبَرَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِقَوْلِهِ (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرا، وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيْدَ هَذِهِ أَبَداً، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَبا) فَلَمَّا سَمِعَ الرَّجُلُ الشَّاكِرُمَقَالَتَهُ لَمْ يَتَّجِهْ إِلَى الْمَتَاعِ وَالزُّخْرُفِ يَسْأَلُهُ رَبَّهُ فَالدُّنْيَا عِنْدَهُ حَقِيْرَةٌ صَغِيْرَةٌ وَإِنَّمَا اتَّجَهَ إِلَى الْقِيَمِ الْبَاقِيَةِ إِلَى تَحْقِيْقِ الْحَقِّ وَإِزْهَاقِ الْبَاطِلِ. فَغَضِبَ لِرَبِّهِ وَانْتَفَضَ الإِيْمَانُ فِي قَلْبِهِ فَلَمْ يُبَالِ الْمَالَ وَلَمْ يُدَارِ النَّفَرَ وَلَمْ يَتَلَعْثَمْ فِي الْحَقِّ وَلَمْ يُجَامِلْ فِيْهِ وَقَالَ مُعْتَزّاً بِعَقِيْدَتِهِ وَإِيْمَانِهِ مُعْتَزّاً بِاللّهِ الَّذِي تَعْنُوا لَهُ الْوُجُوهُ مُنْكِراً عَلَى صَاحِبِهِ بَطَرَهُ وَكِبْرَهُ مُذَكِّراً لَهُ بِمَنْشَئِهِ مِن مَّاءٍ وَطِيْنٍ مُوَجِّهاً لَهُ إِلَى الْأَدَبِ الْوَاجِبِ فِي حَقِّ النِّعْمَةِ وَشُكْرِ الْمُنْعِمِ بِهَا مُنْكِراً عَلَيْهِ طُغْيَانَهُ وَكُفْرَهُ رَاجِياً عِنْدَ رَبِّهِ مَاهُوَخيرٌوَأَبْقَى مِن حَدِيْقَتَيْهِ وَثِمَارِهِ كَمَا أَخْبَرَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ قَال لِصَاحِبِهِ (وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً، لَكِنَّ هُوَ اللّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا، وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَداً، فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيْداً زَلَقَا، أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَنْ تَسْتَطِيْعَ لَهُ طَلَبَا) فَاسْتَجَابَ اللّهُ دَعْوَةَ الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ وَحَقَّقَ مَا تَوَقَّعَهُ عَلَى جَنَّةِ هَذَا الْمَغْرُورِ الْمُتَبَجِّحِ فَمَا هِيَ إِلاّ

سَاعَة مِن نَّهَارٍ أوْ لَيْلٍ فإذَا الثَّمَرُ كُلُّهُ مُدَمَّرٌ كَأنَّمَا أُخِذَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ شَيْءٌ وَإذَا الْجَنَّةُ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا مُهَشَّمَةٌ مُحَطَّمَةٌ وَإذَا الْمَغْرُورُ الْمُنتَفِشُ بِالأمْسِ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ أسَفاً وَحُزْناً عَلَى مَالِهِ الضَّائِعِ وَجَهْدِهِ الذَّاهِبِ وَإذَا كُلُّ شَيْءٍ فِي الْحَدِيقَتَيْنِ يَنْقَلِبُ مِن مَّشْهَدِ النَّمَاءِ والإزْدِهَارِ إلَى مَشْهَدِ الدَّمَارِ وَالْبَوَارِ وَمِنْ هَيْئَةِ الْبَطَرِ والإفْتِخَارِ إلَى هَيْئَةِ النَّدمِ والإنْكسَارِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَأُحِيْطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أنْفَقَ فِيْهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أحداً). وَهَذَا جَزَاءُ كُلِّ مَنْ تَكَبَّرَ وَنَافَقَ وَجَحَدَ فَضْلَ اللّهِ وَكَفَرَ نِعْمَتَهُ وَتَجَبَّرَ عَلَى عِبَادِهِ بِالأمْسِ وَالْيَوْمِ وَبَعْدَ الْيَوْمِ وَفِي الْغَدِ (وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً) نَعَمْ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً (هُنَالِكَ الْوَلاَيَةُ لِلّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً).

فَاتَّقُوا اللّهَ عِبَادَ اللّهِ. وَاتَّقُوا الدُّنْيَا فَإنَّهَا كَمَا عَلِمْتُم دَارُ غُرُورٍ وَعَنْ قَرِيْبٍ تَخْرَبُ ويَمُوتُ أهْلُهَا وَشَمِّرُوا إلَى دَارٍ لا يَخْرُبُ بُنْيَانُهَا وَلا يَمُوتُ سُكَّانُهَا وَلا يَهْرَمُ شَبَابُهَا هَوَائُهَا النَّسِيْمُ يَتَقَلَّبُ أهْلُهَا فِي رَحْمَةِ

١٤٤ خطبة أخيرة
تابعة لما قبلها
وصالحة بعد كل خطبة

الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أيُّكُمْ أحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْغَفُورُ. وَأشْهَدُ أن لاّ إلَـهَ إلاّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ الْعَلِيُّ الْغَنِيُّ الصَّبُورُ الشَّكُورُ. وأشْهَدُ أنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

الْقَائِلِ كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيْبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيْلٍ. اللّٰهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِيْنَ صَانُوا أَنْفُسَهُم عَنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَغُرُورِهَا فَأَعَزَّهُمُ اللّٰهُ وَأَعْلَى ذِكْرَهُمْ فِي الْعَالَمِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ. فَقَدْ قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ. إنَّ الْمَوْتَ كَأْسٌ لاَّ بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ وَإِنْ طَالَ الزَّمَنُ وَلا دَيْمُومَةَ إلاَّ لِلّٰهِ وَحْدَهُ. وَالإِبْتَلاءُ سُنَّةٌ مُلازِمَةٌ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَقَدْ اقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللّٰهِ تَعَالَى أن يَّفْتِنَ عِبَادَهُ بِمَا بِهِ يَتَمَيَّزُ الْخَبِيْثُ مِنَ الطَّيِّبِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ (مَا كَانَ اللّٰهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ) وَالْفِتَنُ أَنْوَاعٌ مُتَعَدِّدَةٌ فَقَدْ يُفْتَنُ الْمُؤْمِنُ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَبِالْغِنَى وَالْفَقْرِ وَقَدْ يُفْتَنُ بِأَنْوَاعٍ أُخْرَى كَثِيْرَةٍ غَيْرَ هَذِهِ وَتِلْكَ لِيُعْرَفَ أَشَاكِرٌ أَمْ كَافِرٌ أَصَادِقٌ أَمْ كَاذِبٌ أَصَابِرٌ أَمْ قَانِطٌ (أَمْ حَسِبْتُمْ أن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّٰهُ الَّذِيْنَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِيْنَ ــ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيْراً) وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفِتَنِ وأَقْوَاهَا عَلَى أَرْحمِ الرَّاحِمِيْنَ وَيتَمَتَّعُونَ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيْمِ. دَعْوَاهُم فِيْهَا سُبْحَانَكَ اللّٰهُمَّ وَتَحِيَّتُهُم فِيْهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُم أَنِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ. أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْم (فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيْمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) اللّٰهُمَّ لا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلا مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلا إِلَى النَّارِ مَصِيْرَنَا، اللّٰهُمَّ لا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا بِذُنُوبِنَا مَن لاَّ يَخَافُكَ وَلا يَرْحَمُنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ. اللّٰهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا

الإيْمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلوبِنَا. اللَّهُمَّ كَرِّهْ إِلَيْنَا الْكفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِيْنَ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَأَزْوَاجِنا وَذرِّيَّاتِنَا وَجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ الْحَيِّيْنَ مِنْهُم وَالْمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

النُّفوسِ الْمُؤْمِنَةِ فِتْنَةَ الْمَالِ، وَكَانَ يُقَالُ مِنَ الْعِصْمَةِ أن لاَّ تَجِدْ. وَفِتْنَةُ السَّرَّاءِ أَعْظَمُ مِنْ فِتْنَةِ الضَّرَّاءِ (إِنَّمَا أَمْوَالُكُم وَأَوْلاَدُكُم فِتْنَةٌ وَاللّهُ عِنْدَهُ أجْرٌ عَظِيْمٌ) وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عِيَاظٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ رَوَاهُ التِّرمِذِي. وَصَدَقَ رَسُولُ االلّهِ فكم مِّنْ أُنَاسٍ يَصْبِرُونَ عَلَى الشَّدَائِدِ وَالْفَقْرِ وَالْحِرْمَانِ فَلاَ تَتَهَاوَى نُفُوسُهُم فِي الأَوْحَالِ وَلاَ تُذَلُّ. وَلَكِنْ قَلِيْلُونَ هُمُ الَّذِيْنَ يَصْبِرُونَ عَلَى الثَّرَاءِ وَالْمَنْصِبِ وَالْوِجْدَانِ وَمَا يُغْرِيَان بِهِ مِنْ لَذَّةٍ وَمَتَاعٍ وَمَا يُثِيْرَانِه مِنْ شَهْوَةٍ وَأَطْمَاعٍ. وهَذِهِ عَادَةُ الإِنْسَانِ فِي عُمُومِهِ إلاّ مَنْ عَصَمَهُ اللّهُ بِالإِيْمَانِ، لا يَشْكُرُ اللّهَ تَعَالَى لِجَهْلِهِ وَظُلْمِهِ. وَإِذَا رَأى نَفْسَهُ غَنِيّاً طَغَى وَبَغَى وَتَجَبَّرَ عَلَى الْهُدَى وَنَسِيَ أَنَّ إِلَى رَبِّهِ الرُّجْعَى. قَالَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ (كَلاَّ إِنّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى أن رَّآهُ اسْتَغْنَى).

وَالْمَالُ إِمَّا نِعْمَةٌ يُسْبِغُهَا اللّهُ عَلَى مَن يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ حِيْنَ يُوَفِّقُهُ إِلَى طَاعَتِهِ وَالشُّكْرِ عَلَى نِعْمَتِهِ وَالإِصْلاحِ بِهَا فِي الأَرْضِ وَالتَّوَجُّهِ بِهَا إِلَى اللّهِ عَلَى مَنْهَجِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ وَالإِحْسَانِ فَلا يَرْغَبُ فِي غَيْرِ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ وَلا يَتَعَدَّى حُدودَ مَا أَنْزَلَ اللّهُ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ. وَفِي الْحَدِيْثِ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ. وَإِمَّا نِقْمَةٌ يُصِيْبُ اللّهُ بِهَا مَن يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ فَسَادِهِ وَسُوءِ نِيَّتِهِ وَأَخْلاقِهِ فَإِذَا الْمَالُ فِي حَقِّهِ

شَقَاءٌ وَتَعَبٌ وَفِتْنَةٌ وَعَذَابٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي مِثْلِ هَذَا الصِّنْفِ مِنَ النَّاسِ (فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيْدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) فَاتَّقُوا اللّهَ عِبَادَ اللّهِ. فِيْمَا عَلَيْكُم وَرَاقِبُوهُ جَلَّ وَعَلاَ فِيمَا لَدَيْكُم وَاعْرِفُوا حَقِيْقَةَ الدُّنْيَا وَمَا هِيَ صَائِرَةٌ إِلَيْهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُم فَاحْذَرُوهُ، أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ (يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَن يَّأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْموتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيْبٍ فَأَصَّدَّقَ وأَكُنْ مِّنَ الصَّالِحِيْنَ وَلَن يُّؤَخِّرَ اللّهُ نَفساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللّهُ خَبِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ـــ إِنَّ اللّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَي النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيْماً) وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً.

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَي عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ الطَّاهِرِيْنَ وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِيْنَ ، اللَّهُمَّ ارْضَ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، اللَّهُمَّ ارْضَ عَنَّا مَعَهُم بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ، اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلِمِيْنَ وَأَذِلَّ الشِّرْكَ وَالْمُشْرِكِيْنَ، اللَّهُمَّ انْصُرْ جُيُوشَ الْمُسْلِمِيْنَ وَعَسَاكِرَ الْمُوَحِّدِيْنَ عَلَى الْيَهُودِ وَالشُّيُوعِيِّيْنَ وَعَلى الْكُفَّارِ وَالْمُلْحِدِيْنَ وَاجْعَلْهُمْ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِيْنَ وَفِي سَبِيْلِكَ مُجَاهِدِيْنِ يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَعَافِنَا وَاعْفُ عَنَّا، اللَّهُمَّ أَغْنِنَا بِحَلاَلِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلاءِ وَدَرْكِ الشَّقَاءِ وَسُوءِ الْقَضَاءِ وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَلْسِنَتَنَا رَطْبَةً بِذِكْرِكَ وَنُفوسَنَا سَمِعَةً

مُطِيْعَةً لِأَمْرِكَ وجَوَارِحَنَا سَاعِيَةً فِي خِدْمَتِكَ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا زُهْداً فِي الدُّنْيَا وَرَغبَةً فِي الآخِرَةِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيْر، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وعَزَائِم مَغْفِرَتِكَ وَالسَّلامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْم وَالْغَنِيْمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ، اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا وَاسْتَعْمِلْ عَلَيْنَا خِيَارَنَا وَاكْفِنَا شَرَّ شِرَارِنَا وَاجْعَلْ وِلاَيَتَنَا وَوِلاَيَةَ جَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ فِي مَنْ يخَافُكَ وَيَتَّقِيْكَ وَيَتَّبِعُ رِضَاكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِيْنَ. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. عِبَادَ اللّهِ «إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيْتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغِي يَعِظُكُم لَعَلَّكُم تَذَكَّرُون» فَاذْكُرُوا اللّهَ الْعَظِيْمَ الْجَلِيْلَ يَذْكُرْكُم وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ يَزِدْكُم «وَلَذِكْرُ اللّهِ أَكْبَرُ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ».

١٤٥ (خطْبَةَ)

في التَّحذِيْر مِن حَلْقِ اللّحى

الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي جَمَّلَ الرِّجَالَ بِاللِّحَى. أَحْمَدُهُ تَعَالَى وأَشْكُرُهُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وأَسْتَغْفِرُهُ. وَأَشْهَدُ أن لاّ إِلَـهَ إلاّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى. وأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْقَائِلُ أَعْفُو اللِّحَى وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَلا تَشَبَّهُوا بِالْمَجُوسِ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى. اللَّهُـمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وَبَارِكْ وَأَنْعِمْ عَلى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَمَسَّكَ بِهَدْيِهِ سِرّاً وَجَهْراً.

أَمَّا بَعْدُ. فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللّهَ تَعَالَى فِيمَا أَمَرَ وَانْتَهُوا عَمَّا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ وَتَمَسَّكُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُم مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرِ البشرِ. وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنْ أَقْبَحِ الْبِدَعِ الَّتِي عَمَّ وَطَمَّ الْبَلاءُ بِهَا مَا اعْتَادَهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ حَلْقِ اللِّحْيَةِ وَتَوْفِيرِ الشَّارِبِ. وَهَذِهِ الْبِدْعَةُ الْمُشِيْنَةُ سَرَتْ إِلَى الْمُسْلِمِيْنَ وَانْتَشَرَتْ بَيْنَهُم مِنْ مُخَالَطَةِ الأَجَانِبِ وَاسْتِحْسَانِ عَادَاتِهِم حَتَّى تَمَكَّنَتْ مِن نُفُوسِ الْكَثِيرِ مِنْهُمْ وَصَارَ لَهَا السُّلْطَانُ الْقَوِيُّ عَلَى أَفْئِدَتِهِم وَعُقُولِهِم فَاسْتَقْبَحُوا بِذَلِكَ حَسَنَةً مِن مَّحَاسِنِ دِيْنِهِم وَرُجُولَتِهِم وَتَشَبَّهُوا بِالْمُشْرِكِيْنَ وَالْمَجُوسِ وَقَدْ أُمِرُوا بِمُخَالَفَتِهِم فِيْمَا لَيْسَ مِنْ دِيْنِ الإِسْلامِ. وَتَرَكُوا سُنَّةَ نَبِيِّهِم مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلِ مَخْلُوقٍ وَأَكْمَلِهِ عَلَى الإِطْلاَقِ. وَلا شَكَّ أَنَّ هَذَا مِنْ ضَعْفِ الإِيْمَانِ وَقِلَّةِ الْبَصِيْرَةِ. وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيْثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ، وَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي، وَلَقَدْ كَانَ مِنْ هَدْيِهِ صَلَوَاتُ اللّهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ وَهَدْيِ النَّبِيِّيْنَ قَبْلَهُ وَهَدْي أَصْحَابِهِ إِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ وَإِحْفَاءُ الشَّارِبِ فَفِي صَحِيْحِ مُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَ شَعَرِ اللِّحْيَةِ. وَلِلتِّرمِذِيِّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ كَثَّ اللِّحْيَةِ وَفِي رِوَايَةٍ كَثِيْفَ اللِّحْيَةِ وَفِي أُخْرَى عَظِيْمَ اللِّحْيَةِ . وَعَنْ أَنَسٍ كَانَتْ لِحْيَتُهُ قَدْ مَلأَتْ مِنْ هَا هُنَا إِلَى هَاهُنَا وَأَمَرَّ بِيَدِهِ عَلَى عَارِضَيْهِ. هَذِهِ بَعْضٌ مِّنْ أَخْبَارِ أَخلاقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَدْيِهِ الْوَارِدِ فِي تَوْفِيْرِ اللِّحْيَةِ . وَمَا خَرَجَ أَحَدٌ عَنْ أَمْرِهِ وَطَرِيْقَتِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا إِلاَّ سَلَكَ أَحَدَ طَرِيْقَيْنِ. إِمَّا جَفَاءٌ وَإِعْرَاضٌ. وَإِمَّا غُلُوٌّ وَإِفْرَاطٌ. وَهَذِهِ مَصَائِدُ الشَّيْطَانِ الَّتِي يَصْطَادُ بِهَا بَنِي آدَمَ كَمَا قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ (فَلْيَحْذَرِ الَّذِيْنَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ

تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُم عَذَابٌ أَلِيْمٌ) وَصَحَّ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي خُطَبِهِ. أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيْثِ كِتَابُ اللّهِ وَخَيْرَ الْهَدْي هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٍ . وَكَمَا كَان صَلَوَاتُ اللّهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ يُعْفِي لِحْيَتَهُ وَيُحْفِي شَارِبَهُ فَقَدْ أَمَرَ أُمَّتَهُ بِذَلِكَ وَالأَمْرُ بِالشَّيْءِ نَهْيٌ عَنْ ضِدِّهِ. فَفِي الصَّحِيْحَيْنِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ خَالِفُوا الْمِشْرِكِيْنَ وَفِّرُوا اللِّحَى وأَحْفُوا الشَّوَارِبَ. وَفِي رُوَايَةٍ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْهَكُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللِّحَى وَإِعْفَاءُ الشَّيْءِ تَرْكُهُ حَتَّى يَكْثُرَ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ قَـالَ رَسُـولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُزُّوا الشَّوَارِبَ وَأَرْخُوا اللِّحَى وَخَالِفُوا الْمَجُوسَ. وَالأَحَادِيْثُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيْرَةٌ وَكُلُّهَا نَصٌّ فِي وُجُوبِ تَوْفِيْرِ اللِّحْيَةِ وَحُرْمَةِ حَلْقِهَا، وَيَدْخُلُ فِي مُسَمَّى اللِّحْيَةِ شَعَرُ الْوَجْهِ وَاللَّحْيَيْنِ والْخَدَّيْنِ. واللِّحْيَةُ لَهَا مَكَانٌ بَارِزٌ فِي الإِسْلاَمِ وَحَقٌّ كَبِيْرٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِيْنَ . فَلَقَدْ قَرَّرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ مَنْ جَنَى عَلَى لِحْيَةِ غَيْرِهِ فَأَزَالَهَا أَوْ أَزَالَ جَمَالَهَا عَلَى وَجْهٍ لاَ يَعُودُ فَعَلَيْهِ الدِّيَةُ كَامِلَةً.

وَمَنْ نَظَرَ فِي أَقْوَالِ عُلَمَاءِ الْمَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ وَجَدَ أَنَّهُم مُجْمِعُونَ عَلَى وُجُوبِ تَوْفِيرِ اللِّحْيَةِ وَحُرْمَةِ حَلْقِهَا وَالأَخْذِ الْقَرِيْبِ مِنْهُ. وَلا يَخْفَى أَنَّ قَوْلَ رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آنِفاً خَالِفُوا الْمُشْرِكِيْنَ. وَقَوْلَهُ خَالِفُوا الْمَجُوسَ يُؤَيِّدَانِ الْحُرْمَةَ، وَلا شَكَّ أَنَّ حَلْقَ اللِّحْيَةِ وَإِعْفَاءَ الشَّارِبِ مُوَافَقَةٌ لِلْمُشْرِكِيْنَ وَالْمَجُوسِ فِي شَبَهِهِم الَّذِي يَخْتَصُّونَ بِهِ لأَنَّهُم كَانُوا وَلاَ زَالُوا يُعْفُونَ شَوَارِبَهُمْ وَيَحْلِقُونَ لِحَاهُم

وَمُخَالَفَتُهُم أَمْرٌ مَقْصُودٌ لِلشَّارِعِ الْحَكِيْمِ، وَمُشَابَهَتُهُم فِيْمَا لَيْسَ مِنْ شَرْعِنَا يَبْلُغُ التَّحْرِيْمُ فِي بَعْضِهِ. قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُم. لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا. وَهَذَا غَايَةٌ فِي الزَّجْرِ عَنِ التَّشَبُّهِ بِالْكُفَّارِ وَالْمَجُوسِ فِي أَيِّ شَيْءٍ مِمَّا يَخْتَصُّونَ بِهِ مِن مَّلْبُوسٍ أَوْ هَيْئَةٍ. وَقَدْ يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ تَوْفِيْرَ اللِّحْيَةِ مِنَ الأُمُورِ الْعَادِيَّةِ الَّتِي يَتَّبِعُ النَّاسُ فِيْهَا عَادَةَ أَهْلِ زَمَانِهِم أَوْ بَلَدِهِم وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالأَصْلُ فِي أَوَامِرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّعَبُّدُ حَتَّى يَقُومَ الدَّلِيْلُ عَلَى خِلافِهِ وَلِهَذَا فَحَالِقُ اللِّحْيَةِ وَاقِعٌ بَيْنَ خَطَرَيْنِ عَظِيْمَيْنِ فَإِنْ كَان حَلقَهَا اسْتِهْزَاءً وَتَنْقِيْصاً لِأَمْرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوَارِدِ فِيْهَا فَقَدْ قِيْلَ بِكُفْرِهِ. وَإِن كَانَ حَلقَهَا تَهَاوُناً بِأَمْرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ فَاسِقٌ عَاصٍ لِلّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ، وَكِلاَ الأَمْرَيْنِ خَطِيْرٌ قَالَ اللّهُ تَعَالَى (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيْمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيْماً) وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) وَلَقَدْ كَانَ مِنْ شَرَفِ اللِّحْيَةِ وَفَظَاعَةِ حَلْقِهَا عِنْدَ الْمُسْلِمِيْنَ قَبْلَ مُخَالَطَةِ الأَجَانِبِ أَنَّ الْمُذْنِبَ تُقَيِّدُهُ الدَّوْلَةُ بِالْحَدِيْدِ وَتَحْلِقُ لِحْيَتَهُ لِمَا فِي حَلْقِهَا مِنْ خِزْيٍ وَمَذَلَّةٍ، ثُمَّ يُصْبَغُ وَجْهُهُ بِالسَّوَادِ وَيُطَافُ بِهِ فِي الأَسْوَاقِ لِيَرَاهُ النَّاسُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ الْمُخْزِيَةِ نَكَالاً وَعِبْرَةً. أَمَّا بَعْدَ مُخَالَطَةِ الأَجَانِبِ فَالأَمْرُ تَغَيَّرَ كَثِيْراً. فَمِنَ النَّاسِ مَن يَّحْلِقُ لِحْيَتَهُ بِيَدِهِ إِمْعَاناً فِي الْكَرَاهِيَةِ لَهَا وَمِنْهُم مَّن يَّحْلِقُهَا بِمَالِهِ تَمَادِياً فِي الإِثْمِ وَالْغُرُورِ، نَاسِيْنَ أَوْ مُتَنَاسِيْنَ الأَوَامِرَ النَّبَوِيَّةَ بِتَوْفِيْرِهَا. فَيَا وَيْحَهُم وَقَدْ

كرِهُوا خَيْرَ الْهَدْيِ وَرَغِبُوا فِي شَرِّهِ وَحَلَقوا لِحَاهُم بِأيْدِيْهِم وَصَارَ حَلْقُهَا بِدْعَةَ عَارٍ وَضَلالٍ فِي وُجُوهِهِم. أيَظُنُّ هَؤُلاءِ أنَّ حَلْقَهَا يَكْسُوهُم نُضْرَةً وَبهَاءً. كَلاَّ. وَاللّهِ إنَّهُ لَيُكْسِبُهُم قُبْحاً وَضَلالاً. أُنْظُرْ إلَى وُجُوهِ الْحَالِقِيْنَ لَهَا كَيْفَ يَذْهَبُ جَمَالُهَا وَبهَاؤُهَا وَخَاصَّةً عِنْدَ الْمَشِيْبِ فَتَكُونُ أشْبَهَ بِوُجُوهِ الْعَجَائِزِ. وَانْظُرْ إلَى وُجُوهِ الْمُوَفِّرِيْنَ لَهَا شَبَاباً وَشِيْباً كَيْفَ نَضُرَتَ وَازْدَانَتْ بِاللِّحْيَةِ حُسْناً وَجَمَالاً.

وَإذَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ فِي هَذَا الزَّمَنِ مَن يُّعْفِي لِحْيَتَهُ فَلا يَجُوزُ لَنَا أنَّ نَتْرُكَ أمْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإعْفَاءِ اللِّحْيَةِ مِنْ أجْلِ أنَّ بَعْضَ الْمُشْرِكِيْنَ يُعْفِيْهَا. فَالْمُشْرِكُ إذَا أعْفَى لِحْيَتَهُ فَهُوَ لِأمْرٍ دُنْيَوِيٍّ وَحسب، أمَّا نَحْنُ فَنُعْفِيْهَا لِأمْرٍ شَرْعِيٍّ وَلِهَذَا فَهُوَ الْمُتَشَبِّهُ بِنَا وَلَسْنَا نَحْنُ الْمُتَشَبِّهِيْنَ بِهِ. وَمَنْ نَظَرَ إلَى مَا عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ وَجَدَ أنَّ إعْفَاءَ اللِّحْيَةِ غَرِيْبٌ بَيْنَهُم وَأهْلُهَا قِلَّةٌ فِيْهِم وَتَوْفِيْرُهَا شَاقٌّ عَلَى أنْفُسِ الْكَثِيْرِ مِنْهُم وَخَاصَّةً مَن لَّهُ نُظَرَاءُ يَحْلِقُونَهَا أوْ رُؤَسَاءُ جَهَلَةٌ يَكْرَهُونَهَا. وَلَكِنْ هَلْ نَتْرُكُ طَاعَةَ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ عَيْنُ صَلاحِنَا وَفَلاحِنَا وَرِفْعَتِنَا عِنْدَ اللّهِ تَعَالَى مِنْ أجْلِ إنْسَانٍ لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِ نَفْعاً وَلا ضَرّاً. هَلْ نَتْرُكُ التَّأسِّي بِرَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَمَلٍ صَحَّ أنَّهُ عَمِلَهُ وَأمَرَ بِهِ، مِنْ أجْلِ أغْرَاضٍ دُنْيَوِيَّةٍ حَقِيْرَةٍ، هَلْ نَتْرُكُ هَدْيَ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي شَهِدَ لَهُ الرَّبُّ جَلَّ جَلالُهُ بِالإسْتِقَامَةِ وَالسَّيْرِ عَلَى الصِّرَاطِ السَّوِيِّ. وَنَأْخُذُ بِهَدْيِ الْمَجُوسِ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الْفَاسِدِ الْمُدَمِّرِ. لاَ، ثُمَّ لاَ. أيُّهَا الأُخْوَةُ فِي الإسْلاَمِ فَالْمُؤْمِنُ يَتَّبِعُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ وَيَدْعُو إلَيْهِ مَن يَّسْتَطِيْعُ دَعْوَتَهُ وَيَجْتَنِبُ الْبَاطِلَ فَلاَ يَعْمَلُ بِهِ وَلا

يَنْجَذِبُ إِلَيْهِ، فَالْحَقُّ أَحَقُّ أن يُتَّبَعَ وَيُطَاعَ وَلَوْ تَرَكَهُ النَّاسُ، وَلَيْسَ بَعْدَ الْحَقِّ إلاّ الضَّلالُ (أَتَخْشَوْنَهُمْ فَا للّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ).

فَاتَّقُوا اللّهَ عِبَادَ اللّهِ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّنْ رَبِّكُم وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيُّكُم مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنْجُوا وَتَسْعَدُوا فِي الدُّنْيَا وَتُفْلِحُوا فِي الآخِرَةِ (يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِيْنَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ) اللَّهُمَّ اهْدِنَا صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيْم، اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى مَنْهَجِ نَبِيِّكَ الْكَرِيْمِ، اللَّهُمَّ أَعِذْنَا مِن مُّضِلاّتِ الْهَوَى وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ الرَّجِيْم، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَأَزْوَاجنَا وَذُرِّيَّاتِنَا وَجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَم الرَّاحِمِيْنَ.

١٤٦ خُطْبَة تابعة لِما قَبْلَها

الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ الْعِبَادَ حُنَفَاءَ وَفَطَرَهُم عَلَى الْخَيْرِ وَكَرَاهَةِ الشَّرِّ. وَأَشْهَدُ أَنّ لاّ إِلَهَ إِلاّ اللّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ يَوْمَ الْحشْرِ وَالنَّشْرِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الأَمَانَةَ وَنَصَحَ لِلأُمَّةِ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ صَلاةً وَسَلاماً دَائِمَيْنِ مُتَلازِمَيْنِ طُولَ الدَّهْرِ.

أمَّا بَعْدُ فَإنَّ خَيْرَ الْحَدِيْثِ كِتَابُ اللّهِ وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرَّ الأمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ وَعَلَيْكُم بِالْجَمَاعَةِ الْمُسْلِمَةِ الْمُوَحِّدَةِ فَإنَّ يَدَ اللّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَمَنْ شَذَّ عَنْهُم شَذَّ فِي النَّارِ. وَاعْلَمُوا أنَّ مَنْ حَلَقَ لِحْيَتَهُ مِنْ غَيْرِ إكْرَاهٍ وَلا عِلَّةٍ وَأعْفَى شَارِبَهُ مَهْمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالإخْلاَصِ لِلّهِ فَإنَّهُ قَدِ ارْتَكَبَ عِدَّةَ مُخَالَفَاتٍ لِلإسْلاَمِ خَطِيْرَةٍ، نُورِدُهَا فِيْمَا يَلِي. الأُولَى أنَّهُ خَالَفَ الْفِطْرَةَ الَّتِي فَطَرَ اللّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا فَهُوَ رَجُلٌ وَأبْرَزُ مُمَيِّزَاتِ الرِّجَالِ الظَّاهِرَةِ اللِّحْيَةُ وَلَكِنَّهُ خَالَفَ فِطْرَتَهُ وَمَالَ إلَى مَا لَمْ يُفْطَرْ عَلَيْهِ. قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ قَصُّ الشَّارِبِ وَإعْفَاءُ اللِّحْيَةِ وَالسِّوَاكَ وَتَقْلِيْمَ الأظَافِرِ وَحَلْقَ الْعَانَةِ وَنَتْفَ الإبِطِ إلَى آخِرِ الْحَدِيْثِ. الثَّانِيَةُ أنَّهُ عَصَى الرَّسُولَ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي أمَرَهُ اللّهُ بِطَاعَتِهِ وَنَهَاهُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (يَا أيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا أطِيْعُوا اللّهَ وَأطِيْعُوا الرَّسُولَ ـــ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أطَاعَ اللّهَ ـــ وَإنْ تُطِيْعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِيْنُ) وَقَدْ أمَرَ صَلَوَاتُ اللّهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ كَمَا سَمِعْتُمْ آنِفاً بِتَوْفِيْرِ اللِّحَى وَإحْفَاءِ الشَّوَارِبِ وَهُوَ لا يَنْطِقُ وَلا يَفْعَلُ عَنِ الْهَوَى، بَلْ عَنْ وَحْيٍ وَتَنْزِيْلٍ (وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَلاً مُبِيْناً) الثَّالِثَةُ أنَّهُ جَانَبَ التَّأسِّي بِرَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إعْفَاءِ اللِّحْيَةِ وَإحْفَاءِ الشَّارِبِ وَهُوَ الْقُدْوَةُ وَالأُسْوَةُ الْمَرضِيَّةُ لِلْمُسْلِمِيْنَ فَلَوْ كَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلَهُ الأعْلَى لَتَأسَّى بِهِ فِي إعْفَاءِ اللِّحْيَةِ وَقَصِّ الشَّارِبِ حَيْثُ صَحَّ عَنْهُ أنَّهُ فَعَلَهُمَا وَأمَرَ بِهِمَا وَدَاوَمَ عَلَيْهِمَا قَالَ اللّهُ تَعَالَى (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ

حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللّهَ كَثِيْراً) وَقَالَ سُبْحَانَهُ(قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيْمٌ). الرَّابِعَةُ أَنَّهُ خَالَفَ هَديَ النَّبِيِّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَوْفِيْرِ اللِّحْيَةِ وَإِحْفَاءِ الشَّارِبِ وَاتَّبَعَ هَدْيَ الْمُشْرِكِيْنَ وَالْمَجُوسِ الَّذِي هُوَ شَرُّ الْهَدِي فَلَوْ كَمُلَ حُبُّهُ لِرَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَا عَدَلَ عَنْ هَدْيِهِ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَحبَّةَ فِي الْبَاطِنِ تُوْرِثُ الْمُشَابَهةَ فِي الظَّاهِرِ وَلا بُدَّ. كَمَا أَنَّ الْمُشَابَهةَ فِي الظَّاهِرِ تُورِثُ الْمَحَبَّةَ وَالْمُوَالاةَ فِي الْبَاطِنِ. وَهَذَا أَمْرٌ يَشْهَدُ بِهِ الْحِسُّ وَالتَّجْرِبَةُ. وَفِي الْحَدِيْثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنْ أَحَدُكُم حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلِدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ. فَهَلْ يُعْتَبَرُ الْمُسْلِمُ التَّارِكُ لِهَدْيِ الرَّسُولِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَوْفِيْرِ اللِّحْيَةِ وَإِحْفَاءِ الشَّارِبِ وَهُمَا مِنْ أَهْوَنِ شَيْءٍ عَلَيْهِ مُحِبّاً لِلرَّسُولِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا الْقَدْرِ الْوَارِدِ فِي هَذَا الْحَدِيْثِ. لا أَظُنُّ أَحَداً يَقُولُ نَعَمْ. وَقَدْ قِيْلَ إِذَا شَابَهَ الزِّيُّ الزِّيَّ فَقَدْ طَابَقَ الْقَلْبُ الْقَلْبَ.

فَاتَّقُوا اللّهَ عِبَادَ اللّهِ وَأَطِيْعُوا أَمْرَهُ وَأَمْرَ رَسُولِهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى فَيُضِلَّكُم عَنْ سَبِيْلِ اللّهِ (إِنَّ الَّذِيْنَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيْلِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) إِنَّ اللّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً.

اللّهُـمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ وَأصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهَدْيِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، اللّهُـمَّ ارْضَ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِيْنَ أبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، اللّهُمَّ ارْضَ عَنْ أصْحَابِ نَبِيِّكَ أجْمَعِيْنَ وَعَنْ زَوْجَاتِهِ الطَّاهِرَاتِ أمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِيْنَ، اللّهُمَّ ارْضَ عَنَّا مَعَهُم بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ، اللّهُمَّ أعِزَّ الإسْلامَ وَالْمُسْلِمِيْنَ وَأذِلَّ الشِّرْكَ وَالْمُشْرِكِيْنَ وَأهْلِكِ الْكَفَرَةَ وَالْمُلْحِدِيْنَ وَدَمِّرِ الْيَهُودَ وَالشُّيُوعِيِّيْنَ وَاجْعَلْ دَائِرَةَ السَّوْءِ عَلَيْهِم يَا رَبَّ الْعَالَمِيْنَ، اللّهُمَّ إنَّا نَسْئَلُكَ فِي الدُّنْيَا طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي الآخِرَةِ رِضَاكَ وَجَنَّتَكَ وَالنَّظَرَ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيْمِ، اللّهُمَّ أرِنَا الْحَقَّ حَقّاً وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ وَأرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلاً وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ وَلا تَجْعَلْهُ مُلْتَبِساً عَلَيْنَا فَنَضِلَّ. يَا كَرِيْمُ يَا رَحِيْمُ يَا عَظِيْمُ، اللّهُمَّ أصْلِحْ قُلُوبَنَا وَاسْتُرْ عُيُوبَنَا، اللّهُمَّ امْنُنْ عَلَيْنَا بِالْهِدَايَةِ وَالتَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالتَّوْفِيْقِ الدَّائِمِ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى يَا ذَا الْجَلالِ وَالإكْرَامِ،

الحمد لله الذي لم يزل بالنعم منعماً، وبالمعروف معروفاً، وبالإحسان محسناً، وبالكرم موصوفاً، كل يوم هو في شأن، يكشف كرباً، ويغفر ذنباً، ويغيث ملهوفاً، ويجبر كسيراً، ويجير خائفاً، ويرسل بالآيات تخويفاً، نحمده ونستغفره، ونسأله السلامة من حمل العصيان، وإن كان الحمل خفيفاً.

ونشهد أن لا إله الا الله وحده لاشريك له، شهادة خالصة للذي فطر السموات والأرض حنيفاً، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، خلقه الله سيداً كريماً صادقاً، أميناً شريفاً عفيفاً. اللهم فصل وسلم على

سيدنا محمدٍ، وعلى آله وأصحابه صلاةً وسلاماً تزيدهم بها تفضيلاً وتشريفاً.

أما بعد أيها الناس فأوصيكم ونفسي بتقوى الله العزيز الحميد، فاتقوه حق تقاته، واحذروا بطشه الشديد، واعلموا أنه معكم حيثما كنتم فلازموا أدب العبيد، وتدبروا كتابه القرآن المجيد، وما أودعه من الزواجر والوعد والوعيد، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وانظروا في مخلوقات ربكم بعين الاعتبار، وتفكروا في أسمائه وصفاته ياأولي الأفكار، فهو العظيم الذي خضعت لعظمته الرقاب، والحكيم الذي حار في حكمته أولو الألباب:

والرحيم الذي يرحم مِن عِباده الرُّحماء، والكريم الذي يستمِد مِن إفْضالِه الكُرَماء، تقَدستْ أسْماؤُهُ وصِفاتُه عن الأشباه، وجلت مَحَامده، وتمَّتْ كلِماتُه التي لايحيط بها سواه، وتذكروا برَّه كَيفَ بدأكُمْ بالنِعم قبلَ الاستحقاق، ومنَحكُم مالايُحْصَى مِن أنواعِ الأرزاق.

وكم كشف ضراً وسَتَر عاصياً، وقد بارزه بأنواع الفَساد، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد، فاستعدوا لِلِقاءِ هذا الرب الجليل، وأعِدّوا لِلقدوم عليه مِن صالِح العمل كل جميل، وفكروا في أنفسكم، وما اشتملت عليه مِن العيوب، وحاسبوها على ما اكتسبته مِن الذنوب، فأيّ نفسٍ منكم لم تحمِل ظُلماً؟ وأيُّ جارحةٍ مِن جوارحكم لم تقترف إثماً؟ وأيُّ عملٍ مِن أعمالكم يليق بذلك المقام؟ وأيُّ وقت من

أوقاتكم تمحض للطاعة وخلا عن الآثام ؟ لقد جنيتم على أنفسكم بالذنوب جناية عظمى ، وهضمتم بالمعاصي قدرها عند الله هضماً ، فلينوا قلوبكم بذكر الموت عساها أن تلين ، وعظوها بذكر القبر وفتنته فإنها لحق اليقين ، وذكروها يوم يقوم الناس لرب العالمين ، يوم ينظر المرء ماقدمت يداه ، يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله .

جعلني الله و إياكم من الفائزين بثوابه، الآمنين من غضبه وعقابه ، ألا وإن أفضل الكلام كلام الملك الديان ، والله يقول ، وقوله الحق المبين : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل : ٩٨ . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (ياأيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور . إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) فاطر: ٥،٦ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم ، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم ، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه

١٤٧ (خطبة)

الحمد لله الذي تفرد بكل كمال ، وتفضل على عباده بجزيل النوال ، بيده الخير كله ، فله الحمد على كل حال ، وفي كل حال .

نحمده على مامنح من النعماء ، ونشكره في البكر والآصال ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له إله تقدس عن الأشباه والأمثال ، وجل عن صفات المُحدَثينَ مِن الفَناء والزَوال المُستحِقُ

للتعْظِيْم والاجْلال جَوادِ لا يَبْخَل ، وغِنَىٌّ لَايفْتَقِر ، وكَرِيم يبْتِدىء بالإحسان قَبْلَ السُّؤال .

ونَشْهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله المنعوتُ بالخُلُق العظيم ، وشرفِ الخِلال ، اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه خيرِ صحبٍ وآل .

(أما بعد) يأيها الناس ماللعيون إلى زهرة الدنيا الدنية قد مُدّتْ ؟ وما للنفوس في طلب العاجلة قد جدّت ؟ وما للآذان عن سماع المواعظِ قد سُدّتْ ؟ وما للقلوب لِكثرة المعاصي قد أظْلَمتْ واسْودّتْ ؟ إن في كتابِ الله لأعظم زاجر ، وإن في مواعظِ الأيام والليالي لعبرة لذوي البصائر ، ركائبُ أموات تُزْعجُ عن مقصوراتِ القصور ، ثم تحمل إلى مضائق القبور . فكم قد شاهدتم من جُثثِ أعيانٍ في بقاعِ القاع قد صُفّت ، وكم عاينتم من نواعم أبدانٍ في مدارج الأكفانِ قد لُفّت ، وكم أبصرتم من عرائسَ أجسادٍ إلى الألحادِ قد زفّت ، فيالها غايةً يستبقُ إليها العباد، ومضماراً يتناوبه منهم جواد بعد جواد، وياله من هولٍ شديدٍ بعده أهوال شِداد، فتنة قبورٍ ، ونفخ في الصور ، وبعثرة القبور، وحشر إلى موقفٍ جثيٍ على الركب، وموقف السلامة والعطب وموقف قطيعة الأنساب وضيعة الأحساب ، وخضوع الرقاب، وانسكاب العبرات، وتصاعد الزفرات . ذلك موقف ينشر فيه الديوان ، وينصب فيه الميزان ، ويمد الصراط على النيران . وحينئذٍ يقع الامتياز فبين ناجٍ قد فاز، وهالك قد انقطع به المجاز. فريق في الجنة، وفريق

في السعير. فاستعدوا رحمكم الله وإياي لهذه الأهوال ، ولا تغرنكم كواذب الآمال ، فإن ماتوعدون لآت ، وليس بين العبد وبين القيامة إلا الممات ، فأكثروا رحمكم الله ذِكر هاذم اللذات ، واستعدوا للآخرة قبل الممات . فمنه ﷺ « كَفَى بالموتِ واعِظـا » و « كَفَى بالموت مُزَهِّداً في الدنيا ، ومُرَغِّباً في الآخِرة » جعلني الله وإياكم ممن قضى في الطاعة الأوقات ، وغفر لي ولكم مافرط من السيئات .

إنّ أنفعَ الكلامِ كلامُ الملكِ العلام . أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم (ياأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم.يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناسَ سُكارى وما هم بسُكارى ولكن عذاب الله شديد) الخ : . بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم ، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم . أقول قولي وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين إنه الغفور الرحيم ، فاستغفروه

١٤٨ خُطْبَـة

الحمد لله الذي افتتح بحمده الكتاب ، والحمد لله الذي يُنالُ بحمده الثواب ، نحمده على مامَنَح فهو المنعم الوهّابْ ، ونستغفره ونتوب إليه ، فإنه غافر الذنب ، وقابل التوب شديد العقاب .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، عليه توكلت ، وإليه متاب ، شهادة شهد الله بها لنفسه في محكم الكتاب ، شهادة أرغم بها

أنف كل جاحدٍ مرتاب .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله [جاء] بالحق ، وفصل الخطاب ، نبي شق له القمر ، ورُدّتْ له الشمس ، وقد كادت تتوارى بالحجاب ، اللهم فصل وسلم على سيدنا محمدٍ ، وعلى آله وأصحابه ماأفل شهاب ، وطلع شهاب ،

(أما بعد) فيا أيها الناس اتقوا الله حق تقاته كما أمركم في محكم الكتاب، وأكثروا ذكره فإن ذكره يعدل عتق الرقاب ، واحذروه كما حذركم نفسه ، فإنه شديد البطش سريع الحساب ، وتأدّبوا بآداب نبيكم ، فإنها أكْمَلُ الآداب ، وتخلقوا بمحاسن أخلاقه ، فأحسنكم أخلاقاً أقربكم من رب الأرباب ، وراقبوا الله فهو المطلع على ماظهر ، وما أُرْخِيَتْ عليه السُتُور ، وأُوْصِدَتْ دونه الأبواب . واحذروا الدنيا فإنها كظلٍ زائلٍ أو طودٍ مائلٍ ، وكَلمْحِ سَراب . وبادروا بالأعمال الصالحة ، فإن الأوقات تمر بكم مرّ السحاب . ابن آدم والله إن أمرك لشيءٌ عُجَاب ، وحالك إذا حققت كثير الخطأ قليل الصواب ، تقارف المعصية ، وتؤخر المتاب ، وتسوف بالعمل تنتظر المشيب ، وقد أضعت الشباب ، وتفرح بمضي الأيام ، وذهابهن لك ذهاب، وتعمر الدنيا ، وإنما خلقت للخراب ، وتنسى الموت وقدأزعج عنك كثيراً من الأحباب، وتُذَكَّر فلا تتذكر وإنما يتذكر أولو الألباب ، فوا أسفاً لِقلوبٍ ضُرِبَ عليها من الغفلةِ ببـاب ، ونُفُوسٍ مَشغولَةٍ بلذات الطعام والشراب ، وعقولٍ ذاهلةٍ عن المعاد وأهواله الصعاب، لاهية عن أمرٍ لاشك في لِقائِه ولا ارتياب، وخُطْبٍ لايُدْفَعُ بالمُشَاوَرَ

ولا يُمنعُ بالحجاب ، وقبر مُظلم وِسادُه اللَّبِن ، وفراشه التراب ، ومَوقفٍ تشخصُ فيه الأبصار وتخضعُ الرقاب ، وعرضٍ عظيمٍ تظهرُ فيه الخطايا ويُنكشفُ الحِجاب ، وجزاءٌ لامحالةَ على الحسَنات بالثواب ، وعلى المعاصي بالعفْوِ والعِقاب ، جعلني الله وإيا كم مِن الفائزين الآمنين ، وجنّبنا وإيّاكم موارِدَ الظالمين ، إنَّ أنفعَ ما عولِجَ بِهِ داءُ الشكِ والارتياب كلامُ ربنا الذي أنزلَ على عبْدِهِ الكِتاب ، والله يقولُ ، وقوله الحق المبين :

أعُوذ بالله مِن الشيطانِ الرجيم (يومئذٍ يصْدرُ الناسُ أشتاتاً ليروْا أعمالهُم . فمن يعمل مِثقالَ ذرةٍ خيراً يره . ومن يعملْ مِثقال ذرةٍ شراً يره) الزلزال : ٦-٨ . بارَكَ اللهُ لِيْ ولكُم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكُم منه بالآياتِ والذكرِ الحكيم ، وأجارني وإيّاكُم مِن عذابه الأليم ، وثبّتني وإيّاكُم على الصِراطِ المستقيم . أقولُ قولي هذا ، وأستغفر الله العظيمَ لي ولكم ولجميع المسلمين إنه هو الغفورُ الرحيم . فاستغفروه .

١٤٩ خطبة

الحمد لله الذي تعاظم ملكوته فاقتدر ، وتعالى جبروته فقهر ، الذي أعز من شاء ونصر ، ورفع أقواماً بحكمته ، وخفض أقواماً أخر ، نحمده على نعمه التي تربو على ذرات الرمل ، وقطرات المطر ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، العليم بما بطن وما ظهر ،

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ومجتباه من البشر ، نبي شق عن صدره وشق له القمر ، نبي ظللته الغمام وأجابت لدعوته الشجر ، نبي أيده الله بمعجزات الآيات والسُّوَر ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصَحْبه القَادَاتِ الخِيَر .

(أما بعد) فيا أيها الناس اتقوا الله في الوُرُودِ والصَّدْر ، ورَاقِبُوه فيما بَطنَ مِن الأُمُورِ وظَهَر ، واعبدوه حَقَّ عِبادَتِهِ في الآصالِ والبُكَر واذكروه على كُـلِ حالٍ ، فإنه يُذْكُر مَن لَه ذَكَر ، واشْكُروا نِعمَهُ ، فقد تَكَفَّلَ بالمَزِيدِ لِمَن له شَكَر ، وخافُوا مُقَـامَه ، واحْذَرُوا بَطْشَه كُلَّ الحَذَر ، وارْجُوا بِرَّه فهو أَرْحَمُ بكُم مِن كُلِ رَحيم وأَبَر ، واستغفروه لِذُنُوبِكم فإنَّ كُلَّ صَغيرٍ وكَبيرٍ مُسْتَطَر ، واستقيلُوه عَثَراتِكم ، فإنه يُقيلُ بفَضْلِه مَن عَثَر ، وارغبُوا فيما أَعَدَّ للطائعين مِنْ جَنَّاتٍ ونَهَر ، فيها مالاعَيْنٌ رأَتْ ولا أُذُنٌ سمعَتْ ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرْ ، وارْهَبُوا مارَهَّبَكُم مِن النارِ التي لاتُبْقِي ولا تَذَرْ ، وازهَـدُوا في الدنيا التي نَفْعُها مشُوبٌ بالضَّرَرْ وفَرَحُها مقرونٌ بالترح ، وصَفْوُها مَمْزُوجٌ بالكَدَر ، وانظُروا لأنفسِكم فيها حَقَّ النظَر ، واتَّعظُوا بمَواعِظِ الحوادثِ والغير ، وتأملوا مافيها مِن الآيات والعِبر ، فقد شاهدتم مِن آياتها مافيه مُزْدَجَرْ ، وقد عاينتم وقائعَها بأهلها وليس العيان كالخبر ، كم حضرتم فيها عند مُحْتَضَرْ ، وكم شَيَّعْتُم مِن الراحلينَ عَن قُصُورِها إلى بُطُونِ الحُفَر ، ونَقَلْتُمُوهُم مِن الفُرُشِ الوَثِيرَةِ إلى خُشُونَةِ المَدَر ، فتأهَّبُوا لِمِثْلِ مَاحَلَّ بهم ، فإنَّكُم على الأثر ، وتَزَوَّدُوا زادَ

التقى فأنتم على سفر ، وبادروا بالأعمال الصالحة فالأعمار في قصر ، وما أمر الساعة إلا كلمح البصر ، وتذكروا مرارة الموت والساعة أدهى وأمر ، وجاهدوا أنفسكم بسلاح التقوى ، فإنه قرين الظفر ، وجاهدوا أعداءكم من الشياطين والأهواء بصدق اللجأ إلى رب البشر ، وأطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم فيما بطن وظهر ، وشمروا لإعلاء كلمة الله فيما نهى وأمر (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)

وكفى به لمن اعتبر ، جعلني الله وإياكم ممن خلص له فيما أعلن وأسر ، ووفقنا لمن يحبه من العمل ، فإنه خالق القوى والقدر ، إن أرفع الكلام الذي يدهش الألباب والفكر كلام ربنا الذي أنزل على نبيه محكم السور ، والله يقول ، وقوله الحق المبين :(فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل:٩٨ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم(ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون. واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرةٍ من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) آل عمران:١٠٢،١٠٣ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم ، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم ، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، إنه هو الغفور الرحيم ، فاستغفروه .

١٥٠ خطبة

الحمد لله رب العالمين الذي أعاد وأبدى ، نحمده على مامنح من الإنعام وأسدى ، ونستهديه ، فإنه لايضل من هداه ، ومن أضله فلن يهدى ، ونستغفره لذنوبنا التي لاتحصى عدًّا .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له إلهاً واحداً أحداً فرداً ، شهادةً ترغم بها أنف من كفر عناداً وجحداً ، شهادةً ندخرها للمعاد ونتخذ بها عنده عهد

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أكرم به رسولاً وعبداً ، نبي أمده الله بامداداته الربانية مدًّا

،صل اللهم وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله الذين أكسبهم شرفاً ومجداً ، وعلى أصحابه الذين جعلهم أمثل طريقة وأقوم سبيلاً وأهدى .

أما بعد فيا ابن آدم هذا أوان جدّك إن كنت مجدًّا ، وهذا زمان استعدادك إن كنت مستعداً ، فتأهب لنفسك فإنك لاتستطيع للموت ردًّا ، وبادر بصالح عملك ،فإن الساعات تقدُّ الأعمار قدًّا ،وأعد الزاد ،فإن السفر طويل إن كنت مُعِدًّا ، يالاهياً والحمام إليه مُجداً ، يامشغوفاً بالدنيا التي لايجدُ من فراقها بُدًّا ، ياراكناً اليها وقد أهلكت قبله أباً وجَدًّا ، يامُهملاً للتزود وركائب الرحيل به تُحدّى ، يامن حدّت له الحدود فلم يخترحدًّا ، يامن يضيع عمره وأنفاسه تعد عليه عدًّا ، يامنهمكاً في جمع المال ،وهو يموت فرداً فيبعث فرداً ، يامن جعلت الذنوب بين قلبه وبين الموعظة سداً ، ياقاسي القلب فما نفعه وعظ الواعظ ولا أجدى ، يامن

يابارز مولاه الذي يعلم ماأسر وما أبدى ، يا كسلا عن الطاعات ولم يأل في المعاصي جهدا ، ياناظما خرزات الأمل في سلك المنى عقدا ، يامتعبا في جمع المال بدنه كدحا وكدا. من لك إذا سافرت سفرا بعيدا ، واستبدلت عن القصور لحدا ؟ وافترشت بعد لين فراشك تربا خشنا وحجرا صلدا ؟ وكيف بك إذا سألك الملكان فلم تستطع جوابا وردا ؟ وما حيلتك إذا بعثت من قبرك إلى ربك فردا ؟ ومن لك إذا طال المقام وامتد يوم القيامة مدا ؟ أم من لك إذا دعيت للعرض عليه يامن لحدوده طالما تعدى .

جعلني الله وإياكم من الآمنين وأدخلنا بفضله في عباده الصالحين ، إن أشرف الكلام كلام الملك العلام ، والله يقول ، وقوله الحق المبين. (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل :٩٨ . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم(ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا) مريم : ٧٦ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم،ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، إنه هو الغفور الرحيم • فاستغفروه .

١٥١ خطبة

الحمد لله على مامنح من إفضاله الكامل الوافر ، الخالق الرازق الأول الآخر . نحمده بجميع محامده على إفضاله البسيط المتواتر ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له المبدع الناظر . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المنتقى من أشرف العناصر ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمدٍ ، وعلى آله قُرناء الكتاب إلى اليوم الآخر وعلى أصحابه نجوم الاهتداء للمنهج الظاهر .

(أما بعد) فأوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله في الموارد والمصادر ، وأحضكم على الطاعة ، فإنها خير ما أعد لليوم الآخر ، وأحذركم الدنيا فإنها عرض حاضر ، يأكل منها البرّ والفاجر ، وإنما أيامها ولياليها مراحل إلى المقابر ، وأحثكم على مراقبة مولاكم فإنه علام السرائر ، وأنهاكم عن مخالفته باقتراف الجرائر ، وملابسة كبائر الذنوب والصغائر .

فاستحيوا من الله الذي تحبب إليكم بإنعامه المتكاثر ، وتعرّف إليكم بما رادفه من إفضاله الوافر ، فإن نعمه تعالى قد عمت الباطن والظاهر ، وإن نعمه قد شملت البادي والحاضر ، ولا يحصر أقلها حاصر كيف وهي مع صعدات الأنفاس ، وهجس الخواطر ، ومع حركات الألسن ولمحات النواظر ، وما بكم من نعمة فمن الله فهل من حامدٍ شاكر ؟ وهل من خائفٍ لله وذاكر ؟ وهل من معظم لنواهي الله والأوامر ؟ وهل من معتبرٍ بالمواعظ والزواجر ؟ وهل من ناظرٍ في آيات الله البواهر ؟ وهل من متعظٍ بكتاب الله فإنه أعظم زاجر ؟

إن في ذلك لذكرى لمن كان يرجو الله واليوم الآخر . وهل من صابر على الطاعات فطوبى للصابر ؟ وهل من مستعد للقائه يوم تبلى السرائر يوم ذبول الشفاه وظمأ الهواجر ، يوم الآزفة إذا القلوب لدى الحناجر يوم لا تنفع الأموال ولا الذخائر . جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين ، وجنبنا موارد الظالمين .

إن أحسن الكلام كلام الملك العلام ، والله يقول وقوله الحق المبين: (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل : ٩٨ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم (والعصر . إن الإنسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) العصر : ١-٣ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم ، وأجارني وإياكم من العذاب الأليم ، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين . إنه هو الغفور الرحيم . فاستغفروه .

١٥٢ خُطْبَة

الحمد لله الذي يسبح بحمده من في الأرض والسموات ، والحمد لله بكل حمدٍ حمد به نفسه ، أو علمه أحداً من المخلوقات . نحمده على ما منح من نعمه السابغات .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادةً ترفع قائلها أعلى الدرجات . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات ،

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأئمة الثقات .

(أما بعد) فيا أيها الناس إن ماتوعدون من الآخرة لآت ، وإنكم في دار هي محل العبر والآفات ، وأنتم على سفر ، والطريق كثيرة المخافات . فتزوّدوا من دنياكم قبل الممات ، وتداركوا هفواتكم قبل الفوات ، وحاسبوا أنفسكم وراقبوا الله في الخلوات ، وتفكروا فيما أراكم من الآيات ، وبادروا بالأعمال الصالحات ، واستكثروا في أعماركم القصيرة من الحسنات قبل أن ينادي بكم منادي الشتات ، قبل أن يفجأكم هاذم اللذات ، قبل أن يتصاعد منكم الأنين والزفرات ، قبل أن تتقطع قلوبكم عند فراق الدنيا حسرات ، قبل أن يغشاكم من غم الموت الغمرات ، قبل أن تزعجوا من القصور إلى بطون الفلوات ، قبل أن يحال بينكم وبين ماتشتهون من هذه الحياة ، قبل أن تتمنوا رُجُوعكم إلي الدنيا لتعملوا وهيهات .

فاتقوا الله حق تقاته ، فإن فيها النجاة قبل الممات ، وتعرضوا لنفحات ربكم ، فإن له تعالى في أيام دهركم نفحات ، وتوبوا إليه فإنه يقبل التوبة ، ويعفو عن السيئات . فرحم الله أقواماً بادروا الأوقات ، وتداركوا الهفوات، عيونهم مشغولة بالدمع ، وألسنتهم مسجونة بالصمت عن فضول الكلمات ، وأكفهم مكفوفة بالخوف عن تناول الشهوات ، وأقدامهم مقيدة بقيود المحاسبات ، فتيقظوا رحمكم الله للحاقهم من سنة الغفلات ، واعملوا مثل أعمالهم تنالوا الدرجات .

فيامن لم يتصف بهذه الصفات ، كيف ترجو لحاقهم وأنت

كثير المخالفات؟ أما قرع سمعك قول الله في محكم الآيات (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) الجاثية : ٢١ جعلني الله وإياكم ممن بادر الأوقات ، وسارع إلى الخيرات ، إن أكمل المواعظ نفعاً ، وأعظمها في القلوب وقعاً كلام مَن شَقَّ لِكُلٍ مِنَّا بَصَرًا وسَمْعاً ، والله يقول ؛ وقوله الحق المبين : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل : ٩٨ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (إنما مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) يونس : ٢٤ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم وأجارني وإياكم مِن عذابه الأليم ، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه .

١٥٣ خطبة

الحمد لله المرتفع عن إدراك الأبصار الناظرة ، المنزه عن التخيلات ، والاوهام الخاطرة ، العالم بِمَا تحت أمواج البحار الزاخرة ، كعلمه بحركات خلقه الظاهرة ، الذي جعل الموت أول منازل الآخرة ، فأقام به القوي والضعيف تحت قدرته القاهرة . أحمده على نعمه وآلائه المتواترة ، وآياته الباهرة المتظاهرة ، حمداً أدفع به حلول كل فاقرةٍ ، وأشهد أن

لا إله إلا الله وحده لاشريك له، شهادة صادرة عن طوية غير مرتابة ولا فاترة. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بالآيات الباهرة، والمفضل بالمقامات الفاخرة، الذي ألف بين القلوب المتنافرة. اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وعترته الطاهرة، وعلى أصحابه الأنجم الزاهرة.

(أما بعد) فيا أيها الناس إن سبيل العافية عافية لقلة سُلّاكها، وإنّ علل القلوب القاسية مؤذنة بهلاكها، وإن حُلل الذنوب بادية على سُوقة الأمة وأملاكها، وإن رُسُل المنون قانصة لاتفلت أحداً من شباكها. فما للعيون ناظرة ولا تبصر؟ وما للقلوب قاسية ولا تفكر؟ وما للعقول طائشة ولا تشعر؟ وما للنفوس ناسية ولا تذكر؟ أغرها إنظارها وإمهالها؟ أم بشرها بالنجاة أعمالها؟ أم لم يتحقق عندها من الدنيا زوالها؟ كلاّ ولكن شملت الغفلة، فاستحكم على القلوب أقفالها فكأن قد كشف الموت لأهل الغفلة قناعه، وأطلق على صحاح الأجسام أوجاعه، وحقق بكل الأنام إيقاعه، ولم يملك أحد منكم دفاعه، فخفق من المنزول به فؤاده، وانمحق من ناظره سواده، وقلق لهول مصرعه عوّاده، ورحمه أعداؤه وحساده، وأزف عن أهله ووطنه بعاده، والتحق بذل اليتم أولاده، فياله من واقع في كرب الحشارج حتى أدرج في تلك المدارج، وقدم على الله ذي المعارج، في منزل لايبرح منه من نزله حتى يلحق آخر الخلق أوله. أفيظن ظان أنّ الله خلق الخلق ليهمله؟! كلّا والله ليبعثنّه من أماته. ليسألم عن الرسول ومن أرسله، وعن القرآن ومن أنزله، وعن الحرام

الذي أكله، وعمّا اجترحه في دنياه وفعله، ثم ليوفّين كل عامل منكم عمله، ويقابل كل بما عليه وله، علم ذلك من علمه وجهله من جهله. جعلني الله وإياكم ممن إذا أمر قبل، وإذا زجر وجل. إن أحسن الكلام على الإطلاق كلام ربنا الرحيم الخلّاق، والله يقول وقوله الحق المبين: (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل ـ ٩٨ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم (المص. كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين. اتبعوا ماأنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ماتذكرون) الأعراف: ١ـ٣ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين. إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

١٥٤ خطْبَة

الحمد لله الكريم الرؤوف الرحيم المجيد، والحمد لله الذي بحمده تستفتح أبواب المزيد، نحمده كما يجب لجلاله، وكما ينبغي له من التحميد، ونشهد أن لا إله إلا الله العزيز الحميد، شهادةً ننجو بها من الفزع الأكبر يوم العيد. ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله البشير النذير الشهيد، اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أئمة العدل والتوحيد.

(أما بعد) أيها الناس فأوصيكم ونفسي بتقوى الله فاتقوه ، وأحثكم على مراقبته فإنكم ملاقوه ، واحذروه كما حذركم نفسه في الكتاب ، واذكروه كما أمركم ياأولي الألباب ، واستغفروه ؛ فإنه غافر الذنب ، وقابل التوب ، شديد العقاب ، واشكروه فكم أفاض عليكم من جزيل نعمه ، وإياكم والمعاصي ، فإنها مفاتح غضب الله ونقمه ، ولا تشغلنكم دنياكم عن أداء المسنون والمفروض ، ولا تغرنكم ، فإنها لاتساوي عند الله جناح بعوض . كيف يغتربها ، ويطمئن إليها من تنصرم أيامه ولياليه ؟ أم كيف يطيب فيها عيش من لايدري متى الموت والله مفاجيه .

فيا واقفون والأيام والليالي بكم سائرة ، إن فيما تشاهدون من العبر لموعظة زاجرة ، فما للقلوب عن قبول المواعظ نافرة ، وما للنفوس معرضة عن التذكرة كأنها بها ساخرة ؟ وما للهمم عن العمل الصالح فاترة ، أغرتكم الأماني ، والآمال الحاضرة ؟ أما علمتم أن كل جزء من الزمان يذهب بمثله من الأعمار ؟ أما تحققتم أن العمر رأس مال الإنسان وأن ربحه العمل ؟ أما تبين لكم أن مافات لاعوض عنه ولا بدل ؟ فواعجباً لواقف هو في حال وقوفه يرحل ، ولمَنْ يساربه ولا يدري إلى أي الدارين يحمل ، ولمَنْ وُعِظَ بالمواعظ الصادقة فلم يقبل ، ولمَنْ نودي بالرحيل وأمر بالتزود فأهمل، ولمَنْ يسيء عمله ، وقد علم أنه سيجازى بما يعمل ، والعجب أيضاً ممن يرى فِعْلَ الموت بالأتراب ، ثم لايمهد لنفسه في بيوت التراب .

فاستيقظوا رحمكم الله من الغفلة والسنة ، وكونوا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وبادروا وأنتم في مكان الإمكان وفسح المهل ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل . واجتنبوا المعاصي فالفائز مَن كان لها مجانباً ، ولازموا التوبة إلى الله ، فالسعيد مَن لم يزل إليه تائباً .

جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين ، وجنبني وإياكم موارد الظالمين ، إن أحسن الكلام كلام الملك العلام ، والله يقول وقوله الحق المبين : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل : ٩٨ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) التوبة : ٩٤ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم ، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم ، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه .

١٥٥ خطبة

الحمد لله المنتقم ممن خالفه ، المهلك من اسفه ، المتوحد في قهره ، والمنفرد بعز أمره ، أحمده حمد شاكر لما أولاه ، مستقيل مما جناه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة يقين لا شك فيه ، وقول إخلاص عما يقول الكافر ويفتريه ، وأشهد أن محمداً عبده

ورسوله الذي استأمنه على علم الغيب ، وبرأه من كل دنس وعيب ، اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أفضل الصلوات وأزكاها ، وأنزلهم من منازل الكرامة أعلاها .

(أما بعد) فيا أيها الناس إنه ليس أحد أكرم على الله من نبيه ، ولا أشرف عنده من محمد نجيه وحبيبه وصفيه ، ولن يؤخر عند انقضاء مدته ، ولن يعمر عند حضور منيته ، ولقد أتاه في مثل شهركم هذا من رسل ربه الكرام ، الموكلين بقبض نفوس الأنام ، فجذبوا روحه الزكية لينقلوها ، وعاجلوها ليرحلوها إلى رحمة ورضوان ، وروح وريحان ، وروضات الجنان ، وخيرات حسان ، فاشتد لذلك كربه وأنينه ، وترادف قلقه وحنينه ، واختلف بالانقباض والانبساط شماله ويمينه ، وعرق لهول مصرعه جبينه ، فبكى لمنظره من حضره ، وانتحب لمصرعه من أبصره ، فلم يدفع الجزع عنه مقدوراً ، ولا راقب الملك فيه أهلاً ولا عشيراً ، بل امتثل ما كان به مأموراً ، واتبع ماوجد في اللوح مسطوراً . هذا وهو أول من تنشق عنه الأرض ، وصاحب الشفاعة يوم العرض ، وأكرم أهل السماء وأهل الأرض ، وعلى يقين من السلامة في المعاد ، وثقة بالكرامة يوم الأشهاد . فكيف من لا يعلم متى الرحيل ؟ ولا يتحقق أين المقيل ؟ ولا يدري على مايقدم ، ولا بما عليه في القيام يحكم .

فيا خلف من قد دبر ، ويابقية من قد غبر ، وياجدد الآجال ، وعبيد الآمال . أما تتعظون بمصرع سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وحبيب رب العالمين . اتظنون أنكم في الدنيا مخلدون ؟ أم تحسبون

أنكم مِن الموت مُحصّنون ؟ ساء ما تتوهّمون ، هيْهاتَ هيْهاتَ إنكم إذاً لمغرورون، وجدّوا بالله والرحيل،فاحتقبوا زاداً كافياً ، ووجبَ السؤالُ فأعِدّوا جواباً شافياً ، فكأن قدْ نعقَ بكم ناعقُ الشّتاتِ ، ودارتْ عليكم رحَى الآفات ، وعصفتْ فيكم ريحُ المَمات ، فلن تستطيعوا نقصاً مِن السيئات ، ولا زيادةً في الحسنات .

جعلَني اللهُ وإيّاكم مِن الفائزين الآمنين ، وجنّبني وإيّاكم مواردَ الظالمين . إنّ أحْسنَ الكلامِ كلامُ الملكِ العلام ، والله يقولُ وقولُه الحق المبين : (فإذا قرأتَ القرآنَ فاستعذْ بالله مِن الشيطان الرجيم) النحل: ٩٨ أعوذ بالله مِن الشيطان الرجيم (وما جعلنا لبشرٍ مِن قبلك الخلد أفإنْ مِتّ فهم الخالدون كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنةً وإلينا ترجعون) الأنبياء: ٣٤، ٣٥ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم ، وأجارني وإياكم مِن عذابه الأليم ، وثبّتني وإيّاكم على الصراط المستقيم ، أقولُ قولي هذا ، وأستغفر اللهَ لي ولكم ولجميع المسلمين ، إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه .

١٥٦ خطْبَة

الحمد لله الذي يسبح بحمده من في الأرض والسموات ، والحمد لله بكل حمدٍ حمد به نفسه ، أو علّمه أحداً مِن المخلوقات . نحمده على ما منح مِن نعمه السابغات .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادةً ترْفعُ قائلها أعْلى الدرجات . ونشْهد أنّ محمداً عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات ،

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأئمة الثقات .

(أما بعد) فيا أيها الناس إن ماتوعدون من الآخرة لآت ، وإنكم في دار هي محل العبر والآفات ، وأنتم على سفر ، والطريق كثيرة المخافات . فتزوّدوا من دنياكم قبل الممات ، وتداركوا هفواتكم قبل الفوات ، وحاسبوا أنفسكم وراقبوا الله في الخلوات ، وتفكروا فيما أراكم من الآيات ، وبادروا بالأعمال الصالحات ، واستكثروا في أعماركم القصيرة من الحسنات قبل أن ينادي بكم منادي الشتات ، قبل أن يفجأكم هاذم اللذات ، قبل أن يتصاعد منكم الأنين والزفرات ، قبل أن تتقطع قلوبكم عند فراق الدنيا حسرات ، قبل أن يغشاكم من غم الموت الغمرات ، قبل أن تُزعجُوا من القصور إلى بطون الفلوات ، قبل أن يحال بينكم وبين ماتشتهون من هذه الحياة ، قبل أن تتمنّوا رُجوعَكم إلي الدنيا لِتعملوا وهيهاتْ .

فاتقوا الله حق تقاته ، فإن فيها النجاة قبل الممات ، وتعرضوا لِنفحاتِ ربكم ، فإن له تعالى في أيام دَهْرِكُم نَفحاتٍ ، وتوبوا إليه فإنه يَقبَلَ التوبة ، ويعفو عن السيئات . فرحِمَ الله أقواماً بادَرُوا الأوقات ، وتَداركُوا الهفوات ، عيونُهم مَشغُولة بالدمع ، وألسنتهم مَسْجُونة بالصمت عن فضول الكلمات ، وأكفهم مَكفوفة بالخوف عن تناول الشهوات ، وأقدامُهم مقيدَة بقيودِ المحاسبات ، فتيقظوا رَحمكم اللهُ للحاقِهم من سِنة الغفلات ، واعملوا مِثلَ أعمالِهم تَنالوا الدرَجات .

فيامَنْ لم يتصِف بهذه الصِفات ، كيف ترجوا لِحاقهم وأنتَ

كثير المخالفات؟ أما قرع سمعك قول الله في محكم الآيات (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) الجاثية : ٢١ جعلني الله وإياكم ممن بادر الأوقات ، وسارع إلى الخيرات ، إن أكمل المواعظ نفعاً ، وأعظمها في القلوب وقعاً كلام من شق لكل منا بصرا وسمعاً ، والله يقول ؛ وقوله الحق المبين : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل: ٩٨ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) يونس : ٢٤ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم وأجارني وإياكم من عذابه الأليم ، ونجني وإياكم على الصراط المستقيم - أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه .

الحمد لله المرتفع عن إدراك الأبصار الناظرة ، المنزه عن التخيلات ، والأوهام الخاطرة ، العالم تحت أمواج البحار الزاخرة ، كعلمه بحركات خلقه الظاهرة ، الذي جعل الموت أول منازل الآخرة ، فأقام به القوي والضعيف تحت قدرته القاهرة . أحمده على نعمه وآلائه المتواترة ، وآياته الباهرة المتظاهرة ، حمداً أدفع به حلول كل فاقرة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة صادرة عن طوية غير مرتابة ولا فاترة . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بالآيات الباهرة ،

والمفضل بالمقامات الفاخرة، الذي ألف بين القلوب المتنافرة. اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وعترته الطاهرة، وعلى أصحابه الأنجم الزاهرة.

(أما بعد) فيا أيها الناس إن سبيل العافية عافية لِقلة سُلّاكِها، وإنّ عِلَلَ القلوب القاسية مُؤْذِنة بهلاكها، وإن حُلَلَ الذُنوب بادية على سُوَقة الأمة وأملاكها، وإن رسل المنون قانصة لا تفلت أحداً من شباكها. فما للعيون ناظرة ولا تبصر؟ وما للقلوب قاسية ولا تفكر؟ وما للعقول طائشة ولا تشعر؟ وما للنفوس ناسية ولا تذكر؟ أغرها إنظارها وإمهالها؟ أم بشرها بالنجاة أعمالها؟ أم لم يتحقق عندها من الدنيا زوالها؟ كلا ولكن شملت الغفلة، فاستحكم على القلوب أقفالها فكأن قد كشف الموت لأهل الغفلة قناعة، وأطلق على صحاح الأجسام أوجاعه، وحقق بكل الأنام إيقاعه، ولم يملك أحد منكم دفاعه، فخفق من المنزول به فؤاده، وانمحق من ناظره سواده، وقلق لهول مصرعه عوّاده، ورحمه أعداؤه وحساده، وأزف عن أهله ووطنه بعاده، والتحق بذل اليتم أولاده، فياله مِن واقع في كرب الحشارج حتى أدرج في تلك المدارج، وقدم على الله ذي المعارج، في منزلٍ لا يبرح منه مَن نزله حتى يلحق آخر الخلق أوله. أفيظن ظان أن الله خلق الخلق ليهمله؟! كلا والله ليبعثنه مَن أماته. لِيسألَه عن الرسول ومَن أرسَله، وعن القرآنِ ومَن أنْزله، وعن الحرام الذي أكله، وعمّا اجترحه في دنياه وفعله، ثم ليوفينّ كل عاملٍ منكم عمَله، ويقابل كلٌ بما عليه وله، عِلم ذلك مَن علِمه وجهله مَن جَهله. جعلني

الله وإياكم ممن إذا أمر قبل ، وإذا زجر وجل . إن أحسن الكلام على الإطلاق كلامُ ربنا الرحيم الخلاق ، والله يقول وقوله الحقُ المبين: (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل ـ ٩٨ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم (المص . كتاب أنزل إليكَ فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين. اتبعوا ماأنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ماتذكرون) الأعراف: ١ـ٣ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم ، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم ، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين . إنه هو الغفور الرحيم ، فاستغفروه .

١٥٧ خطبة

الحمد لله الكريم الرؤوف الرحيم المجيد ، والحمد لله الذي بحمده تستفتح أبواب المزيد ، نحمده كما يجب لجلاله ، وكما ينبغي له من التحميد ، ونشهد أن لا إله إلا الله العزيز الحميد ، شهادةً ننجو بها من الفزع الأكبر يوم العيد . ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله البشير النذير الشهيد ، اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أئمة العدل والتوحيد .

(أما بعد) أيها الناس فأوصيكم ونفسي بتقوى الله فاتقوه ، وأحثكم على مراقبته فإنكم ملاقوه ، واحذروه كما حذركم نفسه في الكتاب ،

واذكروه كما أمركم ياأولي الألباب ، واستغفروه ؛ فإنه غافر الذنب ، وقابل التوب ، شديد العقاب ، واشكروه فكم أفاض عليكم من جزيل نعمه ، وإياكم والمعاصي ، فإنها مفاتح غضب الله ونقمه ، ولا تشغلنكم دنياكم عن أداء المسنون والمفروض ، ولا تغرنكم ، فإنها لاتساوي عند الله جناح بعوضٍ . كيف يغتربها ، ويطمئن إليها من تنصرم أيامه ولياليه ؟ أم كيف يطيب فيها عيش من لايدري متى الموت والله مفاجيه .

فيا واقفون والأيام والليالي بكم سائرة ، إن فيما تشاهدون من العبر لموعظة زاجرة ، فما للقلوب عن قبولِ المواعظ نافرة ، وما للنفوس معرضة عن التذكرة كأنها بها ساخرة ؟ وما للهمم عن العمل الصالح فاترة ، أغرتكم الأماني ، والآمال الحاضرة ؟ أما علمتم أن كل جزءٍ من الزمان يذهب بمثله من الأعمار ؟ أما تحققتم أن العمر رأس مال الإنسان وأن ربحه العمل ؟ أما تبين لكم أن مافات لاعوض عنه ولا بدل ؟ فواعجباً لواقفٍ هو في حال وقوفه يرحل ، ولمن يساربه ولا يدري إلى أي الدارين يحمل ، ولمن وعظ بالمواعظ الصادقة فلم يقبل ، ولمن نودي بالرحيل وأمر بالتزود فأهمل ، ولمن يسيء عمله ، وقد علم أنه سيجازى بما يعمل ، والعجب أيضاً ممن يرى فعل الموت بالأتراب ، ثم لايمهد لنفسه في بيوت التراب .

فاستيقظوا رحمكم الله من الغفلة والسنة ، وكونوا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وبادروا وأنتم في مكان الإمكان وفسح المهل ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل .

واجتنبوا المعاصي فالفائز من كان لها مجانباً ، ولازموا التوبة إلى الله ، فالسعيد من لم يزل إليه تائباً .

جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين ، وجنبني وإياكم موارد الظالمين ، إن أحسن الكلام كلام الملك العلام ، والله يقول وقوله الحق المبين : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل : ٩٨ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) التوبة : ٩٤ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم ، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم ، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه .

١٥٨ خُطْبَة

الحمد لله المنتقم ممن خالفه ، المهلك من آسفه ، المتوحد في قهره ، والمنفرد بعز أمره ، أحمده حمد شاكر لما أولاه ، مستقيل مما جناه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة يقين لا شك فيه ، وقول إخلاص عما يقول الكافر ويفتريه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي استأمنه على علم الغيب ، وبرأه من كل دنس وعيب ، اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أفضل الصلوات

وآزكاها، وانزلهم من منازل الكرامة أعلاها .

(أما بعد) فيا أيها الناس إنه ليس أحد أكرم على الله من نبيه ، ولا أشرف عنده من محمدٍ نجيه وحبيبه وصفيه ، ولن يؤخر عند انقضاء مدته ، ولن يعمر عند حضور منيته ، ولقد أتاه في مثل شهركم هذا من رسل ربه الكرام ، الموكلين بقبض نفوس الأنام ، فجذبوا روحه الزكية لينقلوها ، وعاجلوها ليرحلوها إلى رحمةٍ ورضوان ، وروحٍ وريحانٍ ، وروضات الجنان ، وخيراتٍ حسانٍ ، فاشتد لذلك كربه وأنينه ، وترادف قلقه وحنينه ، واختلف بالانقباض والانبساط شماله ويمينه ، وعرق لهول مصرعه جبينه ، فبكى لمنظره من حضره ، وانتحب لمصرعه مَن أبصره ، فلم يدفع الجزع عنه مقدوراً ، ولا راقب الملك فيه أهلاً ولا عشيراً ، بل امتثل ما كان به مأموراً ، واتبع ماوجد في اللوح مسطوراً . هذا وهو أول من تنشق عنه الأرض ، وصاحب الشفاعة يوم العرض ، وأكرم أهل السماء وأهل الأرض ، وعلى يقينٍ من السلامة في المعاد ، وثقةٍ بالكرامة يوم الأشهاد . فكيف مَن لايعلم متى الرحيل ؟ ولا يتحقق أين المقيل ؟ ولا يدري على مايقدم ، ولا بما عليه في القيام يُحكَمْ .

فيا خَلَفَ مَن قد دَبرْ ، ويابقيةَ مَن قد غبرْ ، وياجُدُدَ الآجال ، وعَبيدَ الآمال . أَمَا تتَّعِظُونَ بمَصْرَعِ سيِّدِ المُرسلين ، وإمامِ المتقين ، وحبيبِ ربِ العالمين . أتظنون أنكم في الدنيا مُخلَّدُون ؟ أم تحسبون أنكم من الموت مُحَصَّنُون ؟ ساءَ مَا تتوهَّمُون ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ إنكم إذاً

لمغرورون، وجدوا لله والرحيل،فاحتقبوا زاداً كافياً ، ووجب السؤال فأعدوا جواباً شافياً ، فكأن قد نعق بكم ناعق الشتات ، ودارت عليكم رحى الآفات ، وعصفت فيكم ريح الممات ، فلن تستطيعوا نقصاً من السيئات ، ولا زيادة في الحسنات .

جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين ، وجنبني وإياكم موارد الظالمين . إن أحسن الكلام كلام الملك العلام ، والله يقول وقوله الحق المبين : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل: ٩٨ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفائن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون) الأنبياء: ٣٤، ٣٥ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم ، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم ، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه .

١٥٩ خطبة

الحمد لله مجلي السماء ببديع المصابيح ، ومغذي الملائكة بحلاوة التسبيح ، الذي شهدت بتوحيده عجائب المصنوعات ، ونطقت بتحميده غرائب المبدوعات ، وسبح له الخلق باختلاف اللغات ، فسبحان من لا يساويه أحد في الأرض والسموات ،أحمده ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة باسقة الفروع ، وأشهد أن

محمداً عبده ورسوله أرسله من أرجح العرب ميزاناً، وأوضحها بياناً، وأعلاها مقاماً، وأحلاها كلاماً، وأوفاها ذماماً، فأوضح الطريقة ونصح الخليقة، وشهر الإسلام، وكسر الأصنام، وأظهر الأحكام، وحذر، والحرام عم، وبالإنعام. اللهم فصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه البررة الكرام وعلى أزواجه وذريته في كل محفل ومقام.

(أما بعد) أيها الناس ارمقوا العواقب بعقل الفكر، وانظروا لأنفسكم أجمل النظر، وادرعوا لأهوالكم مدارع الحذر واحتقبوا زاداً كافياً لبعد السفر. فما لكم عن الرشد ناكبين، وفي مواطن الجد لاعبين، وأحلام المنايا بكم صادقة، وسهام الرزايا بكم واثقة؟ ألا غاسلاً قلبه بفيض مدمعه، ألا موقظاً قلبه بذكر مرجعه، إلا مشفقاً من مفاجأة هجوم مصرعه، ألا متأهباً لركوب هول فزعه، ألا ممهداً لطود وحشة مضجعه، قبل أن تخلو المنازل من أربابها، وتؤذن الديار بخرابها، وتهتك الحلائل لعظم مصابها، وتندب على فراق أحبابها، وتلتحق الأجساد بترابها، قبل أن تقبل الساعة بفجائعها وتنشر الخلائق لحسابها، وترتهن باكتسابها، وتنكر القبائل معارف أنسابها. يومئذ تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتجازى كل عاملة بما صنعت، ذلك يوم زال غشه[4] ونفاقه، وطال الشر ووثاقه، وعسر على المذنبين مساقه، وتجلى للحكومة فيه خلاقه؛ فيا فوز من عامله بأحسن المعاملات، ويا خسارة من بارزه بالخطايا والسيئات؛

فإلى كم تتماطلون عباد الله بالعمل، وتطمعون في بلوغ الأمل! وتغترون بفسحة المهل! ولا تذكرون هجوم الأجل فرحم الله امرءاً أقدم الحذر، وأمعن النظر قبل أن يفارق الأوطان، ويعدم الإمكان، ويدرج في مدارج الأكفان، ويدخل في خبر كان، جعلني الله وإياكم من الفائزين، وجنبني وإياكم موارد الظالمين. إن أحسن الكلام كلام الله الملك العلام، والله يقول وقوله الحق المبين: (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل: ٩٨ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور) آل عمران: ١٨٥ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من من العذاب الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه.

١٦٠ خطبة

الحمد لله الذي عمت رحمته كل شيءٍ ووَسِعتْ، وتمت نعمته على العباد وعظُمتْ، ملك ذلّتْ لعزّته الرقاب وخَضَعتْ، وهابتْ لسطوته الصعابُ وخَشَعتْ، وارتاعتْ من خشْيته أرواحُ الخائفين وجزعتْ

كريمٌ تعلقت برحمته قلوبُ الراجين فطمعتْ ، بصيرٌ بعباده يعلم ما كَنَّتِ الصُدور وأَودَعتْ ، عَظيمٌ عجزَتْ المقولُ عن إدراكِ ذاته فتحيرتْ .

نحمده على نعمٍ توالَتْ علينا واتسعَتْ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريكَ لهُ ، شهادةً تُنجي قائلَها من النارِ يومَ تَذهَلُ كُلُّ مرضعةٍ عما أرضَعتْ ، ونشهد أن محمداً عَبْدُهُ وَرَسولُه الذي جاهدَ في الله حق جِهادِهِ حَتى عَلَتْ كلمةُ التوحيدِ وارتفعتْ ، اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ما ابْتَهلَتِ الوفُودُ بالمشاعرِ العظامِ وَدَعَتْ .

(أما بعد) أيها الناس تأهبوا للانتقال مِن دار الرحيل والزوال ، وتَنافَسُوا في اكتساب ما يُوصل إلى دار المقِيلِ والظلالِ ، وارغبوا في صالح الأعمال ، واعلموا أنكم عما قليل راحِلُونَ ، وإلى الله صائرون ، ولا يغني هنالك عمل إلا صالح قدمتموه ، أو حسن ثواب أحرزتموه ، فإنكم تقدمون على ما قدمتم ، وتجازون على ما أسلفتم ، فلا تصدنكم زخارف دنيادنيةٍ عن مَراتبَ جنات علية ، واكتسبوا مراضي الرحمن فإنها أربحُ المكاسب ، واجتنبوا مَواردَ العِصيان ، فإنها وخيمةُ العواقب ، وحاذروا مُواعيد الآمال فإنها آمالٌ كَواذب .

ألا وإن الدنيا قد خطمتكم بخطامها وأنتم عليها مقبلون ، وصدقتكم حَوادث أيامها وأنتم لها مكذبون ، كم تُحذَّرونَ مِن الغفلةِ فلا تَحذَرون ، وتُذكَّرون بالآخرة ولا تَذَّكَّرون ، ويُوضَّح لكم الصوابَ ولا تبصِرون ، ويُفصَحُ لكم في الخطاب ولكن لا تشعرون . إلى كم

للدنيا تعدون ؛ وأنتم عما قليل في الموتى تعدون؟ولا تتأهبون للآخرة ولا تستعدون أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون) فرحم الله امرءاً تأهب للقدوم على الله في يوم يفوز فيه الابرار ، ويَسْعَدُون ويَشْقَى فيه الفُجار ويُبعدُون ،ذلك يوم يَخسرُ فيه المبطِلُون ، ويَنجو فيه الأبرارُ الصادقون ، ويفرح فيه المتقُون ، ويَربَحْ فيه المخلِصُون ، يومَ لا ينفع الظالمين معذرتهم ولا هم يستعتبون .

جعلني الله وإياكم ممّن أخلص لله في الأعمال ، وأسعدني وإياكم في الدارين بحسن النوال . إن أحسن الكلام كلام الملك العلام ، والله يقول وقوله الحق المبين : (وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) الأعراف : ٢٠٤وقال عز من قائلٍ عليم : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ باللهمن الشيطان الرجيم) النحل:٩٨أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومَن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)التغابن:١٦ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ،ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم،وأجارني وإياكم من العذاب الأليم ، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، إنه هو الغفور الرحيم فأستغفروه .

١٦١ خطبة

الحمد لله الذي يجب أن تشكر نعمته،ويتعين أن تحذر نقمته ويحتم أن يخاف عذابه وسطوته ، من قابل إحسانه بالإساءة نادت عليه شقوته.

أحمده حمداً تقتضيه قدرته ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنـا لعل أن تعمنا رحمته، وأشهد أن لا إله إلاالله وحده لاشريك له ، وكيف يشاركه شيءوكل الأشياء خليقته ؛ وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي ختمت النبوة والرسالة بنبوته ورسالته ،ودمر الله به المتدين ، وأنذر به العاصين حتى قامت على الخلائق حجته . ولم يزل صلى الله عليه وسلم يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويحرض على ذلك لتمتثل أمته.اللهم فصل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه، وأدم ذلك بعدد لم تنقض مدته .

(أما بعد) أيها الناس اقـترب للناس حسابهم ، وكأن المجهول قـد نسخت رجعته ، وحق على العصاة عذابهم ، وكأنها هانت على الجريء مهجته ،وأزف والله مآبهم ، وقد استولت على الشقي غفلته ، واشتغل المغرور بالدنيا شغل من لا تأتيه آخرته ، واحتفل باللهو واللعب ، ولم يشعر أن لذته تستهلكـه ، وأهمل حقوق المولى حتى كأن لم تجب عليه طاعته،وأسدل المذنب حجاب الستر من السوءوقد كشفه علم الله ومراقبته.

أيها النائم سيوقظك المـوت وسكرته ، ويضمك القبر وتوحشك ظلمته ، ويسألك إلـهك وتشغلك مسألته ، وتلتئم أعضاؤك فتظهر من كل عضو زلته ، وتطوى صحيفتك ، وياويـح من تطوى على المساوىء صحيفته ،وتعرض روحك على الله وقـد حفت به الملائكة ، وأحضرت النار ، وأعتبرت الاوزار ، وشخصت الأبصار ، وضمت الأولين والآخرين حضرتـه . ويقال للعاصي : يا ناقـض العهد أين عظمة الله وحرمته ؟ من ذا الذي يجترىء على الله وقد حقت عليه كلمته ؟فالله الله

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، والأمر بالمعروف ، والنهي عـن المنكر بحسب مـا تطيقه قـوة أحدكم وقدرته .وتوبوا إلى الله قبل أن يغلق باب التوبة ، وترد عـلى العبد توبته . جعلني الله وإياكم ممـن أعطي مسألته وغفر لـكل عبدٍ منازلته .

إن أحسن الكلام المنظوم ، وأبين اللفظ المرقوم ،كلام ربنـا الحي القيوم ، والله تعالى يقول وقوله الحق المبين : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل:٩٨ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم (اقترب للنـاس حسابهم وهم في غفـلة معرضون . ما يأتيهم من ذكرٍ من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون . لاهيةً قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) الأنبياء ١-٣ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منـه بالآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هـذا أستغفر الله العظيم لي ولـكم ، ولجميع المسلمين ، إنه هو الغفور الرحيم ، فاستغفروه .

١٦٢ خُطبـــة

الحمد لله الذي أحاط بحوادث الدنيا والآخرة خبراً ، وجعل لكل شيءٍ قدراً ، وأسبل على الخلائق رعايته ستراً .

أحمده على نعمائه شكراً ، وأسلم لقضائه صبراً ، وأشهـد أن لا إله

إلا الله وحده لا شريك له شهادة أعدها ليوم القيامة ذخراً ، وأستمدها على الأعداء نصراً ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أرسله إلى البرية عذراً ونذراً ، فدعا إلى الله سراً وجهراً ، ونشر رحمته على العالمين نشراً ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ، وأدم لهم أجراً.

(أما بعد) فأوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله ، فاتقوا الله ، فإن تقواه عروة مالها انفصام ، وقدوة يأتم بها الكرام ، وجذوة تضيء بها الأفهام ، من تعلق بها حمته محذورَ العاقبة ، ومَن تحقق بحملها وُقتهُ شرورَ كل نائبة ، وأحذركم دارَ فرقة مالها أسلاف ، وقرارَ حُرقة مالها انصراف ، وأماني رجعة مالها إسعاف . فانهضوا عباد الله في استعمال ما يقربكم من دار القرار ، وارفضوا من الأعمال ما يدنيكم لدار البوار ، فإنها المصيبة الجامعة ، والعقوبة الواقعة . يالها داراً انقطع من الرجال رُجاء حلالها ، وامتنع من الفناء بقاء نكالها ، وشعار أهلها الوَيلُ الطويل ، ودِثارهم البُكاء والعَويل ، وسَرابيلُهم الخزي الوبيل ، ومَقيلُهم الهاوية وبئسَ المقيل ، يقطّعُ منهم الحميمُ أمعاءً ، طالما وَلِعتْ بأكل الحرام ، وتضعضعُ منهم الجحيمُ أعضاءً طالما أسرعتْ إلى اكتساب الآثام قد انهلت عليهم الأنات ، وحلّتْ بهم المثلات . فجلودهم محددة بالعذاب ، ووجوههم مسودة لسوء الحساب ، والزبانية يدخلون عليهم من كل باب ، ويقولون : لا مرحباً بكم إن لكم لشرَّ مآب ، يُنادون إلهاً غرَّهُم في العاجلة حِلْمُهُ فخالفوه ، وحق عليهم في الآجلة حكمه لما آسفوه ، يقولون :(ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون) المؤمنون:١٠٧.(ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون)

فيجيبهم بعد حين إجابة دعوة ذي قوة متين (اخسؤوا فيها ولا تكلمون) المؤمنون:١٠٨. فحينئذ ينقطع عندها والله تأميل المذنبين، ويجتمع التنكيل على المكذبين، ويرتفع في النار عويل المعذبين، فإن يصبروا فالنار مثوىً لهم، وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين .

أبعدني الله وإياكم عن دار غضبه ، وأسعدني وإياكم بإتيان ما أمر به . إن أحلى ما أنصت لترديده ، وأولى ما أُخِذَ بوعْدِه ووعيده كلامُ مُبْدِىءِ الخلق ومُعِيدِه ، والله يقول ، وقوله الحق المبين : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل:٩٨. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) الجاثية : ٢١ (وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) الجاثية : ٢٢ . بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم ، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، إنه هو الغفور الرحيم . فاستغفروه .

١٦٣ خُطبـــة

الحمد لله مثيب الطائعين على صالح العمل آجزل الثواب ، ومجيب الداعين فهو أكرم من أجاب ، يغفر الزلات ، ويقيل العثرات ، ويجتبي إليه من يشاء ، ويهدي إليه من أناب ، يبسط يده بالليل ليتوب مسيء

النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، فإلى متى يؤخر المتاب ؟!.

أحمده على نعمه التي فاضت على ذرات التراب، وقطرات السحاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، شهادة لايحجبها عن الإخلاص حجاب، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله بأسمح دين وأفصح كتاب، فرض الفرائض وسن السنن، وبين الآداب. اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه خير آل وأكرم أصحاب.

(أما بعد) أيها الناس جد بكم الرحيل وأنتم للإقامة عاملون وندبكم ربكم إلى الآخرة وأنتم عنها غافلون، وحذركم عن التهافت في الدنيا وأنتم مع الآمال مائلون، وطلبكم لوليمة دار السلام وأنتم عن الإجابة متشاغلون. يالها داراً تشوقت إلى طالبيها، فيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين لمن جد فيها، فيها من الخير المدخر مالاعين رأت ولا أذن سمعت، ولاخطر على قلب بشر، حصباؤها اللؤلؤ والجوهر وترابها الزعفران والعنبر، سقفها عرش الرحمن، فظلها ممدود، وماؤها جار في غير أخدود، سررها عالية الرتب، وبناؤها لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، فيها أنهار ذكر الله لها في كتابه العزيز نعتاً ووصفاً من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، فتحت منها الأبواب، وزخرفت للمتقين فيها القباب، وغردته الأطيار، واطردت الأنهار. وأصبح أهلها في روضة يحبرون، على الأرائك ينظرون، لمثل هذا فليعمل العاملون.

فيا أهل العقول تدبروا القرآن ببصائر الإيمان، واشتروا الأمان بمرضاة الرحمن، وتقربوا بالصالحات إلى الجنان تفوزوا بالقبول والغفران، وامحُوا سوابقَ العصيان بلواحق الإحسان، وتخلصوا عن الهوان واندبوا أعمالاً ماضية، ونفوساً عاتية طاغية، ألا آذان واعية ألا أقدام في طاعة الله ساعية، ألا نفوسٌ لحقوق الله مُراعية، ألا قلوبٌ إلى قبول المواعظ داعية، قبل هجوم الداهية، يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية، جعلني الله وإياكم من الفائزين، وأدخلنا برحمته في عباده الصالحين. إن أحسن الكلام كلام الملك العلام والله يقول وقوله الحق المبين: (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل:٩٨ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور. ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور) فاطر ٢٩، ٣٠ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من العذاب الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه.

١٦٤ خطبة

الحمد لله الذي خلق الخليقة وأعمالها، وردها بنور الهداية عن الغواية وأمالها، وأمدها بالعناية الربانية فقصر آمالها. أحمده حمد من

احتسى من النعم زلالها ، واكتسى سربالها . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تثبت الأقدام إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها ، وقال الإنسان مالها .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أرسله والجاهلية تشرع ضلالها ، فلم يزل ﷺ يكثر جدالها ويضيق مجالها ، ويعرف خيلها ورجالها ،حتى عرفت حرامها وعافت الدنيا إذ عرفت زوالها . اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ماخالفت الجنوب في الهبوب شمالها .

(أما بعد) أيها الناس ما لأمواه العيون غائضة ؟ وما لأفواه الذنوب فائضة ؟ وما للهمم عن طلب النجاة رابضة ، وما للنفوس في ميدان الشهوات راكضة ،وما للأهواء في مجاري الزلات خائضة؟ وما للعزائم إلى مقابل التوبة ناهضة ؟ أذهب الصواب عن السلاك ، أم عظم المصاب ووقع الهلاك ؟.

لقد أفصحت الرسل لولا صمم القلوب ، ووضحت السبل لولا كدر الذنوب . ألا وإن الطريق سحيق فاشتملوا زاداً فاضلاً ، وإن الحساب دقيق فاعملوا عملاً مناضلا وإن العذاب حريق فأعدوا ولاءً شاملاً ، وإن السؤال حقيق فأسيلوا دمعاً سائلاً ، واغتنموا نفائس أوقات تسير بكم سيراً حثيثاً ، وأياماً وليالي طالما أرتكم عبرة وأسمعتكم مواعظها حديثاً ، لقد أخبرتكم بما أخلت من الديار ، وما أحلت بالقرون من قبلكم ، وأعفت من الآثار . ألم تركم كيف أوردت الأتراب مصارع المنايا ، ألم توصل إليكم من الأخبار

قوارع الرزايا ؟ أما دهتكم في أنفسكم بكثيرٍ من الآلام ؟ أما أذاقتكم في أنفسكم مرارة الأسقام ؟ فلو فكرتم في الدنيا لعلمتم أنكم في إدبار منها حثيث، وإقبال من الآخرة غير بطيء ولا مكيث. فكأن الليل والنهار وقد وقفا بكم على الآجال ، وأزالا عنكم غرور الآمال ، وكشفا عنكم أغطية الأبصار ، ووصلا بكم إلى دار القرار ، فياحسرة منتقل إلى دارٍ لم يتخذ بها منزلاً ، ولم يقدم اليها من الصالح عملاً ، فرحم الله امرءاً وسع من القبور مضيقاً ، واتخذ من العمل الصالح صديقاً ، وصدق ربه فبعثه صديقاً ، فطيبوا نفساً بمعاملة الله فإنكم تربحون ، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون .

جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين ، وجنبني وإياكم موارد الظالمين. إن أحسن الكلام كلام الملك العلام والله يقول وقوله الحق المبين: (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل:٩٨ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً. المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً) الكهف:٤٥،٤٦. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم ، وأجارني وإياكم من العذاب الأليم ، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع

المسلمين ، إنه هو الغفور الرحيم ، فاستغفروه .

الخطبة الرابعة من شهر ربيع الثاني

الحمد لله الملك القهار العظيم الجليل ، والحمد لله الذي أنفذ قضاءه في مخلوقاته ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، سبحان من جعل الدنيا دار زوالٍ ورحيلٍ ، والآخرة دار نعيمٍ أو عذابٍ وبيل ، وكل ميسر لما خلق له ، وعلى الله قصد السبيل .

أحمده على إحسانه الشامل الجزيل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا وزير ولا عديل ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المؤيد بمعجزات التنزيل ، والمصون دينه عن التحريف والتبديل ، اللهم فصل وسلم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه صلاةً وسلاماً يبلغان قائلهما نهاية التأميل .

(أما بعد) أيها الناس ما هذا الانتظار وقد قرب الرحيل ؟ وما هذا الاغترار وقد أزف التحويل ؟ أما ترون المنايا كيف أنشبت الأظفار ؟ واستلبت من الأمة الخيار ، وأن الرزايا قد طبقت أرجاء الأرض والأقطار ، فمحت من المجالس الآثار ، فأصبحت عرى الإيمان منفصمة ، وقوى التقوى منقصمة ، فاتقوا الله عباد الله حق تقاته ، وبادروا بالسعي إلى مرضاته ، وأقلقوا القلوب من مراقد غفلاتها ، واعدلوا بالنفوس عن موارد شهواتها ، وذللوا جموحها بذكر هجوم مماتها، وتخيلوا فضائحها يوم تعرف بسماتها، وترقبوا داعياً من جو السماء تنشر به الرمم ، وتزول معه التهم ، ويطول عنده الأسف

والندم ، ياله من داعٍ يسمع العظام البالية ، ومنادٍ يجمع الأجسام المتلاشية من حواصل الطيور وبطون السباع ، وقرار الوهاد ، ومتون البقــاع ، حتى يستقيم كل عضو في موضعه ، ويقوم كل شخصٍ من مصرعه ، فتقومون أيها الناس ليوم الكرة(٢) بوجوه من الثرى مغبرّة وألوانٍ من هول ماترون مصفرّة ، حفاةً عراةً كما بدأكم أول مرة ، فيسمعكم الداعي ، وينفذكم البصر ، قد ألجمكم العرق وغشيكم القتر ، ومادت الأرض فهي بما عليها ترجف ، وبست الجبال فهي برياح القامة تنسف ، وشخصت الأبصار ، فما ترى من عين تطرف (٣) وغص بأهل السموات والارض الموقف . فبينما الخلائق متطلعو أنبائها ، وقوفاً صفوفاً والملائكة على أرجائها ، إذ أحاطت بهم ظلمات ذات شعب ، وغشيهم منها شواظ ولهب ، وسمعوا لها جرجرة زفير وصخب ، فعند ذلك يجثو الظالمون على الركب ، ويشفق المراؤون من سوء المنقلب وتطرق الأنبياء لسلطان الرهب ، وينادى أين عبد الله وابن أمته ، وأين المسرف على نفسه بخطيئته؟ فيعرف من بين الخلائق بسمته ، ويحضر مطالباً بإقامة حجته . فخاب والله هناك من كان على نفسه مسرفاً ، ولم يجد من خلطائه وأخلائه ناصراً ولا مسعفاً ، بل يجد الحاكم له وعليه عدلاً ومنصفاً (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً) الكهف : ٥٤ . زحزحنا الله وإياكم عن النار) وأدخلنا بفضله ورحمته دار القرار . إن أحسن مافاه به اللسان كلام من خلق الإنسان وعلمه البيان . والله يقول وقوله الحق المبين : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم)

النحل : ٩٨ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب . وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعاً يعلم ماتكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار) الرعد : ٤٢ ، ٤٣ . بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم ، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم ، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، إنه هو الغفور الرحيم . فاستغفروه .

خُطبة فِي الاِسْتِعْدَادِ لِلْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ

الْحَمْدُ للهِ الْعَالِمِ الْمُرِيدِ ، الْخَالِقِ الرَّازِقِ الْغَنِيِّ الْحَمِيدِ ، ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ ، فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ، عَفْوُهُ عَظِيمٌ وَبَطْشُهُ شَدِيدٌ ، وَهُوَ اللهُ الْبَاعِثُ الْوَارِثُ الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ (أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى) .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى حَمْدًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَفْضَالِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ عَمَّ الْوُجُودَ بِجُودِهِ وَشَمَلَ الْعَالَمِينَ بِنَوَالِهِ ، وَجَعَلَ الْحَيَاةَ لِابْنِ آدَمَ مَزْرَعَةً لِأَعْمَالِهِ ، يَحْصُدُ مَا زَرَعَ فِيهَا عِنْدَ مَآلِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَعْرُوفُ بِكَمَالِهِ ، الْقَائِلُ ﷺ : أَنَا أَعْرَفُكُمْ بِاللهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لِمَا شَاهَدَ مِنْ جَلَالِ رَبِّهِ وَجَمَالِهِ (فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ، مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ، أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى) .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، سَيِّدِ خَلْقِ اللهِ ، وَخَاتَمِ رُسُلِ اللهِ ، وَالْقَائِلِ ﷺ : عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ ، عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي شَرَائِعِ اللهِ)وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا) .

عِبَادَ اللهِ : شَغَلَتْكُمُ الدُّنْيَا عَنِ الآخِرَةِ وَصَرَفَكُمُ الْعَاجِلُ عَنِ الآجِلِ ، وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَمَا يَنْبَغِي ذَلِكَ لِعَاقِلٍ ، فَكَمْ تَرَوْنَ مِنْ هَالِكٍ بَعْدَ هَالِكٍ ، وَرَاحِلٍ بَعْدَ رَاحِلٍ ، وَكَمْ تُشَاهِدُونَ مِنْ مَلِكٍ عَظِيمٍ وَمُلْكُهُ عَنْهُ زَائِلٌ ، وَلَمْ تُغْنِ عَنْهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً مُعِدَّاتُهُ وَالْجَحَافِلُ ، وَكَمْ مِنْ غَنِيٍّ كَبِيرٍ ذَهَبَ عَنْهُ مَالُهُ الْكَثِيرُ الطَّائِلُ ، وَأَقْبَلَ كُلٌّ عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ عَامِلٌ ، وَالْتَحَقَ الأَوَاخِرُ بِالأَوَائِلِ ، وَلَقِيَتْ خُزَاعَةُ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ ، وَسَيَحْكُمُ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ وَيُجَازِي كُلاًّ بِمَا عَمِلَ وَهُوَ الْكَرِيمُ الْعَادِلُ (فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى ، وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى ، الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى) .

هَذِهِ الدَّارُ خَدَّاعَةٌ مَكَّارَةٌ ، سَاحِرَةٌ بِأَهْلِهَا غَرَّارَةٌ ، وَنَفْسُكَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ بِالسُّوءِ أَمَّارَةٌ ، وَالشَّيْطَانُ يَأْتِيكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ ، وَيَأْمُرُكَ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَيَدْعُوكَ إِلَى الْخَسَارَةِ ، فَيَا لَكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَعْدَاءٍ تَآمَرُوا عَلَيْكَ وَبِحُسْنِ الْعِبَارَةِ قَدْ صَرَفُوكَ عَنْ كُلِّ بِشَارَةٍ وَنَذَارَةٍ ، وَزَيَّنُوا لَكَ الشَّرَّ وَأَطْوَارَهُ ، وَحَسَّنُوا لَكَ الذُّنُوبَ بِكُلِّ مَهَارَةٍ ، وَدَعَوكَ إِلَى الْفَسَادِ بِالتَّصْرِيحِ وَالتَّلْمِيحِ وَالإِشَارَةِ ، وَأَنْتَ بِهِمْ وَاثِقٌ وَإِلَيْهِمْ رَاكِنٌ ، لَا تَنْفَعُكَ الْمَوْعِظَةُ وَلَا تَسْمَعُ مِنَ الْخَطِيبِ إِنْكَارَهُ ، وَإِسْهَابَهُ فِي التَّحْذِيرِ وَإِكْثَارَهُ ، فَاتَّقُوا اللهَ وَقُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ، وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ (وَمَنْ يَتَّقِ

اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) .

تَمَكَّنَ وَاللهِ حُبُّ الدُّنْيَا مِن قُلُوبِ الْكُفَّارِ وَالْمُسْلِمِينَ ، فَأَصْبَحُوا لَا يُبَالُونَ فِي سَبِيلِهَا بِمُرُوءَةٍ وَلَا دِينٍ ، وَتَحَكَّمَتْ فِي بَنِي آدَمَ الشَّيَاطِينُ ، فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، وَقَالُوا لَهُمْ مَا أَنْتُمْ بِمَيِّتِينَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى وَمَا أَنْتُمْ بِمُعَذَّبِينَ ، وَمَا هَذِهِ الآيَاتُ وَالْمَوَاعِظُ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ بِالأَدْيَانِ مُسْتَهْزِئِينَ ، وَبِالتَّعَالِيمِ السَّمَاوِيَّةِ مُسْتَخِفِّينَ وَقَالَ الآبَاءُ لِلْبَنِينَ ، كُونُوا كَمَا شِئْتُمْ فَمَا نَحْنُ عَنْكُمْ بِمَسْئُولِينَ ، وَقَالَ الصِّغَارُ لِلْكِبَارِ لَوْلَا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْجَامِدُونَ لَكُنَّا قَوْماً صَالِحِينَ ، فَخَلُّوا سَبِيلَنَا وَامْضُوا حَيْثُ تَأْمُرُونَ ، وَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَلَيْتَهُمْ يَسْمَعُونَ الْكِتَابَ الْمُبِينَ ، وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْقُرُونِ الْغَابِرِينَ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ (وَإِنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَى ، وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى ، وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ، وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ، فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى) .

أَمَلُكَ يَا ابْنَ آدَمَ طَوِيلٌ وَأَجَلُكَ قَصِيرٌ ، وَخَيْرُ هَذِهِ الْحَيَاةُ قَلِيلٌ وشَرُّهَا كَثِيرٌ ، فَأَنْتَ تَبْنِي وَتَهْدِمُ ، وَتَنْقُضُ وَتُبْرِمُ ، وَتُقَدِّرُ فَتُخْطِئُ التَّقْدِيرَ ، وَتَقُولُ وَتَفْعَلُ وَتَتْرُكُ وَتُدَبِّرُ ، فَتَأْتِي الأُمُورُ مُخَالِفَةً لِلتَّدْبِيرِ ، وَتُسِيءُ الاكْتِسَابَ وَتُسَوِّفُ بِالْمَتَابِ ، وَتَسْتَبْعِدُ الْمَوْتَ لأَنَّكَ صَحِيحٌ وَصَغِيرٌ ، وَإِنَّمَا يَمُوتُ الْمَرِيضُ وَالْكَبِيرُ ، فَهَلاَّ تَذَكَّرْتَ مَنْ مَاتَ فَجْأَةً وَأُخِذَ بَغْتَةً وَاسْتَسْلَمَ كَالأَسِيرِ ، فَأَمْسَى أَمِيرًا وَأَصْبَحَ غَيْرَ أَمِيرٍ ، وَتَمَّ أَجَلُهُ ، وَانْقَطَعَ عَمَلُهُ ، وَأَسْلَمَهُ إِلَى اللهِ أَهْلُهُ ، وَانْقَطَعَتْ عَنْهُ الْمَعَاذِيرُ ، وَفِي الْقَبْرِ يَسْأَلُهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ وَإِذْ ذَاكَ يَعْلَمُ الْمَصِيرَ ، أَفِي الْجَنَّةِ أَمْ فِي السَّعِيرِ (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ

يَوْمَئِذٍ زُرْقاً ، يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إنْ لَبِثْتُمْ إلاَّ عَشْرًا) .

إذَا وَقَفَ النَّاسُ بَيْنَ يَدَي اللهِ ، وَنَظَرَ كُلُّ امْرِىءٍ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ حُفَاةٌ عُرَاةٌ ، يَسْمَعُهُمُ الصَّيِّتُ وَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ مِنْ أَبْعَدِ الْمَوْقِفِ وَأَدْنَاهُ ، فَثَمَّ تَذْهَلُ الْعُقُولُ وَتَتَبَلْبَلُ الأَلْسِنَةُ وَيَسْتَغْرِقُ الإنْسَانُ فِي بُكَاهُ ، وَقَدْ أَلْجَمَهُ الْعَرَقُ وَتَغَشَّاهُ ، وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمٰنِ فَلَا يَتَكَلَّمُ إلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ اللهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَأَنْبِيَاهُ ، وَتَطَايَرَتِ الصُّحُفُ وَنُصِبَ الْمِيزَانُ وَتَجَلَّى اللهُ ، لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ الطَّائِعِينَ وَالْعُصَاةِ ، فَظَهَرَتِ الْجَرَائِمُ ، وَأَنْصَفَ الْحَاكِمُ وَأَمَرَ بِالظَّالِمِ إلَى مَقَرِّهِ وَمَثْوَاهُ فَكَيْفَ الْخَلَاصُ وَأَيْنَ النَّجَاةُ ، يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ للهِ (قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْرًا ، وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى ، وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا) .

فَهَلْ يَنْبَغِي لِمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَهَلْ يَلِيقُ بِمَنْ عَرَفَ مَصِيرَ الأَوَائِلِ وَالأَوَاخِرِ ، وَرَأَى أَنَّ الْمَوْتَ يَأْخُذُ الأَصَاغِرَ وَالأَكَابِرَ ،

الحمد لله الذي لاتدركه الأوهام والظنون ، ولا تحويه الأفكار والعيون ، خالق الإنسان من صلصالٍ من حمأٍ مسنون ، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ، يرحم من يشاء ويعذب من يشاء وإليه تقلبون (ومن آياته أن خلقكم من تراب ، ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) الروم : ٣١ .

أحمده حمداً يتقرب به المتقون ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادةً تنفع قائلها يوم لاينفع مال ولا بنون ، وأشهد

أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، النبي العربي الأمين المأمون . اللهم فصل وسلم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون .

(أما بعد) عباد الله رحل الأحباب الى القبور وسترحلون ، وتركوا الأموال والأوطان وستتركون ، وتجرّعوا كأس الفراق وستجرّعون ، وقدموا على ماقدّموا من الحسنات والسيئات وستقدمون ، وتأسّفوا على زمان الإمهال وستأسفون ، وشاهدوا مالهم عند المنون وستشاهدون ، ووقفوا ببصائرهم وستقفون ، وسئلوا عما عملوا وستسألون، ويود أحدهم لو يفتدي بالمال وستودّون ، فبادروا بالمتاعب قبل يوم الحساب وخيبة الظنون ، فكأنكم بأيام الشباب قد استلبتها أيدي المنون ، وقد أظلكم من فجأة الموت ما كنتم توعدون (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) الزمر ، ٦٨ . فكيف بك ياابن آدم إذا نفخ في الصور ، وبعث مافي القبور ، وحصل مافي الصدور ، وضاقت الأمور ، وظهر المستور ، وخرج الخلائق من بطون القبور ؛ فإذا هم قيام ينظرون ؛ ياله من يوم عظيم ! عظم الله فيه الزلزال ، وسيرت فيه الجبال ، وترادفت الأهوال ، وتقطعت الآمال ، وقل الاحتيال ، وخسر أصحاب الشمال ، وخرجوا من القبور بنفخة الصور ؛ فإذا هم قيام ينظرون ، فذلك يوم نزل فيه الأقدام ؛

وتبلد فيه الأفهام ؛ ويطول فيه القيام، وتظهر الآثام، وتخرج الخلائق من اللحود أحياء بعد شرب كأس المنون فإذا هم قيام ينظرون، فهو يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة، ويوم الزلزلة وأخذ الظلامة [١] وفيه يشاهد العاصي ذنوبه وآثامه.

يوم يخرجون من الأجداث بالإبعاث الى ما يوعدون فإذا هم قيام ينظرون، يوم تبلى السرائر، وتكشف الضمائر، وتظهر الجرائر، وتعمى البصائر، ويفتضح أهل الكبائر، ويبعث من في القبور فيخرج البر والفاجر، الى الموقف يهرعون، فإذا هم قيام ينظرون ! جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين، وجنبنا مواردالظالمين. إن أحسن الكلام كلام الملك العلام، والله يقول وقوله الحق المبين : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) سورة النحل، الآية : ٩٨. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) سورة التوبة، الآية : ١٠٥.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه

١٦٥ خطبة أيضـــا

الحمد لله الكريم الودود . المعروف بالكرم والجود . المحيط علمه بالحد والمحدود . أحمده سبحانه وهو الرب المعبود . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجى قائلها من هول اليوم الموعود . وتدخله جنات تجرى أنهارها بغير أخدود . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحب اللواء المعقود والحوض المورود والمقام المحمود . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ما أضاءت البروق وسبحت الرعود . وسلم تسليما كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى عباد الله ، هبوا من هذه الرقدة والمنام . واهجروا الفواحش والآثام . وارجعوا إلى طاعة الملك العلام . من قبل أن يأتى يوم تشقق السماء فيه بالغمام . فياله من يوم ما أطوله . ومن حساب ما أثقله . يوم عظيم جمعت فيه القيامة أهوالها . ووضعت فيه الحوامل أحمالها . وزلزلت الأرض زلزالها . وأخرجت الأرض أثقالها . وقال الإنسان مالها . يومئذ تحدّث أخبـارها . بأن ربك أوحى لها . وشاب الوليد . وحق الوعيد . وعظم الهول الشديد ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد . لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ . وخضعت الرقاب لرب الأرباب . وذل كل فاجر كذاب . فالسعيد من استعمل نفسه فى طاعة المعبود . وخاف أن لا ينجو من النار بعد الورود . فانتبهوا رحمكم الله واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يا أيُّها النَّاسُ اتقوا ربَّكم إنَّ زلزلةَ الساعةِ شىءٌ عظيم . يوم تَرَوْنَها تَذْهَلُ كلُّ مُرْضِعَةٍ عمّا أرضعَتْ وتَضَعُ كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وتَرَى النَّاسَ سُكارىٰ وما هم بسُكارىٰ ولٰكنَّ عذابَ اللهِ شديد ﴾ بارك الله لى ولكم فى القرآن العظيم ، ونفعنى وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم الجليل . لى ، لكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الأخيرة تصلح للكل

الحمد لله على إحسانه . والشكر له على توفيقه وامتنانه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لشانه . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعى إلى رضوانه . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه واخوانه وسلم تسليما كثيراً . أما بعد أيها الناس اتقوا الله حق التقوى ، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى ، واحذروا المعاصى فان أقدامكم على النار لا تقوى . واعلموا أن أحسن الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة . وعليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة ، ومن شذ شذ فى النار . واعلموا أن الله سبحانه وتعالى أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى قولا كريماً ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ اللهم صل على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور ، والجبين الأزهر ، وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ، الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون ، أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وعن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أرحم الراحمين . اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، وانصر عبادك الموحدين . اللهم ادفع عنا الغلاء والوباء والربا والزنا والزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن عن بلدنا هذا خاصة وعن سائر بلاد المسلمين عامة يا رب العالمين . ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، عباد الله إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربىٰ وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون . وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون .

١٦٦ خطبة أولى أيضا

الحمد لله الذى خلق كل نفس وسواها ، وألهمها فجورها وتقواها ، وأحاط علمه بالكائنات وأحصاها ، وحرم على العباد أن يتخذوا من دونه إلهاً ، أحمده سبحانه حمد من ارتقى من رتب الإخلاص إلى أعلاها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من طهر نفسه من درن الشرك وزكاها ، وكفر بما يُعبد من دون الله ولم يجعل له أنداداً ولا أشباها ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بأحسن الطرائق وأسناها ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصحابه الذين قاموا بملة الإسلام وحموا حماها ، وعضوا بالنواجذ على سنته وتمسكوا بعراها ، وجاهدوا فى الله حق جهاده حتى بلغت دعوتهم أقصى المشارق والمغارب وأدناها ، وسلم تسليما كثيراً ، أما بعد أيها الناس اتقوا الله تعالى عباد الله كم تسمعون الذكرى ولا تذكّرون . وتوعظون ولا تتعظون ، وتنبَّهون من سِنة الغفلة ولا تنتبهون ، كأنكم بهذا الحديث مكذبون ، أو كأنكم على الله لا تُعرَضون ﴿ اقتربَ للناس حسابُهم وهمْ فى غفلةٍ مُعرِضون ، ما يأتيهم مِنْ ذِكْرٍ مِن ربِّهِمْ مُحْدَثٍ إلا استَمَعُوه وهمْ يَلعَبون ﴾ عباد الله أتظنون هذا الإمهال إهمالا ، أم تحسبون أن هذا الإملاء إغفالا ، ﴿ أم يَحْسَبون أنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهم ونَجْواهمْ ، بَلىٰ ورُسُلنا لَدَيْهم يكتُبون ﴾ فعليكم عباد الله بالفقه فى الدين ، واتباع سبيل المؤمنين ﴿ ومَنْ يُشاقِقِ الرسولَ مِنْ بَعْدِ ما تبيَّنَ له الهُدىٰ ويَتَّبِعْ غيرَ سَبيلِ المؤمنينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلّى ونُصلِه جهنَّمَ وساءتْ مَصيرا ﴾ ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنوا أطيعوا اللهَ ورسولَهُ ولا تَوَلَّوْا عنه وأنتم تَسْمَعون ، ولاَ تكونوا كالذينَ قالوا سَمِعْنا وهم لا يَسْمَعون ، إنَّ شَرَّ الدَّوابِّ عندَ اللهِ الصُّمُّ البُكمُ الذين لا يَعقِلون ، ولو عَلِمَ اللهُ فيهم خيراً لأَسْمَعَهُمْ ، ولو أسمعَهم لتَوَلَّوْا وهم مُعْرِضون ، يا أيُّها الذين آمنوا استجيبوا للهِ وللرسولِ إذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن اللهَ يحولُ بينَ المرءِ وقلبِه ، وأنه إليه تُحشَرون . واتقوا فِتنةً لا تُصِيبنَّ الذينَ ظَلَموا مِنكمْ خاصةً ،

واعلموا أنَّ اللهَ شديدُ العقاب ﴾ بارك الله لى ولكم فى القرآن العظيم ، ونفعنى وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم الجليل ، لى ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

خطبة أولى

الحمد لله اللطيف الكريم ، الرءوف الرحيم ، العزيز الحكيم ، الذى هدانا لدين الإسلام . وجنبنا طريق الغواية والتأثيم . فضلا منه ونعمة والله ذو الفضل العظيم . أحمده سبحانه وأستغفره وأتوب اليه وأسأله المزيد من فضله العميم . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبوِّئُ من حققها جناتِ النعيم . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل من دعا إلى الدين القويم . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم على المنهج السليم . وسلم تسليما كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى وأطيعوه ، وعظموا أمره ولا تعصوه ، وعاملوه معاملة من يخافه ويرجوه . واحذروا أسباب سخطه وغضبه فان ذلك مما يوجب حلولَ العقوبات والمُثلات . وزوال النعم ومحق البركات كما وقعت بمن مضى من الأمم الخاليات . واعلموا أن ما عملتم من خير وشر فانكم ملاقوه . وسيجازيكم عليه يوم تلاقوه . فاستيقظوا من غفلتكم ، وانتبهوا من رقدتكم ، قبل أن لا تقال عثرتكم ، ولا تقبل معذرتكم . وذلك يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ، ولا يرحمه إلا خالقه ومربيه . فاتقوا الله فان بتقواه تحصل السعادة والنجاة . ولا تغرنكم الحياة الدنيا بما فيها من الزهرة واللذات فان لذاتها تبعات وراحاتها حسرات وندامات . فالله الله فيما يخلصكم وينجيكم بعد الممات . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ وإنما تُوَفَّونَ أُجورَكُمْ يومَ القيٰمةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عن النارِ وأُدخِلَ الجنةَ فقد فاز ، وما الحياةُ الدنيا إلا مَتاع الغرور ﴾ بارك الله لى ولكم فى القرآن العظيم ، ونفعنى وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم الجليل ، لى ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب . فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

١٦٧ خطبة

فى صفاتِ المؤمنين

الحمد لله الكريم المنان ، أحمَدُه سبحانه ! وهو البرُّ الرحيم عظيمُ الشان . وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، أوضَحَ فَضْلَ المؤمنين ، وامتَدَحَ فِعالهم فى محكمِ القرآن . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله الله بالهُدَى ، وأظهر دينَه على عمومِ الأديان . اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمدٍ ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فيا عبادَ الله ، مَثَلُ الإيمان فى قلب المؤمن ، كمَثَل الشجرةِ الطيِّبة : تُنبتُ أطيبَ الثمار . وإن العملَ الصالح هو ثمرةُ الإيمان الذى انغرسَتْ جُذورُه فى قلب المؤمن ، يَبلُغ به أقصى درجاتِ الفلاح . قال تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ) . ثم فَسَّر إيمانَهم بجليلِ ما يعملون ، وعظيمِ ما يكسبون ، مما تتحقَّقُ لهم به الغايةُ التى إليها يسعَون وفيها يُؤمِّلون ؛ قال تعالى : (ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ، وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ، وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ، وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُون ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ، فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ، فَمَنِ ٱبْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ : فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ؛ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ، وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) .

فذكرَ سبحانه فى طليعةِ أعمالِهم الصالحة ، خُشوعَهم فى الصلاة . قال الحسن البَصرىُّ رحمه الله : « كان خُشوعُهم فى قلوبِهم ، فغَضُّوا لذلك أبصارَهم » . وقال غيره : « هو أن لا يَعبَثَ المرء بشىء من جسدِه فى الصلاة » . ومن هذا الوجهِ ، قولُ النبى صلى الله عليه وسلم ـ وقد رأى رجلاً يَعبَثُ بلحيتهِ فى الصلاة ـ :

« لَوْ خَشَعَ قَلبُ هٰذا لخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ » . وكان فيهم مَن لو قُطِّعَتْ أوصالُه وهو فى الصلاة ، لَمَا وُجِد منه حِراكٌ . كلُّ ذلك من خشوعِ القلب ، والتَّلَذُّذِ بمناجاة الرب جل وعلا ، والشعورِ بعظمته .

ثم ذكرَ سبحانه ، من صفاتِ المؤمنين المفلحين ، إعراضَهم عن اللَّغْوِ ، وهو الباطلُ فى مختلِف ألوانِه ، يصلُ إلى درجةِ الشرك بالله ، وينخفضُ إلى إتيانِ كلِّ قولٍ أو فعلٍ لا فائدةَ فيه ، أو على الإنسانِ منه نقصٌ فى دينه . يدخلُ فى ذلك اللعنُ والشتائمُ القذرةُ ، ويدخلُ فيه اللهوُ فى كلِّ صورِه وأشكاله .

وذكر سبحانه ، من صفات المؤمنين ، قيامَهم بإخراج زكاة أموالهم ، كيفَمَا كانتْ الأموالُ ذهباً أو فضةً ، عُروضَ تجارة أو سائمةً من الأنعام ، أو ما يخرج من الأرض : من حبوبٍ وثمار . فالزكاةُ حقُّ المال ، وفريضةٌ لا فضلَ فى إخراجها لصاحبِ المال ؛ وهى طُهْرةٌ ونماءٌ للمال ، وخيرٌ وبركةٌ لصاحبِه ، وصلاحٌ وفلاحٌ لمجتمعِه .

وذكر سبحانه ، من صفات المؤمنين ، عفَّتَهم عن الحرام ، وحِفْظَ فروجِهم عن الوقوع فى جريمة الزنا أخطرِ مرضٍ اجتماعىٍّ مُنِيَتْ به الإنسانيةُ ؛ فهو إلى جانب جريمته على الأنساب ، يَفْتِكُ بالبشرية فتكاً ذريعاً : حيث يَفْشُو فيها الزّهرىُّ والسَّيلانُ ، ومضاعفاتُهما المهلكةُ . وكفى بالمرء زاجراً عنه ، قولُ العليم الخبير : (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى ، إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) . وقولُه : (فَمَنِ ٱبْتَغَى وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ) ؛ أى : مَن تطلَّع إلى غير ما أحلَّه الله له ، من الزوجاتِ والإماءِ من ملْكِ اليمينِ ـ كأن تورَّط فى الزنا ـ فقد اعتدَى ،

وتجاوزَ الحلالَ إلى الحرام .

وذكر سبحانه ، من صفات المؤمنين ، أداءهم للأمانات إذا اؤْتُمِنُوا ، ووفاءهم بالعهد إذا عاهدوا . وأعظمُ الأمانات فرائضُ الله التي افترضها على العباد ؛ فهي كالودائع : عليهم أن يُؤَدُّوها حقَّ الأداء .

وختم سبحانه صفات المؤمنين المفلحين بمحافظتهم على الصلاة ، كما بدأها بذلك ـ : توجيهاً للأنظار إليها ، وإلى ضرورةِ المحافظةِ عليها ؛ فهي أعظمُ وسائل الفلاح والنجاح .

ثم ذكر عظيمَ أجرِهم ، وحُسْنَ جزائهم ؛ فقال : (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) . ذلكم ـ يا عباد الله ـ فضلُ الله يُؤْتِيه مَن يشاء ، واللهُ ذو الفضل العظيم .

فاتقوا الله عبادَ الله ، وترسَّمُوا نَهجَ الصالحين ، واصرِفُوا الجهودَ في طاعة الله تكونُوا من المؤمنين المفلحين .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ).

نفعني الله وإيّاكم بهَدْيِ كتابِه . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين ، من كل ذنب . فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

١٦٨ (الخطبة الثانية)

الحمد لله العزيزِ الغفار ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله ، سيدُ البَرَرَةِ الأخيار . اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمدٍ ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فيا عبادَ الله ، يقول أمير المؤمنين عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : « كان إذا نزل على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الوحيُ ، يُسْمَعُ عند وجهه كدويِّ النحل ، فلبِثْنا ساعةً ، فاستَقْبَلَ القِبلةَ - يعنى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم - وقال : « اللَّهُمَّ زِدْنا وَلا تَنْقُصْنَا ، وَأَكْرِمْنَا وَلا تُهِنَّا ، وَأَعْطِنا وَلا تَحْرِمْنَا ، وَآثِرْنا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا ، وَارْضَ عَنَّا وَأَرْضِنَا . ثم قال : لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ عَشْرُ آياتٍ مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ . ثم قرأ : (قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ) ، إلى عشر آيات » .
فيا لَسعادةِ مَن أقامهنَّ لحظيَ بكرامة الله فى دار الكرامة والنعيم ، ويا لشقاء مَن أعرض عن هَدْيها فباء بالخيبةِ يومَ يفوزُ المفلحون ! ! .

وصلوا - عبادَ الله - على الهادى البشير ، محمدٍ أكرم رسول وخير نذير ، فقد أمركم بذلك اللطيفُ الخبيرُ : (إِنَّ اللّٰهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) . اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمدٍ صاحبِ الوجه المنير . وارض اللهم عن خلفائه الأربعة - أبى بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ - وعن الآل والصحب ومَن على نهجهم إلى الله يسيرُ ، وعنا معهم بعفوك وكرمك يا عزيزُ يا قديرُ .

اللهم أعِزَّ الإسلامَ والمسلمين ، اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، اللهم أعز الإســـلام والمسلمين ، واحمِ حَوْزَةَ الدين ، ودمِّرْ اليهودَ ومَن شايعهم من المستعمرين الغاصبين ، وألِّف بين قلوب المسلمين ، وأصلحْ قادتَهم ، واجمعْ كلمتَهم على الحق يا رب العالمين . اللهم آمِنَّا فى أوطاننا ، وأصلحْ أئمتَنا وولاة أمورنا ؛ واجعلْ وِلايتَنا فيمَن خافك واتَّقاك ، واتَّبع رضاك يا أرحمَ الراحمين . ربنا ظلَمْنا أنفُسَنا ، وإن لم تغفرْ لنا وترحمْنا لنَـكونَنَّ من الخاسرينَ . ربَّنا آتِنا فى الدنيا حسنةً ، وفى الآخرةِ حسنةً ، وقِنا عذابَ النار .

عباد الله ، إن اللهَ يأمُرُ بالعدلِ والإحسان وإيتاءِ ذى القُرْبى ؛ ويَنهَى عن الفحشاءِ والمُنكرِ والبَغْىِ ؛ يَعِظُكم لعلَّكم تَذَكَّرُون . فاذكروا الله على نعمِه ، واشكُرُوهُ على آلائه ؛ ولذِكْرُ اللهِ أكبرُ ، والله يعلمُ ما تصنعون .

١٦٩ خطبـة

فى التحذير من طغيان المادة ومن التشاؤم

الحمد لله كاشفِ البلاء ، ومُسْدِى النَّعماء ؛ الحكيمِ فى صُنعِه ، العليمِ بمصالح عباده ؛ أحمَدُه سبحانه ! قدَّرَ الأقدارَ ، وحدَّد الآجالَ ؛ فجرتْ على ما قَضَى وقدَّر . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، تكفَّلَ برزق العباد : فلا مانعَ لمـا أعْطَى ، ولا مُعطِىَ لما منعَ وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسوله : سيدُ المتوكلين ، وقدوةُ البَرَرة الصالحين . اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فيا عبادَ الله ، ظاهِرَتان فاشلتان ، ونَزعتان ملتَوِيَتان ؛ من واجبِ

المسلم أن يترفعَ عنهما ، ويبتعدَ عن مَزالِقِهما ، ويَحْذَرَ الوقوعَ فى شباكهما ؛ صيانةً لإسلامِه ، وحرصاً على مرضاةِ ربِّه . الظاهرةُ الأولى : ماديّةٌ طاغيةٌ ، تُضعفُ فى النفوس عقيدة التوكل على الله ، وتَنْحرفُ بالمسلم عن المُثُلِ الكريمة ، وتحملُه على الشُّحِّ البغيض ، والجَشَعِ المذموم ؛ تحملُه على هذه الرذائلِ بدعوى تأمِينِ المستقبل ، والخوفِ من الفقر ، والاحتياطِ لليالى السُّود . وإن المستقبل - يا عباد الله - بيد الله ، واللهُ وحده هو المتصرِّفُ فيه وكم من مُستكثِر فى جمع حطام الدنيا يَمنعُ فيه حقَّ الله ، ولا يجعلُ فيه قِسطاً لسائل ومحروم ؛ دهمتْه صُروفُ الليالى ، أو ارتَحَل عن الدنيا ، فذهب تقديرُه هباء ، وأضْحَتْ ثروتهُ أثرًا بعد عين ، وصارتْ حساباً ووَبَالاً عليه . وكم من مُقِلٍّ تجرَّع البؤس ألوانا ، أبدَاه اللهُ بعد البُؤْس رَخَاءً ، وبعد الفقر نعمةً وثراءً . (وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ، ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ، وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ) .

الظاهرةُ الأخرى : تشاؤمٌ ببعض الأيام والشهور : كيوم الأربعاء ، وشهر صفر . وتطيُّرٌ ببعض الطُّيور : كالغِربان والبُوم ؛ وبغير ذلك مما لا تحصره الأمثلة . وهو مما يزعزعُ الثقةَ بالله ، وتنصرفُ به القلوبُ عن الله . هو - يا عباد الله - خرافةٌ لا يُقرُّها عقلٌ ولا دينٌ ، وهى مما يُغضبُ ربَّ العالمين . وليس التشاؤُمُ بالذى يغيِّرُ من القَدَر المكتوب شيئاً . قال الله تعالى : (وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ، وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا عَدْوَى ، وَلَا طِيَرَةَ ، وَلَا هَامَةَ ، وَلَا صَفَرَ » . وأرشد صلى الله عليه وسلم إلى علاجٍ يَجتثُّ جذورَ التشاؤمِ ،

ويوجّهُ ، القلوبَ إلى الله ؛ وهو : أن يدعوَ مَن يجدُ فى نفسه شيئاً من ذلك ، بقوله : « اللّهُمَّ لاَ خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ ، وَلاَ طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ ، وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ » ؛ وبقوله : « اللَّهُمَّ لاَ يَأْتِى بالحسنَاتِ إِلَّا أَنْتَ ، وَلا يَصْرِفُ السَّيِّئاتِ إِلَّا أَنْتَ ، وَلاَ حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ » .

فاتقوا الله عبادَ الله ، وعلِّقُوا القلوبَ والآمال بالله ، وابتَعِدُوا عن مَزَالِقِ المادَّةِ والتفكيرِ بوحيها ؛ وحارِبُوا الخُرافةَ والتضليلَ ؛ واعتصِمُوا بالله هو مولاكم ، فنِعْمَ المولَى ، ونعمَ النصيرُ . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ (وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ، وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ ، يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) .

نفعنى الله وإيَّاكم بهَدْىِ كتابه . أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم ، ولسائر المسلمين ، من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* * *

الحمد لله ذى العزةِ والسلطان ، أحمَدُه سبحانه ! مَن توكَّلَ عليه كفاه ، ومَن تعلّقَ بغيره وَكَله إليه وأقصاه ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله : أفضلُ مَن دعا إلى الاعتصام بربه ومولاه . اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فيا عباد الله ، إن الأمور كلَّها بيد الله : يَرْفَعُ ويَخْفِضُ ، ويُعزُّ ويُذلُّ ، ويُعطِى ويَمنعُ ؛ لا رادَّ لأمره ، ولا مُعَقِّبَ لحُكمِه ؛ يفعلُ ما يشاء ويَحكُمُ ما يُريد . فأخلصوا ـ يا عباد الله ـ له القصدَ والنيَّةَ ، وتوكَّلوا عليه حقَّ التوكل ؛ يَكْفِكُم كلَّ ما أهَمَّكم ، ويغفرْ لكم من ذنوبكم .

١٧٠ خُطْبة

في الحث على بر الوالدين ، ومجانبة العقوق

الحمد لله ، أحمَدُه وأشكرُه ، وهو البَرُّ الرحيم ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كتَب على نفسِه الرحمةَ ، وتجاوَزَ عن الذنبِ العظيم ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله الله رحمةً للعالمين ، وهادياً إلى الصراطِ المستقيم . اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فيا عباد الله ؛ جُبِلتْ النفوسُ على حبِّ مَن أحسن إليها ، وتعلَّقتْ القلوبُ بصاحبِ الطَّوْلِ والمُتفضِّل عليها ؛ وليس أعظمَ إحساناً ، ولا أكبرَ تطوُّلاً - بعد الله - من الوالدَيْن . من أجل ذلك ، قرَن الله تعالى حقَّهم - في الإحسان إليهم ، وحُسنِ الرعايةِ بهم - بحقِّه في العبادةِ والإخلاص . قال تعالى : (وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ؛ وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) . فأمَر بالعبادة له وحده دون سواه ، وخَصَّ الوالدَيْنِ بالوصيةِ في الإحسان إليهما ، والعطفِ عليهما ، والبِر بهما ؛ فقد أحسَنا منذُ البدايةِ في كلّ وجوه الإحسان ؛ وكان لإحسانهما الأثرُ البارزُ ، إلى أن بَدأ النُّضوجُ ، وتفتَّح الوَعْيُ ، وبلَغ الولَدُ أشُدَّه ، وبَلَغا نهايةَ مرحلةِ الحياة ؛ فتطَلَّعا لردِّ الجميل : إلى البِرِّ والإحسان من ولدِهما ، إلى الصلةِ والمعروفِ ، إلى تنفيذِ وصيَّةِ الله تعالى ورسولِه فيهما . ولكنهما فُوجِئا من البعض بما لم يكن منتظرًا ؛ فوجِئا بالعقوقِ والتنكُّرِ للجميل ، ومقابلةِ الإحسان بالإساءةِ ؛ فُوجِئا بالتهكُّمِ والاستهزاء والسخرية ، تُوجَّهُ إليهما من ولدهما المُرْتَجَى ؛ فوجِئا بالضرب من حبيبهما : وقد تناسى ماضيَه ، واعتزَّ بحاضرِه ، وأُعجِبَ بشبابِه ؛ وشَمَخَ بثقافتِه وتعليمِه ، أو بمالِه وجاهِه ، أو

بسلطانه وسعةِ نفوذِه . وما عَلِم المسكينُ أنه مخدوعٌ ، وأن هذا التصرُّفَ الطائشَ سوف يَلقى جزاءه عاجلاً فى الدنيا : فيَعُقُّهُ ولدُه ، وتَضِيقُ عليه مَسالِكُ الرزق ، ويقضِى حياته خاملاً مَكدُودًا .

صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « كُلُّ الذُّنُوبِ يَغْفِرُ اللهُ مِنْهَا مَا شَاء ، إِلَّا عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ : فَإِنَّهُ يُعَجِّلُ لِصَاحِبِهِ فِى الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ . أَمَّا عُقُوبَتُه فِى الآخِرَةِ : فالنَّارُ وَغَضَبُ الْجَبَّارِ . أَلَا وَإِنَّ نارَ الآخِرَةِ لَتَزِيدُ عَنْ نَارِ الدُّنْيَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا . أَلَا وَإِنَّ غَضَبَ الْجَبَّارِ عَاقِبَتُه : الْمَحْقُ ، وَخَسَارَةُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ » . وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رِضَا الربِّ فِى رِضَا الْوَالِدَيْنِ ، وَسُخْطُ اللهِ فِى سُخْطِ الْوَالِدَيْنِ » . وعنه أيضاً ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ثَلَاثٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ » وعَدَّ منهم العاقَّ لوالدَيْه . وفى حديث جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يا مَعْشَرَ المسْلِمِينَ ؛ إِيَّاكُمْ وَعُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ ، فَإِنَّ رِيحَ الْجَنَّةِ يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ عَامٍ ، وَاللهِ لَا يَجِدُ رِيحَهَا عَاقٌّ » . يا لَطول العناء ، ويا لَسوءِ المصيرِ ، نكدٌ فى الدنيا ، وعذابٌ فى الآخرة ، وسخطٌ من الله تعالى ؛ إنها ثالوثُ الانتقام العادل، يا عباد الله ، جزاءً وفاقاً . جاء رجل إلى ابن عمرَ يحملُ أمَّه ، ويقولُ : هل جازيتُها ؟ قال له ابن عمرَ : « لا ولا بزفرةٍ واحدةٍ ؛ إنها كانت تتمنَّى لك الحياةَ ، وأنت تتمنَّى لها الموتَ » .

فاتقوا الله عبادَ الله ، واعملُوا جاهدِينَ لردِّ بعضِ الجميل ، واستجيبُوا لأمرِ الله ورسوله فى الوصية بالوالدَيْن ؛ فهما ـ كما صح فى الحديث ـ جَنَّةُ العبدِ ونارُه . فمَن أحسَنَ فعليه بمتابعةِ الإحسان ، ومَن فرّطَ فعليه بالتكفيرِ والتماسِ الغفرانِ . جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : هل بقىَ من بِرِّ أبوَىَّ شىءٌ أبَرُّهما به بعدَ وفاتِهما ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَعَمْ ؛ الصَّلَاةُ عَلَيْهِما ـ أَىْ : الدُّعَاء وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُما . ـ وَإِنفاذُ عَهْدِهِما مِنْ بَعْدِهِما ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِى لاَ تُوصلُ إِلَّا بِهِما ، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا » .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ؛ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ، فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ، وَلَا تَنْهَرْهُمَا ، وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ، وَقُلْ رَّبِّ : ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا) .

نفعنى الله وإياكم بهَدْىِ كتابِه . أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب . فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

١٧١ خطبة

فى الحث على التوجه إلى الله ، والتماس رضاه

الحمد لله الولىِّ الحميد ، الفعالِ لما يُريدُ ؛ أحمَدُه سبحانه ! مَن التَمَسَ رضاه نجا ، ومَن تعلّق بغيره خاب ، ولم يُغن عنه من الله شيئاً . وأشهد أن لا إله إلا

الله وحده لا شريك له ؛ الذى خلَقَ فسَوّى ، والذى قدَّرَ فهدَى . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ قدوةُ أصحابِ اليقين ، وسيدُ العارفين بربه ، فيالَسعادةِ مَن سار على نَهْجه واقتَفَى . اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فيا عباد الله ؛ إنّ خيرَ ما أُلقىَ فى القلب ، يقينٌ بالله يَرسَخُ فى القلوب ، رُسوخَ الرّواسى ؛ وإيمانٌ صادقٌ بكفاية الله لعبدِه ، يَدفعُه إلى إيثار مرضاةِ ربّه على رضاءِ خلقه ، وتقديمِ طاعتِه على طاعةِ عبيدِه . وتلكُ هى مرتبةُ العارفين بالله ، الذين امتلأتْ قلوبُهم بنور الله ، فعرَفوا اللهَ حقَّ معرفتِه ، والتَمَسُوا رِضْوَانه ، وتَخَلَّصُوا من مَجالِبِ سُخْطِه . أولئكم - يا عباد الله - هم خيرُ البريّةِ ؛ جَزاؤُهم عندَ ربِّهم جنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها أبدًا ؛ رضى الله عنهم ورَضُوا عنه . وعلى النقيضِ منهم ، مَن اتّصَفَ بعكس صفاتِهم ؛ فَضَعُفَ فيهم اليقينُ بالله ، فأرضَوا الناسَ بسخطِ الله ، وجامَلُوهم فى معاصى الله ، وتعلّقُوا بهم واشتَغَلُوا عن الله ؛ رغبةً فى نَوَالِ حُطامِ الدنيا ، أو خوفاً من سَخَطِهم ؛ فوَكلهم الله إلى مَن تعلّقُوا بهم ورَجَوْهم ، أو خافوا سخطهم ؛ فلم يُغنُوا عنهم من الله شيئاً . أولئكم - يا عبادَ الله - ممَّن ضلّ سعيُهم فى الحياةِ الدنيا . فحَذَارِ مِن مثل صنيعِهم حذارِ .

روتْ عائشةُ أمُّ المؤمنين رضى الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أَرْضَى اللهَ بِسَخَطِ النَّاسِ : كَفَاهُ اللهُ مَؤُونَةَ النَّاسِ ؛ وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ : لَمْ يُغْنُوا عَنْهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا » ؛ وفى رواية أخرى : « مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ : رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ ؛ وَمَنْ الْتَمَسَ

رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ : سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ » . وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضى الله عنه ، مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ : أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللهِ ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ . إِنَّ رِزْقَ اللهِ لاَ يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ ، ولا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كارِهٍ » . وإنها ـ يا عباد الله ـ لإرشاداتٌ نبويّةٌ كريمةٌ ، من شأنِها أنْ تُوَجِّهَ النفوسَ للفعَّالِ الحقيقيِّ . فالمُنْعِمُ في الحقيقة هو اللهُ ، والمُتفرِّدُ بالمنع هو ربُّ الأرباب ؛ لا مانعَ لما أعطَى ، ولا مُعطِيَ لما مَنَع ؛ وما الناسُ إلّا أسبابٌ ووسائلُ لإيصالِ الخيرِ والنعمةِ ، أو الشرِّ والنقمةِ .

فاتقوا الله عبادَ الله ، واملأُوا قلوبَكم باليقينِ الصادِق والإيمانِ بالله ، وعلِّقُوا القلوبَ والآمالَ به وحدَه دون سواه ؛ واذكروا على الدوام قولَ رسول الله : « مَنْ التَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ : رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ ؛ وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ : سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ » .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، (ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ : إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ؛ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ، وَقَالُوا : حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ . فَٱنقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ، وَٱتَّبَعُوا رِضْوَانَ ٱللَّهِ ؛ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) .

١٧٢ (أول الخطبة الثانية)

الحمد لله الذى يعلم السِّرَّ والنَّجْوَى ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الأسماء الحسنَى والصفاتُ العُـــلاَ ؛ وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ، النبي المُجْتَبى . اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمدٍ ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فيا عبادَ الله ؛ إنّ مما أُثِر عن صاحبِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عبدِ الله بن مسعود رضى الله عنه ، قولَه : « إنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ وَمَعَهُ دِينُهُ ؛ فَيَلْقَى الرَّجُلَ وَلَهُ إِلَيْهِ حَاجَةٌ ، فَيَقُولُ لَهُ أَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ - يُثْنِي عَلَيْهِ - لَعَلَّهُ أَنْ يَقْضِيَ مِنْ حَاجَتِهِ شَيْئًا ؛ فَيَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ ، فَيَرْجِعُ وَمَا مَعَهُ مِنْ دِينِهِ شَيْءٌ » . وفى ذلك - يا عبادَ الله - ما يَحملُ على الاعتدال ، والكفُّ عن التغالى فى مدحِ المرء بما ليس فيه : مما لعلّه أن يكون فى ذلك سخطُ الجبار ؛ وفيه توجيهٌ لتعلّقِ القلوبِ بالخالق دونَ المخلوق ، فى قضاء الحوائج والمُهِمَّاتِ ؛ فهو سبحانه المهيئُ للأسباب ، وبيدِه وحده تفريجُ الكُرُباتِ .

١٧٣ الخطبة الثامنة

فى بوادر الخير ، ومصائر الشر

الحمد لله ربِّ المِنَنِ الضَّافِيَةِ والإحسانِ ، أحمَدُه سبحانه ! وهو الواحد الدَّيَّانُ ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الربُّ الكريمُ قديمُ الإحسان ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صاحبُ الهَدْيِ الراشدِ ، الصالحِ

لكلّ زمانٍ ومكان . اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فيا عبادَ الله ؛ إن للخيرِ بَوَادِرَ ، وإن للشرِّ مصائرَ ؛ فبَوَادِرُ الخيرِ تُوَصِّلُ إلى الغايةِ الحميدة ، ومصائرُ الشرّ تُورثُ الحسرة ، وتَبعثُ على الندم . وإن من بوادرِ الخيرِ ، مسلكَ السلفِ فى الصدر الأول - رضوانُ الله عليهم - حيث كانوا يَتَّجِهون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم - وهو بين أظهُرِهم - يسألونه عن سُبُلِ الهُدَى ، ويبحثون عن طريق النجاةِ والسلامةِ ، ويَسْتَرْشِدُون عن أوْجُهِ الخير ؛ فوصلوا بذلك إلى الغايةِ المحمودةِ ، وكانوا هُداةً مَهْدِيِّين . يقول حُذَيفةُ رضى الله عنه : « كان الناسُ يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخيرِ ، وكنتُ أسألُه عن الشرِّ مخافةَ أنْ أقعَ فيه » . ويقولُ أحد الأنصار رضى الله عنهم : يا رسول الله ؛ قل لى فى الإسلام قولاً لا أسألُ عنه أحدًا غيرَك . قال له : « قلْ : آمَنْتُ باللهِ ، ثُمَّ اسْتَقِمْ » . ويقولُ صحابىٌّ آخرُ : يا رسول الله ؛ دُلَّنى على عملٍ إذا عملتُه : أحبَّنِى اللهُ وأحبَّنى الناسُ . قال : « ازْهَدْ فى الدُّنيا يُحِبَّكَ اللهُ ، وازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ » . ويقولُ مُعاذُ بن جَبَلٍ رضى الله عنه : يا رسول الله ؛ أخبرْنى بعملٍ يُدخلُنى الجنةَ ، ويُباعِدنى عن النارِ . قال : « لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ ؛ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ ، تَعْبُدُ اللهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ ، وَتُؤْتِى الزَّكاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضانَ ، وَتَحُجّ الْبَيْتَ » . أرشدَه فى الطليعة إلى عبادةِ اللهِ وحده ، ونفى الشركِ عنه . لأن العبادة توحيدٌ وإخلاصٌ ، ولأن الشرك مَنقصةٌ للربِّ وإسْفافٌ ؛ توحيدٌ يرتفعُ به العبدُ إلى أعلا درجاتِ القُرْبِ والرِّضوان . قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ، أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ . أى : الذين أخلصوا

توحيدَهم لله ، هم الآمنون يومَ القيامةِ ، المُهتَدُون فى الدنيا والآخرة . وشِرك يَهوِى به المرء إلى الحضيض ؛ (وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماء ، فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ ، أَوْ تَهْوِى بِهِ الرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ) . ثم أرشده إلى بقية أركان الإسلام ؛ وهى جزء لا يَتجزَّأُ ، مَن فرَّطَ فى جزء منها : فقد فرَّط فى الجميع . ثم أرشده إلى الإزلافِ إلى الله بالنوافل ، بعدَ أداء الفرائض ؛ فقال : « أَلا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ ؛ الصَّوْمُ جُنَّةٌ » ـ أى : سِترٌ ووِقايةٌ للعبد من النار . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِى سَبِيلِ اللهِ ، إِلَّا باعَدَ اللهُ بِذَلِكَ الصَّوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا » ـ « وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الماءُ النَّارَ ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِى جَوْفِ اللَّيْلِ » ؛ ثم تلا قولَه تعالى : (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ، يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ؛ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِىَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ؛ ثم قال : « أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ ، وَذِرْوَةِ سِنَامِهِ » ؛ قلتُ : بلى يارسول الله . قال : « رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ، وَذِرْوَةُ سِنَامِهِ الجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللهِ » ؛ ثم قال : « أَلا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ » ؛ قلت : بلى يا رسول الله . فأخذ بلسانه ، وقال : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ هَذا » ؛ قلتُ : يا نبىَّ الله ؛ وإنَّا لَمُؤَاخَذون بما نتكلَّمُ به ؟ قال : « ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا مُعَاذُ ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » ؛ أى : ما تَجنيه من الذنوب ، كالغيبة والنَّميمة ، والوقوع فى أعراض الناس ، والاستهزاء بآيات الله كلٌّ ذلك إذا اجتنَبه العبدُ : مَلَكَ زمامَ نفسِه ، وبَلَغَ نهايةَ قصدِه . أمَّا مصائرُ الشرِّ ، فلن

تُحَدُّ بحَدَثٍ ، ولن تنحصرَ فى شىء معينٍ ؛ فكلُّ معصيةٍ لله ، وكلُّ تفريطٍ فى جانبِ الله - فإنه يجرُّ أسوأَ العواقبِ ، ويكونُ له أسوأُ المصائرِ . وحسبُنا أن نستعرضَ فى كتابِ الله أخبارَ الأمم الهالكةِ بسببِ تفريطِها ، وما تحدَّث اللهُ به عن إهلاكِها ؛ حيث يقول : (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ، فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً ، وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) ، (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ : كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ ، فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ ، وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللهِ مِن وَّاقٍ) .

تلكم - يا عبادَ الله - هى مصائرُ الشرّ ، وعواقبُ المعاصى . فاتقوا اللهَ ، واسألوه النجاةَ منها . إنها تورثُ الحسرةَ والندامةَ ، وتجلبُ الغمّ والأحزانَ ، وتُبعدُ المرء عن درجاتِ القُرْبِ والرّضوانِ .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ؛ وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ . وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ؛ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) .

نفعنى الله وإياكم بهَدْى كتابه . أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولسائر المسلمين ، من كل ذنب . فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

---

١٧٤ الخطبة التاسعة

فى الحث على التأدب بآداب الدين

الحمد لله ، فتح لأربابِ البصائرِ أنوارَ الهُدَى ، ووَعَد المحسنين خيرَ الجزا ؛ أحمَدُه سبحانه ! تنزّه عن كلِّ النقائصِ وعلى العرشِ استَوَى ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فالِقُ الحبِّ والنَّوَى ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أدَّبَه ربُّه فأحسَنَ تأديبَه ، وانتَهَتْ إليه الفضائلُ ؛ فأَعْظِمْ بشمائلِ المصطفَى . اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فيا عبـادَ الله ؛ إن أعظمَ وسيلةٍ تحفَظُ التَّوَازُنَ بين الجماعةِ الإسلامية ، هى آدابُ الدين ؛ إنها تَصْقُلُ النفوسَ ، وترتفعُ بها إلى درجاتِ الصالحين ؛ وإنها لَتَجمعُ للمتأدب بها بيْنَ سعادَتَىْ الدنيا والدِّين . وإن من أدبِ الدين ، كفُّ اللسانِ عن الإثمِ والأذَى ، وعن الانطلاقِ فى أعراضِ الناس ، وعن السُّخْريةِ بهم ، أو لَمْزِهم وتَنَقُّصِ أحوالِهم ، أو رمْيِهم بما هم منه بَريئون . إذ أن ذلك ـ يا عبادَ الله ـ ممَّا يقطعُ الألفةَ بين المسلمين ، ويَهدِمُ الأخُوَّةَ فى الدين ، وسيُؤاخذُ العبادَ عليه أحكمُ الحاكمين ؛ (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) . ولقد عَجِب مُعاذ بن جبل صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عَجِب من أن يُؤَاخَذَ العبدُ بما يتكلمُ به ، وقد أوصاه رسول الله بأن يكفَّ لسانَه ، فقال معاذ رضى الله عنه : وإنا لَمُؤَاخَذون بما نتكلمُ به ؟ قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا مُعَاذُ ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » : ما يَكسِبُونه من الإثم عن طريق اللسان .

وإن فى الناسِ مَن لا يردَعُه دينُه أو وَرَعُه عن أن يُطلقَ للسانِه العِنانَ ، فيُسرفَ فى التجنى على عبادِ الله بالسخريةِ واللَّمز ؛ فهذا طويلٌ، وذاكَ قصيرٌ، وهذا أحمقُ، وذاكَ أرعَنُ، وهذا سخيفٌ، وذاكَ فظيعٌ. وكأنه وُكِلَ إليهم تشريحُ عبادِ الله وتجريحُهم، وتسقُّطهم، وتَتَبُّعُ عوراتِهم، وأكلُ لحومِهم! ولـكلِّ الناسِ عوراتٌ ومعائبُ، وزَلَّاتٌ ومَثالبُ. فطُوبى لمن شغَلَه عيبُه عن عيوب الناس، أو ـ كما جاء فى الحديث ـ : « طُوبَى لِمَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ، وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ؛ طُوبَى لِمَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ، وَوَسِعَهُ بَيْتُهُ، وَبَـكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ ». ومن وصيةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم الطويلةِ، لأبى ذرٍّ : « وَلْيَحْجُزْكَ عَنِ النَّاسِ مَا تَعْلَمُ مِنْ نَفْسِكَ ». وقُتِل رجلٌ يوم أُحُدٍ فبكَت عليه باكيةٌ قائلةً : واشَهِيدَاهُ! فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « مَا يُدْرِيكِ أَنَّهُ شَهِيدٌ؟ لَعَلَّهُ كانَ يَتَـكَلَّمُ فِيمَا لا يَعْنِيهِ، أَوْ يَبْخَلُ بِما لا يَنْقُصُهُ ».

أمَّا رمْىُ المسلمِ بما هو منه برىءٌ، فهو أفظعُ وسائل النَّيْل والوقيعةِ، وهو البَهْتُ. لأنه يجمعُ بين الـكذبِ والغِيبة، وكلاهما رذيلةٌ وكبيرةٌ من كبائر الذنوب. يقولُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ـ فى حديثٍ طويل ـ : « وَإِنَّ الْـكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ ». ويقولُ فى الغيبة : « هِيَ ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِما يَـكْرَهُ »؛ قيل : أفرأيتَ إن كان فى أخى ما أقولُ؟. قال : « إِنْ كانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ؛ وَإِنْ لَمْ يَـكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ ». وقال أيضاً : « أَيُّما رَجُلٍ أَشاعَ عَلَى مُسْلِمٍ بِكَلِمةٍ هُوَ مِنْها بَرِىءٌ ـ لِيَشِينَهُ بِها

فى الدُّنيا ـ كانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُذْنِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ ، حَتَّى يَأْتِيَ بِإِنْفاذِ مَا قالَ » ؛ ومن أَيْنَ له أن يأتىَ بهذا الإنفاذ ؟ .

فاتقوا الله عبادَ الله ، وتأدَّبوا بآداب الإسلام ، وكفُّوا ألسنتَكم عن كلّ قولٍ يُغضبُ اللهَ . واذكروا على الدوام قولَ رسول الله : « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ؛ وَالْمُهاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ » .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ، وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ، وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ، وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ؛ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ، وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ، إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ، وَلَا تَجَسَّسُوا ، وَلَا يَغْتَب بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ؟ وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) .

نفعنى الله وإيّاكم بهدْىِ كتابه . أقول قولى هذا ، وأستغفرُ الله العظيم لى ولكم ولسائر المسلمين ، من كل ذنب . فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

١٧٥ خطبة

الحمدُ لله الذى بنعمته اهتدى المهتدون . وبعدله ضل الضالّون . لا يُسئل عما يفعل وهم يُسئلون . أحمدُه سبحانه حمد عبد نزه ربه عما يقول الظالمون . وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له . وسبحان الله رب العرش عما يصفون . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليله الصادقُ المأمون . اللهمَّ صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه الذين هم بهديه مستمسكون . وسلِّمْ تسليما كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله حقّ

نقمته . وسارعوا إلى مغفرته ومرضاته . وأجيبوا الداعيَ إلى دار كرامته وجناته . ولا تغرنَّكُم الحياةُ الدنيا بما فيها من زهرة العيش ولذَّاته . فقد قَرُبَ الرحيل وذُهِبَ بساعات العمر وأوقاته . واعلموا أن الخير كله بحذافيره فى الجنة ، فأدلجوا فى السير اليها . والشر كله بحذافيره فى النار ، فاجتهدوا فى الهرب منها . ألا وأن الدنيا عَرَضٌ حاضر ، يأ كل منها البر والفاجر ، والمؤمن والكافر . والآخرة وعد صادق ، يحكم فيها ملك قاهر . فلا تغرَّنَّكُم الحياة الدنيا فانها دار بلاء ، ومنزلُ ترحة وعناء . نَزَعَتْ عنها نفوسُ السعداء . وانتُزعت بالكره من أيدى الأشقياء ، وحال بينهم وبين ما أملوه القدر والقضاء . ضُربت لكم بها المقاييسُ والأمثال . وقُرِّبت لكم الحقيقةُ بالشبه والمثال ، فقال ﷺ « مالى وللدنيا . إنما مَثَل الدنيا كراكب قال فى ظل دَوْحة » . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ إنَّما مَثَلُ الحياةِ الدُّنيا كماء أنزلناهُ مِن السماء فاختلط به نباتُ الأرضِ مما يأكلُ الناسُ والأنعام ، حتى إذا أخَذتِ الأرضُ زُخرُفَها وازَّينتْ وظنَّ أهلُها أنهم قادرون عليها أتاها أمرُنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حَصيداً كأن لم تَغْنَ بالأمس ، كذلك نُفَصل الآياتِ لقوم يتفكَّرون . واللهُ يدعو إلى دار السَّلامِ ويهدى مَن يشاء إلى صِراطٍ مستقيم . لِلَّذين أحسنوا الحسنىٰ وزيادَة ، ولا يَرْهَقُ وجوهَهم قَتَرٌ ولا ذِلَّة ، أولئك أصحابُ الجنة هم فيها خالدون . والذين كسبوا السيئاتِ جزاء سيئةٍ بمثلِها وتَرهقُهم ذِلَّة ، ما لهم من الله من عاصم ، كأنَّما أُغشِيتْ وجوُهُهُم قِطعاً من الليلِ مُظلماً أولئك أصحابُ النار هم فيها خالدون ﴾ بارك اللهُ لى ولكم فى القرآن العظيم ، ونفعنى وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولى هذا واستغفر اللهَ العظيم الجليل ، لى ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

١٧٦ الخطبة الثانية لعيد الفطر

الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد الله أكبر كلما هطل الغمام وناح الحمام وارتفعت الأعلام وأفطر الصوام الله أكبر كلما ارتقى فوق منبر إمام وكلما ختم بالأمس شهر الصيام الله أكبر الله أكبر لا اله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

الحمد لله معيد الجمع والأعياد ومبيد الجموع والأجناد رافع السبع الشداد عالية بغير عماد وماد الأرض ومرسيها بالأطواد وجامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد أحمده على نعم لا يحصى لها تعداد وأشكره وكلما شكر زاد وأسأله أن يصرف عني المثقلات الشداد .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نفاد شهادة صادرة من صميم الفؤاد أرجو بها النجاة في يوم التناد أشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي شرع الشرائع وسن الأعياد وقرر قواعد الله ورفع العماد اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه البررة الأنجاب الذائدين عن شرعه با لمرهفات الحداد الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى فان تقواه تبلغ دار النعيم وتنجي من درك الجحيم واعلموا أنه من عاش مات ومن مات فات فاغتنموا أيام الحياة .

واكثروا من ذكر هازم اللذات وزينوا بواطنكم بالتوبة النصوح كما زينتم ظواهركم بالملابس المجملات فمن لم يطهر قلبه من الأدناس لم ينفعه التزين بالطيب واللباس فان الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وانما ينظر إلى القلوب العامرة المكملات .

واعلموا أن الله يبعث الأموات ويجمعهم ليوم الميقات ويزن أعمالهم وزناً ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى .

واعلموا أن الله نهى عن محدثات الأمور وحذر من الكذب والغيبة والنميمة

وشهادة الزور وأوجب الايمان به وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره وبيوم البعث والنشور وعذاب القبر وفتنته وسؤال الملكين وقوته ويوم الحشر وشدته ولقاء الله ورؤيته والصراط وزلته والحساب وشهوده والحوض ووروده والشفاعة وقبولها والجنة وثوابها والنار وعقابها .

وعليكم بقضاء الدين وبر الوالدين واصلاح ذات البين واعانة المعسر واغاثة الملهوف والنهي عن المنكر والأمر بالمعروف والنصح للعباد وتأديب الأهل والأولاد وهجر أصحاب الفساد وصلة الأرحام والصبر لله عند فجائع الأيام والشفقة على الأرامل والأيتام وافشاء السلام وطيب الكلام والعدل في الأحكام والتجافي عن الجور في الولايات وأداء الشهادات ورفع السيئات بالحسنات . ومراقبة عالم الخفيات .

واحترام العلماء والصالحين وطلب العلم ولو بالصين والحنوّ على الغرباء والمستضعفين وحب الخير لكافة المسلمين والاستغفار للسلف الماضين ووفاء المكاييل والموازين والتعطف على الأقرباء والجيران وأبناء السبيل والمساكين وكظْم الغيظ والاحسان إلى الناس كافة ان الله يحب المحسنين وإذا تداينتم بدين فليحسن الطالب الاقتضاء والمطلوب القضا فان مطل الغني ظلم وإنظار المعسر فيه فضل عظيم .

فهذه شعائر الله أدعوكم ونفسي إليها وأستعين الله لي ولكم عليها واقصدوا وجه الله في كل عمل يثاب عليه العبد ويؤجر وراقبوا مولاكم في السر والعلانية فانه يعلم ما أظهر العبد وما أضمر والذي يقصد بعمله غير القادر القاهر ينادى عليه يوم القيامة يا كاذب يا فاجر يا غادر يا خاسر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

واحذروا مقارفة الذنوب ومقاربة ما يسخط علام الغيوب من الشرك بالله وموادة أعداء الله وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وقذف المحصنات بالافتراء والجدال في الدين والمراء وشرب المسكرات والربا في المعاملات فان ربحه بوار وعلى صاحبه تلف ونار وصاحبه حرب الرحمن وحرب رسوله المبعوث بالسنة والقرآن .

وإن أربى الربا استطالة المرء في عرض أخيه ولو كان الذي قاله فيه

واياكم وعقوق الوالدين ومنع الحق الواجب من وصية أو دين وإياكم وقطيعة الأرحام وعدم العدل بين الناس في الأحكام والحذر من ظلم المسلمين في الدماء والأموال والأعراض .

واياكم والحسد فانه شر ما حوى الجسد ويأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب واحذروا الزنا ففيه هلاك المال والديار وفناء الأعمار وفي الحديث أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله جنته وأيما رجل تبرأ من ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه على رؤوس الخلائق من الأولين والآخرين .

وتآمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فان المنكرات لها عواقب لا بد أن تحظر وتنظر وان شؤمها يعم البلدان والأبدان والقرى والأمصار والبر والبحر الأخضر واجتنبوا مصافحة النساء الأجنبيات والدخول عليهن فانهن أعظم فتنة وذلك من المحرمات .

وغضوا أبصاركم عن المحرمات فكم فتنة حرثت من البصر وقفوا عند حدود الله في كل ما نهى عنه وأمر وجملوا عيدكم بالطاعات وترك الخطايا وجانبوا المعاصي وركوب الدنايا .

واحذروا أكل الأوقاف وأموال الأرامل والأيتام والضعاف واياكم وتطفيف المكيال والميزان فما بخسهما قوم إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان وتذكروا بهذا الاجتماع ما وراءكم من الأهوال والأفزاع إذا حشرتم بأقدام حفاة وأجسام عراة وأفئدة وجلات وأبصار خاشعات ونساء بالرجال مختلطات والكتب باليمين أو الشمال معطاة .

ثم وضع الميزان ونشر الديوان ومد الصراط على متون النيران ونادى المنادي لقد سعد فلان وشقي فلان واعلموا أن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة فعليكم بالجماعة فان الله مع الجماعة ومن شذ شذ في النار .

واعلموا أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته المسبحة بقدسه وثلث بكم أيها المؤمنون من جنه وإنسه فقال عز من قائل عليم إن الله وملائكته

يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً فأكثروا عليه من الصلاة يعظم الله لكم بها أجراً فقد قال ﷺ من صلى علي صلاة واحدة صلى الله الله عليه بها عشراً اللهم صل على عبدك ورسولك محمد النبي الهاشمي المصطفى .

وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء السادة الحنفاء أهل البر والوفاء ذوي القدر العلي والفخر الواضح الجلي أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن الستة الباقين من العشرة المفضلين وعن بقية الصحابة أجمعين وعن التابعين لهم وتابعيهم باحسان إلى يوم الدين وعمنا معهم بعفوك ومنك وكرمك وجودك واحسانك يا رب العالمين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين واجعل هذا البلد آمناً وسائر بلاد المسلمين اللهم آمنا في أوطاننا واصلح سلطاننا وول علينا أخيارنا واكفنا شر أشرارنا واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك يا رب العالمين .

اللهم أقم علم الجهاد واصلح سبل الفساد واقمع أهل الشرك والبدع والغي والبغي والعناد وانشر رحمتك على هؤلاء العباد يا من له الدنيا والآخرة واليه المعاد اللهم فك أسْر المأسورين ونفس كرب المكروبين وفرج هم المهمومين واقض الدين عن المدينين واشف بلطفك مرضانا ومرضى المسلمين واكتب الصحة والعافية علينا وعلى الغزاة والحجاج والمسافرين في برك وبحرك من أمة محمد المسلمين .

اللهم عم بالتوفيق والصلاح رعايا المسلمين ورعاتهم واكثر علماءهم وسدد قضاتهم وجلل برحمتك أحياءهم وأمواتهم ومُنّ عليهم بالاجتماع والائتلاف وأعذهم من التفرق والاختلاف وجازهم بالاحسان احساناً وبالسيئات غفراناً .

اللهم ادفع عنا البلاء والوباء والربا والزنا والزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن عن بلدنا هذا خاصة وعن بلاد المسلمين عامة يا أكرم المكرمين اللهم إن عبادك قد خرجوا اليك وابتكروا وقصدوا لوجهك وانتظروا .

اللهم فاغفر ذنوبهم ونفس كربهم وفرج همهم واكشف غمهم واجمع شملهم واصلح ذات بينهم واهدهم سبل السلام وجنبهم الفواحش ما ظهر

منها وما بطن اللهم نور على أهل القبور قبورهم واغفر للأحياء ويسر لهم أمورهم، عباد الله إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، إن الله يعلم ما تفعلون فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم وأشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون .

١٧٧ الخطبة الأولى لشهر شوال

الحمد لله الذي افتتح أشهر الحج بهذا الشهر فاكتسب بذلك بركة وشرفاً وندب لصيام ستة أيام منه وجعلها بعد صيام رمضان كصيام العام على الوفاء وسمى أول يوم منه يوم الجوائز وجعله للمؤمنين عيداً وأهدى لهم فيه من الثواب تحفاً .

أحمده سبحانه حمد عبد خبره سيده وأجراه على عادته وأنجز له وعده ووفى وأشكره شكر من لم يزل غارقاً في بحار نعمه مقراً بشكرها ومعترفاً .

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له الذي شرع الحج إلى بيته وضاعف ثوابه وجعله جهاداً للضعفاء وجذب اليه أقواماً بأزمة الغرام فقطعوا المهامة وجدوا اشتياقاً إليه وشغفاً .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي فضله على كافة البرية سلفاً وخلفاً أنطق له الجمادات فحن له الجِذْع حين ترك الخطبة إليه حزناً على فراقه وأسفاً اللهم فصل وسلم على محمد الذي لم يزل يتلو من الآيات البينات سوراً وصحفاً وعلى آله وأصحابه الذين اجتهدوا في الحج إلى البيت الحرام وأقاموا الصلاة طرفي النهار وزُلفى صلاة وسلاماً من لازمهما كشف الله عنه وطاب وقته وصفا .

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى فقد فاز المتقون ولازموا طاعة الله ورسوله في كل وقت لعلكم تفلحون واشكروا الله فالرابح من شكره وأشغلوا ألستكم بذكره فالسعيد من ذكره واتقوا يوماً يؤخذ فيه بالنواصي والاقدام

ولا تقولوا ذهب رمضان فتستحلوا فعل الحرام فان الله يكره أن يُعصى في أي شهر كان ويحب أن يطاع في كل وقت وزمان .

واستقبلوا هذا الشهر بما يرضي الملك الخلاق وتقربوا اليه بالصدقة والانفاق ولا تبطلوا ما أسلفتم في شهر الصيام من صالح الأعمال ولا تكدروا ما صفا لكم فيه من الأوقات والأحوال ولا تغيروا ما عذب لكم من لـــذة المناجاة والاقبال فكما أن الحسنات يذهبن السيئات فكذلك السيئات يبطلن صالح الأعمال .

ألا وان علامة قبول الحسنة عمل الحسنة بعدها على التوال وان علامة ردها أن تتبع بقبيح الأفعال وقد قيل ذنب بعد توبة أقبح من سبعين قبلها على التوال روى مسلم عن أبي أيوب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال من «صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال فكأنما صام الدهر»وفي معاودة الصيام دلالة على الايمان والرغبة في الخيرات .

قيل لبشر الحافي ان قوماً يتعبدون في رمضان ويجتهدون في الأعمال فاذا انسلخ تركوا قال: بئس القوم قوم لا يعرفون الله إلا في رمضان وقال الحسن البصري لا يكون لعمل المؤمن أجل دون الموت ثم قرأ«واعبد ربك حتى يأتيك اليقين»فكأنكم بالحال وقد حال وبالمال قد مال وبالملك وقد زال وبملك الموت وقد هال وبالملك الحافظ وقد طوى صحيفة الأعمال وبأحدكم وقد نزل به ما لم يخطر له ببال ولا مخلص ولا حول ولا احتيال .

فاتقوا الله عباد الله ومهدوا لأنفسكم في زمن الامهال فانما هي أيام معدودات وليال واعلموا أنه قد عم الفناء فما الى البقاء سبيل وتم القضاء فلا تغيير فيه ولا تبديل وطم بحر الموت فحار فيه الدليل فلو نجا منه شريف أو أصيل أو صاحب قدر ووجه جميل لكان أول ناج منه محمد صاحب التنزيل .

فيا ابن آدم كيف لا تتقي مولاك وقد والى عليك النعم وأولاك وكيف لا تطيع من أوجدك وبراك وأنت تعلم أنه يسمعك ويراك وكيف نسيت من خلقك وسوّاك وتغافلت كأن المخاطب سواك وكيف أقبلت على الهوى إذ دعاك وأعرضت عمن يرحم افتقارك ويستجيب دعاك وكيف بارزت من لطف بك ورباك وهو الذي عطّف عليك أمّك وأباك .

فما أعذرك يا مغرور وألهاك وما أضجرك عند اضطرارك وبلواك وما أجدرك بالتوبيخ والزجر وأولاك ومـــا أجهلك بما ينفعك في آخرتك ودنياك وما أغفلك عن الموت وهو والله لا يغفل عنك ولا ينساك فدارك نفسك بالتقوى قبل فراق دارك وتب إلى الله من ذنوبك وأوزارك قبل بعد دارك وشطوط مزارك وتفطن لنفسك .

واشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له شهادة منجية لمن حققها من العذاب وأشهد آن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل الفضلاء وأكرم الأحباب اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عبده وعلى آل محمد وأصحابه الأفاضل الأنجاب صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الحشر والمآب وسلم تسليماً .

أيها الناس: اتقوا الله تعالى وتمسكوا من التقوى بالسبب الأقوى وتقربوا إلى الله بمجانبة ما تدعو اليه الأهوا واغتنموا فرصة العمر فكأنكم ببساط الأجل وقد انطوى وطهروا مقاصد القلوب فان الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى واعلموا أنه لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص من الشوايب ولا يرفع منها إلا ما يقع من الاخلاص بأعلى المراتب فلا تطمعوا في الرواج المزيف فالناقد بصير ولا تبطنوا خفيات القبائح فالعرض على العليم الخبير .

واستفتحوا باب الرحمة فيد الكريم مبسوطة وبابه مفتوح للمستجير فالله الله عباد الله إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور واعلموا أن شهر شوال شهر بركة واحترام جعله الله بين شهر صيام وشهر حرام فله حرمة هذا الجار والجار مكرم بالجار وقد جعل الله أوله لهذه الأمة عيداً وآخره لحج بيته من كان بعيداً فالزموا فيه طاعة ربكم واتقوا عـــار ذنبكم .

واعلموا أن الله تعالى قد عظم هذا الشهر فمن صام رمضان وأتبعه ستاً منه فكأنما صام الدهر قد استفتحه الله بعيد يملأ القلوب سروراً فلا تعصوا فيه ربكم فيعود سرور العيد ثبوراً فالمعاصي تخرب الديار العامرة وتورث الخزي في الدنيا والآخرة ولا تبطلوا ما أسلفتم في شهر الصيام من صالح الأعمال ولا تكدروا ما صفا لكم فيه من الأوقات والأحوال ولا تغيروا ما عذب لكم فيه من لذة المناجاة والاقبال .

فكما ان الحسنات يذهبن السيئات فكذلك السيئات يبطلن صالح الأعمال وان علامة قبول الحسنة عمل الحسنة بعدها على التوال وان علامة ردها أن تتبع بقبيح الأفعال وقد قيل: ذنب بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها على الفعال ولا تغتروا بدار الغرور فإنها قبل إشعارك أن التقصير والزلل من شعارك.

وكن لمعاصي الله أول تارك قبل أن يصول عليك الزمان وتعجز عن أخذ ثأرك واجهد في اعتدال اعوجاجك وأوزارك ما دام الاستدراك طوع اقتدارك وابك يا مسكين لما بك وتزود بالعمل الصالح ليوم مآبك وتأهب لسيف المنون فقد علق الشبابك وقد بذلت لك النصح وأنت باختيارك فان شئت فاترك ما أنت فيه وان شئت استمر في تبارك.

فقد ورد في صحيح المقال عن النبي ﷺ أنه قال «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني» من الله علي وعليكم بالخشية والمتاب ولطف بنا عند الممات ويوم الحشر والحساب.

ان أعظم الكلام منزلة ورتبة كلام من أرسل محمد وافترض على الخلق حبه والله تعالى يقول وبقوله يهتدي المهتدون وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم «يا بني اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى، كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى وإني غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى». بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ... الخ؟

١٧٨ خطبة عيد الفطر

يكبر تسعاً نسقاً ثم يقول الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً الله أكبر ما نطق بذكره ناطق الله أكبر ما صدق في توحيده صادق الله أكبر ما وثق بوعده واثق الله أكبر ما أقيمت شعاير المسلمين وعظم منار

الدين الله أكبر ما لاح صباح عيد وأسفر الله أكبر ما هلل مهلل وكبر الله أكبر ما صام صائم وأفطر الله أكبر كلما تذكر تائب ذنبه فاستغفر وكلما هل هلال وأقمر وكلما سبح رعد وهدّر وكلما أعشب روض وأزهر .

سبحان خالق الحركة والسكون سبحان من فجر الأرض اليابسة بالعيون سبحان من أوجب فطر هذا اليوم بعد أن كان بالأمس حراماً سبحان موفي الطائعين بالحسنة الواحدة عشراً تماماً سبحان ذي القدرة والهيبة والقوة التي لا تنكر كل ملك وان تعاظم ملكه فهو له عبد ذليل أصغر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد ... الخ ؟

الحمد لله الذي لم يجعلنا ممن يغدو إلى بيعة يتقرب فيها إلى الله بالشرك والافك وقول الزور ولا إلى كنيسة يتقرب فيها إلى الله بشرب المسكرات من الخمور ولا إلى أصنام وأوثان وقبور وبيوت يعبد فيها النار والنور بل جعل لنا بفضله ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفاً وسنة محمد صراطاً مستقيماً فيه الهدى والشفا والنور .

ثبتت ربوبيته وألوهيته وقد كذب من ادعى له شريكاً أو نظيراً أو مثيلا أو عديلاً فقد زلت في الدنيا والآخرة قدمه صنع الأشياء كلها فظهر فيما صنع بدائع حكمه الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد . الحمد لله الذي سهل لعباده طريق العبادة ويسر ووفاهم أجور أعمالهم من خزائن جوده التي لا تحصر وجعل لهم يوم عيد يعود عليهم في كل سنة ويتكرر وأهلّ الأوقات كلها لأن تشيد بالعبادة وتعمر .

فما مضى شهر الصيام إلا وأعقبه شهر حج بيته المطهر أحمده على نعمه التي لا تحصر وأشكره وحق له أن يشكر وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له الذي جعل لكل شيء وقتاً وأجلاً مقدر وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد البشر الشافع المشفع في المحشر الذي انشق له القمر وسلم عليه لحجر اللّهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك محمد الطاهر المطهر الذي غفرت ه ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومع ذلك قام على قدمه الشريف حتى تفطر وعلى له الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهر وعلى أصحابه الذي لا يبلغ مُدّ حدهم من أنفق مثل أحد ذهباً أو أكثر .

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى سراً وجهراً فقد منّ علينا وعليكم بنعم سابغة وآلاء وأياد بالغة فالشكر مني ومنكم واجب على ما أولاكم به ربكم والذكر على ما هداكم والثناء على ما أعطاكم والطاعة فيما أمركم به والانتهاء عما عنه نهاكم ولا ترتكبوا ما نهى الله عنه ولا تعْصوا الله أمراً فكم لله عليكم ، ن نعمة ترفلون في أعطافها وكم له من منة أسبل عليكم جلبابها .

فاستعملوا نعم الله بلزوم طاعته واحذروا استعمالها بالعصيان ولا تقولوا ذهب رمضان فهيا وثوباً لعصيان فرب الزمانين واحد وقد حرم العصيان في أي شهر كان ولا تعتقدوا ان الأعياد جعلت للعب واللهو وانما هي لإقامة ذكر الله والاعراض عن اللغو .

واعرفوا قدر نعمة الله عليكم في هذا العيد الأنور المعروف الأشهر عيد الافطار عيد البركة والمسار مشهور في جميع النواحي والأقطار عيدنا أهل الإسلام ليس عيداً من أعياد الكفار توج الله به شهر الصيام وافتتح به شهور حج بيته الحرام وأجزل فيه للصائمين جوائز الاكرام .

فاذا لاحت غرة هذا اليوم السعيد وخرج المسلمون فيه لصلاة العيد قال الله تعالى وهو أعلم بأسرار العبيد للملائكته ذوي التسبيح والتمجيد ما جزاء الأجير إذا فرغ من عمله فيقولون جزاؤه توفيته أجره ولديك المزيد فيقول جل ثناؤه أشهدكم يا ملائكتي اني جعلت ثوابهم من صيام شهر رمضان وقيامه مغفرة ذنوبهم واجابة دعواتهم فاكثروا فيه من ذكر الله وتوحيده وتكبيره وتحميده واستغفاره وتمجيده والصلاة والسلام على نبيه أكرم خلقه وأشرف عبيده .

واعلموا أنه ليس السعيد من أدرك العيد ولبس الجديد ولا من ركب الخيل المسوّمة وخدمته العبيد ولا من كانت الدنيا تأتيه على ما يشتهي ويريد ولا من جمع المال وبلغ الآمال وخيف بأسه الشديد ولا من تأمر وسلا وتجبر على العباد وتطاول في البناء وأشاد كل قصرٍ مشيد إنما السعيد من خاف يوم الوعيد وراقب الله فيما يبدىء ويعيد وفاز بجنة عرضها السموات والأرض لا ينفد نعيمها ولا يبيـــد .

واعلموا أن النفوس على مطايا الأيام سائرة وان السنين مراحل تنتهي بكم إلى الآخرة واذكروا باجتماعكم هذا جمعه الأمم وبعثه الرِّمم إذا جثوا على

الركب بين يديه حفاة عراة عزلاً وحكم بينهم في الحقوق التي أسلفوا عدلاً هنالك يعض الظالم على يديه إذا تبين للحقيقة ما كان في هذه الدار عليه الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

وأدوا ما أوجب الله عليكم من زكاة الفطر فانها طهرة لصيامكم ومواساة للفقراء من اخوانكم وكفارة لآثامكم عن أنفسكم وعن كل من تمونون من صغير وكبير وحر وعبد وذكر وأنثى وذلك على من وجدها فاضلة عن نفقته يوم العيد وليلته فأدوها كما أمركم نبيكم صاعاً من تمر أو صاعاً من بر أو صاعاً من شعير أو صاعاً من زبيب أو صاعاً من أقط .

فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات الله أكبر الله أكبر ولا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد ... الخ ؟ وقد ندبكم الله لشرائع الإسلام لِتُحْكِمُوها وقواعد الإسلام لتعلموها فأعظمها بعد الشهادتين الصلوات الخمس معشر المسلمين فحافظوا عليها في أوقاتها مع الجماعة فإنها عماد الدين وشعار الموحدين .

وأدوا ما أوجب الله عليكم من الزكاة فقد قرنها الله بالتوحيد والصلاة فصلاتنا وزكاتنا أختان فبادروا رحمكم الله ، بدفعها وإيصالها إلى مستحقيها وخالفوا النفس والشيطان في منعها وحجوا البيت الحرام إن استطعتم . اليه سبيلاً وراقبوا الله تعالى في السر والعلن لتنالوا أجراً جزيلاً ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

ولا تغضبوا الخالق برضى الخلق ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تشربوا الخمر فمن شربها فقد حرم الله عليه خمر الجنة ومن استحلها فقد خرج من الإسلام والسنة واحذروا الزنا والربا وقول الزور ولا تلبسوا الحرير فانه حل للإناث حرام على الذكور الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

واذكروا من كان معكم في مثل هذا العيد حاضراً وبما تفاخرون به من زينة الدنيا مفاخراً وقد صار بعد العز لابثاً في اللحود يتمنى أن يعود إلى الدنيا وهيهات له أن يعود تجردوا عن ثياب الحياة والتحفوا بالتراب وحبسوا في بطون ألحاد مظلمة بغير أبواب وسكنوا بعد القصور العالية القبور الواهية وحيل بينهم

وبين ما يشتهون من تعاطي الأسباب .

وشاهدوا ما أخرج به الرسل ونطق به الكتاب وسئلوا عما فعلوا فعجزوا عن رد الجواب وودوا لو ردوا وأنّى لهم الرجعة وداعيهم غير مجاب فلو رأيتم تحت التراب أحوالهم لرأيتم أموراً هائلة وألواناً حائلة وأعناقاً عن الأبدان مايلة وعيوناً سايلة قد غير البلاءُ حسنها وأخلق التراب رسمها انفردوا بأعمالهم دون أموالهم عن الولد والوالد والآل ووردوا صدعاً من الأرض إلى يوم المآل .

فوالله ما نُغضُوا لتُسرُّوا ولا رُحِّلوا لتستقروا ولابد أن تمروا حيث مروا فلا تركنوا إلى الدنيا ولا تغتروا عباد الله كم مؤمل أمل ما أملتموه وراجٍ رجا ما رجوتموه فلم يبلغ من الدنيا ما أبلغتموه ولم يستكمل من رجائه ما استكملتموه قد قطع لَعيده أثواباً وهيأ لفطره أسباباً واعتد الفاخر من لباسه وطيبه ونوى فرحاً بحبيبه ونسيبه واستعد للخروج معكم إلى المصلى فأصبح من سكان الثرى ومجاورة المولى قد أصبح منزله خالياً وجسده بالياً وولده حزيناً باكيـــاً .

جاور جيراناً لا يتزاورون وآخى اخواناً لا يتعاشرون فسيروا بقلوبكم إلى الفلوات ترون أهليكم وغيرهم في القبور الموحشات فقد كانوا قبلكم يتفاخرون في الملابس الفاخرات ولربما أن منهم من اشتغل بالدنيا وأهمل نفسه من الأعمال الصالحات .

فأمضى عليهم القدر حكمه وأدار عليهم الموت سهمه وأناخ بهم الحدثان ولم يبق منهم إلا كان فلان وكان أبادهم الملك الجبار وكانوا عبرة من العبر وخبراً من الأخبار .

قد نسيهم أولادهم واشتغلت بغيرهم نساؤهم واقتسمت أموالهم فلم يبق لهم أنيس ولا جليس إلا أعمالهم رحلوا من الدور العامرة والقصور وأسكنوا بيت الوحشة والظلمة أسافل القبور وأنتم إلى ما صاروا اليه صائرون وبالكأس الذي شربوا منها شاربون وستزار قبوركم كما أنتم لقبورهم زائرون ثم من الأجداث إلى ربكم تنسلون وبين يديه توقفون وعما قدمتم مسئولون وبأعمالكـــم مجزيون .

أفبهذا أيها المؤمنون تمترون فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون فأيقظوا أنفسكم من سنة الغفلة واجتهدوا ما دمتم في زمن المهلة وعاملوا

الله إذا عاملتموه لن تضيعوا واتقوا الله واسمعوا وأطيعوا وأنيبوا إلى ربكم واسلموا له ولكم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ومن جاء من طريق فالسنة أن يرجع من طريق أخرى وصوموا بعد هذا اليوم ستة أيام من هذا الشهر يكتب لكم بذلك صيام الدهر وابتهلوا في الدعاء في هذا اليوم معشر الاخوان وبالتضرع في هذه الساعة إلى المولى الكريم الرحمن .

روى البيهقي من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال «إذا كان غداة عيد الفطر بعث الله عز وجل ملائكته فيهبطون إلى الأرض فينادى بصوت يسمعه جميع من خلق الله إلا الإنس والجن فيقولون يا أمة محمد أخرجوا إلى رب كريم يعطي الجزيل ويغفر الذنب العظيم » .

ورأى وهيب بن الوردي قوماً يضحكون في يوم عيد فقال ان كان هؤلاء تقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الشاكرين وان كان لم يتقبل فما هذا فعل الخائفين وخرج عمر بن عبد العزيز رحمه الله في يوم عيد فقال في خطبته أيها الناس انكم صمتم لله ثلاثين يوماً وقمتم لله ثلاثين ليلة وخرجتم تطلبون من الله أن يتقبل منكم .

وقال في آخر خطبته أيها الناس انكم لم تخلقوا عبثاً ولم تتركوا سدى إن لكم معاداً ينزل الله فيه للفصل بين عباده فقد خاب وخسر من خرج من رحمته التي وسعت كل شيء وحرم جنة عرضها السموات والأرض ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين وسيرثها بعدكم الباقون كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين .

وفي كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله تعالى وقد قضى نحبه وانقضى أجله فتودعونه وتدعونه في صدع من الأرض غير موسر ولا ممهد قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وسكن التراب وواجه الحساب غنياً عما خلف فقيراً إلى ما أسلف .

فاتقوا الله عباد الله قبل نزول الموت وانقضاء مواقيته واني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي ولكن أستغفر الله وأتوب إليه ثم رفع طرف ردائه وبكى حتى شهق ثم نزل عن المنبر فما عاد إلى المنبر بعدها حتى مات رحمة الله عليه .

أعاد الله علي وعليكم من بركات هذا العيد وأمنني واياكم من سطوات يوم

الوعيد إن أحسن ما كرر وأعيد ووعظ به في كل جمعة وعيد كلام المبدىء المعيد والله تعالى يقول وبقوله يهتدي المهتدون .

وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون أعوذ بالله من الشيطان الرجيم «ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد»، إلى قوله ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » بارك الله لي ولكم في القرآن الخ ...

١٧٩ خطبة أيضاً

الحمدُ لله الذى ظهر لأوليائه بنعوتِ جلاله . وأنار قلوبَ أصفيائه بمشاهدة صفات كماله . وتحبب إلى عباده بما أسداه اليهم من إنعامه وإفضاله . أحمدُه سبحانه حمدَ عبد أخلص لله فى أقواله وأفعاله . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا معين فى تدبيره وأفعاله . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله نبى أنعم الله على جميع أهل الأرض ببعثه وإرساله . اللهم صلِّ على عبدك ورسولك محمد وعلى جميع أصحابه وآله وسلم تسليما كثيراً . أما بعدُ فيا أيها الناس اتقوا اللهَ تعالى فانّ تقواه عليها المعوَّل . واشكروه على ما أولاكم من الإنعام والخير الكثير وخوَّل . وعليكم بما كان عليه السلف الصالح والصدرُ الأوَّل . وتدبروا ما جاء به نبيُّكم محمد ﷺ من الحكمة والكتاب المنزَّل . واعتبروا بمن كان قبلكم ممن علا فى الأرض وأمّل وتموَّل . فجاءهم هاذِمُ اللذات وكان الأجل مما أمّلوه أعجل . وسطا بهم رَيْبُ المنون مسرعاً فما توانىٰ فى أخذهم وما أمهل . فاستحال النعيمُ عذاباً ، وانعكس القصد وتحوّل . فاتقوا الله عبادَ اللهِ وحاسبوا أنفسكم قبل القدوم على الله . قال أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا ، وتأهبوا للعرض الأكبر على الله ، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿فاذا نُفِخَ فى الصُّور فلا أنسابَ بينَهُم يومئذ ولا يتساءلون . فمَن ثَقُلَتْ مَوازينُه فأولئك همُ المُفْلِحون . ومَنْ خَفَّتْ مَوازينُه فأولئك الذين خَسِروا أنفُسَهم فى جهنمَ خالدون . تَلفَحُ وُجوهَهُمُ النارُ وهم فيها كالحون . ألمْ تكنْ آياتى تُتْلَى

عليكم فكنتم بها تكذبون . قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين . ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون . قال اخسئوا فيها ولا تكلمون . إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين . فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون . إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون ﴾ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا واستغفر اللهَ العظيم الجليل ، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب . فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

١٨٠ خطبة أيضا

الحمدُ لله المحمود على كل حال . الموصوف بصفات الجلال والكمال . المعروف بمزيد الإنعام والإفضال . أحمدُه سبحانه وهو المحمود على كل حال ، وفي كل حال . وأشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له ذو العظمة والجلال . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليله الصادق المقال . اللهم صلِّ على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه خير صحب وآل . وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقو اللهَ حق تقاته . وسارعوا إلى مغفرته ومرضاته . وأجيبوا الداعيَ إلى دار كرامته وجناته . ولا تغرنكم الحياة الدنيا بما فيها من زهرة العيش ولذاته . فقد قرُب الرحيل ، وذُهب بساعات العمر وأوقاته . ألا وإن المؤمن بين مخافتين : بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه ، وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه . فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن صحته لمرضه ، ومن حياته لموته ، ومن غناه لفقره ، فوالله ما بعدَ الموت من مُستَعتَب ، وما بعد الموت من دار إلا الجنةُ أو النار . وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال « الكيّسُ من دان نفسَه وعمِل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسَه هواها وتمنى على الله الأماني » أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ ليس بأمانيكم ولا أمانيّ أهلِ الكتاب ، مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجزَ بِهِ ولا يجد من دونِ اللهِ ولياً ولا نصيراً .

ومن يَعْمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مُؤمِنٌ فأولئك يَدْخلونَ الجنةَ ولا يُظلمون نَقِيرا ﴾ بارك الله لى ولـكم فى القرآن العظيم . ونفعنى وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحـكيم . أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم الجليل . لى ولـكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

١٨١ خطبة أيضاً

الحمدُ لله العلىِّ العظيم القادر ، هو الأولُ والآخر والباطن والظاهر ، عالم الغيب والشهادة المطلع على السرائر والضمائر . خلق فقدّر ، ودبّر فيسر ، فـكل عبد إلى ما قدّره عليه وقضاه صائر . أحمده سبحانه على خفىّ لطفه ، وجزيل بره المتظاهر . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ولد ولا مظاهر . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحب الآيات والمعجزات والبصائر . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن على سبيله إلى الله سائر . وسلم تسليما كثيرا . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى ، واعلموا ليوم تنكشف فيه السرائر ، وتظهر فيه مخبآتُ الصدور والضمائر ، وتدور فيه على المجرمين الدوائر . وتحصىٰ فيه الصغائر والـكبائر . يُرفع فيه لواء الخزى لـكل ناكث للعهد غادر . تُنصب فيه موازين الأعمال وتنشر الصحائف ، فكل عبد إلى ما قدمه لنفسه صائر . فآخذٌ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله يا خيبةَ الظالم والفاجر ، ويا سعادة من استجاب لله ورسوله من ذوى الإيمان والبصائر . فاتقوا الله عباد الله فان تقواه أنفع الوسائل والذخائر ، ولا تكونوا كالذين بّدلوا نعمة الله كفراً ولم يلتفتوا إلى ما أمامهم من الموارد والمصادر . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وكلَّ إنسانٍ ألزمناهُ طائرَه فى عنقِه ونُخرجُ له يومَ القيٰمة كتاباً يلقاه منشورا . اقرأ كتابَكَ كفىٰ بنفسك اليومَ عليك حسيبا . مَنِ

أَنْ يَطْمَئِنَّ إِلَى هَذِهِ الْحَيَاةِ أَوْ يَرْكَنَ إِلَى دُنْيَاهُ وَقَدِ امْتَلَأَتِ الْمَقَابِرُ بِالْمَأْمُورِ وَالْآمِرِ ، فَيَا مَنْ بِمَالِهِ وَوَلَدِهِ يُفَاخِرُ ، وَيَا مَنْ بِمُلْكِهِ يُبَاهِي

وَبِعِلمِهِ يُنَاظِرُ ، وَيَا مُتَرَفِّعاً عَنِ التُّرَابِ الثَّائِرِ أَنْ يَمَسَّ جِسْمَكَ أَوْ ثَوْبَكَ النَّظِيفَ الطَّاهِرَ ، كَيْفَ بِكَ إِذَا دُسَّ أَنْفُكَ بِالتُّرَابِ وَعَافَتْكَ الْعَشَائِرُ وَفَارَقَكَ الأَنِيسُ وَالصَّاحِبُ وَالْجَلِيسُ ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَكَ إِلاَّ عَمَلُكَ فَأَنْتَ الرَّابِحُ أَوِ الْخَاسِرُ ، فَاللهُ يَمُنُّ عَلَيْنَا بِحُسْنِ الْخِتَامِ ، وَيَتَوَفَّانَا جَمِيعاً عَلَى مِلَّةِ الإِسْلَامِ وَيَقْبَلُ الْعَاثِرَ ، وَنَسْأَلُهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرْزُقَنَا التَّقْوَى وَأَنْ يُوَفِّقَنَا لِلْحُسْنَى وَهُوَ الْكَرِيمُ الْقَادِرُ (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظاً ، وَكَفَى بِالْيَقِينِ غِنِيً » وَجَلَسَ ﷺ عَلَى شَفِيرِ قَبْرٍ فَبَكَى حَتَّى بَلَّ الثَّرَى ثُمَّ قَالَ « يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا » وَقَالَ ﷺ « أَرْبَعَةٌ مِنَ الشَّقَاءِ : جُمُودُ الْعَيْنِ ، وَقَسْوَةُ الْقَلْبِ ، وَطُولُ الأَمَلِ ، وَالْحِرْصُ عَلَى الدُّنْيَا » وَقَال ﷺ « لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْئَلَ عَنْ أَرْبَعٍ : عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ بِهِ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ » وَقَالَ ﷺ « يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ أَمَتُهُ ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا » (أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) (فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا)

١٨٢ خُطْبَة في مرض القلب وعلاجه

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم . وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا . ووهب له العقل الذي امتاز به عن البهائم ليعرف به ربه

ويدرك به مصالحه ـ فإن أحسن العمل في هذه الدنيا كان تكريمه موصولا في الدنيا والآخرة ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا﴾. وأن أساء العمل وألغى عقله رده الله أسفل سافلين ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيل﴾ .

أحمده على نعمه التي لا تحصى. وأشكره. وحقه أن يطاع فلا يعصى. وأشهد أن لا آله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ـ كان يكثر أن يقول: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته الى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

عباد الله: اتقوا الله تعالى، هو الذي خلقكم وصوركم فأحسن صوركم: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك. في أي صورة ما شاء ركبك﴾ نعم إنك أيها الإنسان مركب من أعضاء وكل عضو منك خلق لفعل خاص فإذا مرض ذلك العضو تعطل عمله أو اختل. فإذا مرضت اليد تعذر منها البطش. وإذا مرضت العين تعذر منها الإبصار. وإذا مرض القلب بالمعاصي تعذر منه فعله الخاص الذي خلق من أجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله وعبادته. ومرض القلب هو الداء العضال وهو مرض خفي قد لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وان عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه لأن دواءه مخالفة الهوى.. إن القلب هو ملك الأعضاء ومصدر سعادتها أو شقائها. ومصدر صلاحها أو فسادها ـ قال ـ ﷺ ـ: (ألا وان في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) ففي هذا الحديث دليل على أن صلاح أعمال العبد بحسب صلاح قلبه. وأن فساد أعمال العبد بحسب فساد قلبه فالقلب الصالح هو القلب السليم الذي لا ينفع عند الله غيره قال تعالى: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ فالقلوب على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قلب سليم وهو السالم من الآفات والمكروهات كلها وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله وخشيته وخشية ما يباعد عنه.

النوع الثاني: القلب الميت الذي لا حياة به فهو لا يعرف ربه ولا يعبده فهو واقف مع شهواته ولذاته ولو كان فيها سخط ربه وغضبه فلا يستجيب للناصح بل يتبع كل شيطان مريد.

النوع الثالث: القلب المريض وهو قلب له حياة وبه علة ـ فالقلب الأول قلب مخبت واع لين حي. والقلب الثاني قلب يابس ميت. والقلب الثالث قلب مريض. فأما إلى السلامة أدنى وأما إلى العطب أدنى.

عباد الله: ولحياة القلوب وموتها ومرضها أسباب يفعلها الإنسان ـ فمن أسباب حياتها الإقبال على الله وتلاوة كتابه وتدبره والإشتغال بذكره قال تعالى: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾. وقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾. وقال تعالى: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾ ومن أسباب حياة القلوب مجالسة الصالحين ومخالطتهم والإقتداء بهم. ومن أسباب حياة القلوب الاستماع إلى المواعظ والتذكير والمحافظة على صلاة الجمعة والجماعة. ومن أسباب حياة القلوب النظر والتفكر في مخلوقات الله وما فيها من الحكم. قال تعالى: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾. ومن أسباب حياة القلوب النظر في عواقب الظلمة والمفسدين وما أحل الله بهم من العقوبات قال تعالى: ﴿وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد. أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾. أما أسباب موت القلوب فمنها اعراضها عن قبول الحق بعد معرفتها له قال تعالى: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله

لا يهدي القوم الفاسقين﴾ وقال تعالى: ﴿ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾ . وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ . والقلب الميت يكون صاحبه أحط من البهائم ويكون مثاله إلى جهنم قال تعالى: ﴿ولقد ذرانا لجهنم كثيراً من الجن والأنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ فيصبح هذا القلب مطموساً منكوساً مختوماً عليه لا ينتفع به صاحبه بسبب أنه أعرض عن الحق ورضي بالباطل فصار الباطل غذاءه. والضلال طريقة والجحيم مصيره نعوذ بالله من الخذلان. وأما أسباب مرض القلوب فمنها أكل الحرام فان المطعم الخبيث يغذي تغذية خبيثة. قال - ﷺ - في الذي يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأني يستجاب لذلك. وما أكثر أكل الحرام في وقتنا هذا مما سبب مرض القلوب وفساد التصرفات وانحطاط الأخلاق كما ترون ذلك ظاهراً في مجتمعنا - ومن أسباب مرض القلوب فعل المعاصي فإن المعاصي تؤثرفي القلوب وتمرضها قال تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ وقد ورد في الحديث أن العبد إذا أذنب ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء فإن تاب صقلت تلك النكتة وإلا تزايدت وعظم خطرها على القلب. ومن أسباب مرض القلوب استماع ما لا يجوز استماعه من الكلام المحرم. واستماع الملاهي من الأغاني والمزامير وقد كثر هذا البلاء في هذا الزمان وتنوعت مفاسده وتعددت طرق ترويجه بيننا في الإذاعات والتلفاز والأشرطة. فظهر أثر هذا السماع المحرم فأفسد سلوك كثير من النساء والصبيان بل وكثير من الرجال. فالأغاني من أكبر ما تطرق به ابليس إلى فساد القلوب وقد فسر قوله تعالى لإبليس ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾ بأن المراد بصوته الغناء. ومفاسد الغناء كثيرة لا يتسع هذا المقام لشرحها وقد بينها العلماء في كتبهم وشخصوها فعلى المسلم أن يراجع تلك الكتب خصوصاً ما

كتبه شمس الدين ابن القيم في إغاثة اللهفان ـ ليعرف إلى أي مدى تنتهي تلك الأغاني بأصحابها. ومن أسباب مرض القلوب النظر المحرم ـ قال ـ ﷺ ـ: (النظر سهم مسموم من سهام ابليس) وقال تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهم ويحفظن فروجهن﴾ فالنظرة المحرمة تورث شهوة في القلب تمرضه. ومن أسباب مرض القلوب مطالعة الكتب الفاسدة التي انتشرت في هذا الزمان فشغلت كثيراً من الناس عن مطالعة الكتب النافعة وكذلك مطالعة الصحف والمجلات الخليعة وما أكثرها في أسواقنا وبيوتنا ومكاتبنا وقد رتع فيها الناس رجالا ونساء وأطفالا.. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عباد الله: إنه لا شفاء لأمراض القلوب إلا بالدواء الذي أنزله الله في كتابه وسنة نبيه قال تعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور﴾ وقال تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾ فأقبلوا على كتاب الله وسنة رسوله لتداووا قلوبكم منها ففيها الشفاء والرحمة. وفيها النور والهداية. وفيها الروح والحياة. وفيها العصمة من الشيطان ووساوسه. وليأخذ كل منا بنفسه فيبعدها عن مواطن الفتن ويقطع عنها وسائل الشر. وكذلك أبعدوا أولادكم وبيوتكم عن وسائل الشر ودواعي الفساد أن كنتم تريدون الشفاء لقلوبكم والخير لمجتمعكم وأكثروا من هذا الدعاء الذي كان يدعو به النبي ـ ﷺ ـ: (يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١٨٣ خُطْبَة

في النهي عن الاسبال في اللباس

الحمد لله الذي امتن على عباده بلباس يواري سوءاتهم. ويجمل هيئاتهم. وحث على لباس التقوى وأخبر أنه خير لباس. وأشهد أن لا آله إلا الله وحده لا شريك له. له ملك السموات والأرض. واليه المصير يوم العرض. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ما ترك خيراً إلا دل أمته عليه ولا شراً إلا حذرها منه. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى قال الله تعالى: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون﴾ يمتن تعالى على عباده بما جعل لهم من اللباس والريش. واللباس المراد به ستر العورات وهي السوءات. والريش ما يتجمل به ظاهراً. فاللباس من الضروريات. والريش من التكميليات. روى الإمام أحمد قال: لبس أبو أمامة ثوباً جديداً. فلما بلغ ترقوته قال: الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي. ثم قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: (من أستجد ثوباً فلبسه فقال حين يبلغ ترقوته الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي ثم عمد إلى الثوب الخلق فتصدق به كان في ذمة الله وفي جوار الله وفي كنف الله حياً وميتاً). ولما أمتن سبحانه باللباس الحسي الذي يتخذ لستر العورة وتدفئة الجسم وتجميل الهيئة. نبه على لباس أحسن

منه وأكثر فائدة وهو لباس التقوى الذي هو التحلي بالفضائل. والتخلي عن الرذائل. ولباس التقوى هو الغاية وهو المقصود. ولباس الثياب معونة عليه. ومن فقد لباس التقوى لم ينفعه لباس الثياب. إذا المرأ لم يلبس ثياباً من التقى: تقلب عرياناً وإن كان كاسياً. ولباس التقوى يستمر مع العبد لا يبلي ولا يبيد. وهو جمال القلب والروح. ولباس الثياب إنما يستر العورة الظاهرة في وقت من الأوقات ثم يبلي ويبيد. وقوله تعالى: ﴿ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون﴾ أي ذلك المذكور لكم من اللباس مما تتذكرون به نعمة الله عليكم فتشكرونه. وتتذكرون بحاجتكم إلى اللباس الظاهر حاجتكم إلى اللباس الباطن. وتعرفون من فوائد اللباس الظاهر ما هو أعظم منها من فوائد اللباس الباطن الذي هو لباس التقوى.

عباد الله: إن اللباس من نعم الله على عباده التي يجب شكرها والثناء عليه بها. وان اللباس له أحكام شرعية تجب معرفتها والتقيد بها. فالرجال لهم لباس يختص بهم في نوعه وكيفيته. وللنساء لباس يختص بهن في نوعه وكيفيته. ولا يجوز لأحد الجنسين أن يشارك الآخر في لباسه، فقد لعن رسول الله - ﷺ - المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال. وقال - ﷺ -: (لعن الله المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة). رواه أحمد وأبو داود. ويحرم على الرجال اسبال الازار والثوب والبشت والسراويل. وهو من الكبائر والاسبال هو نزول الملبوس عن الكعبين. قال الله تعالى: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً ان الله لا يحب كل مختال فخور﴾ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله - ﷺ -: (من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة). رواه البخاري وغيره. وعن ابن عمر عن النبي - ﷺ - قال: (الاسبال في الازار والقميص والعمامة. من جر شيئاً خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة. وعن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال: (لا ينظر الله الى من جر ازاره بطراً). متفق عليه ولأحمد والبخاري: (ما

أسفل من الكعبين من الازار في النار) وقال عليه الصلاة والسلام: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب).

عباد الله: مع هذا الوعيد العظيم الوارد في حق المسبل نرى بعض المسلمين لا يهتم بهذا الأمر فيترك ثوبه أو بشته أو سراويله تنزل عن الكعبين وربما تلامس الأرض وهذا منكر ظاهر ومحرم شنيع وكبيرة من كبائر الذنوب. فيجب على من فعل ذلك أن يتوب إلى الله ويرفع ثيابه على الصفة المشروعة. قال عليه الصلاة والسلام: (إزرة المؤمن إلى نصف ساقيه ولا حرج عليه فيما بينه وبين الكعبين. ما كان أسفل من الكعبين فهو في النار). وبجانب أولئك المسبلين فريق من المستهترين الذين يرفعون لباسهم فوق الركبتين فتبدوا أفخاذهم أو بعضها كما يفعله بعض الفرق الرياضية في الملاعب ويفعله بعض العمال. والفخذان من العورة التي يجب سترها ويحرم كشفها. عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله - ﷺ - : (لا تبرز فخذك ولا تنظر إلى فخذ حي ولا ميت) رواه أبو داود وابن ماجة.

عباد الله: ومما يحرم على الرجال لبسه الحرير ففي الصحيحين: (أن رسول الله - ﷺ - قال: (من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة) وهذا وعيد شديد يدل على شدة تحريم لبس الحرير في حق الرجال وأن من لبسه منهم في الدنيا حرم لبسه في الآخرة حينما يلبسه أهل الجنة قال تعالى: ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله - ﷺ -: (إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له في الآخرة) متفق عليه. ويحرم على الرجال لبس الذهب أو شيء فيه ذهب سواء كان خاتماً أو حزاماً أو سلسلة أو في النظارتين أو الساعة - عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله - ﷺ - رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال: (يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده. فقيل

للرجل بعد ما ذهب رسول الله - ﷺ -: خذ خاتمك انتفع به. قال: (لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله - ﷺ -). وقد صار بعض المسلمين يتساهل في هذا الامر الخطير فيلبس خاتم الذهب ولا يبالي أنه بفعله هذا قد عصى الله ورسوله وحمل في يده جمرة من النار طيلة لبسه لهذا الخاتم. نعم لا يبالي بذلك ما دام أنه أتبع نفسه هواها وقلد من لا خلاق لهم من أوباش الناس وطغامهم. وبعض الشباب يتحلون بسلاسل الذهب تقليداً للنساء واغراقاً في الميوعة. ومتجاهلين ما في ذلك من فقد الرجولة وتعريض أنفسهم للوعيد الشديد بالعذاب الأليم لمن فعل ذلك.

عباد الله: إن الرسول - ﷺ - إنما حذرنا من هذه الأشياء. الاسبال في اللباس والتشبه بالنساء ولبس الحرير والتحلي بالذهب إنما نهانا عن هذه الأشياء لنتخلق بكل معاني الرجولة ونتصف بكامل المروءة - إذ العادة أنه لا يبالغ في الزينة والعناية بجسمه وثوبه ومركوبه وفراشه وأثاثه إلى درجة الافراط الا مترف لين - والرجل خشن بطبعه وكل ما تلين خفت رجولته ونقصت ذكورته. وعجز عن الكفاح والكد وما خلق له في معترك الحياة. وقد كان النبي - ﷺ - يلبس البرد الغليظ الحاشية ويفترش الحصير ويتوسد الجلد حشوه الليف. ويركب البعير والفرس والحمار والبغلة مرة بسرج ومرة بلا سرج ويردف خلفه وبين يديه ويمشي المسافة الطويلة على رجليه. ويأكل ما تيسر من الطعام ويأتدم بما تيسر من الادام. وقد قال الله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم وذكر الله كثيراً﴾. نفعني الله واياكم بهدي كتابه. وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

١٨٤ خطبة

في التحذير من التشبه بالكفار في عاداتهم وتقاليدهم

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين. وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام دينا. وحذرنا من تقليد الكفار والركون إلى الاشرار. لنكون أمة واحدة متماسكة. لها مكانتها وعزتها. وأشهد أن لا اله إلا الله لا رب لنا سواه. ولا نعبد إلا اياه. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين، فأغنى به بعد عيلة. وكثر به بعد قلة. وأعز به بعد ذلة. واستقامت ببعثته الملة، نبي شرح الله له صدره. ورفع له ذكره. وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره. - ﷺ - وعلى آله وأصحابه ومن تمسك بسنته وسار على نهجه إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون اتقوا الله تعالى - يقول الله لنبيه - ﷺ -: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾. ويقول سبحانه لنبيه - ﷺ -: ﴿فاستمسك بالذي أوحي اليك إنك على صراط مستقيم. وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾. ويأمرنا سبحانه بمثل ما أمر به نبينا فيقول: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾. أجل إن هذا الدين هو صراط الله المستقيم من سار عليه نجا. ومن حاد عنه هلك. وقد وفر الله في هذا الدين كل أسباب الفلاح والرقي والتقدم. فلو تمسكنا به حق التمسك لصرنا أرقى الناس. ولأصبح كل العالم يحتاج إلى ما عندنا ولسنا بحاجة إلى أحد غير الله.. ولكننا ضيعنا

ديننا فضعنا وصرنا نستورد من أعدائنا كل عادة سيئة. وكل خلق ذميم. وكل سنة جاهلية. فننشر ذلك في مجتمعنا ونربي عليه أولادنا ونساءنا دون تفكير في عواقبه. وتقدير لنتائجه. لنساير ركب الحضارة ونمشي مع الركب العالمي ـ ولو كان يسير إلى الهاوية ـ ولو كان يسعى إلى الهلاك ـ المهم أن لا نتخلف عنهم. وهم يخططون لنا أسباب هلاكنا ونحن ننفذها بكل اعتزاز وافتخار. وهم يحاولون القضاء على ديننا أو ابعادنا عنه. ونحن نساعدهم على ذلك ففي كل يوم ندفن جزءا من ديننا ونحل محله عادة غربية. أو سنة من سنن الجاهلية.. وصدق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث يقول: (إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية). إن ديننا لا يحرم علينا أن نستورد من الكفار المدفع والدبابة وسلاح القتال بأنواعه. وأن نستفيد من خبراتهم في مجال التقنية وخطط الصناعة. وديننا لا يحرم علينا التعامل مع الكفار في مجال التجارة المباحة وتبادل المنافع المفيدة. إنما الذي يحرمه ديننا أن نستورد منهم العادات السيئة والخصال الذميمة والتقاليد الفاسدة. ويحرم ديننا كذلك التشبه بهم فيما هو من خصائصهم. لما في ذلك من المفاسد العاجلة والآجلة. فلا نتشبه بهم في أعيادهم وعاداتهم. ولا نتشبه بهم في لباسهم وهيئاتهم.. ومن ذلك ما نسمعه دائما من جعل أسبوع للشجرة وعام للطفل وأسبوع للنظافة وعيد للأم وما إلى ذلك مما يمليه أعداؤنا ويتلقفه سفهاؤنا لينشروه بيننا ـ إن ديننا لا يخصص يوما من الأيام لعمل من هذه الأعمال فهو يحث على غرس الأشجار النافعة والزراعة المفيدة في كل وقت مناسب. وديننا يحث على تربية الأطفال والعناية بهم والاحسان إلى الأيتام منهم في كل الأوقات وفي جميع الساعات. يقول ـ ﷺ ـ: (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع). ويقول ـ ﷺ ـ: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) والله تعالى يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً

وقودها الناس والحجارة﴾ . وإن ديننا يأمر بالنظافة في كل وقت ويحث على التجمل في الثياب والهيئة ويرغب في استعمال الطيب. ويوجب الوضوء للصلاة والإغتسال ةمن الجنابة ويأمر بتجنب الأنجاس والقاذورات. وديننا يأمر بالاحسان إلى الوالدين وصلة الأرحام والاحسان إلى الفقراء والأيتام في كل وقت وفي كل فرصة حسب الامكان.. إن ديننا كمال كله. وخير كله. لو تمسك به المسلمون ونفذوه على وجهه الصحيح لأصبح العالم كله بحاجة اليهم وليسوا بحاجة إلى أحد سوى الله - ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ . ﴿وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ثم إن الله شرع على لسان خاتم النبيين من الأعمال ما فيه صلاح الخلق على أتم الوجوه وهو الكمال المذكور في قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ ولهذا أنزل الله هذه الآية في أعظم أعياد الأمة الحنيفية فإنه لا عيد أعظم من العيد الذي يجتمع فيه شرف المكان والزمان وهو عيد النحر ولا عين من أعيان هذا النوع أعظم من يوم كان قد أقامه رسول الله - ﷺ - بعامة المسلمين وقد نفى الله الكفر وأهله. والشرائع هي غذاء القلوب وقوتها. كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ويروى مرفوعاً: (إن كل آدب يحب أن تؤتى مأدبته وإن مأدبة الله هي القرآن) ومن شأن الجسد إذا كان جائعاً فأخذ من طعام حاجته استغنى عن طعام آخر.. فالعبد إذا أخذ من غير الأعمال المشروعة بعض حاجته قلت رغبته في المشروع وانتفاعه به بقدر ما اعتاض عنه من غيره - بخلاف من صرف نهمته وهمته إلى المشروع فإنه تعظم محبته له ومنفعته به ويتم دينه به ويكمل اسلامه. ولهذا تجد من أكثر من سماع الأغاني تنقص رغبته في سماع القرآن حتى ربما يكرهه. ومن أكثر من السفر إلى زيارة المشاهد ونحوها لا يبقى لحج البيت المحرم في قلبه من المحبة والتعظيم ما يكون في قلب من وسعته السنة. ومن أدمن على أخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم لا يبقى لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذاك الموقع. ومن أدمن على

قصص الملوك وسيرهم لا يبقى لقصص الأنبياء وسيرهم في قلبه ذاك الاهتمام ـ ونظائر هذا كثيرة. ولهذا جاء في الحديث عن النبي - ﷺ - (ما ابتدع قوم بدعة إلا نزع الله عنهم من السنة مثلها) رواه الامام أحمد ـ إلى أن قال: فالمشابهة والمشاكلة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدريج الخفي.. والمشاركة في الهدى الظاهر توجب أيضاً مناسبة وائتلافاً وإن بعد المكان والزمان.. فمشابهتهم في أعيادهم ولو بالقليل هي سبب لنوع ما من اكتساب أخلاقهم التي هي ملعونة. وقال رحمه الله. على قوله - ﷺ -: (من تشبه بقوم فهو منهم) وهذا الحديث أقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبه بهم. وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ وهو نظير ما سنذكره عن عبد الله بن عمرو أنه قال: (من بني بأرض المشركين وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت حشر معهم يوم القيامة) انتهى كلامه رحمه الله.

فانتبهوا لأنفسكم أيها المسلمون. واشكروا الله على ما هداكم إليه من هذا الدين وتمسكوا به ولا تبتغوا به بديلا إن كنتم تريدون السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء. بعضهم أولياء بعض﴾ الآيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

١٨٥ خُطْبة

التحذير من الثقة بالكفار

الحمد لله الذي حذرنا من الركون إلى الكفار. لما فيه من الأضرار. وأشهد أن لا آله إلا الله يخلق ما يشاء ويختار. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد الأبرار. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه المهاجرين منهم والأنصار. وسلم تسليما كثيراً. ما اختلف الليل والنهار. أما بعد أيها الناس اتقوا الله واعلموا أن الله سبحانه وتعالى حذرنا من الثقة بالكفار والاطمئنان اليهم. وبين لنا أنهم لا يريدون لنا الخير. وأنهم يبغضوننا أشد البغض. ويحسدوننا أشد الحسد. وأنهم لا يألون جهداً في انزال الضرر بنا والقضاء على ديننا وارجاعنا إلى الكفر. قال تعالى: ﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم﴾ وقال تعالى: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم﴾ وقال تعالى: ﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾ وقال تعالى: ﴿إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون﴾ إلى غير ذلك من الآيات التي تحذر من وضع الثقة بالكفار وتبين مكائدهم. فما زال الكفار منذ بعثة رسول الله - ﷺ - ونزول القرآن يخططون للقضاء على الإسلام والمسلمين ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ فهم تارة يحاولون القضاء على الإسلام بالغزو المسلح. وتارة ببث الدسائس في صفوف المسلمين. وتارة بالمكر والخديعة واظهار

النصح والصداقة وهكذا كلما عجزوا من باب جاءوا من باب آخر وإذا لم يتمكنوا من انزال الضرر بجماعة المسلمين حاولوا انزاله بافرادهم. هذا وديننا واضح كل الوضوح ببيان مكائدهم وفضح دسائسهم. لكن قد يصيبون من المسلمين غرة ويهتبلون منهم غفلة فيقذفون سمومهم في جسم الأمة الإسلامية فإذا تنبه المسلمون لهم ورجعوا إلى دينهم رد الله كيدهم في نحورهم وكفى المسلمين شرهم.

أيها المسلمون: وإن كيد الكفار للمسلمين في هذه الزمان قد تزايد. وتأثيرهم عليهم قد تضاعف نتيجة لغفلة المسلمين عنهم وتساهلهم في شأنهم ووضع الثقة فيهم. وهذا مصداق ما أخبر به النبي - ﷺ - بقوله :(يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها. قالوا أمن قلة نحن يا رسول الله. قال لا. أنتم يومئذ كثير. ولكنكم غثاء كغثاء) ومن تمام الابتلاء ما أعطى الكفار في زماننا هذا من مهارة في الاختراع والصناعة ومعرفة بنظام الحياة الدنيا مما حرم منه المسلمون نتيجة لتكاسلهم وتفككهم مع أن الأجدر أن يكون المسلمون هم السابقين في كل مجال لأن دينهم يأمرهم بذلك ويريد منهم أن يكونوا هم القادة ويكون الكفار تابعين لهم - كما كان أسلافهم كذلك. لكن حينما تخلى المسلمون عن مكانتهم في العالم وضيعوا دينهم ضاعوا وصاروا عالة على الكفار في كل شيء. فانتهز الكفار حاجة المسلمين إليهم فصاروا لا يعطونهم شيئاً مما بأيديهم إلا بدفع الثمن غالياً من دينهم وأموالهم وأوطانهم. وصار المسلمون يدفعون أولادهم إلى بلاد الكفار ليكسبوا من خبراتهم ويتعلموا في مدارسهم ما به يدفعون حاجة بلادهم في مجال الصناعة والتنظيم. هذا قصد المسلمين من ارسال أولادهم إلى الكفار. ولكن الكفار لهم مقصد يخالف قصد المسلمين. وهو افساد أولاد المسلمين وسلخهم من دينهم وتلقينهم الالحاد والزندقة واغراقهم في الشهوات المحرمة. حتى يرجع كثير منهم إلى بلادهم بلا دين ولا خلق. وبالتالي بلا تعلم مفيد - وهذا ما يريده الكفار بالمسلمين يريدون أن يبقوا بحاجة إليهم دائماً ويريدون أن يفسدوا أولاد المسلمين حتى

يصبحوا حربة في نحور المسلمين - وقد سنحت لهم الفرصة. وصدق الله العظيم ﴿لا يألونكم خبالا ودواما عنتم﴾ كم أرسل المسلمون أولادهم الأفواج تلو الأفواج فماذا استفادوا من تلك البعثات - لقد خسروا أولادهم ولم تسدد حاجتهم ولم يستغنوا عن الكفار.. أيها المسلمون: والأدهى من ذلك أن بعض المسلمين قد بلغ من ثقتهم بالكفار واحسان الظن بهم أن استقدموا منهم مربين ومربيات لأولادهم وأدخلوهم في بيوتهم وسلموهم أولادهم الصغار فانتهز هؤلاء المربون الفرصة ليغيروا فطرتهم وينشئوهم على دين الكفر أو يفسدوا أخلاقهم. وقد حصلت وقائع ومواقف لأولئك المربين مع أولاد المسلمين يلقنونهم دين النصارى ويحذرونهم من دين المسلمين ويغرسون فيهم عقائد الالحاد، وفريق آخر من المسلمين يستقدمون سائقين من الكفار لعوائلهم يدخلون بيوتهم ويخلون بنسائهم وأولادهم فما ظنكم بنتائج هذا العمل حينما مكنوا أعداءهم من أنفسهم وأطلعوهم على سرائرهم. والفريق الآخر من المسلمين يستقدم الكفار للعمل في متجره أو مؤسسته. حتى كثر عدد الكفار في بلاد المسلمين مصطحبين معهم عوائدهم وتقاليدهم الكفرية - أيها المسلمون تنبهوا لأنفسكم واتقوا الله في دينكم واولادكم وبلادكم. من اضطر إلى استقدام مربيات أو خدمات أو استقدام عمال فليستقدم من المسلمين الصالحين وهم كثير. وخطرهم مأمون وعندهم من الخبرة والنصح ما ليس عند الكفار. واعلموا أنه لا يجوز استقدام النساء إلا مع محارمهن ولا يجوز للمسلم أن يخلو بامرأة وهو ليس محرما لها سواء كانت خادمة أو غير خادمة. فلا تتساهلوا في هذا الأمر فإنه خطير على أنفسكم وأولادكم وكفوا عن استقدام الأجانب إلا بقدر الضرورة مع الضوابط والضمانات التي تقي المسلمين خطرهم وضررهم. واسمعوا قول الله تعالى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾. الآية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١٨٦ خطبة

في التحذير من مخالطة الأشرار

الحمد لله الذي أمر بمصاحبة الأخيار ونهى عن مصاحبة الأشرار. فقال: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾ وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له بين لعباده طرق الخير ليسلكوها. وبين لهم طرق الشر ليجتنبوها. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رغب في اختيار الجليس الصالح وحذر من جليس السوء ـ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: عباد الله اتقوا الله واعلموا أن الإنسان في هذه الحياة لا يستطيع أن يعيش وحده في عزلة تامة عن الناس فهو بحاجة إلى مخالطتهم ومجالستهم. وهذا الاختلاط لا بد أن تكون له آثار حسنة أو قبيحة ـ حسب نوعية الجلساء والخلطاء. ومن هنا تظافرت نصوص الكتاب والسنة على الحث على اختيار الجليس الصالح والابتعاد عن الجليس السيء ـ قال الله تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾. وقال تعالى: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ـ وأما ينسنك الشيطان فلا تعقد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ وقال ـ ﷺ ـ: (مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ـ فحامل المسك أما

أن يحذيك وأما أن تبتاع منه. وأما أن تجد منه ريحا طيبة. ونافخ الكير أما أن يحرق ثيابك وأما أن تجد منه ريحا خبيثة﴾ متفق عليه.

أيها المسلم: اجعل هذا الحديث الشريف دائماً على بالك وأنت تخالط الناس في الأسـواق والمجـالس. وفي البيـوت والمدارس. وفي المكـاتـب والدوائر. وفي كل مجال تخالط فيه الناس فاختر لصحبتك ومجالستك ومشاركتك في مزاولة أي عمل. اختر الصالحين من الناس ليكونوا لك جلساء وزملاء وشركاء وحاشية ومستشارين. فهذا الحديث الشريف يفيد أن الجليس الصالح جميع أحوال صديقه معه خير وبركة ونفع ومغنم. مثل حامل المسك الذي تنتفع بما معه اما بهبة أو ببيع أو أقل شيء تكون مدة جلوسك معه قرير العين منشرح الصدر برائحة المسك ـ جليسك الصالح يأمرك بالخير وينهاك عن الشر ويسمعك العلم النافع والقول الصادق والحكمة البالغة. ويعرفك عيوب نفسك ويشغلك عما لا يعنيك. يجهد نفسه في تعليمك وتفهيمك. واصلاحك وتقويمك. إذا غفلت ذكرك. وإذا أهملت أو مللت بشرك وانذرك. يحمي عرضك في مغيبك وحضرتك. أولئك القـوم لا يشقـى بهم جليسهـم. تنـزل عليهـم الرحمة فتشـاركهـم فيها ـ وأقل ما تستفيده من الجليس الصالح ـ وهي فائدة لا يستهان بها ـ أن تنكف بسببه عن السيئات والمعاصي رعاية للصحبة ومنافسة في الخير وترفعا عن الشر ـ وفوائد الأصحاب الصالحين لا تعد ولا تحصى وحسب المرء أن يعتبر بقرينه، وأن يكون على دين خليله.

وصحبة الصالحين ينتفع بها حتى البهائم ـ كما حصل للكلب الذي كان مع أصحاب الكهف فقد شملته بركتهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال العجيبة وصار له ذكر وخَبر وشأن. أما صحبة الأشرار فإنها السم الناقع. والبلاء الواقع. فهم يشجعون على فعل المعاصي والمنكرات ويرغبون فيها ويفتحون لمن جالسهم وخالطهم أبواب الشرور. ويسهلون له سبل المعاصي. فقرين السوء إن لم تشاركه في اساءته أخذت بنصيب وافر

من الرضا بما يصنع. والسكوت على شره - فهو كنافخ الكير على الفحم الملوث. وأنت جليسه القريب منه يحرق بدنك وثيابك ويملاء أنفك بالروائح الكريهة. وفي مجالس الشر تقع الغيبة والنميمة والكذب والشتم والكلام الفاحش ويقع اللهو واللعب وممالأة الفساق على الخوض في الباطل فهي ضارة من جميع الوجوه لمن صاحبهم. وشر على من خالطهم. فكم هلك بسببهم أقوام. وكم قادوا أصحابهم إلى المهالك من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون.

واليكم: واقعتين ومأساتين حصلتا بسبب صحبة الأشرار - الواقعة الأولى: ورد أن عقبة بن أبي معيط كان يجلس مع النبي - ﷺ - بمكة ولا يؤذيه وكان بقية قريش إذا جلسوا معه يؤذونه. عليه الصلاة والسلام. وكان لابن أبي معيط خليل كافر غائب في الشام. فظنت قريش أن ابن أبي معيط قد أسلم فلما قدم خليله من الشام وبلغه ذلك غضب عليه غضباً شديداً وأبى أن يكلمه حتى يؤذي النبي - ﷺ - فنفذ ما طلب منه خليله الكافر وآذى النبي - ﷺ - فكانت عاقبته أن قتل يوم بدر كافراً. وأنزل الله فيه قوله تعالى: ﴿ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا. يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا. لقد أضلني عن الذكر بعد إذا جائني وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾. وهي عامة في كل من صاحب الظلمة فأضلوه عن سبيل الله فإنه سيندم يوم القيامة على مصاحبتهم وعلى الاعراض عن طريق الهدى الذي جاء به الرسول - ﷺ -.

الواقعة الثانية: روى البخاري ومسلم عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله - ﷺ - وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل. فقال له يا عم قل لا اله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقالا له أترغب عن ملة عبد المطلب فأعاد عليه النبي - ﷺ - فأعادا فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا اله الا الله فقال النبي - ﷺ - لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله عز

وجل: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى﴾ - الآية. وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾ ففي هذه الواقعة التحذير الشديد من مصاحبة الأشرار وجلساء السوء - وفي يوم القيامة يقول القرين لقرينه من هذا الصنف: ﴿ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين﴾ ألا فانتبهوا يا عباد الله لأنفسكم وجالسوا أهل البر والتقوى وخالطوا أهل الصلاح والاستقامة. وابتعدوا وأبعدوا أولادكم عن مخالطة الأشرار ومصاحبة الفجار - خصوصاً في هذا الزمن الذي قل فيه الصالحون وتلاطمت فيه أمواج الفتن. فإن الخطر عظيم. والمتمسك بدينه غريب بين الناس وقد وقع ما أخبر به النبي - ﷺ - بقوله بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء - قيل ومن الغرباء يا رسول الله قال الذين يصلحون إذا فسد الناس - وفي رواية يصلحون ما أفسد الناس - وفي رواية هم النزاع من القبائل. فتنبهوا لذلك وفقكم الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون. الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين. يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون. الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين. إدخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون. يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون. وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون. لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

١٨٧ خطبة

في التحذير من التشبه بالكفار

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام دينا وجعلنا خير أمة أخرجت للناس إن تمسكنا بشرعه وسرنا على نهجه وابتعدنا عما يخالفه. وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه ليس له شريك في ملكه. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله حذر من التشبه بالكفار لما فيه من الضرر في الدين والدنيا ـ فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه تمسك بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد: أيها المسلمون اتقوا الله واعلموا أن الواجب على المسلم أن يعتز باسلامه ويشرف بدينه لأن دينه الإسلام الذي يعلو ولا يعلى عليه وقد أظهره الله على الدين كله. تعاليمه رشد وآدابه كمال ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ فلا بد أن يعرف المسلم نبيه حق المعرفة وما جاء به ويصدقه فيما أخبر به ويطيعه فيما أمر فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة إلا على أيدي الرسل ولا سبيل إلى معرفة الطيب من الخبيث على التفصيل إلا من جهتهم ولا ينال رضا الله إلا على أيديهم فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق كله في هديهم وما جاءوا به. فهم الميزان الذي توزن به الأعمال والأقوال والأخلاق، قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾.

فما بال أقوام ينتسبون إلى هذا الدين ثم يخالفونه في أخلاقهم وعاداتهم فيتشبهون بالكفار في شتى المجالات عن عمد واصرار. وقد روى أبو داود الحاكم في المستدرك عن ابن عمر عن النبي - ﷺ - أنه قال(من تشبه بقوم فهو منهم). وفي الترمذي عنه - ﷺ - (ليس منا من تشبه بقوم غيرنا) إن التشبه بالكفار في الظاهر يدل على مودتهم في القلب وذلك ينافي الايمان قال تعالى: ﴿لا تجد قوما عن يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾. إن التشبه بالكفار تنكر للإسلام واستبدال لتعاليمه بغيرها وكفى بذلك ذما واثما.

أيها المسلمون: إن مما يندي له الجبين ويحزن له القلب ما تفشى في مجتمعنا من أنواع التشبه بالكفار بين الرجال والنساء والشباب.

فمن أنواع التشبه بالكفار الفاشية بين الرجال حلق اللحاء وتوفير الشوارب فراراً من سنة رسول الله - ﷺ - الثابتة عنه فلقد كان من هديه الكامل وأخلاقه اعفاء اللحية وجز الشارب أو قصه قال جابر ابن سمرة رضي الله عنه كان النبي - ﷺ - كثير شعر اللحية لأنه - ﷺ - كان يعفي لحيته. وكذلك الأنبياء الكرام قبله فقد ذكر الله تعالى عن هرون أنه قال لموسى: ﴿يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾ وقد أمر النبي - ﷺ - بتوفير اللحية واحفاء الشوارب ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي - ﷺ - قال: (وفروا اللحي وأحفوا الشوارب) فتمسكوا أيها المسلمون بهدى نبيكم - ﷺ - فهو خير لكم في الدنيا والآخرة.

يا من تحلقون لحاكم وتوفرون شواربكم اعلموا أنكم قد عصيتم نبيكم - ﷺ - فبادروا بالتوبة فالرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل - إنكم ربما تنظرون إلى أناس يحلقون لحاهم فتريدون مجاراتهم - وهذا استسلام للهوى وضعف في الايمان لأن الذي يجب

الاقتداء به وهو رسول الله - ﷺ - وهذه سنته في اللحية واضحة وضوح الشمس فلا عذر لمن تركها . ربما يظن بعض الناس أن قضية توفير اللحية أو حلقها من الأمور العادية التي يتبع فيها عادة الناس وهذا ظن باطل - لأن النبي - ﷺ - أمر بتوفير اللحي - وأمره واجب الامتثال وان خالفه عادات الناس . وإن التمسك بالسنة مع كثرة المخالفين لها دليل على صدق الإيمان وقوة العزيمة . وشهامة الرجولة . ومن استبانت له سنة الرسول - ﷺ - لم يكن له أن يدعها . لأجل الناس .

ومن أنواع التشبه بالكفار ما ابتلي به كثير من شباب المسلمين من ابقاء الشعور واطالة الأظافير وغيرها تقليداً لسفلة العالم المسمين الهيبيين والخنافس؛ وجماعة من الشباب ابتلوا بالميوعة وتقليد النساء في النعومة ولبس خواتيم الذهب المحرمة والتحلي بالسلاسل وغيرها .

فيا شباب المسلمين لا يجرفنكم سيل المدنية الحديثة الخبيثة . ولا يصرفنكم الشيطان عن صفات الرجولة والشجاعة لا تشبهوا بالنساء في تصفيف الشعور وتنسيق الثياب . انه لا يبالغ في الزينة والعناية بجسمه وثوبه ومركوبه وفراشه ألا مترف لين . لأن الرجل خشن بطبعه وكل ما تلين خفت رجولته ونقصت ذكورته وعجز عن الكفاح والقيام بما خلق له في معترك الحياة . فرجل العمل لا يشغل وقته بما أصيب به كثير من شباب اليوم الذين لا يخرجون إلى أعمالهم - إن كانت لهم أعمال - إلا بعد أن يمضي ساعة تحت المرآة يخلي وجهه من اللحية ويسرح شاربه وشعر رأسه فيالله أين الرجولة والشهامة . وأين الدين والاستقامة ، ومن لنا بشباب الصحابة الذين هم عباد في الليل أسود في النهار .

أيها الشباب خلقتم لتخلفوا آباءكم في الذود عن الدين والجهاد في سبيل الله والحفاظ على المحارم وحماية الذمار والدفاع عن الديار - فكونوا خير خلف لخير سلف . وتسلموا مسئوليتكم بقوة . فلستم كشباب الكفار الضائع الذي لا دين له يدافع عنه ولا عرض له يصونه ، ولا كرامة يحافظ عليها .

ومن أنواع التشبه بالكفار ما ابتلي به كثير من نساء المسلمين من التشبه بالكافرات في لباسهن وسمتهن فيلبسن ثيابا لا تسترهن أما لقصرها بحيث تظهر السيقان والأذرع والأعضاء والنحور والصدور. أو ثيابا ضيقة تصف حجم الجسم وتقاطيعه وتظهر مفاتنه. يضاف إلى ذلك التساهل في كشف الوجوه أو سترها بساتر خفيف لا يخفي لونها ولا يستر جلدها. وكذلك ما يفعلن برؤسهن من جمع شعورهن وربطها من فوق متدلية إلى القفا. وقد ثبت عن النبي - ﷺ - أنه قال: (صنفان من أهل النار لم أرهما بعد. قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء مائلات مميلات رؤسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا).

أيها المسلمون: قال الله تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ فقوموا على نساءكم من زوجات وبنات وأخوات وسائر الموليات امنعوهن مما حرم الله وألزموهن بما أمر الله - ﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة﴾.

أيها المسلمون: تجنبوا مشابهة الكفار واقتدوا بنبيكم فهو القدوة الحسنة ولا تتساهلوا في هذا الأمر - ادرسوا سيرة نبيكم - ﷺ - وقلدوه فيها فإنها طريق السعادة والرقي والفلاح.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ ...

بسم الله الرحمن الرحيم

١٨٨ خطبة

في خطر السفر الى بلاد الكفر

الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام. وأمرنا التمسك به حتى نصل إلى دار السلام. وأشهد أن لا آله الا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. حذرنا عن كل ما يضر بديننا أو يمس كرامته من الأقوال والأفعال. ليكون لنا هذا الدين عزاً في الدنيا وسعادة في الآخرة. فصلى الله وسلم على هذا النبي الكريم الذي لم يترك خيراً إلا دل الأمة عليه. ولا شراً إلا حذرها منه رحمة بها ونصحا لها. فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير ما يجزى به نبيا عن أمته ودينه.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله واحتفظوا بدينكم. أيها المسلمون: إنكم تعلمون اليوم ما تموج به البلاد الخارجية الكافرة من كفر والحاد وانحطاط في الأخلاق والسلوك. فالالحاد فيها ظاهر. والفساد فيها منتشر. فالخمور والزنا والاباحية وسائر المحرمات مبذولة بلا رادع ولا وازع. وإذا كان الحال كذلك وأكثر منه فالسفر إلى هذه البلاد فيه من الخطورة على الدين ما فيه. وأعز شيء لدى المسلم دينه فكيف يعرضه لهذا الخطر الشديد ـ إن الإنسان لو كان معه مال وسمع أنه سيعترضه خطر يهدده بضياع هذا المال لرأيته يعمل أعظم الاحتياطات لحفظه. فكيف يعظم في عينه المال ويهون عليه الدين. قال بعض السلف: إذا عرض بلاء فقدم مالك دون نفسك. فإن تجاوز البلاء فقدم نفسك دون دينك.. نعم يجب

تقديم النفس دون الدين. ولذلك شرع الجهاد الذي فيه القتل حفاظاً على الدين. لأن الإنسان إذا فقد الدين فقد فقد كل شيء. وإذا أعطى الدين فقد أعطى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة.

أيها المسلمون: إن السفر إلى بلاد الكفار خصوصاً في هذا الزمان الذي عظمت فيه الفتنة وتنوعت ـ إن السفر إلى تلك البلاد لا يجوز إلا في حالات محدودة تصل إلى حد الضرورة مع التحفظ والحذر والابتعاد عن مواطن الفساد. وتكون اقامة المسلم هناك يقدر الضرورة مع اعتزازه بدينه واظهاره. ومحافظتـه على الصلـوات في أوقـاتها.. واعتـزاله عـن مجمعـات الفساد. وجلساء السوء. فاعتزاز المسلم بدينه يزيده عزاً ورفعة حتى في أعين الكفار. إن المسلم يحمل دينا عظيما يشتمل على كل معاني الخير وحميد الخصال. صحة في الاعتقاد. ونزاهة في العرض. واستقامة في السلوك. وصدقاً في المعاملة. وترفعاً عن الدنايا. وكمالاً في الأخلاق. إن المسلم يحمل الدين الكامل الذي اختاره الله لأهل الأرض كلهم إلى أن تقوم الساعة ـ إن المسلم هو المثال الصحيح للكمال الإنساني... وإن ما عدا الإسلام فهو انحطاط وهبوط ورجوع بالانسانية إلى مهاوي الرذيلة ومواطن الهلاك. فيجب على المسلم إذا اضطر إلى السفر إلى تلك البلاد الكافرة أن يحمل هذا الدين بقوة وأن يظهره بشجاعة أمام أعدائه والذين يجهلون حقيقته بالمظهر اللائق حتى يكون قدوة صالحة لغيره. إن كثيراً ممن يذهبون إلى تلك البلاد يشوهون الإسلام بأفعالهم وتصرفاتهم. يشوهونه عند من لا يعرف حقيقته. ويصدون عنه من يتطلع إليه. ويريد الدخول فيه. فحينما يرى تصرفات هؤلاء ينفر عن الإسلام ظناً منه أنهم يمثلونه.

أيها المسلمون: إن بلاد الكفار فيها من مظاهر الحضارة الزائفة ودواعي الفتنة ما يخدع ضعاف الإيمان فتتعظم تلك البلاد وأهلها في صدورهم وتهون في أنظارهم بلاد الإسلام. ويحتقرون المسلمين. لأنهم ينظرون إلى المظاهر ولا ينظرون إلى الحقائق ـ فبلاد الكفر وإن كانت

تكسي بالمظاهر البراقة الخادعة إلا أن أهلها يفقدون أعز شيء وهو الدين الصحيح الذي به تطمئن قلوبهم وتزكوا به نفوسهم وتصان به أعراضهم وتحقن به دماؤهم وتحفظ به أموالهم - إنهم يفقدون كل تلك المقومات فماذا تفيدهم تلك المظاهر الخادعة. عقائدهم باطلة. وأعراضهم ضائعة. وأسرهم متفككة. فماذا يفيد جمال البنيات مع فساد الإنسان.

أيها المسلمون: إن أعداءكم يخططون الخطط لسلب أموالكم وافساد دينكم والقضاء عليكم. قال تعالى: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق﴾. وقال تعالى: ﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم﴾ وقال تعالى: ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم أن استطاعوا﴾. وقال تعالى: ﴿ودوا لو تفكرون كما كفروا فتكونون سواء﴾.. إنكم إذا سافرتم اليهم في بلادهم تمكنوا من اغوائكم واغرائكم بشتى الوسائل حتى يسلبوكم دينكم أو يضعفوه في نفوسكم.. إنهم بثوا دعوة لشباب المسلمين في الصحف اعلنوا لهم فيها عن تسهيل رحلات سياحية إلى بلادهم ووعدوهم أن يبذلوا لهم كثيراً من المغريات.. وغرضهم من ذلك إفساد هؤلاء الشباب واغراقهم في بحار الشهوات البهيمية حتى يرجعوا إلى بلاد المسلمين معاول هدم وتخريب فيتمكن هؤلاء الكفار من القضاء على المسلمين بأيدي أولادهم.

أيها المسلمون: إنه لمن المحزن أن أصبح السفر إلى بلاد الكفار موضع افتخار بعض المخدوعين من المسلمين فيفتخر أحدهم بأنه ابتعث أو سيبتعث إلى أمريكا أو أن له ولداً يدرس في أمريكا أو في لندن أو فرنسا. إنه يفتخر بذلك دون تفكير في العواقب أو تقدير للنتائج. ودون تحسب لتلك الأخطار التي تهدد دينه.. وبعض المسلمين يسافرون بعوائلهم للمصيف هناك أو للسياحة. دون اعتبار لحكم الشرع في ذلك السفر هل يجوز أولا.. ثم إذا ذهبوا هناك ذابت شخصيتهم مع الكفار فلبسوا

لباسهم واقتدوا بأخلاقهم حتى نساؤهم يخلعن لباس الستر ويلبسن لباس الكافرات.. وإذا كان هذا تحول الظاهر فما بالك بتحول الباطن. إن المسلم مطلوب منه أن يتقي الله في أي مكان. وأن يتمسك بدينه ولا يخاف في الله لومة لائم. لماذا يعطي الدنيَّة في دينه. إنه دين العزة والكرامة والشرف في الدنيا والآخرة. ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾. وإن أخلاق الكفار وتقاليدهم ذلة ومهانة ونقص. فكيف يستبدل المسلم الذي هو أدنى بالذي هو خير. كيف يتنازل من عليائه إلى الحضيض.. ومن العجيب أن الكفار إذا جاءوا إلى بلاد المسلمين لا يغيرون أزياءهم ولا يتحولون عما هم عليه. ونحن على العكس إذا ذهبنا اليهم فالكثير منا يتحول إلى عاداتهم في لباسهم وغيره.. والبعض يتعلل بأنه لو لم يفعل ذلك لخشي على نفسه أو ماله أن يتعدى عليه. وهذا اعتذار غير مقبول. لأننا نرى الذين يبقون بلباسهم ويعتزون بدينهم يرجعون وهم موفوروا الكرامة لا ينالهم أي أذى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾ ولئن قبلت هذه المعذرة من بعض الأفراد الذين لا يحسب لهم حساب. فلن تقبل ممن هم على مستوى المسئولية ومن يكونون محل اهتمام الدول التي يقدمون عليها ومع هذا يغيرون لباسهم من غير مبرر.. إنه التقليد الأعمى وعدم المبالاة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أيها المسلمون: إن خطر السفر إلى بلاد الكفار عظيم وضرره جسيم وإن من سافر إلى تلك البلاد من غير ضرورة. بل بدافع الهوى وميل النفس الأمارة بالسوء. واقتداء بمن لا يصلحون للقدوة فهذا حريٌّ أن يعاقب وأن يصاب في دينه. وبعض الناس يرسل أولاده الصغار أو بعضهم أو يسمح بابتعاثهم إلى بلاد الكفار لـيتعلموا اللغة أو غيرها هناك دون تفكير في العواقب ولا تقدير للنتائج ودون خوف من الله الذي حمله مسئولية هؤلاء الأولاد. وإذا كان الأولاد الصغار على خطر وهم في بلادنا وبين المسلمين فكيف إذا أرسلوا إلى بلاد كافرة منحلة وعاشوا في أوكار

الفساد. ومواطن الالحاد. إن الشاب من أولادنا المبتعثين يغمس في وسط عائلة كافرة ليعيش معهم طيلة بقائه هناك. فماذا تصورون من شاب غريب في وسط كافر منحل ماذا سيبقى معه من الدين والخلق. فاتقوا الله في أولادكم لا تهلكوهم بحجة أنهم سيتعلمون. إن التعلم ميسور هنا. فاللغة يمكن تعلمها هنا بدون مخاطرة. وبقية التخصصات لا يبتعث لها إلا من كبار السن ومن الذين رسخت عقيدتهم وقويت عقليتهم. مع الرقابة الشديدة عليهم. فالدين رأس المال. وماذا بعد ذهاب الدين. واتقوا الله أيها المسلمون وأشكروه على ما أعطاكم من النعم العظيمة التي أجلها نعمة الإسلام فلا تعرضوا هذه النعمة للزوال. حافظوا على دينكم الذي هو عصمة أمركم ﴿واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾.

حكم ومواعظ توجب شكر رب العالمين

مختار من كلام أحد العلماء

رحمه الله تعالى

باب

في حكمة خلق الماء

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم يعدلون ﴾ .

انظر وفقك الله إلى ما مَنَّ به سبحانه وتعالى على عباده بوجود الماء العذب الذي به حياةُ كلِ ما على وجه الأرض مِن حيوان ونبات ، فلو اضطر الإنسان إلى شربة منه ومنع لهان عليه أن يبذل فيها جميع ما يمكنه مِن خزائن الدنيا .

والعجب ما غفله العباد عن هذه النعمة العظيمة ، وانظر مع شدة الحاجة إليها كيف وسع سبحانه على العباد فيها ؟ ولو جعلها بقدر لَضَاقَ الأمرُ فيها . وعظم الحرج على كلِ مَن سكن الدنيا .

ثَم أنظر لطافة الماء ورقته حتى ينزل من الأرض ويخلخل أجزاءها فتتغذى عروق الشجر ، ويصعد بلطافته بواسطة حرارة الشمس إلى أعالى الشجر والنبات ، وهو من طبعه الهبوط . ولما كانت الضرورة تدعو إلى شربه لإماعة الأغذية في أجواف الحيوان ليتصرف الغذاء إلى موضعه جعل لشاربه في شربه لذة عند حاجته إليه وقبوله له ، ويجد شاربه فيه نعيماً وراحة وجعله مزيلًا للأدران عن الأبدان ، والأوساخ عن الثياب وغيرها ، وبالماء يَبلُّ التُرابُ

فيصلح للبناء والأعمال ، وبه يُرطَّبُ كل يابس مما لا يمكن استعماله يابساً ، وبه ترق الأشربة فيسوغ شربها ، وبه تطفأ عاذبة النار إذا وقعت فيها ، فلا تلتهب فيه ، وأشرف الناس منها على ما يكرهون ، وبه تزول الغصة إذا أشرف صاحبها على الموت ، وبه يغتسل التعب الكل فيجد الراحة لوقته ، وبه تستقيم المطبوخات وجميع الأشياء التي لا تستعمل ولا تصلح إلا رطبة ، إلى غير ذلك من مآرب العباد التي لا غنى لهم عنها .

فانظر في عموم هذه النعمة وسهولة تناولها مع الغفلة عن قدرها مع شدة الحاجة إليها ، فلو ضاقت لكدرت الحياة في الدنيا ، فعلم بهذا أن الله تبارك وتعالى أراد بإنزاله وتيسيره عمارة الدنيا بما فيها من حيوان ونبات ومعدن إلى غير ذلك من المنافع التي يقصر عنها الوصف لمن يروم حصرها ، فسبحان المتفضل العظيـم .

بـاب
الحكمـة في خلـق الهـواء

قال الله تعالى : ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ﴾[1] .

اعلم رحمك الله أن الهواء في خلقه تتخلله الرياح ، ولولا ذلك لهلك جميع حيوان البر ، وباستنشاقه تعتدل الحرارة في أجسام جميع الحيوانات لأنه لها مثل الماء لحيوان البحر ، فلو انقطع عن الحيوان استنشاقه انصرفت الحرارة التي فيها إلى قلبها ، فكان هلاكها بسبب ذلك .

ثم انظر إلى الحكمة في سوق السحاب به ، فيقطع المطر بانتقال السحاب في موضع يحتاج إلى المطر فيها للزراعة ، فلولا لطف الباري بخلق الرياح لثقلت السحاب وبقيت راكدة في أماكنها ، وامتنع انتفاع الأرض بها .

ثم أنظر كيف تسير السفن بها وتنتقل بحدوثها وهبوبها فتحمل فيها من أقاليـم إلى أقاليـم مما لا يخلق تلك الأشياء فيها فينتفع أهلها ، فلولا تنقلها بالهواء لم تكن تلك الأشياء إلا بمواضعها التي خلقت فيها خاصة ، ولعسر نقلها بالدواب إلى غيرها من الأقاليـم ، وللعباد ضرورات تدعو إلى ما ينقل إليهم مما ليس يخلق عندهم ، ومنافع يكثر تعدادها من طلب أرباح لمن يجلها ويعلم فوائدها .

ثم انظر إلى ما في الهواء من الطافة والحركة التي تتخلل أجزاء العالم فينفي بحركته عفن الأرض ، فلولاه لعفنت المساكن وهلك الحيوان بالوباء والعلل .

---

(١) سورة : الحجر ، الآية : ٢٢ .

ثم انظر إلى ما يحصل منه من النفع في نقل السوافي والرمال إلى البساتين وتقوية أشجارها بما ينتقل إليها من التراب بسبب حركة الهواء وتستر وجوه جبال بالسافي ، فيمكن الزراعة فيه وما فصل إلى السواحل مما ينتفع الناس بسببه ، وكل ذلك بحركة البحر بالهواء ، فيقذف البحر العنبر وغيره مما ينتفع به العباد في أمورهم .

ثم أنظر كيف يَتَفَرَّق المطر بسبب حركة الهواء فيقع على الأرض قطرات ، فلولا حركة الهواء لكان الماء عند نزوله ينزل انصبابه واحدة فيهلك ما يقع عليه، ثم يجتمع بلل القطرات فيجتمع أنهاراً وبحاراً على وجه الأرض من غير تضرر ويحصل بذلك مقصودهم على أحسن وجه .

فانظر إلى أثر رحمة الله ، فسبحان اللطيف بخلقه المدبر لملكه .

ثم انظر عموم هذه الرحمة وعظم نفعها ، وشمول هذه النعمة وجليل قدرها كما نبه العقول عليها بقوله تعالى : ﴿ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شرابٌ ومنه شجر فيه تسيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقومٍ يتفكرون ﴾ .

ثم من تمام النعمة وعظيم الحكمة أن جعل سبحانه الصحو يتخلل نزول الغيث ، فصارا يتعاقبان لما فيه صلاح هذا العالم ، فلو دام واحد منهما عليه لكان فساداً .

ألا ترى إلى الأمطار إذا توالت وكثرت عفنت البقول والخضروات ، وهدمت المساكن والبيوت ، وقطعت السبل ، ومنعت من الأسفار وكثير من الحرف والصناعات ، ولو دام الصحو لجفت الأبدان والنبات ، وعفن الماء الذي في العيون والأودية ، فأضر ذلك بالعباد ، وغلب اليبس على الهواء فأحدث ضرراً آخر من الأمراض ، وغلت بسببه الأسعار من الأقوات ، وبطل المرعى ، وتعذر على النحل ما يجده من الرطوبة التي يرعاها على الأزهار ، وإذا تعاقبا على العالم اعتدل الهواء ، ودفع كل واحد منهما ضرر الآخر ، فصلحت الأشياء واستقامت ، وهذا هو الغالب من مشيئة الله .

فإن قيل : قد يقع من أحدهما ضرر في بعض الأوقات .

قلنا : قد يكون ذلك لتنبيه الإنسان بتضاد الأشياء على نعمة الله تعالى وفضله ورحمته انه هو الغالب ، فيحصل لهم بتلك انزجار عن الظلم والعصيان ، ألا ترى من سقم جسمه احتاج إلى ما يلائمه من الأدوية البشعة الكريهة ليصلح جسمه ويصح ما فسد منه ، قال الله : ﴿ ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير ﴾

شِعْــرا

رَفَعْتَ عَرْشكَ في الدنيا وتُهْتَ بِهِ ... وما بِهَا لِلَبِيْب تُرْفَـعُ العُرُشُ

وبِتَّ فِيها على فُرْشٍ مُلَيَّـنَةٍ ... ولَو عَقَلْتَ لَمَا لانَتْ لَكَ الفُرشُ

وَظِلْتَ تَسْعَى لِآمالٍ وتَفْـرشُهَـا ... ولِلْمَوارِيْثِ مَا تَسْعَى وتَفْـتَرِشُ

كَمْ كانَ قَبْلَكَ مِن مَأْسُوْرِ رَغْبَتِهِ ... بالحِرْصِ تُلْدَغُ جَنْبَـاهُ وتُنْتَهَشُ

يمْسِي ويُصْبَحُ في حِلٍ وفي ظَعَنٍ ... يَضُمُّ هَـذَا إلى هَـذَا ويَحْتَوِشُ

عَطْشانَ لِلْمَالِ مُحْمَاةٌ جَوَانِحُهُ ... أَلْقَى على صَدْرِهِ لِسَانَهُ العَطَشُ

حَتَّى إذَا قِيْلَ قَدْ تَمَّتْ مَطَالِبُهُ ... وطَافَ مِن حَوْلِهِ أهْلُوْه واحْتَوشُـوا

مَدَّتْ إليه يَدٌ لِلْمَـوْتِ باطِشَةٌ ... خَشْـنَاءُ لا دَهَشَ فيها ولا رَعَشُ

فقصَّعَتْهُ وقِدْمـاً كان ذا جَيَــدٍ ... وَأَجْهَشَتْهُ ولَمَّا يَدْرِ مَا الجَهَشُ

فَبَاتَ مُسْتَلَبـاً وباتَ وَارِثُهُ ... وقَدْ تَغطَوْا بِذَاكَ المالِ وافْتَرَشُوا

أَمَا سَمِعْتَ بأمْلاكٍ مَضَوا قِدَماً ... شُمُّوْ الأنُوفِ بِرَوْضِ المُلْكِ قد عَرَشُوا

إنْ دُوفِعُوا دَفَعُوا أوْ زُوحِمُوا زَحَمُوا ... أَوْ غُوْلِبُوا غَلبُـوْا أو بُوْطِشُوا بَطشُوْا

جَاءَتْهُمُـوْا وجُنُـودُ اللهِ غالِبَــةٌ ... كَتَـائِبٌ لِلْمَنَايـا كُلُهَـا حَبَشُ

فَضَعْضَعَتْ جَنَبَاتِ عِزِّهـم ورَمَتْ ... مَنَارَهُـم بِظَـلامٍ ما بِهِ غَبَشُ

لَطَالَمَـا أكَلُوا وَطَـال ما شَـرَبُـوْا ... وطالَ ما رَفَعُـوا الآجامَ واغْـتَرَشُوا

مَرُوْا ولا أَثَـرٌ مِنْهُمْ بِدَارِهمُـوْا ... ولا حَسِيْسٌ ولا رِكْـزٌ ولا وَقَشُ

قد كان لِلْقَـوْم آمـالٌ مَبَسَّـطَـةٌ ... فأَصْبَحُوا قَبَضُوا الآمالِ وأَنْكَشُمُـوا

بـــاب
في حكمـة خلـق النـــار

قال الله تعالى : ﴿ أفرأيتم النار التي تورون * أأنتم أنشاتم شجرها أم نحن المنشئون * نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين * فسبح باسم ربلك العظيـم ﴾

اعلم وفقنا الله وإياك ، أن الله خلق النار ، وهي من أعظم النعم على عباده ، ولما علم الله سبحانه وتعالى أن كثرتها وبثها في العالم مفسدة جعلها الله بحكمته محصورة ، حتى إذا احتيج إليها وجدت واستعملت في كل أمر يحتاج إليها فيه ، فهي مخزونة في الأجسام ، ومنافعها كثيرة لا تحصى : فمنها ما تصلحه من الطبائخ والأشربة التي لولاها لم يحصل فيها نضج ولا تركيب ولا اختلاط ، ولا صحة هضم لمن يستعملها في أكل وشرب .

فأنظر لطف الباري سبحانه في هذا الأمر المهم ، ثم انظر فيما يحتاج الناس إليه من الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير وغير ذلك ، فلولاها لم يكن شيء من الانتفاع من هذه الأشياء ، فيها يذاب النحاس ، فتعمل منه الأواني وغيرها ، وقد نبه الله تعالى على مثل ذلك بأنها نعمة توجب الشكر ، فقال تعالى : ﴿ اعملوا آل داود شكراً ﴾ .

وبه يلين الحديد فيعملون به أنواعاً من المنافع والآلات للحروب ، مثل الدروع ، والسيوف إلى غير ذلك مما يطول تعداده ، وقد نبه الله تعالى على مثل هذا، فقال : ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ﴾ .

ومنه يعمل الآلات للحرث والحصاد والآلات تتأثر بها النار ، والآلات يطرق بها ،

والآت لقطع الجبال الصمّ ، والآت لنجارة الأخشاب مما يكثر تعدادها ، فلولا لطف الله سبحانه بخلق النار لم يحصل من ذلك شيء من المنافع ، ولولاها لما كان يتهيأ للخلق من الذهب والفضة نقود ولا زينة ولا منفعة ، وكانت هذه الجواهر معدودة من جملة الأتربة .

ثم أنظر إلى ما جعل الله تعالى في النار من الفرح والتروح عندما تغشى الناس، ظلمة الليل ، كيف يستضيئون بها ، ويهتدون بنورها في جميع أحوالهم من أكل وشرب ، وتمهيد مراقد ، ورؤية ما يؤذيهم ، ومؤانسة مرضاهم ، وقصدها ، والعمل عليها براً وبحراً ، فيجدون بوجودها أنساً ، حتى كأن الشمس لم تغب عن أفقهم ، ويدفعون بها ضرر الثلوج والرياح الباردة ، ويستعينون بها في الحروب ومقاومة حصون لا تملك إلا بها .

فانظر ما أعظم قدر هذه النعمة التي جعل سبحانه حكمها بأيديهم إن شاءوا حزنوها ، وإن شاءوا أبرزوها .

بـاب
في حكمـة خلـق الإنســان

قال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سُلالة من طين .... ﴾ إلى آخر ما وصفـه سبحانه .

اعلم وفقك الله تعالى ، أن الله عز وجل لما سبق في علمه خلق الخَلْق وبهم في هذا الدار ، وتكليفهم فيها للبلوى والاختيار ، خلقهم سبحانه متناسلين بعضهم من بعض ، فخلق سبحانه الذكر والأنثى ، وألقى في قلوبهم المحبة والدواعي حتى عجزوا عن الصبر وعدم الحيلة في اجتناب الشهوة ، فساقتهم الشهوة المفطورة في خلقهم إلى الاجتماع ، وجعل الفكرة تحرك عضواً مخصوصاً به الى إيداع الماء في القرار المكين الذي يخلق في الجنين ، فاجتمعت فيه النطفة من سائر البدن ، وخرجت ماء دافقاً مندفعاً من بين الصلب والترائب بحركة مخصوصة ، فانتقلت بسبب الإفلاج من باطن إلى باطن ، فكانت مع أنتقالها باقية على أصلها ، لأنها ماء مهين ، أدنى شيء يباشرها يفسدها ويغير مزاجها ، فهي ماء يختلط جميعه ، مستوية أجزاؤه ، لا تفاوت فيها بحال ، فخلق سبحانه منه الذكر والأنثى بعد نقلها من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى العظام .

ثم كساها اللحم ، وشدها بالأعصاب والأوتار ونسجها بالعروق، وخلق الأعضاء وركبها، فدور سبحانه الرأس ، وشق فيها السمع والبصر والأنف والفم وسائر المنافذ جعل العين للبصر .

ومن العجائب سرّ كونها مبصرة للأشياء، وهو أمر يعجز عن شرح سره وركبها من سبع طبقات، لكل طبقة صفة وهيئة مخصوصة بها ، فلو فقدت طبقة منها أو زالت لتعطلت عن الأبصار .

وانظر إلى هيئة الأشفار التي تحيط بها ، وما خلق فيها من سرعة الحركة لتقي العين مما يصل إليها بما يؤذيها من غبار وغيره ، فكانت الأشفار بمنزلة باب يفتح وقت الحاجة ويغلق في غير وقتها ، ولما كان المقصود من الأشفار جمال العين والوجه جعل شعرها على قدر لا يزيد زيادة تضرّ بالعين ولا تنقص نقصاً يضر بها ، وخلق في مائها ملوحة لتقطيع ما يقع فيها ، وجعل طرفيهما منخفضين عن وسطهما قليلًا لينصرف ما يقع في العين لأحد الجانبين ، وجعل الحاجبين جمالًا للوجه ، وستراً للعينين وشعرهما يشبه الأهداب في الزيادة المشوّهة ، وجعل شعر الرأس واللحية قابلًا للزيادة والنقص، فيفعل فيهما ما يقصد به الجمال من غير تشويه .

ثم أنظر إلى الفم واللسان وما في ذلك من الحكم ، فجعل الشفتين ستراً للفم، كأنهما باب يغلق وقت ارتفاع الحاجة الى فتحه ، وهو ستر على اللثة والأسنان مفيد للجمال ، فلولاهما لتشوهت الخلق، وهما معينان على الكلام، واللسان للنطق والتعبير عما في ضمير الإنسان، وتقليب الطعام، وإلقائه تحت الأضراس حتى يستحكم مضغة ، ويسهل ابتلاعه .

ثم جعل الأسنان أعداداً متفرقة ، ولم تكن عظماً واحداً، فإن أصاب بعضها ثلم انتفع بالباقي ، وجمع فيها بين النفع والجمال، وجعل ما كان معكوساً زائد العب حتى تطول مدته مع الصف الذي تحته ، وجعلها صلبة ليست كعظام البدن لدعاء الحاجة إليها على الدوام ، وفي الأضراس كبر بلا تسريف لأجل الحَاجة إلى درس الغذاء، فإن المضغ هو الهضم الأول، وجعلت الثنايا والأنياب لتقطيع الطعام وجمالًا للفم ، فأحكم أصولها، وحدد دروسها ، وبيض لونها مع حمرة ما حولها ، متساوية الرؤوس متناسبة التركيب، كأنها الدُّرُّ المنظوم .

ثم أنظر كيف خلق في الفم نداوة محبوسة لا تظهر إلا في وقت الحاجة إليها ، فلو ظهرت وسالت قبل ذلك لكان تشويهاً للإنسان، فجعلت ليبل بها ما يمضغ

من الطعام حت يسهل تسويغه من غير عنت ولا ألم ، فإذا فقد الأكل عدمت تلك النداوة الزائدة التي خلقت للترطيب ، وبقي منها ما يبل اللهوات والحلق لتصوير الكلام ولئلا يجف، فإن جفافه مهلك للإنسان .

ثم انظر إلى رحمة الله ولطفه، إذ جعل للآكل لذة الأكل، فجعل الذوق في اللسان وغيره من أجزاء الفم، ليعرف بالذوق ما يوافقه ويلائمه من الملذوذ، فيجد في ذلك راحة في الطعام والشراب إذا دعت حاجة إلى تناوله، وليجتنب الشيء الذي لا يوافقه، ويعرف بذلك حد ما تصل الأشياء إليه في الحرارة والبرودة .

ثم إن الله تعالى شق السمع، وأودعه رطوبة مرة يحفظ بها السمع من ضرر الدود، ويقتل أكثر الهوام التي تلج الأذن، وحفظ الأذن بصدفة لتجمع الصوت فترده إلى صماخها ، وجعل فيها زيادة حس لتحس بما يصل إليها مما يؤذيها من هوام وغيرها ، وجعل تعويجات ليطَّرد فيها الصوت ، ولتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه ، فيتنبه فيتأثر ويتنبه صاحبها من النوم .

ثم انظر إلى إدراكه للشمومات بواسطة ولوج الهواء، وذلك سر لا يعلم حقيقته إلا الباري سبحانه، إلى غير ذلك .

ثم انظر كيف رفع الأنف في وسط الوجه ، فأحسن شكله ، وفتح منخريه ، وجعل فيهما حاسة الشم ليستدل باستنشاقه على روائح مطاعمه ومشاربه ، وليتنعم بالروائح العطرة ، ويجتنب الخبائث القذرة ، وليستنشق أيضاً روح الحياة غذاء لقلبه وترويحاً لحرارة باطنه .

ثم خلق الحنجرة وهيأها لخروج الأصوات ، ودور اللسان في الحركات والتقطيعات ، فيقطع الصوت في مجارٍ مختلفة تختلف بها الحروف ليسع طرق النطق ، وجعل الحنجرة مختلفة الأشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر ، حتى اختلفت بسبب ذلك

الأصوات ، فلم يتشابه صوتان، كما خلق بين كل صورتين اختلافاً فلم تشتبه صورتان ، بل يظهر بين كل صورتين فرقان ، حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت ، وكذلك يظهر بين كل شخصين فرقان، وذلك لسر التعارف .

فإن الله تعالى لما خلق آدم وحواء خالف بين صورتيهما، فخلق منهما خلقاً جعله مخالفاً لحق أبيه وأمه ، ثم توالى الخلق كذلك لسر التعارف .

ثم انظر لخلق اليدين تهديان إلى جلب المقاصد ودفع المضار ، وكيف عرض الكف وقسم الأصابع الخمس ، وقسم الأصابع بأنامل ، وجعل الأربعة في جانب والابهام في جانب ، فيدور الإبهام على الجميع ، فلو اجتمع الأولون والآخرون على أن يستطيعوا بتدقيق الفكر خلقها على وجه آخر بوضع الأصابع على غير ما وضعت عليه من بعد الإبهام عن الأربعة ، وتفاوت الأربعة في الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدروا على ذلك ، وبهذا الوضع صلح بها القبض والإعطاء فإن بسطها كانت طبقاً يضع عليه ما يريد ، وإن جمعها كانت آلة يضرب بها . وإن ضمها ضماً غير تام كانت مغرفة له ، وإن بسطها وضم أصابعه كانت مجرفة .

ثم خلق الأظفار على رؤوسها زينة للأنامل وعماداً لها من ورائها حتى لا تضعف ، ويلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا تتناولها الأنامل لولاها ، وليحك بها جسمه عند الحاجة الى ذلك .

فانظر أقل الأشياء في جسمه لو عدمها وظهرت به حكة لكان أضعف الخلق وأعجزهم عن دفع ما يؤلمه ، وجلب ما ينتفع به في ذلك ولم يقم له غير الظفر مقامه في حك جسده ، لأنه مخلوق لذلك ولغيره ، فهو لا صلب كصلابة العظام ، ولا رخو كرخاوة الجلد ، يطول ويحلق ويقص ويقصر لمثل ذلك .

ثم جعله يهتدي به إلى الحك في حالة نومه ويقظته ويقصد المواضع إلى جهتها

من جسده ، ولو احتاج إلى غيره واستعان به في حكها لم يعثر الغير على مواضع الحاجة إلا بعد طول وتعب .

ثم أنظر كيف مدّ منه الفخذين والساقين وبسط القدمين ليتمكن بذلك من السعي ، وزين القدمين بالأصابع ، وجعلها زينة وقوة على السعي ، وزين الأصابع أيضاً بالأظفار وقواها بها .

ثم انظر كيف خلق هذا كله من نطفة مهينة ، ثم خلق منها عظام جسده فجعلها أجساماً قوية صلبة لتكون قواماً للبدن وعماداً له ، وقدرها تبارك وتعالى بمقادير مختلفة وأشكال متناسبة ، فمنها صغير ، وطويل ، ومستدير ، ومجوف ومصمت ، وعريض ودقيق .

ثم أودع في أنابيب هذه العظام المخ الرقيق مصاناً لمصلحتها وتقويتها ولما كان الإنسان محتاجاً إلى جملة جسمه ، وبعض أعضائها لتردده في حاجاته لم يجعل الله سبحانه عظامه عظاماً واحداً، بل عظاماً كثيرة ، وبينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة فقدر شكل كل واحد منها على قدر وفق الحركة المطلوبة بها ، ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض بأوتاد أثبتها بأحد طرفي العظم وألصق الطرف الآخر كالرباط .

ثم خلق في أحد طرفي العظم زوائد خارجة منها ، ومن الآخر نقراً غائصة فيها توافق لأشكال الزوائد لتدخل فيها وتنطبق، فصار الإنسان إذا أراد أن يحرك شيئاً من جسده دون غيزه لم يمتنع عليه ، فلولا حكمة خلق المفاصل لتعذر عليه ذلك .

ثم أنظر كيف جعل الرأس مركباً من خمسة وخمسين عظماً مختلفة الأشكال والصور ، وألف بعضها الى بعض بحيث استوت كرة الرأس كما ترى ، فمنها ستة تختص بالقحف ، وأربعة وعشرون للحى الأعلى ، وأثنان للحى الأسفل ، والبقية من الأسنان بعضها عريض يصلح للطحن ، وبعضها حاد يصلح للقطع ، ثم جعل الرقبة مركز الرأس ، فركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات

وزيادات ونقصان ، لينطبق بعضها على بعض ويطول ذكر الحكمة فيها .

ثم ركب الرقبة على الظهر من أسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من أربعة وعشرين خرزة ، وعظم العجز ثلاثة أخرى مختلفة ، ووصل به من أسفله عظم العصعص ، وهو مؤلف من ثلاثة أخرى .

ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر ، وعظام الكتف ، وعظام اليدين ، وعظام العانة ، وعظام العجّز ، وعظام الفخذين ، والساقين ، وأصابع الرجلين ، فجملة عدد العظام من بدن الإنسان مائتا عظم وثمانية وأربعون عظماً ، سوى العظام الصغيرة التي حشى بها خلل المفاصل .

فانظر كيف خلق الباري سبحانه وتعالى ذلك كله من نطفة رقيقة سخيفة، والمقصود من ذكر أعدادها تعظيم مدبرها وخالقها ، وكيف خلقها وخالف بين أشكالها وخصها بهذا القدر المخصوص ، بحيث لو ازدا فيها واحد كان وبالًا واحتاج الإنسان الى قلعه ولو نقص منها واحد لاحتاج الإنسان إلى جبره ، جعل سبحانه وتعالى في هذا الخلق عبرة لأولى الأبصار وآيات بينات على عظمته وجلاله بتقديرها وتصويرها .

ثم انظر كيف خلق سبحانه آلات لتحريك العظام وهي العضلات، فخلق في بدن الإنسان خمسمائة وتسع وعشرين عضلة ، والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط وأغشية ، وهي مختلفة المقادير والأشكال بحسب اختلاف مواضعها وحاجاتها . فأربعة وعشرون منها لحركة العين وأجفانها ، بحيث لو نقصت منها واحدة اختل أمر العين ، وهكذا لكل عضو عضلات بعدد يخصه وقدر يوافقه .

وأما أمر الأعصاب والعروق والأوردة والشرايين ومنابتها وسعتها ، فأعجب من هذا وشرحه يطول .

ثم عجائب مافيه من المعاني والصفات التي لا تدرك بالحواس أعظم .

ثم انظر الى ما شرف به وخص في خلقه بأنه خلق ينتصب قائماً ، ويستوي جالساً ، ويستقبل الأمور بيديه وجوارحه ، ويمكنه العلاج والعمل ، ولم يخلق مكبوباً على وجهه كعدة من الحيوانات ، إذ لو كان كذلك لما استطاع هذه الأعمال .

ثم انظر من حيث الجملة الى ظاهر هذا الإنسان وباطنه ، فتجده مصنوعاً صنعة بحكمة تقضي منها العجب ، وقد جعل سبحانه أعضاءه تامة بالغذاء ، والغذاء متوال عليها . لكنه تبارك وتعالى قدرها بمقادير لا يتعداها ، بل يقف عندها ولا يزيد عليها ، فإنها لو تزايدت بتوالي الغذاء عليها لعظمت أبدان بني آدم ، وثقلت عن الحركة ، وعطلت عن الصناعات اللطيفة ولا تناولت من الغذاء ما يناسبها ، ومن اللباس كذلك ، ومن المساكن مثل ذلك ، وكان من بليغ الحكمة وحسن التدبير وقوفها على هذا الحد المقدر رحمة من الله ورفقاً بخلقه ، فإذا وجدت هذا كله صنعة الله تعالى من قطرة ماء ، فما ظنك بصنعته في ملكوت السموات والأرض وشمسها وقمرها وكواكبها ، وما حكمته في اقدارها وأشكالها وأعدادها وأوضاعها ، واجتماع بعضها وافتراق بعضها ، واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها ، فلا تظن أن ذرة في السموات والأرض وسائر عالم الله ينفك عن حكم ، بل ذلك مشتمل على عجائب وحكم لا يحيط بجمعها إلا الله سبحانه وتعالى ، ألم تسمع قوله سبحانه وتعالى : ﴿ أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها ﴾ إلى آخر ما نبه به .

وتأمل لو اجتمع الإنس والجن على أن يخلقوا للنطفة سمعاً وبصراً وحياة لم يقدروا على ذلك .

فانظر كيف خلقها سبحانه في الأرحام ، وشكلها فأحسن تشكيلها ، وقدرها فأحسن تقديرها ، وصورها فأحسن تصويرها ، وقسم أجزاءها المتشابهة الى أجزاء مختلفة ، فأحكم العظام في أرجائها ، وحسن أشكال

أعضائها ، ورتب عروقها وأعصابها ، ودبر ظاهرها وباطنها ، وجعل فيها مجرى لغذائها ، ليكون ذلك سبباً لبقائها مدة حياتها .

ثم كيف رتب الأعضاء الباطنه ــ من القلب ، والكبد ، والمعدة ، والطحال ، والرئة ، والرحم ، والمثانة ، والأمعاء ــ كل عضو بشكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ، فجعل في المعدة لنضج الغذاء عصباً معيناً شديداً لحاجتها ، وبذلك يمكن تقطيعه وطحنه ، وجعل طحن الأضراس أولًا معيناً للمعدة على جودة طحنه وهضمه ، وجعل الكبد لإحالة الغذاء الى الدم فيجذب منه إلى عضو من الغذاء ما يناسبه ، فغذاء العظم خلاف غذاء اللحم ، وغذاء العروق خلاف غذاء الأعصاب ، وغذاء الشعر خلاف غذاء غيره ، وجعل الطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد ، فالطحال لجذب السوداء ، والمرارة لجذب الصفراء ، والكلية المائية عنه ، والمثانة لقبول الماء عن الكلية ، ثم يخرجه في مجرى الإحليل والعروق والكبد في اتصال الدم منه الى سائر أطراف البدن ، وجعل جوهرها أنقى من جوهر اللحم ليصونه ويحصره ، فهي بمنزلة الظروف والأوعية .

ثم انظر كيف دبره في الرحم ولطف به ألطافاً يطول شرحها ، ولا يستكمل العلم بجملتها إلا خالقها ، ويعجز الواصف عن وصف ما وصل إليه نظره من ذلك ، فمن ذلك جعله فيها لا يحتاج إلى استدعاء ، ولا يحتاج المولود إلى مابين ذلك لا بوعظ ولا تنبيه ، بل ذلك في الطباع إلى وقت حاجة المولود إلى الإغاثة في غذائه ، ولولا ذلك لنفرت الأمهات عنه من شدة التعب وكلفة التربية حتى اشتد جسمه وقويت أعضاؤه الظاهرة والباطنة لهضم الغذاء ، فحينئذ أنبت له الأسنان عند الحاجة إليها لا قبل ذلك ولا بعده .

ثم انظر كيف خلق الله فيه التمييز والعقل على التدريج الى حين كماله وبلوغه ، وانظر وفكر في سر كونه يولد جاهلًا غير ذي عقل وفهم ، فإنه لو كان ولد عاقلًا فيهما لأنكر الوجود عند خروجه إليه حتى يبقى حيران تائه العقل ، إذ

رأى ما لا يعرف ، وورد عليه ما لم يره ولم يعهد مثله ، ثم كان يجد غضاضة أن يرى نفسه محمولًا وموضوعاً معصباً بالخرق ، ومسجى في المهد مع كونه لا يستغنى عن هذا كله لرقة بدنه ورطوبته حين يولد .

ثم كان لا يوجد له من الرقة له ، والحلاوة والمحبة في القلوب ما يوجد للصغير لكثرة اعتراضه بعقله واختياره لنفسه ، فتبين أن ازدياد العقل والفهم فيه على التدريج أصلح به .

أفلا يرى كيف أقام كل شيء من الخلقة على غاية الحكمة وطريق الصواب وأعلمة تقلب الخطأ في دقيقة وجليلة ؟

ثم انظر فيما إذا اشتد خلق فيه طريقاً وسبباً للتناسل ، وخلق في وجهة شعراً ليميزه عن شبه الصبيان والنسوان ، ويجمله ويستر به غصون وجهه عند شيخوخته ، وإن كانت أنثى أبقى وجهها نقياً من الشعر لتبقى لها بهجة ونضارة تحرك الرجال لما في ذلك من بقاء النسل .

فكر الآن فيما ذكرناه ودبره سبحانه في هذه الأحوال المختلفة ، هل ترى مثل هذا يمكن أن يكون مهملًا ؟

أرأيت لو لم يجر له الدم غذاء وهو في الرحم ، ألم يكن يذوى ويهلك ويجف كما يجف النبات إذا انقطع عنه الماء .

ولو لم يزعجه المخاض عند استكماله ، ألم يكن يهلك ببقائه في الرحم هو وأمه ؟ ولو لم يوافه اللبن عند ولادته ، ألم يكن يموت جوعاً وعطشاً أو يغذي بما لا يوافق ولا يصلح عليه بدنه ؟

ولو لم يخلق له الأسنان في وقتها ، ألم يكن يمتنع عليه مضغ الطعام وازدراده ويقيم على الرضاع ولا يشتد جسمه ؟

ولو لم يخرج له شعر الوجه لبقي في هيئة النساء والصبيان ، فلا ترى له هيبة ولا جلالًا ولا وقاراً ، ومن ذا الذي يرصده حتى يوفيه بكل هذه المآرب في

وقتها ، إلا الذي أنشأه بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً وتفضل عليه ومنَّ عليه بكل هذه النعم .

فكر في شهوة الجماع الداعية لإحيائه ، والآلة الموصلة الى الرحم النطفة ، والحركة الموجبة لاستخراج النطفة ، وما في ذلك من التدبير المحكم .

ثم فكر في جملة أعضاء البدن وتهيئة كل عضو منها للارب الذي أريد منها ، فالعينان للاهتداء بالنظر ، واليدان للعلاج والحذف والدفع ، والرجلان للسعي ، والمعدة لهضم الطعام ، والكبد للتخليص والتمييز ، والفم للكلام ودخول الغذاء ، والمنافذ لدفع الفضلات ، وإذا تأملت كذلك مع سائر ما في الإنسان وجدته قد وضع على غاية الحكمة والصواب .

فكر في وصول الغذاء الى المعدة حتى ينضجه ويبعث صفوه إلى الكبد في عروق دقاق قد جعلت كالمصفاة للغذاء ، ولكيلا يصل إلى الكبد منه شيء غليظ خشن فينكؤها ، فإنها خلقت دقيقة لا تحمل الغث فتقلبه بإذن الله دماً ، وتنفذ الى سائر البدن في مجارٍ مهيأة لذلك ، فيصل إلى كل شيء من ذلك ما يناسبه من يابس ورخو وغير ذلك ـــ فتبارك الله رب العالمين ـــ ثم ينفذ ما يكون من خبث وفضول إلى أعضاء أعدت لذلك ـــ كما ذكرنا قبل هذا ـــ فكونها كالأوعية تحمل هذه الفضلات ، لكيلا تنتشر في البدن فتسقمه .

ثم انظر هل تجد في خلق البدن شيئاً لا معنى له ؟ هل خلق البصر إلا ليدرك الأشياء والألوان ؟ فلو كانت الألوان ولم يكن بصر يدركها ، هل كان في الألوان منفعة ؟ ولو لم يكن لخلق الأبصار نور خارج عن نورها ما كان ينتفع بالبصر ؟ وهل خلق السمع إلا لِيُدْرِكَ الأصواتِ ، فلو كانت الأصوات ، ولم يكن سمع يُدْرِكُهَا لَمْ يَكُنْ في الأصوات مَنْفَعَة ، وكذلك سَائِرِ الحَوَاس والله اعلم وصلى الله على محمد .

(قواعد وضوابط وأصُوْل)

إختارناها من طريق الوصول إلى العلم المأمول

١) الشكر مبني على خمس قواعد : خضوع الشاكر للمشكور له وحبهُ له واعترافه بنعمته والثناء عليه بها ، وأنْ لا يستعملها فيما يكره .

٢) الحياه خلق ناشيء عن حياة القلب ورؤية الآلاء الغزيرة ورؤية التقصير في حُقُوق ربه ، ويثمر اجتناب المحرمات والقيام بالواجبات ، ولهذا قال ﷺ الحياء لا يأتى إلا بخير .

٣) قال تعالى : والذي جاء بالصدق وصدق به ، فالذي جاء بالصدق هو من شأنه الصدق في قوله وعمله وحاله وأعْلَى مراتب الصدق مرتبةُ الصديقية وهي كال الانقياد للرسول ﷺ مع كال الاخلاص للمرسل .

٤) البخلُ (وهو منع الحقوق الواجبه) ثمرة الشح ، والايثار ثمرة الجود والجود عشر مَراتب : الجودُ بالنفس ، والجوُدُ بالراحة ، والجُودُ بالعلم ، والجود بالمال ، والجود بالجاه ، والجود بِنَفْعِ البدن ، والجود بالعرض ، والجود بالعفو عن جنايات الخلق ، والجود بالخلق والبشر والبسطة ، والجود بتركه ما في أيدي الناس وهذا غير الجود بالمال ، ولكل واحدة مِن هذه ثمرات جليلة طيبة .

٥) الدين كله خلق ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدّين ، وحسن الخلق يقوم على اربعة أركان : الصبر والعفة والشجاعة والعدلُ ، فالصبر يحمله على الاحتمال وكظم الغيث والحلم والاناءة والرفق وعدم الطيش والعجلة والعفة تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل . والشجاعة تحمله على عزة النفس وإيثار معالى الأخلاق والشم وعلى البذل والندى الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته

وتحمله على كظم الغيث والحلم ، فإنه بقوة نفسه وشجاعتها ، أمسك عنائها عن النزع والبطش ، وحقيقة الشجاعة ملكة يقتدر بها على قهر خصمه ، والعدل يحمله على اعتدال اخلاقه وتوسطه بين طرفي الافراط والتفريط ، فمنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة . ومنشأ جميع الأخلاق السافلة وبناؤها على أربعة أركان : الجهل والظلم والشهوة والغضب .

٦) في النفس ثلاثة دواع متجاذبة : داع يدعوها إلى الاتصاف بأخلاق الشياطين من الكبر والحَسَدِ والعلو والبغي والشر والأذى والفساد والغش ، وداع يدعوها إلى أخلاق الحيوان وهى داعي الشهوة ، وداع يدعوها إلى أخلاق الملك من الاحسان والنصح والبر والعلم والطاعة ، فحقيقة المروءة بغض الداعيين الأولين وإجابة الداعي الثالثُ ، وقلة المروءة أو عدمها هو الاسترسال مع ذينك الداعيين والتوجه لدعوتهما .

٧) الأدب اجتماع خصال الخير في العبد وهو ثلاثة أنواع : أدب مع الله بأن يصون قلبه أنْ يلتفت إلى غيره أو تتعلق إرادته بما يمقته عليه ويصون معاملته أن يشوبها بنقيضه . وأدب مع الرسول بكمال الأنقياد وتلقي خبره بالقبول والتصديق وأن لا يعارضه بغيره بوجه من الوُجوه ، وأدب مع الخلق بمعاملتهم على اختلاف مراتبهم بما يليق بهم ويناسب حالتهم .

٨) الغنى نوعان : غنى بالله وغنى عن غير الله ، وحقيقة الغنى غنى القلب وهو تعلقه بالله وحده ، وحقيقة فقره المذموم تعلقه بغيره .

٩) والحكمه نوعان : علميه وعمليه ، فالعلمية الاطلاع على بواطن الأشياء ومعرفة أرتباط الأسباب بمسبباتها خلقاً وأمراً ، قدراً وشرعاً ، والعملية وضع الشيء في موضعه .

١٠) وروح العبادة هو الإجلال والمحبة ، فإذا خلي أحدهما عن الآخر فسدت العبودية ، فإذا أقترن بهذين الثناء على المحبوب المعظم فذلك حقيقة الحمد

١١) وأصل السكينة هو الطمأنينة والوقار والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف ، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه ، ويوجب له زيادة الايمان وقوة اليقين والثبات ، والطمأنينة سكون القلب إلى الشيء وعدم اضطرابه وقلقه فالطمأنينة أثر السكينة .

١٢) المحبة لله هي روح العبوديه والأسباب الجالبة لها عشرة :
١ ـ قراءة القرآن بالتدبر ٢ ـ التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض ٣ ـ دوام ذكره على كل حال ٤ ـ إيثاره على محاب النفس عند غلبات الهوى ٥ ـ مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومعرفتها ٦ ـ مشاهدة بره ونعمه الظاهرة والباطنه
٧ ـ انكسار القلب بين يديه ٨ ـ الخلوة به وقت النزول الإلهي
٩ ـ مجالسة المحبين الصادقين ١٠ ـ مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله ومراتبها عشر : ١ ـ العلاقة ٢ ـ الإرادة
٣ ـ الصبابه ٤ ـ الغرام ٥ ـ الوداد ٦ ـ الشغف
٧ ـ العشق ٨ ـ التَّتَيُّمُ ٩ ـ التعبد ١٠ ـ الخلة ، ولها آثار وثمرات جليلة جميلة كثيرة : كالشوق والانس واليقين والرغبة في الطاعة وكراهة المعصية ونحوها .

١٣) كل من التوحيد والذكر والصلاة وسائر القرب نوعان : خاصي ، وهو ما بذل فيه العامل نصحه وقصده ، بحيث يوقعها على أحسن الوجوه وأكملها ، والعامية ما لم يكن كذلك ، فالمسلمون كلهم مشتركون في إتيانهم بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وتفاوتهم في معرفتهم بمضمون هذه الشهادة وقيامهم بحقها ظاهراً وباطناً أمر لايحصيه إلا الله .

١٤) قاعدة شريفة نافعة : اعلم أن كل حى سوى الله فهو فقير إلى جلب ما ينفعه في دينه ودنياه وإلى دفع ما يضره فيهما ، فلابد من أمرين أحدهما هو المطلوب المقصود المحبوب الذي ينتفع به ويتلذذ به ، والثاني هو المعين

الموصل المحصل لذلك المقصود والمانع لحصول المكروه والدافع له بعد وقوعه ، فههنا أربعة أمور : أمر محبوب مطلوب الوجود ، وأمر مكروه مطلوب العدم ووسيلة إلى حصول المطلوب ، ووسيلة إلى دفع المكروه . فالله هو المطلوب المعبود المحبوب وحده لاشريك له وهو المعين للعبد على حصول مطلوبه ، فلا معبود سواه ولا معين على المطلوب غيره وما سواه هو المكروه المطلوب بُعده وهو المعين على دفعه ، فهو سبحانه الجامع للأمور الأربعة دون ماسواه ، وهذا معنى قول العبد : إياك نعبد وإياك نستعين ، فإن العبادة تتضمن المقصود المطلوب على أكمل الوجوه والمستعان هو الذي يستعان به على حصول المطلوب ودفع المكروه .

١٥) وهذا مبني على أصلين :

أحدهما : إن نفس الايمان بالله والتقرب إليه هو غذاء الانسان وقوته وصلاحه وقوامه ، كما عليه أهل الايمان ، لا كما يقوله المتكلفون إنَّه تكليف ومشقة على خلاف مقصود القلب ولذته ، بل لمجرد الامتحان والابتلاء ، بل أوامر المحبوب قرة العيون وسرور القلوب .

الأصل الثاني : كمال النعم في الدار الآخرة أيضاً برؤيته وسماع كلامه وقربه ورضوانه ، فلذتهم ونعيمهم في حظهم من الخالق أعظم مما يخطر بالبال أو يدور في الخيال ، وهذان الأصلان ثابتان بالكتاب والسنة وعليهما أهل العلم والايمان ، ويتكلم عليهما العارفون وهما من فطرة الله التي فطر الناس عليها .

١٦) قاعدة كمال العبد وصلاحه يتخلف عنه من أحد جهتين : إما أن تكون طبيعته قاسية غير لينة ولا منقاده ولا قابلة لما به كمالها وفلاحها وإما أن تكون لينة منقاده سلسة الانقياد لكن غير ثابتة ، بل سريعة الانتقال عنه كثيرة التقلب ، فمتى رزق العبد انقياداً للحق وثباتاً عليه فليبشر فقد بشر بكل خير وذلك فضل الله .

١٧) قاعده : إذا ابتلى الله عبده بشيء من أنواع البلاء فإن رده إلى ربه وصار سبباً لصلاح دينه فهو علامة سعادته وإرادة الخير به ، ولابد أن تقلع الشدة وقد عوض عنها أجل عوض ، وإن لم يرده ذلك البلاء إليه بل شرد قلبه عنه ورده إلى الخلق وأنساه ذكر ربه فهو علامة الشقاء وإذا أقلع عنه البلاء رده إلى طبيعته وسلطان شهوته ، فبلية هذا وبال ، وبلية الأول رحمة وتكميل والله الموفق .

١٨) قاعدة في الإنابة التي تكرر ذكرها في القرآن أمراً ومدحاً وترغيباً وآثاراً جميلة ، وهي الرجوع إلى الله ، وانصراف دواعي القلب وجواذبه إليه ، وهي تتضمن المحبة والخشية ، والناس في إنابتهم درجات متفاوتة ، فمنهم المنيب إلى الله بالرجوع إليه من المخالفات والمعاصي والحامل عليها الخوف والعلم .

ومنهم المنيب إلى الله في أنواع العبادات ، فهو ساع بجهده ومصدرها الرجاء ومطالعة الوعد والثواب ، وهؤلاء أبسط نفوساً من الأولين وكل منهما منيب بالأمرين ، ولكن يغلب الخوف على الأولين والرجاء على الآخرين ، ومنهم المنيب إليه بالتضرع والدعاء وكثرة الافتقار وسؤال الحاجات كلها مع قيامهم بالأمر والنهي ، ومنهم المنيب إلى الله عند الشدائد فقط إنابة اضطرار لا إنابة اختيار .

وأعلى أنواع الإنابات إنابة الروح بجملتها إليه لشدة المحبة الخالصة المغنية لهم عمَّا سوى محبوبهم ، وحين أنابت إليه لم يتخلف منهم شيء عن الانابة ، فإن الاعضاء كلها رعيتها وأدت وظائفها كاملة ، فساعة من إنابة هذا أعْظَمِ مِن إنَابَةِ سِنِيْن مِن غيره وذلك فضل الله .

١٩) تكليف مالا يطاق على وجهين . الأول مالا يطاق للعجز عنه ، كتكليف الزمنى المشي ، وتكليف الانسان الطيران ونحو ذلك ، فهذا غير واقع في الشريعة ، والثاني مالا يطاق للاشتغال بضده كاشتغال الكافر بالكفر ،

وهذا واقع ولا ينبغي أن يعبر عنه أنه لا يطاق .

٢٠) أهل السنة يقولون إن العبد له قدرة وإرادة وفعل وهو فاعل حقيقة الله خالق ذلك كله كما هو خالق كل شيء ، كما دل على هذين الأصلين نصوص الكتاب والسنة وهو الواقع .

٢١) وفعل العبد حادث ممكن فيدخل في عموم خلق الله للحوادث واتفق أهل السنة أن الله أخص المؤمنين بنعمة دون الكافرين بأن هداهم للايمان ، ولو كانت نعمته على المؤمنين مثل نعمته على الكافرين لم يكن المؤمن مؤمناً كما قال تعالى ﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكرَّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ﴾ والله خالق الملائكة والأنبياء وخالق الشياطين وَالحَيَّات والعقارب وغيرها من الفواسق ، فهذا محمود معظم ، وهذا فاسق يقتل في الحل والحرام ، وهو سبحانه خالق في هذا طبيعة كريمة تقتضي الخير والاحسان ، وفي هذا طبيعة خبيثة توجب الشر والعدوان

٢٢) الإرادة في كتاب الله نوعان : إرادة تتعلق بالأمر وإرادة تتعلق بالخلق فالارادة المتعلقة بالأمر أن يريد من العبد فعل ما أمره ، وأما إرادة الخلق فأن يريد ما يفعله هو ، فإرادة الأمر هى المتضمنة للمحبة والرضا وهى الإرادة الدينية ، والإرادة المتعلقة بالخلق هى المشيئة وهي ارادة الكونية القدرية ، فالكفر والفسوق والعصيان ليس مراداً للرب بالاعتبار الأول والطاعة موافقة لتلك الإرادة أو موافقة للأمر المستلزم لتلك الإرادة ، فأما موافقة مجرد النوع الثاني فلا يكون به مطيعاً .

٢٣) وكما على العبد أن يؤمن بقدر الله وقضائه فعليه أن يوافق الله في حبه وبغضه ، فقضاء الشرور من جهة خلقة الرب لها محبوبة مرضية لأن الله خلقها لما له في ذلك من الحكمة ، والعبد فعلها وهي ضارة له موجبة له العذاب ، فنحن ننكرها وَنَكْرَهُهَا وننأى عنها ، وإذا أرسل الله الكافرين

على المسلمين ، فعلينا أن نرضى بقضاء الله في إرسالهم ، وعلينا أن نجتهد في دفعهم وقتالهم ، وأحد الأمرين لا ينافى الآخر .

٢٤) أهل السنة متفقون على أن الأنبياء معصومون في تبليغ الرسالة ، ولايجوز أن يستقر في شيء من الشريعة خطأ باتفاق المسلمين ، وكل مايبلغونه عن الله من الأمر والنهي فهم مطاعون فيه باتفاق المسلمين ، وما أخبروا به وجب تصديقهم فيه بإجماع المسلمين ، وما أمروهم به ونهوهم عنه فهم مطاعون فيه عند جميع فرق الأمة ، والجمهور الذي يجوزون عليهم الصغائر ومن يجوز الكبائر يقولون إنهم لا يقرون عليها ، بل يحصل لهم بالتوبة منها من المنزلة أعظم مما كان قبل ذلك .

٢٥) القياس نوعان : مذموم إما لفوات شرطه وهو عدم المساواة في مناط الحكم ، وإما لوجود مانعه وهو النص الذي يجب تقديمه عليه .
وصحيح محمود وهو الذي يستوى فيه الاصل والفرع في مناط الحكم ، ولم يعارضه ماهو أرجح منه .

٢٦) الصدّيق قد يراد به الكامل في الصدق ، وقد يراد به الكامل في التصديق ، وكمال ذلك علم ماأخبر به النبي ﷺ جملة وتفصيلا وتصديق ذلك تصديقاً كاملًا في العلم والقصد والقول والعمل ، وأكمل الناس في هذا الوصف أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه .

٢٧) فمن تكلم في هذا الباب ، أي مدح الصحابة أو القدح فيهم بجهل أو بخلاف مايعلم كان مستوجباً للوعيد ، ولو تكلم بحق لقصد الهوى لا لوجه الله أو ليعارض به حقاً آخر لكان أيضاً مستوجباً للذم والعقاب ومن علم مادل عليه القرآن والسنة من الثناء على القوم ورضي الله عنهم واستحقاقهم الجنة ، وانهم خير هذه الأمة التي أُخرجت للناس لم يعارض هذا المتيقن المعلوم بأمور مشتبهة ، منها مالا يعلم صحته ، ومنها ما يتبين كذبه ، ومنها مالا يعلم كيف وقع ، ومنها مايعلم عذر القوم فيه ، ومنها

مايعلم توبتهم منه ، ومنها مايعلم أن لهم من الحسنات مايغمره ، فمن سلك سبيل أهل السنة استقام قوله ، وكان من أهل الحق والاستقامة والاعتدال وإلا حصل في جهل ونقض وتناقض كحال هؤلاء الرافضة الضُلال .

٢٨) والرجل الصالح المشهود له بالجنة قد يكون له سيئات يتوب منها أو تمحوها حسناته أو تكفر عنه بالمصائب أو غير ذلك ، فإن العبد إذا أذنب كان لدفع عقوبة النار عنه عشرة أسباب ، ثلاثة منه وثلاثة من الناس وباقيها من الله : التوبة والاستغفار والحسنات الماحية ودعاء المؤمنين واهداؤهم له العمل الصالح وشفاعة نبينا ﷺ ، والمصائب المكفرة في الدنيا وفي البرزخ وفي عرصات القيامة ومغفرة الله له بفضل رحمته .

٢٩) الفرقان والسلطان يكون بالحجة والعلم ويكون بالنصر والتأييد كقوله تعالى ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾ .

٣٠) من أمره الشارع بعبادة وطاعة يفعلها فهو أفضل من هذا الوجه ممن لم يؤمر بها ديناً وإيماناً وإن لم يكن الآخر عاصياً ولا معاقباً ، وذلك أن أصل أهل السنة والجماعة ان الإيمان يتفاضل من وجهين : من جهة أمر الله ومن جهة فعل العبد الواقع منه .

٣١) فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول ، ولا يتقدم بين يديه بل ينظر ما قال فيكون قوله تبعاً لقوله وعمله تبعاً لأمره ، فمن قول الله وقول رسوله يتعلم وبه يتكلم ، وفيه ينظر ويتفكر وبه يستدل فهذا أصل أهل السنة ، وأهل البدع بخلاف ذلك ، وكل من خالف ما جاء به الرسول لم يكن عنده علم بذلك ولا عدل بل لا يكون عنده إلا جهل وظلم وظن وماتهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى فان ما أخبر به الرسول حق ظاهراً أو باطناً فلا يناقضه إلا الباطل

والضلال .

الوحي وحيان : وحي رحماني وهو إلهام الخير والواردات الموافقة للْحق ووحي شيْطَاني وهي الواردات والأذواق المنافيه لما جَاء به الرسول ﷺ

٣٢) ومما ينبغي أن يعلم أن الأمة يقع فيها أمور بالتأويل في دمائها وأموالها وأعراضها ، كالقتال واللعن والتكفير وجماهير العلماء يقولون إن أهل العدل والبغاة إذا اقتتلوا بالتأويل لم يضمن هؤلاء ما أتلفوا لهؤلاء ولا هؤلاء ما أتلفوا لهؤلاء ، كما قال الزهري وقعت الفتنة وأصحاب محمد متوافرون فأجمعوا أن كل دم أو مال أصيب بتأويل القرآن ، فإنه هدر أنزلوهم منزلة الجاهلية في الدماء والأموال ، فكيف بالاعراض كاللعن والتكفير والتفسيق .

٣٣) ومما ينبغي أن يعلم أن أسباب الفتن تكون مشتركة فيرد على القلوب من الواردات ما يمنع القلوب عن معرفة الحق وقصده ، ولهذا تكون بمنزلة الجاهلية ، والجاهلية ليس فيها معرفة الحق وقصده والاسلام جاء بالعلم النافع والعمل الصالح بمعرفة الحق وقصده .

٣٤) ويترتب على هذا الأصل أن الرجل العظيم في العلم والدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يوم القيامة قد يحصل منه نوع من الاجتهاد مقروناً بالظن ونوع من الهوى الخفي فيحصل بسبب ذلك مالاينبغي اتباعه فيه وإن كان من أولياء المتقين ويصير فتنة لطائفتين ، طائفة تعظمه فتريد تصويب ذلك الفعل واتباعه عليه ، وطائفة تذمه فتجعل ذلك قادحاً في ولايته وتقواه ، بل في بره وكونه من أهل الجنة ، بل في إيمانه حتى تخرجه من الإيمان ، وكل هذين الطرفين فاسد ، ومن سلك طريق الاعتدال عظم من يستحق التعظم وأحبه ووالاه وأعطى الحق حقه ، فيعظم الحق ويرحم الخلق ، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات

وسيئات ، فيحمد ويذم ويُثابُ ويُعَاقَبُ ويُحب مِن وَجهْ ويُبْغضُ من وجْهٍ هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة خلافاً لأهْل البدع .

٣٥) فالدين الذي شرعه الله ورسوله توحيد وعدل وإحسان وإخلاص وصلاح للعباد في المعاش والمعاد ، ومالم يشرعه الله ورسوله من العبادات المبتدعة فيه شرك وإساءة وفساد العباد في المعاش والمعاد ، فإن الله أمر بعبادته والاحسان إلى عباده كما قال ﴿ واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ﴾ الآيــة

٣٦) فالصراط المستقم هو مابعث الله به رسوله محمداً ﷺ بفعل ماأمر وترك ما حظر ، وتصديقه فيما أخبر . لا طريق إلى الله إلا ذلك ، وهذا سبيل أولياء الله المتقين .

٣٧) وبين الخالق والمخلوق من الفروق مالا يخفى على ذي بصيرة منها أن الرب غَنِي بنفسه عَمَّا سِوَاه وَيْمَتَنِع أن يكون مفتقراً إلى غيره بوجه من الوجوه ، والملوك وسادة العبيد محتاجون إلى غيرهم حاجة ضرورية ، ومنها أن الرب وإن كان يحب الأعمال الصالحة ويرضى ويفرح بتوبة التائبين فهو الذي يخلق ذلك وييسره ، فلم يحصل ما يحبه ويرضاه إلا بقدرته ومشيئته ، والمخلوق قد يحصل له ما يحبه بفعل غيره . ومنها أن الرب أمر العباد بما يصلحهم ونهاهم عما يفسدهم ، بخلاف المخلوق الذي يأمر غيره بما يحتاج إليه وينهاه عما ينهاه عنه بخلا عليه ومنها انه سبحانه هو المنعم بإرسال الرسل وإنزال الكتب ، وهو المنعم بالقدرة والحواس وغير ذلك مما يحصل به العلم والعمل الصالح ، وهو الهادي لعباده فلا حول ولا قوة إلا به ، ولهذا قال أهل الجنة (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) وليس يقدر المخلوق على شيء من ذلك . ومنها أن نعمه على عباده أعظم من أن تحصى ، فلو قدر أن العبادة جزاء النعمة لم تقم العبادة

بشكر القليل منها ، فكيف والعبادة من نعمته أيضاً . ومنها أن العباد لايزالون مقصرين محتاجين إلى عفوه ومغفرته ، فلن يدخل أحد الجنة بعمله ، وما من أحد إلا وله ذنوب يحتاج فيها إلى مغفرة الله .

فصل ٣٤ :

٣٨) وفي ذِكْر الله أكثَر مِنْ مأبه فائِدة يُرضْي الرحمنَ وَيَطْرُدُ الشَّيْطَانَ وَيُزيلْ الهَمَّ ويجَلِبُ السُّرُوْرَ ويُقوّيْ القلْبَ والبَدَنَ وُينوِرُ القَلْبَ والوجه ويجلب الرزق ويكسب المهابة والحلاوة ويورث محبة الله التي هي روح الاسلام ويورث المعرفة والانابة والقرب وحياة القلب وذكر الله للعبد وهو قوت القلب وروحه ويجلو صدأه ويحط الخطايا ويرفع الدرجات ويحدث الانس ويزيل الوحشة ويذكر بصاحبه وينجى من عذاب الله . ويوجب تنزل السكينة وغشيان الرحمة وحفوف الملائكة بالذاكر ويشغل عن الكلام الضار ويسعد الذاكر ويسعد به جليسه ويؤمن الحسرة يوم القيامة وهو مع البكاء سبب إظلال الله للذاكر وبه تحصل العطايا والثواب المتنوع من الله وهو أيسر العبادات وأفضلها وهو غراس الجنة ويؤمن العبد من نسيان ربه وانفراط أمور العبد ويسير بصاحبه في كل حال من أحواله وهو نور للعبد في دنياه وقبره ويوم حشره وبه تخرج أعمال العبد وأقواله ولها نور وهو رأس الولاية وطريقها ويزيل خلة القلب ويفرق غمومه وهمومه وينبه القلب من نومه ويثمر المعارف والأحوال الجليلة والذاكر قريب من مذكوره والله معه .

وأكرم الخلق على الله من لا يزال لسانه رطباً من ذكر الله ويزيل قسوة القلب وما استجلبت نعم الله واستدفعت نقمه بمثل ذكره ويوجب صلاة الله وملائكته على الذاكر ومجالس الذكر مجالس الملائكة ورياض الجنة وجميع الأعمال إنما شرعت لاقامة ذكر الله . وأفضل كل عامل أكثرهم لله

ذكراً وإدامة الذكر تنوب مناب كثير من الطاعات البَدَنِيَّةَ والمالية والمركبة منهما وهو يعين على طاعة الله ويسهل كل صعب وييسر الأمور ويعطي الذاكر قوة في قلبه وبدنه والذاكرون أسبق العمال وهو سد بين العبد وبين نار جهنم وتستغفر الملائكة للذاكر وتتباهى الجبال وبقاع الارض بمن يذكر الله عليها وتشهد له ، والذكر أمان من النفاق ، ويدخل في ذكر الله ذكر أسمائه وصفاته والثناء عليه بهما وتنزيهه عما لا يليق به ، والخبر عن أحكام ذلك وذكر أمره ونهيه ، ويكون الذكر بالقلب واللسان وهو الأكمل ثم القلب وحده ثم اللسان وحده .

٣٩) وأفضل أنواع الذكر القرآن ، ثم الذكر والثناء على الله ، ثم أنواع الأدعية

٤٠) وأسْماءُ الله تتضمنُ صِفاتِهِ لَيْسَتْ أعْلاماً مَحْضِةَ وهو مُسْتحق لِلْكمالِ المطَلَق لَأنّهُ واجِبَ الوجُود بَنفْسِهِ يَمْتَنِعُ العَدَم عليه وِيمْتَنعُ أنْ يكُونَ مُفْتقَراً إلى غيرهِ بوجهٍ مِن الوجُوه إذْ لَوْ افْتَقَر إلى غيره بوجْهٍ من الوجوه لكَان مُفتقراً إلى ذلك الغير ، والحاجة إما إلى حُصول كمال له وإما إلى دفع ماينقصُ كَمَاله ، ومن أحتاج في شيءٍ مِن كماله إلى غيره لم يكن كماله موجوداً بنفسه بل بذلك الغير ، وهو بدون ذلك الكمال ناقص ، والناقص لا يكون واجباً بنفسه بل ممكناً مفتقراً إلى غيره .

٤١) فأي شيء اعتبرته من العالم وجدته مفتقراً إلى شيء آخر من العالم ، فيدلك ذلك مع كونه ممكنا مفتقراً ليس بواجب بنفسه إلى انه مفتقر إلى فاعل ذلك الآخر حتى ينتهي الأمر إلى الرب الخالق لكل شيء ، ويمتنع أن يكون للعالم فاعلان مفعول كل منهما مستغن عن مفعول الآخر كما قال تعالى ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ﴾ ويمتنع أن يكونا مستقلين ، لأنه جمع بين النقيضين ، ويمتنع أن يكونا متعاونين متشاركين كما يوجد ذلك في المخلوقين لاستلزام ذلك العجز والحاجة إلى الآخر .

٤٥) وهو تعالى مستحق للكمال الذي لاغاية فوقه ، إذ كل غاية تفرض كمالا إما أن تكون واجبة له أو ممكنة أو ممتنعة ، والقسمان الأخيران باطلان فوجب الأول ، فهو منزه عن النقص وعن مساواة شيء من الاشياء له في صفات الكمال ، بل هذه المساواة هي من النقص أيضاً ، وذلك لأن المتماثلين يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر ، ويجب له ما يجب له ويمتنع عليه ما يمتنع عليه ، فلو قدر انه ماثل شيئاً في شيء من الأشياء للزم اشتراكهما فيما يجب ويجوز ويمتنع على ذلك الشيء وكل ماسواه ممكن قابل للعدم ، بل معدوم مفتقر إلى فاعل ، وهو مصنوع مربوب محدث ، فلو ماثله لزم اشتراكهما في هذه الأمور ، وقد تبين أن كماله من لوازم ذاته لا يمكن أن يكون مفتقراً فيه إلى غيره ، فضلا عن أن يكون ممكنا أو مصنوعاً أو محدثاً .

٤٦) وأما المخالفون للوسل من المشركين والصابئة ومن اتبعهم من الجهمية والفلاسفة والمعتزلة ونحوهم ، فطريقتهم نفى مفصل وإثبات مجمل ينفون صفات الكمال ويثبتون مالا يوجد إلا في الخيال ، فيقولون ليس بكذا ولا بكذا إلى آخر ما يقولون .

٤٧) والله سبحانه ضرب الأمثال في كتابه لما في ذلك من البيان والانسان لايرى نفسه وأعماله إلا إذا مثلت له نفسه بأن يراه في مرآة وتمثل له أعماله بأعمال غيره ، ولهذا ضرب الملكان المثل لداود ، وضرب الأمثال مما يظهر به الحال ، وهو القياس العقلي الذي يهدي به الله من يشاء من عباده .

٤٨) العبد كماله في حاجته إلى ربه وعبوديته وفقره وفاقته ، فكلما كانت عبوديته أكمل كان أفضل ، وصدور مايحوجه إلى التوبة والاستغفار مما يزيده عبودية وفقراً وتواضعاً .

٤٩) ومن أراد أن يمدح أو يذم فعليه أن يبين دخول الممدوح والمذموم في

الأسماء التي علق الله ورسوله عليها المدح والذم ، فأما إذا كان الإسم ليس له أصل في الشرع ودخول الداخل فيه مما ينازع فيه المدخل بطلت كل من المقدمتين .

٥٠) فعل الحسنات له آثار محمودة في النفس وفي الخارج ، وكذلك السيئات ، والله تعالى جعل الحسنات سبباً لهذا والسيئات سبباً لهذا ، كما جعل أكل السم سبباً للمرض والموت ، وأسباب الشر لها أسباب تدفع بمقتضاها ، فالتوبة والأعمال الصالحة يمحى بها السيئات ، والمصائب في الدنيا تكفر بها السيئات .

٥١) ومن العلوم علوم لو علمها كثير من الناس لضرهم ذلك ، ونعوذ بالله من علم لا ينفع ، وليس اطلاع كثير من الناس بل أكثرهم على حكمة الله في كل شيء نافعاً لهم ، بل قد يكون ضاراً قال تعالى ﴿ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾ .

٥٢) والاحتجاج بالقدر حجة داحضة باطلة باتفاق كل ذي عقل ودين من جميع العالمين ، والمحتج به لا يقبل من غيره هذه الحجة إذا احتج به في ظلم ظلمه إياه وترك ما يجب عليه من حقوقه ، بل يطلب منه ماله عليه ويعاقبه على عدوانه عليه ، وإنما هو من جنس شبه « السوفسطائية » التي تعرض في العلوم ، ولا يحتج به أحد إلا مع عدم علمه بالحجة بما فعله ، فإذا كان معه علم بأن ما فعله هو المصلحة وهو المأمور وهو الذي ينبغي فعله لم يحتج بالقدر ، وكذلك إذا كان معه علم بأن الذي لم يفعله ليس عليه أن يفعله أو ليس بمصلحة أو ليس هو مأموراً به لم يحتج بالقدر ، بل إذا كان متبعاً لهواه بغير علم احتج بالقدر .

فالرسل صلوات الله عليهم بعثوا بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها ، فأتباع الرسل أكمل الناس في ذلك والمكذبين للرسل انعكس الأمر في حقهم فصاروا يتبعون المفاسد ويعطلون المصالح ، فهم

شر الناس .

٥٣) تفاضل الأعمال عند الله بتفاضل ما في القلوب من الايمان والاخلاص والمحبة وتوابعها ، فهذا العمل الكامل يكفر تكفيراً كاملا والناقص بحسبه

٥٤) المقبول من العمل قسمان :

أحدهما : أن يصلي العبد ويعمل سائر الطاعات وقلبه متعلق بالله عز وجل ذاكراً لله على الدوام فعمله في أعلى المراتب .

الثاني : أن يعمل العبد الأعمال على العادة والغفلة وينوي بها الطاعة والتقرب إلى الله ، فأركانه مشغولة بالطاعة وقلبه لاه عن ذكر الله وكذلك سائر أعماله . فهذا عمله مقبول ومثاب عليه بحسبه .

٥٥) وفي ذكر الله أكثر من مائة فائدة يرضى الرحمن ويطرد الشيطان ويزيل الهم ويجلب السرور ويقوي القلب والبدن وينور القلب .

٥٦) ومما يَنبغي أنْ يُعْلَم أنَّ القرآن والحديث إذا عُرِفَ تفسيره من جهة النبي ﷺ لم يَحْتَجْ في ذلك إلى الأسْتدلال بأقوال أهل اللغة ولِهَذا قال الفُقَهَاءُ الأسْمَاءُ ثلاثة أنواع نوع يعرف حده بالشرع كالصلاة والزكاة ونوع يعرف حده باللغة كالشمس والقمر . ونوع يعرف حده بالعرف كلفظ القبض ولفظ المعروف في قوله ﴿ وعاشروهن بمعروف ﴾ وكان من أعظم ماأنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة ، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده ، فإنه ثبت عندهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق وأن القرآن يهدي للتي هى أقوم .

٥٧) فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول ولا يتقدم بين يديه ، بل ينظر ما قال فيكون قوله تبعاً لقوله وعمله تبعاً لأمره ، فهكذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان

وأئمة المسلمين ، فلهذا لم يكن فيهم من يعارض النصوص بمعقوله ولا يؤسس ديناً غير ما جاء به الرسول ، وإذا أراد معرفة شيء من الدين والكلام فيه نظر فيما قاله الله والرسول ، فمنه يتعلم وبه يتكلم وفيه ينظر ويتفكر وبه يستدل ، فهذا أصل أهل السنة ، وهذا هو الفرقان بين أهل الإيمان والسنة وأهل النفاق والبدعة فإنهم يخالفون هذا الأصل كل المخالفة

٥٨) فلما طال الزمان خفي على كثير من الناس ما كان ظاهراً لهم ، ودق على كثير من الناس ما كان جلياً لهم ، فكثر من المتأخرين مخالفة الكتاب والسنة مالم يكن مثل هذا في السلف ، وإن كانوا مع هذا مجتهدين معذورين يغفر الله لهم خطاياهم ويثيبهم على اجتهادهم ، وقد يكون لهم من الحسنات ما يكون للعامل منهم أجر خمسين رجلا يعملون في ذلك الزمان لانهم يجدون من يعينهم على ذلك ، وهؤلاء المتأخرون لم يجدوا من يعينهم على ذلك ، لكن تضعيف الأجر في أمور لم يضعف للصحابة لا يلزم أن يكونوا أفضل من الصحابة ، ولا يكون فاضلهم كفاضل الصحابة فان الذي سبق إليه الصحابة من الايمان والجهاد ومعاداة أهل الأرض في موالاة الرسول وطاعته فيما يخبر به ويوجبه قبل أن تنتشر دعوته ، وتظهر كلمته ، وتكثر أعوانه وأنصاره ، وتنتشر دلائل نبوته ، بل مع قلة المؤمنين وكثرة الكافرين والمنافقين ، وانفاق المؤمنين أموالهم في سبيل الله ابتغاء وجهه في مثل تلك الحال أمر ما بقي يحصل مثله لأحد .

٥٩) جُمْهُوْر مسائل الفقه التي يحتاج الناس إليها ويفتون بها ثابتة بالنص أو الاجماع ، وإنما يقع الظن والنزاع في قليل مما يحتاج إليه ، وهذا موجود في سائر العلوم .

٦٠) العلم ماجاء به الدليل والنافع منه ماجاء به الرسول ، وقد يكون علم من غير الرسول ، لكن في أمور دنيوية مثل الطب والحساب والفلاحة والتجارة ، وأما الأمور الإلهية فهذه العلم فيها ما أخذ عن الرسول ،

فالرسول أعلم الخلق بها وأرغبهم في تعريف الخلق بها وأقدرهم على بيانها وتعريفها ، فهو فوق كل أحد في العلم والقدرة والارادة ، وهذه الثلاثة بها يتم المقصود ، وغير الرسول لا يقاربه في شيء من ذلك ، وبيان الرسول على وجهين ، تارة يبين الأدلة العقلية الدالة عليها والقرآن مملوء من ذلك وتارة يخبر بها خبراً مجرداً .

٦١) دل الكتاب والسنة وأقوال الصحابة أن السيئات تحبط الحسنات ، كما أن الحسنات يذهبن السيئات . والحبوط نوعان : عام وخاص فالعام حبوط الحسنات كلها بالردة والسيئات كلها بالتوبة ، والخاص حبوط السيئات والحسنات بعضها ببعض ، وهذا حبوط مقيد جزئي .

٦٢) وأولياء الله هم المؤمنون المتقون ، وكراماتهم ثمرة إيمانهم وتقواهم لاثمرة الشرك والبدعة والفسق ، وأكابر الأولياء إنما يستعملون هذه الكرامات بحجة للدين أو حاجة للمسلمين والمقتصدين قد يستعملونها في المباحات ، وأما من استعان بها على المعاصي فهو ظالم لنفسه متعدّ حد ربه وإن كان سببها الإيمان والتقوى .

٦٣) فكل عمل لا يراد به وجه الله فهو حابط باطل لا ينفع صاحبه وقت الحاجة إليه ، فكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل لأن مالم يرد به وجهه ، إما أن لا ينفع بحال ، وإما أن ينفع في الدنيا دون الآخرة فالأول ظاهر والثاني فقد يحصل للانسان في الدنيا لذات وسرور ، وقد يجزي بأعماله في الدنيا لكن تلك اللذات إذا كانت تعقب ضرراً أعظم منها أو تفوت أنفع منها وأبقى فهي باطلة أيضاً فثبت أن كل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل وإن كان فيه لذة ما .

٦٤) والله تعالى لم يأمر عباده لحاجته إلى خدمتهم ولا هو محتاج إلى أمرهم وإنما أمرهم إحساناً منه ونعمة أنعم بها عليهم ، فأمرهم بمافيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم وإرسال الرسل وإنزال الكتب من أعظم نعمه على خلقه

٦٥) ومن تأمل نصوص الكتاب والسنة وجدها في غاية الإحكام والاتقان ، وانها مشتملة على التقديس لله عن كل نقص والاثبات لكل كمال وانه تعالى ليس له كمال ينتظر بحيث يكون قبله ناقصاً بل من الكمال انه يفعل ما يفعله بعد ان لم يكن فاعله وانه إذا كان كاملا بذاته وصفاته وأفعاله ، لم يكن كاملا بغيره ولا مفتقراً إلى سواه ، بل هو الغني ونحن الفقراء وهو سبحانه في محبته ورضاه ومقته وسخطه وفرحه وأسفه وصبره وعفوه ورأفته له الكمال الذي لاتدركه الخلائق وفوق الكمال ، إذ كل كمال فمن كماله يستفاد ، وله الثناء الحسن الذي لا يحصيه العباد ، وإنما هو كما أثنى على نفسه له الغنى الذي لا يفتقر إلى سواه (إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا ، لقد أحصاهم وعدهّم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً) .

٦٦) يجب أن يعلم أن الكمال ثابت لله بل الثابت له أقصى مايمكن من الأكملية بحيث لا يكون وجود كمال لا نقص فيه إلا وهو ثابت للرب تعالى يستحقه بنفسه المقدسة وثبوت ذلك مستلزم نفي نقيضه ، فثبوت الحياة يستلزم نفي الموت ، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل ، وثبوت القدرة يستلزم نفي العجز وأن هذا الكمال ثابت له بمقتضى الأدلة العقلية والبراهين اليقينية مع دلالة السمع على ذلك .

٦٧) ودلالة القرآن على الأمور نوعان :

أحدهما : خبر الله الصادق ، فما أخبر الله ورسوله به فهو حق كما أخبر الله به .

والثاني : دلالة القرآن بضرب الأمثال وبيان الأدلة العقلية الدالة على المطلوب فهذه دلالة شرعية عقلية ، فهى شرعية لأن الشرع دل عليها وأرشد إليها . وعقلية لأنها تعلم صحتها بالعقل .

وثبوت معنى الكمال لله قد دل عليه القرآن بعبارات متنوعة دالة على

معاني متضمنة لهذا المعنى فما في القرآن من إثبات الحمد له وتفصيل محامده وإن له المثل الأعلى ، وإثبات معاني أسمائه ونحو ذلك دال على هذا المعنى وقد ثبت لفظ الكامل في تفسير ابن عباس للصمد ، ان الصمد المستحق للكمال وهو السيد الذي كمل في سؤدده والعليم الذي كمل في علمه والعظيم الذي قد كمل في عظمته ، وهكذا سائر أسمائه الحسنى على هذا المنوال ، وهذا المعنى هو المستقر في فطر الناس ، فكما انهم مفطورون على الاقرار بالخالق فانهم مفطورون على إنه أجل وأكبر وأعلى وأعلم وأكمل من كل شيء .

٦٨) ومن ثبوت الكمال لله بالعقل انه قد ثبت وجوب وجوده وقيوميته وقدمه وسائر أوصافه وإن له المثل الأعلى ، وبيان نقص ما عبد من دونه من المخلوقات وتفضيل حمده الذي يستحقه من صفات كماله وحمده الذي فيه الاحسان المتنوع على خلقه وعلى كمال حكمته وسعة علمه ورحمته وبيان كمال ألوهيته واستحقاقه الجلال والإكرام فله صفات الجلال والعظمة ويستحق من عباده أن يكون مألوهاً معظماً أعظم من كل شيء وأحب إليهم من كل شيء تبارك وتعالى .

٦٩) وإذا علم العبد من حيث الجملة ان لله فيما خلقه وما أمر به حكمة عظيمة كفاه ذلك ثم كلما ازداد علماً وإيماناً ظهر له من حكمة الله ورحمته مايبهر عقله ويتبين له تصديق ماأخبر الله به في كتابه حيث قال ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ .

٧٠) والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها قلوبهم واحدة موالية لله ولرسوله ولعباده المؤمنين ، معادية لأعداء الله ورسوله وأعداء الدين فما دام هذا وصفهم فقلوبهم الصادقة وأدعيتهم الخالصة هن العسكر الذي لا يُغلب والجند الذي لايخذل ، فإنهم هم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة وليعتبر المعتبر بسيرة نور الدين وصلاح الدين ثم العادل ، كيف مكنهم الله

وأيدهم وفتح لهم البلاد وأذل لهم الأعداء لما قاموا بذلك بما قاموا به من الدين ، وليعتبر بسيرة من والى النصارى كيف أذله الله وكبته .

٧١) جعل الدين قسمين : أصولًا وفروعاً لم يكن معروفاً في الصحابة والتابعين ولم يقل أحد من السلف والصحابة والتابعين إن المجتهد الذي استفرغ وسعه في طلب الحق يأثم لا في الأصول ولا في الفروع ، ولكن هذا التفريق ظهر من جهة المعتزلة ، وأدخله في أصول الفقه من نقل ذلك عنهم ، وكل مجتهد لايأثم عند عامة الأئمة أبي حنيفة والشافعي وأحمد ومالك وغيرهم ، والذين فرقوا بين الأصول والفروع لم يذكروا ضابطاً يعتمد عليه .

٧٢) والسلف لم يذموا جنس الكلام فان كل آدمي يتكلم ولا ذموا الاستدلال والنظر والجدل الذي أمر الله به ورسوله ، والاستدلال بما بينه الله ورسوله ، بل ولا ذموا كلاماً هو حق ، بل ذموا الكلام الباطل وهو المخالف للكتاب والسنة ، وهو المخالف للعقل أيضاً وهو الباطل .

٧٣) الطرق الباطلة توصل إلى الجهل والضلال لمن اعتقد صحتها ، وإلى الحيرة والشك لمن تبين له تناقضها من حذاق أهلها ، وإلى اليقين لمن عرف الحق وسلكه بالطرق الصحيحة فانه بمعرفته الباطل يزداد بصيرة بالحق ، وبضدها تتبين الأشياء .

٧٤) من ضيع الأصول حرم الوصول ، والاصول اتباع ما جاء به الرسول .

٧٥) والدليل يدل ويقوم على أن كلام الله صفة ذات وصفة فعل ، صفة ذات يقوم بذات الرب والله متصف به ، وصفة فعل يتكلم بمشيئته وقدرته متى شاء وحيث شاء أزلا وأبدا .

٧٦) الفرق بين الرجاء وبين التمني أن التمنى يكون مع الكسل ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد والرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل ، فالأول كحال من يتمنى أن يكون له أرض يبذرها ويأخذ

زرعها ، والثاني كحال من يشق أرضه ويفلحها ويبذرها ويرجو طلوع الزرع ، فمن عمل بطاعة الله ورجا ثوابه أو تاب من الذنوب ورجا مغفرته فهو الراجي ، ومن رجا الرحمة والمغفرة بلا طاعة ولا توبة فهو متمنى ورجاؤه كاذب ، وللسالك إلى ربه نظران : نظر الى نفسه وعيوبه وآفات عمله يفتح عليه باب الخوف ، ونظر الى سعة رحمة الله وفضله العام والخاص به يفتح عليه باب الرجا ، وقال شيخ الاسلام : الخوف المحمود ما حجز العبد عن محارم الله .

٧٧) ومراتب العلم والعمل ثلاثة : رواية وهى مجرد النقل وحمل المروى ، ودراية وهى فهمه وتعقل معناه ، ورعاية وهي العمل بموجب ماعلمه .

٧٨) مراقبة الرب علم العبد وتيقنه باطلاع الحق على ظاهره وباطنه ، فاستدامته لهذا العلم واليقين هى المراقبة وهى ثمرة علمه بأن الله سبحانه وتعالى رقيب عليه ناظر إليه سامع لقوله ومطلع على عمله كل وقت وكل لحظة ونفس وكل طرفة .

٧٩) المعترضون على الله ثلاثة أقسام ، معترضون على أسمائه وصفاته ، ومعترضون على شرعه ودينه ، ومعترضون على قضائه وقدره ، ولا يتم للعبد دين وإيمان الا بترك هذا الاعتراض والتسليم لحكمه الدينى والقدرى .

٨٠) تعظيم حرمات الله ما يجب احترامه وحفظه من الحقوق والأشخاص والأزمنة والأماكن ، فتعظيمها توفيتها حقها وحفظها عن الاضاعة .

٨١) حقيقة الاخلاص توحيد المطلوب ، وحقيقة الصدق توحيد الطلب والارداء ولا يثمران الا بالاستسلام المحض للمتابعة ، فهذه الأركان الثلاثة هى أصول الطريق التي من لم يبن عليها سيره ، فهو مقطوع ، ومن اجتمعت له فهو السابق الذي لا يجاري ، وذلك فضل الله .

٨٢) المطلوب من العبد الاستقامة على عبودية الله ، فإن لم يقدر عليها فالمقاربة ، فإن نزل عنها فالتفريط والاضاعة .

٨٣) ولايتم التوكل الكامل إلا بمعرفة الله وصفاته وأفعاله واثبات الأسباب والاجتهاد فيها ، وقوة الاعتماد على الله والاستناد إليه والسكون ، بحيث لايبقى القلب مضطرباً من تشويش الأسباب ، ولابد من حسن الظن والثقة بالله في نيل ماتوكل العبد على الله فيه ، والتفويض إلى الله واستسلام القلب له ، ويتوكل على الله في كل مطلوب حصوله أو دفع مكروه ، وأفضل التوكل ما كان في حصول خير ديني خاص أو عام .

٨٤) الصبر ثلاثة أقسام : صبر على طاعة الله ، وصبر على معصية الله ، وصبر على امتحان الله ، فالأول صبر على ما يتعلق بالكسب ، والثالث صبر على مالا كسب للعبد فيه ، وصبر الاختيار أكمل من صبر الاضطرار ، وتمام الصبر أن يكون كما قال الله تعالى ﴿ والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ﴾ وأقواه أن يكون بالله معتمداً فيه عليه لا على نفسه ولا على غيره من الخلق

سمعت شيخ الاسلام يقول : الصبر جميل هو الذي لا شكوى فيه ولا معه والصفح الجميل هو الذي لا عتاب معه ، والهجر الجميل هو الذي لا أذى معه .

٨٥) قال النبي ﷺ : ذاق طعم الايمان من رضي بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولًا ، وقال من قال حين يسمع النداء : رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً غفرت له ذنوبه . وهذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدين وإليهما ينتهي ، وقد تضمنها الرضا بربوبيته سبحانه وألوهيته ، والرضا برسوله والرضا بدينه والتسليم له ، ومن اجتمعت له فهو الصديق حقاً .

٨٦) من أراد أن يحصل له الرضا عن الله الذي هو من أفضل الدرجات فليلزم

ما جعل الله رضاه فيه ، فانه يوصله إلى مقام الرضا .

٨٧) والله تعالى أخبر انه ينصر رسله في الحياة الدنيا وفي الآخرة والله سبحانه يجزى الانسان من جنس عمله ، فالجزاء من جنس العمل ، فمن خالف الرسل عوقب بمثل ذنبه وأرى عباده ذلك عياناً ، وإذا ظهرت البدع التي تخالف الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل وانتصر لرسله .

٨٨) والإيمان بالرسول والجهاد عن دينه سبب لخير الدنيا والآخرة وبالعكس البدع والالحاد ومخالفة ما جاء به سبب لشر الدنيا والآخرة .

٨٩) التوحيد وتصديق الرسل جماع الايمان ، والشرك وتكذيب الرسل جماع الكفر .

٩٠) فمن دفع النصوص التي يحتج بها غيره لم يؤمن بها بل آمن بما يحتج هو به صار ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض .

٩١) وإذا ترك الناس بعض ما أنزل الله وقعت بينهم العداوة والبغضاء إذ لم يبق هنا جامع يشتركون فيه ، بل تقطعوا أمرهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون .

٩٢) ودين الأنبياء كلهم الاسلام وهو الاستسلام لله وحده ، وذلك إنما يكون بطاعته فيما أمر به في ذلك الوقت ، فطاعة كل نبي هى من دين الاسلام إذ ذاك ، وكل مبتدع خالف سنة الرسول لا يتبع إلا ديناً مبدلا أو منسوخاً .

إنتهى ما اخترناه مما جمعه شيخنا عبد الرحمن الناصر السعدي من كتب شيخ الاسلام رحمهما الله وصلى الله على محمد وآله وسلم

فوائد ومواعظ وحكم وأحكام

قال بعض العلماء : ـ

(١) أَصْلُ كُلِ مَعْصِيَةٍ وغَفْلَة وشَهْوَة ـ الرّضاَ عن النفس ، وَأَصْلُ كُل طَاعَة ويَقصَةِ وعفَّة عَدمُ الِرضاء مْنكَ عَنهْا وَلأنْ تصْحَبَ جاهَلًا لايِرضىٰ عَنْ نَفَسْه خَيرَّ لَك مِنْ أَنْ تَصحْبَ عَالماً يَرْضىٰ عن نفسه ، فأَيُّ عِلْمٍ لعالِمٍ يَرْضىَ عَن نفَسْهِ ، وَأيُّ جهْلٍ لِجاَهِلٍ لاَيرضىَ عن نَفسْه .

(٢) لاتستَغْرِبْ وُقُوعَ الأكْدَار ، مادُمْتَ في هَذه الدار ، فإنَّها ما أبرزت إلا ما هُوَ مُستّحَقُ وُصْفِها وَوَاجِبُ نَعْتِهاَ .

(٣) لايكن تأَخُّرُ العَطَاء مَعَ الإلحَاحِ في الدُعَاءِ مُوْجِباً ليَأْسِكَ فهَو ضَمنَ لَكَ الإجَابَةَ فيما يَختَارُهُ لَكَ ، لا فيما تخْتَارُ لنَفْسِك ، وفي الَوقت الذي يرُيْد لا في الوقَتْ الذي ترُيْده ،
قِال تعالىٰ ﴿ وعَسَىٰ أن تحبوا شَيئاً وهُو شر لكم وعَسَىٰ أنْ تكَرهوا شيئاً وهو خير لكمُ والله يَعْلم وأنتم لا تعلمون ﴾

(٤) إحَالتُكَ الأعمال إلى وُجوُد الفَراغِ مِن رُعُوناتِ النَّفْسِ ، .

(٥) لاتَصْحبْ مَن لايُنْهظُكَ حَالُه ولايدُلك عَلىٰ الله مَقاَلُه .

(٦) مِن عَلاماتِ مَوْتِ القلب ، عَدَمُ الحُزْنِ على ما فَاتَكَ مِن الطَّاعات ، وتَرْكِ النَّدمِ على ما فَعَلْتَهُ مِن المعاصِي والزَّلَّاتِ .

(٧) لا تَتْرِكْ ذِكْرِ الله لِعَدم حُضُور قَلْبِكَ لِمعَاني الذكر ، لِأن غَفْلَتَكَ عن وُجُود ذِكرِ الله أشدّ مِن غَفْلَتَكَ مَعَ وُجُودِ ذِكْرِهِ واساله أنْ يُوْقظَ قَلْبكَ ويُوَفقَكَ لِحُظُوره ، وفهْمِ ما تلفَظُ مِن ذِكْرِهِ .

(٨) لا يَعْظُمُ الذَّنْبُ عندَكَ عَظَمةً تَصُدُّكَ عِن حُسْنِ الظُنّ بالله وتُوقِعُكَ في القُنُوط مِن رَحْمتِهِ فإنَّ مَن عَرَفَ رَبَّهُ و كرَمَهُ وجُوْدَهَ اسْتصغَر في جَنْبِ كرِمِه وعَفْوِهِ ذَنْبَهُ
وقال الله جل وعلا ﴿ قُلْ ياعِبادِي الذين أسْرفوا علىٰ أنْفُسِهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾ .

(٩) لا صَغِيْرةَ إذا قابلَكَ عَدْلُه ولا كَبِيْرةَ إذاواجَهَك جُوْدُهُ وكَرَمُه وفَضْلُه
وبعبَارَةَ أخْرىٰ لا كَبْيَرةَ مَعَ التَّوبَةِ والنَّدمِ والاستغفار ولَا صَغيرَةَ مَعَ الإصرَار وَعَدَمَ التَّوْبة والأستغفار .

(١٠) مَنْ لَمَ يَشْكُرِ الله على ما تَفضَّل به مِن النِّعمَ فَقَدْ تَعَرّضَ لزَوَاَلِهَا ومَن شَكَرهَا فَقَدْ قَيدَّهَا بِعِقالِهَا وَوُعِدَ بالَمزيْد .

(١١) خَفْ مِن وُجُود إحْسَانِ الله إليكَ مِعَ وجُودِ إسَاءَتِكَ مَعَهُ ، أنَ يكوُنَ ذالكَ اسْتِدْرَاجاَ
قال تعالىٰ ﴿ سَنَسْتَدرجهم من حَيْثَ لا يعلمون ﴾

(١٢) الرَّجاءُ مَا قَارَنَهُ عَمَلَ ، وإلا فَهوَ أمْنِيَّة إنَّما يُؤْلِمُكَ المَنْعُ لِعَدَمِ فَهْمِكَ عن الله فِيه .

(١٣) مَتى أعْطَاكَ فَقَدْ أشْهَدك بِّرهُ وَإحْسَانه ، ومَتى منعكَ أشهدِك حكمتَه وقَهْرَهُ ، فَهوُ في كِلِ ذَلكِ مُتعِرَّف إليْكَ وُمقْبلَ بوجُودِ لُطْفِه عَليك .

(١٤) نِعْمَتانَ ما خرَجَ مَوْجُود عنهما ، ولابُدَّيكُلِ مُكَوَّنٍ منهما ، نعمةُ الإيْجاد ونِعْمةُ الإمْدَاد أنْعَم عَلَيْكَ أولًا بالإيجاد وثانياً بِتوالَى الإمداد .

(١٥) خِيَرُ أوْقَاتِكَ وَقْتُ تَعْمَلُ فيه بطاعة الله وتشْهَدُ فِيه وُجُودَ فَاقَتِكَ إلى رضا الله وعَفْوِهِ وإحسانِهِ .

(١٦) لا تطَالِب بَتأخُر مَطْلَبِك ، ولكن طَالبْ نَفْسَكَ بتأخرُ أدَبِك ، فهلَ أدَّيْتَ الوَاجبَات وتركتُ المحُرَمات .

(١٧) لا يُخَافُ عَلَيكَ مِن الْتِبَاسِ الطُّرق ، وإنما يُخَافُ عَليكَ مِن غلبةَ الهوى والنّفْسِ والشيّطانِ والدُنْياَ .

(١٨) الغَافِل إذا أصْبح يَنْظُر في أُمُور دُنياه مَاذا يَفْعل ، والعَاقِلُ المُوفَّق ينظرُ ماذا أوْجَبَ الله عليه فيعملُه ، ويَحفظ وقْتَهُ مِن الضَّياع فيما لا يَعُوْدُ إلى أمور الآخرة ، وما يحتاج إليه في دُنْياه .

(١٩) السّتْرُ عَلىَ قِسْمَيَن سِتْرُ عن المعْصِيَة وسِتْرُ فيها ، فالعَامَّةُ يَطْلُبون مِن الله السّترَ فيها خَشْيَةَ سُقُوطِ مَرْتَبَتِهمْ عِندَ الخَلْق ، والخَاصَّةُ يَطْلُبونَ مِن الله السّترَ عَنْهَا خَشْيَةَ سُقُوطِهم مِن نَظَر الله .

(٢٠) الناسُ الذين يَمْدحُونك إما كَذِب وإما لِماَ يظنُّونهُ فِيكَ فكَنْ ذَاماً لِنَفْسِكَ لمَا تَعْلَمهُ منها
قال تعالىٰ ﴿ فلا تُزكوا أنْفُسَكُم ﴾ وقال ﴿ إن النفس لأمَّارة بالسوء ﴾

(٢١) المؤمن العاقلُ المُوفَّقُ إذا مدُح اسْتحْيا مِن الله أن يُثْنىَ عليه بِوصْفٍ لا يَعْلمُه مِن نَفسْهِ .

(٢٢) مِن أجْهَلِ الناسِ مَن تَرَكَ يَقِيْنَ ما عِندَهُ لِظَنّ ما عِنْدَ النَاس .

إذَا وَقَعَ مِنكَ ذَنْبَ فلاِ يكُنْ سَبَباً لَيأْسِكَ مِن حُصُول الإستقامَةِ فَقَدْ يَكُونُ ذلك آخِرُ ذَنْبِ قُدِرَ عَليكَ .

(٢٣) حَظُ النَّفْسِ في المَعْصِيَةِ ظَاهِر جَلّي وحَظُّهَا في الطَّاعَةِ باطِن خِفي ، ومُدَاواةُ ما يَخْفى صَعْب علَاجُه .

(٢٤) اسْتشْرافُكَ أنْ يَعْلَم الخَلْقُ بأعْمَالِك دَليلَ على عَدَمِ صِدْقِكَ في عُبُودِيَّتِكَ وِأنك عندك رَيا فأنْتبِهَ مَنَ عَرَفَ الله حَقيقْةً ورَأى نِعَمَهُ عليه وَإنّ نَعَمَهُ جَلَّ وعَلا لا تُحْصَى وَلا تعُدَ أحَبَهَّ وَلم يؤْثر عليه شيْئاً

(٢٥) إذَا الْتَبَسَ عَليْكَ أمْرَان فانْظُر أثْقلهُمَا على النفسِ فإنَّهُ لا يَثْقُلُ عليها إلا مَا كانَ حَقاَ .

(٢٦) مِن علاماتِ اِتّباع الهَوى والنَّفْس ألأمارة بالسُوء المسارعَة إلىَ النَوافلَ وَالتكاسل عَن القيامَ بالواجبات .

(٢٧) مَن لم يَعْرِفِ النّعَم بوجْدَانِها عَرَفَها بوجُود فُقْدَانِها .

(٢٨) لا تُدْهِشُكَ وَإِردَاتُ النِعَم عن القَيامِ بِحُقُوقِ شُكْرِهَا فإنّ ذلك مما يَحُطُ مِن وُجُود قَدْرِكَ .

(٢٩) تَمكُّنُ حَلَاوة الهَوىِ من القَلْب هُوَ الدَّاءُ العُضَال .

(٣٠) لا يُخْرِجُ الشهوةَ مِن القلب إلَّا خَوف مُزْعج أوْ شَوْق مُقْلِق .

(٣١) لا تسَبْتطْئَ من النَّوال ولكن اسْتَبْطئَ مِن نَفْسِكَ وُجُوْدَ الإقْبَال .

(٣٢) ما فاتَ مِن عمُرُكَ لا عِوَضَ لَه وما حَصَل لكَ مِنه لا قيْمَةَ لَه .

(٣٣) الرَّبُ جَلَّ وعَلا لا تَنْفَعُه طاعَتُكَ ولا تضرُّه مَعْصِيتكُ وإنما أمركَ بهَذِهِ ونَهَاكَ عن هَذِهِ لِمَا يَعُودُ عَلَيْكَ .

(٣٤) الرب جل وعلا لا يزيْد في عِزّه إقْبَالِ مَن أقبلَ عليه ولَا ينْقُصُ مِن عِزّه إذْ بَارُ مَنْ أدْبَر عنه .

(٣٥) مِن تَمامِ النِعْمة عَليكَ أنْ يرْزُقَكَ الله ما يَكْفِيكَ ويَمْنَعُكَ ما يُطْغِيْك .

(٣٦) إنْ أَرَدْتَ أَلَّا تُعْزَلَ فَلا تَتولَّى وِلَايَةً لا تَدُوْمُ لَكَ .

(٣٧) خَيرُ العِلْم ما كانَتْ خَشْيَةُ الله مَعهَ .

(٣٨) إذا عَلِمْتَ أنّ الشيطانَ لَا يغْفُل عنكَ فلا تغفَلُ أنْتَ عَمَّنْ نَاصِيُتكَ بِيَدِه ﴿ مَا مِن دَابَّةٍ إلا هُوَآخِذ بناصِيَتِهَا ﴾

(٣٩) مَن أثْبَتَ لِنَفْسِهِ تَواضُعًا فَهُوَ مُتَكبِر إذْ لَيْسَ التواضعُ إلا عن رِفعة .

(٤٠) ليس المُتَواضع الذي إذا تَواضَعَ رَآى أنّه فَوْقَ ما صَنَع ولَكن المتواضعُ الذي إذاَ تَواضَعَ رَآى أنه دُوْنَ مَاصَنَع .

(٤١) المُؤمن يشغَلُه الثَّناء على الله عن أنْ يَكُون لِنفَسْهِ شَاكِرا وتشغَلُه حُقُوق الله عن أنْ يَكُونَ لِحُظُوظِهِ ذَاكِراَ . **إنتهى**

آخـــر :

(٤٢) الآياتُ القرآنية التي يَفْهَمُ منها بعضُ الناس التَّعَارُض يَجبُ حَمْلُ كُلّ نَوعٍ منها على مَا يليَقُ وُيُناسِبَ لمقام .

من ذلك الإخبار في بَعْض الآيات أن الكفارَ لَا ينْطِقُون ولا يتكلمون في يوم القيامة ، وفي بعض الآيات أنهم يَنْطقُون ويُحَاجُون وَيعْتَذِرُون

، ثم إذا ختم علىٰ أفواههم ، تكلم أيديهم وأرْجُلهُم بما كانَوا يكسبون ثم يُخرسوا فلم يَنْطقُوا قال الله جل وعلا ﴿ هذا يوم لاينطقون ولايُؤذن لهم فَيَعْتذِرون ﴾

(٤٣) ومِن ذلك أن الله جل وعلا أخبر أنه لا يكلمهم ولا ينظر إليهم يوم القيامة ، وأثْبَتَ الكلام لهُم مَعهَ ، فالنفيُ المرادُ به الكلام الذي يَسُرهم ، وكذالك النظر والإثبات واقع على الكلام الواقِع بَيْنَ الله وبَيْنَهمُ على وَجه التَّوْبِيْخ لهُم والتَّقْريع ، فالنفيُ يَدُل على أن الله سَاخِط عليهم ، والاثباتُ يُوضِحُ أحْوَالهَم ويُبَيّنُ للعبِاد كَمالَ عَدْل الله بهم إذ هو يضعُ العُقوبَة مَوضِعَها .

(٤٤) ونظِيْر ذَلكَ أنَّهُ في بَعْضِ الآيات أخْبَرَ أنه لايسأل عن ذَنْبِهِ إنْس ولا جَان وفي بَعْضِ الآيات أنَّه جَلَّ وَعلا يَسْألهم ،

قال تعالىٰ ﴿ ماذا كُنْتمُ تَعْبُدون ﴾ وقال تعالىٰ ﴿ ماذا أجَبْتمُ المرسلين ﴾ فالسُؤال المنفي سُؤال الاسْتعلام والاسْتِفهام عن الأمور المجهُول ، فإنه لا حَاجَة إلى سُؤالهم مع كمال علم الله واطلاعه قال تعالىٰ ﴿ وأن الله قد أحاط بكل شئ علما ﴾ والسؤال المُثْبَت واِقع على تَقرِيرهم بِأعْمالِهم وتَوبيخِهم وبَيانِ أنَّ الله حَكَمَ فِيهم بِعَدْلِهِ وحكمتِهِ .

(٤٥) ومِن ذَلكَ الاخيار أنَّه لا أنْسَابَ بَيْنَ الناس يَوم القيامة وفي آيات أُخْرى أثْبتَ لهم ذلك فالمُثْبَتَ هو الأمر الواقع والنسبُ الحاصِل بَيْنَ الناس كقوله ﴿ يومَ يَفِر المرء من أخيه وأمه وأبيه ﴾ والَمْنِفي هو الانْتِفَاعُ بها فإنَّ الكفار يَدَّعُونَ أنَّ أنسابَهُم تَنْفِعُهُمْ يوم القيامة فأخبر تعالىٰ أن لا ينفع مأل ولا بنون ﴿ إلا مَن أتى الله بقلب سليم ﴾ .

(٤٦) ومِن ذلك الشفاعةُ فإنَّهُ أثْبَتهَا في عدَّة مَواضِعَ ونَفاهَا في مَوَاضِعَ مِن

القرآن وقَيَّدَهَا في بَعْضِ المواضع بإذن ولِمنْ إرْتَضى مِن خَلْقِهِ فَتَعَيَّنَ حَمْلُ المُطْلَقِ على المُقَيِّدِ وأنَّها حَيْثُ نُفِيَتْ فَهِي الشفاعةُ التي بغير إذْنِهِ ولغَير مَن رَضي الله قولَه وَعمله وَحَيْثُ أُثْبِتَتْ فهي الشفاعَةُ التي بإذنِهِ لِمَنْ رضي الله عنه وأذن فيه .

(٤٧) ومِن ذلك أنَّ الله جل وعلا أخبر في آياتٍ كَثِيرة أنه لا يَهْدِي القومَ الكافرين والفاسِقين والظالمين وفي آيات أخرى أنه يَهْدِيهم ويُوفِقهُم فَتعَيَّنَ حَمْلُ المَنْفِيَّاتِ عَلىَ مَنَ حَقَّتْ عليه كلمةُ الله

قال تعالىٰ ﴿ إنَّ الذينَ حَقَّتْ عليهم كلمة رَبِّكَ لا يُؤمِنوُن وَلو جَاءهم كل آية حِتَىَّ يَرَوْا العَذاَبَ الألِيمْ ﴾ وحَمْلُ المُثِبتاتِ على مَنْ لم تحق عَليهم الكِلمةُ وإنما حَقَّتْ عَلِيهم كلمةَ الله بالعَذابَ والَطَّرد والإبعادِ عَلى مَن إرتَكَسُوا في حَمْأة التَّقْليد وغَرقوا في بَحْرِ الغفلةِ وأبوا أنْ يَسْتِجَيبْوا لِدَاعي آيات الله الكَونِيِّة والعِلمية

قال الله جل وعلا ﴿ فَلَمَّا زَاغُواَ أزَاغ الله قُلوبَهُمْ ﴾ ﴿ والذِين اهتدوا زادهم هُدىٰ ﴾ وهذا هو الحق الذي لا رَيْبَ فيه .

(٤٨) ومِنْ ذلك الإخبار في بعض الآيات أنه العَلّي الاعْلىَ

قال تعالى ﴿ وهو العَليُ العَظِيـم ﴾ وقال تعالىٰ ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ وقال ﴿ رفيع الدرجات ﴾ وقال تعالىٰ ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ وفي آيات أُخرى أخبر أنَّهُ مَعَ العبد

قال تعالىٰ ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ وقال تعالىٰ ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين محسنون ﴾ وقال ﴿ والله مع الصابرين ﴾ فعلوه سبحانه أمر ثابت له وهو من لوَاَزم ذاته ودُنُوِّه وَمَعِيَّتُهُ لِعبَادِهِ لِأنه أقْرَبُ إلى كل أحَدٍ مِن حبلِ الوَرِيد فهو سبحانه عَلى عَرشه عَلِي عَلَى خَلقِهِ

وَمَعَ ذلك فهو مَعَهُم في كلِ أحوالهم ولا مُنَافَاةَ بَيْنَ الأمرين لأن الله جل وعلا ﴿ ليس كمثله شئ في جميع نعُوتِهِ ومايُتَّوهم بِخِلاف ذلكَ فإنه في حق المخلوقين ﴾ قال بَن القيم رحمه الله

وله العُلو من الوُجُوه جَمِيعهَا

ذَاتاً وقَدْراً مَعْ عُلوُ الشّانِ

والمعيةُ تَنْقَسِم قِسمين عامة تأتِي في سِيَاق التخويِف والتحذير والتراغيب والترهيب وتقدمت الآيات للعامة والخاصة والمعية الخاصة بالمحسنين والمتقين والصابرين والصادقين ونحوهم وهذه تتضمن مَحَبَتَهُم وتَوفِيقَهُمْ وكَلاءتَهم وإعانَتَهم فحَيَثْ وَقَعَتْ في سِيَاقِ التّحْذِيْرِ والتَّخِوْيْف والتَّرهِيب فَهِي من النوع الأول .

(٤٩) ومن ذَلك النهي في كثيرٍ من الآيات عن مُوَالاتِ الكُفَّارِ وعن مُوادَّتِهِم وفي بَعْضِ الآياتِ الأمْرْ بالاحسانِ إلى مَن لهُ حَقِ علَى الانسانَ منهم ومُصَاحَبته بالمعروف كالوالدين والجار ونحوهم فالآيات العَامَّةُ من الطَّرفيْن قد وَضَّحَها الله في قوله ﴿ لايَنْهَاكُم الله عَن الذين لم يُقَاتِلُوكم في الدِيْنِ ولم يُخْرجوكم أن تَبَرُّوْهُم وتُقْسِطُوا إليهم إنَّ الله يُحب الْمُقسطين ﴾ ﴿ إنما يَنْهَاكم الله عنِ الذين قَاتَلُوكم في الدِيْن وَأخْرجُوْكُم مِن دِيَارِكم وظَاهَرُوْا على إخْرَاجِكُمْ أن تولوهم ومن يتولَهم فأولئك هم الظالَمون ﴾

فالنَّهي وُاَقِع عَلى التَّوَلِيْ والأَمْرُ بالإحسانِ والبِر واقِع على الإحسان لِأجْل القَرابَةِ والجِيْرة ، ومِن ذلك أنّهُ أخْبَرَ أنه خَلَقَ الأرضَ ثم استوى إلى السماء فَسَوَّاهُنَّ مُنَّ سَبْعَ سَمَوَات ، وفي آية أخرى لما أخبر عن خَلْقِ السَّمَواتِ أخبر أنّ الأرضَ بعد ذَلكَ دَحَاهَا ، فهذه الآية تُفَسّرِ المرَادَ وأن خلق الأرض مُتقَدّمِ على السموات ثم بعدَ خلق

السموات دحا الأَرض فأودعَ فيها جَميْع المصَالح الَّتِي يَحْتَاجُ إليها سُكاَّنُهاَ .

(٥٠) ومِن ذلك أنَّهُ تعالىٰ أخَبْر أنهُ بكلِ شيْ عَلم وأَخْبَرَ تَارَةً بتعلُّقِ عِلْمِه بِبَعْضِ أعْمَالِ العِبادِ وببعْض أحْوَالِهم وهَذا الأَخِيرْ فيه زِيادَةُ مَعْنَى وهويدُل على المُجازَاتِ على ذلكَ العَمَل سَوَاءً كانَ خَيْراً أَوْ شرَاً فيتضمّنُ مَعَ إحَاطَةِ عِلْمِهِ الترغيبَ والتَّرهْيْبِ .

(٥١) مَبْنَى الدْين عَلى قَاعِدَتَينِ الذّكر والشكر وليس المراد بالذكر مُجَرَّدُ ذكر اَللسان بَلِ اَلذِكر اَلقَلْبي واللسَانِيْ وذلك يستْلزِمُ مَعْرِفَتَهُ والإيمانَ بِهِ وبصِفَاتِ كَمَالِهِ ونُعُوْتِ جَلَالِه والثناء عَلَيه بأنواع المدح وذَلَكَ لا يَتْم إلا بِتَوَحْيدْهِ فذكره الحقيقي يَستْلْزِمُ ذلك كله ويِستْلزِمُ ذِكْر نِعمهَ وآلَائِهِ وإحْسَانِه إلى خَلْقِهِ

وَأمّا الشكرُ فَهُوَ القِيَامُ بطَاعَتِه فذكره جل وعلا مُسْتَلْزِم لِمَعْرِفَتِه وشكْرِهِ وَمُتَضَمِنٌ لِطَاعَته وهذان هُمَا الغَايَةُ التي خُلقَ لأَجْلهَا الجنُ والإنس قال أبو الدَّرْدَاء ياحَبَّذَانَوْم الأكياَسِ وفطْرهُم كَيْفَ يَغْبُنُونَ به قِيَامَ الحَمْقَى وصَوْمَهُمْ والذَّرْةُ مْن صاحِبِ يَغْبُنُونَ به قِيَامَ الحَمْقَى وصَوْمَهُمْ والذَّرْةُ منْ صاحِبِ تَقْوى أَفْضَلُ مِن أمثْاَلَ الجبَال من عِبَادة المُغْتَرِيْن وهَذا مِن جَوَاهر الكَلام وَأدِله على كال فقه الصَّحَابَة وتقدمهم على مَنْ بعدهم في كل خير رضي الله عنهما .

(٥٢) لاشئ أَفْسَدَ لِلْأعَمالِ مِنْ العُجْبِ ورُؤيَةِ النَّفْسِ ولا شَئَ أصْلَح لَها مِنْ شُهود العَبْد مِنَّة الله وتَوْفيقه والاستِعَانة بِهِ والافتقار إليه وإخلاصِ العَمل له .

(٥٣) أصُوُلُ المَعَاصِي كُلِّهاَ كِبَارُهَا وصِغَارُهَا ثَلاثَة تعلقُ القلب بغير الله ،

وطاعةُ القُوَة الغَضَبيَّةِ ، والقُوة الشهوانية ، وهي الشّركُ ، والظلم والفَواحش فَغَايَةُ التَّعَلُقِ بغَير الله شِرْك ، وغايةُ القُوة الغَضَبيَّة اَلقَتل ، وَغَايَةُ الُقَّوة الشّهْوَانِيةِ الِزّنَا ، ولِهذَا جمع الله الثلاثة في قوله ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلَهاً آخر ولَايقْتُلوُن النَّفسَ التي حَرَّمَ الله إلا بالحق ولا يَزْنوُن ﴾ .

(٥٤) هَجْرُ القُرآنِ أنواع ، هَجْرُ سَمَاعِهِ والإيمان بِهِ وهَجْرُ العَمَل به وهَجْرُ تَحْكِيْمِهِ وهَجْرُ تدَبُّره وهجر الاسْتِشْفَاءَ به في أمْرَاضِ القُلَوب والأبْدَانِ وكلُ هَذَا دَاخِلُ في قول الله تعالىٰ ﴿ وقال الرسول يارب إنَّ قومي إتَّخذَوا هَذا القرآن مَهْجُورَا ﴾ .

(٥٥) للْقَلْبِ ستَّةُ مَوَاطن يَجُول فيها ثلاثة سَافلَةٌ دُنْياً تَتزَيَّنُ له ، وَنَفْس تحُدّثُه ، وَعدُو يُوسْوِسُ لَهُ وثَلاثة عَالية ، عِلْم يُبَيّنُ لَهُ ، وعَقْل يُرْشِدُه ورَب يَعْبُده ، والقُلُوبُ جَوَّالَة في هَذِهِ المَواطن .

(٥٦) إنَّمَا يجَدُ المَشَقَّةَ في تَرْكَ اَلمأْلُوفات مَن تَركَهَا لغير الله فأمَّا مَنْ تركهَاَ صادقاً مُخْلصاً مِن قلبه ، فإنه لَا يَجدُ في تَرْكهَا مَشَقَةً إلَّا في أوَّلِ وَهلة ، لِيُمْتَحَن أصَادِق هُوَ في تركها أمْ كاذِب ، فإنْ صَبَر عَلى تَرْك المَشَقَّة اسْتحَالَة لَذَّةً ، مَن تَركَ شيئاً لله عوَّضَهُ الله خيَرْاً منه ، والعِوَضُ أنْوَاع مُخْتَلفَة وأجلُّ ما يُعَوَّضُ بِهِ الأُنْسُ بالله ومَحَّبَتُهُ وطُمَأْنِيْنَة القلب به وقُوتُهُ ونشَاطُه وفَرَحُهُ ورِضَاَهُ عن رَبّه .

(٥٧) العَبْدُ يَترَقّى مِن مَعْرِفَةِ أفْعَالِ الله إلى الصفات ومِن مَعْرِفَةِ الصّفاتِ إلَى مَعْرِفةِ اَلذاتِ فإذا شاهدَ شيئاً مَن جَمَالِ الأفعالِ إَسْتَدَل به على جمالِ الصفات ثم اسْتَدَلَ بجمَال الصفاتِ على جمال الذاتِ فما ظَنُّكَ بِجَمالِ حُجبَ بأوصَافِ الكمَالِ وسُتر بنُعوُتِ العَظَمَةِ والجَلالِ

ولهذا كان له الحمد كله من جميع الوجوه .

(٥٨) أنفعُ الناسِ لكَ مَنْ نَفَعَكَ في دِينِكِ وحَذَّرَكَ مِن قَطْعِ وَقتك في غير طَاعَة الله .

(٥٩) لِلْعَبْدِ مَوْقِفَانِ بَيْن يَدَيْ الله مَوْقِف بَيْنَ يَدَيْهِ في الصلاة وموقِف بَيْنَ يَدَيْه يَوم لِقائِهِ فَمَنْ قَامَ بِحَقّ الَموقِف الأُول هُوّنَ عَلَيه الموقِف الآخَر ، ومَن اسْتَهانَ بهَذَا الموقِف ولم يُوَفِهّ حَقَّهُ شُدّدَ عليه ذلك الموقف .

(٦٠) العَارِفُ لَا يَأمُر الناسِ بتَرك الدُنْيَا فإنهم لا يقَدِرُوْنَ على تَرْكِها ولَكن يأمرهم بأن لا يَصْرِفُوا كل أوقاتهم في طَلِبها ، ويَجْعُلوُا جُلَّ أوقاتهم لِلآخرة فيما يُقَرّبُهُم إلى الله ويَأمرهم بِتَرك الذُنوُب مَعَ إقامِتَهم عَلى مَا يَحْصُلُ لَهُم به الكفاف مِن طلَب المعاش ، فإنْ صَعُب عليهم تَرْكُ الذُنوُب فِلْيَجْتَهِد في أنْ يُحبَب إليهم رَبّهم الذي رَبَّاهُم وربي جميع العالمين بَنعمه ، ويُذكِرهُم بألآئه وصفاتِ كماله ، فإن القُلوب مفطورة على مَحَبَّته ، فإذا اتَعَلَّقَتْ بِحُبّه هَانَ عَليها تَرْكُ الذُنوب والإقْلال منها.

(٦١) الإيمانُ لَهُ ظاهر وبَاطِن فظَاهِرُةُ قَولُ اللسانِ وعملُ الجوارح ، وباَطِنُه تَصَدْيْقُ القلب وانقيادُهُ ومَحَبَّتِهُ ، فلا يَنْفَعُ ظاهِرِ لا بَاطِنَ لهُ ، ولايُجزئ باطِن لَا ظَاهِرَ لَهُ ، إلا إذَا تَعَذَّرَ بعجَزْ أو إكْراه أو خوْف هَلاك ، فَتَخَلُفُ العَمَل ظاهراً مَعَ عَدَم المانِع دَلِيْل عَلى فَسَادِ الباطِنِ وخلِوه من الايمانِ ، وَنَقْصُهُ دَلِيْل نقصِهِ وَقُوَّتُه دَلْيل قُوَّته فالإيمَانُ قَلْبُ الاسلام وَلُبُّهُ ، واليَقيْنُ قَلْبُ الإيمان وَلبّهُ ، وكُلُ عِلمٍ وعمَلٍ لَايَزِيْدُ الإيمَانَ واليَقْينَ قُوَّةً فَمَدْخول ، وكُلُ إيمانٍ لايَبْعَثُ عَلَى العَمَل فَمْدخُول .

(٦٢) جَمَعَ النبيُ ﷺ بَيْنَ تَقْوى الله وحُسْن الخُلُق لْانَّ تقوى الله يُصْلحُ مَابَيْن العَبْد وبَيْن رَبّه ، وحُسْنُ الخُلُقِ يُصْلِحُ مابَيْنَهُ وبَيْن خَلْقِهِ ، فَتَقْوى الله تَوجبُ له مَحَّبةَ الله ، وحُسْنُ الخُلُق يَدْعُو النَاسَ إلى مَحَبَّتهِ ، وجَمَعَ ﷺ بَيْن الاسْتِعَاذَة مِن المأثِم وَالمْعزِم ، لِأَنَّ المأْثَم يُوجْبُ خسَارَة الأَخِرةَ ، وَالْمَغْرَم يُوْجِبُ خَسَارَةَ الدنيا وجمع ﷺ في قوله ﴿ فاتَّقُوا الله وأجْملوا الطَّلبَ ﴾ بين مَصَالح الدنِيا والآخِرة ، فإنَّ مَن اَتّقىَ الله أدْرك نعِيْم الآخرة ، ومَن أجْمَل في الطلب إسْتَراحَ مِن نَكدِ الدُنيَا وهمومُهاَ .

قَبُوْلُ المَحَلّ لِمَا يوُضَعُ فيه مَشْروْط بَتفريْعِه مِن ضِدِه وَهَذا كَما إنه في الذوات والأعيان فكذلَكَ فَي الاعتقادات والإرَادَاتِ فإذا كَانَ القَلْبُ مُمْتَلَئاً بالبَاطل إعتقاداً ومَحَبةً لم يَبْقَ فَيه لاعْتِقَادِ الحَقِ وَمحَبَّتِهِ مَوضِع كَمَا أنّ اللسان إذَا اشْتَغَل بما لَا يَنْفَع لم يَتمكّن صَاحِبُهُ مِن النُّطْقِ بما يَنْفَعهُ إلا إذاَ أفرغَ لِسَانَهُ مَن النَّطْقِ بالباطِل وكذَالكَ الجَوَارِح إذا اشْتَغَلتْ بِغَيْرِ الطّاعَةِ لم يُمْكِنْهَاَ شُغْلُهَا بالطاعة إلّا إذَا افَرغَّهَاَ مِن ضِدِهّاَ .

إنتهى

«مواعـظ وفوائـد»

ما أقبح الغفلة عن طاعة مَن لا يغفل عن بِرِّكَ وعن ذِكْرِ مَن أمَرَكَ بذكره.

قال أبو حازم: يَسْيرُ الدنيا يُشْغِلُ عن كثير الآخرة، وقال: ما أحْبَبْتَ أن يكـونَ مَعَكَ في الآخرة فَقَدِّمْهُ اليوم، وما كَرِهْتَ أن يكون معكَ في الآخرة فاتْرُكَهُ اليوم.

وقال بعضُهم يُوصي ابنه: إنه مَن قَنِعَ بما قَسَمَ الله له اسْتَغْنى، ومن دَاخَلَ السُفَهاءَ حُقِر، ومَن خَالَطَ العُلماءَ وُقِّرْ.

ومَن دَخَلَ مَدَاخِلَ السُوءِ اتُهم، يا بُنيَّ قُلْ الحقَّ لكَ أو عَلَيكَ، وإيَّاكَ والنَّمِيمَةَ فإنها تَزْرَعُ الشَّحْناء.

وعنه رضي الله عنه أنه قال: من اشتاق إلى الجنة سَارع إلى الخيرات ومَن أشفق مِن النار انتهى عن الشهوات ومَن تَيَقنَ بالموت انْهَدَمَتْ عليه اللذات ومَن عَرَفَ الدنيا هانَتْ عليه المُصيبات.

وقال: بُدَيلُ العُقيلي مَن أرادَ بعمله وَجْهَ الله عزَّ وجل أقْبَلَ الله عليه بوجهِهِ وأقبلَ بقُلُوب العباد إليه، ومَن عَمِلَ لِغَير الله عَزَّ وجَلَّ صَرف الله عَزَّ وجَلَّ عنه وجْهَهُ وصرَفَ قُلوبَ العباد عنه.

وقال محمد بن واسع: إذا أَقْبَلَ العبدُ بقلبه إلى الله عز وجل أقْبَلَ الله عز وجل إليه بقلوب المؤمنين.

نصائح وفوائد وحِكَم وقواعد ومواعظ وأحكام

٧ ـ بَادِرْ بالعَمَلِ الصّالحِ الذي يرضي الله مَهْما أمْكنكَ فإن لأجَل يأتي بَغْتَة، فَكُنْ عَلى أُهْبَةَ الإستعداد لهُ.

٨ ـ تِلاوَة كِتَاب الله وسنة رسوله ﷺ وتَفَهُمهُما، ومُطالعة كتب السَّلَفِ وسيرتهم مَنفعـةٌ في الـدنيا والآخـرة ومَسْـلاةٌ عن الهُمُـوم والأحزان والمُنغصاتِ والمُكدِّرات.

٩ ـ العَطْفُ والتَّوَدُدُ إلى عبادِ الله المستقيمينَ على اتّباعِ الكتابِ والسنةِ من علاماتِ رَجَاحَةِ العَقْلِ.

١٠ـ أمْسِـكْ لِسَـانَكَ عن ما يَضُركَ يَسْلَم بَدَنُكَ وجَنانُك وأشْغِلْهُ بِتِلاوةِ كتاب الله وسُنَّةِ رسوله ﷺ.

١١ـ إن قَدِرْتَ أن لا تُسْمِعَ أُذُنك إلا ما يَنْفَعُكَ في الدنيا والآخرةِ من كلام الله وكلامِ رسوله أو ما هُو مُسْتَمِدٌ منهما فلا تَدَّخَرْ واجْتَهِدْ في ذلك.

إجعـل جليسـك قرانـاً تفهمُـهُ ومـا أتى عن رسـول الله من كَلِم
واتْـرُكْ مَجَـالِسَ قَوم لَيْسَ عنـدهُم سِوَى المـآثِمِ مِن قولٍ ومن كَلِمِ

قال بعضُ العُلماءِ على سبيل النُصْحِ والإرشاد يا هذا إنما خُلِقَت الدنيا لِتَجُوزَهَا لا لِتحوزها ولِتَعْبُرَها لا لِتَعْمُرها فاقْتُلْ هَوَاكَ المائلَ إليها ولا تُعَـوِّلْ عليهـا واعلم أنَّ الـدنيا مَزْرعةُ النَّوائِب ومَشْرَعَةُ المصَائِب ومُفَرِّقَةُ المجامع ومُجْرِيَةُ المدَامع.

نَبْكي على الـدُنيا ومَـا مِن مَعْشرٍ جَمَـعَـتْـهُمُ الـدنيا فلم يَتَفَـرَّقـوا
أين الأكـاسِـرَةُ الجَبَـابِـرةُ الأولى كَنَـزوا الكنُـوزَ فمـا بَقينَ ولا بَقُـوا
مِن كُل مَن ضاق الفضـاءُ بِجَيْشِـهِ حتـى ثوى فَحـواهُ لَحْـدٌ ضَيِّقُ
خُرُسٌ إذا نُودُوْا كَأَنْ لمْ يَفـهَـمُـوا أنَّ الـكـلامَ لهُـم حَلالٌ مُطْلَقُ
فالمـوتُ آتٍ والنُفـوسُ نَفَـائِسٌ والـمُـسْـتَـغِـر بمـا لَدَيْهِ الأحْمَقُ

وقـال بعضُ العلمـاء مَن تَفَرَّدَ بالعلم لم تُوحِشْهُ الخَلْوَةُ ومَن تَسَلَّى بالكتب لم تفُتْه سَلوة وإنَّ هذه القلوب تَملُ كما تَمَلُ الأبدان فابتغوا لها طَرَائفَ الحِكْمة.

والحِكمـة مُوقِـظَةُ لِلقُلوب من سِنَـةِ الغَفْلة ومُنْقِذَةٌ للبَصائِرِ من سِنَةِ الحَيْرة ومُحْيِيَةٌ لهـا بإذنِ الله مِن مَوْتِ الجَهَالةِ ومُسْتَخْرِجَةٌ لَهَا من ضِيق الضَّلالةِ لِمَنْ وَفَّقه الله تعالى. والله أعلم وصلى الله على محمد.

١٢ـ رَوْضَةُ العِلْمِ النافعِ وهو ما جاءَ مِن الكتاب والسنة أَحْسَنُ رَوضةٍ وأَنْفعُ رَوْضة وأَرْفعُ روضة.

١٣ـ الفِكْرُ في المعادِ يُنْسي أُمُورَ العِبَاد ويَحِثُ على الاستعداد والتأهُبِ ليومِ المعاد فَعَلَيْكَ به.

١٤ـ حُسْنُ التَّدْبيرِ مَعَ الكفافِ خَيرٌ من التبذير معَ اليَسار، قال الله جلَّ وعَلَا: ﴿ولا تَجْعلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ ولا تَبْسُطْها كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُورَا﴾. وقال تبارك وتعالى: ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾. وقال جَلَّ وعَلا وتقدس: ﴿والذين إذا أَنْفَقُوا لم يُسْرفوا ولم يَقْتُروا وكان بينَ ذلك قَوَامَا﴾.

بَيْنَ تَبْـذيرٍ وبُـخْـلٍ رُتْبَـةٌ   وكِـلا هَذَيْنِ إنْ زَادَ قَتَـلْ

١٥ـ أَشْرَفُ الأوقاتِ التي يَعْمُرها الإنسان ما تَقَضّى بِطاعَةِ الله، ومَن أرادَ حِفْظَ أوقـات عُمـرِه فلْيَجْعلْ كلامَهُ ذِكْرا وصَمْتَهُ تَفكُّرا وَنَظَرَهُ عِبْرَةً وعَمَلَهُ بِرَا وذهابُه وإيابه فيما يرضي الله.

١٦ـ وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه مَن جَمَع سِتّ خِصَال لَمْ يَدَعْ للجنة مَطْلبا، مَن عَرَفَ الله فأطاعَهُ، وعَرَفَ الشيطانَ فَعَصَاه، وعَرَف الحقَّ فاتَّبَعَـه، وعَـرَفَ البـاطِلَ فاتَّقاه وعَرَفَ الدنيا فَرَفَضَها وعَرَفَ الآخرةَ فَطَلَبها، لما عَرَفَ القومُ قدر الحياة أما تُوافيها الهوى فعاشوا فانْتَهَبُوا بأكُفِ الجِدِّ ما نثِرَ في زمنِ البَطالَة.

وركْـبُ سَرَوْا والـليل مُلقٍ رُوَاقُـهُ   على كُلِّ مُغْبَـرِ الـطوالـعِ قَاتمِ
حَدَوا عَزَماتٍ ضَاقَت الأرضُ بَيْنها   فَصَـارَ سُرَاهُم في ظُهُـورَ العَـزَائمِ
تُرِيْهم نُجُـومُ اللَّيلِ مَا يَبْتَغُـونَـهُ   على عَاتِقِ الشِعْرى وَهَامِ النَّعائمِ
إذا طَرِدُوًا في مَعْـرك الجِـدِّ قَصَّفُوا   رِمَـاحَ العَطَايا في صُدُورِ المَكَارِمِ

اللهم اعْـطِنَا من الخيرِ فوقَ ما نَرْجُو واصْرِفْ عنًّا من السُّوءِ فوقَ ما نَحْذَرُ. اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوبَنَا بِرَجائِكَ واقْطَعْ رَجَاءَنا عَمَّنْ سِوَاكَ. اللَّهُمَّ إنَّكَ تَعْلَمُ عُيُوبَنَا فاسْتُرْهَا وتَعْلَمَ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بكَ وليًّا وكَفَى بِكَ نَصيرا يا رَبَّ العالمينَ اللَّهُمَّ وَفِّقْنا لِسُلُوكِ سَبِيلِ عِبَادِكَ الأَخْيارِ واغْفِرْ لنا ولِوالدَيْنا ولِجَميعِ المُسْلِمِينَ الأَحْياءِ منهُم والمَيِّتِينَ بِرَحْمتـكَ يا أَرحمَ الرَّاحمينَ وصَلَّى الله على مُحمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِين.

١٧ـ فصل: قالَ بعضُهُم يَعِضُ أَخَاهُ في الله ويُخَوِّفهُ في الله فقال: يا أخي إن الدنيا دَحضٌ مَزَلَّة، ودَارَ مَذَلَّة عُمْرانُها إلى خَرَابِ صائرٌ وعَامِرُها

إلى القُبـور زَائـرْ، شَمْلُهـا على الفُرْقَةِ مَوْقُوف، وغِناهَا إلى الفقر مَصْـرُوف الإكثار فيها إعْسار، والإعسار فيها يَسَار، فافْزَعْ إلى الله وارْضَ بِرِزْقِ الله، لا تَتَسَلَّفْ مِن دَارٍ فَنَـائِكَ إلى دَارِ بَقَائِكْ، فإنَّ عَيْشِكَ في الدنيا فَيءُ زَائِل وجِدَارُ مَائِل فأكْثِرْ من عَمَلِكَ واقْلِلْ مِنْ أَملِكَ. وأكْثِر من ذِكْرِ الله والاستغفار.

١٨ـ وقال آخر: العُقَلا ثَلاثَةٌ مَن تَركَ الدنيا قَبْلَ أنْ تَتْرُكَهُ وبَنى قَبْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَسْكُنَه، وأَرْضى خَالِقَهُ قَبْلَ أَنْ يَلْقاهُ واسْتَعَدَّ للموتِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَهُ. وأكثر من ذكر الله وحمده وشكره.

١٩ـ وقـال لُقْمـانُ لابنِـهِ يا بُنَيَّ إنَّـكَ اسْتَـدْبَـرْتَ الدنيا مِن يَوم نَزَلْتَها واسْتَقْبَلْتَ الآخرَةَ فأنتَ إلى دارٍ تَقْرُبُ منها أَقْرَبُ مِن دَارٍ تَبَاعَدْتَ منها.

٢٠ـ وقـال آخَـرُ: الدنيا جِيُفَةٌ فَمَنْ أَرادَ منها شيئاً فَلْيَصْبِرْ على مُعاشَرَةِ الكِلاب ونحوها.

وقال الشافعي:

ومـا هي إلا جيفَـةٌ مُسْـتَحِيلَةٌ عَليهـا كِلاَبٌ هَمُّـنَّ إجتِـذابُهـا

آخـر:

أيهـا المُغْتَـرُ بالـدنيا كم خَدعَتْ ما وَاصَل وَصْلِها مُحبٌّ إلا قطَّعت

يَامُـحِبَّ الـدنيا الغَـرُوْر إغْتِـراراً رَاكِـبـاً في طِلابِـهَـا الأخْـطَارَا

يا مُحِبَّ الـدنيا الغَـرُور إغْتِـرارا رَاكِـبـاً في طِلاَبِـهـا الإخْـطارا

يَبْـتـغي وَصْلَهَـا فَتَـأبَى عليهِ وتَـرى أُنْسَـهُ فَتُـبْـدِي نِفـارَا

خَابَ مَنْ يَبْتغي الـوصَـالَ لدَيها جَارَةٌ لم تَزَلْ تُسِـيء الـجِـوَارا
كم مُحِـب أرَتْـهُ أُنْـسـاً فَلَّمـا حاوَلَ الـزَّوْر صَيَّرَتْـهُ ازْوِرَارَا
شِيْبَ حُلْوُ الـلَّذَاتِ مِنْهَـا بِمُـرّ إنْ حَلَتْ مَرَّةً أَمَـرَّتْ مِراراً
في اكْتِسـاب الحلالَ منها حِسَابٌ واكتِسَـابِ الحرامِ يُصْلي النـارا
ولِبـاغـي الأوطَـارِ منهـا عَنـاءٌ سَوْفَ يَقْضِي ومَـا قضى الأوطـارا
كُلُ لَذَّاتـهـا مُنَغـصَـةُ الـعَـيْشِ وأرْبـاحُـهـا تَعُـودُ خُسَـارا
ولَـيالـي الـهُـمُـوم فيهـا طِوَالٌ ولَـيَالـي السُـرُورِ تمضي قِصَـارَا
وكَـفـى أنَّـهـا تَظُنُّ وإنْ جَادَتْ بِنَـزْرٍ أَفْـنَـتْ بِهِ الأعْـمَـارَا
وإذا ما سَقَـتْ خُمـورَ الأمـانـي صَيَّرَتْ بَعْـدَهـا المَنَـايا خِمـارَا
كم مَلِيْكٍ مُسَـلَّطٍ ذَلَّـلتْـهُ بَعْـدَ عِزٍ فمـا أطـاقَ انْتصـارا
ونَـعِـيمٍ قَدْ أَعْـقَـبَـتْـهُ بُؤوسٌ ومَـغَـانٍ قَد غادَرَتْـهـا قِفَـارَا
أيُّهـا الـمُسْـتعِيرُ منهـا مَتَـاعـاً عن قَليلٍ تَسْتَـرجِـعُ المُستَعَـارا
عَدِّ عن وَصْـلَ مَنْ يُعْـيرُكَ ما يَفْـنَـى ويَبْـقى إثمـاً ويكْسبُ عَارا
قَدْ أرَتْـكَ الأمثـالُ في سالِفِ الـدَّ هْـرِ ومـا قد أَرَتْـكَ فِيْكَ اعتبـارًا

اللَّهم نَجِّنا برحمتك من النار وعافِنا من دارِ الخِزْيِ والبَوَارِ وأَدْخِلنا بِفَضلك الجنةَ دارَ القرارِ وعامِلنا بكَرَمِكَ وجُودِكَ يا كريمُ يا غَفارُ واغْفِرْ لنا ولـوالـدينـا ولجميعِ المسلمين الأحياءِ منهم والميتينَ برحْمَتِكَ يا أرحم الراحمين وصلَّى الله على محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

٢١ـ قال عليُّ بنُ أبي طالِب رضي الله عنـه بُنِيتِ الفتْنَـةُ على ثلاث، النِساء وهُنَّ فَخُ إبليس المنصوب، والشَّرَابُ وهو سَيْفهُ المُرْهَفُ، والدِيْنَارُ والدِرهم وهما سهماه المسمومان، فَمَنْ مَالَ إلى النساء لَمْ

يَصْفُ له عَيْشُهُ، ومَن أَحَبَّ الشراب لم يُمَتَّعْ بِعقْلِهِ، ومَن أَحَبَّ الدِّرْهم والدِّينارَ كانَ عَبْداً لَهُما.

شعرا تفكَّرْتُ في الدُّنيا فأبْصرتُ رُشدها   وذَلَّلْتُ بالتقوى من الله حدَّها
أسَأْتُ بها ظَناً فأَخْلَفْتُ وعْدَها   وأصبحْتُ مَوْلاها وقد كنتُ عَبْدها

آخر:

سُرُور الوقتِ مَقْرُونٌ بِحُزنٍ   فكُنْ منه على حَذرٍ شديدِ
فَفِي يُمناهُ تاجٌ مِن نِضَارٍ   وفي يُسْراهُ قيدٌ من حديد

٢٦ـ الأمُ الخِلْقِ وَأَخِسُّهُم وأَرْذَلُهُمْ وأَكْفَرُهُمَ للإحسانِ والمعروف مَن نسِيَ الله جلَّ وعَلا واسْتَهانَ بأوامِرِهِ واقْتَحَم نَواهِيَهُ ولم يُبَالِ بعِلْمِهِ بِهِ واطِّلاعِهِ عليه وقدرته عليه نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

٢٧ـ ثلاثة من أقل الأشياء ولا يَزْدَدْنَ إلا قِلة، درهم حَلال تُنْفِقُهُ في طاعة الله وأخ مُسْتَقِيم على إتِّبَاعِ الكِتابِ والسُّنَّةِ تَأْنَسُ بِهِ وتَسْكِنُ إليه وأمِيْنٌ مُخْلِصٌ تَطْمِئنُّ إليه وتَسْتَرِيحُ إلى الثقة به.

قُلْ لَمَنْ فاخَرَ بالدنيا وحَامَى   قَتَلَتْ قَبلَكَ سَامَا وحَامَا
نَدْفُنُ الخِلَّ ومافي دَفْنِنَا   بَعْدَهُ شَكٌّ ولكنْ نَتَعَامَى
إنَّ قُدَّامَكَ يَومًا لَوْ بِهِ   هُدِّدَتْ شَمْسُ الضُحى عادَتْ ظَلامَا
فانْتَبِهْ مِن رَقْدَةِ اللَّهْوِ وقمْ   وانْفِ عَنْ عَيْنِ تَمادِيْكَ المَنامَا
صَاحِ صِحْ بالقَبْرِ يُخْبِرك بِمَا   قد حَوَى واقْرأ على القوم السَّلامَا
فالعَظِيمُ القَدْرِ لو شَاهَدْتَهُ   لم تَجِدْ في قَبْرِهِ إلا العِظامَا

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِصَاحِ الأعْمَال وآتِنا في الدُّنْيَا حَسَنَةَ وفِيْ الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى الله عَلى مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ.

(فصــــلٌ)

٢٨- رُوِي عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما أنه قال يُؤتَى بالدنيا يَوْمَ القيامَةِ على صُوْرَةٍ عَجُوزٍ شَمْطَاءَ زَرْقَا، أنيابُها باديةٌ مُشَوَّهَةُ الخِلْقَةِ لا يُراهَا أَحَدٌ إلا كَرِهَهَا فتُشْرِفُ على الخَلائِق فَيُقالُ لهُم أتَعْرِفُونَ هَذِهِ فَيُقَالُ لَهُمْ هَذِهِ التي تَفَاخَرْتُم وتَحَاربْتُمْ عليها ثم يُؤمَرُ بها إلى النار فَتَقُولُ يارَبِّ أيْنَ أَتْبَاعِي وأَصْحابِي وأحْبَابِي فَيَلْحَقونها ووَجْهُ إلْقَائِهَا في النار لِيَنْظُرَ إليْهَا أَهْلَهَا فَيرونَ هَوَانها على الله جَلَّ وعلا.

٢٩- وذُكِرَ في الخبر عن عيسى عليه السلام أنه كان ذَاتَ يوم ماشِياً إذْ نَظَر إلى إمْرَأةٍ علَيها مِن كُلِّ زِيْنَةٍ فذَهَب لِيُغَطِّي وجْهه عِنْها فقالتْ إكْشِف عن وجْهكَ فلَسْتُ بإمْرأةٍ أنا الدنيا، فقال لها أَلَكِ زَوْج فقالتْ لِيْ أَزْوَاج كَثِيْر فَقَال أكُلٌّ طَلَّقكِ أَمْ كُلًّا قَتَلْتِ فقالَتْ بَلْ كُلًا قَتَلْتُ فقال حَزِنْتِ على أَحَـدٍ منهُم فقالَتْ هُم يَحْزَنُونَ عَلَيَّ ولا أَحْزنُ عليهم ويَبكون عَليَّ ولا أبْكِي عليهم.

يُسِيء إمْــرُؤ مِنَّــا فَيُبْغَضُ دَائِمًــا وَدُنْــيَاكَ مازالَـتْ تُسـيء وتُـومَـقُ
أسَـر هَواها الشيخُ والكَهْلُ والفَتَى بِجَـهْـلٍ فمِـنْ الـنَـوَّاظِـرِ تُرمَقُ
ومــاهِي أهْــلٌ أنْ يُؤهَّــلَ مِثْلهــا لِود ولـكــنَّ ابــن آدم أحْـمَــقُ

آخـر: مَثَـلُ الدنيا وانْخِدَاع الجُهّالِ والحُمُق بها كَمَثل الصَّبي في المهـدِ تُرْضِعُـهُ أمُّهُ وَتُسْدِلُ عليه ذالك الغِطَاء وتَهُدُهُ وتُغني لَهُ حتى ينام فكـذلـك الدنيا تُرضعهُ حَلاوَتها ولذَّاتَها وتُغطِي عليه الهوى وتُتابع عليه الأماني وتُطوّلُ لهُ في الأمل حتى ينام عن الآخِرة فكلما إزْدَادَ أَمَلُه طُوْلاً كان أثْقَل نوماً ثم سَقَتْهُ شَرْبَةً في نومِهِ من ذلك السم النافع وهو حُبُّ لِلدُّنْيا ففي ذلك هَلاكَهُ ولذلك قال النبي ﷺ حُبُّك الشيء يُعْمِي ويُصِمّ. فما ظَنُّك بِمَنْ أَعْمَاهُ وأَصَمَّهُ حُبُّ الدنيا عن الله تعالى وقال آخر: كم تُنْذِرُ الدُنْيا وما تَسْمَعُ وكم تُؤنِسُ مُحبَّها من وصْلِها ويَطْمَعُ فالعَجَبُ من ذكي فطن غرَّهُ سَرابٌ يَلْمَعُ.

شـــعر:

خسِسْـتِ يادَارُ دُنْـيانـا ورُبَّـتـمـا	يَرضى الخسِيسَـةَ أو باشٌ أخسَّـاءُ
إذا تَعَـطَّفْـتِ يَوْمًـا كنْـتِ قاسِيةً	وإن نَظَرْتِ بِعَـيْنٍ فهـي شوسـاءُ
وقـد نطقْتِ بأصْنـافِ العِـظَاتِ لَنا	وأنْتِ فيمـا يَرَاكِ النـاسُ خرْسَاءُ
أيْن الـمـلوكُ وأبنـاءُ المُلُوكِ ومَنْ	كانت لهُمْ عِزَّةً في الملك قعْسَاءُ
نَالُـوا يَسِيْراً من اللَّذاتِ وارْتَحلُوا	بِرغْـمِهِـم فإذا الـنَّعْمَـاءُ باسَـاءُ

٣٠ـ التِلْفَـاز وأفلامُ السِينماءِ والفِيديُو والمِذيَاعُ والدخان والكُورة وأوْرَاقُ اللعب والمجلاّت الخليْعَة والجرائِدِ وصُورُ ذواتِ الأرواح قَتَّالاتٌ للأوْقَاتِ ومُفْسِداتٌ للأموالِ والأخْلاقِ والجَاهِ والأدْيَانِ والعُقُولِ والأولاد والأهْلِ والأقَارِبِ والأصْدِقاءِ والجيرانِ ونحو ذلك.

شعرا :

إجْعَـلْ قَرِيْنَـك قُرآنـاً تَفَـهمَـهُ ... ومَـا أَتى عَن رسُـولِ الله مِن كلم

واتْـرُكْ مَجَـالِسَ قَوْمٍ لَيْس عنـدهُمُ ... سِوى المـآثِم من فعْلٍ ومِن كَلِمِ

آخر:

لَوْ يَعْلمُ العبدُ مافي الذِكْرِ من شرَفٍ ... أَمْـضَـى الـحَـيَاةَ بِتَسْبيحٍ وتَهْليلِ

٣١ـ الـزُّور يَشْمِـلُ كُلَّ مُنْكَـرٍ وَيَدْخُـلُ في ذَلِـكَ الشِـرك والكفر وأَعْيادُ المشـركين والاجتماع على شُرْبِ الخُمور، وأَصْلُ الزُور تحْسِيْنُ الشَّيءِ وَوَصْفُهُ بخلافِ صِفتِهِ فهو تَمْويْهُ البَاطِلِ بِمَا يُوْهِمُ أَنَّهُ حَقٌ وهَذا هو الواقِعُ مِن أَهْل الباطلِ فإنَّهُم يُحسِنُونَ المنكراتِ بِوَصْفِهَا بغَيرِ حَقيقتِها حَتى يَرْغَب فيها الناسُ وحَتّى لا يَنْفُرُوا مِنْها فيَكُونُ على فاعِلِ ذلك إثْمُ ما عَمِلَ واثْمُ الدعوةِ إليه وأَعْظَمُ مِن ذَلِكَ الدعوةُ إلى المنكر بالقول فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن دَعَا إلى هُدَى كان لَهُ مِن الأجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَن تَبعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِن أُجُورِهم شيئا ومن دَعا إلى ضلالة كان عليه من الاثم مِثْلُ آثَامِ من تبعَهُ لا يَنْقُصُ ذلك من آثامُهم شيئاً.

اللهم يامَنْ لا تَضُرُّهُ المعصيةُ ولا تنفعُهُ الطاعَةُ أيقظْنَا مِنْ نَوْمِ الغفلةِ ونَبِّهْنـا لاغتِنَـام أوقاتِ المُهْلَةِ ووَفِقْنا لِمَصَالِحِنَا واعْصِمْنا من قبائِحِنَا ولا تؤاخِـذْنـا بمـا انْـطَوَتْ عليهِ ضمـائِـرُنا وأَكَنَّتْهُ سَرائِرُنا مِنْ أنواعِ القَبَائِحِ والمعائِبِ التي تَعْلَمُها مِنا، وامنُنْ علينا يامولانا بتوبةٍ تمحو بها عنا كُلَ ذَنْبٍ واغفِرْ لنا ولوالدِيْنا ولجميع المسلمين الأحياءِ منهم والميتين برحمتِك يا أرحمَ الراحمين وصلى الله عى محمدٍ وآلِهِ وصحْبِهِ أجمعين.

(فصـــل)

٣٢- قال بعضهم ياهذا مَثِّلْ لِنفْسِكَ صَرْعَةَ الموت وما قد عَزَمْتَ أن تَفْعَلَ حِيْنَئِذٍ وَقْتَ الأَسْرِ فافْعَلْهُ وقْتَ الإطلاق ومَثِّلْ نفْسكَ في زَاويَةٍ مِن زوايا جهَنَّم وأنْتَ تَبْكي أبَـدًا وأبْوَابُها مُغْلَقَةٌ، وسُقُوفُها مُطْبَقَةٌ وهي سَوْداءُ مُظْلِمَةٌ لا رَفِيْقَ تَأْنَسَ بِهِ، ولا صَدِيْقَ تَشْكُو إليْهِ، ولا نَومٌ يُريْحُ ولا نَفَسَ ولا طَعَامَ إلَّا الزَّقُّوم ولا شَرَابَ إلَّا الحَمِيْم والصَّدِيْد قال كَعْبُ إنَّ أَهْلَ النارِ ليأكُلونَ أَيْدِيَهم إلى المنَاكِبِ من النَّدامةِ على تفْرِيْطِهِم ومايشعُرون بذلك، فانْتَبِهْ ياغَافِل لإغْتِنَام عُمُركَ وازْرَعْ في رَبيع حياتِك قَبْلَ جُدُوْبَةِ أرْضِ شَخْصِكْ، وادَّخِرْ من وَقْتِ قُدْراتِكَ لِزَمنِ عجْزِك، واعتبرْ رَحْلَكَ قَبْل رحيْلَك، فكَأنَّك بِحَرْبِ التَّلفَ قد قامَت على ساق وانْهَزمَتْ جُيُوشُ الأملِ، وإذا مَلك الموت قد بارز الروح.

قال أحَدُ العُلماءِ في مَوْعِظَةٍ لَهُ أُحَذِّرُكَ يا أخِي ونَفْسِي يَوْماً آل الله فِيْهِ على نَفْسِهِ أن لا يَتْرُكَ عَبْداً أمَرَهُ في الدنيا ونَهاهُ حتَّى يَسْأَلَهُ عن عَمَلِهِ كلِّه دَقيقِـهِ وجَليْلِه سِرَّه وعـلانِيَتِـهُ فانْظُرْ بأيِّ بَدَنٍ تقفُ بَيْن يَدَيْه وبأيِّ لِسَانٍ تُجيبُهُ، فأعِدّ للسُّؤالِ جوابًا، ولِلْجَوَاب صَوَابًا فتَفَكَر الآن وانْظُرْ بأيِّ قَدَمٍ تَقِفُ في ذلـك المقامِ، وبأيِّ أذُنٌ تَسْمَعُ ذلك الكلامِ، فكَمْ مِنْ قَلْبٍ يَنخَلِعْ، وكَم مِنْ كَبِـدٍ تَتَصَـدَّعُ وكَمْ من لِسَـانٍ يَتلجْلَجُ وكَمْ مِن أحْشَاءٍ تَتَموَّج، وكَمْ منْ نَفْسٍ تُرِيْدُ أنْ تَخْرُجَ فلا تُتْرَك أن تَخرُج فانْظُرْ ما أشأمَ تِلْك الأرْبَاح التي رَبِحْتَها وأخْسَر تِلك المعاملات التي عامَلْتَ بها أُنْظر كيْفَ

ذهَبَت مَسرتها وبقيَتْ حَسَراتُها والشَّهوات التي في ظلم العباد أنفَذْتَها كَيْفَ ذهَبَ عَنْكَ الفرحُ بها وبَقِيَتْ تَبْعتُها وانْظُرْ الآن بكم تَفْتَدِي مِن ذلك الموقف وبِكَم تتخلَّص مِنْ ذلك السؤال هَيْهَات أن يُقْبَل منك شيءٌ في ذلك الموقف حتى لو بَذَلْتَ مِلء الأرض ذَهَبًا.

أَلَيْسَ إلى الآجال نهْوَى وخَلْفَنا ... مِن الموتِ حادٍ لا يَغِيْبُ عَجُوْلُ
دَع الفِكْرَ في حُبِّ البقاءِ وطُوْلِهِ ... فَهَمُّكَ لا العُمر القصيرُ يَطُوْلُ
ومَنْ نَظر الدُنيا بِعَيْنِ حَقِيْقَةٍ ... تَيَقَّنَ أَنَّ العَيْشَ سَوْفَ يَزُوْلُ
وما هَذِهِ الأيامُ إلاَّ فوارِسٌ ... تُطارِدُنا والنائِبَاتُ خُيُولُ

٣٣ـ قال بَعْضُ الوُعّاظِ: أيا رَاحِلِيْنَ بالإقَامَة ياهَالِكِيْنَ بالسَّلامة أيْنَ مَنْ أخَذَ صَفْوَ ما أنْتُمْ في كَدَرِهِ، أمَا وَعَظَكُم في سَيْرِهِ بسيرِه، بَلْ قَدْ حَملَ بريدُ الإنْذَارِ أخْبارَهُمْ وأَرَاكُم تَصَفُحُ الآثارِ آثارَهُمْ. وقال العُمُرُ يَسِير وهُو يَسِيْرُ فاقْصُرْ عَنْ التَّقْصِيْرِ في القَصِير مَرَّ العُمُرُ والغِمْرُ مَشْغُول عن ما ذَهَب بالذهب. شِعْرًا.

تَفُوزْ بنَا المَنُون وتَسْتَبِدُ ... ونَهْلِكُ في الزَّمانِ ونُسْتَرَدُّ
ونَنْظُرُ ماضِياً في إثْرِ ماضٍ ... لقَدَ أيْقَنْتُ أَنَّ الأمْرَ جِدُّ
رُوَيْداً بالغِرار مِن المنايَا ... فَلَيْسَ يَفُوتُها السَّارِيْ المُجِدُّ
فأيْنَ مُلُوكُنَا الماضِيْنَ قِدْمَا ... أعَدُّوْا والنَّوائب واسْتَعَدُّوْا
أصَابُوا في الزَّمانِ نعِيْم عَيْشٍ ... فيا سَرعَانِ ما اسْتُلِبُوْا ورُدُّوْا
هُمُوْا فَرَطٌ لنا في كُلِّ يَوْمٍ ... نَمُدُّهُمْ وإنْ لم يَسْتَمِدُوْا

٣٤ـ وقال رحمه الله:

ياطالباً ما لايُدْرَكُ تَمَنَّى البَقَاءَ وما تُتْرَكُ وهَلْ غَيرُ الحَصَادِ لِزَرْعٍ قد استوى وأَفْرَكْ.

وكَيْفَ أَشَيْدُ في يَوْمي بِنَاءً وأعْلَمِ أَنَّ في غَدٍ عنه ارْتِحالِي

فلا تَنْصِبْ خِيَامَكَ في مَحَلٍ فإنَّ القَاطِنِيْن على احْتِمالي

إسْمَعْ يامَنْ أعمالُهُ رِيَاءٌ وَسُمْعَةٌ يامَن أَعْمَى الهَوَى بصَرَهُ وأَصَمَّ سَمْعَهُ يامَن إذا قام إلى الصلاة لم يُخْلِصْ ركعة، ياناثما في انتباهه إلى متى هذه الهَجْعَة، ياغافلاً عن الموت كم قلعَ الموتُ من قَلْعَة، وكم دخل دارك فأخذ غَيْرَكَ، وإنَّ له لرَجْعَة وكم طَرقَ جَبَّارًا فشَتَّتَ شَمْلَهْ، وخرَّبَ رَبْعَهْ.

شِعْرًا:

كَمْ لِمنَايَا في بَني آدَمَ تَوسُّعُ منهُ تَضِيْقُ الصُّدُورْ

فالوقْتُ لا يَحْدُثُ بسَاعَاتِهِ إلا الرَّدَى المَحْضُ بوَشْكِ المُرُورْ

أيَّامُنا السَّبعَةُ أَيْسَارُنا وكُلُنا فيهَا شَبيْهَ الجَزُورْ

طَهَّرْتَ ثَوْباً وَاهِياً ثُمَّ مَا قَلْبُكَ إلاَّ عادِماً لِلطُّهُورْ

لَوْ فَطِنَ النَاسُ لدُنياهُمُوا لاقْتَنَعُوْا مِنْهَا اقْتِنَاعَ الطُّيُورْ

نصائح ومواعظ وفوائد وحكم

٣٥ـ مَن بَدل لكَ نصحَه في الدِين فاحتمل غضَبَه.

٣٦ـ لَنْ يَذْهَبَ مِن مَالِكَ ما وَعَظَكَ وحَثَّكَ على طاعة الله وابْتِغاء مَرْضاتِه.

٣٧- مَن اجْتَرأ عَلَى مَعَاصِي الله تَعَرَّضَ لِلْهَوَانِ والخِزْيِ عند الله وعند خلقهِ وابْتَعَدَ الناس الصالِحُونَ عَنه.

٣٨- فقد الدين الإسلامي والصبر على فقده أعظم المصائب في الدنيا والآخرة.

٣٩- أشَدُّ الأَشْياءِ تأييداً لِلْعَقْلِ سُؤالُ الله التوفيق والسَّدادَ واستخارةَ الله ومَشاوَرَة العلماء المخلصين لله في أعمالِهم المستقيمين على طاعته الناصحين لِعبَاده المؤمنين.

٤٠- من أضَرِّ الأشياء على الإنسان كثْرةُ الاتصال بأعْداءِ الله ورسوله والمؤمنين والتَّذَلُّل لهم والسُكنى حَوْلَهُمْ أو مَعَهُم.

٤١- مَوْت الولدِ المُنْحَرِفِ عن الدين والعَاقِّ لِوالِدَيْهِ والمرأةِ غيْرُ المُسْتقيمةِ نِعمةٌ سَابِغَة على الانسان أَنْ يَشكُر الله إذا حَصَل لَهُما مَوتٌ أو فِراق.

٤٢- الدُّخَان والخَمرُ والفَسَادُ سُوْسُ المالِ والأَبدانِ والجاهِ والأَخْلاقِ والأولادِ والأهلِ والأصحابِ والجِيران.

٤٣- شفاءُ الصُدُورِ في طاعةِ الله وتِلاوَةِ كتابه وتدبره، والعمل به وبسُنَّة رسوله ﷺ.

٤٤- الكـذِبُ قَبيح وعَارٌ في الدنيا والآخرة ورُبَّمَا نفَعَ إذا قُصِدَ بِهِ إنقاذَ مُسْلِمٍ أو مَالِهِ أو أَهْلهُ من ظَالمٍ أو في حَرْبِ الكُفَّار أَوْ في الإصْلاحِ بَيْنَ الناسِ.

٤٥- فَقْدُ الدين الإسلامي والصبر على فقده أعْظم المَصَائِب.

وكُـلُّ كَسْـرٍ فإنَّ الله يَجْـبُـرهُ ومَـا لِكَسْـرِ قَنَـاةِ الـدِّيْن جُبْـرَانُ

٤٦ـ أصْدَقُ الناس المخلص لله في أقواله وأفعاله الثابت علَى توبَتِهِ من الذنوب.

٤٧ـ الإصْرَارُ على الذُنُوب وِعَاءُ الذُنُوب فاحْذَرْهُ.

تَتُـوبُ من الـذُنُـوبِ إذا مَرِضْتَـا ... وتَـرْجِـعُ لِلذنُـوبِ إِذَا بَرِيْتَـا
إِذَا مَا الـضُـرُّ مَسَّـكَ أَنْتَ بَاكٍ ... وأخْـبَـثُ ما تكُـونُ إذا قَوِيْتـا
فَكَـم مِنْ كُرْبَـةٍ نَجَّـاكَ مِنْهـا ... وكَـمْ كَشَـفَ البَـلاءَ إذا بُلِيْتَـا
وكَـمْ غطَّاكَ في ذَنْـبٍ وَعَـنْـهُ ... مَدَى الأيامِ جَهْـراً قد نُهِـيتـا
أمـا تَخْـشَـى بأن تأتـي الـمَنَـايَا ... وأنـتَ على الـخَـطايَا قَدْ دُهِيْتَـا
وكَمْ عاهَـدْتَ ثم نَقَضْتَ عَهْـداً ... وأنْـتَ لِكُـلِّ مَعْـرُوفٍ نَسِـيْتَـا
فَدَارِكْ قَبْـلَ نَقْـلِكَ مِنْ دِيَارِكْ ... إلـى قَبْـرٍ تَصِـيْرُ وقَـدْ نُعِـيْتَـا

اللهم افتـحْ لِدُعائِنا بابَ القُبول والإجابة واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

٤٨ـ قال أَحَـدُ العلمـاء رحمـه الله تعـالى إخْوانِي ذَهَبَتِ الأيامُ وكُتِبَتِ الآثـام، وإِنَّمَـا يَنْفَعُ الكَلاَمُ مُتَيَقِظاً والسلام إسْمَعْ يا مَنْ صحيفتُهُ بالذُنُوبِ قَدْ خَفَّتْ، ومَوَازِينَهُ لِكَثْرةِ العُيُوبِ قَدْ حُفَّتْ، والمُزْعِجَاتُ عليه قد الْتَفَّتْ لا تَغْتَرَّ بأَغْصَانِ المُنَى وإنْ أوْرَقَتْ ورَفَّتْ، فكأَنَّكَ بِهَا قَدْ صَوَّحَتْ وذَبَلَتْ وجَفَّتْ أَمَا رَأَيْتَ أَكُفًّا عن مَطَالبها قد كُفَّتْ، أما شاهَدْتَ عَرَائِسَ الأَجْسَادِ إلى الألحاد زُفَّتْ.

شعرا:

رَأَيْتُــكَ في النُّقصــانِ مُذْ أَنْتَ في المَهْـدِ تُقَــرِّبُكَ السَّاعَاتُ مِن سَاعَةِ اللَّحْدِ

نَظَر شَابٌ إلى شَيخٍ كبيرِ السِّنِّ ضَعيفِ الحَرَكَةِ فَقَالَ لَهُ يا شيخ مَنِ الذي قَيَّدَكَ فقال الذي خَلَّفْتُهُ يَقتُلُ قَيْدَكَ.

مَنْ أَخْـطَأتْـهُ سِهَـامُ المـوتِ قَيَّدَهُ طُولُ الـسِّـنِينِ فَلا لَهْـوٌ ولا غَزَلُ

وضَــاقَ مِن نَفْسِـهِ مَا كانَ مُتَّسِعـاً حتَّى الـرَّجـاءُ وحتَّى العَـزْمُ والأمَلُ

٤٩ـ المرأةُ الصالحةُ العَفِيفَةُ ذاتُ الدِيْنِ المُوافِقَة جَنَّةُ الدنيا فَمَنْ وَفَّقَهُ الله لها فَلْيَسْتَمْسِكْ بها.

وخَيْرُ النِسَـا مَنْ سَرَّتْ الزوجَ مَنْظراً ومَنْ حَفِــظَتْــهُ في مَغِيبٍ ومَشْهَـدِ

قَصــيرةُ ألْـفــاظٍ قَصـيرةُ بَيْتِـهــا قَصيرةُ طَرْفِ العَينِ عن كُلِّ أبْعَــدِ

عَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّيْنِ تَضفر بالمُنى الـ وَدُوْدِ الـوَلُـودِ الأصـلِ ذاتِ التَّعَبُدِ

٥٠ـ الكتاب المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مُفيدٌ للإنسان في الدنيا ونافع للإنسانِ في الدنيا والآخرة وهو الذي يَستمر نَفْعُهُ في الدنيا والآخرة.

٥١ـ إمْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ وإنْ كانت عِندَهُ قَبيحَةْ.

٥٢ـ لاشَيء أحْلى وأَحْسنَ وأَلَذَّ مِن سَمَاعِ كَلامِ الله وكَلامِ رسولِه ﷺ.

أَعِــدْ ذِكْــرَ قال الله قال رسُــولُـهُ هُمَــا المِسْــكُ مَا كَرَّرْتَـهُ يَتَضَـوَّعُ

آخر:

عَلَيْكَ بِذِكْــرِ الله في كل لَحْــظَةٍ فمــا خَابَ عَبْــدٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَذْكـر

٥٣ـ أَحْسَنُ القَول ما وافَقَ العَمَلَ قال الله تَبارَكَ وتعالى ﴿ومَن أَحْسَنُ قولاً

مِمَّنْ دَعى إلى الله وعَمِلَ صَالِحاً وقال إنّني من المسلمين﴾.

٥٤ـ مِن التَّـوَانِيْ ما يَكُـونُ سَبَباً للحِرْمانِ وعُرْضَةً للآفات، والغَالِبُ فِيه السلامَة وهو ضِدُّ العَجَلَة.

٥٥ـ ما أحَقُّ مَن غَدَرَ ألَّا يُوفَّى له.

٥٦ـ مَن نَظَرَ أبْصَرَ ومَنْ فكَّر اعْتَبَرْ.

٥٧ـ في الوجُوهِ تَظْهَر المودَّاتُ غالِباً.

٥٨ـ لا تُرْسِلَ الكَسْلانَ في حَاجَتِكَ فَتَنْدَم.

٥٩ـ الذي يُكْثِر الكلام على المائدةِ يُسْتنقَل ويُسْتكْرَهُ ويدعو الناس إلى غيبتهُ في الغالب.

٦٠ـ مَنْ حَفِظ سِرَّه مَلَكَ أمْرَهُ وصَارَ الخِيارُ لهُ في كَتْمِهِ أوْ نَشْرِهِ ولا يكتم السِّرَ إلا العاقل.

٦١ـ الكريم يُواسي إخوانه المُستقِيمينَ بما يقد عليه.

٦٢ـ مَنْ لم تَقْدِرْ على مُكافأتِهِ فادْعُ له وانصح له.

٦٣ـ مَنْ لم يَصْبِرْ على البَلاءِ وتَسَخَّطَ لم يَرْض بالقَضَاء.

٦٤ـ الغَرِيْب والبعيد الناصحان خيْرٌ من القريبِ والصَديقِ الغاشِ فتأمل وتدبَّرْ.

٦٥ـ مَنْ لم يَرضَ بِرِزْقِهِ عَذَّبَ نفسهُ وضرَّها.

٦٦ـ فَقْدُ الصبر عن المعاصي وفَقْده على الطاعات وفقده على أقْدار الله من أعظم المصائب.

(فصـــل)

٦٧ـ إحْذَرْ عَدُوَّكَ في الدين وإنْ أَحْسَنتَ إليه.

٦٨ـ الخُسْرانُ المُبين تَضْييعُ ما فَرضَهُ رَبُّ العالمين.

٦٩ـ سَاعَاتُ السُرُور قد تكونُ جَالِبَةً لِلْمَحْذُورِ.

٧٠ـ الهَمُّ ظلمةٍ جلاؤها الفرج من الله جلَّ وعلا.

٧١ـ من تَسَلَّطَ على الناس ظُلْماً وعُدْواناً لم يَسْلم من الهَوَان.

٧٢ـ مَن لَمْ يُنِلْكَ البرّ في حَياتِهِ لم تَبْكِ عَيْناكَ على وَفَاتِهِ في الغالب.

٧٣ـ مَن جَهِلَ شيئاً عَادَاهُ في الغالِبِ ومن أَحَبَّ شيئاً اسْتَعْبَدَهُ في الغالب.

٧٤ـ مِن مَأْمَنِهِ قد يُؤتى الحَذِر.

٧٥ـ رُبَّ بَزَّةٍ وهَيْئةٍ ظَاهِرة تَحْتها حَاجَةٌ باطِنَةٌ.

٧٦ـ الاجتهاد في طَاعةِ الله ورسوله أربح بِضاعَة.

٧٦ـ اجْعَلْ سِرَّكَ لِوَاحِدٍ تَثِقُ بِهِ ومَشورَتِكَ لمنْ شِئْتَ ممَّنْ يُوثِقُ بدينهمْ وأمانَتِهِمْ.

٧٦ـ اجْعَلْ لدُنياكَ نَصيباً ولِدينكَ النَّصيبَ الأوفرَ مِن وَقْتِكَ ومَالِكَ حتى تَرْبَحَ الدنيا والآخرة.

قال بَعضُ العُلماءِ تأمَّلْتُ أمر الدنيا والآخرة فَوَجدْتُ حَوادِثَ الدُّنيا حسِّيَّة طبيعيَّة وحَوادِثَ الآخرة إيمانيَّةً يَقينِيَّةً والحِسيَّاتُ أقْوى جَذْباً لِمَنْ لَمْ يَقْوَ عِلْمُهُ ويَقينُهُ والحوادِثُ إنَّما تَبْقَى بكثرت أَسْبابَها، فَمُخالَطَةُ الناس ورُؤيَةُ المُستَحْسنات والتَّعرضُ بالملذُوذات يُقوِيْ حَوادِثَ الحِس، والعُزْلَةُ

والفكرُ والنظرُ في العلم يُقَوي حَوَادِثَ الآخِرَة، ويُبَيِّنُ هَذَا بأنَّ الإنسان إذا خرج يمشي في الأسواقِ ويُبْصرُ زينَةَ الدنيا ثم دخل إلى المقابر فتفكَّرَ ورَقَّ قلبُهُ فإنَّهُ يحِسُّ بَيْنَ الحَالَتين فَرْقاً بَيِّنَا وسَبَبُ ذلكَ التَّعَرُّضُ بأسْبابِ الحَوادِثِ فَعَلَيْكَ بالعُزْلَةِ والذِكْرِ والنظرِ في العلم فإنَّ العُزْلَةَ حُمْيَةٌ والفكرَ والعِلْمَ أدْوِيَةٌ والدَّواء مَعَ التَّخْلِيط لا ينفع إهـ.

مِن واجِبِ النَاسِ أَنْ يَتُوبُوا لَكِن تَرْكَ الذنوبِ أوجَبْ
والدهرُ في صَرفِهِ عَجيبَ وغَفْلَةُ الناسِ عَنه أعْجَبْ
والصبرُ في النائباتِ صَعْبٌ لَكِنْ فَوَاتُ الثوابِ أصْعَبْ
وكُل مَا تَرتَجي قَريبٌ والوقتُ مِن دُونِ ذاكَ أقْرَبْ

وقال بعضهم:

إخواني السنُونُ مَراحِل والشُهورُ فَراسِخ والأيامُ أمْيَال ولأنْفَاسُ خَطَوات والطاعات رُؤوسُ الأموالِ والمَعَاصي قُطَّاع الطَّريق والرِبْحُ الجَنَّةُ والخُسرانُ النار لهذا الخَطْبِ شمَّرَ المُتّقُون عن سُوقِ الجِدِ في سُوْقِ المُعَامَلَةِ كُلَّما رأَوْا مَرَاكِبَ الحياةَ تَخْطِفُ في بَحْرِ العُمرِ شَغَلهُمْ هَوْلُ مَاهُمْ فيه عَن التَّنَزُّهِ في عَجَائبِ البَحر فما كان إلَّا قليل حتى قَدمُوا من السَّفرِ فاعْتنقتهُم الرَّاحةُ في طريق التَّلقي فَدَخلوا بَلَدَ الوَصْلِ وقد حازوا الرِّبحَ.

وَصِلُوا إلى مَوْلاهُمُ وبَقِينَا وتَنَعَّمُوا بوصَالِهِ وشقينَا
ذَهَبَتْ شَبِيْبَتُنَا وضَاعَ زَمَانُنَا ودَنَتْ مَنِيَّتُنَا فمن يُنْجِينا
فَتجمّعوا أَهْلَ القَطِيعةِ والجَفَا نَبْكِي شُهُوراً قَدْ مَضَتْ وسِنينا

آخر:

تَراهُمْ وأَمْلاكُ الرِّضَا يَقْدُمُونَهمْ إلى جنَّةٍ طَابَتْ وطَابَ نَعِيمُها
يَسِيرُونَ في أَمْنٍ إذَا الخَلْقُ فُزَّعٌ وقَدْ بَرزَتْ نارٌ وشَبَّ جَحِيمُها

آخر: فلِلّهِ كَمْ من خَيْرةٍ قد تَهَيَّئَتْ لِقَوْمٍ علَى الأَقْدَام باللَّيْلِ قُوَّمُ
يُنَاجُونَ رَبَّ العَالمينَ إلٰهَهُمْ فَتَسْري هُمُومُ القَوْمِ والنَّاسُ نُوَّمُ

آخر: ولله أَلْطافٌ بطيٍّ قَضَائِهِ أخُو الفَهْمِ في أسْرَارِها يَتَفَهَّمُ
فَمُوسَى بِقَذْفِ أليمٍ تَمَّ عُلُوُّهُ تَرَقَّى إلى أعلى الذُرى وهو مُكرَّمُ
وبِالصَّبْرِ والتَّقْوى تُنالُ هِبَاتُهُ وأتْقَى الوَرَى عِنْدَ المُهَيْمِنِ أكْرَمُ

وقال رحمه الله:

السَّنَةُ شَجَرةٌ والشُّهُورُ فُرُوعُهَا والأَيَّامُ أغْصانُها والسَّاعَاتُ أوْرَاقُها والأَنْفَاسُ ثَمَرُها فَمَنْ كانتْ أنْفَاسُهُ في طَاعةٍ فَثَمَرَةُ شَجَرَتِه طَيِّبةٌ ومَنْ كانت في مَعْصيةٍ فَثَمَرَتُهُ حَنْظلٌ وإنما يكونُ الجَدَادُ يومَ المَعَادِ فَعِنْدَ ذلك يَتَبَيَّنُ حُلْوُ الثِّمَارِ مِنْ مُرِّهَا.

والإِخلاصُ والتَّوْحِيدُ شَجَرَةٌ في القَلْبِ فُرُوعُها الأعمالُ وثَمَرُهُ طِيْبُ الحَيَاةِ في الدُّنيا والنَّعيمُ المُقيمُ في الآخرةِ وكما أنَّ ثِمارَ الجَنّةِ لا مَقْطُوعَةٌ ولا مَمْنوعةٌ فَثَمرَةُ التَّوْحيدِ والإِخْلاصِ في الدُّنيا كذلك.

والشِّرْكُ والكَذِبُ والرِّياءُ شَجَرَةٌ في القَلْبِ ثَمَرُهَا في الدُّنيا الخَوْفُ والهَمُّ والغَمُّ وضِيقُ الصَّدْرِ وظُلمَةُ القَلْبِ وثَمرُها في الآخرةِ الزَّقُّومُ والعَذَابُ الأَلِيمُ المُقِيمُ وقَدْ ذَكَرَ الله هَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ في سُورةِ إبراهيمَ.

وقال رَحِمهُ الله: إشْتَرِ نَفْسَكَ فَالسُّوقُ قَائِمَةٌ والثَّمَنُ مَوْجُودٌ ولا بُدَّ مِن سِنَةِ الغَفْلَةِ ورُقادِ الهَوَى ولَكِنْ كُنْ خَفيفَ النَّوْمِ فَحُرَّاسُ البَلَدِ يَصْحُونَ دَنَا الصَّبَـاحُ نُورُ العَقْلِ يُضِيءُ في لَيْلِ الهَوَى فَتَلُوحُ جَادَّةُ الصَّوابِ فَيَتَلَمَّحُ البَصِيرُ في ذلك النُّورِ عَوَاقِبَ الأُمورِ أُخْرُجْ بالعَزْمِ من هذا الفِنَاءِ الضَّيِّقِ المَحْشُوِّ بالآفاتِ إلى ذلك الفِنَاءِ الرَّحْبِ الذي فيه ما لا عيْنٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ.

فَهُناكَ لا يَتعَذَّرُ مَطلوبٌ ولا يُفْقَدُ محبُوبٌ يا بائعاً نَفْسَهُ بِهَوَى مَنْ حُبُّهُ ضَنَـا وَوَصْلُهُ أذَى وحُسْنُهُ إلى فَنَاءٍ لقَد بِعْتَ أنْفَسَ الأشياءِ بِثَمنٍ بَخْسٍ كأنَّكَ لَمْ تعرِفْ قَدْرَ السِّلعَةِ حتى إذا قَدِمْتَ يومَ التَّغَابُنْ تَبَيَّنَ لكَ الغَبْنُ في عَقْدِ التَّبايُعِ لا إله إلا الله سِلْعَة الله مُشْتَرِيها، وثَمَنُها الجَنَّةُ.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنـا على قَوْلِكَ الثَّابِتِ في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخرةِ اللهم وأَيِّدْنَا بِنَصْرِكَ وارْزقْنَا من فضلِكَ ونَجِّنا من عَذابِكَ يومَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ، واغْفِرْ لَنَا ولِوالدينا ولِجَميعِ المسلمينَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الراحمين وصَلَّى الله على محمدٍ وآلِهِ وسَلَّمَ.

٧٧ـ مِنْ أَجْهَلِ الناس مَن يَفْعَل الشَّرَ ويَتَوَقَّعُ الخيرَ.

٧٨ـ إحْذَرِ التَّلَوُّنَ في الدِيْن لأنه صِفَةُ المنافقين.

٧٩ـ إحْذَرْ الكِبْرَ والغَضَبَ والحَسَد والطَّمَع والبُخل.

٨٠ـ الذِكرُ لله له شَرطان حُضُور القلب في تحريره وبذل الجَسَدِ في تكثيره.

٨١- مِن أحْسَنِ الأَشْياءِ العَفْوُ عَنْ مَقْدِرَة.

٨٢- أَحْسِنْ إلى إخوانِكَ من المسلمين ما اسْتَطَعْت.

٨٣- أَحْسَنُ ما صَانَ الرجُلُ أمْرَ دِينِه عَمَّا يَضُرهُ أَوْ يُنقصُهُ.

٨٤- احْفَظ الله يَحْفَظْك إحْفَظِ الله تَجِدْهُ تِجاهَكْ.

٨٥- أَحَقُّ النـاسِ بالبِرِ والِدَيْكَ وبَعدهم قَرَابَتُكَ أهْلُ الدِّين الأقرَب ثم الأصدقاء في الله ثم الجيران الأقرب فالأقرب.

٨٦- إخْوانُ هَذَا الزَّمانِ جَوَاسِيسُ العُيُوبِ في الغالب.

٨٧- أَخُوكَ مَن وَاساك في الشِدَّة والرَّخاء.

٨٨- أدِّبْ نَفْسَكَ بِمَا كَرِهْتَهُ مِن غيرِكَ تَكُنْ حَكيما.

٨٩- اخْتِلاف القوم يُمَكِّنُ عَدُوَّهُم منهم في الغَالِب.

٩٠- إذا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ بالله وَحْدَهُ.

٩١- عندَ انتهاءِ الشدَّة يَكونُ الفرج بإذن الله تعالى.

فَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ بَلِيَّةَ فأرَادَ تَخْفيفَهَا وتمْحيقها فليتصور أكثَرَ ممَّا هي تَهُنْ واليَرجُوْ ثوابها واليَتصور أعْظمَ منها يَرَى الرِّبْحَ في الاقْتِصارِ عليها واليتلمَّحْ سُرْعَةَ زوالها، فإنه كُرب الشدة ما رُجيت سَاعَاتُ الراحَة واليَعْلَمَ أَنَّ مَقَامَهَا عندهُ كَمُدَّةِ مَقَامِ الضيف يَتفَقَّدُ حَوائجَهُ في كل ساعة فَيَا سُرعةَ إنقضاء مَقَامِهِ فكذالك المؤمنُ في الشدةِ يَنْبَغي أنْ يُرَاعى الساعات ويتفقد فيها أحْوالَ النفس، ويتلمح الجوارحَ مخافةَ أنْ يَبْدُ من اللِّسانِ كلمةُ تَسَخُّط أو من القلب تَسَخُّطُ فكَـأنْ قد لاَحَ فَجْـرُ الأجْـرِ فانْجَـابَ لَيلُ البَلا ومُدِحَ الساري بقطع الدُجى فما طلعت شَمْسُ الجَزاء إلاَّ وقد وصِلَ إلى مَنْزِلِ السَّلامَةِ اهـ.

٩٢- إذا قَوِيْتَ فاقْوِ على طَاعَةِ الله يُعينَكَ رَبُّك.
٩٣- إذا كَرُمَتِ السَّجيَّةُ حَسُنَتِ الطَّويةُ في الغَالِب.
٩٤- إذا لم تَسْتَحِ فاصْنَعْ ما شِئتَ.
٩٥- إذا غَلَبَ الهَوَى بَطَل الرأي.
٩٦- أُرْجُ من الله أَنْ يَقْبل أَحْسَنَ عَمَلِك، ويتجاوَزَ عن سيِّئاتِك، ويَجْعَلَكَ من أصحابِ الجنَّة.
٩٧- أَخْسَرُ الناسِ صَفْقَةً من بَاعَ دينَهُ بالدرهم والدينار أو نَحوِهما وأَخْسَرُ منه مَن بَاعَ دينهُ بدُنيا غيرِه.
٩٨- أُسْتُرْ عَيْبَ أَخِيكَ المُسْلمَ لِمَا تَعْلَمَ من عُيُوبِكَ.
٩٩- إسْتعينوا على قَضَاءِ حَوائِجكم بالكِتْمانِ والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم.

(فصــــل)
يحتوي على حكم ومواعظ وآداب

١٠٠- اسْتشيروا ذَوي العُقُول النَيِّرةِ بطاعةِ الله.
١٠١- الإستقامَةُ عَيْنُ الهدايةِ بإذن الله.
١٠٢- أشْقَى الوُلاة مَن شَقيَتْ به رَعيّتهُ.
١٠٣- أَصْدَقُ الناسِ المخلصُ لله الثابتُ على توبتِهِ.
١٠٤- الإصْرَارُ على الذُنوب وِعَاءُ الذُنُوب فاحْذَرْهُ.
١٠٥- اطلُب الرحمةَ بالرَّحمة ﴿إنما يرحم اللهُ مِن عباده الرحماء﴾.

١٠٦- إظْهارُ النِّعَمِ والتَّحَدُّثُ بها من الشكر لله.

١٠٧- الإعتبارُ مُنْذِرٌ ناصِح. قال تعالى ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾.

١٠٨- أَصْلُ المحاسِن طاعةُ الله ثم الكرم وِفق الشرع.

١٠٩- أَطِعْ أخَاكَ فيما يُرْضي الله وإنْ عَصَاك.

١١٠- أُطْلُبْ واسْتَعِن بالله تظفر بإذن الله.

١١١- الإعْترافُ بالذُّنُوبِ سبيلٌ إلى التَّوبة بإذن الله.

إلــهٌ لا إلــهَ لَنــا سِوَاهُ رَؤوفٌ بالــبَــرِيَّةِ ذُو امْــتِــنــانِ
أُوَحِّــدُهُ بإخْــلاصٍ وحَــمِــيدٍ وشُــكْــرٍ بالــضَّــمِيرِ وبــاللِّسَــانِ
وأَفْــنَــيْتُ الــحَيَاةَ ولَــم أصُــنــهــا وَزُغْــتُ إلــى البَــطَالــةِ والتَّــوانِي
وأَسْــألُــهُ الــرِّضــا عَنِّــي فإنّــي ظَلَمْتُ النَّفْسَ في طَلَبِ الأمــاني
إلَــيهِ أَتُــوبُ من ذَنْــبِي وجَــهْــلِي وإسْــرَافــي وخَــلْــعِــي لِلْعِــنَــانِ

١١٢- الاعتبارُ يَهْدِيْكَ إلى الرَّشاد بإذن الله.

١١٣- الإعْجَابُ ضِدُّ الصَّواب ويَمْنَعُ الإزديَاد.

١١٤- مُخالَفَةُ الأمر توجِبُ سَخَطَ الآمرِ والإصرار على المعصية أعظم.

١١٥- إعْصِ هَوَاكْ وأطِعْ مَوْلاكْ تَغْنَمْ الفَلاَح.

١١٦- إذا تَم عَقْلُ المَرْءِ قَلَّ كلامُهُ إلا بِذِكرِ الله وما وَلاَه.

١١٧- إِخْــزِنْ لسـانِكَ عن الكلام إلَّا بذِكر الله وتلاوة كتابِهِ وما ورد عن رسوله ﷺ.

عليكَ بِذِكــرِ الله في كُلِ ساعــةٍ فمــا خَابَ عبــدٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَذْكُــرُ

آخر:

أعِــدْ ذِكْــرَ قال لله قال رســولــهُ هُمــا المِسْــكُ ما كَرَّرْتَــهُ يَتضَــوَّعُ

١١٨- مَن صَنع إليكَ مَعْرُوفاً فكافئه فإنْ لم تجدْ فادْعُ له للحديث.
١١٩- إذا اسْتَشَارَكَ أَحَدُ المُسْلمين صَدِيقٌ أوْ عَدُوٌ فجَرِّدَ لهُ النَّصيحةَ.
١٢٠- إذا اصْطَنَعْتَ المَعْرُوفَ فاسْتُرْهُ.
١٢١- إذَا تَنَاهَت الشِدَّةُ قَرُبَ الفَرَجُ بإذن الله
١٢٢- أَعْقَلُ الناسِ المُعَظِمُ لله الممتثلُ لأوَامِرِهِ المجتنب لما نهى عنه.
١٢٣- اغْتَنِمْ أيَّامَ صِحَّتِكَ قبلَ سَقَمِك وغِنَاكَ قَبْلَ فقْرِكَ وحَيَاتَكَ قبل مَوْتِكَ.
١٢٤- أَلْأَمُ الناسِ وأَخَسُّهُم وأرْذَلُهُم وأَفْسَقُهُمْ.
١٢٥- مَن نَسِيَ الله فاسْتَهَانَ بأوَامِرِهِ واقْتَحَمَ نَواهِيهُ ولم يُبَالِ بِقُدْرَتِهِ عليه ونظرِهِ إليهِ وعِلْمِهِ بِسِرِّهِ وعَلاَنِيَتِهِ.
١٢٦- الأَصْحَابُ المُخْلِصُونَ لله المُحِبُّونَ فيه الدَّاعُون إليه قَلِيلُون في هذا الزمان.
١٢٧- أُرْجُ من الله أنْ يَقْبَلَ مَحَاسِنَ عَمَلِكَ.
١٢٨- الاسْتِماعُ أسْلَمُ من القَول لأنّ القَول يُخْطِي ويُصْيب.
١٢٩- آفَةُ الجُودِ السَّرَف والتَّبْذِير.
١٣٠- آفةُ السَّماحَةِ المِنَّة.
١٣١- آفةُ الشّجاعةِ البَغيُ والتَّهَورُ والعُجْبُ.
١٣٢- آفةُ العَقْلِ العُجْب والكِبْر.
١٣٣- آفَةُ بَعْضِ العُلماء الكِبْر وحُبُّ الرياسَةِ والدنيا.
١٣٤- أفْضَلُ العَمل الصالح أَدْوَمُهُ وإنْ قَل والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

(فصـــل)

١٣٥ـ أُعْفُ عن الناس عَمَلاً بقوله تعالى ﴿والعافين عن الناس﴾.

١٣٦ـ الاقتصادُ سَبيلُ الرَّشاد.

١٣٧ـ الاقتصادُ يُنَمي اليسيرَ بإذن الله.

١٣٨ـ إغْتَنِمْ الفُرصَةَ في طَاعةِ الله فالوقت لا يَعُود.

١٣٩ـ أكثر مُحَادثة من يُخْبرُكَ عن عُيُوبك إن كان ناصحاً.

١٤٠ـ أكْرَمُ الأخلاقِ التواضعُ لرَبِ العالمين.

١٤١ـ مِنَ اللُّؤمِ البَغْيُ عند المَقْدِرَة على مَن لَمْ يَبْغِ.

١٤٢ـ الإلْحَاحُ على المَخْلُوقِ سَبَبُ الحرمان.

١٤٣ـ الآلِفُ لِلدُّنْيا المُطْمَئِنُ إليها مَغْرُورْ.

١٤٤ـ الله في عَونِ العبدِ ماكانَ العبدُ في عَونِ أخيه.

١٤٥ـ مِن أمَارَاتِ الكذِبِ والغِش كثْرةُ الإيمان.

١٤٦ـ الأمانةُ جَالِبَةٌ لِلرِّزْقِ بإذنِ الله تَعَالى.

١٤٧ـ أَمْلَكُ الناسِ لِنَفْسِهِ أكْتَمُهُم لِسِرّه في الغالب.

١٤٨ـ إمْسَاك المالِ خيرٌ من سُؤالِ الناس.

١٤٩ـ إخلاص الأعمال لله من أكبر الأسباب لحصول كل خير واندفاع كل شر قال تعالى: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المُخلصين﴾ في قراءةٍ بكسر اللام.

١٥٠ـ الاعتمادُ على الله والتَّوكُّلُ عليه أفْضَلُ عُدَّة. قال تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حَسْبُه﴾.

قال أحد العلماء من المتزهدين أقوام يَرَوْنُ التوكل قطع الأسباب كُلَّهَا وهذا جَهْلٌ بالعِلْم فإنَّ النبي ﷺ دَخلَ الغَارَ وشَاوَرَ الطبيبَ ولَبِسَ الدرع وحَفَر الخندق ودخل مَكةَ في جِوَارِ المُطْعِم بن عَدِي وكان كافراً وقال لِسَعْدٍ لأَنْ تَدع ورَثَتَكَ أغنياءَ خَيرٌ من تدعهم عَالَةً يَتَكَفَفُونَ النـاسَ فالوقُوف مَعَ الأسباب مَعَ نِسْيَانِ المُسَبِّبْ غَلِطَ والعَمَلُ على الأسباب مَعَ تَعلُق القلب بالمُسَبِّبِ هُوَ المشروع أهـ.

قُنُوعِيْ بِدُونِ الـدُّوْنِ لانَقْص هِمَّةٍ ولـكـنَّـه شَيءٌ أصُـوْنُ به نفسي
إذا كانَ لي في مَنـزلي قُوت ساعةٍ فَمَـا دُونَمَـا قَدَّرْتُ أنِّي في عُرْسِ

١٥١ـ الإِنْصَافُ رَاحةٌ وعُنْوانٌ على الذكاءِ والنبل.

١٥٢ـ الانفرَادُ بِكُتْب العلم للتَّعَلُم والتفهم والتأليف راحة ومَنفعةَ ومَسْلاة عن الهموم والغموم.

١٥٣ـ الانتقام مِمَّن ظَلَمَ عَدْلٌ والتَّجَاوُزُ فَضْل.

١٥٤ـ الأناةُ في الأمور وحُسْنُ التَّوَدُّدِ للمُسلمين يُمْنٌ.

١٥٥ـ الأمينُ آمِنٌ والخائِن قَلِقٌ وخَائِف.

١٥٦ـ الآمالُ لا نِهايَةَ لها ما دام الانسانُ في قَيْدِ الحياة.

١٥٧ـ مِن أفْضَلِ المعروف إغاثَةُ المَلْهُوف مِنَ المسلمين.

١٥٨ـ إفْشَاءُ السِرِّ مِمَّنْ اسْتَأمنكَ خِيانة.

١٥٩ـ أفْضَلُ الزُهْدِ إخْفَاءُ الزُهْد.

١٦٠ـ أنْفَعُ الكُنُوزِ العملُ الصَّالحُ.

١٦١ـ أنْفِقْ في حَقٍّ ولا تَكُنْ خَازِياً لِغَيرِكَ.

١٦٢ـ إذا غَلا عليكَ الشيءُ فاتْرُكْهُ يَكُونُ رَخيصا.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يا حي يا قيوم ياذا الجلال والاكرام أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلياء أن تعز الاسلام والمسلمين وأن تذل الشرك والمشركين وان تدمر أعداء الدين اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لى شأني كله لا إله إلا أنت.

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

اللهم إنى اسألك علماً نافعاً ورزقاً طيباً وعملاً متقبلاً يا حي يا قيوم ياذا الجلال والإكرام.

اللهم ارحم في الدنيا غربتي وارحم في القبر وحشتي وارحم في الآخرة وقوفي بين يديك.

اللهم اعتق رقبتي من النار وأوسع لي من الرزق الحلال واصرف عني فسقة الجن والانس.

اللهم إني أسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه وظاهره و باطنه وأوله وآخره وعلانيته وسره اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والعزيمة على الرشد والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم والفوز بالجنة والنجاة من النار يا حي يا قيوم ياذا الجلال والإكرام.

اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأ برار.

ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار.

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً.

ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً.

اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء.

اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك.

اللهم إنا نعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وغلبة الدين وشماتة الأعداء.

اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جنهم وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك و بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي واصلح لي آخرتي التي إليها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير والموت راحة لي من كل شر. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم إني اسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء.

اللهم طهر قلبي من النفاق ولساني من الكذب وعملي من الرياء وعيني من الخيانة إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

اللهم إني اسألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وعبادك الصالحون وأعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وعبادك الصالحون.

رب قني عذابك يوم تبعث عبادك.

اللـهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل.

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا. رب اشرح لي صدري و يسر لي أمري رب اغفر خطيئتي يوم الدين.

اللـهـم أعـنـا على ذكـرك وشـكـرك وحسن عبادتك يا حي يا قيوم ياذا الجلال والاكرام.

رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

رب أوزعنى أن أشكـر نـعـمـتك التى انعمت على وعلى والدى وأن أعـمـل صـالحـاً ترضاه واصلح لى في ذريتى إنى تبت إليك وانى من المسلمين. وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عـنـا واغـفـر لـنـا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين. آمين.

سـبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب الـعـالمين. وصلى الله على عـبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(خَاتِمَةٌ ، وَصِيَّةٌ ، نَصِيْحَةٌ)

إِعْلَمِ وَفقَّنَا اللَّهُ وإِيَّاكَ وجَمِيْعِ المسلمين لما يُحِبُّهُ اللَّهُ ويَرْضَاهُ أَنَّ مِمَّا يَجِبُ الاعْتِنَاءُ بِهِ حِفْظًا وعَمَلاً كلامُ اللَّهِ جَلَّ وعَلاَ وكَلامُ رسوله ﷺ .

وأَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تعالى أَنْ يَحُثَّ أَوْلاَدَه على حِفْظ القُرآن وما تَيَسَّرَ مِن أَحَاديثِ النبي ﷺ المتفق على صحَّتِهَا عنه كالبُخَارِي ومُسْلم .

ومِن الفقه مختصَرَ المقْنع لِيَتَيَسَّرَ لَهُ اسْتِخْراجُ المسائل ويَجْعَلُ لأَوْلادِهِ مَا يَحُثُّهُم على ذَلِكَ .

فَمَثَلاً يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ القُرآنَ على صَدْرِهِ حِفْظًا صَحِيْحًا عَشَرَةَ آلافِ أَوْ أَزْيَد أَوْ أَقل حَسَبَ حالِهِ في الغِنَى .

ومن الأَحَادِيث عُقودَ اللُّؤلؤ والمرُجَان فيما اتفق عَلَيْهِ الإمَامَانِ البُخَارِي ومسلم ، يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ ذَلِكَ سِتَّةَ آلاف من الرِّيالات

فإِنْ عَجَزُوا عن حِفْظِهَا فالعُمدة في الحديث يَجْعَلُ لِمَنْ حَفِظها ثلاثةَ آلافٍ أَوْ الأربعين النَّواوِيَّة ويَجْعَل لمن يَحْفَضها أَلْفاً مِن الريالات

ويَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ مُخْتَصَرَ المقنع في الفقه أَلْفَيْنِ مِن الريالاتِ فالغيبُ سَبَبٌ لحفظ المسائل وسَبَبٌ لِسُرعَةِ اسْتِخْرَاج ما أُريْدَ مِن ذَلِكَ وما أَشَكَلَ مَعْنَاه أَوْ يُدَخِّلُهُم في مَدَارِسِ تَحْفِيْظِ القُرآن فَمَدَارِسُ تَعْلِيْمِ القُرآنِ وَالسُّنَّةِ هِيَ مَدَارِسُ التَّعْلِيْمِ العَالِيْ المُمْتَازِ البَاقِي النافِعِ في الدُّنْيَا والآخرَةِ .

فَمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِذَلِكَ وعَمِلَ أَولادُهُ بذَلِكَ كان سَبَبًا لِحُصُولِ الأَجرِ من اللَّهِ وسببًا لِبرِّهِم بِهِ ودُعَائِهِم لَهُ إِذَا ذكَروْا ذَلِكَ منه ولَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا مُبارَكًا يَعْمَلُ بِهِ أَوَلاَدُهُ مَعَ أَولادِهم فَيزَيْدُ الأَجْرُ لَهُ ولَهُم نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوفِّقَ الجَمِيعَ لِحُسْنِ النِّيَةِ إِنَّهُ القادِرُ عَلَى ذَلِكَ وصلى الله على محمد وآله وصَحْبه وسَلم.

تمَّ هذَا الجُزْءُ الثاني بعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيْقِهِ وَنسْأَلُ اللهَ الحَيَّ القَيُّومَ العَلِيَّ العَظِيْمَ ذا الجَلَالِ والإِكْرَامِ الوَاحِدَ الأَحَدَ الفَرْدَ الصَّمَدَ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كفواً أَحَدٌ أَنْ يُعِزَّ الإِسْلَامَ والمُسْلِمِيْنَ وأَنْ يَخْذُلَ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِيْنَ وَأَعْوَانَهُمْ وأَنْ يُصْلِحَ من في صلاحه صَلاحٌ للإِسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ وَيُهْلِكَ منْ في هلَاكِهِ عز وصلاح للإِسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ وَأَنْ يَلُمَّ شَعَثَ المُسْلِمِيْنَ وَيَجْمَعَ شَمْلَهُمْ وَيُوَحِّدَ كَلِمَتَهُمْ وَأَنْ يَحْفَظَ بِلَادَهُمْ ويُصْلِحَ أولادَهُمْ وَيَشْفِ مَرْضَاهُمْ وَيُعَافِي مُبْتَلَاهُمْ وَيَرْحَمَ مَوْتَاهُمْ وَيَأْخُذَ بِأَيْدِيْنَا إلى كُلِّ خَيْرٍ وَيَعْصِمَنَا وإِيَّاهم مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَيَحْفَظنا وإِيَّاهم مِن كُلِّ ضُرٍ وأَنْ يَغْفِرَ لنا ولوالدينا وجميع المسلمين بِرَحْمَتِهِ إِنَّه أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلى الله على محمد وعلى آله وَصَحْبِهِ أجمعين .

والله المسئول أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به نفعاً عاماً إنه سميع قريب مجيب على كل شيء قدير .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أَشرفِ المرسلين نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين . ومَن تَبِعَهُم بإِحسان إِلى يومِ الدين وسلم تسليماً كثيراً .

عبد العزيز المحمد السلمان
المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض
سابقاً

(فَصْـلٌ)

إعْلَمْ وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ أَنَّهُ لم يُؤْثَرْ عَنْ أَحَدٍ مِن السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَتَابِعِيْهِمْ بِإِحْسَانٍ تَعْظِيْمَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ وَالمُوَالِيْنَ لأَهْلِ البِدَعِ وَالمُنَادِيْنَ بِمُوَالاتِهِمْ ، لأَنَّ أَهْلَ البِدَعِ مَرْضَى قُلُوْب ، وَيخْشَى عَلَى مَنْ خَالطَهُمْ أَو اتَّصَلَ بِهِمْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ مِنْ مَابِهِمْ مِن هَذا الدَّاءِ العُضَال ، لأَنَّ المَرِيْضَ يُعْدِيْ الصَّحِيْحَ وَلاعَكسْ ، فَالْحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ جَمِيْعِ أَهْلِ البدَعِ وَمِنْ أَهْلِ البِدَعِ الذيْنَ يَجِبُ البُعْدُ عَنْهُمْ وَهِجْرَانُهُمْ ، الجَهْمِيَّةُ ، وَالرَّافِضَةُ ، وَالمُعْتَزِلَةُ ، وَالمَاتُرِيْدِيَّةُ ، وَالخَوَارِجُ ، وَالصُّوْفِيَّةُ ، وَالأَشَاعِرَةِ وَمَنْ عَلى طَرِيْقَتِهِمْ مِنَ الطَّوَائِفِ المنْحَرِفَةِ عَنْ طَرِيْقَةِ السَّلَفِ ، فَيَنْبَغِيْ لِلمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَهُمْ وَيُحَذِّرَ عَنْهُم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(فَصْــــلٌ)

فـــائدة

وَقَفَ قَوْمٌ عَلَى عَالِمٍ فَقَالُوْا إنَّا سَائِلُوكَ أَفَمُجِيْبُنَا أَنْتَ قَالَ سَلُوْا وَلا تُكْثِرُوْا ، فَإِنَّ النَّهارَ لَنْ يَرْجِعَ والعُمُرَ لَنْ يَعُوْدَ ، والطَّالِبَ حَثِيْثٌ في طَلَبِهِ ، قَالُوْا فَأَوْصِنَا ، قال تَزَوَّدُوْا عَلَى قَدْرِ سَفَرِكُمْ فإنَّ خَيْرَ الزَّادِ مَا أَبْلَغَ البُغْيَةَ ، ثُمَّ قَالَ الأيَّامُ صَحَائِفُ الأعْمَارِ فَخَلِدُوْهَا أَحْسَنَ الأعْمال ، فإنَّ الفُرَصَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَاب ، وَالتَّوانيْ مِنْ أَخْلَاقِ الكُسَالَى وَالخَوَالِفِ ، وَمَن اسْتَوْطَنَ مَرْكَبَ العَجْزِ عَثَرَ بِهِ ، وتَزَوَّجَ التَّوانيْ بِالكَسَلِ فَوُلِدَ بَيْنَهُمَا الخُسْرَان اهـ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وقف لله تعالى)

وَمَن أرادَ طِبَاعَتِهِ إِبْتِغَاءَ وَجْه الله تَعَالَى لا يُرِيْدُ به عرضاً مِن الدنيا ، فقد أُذِنَ لَه في ذلك وَجَزَى الله خيراً مَن طَبَعَهُ وَقْفاً لله ، أَوْ أعانَ على طبعِه ، أَوْ تَسَبَّبَ لِطَبْعِهِ وتوزيعه على إخوانه المسلمين .

وَسَمَّيْتُهُ (مِفْتَاحَ الأَفْكَارِ لِلتَّأَهُّبِ لِدَارِ القَرَارِ)

خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد العزيز المحمد السلمان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سابقاً

الجـزء الثـالث

الطبعـة الأولى

١٤١٣هـ

طُبِعَ عَلَى نَفَقَةِ مَن يَبْتَغِي بذلك وَجْهَ الله والدارَ الآخرةَ فَجَـزاه الله عن الإسـلام والمسلمينَ خيراً وغَفَر له ولوالديه ولمن يُعِيْدُ طِبَـاعَتَه أو يُعِيْنُ عليها أو يَتَسَبَّب لها أو يُشـيرُ على مَنْ يُؤمِـلُ فيه الخيـرَ أنَ يَطبَعَه وَقْفـاً لله تعـالى يُوزِّع على إخـوانِهِ المسلميـن .

اللهـم صلي على محمـد وعلى آله وسـلم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُلَاحَظة :

لا يُسْمَح لأيِّ إنسانٍ أنْ يَخْتَصِرَهُ أوْ يَتَعَرَّضَ لَهُ بِمَا يُسَمُّونَه تَحْقِيْقاً لأَنَّ الإِخْتِصَارَ سَبَبٌ لِتعْطيلِ الأَصْلِ والتَّحْقِيْقَ أرَى أنَّهُ إتِهَامٌ لِلْمُؤَلِف ، ولا يُطْبع إلاَّ وَقْفاً لله تعالى على مَن يَنْتفِعُ بِهِ مِن المسلمين .

(فائدةٌ عَظِيْمَةُ النَّفعْ لِمَنْ وَفَّقَهُ الله)

ما أَنْعَم الله على عَبْدٍ نِعْمَةً أَفْضَلَ مِنْ أنْ عَرَّفَه لَا إِلَهَ إلا الله ، وفهَّمَهُ مَعْنَاهَا ، وَوَفَّقَهُ لِلعَمَلِ بمُقْتَضَاهَا ، والدَّعْوَةِ إلَيْهَا .

« أشْـرَفُ الأشْيَـاءِ قَلْبُكَ ، وَوَقْتُكَ ، فإذَا أهْمِلْـتَ قَلْبَكَ ، وَضَيَّعْتَ وَقْتَكَ ، فَمَا بَقِيَ مَعَكَ ، كُـلُّ الفَوائِدِ ذَهَبَتْ ، فانْتَبِـهْ لِنَفْسِـكَ »

فوائد عَظِيْمَةُ النَّفع جداً لِبَعْض العُلماء رحمهم الله تعالى :

(١)

اللَّيْلُ والنَّهارُ يَعْمَلان فِيْكَ فاعْمَلْ فيهما أَعْمَالاً صَالِحَةً تَرْبَحَ وتحمَدِ العَاقِبَةَ الحَمِيْدِة إن شاء الله تعالى .

(٢)

الملاَئِكَةُ يَكْتُبَانِ مَا تَلفَّظُ به فاحْرَصْ عَلَى أنْ لا تَنْطِقَ إلاَّ بِمَا يَسُرُّكَ يَوم القِيَامَةْ من ذكر الله وما وَالاه .

(٣)

إعْلَم أَنَّ قِصَرَ الأَمَلِ عليه مَدَارٌ عظيم وحِصْنُ قِصرِ الأَمَلِ ذِكْرُ الموتِ وحِصْنُ حِصْنِهِ ذكر فجأة الموتِ وَأَخْذُ الإنسانِ على غِرَّةٍ وغَفْلةٍ وهُوَ في غُرُرٍ وفُتُور عن العمَل للآخرة . فأحفظ هذه الفوائد وأعمل بها تُفْلح وتربَحْ إن شاء الله .

شعـــــرا :

مُنَاي من الدنيا عُلُومٌ أَبُثُهَــــا وأَنْشُرُهَا في كُلِ بادٍ وحَاضِــرِ
دُعَاءٌ إلى القُـــرآن والسُنَّةِ التي تَنَاسَى رِجَالٌ ذكرها في المَحَاضِــر
وَقَدْ أبْدَلُوهَا بالجـــرائد تارةً وتِلْفَازِهم رَأْسُ الشُرور المَنَاكِــرِ
ومِذْيَاعِهم أيْضَا فلا تَنْسَ شَـــرهُ فكَمْ ضَاعَ مِن وَقْتِ بها بالخَسَائِرِ

١٦٣ـ وقال حَبِيْبُ بنُ ثابت ما اسْتقرضتُ مِن أحدٍ شيئاً أَحَبُ إليَّ من نفسي أقولُ لها أَمْهِلِيْ حتى يجيء من حيث أحِب.

سَأَطْلُبُ بالإجمــالِ ما أنـا طَالِبُ ... وإنــي إذا ما ضَاقَ رِزْقَ لَقَــانِــعُ

ولَـمْ تُدْنِـنِي والـحمــدُ لله فاقَــةٌ ... إلى طَمَــعٍ تَدْعـو إليهِ المَـطامِـعُ

ولاَ ضَرَعَـتْ نفسي لشيءٍ أنَــالُــه ... وبَعْضُ الـرِّجـالِ خاشِـعَ مُتَضَـارِعُ

أُمصُّ ثِمــادِي والــبِــحَــارُ غزيرةٌ ... لِئَـلاَّ يُرى عنـدي لِقَـومٍ صَنـائِـعُ

ولـم يَتَـعَـبَّـدْني الـلِّئَــامُ بِمِنَّــةٍ ... ولاَ أنــا للشَّيءِ الـذي فَات تَابِـعُ

وإني لأسْتَغْني فمــا أبْــطَرُ الغِنَى ... ومَــا الــمــالُ إلا عَارَةٌ ووَدَائِــع

١٦٤ـ إنكم لَنْ تَسَعُوْ الناسَ بأمْوالِكم فَسَعُوهُم بأخلاقكم.

١٦٥ـ إنَّ من كُنوزِ البر الصَّبْرُ على الرَّزايَا إبْتِغَاءَ وَجْهِ الله تعالى.

١٦٦ـ صديقُكَ دِرْهَمُكَ إذا سَرَّحْتَهُ فَرَّجَ الله به هَمَّكَ وقَضَى به حَاجَتَك فلله الحمدُ ومنَّة.

١٦٧ـ إنما تُنْصَرونَ بِضُعفائكم.

١٦٨ـ إنما المجالِسُ بالأَمانة.

١٦٩ـ إنما يرحَمُ الله من عِبَادِهِ الرُحَمَاء.

١٧٠ـ إيَّاكَ والسَّآمَةَ والمَلَلَ في أُمُورِ الدِّين.

١٧١ـ إيَّاك والطَّمَعُ فإنَّهُ فَقْرٌ عَاجِلُ وتَعَبٌ طائل.

١٧٢ـ إيَّاك والطَّمَعُ فإنهُ فَقْرٌ عَاجِلُ وتَعَبٌ طائل.

١٧٣ـ احْذَرْ لِسَانَكَ واحْترزْ من لَفْظِهِ لا يُهْلِكُكَ.

١٧٤ـ إيَّاكَ وقبُول تُحْفَةِ الخُصُوم فإنها رِشوةٌ والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

(فصـــل)

١٧٥- إيَّاكَ والكَذِبَ وإنْ نَفَعَكَ في الدنيا.

١٧٦- إيَّاكَ وما يُعْتَذَرُ منه.

١٧٧- إيَّاكَ ومَن مَوَدَّتُهُ قَدْرَ حاجَتِهِ إليكَ.

١٧٨- الإيمانُ أمانٌ بإذنِ الله.

١٧٩- بِئْسَ الشِعَارُ الحَسَد والحقد والغضب.

١٨٠- بِئْسَ الطَّعامُ الحَرَام والمشتبهات.

١٨١- بَادِرْ لِعَمَلِ الخيرَ مَهْما أمْكَنَكَ فإنَّ الأجل يأتي بَغْتَة.

١٨٢- بِحُسْنِ المُعَاشَرَة تَدُوْمُ المَحَبَّةُ بإذْن الله جل وعلا.

١٨٣- البُخْلُ والشحُّ واللُّؤم جَامِعاتٌ لِلْمَسَاوِي والعُيُوبِ.

١٨٤- البُخْلُ فَقْرٌ عَاجِلٌ والبَخيلُ ذَليلٌ في الغالب.

١٨٥- بالإستقامةِ على طاعةِ الله والعمل بكِتابِهِ وسُنَّةِ رسوله ﷺ تَصْلُحُ الرَّعيَّة.

١٨٦- ما كان الرفْقُ في شيءٍ إلا زَانَه ولا كان العُنْفُ في شيءٍ إلا شَانَه.

١٨٧- بالرِّفْق واللُّطْفِ واللِّين تَنْقادُ القُلوب في الغالب بإذن الله.

تَلْقَى الكَـريمَ فَتَسْتَـدلُّ بِبِشْـرِه وتَـرَى العُبُـوسَ على اللَّئيم دَليلاَ
واعْـلَمْ بأنَّـك عن قَريبٍ صَائِـرٌ خَبَـراً فَكُـنْ خَبَـراً يَرُوْقُ جَمـيلاَ

١٨٨- بالتأني تَسْهُلُ المَطَالِب وبالعَجَلَةِ يَكْثُر الزَّلَل

١٨٩- إحَالـة الأعمـال وتـأخيرهـا إلى وَقْت آخر يُؤمل فيه الفَراغ غَلَطٌ

وإضَاعَةٌ للوقت وهو غُرُورٌ ومن أيْنَ له أن يَصِلَ إلى ذَلِكَ الوقتِ والمـوت يأتي بَغْتَةً يَهْجِمُ على الانسان من حيثُ لايَشْعُر وعلى تقدير وُصُولِهِ إلى ذلك الوَقْتِ لا يأمَنُ مِنْ شُغْلٍ آخر يَعْرِضُ له والفراغُ من الأشغال نادِر فانْتَبه لاتَنْخَدع.

شعر:

ولا تُؤخِّـرْ إذا ما حاجَـةٌ عَرَضَتْ فَهُـمْ يَقُـولُـون لِلتَّـأخير آفـاتُ

فكَمْ مِن صَحيحٍ بَاتَ للموتِ آمناً أَتَتْـهُ المَنَـايَا بَغْتَـةً بعـدمـا هَجَـعْ

آخـر

فلم يَسْتَطِعْ إذْ جاءَهُ المـوتُ بَغْتَةً فِرَاراً ولا منـه بحـيلتِـهِ امْـتـنَـعْ

فأصـبَـحَ تبـكـيهِ النســاءُ مُقَنَّعـاً ولا يَسْمَـعُ الـدَّاعي وَلَوْ صَوْتُهُ رفَعْ

وقُـرِّبَ من لَحْـدٍ فَصَـارَ مَقِـيْلُهُ وفـارَقَ ما قَدْ كانَ بالأمْسِ قد جَمع

فلا يَتْـرُكُ المـوتُ الغنيَّ لِمـالِـهِ ولا مُعْدِماً في المال ذا حَاجَةٍ يَدَع

آخـر سهامُ الموت تَقْصُدُ كُلَّ حي ومَـنْ ذَا لَيْسَ تقـصـده السِهـام

١٩٠ـ بَرَكَةُ المالِ في أداءِ الزكاة بطيب نَفْس.

١٩١ـ بر الوَالِدَين من أكرم الطباع فإيَّاكَ أنْ تُهمِلهُ.

١٩٢ـ البِرُّ شيءٌ هَيِّنٌ وَجْهٌ طَلِقٌ ولِسَانٌ لَيِّنْ.

١٩٣ـ بالشكر لله تَدُومُ النعم وتزيد قال الله تعالى: ﴿**لئن شكرتم** لأزيدنكم﴾.

١٩٤ـ الخُلْف قَبيح ورُبَّما احْتِيجَ إليه للإصلاحِ.

١٩٥ـ العُـذْرُ أنـواع وربَّما حَسَنَ إذا أريدَ بِهِ الإصْلَاح وإذا اعتذر إليك أخوك المسلم اقبل عذره إذا لم يكن عليك ضرر.

شعرا:

إقْبَلْ معاذيرَ مَنْ يَأتيكَ مُعْتَذراً إنْ بَرَّ عندكَ فِيمَ قال أو فَجَرَا
فقد أطاعَكَ من يُرْضِيْكَ ظَاهِرُهُ وقد أجَلَّكَ مَنْ يَعْصِيكَ مُسْتَتِرا

١٩٦ـ مَن تَرَدَّى بِثَوْبِ طاعَةِ الله والسَّخاء غابَ عن الناس عَيْبُهُ في الغالب.

يُغَطَّى بالسَّماحَةِ كُلُ عَيْبٍ وكم عَيْبٍ يُغَطِّيهِ السَّخَاءُ

١٩٧ـ كانَ بَعْضهُم يُوبِّخ نفسهُ فيقول عَمَلٌ كالسَّراب وقَلْبٌ مِن التَّقْوى خَرَاب، وذُنُوبٌ بعَدَدِ الرَّمل والتُّرابِ ثم تَطْمَعُ في الكواعبِ الأَتْرَاب، هَيْهاتَ أنتَ سَكرانٌ بغَيْرِ شَرَاب.

١٩٨ـ العَجَبُ مِنْ وَرَثَةِ الموتى كَيْفَ لا يَزْهَدُونَ في الدنيا وحُطامِهَا الفَاني.

١٩٩ـ من التواني ما يكون سَبَباً لِلْحِرمان وعُرْضَةً للآفات.

٢٠٠ـ وَيْح ابْنَ آدَمَ كَيْفَ يُنْهَر ولا يَرعَوي أم كيفَ يأمر ولا ينتهي.

٢٠١ـ حِفْظُكَ مَافي يَدِكَ خيرٌ من طَلَبِكَ مافي يد غيرِكَ.

هي النَّفسُ والأخلاق للمرء مَلْبَسُ فَضَافٍ مُضِيءٌ أوْ لَبِيْسٌ مُدَنَّسُ
فَخُذْ في جَلاَءِ النَّفْسِ عَمَّا يَشِنُها فَرُبَّ جَوَادٍ سَاءَ تَقْلاهُ أنْفُسُ
إذا اسْتَمْسَكَ الإنسانُ بالدِّينِ واهْتَدَى نَجَا والحِجَى فَضْلٌ من الله أنْفَسُ
وبُرْهانُ عَقْلِ المرءِ حُسْنُ اتِّباعِهِ لِمَا جاء في القُرْآن يَتْلُو ويَدْرُسُ
فإن شِئْتَ أن تَحْيا سَعِيداً مُنَعَّماً فَوالِ رسُولَ الله واتْبَعْهُ تَرْأَسُ

اللهمَّ أنظِمْنا في سِلكِ حِزبكَ المُفلحين، واجْعلنا من عبادِكَ المُخْلصين وآمِنَّا يومَ الفَزَع الأكبرِ يومَ الدين، واحشُرْنا مع الذين أنعمتَ

عليهم من النبيين والصِّدِّيقينَ والشُّهداء والصالحين واغفِرْ لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمين، وصلى الله على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

(فصل)

٢٠٢ـ تعَفَّفْ عن أَموالِ الناسِ يُحِبُّونَكَ ويُقَرِّبونَكَ.

شعرا:

لا تَسْأَلَنَّ إلى صديقٍ حَاجَةً فَيَحُوْلُ عنكَ كما الزمانُ يَحُولُ
واسْتَغْنِ بالشيء القليل فإنَّهُ ما صَانَ وَجْهَكَ لايُقال قليل
مَن عَفَّ خَفَّ على الصَّدِيقِ لِقاؤهُ وأَخُو الحَوائجِ وجْهُهُ مَمْلُولُ

٢٠٣ـ إخواني اعْتَبروا بالذينَ قَطِنُوا فَحَزنوا كيفَ ظَعَنُوا وحَزِنُوا وانظروا إلى آثارهم تَعْلَمُوا أَنَّهُم قد غُبِنُوا لاحَتْ لهم لذَاتُ الدنيا واغتروا وفتنوا فما انقشعت سُحْبُ المنى حتى باتُوا ودُفنوا.

جَمعُوا فما أَكَلُو الذي جَمَعُوا وبَنَوا مَسَاكِنهُم فَمَا سَكِنُوا
فَكأنَّهُم كانُوا بِهَا ظَعَناً لما اسْتَراحُوا سَاعَةً ظَعَنُوا

(نصيحة)

اسْمَعْ يا مُضَيِّعَ الزَّمَانَ فيما يَنْقُصُ الإيمان، مُعْرضاً عن الأرباح ومُتَعَرِضٌ للخُسْران، لقد سُرَّ بفِعْلِكَ الشامِتْ.

يا مَنْ يفرحُ بالعِيدِ لِتَحسِين لِباسِه، ويُوْقِنُ بالموتِ وما اسْتَعدَّ لِبأسِه

ويَغْتَر بإخوانِه وأقرانه وجُلاَّسِه، وكأنه قد أمِنَ سُرْعَةَ اخْتِلاسِهْ.

يا غافِلاً قد طُلِبْ، ويا مُخَاصِماً قد غُلِبْ، ويا واثقاً قد سُلِبْ، إيَّاكَ والـدنيا فمـا الدنيا بدَائِمة، لَقَدْ أبانَتْ لِلنَّواظِر عُيُوبَها، وكَشَفَتْ لِلْبَصائِر غُيُوبَها، وعَدَّدَتْ على المَسَامِع ذُنُوبَها، وما مَرَّتْ حتى أمَرَّتْ مَشْروبَها.

فلذاتُها مثلُ لمعَانِ البَرْقْ ومُصِيبتُها واسِعَةُ الخَرْقْ، سَوَّتْ عَوَاقِبُها بينَ سُلطانِ الغـرب والشرق، فما نجا منها ذو عَدَدْ، ولا سلم فيها صاحبُ عُدَدْ، مَزَّقَت الكُلَّ بكَفِّ البُدَدْ ثم وَلَّتْ فما الْوَتْ على أحد.

قال ﷺ «سبعة يُظِلُّهُم الله في ظِلِّه منهم رجل دَعَتْه امرأةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجمال فقال إني أخافُ الله».

اسْمَعْ يا مَنْ أجابَ عَجُوزاً هَتْمَا عَمْيَا صَمَّا جَرْبَا سَوداءَ شَوْهَاء مُقْعَدة على مَزْبَلَة ولكن غَلَبَتْ عليكَ مَحَبَّتُها عُرِضَتْ على النبي ﷺ بطحاء مكة ذَهَبَا فأبَى أن يَقْبَلَهَا.

مَا هذه الـدنـيا بدَارِ مَسَـرةٍ ... فَتَخَـوَّفي مَكْـراً لهـا وخِـداعَـا
بَيْنَـا الـفَتى فيهَـا يُسَـرُّ بنفْسِـهِ ... وبِـمـالِـهِ يَسْتَمْتِـعُ اسْتِمْتَـاعَـا
حَتَّـى سَقَـتْـهُ من الـمـنِّيةِ شرْبـةً ... وحَمتْـه فيه بعـدَ ذَاكَ رَضَـاعَـا
فَغَـداً بمـا كَسَـبتْ يَداهُ رَهِينَـةً ... لا يَسْتَـطِيعُ لمـا عَرَتْـهُ دِفَـاعَـا
لو كان يَنْطِقُ قال مَنْ تحتَ الثرى ... فلْيُحْسِن العمَلَ الفَتى ما اسْتطاعا

مواعظ ونصائح وحكم

٢٠٤- الجهلُ مَطِيَّة مَن رَكِبها ذَلّ والجَهْلُ دَاءٌ قَاتِل وهو أشَدُّ من الفقر

وجواب الجَاهِل السُكُوت.

٢٠٥ـ الحِرصُ رأسُ الفقر وهو مَحْقَرةٌ ومن علامات الشَّقاوَةُ والحَريص فقير ولو كثُر مُلْكهُ.

٢٠٦ـ حُسْنُ العَهْـدِ من الإيمـان وحُسْن اللقاء والبَشَاشَة يُوَلِّدانِ الإلْفَةَ والإخاء بين المؤمنين والمحبة.

٢٠٧ـ الحُزْنُ يَهْدِمُ الجَسَدَ وهو مرضُ الرُوح.

٢٠٨ـ الجُودُ بَذْلُ المـوجـود وهـو حَارِسُ العِرض من الذّم في الغالب والجوادُ من بَذَلَ ما يُضَنُ به ـ أي ما يُبْخَلُ به.

٢٠٩ـ خَيْرُ سِلاحِـكَ ما وَقـاكَ الله به وخيرُ إخـوانَـك مَن وَاسـاكَ وخيرُ الأعمـالِ ما دُبِّـر بالتقـوى وخَيْرُ الأمور الوَسَط، وخيرَ الكلامَ ما صَادفَ مَحَلَّهُ ومن خيرِ ما أعْطي المؤمنُ خُلُقٌ حَسَنْ.

وقال وهيب: الإيمان قائد، والعمل سائق، والنفس بينهما حَرونْ، فإذا قادَ القائدُ ولم يَسُقِ السَائِقُ لم يُغن ذلك شيئا.

وإذا سَاقَ السائقُ ولم يقد القائد لم يغن ذلك شيئا، وإذا قادَ القائِدُ وساقَ السائقُ اتَّبَعَتْهُ النفسُ طوعاً وكرهاً وطابَ العمل.

قال بعضهم يوبـخ نفسـه ويعـظهـا: يا نَفْسُ بادري بالأوقاتِ قبل إنصرامها، واجتهد في حراسة لَيَالي الحياة وأيامها.

فكأنكِ بالقبور قد تشقَّقَتْ، وبالأمور وقد تحقَّقَت، وبوجوه المتقين وقد أشرقت، وبرؤوس العصاه وقد أطرقت، قال تعالى وتقدس ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إما موقنون﴾ يا نفس أما الوَرِعُونَ فقد جَدُّوا، وأما الخائفون فقد

استعدوا، وأما الصالحون فقد فرحوا وراحوا وأما الواعظون فقد نصحوا وصاحوا.

العلم لا يحصل إلا بالنصب والمال لا يجمع إلا بالتعب، أيها العبد الحريص على تخليص نفسه إن عزمت فبادر وإنْ هممت فثابر واعلم أنه لا يُدْرِكُ العز والمَفَاخِر من كان في الصف الآخر.

دَبُّوا إلى المجدِ والساعُونَ قد بَلغُوا جُهْدَ النُّفُوس وشَدُّوا دُوْنَه الأزُرَا
وسَاوَروا المجدَ حتى مَلَّ أكْثَرُهُم وعَانَقَ المَجْد مَن وافَى ومَنْ صَبَرا
لا تَحْسَبِ المجدَ تَمْراً أنتَ آكلهُ لَنْ تَبْلُغَ المجدَ حتى تَلْعَق الصَّبرا

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

فَصــــل

٢١١- ليسَ بالتحفظِ في الأمور يُسْلم من المقدور.

٢١٢- مَن تَردَّى بِثوبِ السَّخاءِ عابَ عَيبهُ عن الناس في الغالب.

٢١٣- مَن أيْقَن بالآخرة إسْتَعَدَّ لها ورَغِبَ في الصبر.

٢١٤- الإفراط في العِتاب والتوبيخ يدعُو إلى المُقاطعة والاجتناب والعداوةِ غالباً.

٢١٥- مَن نَمَّ عندكَ نَمَّ بك في الغالب وتَدَبَّر.

٢١٦- رُبَّ أَخٍ لَكَ لم تَجْمَعَكَ به ولادةٌ ولا قَرابة.

٢١٧- صِلَةُ الرَّحم وبر الوالدين وحُسْن العَمل بَرَكة في العمر.

٢١٨- ذَمُّ الانسانِ نفسَهُ في الملأ مَدْحٌ لها في الغالب.

٢١٩- مَدْحُ الغَائِب تَعْريضٌ بِذَمِّ الحاضِر في الغالب.

٢٢٠- شِفَاءُ الصُدور في العمل بالكتابِ والسنة والتسليم للمَقْدور.

٢٢١ـ إذا لم تُقْبَلِ الحُجَّةُ مِنكَ فالسُكُوتُ أَوْلى بكَ.

٢٢٢ـ إذا جَرَى القَدر عَمِي البصر.

٢٢٣ـ إن غُلِبْتَ على القولِ فلا تغلب على الصَّمْت.

٢٢٤ـ حَسْبُكَ مِن الدين مُراقَبَةُ الله بامتثالِ أوامِرِهِ واجتناب نَواهِيه، وحَسْبُك من المال ما نَفَعَكَ.

٢٢٥ـ لا يَنْطِقُ لِسَانكَ إلا بِذكرِ الله وما وَالاه إن كنتَ عاقلا.

أَعِـدْ ذِكْـرَ قال الله قال رسـوله هُمـا المِسْـكُ ما كَرَرْتَـه يَتَضَـوَّعُ

٢٢٦ـ مَن حَكَمَ فليتقِ الله واليَعْدِل ومَن قَضَى فليتَّقِ الله واليَفْصِلْ والله الموفق للصَّواب.

٢٢٧ـ إذا صَدَق العيان لم يَحْتَجْ إلى بُرْهان.

٢٢٨ـ السلامُ والطَّلاقَةُ وحُسْنُ البشر رُبَّما زَرَعَا المودةَ في القُلوب بإذن الله تعالى وتَقَدَّسَ.

٢٢٩ـ العمرُ يسيرُ وهو يَسير فاقْصُروا عن التَّقْصير في القَصير مَرَّ العمرُ والغِمر مَشغولٌ عن ما ذَهَبَ بالذَّهَب.

شعرا:

تَفُـوزُ بنـا المَنُـونُ وتَسْـتَبِـد ونـهْلِكُ في الـزَّمـان ونُسْـتَرَدُ

ونَـنْـظُرُ ماضـياً في إثْـرِ مَاضٍ لَقَـدْ أَيقَـنْـتُ أنَّ الأمـرَ جِدُّ

رُوَيْداً بالـفِـرار من المَـنَـايا فَلَيْسَ يَفـوتُهـا السَّاري المُجِدُ

فأين مُلوكنـا المـاضـينَ قدمـاً أَعَـدُّوا الـنَّـوائِـب واستعـدُّوا

أَصَـابـوا في الـزَّمـانِ نعيم عَيْشٍ فَيَا سَرعـانَ ما اسْـتُـلِبُـوْ ورَدُّوْا

هُمُ فَرَطٌ لنـا في كُلِ يومٍ نَمُـدُّهُـمُ وإنْ لَمْ يَسْـتَمِـدُّوا

٢٣٠ـ العَجَلة تُكْنَى أُمّ النَّدامَة ورُبَّما أعْقَبَتْ رَيْثاً إلاَّ في أمورِ الدين المأمور بالمُبادَرَة فيها.

٢٣١ـ التجاربُ تَنْفَعُ غالباً بإذن الله والعاقل يَسْتزيدُ منها ليَقْوى عَقْلَهُ بإذن الله.

٢٣٢ـ كُفْرُ النِعْمةِ لؤم وصُحْبَةُ الجاهلِ والأحمقِ شُؤمٌ والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

(فصـــل)

٢٣٣ـ مِن خَيرِ المقَال ما صَدّقهُ الفِعال.

٢٣٤ـ الأحْمقُ لا يُبَالي بما قال، والعاقِلُ يَتَعَاهَدُ المقال، ولايتكلم إلا بما يَرَى فيه له نفع في الدنيا والآخرة.

٢٣٥ـ مَن غلب عليه الكِبْرُ والعُجْبُ ترك مَشُورةَ الرجال غالباً واسْتَبَدَّ برأيه وضاع.

٢٣٦ـ إحذر تَوَدُّدَ الحَسُود وإن زَعَمَ أنَّهُ وَدُود.

٢٣٧ـ إذا جَهِلَ عليك الأحمقُ والسَّفِيهُ فَعَامِلْه بالحِلم.

شعرا:

إذا فاهَ الــسَّـفـيهُ بســب عِرضـي   كَرِهْــتُ بأَنْ أكُــونَ له مُجـيـبـا

يَزيدُ سَفَــاهَــةً وأزيدُ حِلمــا   كَعُــودٍ زَادَهُ لإِحْــراقُ طِيْبَــا

آخر:

قال سَكَتَ وقد خُوصمتَ قُلْتَ لَهُمْ   إنَّ الجَـوابَ لبَـاب الشـر مفتـاحُ

الصَّمْتُ عن جاهل أو أحْمَقٍ شرف   أيضاً وفيه لِصَونِ العِرْضِ إصْلاحُ
أما تَرى الأُسْدَ تُخْشَى وهي صامتةٌ   والكَلْبُ يَخشى لَعَمْـرِي وهو نَبَّاحُ

٢٣٨ـ لا حَليمَ إلا ذُو عَثْـرَةٍ مُذل نَفْسَـه ومُهينٌ لهـا من جالسِ عَدُوَّهُ فَلْيَحْتَرِسْ من مَنْطِقِه.

٢٣٩ـ الـزائـرُ لِمَنْ يَسْتَثْقِلهُ مُذِلِ نفسـه ومُهينٌ لهـا من جالس عَدُوَّهُ فليَحْتَرِسْ من مَنْطِقِه.

٢٤٠ـ من اشتهرَ وعُرِفَ بالصِّدْقِ عَبَرَ كَذِبُهُ بناء على الغالب.

٢٤١ـ مَن اشْتَهر بالكَذِب لم يَعْبُر صِدْقهُ بناءً على ما اشتهرَ منه.

٢٤٢ـ مَن عَرِفَ من نفسه الكذب لم يُصَدِّقِ الصَّادِق.

٢٤٣ـ مُؤمل النفع من البخلاء واللئام كمُبْتَغِي الماءَ من السَّراب والحُوتَ في البَراري والصَحاري.

٢٤٤ـ مَن قَلَّ خَيرٌ على أَهْلِهِ فلا تَرْجُ خَيره أبدا.

٢٤٥ـ الإكثار من الملامة يُذهبُ المودة غالباً.

٢٤٦ـ مَنْ أَلَحَّ في المسألَةِ على غير الله اسْتحقَّ الحِرمان.

٢٤٧ـ صُحبَةُ الفاسِق شَيْن وتَدُلُ على أنَّ المُصاحِبَ لهُ ضعيفُ العقلِ والدين.

٢٤٨ـ العَجْزُ والكَسَل والتَّواني، مُولداتِ الفَقْر والحَسْرةِ والندامة والذلة في الدنيا والآخرة.

٢٤٩ـ مَن تَفَرَّغَ للشر يَطْلُبُه، صُلِّط عليه مَن يَغْلِبهُ.

٢٥٠ـ مَنْ أمَّل أحداً رَجَاهُ وهَابَهْ ومَن لـم يدرك لشيء عَابَهْ فَعَلّق رَجَاءكَ وأمَلكَ بالله جَلَّ جلالهُ.

٢٥١ـ لا يَضُـر العُلمـاء قَدْحُ السُفهـاء والجَهَلة والفَسِقـة والمُغـرضين

والمُنافِقين كما لا يَضرُ السَّحَابَ نِبَاحُ الكِلاب.

٢٥٢- مَنْ سَعَى إليكَ سَعَى عَليك غالباً ومَن نَمَّ عندكَ نَمَّ بكَ في الغَالب فَتَحفَّظْ.

٢٥٣- أخِّـر الشَّرَ والعُقُوبَةَ حتى يَسْكُنْ غَضَبُكَ فَرُبَّما رَجَعْتَ إلى الحق وتركتَ الشرَّ لأهلِهِ.

٢٥٤- بَلاَءُ الانسان في الغالب من اللِّسان والفَرج.

٢٥٥- بِطِيْبِ السَّريرة تُحْمَدُ السِّيرةُ بإذنِ الله تعالى.

٢٥٦- بالعَدْل قامتِ السمٰواتُ والأرض.

٢٥٧- بِعْ دُنْياكَ بآخِرَتك تَرْبَحْهُمَا جميعاً.

٢٥٨- التَّثَبُّتُ في الأمور حَزْمٌ والتَّبذيرْ يُدَمِّرُ الكثير.

٢٥٩- التحيَّةُ تَزرَعُ المَودَّةَ في القُلُوب في الغالب.

٢٦٠- التَّثَبُّتُ طريقٌ إلى الإصابةِ لِمَنْ وفَّقَهُ الله.

٢٦١- تَرْكُ الذَّنبِ أيْسَرُ من طَلَبِ التوبة فتَنَبهْ.

٢٦٢- التَّقْوى ذَخِيرةُ المَعَادِ فالْزَمْهَا.

٢٦٣- حُصُولُ السَّعَادَةِ بطاعَةِ الله وتوفيقِهِ لِمكارِمِ الأخلاق.

٢٦٤- ثَمَرةُ العِلْمِ النافعِ بَثُّهُ ونَشْرُهُ بينَ العِباد.

٢٦٥- تَهادَوْا تَحابُوا وتواضَعُوا لله يَرْفَعُكم الله.

٢٦٦- التَّوَاضُعُ يُوْرِثُ المحبَّةَ بإذن الله تعالى.

٢٦٧- مَنْ توكَّل على الله جَل جلاله كَفَاهُ وحَفِظَه.

(فصـــل)

التَّـوَدُّدُ إلى عِبَـادِ الله المُستقيمنَ على اتِّبـاعِ الكِتـابِ والسُّنـةِ من علاماتِ رَجَاجَةِ العَقلِ .

٢٦٨ـ التَّواضُعُ من أَخْلاقِ الكِرَامِ .

تَمامُ المعرُوفِ والإحْسَانِ تَعْجيلُهُمَا وسَتْرُهُما .

٢٦٩ـ أَوَّلُ مَن يَزْهَدُ في الغَادِرِ مَن غَدَرَ لهُ وأَوَلُ مَن يَمْقُتُ ويُبْغِضُ شَاهِدَ الزُوْرِ مَن شَهِدَ لهُ وأوَّلُ مَن تَهُونُ الزَّانِيَةُ بِعَيْنِهِ مَن زَني بها لأنَّه كَشَفَ سِتْرَهَا والعِيَاذ بالله .

٢٧٠ـ الباخِلُ بالعِلم أَلْأَمُ وأَخَسُّ من البَاخِلِ بالمال لأنَّ البَاخِلَ بالمالِ يَخَافُ من ذَهَابِهِ والباخِلُ بالعِلْمِ بَخِلَ بما يزيدُ وينمي ويَثْبُتُ مَعَ البَذْلِ لَهُ .

٢٧١ـ حَدُّ البُخْلِ الإمتناعُ عنْ ما يَجِبُ عليه أو الامتناعُ عن بَعْضِهِ مَعَ القُدرة عليه ، وحَدُّ الجُودِ بَذْلُ الفَاضِل في وجُوهِ البِّرِ والإحْسَانِ إلى عِبَادِ الله المؤمنين .

إذا نِلْتَ من دُنـياك خيراً فَجُـدْ بِهِ   فإنَّ لِجَمْعِ الدَّهْرِ من صَرْفِهِ شَتَّى
فكَـمْ مِن مُشَـتٍ لَمْ يُصيِّفُ بأهْلِهِ   وآخَـرُ لَمْ يُدْرِكْـهُ صَيْفٌ إذا شَتَـى

٢٧٢ـ أَجَلُّ العلومِ وأنْفَعُها وأحْسَنُها ما قَرَّبَكَ إلى الله ، وما أعانَكَ على طاعتِهِ، ورضَاه .

٢٧٣ـ مَنْفَعَـةُ العِلم في استعمـال الفَضَائِلُ عظيمةٌ وهو أنْ يَعْلم حُسْنَ الفَضَائِلِ فيأتيها ويَعْلَمَ قُبْحَ الرَّذَائِلِ فَيَجْتنبهُاَ ويَسمعَ الثَّناءَ الحَسَنَ

على الطَّاعاتِ فَيَرْغَبَ فيها ويُجِدَّ ويجتهِدَ فيها ويَسْمَعَ قُبْحَ الرّذائِل فينْفُرُ منها ويبْتَعِدُ عنها.

٢٧٤- أنْـظُر في المـالِ والحـالِ والصِّحَةِ إلى مَن هُو دُونَكَ وانْظُرْ في العلمِ والـدِّينِ والأخلاقِ الفاضِلة إلى مَن هو فَوقَكَ لتجمعَ بينَ التواضُعِ وعُلو الهِمَّة.

٢٧٥- مَن اسْتَخَفَّ بشيء من حُرُماتِ الله فلا تأمنه على شيءٍ مِمَّا تَخافُ عليه وكُنْ منه على حَذَر دائماً لأنَّ مَنْ لا يَخافُ الله لا يُؤمَنُ على شيءٍ أبَدًا.

٢٧٦- لا تَغْتَرِ بكَلامِ المُنَافِقِين والنَّمامِين والمغتابين عُمْي البصائرَ الذين يَصِفُونَ اليَهُودَ والنصارى وسائرَ الكُفارِ بالوَفَاءِ والصِّدْقِ والإخْلاصِ ويَصِفُون المؤمنين بالتَّغْفِيل والغَدْر والخيانة والغش والعِيَاذ بالله، ويَخْتارون الكُفار لأعمالِهم فالكُفَّارُ لم يَفُوا مَعَ الله جَلَّ وَعَلا الذي خَلَقَهُم ورَزَقَهَم بل خَانُـو الله ورسـوله والمؤمنين وحَذرنا الله جل جلاله عنهم فإِيَّاكَ ثم إِيَّاكَ أنْ تَغترّ بكلام المنافقين فَتَمْدح أعْدَاء الله ورسوله والمؤمنين فَتَهلك مَعَ مَنْ هَلَكَ.

٢٧٧- النصيحة مَرَّتان فالأولى فَرْضٌ ودِيَانَةٌ لأَخيكَ المسلم والثانية تَنْبيه وتذكير وأما الثالثة فتوبيخ وتقريع مع القدرة إن أمكن ولم يحصل عليكَ أوْ على مَن حَولَكَ مِمَّن يَتَّصِلُ بكَ ضَررٌ.

٢٧٨- النُّصْـحُ يَكـونُ سِراً لا جَهْراً عند الناس وبتعريض لا تصريح إنْ خِفْتَ أنْ يَنْفُـر وإنْ لم يَفهم التعـريض فلا بُدَّ مِنَ التَّصْـريح ولا تَنْصَحْ على شرط القبول منكَ فإنْ تَعَدَيْتَ فأنتَ مُخْطِيء.

٢٧٩ـ قال بعضُ العُلماء إلزم الأدبَ وفارِق الهَوَى والغَضَب واعْمَلْ في أَسباب التَيقُظ واتخذْ الرِفْقَ حِزْباً والتأني صَبَاحاً والسَّلامة كَهْفاً والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

[موعظـــــــــة]

أيُهـا العبـدُ حَاسِبْ نفسَـكَ في خَلْوَتِـكَ وتفكرْ في سرعة إنقـراض مُدَّتـكْ واعمـل بجـد واجتهـاد في زمان فراغِك لوقت حاجتك وشِدَّتِكْ .

وتَدَبَّرْ قبل الفعل ما يُمْلَى في صَحِيْفَتِكْ وانظر هل نفسك معك على الشيطان والهوى والدنيَا أو عَليك في مجاهَدتك .

لقد سَعِدَ مَن حَاسَبها وفاز من حاربها وقام باستيفاء الحقوق منها وطالبها وكلما قصرت أو وَنَتْ عاتبها وكلما توقَّفَتْ جذبها .

قال عليه الصلاة والسلام « الكيس مَن دان نَفْسَه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » .

وقـال عمـر : حاسبـوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وطالبوها بالصدق في الأعمال قبل أن تطالَبُوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا فإنه أهـون عليكم في الحسـاب غدا وتزينوا للعرض الأكبر ﴿ **يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية** ﴾ .

اللَّهمّ ألْحِقْنا بِعِبَادِك الصّالِحينَ الأَبْرَارْ ، وَآتِنَا في الدُّنْيا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسنةً ، وَقِنَا عذابَ النّارْ ، واغْفِرْ لَنَـا وَلِوَالِـدَيْنا ، وَلِجَمِيْـعِ المُسْلِمِينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُم والمَيْتِين ، بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمين ، وَصَلَّى اللهُ على سَيِّدِنا مُحَمّدٍ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجمعين .

(فصـــل)

٢٨٠ـ قال أَحَدُ العُلماء: إعْلم إنَّ الذي يَقْضي منهُ العَجَب حَالَةُ الإنسانِ في غَفْلَتِهِ عن الاهتمام بأمرِ الموت وفي عَدَمِ الرَّوْعَةِ منه مع تَيَقُنِهِ انّهُ لابد له منه وأنَّه في حالِ السَّعْي إليه لا يَفْتُرُ عَنْ ذلك لَحْظَة.

شعرا:

أَتَــطَمــعُ أن تُخَـلَّدَ لا أَبــالَــكْ أَمِــنْـتَ يَدَ الـمـنيَّةِ أَنْ تَنــالَــكْ
أَمَــا والله إنَّ لَهَــا رَسُــولاً بِهِ لَوْ قد أَتَـاكَ لَمَا أَقَالَكْ
كَأنــي بالــتُّــراب عليك يُحْـثَى وبــالـبَـاكِين يَقْتَسِمُــونَ مَالَــكْ
ألَا فاخْــرُجْ من الــدنــيا سَليمــاً ورَجِّ من المعــاشِ بمــا رَجَـالَـكْ
فَلَسْتُ مُخَلِفــاً في النـاسِ شيئـاً ولَــسْــتُ مُزوداً إلا فِعــالَــكْ

٢٨١ـ ما شَيءٌ أَضْيَعَ وأَضْعَفَ من عَالِمٍ ترَكَ الناسُ عِلمَهُ لِفَسادِ طريقته، وما شيء أَضْيَعَ وأَضْعَف من جاهل أَخَذَ الناسُ بِجَهْلِهِ لنظرِهم إلى عبادَتِهِ.

٢٨٢ـ من علاماتِ الاسْتِدراج العَمَى عَنِ العُيُوب وصَرف نِعمَ الله في معاصيه.

٢٨٣ـ ثَبَاتُ الملك يَحْصُلُ لِمَنْ وفَّقه الله لِلْعَدل والاستقامة.

٢٨٤ـ الثِّقةُ بالله أزْكَى أَمَل والعَمَلُ الصالح أحسنُ عمل.

٢٨٥ـ الجاهِلُ مَن يُعْصِي الله في طاعةِ هَوَاه والشيطان والنَّفْسِ الأمارة السُوء.

٢٨٦ـ الحازِمُ مَن اتَّقَى الله وعَمِلَ بِما يُرْضيه.

٢٨٧ـ الحَركَةُ وَلُودٌ والسُكونُ عَاقِر.

٢٨٨ـ الحَسَدُ يُذيبُ الجَسَد ويُطيلُ النَّكد والكَمَد.

٢٨٩ـ الحَسَد آفَةُ الدِّين ودَاعِيةُ النّكد ومَطِيةُ التَّعب.

٢٩٠ـ الحَق يُنْجي بإذنِ الله والباطلُ يُرْدِيَ.

٢٩١ـ خَيْرُ المال ما أنْفِقَ في سبيل الله وما وَقَى به المؤمنُ عِرْضَه.

٢٩٢ـ خَيْرُ المواهِبِ العَقْلُ معَ الدين والأدب.

٢٩٣ـ الاعتمادُ على الله والتَّمَسُكُ بِدِينِهِ والثَّباتُ عليه أقوى عِصْمَة واعْتِمَاد.

٢٩٤ـ رأسُ البِر تقوى الله والوَرَع عَمَّا حَرَّمَ الله.

٢٩٥ـ رَأْسُ الدين تقوى الله وصحةُ اليقين.

٢٩٦ـ رأس العلم اتِّباعُ الكتاب والسُنة وما اسْتُمِدَ منهُمَا.

٢٩٧ـ أُسُسُ المآثِم الكذبُ والكفرُ والنِفاقُ والغِش.

٢٩٨ـ رُبَّ مُبَلَّغٍ أوعَى من سامعٍ ورُبَّ مُشيرٍ بِما يَضرُ ورُبَّ مَلُومٍ لاَ ذَنْبَ لهُ ورُبَّ هَزْلٍ قد عَادَ جَدا.

٢٩٩ـ الرِّفْقُ مِفْتاحُ القُلوبِ والسَّعِيدُ مَن وُعِظَ بِغَيره وسُرورُ الدنيا كأحْلامِ النائِم والسَّراب اللاَّمع.

قال بعضهم:

حِبالُ الدنيا تَغُرُّ الغِر، المُتَمسِّكُ بها

يلْعَبُ بلُعَابِ الشَمس الدنيا كالمرأة الفاجِرَة لا تَلْبَثُ مَعَ زَوْج.

مَيَّزْتُ بَيْنَ جَمَــالِهــا وفِعَــالِهَــا فإذا المَــلاَحَــةُ بالقَبــاحَــةِ لاتَفِي

حَلفتْ لنا أن لا تَخُونَ عُهودَها   فكأنَّها حَلَفَتْ لنا أنْ لا تفِي

وقال آخر:

نَجِّ نَفْساً عن القَبيحِ وصُنْها   وتَوَقَّ الدُنيا ولا تأمَنَنْهَا

لاَ تَثِقْ بالدُنا فما أبقَتِ الدنيا   لِحَيّ وَديعةً لَمْ تَخُنْهَا

إنما جِئْتَهَا لِتَسْتَقبلَ الموتَ   وأُسْكِنْتَهَا لتُخْرجَ عنها

سَتُخَلِّي الدنيا ومالَكَ إلّا   مَا تَبَلَّغْتَ أو تَزَوَّدْتَ منها

وسَيَبْقى الحديثُ بَعْدَكَ فانظُر   خَيْرَ أُحدُوثةٍ تكونُ فكنْها

٣٠٠- أَعْظَمُ الظُلْمِ وأفْحَشُهُ وأقْبَحُهُ الشِّركُ بالله.

٣٠١- الظالِمُ لَئيم وظُلْمِ الضعيفِ من أَفْحَشِ الظُلْم وأَخْبَثُهُ.

٣٠٢- الظلم ظُلماتٌ يَوْمَ القيامَة، وعاقِبَتُهُ وخِيمةٌ وهو مَسْلبةٌ للنِّعَمِ ومَجْلَبةٌ لِلنِّقَم.

٣٠٣- العاقل مَن أطاعَ الله وعَقَل لِسَانَهُ ووَعَظَتْهُ التجارب، والجاهل مَن يعصى ربه في طاعةِ هواه.

٣٠٤- عِظِ المُسِيءِ بِحُسْنِ أفْعالِك، وعِظِ الناسَ بِعَمَلِكَ وقَولكَ فلا خير في قول يُخَالِفُ الفعل.

٣٠٥- العِلْمُ حياةُ القُلوب، وهو خيرٌ من المال، وهو وراثةٌ كريمةٌ.

٣٠٦- عَمَلُ البِرِ خَيرُ صَاحِب، وهو عُنوانٌ على الطّوِيَّة والعَمَل حياةٌ والبَطَالة مَوتٌ حَاضِر.

٣٠٧- العُمر أنْفاسٌ مَعْدودَةٌ، وتُفْنيهِ اللَّحظَات.

٣٠٨- الغَضَبُ مِفْتاح الشرور، وربما أفْسَدَ الايمان والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

(فصــــل)

٣٠٩ـ الفُرصَة تَمُرُّ مرَّ السَّحَاب فاغتنمها في طاعة الله.

٣١٠ـ وقال آخر ذَهَبتِ الأيام وكُتِبَتِ لآثام وإنما يَنفعُ المَلام مُتيَقِظاً والسَّلام.

وعَــظَتْــنــا بِمَــرِهَــا الأيام وأَرَتْــنــا مَصــيرنــا الأَرْجَــامْ
ودَعَتْنــا المنــونُ في سنــةِ الغفلة هُبُّــوا واسْــتــيقِـظوا يَا نِيامْ
لَيْتَ شِعْري ما يَتَّقي المرء والرَّامي لَهُ الـمــوتُ والـخــطوبُ سِهَــامْ
مَنْــهَــلٌ واحــدٌ شرائـعُــهُ شَتَّى وعــليه لِلْوَارِدين ازْدِحــامْ
نَتَحَــامــاهُ ما اسْتَــطعنــا وتَحــدُوْ نــا إلــيه الــشُــهــورُ والأعــوامْ
وإذا رَاَعَــنــا فَقــيدٌ نسِــيْنــاهُ تَنــاسِــي مَا رَاعَــهُــنَّ الــسّــوامْ
أَوُقُــوفــاً على غُرُورٍ وقــد زَلَّــتْ بِمَــنْ كانَ قَبــلنــا الأقــدامْ
وَوَرَاءَ الـمَـصِــيرِ في هذهِ الأجْــدا ثِ دَارٌ يَكــونُ فيهــا الـمَــقَــامْ

٣١١ـ قُربُ الصَّالحينَ دَاعٍ للصَّلاح وقُرْبُ الأشرار والرُكونُ إليهم مَضَرَّةٌ على العُقول والأبدان والأديان والأخلاق.

٣١٢ـ الغَفْلة عن ذِكر الله وما ولاَه أشد الأعداء ضَرراً على الإنسان فإيَّاك أن تغفل عن ذكر الله ولا لحظة.

شعر:

ما دُمْتَ تَقْــدِرْ فأكْثِرْ ذِكْـرَ خَالِقَنــا وأَدِّ وَاجِــبَــهُ نَحْــوَ الــعِبَــادَاتِ
فَسَــوْفَ تَنْـدَمُ إنْ فَرَّطْتَ في زَمَنٍ ما فِيهِ ذِكْــرٌ لِخَــلاَّقِ الـسَّمَــوَاتِ

٣١٣ـ لا تَقُلْ بغيرِ تفكيرْ، ولا تعمل بغيرِ تَدبير، ولا تَسْتبد بِتَدْبيرك واعتمد على الله في جميع أمورِكَ.

٣١٤- جمالُ المرءِ في تَقْواهُ واسْتِقَامتهُ على طاعَةِ الله ومُتَابَعَتهُ لِلْكتاب والسُنة.

٣١٥- مُخَالَطَةُ الكُفار والمنافقين والفَسَقَة مَفْسَدَةٌ عظيمة، وهَدْمٌ للدِّين، والشرف والأخلاق.

٣١٦- الجُنودُ المتمسكين بالكتاب والسنة المعتمدين على الله، حُصُونُ البَلد بإذنِ الله تعالى.

٣١٧- ثَبَاتُ المُلْكِ بإذن الله بالعَدل والاستقامة على إتباع الكتاب والسنة والعمل بهما.

عليكَ بالعــدلِ إنْ وُليتَ مَمْلَكَـةً   واحْـذَرْ من الجَـوْرِ فيها غايةَ الحَذَر
فالمُلْكُ يَبقى مع الكُفـر البَهيمِ وَلاَ   يَبْقَى مَعَ الجَـوْرِ في بَدْوٍ لاحَضَـرِ

٣١٨- يَنْبغي للرئيسِ أَنْ يَبْتدي بتقويم نفسه قبلَ أن يَبتدي بتقويم رعاياه.

يا أيهــا الــرجــلُ الــمـعـلمُ غيره   هلا لِنَــفــسـك كان ذا الـتـعـليمُ
تصف الــدَّواءَ السِقـامِ من الضِنى   كمـــا يَصِــحُ به وأنــت سقــيمُ

٣١٩- التوكل على الله كِفَايَةٌ، والتوفيق رحمة وهو أول النِعمة.

٣٢٠- جَنَّةُ الرَجلِ المُسلمِ في الدنيا المسجد وبَيتهُ إن كانَ فيه ما يَحثهُ على طاعـة، وليس فيه شيء من المحـرمـات كالصُّـور، والتليفـزيون، والفيديو، والمذياع، والخدَّامين، والخدَّامات، الذين لا يصلون أو جاؤوا من بلادهم بدون محـرم، أو لا يصلون وجـاؤوا بدون محرم والعياذ بالله فاحْـذَرْ وحَـذِّرْ عن هذهِ الأشياء كُلِّهـا بكل ما تقدر من التحذير عنها وابتعد عنها، واسأل رَبَّكَ الثبات وأن يُبْعِدكَ عنها.

شعرا:

ألا أيُّهــا الـلاَّهي وقـد شاب رأسُـهُ ... ألَمَّــا يزعْــكَ الشَّيْبُ والشَّيْبُ وَازعُ
أتَصْبُـو وقـد ناهَـزْتَ خمسينَ حِجَّةً ... كأنَّــك غِرٌ أو كأنَّــك يافِــعُ
حذَار من الآفــاتِ لا تأمَــنَّــنهــا ... فَتَخْــدَعُــكَ الآفــاتُ وهي خَوادِعُ
أتَــأمَــنُ خيلًا لا تزالُ مُغــيرةً ... لهــا كل يومٍ في أُنــاسٍ وَقَــائِعُ
وتَــأمَــلُ طُولَ العُمْــرِ عنــدَ نَفَـادِهِ ... وبــالــرأسِ وسْـمٌ للمـنـية لاَمِــعُ
يُرجى الفَتَى والمــوتُ دُونَ رَجـائِـهِ ... ويَسْـري لهُ ساري الردى وهو هاجِعُ
تَرَحَّــلْ من الــدنيا بِزَادٍ من الـتُّقى ... فإنَّــكَ مَجْــزِيٌ بمــا أنتَ صَانِــعُ

٣٢١ـ إحْرَصْ أن يكونَ دُعاؤكَ في أوقات الإجابة وذلك عندما تسمع الأذان وعنـدما يدخل الإمام يوم الجمعة للخطبة وفي آخر الليل وفي آخر ساعة من يوم الجمعة وبين الأذان والإقامة.

٣٢٢ـ من أفضل العبادات إنتظار الفَرج من الله والإلْحَاحُ على الله بالدُعاء فإن الله يحب المحلين في الدعاء والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم

[فصــــــل]

قال بعض العلماء رأيتُ من البلاء العُجاب أن المؤمنَ يدعُو الله فيكررُ الدُعاء وتَطُولُ المُدَّةُ ولا يرى أثراً للإجابةِ فينبغي له أن يعلم أن هذا من البلاء الذي يحتاجُ إلى الصَّبرِ وما يَعْرِضُ للنفسِ من الوَسْواسِ في تأخيرِ الجواب مَرَضٌ يحتاجُ إلى طب ولقد عرضَ لي مِن هذا الجنسِ فإنه نَزَلَتْ بي نازلة فدعوتُ وبَالَغْتُ فَلَمْ أرَى الإجابة فأَخَذَ إبْليسُ يجولُ في كَيدِهِ فتارةً يقول الكرمُ واسع والبخل مَعْدُومٌ فما فائدةُ تأخيرِ الجَوابِ فقُلتُ إخْسأ يا لَعين ثم عُدْتُ إلى نفسي فقُلْتُ إيَّاك ومُسَاكَنَةَ وَسْوَسَته فإنَّه لَوْ لم يكنْ في تأخيرِ الإجابةِ إلاَّ

أنْ يبلوكَ المُقَدّرُ في محاربة العدو لكفى في الحكمةِ وقد ثَبَتَتْحكمتهُ جل وعلا بالأدلةِ القاطِعة فَرُبَّما رأيتَ الشيء مَصْلحةً والحَقُّ أنَّ الحكمةَ لا تقتَضيه وقد يَكونُ التَّأخيرُ مَصْلحة والاسْتعجال مضرة وقد قال النبي ﷺ «لا يَزال العبد في خير ما لم يَسْتعجلْ يَقُولُ دعوتُ فَلم يُسْتجبْ لي، وقد يَكونُ إمتناعُ الإجابَةِ لآفَةٍ فيكَ فربما يكون في مأكولك شُبْهَةَ أو قلبك وقتِ دُعائك غَافِل أو تُزادُ عُقُوبَتُكَ في مَنْعِ حاجَتِكَ لِذَنْبٍ ما صَدَقْتَ في التوبة منه ويَنبغي أنْ يَقَعَ البَحْثُ عن مَقْصُودِكَ بهذا المطلوب فربَّما كان في حُصُولِهِ زيادَةُ إثم أو تأخير عن مَرْتَبَةِ خير فكان المنعُ أَصْلَحَ وربَّما كان فقد ما فُقِدَ للاشتغال به عن المسؤول وهذا هو الظاهر بِدَلِيلِ أنَّهُ لَوْلاَ النَّازِلَةَ ما لَجَأَ وتَضَرَّعَ إلى الله أهـ.

٣٢٣ـ رُبَّ أخ لكَ لم تَلِدْهُ أمك، ورُبَّ بَعيد أقْرب من القريب، ورُبَّ أمنية جَلَبَتْ مَنيَّة، ورُبَّ حال أفصح من لسان، ورُبَّ سُكوت أَبْلغ من كلام، ورُبَّ سَاعٍ فيما يَضُره، ورُبَّ عَطَبٍ تَحْتَ طَلَب، ورُبَّ مُبَلِّغٍ أوْعَى من سَامِع، ومَلُوم لا ذَنْبَ لَهُ.

٣٢٤ـ رُبَّ كَلامٍ جَوابهُ السُكوت ورُبَّ عمل الكف عنه أفضل ورُبَّ خُصومةٍ الإعْرَاضُ عنها أصْوب.

٣٢٥ـ العَجَبُ ممَّن يَحتمي من المآكل الرَّديئة ولا يَتركُ الذنوبَ مَخَافة رب العالمين ويستحي من الخلق ولا يَستحي من الله الذي لا تخفى عليه خافية.

٣٢٦ـ التواني والعَجْزُ والتَّماهُنْ، إضَاعَة ومِن أسبابِ الإفلاسِ، والفقر، والتَّدَهْوُر.

٣٢٧ـ مَن شَغَلَ نَفسهُ بأدْنى العُلوم وتَرَكَ أَعْلاها وهو يَقْدِرُ على تَعَلُّم الأعلى كان كَمَنْ يَغْرِسُ الإثلَ والسِّدْرَ ونحوهما في الأرض التي يَزكو وينمو فيها النخيلُ والرمانُ والتفاحُ والبرتقالُ والزيتون وأعلى العلوم التوحيد والتفسير والحديث والفقه.

٣٢٨ـ نشر العلمَ على مَن لَيْس من أَهْلِهِ مُفْسِدٌ لهم كإطعامك التمر والحَلْوى ونحوهما لِمَنْ بهِ مَرضُ السُّكر وكإطْعامِكَ الحَوَار كالفِلفل ونحوه مما هو شديدُ الحرارة لمن به قَرحَةُ مَعِدة وبَواسِير.

٣٢٩ـ مَن رأى نفسه تميل إلى عِلم من عُلوم الشَّريعة كالتفسيرِ والتوحيدِ والحديث والفِقه فليقبل عليه واليَحْمَدِ الله على ذلك ولا يشتغل بغيره حتى يَمْهَرَ فيه.

٣٣٠ـ مَنْ شَغَلَهُ طَلَبُ الدنيا عن الآخرة، ذَلَّ إمَّا في الدنيا وإمَّا في الآخرة، ومَنْ نَظَرَ في سِيرَةِ السلفِ عَرَفَ تقصيرهُ وتَخَلُّفَهُ عن دَرَجَاتِ الكَمال.

٣٣١ـ كان السلف أحْرَصَ ما يكونونَ على أوقاتهم لأنهم يَعْرفونَ قِيمةَ الوَقتِ يَقُولُ الحسنُ البَصْري أَدْركتُ أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دَرَاهِمِكُم ودَنَانِيركم وقال يا ابنَ آدمَ انما أنتَ أيامٌ مجموعةٌ كلما ذَهَبَ يومٌ ذَهَبَ بَعْضُكَ.

٣٣٢ـ قال ابن مسعودٍ ما نَدِمْتُ على شيءٍ نَدَمي على يومٍ غَرَبَتْ شمْسُهُ نَقصَ فيه أَجَلِي ولم يزدد فيه عَمَلي.

٣٣٣ـ مَنْ جهِلَ قيمةَ الوَقْتِ الآن فَسَيَأتي عليه يَوْمٌ يَعْرفُ فيه قيمةَ الوقت ولكن بَعْدَ فَواتِ الأوان ويتمنى أنه شَغَل وقْتهُ الماضي الذي أَهْملهُ بالباقِيات الصالحات من تَسبيح وتحميد وتهليل وتكبير وقِرَاءةِ قرآن

وسُنةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لله در العارفين بزمانهم إذْ باعوا ما شانهم بإصلاح شانهم ما أقل ما تعِبوا وما أيسرَ ما نَصَبُوْا شَمَّروا عن سُوْق الجِدِّ في سُوق العَزائم وجَادَوا مخلصين فربحوا إذْ خَسِرَ النَّائم.

فكم هذا التَّصَامُمُ والتَّعَامِي وكَمْ هذا التَّغافُلِ والتَّواني
فلو أنا فَهِمنا عن خَرَاب الديا ر مَقَالَهَا لَمْ يَبِن بان
ويَجْني العَيْشُ كلَّ أذىً ويُهْوى فيا لِلعَيْش يُعْشَقُ وهو جَانِ
فلله الأولى دَرَجوا جميعاً وزَادهم النَّجَاءُ مِنَ البَنَانِ
ولَمَّا أنْ رضوا شُعْثَ النَواصِي تُقىً وهَبُوا التَّصَنُعِ لِلْغواني

آخر:

تَبْني المنازِلَ أعمال مُهَدَّمةٌ من الزَّمانِ بأنفاسٍ وسَاعاتِ

آخر:

ونَبني القُصُورَ المشمخِراتِ في الهَوَى وفي عِلْمنا أنَّا نَمُوتُ وتَخْرَبُ

٣٣٤- وقال أحد الحكماء القلبُ مِثْلُ البَيْت الذي لهُ سِتَّةُ أبْواب ثم قيل إحْذَرْ أن لا يَدْخُلَ عَليكَ من أَحَدِ الأبْواب شيء فيُفْسِدُ عليكَ البيت والأبوابُ هِي العَيْنَان واللِّسَان والسمعُ والبَصَر واليَدَان والرِّجْلان فمَتَى إنْفَتَح بابٌ مِن هَذِهِ الأبواب بِغير عِلْم ضاع البيت.

٣٣٥- قِيْلَ لأحَدِ الفُقراء الأذكياء الزُهَّاد في الدنيا وحُطَامِها ما أفْقَرَك فقال لو عَرَفْت راحة الفقر لشغلك التوجع لِنَفْسِك عن التَّوجُعِ لي فالفَقْرُ ملكٌ ما عليه محاسَبَة

٣٣٦ـ قِيل لِمُحمد بن واسِعٍ رحمه الله اترضى بالدون فقال إنما رضي بالدون من رَضِي بالدنيا بَدَلاً من الآخرة.

٣٣٧ـ وقال زاهدٌ لِمَلكٍ أَنْتَ عَبْدُ عَبْدِي لأنَّكَ تَعْبُدُ الدنيا لِرَغْبَتِك فيها وأنا مَوْلاها لِرَغْبَتِي عنها وزُهْدِي فيها.

٣٣٨ـ قِيْلَ لأحَدِ الزُهاد أَتَرضَى مِن الدُنيا بهذه الحالة فقال ألا أَدُلُّكَ على من رضى بدُون هذا قال نعم قال مَن رَضِيَ بالدنيا بدلاً من الآخرة

٣٣٩ـ العَاقِلُ حَقِيْقَةً هُوَ مَنْ آثر طاعَةَ الله على المعْصِيَة وآثر العِلْمَ النافعَ وهو ماجاء عن الله ورسُولِهِ صلى الله عليه وسلم على الجَهْلِ وآثر الدِيْنَ الإسلامي على الدُنيا وكفَّ أذاهُ عن الناس.

٣٤٠ـ شَرُّ المقالِ ما أوجَبَ الملام وشَرُّ الناس من يتقيه الناس إتقاء شره، والشقي من جَمَع لغيره والشرف التَّمسُّكُ بالدين الإسلامي بِهمَّةٍ عالية.

٣٤١ـ قِيْل مِنْ علاماتِ التوفيق للإنسان دُخُولُ أَعْمَالِ البر عليه من غير قَصْدٍ لها، وصَرْفِ المعاصِي عنه مع سَعْيه إليها وفتح باب اللجاء والافتقار إلى الله تعالى في كِلِّ الأحْوَال، واتباع السَّيئة الحسَنة، وعِظَم الذَّنْب في قَلْبِهِ وإن كان من صَغَائِرِ الذُنوبِ والاكثار من ذكر الله وحَمْدِه وشكره والاسْتِغْفار.

أيا مَن لَيْسَ لِي منه مُجِيْرٌ بِعَفْوكَ مِن عَذابك أَسْتَجِيْرُ
أَنا العَبْدُ المُقِرُّ بِكُلِ ذنبٍ وأنْتَ السَّيدُ المولى الغَفُوْرُ
فإنْ عَذَّبْتَنِي فبِسُوءِ فِعْلِي وإنْ تَغْفِرْ فأنْتَ به جَدِيْرُ
أَفِرُّ إليْكَ مِنْك وأيْنَ إلاَّ إليْكَ يَفِرُّ مِنْكَ المُسْتَجِيْرُ

وصلى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ أجمعين.

(فصلٌ)

٣٤٢ـ من عَلامَاتِ الخُذْلانِ وقِلَّةِ التوْفِيق تَعَسُّرُ فِعْل الطَّاعَات على الإنسان مَعَ السَّعْي فيها ودُخُول المعاصِي عليه مع هَرَبها منها وغَلْق باب الإلتجاءِ إلى الله وترك التَّضرع والدُّعاء واتباعُ الحَسنة بالسَّيئات واحْتِقَارُهُ لِذُنُوبه وعَدَمُ الاهتمام بها وإهمالُ التوبةِ منها ونِسْيانُه لِرَبه.

٣٤٣ـ المُرَاقَبَةُ في ثلاثةِ أشْيَاء مُراقَبَةُ الله في طَاعَتِهِ بالعمل الذي يُرْضِيه ومُراقبتُه عند وُرُوْدِ المعْصِيَةِ بتركها ومُرَاقبَتُه في الهَم والخواطر والسر والاعلان.

٣٤٤ـ رآى رجُلٌ أحَدُ الحكماء يأكلُ ما تساقط من البَقْل على رأس الماء، فقال لهُ لوْ خَدمْتَ السُّلطَان لم تحتج إلى أكل هذا فقال الحكيم، وأنْت لو قَنِعْت بهذا لم تَحْتج إلى خِدْمَةِ السُلْطان.

٣٤٥ـ قال رَجُلٌ لآخر كَيْفَ حَالُكُم مع السُلْطان قال كما قال الله جل جلالُه «سَمَّاعُون لِلْكَذِبِ أَكَّالُون لِلسُّحْتِ».

٣٤٦ـ الشَّقي من جمع لغَيْرِه وأَهْمَل نَفْسَهُ والشؤم سُوءُ الخُلُق والشَّرفُ بالهمم العالية لا بالرِّمَمِ البَالِية.

٣٤٧ـ صِدْقُ الإخَاءِ في الشِّدةِ والرَّخاءُ وصُحْبَةُ الجاهِل شؤمٌ وصَدَاقَتُه تَعَبٌ وعناءٌ ومَشقَّة فأحْذره.

ولَيْس خَليلي بالمَلُولِ ولا الذي إذا بِنْتُ عنه باعني بِخَلِيْلِ
ولَكِنْ خَليلي مَن يَدُومُ وصالُهُ ويَحْفَظُ سِرِّي عند كُلِّ دَخِيْلِ

٣٤٨ـ صَنَائعُ المَعْرُوْف تَقِي مَصَارِعَ السُوء وصِلةُ الرَّحِمْ تَزِيْدُ في العُمُر والصفح الجَميْلِ من أَحْسَن الشِيَم والصِدْقُ مَنْجَاةٌ وكرامة.

٣٤٩ـ المصائب في الدنيا عند الاشتراك فيها تَهُوْن أمَّا في الآخرة فلا قال الله تعالى عن أهل النار ﴿ولَنْ ينفعكم اليوم إذْ ظَلَمْتُم أنكم في العَذاب مُشتركون﴾

شعـرا :

واخَجْلَةَ القَلْبِ مِن إحْسَـانِ سَيْدِهِ ... واحَيْرةَ القَلْبِ من أَلْـطَافِ نَعْمَـاهُ
واحَسْـراةَ الطَّرْفِ كَمْ يَرنُوا لخائِنَةٍ ... مِن الـمـآثِـم لا يَرْضَـى بهـا الله
فكَمْ أَسَـاتُ وبـالإحسـانِ عامَلني ... واخَـجْـلتـي واحـيائي حِيْن الْقَـاهُ
وكَـمْ لهُ من أيادٍ غَيْرِ واحـدةٍ ... وافـت إلـيَّ تُرِيْنـي أنَّـهُ الله
بلُطْفِـهِ وبـفـضْـلٍ مِنْـهُ عَرَّفني ... في حُبِّـهِ كَيْف أَرْجُـوْهُ وأَخْـشَـاهُ

٣٥٠ـ الشَّريْعَة المحمدية صلاح البرية، والشفيع جَناحُ الطالِب، والشكْرُ لله زِيْنَةُ الغِنى، وهومِن الإيمان.

٣٥١ـ السلامةُ في الاستقامة على اتباع الكتاب والسُنة والعمل بهما.

٣٥٢ـ الصبـر عنـد الصـدمة الأولى، والصبر جُنَّةٌ من الفاقةِ بإذن الله، والصبرُ عُدَّةُ البلا والصبر مُرٌ لا يتجَرَّعُهُ إلا حُرٌ قال الشاعر:

شعــرا :

والصبـرُ مِثْـلُ اسْمِــهِ مُرٌ مَذاقَتُـهُ ... لكن عَوَاقِبُـهُ أَحْلَى من العَسَـلِ

آخـر :

نَعَـالَـكَ ظِلُّ الشَّبَـاب المشيب ... ونَـادَتْـك باسْم سِوَاك الخُـطُوبِ
فكـن مُسْـتـعـدًا لِدَار الـفـنَـاء ... فإنَّ الـذي هو آتٍ قريب
أَلَسْـنَـا نَرى شَهـواتِ النُفُـوس ... تَفـنَـى وتَـبْقَى عليهـا الـذُنُـوب
وقَبْلَكَ دَاوَى المـرِيضَ الـطبيْبُ ... فعَـاشَ المرِيْضُ ومـات الـطبيب

يَخَــافُ على نَفْسِــهِ من يَتُــوب   فكَــيْفَ ترى حال من لا يَتُــوب

٣٥٣- ضَلَّ من رَكن إلى الأشـرار، طُوْبى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُـهُ عن عُيُوبِ النـاس، والـطُيُورُ على أشْكـالِهـا تَقَع، وطاعة النساء نَدامَةٌ في الغالب في غير طاعة الله لأنَّهنَّ ناقصات عقل ودِيْن.

٣٥٤- العاقل من وعظه الكتابُ والسُنة والتجارب والعَدْل يَجْمَعُ القُلوب في الغَالِب بإذن الله قال الله تعالى: ﴿وإذا حكمت بين الناس أن تحكمُوا بالعدل﴾ والعدل حَيَاة والجورُ موْت.

٣٥٥- إحْذرِ الغفلةَ ومخاتِل العَدوُ وطَربات الهوى وأمانِيَّ النَّفْس وضراوة الشَّهْوةِ، وقال آخر أطلُبْ آثار مَنْ زادَهُ العِلمُ خشيةً والعَمل بَصِيْرةً والعَقلُ مَعْرفة، واعْلَم أن في كُلِّ فِكْرَةٍ أدَبًا وفي كل إشارةٍ عِلْمًا وإنمـا يُمَيِّزُ ذلِـكَ من فَهِمَ عن الله مُرادَهُ وجَنَى فوائِد اليَقِين من خطابـهِ، وعلامَةُ ذلك في الصَّادق أنَّهُ إذا نَظَر اعْتَبر وإذا صَمَت تفكـر وإذا تكلم ذكر وإذا مُنع صَبر وإذا أُعْطِي شكر وإذا ابْتُلِي حَمِدَ الله واسْترجع وإذا جُهِل عليه حَلُم وإذا عَلِم تواضع وإذا عَلَّمَ رَفق وإذا سُئِل بَذل.

٣٥٧- المؤمِنُ الحقيقي هو الذي إذا مُدِحَ وأُثني عليه وذُكر طرفا مما وهَبَه الله من المحاسِن إسْتَحْيا تَعْظِيم وإجْلال أنْ يُثْنى عليه فيزداد بذلك مقْتًا لِنَفْسِهِ واسْتِحْقارًا لها ونفورًا عنها ويقْوى عِنْدهُ رُؤيَةُ إحْسَانِ الله تعـالى إليه وشُهـوده فضْله عليه ومِنَّتُهُ في إظْهار المَحاسِن عليه ويشكر الله ويَحْمَدُهُ على ما أولاه من نِعمِهِ التي لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى.

٣٥٨- مِن علامات المعرِفة بالله القيامُ بِحقُوقِهِ والتخلُصُ من حُقُوق العباد

ومن علامات مَحبَّة العَبْد لله إتباع محمد صلى الله عليه وسلم قال الله جل وعلا: ﴿قُل إنْ كُنْتُمْ تُحِبُون الله فاتَّبِعُوني يُحْبِبْكم الله﴾.

٣٥٩- سُتُّ خصَال يَرْفَع الله بها العَبْدَ العِلْم النافِعُ والأدبُ المُسْتَفَادُ مِن الكتاب والسُّنة والأمانة والعِفَّةُ والصِّدقُ والوَفاء.

٣٦٠- عِمَارَةُ القَلْبِ في أرْبَعَةِ أشْيَاء في العِلْم النافع والتَّقْوى وطاعةِ الله وذِكرِه وخرابُهُ من أَرْبَعَةِ أَشْياء مِنْ الجَهْلِ والمَعْصِيةِ والاغْتِرار والغَفْلة ونسيان الله.

٣٦١- من علاماتِ مَوْت القَلْب عَدَم الحُزْنِ على ما فاتك من الطاعات وتركُ النَّدم على ما فَرَط مِنْكَ من الزَّلات قال صلى الله عليه وسلم «مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وسَاءتْهُ سَيّئَتُهُ فهو مُؤمِن».

٣٦٢- مِن نتائج المَعصِيَة قِلَّةُ التَّوفِيْق وفَسادُ الرَّأْي وخفاء الحق وفسادُ القَلْب وخمُول الذكر وإضاعَةُ الوقت ونُفْرة الخَلْقِ والوحشةُ مع الرب ومَنْعُ إجَابَةُ الدعاء وقَسْوةُ القَلْبِ ومَحْقُ بَركة العُمُر ولِبَاسُ الذُل وضِيْقِ الصَّدرْ.

٣٦٣- الشكْرُ مِنْ اعْلى المقامات وهو أعْلى من الصبر والخوف والزُهْد وهو مَقْصُودٌ لِنَفْسِهِ ولذلك لا يَنْقَطِعُ في الجَنَّة ولَيْس فيها خَوفٌ ولا توبة ولا صبر ولا زُهْد والشُكر دائم في الجنة قال تعالى: ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحَزَن إنَّ ربنا لغفورٌ شكور﴾.

٣٦٤- أما كَيْفِيَّةُ الشكر لله فَيَتِمُ بأُمور:

أولاً: أن يَحْمَد الله على نِعمِهِ بِلِسَانِه ويَشكُره.

ثانيا: أَنْ يَعْتَقِدَ أنَّ هَذِهِ النِّعْمةَ أو النِّعَم آتِيَتُهُ مِن الله.

ثالثا: أنْ لا يَسْتَعِيْن بها على معاصيه بل يطيع الله فيها.

رابعا: أن يعرف فضل الله عليه وكرمه فليَسْتَحِي من الله فلا يَعْصِيْه.

٣٦٥- العِلْمُ بلا عَمَل ضَرَرٌ ووبَال، والعِلْم حَيَاةُ القُلُوب والعِلْمُ إذا عُمِل به خير من المال العِلْم وراثة كريمة.

٣٦٦- آيةُ العَقْلِ إمْتثال أوامِر الله واجْتِنَابُ نَواهِيهُ والعقل فَضيلةُ الإنسان والعُقول مواهب من الله وعمل البر خير صاحب وخير الزاد تقوى الله جَلَّ وعلا.

مَنْ يَغْنـي بالله يجـد رُوحَ الغِنى ... والله يُوفِـي من يشـا مايشـا
وخيْرُ ما يَدَّخِـرُ الـمـرءُ الـتُـقَـى ... وخَيْرُ أثـواب الفِتى ثَوبُ الحِجـا
ما أقْبَـحَ الصَّبْـوة مِن بَعْـدِ النُهى ... إنَّ الـمـشيْبَ قد طوى ثوبَ الفَتَى
فَبَـادِرِ المـوتَ ودَعْ عَنْـكَ الهَـوَى ... فإنَّـه عَمَّـا قليلٍ قَدْ أَتَـى
قَدْ قِيْلَ فيْمـا قدْ مَضى قَوْلٌ جرَى ... عِنْـدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ القَومُ السُّرى
وتَـلْفُظُ الـعَـيْنُ عُلالاتِ الكَـرى ... أيْنَ ذَوُوْ المَـالِ وأرْبَـابُ القُـرى
من عَمَـر الـدُنْيا ومن شاد البِنَـا ... أضحَوا جمِيْعًا تَحْتَ أطْبَاقِ الثَّرى
لا أثَـرَ مِنْـهُـمْ ولا عَيْنٌ تُرى ... إنَّ أَخَـا الـلُّبِ تَنَـاهَـى وانْـتَـهَى
ليْسَ سَواءً مَنْ أطَـاعَ واتَّـقَـى ... ومـن على الله بجَـهْـلٍ إفْـتَـرى

٣٦٧- اغْتَنِم الفُـرصَـةَ لِطَاعة الله فإنَّها تَمرُ مَرَّ السَّحاب، الليل والنهار يعملان فيك فاعْمَلْ فيهما بما يُحبُّه الله ويرضاه ومن طلب العِزَّ نالَه بطاعة الله عز وجل.

٣٦٨- ما اسْتَهـانَ قَومٌ بالـدِين **إلَّا حَلَّ بهم** الهَـوَان وما أكْثَر العِبَر وأقَل

الاعتبار، وما أوضح الحَق لمن طَلبه بالصِدْق والإنصاف.

٣٦٩ـ ما أَقْرَبَ العُقُوبة والنِّقْمَة مِن أَهْلِ البَغِيْ والعُدْوَان، لا تُعِنْ قويًا على مُؤمِنٍ ضَعِيْف.

٣٧٠ـ لا تَقُلْ بغَيْر تفكير ولا تَقُلْ ما لا تَفْعل ولا تكن حاطِبِ لَيْل ولا تَلُم غيرك بِمَا أَنْتَ فِيه.

٣٧١ـ أَخْوكَ المُخْلصُ لَكَ مَن عَرَّفَكَ العُيُوب وصَدِيْقُكَ حَقِيْقةً مَنْ حَذَّرَك من المَعَاصي والذنوب.

٣٧٢ـ على قَدرْ حُبِّكَ لله يُحِبُّكَ الخلق وعلى قدر شُغْلِكَ بالله يَشْتَغِلُ الخلقُ بأمْرِك.

٣٧٣ـ عَجَبٌ مِمَّنْ يَحْزَنُ على نُقْصَانِ مالِهِ كَيْفَ لا يَحْزَنُ على نُقْصَانِ عُمْرِهِ ودِيْنِهِ.

مالِـي أرى النـاس والـدنيا مُوَلِّيَةٌ وكـل جَمْـعٍ عليهـا سوف يَنْتَثِرُ
لا يَشْعُـرُونَ إذَا مادِيْنَهُمْ نُقِصـوا يَومًـا وإنْ نُقِصَتْ دُنْيَاهُمُـوا شَعروا

٣٧٤ـ قال رجلٌ لِعامِر بن قَيْس وهوَ يُريد صَلاة الجُمُعَةِ قِفْ حتى أكَلِمُكَ فقال لولا أني أُبَادرُ لوقَفتُ لك قال وما تُبادِرُ قال أُبَادِرُ خُروج رُوحِي وجلسَ آخَرُ إلى رَجُلٍ مِمَّنْ عَرَفُوا قِيْمَة الوَقْتِ يُرِيْدُ أَنْ يَتحدَّثَ مَعَه فقال أنا في شُغُل إذْهَبْ إلى أَمْثالك مِمَّنْ لا يَعْرِفُون قيمَة الوقت فأنصَرَف.

إذا كان رأس المـال عُمْرِكَ فاحْترِزْ عليه من الانـفـاقِ في غَيْرِ واجِبِ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

(فصــــل)

٣٧٥- إعلم وفقنا الله وإيَّاكَ وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه أنَّ عُمُر الإنسانِ مَيْدانٌ للأعْمالِ الصالِحَة المُقرِّبَةِ إلى الله والمُوْجِبَة الثواب له في الدار الآخِرَة وهذه هي السعادة التي يَكْدحُ العَبْدُ ويَسْعى مِنْ أَجْلِها وليس له منها إلا ما سعى كما قال تعالى: ﴿وأَنْ ليْس للإنسانِ إلاَّ ما سَعَى﴾. وقال تعالى: ﴿أولَم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر﴾:

بَقيَّةُ العُمْرِ عِنْدي مالـه ثَمَن ... وإنْ غدا لَيْس مَحْسوبًا من الزمنِ
يَسْتَدرِكُ المَرْءُ فيها كُلَّ فائِتَةٍ ... من الزمانِ ويَمْحُوا السُوء بالحسن

٣٧٦- وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه «بقية عمر المرء مالها ثمن يدرك فيها مافات ويحيى ما أمات».

٣٧٧- وقال آخر العمل أنفاس معدودة وتُفْنِيْهِ اللحظات.

ومـا نَفَسٌ إلا يُبَاعِـدُ مَوْلِـدًا ... ويُدْني المنـايا للنُفُـوسِ فَتَقْرُبُ

آخـر:

ذَهَبَ الفتى ومضى بغير توقُّفٍ ... كهِلال أول لَيْلة مِن شَهْـرِهِ

آخـر:

أرَانـا على السَّاعَاتِ فُرْسَانَ غَارةٍ ... وهُنَّ بنا يَجْرِينَ جرْيَ السَّلاهِبِ

وعن بن عبَّاس أنه قرأ «فلا تعجل عليهم إنما نعَدُ لهم عَدًّا» فبكى وقال آخر العدد خروج نَفْسِكْ، آخر العدد فِرَاقُ أَهْلِكْ، آخِرُ العدد دُخُولُ قَبْرِكْ.

وقال آخر: إخواني تفكروا في مصارع الذي سبقوا وتدبروا مصيرهم أين انطلقوا واعلموا أن القوم انْقسمُوا وفترقوا قوم منهم سعدوا ومنهم قوم شقوا:

والمـرءُ مِثـلُ هلالُ عِنْد طلعتِهِ　يَبْـدُو ضئـيْلاً لطيْفًـا ثُمَّ يَتَّسِقُ
يَزْداد حتَّـى إذا ماتـمَّ أعْـقَبـهُ　كر الجـد يدين نقْصا ثُمَّ ينْمَحِقُ
كانَ الـشبـابُ رِداءً قَدْ بُهجْتُ بِهِ　فقَـد تطاير مَنْـهُ للْبـلى خِرَقُ
عَجبْتُ والـدهْـر لا تَفْنى عجَـائِبُـهُ　للرَّاكنين إلى الـدنيا وقـد صدقـوا
وطَـالمَـا نُغِّصُـوْا بالفَجْـعِ ضاحِيَةً　وطـال بالفجْعِ والتَّنْغِيْص ما طَرقوا
دَارٌ تغـرُ بهـا الآمـالُ مُهـلكـةً　وذُو التَّجـارُبِ فيهـا خَائفٌ فَرِق
يا لِلّرجَـالِ لمخْـدُوْعٍ بزُخـرفهـا　بعْـد الـبَيان ومغْـرُور بهـا يَثِق
أقُـولُ والنَّفْسُ تَدعـوْني لِبَـاطِلِهـا　أيْنَ الملُوكُ مُلُوك النـاسِ والسُّـوَقُ
أيْنَ الـذينَ إلـى لذَاتِـهـا رَكَنُـوا　قد كان فيهـا لهُمْ عَيْشُ ومُـرْتَفَقُ
أَمْـسَتْ مَسَـاكِنُهُم قَفْـرًا مُعَـطَّلَةً　كأنَّـهم لمْ يكنُـوا قبلهـا خُلِقُـوا
يا أهْـلَ لَذَّاتِ دارٍ لا بقـاء لهـا　إنَّ اغـتـرارًا بِظلٍ زائـلٍ حُمُـقُ

٣٧٨ـ وعن ابن السِّماك وقد قرأهَا إذا كانت الأنفاسُ بالعَدَدِ ولم يكن لها مَدَدٌ فما أسْرَع أن تنفذ:

تَنَبَّـهْ فإنَّ الـدهـر ذو فَجَعَـاتِ　وشَـمْـلُ جَمِـيْع صَابِـرٌ لِشَتَـاتِ
تَخَـلَّفُ ما مُوْلاتُـنـا وكَـأنَّـنَـا　نَسِيْرُ إليْهـا لا إلـى الـغَمَـراتِ
هَل المـرءُ في الـدُنيا الـدَّنيَّةِ ناظِرٌ　سِوَى فَقْـدِ حِبٍّ أو لِقَـاءِ مَمـاتِ
سَيُسْقى بَنُو الدنيا كؤوسَ حُتُوفِهِمْ　إلى أنْ يَنَـامُـوْا لا مَنَـامَ سُبَـاتِ
ومـا فَرِحَتْ نَفْسٌ بِبَلْوى وقَـدْ رَأَتْ　عِظاتٍ مِن الأيامِ بَعْـدَ عِظَاتِ

إذا بَغتَتَ أشْيَاءُ قد كان مِثْلُهـا قَدِيمًـا فلا تعْـتـدهـا بغتـاتِ
وأعْقِبْ مِن النَّـومِ التَّيَقُظ رَاشِـدًا فلا بُدَّ للنُّـوامِ من يَقـظاتِ

وَمْن عِظَةِ الْحَسَنِ الْبَصْرِي لِعُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْعَزيْزِ أَمَّا بَعْدُ فانّ الدَّنْيا دَارُ ظَعَن لَيْسَتْ بِـدارَ إقَامَةْ لَهَا في كُلَّ حِيْنٍ قَتْيِلْ تُذلَّ مَنْ أعزّهَا وَتُفْقِرُ مَن جَمَعَهَا هِيَ كالسُّمِّ يَأْكُله مَنْ لاَ يعرِفُهُ وفيهِ حَتْفُهُ فَكُنْ فِيْها كا المدَاوي جِرَاحُه يَحْتَمِي قَلْيلاً مَخافَة مَا يَكْرَهُ طَويْلاً ويَصْبرُ على شِدَّةِ الدّواءِ مَخَافَةَ طُولِ الدّاءِ ، فأحْذَرْ هَذهِ الدّنْيا الخَدَّاعة الغَدّارَةَ الخَتّالَـةَ الّتي قَدْ تَـزَيَّنَتْ بِخِدَعِهَا وقَتَلَتْ بِغُرُورِهَا وتَحَلَّتْ بآمالِها وسَوّفَتْ بِخُطَّابِها .

فأصْبَحتْ كالْعَرُوْسِ المَجْلِيَّةْ العُيُوْنُ إِلَيْهَا نَاظِرَةٌ والْقَلوْبُ عَلَيْها وَإلَهةٌ وَهْي لأزْوَاجِها كُلِّهِمْ قَالِيَة ، فَلا الْباقِي بالْماضِي مُعْتَبِرٌ وَلاَ الآخِرُ بالأوّلِ مُزْدَجِرٌ ، فَعَاشِقٌ لَهَا قَدْ ظَفِرَ مِنْها بِحَاجَتِهِ فاغْتَرَّ وَطغَى ونَسِيَ المَعَادَ فَشغَلَ فِيْها لُبَّهُ حَتّى زَلّتْ بِهِ قَدَمُهُ فَعَظُمَتْ نَدَامَتُهُ وكَثُرَتْ حَسْرَتُهُ واجْتَمَعَتْ عليهِ سَكَراتُ الْموتِ وتألُمهُ وحَسَرَاتُ الفَوْتِ بِغُصَّتِهِ وَراغِبٌ فِيها لَمْ يُدْرِك مِنْهَا مَا طَلَبْ وَلَمْ يُرِحْ نَفْسَهُ مِنَ التّعَبِ فَخرَجَ بِغَيْر زَادٍ وقَدَمَ على غَيْرِ مِهادٍ .

فاحْذَرْهَا يا أميرَ المؤْمِنَين وَكُنْ أَسَرَّ مَا تَكُونُ فِيها أَحْذَرُ لَهَا فإنَّ صَاحِبَ الدَّنْيا كُلّما اطْمأَنّ فِيْها إلى سُرورٍ أشْخَصَتْه إلى مَكْرُوهٍ وضَارٍ وَقَدْ وصِلَ الرَّخاءُ مِنْها بالبَلاءِ وجُعِلَ البَقا ء إلى فَناءِ فَسُروُرُها مَشُوبٌ بالأحْزَانْ أمَانِيُّهَا كَاذِبَةٌ وآمَالُها باطِلَةٌ وَصَفوهَا كَدَرٌ وعَيْشُها نَكَدٌ وابْنُ آدَمَ فِيْها عَلى خَطَر إ هـ . وصلى الله على محمدِ وآلهِ وصحبه أجمعين .

(فصــــل)

٣٧٩- إعْلَم أنَّ عَدَم الاهتمام بأمْر الموت وعدم الروعةِ منه وما بعده والله أعلم حُبُّ الدنيا والهوى وطُولُ الأمل والشيطان والنَّفس الأمارة بالسُوء وقِيل والله أعلم إنَّ السَّبب الحَقِيقي هو سَلبُ الله لِلْخَواطِرِ المُنْصَرِفَةِ إلى ذِكْرِ الموتِ وتصوُّر حَقِيْقَةِ أمْرِهِ، وسَلْب الدَّواعِي إلى الاشتغال بِهِ لما في ذلك من الاعتماد على الدنيا وانْتِظام أمْرِهَا الذي هو مَقْصُود للحكيم.

٣٨٠- ولَمَّا كان الموت أمْرًا حَتمًا لا بُدَّ مِنه لِكُل نَفْس فلا بُدَّ مِن تذَكُرِهِ دائِمًا وأبَدًا فِفِي تذَكُرِهِ مُحَاسَبَةٌ لِلنَّفْس على ما قَدَّمَتْ من خيْر أو شر فإن قدَّمت خيرًا فذكْرُ الموتِ يُرِيْحُها ويحُثُّها على التَّزَوُّد من الأعمال الصَّالِحَة والابْتِعَادِ عن كل شرٌ وإنْ فَرَّطَتْ وأهْمَلَتْ واسْتَمرَّتْ على فِعْلِ المعاصِي والشرور فذِكْرُ الموت يَرْدَعُها عن غيِّها وطُغْيَانِها ويَحُولُ بَيْنَها وبيْن عبَثِها.

يا وَيْحَ نَفْسِي من تتابع حَوْبَتي	لو قد دعاني للحاسب حسيبي
فاسْتَيْقِظِي يانَفْسُ ويَحكِ واحذري	حذرًا يهيِّجُ عَبْرتي ونَحِيْبِي
واسْتَدْرِكي ما فات مِنْكِ وسابِقي	سطواتِ موْتٍ للنُفُوس طَلُوبِ
وابْكِي بُكاء المُسْتَغِيْثِ وأعْوِلي	إعْوالَ عانٍ في الوثاقِ غَرِيْبِ
هذا الشَّبابُ قد اعْتلَلْتُ بِلَهْوِهِ	أفَلَيْسَ ذا يانَفْسُ حِيْن مَشِيْبِي
هذا النَّهار يَكرُّ ويْحَكِ دَائِبًا	يَجْرِي بِصَرْف حَوادثٍ وخُطُوْب

هذا رقـيبٌ ليس عَنِّـي غافِـلاً يُحْصِي عليَّ ولـو غفَلْتُ ذُنـوبِيْ
أوَ ليْس مِنْ جَهْـلٍ بأنِّـي نائِـمٌ نَوْم الـسَّفِيْهِ ومـا ينـامُ رقيْبي

وقال بعضهم:

لو عَرَفتْ منك نفْسُك التحقيق لسارت معك في أصْعَب مَضِيْق، لكنَّها ألفَتْ التفاتَك، فلَمَا طَلَبْتَ قهْرَهَا فاتَك هلَّا شَدَدْتَ الحَيَازِم وقُمْتَ قيام حازِمْ، وفعلت فِعْل عازِمْ، وقطعت قَطْع جازِم، تَقْصُدُ الخَيْرَ ولكِنْ ما تُلازِم.

ويَعْـرِفَ أَخْـلاق الجبـان جوادُهُ فيُجْـهِـدُهُ كرًا ويُرْهِـبُـهُ ذُعْـرا
ومَنْ يَحْلُ تَطْلابُ المعَالِيْ بصَدْرِهِ يجِدْ حُلْوَ مايُعْطاهُ من غيرهـا مُرًّا

٣٨٤ـ أَحْسَنُ القولِ ما وافق العَمَل قال الله تبارك وتعالى ﴿ومن أحْسَنُ قولاً مِمَّنْ دَعا إلى الله وعَمِل صالحًا وقال إنني من المسلمين﴾ قال بعضهم.

٣٨٥ـ إنْتَبِهْ يا من ضيع عُمْرًا طويْلاً حمل فيه وزْرا ثَقِيْلاً كم نَصَب الموتُ لك دليلاً إذ سَاق العزيز ذليلاً ولقد حمل إلى القُبور جيْلاً بعد جيْلاً ونادى في الباقين رَحِيْلاً رَحِيْلاً فيا إخواني البدار البدار فقد ذهبتِ الغفلاتُ بالأعمار.

مَكْـرُ الـزمـانِ علينـا غَيْرُ مَأمُـوْنِ فَلا تَظُنَّـنَّ أَمْـرًا غَيْرَ مَظْنُـونِ
بَل المخـوفُ علَيْنـا مَكْـرة أنْفُسِنـا ذات الـمنى دُوْن مَكْـرِ البِيْضِ والجُونِ
إنَّ الـلَّيالِـي والأيَّام قد كَشَفَـتْ مِن مَكْـرِهـا كُلَّ مَسْتَـورِ ومَكْنُـونِ

وحَـدَّثتنـا بأنـا من فرائِسـهـا نُواطِـقًـا بفَصِيْح غَيْر مَلْحُـونِ
وإسْتَشْهَـدَتْ من مَضىَ منَّـا فأنْبَانا عن ذاك كُلُ لقى مِنَّـا ومَـدْفُـونِ
وأُمُ سُوءٍ إذا ما رَامَ مُرْتَـضِـعٌ أخْـلافها صَدَّ عنهـا صدَّ مَزْبُـونِ
ونَـحْـنُ في ذَاكَ نُصْفيهـا مَودَّتَنـا تَبًّـا لِكُـلِّ سَفيهِ الـرَّأي مَغبُـون
نشكـو إلى الله جَهْـلًا قَدْ أضرَّ بنَا بَلْ لَيْسَ جَهْـلًا ولَكِنْ علم مَفْتُـون
أغْـوى الهَـوى كُلَّ ذِيْ عَقْـلٍ فلسْتَ تَرى إلاَّ صَحِيْحًـا لَهُ أَفْعَـالُ مَجْنُـونِ

اللهَمَّ اجْعَلْنَا مِن المتقينَ الأبْرارِ وأَسْكِنَّا مَعَهمُ في دارِ القرارَ ، اللهم وفقنا بِحُسْن الاقبالِ عَليك والإصْغَاءِ إليك ووَفِّقْنا لِلتّعاوُنِ في طَاعَتِكَ والمُبَادَرَةِ إلى خِدْمَتكَ وحُسْن الآداب في مُعَامَلَتِكَ والتّسليم لِأمْركَ والرِّضا بِقَضَائِكَ والصَّبْرْ عَلى بَلائِك والشّكْرِ لِنَعْمَائِكَ ، واغفرَ لَنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتِكَ يا أرْحَمَ الراحمين وصلى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ أجمعين .

(فصـــل)

٣٨٦- يَنْبغي لمن وَصِلَ إلى عُمْرِ النبي ﷺ ثَلاَثُ وسِتُون سنة (٦٣) أن يحـرص كل الحِـرْص على حفظ وقتـه والاعتنـاء بِهِ وتَعْبِيَتِهِ في البَـاقياتِ الصَّـالحاتِ وبجعل الغالب عليه المداومة على تلاوة كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ والتَّهيُؤ للرَّحيل ويَتَفقَّدُ نفسه وما عليه من حُقُوقِ الله وحُقوقِ خَلْقِهِ ويُوفر على نفسه إلا من تصنيفٍ يفتقرُ إليه والتكُنْ هِمَّتُهُ في تهذيبِ أخلاقِهِ وتنظيفِ نفسه وتنقيتها وتَفَقُّدِ زَلاَّتِهِ وملازَمَة ذكر الله ليلًا ونهاراً سراً وجهاراً في كل مكان إلا في مَحَل

قضاءِ الحاجة، والمحلات المستقذرة ويكرر ذكر الله والاستغفار خَشية أن يَفْجأهُ الموتُ وهو غافل عنه.

أعِذْ ذكر قال الله قال رسوله   هُمَــا المِسْــكِ ما كَرَّرْتـهُ يَتَضَــوَّعُ

قال أحـدُ العلماء أعْجبُ مِمَّنْ عَرفَ الله فَعصَاه وعَرفَ الشيطانَ فاتَّبَعَهُ وعَرَفَ الدُنْيَا فَركَنَ إليها.

٣٨٧- أَعَزُّ الأشياءِ وأشْرفُها عند الإنسان قَلْبُهُ وَوَقْتُهُ فإذا أَهْمَلَ قَلْبَهُ وضَيَّعَ وَقْتَهُ فَماذا بَقِي معهُ كل الفوائد ذَهَبَتْ.

٣٨٨- مَتَى ما جَرَى أَمرٌ لا تعرِفُه ولا تَفْهمُه ولا تعرف عِلَّتَه فانسب ذلك إلى قصور علمك قال الله جل وعلا ﴿وما أوتيتم من العِلْمِ إلاَّ قليلا﴾.

٣٨٩- يَنْمُـو الفِكْرُ بأربع إدَامَةُ التفكير، ومُطَالَعَةُ الكتب النافعة واليَقَظة لِتجارب الحياةِ والإلحاح على الله بالدعاء.

(موعظـــة)

لله دَرُّ العَارفينَ بزمانهم إذْ باعُوا ما شانهم بإصلاحِ شانِهِمْ، ما أقل ما تعبوا وما أيْسَرَ ما نَصَبُوا، ومازالوا حتى نالوا ما طَلَبُوه، شَمَّروا عن سُوْق الجِـدِّ في سُوْقِ العَـزَائِمِ وَرَأَوْا مَطْلُوبَهُمْ دُونَ غيرِهِ ضَرْبَـةَ لازِمْ، وجادوا مُخلصين فربحُوا وصَبَّحُوا مَنزل النَّجاةِ وأنتَ في اللَّهْوِ نائِم، متى تَسْلُك طَريقَهُمْ ياذَ المآثم.

لله قَوْم أطَاعُـوا الله خَالِــقَــهُــمْ   فآمنــوا واسْتَقـامُـوا مِثـل ما أمـرُوا

والـوَجْـدُ والسـوقُ والأفكارُ قُوتهُمُوا   ولازَمُـوا الجِـدَّ ولادْلاَجَ في البُكَـرِ

وبَـادَرُوا لرِضـا مَوْلاهُمُـوا وسَعَـوْا قَصْـدَ السَّبيلِ إليه سَعْي مُؤتَمِـرِ
وشمَّـروا واسْتعـدوا وِفْق ما طُلِبُـوا واسْتَغْـرقوا وقتَهُمْ في الصَّوم والسَّهر
وجَـاهَـدُوا وانْتهـوا عَمَّـا يُبَـاعِدُهم عَنْ بَابِـهِ واسْتـلانُـوا كُلَّ ذي وَعِـرِ
جَنَّـاتُ عَدْنٍ لهُم ما يَشتهـون بهـا في مَقْعَـدِ الصِّـدْقِ بَيْن الـرَّوضى والـزَّهَرِ
لهـم مِنَ الله ما لا شيءَ يَعْـدِلُـهُ سَمَـاعُ تَسْليمِـهِ والفَـوزُ بالنَّـظر

٣٩٠- نصِيحَة

تنعم بِمَالِكَ قبل أن يَتَنَعَّمَ بهِ غيرُكَ واحْرِصْ على بَذْلِهِ فيما يُقَرِّبُكَ إلى الله والدارِ الآخرةِ كبناءِ المساجِدِ وبَثِّ كُتُبٍ دِينيَّةٍ تُعينُ على فَهْم كتابِ الله وسُنَّةِ رسولِهِ ﷺ واحْذَرْ أن يكونَ مالكَ عَوْناً على معـاصي الله كالاتجـار بالمحرمات كآلات اللهو من فيديواتٍ أَوْ مِذْياعٍ أو كُوْرَاتٍ أو دُخانٍ أو سينماتٍ أو تليفزيون، واحذر أن تُؤجرْ مَن يَتَعاطى هذه المحرمات أَوْ مَن يَبيعْ المحرمات أو يحلق اللِّحا أو يُصَور أو يَبيعُ الصوَر واحْذَرْ مُقارنَةَ من يَتَعَاطَى هذه المحرمات وخُصُوصاً الذين يَلْعبون بالكُورَةِ أو يَحْضُرونها. قال تعالى: ﴿وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلا ليعبـدون﴾ فاحْرِصْ كُلَّ الحِرصْ على حِفظِ وقتِكَ وَعَبِّهِ بطاعةِ الله من تلاوةِ كِتابِهِ وحِفظِهِ، وسُنَّة رسوله ﷺ فإنَّكَ مَسْؤولٌ عن عمرك فيما أفنيتهُ.

شِعْـرًا:

مَا دَارُ دُنْياً لِلْمُقِيمِ بِدَارِ وبِها النفُوسُ فَرِيْسَةُ الأقْـدارِ
مَا بَيْنَ لَيلٍ عَـاكِفٍ ونهارِهِ نَفَسَان مُرْتَشِـفَانِ لِلأَعْمَارِ

طُولُ الحياة إذا مَضى كَقَصِيْرِهَا　　واليُسْرُ لِلإِنْسَانِ كالإِعْسَـــارِ
والعَيشُ يَعقبُ بالمرارَةِ حُلْوَهُ　　والصَّفْوُ فِيه مُخَلَّفُ الأَكْـدَارِ

وكأنَّما تَقْضِيْ بُنيَّاتُ الــرَّدَى　　لِفَنَائنَا وَطَراً مِن الأَوْطَـــارِ
والمَرْءُ كَالطَّيْفِ المُطِيفِ وَعُمْرُهُ　　كَالنَّوم بَيْنَ الفَجْر والأَسْحَارِ
خَطْبٌ تَضَاءَلَت الخُطُوبُ لِهَوْلِهِ　　أَخْطَارُهُ تَعْلُو عَـلى الأَخْطَارِ
نُلْقِي الصَّوارمَ والرمَاحَ لِهَولِه　　ونَلُوْذُ مِن حَرْبٍ إلى اسْتِشْعَارِ
إنَّ الذينَ بَنَوا مَشِيْداً وانْثَنَوْا　　يَسْعَوْنَ سَعْيَ الفاتِكِ الجَبَّارِ
سُلِبُوا النَّضَارَةَوالنَّعِيْمَ فأَصْبَحُوا　　مُتَوَسِّدِيْنَ وَسَـائِدَ الأَحْجَارِ
تَركُوا دِيارَهُمُ على أَعْدَائِهِــــم　　وتَوَسَّدُوا مَدَراً بغَيرِ دِثَارِ
خَلَطَ الحِمَامُ قَوِيَّهُمْ بضَعِيفِهِم　　وغَنِيَّهُمْ سَاوَى بذِي الاقْتَارِ
والخَوْفُ يُعْجِلُنَا عَلَى آثارِهِم　　لاَبُدَّ مِن صُبْحِ المُجِدِّ السَّارِي
وتَعَاقُبُ المَلَوَيْنِ فِيْنَـا نَاثِرٌ　　بأَكَرِّ مَا نَظَمَا مِنَ الأَعْمَــارِ

شِعْرًا :

إعْتِزِلْ أَهْلَ المَلاهِيْ والكُرَةْ　　واحْـذَرْ الفِدْيُوْ وَتِلْفَازَ الضَّـرَرْ
كَـمْ بِهَا قَـدْ ضَـاعَ عُمْـر يافتِى　　لَـوْ صُـرِفْ في طَاعَـةٍ نِعْـمَ الذُّخُرْ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فصـــل)
يحتـوي علـى أمثلـة نافعـة

٣٩٠ـ مَنْ تَعلَّم العِلْم النافعَ وهُوَ ما جَاءَ عن الله وعن رسولِهِ ﷺ وعمل بما عَلِمَ انْتَفَعَ ونَفَعَ وسَاد، قال بعضهم مثل مَن تعلَّمَ العِلم وعَمِلَ به، مثل رجل رَزقَهُ الله مالاً حَلالاً طيباً فانتفع به وتنعَمَ بِهِ وأنْفَقَ منه على جيرانه وأقاربه والمسلمين، ومِثْلُ نَ يَتَعَلَّم العِلْمَ فَيَعْمَلُ به في نفسِهِ ولا يُعَلِّمُ غَيْرَهُ مَثَلُ رَجُلٍ رَزَقَهُ مالاً كثيراً فانتَفَعَ بِهِ وتنعَّمَ به آناءَ الليلِ والنهارِ، ولا يَعْطِفُ بِهِ على أقاربِهِ ولا جيرانِهِ مِن المسلمين ولا غيرهم ومَثَلُ مَن يتعَلَّم العِلْمَ ولا يَعْمَلُ به ولا يُعَلِّمُهُ الناسَ مَثَلُ رَجُلٍ رَزَقَهُ مالاً كثيراً فَكُلُ مَن أخَذَ منه أو سُرِقَ منه لا يُبالي بذلك ولا يُنْفِقُ على نفسِهِ منهُ ولا عَلَى عِيَالِهِ ويَمُوتُ عِيَالُهُ عُرْياً وجُوعاً وهو أيضــاً في بُؤْسٍ وعُرْيٍ وفَاقَةٍ من المَطْعَمِ والمَشْرَبِ والمَلْبَسِ لاتَسْمَحُ نَفْسُهُ أنْ يأكل منه شيئاً فقد خَسِرَ هو في الدنيا والآخرةِ نسـأل الله العفو والعافية، ومَثَلُ مَن يتعلَّم العِلمَ للرِّياءِ والسُّمْعَةِ ويَبْذُلُهُ للنَّاسِ لِلْمُبَاهَاتِ والرِفْعَةِ في الدنيا مِثْلُ السِّراجِ يُنَورُ للنَّاسِ ويُحْرِقُ نفسهُ، ومَثَلُهُ أيضاًكَمَثَلِ رجُلٍ وَضَعَ السِّراجَ على طَرَفِ سَطْحِهِ على الشارع فانتفعَ به المارُونَ في الطَّريقِ وبيْتُهُ مُظلمٌ ومَثَلُ مَنْ يَطْلُبُ العلومَ الكثيرةَ ويَجمعها ولا يعمل بها ولا يُرَى أثرُ ذلك عليه فَيَجْمَعُ كتب العلم دائماً ولا يَملُ من طلبها وجَمعها مَثَلُ مَن يَجْمعُ كُلَّ يومٍ طَعَاماً كثيراً مِن فُنُون الأطعمةِ والأشربةِ والفواكِهِ

وكثير ممَّا يُسْرِعُ إليهِ التّلَفُ ولا يأكل منها ولا يشرب منها وهو جائعٌ وعُريان أو يأكل شيئاً بسيطاً منه فلا يعتبر هذا عاقلاً.

وقال بعض العلماء: إعْلم أن للعالم العامل بعلمه حقيقةً علامات وأمارات تُفَرِّقُ بينه وبين عُلماءِ اللِّسانِ المخلطين المتبعين للهوى المؤثرين للدنيا على الآخرة.

فمن علامات العالم الحقيقي الممتاز أن يكون متواضعاً خائفاً وجَلاً مُشفقاً من خَشيةِ الله زاهداً في الدنيا قانعاً باليسير منها بَعيداً عن الحَسَدِ والعُجْبِ والغِيبةِ والنَّميمةِ والمُداهَنَةِ.

ملتمساً للفقراء المتمسكين بدينهم الخالية بيوتهم من الملاهي والمنكرات الذين ليس لهم موارد ولا مساكن ليُسعِفَهم بما يقدر عليه من مال وجاه.

ناصحاً لعباد الله شفيقاً عليهم رحيماً بهم، آمراً بالمعروف فاعلاً لهُ وناهياً عن المنكر، ومُجتنباً لهُ ومُسارعاً في الخيرات ملازماً.

دالاً على الخير داعياً إلى الهدى، ذا صَمتٍ وتَوأدَة ووَقار وسكينة.

حَسَنُ الأخلاق، واسِعَ الصَّدر، ليِّنَ الجانِب، مَخْفوض الجَناح للمؤمنين، لا متكبراً، ولا مُتجبراً، ولا طامعاً في الناس، ولا حريصاً على الدنيا، ولا مؤثراً لها على الآخرة.

ولا منهمكاً بجمع المال، ولا مانعاً له عن حقه، ولا فظًّا ولا غليظاً، ولا مُمَارياً، ولا مُخاصماً بالباطل، ولا سَيِّء الأخلاق، ولا ضَيِّقَ الصدر.

ولا مُداهِناً، ولا مُخادعاً، ولا غشَّاشاً، ولا مُقدِّماً للأغنياء على الفقراء، ولا مُرائياً، ولا مُحباً للولايات.

وبالجملة فيكون مُتصفاً بجميع ما يحثه عليه الكتاب والسنة، مؤتمراً بما يأمرانه به من الأخلاق المحمودة والأعمال الصالحة.

مُجانباً لما يَنْهى عنه كتابُ الله وسنةُ رسول الله ﷺ من الأخلاق والأعمال المذمومة.

وهذه صفات ينبغي أن يتصف ويتحلى بها كل مؤمن، إلا أنَّ العالم وطَالبَ العلم أولى أن يتصف بها ويحافظ عليها ويدعو إليها.

وينبغي للعالم أن يكون حديثه مع العامة في حال مخالطته لهم في بيان الواجبات والمحرمات ونوافل الطاعات وذكر الثواب والعقاب على الإحسان والإساءة.

ويكون كلامه بعبارة يعرفونها ويفهمونها، ويبين لهم الأمور التي هم ملابِسُون لها.

ولا ينبغي له أن يَسْكُت حتى يُسْأل وهو يَعْلم أنهم مُحتاجون إليه، أو مضطرون له والله الموفق.

شعرا:

ونَفسكَ فازْجُرْها عن الغَي والخَنَا ... ولا تَتَّبْعْها فهي أُسُ المَفَاسِدِ
وحَاذِرْ هَواهَا ما استطعتَ فإنَهُ ... يَصُدُّ عن الطاعاتِ غيرَ المجاهِدِ
وإن جهادَ النَّفس حَتْمٌ على الفتى ... وإنَّ التُقَى حَقاً لَخَيرُ المَقَاصِدِ
فإنْ رُمْتَ أن تُحْظى بنَيْل سعادةٍ ... وتُعْطى مَقَامَ السالكينَ الأماجِدِ

فبـادِرْ بتَقـوى الله واسْلُكْ سبيلهـا ولا تَتَّبــعْ غَيَّ الــرجيم المُعَـانِـدِ
وإيَّاك دُنــياً لا يدُومُ نعــيمُــهــا وإنــكَ صَاح لَسْتَ فيهـا بِخَـالِـدِ
تَمَسَّـكْ بشَـرعِ الله والـزمْ كتـابـهُ وبالعلمِ فاعْمَلْ تَحْوِ كُلَّ المَحَامِدِ

اللهم أَمْنُنْ علينـا بإصـلاح عُيوبنـا واجعلْ التقوى زادنا وفي دينكَ اجتهـادنـا وعليك توكلنا واعتمادُنا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبهِ أجمعين.

(فائدةٍ عظيمة النفع ويليها مَوْعظة)

٣٩١ـ عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ: رَأسُ الشُكْرِ الحمدُ لله وما شَكَرَ الله عَبْدٌ إلا بحمدِهِ، فالشكرُ أَصْلُهُ في القَلْبِ، ومَعرفةُ العبدِ بِرَبِّهِ أنه لا شريكَ لَه، وفَرْعُهُ على اللسانِ وهو كلمةُ (لا إله إلا الله) وتحقيقُهُ في الطاعاتِ فَمَنْ أكثَرَ قولِ (لا إله إلا الله) فإنه يَحُطُّ خَطاياهُ، ومَنْ أكثرِ من قولِ (الحمدُ لله) فإنهُ يَحُطُّ عن نفسِهِ أثْقَالَ الشُكْرِ. ويَنبغي لمَن مَتَّعهُ الله فوصل إلى ثلاث وستين سنة أن يستغرقَ أوقاتِهِ مهما أمكنهُ في تلاوة كلام الله والإلمام بكلام رسـولـه، والإكثـار من ذِكـر الله انـاءَ الليل والنهـار قائماً وقاعداً ومُضطجعاً وماشياً، ويجعل معه شيئاً يُذكِّره إذا غفَلَ، وإذا حَظر مع أناسٍ في مجلس أو في سَيَّارة أو طائِرةٍ أو سفينة أن يُشْغِلهم بذكر الله وحمده والثناء عليه وتِعداد نِعَمِه لئلا يقعوا في غيبةٍ أو في

أمـورٍ لا فائـدة فيهـا ليحصـل لهم أجْرٌ ويَحْصُلُ له مثل أجرهم لحديث من دلَ على خير فله مثل أجْر فاعله.

عَليكَ بذِكـرِ الله في كُلِّ لَحْـظَةٍ   فمـا خَابَ عَبْـدٌ للمُهَيمنِ يَذْكـر

آخر:

لو يَعْلَم العَبْدُ ما في الذِكر من شَرَفٍ   أمْـضَـى الـحَـيَاةَ بتَسْبيحٍ وتَهْلِيْلِ

(موعظـــة)

إخوانِي اعْتَبرُوا بالذين قَطنُوْا وخَزَنُوا كَيْفَ ظعَنُوا وحَزِنُوا أُنْظُروا إلى آثارِهم تَعْلَمُوا أَنَّهم قَدْ غُبِنُوا ضَيَّعُوا الأوْقَات النَّفِيسَةَ في الملاهي الخسِيْةِ ولاحَتَ لهُم الدنيا فاغْتَرُّوْا بها وفُتِنُوا فما انْجَلى سَحابُ المُنَى حتَّى مَاتُوا ودُفِنُوْا وكأنَّ الغَافِلِيْنَ بهم قد لَحِقُوا وتَنَدَّمُوا على تَفْرِيطِهِم وحَزِنُوا.

شِعْرا:

جَمعُـوا فَمـا أَكَلُوْا الـذِي جَمَعُـوا   وبَـنَـوْا مَسَـاكِـنَهُمْ فمـا سَكَنُـوا

فكـأنَّـهُـمْ كانُـوا بهـا ظعَـنـاً   لَمَّـا اسْتَـراحَـوا ساعـةً ظَعنُـوا

قال شَدَّادُ بنُ أَوْسٍ لو أَنَّ الميّتَ نُشِرَ فأخْبَر أَهْلَ الدُنيا بأَلَمِ الموتِ ما انْتَفَعُوا بعَيْشٍ ولا التَذُّوا بنَوْمٍ ، وكان عُمَرُ بنُ عبدالعزيز يَجْمَعُ الفُقَهَاءَ كُلَّ لَيْلَة فيَتَذَكَرُوْنَ الموتَ والقِيَامَة ثم يَبْكُون حَتَّى كأَنَّ بَيْنِ أيديهم جَنَازة.

شـعرا:

أَلا ياغَـفَـلاً تُحْـصَـى عليه   مِن الـعَـمَـل الـصَّـغِيْرةُ والكبِيْرة

يُصَـاحُ بِهِ ويُنْـذَرُ كُلَّ يومٍ   وقَـدْ أنْـسَـتْـهُ غَفْـلَتُـهُ مَصِـيْرَهْ

تأهَّبْ لِلرَّحِيْل فَقَدْ تَدَانَى وأَنْذَرَكَ الرَّحِيْلَ أَخٌ وجِيْرَة
وكَمْ ذَنْبٍ أَتَيْتَ على بَصِيْرَةْ وعَيْنُكَ بالذِيْ تَأتي قَرِيْرَةْ
تُحاذِرُ أَنْ تَراكَ هُنَاكَ عَيْنٌ وإنَّ عَلَيْكَ للعَيْنُ البَصِيْرَةَ
وكَمْ من مَدْخَلٍ لَوْ مُتَّ فيه لَكُنْتَ بِهِ نَكَالاً لِلْعَشِيْرَةْ
وُقِيْتَ السُوْءَ والمكْرُوْهَ مِنْهُ وَرُحْتَ بِنِعْمَةٍ فِيْهِ سَتِيْرَةْ

اللهم إن نسألك الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لا نعلم ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه ومالم نعلم ونسألك الجنة وماقرب إليها من قول أو عمل ونعوذ بك من النار وماقرب إليها من قول أو عمل ونسألك أن تغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين وترحمنا وإياهم برحمتك ياأرحم الراحمين وصلى الله على محمدٍ وآله وصحبه أجمعين.

(موعظة)

إخوانِي مَرُّ الزَّمَانِ وعْظ الألْبابْ ويكْفِي في الإنْذَارِ مَوْتُ الأقارب والجِيْرانِ والأصْحَابْ وكم تَرَوْنَ في التُّرابِ مِن أتْراب أُغْمِدَتْ تِلْكَ السُّيُوْفُ كَم فَرِحٍ بِشهْرٍ وإهْلالِهْ مُتَهَلِلٌ لِرُؤيْةِ هِلالِهْ اختَطَفَهُ الموتُ في خِلالِهْ وكَمْ مَائِلٍ إلى جَمْعِ مَالِهْ تَرَكَهُ تَركَةً ومَرَّ بأثْقالِهْ هَلْ رَحِمَ الموتُ مَرِيْضاً لِضُعْفِ حَالِهِ وأَوْصَالِهْ أوْ هَلْ تَرَكَ كاسباً لأجْلِ أَطْفَالِه هَلْ أمْهَل ذا عِيَالٍ من أجْلِ عِيَالِهْ، كم أَيْتَم طِفْلاً صَغيْراً ولم يُبَالِه، فلِلّهِ دَرُّ أَقْوامٍ عَلِمُوا قُرْبَ الرَّحِيْل، فهَيَؤا آلَةَ السَّفرِ وهَوَّنُوْا بالدنيا فقنعُوّا منها ممّا حَضر واسْتَوْثَقُوْا بقُفْلِ التَّقْوى من أذى النُّطْقِ والنَّظَرُ مالَكَ خَبَرٌ بِحَالِهِم ولا عِنْدَكَ منهم خَبَرٌ قامُوا بالجِدِ وقَعَدتْ، وسَهِرُوْا في الدُّجَى ورَقَدْتَ.

شـــعْرا:

لَمَّـــا رَأَيْتُ مُنَـــادِيْهِـــم ألَـــمَّ بِنَـــا شَدَدتُ مِيْزَر إحْـــرَامِـــي ولـــبَّيْتُ
وقُلْتُ لِلنَّفْسِ جُدِّي الآن واجْتَهِدِي وسَـــاعِـــدِيْنِـــي كهـــذا ما تَمـــنَّـــيتُ

آخــــر:

قَوْمٌ هُمُـــومُـــهـــم بالله قَدْ عَلِقَـــتْ فمـــا لهُـــم هِمَمٌ تَسْمُـــوْ إلَى أَحَـــد
فَمَـــطْلَبُ القَـــوم مَوْلاهُمْ وسَيِّدهُم يا حُسْنَ مَطْلَبِهم للواحِـــد الصَّمَـــدِ
ما إنْ تُنَـــازِعُـــهُـــم دُنْـــياً ولا شرفٌ مِنَ المـــطَامِـــعِ والـــذَّاتِ والـــوَلَـــدِ
ولا لِلبْسِ ثِيابٍ فَائِـــقٍ أَنِـــقٍ ولا لِرَوْحِ سُرُوْرٍ حَلَّ في بَلَدِ
إلَّا مُسَـــارَعَـــةً في إثْـــرِ مَنْـــزِلَـــةٍ قَدْ قَارَبَ الخَـــطْو فيهـــا باعِـــد الأبَدِ

اللهم سلمنا من شُرُوْرِ أنْفُسِنَا الَّتِي هِي أَقْرَبُ أَعْدَائِنا وأَعِذْنَا من عَدُوكَ واعْصِمْنا من الهوى ومن فِتنةِ الدنيا ومَكنْ مَحبَّتَكَ في قُلُوبنا وقوّها وأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ وفَرِّحْ قُلُوبَنا بالنَّظَرِ إلى وَجْهِكَ الكريم في جَنَّاتِ النعيم واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(موعظـــــة)

إخوانِي مَرَّ الأقْران على مدرجة، وخيُوْلُ الرحيلِ للباقِيْنَ مُسْرجَةٌ وسار القَوْمُ إلى القُبور هَمْلَجَةٌ وباتَتْ أرْوَاحٌ مِن الأشْبَاحِ مُسْتَخْرَجَةْ إلى كَمْ هذا

التَّسْوِيْف وبَضَائِعُكم كُلُّ غِشٌ وبَهْرَجَةْ وسَتَعْرِفُونَ الخبر وقْتَ الحَشْرَجَةْ.

لَعَمْــرُكَ مايُغْنِي الثـراءُ عَن الفتَى   إذا حَشْرَجَتْ يومًا وضاق بها الصَّدْرُ

ثم إعْلَمْ أنَّ في ذِكْرِ المـوتِ فوائِـدُ عدِيْدة من ذلك أنه يرْدعُ عن المعاصي ويُلِيِّنُ القلبَ القاسي ويَذْهَبُ بالفَرَحِ والسُّرور في الدنيا ويُزَهِّدُ فِيْها ويُهَوِّنُ المصَائِبَ.

ثالثاً: التَّـأثُّرُ في مُشاهَـدَةِ سَكراتِهم عند نَزْعِ الرُوح وشخُوص أَبْصَارِهم عند نَزْعِ الرُوْحِ وتَسَلُّلِهَا مِن الجسَدِ وعَجْزِهم عَن الكلام عِنْد خروجهـا وتـأمـل صُورهم بعْد خُرُوْجِ الرُّوحِ فإنَّ في ذَلِكَ مايَقْطَعُ عن النُفُوس لَذَّاتِهَا ويَطْرُدُ عن القُلوبِ مَسرَّاتِها ويَمْنَعُ الجُفُونَ مِن النَّوم ويَمْنَعُ الأَبْدَانَ من الرَّاحَةِ ويَبعَثُ على الجِدِّ والإِجْتِهاد في العمل للآخِرة فَرُوِي عن الحسن البصـري أنَّـهُ دَخَل على مَرِيْضٍ يَعُوده فَوَجَدَهُ في سَكَراتِ الموتِ فَنَظَر إليه وما حَلَّ به مِن الكُرَبِ وشِدَّةِ مانَزَل بِهِ فَرَجَعَ إلى أهْلِهِ بِغَير اللَّونِ الذي خرج بِهِ فَعَرضُوْا عليه الطعامَ فلم يَأكُلْ وقال فوالله لقد رَأيْتُ مَصْرَعاً لا أزالُ أعْمَلُ لَهُ حتَّى اللِّقَاء.

شـعرا:

لا مِرْيَة في الـرَّدَى ولا جَدَلْ   الـعُـمْـرُ دَيْنٌ قضَـاؤهْ الأجَـلْ
لِلمــرء في حَتْـفِ أنفِـهِ شُغُـل   فَمـا تُرِيْدُ الـسُـيُوفُ والأسَـلْ
يَفْـري الـدُّجى والضُحى بأسْلحـةٍ   سِيَّانِ فيهـا الـدُّرُوْعُ والـحُـلَلْ
كَأسٌ أُدِيْرَتْ على لِذَاذتِـهـا   عدل فيهـا الـزُعَـافُ والـعَسَـلْ
كُلٌ إلـى غايةٍ يَصِـيْرُ ولا   تَمْـيِيْز إلاّ الاسْـراعِ والـمَـهَـلْ
والـنـاسُ رَكْبٌ يَهْـوَوْنَ حَثَّـهـمْ ولا   يُسَـرُّوْنَ أنَّـهـمُ نُزُلْ

كَيْفَ يَعُدُّ الدُّنْيَا لَهُ وطَناً ... من هُو عَنْها يَنْآى ويَنْتَقِلْ
نَسْخُوا بأَعْمَارِنا ونَبْخَلُ ... بالمَالِ فتَبَّ السَّخَاءُ والبُخْلْ
ولَوْ نَجا الهائبُ الجَبَانُ مِن ... المَوْتِ نَجا في إقدامِهِ البَطَلْ
ما أسْلَمُوا هذِه النُفُوس إلى ... الأجْدَاثُ إلا إذا ضَاقَتِ الحِيَلْ

اللهم يسر لنا سَبيْل الأعْمالِ الصالحاتِ وهيِّيء لنا من أَمْرِنا رَشَدَا واجْعَلْ مَعُونَتَكَ العُظْمَى لنا سَنَدَا واحْشُرْنَا إذا تَوَفَّيْتَنَا معَ عِبَادِكَ الصالحينَ الذينَ لا خوفٌ علَيهم ولا هم يَحْزَنُونَ، واغفَر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال بعض العُلماء:

إلى مَتى تَبْقَى بِدَائِك أهذا الذي حل بِكَ برائك لقد حل فناؤك بفَنَائِكْ وأَخْبَرَ أَنَّ انْتِقاضَ بنائِكِ بنمائِكْ وإِنَّ وراءكَ طالباً لا تَفُوتُهُ وقد نُصِبَ لَكَ علمٌ لا تجُوْزُهُ فما أَسْرَعَ ما يُدْرِكُكَ الطّالِب، وما أَعْجَلِ ما تبْلغ العَلَمْ هذا الموتُ غدا يَقُولُ الرحِيْل غداً كيف بكم إذا صاحَ إسرافيلُ في الصُور بالصُوْرْ فاسمع العظامَ الْبَالِيْة تَحْتَ المَدَرِ فاجْتَمَعَتْ فقَامَتْ تبكي على فواتِ الخير وسار الخلائق كُلْهم حُفَاةً عُراة.

قال الله جل وعلا «يوم يدعوكم فتستجِيْبُون بحمده وتظنون إنْ لبثتم إلا قليلا» وقال تعالى «ونُفِخَ في الصُورِ فإذا هُمْ مِن الأجداثِ إلى ربهم ينْسِلُون» وترى الخلائِق كُلُ مَشْغُولٌ بِمَا عَرَاهُ وقد رُجَّت الأَرْضُ رُجًّا وبُسّتِ

الجبَالُ بَسًّا قال الله جَل وعلا «وترى الجبال تحْسِبُها جامِداً وهي تمر مَرَّ السَّحَابِ» وقال تعالى : «ويوم نُسَيّر الجبال وترى الأرض بارزة وحَشَرْناهُم فلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدَا» هنا تذهل العقُول ويشيب الأطفال قال تعالى : «فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إنْ كَفَرتُم يَوماً يَجعل الوِلْدَانِ شِيْبًا» .

أَيَا نَفْسُ حَقَكِ أنْ تجزعي وَيَاعَيْنُ إيَّاكِ أن تَهْجَعِي
ويا أُذُنى إنْ دَعَاكِ دَاعِ الهوَى فإيَّاكِ إيَّاكِ أنْ تَسْمَعِي
وبالله ياجَفْنُ عَيْنِي القَرِيح خرّجْ بفيض الدَّمَا أدْمُعي
ويَاكُلُ جَارِحَةٍ لي عليكِ حَفيْظٌ فأبْكِيْ وَنُوحِي مَعِي
يُسَارُ بنا مِنَ موضع إلى موضع نَرْحَلُ عنهُ إلى مَوْضِع
إلى حَيْثُ لا العَين فيه ترى ولا الأذْنُ إن خاطبوها تَعِيْ
فيا ويلنا مِن طرِيْقٍ هُناكْ طَوِيْلٌ بَعِيْدُ المدَى مَسْبَعُ

خطبة أيضاً

الحمدُ لله العليّ الأعلىٰ ، الذى خلق فسوّى ، والذى قدَّر فهَدى . له ملكُ السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرىٰ . الملكُ الحقُّ المبين الذى على العرش استوى ، وعلى الملك احتوى ، وقد وسعَ كلَّ شيء رحمة وعلما . أحمده سبحانه وبحمده يَلْهَجُ أولو الأحلام والنُّهىٰ . وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له عالم السر والنجوىٰ . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعى إلى كلمة التقوى . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه أئمة العلم والهدىٰ . وسلم تسليما كثيراً . أما بعدُ فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى حقَّ التقوى ، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمع ويرىٰ . فقد طال إعراضُكم عن النبإ العظيم تغافلا وجهلا . وكثر اشتغالكم بالعرَض الخسيس الأدنى . وصار إقبالكم على

ما يصدُّ عن الصراط السويّ والهديٰ . أما أيقظكم ما رأيتموه من حوادث القدَر والقضا . أما أنذركم ما سمعتموه من أخبار من كذب وعصىٰ . ومن أعرض عما جاءت به الرسل وغلب عليه الشقاء والهوىٰ . كيف وجدوا عقوباتِ الذنوب ، وكيف كان الحال بمن بغىٰ وطغىٰ . بلغتهُم دعوة الرسل فلم يجيبوا . ورُفعت اليهم المواعظ فلم يلتفتوا ولم ينيبوا . فجاءهم أمر الله بغتة وأصيبوا . فهل تحسُّ منهم من أحد أو تسمعُ لهم رِكْزا . سل عنهم تلك القصورَ الدامرة ، والقبورَ الداثرة ، والعظامَ الناخرة . وكيف كان السؤال والجواب ، وهل وجدوا لهم من دون الله ملجأ ووزرا . فاتقوا الله عباد الله وأعملوا ليوم العرض والجزاء . ولا تكونوا ممن أعرض عن ذكر ربه ولم يُرد إلا الحياةَ الدنيا . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يا أيها الناسُ اتقوا ربَّكُم واخشَوْا يوماً لا يجْزى والد عن وَلَدِه ولا مَوْلودٌ هو جازٍ عن والدِه شيئا ، إنَّ وَعْدَ اللهِ حقٌّ فلا تغرَّنَّكُم الحياةُ الدنيا ولا يغرَّنَّكُم بالله الغَرُور . إنَّ اللهَ عنده علمُ الساعة وينزِّل الغيث ويعلمَُ مافى الأرحامِ ، وما تَدْرِي نفسٌ ماذا تكسِبُ غداً . وما تدرى نفسٌ بأىّ أرض تموت ، إن الله عليمٌ خبير ﴾ بارك الله لى ولكم فى القرآن العظيم . ونفعنى وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم الجليل . لى ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

خطبة أيضاً

الحمد لله الذى أنزل على عبدِه الكتابَ ولم يجعل له عِوَجا ، فصَّلَ وبَيّنَ وقرّر صراطاً مستقيما ومنهجاً . ونصب ووضّح من براهين معرفته وتوحيده سلطاناً مبيناً وحججاً . أحمده سبحانه حمدَ عبد جعل له من كل همّ فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا . وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له ، شهادةً ترفع الصادقين إلى منازل المقربين درجاً . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى وضع الله برسالته عن المكلفين آصاراً وأغلالا وحرجا . اللهم صلِّ على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه خير الأنام طريقة

وأهداهم منهجاً . وسلم تسليما كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله حقَّ تقواه ، وسارعوا إلى مغفرته ورضاه . فقد خلقكم لأمر عظيم . وهيأكم لشأن جسيم . خلقكم لمعرفته وعبادته ، وأمركم بتوحيده وطاعته . وجعل لكم ميعاداً تجتمعون فيه للحكم فيكم وفصل القضاء بينكم ، فخاب وشقي عبد أخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجنة عرضها السموات والأرض . وإنما يكون الأمان غداً لمن خاف واتقى ، وباع قليلا بكثير ، وفانياً بباق ، وشقوة بسعادة . عباد الله ، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين تتقلبون ، ويستخلفها بعدكم الباقون . ألا ترون أنكم في كل يوم تشيّعون غادياً ورائحاً إلى الله قد انقضى أجله وانقطع عمله فتضعونه في بطن صدع من الأرض غير ممهد ولا موسّد قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وواجه الحساب . فاتقوا الله عباد الله وبادروا بالتوبة قبل أن يغلق الباب ، ويسبل الحجاب . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ ، وإنما تُوَفَّوْنَ أجورَكُمْ يوم القيامة ، فمن زُحْزِحَ عن النارِ وأُدْخِلَ الجنةَ فقد فاز ، وما الحياةُ الدنيا إلا متاعُ الغُرور ﴾ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل ، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

خطبة أيضاً

الحمدُ لله فاطرِ الأرض والسموات . عالم الأسرار والخفيّات . المطلع على الضمائر والنيات . أحاط بكل شيء علماً ، ووسع كل شيء رحمة وحلماً . وقهر كل مخلوق عزة وحكما . يعلم ما بين أيديهم وما خلفَهم ولا يحيطون به علماً . لا تدركه الأبصار ، ولا تغيره الدهور والأعصار ، ولا تتوهّمه الظنون والأفكار . وكل شيء عنده بمقدار ، أتقن كلَّ ما صنعه وأحكمه ، وأحصى كلَّ شيء وعَلِمَه ، وخلق الانسان وعلَّمه . أحمدُه سبحانه على ما ألهمه من معلوم وفهّمه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من عرف

الحق والتزمه . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل من صدع بالحق وأسمعه . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه وسائر من نصره وكرمه . وسلم تسليما كثيراً أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله حق التقوى . واعرفوا ما دلت عليه هذه الكلمة من الحقيقة والمعنىٰ . وتفطنوا لتفاصيل ذلك على القلوب والأعضا . وتدبروا كتاب الله واعرفوا ما فيه من العلم والهدىٰ . وعالجوا به أمراض القلوب فهو الدواء النافع والشفا . وهو السبب الأعظم فى حصول السعادة والسيادة فى الآخرة والأولىٰ . مَن تركه من جبار قصمه الله ، ومَن ابتغى الهدىٰ من غيره أضله الله ، ومَن أعرض عنه استحوذ عليه الشيطان وتولاه . فهو حبل الله المتين . ونوره المبين . وصراطه المستقيم . قال جندب بن عبد الله رضى الله عنه : عليكم بالقرآن فانه نور بالليل وهدًى بالنهار . فاعملوا به على ما كان من فقر وفاقة . فان عرض بلاء فقدّمْ مالك دون نفسك . فان تجاوز البلاء فقدم نفسك دون دينك . فإن المحروب مَن حُرِبَ دينه ، والمسلوب من سُلبَ دينه . إنه لا فاقة بعد الجنة ولا غنًى بعد النار . إن النار لا يُفكُّ أسيرها ولا يَسْتغنى فقيرها . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ قال اهْبِطا منها جميعاً ، بعضُكمْ لبعضٍ عدُوّ ، فإماً يأتينَّكُمْ مِنّى هُدًى فمن اتّبَعَ هُدَاىَ فلا يَضِلُّ ولا يَشْقىٰ . ومن أعرض عن ذِكرى فإنَّ له مَعِيشةً ضَنْكا ونحْشُره يومَ القيٰامة أعمى . قال رَبِّ لِمَ حَشَرتَنِى أعمىٰ وقد كنتُ بَصِيرا . قال كذٰلِكَ أتتكَ آياتُنا فنَسِيتَها وكذٰلك اليومَ تُنْسىٰ . وكذٰلك نَجْزِى مَن أسرفَ ولم يُؤمنْ بآياتِ ربِّه ولَعذابُ الآخرةِ أشَدُّ وأبقى ﴾ بارك الله لى ولكم فى القرآن العظيم ، ونفعنى وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم الجليل ، لى ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

١٨٩ (موعظـــــة)

قال بعضهم : يا أيها الناس اعملوا على مَهَلٍ وكُونُوا من الله على وَجَل ولا تَغْتَروا بالأمل ونِسيان الأجل ولا تَرْكَنُوا إلى الدنيا فإنَّها غدّارة خدّاعة ، قد

تَزَخْرَفَتْ لكم بغرورها ، وفتَنَتكُم بأمانِيِّهَا ، وتزَيّنتْ لخُطّابها فأصبَحَتْ كالعَرُوسِ المَجْليَّة ، العُيُونُ إليها ناظرة ، والقلوبُ عليها عَاكِفَة ، والنفوسُ لها عَاشِقِةٌ ، فكم من عاشِقٍ لها قَتَلَتْ .

ولو كانَتِ الدُنْيَا مِن الإِنْسِ لَمْ تَكُنْ   سِوَى مُوْمِسٍ أَفْنَتْ بِمَا سَاءَ عُمْرُهَا

آخر : ولو كانَتِ الدُنْيا عَرُوساً وجدتَهَا   بما قَتَلتْ أوْلادَها لا تَـزَوَّجُ

وكَم مُطْمَئِنٍ إليها خَذَلَتْ فانظر إليها بعَيْن الحقيقَة فإنها دارٌ كثيرٌ بَوائِقُها وذَمّها خَالِقُها دَارُ نَفَاد لا دَارُ إخلاد ودَارُ عُبُورٍ لا دَارُ حُبُور ودارُ فَنَاءٍ لا بَقَاءٍ ودَارُ انصرام لا دارُ دَوَام جَديدُها يبلى ومُلكُها يَفْنى وعَزيزهُا يَذِل وكثيرُها يَقل وُدُّها يَمُوت وخيْرُها يَفوت .

وقد تطابق على ما ذُكِرَ دلالاتُ قواطع النُقول وصِحاح العُقول والطّغام وقضَى به الحِسُّ والعِيانَ حتى لم يَقبل لوُضُوحه إلى زيادة في العرفان .

ولَيس يَصحُ في الأذهــان شيٌ   إذا احتاجَ النَّهارُ إلى دَليلِ

ولما كانت الدنيا بهاذِهِ الحالِ التي ذُكِرَتْ والعِظة التي تقدَّمت جَاء في القرآن الكريم مِن التحذير عَنِ الاغترار بها والرُكون إليها والاعتماد عليها ما هو أعْرَفُ من أن يُذكر وأشْهَرُ من أن يُشْهَر .

وكذلك جاءت الأحاديثُ النبَوِيّة والآثار الحكيمة فلهذا كانَ الأيقاظُ مِن أهلِها هُمُ العلماء العُقلاء الزُهّاد .

العاملون بعلْمهم الذين لا تأخُذُهمُ في الله لومةُ لائم لم يَرْكَنُوا إلى الدنيا بل اتخذوها مَطِيَّةً إلى الآخرة .

لا علماء الألسُن الذين يَلْبَسُون للناس جُلودَ الظأن من اللّين وقُلُوبُهم قُلُوبُ الذّئاب الذين يتخللون بألسِنَتِهم كما تَتخلّلُ البقرةُ بِلِسَانِها . قال بعضهم وأجادَ في وصف الدنيا .

ألا إنّما الدُنيا كَجِيفَةِ مَيتَـةٍ وطُلّابُهَا مثْلُ الكلاب الهَوَامسِ
وأعظَمُهُمْ ذَماً لهَـا وأشدُّهـم بهـا شَـغفاً قَـومٌ طِـوَالُ القَلانُـسِ

وختاماً فاسْتَيْقظُوا رَحِمَكُم الله من غَفْلَتكم وانتَبِهُوا مِن رَقْدَتِكُم قبل أن يُقال فلانٌ مريض أو مُذنِفٌ ثقيل فهلْ مِن دليلٍ يَدُلُ على الدَّواء لهذا العليل أو هل إلى الطبيب من سبيل .

فتُنقَلُ إلى المستشفى وتُدْعى لَكَ الأطبَّاء ولا يُرجَى لكَ الشّفَاء ثم يُقالُ فُلانٌ أوصَى ولِمالِهِ أحْصَى ثم يُقال قد ثقُلَ لِسَانُهُ وما يقْدِرُ على أن يُكلِّمُ إخوانَه .

وهَا هُو في سَكَراتِ الموت لا يَعْرِفُ مَن عِنْدَه من أولاده وإخوانِهِ و جِيرانِه وعَرِق عند ذلك جبينُكَ وتَتَابَعَ أنينُك وثَبَتَ يَقينُكَ وارتَفَعَتْ جُفُونُك وصَدَقتْ ظُنُونُك .

وتَلَجْلَجَ وتحَيَّرَ لِسَانُك وبَكى أولادُكَ وإخوانُك وقيلَ لكَ هذا ابنُكَ فُلان وهذا أخوكَ فلان وهذه أُمُّكَ وهذا أَبُوكَ وبَصَرُكَ شاخصٌ وعُيُونُكَ غرْقى من الدَّمْعِ ولا تقدِرُ على الكلام .

فتصوَّرْ نَفْسَكَ يا مِسْكين وأنتَ مُلْقى على الأرض التي خُلِقْتَ منها جُثَّة تَتصاعَدُ رُوحَكَ والناس من حولك يبكون ولكن دُون جَدْوى لأن قضاء الله وقَدَرَهُ لا بُدَّ أن ينزِلَ بِكَ .

ثم خُتِمَ على لسانِكَ فلا ينطِقُ ثم حَلَّ بك القَضَاءُ وانتُزِعتْ نفسُك من الأعضاء ثم عُرِجَ بها إلى السَّماء فاجتمع عند ذلك أولادك وإخوانك وأحضِرتْ أكفانُك وجيء بالنَّعْشِ و المُغَسِّل .

فجَرَّدَك من الثياب وغسَّلكَ وجيء بالكَفَن فكفَّنُوكَ وحَنَّطوكَ فانقطع عُوَّادُك واستراحَ حُسَّادُكَ وانصرَفَ أهلُكَ إلى مالِكَ وبَقيتَ مُرْتهناً بأعمَالِكَ فيالها من رحْلَةٍ وياله من قُدُوم .

نَصِيبُكَ مِمَّا تجْمَعَ الدَّهْرَ كُلَّهُ   رِدَاآن تُلْوَى فِيهِمَا وحَنُوْطُ
آخر : تَجَرَّدْ مِن الدنيا فانَّكَ إنَّما   خَرَجْتَ إلى الدنيا وأنْتَ مُجَرَّدُ
آخر : فما تَزَوَّدَ مِمّا كانَ يجْمَعُهُ   سوى حَنوطٍ غداة البَيْن في خِرَقِ
وغيَّرَ نفحَةِ أعوادٍ تُشَبُّ لَهُ   وقلَّ ذلكَ من زَادٍ لِمُنْطَلِقِ

اللهم وفقنا للاستعداد لما أمامنا واهدنا سبيل الرشاد ووفقنا للعمل الصالح ليوم المعاد واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فصل في فوائِدِ ذِكر اللهِ تعالى »

قال ابنُ القيم - رحمه اللهُ -: وفي ذِكْرِ اللهِ أكْثَرَ مِن مِائَةِ فائِدَةٍ يرْضِي الرَّحْمَنَ ويَطْرُدُ الشَّيْطَانَ ويُزِيْلُ الهَمَّ ويَجْلِبُ الرزقَ ويَكْسِبُ المَهَابَةَ والحَلاَوَةَ ويُوْرِثُ مَحَبَةَ اللهِ التي هِيَ رُوْحُ الأسْلاَمِ .

وَيُوْرِثُ المَعْرِفَةَ والانَابَةَ والقُرْبَ وحَيَاةَ القَلْبِ وذِكْرُ اللهِ لِلْعَبْدِ هُوَ قُوْتُ القَلْبِ ورُوْحُهُ ويَجْلِي صَدَاهُ ويَحُطُ الخَطَايَا ويَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ ويُحْدِثُ الأُنْسَ ويُزِيْلُ الوَحْشَةَ .

ويُذَكِّرُ بِصَاحِبِهِ ويُنْجِيْ مِن عَذَابِ اللهِ ويُوْجِبُ تَنَزُّلَ السَّكِيْنَةَ وغَشَيَانَ الرحْمَةِ وحُفُوفَ الملائِكَةِ بالِذاكِرِ وَيَشْغَلُ عن الكَلاَمِ الضَّارِ ويُسْعِدُ الذاكِرَ ويُسْعِدُ بِهِ جَلْيْسَهُ وَيُؤَمِّنُ مِنَ الحَسْرَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ وهو مَعَ البُكَاءِ سَبَبُ لإظلالِ اللهِ العبدَ يَوْمَ الحَشْرِ الأكْبَرِ في ظِلِ عَرْشِهِ .

وأنه سَبَبُ لِعَطَاءِ اللهِ لِلذَّاكِرِ أفْضَلَ ما يُعْطِي السَّائِلِينَ ، وأنَّه أيْسَرُ العِبَادَاتِ وهُوَ مِن أجلِّهَا ،وأَفْضَلِهَا ؛ وأنه غِرَاسُ الجَنَّةِ ، وأنَّ العَطَاءَ والفضلَ الذي رُتِّبَ عليه لم يُرَتَّبْ على غَيْرِهِ ، وأن دَوامَ الذِكْرِ لِلرَّبِّ

تَبَارَكَ وتَعَالى يُوجِبُ الأَمَانَ مِن نِسْيَانِهِ الذِي هو سَبَبُ شَقَاءِ العَبْدِ في مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ .

شعـــرا :

لَوْ يَعْلم العَبْدُ مافِي الذِّكْرِ مِنْ شَرَفٍ   أَمْضَى الحَيَاةَ بِتَسْبِيْحٍ وَتَهْلِيْـــلِ

آخـــــر :

ما أَنْعَمَ العِيْشَةَ لَو أَنَّ الفَتَـــى   يُلْهَمُ تَسْبِيْحـــاً لِخَلَّاقِ الوَرَى

وأن الذِكْرَ يُسَيِّرُ العَبْدَ وهُوُ في فِرَاشِهِ وفي سُوْقِهِ ، وأن الذِكْرَ نُوْرُ الذَّاكِرِ في الدُنْيَا ونُورٌ له في قَبْرِهِ ونورٌ له في مَعَادِهِ وأن في القَلْبِ خَلَّةٌ وفَاقَةٌ لا يَسُدُها شَيْءٌ البَتَّةَ إلا ذِكْرُ اللهِ عزَّ وجَلَّ .

وأن الذِكْرَ يَجْمَعُ مَا تَفَرَّقَ عَلَى العَبْدِ مِن قَلْبِهِ وإِرَادَتِهِ وهُمُوْمِهِ وعَزْمِهِ والذِكْرُ يُفَرِّقُ ما اجْتَمَعَ عليه مِن الهُمُومِ والغُمُوْمِ والأحـزانِ والحَسَرَاتِ على مَوْتِ حُظُوظِهِ ومَطَالِبِهِ ويُفَرِّقُ مَا اجْتَمَعَ على حَرْبِهِ مِن جُنْدِ الشَيْطَانِ .

وأن الذِكْرَ يُنَبِّهُ القَلْبَ مِن نَوْمِهِ ويُوقِظُهُ ، والقَلْبُ إذا كَانَ نَائِماً فَاتَتْهُ الأَرْبَاحُ والمَتَاجِرُ ، وأن الذِكْرَ شَجَرَةٌ تُثْمِرُ المَعَارِفَ والأَحْوالِ التي شَمَّرَ إليها السَّالِكُونَ ، فلا سَبِيْلَ إلى نَيْلِ ثِمَارِهَا إلا مِن شَجَرَةِ الذِكْرِ .

وأنَّ الذَّاكِرَ قَرِيْبٌ مِن مَذْكُورِهِ ومَذْكُوْرُهُ مَعَهُ وَهَذِهِ المَعِيَّةُ مَعِيَّةٌ خَاصَةٌ ، وأنَّ الذكرَ يَعْدِلُ عِتْقَ الرِّقَابِ وَنَفَقَةَ الأموالِ والحَمْلَ على الخَيْلِ في سبيلِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وإنَّ الذِّكْرَ رأسُ الشُكْرِ ، وأن أَكْرَمَ الخَلْقِ على اللهِ مِن المُتَّقِيْنَ مَن لا يَزَالُ لِسَانُهُ رَطْباً مِن ذِكْرِ اللهِ .

وأن في القَلْبِ قَسْوَةً لا يُذِيبُهَا إلا ذِكْرُ اللهِ تعالى وإنّ الذِكْرَ شِفَاءُ القَلْبِ وَدَوَاؤُهُ والغَفْلَةَ مَرَضُهُ ، وأن الذِكْرَ أصْلُ مُوَالاَةِ اللهِ عزَّ وجَلَّ وأنَّهُ مَا اسْتُجْلِبَتْ نِعَمُ اللهِ واسْتُدْفِعَتْ نِقَمُهُ بِمِثْلِ ذِكرِ الله .

شعـــرا :

عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ في كُلِّ لَحْظَـــةٍ فمـــا خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَذْكُرُ

آخـــر :

فجالِسْ رَجَالَ العِلْمَ واحْفَظْ حَدِيثَهُمْ ولاتكُ للجُهَّالِ يَوْمـــاً مُوَاخِيَـــا

ولازِمْ فَتىً في كُلِ وَقْتٍ مُلازِمٌ لِذِكْرِ الذِي فوقَ السَّمْواتِ عَالِيَـــا

لَعَلَّكَ أنْ تَعْتَادَ لِلذِّكْرِ مِثلَـــهُ فَتَحْرِزَ غُفْراناً وأعْلَى الأمَانِيَـــا

وأن الذِكْرَ يُوجِبُ صَلاَةَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ومَلاَئِكَتِهِ على الذَاكِرِ وأنَّ مَنْ شَاءَ أنْ يَسْكُنَ رِيَاضَ الجنةِ في الدُنْيَا فَلْيَسْتَوْطِنْ مَجَالِسِ الذِكْرِ فإنَها رِيَاضُ الجنةِ ، وأن مَجَالِسَ الذِكْرِ مَجَالِسُ الملائكة .

وأن اللهَ عزَّ وجَلَّ يُبَاهِي بالذَّاكِرِيْنَ مَلاَئِكَتَهُ ، وأنَّ مُدْمِنَ الذِكْرِ يَدْخُلُ الجنةَ وهو يَضْحَكُ وأن جَمِيْعَ الأعْمَالِ إنما شُرِعَتْ إقَامَةً لِذِكْرِ اللهِ تعالى ، وأن أفْضَلَ أهْلِ كلِ عَمَلٍ أكثَرُهُم فيه ذِكراً لِلَّـهِ عز وجَلَّ ، فَأَفْضَلُ الصُّوَامِ أكثَرُهُمْ ذِكْرَاً لِلَّهِ عز وجل .

وأن ذِكْرَ اللهِ يُسَهِّلُ الصَّعْبَ ويُيَسِرُ العَسِيْرَ ويُخَفِّفَ المَشَاقَ ، وأن ذِكْرَ اللهُ يُذْهَبُ عن القلبِ مَخَاوِفَهُ كُلَّهَا ، ولَهُ تأثيرٌ عجيبٌ في حُصُوْلِ الأمْنِ ، وأن في الأشتغالِ بالذِكْرِ اشْتِغَالاً عن الكلامِ الباطِلِ مِن الغِيْبَةِ والنَّمِيْمَةِ واللَّغو ، وأنَّ عُمَّالَ الآخِرَةِ كُلُهُم فِي مِضْمَارِ السِّبَاقِ والذَاكِرُون أسْبَقُهُم في ذلك المِضْمَارِ ولكِن القَتَرَةُ وَالغُبَارُ يَمْنَعَانِ مِن رُؤْيَةِ سَبْقِهِم .

فَإذَا إنْجَلَى الْغُبَارُ وانْكَشَفَ ، رآهُمْ النَّاسُ ، وقَدْ حازُوا قَصَبَ السَّبْقِ ، وأنَ الذَكْرَ سببٌ لِتَصْدِيقِ الرَّبِ عزَّ وجَلَّ عَبْدَهُ . فإنَّهُ أخْبَرَ عن

اللهِ بأوْصَافِ كَمَالِهِ ونُعُوتِ جَلاَلِهِ فَإِذَا أخْبَرَ بِهَا العَبْدُ صَدَّقَهُ رَبُّهُ وَمَنْ صَدَّقَهُ اللهُ لَمْ يُحْشَرَ مَعَ الكَاذِبِيْنَ وَرُجِي لَهُ أنْ يُحْشَرَ مَعَ الصَّادِقِيْنَ .

شعرا :

وَدَاوِمْ ولاَزِمْ قَرْعَ بابِ مُؤَمَّلاً | فما خَيَّبَ المَوْلَى رَجَاءَ مُؤَمِّلِ
وَصَابِرْ فَما نال العُلاَ غيرُ صَابِرٍ | وقُلْ وَاعِظًا لِلنَّفْسِ عِنْدَ التَّمَلْمُلِ
مَعَ الصَّبْرِ إحْدَى الحُسْنَيَيْنِ مُنَاكِ أَوْ | مَنَايَا كِرَامٍ فاصْبِرِيْ وتَحَمَّلِ
وَدَاوِ لِسُقْمِ القَلْبِ واعْمُرْ خَرَابَهُ | بِذِكْرِ الذي نَعْمَاهُ لِلْخَلْقِ تَشْمَلُ

آخـــر :

لَوْ يَعْلمِ الناسُ مَا فِي الذِّكْرِ من شَرَفٍ | لَمْ يُلْهِهِمْ عَنْهُ تَجْمِيعُ الدَّنَانِيْــرِ
ولَمْ يُبَالُوا بأوْرَاقٍ ولَا ذَهَــبٍ | وَلَوْ تَحَصَّل آلافُ القَنَاطِيْــرِ

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبارِكْ لَنَا فِي الحلالِ مِن رِزْقِكَ ولاَ تَفْضَحْنَا بين خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ داعٍ وأفْضَلَ مَن رجَاهُ راجٍ يا قاضِي الحـاجاتِ ومُجِيْبَالدعواتِ هَبْ لَنَا ما سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيْمَا تَمَنَّيْنَاهُ يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوائجَ السَّائلين ويَعْلَمُ ما فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وحَلاَوَةَ مَغْفِرَتِكَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وصلى اللَّهُ على مُحمدٍ وآلِهِ أجمعين .

فصل وَمِنْ فَوائِد الذِّكْر أيْضا ما ذَكَرَهُ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهَ :

أنَّ دُورَ الجنةِ تُبْنَى بالذِّكْرِ ، فـاذا أمْسَكَ الذَّاكِرُ عَن الذِّكْرِ أمْسَكت الملائكةُ عن البِنَاءِ ، وأنَّ الذِكْرَ سَدٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وبين جَهَنَّمَ فإذَا كانَتْ لَهُ إلى جَهَنَّمَ طريقٌ عَمَلٍ مِن الأعْمَال ، كان الذِكْرُ سَدًّا فِي تِلْكَ الطريْقِ ، وأنَّ الملائِكة تَسْتَغْفِر لِلذَّاكِرِ كَمَا تَسْتَغْفِرُ لِلتَّائِبِ ، وأنَّ الجِبَالَ والقِفَارَ تَتبـاهَى وتَسْتَبْشَرُ بِمَنْ يَذْكُر اللهَ عزّ وجَلَّ عليْهَا ، وأنَّ كَثْرَةَ ذِكْرَ اللهِ عَزَّ وجَلِ أمانٌ مِن النِّفَاقِ ، فإنَّ المنافقينَ قَلِيْلُوا الذِكْرِ لِلّه عَزَّ وجَلَّ .

قال تَبَارَكَ وتعالى في المُنَافِقين : ﴿ولا يَذْكُرونَ اللَّهَ إلاَّ قليلا﴾ وأنّ للذكْرِ مِن بَينِ الأعمَال لَذَةً لا يُشْبِهُهَا شيءٌ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلعَبْدِ مِن ثوَابِهِ إلا اللَذَةَ الحَاصِلَةَ لِلذَّاكِرَ ، وأنه يَكْسُو الوجْه نَضْرَةً في الدُنيا ونُوراً في الآخرةِ ، وأنْ في دَوَامَ الذّكْرِ في الطرِيقِ والبَيْتِ والحَضَـرِ والسّفَرِوالبِقَاعِ تَكْثِيراً لِشُهُوْدِ العَبْدِ يوَم الْقِيَامَةْ ، فانَّ البُقْعَةَ والدَّارَ والْجَبَل والأرضَ تَشْهَدُ للذَّاكِرِ يومَ القيامَةْ . وانّ الذِّكْرَ يُعْطِي الذّاكِرَ قُوةً حَتّى أنّهُ ليفعَلُ مَعْ الذكرِ مَا لَمْ يَظنَّ فِعْلَهُ بِدونِهِ ، قالَ وقَدْ شَاهَدتُ مِن قُوّةِ شَيْخِ الاسلامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ في سُنَنِه وكلاَمِهِ واقْدَامِهِ وكِتَابَتَه أمْراً عَجِيْباً ، فكانَ يَكْتُبُ في اليومِ مِن التَّصْنِيْفِ ما يَكْتُبُه النَّاسِخُ في جُمْعَةٍ وأكْثرْ .

ما دُمْتَ تَقْدِرْ فأكْثِرْ ذِكْرِ خَالِقِنَا   وَأدِّ وَاجِبَـــهُ نَحْوَ العِبَـــادَاتِ
فَسَوْفَ تَنْدمُ إن فَرطّتَ في زمنٍ   ما فيه ذِكْرٌ لِخَلّاقِ السَّمْوَاتِ

وقَدْ عَلّمَ النَّبيُ صلى اللهُ عليهِ وسَلّمَ ابْنَتَهُ فاطمةَ وعلياً ـ رضي الله عنهما ـ أن يُسَبِّحا كلَّ لَيْلَةٍ إذَا أخذَ مَضَاجِعُهُما ثلاثاً وثلاثين ، ويَحْمَدا ثلاثاً وثَلاثين ، ويُكَبِرّا ، أَرْبَعاً وثلاثِين ، لَمّا سَألْتهُ الخادِمَ ، وشَكَتْ إليهَ ما تُقَاسِيه من الطُحْنِ والسَّعْي والخِدْمَة ، فعَلَّمَها ذَلِكَ ، وقال : إنّه خيرٌ لَكُمَا مِنْ خَادَم .

فَقيلَ انْ مَنْ دَاوَمَ على ذلك وجَد قُوةً في عَمَله مُغْنِيَةً عَنْ خَادِمْ ، قالَ وسَمِعْتُ شَيْخَ الاسْلامِ ابنُ تَيْمِيَّةِ ـ رَحِمه الله تعالى ـ يَذْكُر اثراً في هَذَا البابِ ، ويَقُول : انَّ الملائكة لمَا أُمِروا بِحَمْلِ الْعَرْشْ ، قالُوا يا رَبَّنا كَيْفَ نَحْمِلُ عَرْشَكَ وعليهِ عَظَمَتُكَ وَجَلاَلُكْ ، فقالْ : قُولُوا لا حوْلَ ولا قوة الاّ باللهْ .

فَلَمَا قالُوا حَمَلُوهُ حَتَّى رَأَيْتُ ابْنُ أبي الدّنْيا قَدْ ذَكَر هَذَا الأثر بِعَيْنه عن اللَّيثِ بن سَعْد عَنْ مُعَاوِيةِ بن صالحٍ قالَ حَدَّثَنا مَشْيَخَتُنا أنَّهُ بَلَغهُم أنَّ أوَّل مَا خَلَقَ اللهُ عزَّ وجل حِين كانَ عَرْشُه على الماءِ حَمَلةَ العرشِ قالُوا : رَبَّنا لِمَ خَلقْتَنا ؟ قَالَ : خَلَقْتُكُمْ لِحَمْل عَرْشي . قالوا : رَبّنا وَمَنْ يَقْوَى على حَمْلِ عَرْشِكَ وعليهِ عظمتُكَ وجلالُك وَوَقارُكَ ، قالْ : لذلكَ خَلقْتكم ، فأعادُوا عليهِ ذلكَ مِراراً ، فقالْ : قُولوا لا حَوْلَ ولا قُوّةَ الا بالله فَحَمَلُوهْ .

قالْ : وهذِهِ الكَلِمَةُ لَهَا تأثيرٌ عَجِيْب في مُعَانَاةِ الأشْغالِ الصَّعْبَةِ ، وتَحَمُّلِ المشاقِ والدُّخولِ على الملُوكِ وَمَنْ يُخَافُ ، ورُكُوبِ الأهْوَالِ ، ولَهَا أيْضَا تأثِير فِي دَفْعِ الفَقْر قالَ : ومَبْنَى الدِّينِ على قَاعِدَتَيْنَ الذِكْرِ والشُّكْرِ

إذَا رُمْتَ أنْ تُحْظَى بِعِزٍّ ورِفْعَةٍ بِدُنْيَاكَ والأُخرَى لِنَيْل السَّعَادَةِ
عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ جَلَّ جَلالُهُ وإيَّاكَ أنْ تَغْفُلْ ولَوْ قَدْرَ لَحْظَةِ

آخــــر :

إلَهُ الوَرَى حَتْمٌ عَلى الناسِ حَمْدُهُ لِمَا جَادَ مِن فَضْلٍ عَلَيْهِمْ بِلا مَن

وليسَ المرادُ بالذّكرِ مُجَرّدَ ذكْرِ اللسانِ بَلْ الذّكْرُ القَلْبِي واللّساني ، وذلِك يَسْتلْزِمُ مَعْرِفَته والايمانَ بِهِ وبِصفاتِ كَمَالِه ونُعُوتِ جَلالِهِ والثَناءِ عليهِ بأنواعِ المدْحِ وذلكَ لاَ يَتِمُّ إلاّ بتَوحيدِهِ فذِكْرُه الحَقِيْقِي يَسْتَلْزِمُ ذِكْرَ نِعَمِهِ وآلائِهِ وإحْسَانِهِ إلَى خَلْقِهِ .

وأمّا الشُّكر فَهو القيامُ بِطَاعَتِهْ ، فَذِكْرُهُ مُسْتلْزِمٌ لِمَعْرِفَتِهِ وشُكْرُهُ مُتَضِمّنٌ لِطاعَتِهِ وهُمَا الغايةُ التي خُلِقَ لأجْلِهَا الجِنُّ والانْس .

(فَائِدَةْ) قَالَ الشَيْخُ تَقِي الدِّيْن : مَن اُبْتُلِيَ بِبَلاءِ قَلْبٍ أزْعَجَهُ فأعظَمُ دَواءٍ لَهُ قُوَةُ الالْتِجَاءِ إلى اللهِ وَدَوامُ التّضرُّعِ والدّعاءِ بأنْ يَتعلمَ

الأدْعِيَةَ المأثورَةَ وَيَتوخَّى الدّعاءِ في مَظَانِّ الإجابَةِ مِثْلُ آخِرَ اللّيْلِ وَأوقاتِ الأذانِ والإقَامَةِ وفي السُّجُودِ وادبارِ الصّلَواتْ ، ويَضُمُّ إلى ذلِك الاسْتِغْفار .

وَلَيَتخِذُوَرْداً مِن الأذكارِ طَرَفَي النَّهارِ وعِنْدَ النَّوم،وَلْيَصْبِرُ على ما يَعْرِضُ لهُ من الموانِعِ والصّوارِفِ ، فانّهُ لا بُد أنْ يُؤَيّدَهُ اللهُ بِرُوْحٍ مِنْهُ ويَكْتُبَ الايْمَانَ في قَلْبِه وليَحْرِصَ عَلى عَمُودُ الدِيْنِ ، ولَيَكُنْ هُجَيْرَاهُ لا حوْلَ ولا قوَةَ الا باللهِ العَلِيِ العظيمْ .

فانّهُ بِها يَحْمِلُ الأثْقَالَ ويُكَابِدُ الأهْوَالَ ، ويَنَالُ رَفِيْعَ الأحْوالِ ولا يَسْأمُ مِن الدُّعاءِ والطّلَبِ ، فانُّ العَبْدَ يُسْتَجابُ له ما لم يَعْجَل ولْيَعْلَمَ انَّ النّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وانَّ الفرَج مَعَ الكَرْب وانَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرَا ، ولَمْ يَنَلْ أحَدٌ شَيْئاً مِن عَمِيْمِ الخَيْرِ إلا بالصَّبْرِ والله الموفق.

شعــــرا :

لا تَقْصُـــدِ النّاسَ إذَا أدْبَرَتْ دُنْيَاكَ واقْصُدْ مِنْ جَوَادٍ كَرِيْم
كيْفَ يُرَجّى الرِّزْقُ مِنْ عِنْدِ مَنْ يَطْلُبُ الرِزْقَ مِنْ الرَّبِ الرَّحِيْم

آخـــــر :

يا أيُهَا الطَّالِبُ مِن مِثْلِـــهِ رِزْقاً لَهُ جُزْتَ عن الحِكْمَـــةِ
لا تَطْلُبَنَّ الرِزْقَ مِنْ طَالِـــبِ مِثْلُكَ مُحْتَاجُ إلىَ الرَّحْمَـــةِ
وارْغَبْ إلَى اللهِ الذِي لَمْ يَـــزَلْ في يَدِهِ النّعْمَـــةُ والنِّقْمَـــةْ

شِعْرا : بِـــذِكْـرِكَ يَـــا مَـوْلى الْـــوَرَى نَتَنَعَّمُ
وقدْ خابَ قومٌ عن سَبِيْلِكَ قَدْ عَمُوا
شَهِـــدْنَــا يَقِيْنــاً أنَّ عِلْمَـكَ واسِـعٌ
فَـأنْتَ تَـرى مَـــا في القُلوبِ وَتَعْلَمُ

إلَهِي تَحَمَّلْنَا ذُنُوباً عَظِيْمَةً
أَسَأْنَا وقصّرْنا وجُودُكَ أعْظَمُ

سَتَرْنَا مَعَاصِيْنا عن الخلقِ غَفْلَةً
وأنتَ تَرانَا ثُمَّ تَعْفُو وتَرْحَمُ

وَحَقِّكَ ما فِيْنَا مُسِيءٌ يَسُرُّهُ
صُدُودُكَ عَنْهُ بَلْ يَخَافُ ويَنْدَمُ

سَكَتْنَا عَنِ الشَّكْوَى حَيَاءً وَهَيْبَةً
وَحَاجَاتُنَا بالْمُقْتَضَى تَتَكَلَّمُ

إذَا كَانَ ذُلُّ العَبْدِ بالحال نَاطِقاً
فَهَلْ يَسْتَطِيعِ الصَّبْرَ عَنْهُ وَيَكْتُمُ

إلَهِي فَجُدْ واصْفحَ وأَصْلِحْ قلُوبَنا
فأنْتَ الذِيْ تُولِيْ الجَمِيلَ وَتُكْرِمُ

وأنْتَ الذِي قَرَّبْتَ قَوْماً فَوَافَقُوْا
وَوَفَّقْتَهُم حَتَّى أنَابُوا وسَلَّمُوْا

وَقُلْتَ آسْتَقَامُوا مِنَّةً وَتَكَرُّماً
فأنْتَ الذي قَوَّمْتَهُم فَتَقَوَّمُوا

لَهُمْ في الدُّجَى أُنْسٌ بِذِكْرِكَ دَائِماً
فهُمْ في اللّيَالي ساجِدُونَ وقُوَّمُ

نَظَرْتَ إلَيْهِمْ نَظْرَةً بِتَعَطُّفٍ
فَعَاشُوا بِهَا والنّاسُ سَكْرَى وَنُوَّمُ

لكَ الحَمْدُ عَامِلْنا بِمَا أنتَ أهْلُهُ
وَسَامِحْ وسَلِّمْنَا فأنْتَ الْمُسَلِّمُ

اللّهُمَّ ألهِمْنَا ذِكْرِكَ وشُكْرَكَ وَوَفِقْنَا لِمَا وَفَقْتَ لَهُ الصَّالحين من خَلْقِكَ واغفرْ لنا ولوالدِينا وجميع المسلمين بِرَحْمتك يا أرْحَم الرّاحمين وصلى الله على محمدٍ وآلِهِ وصحبه أجمعين .

(فصل)

قَالَ في حَادي الارْواحْ ولَمَّا عَلِمَ الموفَّقُونَ ما خُلِقُوا لَهُ ومَا إيْجَادُهُمْ لهُ رَفعُوا رُؤُوسَهم فإذَا عَلمُ الجَنَّةِ قَدْ رُفِعَ لَهُمْ شَمَّرُوا إلَيْهِ وإذَا صِرَاطُهَا المسْتَقِيم قَدْ وَضحَ لَهُمْ فاسْتَقَامُوْا عليهِ ورَأَوْا مِنْ أعْظم الغَبْنِ بَيْعٌ مَالاَ عَينٌ رأتْ ولا أذنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قَلْبِ بشرٍ .

في أبَدٍ لا يَزُول ولا يَنْفَذْ بِصُبَابةِ عَيْشٍ إنَّما هُو أضْغَاثُ أحْلَامٍ أو كَطَيْفٍ زارَ في المَنامِ مَشُوبٍ بالنَّغَص مَمْزُوجٍ بالْغُصَص إنْ أضْحَكَ قَلِيْلًا أبْكَى كَثيراً وإنْ سَرَّ يَوْماً أحزَنَ شُهوراً آلامُهُ تزيدُ على لَذّاتِهِ وأحْزَانُهُ أضْعافُ مَسَّراتِهِ أوّلُهُ مَخَاوِفُ وآخِرُهُ متالِفُ .

فَيَا عَجَباً مِنْ سَفِيهٍ في صُورةِ حَكيم ومَعْتُوهٍ في مِسْلاخِ عاقِل آثَرَ الحَضَّ الفانِي الخَسِيْسَ على الحضّ الْبَاقي النَّفِيس باعَ جَنَّةٍ عَرْضُها الأَرْضُ والسَّمواتُ بِسِجْنٍ ضَيِّقٍ بَيْنَ أرْبَابَ الْعَاهَاتِ والْبَلِيَاتِ ومَسَاكِنَ طَيِّبَةً في جنَّاتِ عَدْنٍ تَجْري مِنْ تَحْتِها الانْهَار بأعْطانٍ ضَيِّقَةٍ آخِرُها الْخَرابُ والبَوارُ .

وأبكاراً عُرْباً أتراباً كأنَّهُنَّ الْياقُوتُ والْمَرْجَانُ بِقَذرَاتٍ دَنِسَاتٍ سَيِّئاتِ الأخْلاقِ مُسَافِحَاتٍ أوْ مُتَّخِذَاتِ أخْدانٍ وحُوراً مقْصُوراتاً في الخِيامِ بِخَبِيثَاتٍ مُسَيَّبَاتٍ بَيْنَ الأنامِ وأنْهَاراً مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لَلشَّاربينَ بِشَرابٍ نَجِسٍ

مُذْهِبٍ لِلْعَقْلِ مِفْسِدٍ لِلدُّنْيَا والدِين ، ولذّةَ النّظَرِ إلى وَجْهِ الْعَزِيْزِ الرّحيمِ بالتّمَتّعِ بِرُؤْيَةِ الْوَجْهِ القبيحْ الذّميم .

وسَمَاعَ الْخِطابِ مِن الرحمن بِسَماعِ الْمَعازِفِ والْغِنَاءِ والألْحَانِ والجُلُوسِ على مَنابِرِ اللُؤْلِؤِ والياقُوتِ والمُرْجَانِ والزّبَرْجَدِ ويَوْمَ المزيدِ بالجُلُوسِ في مَجَالِسِ الفُسوقِ مَعَ كُلّ شيطانٍ مَرْيدٍ .

وإنّما يَظْهَرُ الْغَبْنُ الفاحِشُ في هَذَا البيع يومَ الْقِيَامَةِ ويَتَبيَّنَ سَفَهُ بائِعِهِ يَوْمَ الْحَسْرَةِ والنّدامَةِ اذا حُشِرَ المتّقونَ إلى الرَّحْمنِ وفْداً وسِيْقَ المُجْرِمُون إلى جَهَنّم وِرْداً ونَادى المُنادِي على رؤوسِ الأشْهادِ لِيَعْلَمَنّ أهْلُ المَوقف مَنْ أولى بالكَرمِ مِن بيْنِ العِبادْ .

فَلَو تَوَهّمَ المُتَخَلِّفُ عَنْ هذِه الرِّفْقَةُ ومَا أُعِدّ لَهُم مِنَ الاكْرَامِ وَادُّخِرَ لَهُمْ مِن الفَضْلِ والانْعَامِ ومَا أُخْفِي لَهُم مِنْ قُرّةِ أعْينٍ لَمْ يَقَعْ على مِثِلها بَصَرٌ ولا سَمِعَتْهُ أذنٌ ولا خَطَر على قَلْبِ بَشَرٍ عَلِمَ ايُّ بِضَاعَةٍ اَضَاعَ وانّهُ لا خَيْرَ لَهُ في حَياتِهِ وهُوَ مَعْدُودٌ مِن سَقَطِ الْمَتَاعْ .

وانّ الْقَوْمَ قَدْ تَوَسّطُوا مُلْكَاً كَبيراً لا تَعْتَريه الآفاتُ ولاَ يَلْحَقُه الزّوالُ وفَازُوا بالنّعيم المقيم في جِوَارِ الرّبِ الكبيرِ المُتَعَالِ ، فَهُمْ في رُوْضَاتِ الجَنّاتِ يَتَقَلّبونَ وَعَلى أسِرّتِها تَحْتَ الحِجَالِ يَجْلِسُونَ وعلى الفُرُشِ التي بَطائِنُها مِنِ اسْتَبْرَقٍ يتّكِئُونَ وبالحُورِ العينِ يَتَمَتّعُونْ .

وبِأنواع الثّمارِ يَتَفَكّهونَ ﴿يَطُوفُ عليهم وِلْدَانٌ مُخَلّدُون بأكْوابٍ وأباريقَ وكأسٍ من مَعينٍ لا يُصَدّعُونَ عَنْها ولا يُنْزِفُون وفاكِهَةً مِمّا يَتَخَيّرُوْنَ ولحم طير مِمّا يَشْتهون وحُورٌ عِينٌ كأمْثالِ اللُؤْلؤُ والمكنونِ جَزَاءاً بمَا كانوا يَعْمَلونْ﴾ يُطَافِ عليهم بِصَحافٍ مِنْ ذَهِبٍ وأكْوابٍ وفِيْها

ما تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وتَلَذُّ الأَعْيَنَ وأَنْتُم فيها خالدون﴾ تا اللهِ لقدْ نُودِي عليها في سُوقِ الْكَسادِ فَمَا قَلَّبَ ولا اسْتَامَ إلا أَفْرَادٌ مِن العِبَادِ وقال رحمه الله في النونية :

بِــاللّهِ مـا عُــذْرُ امْرِءٍ هُــو مُؤْمِنٌ
حَقّــا بِـهــذا لَيْسَ بــالْيَـقْـظَانِ
بَــلْ قَلْبُـهُ في رَقْــدَة فــاذا اسْتَفــا
قَ فَـلُبْسُــهُ هُــو حُـلَّةُ الْكَسْــلاَنِ
تَــا اللّهِ لَـوْ شـاقَتْـكَ جَنَّــاتُ النَّعِيْـ
ـمِ طَـلَبْتَـهـا بِنـفـائِس الاثْـمـانِ
وسَعَيْتَ جُهْـدَكَ في وِصَالِ نَـواعِمٍ
وكَــواعِبٍ بِيْضِ الـوُجُــوْهِ حِسَــانِ
جُلِيَتْ عـلـيـكَ عَــرائسٌ واللهَ لَــوْ
تُجْلَى عـلى صَخْــرٍ مِـنَ الصُّــوَّانِ
رَقَّــتْ حَــواشِيْــهِ وعــادَ لِــوَقْـتِـهِ
يَنْهَــالُ مِـثْــلَ نَقَـىً مِن الـكُثْـبَـانِ
لَكِنَّ قَلْبَـك في القَسَــاوَةِ جَـازَ حَـدْ
دَ الصَّخْــرِ والْحَصْبَاءِ في أُشْجَــانِ
لَـوْ هَـزَّكَ الشَّــوْقُ المَقيمُ وكُنْتَ ذَا
حِسٍّ لَـمَــا اسْتَبْــدَلْـتَ بــالأَدْوَانِ
أَوْ صَادَقَتْ مِنْكَ الصِّفـاتُ حَياةَ قَـلْـ
ـبٍ كُـنْـتَ ذَا طَـلَبٍ بِهَــذَا الـشَّــانِ

حُـورٌ تُـزَفُّ إلى ضَـرِيْـرٍ مُقْعَـدِ
يـا مِحْنَـةِ الحَسْنَـاءِ بـالْعُمْيَـانِ

شَمْسٌ لِعِنِّيـنٍ تَـزَفُّ إليـه مَـا
ذَا حِيلَةُ الْعِنِّيْن في الْغَشَيَـانِ

يـا سِلْعَـةَ الـرَّحْمَنِ لَسْتِ رَخِيْصَـةً
بـل أنْتِ غـالِيـة على الْكَسْـلانِ

يـا سِلْعَـةَ الـرحمن ليس يَنَـالُهَـا
بـالألْـفِ إلا واحـدٌ لا اثْـنَـانِ

يـا سِلْعَـةَ الـرحمن مـاذا كُفُـوْهَـا
إلا أوُلُـوا التَّقْـوَى مَـعَ الإيْـمَـانِ

يـا سِلُعَةَ الـرَّحمنِ سُـوقُـكِ كـاسِدٌ
بـيـن الأرَاذِلِ سَـفْـلَةِ الْـحَـيَـوانِ

يـا سِلْعَـةَ الـرحمن أيْنَ المَشْتَـرِي
فَلَقَـدْ عُـرِضْتِ بـأيْسـرِ الأثمـانِ

يـا سِلْعَةَ الـرحمنِ هَلْ مِنْ خَـاطِبٍ
فَـالْمَهْـرُ قَبْـلَ المـوتِ ذُوْ إمْكَـانِ

يـا سِلْعَـةَ الـرحمن كَيْفَ تَصَبُّـر الْـ
خُـطَّابُ عَنْـكَ وَهُمْ ذَوُوْ إيْـمَـانِ

يـا سِلْعَـةَ الـرحمـنِ لَـوْلاَ أنَّهَـا
حُـجِبَـتْ بِكُـلِّ مَكَـارِهِ الإنْـسَـانِ

مـا كَـانَ عَنهْـا قَطُّ مِـن مُتَـخلِّفِ
وتَـعَـطَّلتْ دَارُ الـجَـزاءِ الـثَّـانِـي

لَكِنَّهَا حُجِبَتْ بِكُلِّ كَرِيهَةٍ
لِيَصُدَّ عَنْهَا الْمُبْطِلُ الْمُتَوانِي
وتَنَالُهَا الْهِمَمُ الَّتِي تسْمُوا إلى
رَبِّ الْعُلَى بِمَشِيْئَةِ الرَّحمنِ

اللهُمَّ اجْعَلْنَا مِن المتقينَ الأبْرارِ وأسْكِنَّا مَعَهمُ في دارِ القرارَ ، اللهم وفقنا بِحُسْن الاقبالِ عَليك والإصْغَاءِ إليك ووَفِّقْنَا لِلتّعاوُنِ في طَاعَتِكَ والمُبَادَرَةِ إلى خِدْمَتكَ وحُسْن الآداب في مُعَامَلَتِكَ والتّسليم لِأَمْرك والرِّضا بِقَضَائِكَ والصَّبْرْ عَلى بَلائِك والشّكْرِ لِنَعْمَائِكَ ، واغفرَ لَنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتِكَ يا أرْحَمَ الراحمين وصلى اللهُ على محمدِ وآلِهِ أجمعين .

(فَصْــلٌ)

ثم اعلم رَحِمَنَا الله وإيَّاكَ والمسلمين أنَّ حُب الدُنْيَا في القلب رَاسِخ وإخْرَاجُهَا مِنْهُ صَعْبٌ جداً إلا لِمَن عَصَمَهُ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ ، والنَّفْسُ إلى الدنيا أمْيَلُ وهي بِها أشْغَفُ ، وفي طَلَبِهَا أهْلَك وعن طَرِيقِ الرُشْدِ أبْعَدُ وَأصْرَف ، واسْمَعْ إلى ما قِيْلَ في الدنيا :

هِيَ المُشْتَهى والمُنْتَهَى ومَعَ السُهَى أمَانيّ منها دُوْنَهُنَّ العَظَائِمُ
وَلِمْ تُلْفِنَا إلاَّ وفِيْنَا تَحَاسُدٌ عَلَيْهَا وإلاَّ الصُدُورِ سَخَائِمُ

وقال الآخر :

يُسِيءُ أمْرؤٌ منا فَيُبْغَضُ دَائِماً ودُنْيَاكَ مَازَالَتْ تُسِيءُ وتُومَقُ

أَسَرَّ هَوَاهَا الشَّيخُ والكهلُ والفَتَى　　بِجَهْلٍ فَمَنْ كُلِّ النَّــواظِر تُرْمَقُ
وما هِيَ أَهْلٌ يُؤَهَّــلِ مِثْلُهَــا　　لِوُدٍ وَلكنَّ ابنَ آدَمَ أَحْمَــقُ

وقال الآخــر :

لِسَانُك لِلدُّنْيَا عَــدَوٌ مُشَــاحِنٌ　　وقَلْبُكَ فيها لِلسَــانِ مُبَــايِنُ
وما ضَرَّهَا ما كان مِنْكَ وقد صَفَا　　لَهَا مِنْكَ وِدٌّ في فُؤَآدِكَ كَامِنُ

وإنَّ حُبَّ الدنيا لَهُوَ الدَّاءُ العُضَال ، الذي أهْلَكَ النَسَاءَ والرجال وأفْسَد كثيْراً مِن الأَعْمَال ، إلاَّ أنْ تَأْتِيَ العِنَايَةُ الإِلِهيَّةُ ، فَتصْرِفُ الإنسانَ إلى النظر الصحيح ، وتَحِمْلُه على الطريق المُسْتَقِيم .

فَيَرَى بَعْينِ الحَقِيْقَةِ وصَحِيْحِ البصيرة إنَّهُ لابُدَّ مِن الموت ، وأنَّهُ يُدْفَنُ تَحْتَ أطْبَاقِ الثرى ، ويُرْمَى به في ظُلماتِ الأرضِ ، ويُسَلَّطُ الدُوْدُ على جَسَدِهِ ، والهَوَامُّ على بَدَنِهِ ، فَتَأخذه مِن قَرْنه إلى قَدَمِهِ .

وقد عدم الطبيب واسلمه القريب ، وتركه الصديقُ والحَبيْبُ والقَرِيْب ، وأتاه منكرٌ ونكِير ، ولم يَجِدْ هُنَاكَ أنِيْساً إلاَّ عَمله .

أسْلَمنِي الأهلُ بِبَطْنِ الثَّرى　　وانْصَرَفُوا عَنِي فَيَــا وحْشَتَــا
وغَادَرُوْني مُعْــدِماً يَائِســاً　　ما بِيَدِيْ اليومَ إلاَّ البُكَــا
وكُلُّ مَا كانَ كأَنْ لَمْ يَكُنْ　　وكَان ما حَاذَرْتُهُ قَــدْ أتَىَ
وذَاكُم المجمُوعُ والمُقْتَــنَى　　قد صَــارَ في كفَي مِثْلَ الهَبَا
ولَمْ أجِدْ لِي مُؤْنِســاً هَاهُنَا　　غير فُجُــورٍ كَانَ لِي أوْ تُقَى
فَلَوْ تَرَانِي أوْ تَرى حَــالَتِي　　بَكَيْتَ لِيْ يَا صَاحَ مَمَّــا تَرى

اللَّهُمَّ نَجّنا برحمتِكَ مِن النارِ وعافِنا من دارِ الخِزْيِ والبَوَارِ وأدْخِلنا بِفَضْلِكَ الجنةَ دارَ القَرَارِ وعامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يا كريمُ يا غفارُ واغْفِرْ لَنَا

ولوالِدَيْنَا ولجميعِ المسلمينَ الأحياءِ مِنْهم والميتينَ برحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الراحمينَ وصَلّى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين .

(فَصْــــلٌ)

وأمَّا الدُنيا فَيَنْظَرُ إليها فإنْ كان مَلِكَاً نظر إلـىَ مَن تَقَدَّمَهُ مِن المُلُوكِ وما فَعَلَ الموتُ بهم كَيْفَ فَرَّقَ جُمُوعَهم وشَتَّتَ شَمْلَهُمْ وأقْفَرَتْ مِنهم قُصُوْرُهُم وعمَرَتْ بِهم حُفَرُهم وقبُورُهُم .

وَكذلكَ إنْ لم يَكُنْ مَلكاً وكان مِن أصْنَافِ الناسِ وَصِفَاتِهم في تَقَلُّبِ الدنيا بهم مَعْلُومَةٌ وأنَّهُ لَيْسَ مِن إنسان إلاَّ وَلَهُ نَصِيْبٌ مِن الكَدَرِ والهَمِّ يَقِلُّ عند إنْسَان وَيَكْثُر عند آخر .

فإذَا أَخذَ الإنسانُ نَفْسَهُ بِهَذِه الأفكَارِ وعَرَضَ عليها هذا الإعْتِبَارَ أثَّر عَلَيهِ هَذا وأعْرَضَ عن الدنيا وَلَمْ يَلْتَفِتْ إلَيْهَا إلاَّ بِمقْدَارِ ما يَقِيْتُهُ ، وتَـذَكَّرَ المَوْتَ وخَافَ فَجْأتَه ولَمْ يأمَنْ بَغْتَتَهُ وهَجْمَتَهُ وَصَدْمَتَهُ وصَرْعَتَهُ .

والله سبحانه وتعالى وَلِيُّ التوفيق بِفَضْلِهِ وكَرَمِهِ لا رَبَّ غَيْرُه ولا مَعْبُودَ سِوَاه .

وقال رحمه الله : واعْلَمْ أنَّ مَن كان مُنْتَظِراً لِعقَابٍ أنْ يَنْزِلَ بِهِ من أمْيرِ بَلْدَتِهِ فإنَّهُ لا يَزَالُ مُتَألمَ القَلْبِ مَشْغُوْلَ النَفْسِ .

فانَّ مَن تُوعِدَ أن يُضرَبَ مائَةَ سَوْطٍ فإنَّه أشْغَل قَلْباً مِمَّنْ تُوعِّدَ أنْ يُضرَبَ عَشَرةَ أسْوَاط .

وَمَن تُوعِدَ أنْ يُقْطَعَ مِنْهُ جَارِحَه أكْثَر تَوجُّعاً مِمَّنْ تُوعد أنْ يُضْرَبَ مَائَة سَوْط ومَن تُوعِدَ أن يُضْرَبَ عُنُقُهُ أشَدَّ خَوْفاً مِمَّنْ تُوعِدَ أنْ يُقْطَعَ أحَدَ جَوَارِحِهِ يده أوْ رِجْلِهِ أوْ نَحْو ذَلِكَ .

وَمَامِنَّا مِن أحَدٍ إلاَّ وقَدْ تُوُعِّدَ بالقَتْلِ لأنَّ الموتَ قَتْلٌ في الباطِنَ كالخَنْق فَقَدْ بان لكَ أنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا يَنْتَظِرُ القَتْلَ يَنْتَظِرُ ملَكَ يَثِبُ عليه فَيَقْبِضُ رُوْحَهُ .

فلو كُشِفَ للناسِ عن أبْصَارهم فرأوا الموتِ حِيْنَ يَهْجَمُ عَلَيْكَ وشاهدوه في الباطن حينَ يأخذ رُوْحَكَ لما كان بَيْنَهُ وبيْنَ إنْسانٍ يَقْتُلُكَ في الظَّاهِرِ فَرْقٌ إلاَّ أنَّ الإِنْسانَ يَحْتَاجُ إلى آلةٍ يَقْتُلُ بِهَا من سَيْفٍ أوْ سكِيْنٍ أو نحوهما ومَلَكُ الموتِ لا يَحْتَاجُ إلى شيءٍ من ذلك .

واعلم أن شِدَّةِ سَكَراتِ الموت لا يَعْرفُها على الحَقِيْقَةِ إلاَّ الله جَل وَعَلَا ومَن ذَاقَهَا ، ومَن لَم يذقها فإنما يَعْرِفُهَا إما بالقياسِ على الآلام التي أدْرَكَهَا وإما بالاسْتِدْلَال بأحْوَالِ الناسِ في النزع على شِدَّةِ مَا هُمْ فيه ، والنَّزْعُ عِبَارَةٌ عن مُؤْلم نَزَلَ بِنَفْسِ الرُوحِ فاسْتَغْـرَقَ جَمِيْعَ أجْزَائِهِ .

فألَم النَّزْعِ يَهْجِمُ على نَفْسِ الرُوْحِ فَيَسْتَغِرْقُ جَمِيْعَ أجْزَائِهِ ، فإن المَنْزُوْعَ والمجذُوْبَ مِن كُلِّ عِرْقِ مِن العُرُوْقِ وعَصَبٍ مِن الأعْصَاب وجُزْءٍ مِن الأجْزَاء وَمَفْصِلٍ مِن المَفَاصل ومن أصْلِ كل شَعْرَةٍ وبَشَرَةٍ مِن رَأْسِهِ إلى قَدَمِهِ فلا تَسْأَل عن كَرْبه وَألَمه .

ولا تسأل عن بَدَنٍ يُجْذَبُ منه كل عِرْقٍ مِن عرُوقِهِ ، ولو كان المَجْذُوْبُ عِرْقا واحِداً لَكَانَ ألَمُهُ عَظيماً فكَيْفَ والمجَذُوْبُ نَفْسُ الرُوْحِ المُتَألِّم ، ولَيْسَ هُوَ مِن عِرْقٍ واحِدٍ ، بَلْ مِنْ جَمِيع العُرُوْق .

ثم يَمُوت كُلُ عُضْوٍ من أعْضائِهِ تَدْرِيْجاً فَتَبْرُدُ أوَّلاً قَدَمَاهُ لِفَراغِهَا مِن الرُوْحِ ، ثم سَاقَاهُ كَذَلِكَ ، ثم فَخِذَاهُ ولِكُلِّ عُضْوٍ سَكْرَةٌ بَعْدَ سَكْرة ، وكُرْبَةٌ بَعْدَ كُرْبَةٍ حَتى يَبْلُغَ بِهَا الحُلْقُومَ .

فَعِنِدَ ذلك يَنْقَطِعُ نَظَرُهُ عن الدنيا وأهْلِهَا، ويُغْلَقُ دُوْنَهُ بابُ التَّوبَةِ ، وتُحْيطُ به الحَسْرَةُ والنَّدامَةُ والهُمُوم ، والغُمُومُ ، وسَائِرُ الأحْزَان .

نَسأل الله العلي العظيم الحي القيوم ذا الجلال والاكرام أنْ يَلْطَفَ بنا ويتداركنا بعَفِوه وغُفْرانِهِ وجُوْدِهِ وإحْسَانه .

ويُرْوَى أنَّ العَبْدَ يَقُولُ لِمَـلَكِ الموتِ عِنْدَ الموتِ يا مَلَكَ الموتِ أخِّرْني يَوْماً أسْتَعْتِبُ فيه وأتُوبُ إلى رَبي وأعْمَلُ صَالحاً فيقُولُ لَهُ فَنِيتِ الأيامُ فلا يَوْمْ فَيَقُوْلُ أخِّرْني سَاعِةً فَيَقُــول فَنِيتِ الساعاتُ فلا سَاعَةْ .

فَتَبْلُغُ الرُوْحُ الحُلْقُومَ فَيُؤْخَذُ بِكَضْمِهِ عِنْدَ الغَرْغَرَةِ فَيُغْلَقُ بابُ التَّوبَةِ دُوْنَهُ ، ويُحْجَبُ عَنْهَا وتَنْقَطِعُ الأعْمالُ وتُطْوَى الصُحُفُ وتَتِمُّ الأوْقَاتُ ويَبْقَى عَدَدُ الأنْفَاس يَشْهَدُ فيها المُعَايَنَةَ عِنْدَ كَشْفِ الغِطَاء .

اللهم إنا نَسْألُكَ حَيَاةً طَيِّبَةً ، ونَفْساً تقيَّة ، وعِيْشَةٍ نَقِيَّة ، ومِيْتَةً سَوِيَّة ، ومَرَداً غَيْرَ مُخْزِي ولا فاضح .

اللهم اجعلنا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح ، ومن المؤيدين بنصرك وتأييدك ورضاك يارب العالمين .

« اللهم مالكَ الملك تؤتي الملك من تشاء وتُنزع الملك ممن تَشاء وتُعِز مَن تشاء وتُذِلُ مَن تشاء بيَدِكَ الخيرُ إنكَ على كل شيءٍ قدير » .

يا وَدُوْدُ يَا ذَا العَرش المجيد يا مُبْدِيءُ يا مُعِيْد يا فَعَالٌ لما تُريد نسألك بنور وجهك الذي ملأ أركانَ عرشك وبِقُدرِتكَ التي قدرتَ بها على جميع

خلقكَ وبرحمتك التي وسِعَت كل شيء لا إله إلا أنت أن تغفر ذُنُوبَنا وسَيئاتِنا وأنْ تبدلها لنا بحسنات إنك جوادٌ كريم رؤوفٌ رحيم .

اللهم افتح لدعائنا باب القبول والإجابة واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فصــــل)

ثم اعلم أنه يَنْبَغِي لِمَنْ لا يَدْرِي مَتَى يَبْغتُهُ الموتُ أنْ يَكُونَ مُسْتَعِداً لَهُ خَشْية أنْ يَفْجاه.

اغْتنِمْ في الفَراغِ فَضْلَ ركوعٍ   فعسى أنْ يَكُونَ مَوْتُكَ بَغْتَةْ
كم صَحِيْحٍ رَأَيْتَ مِن غير سُقْمٍ   ذَهَبَتْ نَفْسُهُ العزيزةُ فَلْتَةْ

ولا تَغْتَرَّ بالشباب والصِحَّة لا سِيْما في وقْتِنا الذي كَثُرتْ فيه الحَوادِث بأسْباب الآلاتِ الحدِيْثَةِ مِن سَيَّاراتٍ وطَائِراتٍ ودَبَّابات ونحوها فأكثر من يَمُوتُ الشباب، وأقل من يَمُوت الأشياخ ولِهذا يَنْدُرْ مَن يَكْبُر وأنْشَدُوا في ذلك.

يُعَمَّرُوا حِدٌ فَيَغُرُّ أَلْفاً   ويُنْسَى مَن يَمُوتُ من الشَّبَاب

آخر(لا تَغْتَرِرْ بِشَابٍ نَاعِمٍ خَظِلٍ   فكَمْ تَقَدَّم قَبْلَ الشَّيب شُبَّانُ

ومِن الاغْتِرَار طُولُ الأمل ومامِن آفة أعْظم منه، فإنَّه لوْلا طولُ الأمل مَاوَقَعَ إهْمَال أصْلاً وإنما يُقْدِم الإنسانُ على المعاصي ويُؤخِرُ التَّوْبةَ لِطُول الأمل وإنْ لم تَسْتَطِعْ قَصْر الأملِ فاعْمَلْ عَمَل قَصِيْر الأمل ولا تمُسْ حتَّى

تَنْـظُرْ في يَومـك وتُحَاسِبْ نَفْسَكَ فإنْ رَأيْتَ زَلَّةً فامْحُها بالتَّوبة الصَّادِقةِ النَّصُـوحِ والاسْتِغْفَـارِ والباقيات الصالحات وإذا أَصْبحْتَ فعَليك بتلاوة كلام الله والبـاقيات الصـالحات وتأمل مَا مَضى في ليْلك ونهارك واحذر التسويف فإنّهُ أكبرُ جُنُود إبليس.

وكُـنْ صارِمًـا كالـوَقْتِ فالمَقْتُ في عَسَى　　وإيَّاكَ مَهْـلاً فهـي أَخْـطَرُ عِلَّتـي

بِسَيْفِ العَـزْمِ سَوْفَ فاتَجُـدْ　　تَجِـدْ نفَسـاً فالنَّفْسُ إنْ جُدْت جَدَّتِ

ثم صَوِّرْ لِنَفْسِكَ قِصَر العُمر وكَثْرَةَ الأشْغَالِ وَقُوةَ النَّدمِ على التفريطِ عنـد المـوتِ وطُـولَ الحَسْرَةِ على عَدَمِ البِدَار بَعْدَ الفَوْتِ وصَوِّرْ ثوابَ الكـامِلينَ وأنْتَ نَاقِص والمُجْتَهِدِيْنَ وأَنْتَ مُتكاسَلْ ولا تُخْلُ نَفْسكَ مِن مَوْعِظة تسْمِعَها وفِكْرَةٍ تُحَادِثُهَا بها.

والنَّفْسُ كالطِّفْلِ إن تُهْمِلْهُ شَبَّ على　　حُبِّ الـرضـاعِ وإنْ تفطِمْه يَنْفَطِمِ

وراعِهـا وهي في الأعْمَـالِ سَائِمَـةً　　وإن هِي اسْتَحلَتِ المرعى فلا تَسِمِ

كَمْ حَسَّـنَـتْ لَذَّةً لِلْمَـرْءِ قاتِـلَةً　　مِن حَيْثُ لم يَدْرِ أنَّ السُّمَ في الـدَّسَمِ

اللّهُمّ يا مَنْ لا تَضُرُّهُ المعصيَةُ ولا تَنْفَعُه الطَّاعَةُ أيقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الغَفْلَةِ ونَبِّهنْا لاغْتِنَام أوْقَاتِ المُهْلَةِ ووَفِّقْنَا لِمصالِحنا واعْصِمْنَا مِنْ قبائِحنا وذُنُوبنا ولا تؤاخِـذْنـا بما انْطَوَتْ عليْهِ ضمائِرُنا واكَنَّتْهُ سرائرُنا من أنْواعِ القَبَائحِ والمعائِبِ التي تَعْلَمُها مِنّا واغْفِرّ لنا ولِوالديْنا ولجميع المُسْلِمين الاحياءِ منهُمْ والميتين بِرَحْمَتِك يا أرحم الراحمين وصلى الله على مُحمدٍ وعلى آلهِ وصحبه أجْمعين.

(فصــــل)

قال أَحَدُ العُلماء إخواني مَثَلُ أهل الدُنْيا في غَفْلتِهِمْ وطولِ أَمَلِهِمْ كَمثلِ الحاجِ نزلُوا منزلاً فقام قومٌ يقْطعُون الصُخُورَ ويبْنُون البُيُوتَ والدَّكاكِين ويَعْمَلُونَ أعمال مَنْ لم يخْطُرِ الموتُ لهم على بال فقال المستيقظُوْن منهم ويْحَكُم ماهذا البَلهُ والتَّغْفِيل الرَّحِيْلُ عن هذا المنزل بعْد ساعة، فانتَبِهُوا فلم يَشْعُرُوا حتَّى نُودِي بالرحِيْل فتركُوا المَنْزِل ومافيه.

شــعرا:

لا يُلْهِيَنَّكَ مَنزلٌ لَعِبَتْ بِهِ أَيْدِي البلى مِن سَالِف بالأزْمَانِ
فَلقد تَرحَّل عنه كُلُ مَسَرَّةٍ وتَبَدَّلَتْ بالهمّ والأحْزانِ

وقال إنَّهُ بِقَدرِ إجْلالِكُم لله عزَّ وجَل يُحِبكُمْ وبِقَدْرِ تَعْظِيْم قَدْرِهِ واحْتِرَامِهِ يُعَظِمْ أَقْدَاركَمْ وحُرْمَتكُمْ ولقدْر أيتُ مَنْ أنْفق عُمُرَهُ في العِلْم إلى أن كبرتْ سِنُّه ثم تعدَّى الحُدود فهان عند الخلق وكانوا لا يلتفتُون إليهِ مع غزارَةِ عِلْمِهِ وقُوَّةِ مُجاهَدَتِهِ، ولَقَدْ رَأَيْتُ مَن كان يُرَاقِبُ الله عَزَّ وجَل في صَبْوتِهِ مع قُصُوْرِهِ بالإضافَةِ إلى ذلك العَالِم فعَظَّم الله قدْرَهُ في القُلُوب حَتَّى عَلِقَتْهُ النُفُوسُ وَوَصَفَتْهُ بِما يزيْد فيْه مِن الخير إهـ وقال متى تكامَل العَقْلُ فَقدَتْ لَذَّةُ الدُنْيَا فتضاءل الجِسْمُ وقَوِي السُقْمُ واشْتَدَّ الحُزْن لأنَّ العَقْل كُلَّما تَلمَّح العواقب أعْرض عن الدنيا والتفَت إلى ما تَلمَّح ولا لذَّة عنده بشيء من العاجِل وإنَّما يلتَذُّ أهل الغفلة عن الآخِرة ولا غَفْلة لكامِل العقل» اهـ.

ذُو الـعَـقْــلِ يشْقى بالنَّعيم بعَقلِهِ   وأخــوُ الجهــالـة بالجهـالـةِ يَنْعَمُ

اللَّهُمَّ ثَبتْ مَحَبَّتـك في قُلُوبنـا وقوِّها وألْهِمْنا ذِكْرِكَ وشُكْرَكْ ووفِّقْنا لِلْقِيَام بِأمْـرِكْ واعِـذْنـا من عَدُونـا وعَـدوِّكْ واغْفِـرْ لنـا ولِوالِدَيْنا ولِجَمِيْع المُسْلِمين الأحْيَاءِ مِنْهُمْ والميِّتِيْنَ برحمتِك يا أرْحَم الرَّاحِمِيْنَ وصلى الله على مُحمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

شِعْرا :

أكْدَحْ لِنَفْسكَ قَبْلَ الموتِ في مَهَلٍ   ولا تكن جاهلاً في الحــــق مُرْتاباً

إن المنيّــــة مَورُودٌ مَناهِلُهـــــــا   لابُدَّ مِنْهَـــا ولو عُمِّرتَ أحْقاباً

وفي اللَّيَــــالي وفي الأيام تَجْربةٌ   يَزْدادُ فيهـــــا أولُو الألْباب ألباباً

بَعْدَ الشباب يَصِير الصَّلْبُ مُنْحَنِياً   والشَّعرُ بعدَ سَوادٍ كانَ قَدْ شَابَا

يُفْنِي النُفُوسَ ولا يُبْقِي على أحَدٍ   لَيلٌ سَرِيعٌ وشَمْسٌ كَرُّها دَابَا

لِمُستقرٍ ومِيقَـــــاتٍ مُقَـــــدَّرةٍ   حَتَّى يَعُودَ شُهودُ النَاسِ غُيَّابَا

ومَن تُعَاقِــــرهُ الأيامُ تُبْدِلُـــــهُ   بالجَار جاراً وبالأصْحَاب أصحَاباَ

خلَّوا بُروَجاً وأوطاناً مُشَـــيَّدَّةً   ومُؤنسِينَ وأصْهَـــــاراً وأنْسَاباَ

فَيالَهُ سَفَراً بُعْـــــداً ومُغْتَرَبـــــاً   كُسِيْتَ مِنه لِطُولِ النَّأْي أثْوَاباَ

بمُوحِشٍ ضَيِّقٍ نَـــــاءٍ مَحَلّتُــــهُ   ولَيْسَ مَن حَلَّهُ مِن غَيْبَـــةٍ آبَا

كَمْ مِن مَهيْبٍ عَظِيْم المُلْك مُتَّخِذٍ   دُونَ السُّرادِق حُرَّاساً وَحُجَّـــابَا

أضْحَى ذَليلاً صَغِيرَ الشأنِ مُنْفَردا   وما يُرَى عِنْدَهُ في القَبرِ بَوَّابَـــا

وقَبْلكَ الناسُ قَدْ عَاشُوا وقد هَلَكُوا   فأضْـرِبَ الحيُّ عن ذِي النَّأْيِ إضرابَا

اللهم ارحم ذلنا يوم يقوم الأشهاد وأمِّن خَوْفنا من فَزَع المعاد ووفقنا لما تنجينا به من الأعمال في ظلم الإلحاد ولا تخزنا يوم القيامة

إنك لا تخلف الميعاد واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصل الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصـــل)

قال رحمـه الله وا عجبًا من عارف بالله عز وجل يخُالِفهُ ولو أتلف نفسه، لما قال إبراهيم لاسماعيل «إني أرى في المنام أني أَذْبَحُكَ فانْظُر ماذا ترى قال يا أَبَتِي إفْعَلْ ما تؤمر سَتَجِدُني إنْ شاء الله من الصابرين» هل العيش إلا مع رضى الله وهل الدنيا والآخرة إلا له أُفٌّ لمُتَرَخِّصٍ في فِعْلِ ما يكره لنَيْلِ ما يُحب تاالله لقد فاتَهُ أضْعَافَ ما حَصَلَ أَقْبِلْ على ما أَقُولُ ياذا الذَّوق هل وقَعَ تعْثِيرٌ في عَيْشٍ وتخْبِيْطٌ في حالٍ إلا حال مخالفتِهِ، فبالله يا أرْبَابَ المُعاملةِ لا تكَدِرُوا المشرب قِفُوا على باب المراقبة وقوف الحـرس وادْفَعُـوا ما لا يَصْلَحُ عن أنْ يلجَ فيُفْسِـدَ واهجـرُوا أغـراضِكُمَ لتحصيل مايُحبُه الله إخواني لنفسي أقول فمنْ لهُ شُرْبٌ معي فليردْ أيَّتُها النَّفْسُ لقد أعْطاكِ مالَمْ تأمَلِي وبلَّغك مالم تَطْلُبي وستر عليك مِن قَبِيْحِكِ ما لو فاحَ لضجَّتِ المشامُ فما هذا الضجيج من فوات كمال الأغراض، ،قربت سفِينَةُ العُمُرِ من سَاحِلِ القَبْرِ ومالكِ في المَرْكَبِ بضاعَةٌ ترْبح بلغتِ نهاية الأجل وعيْنُ هُواكِ تتلفَّتُ إلى الصِّبا وا عجباً كُلما صعِد العُمُرُ نزلتِ وكلما جدَّ الموت هزُلْتِ.

بكَـتْ عينـي وحق لهـا بُكـاهــا على نَفْـسِـي الـتي عَصت الإلـــه
ومـن أوْلـى بطُول الحُـزْن مِنهـا وبـالآثـام قد قطعـت مداهـا

فلا تَقْــوىً تَصُــدُّ عن المعـاصِي ولا تخـشـى الإلــه ولا تنــاهـي
تَتُـوبُ من الإسـاة في صبـاحٍ وتـنْقُضُ قَبـل أن يأتِي مسـاهـا
وتـنْكُثُ عَهْـدهـا حِيْنًـا فحِيْنَـا كـأنَّ الله فيـه لا يراهـا
وَتَـقْعُـدُ عنْ حُقُـوق الله عَمْـدًا وتَـبْـغِي دائـمًـا مالاً وجـاهـا

قال بَعْضُهم يُوَبِّـخُ نَفْسَـهُ وَيْحَـكِ يا نَفْسُ كأنَّـكِ لا تُؤمِنِين بِيَوم الحِسابِ وتَظُنّينْ أنَّكِ إذا مِتِّ وانفلتِ وتخلَّصْتِ تُتْرَكِينْ هَيْهَاتَ هيْهاتْ، أمـا تعْلمِيْن أنَّ المـوتَ مَوْعِـدُكَ والقَبْـرَ بَيْتُـكِ والترابَ فِراشك، والدُوْدَ انِيْسُكِ، والفزع الأكبر بيْن يديكِ اعْمَلِي يا نَفْسُ بَقيَّةَ عُمُركِ في أيام قصار لأيام طِوَالٍ وفي دَارِ زوال لِدارِ مَقَامٍ، وفي دار حزنٍ ونكدٍ وكبدٍ ونصَبٍ ولَغَبٍ وهُمُـومٍ لِدَارِ سُرُورٍ وأفرا حٍ ونعيْم وخُلُود وهناءٍ إعملي قبْل طي الصَّحِيْفَةِ أُخْرُجي من الدنيا خُرُوْج الأتْقِياء الأحْرارِ قبْل أن تَخْرُجي خُرُوْج الأشقياء على الإضطرار ولا تَفْرحِي بما يُساعِدُ من زهرة الدنيا فَرُبَّ مَسْرُوْرٍ مَغْبُـونٍ ورُبَّ مَغْبُـونٍ لا يَشْعُر ووَيْلٌ لِمَنْ لهُ الوَيْلُ ثم لا يَشْعُر، يَضْحَكُ ويَفْرَحُ، ويَلْهو ويمْرَحُ، ويأكُلُ ويَشْرَب، وقد حقَّ له في كتاب الله أنه من وقود النار نسأل الله المعافاة في الدنيا والآخرة.

اللَّهُم وَفِّقْنا لِصالحِ الأعمال، ونَجِّنا مِن جميع الأهْوَالِ، وأمِنَّا مِنَ الفزع الأكبرِ يوم الرَّجْفِ والزلْزَالْ، واغْفِرْ لنا ولِوالِدَيْنا، ولِجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين بِرَحْمتِك يا أرحم الرَّاحِمين، وصلى الله على محمدٍ وآلِهِ وصحبه أجمعين.

شــعْرا:

أَجْنِبْ جِيَاداً مِن التَّقْوى مُضمَّرةً لِلسَّبْقِ يَومَ يَفُوزُ الناسُ بالسَّبَقِ
تَمُرُّ مَرَّ الرِّيَاحِ الهُوْجِ عَاصِفَـةً أَوْ لَمْحَةِ البَرْقِ إذَا يَجْتَازُ بالأُفُقِ
وَارْكُضْ إلىَ الغَايَةِ القُصْوى وخَلِّ لَهَا عِنَانَ صِدْقٍ رَمَى في فِتْيَةٍ صُدُقِ
فإنَّ خلْفَكَ أَعْمَـالاً مُثَبِّطَـةً ولَسْتَ تَنْهَضُ إلاَّ وَيْكَ بالعَنَقِ
كَمْ حَلَّ عَزْمَكَ مِن دُنْيـاً مُعَرِّجَة بِقَصْدِكَ اليومَ عن مَسْلُوْكَةِ الطُرقِ
يَا غَافِلاً والمَنَايَا مِنْهُ ذَاكِرَةٌ وَضَاحِكاً والرَّدَى مِنْهُ عَلى حَنَقِ
قَطَعْتَ عُمْرَكَ في سَهْو وفي سِنَةٍ ومِنْ أَمَامِكَ لَيْلٌ دَائِمُ الأرَقِ
إنْتَهَى

آخــــر:

أَرَى النَّاسَ في الدُنّيا ، مَعافًى وَمُبتلىً وَمَازَالَ حُكمُ اللهِ في الأَرْضِ مُرْسَلا
مَضَى في جَميعِ النَّاسِ سابقُ عِلمهِ وَفَصّلَهُ ، مِن حيثُ شاءَ ، وَوَصّلا
وَلَسنْا عَلى حُلْوِ القَضاءَ وَمُرّهِ نَرَى حكَماً فينا ، مِنَ الله ، أعْدَلا
بَلاَ خَلْقَهُ بالخَيرِ وَالشرِّ ، فِتْنَةً لِيُرْغَبَ مِمّا في يَدَيْهِ وَيُسأَلا
وَلَمْ يَبْغِ إلاَّ أَنْ يَبُوءَ بِفَضْلِهِ عَلَينَا ، وَإلاَّ أَنْ نَتُوبَ ، فيَقْبَلا
هُوَ الأَحَدُ القَيّومُ مِنْ بَعدِ خَلقِه وَما زالَ في دَيمومَةِ المُلْكِ أَوّلا
وَمَا خَلَقَ الإِنْسَانَ إلاَّ لِغَـايَةٍ وَلَمْ يتْرِكِ الإِنْسَانَ في الأَرْضِ مُهمَلا
كَفَى عِبرَةً أَنّي وَأَنّكَ ، يا أَخي نُصرَّفُ تَصـريفاً لَطيفاً ، وَنُبتَلى
كأنّا ، وَقد صِرْنا حَـديثاً لِغَيرِنَا نُخاضُ كما خُضنْا الحديثَ لِمنْ خَلا
تَوَهَمْتُ قَوْماً قَدْ خَلَوْا ، فكأنّهمْ بأَجْمَعِهِمْ كانُوا خَيَـالاً تَخَيّـلا
وَلَستُ بأبْقَى منهُمُ في دِيارِهِمْ وَلكِنّ لِيَ فيهـا كِتـاباً مُؤَجَّـلا
وَما النّاسُ إلاَّ مَيّتٌ وَابنُ مَيّتٍ تأجّلَ حَيٌّ منهُـمُ ، أَوْ تَعَجّـلا
وَلا تَحْسَبَنّ اللهَ يُخْلِفُ وَعْدَهُ بِمَا كَانَ أَوْصَى المُرْسَلِينَ ، وَأَرْسَلا

هوَ المَوْتُ ياابنَ الموْتِ وَالبَعثُ بعدهُ ... فمِنْ بينِ مَبعوثٍ مُخفّاً ، وَمُثقَـلا
وَمِنْ بَينِ مَسحوبٍ على حُرِّ وَجْهِهِ ... وَمنْ بَينِ مَنْ يأتي أغَرّ مُحَجَّـلا
عَشِقْنَا ، مِنَ اللّذاتِ ، كُلَّ مَحرَّمٍ ... فأُفٍّ عَلَيْنَا ما أَغَـرّ وَأَجْهَـلا
رَكَنّا إلى الدّنْيـا فَطَـالَ رُكُونُنَـا ... وَلَسنَا نَرَى الدّنْيا ، على ذاكَ ، مَنزِلا
لَقَدْ كَانَ أقْوَامٌ مِنَ النَّاس قبلَنا ... يَعافُونَ مِنْهُنّ الحَـلالَ المُحَـلَّلا
فَلِلّهِ دارٌ ما أحَثَّ رَحيلَهَـا ... وَما أعرَضَ الآمَالَ فيها وَأطْـوَلا
أبَى المَرْءُ إلاَّ أنْ يَطُولَ اغترارُهُ ... وَتَأبَى بِـهِ الحالاتُ إلاَّ تَنَقّـلا
إذا أمّلَ الإنْسانُ أمْـراً ، فَنَـالَهُ ... فَمَا يَبتَغْي فَوْقَ الذي كَانَ أمّـلا
وَكَمْ من ذَليـلٍ عَزّ مِنْ بَعد ذِلّةٍ ... وَكَمْ من رَفيعٍ صارَ في الأرْض أسفَلا
وَلَمْ أر إلاَّ مُسلْمَـاً في وَفـاتِهِ ... وَإنْ أكثرَ البـاكي عَلَيهِ ، وَأعْـوَلا
وَكَمْ من عَظيمِ الشّأنِ في قعرِ حُفرةٍ ... تَلَحّفَ فيها بالثّرَى ، وَتَسَـرْبَلا
أيا صاحبَ الدّنْيا وَثِقْتَ بمَنْزِلٍ ... تَرَى المَوْتَ فيه ، بالعِبادِ ، مُوَكَّلا
تُنافِسُ في الدّنْيـا لتبلُغَ عِـزّها ... وَلَسْتَ تَنَالُ العِـزّ حتى تُـذَلَّلا
إذا اصْطَحَبَ الأقوامُ كَانَ أذَلُّهُمْ ... لأصحابِهِ نَفَساً ، أبَرَّ وَأفْضَـلا
وَما الفَضْلُ في أنْ يُؤثِرَ المَرْءُ نَفْسَهُ ... وَلكِنّ فَضْلَ المَـرْءِ أنْ يَتَفَضّـلا

إنْتَهَى

آخــر :

يا منَ يـريدُ طريقةً تُدْنيـه مِنْ ... ربِّ العبـادِ بصالحِ الأعْمَـالِ
وتُقيمُـه للاستقَـامةِ بعدُ في الأ ... حوالِ والأعْمَـالِ والأقـوالِ
وكذاكِ تُوصِـلُهُ إليها إنْ يَكُنْ ... ذَا هِمَّـةٍ لِمَـوَاقِعِ الأفضـالِ
هِيَ أنْ تُرِدْ تَحصيّلَهَا شيئآنِ أمَّا ... الأوَّلُ المقْصُـودُ في الأمثـالِ
حِفظُ الخَواطِـرِ بالحِراسةِ ثم كُنْ ... حَـذِراً مِنَ التّفْـريطِ والإهمـالِ
بلْ لَا تَكُونُ مَعَ الخَواطِر غَافِلاً ... مُسْترسلاً في مُـدَّةِ الإمهـالِ

أوْ مُؤْثِراً كُلَّ الفسَـادِ بأسْـرِهِ — منهَا يَجِيءُ وَلَيْسَ ذَا إشْـكَالِ

ولأنَّهـا لِلنَّفْسِ والشَّيطـانِ بَـذْ — رٌ في القُـلوبِ بِغَـيرِ ما إقْـلالِ

فإذا تمكَّنَ بَـذْرُهَـا مِنْ أرْضِهَـا — بالسَّقْي من ذِي الفاجِرِ المُجْتَالِ

إذا قَـدْ يَصيرُ بسَقْيِها مُتَعـاهِداً — والعَبْدُ في الغَفَلاتِ عن ذِي الحَالِ

حَتَّى تَصِيْرَ إذَا إرَادَتٌ كَـذا — حَتَّى تَصِيْرَ عَزَائِمُ الأفعـالِ

وَيَظَـلُّ يَسْقِيهَا ويُـدْمِنُ سَقْيها — حَتَّى تُغِـلَّ بأَخْبَثِ الأَعْمـالِ

هَيْهَاتَ إنَّ الدَّفعَ وهي خَواطِرٌ — لَوْ كَانَ ذاكَ بِأيسـرِ الأحْـوَالِ

فَهُنَاكَ يَصْعُب دَفْعُها مِن بَعدِ أن — صَارَت هُناكَ إرَادَةَ الأعمـالِ

وهُو المفرُّط حَيثُ كانتْ خَاطِراً — شَيْئاً ضَعِيْفاً غَيْرَ ذِي إخْمَالِ

مِثلَ الشرارة هانَ مِنها بدؤُها — والشأْنُ كلَّ الشأنِ في الإهمالِ

حَتَّى إذَا عَلقتْ هشيماً يابسـاً — وتمكَّنتْ مِنْ ذَاكِ بالإشعـالِ

عَجَز المفرِّطُ بعدُ عنْ إطفائِها — يا خَيْبَةَ المتَكَاسِلِ البَطَّـالِ

* * *

فإذا أَردتَ طريقـةً في حِفْظِها — إذ كُنْتَ ذا حِرْصٍ وذا إقبالِ

فاسمعْ إذاً أَسْـبَابَ موصـلةً إلى — تلكَ الطريقِ بأَوضحِ الأقـوالِ

عِلْمٌ بربكَ جـازمٌ مِنْ أنَّه — بالاطلاعِ ولَيْسَ ذا إهمالِ

لِلْقَلْبِ بالنظرِ الذِي هو وصفُه — والعلمِ بالخطراتِ في الأَحوالِ

وكذا الحَياء مِنَ الإلٰـه فـإنَّه — سَبَبٌ لها بالحفظِ والإكمـالِ

وكذاكَ إجـلالٌ لَهُ مِنْ أنْ يرى — في بيتِه المخلوقِ للإجـلالِ

كالحبِّ والتعظيمِ جَـلَّ جـلالُه — تلكَ الخَواطِرُ تَحض بالاغـلالِ

وكـذاكَ إيثـارٌ لَـهُ سُـبْحانَه — وهُوَ الغَـنيُّ فَجَلَّ عنْ أَمثـالِ

عنْ أنْ يُسَاكنَ قلبكَ المربُوبُ غير — الحُب للمبعودِ ذِي الإفْضَالِ

فَتَظَلُّ تَسْتَعِرُ اسْتِعَاراً يَأْكُلُ الإِ يْمَانَ مِنْ حُبٍّ وَمِنْ إجلالِ
مَعَ كُلِّ مافِي القلبِ مِنْ خَيْرٍفَيَذْ هَبُ جُمْلةً والعَبْدُ في إغْفالِ
وكَذَا مِن الأَسبابِ عِلْمُكَ إِنَّمَا تِلكَ الخَواطِرُ غَيْرَ ذِي إشكالِ
كالحَبِّ يُلقَى لِلطُّيُورِ لِصَيْدِها والعَبْدُ مَقْصُوداً لِذِي الأَحبالِ
يَصْطَادهُ الشيطانُ في فَخِ الرَّدَى والطُّعْمُ فيه خَواطِرُ الإِضلالِ
وكَذَا مِن الأَسبابِ عِلْمُكُ أَنَّها وخَواطِرِ الأَعمالِ والأَقوالِ

كالحبِّ والإِيْمانِ لَنْ يَتَلاقيَا في القلبِ إلا كالْتِقَى الأَبطالِ
بَلْ إنَّ دَاعِي الحُبِّ ثُمَّ إنَابَة ضِدَّ الخَواطِرِ فاسْتَمِعْ لِمَقَالِ
مِنْ كُلِّ وَجْهٍ والقِتَال فَقَائِمٌ حَتَّى يكونَ الضدُّ ذَا إِذْلَالِ
لَوْ كَانَ قَلبُكَ ذَا حَيَاةٍ ضَرَّهُ أَلَمُ المُصَابِ فَصَارَ ذا إقْبَالِ
لكنَّ قَلْبَكَ في البَطَالَةِ غَافِلٌ مَا كَانَ ذا هَمٍ وذَا إشْغَالِ
وكذَا مِنَ الأَسبابِ تَعْلَمُ أنها بَحْرٌ عَميقٌ مِنَ بُحُورِ خَيَالِ
والقلبُ يَفْرَقُ بَعْدَ مَا يَدْخُلْ بِهِ وَيَتِيهُ ثُمَّ بظُلْمَةِ الأَهوالِ
فَيَظَلُّ يَطْلُبُ لِلْخَلاصِ فَلَمْ يَجِدْ مِنْ ذَاكَ نَهْجاً يُنْجِ مِنْ أَوْبَالِ
أَوَ مَا تَرى أَنَّ الخَواطِرَ كلَّمَا غَلبَتْ لِقلبِكَ صَارَ ذا إذْلالِ
قَدْ أورثَتْهُ وَسَاوِساً ذَلَّ بِهَا حَتَّى اغْتَدى بالغَيرِ ذُو إشْغالِ
عَزلَتهُ عنْ سُلطَانِه ومَحِلِّهِ عنْ ذِي المَحَلِ المُشمَعِلِ العَالِ
وعَليه أَفسدَتْ الرَّعَايَا كُلَّهَا فالملكُ والسلطانُ في اضْمِحْلالِ
ورَمَتْهُ في الأَسرِ الطويلِ مُتَبَّلاً بِيَدِ الهَلاكِ يُجَرُ بالأَغْلالِ

* * *

وإذَا عَلِمْتَ بأَنَّ هَذا كُلَّهُ في الخَاطر النَّفْسيِّ ذِي الإِضلالِ
فَخَواطِرُ الإِيمانِ في قَلْبِ الفَتى لِلْخَيْر أصْلُ لَيْسَ ذَا إشْكَالِ

فَمَتَى بَذَرْتَ خَواطِرَ الإِيْمــانِ في ... أَرْضِ القُــلوبِ بِغَيْرِ ما إهْمَـالِ
مِنْ خَشْيَةٍ ومَحبَّـةٍ وإنَـابَةٍ ... وكَذَا رَجَاءِ ثَوَابِ ذِي الإِفْضَالِ
وكَذَلكَ التَّصـديقُ بالوَعْـدِ الَّذِي ... تَرْجُـوْهُ منه بِصَالِحِ الاعْمَـالِ
وَسَقَيْتَهـا مُتَكَرِّراً مُتَعَـاهِـداً ... وحَفِظْتَهَـا بالحِفْـظِ والإِكْمَـالِ
فهنـاكَ تُثْمِـرُ كُلَّ فِعْلٍ طيِّبٍ ... مِنْ صَالِحَاتِ القـولِ والأَفْعَالِ
وهُنَاكَ تملأُ قَلْبَه الخَـيراتُ وا ... لطَّاعَاتُ لِلْمَعْبُودِ ذِي الإِجْـلَالِ
وَهُنَاكَ السُـلْطانُ في سُلْطَـانِهِ ... قَدْ يَسْتَقِرُّ بِأَكْمَـلِ الأَحْـوالِ
وكَـذَا رَعِيَّتُـهُ اسْتِقَـامَةُ رَغْبَةٍ ... بَعْدَ اسْتِقَـامَتِـه مِنَ الإِضْـلَالِ

* * *

واعْلَمْ بأَنْ لابُـدَّ مِنْ شَرْطَيْن لا ... تَغْـتَرَّ بالإِغفـالِ والإِهمـالِ
أنْ لَا تَكُونَ لِوَاجبٍ أَوْ سُنَّةٍ ... بالتَّركِ ذُوْ عَجْـزٍ وذُوْ إغْفَالِ
أَوْ تَجْعَلْ الأَضدادَ مَوْضِعَ خَشْيَةِ ... الرَّحمنِ مِنْ حُبٍّ ومِن إِجْـلَالِ

* * *

هَـذَا وثاني ذَيْنِكَ الشَّيئَيْنِ إنْ ... رُمْتَ المقـالَ فَخُـذْهُ بالإِجمـالِ
صِـدْقُ التأَهُّبِ لِلِّقَـاءِ فإنَّـه ... مِنْ أَبْلَغِ الأَسـبابِ والأَعْمالِ
فَمَتَى اسْتَعـدَّ وكَانَ هَـذَا شأْنَه ... والشأْنُ كُل الشأْنِ في الإِقبـالِ
انْحلَّتْ الدُّنيـا جَمِيْعـاً وانْجَلَتْ ... عَنْ قَلْبِـه فاشْتَـاقَ لِلتَّرَحَـالِ
وهُنَاكَ يُخْبِتُ قَلبُـه لِلَّهِ جَـلَّ ... اللهُ عن نِـدٍ وعَنْ امْثَـالِ
وغَـدَا بِهِمَّتِـهِ مُنِيْبـاً عَـاكِفـاً ... بالقَـولِ والأَعْـمالِ والأَحْـوالِ
وهُنَاكَ يُحدثُ هِمَّـةً أُخرى بِها ... يَرْجُـو الفلاحَ بموقِفِ الأَهْـوالِ
فَتَكُـونُ نِسبَـةُ قَلْبِه فِيها إِلَى الأُ ... خْرَى كَهَـاذِي الدَّارِ بالأَطفالِ
أَوَ لَيْسَ بَطْنُ الأُم كَانَ حجَـابُهَا ... لِلْجِسْمِ في الدُّنيـا بلا إشْكَالِ
فَكَذَا حِجَابُ القلبِ كَانَ هُوَ الهـوى ... والنَّفْسُ مِنْ أَحـراه بالإِضـلَالِ

والحاصِلُ المقْصُودُ أنَّ جَمِيْعَ أعْمَا ... لِ القلوبِ وسائِرِ الأعْمَالِ
مِفْتَاحُها صِدْقُ التأهُّبِ لِلُّقا ... والفَاتِحُ المَعْبُودُ ذُو الإجلالِ

إنْتَهى

آخر :

وكُلُّ منْ نَامَ بِلَيْلِ الشَّبابْ ... يُوقِظُهُ الدَّهْرُ بِصُبْحِ المَشيبْ
يَا رَاكِبَ العَجْزِ ألاَ نَهْضَةٌ ... قد ضَيَّقَ الدَّهْرُ عَلَيكَ المَجَالْ
لا تَحسِبَنْ أنَّ الصِّبَا رَوْضَةٌ ... تَنَامُ فيهَا تَحْتَ فَيْءِ الظِّلَالْ
فَالعَيشُ نَومٌ والرَّدَى يَقْظَةٌ ... والمَرءُ مَا بَيْنَهُمَا كَالْخَيَالْ
والْعُمر قَد مَرّ كَمرِّ السَحَابْ ... والْمُلْتَقَىٰ بِاللهِ عَمَّا قَرِيب
وأنْتَ مَخْدُوعٌ بِلَمْعِ السرَابْ(١) ... تَحْسِبُهُ مَاءً ولاَ تَسْتَرِيبْ
فَكُلُّ مَنْ يَرجُو سِوَى اللهِ خَابْ ... وإنَّمَا الفَوزُ لِعَبدٍ مُنِيبْ
يَسْتَقْبِلُ الرُّجْعىٰ بِصِدْقِ الْمَتَابْ ... وَيَرقُبُ اللهَ الشَّهِيدَ القَرِيبْ
يَا حَسرَتَا مَرَّ الصِّبَا وانقَضَى ... وأقْبَلَ الشَّيْبُ يَقُصُّ الأَثَرْ
واخَجْلَتَا وَالرحْلُ قَدْ قُوِّضَا ... وَمَا بَقِي في الخُبْرِ غَيْرُ الخَبَرْ
وَلَيتَنِي لَو كُنْتُ فِيما مَضَىٰ ... أدَّخِرُ الزَّادَ لِطُولِ السَّفَرْ
قَدحَانَ مِن رَكْبِ التصَابِي إيابْ ... ورَائِدُ الرُشْدِ أطَالَ المَغِيبْ

إنْتَهى

آخر :

أسَأْتُ فَمَا عُذْرِيْ إذَا إنْكَشَفَ الغِطَا
وأظْهَرَ رَبُّ العَرْشِ مَا أنَا أسْتُرُ
إذَا اللَّهُ نَادَانِي بِيَوْمِ قِيَامَةٍ
تَعَدَّيْتَ حَدَّ العِلْمِ هَلْ أنْتَ تُوْجَرُ

أَسَــأْتَ إِلَى خَلْقِي وَحَقِّي تَــرَكْتَــهُ
فَــأَيْنَ الحَيَــا مِنِّــي فَــإِنِّي أَكْبَــرُ
دَعَـوْتَ إِلَى عِلْمٍ وأَظْهَـرْتَ حِكْمَـةً
وأَنْتَ عَلى الـدُّنْيَا عَكُـوفٌ مُشَمِّـرُ
وَخَالَفْتَ ما قَـدْ قُلْتَ وازْدَدْتَ غَفْلَةً
وَقَلْبُــكَ لِـلَّذَاتِ والـغِشِّ يُـضْـمِـرُ
ظَنَنْتَ بِــأَنِّي مُهْمِـلٌ لِامْــرِءٍ عَصَى
كَــأَنَّــكَ لَمْ تَعْلَمْ بِــأَنَّــكَ تُحْشَــرُ
هُنَــالِــكَ يَمْتَــازُ المُسِيْـؤْنَ كُلُّهُـمْ
فَــوَحَسْـرَتَــا إِنْ كُنْتُ مِمَّنْ يُحَسَّــرُ
فَيَــا حَيُّ يَــا قَيُّـومُ يَــا خَيْــرَ رَاحِمٍ
ومَنْ هُــوَ لِلزَّلَاتِ والــذَّنْبِ يَغْـفِــرُ
عَصَيْتُـكَ مِنْ لُؤْمِي ونَفْسِي ظَلَمْتُهَـا
وَذَنْبِيَ فِي عُمْــرِي يَــزِيْــدُ وَيَكْثُــرُ
وَلَـكِـنَّـنِـي إِنْ جِئْــتُ ذَنْبــاً وَزَلَّــةً
أُرَجِيْــكَ يــا رَحْمَنُ لِلْوَهْنِ تَجْبُــرُ
وَتَغْفِــرُ لِي ذَنْبِـيْ وتُصْلِحُ عِيْـشَتِـيْ
وتَــرْحَــمُ آبَــائِي فَــإِنَّــكَ تَـقْــدِرُ
وَأَرْجُـوكَ يَـا رَحْمَنُ إِذْ مَـا سَتَـرْتَنِي
بِـدُنْيَـايَ فِي يَــوْمِ القِيَـامَـةِ تَسْتُـرُ
إنْتَهَى

آخـــر :

قَطّعْتُ مِنْكِ حَبائِل الآمـالِ ، وَحَطَطْتُ عَنْ ظَهَرِ المَطي رِحالي
وَيئِسْتُ أنْ أبقَى لشيء نِلتُ ممّا فيكِ ، يا دُنيا ، وَأنْ يَبقَى لي
فَوَجَدْتُ بَرْدَ اليّأس بَيْنَ جَوانحي، وَأرَحْتُ مِنْ حَلَى وَمِنْ تَرْحالي
وَلَئِنْ يَئِسْتُ ، لَرُبّ بَرْقَةِ خُلّبٍ بَرَقَتْ لذي طَمَعٍ ، وبَرَقْةِ آلِ
ما كانَ أشأمَ ، إذْ رَجاؤكِ قاتلي، وَبَناتُ وَعْدِكِ يَعْتَلِجْنَ بِبَالي
فالآن ، يا دُنيا ، عَرَفْتُكِ فاذهبي، يا دَار كُلّ تَشَـتّتٍ وَزَوَالِ
وَالآنَ صَـارَ لِيَ الزّمانُ مؤدِّباً، فَغَـدَا عَلَيّ وَرَاحَ بالامْثَـالِ
وَالآنَ أبصَرْتُ السَبيلَ إلى الهُدَى، وَتفرّغَتْ هِمَمِيْ عَنِ الأشغـالِ
وَلَقَدْ أقامَ لِيَ المَشيبُ نُعاتَهُ ، يُفْضِي إليّ بمَفْـرِقٍ وَقَـذالِ
وَلَقَدْ رَيْتُ المَوْتَ يُبْرِقُ سَـيْفَهُ بيَدِ المَنيّة : حَيثُ كنتُ ، حِيالي
وَلَقَدْ رَأيْتُ عُرَى الحَياةِ تَخَرّمَتْ، وَلَقَدْ تَصَدّى الوَارِثُونَ لِمَالِي
وَلَقَدْ رَأيْتُ عَلَى الفَنَاءِ أدلّةً ، فِيْمَا تَنَكّرَ مِنْ تَصَرّفِ حَالِي
وَإذَا اعتبَرْتُ رَأيتُ خَطْبَ حوادِثٍ يَجـرِيْنَ بالأرْزاقِ ، وَالآجَـالِ
وإذَا تَنَاسبتِ الرّجالُ ، فما أرَى نَسَباً يُقاسُ بصالِحِ الأعْمـالِ
وَإذَا بحَثْتُ عَنِ التّقيّ وَجَـدْتُهُ رَجُـلاً ، يُصَدِّقُ قَوْلَهُ بفِعَـالَ
وَإذَا اتّقَى اللهَ امْرُؤٌ ، وَأطـاعَهُ ، فَيَــداهُ بَيْنَ مَـكارِمٍ وَمَعَـالِ
وَعَلى التّقِيّ ، إذَا تَرَسّخَ في التُّقَى، تَاجَانِ ، تاجُ سَكينَةٍ ، وَجَـلالِ
وَاللّيْلُ يَذْهَبُ وَالنّهارُ ، تَعَاوُراً بالخَلْقِ في الإدْبارِ ، وَالإقبـالِ
وَبِحَسْبِ مَنْ تُنْعَى إلَيْهِ نَفْسُهُ مِنْهُ بأيّامٍ خَلَتْ ، وَلَيَـالِ
إضربْ بطَرْفِكَ حَيثُ شِئتَ فأنْتَ في عِبَـرٍ لَهُنَّ تدَارُكٌ ، وَتَـوَالِ
يَبكِي الجَديدُ وَأنْتَ في تَجدْيْدِهِ، وَجَميعُ ما جَدَّدْتَ منهُ ، فبَـالِ
يأيّها البَطِرُ الذي هوَ في غَدٍ ، في قَبرِهِ ، مُتَفَـرِقُ الأوْصـالِ

حَذَفَ المُنى عَنهُ المُشَمِّرُ في الهُدى، … وَأَرى مُنَاكَ طَوِيلَةَ الأَذْيَالِ

وَلَقَلّ ما تَلْقى أغَرَّ لِنَفْسِهِ … مِنْ لاعِبٍ مَرِحٍ بها ، مُختالِ

يا تاجِرَ الغَيِّ المُضِرَّ بِرُشْدِهِ ، … حَتَّى مَتَى بالغَيّ أنْتَ تُغَالي

الحَمْدُ لِلَّهِ الحَميدِ بِمَنّهِ … خَسِرَتْ ، وَلم يَرْبَحْ يَدُ البَطّالِ

لِلَّهِ يَوْمٌ تَقْشَعِرّ جُلُودُهُمْ ، … وَتَشِيبُ مِنْه ذَوَائِبُ الأطْفالِ

يَوْمُ النّوازِلِ والزّلازِلِ ، وَالحَوا … مِلِ فيهِ ، إذْ يَقذِفْنَ بالأحْمَالِ

يَوْمُ التّغابُنِ ، والتّبايُنِ والتنّا … زُلِ ، وَالأُمُورِ عَظيمَةِ الأهْوَالِ

يَوْمٌ يُنَادَي فيهِ كُلُّ مُضَلِّلٍ … بِمُقَطَّعَاتِ النّارِ ، والأغْلالِ

لِلْمُتّقِينَ هُنَاكَ نُزْلُ كَرامَةٍ ، … عَلَتِ الوُجُوهَ بنَضرَةٍ ، وَجَمالِ

زُمَرٌ أضَاءَتْ لِلْحِسَابِ وُجُوهُها، … فَلَهَا بَرِيقٌ عِندَهَا وَتَلالي

وَسَوَابِقٌ غُرٌّ ، مُحَجَّلَةٌ ، جرَتْ … خُمْصَ البُطونِ ، خَفِيفَةَ الأثْقالِ

مِنْ كُلّ أشْعَثَ كَانَ أغْبرَ ناحِلاً، … خَلَقَ الرّداءِ ، مُرَقَّعَ السِّرْبالِ

حِيَلُ ابنِ آدَمَ في الأُمُورِ كَثيرَةٌ، … وَالمَوْتُ يَقطعُ حِيلَةَ المُحْتَالِ

نَزَلُوا بأكْرَمِ سَيّدٍ ، فأظَلّهُمْ … في دارِ مُلْكِ جَلالَةٍ ، وَظِلالِ

وَمِنَ النّعاةِ إلَى ابنِ آدَمَ نَفْسَهُ ، … حَرَكُ الخُطَى ، وطُلُوعُ كُلِّ هِلالِ

مالِيَ أرَاكَ لِحُرّ وَجْهِكَ مُخْلِقاً، … أخْلَقْتِ ، يا دنْيَا ، وُجُوهَ رِجالِ

قِسْتَ السؤّالَ،فكانَ أعْظَمَ قيمةً … مِنْ كُلِّ عَارِفَةٍ جَرَتْ بسُؤَالِ

كُنْ بالسؤّالِ أشَدَّ عَقْدِ ضَنَانَةٍ، … مِمّنْ يَضِنّ عَلَيْكَ بالأمْوَالِ

وَصُنِ المَحامِدَ مااستَطَعتَ، فإنّها … في الوَزْنِ تَرْجُحُ بَذْلَ كلّ نَوالِ

وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنَ المُثَمِّرِ مالَهُ، … نَسِيَ المُثَمِّرُ زِينَةَ الإقْلالِ

وَإذا امْرُؤٌ لَبِسَ الشُّكُوكَ بِعَزْمِهِ، … سَلَكَ الطّرِيقَ عَلى عُقودِ ضَلالِ

وَإذا ادَّعَتْ خُدَعُ الحَوادِثِ قَسْوَةٍ، … شَهِدَتْ لهُنّ مَصارِعُ الأبْطالِ

وَإذا ابتُليتَ ببَذْلِ وَجْهِكَ سائِلاً، … فابْذُلْهُ لِلْمُتَكَرّمِ ، المِفضَالِ

وَإذا خَشِيْتَ تَعَذُّراً في بَلْدَةٍ ، فاشْدُدْ يَدَيْكَ بعاجِلِ التّرْحالِ
وَأصْبِرْ عَلَى غِيرِ الزّمانِ ، فإنّما فَرَجُ الشّدائِدِ مِثْلُ حَلِّ عِقالِ
إنْتَهى

آخـر :

غَفَلْتُ وَحَادِيْ المَوْتِ في أثَرِيْ يَحْدُوْ
فَإنْ لَمْ أرُحْ يَوْمِيْ فَلا بُدَّ أنْ أغْدُ

أُنَعِّمُ جِسْمِيْ بِاللِّبَاسِ وَلِيْنِهِ
وَلَيْسَ لِجِسْمِيْ مِنْ لِبَاسِ البِلَى بُدُّ

كَأنِّيْ بِهِ قَدْ مَرَّ في بَرْزَخِ البِلَى
وَمِنْ فَوْقِهِ رَدْمٌ وَمِنْ تَحْتِهِ لَحْدُ

وَقَدْ ذَهَبَتْ مِنِّيْ المَحَاسِنُ وَانْمَحَتْ
وَلَمْ يَبْقَ فَوْقَ العَظْمِ لَحْمٌ وَلاَ جِلْدُ

أرَى العُمْرَ قَدْ وَلَّى وَلَمْ أُدْرِكِ المُنَى
وَلَيْسَ مَعِيْ زَادٌ وَفي سَفَرِيْ بُعْدُ

وَقَدْ كُنْتُ جَاهَرْتُ المُهَيْمِنَ عَاصِياً
وَأحْدَثْتُ أحْدَاثاً وَلَيْسَ لَهَا رَدُّ

وَأرْخَيْتُ خَوْفَ النّاسِ سِتْراً مِنَ الْحَيَا
وَمَا خِفْتُ مَنْ سِرّيْ غَداً عِنْدَهُ يَبْدُو

بَلَى خِفْتُهُ لَكِنْ وَثِقْتُ بِحِلْمِهِ
وَأنْ لَيْسَ يَعْفُو غَيْرُهُ فَلَهُ الحَمْدُ

فَلَوْ لَمْ يَكُنْ شَيءٌ سِوَى المَوْتِ وَالبِلَى
عَنِ اللّهْوِ لَكِنْ زَالَ عَنْ رَأْيِنَا الرُّشْدُ

عَسَى غَـافِرُ الـزَّلاَّتِ يَغْفِـرُ زَلَّتِيْ
فَقَـدْ يَغْفِرُ اَلمَـوْلَى إذَا أَذْنَبَ العَبْـدُ
أَنَـا عَبْدُ سُـوْءٍ خُنْتُ مَـوْلايَ عَهْـدَهُ
كَـذَلِكَ عَبْـدُ السُّـوءِ لَيْسَ لَـهُ عَهْـدُ
فَكَيْفَ إِذَا أَحْـرَقْتَ بِـالنَّـارِ جُثَّتِيْ
وَنَـارُكَ لاَ يَقْوَى لهَـا الحَجَرُ الصَّلْدُ
أَنَا الفَرْدُ عِنْدَ المَوْتِ وَالفَرْدُ في البِلَى
وَأَبْعَثُ فَـرْداً فَـارْحَمْ الفَـرْدَ يَـا فَـرْدُ
إنْتَهَى

اخـــر :

تَفِيْضُ عُيُـوْنِي بِـالـدُّمُـوعِ السَّـوَاكِبِ
وَمَـالِيَ لا أبكِـي عَلى خَيْـرِ ذَاهِبِ
عَلى العُمْـرِ إذْ وَلَّى وَحَـانَ انْقِضَـاؤُهُ
بِـآمَـالِ مَـغْـرُوْرٍ وَأَعْمَـالِ نَـاكِـبِ
عَـلى غُـرَرِ الأَيَّـامِ لَمَّـا تَـصَـرَّمَتْ
وَأَصْبَحْتُ مِنْهَـا رَهْنَ شُؤْمِ المَكَاسِبِ
عَلى زَهَـرَاتِ العَيْشِ لَمَّـا تَسَـاقَطَتْ
بِـرِيْـحِ الأَمَـانِيْ وَالـظُّـنُوْنِ الكَـوَاذِبِ
عَلى أَشْـرَفِ الأَوْقَاتِ لَمَّـا غُبِنْتُهَـا
بِـأَشْـوَاقِ غَـبْـنٍ بَـيْـنَ لاَهٍ وَلاَعِـبِ
عَلى أَنْفَسِ السَّـاعَـاتِ لَمَّـا أَضَعْتُهَـا
وَقَـضَّـيْتُـهَـا فـي غَـفْـلَةٍ وَمَـعَـاطِبِ

عَلى صَـرْفِيَ الأَيَّـامَ في غَيْـرِ طَـائِـلٍ
وَلَا نَـافِـعٍ مِنْ فِعْـلِ فَضْـلٍ وَوَاجِبِ
عَلى مَـا تَـوَلَّى مِنْ زَمَـانٍ قَضَيْتُـهُ
وَزَجَّيْتُـهُ فـي غَيْـرِ حَـقٍّ وَصَـائِـبِ
عَلى فُـرَصٍ كَانَتْ لَـوْ أَنِّيْ انْتَهَـزْتُهَـا
لَقَـدْ نِلْتُ فِيْهَا مِنْ شَـرِيْفِ المَطَالِبِ
وَأَحْيَـانَ آنَـاءٍ مِنْ الـدَّهْـرِ قَـدْ مَضَتْ
ضَيَـاعـاً وَكَـانَتْ مَوْسِمـاً لِلرَّغَـائِبِ
عَـلى صُحُـفٍ مَشْحُـوْنَـةٍ بِمَـآثِـمٍ
وَجُـرْمٍ وَأَوْزَارٍ وَكَـمْ مِـنْ مَـثَـالِـبِ
عَلى كَمْ ذُنُـوبٍ كَمْ عُيُـوْبٍ وَزَلَّـةٍ
وَسَيِّئَـةٍ مَـخْشِيَّـةٍ فِيْ الـعَـوَاقِـبِ
عَلى شَهَـواتٍ كَـانَتْ النَّفْسُ أَقْـدَمَتْ
عَلَيْهَـا بِـطَبْـعٍ مُسْتَحَثٍّ وَغَـالِـبِ
عَـلى أَنَّنِـيْ آثَـرْتُ دُنْـيَـا دَنِـيَّـةً
مُنَغَّصَـةً مَشْحُـوْنَـةً بِـالمَعَـائِـبِ
عَـلى عَمَـلٍ لِـلْعِلْمِ غَـيْـرِ مُـوَافِقٍ
وَمَـا فَضْـلُ عِلْمٍ دُوْنَ فِعْـلٍ مُنَاسِبِ
عَلى فِعْـلِ طَـاعَـاتٍ بِسَهْـوٍ وَغَفْلَةٍ
وَمِـنْ غَيْـرِ إِحْـضَـارٍ وَقَلْبٍ مُـرَاقِبِ
أُصَلِّي الصَّلَاةَ الخَمْسَ وَالقَلْبُ جَائِـلٌ
بِـأَوْدِيَـةِ الأَفْكَـارِ مِنْ كُـلِّ جَـانِـبِ

عَلى أَنَّنِيْ أَتْلُوْ الْقُرْآنَ كِتَابَهُ
تَعَالَى بِقَلْبٍ ذَاهِلٍ غَيْرِ رَاهِبِ
عَلى طُوْلِ آمَالٍ كَثِيْرٍ غُرُوْرُهَا
وَنِسْيَانِ مَوْتٍ وَهُوَ أَقْرَبُ غَائِبِ
عَلى أَنَّنِي قَدْ أَذْكُرُ اللّهَ خَالِقِيْ
بِغَيْرِ حُضُوْرٍ لاَزِمٍ وَمُصَاحِبِ
عَلى أَنَّنِيْ لاَ أَذْكُرُ القَبْرَ وَالبِلَى
كَثِيْراً وَسَفْراً ذَاهِباً غَيْرَ آيِبِ
عَلَى أَنَّنِيْ عَنْ يَوْمِ بَعْثِيْ وَمَحْشَرِيْ
وَعَرْضِيْ وَمِيْزَانِيْ وَتِلْكَ المَصَاعِبِ
مَوَاقِفُ مِنْ أَهْوَالِهَا وَخُطُوْبِهَا
يَشِيْبُ مِنْ الوِلْدَانِ شَعْرُ الذَّوَائِبِ
تَغَافَلْتُ حَتَّى صِرْتُ مِنْ فَرْطِ غَفلَتِيْ
كَأَنِّي لاَ أَدْرِيْ بِتِلْكَ الْمَرَاهِبِ
عَلى النَّارِ أَنِّي مَا هَجَرْتُ سَبِيْلَهَا
وَلاَ خِفْتُ مِنْ حَيَّاتِهَا وَالعَقَارِبِ
عَلى السَّعْيِ لِلْجَنَّاتِ دَارِ النَّعِيْمِ وَالْـ
كَرَامَةِ والزُّلفَى وَنَيْلِ المَآرِبِ
مِنْ العِزِّ وَالمُلْكِ المُخَلَّدِ وَالبَقَا
وَمَا تَشْتَهِيْهُ النَّفْسُ مِنْ كُلِّ طَالِبِ
وَأَكْبَرُ مِنْ هَذا رِضا الرَّبِّ عَنْهُم
وَرُؤْيَتُهُمْ إِيَّاهُ مِنْ غَيْرِ حَاجِبِ

فَـآهـاً على عَيْشِ الأَحِبَّـةِ نَـاعِمـاً
هَنِيْئـاً مُصَفًّى مِنْ جَمِيْـعِ الشَّـوَائِبِ
وَآهَـاً عَـلَيْنَـا فِـيْ غُـرُوْرٍ وَغَـفْـلَةٍ
عَنْ المَـلاَءِ الأَعْلَى وَقُرْبِ الحَبَـائِبِ
وَآهَـاً على مَا فَـاتَ مِنْ هَـذِيْ سَـادَةٍ
وَمِـنْ سِـيْـرَةٍ مَـحْـمُـوْدَةٍ وَمَـذَاهِـب
عَـلَى مَـالَـهُـمْ مِنْ هِـمَّـةٍ وَعَـزِيْـمَـةٍ
وَجِـدٍّ وَتَـشْـمِـيْـرٍ لِـنَـيْـلِ الـمَـرَاتِـب
عَـلى مَـالَـهُـمْ مِنْ عِـفَّـةٍ وَفُتُـوَّةٍ
وَزُهْـدٍ وَتَجْـرِيْـدٍ وَقَـطْعِ الجَـوَاذِبِ
عَلى مَالَهُمْ مِنْ صَوْمِ كُـلِّ هَجِيْرَةٍ
وَمِـنْ خَلْوةٍ بِـالـلهِ تَحْتَ الغَيَـاهِبِ
عَلى الصَّبْـرِ وَالشُّكْـرِ اللذَيْنَ تَحَقَّقَـا
وَصِـدْقٍ وَاخْـلاَصٍ وَكَمْ مِنْ مَنَـاقِبِ
عَلى مَـاصَفَـا مِنْ قُـرْبِهِمْ وَشُهُـوْدِهِمْ
وَمَـا طَـابَ مِنْ أَذْوَاقِهِمْ وَالمَشَـارِبِ
وَأَسْتَغْـفِـرُ الـلّهَ الـعَـظِيْـمَ جَـلاَلُـهُ
وَقُـدْرَتُـهُ في شَـرْقِهَـا وَالـمَغَـارِبِ
إِلَيْـهِ مَـآبِيْ وَهُـوَ حَسْبِـيْ وَمَلْجَئِيْ
وَلِيْ أَمَـلٌ في عَطفِـهِ غَيْـرُ خَـائِبِ
وَأَسْـأَلُـهُ التَّـوْفِيْقَ فِيْمَـا بَقِيْ لِمَـا
يُحِبُّ وَيَـرْضَى فَهُـوَ أَسْنَى المَـطَالِبِ

وَأَنْ يَتَغَشَّانَا بِعَفْوٍ وَرَحْمَةٍ
وَفَضلٍ وَإِحْسَانٍ وَسَتْرِ المَعَائِبِ
وَأَنْ يَتَوَلَّانَا بِلُطْفٍ وَرَأْفَةٍ
وَحِفْظٍ يَقِيْنَا شَرَّ كُلِّ المَعَاطِبِ
وَأَنْ يَتَوَفَّانَا عَلى خَيْرِ مِلَّةٍ
عَلى مِلَّةِ الاسْلَامِ خَيْرِ المَوَاهِبِ
مُقِيمِيْنَ لِلْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الَّتِي
أَتَانَا بِهَا عَالِي الذُّرَى وَالمَرَاتِبِ
مُحَمَّدٌ الهَادِي البَشِيْرُ نَبِيُّنَا
وَسَيِّدُنَا بَحْرُ الهُدَى وَالمَنَاقِبِ
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَهِ ثُمَّ سَلَامُهُ
وَآلٍ وَأَصْحَابٍ لَهُ كَالكَوَاكِبِ

وَلِلأَمِيْرِ الصَّنْعَانِيِّ في الحَثِّ عَلى تَدَبُّرِ كِتَابِ اللهِ وَالتَّفَكُّرِ في آيَاتِهِ والثَّنَاءِ عَلى اللهِ قَصِيْدَةٌ بَلِيْغَة .

الوَارِدَاتُ عَلَيْنَا كُلُّهَا مِنَنٌ
مِنْ رَبِّنَا فَلَهُ الاحْسَانُ وَالحَسَنُ
إِنَّا لَنَا كُلُّ شَيءٍ مِنْ مَوَاهِبِهِ
مَا لا تُحِيْطُ بِهِ عَيْنٌ وَلَا أُذُنُ

فَشُكْرُ بَعْضِ أَيَادِيْهِ التِي شَمَلَتْ
عَنْ شُكْرِهَا يَعْجَزُ العَلَّامَةُ اللُّسِنُ

يَـا عَـالِمَ الغَيْبِ لَا يَخْفَـاهُ خَـافِيَـةٌ
وَعِـلْمُـهُ يَـتَسَـاوَى الـسِّـرُّ وَالـعَلَنُ

أَهْـلُ البَسِيْـطَةِ طُـرّاً تَحْتَ قَبْضَتِـهِ
وَكُـلُّهُـم بـالـذِيْ يَـأْتِيْـهِ مُـرْتَـهَـنُ

بِـحِكْمَـةٍ وَبِـعِلْمٍ كَـانَ مُبْتَـدِئـاً
هَذَا الوُجُـوْدَ الذِي حَـارَتْ لَهُ الفِـطَنُ

دَحَى البَسِيْطَةَ فَـرْشَـاً لِـلأَنَـامِ وَقَـدْ
عَلَتْ عَلَيْهَـا الجِبَـالُ الشُّـمُّ وَالقُـنَنُ

كَـيْـلَا تَمِيْـدَ بِـأَهْـلِيْهَـا وَأَوْدَعَـهَـا
لَهُم مَنَـافِعَ إِنْ سَـارُوا وَإِنْ قَـطَنُـوْا

بَنَى السَّمَـاءَ بِـأَيْـدٍ فَـوْقَهَـا وَحَـوَتْ
عَجَائِبـاً أَعْـرَضُـوا عَنْهَـا وَمَـا فَـطِنُـوْا

فَـفِيْ الـتَّـأَمُّـلِ فِي آيَـاتِـهَـا عِـبَـرٌ
لَـوْ كَـانَ يُـطْلَقُ عَنْ أَفْكَـارِنَـا الـرَّسَنُ

وَقَـدْ حَكَى اللّٰهُ إِعْرَاضَ العِبَـادِ فَهَـلْ
غَـطَّى عَلَى العَيْنِ مِنْ أَفْكَارِنَـا الوَسَنُ

إِنَّ الـتَّفَـكُّـرَ فـي آيَـاتِ خَـالِـقِـنَـا
عِبَـادَةُ الفِكْـرِ فِيْهَـا الخَلْقُ قَـدْ غُبِنُـوا

تَـزْدَادُ بِـالفِكْـرِ إِيْمَـانـاً وَمَعْـرِفَـةً
فَـلَا يَـفُـوتُـكَ شَيءٌ مَـا لَـهُ ثَـمَنُ

مَنَّ الإِلَـهُ عَلَيْنَـا بِـالكِتَـابِ فَقُـلْ
يَـا مِنَّـةً قَصُـرَتْ مِنْ دُوْنِهَـا المِنَنُ

فَصَرِّفِ الفِكْرَ في الذِّكرِ الحَكِيْمِ تَجِدْ
فِيْـهِ العُلُومَ التِيْ لَمْ يَحْـوِهَـا الفَـطِنُ
آيَـاتُـهُ أَعْـجَـزَتْ كُـلًّا بـلاغَـتُـهَـا
وَأَبْـلَغُ الخَـلْقِ قَـدْ أَوْدَى بـِهِ اللَّكَـنُ
أَدِلَّـةٌ وَأَقَـاصِـيْـصٌ وَأَمْـثِـلَةٌ
لَـفْظٌ بَلِيْـغٌ وَمَـعْـنَـى فَـائِـقٌ حَـسَـنُ
غُصْ بَحْـرَه تَلْقَ فِيْـهِ الـدُّرَّ مُبْتَـذَلاً
وَفُلْكُ فِكْـرِكَ فـي أَمْـوَاجِـهِ السُّفُنُ
كَمْ قِصَّـةٍ وَصَفَتْ أَخْبَارَ مَنْ دَرَجُـوا
مِـنْ صَـالِـحٍ وَشَقِـيٍّ رَبُّـهُ الـوَثَـنُ
قِفْ بِـالمَثَـانِيْ تَـرَىٰ آيَـاتِهَـا عَجَبـاً
أَوْ بِـالـمِئِيْـنِ فَفِـيْهَـا كُـلُّهَـا المِـنَـنُ
أَوْ الـطِّوَالِ فَفِيْـهَـا العِـلْمُ أَجْمَـعُـهُ
خَـزَائِـنٌ هِيَ لِـلأَحْـكَـامِ تَـخْـتَـزِنُ
وَفـي الـمُـفَـصَّـلِ آيَـاتٌ مُـفَـصَّـلَةٌ
قَـوَارِعٌ لِـقُـلُوبٍ مَـا بِـهَـا دَرَنُ
إِنَّ الـذُّنُـوبَ لأَوْسَـاخُ القُلُوبِ فَـلَا
يَـكُنْ فُـؤَادُكَ بَيْـتـاً حَشْـوُهُ الـدِّمَـنُ
وَدَاوِ قَلْبَـكَ مِنْ قَبْـلِ المَمَـاتِ فَمَـا
يُجْـدِي الـدَّوَاءُ بِمَيْـتٍ بَعْـدَ مَـا دَفَنُـوا
بِمَـرْهَـمِ التَّوْبَـةِ الصِّدْقِ النَّصُـوْحِ فَذَا
هُـو الدَّوَاءُ لِـذَاكَ الدّاءِ لَـو فَـطِنُـوا

وَنَارُ ذَنْبِكَ تُطْفِيْهَا الدُّمُوْع إذَا
أَثَارَهَا الخَوْفُ مِنْ مَوْلَاكَ وَالحَزَنُ
بَادِرْ بِهَذَا الدَّوَا مِنْ قَبْلِ مِيْتَتِهِ
فَمَا لِسَهم القَضَا مِنْ دُوْنِهِ جُنَنُ
وَرُبَّ شَخْصٍ تَوَفَّى قَبْلَهُ وَثَوَى
في صَدْرِهِ فَهُوَ قَبْرٌ وَالحَشَا كَفَنُ
تَرَاهُ في النَّاسِ يَمْشِيْ حَامِلاً جَدَثاً
فَهَلْ بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا أَتَى الزَّمَنُ
فَأَسْأَلُ اللّهَ تَوْفِيْقاً يَكُونُ بِهِ
حُسْنُ الخِتَامِ فَفِيْهِ الفَوْزُ مُرْتَهَنُ
فَفِيْ الصَّلاةِ على خَيْرِ الوَرَىٰ وَعَلَى الآ
آلِ الكِرَامِ مَعَ التَّسْلِيْمِ يَقْتَرِنُ

وقال بعضهم يخاطب نفسه ويوبخها على تفريطها واهمالها :

يا نَفْسُ هَذَا الذِيْ تَأْتِيْنَهُ عَجَبُ
عِلْمٌ وَعَقْلٌ ولا نُسْكٌ وَلَا أَدَبُ
وَصْفُ النِّفَاقِ كَمَا في النَّصِّ نَسْمَعهُ
عِلْمُ اللِّسَانِ وَجَهْلُ القَلْبِ والسَّبَبُ
حُبُّ المَتَاعِ وَحُبُّ الجَاهِ فانْتَبِهِيْ
مِن قَبْلُ تُطوى عَلَيْكَ الصُّحفُ والكُتُبُ
وَتُصْبِحِيْنَ بِقَبْرٍ لَا أَنِيْسَ بِهِ
الأَهْلُ والصَّحْبُ لَمَّا أَلْحَدُوْا ذَهَبُوْا

وَخَلَّفُوكِ وَمَا أَسْلَفْتِ مِن عَمَلٍ
المَالُ مُسْتَأْخِرٌ والكَسْبُ مُضْطَحَبُ
واسْتَيْقِنِي أَنَّ بَعْدَ المَوْتِ مُجْتَمَعاً
لِلْعَالَمِيْنَ فَتَأْتِيْ العُجْمُ والعَرَبُ
والخَلْقُ طُراً وَيَجْزِيْهِمْ بِمَا عَمِلُوْا
في يَوْمٍ لا يَنْفَعُ الأَمْوَالُ والحَسَبُ
وَاخْشَيْ رُجُوْعاً إلى عَدْلٍ تَوَعَّدَ مَنْ
لَا يَتَّقِيْهِ بِنَارٍ حَشْوُهَا الغَضَبُ
وَقُوْدُهَا النَّاسُ والأَحْجَارُ حَامِيَةٌ
لَا تَنْطَفِيْ أَبَدَ الآبَادِ تَلْتَهِبُ
والبُعْدِ عَن جَنَّةِ الخُلْدِ التِي حُشِيَتْ
بالطَّيِّبَاتِ ولا مَوْتٌ ولا نَصَبُ
فِيْهَا الفَوَاكِهُ والأَنْهَارُ جَارِيَةٌ
والنُّوْرُ والحُوْرُ والوِلْدَانُ والقُبَبُ
وَهَذِهِ الدَّارُ دَارٌ لا بَقَاءَ لَهَا
لَا يَفْتِنَنَّكِ مِنْهَا الوَرْقُ والذَّهَبُ
والأَهْلُ والمَالُ والمَرْكُوبُ تَرْكَبُهُ
والثَّوبُ تَلْبَسُهُ فَالكُلُّ يَنْقَلِبُ

لا بَارَكَ اللهُ في الدُّنْيَا سِوَى عَوَضٍ
مِنْهَا يُعَدُّ إِذَا مَا عُدَّتِ القُرَبَ
يُرِيْدُ صَاحِبُهُ وجْهَ الإلَهِ بِهِ
دُوْنَ الرِّيَا إِنَّهُ التَّلْبِيْسُ والكَذِبُ

لَا يَقْبَـلُ اللهُ أَعْمَـالاً يُـرِيْـدُ بِـهَـا
عُمَّـالُهَـا غَيْـرَ وَجْـهِ اللَّهِ فَـاجْتَنِبُـوْا
تَمَّتْ وَصَلُّوا عَلَى المُخْتَـارِ سَيِّـدِنَـا
والآلِ والـصَّحْبِ قَـوْمٌ حُبُّهُـمْ يَـجِـبُ

من منظومة الآداب لابن عبد القوي رحمه الله

بِحَمْـدِكَ ذِي الإِكْرَامِ مَـا رُمْتُ أَبْتَدي
كَثِيْـراً كَمَـا تَـرْضَى بِغَيْـرِ تَحَـدُّدِ
وَصَـلِّ عَـلى خَـيْـرِ الأَنَـامِ وآلِـهِ
وأَصْحَـابِـهِ مِن كُـلِّ هَـادٍ وَمُهْتَـدِي
وَبَـعْـدُ فَـإِنِّي سَـوْفَ أَنْـظِمُ جُمْـلَةً
مِن الأَدَبِ المَـأْثُـوْرِ عَن خَيْرِ مُرْشِدِ
مِن السُّنَّـةِ الغَـراءِ أَوْ مِن كِتَـابِ مَنْ
تَـقَـدَّسَ عَنْ قَـوْلِ الـغُـواةِ وَجُحَّـدِ
ومِن قَـوْلِ أَهْـلِ العِلْمِ مِن عُلَمَـائِنـا
أَئِمَّـةِ أَهْـلِ السِلْمِ مِن كُـلِّ أَمْجَـدِ
لَـعَـلَّ إلـهَ الـعَـرْشِ يَـنْـفَـعُـنَـا بِـهِ
وَيُنْـزِلُنَـا في الحَشْـرِ في خَيْرِ مَقْعَـدِ
الأَمَن لَـه في العِلْمِ والـدِّيْنِ رَغْبَـةٌ
لِـيُصْـغِ بِـقَلْبٍ حَـاضِـرٍ مُـتَـرَصِّـدِ
وَيَقْبَـلَ نُصْحـاً مِن شَفِيْقٍ على الـوَرَى
حَـرِيْصٍ على زَجْرِ الأَنَـامِ عَنِ الرَّدِي

فَعِنْـدِيَ مِن عِلْمِ الحَـدِيْث أمَـانَـةٌ
سَأَبْذِلُهَا جُهْدِي فـأَهْـدِي واهْتَـدِيْ
ألاَ كُـلُّ مَن رَامَ السَّـلامَـةَ فَلْيَصُـنْ
جَـوَارِحَهُ عن مَـا نَهَى اللَّهُ يَهْتَـدِي
يَكُبُ الفَتَى في النَّارِ حَصْدُ لِسَـانِهِ
وارْسَـالُ طَـرْفِ المَرْءِ أنْكَى فَقَيِّـدِ
وَطَـرْفُ الفَتَى يَا صَاحِ رَائِدُ فَـرْجِهِ
وَمُتْعِبُهُ فَاغْضُضْـهُ ما اسْـطَعْتَ تَهْتَدِي
وَيَـحْـرُمُ بُهْـتٌ واغْتِيَـابٌ نَمِيْمَـةٌ
وإفْـشَـاءُ سِـرٍ ثُمَّ لَـعْنُ مُـقَـيَّـدِ
وَفُـحْشٌ وَمَـكْـرٌ وَالبِـذَا وَخَـدِيْعَـةٌ
وَسُخْـرِيَّـةٌ والهُـزْؤُ والـكِـذْبُ قَيِّـدِ
بِغَيْـرِ خِـدَاعِ الكَـافِـرِيْنَ بِحَـرْبِهِم
وَللعـرْس أوْ إصْـلاَحِ أَهْـلِ التَّنَكُـدِ
وَيَـحْـرُمُ مِـزْمَـارٌ وَشُـبَّـابَـةٌ وَمَـا
يُضَـاهِيْهِمَـا مِنْ آلَـةِ اللَّهْـوِ والـرَّدِي
وَلَـوْ لَمْ يُقَـارِنْـهَـا غِنَـاءٌ جَـمِيْعُهَـا
فَـمِنْـهَـا ذَوُوْا الأوْتَـارِ دُوْنَ تَـقَـيُّـدِ
ولا بَـأسَ بـالشِّعْـرِ المُبَاحِ وَحِفْـظِهِ
وَصَنْعَتِـهِ مَنْ رَدَّ ذَلِـكَ يَعْتَـدِي
فقـد سَمِـعَ المُخْتَـارُ شِعْرَ صَحَـابَةٍ
وَتَـشْبِيْبَـهُم مِـن غَيْـرِ تَعِيِيْـنِ خُـرَّدِ

وَحَظْرَ الهِجَا والمَدْحِ بالزورِ والخنَا
وَتَشْبِيْبِهِ بالأجْنَبِيَّاتِ أَكِّدِ
وَوَصْفِ الزِّنَا والخَمْرِ والمُرْدِ والنِسَا الْـ
ـفَتِيَّاتِ أَوَ نَوْحِ التَّسَخُّطِ مُوْرَدِ
وَأَوْجِبْ عَن المَحْضُورِ كَفَّ جَوَارِحٍ
وَنَدْبٌ عن المَكروهِ غَيْرَ مُشَدِّدِ
وَأَمْرُكَ بالمَعْروفِ والنَّهْيِ يا فَتى
عن المُنْكَرِ اجْعَلْ فَرْضَ عَيْنٍ تُسَدَّدِ
على عَالِمٍ بالحَظْرِ والفِعْلِ لَمْ يَقم
سِوَاهُ بِهِ مَعْ أَمْنِ عُدْوَانِ مُعْتَدِي
وَلو كَانَ ذَا فِسْقٍ وَجَهْلٍ وفي سِوَى الْـ
ـلَذِيْ قِيْلَ فَرْضٌ بالكِفَايَةِ فاحْدُدِ
وبالعُلَمَا يَخْتَصُّ مَا اخْتَصَّ عِلْمُهُ
بِهِم وَبِمَنْ يَسْتَنْصِرُوْنَ بِهِ قَدِ
وَأَضْعَفُهُ بالقَلْبِ ثُمَّ لِسَانِهِ
وأَقْوَاهُ انْكَارُ الفتى الجَلْدِ باليَدِ
وأَنْكِرْ عَلى الصِبْيَانِ كُلَّ مُحَرَّمٍ
لِتَأْدِيْبِهِم والعِلْمِ في الشَّرْعِ بالرَّدِي
وبالأسْهَلِ ابْدَأْ ثُمَّ زِدْ قَدْرَ حَاجَةٍ
فإنْ لَمْ يَزُلْ بالنَّافِذِ الأَمْرَ فاصْدُدِ
إِذَا لَمْ يَخَفْ في ذَلِكَ الأَمْرِ حَيْفَهُ
إِذَا كَانَ ذَا الانْكَارِ حَتْمَ التَّأَكُّدِ

ولا غُرْمَ في دَفِّ الصُّنُوجِ كَسْرَتَهُ
وَلاَ صُوَرٍ أَيْضَاً وَلاَ آلَةِ الدَّدِ
وآلَةِ تَنْجِيمٍ وَسِحْرٍ وَنَحْوِهِ
وكُتُبٍ حَوَتْ هَذَا وَأَشْبَاهَهُ أَقْدُدِ
« وَقُلْتُ كَذَاكَ السِّينَمَاءُ وَمِثْلُهُ
بِلاَ رَيْبَ مِذْيَاعُ وَتِلْفَازُ مُعْتَدِي »
« وَأَوْرَاقُ أَلْعَابٍ بِهَا ضَاعَ عُمْرُهُم
وكُوْزَاتِهِم مَزِّقْ هُدِيْتَ وَقَدِّدِ »
« كَذَا بَكَمَاتٌ والصَّلِيْبُ وَمِزْمَرٌ
وآلَةُ تَصْوِيْرٍ بها الشَّرُّ مُرْتَدِي »
« كَذَلِكَ دُخَّانٌ وشِيْشَةُ شُرْبِهِ
وآلَةُ تَطْفَاةٍ لَهُ اكْسِرْ وَبَدِّدِ »
« وَمِنْ بَعْدِ ذا فاسْمَعْ كَلاماً لِنَاظِمٍ
يَسُوقُ لَكَ الآدَابَ عن خَيْرِ مُرْشِدِ »
وَبَيْضٍ وَجَوْزٍ لِلْقِمَارِ بِقَدْرِ مَا
يُزِيْلُ عن المَنْكُورِ مَقْصَدَ مُفْسِدِ
ولا شَقِ زِقِّ الخَمْرِ أَوْ كَسْرِ دِنِّهِ
إذا عَجَزَ الانْكَارُ دُوْنَ التَّقَدُّدِ
وَإِنْ يَتَأَتَى دُوْنَهُ دَفْعُ مُنْكَرٍ
ضَمِنْتَ الذي يَنْفَى بِتَغْسِيْلِهِ قَدِ
وَهِجْرَانُ مَن أَبْدَى المَعَاصِيَ سُنَّةٌ
وَقَدْ قِيْلَ إِنْ يَرْدَعْهُ أَوْجِبْ وَأَكِدِ

وَقِيْـلَ عَلَى الاطْـلاَقِ مَـا دَامَ مُعْلِنـاً
وَلاَقِـهْ بِـوَجْـهٍ مُـكْـفَـهِـرٍ مُعَــرْبَدِ
وَيَـحْـرُمُ تَـجْـسِيْسُ عَـلَى مُتَـسَتِّـرٍ
بِفِسْقٍ ومَـاضِي الفِسْقِ إنْ لَم يُجَـدِّدِ
وَهِجْرَانُ مَنْ يَدْعُـو لأِمرٍ مُضِـلٍ أَوْ
مُـفَسِّـقٍ احْتِـمْـهُ بِـغَـيْـرِ تَـرَدُّدِ
عَلَى غَيْرِ مَنْ يَقْوَى عَلَى دَحْضِ قَوْلِه
وَيَـدْفَـعُ إِضْـرَارَ الـمُضِـلِ بِمِـذْوَدِ
وَيَقْضِـي أُمُـورَ الـنَاسِ فـي أَتْيَـانِـهِ
ولا هَـجْـرَ مَـعْ تَسْلِيْمِـهِ المُـتَعَـوَّدِ

وَحَـظْرُ انْتِفَـا التَّسْلِيْمِ فَـوقَ ثَـلاَثَـةٍ
على غَيْـرِ مَن قُلْنَـا بِهَجْـرٍ فَـأَكِّـدِ
وَكُـنْ عَـالِمـاً إنَّ السَـلاَمَ لَسُنَّـةٌ
وَرَدُّكَ فَـرْضٌ لَـيْسَ نَـدْبٌ بِـأَوْطَـدِ
وَيُجْـزِىءُ تَسْلِيْمُ امْـرِىءٍ مِن جَمَـاعَـةٍ
وَرَدُّ فَتىً مِنهُم على الكُـلِّ يا عَـدِي
وَتَسْلِيْـمُ نَـزْرٍ والـصَّـغِـيْـرِ وَعَـابِـرِ
سَبِيْـلٍ وَرُكْبَـانٍ عَـلى الضِـدِّ أَيِّـدِ
وإنْ سَـلَّمَ الـمَـأْمُـوْرُ بالرَّدِ مِـنهُمُ
فَقَـدْ حَصَـلَ المَسْنُونُ إذْ هُـوَ مُبْتَدِي
وَسَلِّمْ إذَا مَا قُمْتَ عَن حَضْرَةِ امْرِىءٍ
وَسَلِّمْ إذا مَـا جِئْتَ بَيْتَـكَ تَـهْتَـدِي

وافْشَــاؤُكَ التَّسْلِيْمَ يُــوْجِبُ مَحَبَّــةً

مِن الناسِ مجْهُولاً وَمَعْـرُوْفاً أقْصُــدِ

وَتَـعْـرِيْفُـهُ لَفْظُ الســلامِ مُـجَــوَّزٌ

وَتَـنْكِيْـرُهُ أَيْضَــاً عـلى نَصِّ أَحْـمَـدِ

وقَــد قِيْــلَ نَكِّــرْهُ وَقِيْــلَ تَـحِيَّــةً

كَـلِلْمَيْتِ والتَّـودِيْــعِ عَــرِّفْ كَــرَدِّدِ

وَسُــنَّــةٌ اسْـتِئْـذَانُـه لِــدُخُـوْلِـهِ

عـلى غيْــرِهِ مِــن أَقْــرَبِيْــنَ وَبُـعَّـدِ

ثَــلاثــاً وَمَـكْــرُوْهٌ دُخُــولٌ لِـهَــاجِـمٍ

ولا سِــيْـمَــا مِــن سَـفْــرَةٍ وَتَـبَـعُّــدِ

وَوَقْــفَـتُــهُ تِــلْقَــاءَ بَــابٍ وَكَــوَّةٍ

فَـإِنْ لَم يُجَبْ يَمْضِي وإنْ يَخْفَ يَزْدَدِ

وَتَـحْـرِيْــكُ نَعْـلَيْـهِ واظْهَــارُ حِسِّــهِ

لِــدَخْلَتِـهِ حَتَّـى لِـمَـنْـزِلِـهِ اشْـهَــدِ

وكُــلُّ قِــيَــامٍ لاَ لِــوَالٍ وَعــالِــمٍ

وَوَالِــدِهِ أو سَــيِّــدٍ كُــرْهُــهُ امْــهَــدِ

وَصَــافِحْ لِمَنْ تَلْقَــاهُ مِن كُـلِّ مُسْلِمٍ

تَنَــاثَرْ خَــطَايَاكُمْ كَمَــا في المُسْنَـدِ

وَلَـيْسَ لِغَـيْــرِ اللّهِ حَــلٌّ سُـجُــوْدُنَــا

وَيُـكْــرَهُ تَـقْـبِيْــلُ الثَّــرَى بِـتَـشَــدُّدِ

وَيُـكْــرَهُ مِنْــكَ الانْـحِنَــاءُ مُـسَلِّمــاً

وَتَقْبِيْـــلُ رَأْسِ المَـرْءِ حَــلٌّ وفي اليَـدِ

وحَـلٌّ عِـنَـاقٌ لِـلْمُـلاَقِـي تَـدَيُّنـاً
وَيُكْـرَهُ تَقْبِيْـلُ الفَمِ أَفْهَمْ وَقَيِّـدِ
وَنَـزْعُ يَـدٍ مِمَّنْ يُـصَافِحُ عَـاجِـلاً
وَأَنْ يَتَنَـاجَى الجَمْعُ مِن دُوْنِ مُفْـرَدِ
وَأَنْ يَجْلِسَ الإِنْسَـانُ عِنْـدَ مُـحَـدِّثٍ
بِسِـرٍ وَقِيْـلَ احْضِـرْ وإِنْ يَـأْذَنِ اقْعُـدِ
وَمَـرْأَى عَجُـوزٍ لم تُـرْدِ وَصِفَـاحُهَـا
وَخُلْوَتُهَـا اكْـرَهْ لا تَحِيَّتَهَـا أَشْـهَـدِ
وَتَشْمِيْتُهَـا واكْـرَهْ كِـلاَ الخِصْلَتَيْنِ
لِلشَّبَـاب مِن الصِّنفَيْنِ بُعْدَى وَأَبْعَدِي
وَيَحْـرُمُ رَأْيُ المُـرْدِ مَـعْ شَهْـوَةٍ فَقَطْ
وَقِيْـلَ وَمَـعْ خَـوْفٍ وَلِلْكُـرْهِ جَـوِّدِ
وَكُنْ واصِـلَ الأَرْحَـامِ حَتَّى لَكَـاشِـحٍ
تُـوَفَّـرَ فـي عُـمْـرٍ وَرِزْقٍ وَتَـسْـعَـدِ
وَيَحْسُـن تَحْسِيْـنٌ لِخُلْقٍ وَصُـحْبَـةٍ
ولا سِـيَّمَـا لِـلْوَالِـدِ الـمُـتَـأَكِّـدِ
وَلَـوْ كَـانَ ذَا كُفْـرٍ وَأَوْجَبَ طَـوْعَـهُ
سِـوَى فـي حَـرَامٍ أَوْ لأَمْـرٍ مُؤَكَّـدِ
كَتَـطْلاَبِ عِلْمٍ لاَ يَضُـرُّهُـمـا بِـهِ
وَتَـطْلِيْـقِ زَوْجَـاتٍ بِـرأْيٍ مُـجَـرَّدِ
وَأَحْسِنْ إِلى أَصْحَـابِهِ بَعْـدَ مَـوْتِـهِ
فَـهـذَا بَقَـايَـا بِـرِّهِ الـمُـتَـعَـوَّدِ

وَيُكْـرَهُ في الـحَـمَّـام كُـلُّ قِـرَاءَةٍ
وَذِكْـرِ لِسَـانٍ والسَّـلامُ لِـمُـبْتَـدِي
وغَيـرِ بِغَيْـرِ الأَسْـوَدِ الشَّيْبَ وَأَبْقِـهِ
وَلِـلْقَـزَعِ اكْـرَهْ ثُمَّ تَـدْ لِيْسَ نُهـدِ
وَيُشْـرَعُ إيْكَـاءُ السِقَـا وَغِـطَا الإِنَـا
وإيْـجَـافُ أَبْـوَابٍ وَطَـفْءُ لِـمُـوْقَـدِ
وَتَـقْـلِيْـمُ أَظْـفَـارٍ وَنَـتْـفُ لإِبْـطِهِ
وَحَلْقـاً وَلِلتَّنْـوِيْـرِ لِلْعَـانَـةِ أُقْصـدِ
وَيَحْسُنُ خَفْضُ الصَّوتِ مِن عَاطِسٍ وأَنْ
يُغَـطِّيَ وَجْهـاً لاسْتِتَـارٍ مِـن الـرَّدِي
وَيَحْمَـدُ جَهْـراً وَلْيُشَمِّتْـهُ سَـامِـعٌ
لِتَـحْـمِيْـدِهِ والْـيُبْـدِ رَدَّ الـمُـعَـوَّدِ
وَقُـلْ لِلْفَتَى عُـوْفِيْتَ بَعْـدَ ثَـلاثَـةٍ
وَلِلطِّفْـلِ بُـوْرِكْ فِيْـكَ وَأْمُرْهُ يَحْمَـدِ
وَغَطِّ فَمـاً واكْـظُمْ تُصِبْ في تَثَـاؤُبٍ
فَـذَلِـكَ مَسْنُـونٌ لِأَمْـرِ الـمُـرَشِّـدِ
وَلَا بَـأْسَ شَـرْعـاً أنْ يَطِبَّـكَ مُسْلِمٌ
وشَكْوَى الذي تَلْقَى وبالحَمْدِ فَـابْتَدِي
وَتَـرْكُ الـدَّوا أَوْلَـى وَفِعْـلُكَ جَـائِـزٌ
ولـم تَـتَـيَقَّـنْ فِـيْـهِ حُـرْمَـةَ مُـفْـرَدِ
وَرَجِّحْ عَلَى الخَوْفِ الرَّجَا عِنْـدَ يَأْسِـهِ
ولَاقِ بِـحُسْـنِ الـظَّنِّ رَبَّـكَ تَسْـعَـدِ

وَيُشْــرَعُ لِلْمُــرْضَى العِيَــادَةُ فَــإِنَّهــمْ
تَخُضْ رَحْمَــةٌ تَغْمُــرْ مَجَــالِسَ عُــوَّدِ

فَسَبْعُــونَ أَلْفاً مِن مَــلاَئِكَــةِ الــرِّضَــا
تُصَلِّي على مَن عَــادَ مُمْسىً إلى الغَدِ

وانْ عَــادَهُ فــي أَوَّلِ اليَــوْمِ وَاصَلَتْ
عليــهِ إلى اللَّيْــلِ الصَّــلاةِ فــأَسْنِــدِ

فَمِنْهُمْ مُغِبــاً عُــدْهُ خَفِّفْ وَمِنْهُــمْ الْــ
ـلَذِي يُــورِثُ الــتَّطْوِيْــلَ مِن مُتَــوَرِّدِ

وَفَكِّــرْ وَرَاعِ فِي العِيَــادَةِ حَــالَ مَــن
تَــعُــوْدُ وَلاَ تُــكْــثِــرْ سُؤَالاً تُــنَــكِّــدِ

وَمَكْــرُوْهٌ اسْتِــأْمَــانُنَــا أَهْــلَ ذِمَّــةٍ
لِإِحْــرَازِ مَــالٍ أَوْ لِــقِسْــمَتِــهِ اشْــهَــدِ

وَمَكْــرُوْهٌ اسْتِــطْبَــابُــهُــم لاَ ضَــرُوْرَةً
ومــا رَكَّــبُــوْهُ مِــن دَوَاءٍ مُــوَصَّــدِ

وانْ مَــرِضَتْ أُنْثَى وَلَمْ يَجِــدُوْا لَهَــا
طَبِيْبــاً سِــوَى فَحْــلٍ أَجِــزْهُ وَمَهِّــدِ

وَيَكْــرَهُ حَــقْــنُ الــمَــرْءِ إِلاَّ ضَــرُوْرَةً
وَيَــنْــظُرُ مَــا يَحْتَــاجُــهُ حَــاقِنٌ قَــدِ

كَــقَــابِــلَةٍ حِــلٌ لَــهَــا نَــظَرٌ إِلَــى
مَكَــانِ ولاَدَاتِ النِسَــا في التَّــوَلُّــدِ

وَيُكْــرَهُ إِنْ لَمْ يَسْــرِ قَــطْعُ بَــوَاسِــرٍ
وَبَطِّ الأَذَى حِــلٌ كَــقَــطْعٍ مُــجَــوِّدِ

لِآكِلَةٍ تَسْرِي بِعضوٍ أَبِنْهُ إنْ
تَخَافَنَّ عُقْبَاهُ وَلَا تَتَرَدَّدِ
وَقَبْلَ الأَذَى لَا بَعْدَهُ الكَيَّ فاكْرَهَنْ
وَعَنْهُ عَلَى الاطْلَاقِ غَيْرَ مُقَيَّدِ
وَفِيْهَا عَدَا الأَغْنَامِ قَدْ كَرِهُوْا الخِصَا
لِتَعْذِيْبِهِ المَنْهِي عَنهُ بِمُسْنَدِ
وَقَطْعُ قُرُوْنٍ وَالآذَنِ وَشَقُّهَا
بِلا ضَرَرٍ تَغْيِيْرُ خَلْقٍ مُعَوَّدِ
وَيَحْسُنُ في الإِحْرَامِ والحِلِّ قَتْلُ مَا
يَضُرُّ بِلا نَفْعٍ كَنِمْرٍ وَمَرْثَدِ

وَغِرْبَانِ غَيْرِ الزَّرْعِ أَيْضاً وَشِبْهُهَا
كَذَا حَشَرَاتُ الأَرْضِ دُوْنَ تَقَيُّدِ
كَبَقٍ وَبُرْغُوثٍ وَفَارٍ وَعَقْرَبٍ
وَدَبْرو حَيَّاتٍ وشِبْهِ المُعَدَّدِ
وَيُكْرَهُ قَتْلُ النَّمْلِ إلَّا مَعَ الأَذَى
بِهِ واكْرَهَنْ بالنَّارِ إِحْرَاقَ مُفْسِدِ
ولو قِيْلَ بالتَّحْرِيْمِ ثُمَّ أُجِيْزَ مَعْ
أَذَىً لم يَزُلْ إلَّا بِهِ لَمْ أُبَعِّدِ
وَقَدْ جَوَّزَ الأَصْحَابُ تَشْمِيْسَ قَزِّهِمْ
وَتَدْخِينَ زُنْبُورٍ وَشَيَاً بِمَوْقِدِ
وَيُكْرَهُ لِنَهْي الشَّرْعِ عن قَتْلِ ضِفْدَعٍ
وَصِرْدَانِ طَيْرٍ قَتْلُ ذَيْنِ وَهُدْهُدِ

وَيُكْـرَه قَتْـلُ الـهِـرِّ إلَّا مَـعَ الأَذى

وَإنْ مُلِكَتْ فـاحْـظِرْ إذاً غَيْـرَ مُفْسِدِ

وَقـتْلُكَ حَيَّـاتِ الـبُـيُـوتِ وَلَـمْ تَـقُـلْ

ثَـلاثَـا لَهُ اذْهَبْ سَـالِماً غَيْـرَ مُعْتَـدِ

وذَا الـطُّفْـيَتَيْـنِ أقْـتُـلْ وابْتَـرَ حَيَّـةٍ

ومـا بَعْـدَ إيْـذَانِ تُـرَى أَوْ بِفَـدْفَـدِ

ومـا فِيْـهِ إضْـرَارٌ وَنَفْـعٌ كَبَـاشَـقٍ

وكَـلْبٍ وَفَهْـدٍ لاقْـتَـصـادِ التَّـصَيُّـدِ

إذَا لَـمْ يَكُـنْ مُلْكـاً فَـأنْـتَ مُخَـيَّـرٌ

وانْ مُلِكَتْ فـاحْـظِرْ وانْ تُؤْذِ فـاقْـدُدِ

وَيُكْـرَهُ نَفْـخٌ فـي الـغَـدَا وَتَـنَـفُسٌ

وَجَـوْلاَنُ أَيْـدٍ فـي طَعَـام مُـوَحَّـدِ

فـإنْ كَـانَ أَنْـواعـاً فـلاَ بَـأْسَ فـالـذي

نُهِيْ في اتِّحـادٍ قَـدْ عُفِيْ في التَّعَـدُّدِ

وَأَخْـذٌ واعْـطَاءٌ وأَكْـلٌ وشُـرْبُـهُ

بِـيُـسْـرَاهُ فـاكْـرَهْـهُ ومُـتَّـكِئـاً ذُدِ

وأَكْلُكَ بـالِثّنْتَيْنِ والأَصْـبُـعِ اكْـرَهَنْ

وَمَـعْ أَكْلِ شَيْنِ العُـرْف إتْيَـانَ مَسْجِـدِ

وَيُكْـرَهُ بـاليُـمْـنَـى مُـبَـاشَـرَةُ الأَذَى

وَأَوْسـاخِـهِ مَـعْ نَثْـرِ مَـا أَنْفِـهِ الـرَّدِيَ

كَـذا خَـلْعُ نَـعْـلَيْـهِ بِـهَـا واتِّـكَـاؤُهُ

على يَـدِهِ اليُسْـرَى وَرَا ظَهْـرِهِ أَشْهَـدِ

وَيُكْـرَهُ في الـتَّمْــرِ الـقِـرَانُ وَنَحْـوُهُ
وقِيْـلَ مَعَ التَّشْـرِيْـكِ لَا في التَّفَــرُّدِ
وَكُـنْ جَـالِسـاً فَـوْقَ الـيَـسَـارِ وَنَـا صِبَ الْـ
يَمِيْنِ وَبَسْمِلْ ثُمَّ في الانْتِهَا أَحْمَدِ
وَيُكْـرَهُ سَبْقُ القَـوْمِ لِـلأَكْـلِ نَهْمَـةً
وَلَكِنَّ رَبُّ البَيْـتِ إنْ شَـاءَ يَبْـتَـدِي
ولا بَـأْسَ عِنْدَ الأَكْـلِ مِن شِبَعِ الفَتَى
وَمَـكْـرُوْهُ الإسْـرَافُ والـثُّـلْثُ أَكِّـدِ
وَيَحْسُنُ تَصْغِيْـرُ الفَتَى لُقْـمَـةَ الغَـدَا
وَبَعْـدَ ابْتِـلَاعٍ ثَنِّ والمَـضْـغَ جَـوِّدِ
وَيَحْسُنُ قَبْـلَ المَسْـحِ لَعْقُ أَصَـابِـعٍ
وَأَكْـلُ فُـتَـاتٍ سَـاقِطٍ بِـتَـثَـرُّدِ
وَتَخلِيْـلُ مَـا بَيْن المَـواضِـعِ بَعْـدَهُ
وأَلْقِ وَجَـانِبْ مَـا نَهى اللّهُ تَهْتَـدِي
وَغَسْـلُ يَـدٍ قَبْـلَ الـطَّعَـامِ وَبَعْـدَهُ
وَيُكْـرَهُ بـالمَـطْعُـومِ غَـيْـرَ مُقَيَّـدِ
وَكُـلْ طَيِّـاً أَوْ ضِـدَّهُ وَالْبَس الـذِي
تُـلاقِـيْـهِ مِـن حِـلٍّ ولا تَـتَـقَـيَّـدِ
ومـا عِفْتَـهُ فـاتْـرُكْـهُ غَيْـرَ مُعَنِفِ
ولا عَـائِبٍ رِزْقـاً وبـالشَّارِعْ اقْتَـدِي
ولا تَشْـرَبَنْ مِن في السِّقَاءِ وثُلْمَةِ الْـ
إنَـا وانْـظُرنْ فِـيْـهِ وَمَصـاً تَـزَرَّدِ

وَنَحِّ الانا عَن فِيْكَ واشْرَبْ ثَلاَثَةً
هُوْ أهْنَا وَأَمْرَا ثم أرْوَى لِمَنْ صُدِي
ولا تَكْرَهَنَّ الشُرْبَ مِن قَائِمٍ وَلاَ انْ
يَتَعَالُ الفَتَى في الأَظْهَرِ المُتَأَكِّدِ
وَيُكْرَهُ لُبْسٌ فيه شُهْرَةُ لاَبِسٍ
وَوَاصِفُ جِلْدٍ لاَ لِزَوْجٍ وَسَيِّدِ
وانْ كَانَ يُبْدِي عَوْرَةً لِسِوَاهُمَا
فَذَلِكَ مَحْظُورٌ بِغَيْرِ تَرَدُّد
وَخَيْرُ خِلاَلِ المَرْءِ جَمْعاً تَوَسُّطُ الْـ
أُمُورِ وَحَالٌ بَيْنَ أَرْدَى وَأَجْوَدِ

ولُبس مِثَالِ الحَيِّ فاحْضِرْ بأَجْود
ومَا لَمْ يُدَسْ مِنْهَا لِوَهْنٍ فَشَدِّدِ
وأَحسنُ مَلْبُوسٍ بَيَاضٌ لِمَيِّتٍ
وَحَيٍّ فَبَيِّضْ مُطْلَقاً لاَ تُسَوِّدِ
وَلاَ بَأْسَ بالمَصْبُوغِ مِن قَبْلِ غَسْلِهِ
مَعَ الجَهْلِ في أصْبَاغِ أَهْلِ التَّهَوُّدِ
وَقِيلَ اكْرَهْنَهُ مِثْلَ مُسْتَعْمَلِ الانا
وانْ تَعْلَمِ التَّنْجِيْسَ فاغْسِلْهُ تَهْتَدِى
وَأَحْمَرَ قَانٍ والمُعَصْفَرَ فاكْرَهَنْ
لِلُبْسِ رِجَالٍ حَسْبُ في نَصِّ أَحْمَدِ
وَلاَ تَكْرَهَنْ في نَصِّ ما قَدْ صَبَغْتَهُ
مِن الزَّعْفرانِ البَحْتِ لَوْنَ المُوَرَّدِ

وَلَيْسَ بِلُبْسِ الصُوْفِ بَأْسٌ ولا القَبَا
ولا لِلنِّسَا والبُرْنُسِ افْهَمْهُ واقْتَدِي

ولُبْسُ الحَرِيْرِ احْظِرْ عَلى كُلِ بَالِغٍ
سِوَى لِضَنىً أَوْ قَتْلٍ أَوْ حَرْبِ جُحَّدِ

وَيَحْرُمُ بَيْعٌ لِلرِّجَال لِلِبْسِهِمْ
وَتَخَيِيْطُهُ والنَّسْجُ في نَصِّ أَحْمَدِ

وَيَحْرُمُ لُبْسٌ مِن لُجَيْنٍ وَعَسْجَدٍ
سِوَى مَا قَدِ اسْتَثْنَيْتُهُ في الذِي ابْتُدِي

وَيَحْرُمُ سَتْرٌ أَوْ لِبَاسُ الفَتَى الذي
حَوَى صُوْرَةً لِلْحَيِّ في نَصِّ أَحْمَدِ

وفي السَّتْرِ أَوْ مَا هُوْ مَظِنَّةُ بِذْلَةٍ
لِيُكْرَه كَكَتْبٍ لِلْقُرَانِ المُمَجَّدِ

وَلَيْسَ بِمَكْرُوْهٍ كِتَابَةُ غَيْرِهِ
مِنَ الذِكْرِ فِيْمَا لَمْ يُدَسْ وَيُمَهَّدِ

وَحَلَّ لِمَنْ يَسْتَأْجِرُ البَيْتَ حَكُهُ الـتَّـ
تَصَاوِيْرَ كَالحَمَّام لِلدَّاخِلِ اشْهَدِ

وفي نَصِّهِ اكْرَهْ لِلرِّجَالِ ولِلنِّسَا الـرَّ
رَقِيْقَ سِوَى لِلزَّوْجِ يَخْلُو وَسَيِّدِ

وَيُكْرَهُ تَقْصِيْرُ اللِّبَاسِ وَطُولُهُ
بِلا حَاجَةٍ كِبْراً وَتَرْكُ المُعَوَّدِ

وأَطْوَلُ ذَيْلِ المَرْءِ لِلْكَعْبِ والنِّسَا
بِلاَ الأَزْرِ شِبْراً أَوْ ذِرَاعاً لِتَزْدَدِ

ولا بَأسَ في الخَاتَام مِن فِضَّةٍ وَمِنْ
عَقِيْقٍ وَبِلُوْرٍ وَشِبْهِ المُعَدَّدِ

وَيُكْرَهُ مِن صُفْرٍ رَصَاصٍ حَدِيْدِهِمْ
وَيَحْرُمُ لِلذُّكْرَان خَاتَمُ عَسْجَد

وَيَحْسُنُ في اليُسْرَى كَأَحْمَدْ وَصَحْبِهِ
وَيُكْرَهُ في الوُسْطَى وسَبَابَةِ اليَدِ

وَمَن لَمْ يَضَعْهُ في الدُّخُول إلى الخَلاَ
فَعَنْ كُتْب قُرآنٍ وذِكْرٍ بِهِ أَصْدُدِ

وَيَحْسُنُ في اليُمْنَى ابْتِدَاءُ إنْتِعَاله
وفي الخَلْع عَكْسٌ وَاكْرَهِ العَكْسَ تَرْشُدِ

وَيُكْرَهُ مَشْي المَرْءِ في فَرْدِ نَعْلِهِ
اخْتِيَاراً أَصِخْ حَتَّى لإصْلاحِ مُفْسِدِ

ولا بَاسَ في نَعْلٍ يُصَلي بِهِ بِلاَ
أَذَىً وافْتَقِدْهَا عِنْدَ أَبْوابِ مَسْجِدِ

ويَحْسُنُ الاسْتِرْجَاعُ في قَطْعِ نَعْلِهِ
وَتَخْصِيْصُ حَافٍ بالطَّرِيْقِ المُمَهَّدِ

وقَدْ لَبِسَ السِّبْتِيَّ وَهُوَ الذي خَلاَ
مِن الشَّعْرِ مَعْ أَصْحَابِهِ بِهِمُ اقْتَدِي

وَيُكْرَهُ سِنْدِيُّ النِّعَالِ لِعُجْبِهِ
بِصَرَّارِهَا زِيُّ اليَهُوْدِ فَأَبْعِدِ

وَسِرْ حَافياً أَوْ حَاذِياً وامْشِ وارْكَبَنْ
تَمَعْدَدْ واخْشَوْشَنْ ولا تَتَعَوَّدِ

وأَشْـرَفُ مَلْبُوسٍ إلى نِصْفِ سَاقِـهِ
وما تَحْتَ كَعْبٍ فاكْـرَهَنْهُ وصَعِّـدِ

ولِلرُّصْـغِ كُمُّ المُصْـطَفِي فإنْ ارْتَخى
تَنَاهَى إلى أَقْصى أصَابِعِـهِ قَـدِ

ولا بَأْسَ في لُبْسِ السَّراوِيلِ سِتْرَةً
أَتَمُّ مِنَ التَّأْزِيرِ فالْبَسْـهُ واقْتَـدِ

بِسُنَّةِ ابْراهِيْمَ فِيْـهِ وَأَحْمَـدٍ
وَأَصْحَابِـهِ والأُزْرُ أَشْهَـرُ أَكِّـدِ

وَيَحْسُنُ تَنْظِيْفُ الثِّيَابِ وَطِيُّهَا
وَيُكْرَهُ مَعْ طَوْلِ الغِنَا لُبْسُكَ الرَّدِي

ولا بَأْسَ في لُبْسِ الفِرَاءِ واشْتِرَائِهَا
جُلُودَ حَلاَلٍ مَوتُـه لَـمْ يُـوَطَّـدِ

وكاللَّحْم الأوْلَى احْظِرَنْ جِلْدَ ثَعْلَبٍ
وعنـه لِيُلْبَسْ والصلاةَ بِـهِ اصْـدُدِ

وَمَنْ يَرتَضِي أَدْنَى اللِّبَاسِ تَـواضُعاً
سَيُكْسَى الثِّيَابَ العَبْقَرِيَّاتِ في غَـدِ

وَيَحْسُنُ حمْـدُ اللّهِ في كُلِّ حَـالـةٍ
ولا سِيَّمَا في لُبْسِ ثَـوبٍ مُجَـدَّدِ

وَكُنْ شَاكِـرا لِلّهِ وارْضَ بِقَسْمِـهِ
تُثَبْ وَتُـزَدْ رِزْقـاً وارْغَـامَ حُسَّـدِ

وَقُـلْ لِأَخٍ ابْـلِ وَأَخلِقِ وَيُخْلِفُ الْـ
إلـهُ كـذَا قُـلْ عِشْ حَمِيْـداً تُسَـدَّدِ

وَيُكْرَهُ في المَشْيِ المُطَيْطَا وَنَحْوُهَا
مَظِنَّةَ كِبْرٍ غَيْرَ في حَرْبِ جُحَّدِ
وَيُكْرَهُ لُبْسُ الخُفِ والأُزْرِ قَائِماً
كذاكَ الْتِصَاقُ اثْنَيْنِ عُرْياً بِمَرْقَدِ
وثِنْتَيْنِ وافْرُقْ في المَضَاجِعِ بَيْنَهُمْ
وَلَوْ إِخْوَةً مِن بَعْدِ عَشْرٍ تُسَدَّدِ
وَيُكْرَهُ نَوْمُ المَرْءِ مِن قَبْلِ غَسْلِهِ
مِن الدُهْنِ والأَلْبَانِ لِلْفَمِ واليَدِ
وَنَوْمُكَ بَعْدَ الفَجْرِ والعَصْرِ أَوْ على
قَفَاكَ وَرَفْعُ الرِجْلِ فَوقَ اخْتِهَا امْدُدِ
وَيُكْرَهُ نومٌ فَوقَ سَطْحٍ ولَمْ يُحَطْ
عليهِ بِتَحْجِيْرٍ لِخَوفٍ مِن الرَّدِي
وَيُكْرَهُ بَيْنَ الظِلّ والشَمْسِ جِلْسَةٌ
ونَوْمٌ على وَجْهِ الفَتَى المُتَمَدِّدِ
وقُلْ في انْتِبَاهٍ والصَّبَاحِ وفي المَسَا
ونَوْمٍ مِن المَرْوِيّ مَا شِئْتَ تَرْشُدِ
وَيَحْسُنُ عندَ النَّومِ نَفْضُ فِرَاشِهِ
وَنَوْمٌ على اليُمْنَى وكُحْلٌ بِأَثْمُدِ
وَخُذْ لَكَ مِن نُصْحِي أُخَيَّ نَصِيْحَةً
وَكُنْ حَازِماً واحْضِرْ بِقَلْبٍ مُؤَيَّدِ
ولا تَنْكِحَنْ إِنْ كُنْتَ شَيْخاً فُتَيَّةً
تَعِشْ في ضِرَارِ العَيْشِ أَو تَرْضَ بالرَّدِي

ولا تَنكِحَنْ مَن تَسْمُ فَوْقَكَ رُتبَةً
تَكُنْ ابداً في حُكْمِهَا في تَنَكُدِ
ولا تَرْغَبَنْ في مَالِهَا وَأثاثِهَا
إذا كُنْتَ ذا فَقْرٍ تُذَلَّ وَتُضْهَدِ
ولا تَسْكُنَنْ في دَارِهَا عِنْدَ أَهْلِهَا
تَسَمَّعْ إذَنْ أَنْوَاعَ مِن مُتَعَدِّدِ
فلا خَيْرَ فِيمَنْ كَانَ في فَضْلِ عِرسِه
يَرُوْحُ على هُوْنٍ إلَيْهَا وَيغْتَدِي
ولا تُنْكِرَنْ بَذْلَ اليَسِيْرِ تَنَكُداً
وَسَامِحْ تَنَلْ أَجْراً وحُسْنَ التَّوَدُد

ولا تَسْأَلَنْ عن مَا عَهِدْتَ وَغُضَّ عن
عَوارٍ إذا لَمْ يَذْمُمِ الشَّرْعَ تَرْشُدِ
وَكُنْ حَافِظاً إنَّ النِسَاءَ وَدَائعٌ
عَوَانٍ لَدَيْنَا احْفَظْ وَصِيَّةَ مُرْشِدِ
ولا تُكْثِرْ الانكَارَ تُرْمَى بِتُهْمَةٍ
ولا تَرْفعنَّ السَّوْطَ عن كُلِ مُعْتَدِ
ولا تَطْمَعَنْ في أَنْ تُقِيْمَ اعْوِجَاجِهَا
فَمَا هِيَ إلاَّ مِثْلُ ضِلْعٍ مُرَدَّدِ
وَسُكْنَى الفَتى في غُرْفَةٍ فَوْقَ سِكَّةٍ
تَؤُلُ إلَى تُهْمَى البَرِيءِ المُشَدِّدِ
وإيَّاكَ يَا هَذَا وَرَوْضَةَ دِمْنَةٍ
سَتَرْجِعُ عَن قُرْبٍ إلى أَصْلِهَا الرَّدِي

ولا تَنْكِحَنْ في الفَقْرِ إلَّا ضَرُوْرَةً
وَلُذْ بِوِجَاءِ الصَّومِ تَهْدَى وَتَهْتَدِي
وكُنْ عَالِماً إنَّ النِّسَا لُعَبٌ لَنَا
فَحَسِّنْ إذَنْ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ وَجَوِّدِ
وخيْرُ النِسَا مَن سَرَّتِ الزَّوْجَ مَنْظِراً
وَمَنْ حَفِظَتْهُ في مَغِيْبٍ وَمَشْهَدِ
قَصِيْرَةُ أَلْفَاظٍ قصِيْرَةُ بَيْتِهَا
قَصِيْرَةِ طَرْفِ العَيْنِ عَن كُلِّ أَبْعَدِ
عَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّيْنِ تَظْفُرْ بالْمُنَى الْـ
وَدُوْدِ الوَلُودِ الأَصْلِ ذَاتِ التَّعَبُّدِ
حَسِيْبَةِ أَصْلٍ مِن كِرَامٍ تَفُزْ إذَنْ
بِوِلْدِ كِرَامٍ والبَكَارَةَ فَاقْصِدِ
وَوَاحِدَةٌ أَدْنَى إلى العَدْلِ فَاقْتَنِعْ
وانْ شِئْتَ فَابْلُغْ أرْبعاً لَا تَزَيَّدِ
وَمَن عَفَّ تَقْوىً عن مَحَارِمِ غَيْرِهِ
يُعَفْ أَهْلُه حَقاً وإنْ يَزْنِ يَفْسُدِ
فَكَابِدَ إلَى أَنْ تَبْلُغَ النفسُ عُذْرَهَا
وكُنْ في اقْتِبَاسِ العِلْمِ طَلَّاعَ انْجُدِ
ولا يَذْهَبَنَّ العُمُرُ مِنْكَ سَبَهْللا
ولا تُغْبَنَنْ بالنِّعْمَتَيْنِ بَلْ اجْهِدِ
فَمَنْ هَجَرَ اللّذاتِ نَالَ المُنى وَمَنْ
أَكَبَّ على اللَّذَاتِ عَضَّ على اليَدِ

وفي قَمْعِ أَهْوَاءِ النُفُوسِ اعْتِـزَازُهَـا
وفي نَيْلِهَـا مـا تَشْتَهِـيْ ذِلُ سَـرْمَـدِ
فـلا تَشْتَغِـلْ إلا بِمَـا يُكْسِبُ العُـلاَ
ولا تَـرْضَ لِلنُّفْسِ النُّفِيْسَـةِ بِـالـرَّدِي
وفي خَلْوةِ الإنْـسَـانِ بـالعِلْمِ أُنْسُـهُ
وَيَسْلَمُ دِيْـنُ المَـرْءِ عِنْـدَ التَـوَحُـدِ
وَيَـسْلَمُ مِـن قِيْـلٍ وقَـالٍ ومِـن أَذَى
جَلِيْسٍ وَمِـن وَاشٍ بَـغِـيْضٍ وَحُـسَّـدِ
وكُنْ حِلْسَ بَيْتٍ فَهُـوَ سَتْـرٌ لِـعَـورةٍ
وَحِـرْزُ الفَتى عن كُـلِّ غَـاوٍ وَمُفْسِـدِ
وَخَيْـرُ جَلِيْسِ الـمَـرْءِ كتْبٌ تُفِيْـدُهُ
عُـلُومـاً وآدابـاً كَـعَـقْـلٍ مُـؤَيَّـدِ
وخَـالِطْ إذَا خَـالَـطَتَ كُـلَّ مُـوَفَّـقٍ
مِـن العُلُمَـا أَهْـلِ التُّقَى والـتَّعَـبُـدِ
يُفِيْـدُكَ مِن عِلْمٍ وَيَنْهَـاكَ عنَ هَـوَى
فَصَـاحِبْه تُهْـدَى مِن هُـدَاهُ وَتَـرْشُـدِ
وإيَّـاكَ والهَمَّـازَ إنْ قُمْتَ عـنـه والْـ
بَـذِيَّ فـإنَّ المَـرْءَ بـالمَـرْءِ يَقْتَـدِي
ولا تَصْحَبِ الحَمْقَى فَذُوْ الجَهْلِ إنْ يَرُمْ
صَـلاحاً لأمْـرٍ يَـا أَخَـا الحَزْمِ يُفْسِـدِ
وَخَيْـرُ مَقَـامٍ قُـمْتَ فِيْـهِ وَخَـصْـلَةٍ
تَـحَـلَّيْـتَـهَـا ذِكْـرُ الإلَـهِ بِـمَـسْـجِـدِ

وَكُفَّ عن العَــوْرا لِسَــانَــكَ والْـيَكُـنْ
دَواماً بِـذِكْـرِ اللّهِ يَـا صَــاحِبيْ نَـدِي

وَحَصِّنْ عن الفَحْشَــا الجَـوارِحَ كُلَّهـا
تَكُنْ لَـكَ في يَومِ الجَـزَا خَيْـرَ شُهَّـدِ

وحَافِظْ عَلَىَ فِعْـلِ الفُـرُوْضِ بِـوَقْتِهَـا
وخُـذْ بِنَصِيْبٍ في الـدُجَـا مِن تَهَجُّـدِ

ونَــادِ إذَا مَـا قُمْتَ بــالَّلَيـلِ سَــامِعاً
قَــرِيْبـاً مُجِيْبــاً بـالفَـواضِــلِ يَبْتَــدِي

وَمُــدَّ إليْــهِ كَـفَّ فَقْـرِكَ ضَــارِعــاً
بِقَـلْبٍ مُـنِيْـبٍ وادْعُ تُـعْطَ وَتَـسْعَــدِ

ولا تَـسْــأَ مَنَّ الـعِلْمَ واسْـهَـرْ لِنيْـلِهِ
بلا ضَجَرٍ تَحْمِـدْ سُرَى اللَّيـلِ في غَدِ

ولا تَـطْلُبَـنَّ العِـلمَ لِـلْمَــالِ والـرِّيَــا
فَـإنَّ مِـلاَكَ الأَمْــرِ في حُسْنِ مَقْصَـدِ

وَكُنْ عَـامِـلاً بـالعِلْمِ فِيْمَـا اسْتَـطَعْتَهُ
لِيُهْـدَى بِكَ المَرْءُ الذي بِـكَ يَقْتَـدِي

حَـرِيْصـاً على نَفْـعِ الـوَرَى وَهُــدَاهُم
تَنَــلْ كُــلَّ خَيْــرٍ فـي نَعِيْمٍ مُـؤَبَّـدِ

وَكُنْ صَـابِـراً بــالفَقْـرِ وادَّرِعِ الــرِّضَـا
بِمَــا قَـدَّرَ الـرحمنُ واشْكُـرْهُ تُحْمَــدِ

فَمَـا العِـزَ إلاَّ في القَنَــاعَـةِ والــرِّضَـا
بــأَدْنى كَفَــافٍ حَــاصِــلٍ والتَّـزَهُّـدِ

فَمَنْ لَمْ يُقَنِّعْـهُ الـكَفَـافُ فَـمُـا إِلَى
رِضَـاهُ سَـبِيْــلٌ فــاقْـتَـنِـعْ وَتَـقَـصَّــدِ
فَـمَنْ يَـتَغَـنَّى يُـغْـنِــهِ الـلهُ والـغِـنَى
غِنَى النَّفْسِ لا عَنْ كَثْــرَةِ المُتَـعَــدِّدِ
وإِيَّـاكَ والاعْجَابَ والكِبْرَ تُحْظَ بـالسَّـ
سَعَـادَةِ في الـدَّارَيْنِ فــارْشُـدْ وَأَرشِــدِ
وهَـا قَدْ بَـذَلْتُ النُّصْحَ جُهْـدِي وإِنَّنِي
مُـقِـرٌ بِتَـقْصِيْـرِي وبــالـلَّهِ أَهْـتَـدِي
تَقَضَّتْ بِحَـمْـدِ اللهِ لَـيْسَـتْ ذَمِيْـمَـةً
وَلَـكِنَّـهـا كَـالـدُّرِ في عِـقْـدِ خُــرَّدِ
يَـحَــارُ لَهَــا قَـلْبُ اللَّبِيْـبُ وَعَــارِفٍ
كَــرِيْمَــانِ إِنْ جَــالاَ بِفِكْــرٍ مُنَضَّــدِ
فَمَــا رَوْضَــةٌ حُفَّتْ بِنَــوْرِ رَبِـيْعِـهَــا
بِسَلْسَــالِهَـا العَــذْبِ الــزُّلاَلِ المُبَــرَّدِ
بِــأَحْـسَنَ مِـن أَبْـيَـاتِـهَــا وَمَــسَــائِــلٍ
أَحَــاطَـتْ بِهَــا يَــومـاً بِـغَيْــرِ تَــرَدُّدِ
فَخُـذْهَا بِـدَرْسٍ لَيْسَ بـالنَّـومِ تُـدْرِكَنْ
لِأَهْلِ النهى والفَضْلِ في كُلِّ مَشْهَدِ
وقَدْ كَمُـلَتْ والحمدُ لِلَّهِ وحْــدَهُ
على كُــلِّ حَــالٍ دَائمــاً لَـمْ يُصَــدِّدِ

آخــر :

مَنْ ذَا الـذِيْ قَـدْ نَـالَ رَاحَـةَ فِكْـرِهِ
في عُسْـرِهِ مـن عُـمْـرِه أوْ يُـسْـرِهِ
يَلْقَى الغَنِيُّ لِحفْـظِهِ مَا قَـدْ حَـوَى
أَضْعَـافَ مَـا يَلْقَى الفَـقِيْـرُ لِفَقْـرِهِ
فَـيَـظَلُّ هَـذَا سَـاخِـطاً فـي قِـلِّهِ
وَيَـظَلُّ هَـذَا تَـاعـبـاً في كُـثْـرِهِ
عَـمَّ البَـلاَءُ لِكُـلِّ شَـمْـلٍ فُـرْقَـةٌ
يُـرْمَى بِهَـا فـي يَـوْمِـهِ أَوْ شَهْـرِهِ
وَالجِنُّ مِثْـلُ الانْسِ يَجْـرِيْ فيهمُـوْا
حُـكْـمُ الـقَـضَـاءِ بِـحُـلْوِهِ وَبِـمُـرِّهِ
فَـإِذَا المَـرِيْـدُ أَتَى لِيَخْـطِفَ خَـطْفَةً
جَـاءَ الشِّهَـابُ بِحَـرْقِـهِ وَبِـزَجْـرِهِ
وَنَـبِـيُّ صِـدْقٍ لاَ يَـزَالُ مُـكَـذَّبـاً
يُـرْمَى بِبَـاطِـلِ قَـوْلِـهِمْ وَبِـسِحْـرِهِ
وَمُـحَقِّـقٌ في دِيْـنِـهِ لَـمْ يَـخْـلُ مِـنْ
ضِـدٍّ يُـوَاجِـهُـهُ بِـتُـهْـمَـةِ كُـفْـرِهِ
والـعَـالِمُ الـمُفْـتِي يَـظَلُّ مُـنَـازِعَـاً
بِـالمُشْكِـلاَتِ لَـدَى مَجَالِسِ ذِكْـرِهِ
وَالـوَيْـلُ إِنْ زَلَّ اللِّسَـانُ فَـلاَ يَـرَى
أَحَـداً يُسَـاعِـدُ في إِقَـامَـةِ عُـذْرِهِ
وَأَخُـو الـدِّيَـانَـةِ دَهْـرُهُ مُـتَـنَـغِّصٌ
يَبْغِي التَّـخَلُّصَ مِـنْ مَخَـاوِفِ قَبْـرِهِ

أَوَ مَا تَرَى المَلِكَ العَزِيْزَ بِجُنْدِهِ
وَهْنَ الهُمُومِ عَلى جَلاَلَةِ قَدْرِهِ

فَيَسُرُّهُ خَبَرٌ وَفِيْ أعْقَابِهِ
هَمٌّ تَضِيْقُ بِهِ جَوَانِبُ قَصْرِهِ

وَأَخُو التِّجَارَةِ حَائِرٌ مُتَفِكِّرٌ
مِمَّا يُلاَقِيْ مِنْ خَسَارَةِ سِعْرِهِ

وَأبُو العِيَالِ أَبُو الهُمُومِ وَحَسْرَةُ الرَّ
جُلِ العَقِيْمِ كَمِيْنَةٌ في صَدْرِهِ

وَتَرَى القَرِيْنَ مُضَمِّراً لِقَرِيْنِهِ
حَسَداً وَحِقْداً فِي غِنَاهُ وَفَقْرِهِ

وَلَرُبَّ طَالِبُ رَاحَةٍ في نَوْمِهِ
جَاءَتْهُ أَحْلامٌ فَهَامَ بِأَمْرِهِ

وَالطِّفْلُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَخْرُجُ إِلىَ
غُصَصِ الفِطَامِ تَرُوعُهُ في صِغْرِهِ

وَلَقَدْ حَسَدْتُ الطَّيْرَ في أَوْكَارِهَا
فَوَجَدْتُ مِنْهَا مَا يُصَادُ بِوَكْرِهِ

وَالوَحْشُ يَأْتِيْهِ الرَّدَى في بَرِّهِ
وَالحُوْتُ يَأْتِيْ حَتْفُهُ في بَحْرِهِ

وَلَرُبَّمَا تَأْتِيْ السِّبَاعُ لِمَيِّتٍ
فَاسْتَخْرَجَتْهُ مِنْ قَرَارَةِ قَبْرِهِ

كَيْفَ التِذَاذُ أَخِيْ الحَيَاةِ بِعَيْشِهِ
مَا زَالَ وَهُوَ مُرَوَّعٌ فِي أَمْرِهِ

تَـالـلَّهِ لَـوْ عَـاشَ الفَتَى فـي أَهْـلِهِ
أَلْـفـاً مِـن الأَعْـوَامِ مَـالِـكَ أَمْـرِهِ
مُـتَـلَذِّذاً مَـعَـهُـم بِـكُـلِّ لَـذِيْـذَةٍ
مُتَنَعِـمًّـاً بِـالـعَيْشِ مُـدَّةَ عُـمْـرِهِ
لاَ يَـعْتَـرِيْـهِ النُّقْصُ فـي أَحْـوَالِـهِ
كَـلاَّ وَلا تَجْـرِي الهُـمُـومُ بِفِـكْـرِهِ

مَـا كَـانَ ذَلِـكَ كُـلُّهُ مِـمَّـا يَـفِـيْ
بِـنُـزُوْلِ أَوَّلِ لَـيْـلَةٍ فـيْ قَـبْـرِهِ
كَيْفَ التَّخَلُّصُ يَـا أَخِيْ مِمَّـا تَـرى
صَـبْـراً عـلى حُـلْـوِ الـقَـضَـاءِ وَمُـرِّهِ إِنْتَهى

آخـر :
تَـأَلَقَ بَـرْقُ الحَقِ في العـارضِ النَّجْـدِي
فَعَمَّ جَمِيْـعَ الكَونِ في الغَـوْرِ والنَّجْـدِ
وَأَوْرَقَـتِ الأَشْـجَـارُ وانْـتَـهَـضَـتْ بِـهَـا
يَـوانِـعُ أَنـواعٍ مـن الـثَـمَـرِ الـرَّغْـدِ
وأَشْـرَقَـتِ الأَنْـوَارُ مِـن زَهْـرِ وَرْدِهِ
وأَغْـبَـقَـتِ الأَقْـطَارُ مِن طِـيْـبِـهِ الـنَـدِ

وَغَرَّدَتِ الأَطْيَارُ بالذِكْرِ تُطْرِبُ المَسَامِعَ جَهْراً فَوْقَ أَغْصَانِهَا المُلْدِ

وقـامَ خـطـيـبُ الـكَـائِـنَـاتِ لِـرَبِّـهَـا
على الخُصْبِ بَعدَ المَحْلِ بالشُكْرِ والحَمْدِ
فَـذَاكَ الحَيَـا يُحْيِى القُلُوْبَ رَبِيْـعُهَـا
وَمَطعومِهَا مَـشْـرُوْبُـهـا طَـيِّـبُ الـوِرْدِ

فَهَـا نَحْنُ نَجْنِي مِـن ثِمَـارِ غِـرَاسِـهَـا
وَنَـرجُـو جَنَـاهُ العَفْـوَ في جَنَّـةِ الخُلْدِ
فـإنْ كُنْتَ مُشْتَـاقاً إلى ذَلِكَ الـجَنَـا
فَـذُقْهُ تَجِـدْ طَعمـاً ألَـذَّ مِن الشُّهْـدِ
هُـوَ الـوَحْيُ دِيْنُ اللهِ عِـصْمَـةُ أَهْلِهِ
وَحَـظُّهُمُ الأَوْفَى وَجَـدُّهُمْ الـمُجْـدِي
بـه يُنْتَجَى والنـاسُ في هَلَكَـاتِـهِمْ
بـه يُرْتَجَى نَيـلُ الـرغَـائِبِ والـرِفْـدِ
بِهِ الأَمْنُ في الدنيـا وفي الحَشْرِ واللِقَـا
ومِن قَبْـلُ عِنْدَ الاحْتِضَـارِ وفي اللَّحْـدِ
بـه تَصْلُحُ الـدُنيـا بـه تُحْقَنُ الـدِّمَـا
بـه يُحْتَمَى مِن كُـلِّ بَـاغٍ وذِي حِقْـدِ
بـه زُعْـزِعَتْ أَرْكَـانُ كِسْـرَى وَقَـيْصَـرٍ
ولم يُجْـدِ مَـا حَـازَا مِن المَـالِ والجُنْـدِ
وأمْـثَـالُهـا فـي السَّـالِكِيـنَ طَـرِيْقَـهَـمْ
أَرَنَـا كَمَـا قَـد قَـالَـهُ صَادِقُ الـوَعْـدِ
فَـلِلهِ حَـمْـدُ يَـرْتَـضِـيْـهِ لِـنَـفْـسِـهِ
عَلَى نِعَـمٍ زَادَتْ عَنِ الـحَصْـرِ والـعَـدِّ
فَـأعْـظَمُهَـا بَعْـثُ الـرَّسُـولِ مُحَـمَّـدٍ
أَمَيْـنُ إِلَـه الـحَـقِّ وَاسِـطَةَ الـعِقْـدِ
دَعَـانَـا إِلَـى الاسـلامِ دِيْـنِ إِلـهِنَـا
وتَـوْحِيْدِهِ بـالقَـوْلِ والفِعْـلِ والقَصْـدِ
هَـدَانَـا بِـهِ بَعْـدَ الضَّـلاَلَـةِ والعَمَـى
وأنْـقَـذَنَـا بَعْـدَ الـغِـوَايَـةِ بـالـرُّشْـدِ

حَبَـانَا وأَعْـطَانَا الـذِي فَـوْقَ وَهْمِنَـا
وأمْـكَنَـنَـا مِن كُـلِّ طَـاغٍ وَمُـعْـتَـدٍ
وأَيَّـدَنَـا بـالـنَّـصْـرِ واتَّـسَـعَـتْ لَـنَـا
مَمَـالِكُ لاَ تَـدْعُـو سِوَى الـوَاحِـدِ الفَـرْدِ
فَـنَسْـأَلُـهُ إِتْـمَـامَ نِـعْـمَـتِـهِ بِـأَنْ
يُـثَـبِّتَنَـا عِـنْـدَ الـمَـصَـادِرِ كَـالـوِرْدِ
فَـيَـا فَـوزَ عبـدٍ قَـامَ للهِ جَـاهِـدَاً
عَلَى قَـدَم التجـريـدِ يَهْـدِيْ وَيَسْتَهْـدِي
وَجَـرَّدَ في نَصْـرِ الـشَّـرِيْعَـةِ صَـارِمـاً
بِعَزْمٍ يُرَى أَمْضَى مِن الصَّـارِمِ الهِنْـدِي
وتَـابَعَ هَـذْيَ المُصْطَفَى الـطُّهْـرَ مُخْلِصاً
لِـخَـالِقِـهِ فِـيْـمَـا يُـسِـرُّ وَمَـا يُـبْـدِي

وَيَـا حَسْـرَةَ المَـحْـرُوْمِ رَحْمَـةَ رَبِّـهِ
بِـإِعْرَاضِـهِ عن دِيْنِ ذِي الجُـوْدِ والمَجْـدِ
لَقَـدْ فَـاتَـه الخَـيْـرُ الكَثِيْرُ وَمَـا دَرَى
وَقَـدْ خَابَ واختَـارَ النُّحُوسَ عَلَى السَّعْـدِ
ومِن بَعْـدِ حَمْـدِ اللهِ أَزْكَـى صَـلاَتِـهِ
وَتَـسلِيْـمِـهِ الأَوْفَى الـكَـثِـيْـرِ بِـلاَ حَـدِ
عَـلَى المصـطَفَى خَـيـرِ الانـامِ وآلِـهِ
وأَصحَـابِـهِ أَهْـلِ السَّـوابِـقِ والـزُّهْـدِ
إِنْتَهَى

آخـر :

أَنـا الـعَبْـدُ الـذي كَـسَبَ الـذُّنُـوبَـا
وَصَـدَّتْـهُ الأَمَـانِـيْ أَنْ يَـتُـوْبَـا
أَنَـا الـعَبْـدُ الـذِيْ أَضْحَى حَـزِيْـنـاً
عَـلَى زَلَّاتِـهِ قَـلِقَـاً كَئِـيْـبـُا
أنـا الـعَبْـدُ الـذي سُـطِرَتْ عَـلَيـهِ
صَحَائِفَ لَـمْ يَخَـفْ فِـيْـهَـا الـرَّقِـيْـبَـا
أَنَـا الـعَبْـدُ الـمُسِـيْءُ عَـصَـيْـتُ سِـرَّاً
فَـمَـا لِي الآنَ لَا أُبْـدِي الـنَّحِـيْـبَـا
أَنَـا الـعَبْـدُ الـمُفَـرِطُ ضَـاعَ عُـمْـرِي
فَـلَمْ أَرْعَ الـشَّـبِـيْـبَـةَ وَالـمَـشِـيْـبَـا
أَنَـا الـعَبْـدُ الـغَـرِيْـقُ بِـلُجِّ بَـحْـرٍ
أَصِـيْـحُ لَـرُبَّـمَـا أَلْـقَى مُـجِـيْـبَـا

أَنَـا الـعَبْـدُ السَّـقِـيْـمُ مِـنَ الـخَـطَـايَـا
وَقَـدْ أَقْـبَـلْـتُ الـتَـمِسُ الـطَّـبِـيْـبَـا
أَنَـا الـعَبْـدُ الـمُخَـلَّفُ عَـنْ أُنَـاسٍ
حَـوَوْا مِـنْ كـلِّ مَـعْـرُوفٍ نَـصِـيْـبَـا
أَنَـا الـعَبْـدُ الـشَّـرِيْـدُ ظَلَمْـتُ نَفْـسِيْ
وَقَـدْ وَافَـيْـتُ بَـابَـكُـم مُـنِـيْـبَـا
أَنَـا الـعَبْـدُ الـفَـقِـيْـرُ مَـدَدْتُ كَـفِّـي
إِلَـيْـكُـم فَـادْفَـعُـوا عَـنِّـي الـخُـطُـوبَـا

أَنَــا الـغَــدَّارُ كَمْ عَــاهَــدْتُ عَــهْــداً
وَكُــنْــتُ عَــلَى الــوَفَــاءِ بِــهِ كَــذُوبَــا
أَنَــا المَــقْــطُوعُ فَــارْحَــمْــنِي وَصِلْــنِي
وَيَــسِّــر مِنْــكَ لِــيْ فَــرَجَــاً قَــرِيْــبَــا
أَنَــا المُــضْــطَرُّ أَرْجُــو مِــنْــكَ عَــفْــواً
وَمَــنْ يَــرْجُــو رِضَــاكَ فَــلَنْ يَــخِيْــبَــا
فَــيَــا أَسَــفَــيْ عَــلَى عُــمْــرٍ تَــقَــضَّى
وَلَــمْ أَكْــسِبْ بِــهِ إِلاَّ الــذُّنُــوبَــا
وَأَحْــذَرُ أَنْ يُــعَــاجِــلُنِــيْ مَــمَــاتٌ
يُــحَــيِّــرُ هَــوْلُ مَــصْــرَعِــهِ اللَّبِــيْــبَــا
وَيَــا حَــزْنَــاهُ مِنْ حَــشْــرِيْ وَنَــشْــرِيْ
بِــيَــوْمٍ يَــجْــعَــلِ الــولــدانَ شِــيْــبَــا
تَــفَــطَّرَتْ الــســمــاءُ بِــهِ وَمَــارَتْ
وَأَصْــبَــحَــتِ الــجِــبَــالُ بِــهِ كَــثِــيْــبَــا
إِذَا مَــا قُــمْــتُ حَــيْــرَانَــاً ظَــمِــيْــئَــاً
حَــسِــيْــرَ الــطَّرْفِ عُــرْيَــانــاً سَــلِيْــبَــا
وَيَــا خَــجْــلاَهُ مِنْ قُــبْــحِ اكْــتِــسَــابِي
إِذا مَــا أَبْــدَتِ الــصُّــحُــفُ الــعُــيُــوْبَــا
وَذِلَّــةِ مَــوْقِــفٍ وَحِــسَــابِ عَــدْلٍ
أَكُــونُ بِــهِ عَــلَى نَــفْــسِــيْ حَــسِــيْــبَــا
وَيَــا حَــذْرَاهُ مِــنْ نَــارٍ تَــلَظَّى
إِذَا زَفَــرَتْ وَأَقْــلَقَــتِ الــقُــلُوْبَــا

تَـكَـادُ إذا بَـدَتْ تَـنْـشَـقُّ غَـيْـظاً
عـلى مَـن كـان ظَـلّامـاً مُـرِيْـبَـا
فَـيَـا مَـنْ مَـدُّ فِـيْ كَـسْـبِ الـخَـطَايَـاْ
خُـطَاهُ أَمَـا يَـأْنِـيْ لَـكَ أَنْ تَـتُـوْبَـا
ألاَ فَـاقْـلِعْ وَتُـبْ واجْـهَـد فـإنَّـا
رَأيْـنـا كُـلَّ مُـجْـتَـهِـدٍ مُـصِـيْـبَـا
وَأَقْـبِـلْ صَـادِقـاً في الـعَـزْمِ وَاقْصُـدْ
جَـنَـابَـاً لِـلْمُـنِـيْـبِ لَـهُ رَحِـيْـبَـا
وَكُـنْ لِـلْصَالِـحِـيْـنَ أخَـاً وَخِـلاًّ
وَكُـنْ فـي هَـذِهِ الـدُّنْـيَـا غَـرِيْـبـا
وَكُـنْ عَـنْ كُـلِّ فَـاحِـشَـةٍ جَـبَـانـاً
وَكُـنْ في الـخَـيْـرِ مِـقْـدَامـاً نَـجِـيْـبَـا
وَلاَحِظْ زِيْـنَـة الـدُّنْـيَـا بِـبُـغْضٍ
تَـكُـنْ عَـبْـداً إلى الـمَـوْلَى حَـبِـيْـبـا
فَـمَـنْ يَـخْـبُـرْ زَخَـارِفَـهـا يَـجِـدْهَـا
مُـخَـالِـبَـةً لِـطَالِـبِـهَـا خَـلُوْبَـا
وَغُضَّ عَـنِ الـمَـحَـارِمِ مَـنـكَ طَـرْفـاً
طَـمُـوحـاً يَـفْـتِـنُ الـرَّجُـلَ الأرِيْـبَـا
فَـخَـائِـنَـةُ الـعُـيُـونِ كَـأُسْـدِ غَـابٍ
إذا مَـا أُهْـمَـلَتْ وَثَـبَـتْ وُثُـوْبَـا
وَمَـنْ يَـغْـضُضْ فُضُـوْلَ الـطَّرَفِ عَـنْهَـا
يَـجِـدْ فـي قَـلْبِـهِ رَوْحَـاً وَطِـيْـبَـا

وَلاَ تُطْلِقْ لِسَانَكَ فِي كَلاَمٍ
يَجُرُّ عَلَيْكَ أَحْقَاداً وَحُوبَا

وَلاَ يَبْرَحْ لِسانُكَ كُلَّ وَقْتٍ
بِذِكْرِ اللَّهِ رَيَّاناً رَطِيْبَا

وَصَلِّ إذا الدُّجَى أَرْخَى سُدُولاً
وَلاَ تَضْجَرْ بِهِ وَتَكُن هَيُوْبَا

تَجِدْ أُنْساً إِذَا أُودِعْتَ قَبْراً
وَفَارَقْتَ المُعَاشِرُ والنَّسِيْبَا

وَصُمْ مَا تَسْتَطِيعُ تَجِدْهُ رِيَّاً
إذا ما قُمْتَ ظَمْآناً سَغِيْبَا

وَكُنْ مُتَصَدِّقاً سِرّاً وَجَهْراً
وَلاَ تَبْخَلْ وَكُنْ سَمْحاً وَهُوْبَا

تَجدْ ما قَدَّمَتْهُ يَدَاكَ ظِلاًّ
إذا ما اشْتَدَّ بالنَّاسِ الكُرُوبَا

وَكُنْ حَسَنِ السَّجَايَا وَذَا حَيَاءٍ
طَلِيْقَ الوَجْهِ لاَشَكْساً غَضُوبَا

إنْتَهَى

آخَرُ :

أَيَا لِلْمَنَايَا وَيْحَهَا مَا أُجَدَّهَا
كَأَنَّكَ يَوْماً قَدْ تَوَرَدْتَ وِرْدَهَا

وَيَا لِلْمَنَايَا مَالَهَا مِن إقَالَةٍ
إذَا بَلَغَتْ مِن مُدَّةِ الحَيِ حَدَّهَا
أَلَا يَا أُخَانَا إِنَّ لِلْمَوْتِ طَلْعَةً
وَإِنَّكَ مُذْ صُوِّرْتَ تَقْصُدُ قَصْدَهَا

وَلِلْمَرْءِ عِنْدَ المَوْتِ كَرْبٌ وَغُصَّةٌ
إذَا مَرَّتِ السَّاعَاتُ قَرَّبْنَ بُعْدَهَا
سَتُسْلِمُكَ السَّاعَاتُ فِي بَعْضِ مَرِّهَا
إلى سَاعَةٍ لا سَاعَةٌ لَكَ بَعْدَهَا
وَتَحْتَ الثَّرى مِنِّيْ وَمِنْكَ وَدَائِعٌ
قَرِيْبَةُ عَهْدٍ إِنْ تَذَكَّرْتَ عَهْدَهَا
مَدَدْتَ المُنَى طُوْلاً وَعَرْضاً وإنَّهَا
لَتَدْعُوكَ أَنْ تَهْدَا وَأَنْ لَا تَمُدَّهَا
وَمَالَتْ بِكَ الدُنْيَا إلى اللَّهْوِ والصِّبَا
وَمَنْ مَالَتِ الدُنْيَا بِهِ كَانَ عَبْدَهَا
إذَا مَا صَدَقْتَ النَّفسَ أَكْثَرتَ ذَمَّهَا
وَأَكْثَرتَ شَكْوَاهَا وَأَقْلَلْتَ حَمْدَهَا
بِنَفسِكَ قَبْلَ النَّاسِ فَاعْنَ فَإِنَّهَا
تَمُوتُ إِذَا مَاتَتْ وَتُبْعَثُ وَحْدَهَا
وَمَا كُلُّ مَا خُوِّلْتَ إِلاَّ وَدِيْعَةٌ
وَلَنْ تَذْهَبِ الأَيَّامُ حَتَّى تَرُدَّهَا
إذَا أَذْكَرَتْكَ النَّفْسُ دُنْيَاً دَنِيَةً
فَلَا تَنْسَ رَوْضَاتِ الجِنَانِ وَخُلْدَهَا

أَلَسْتَ تَـرَى الدُّنْيَـا وَتَنْغِيْصَ عَيْشِهَا
وإتْعَـابَهَـا لِلْمُكْثِـرِيْنَ وَكَـدُّهَا
وَأَدْنَي بَنِيْ الدُنْيَـا إلى الغَيِّ والعَمَى
لَمَنْ يَبْتَغِيْ مِنْهَا سَنَـاهَا وَمَجْـدَهَا

هَوَى النَّفسِ في الدُّنْيَـا إلى أنْ تَغُوْلُهَا
كَمَا غَالَتِ الدُنْيَـا أَبَـاهَا وَجَـدُّهَا
إنْتَهَى

آخـر :

أَلاَ إنمـا الـدُّنيا مَتَاعُ غُـرورِ ... ودارُ بَـلاءِ مُـؤذنٍ بثُبُـور
ودَارُ مُلِمَّـاتٍ ودارُ فَجَـائِـعِ ... ودارُ فَنـاً فـي ظُلْمَـةٍ ونُحُـورِ
ودارُ خَيَالٍ مِن شُكُوكٍ وحَيْرةٍ ... ودَارُ صُعُـودٍ في الهوى وحُدُورِ
وإنَّ إمْـرَأً لم يَنْـجُ فيها بنفْسِـهِ ... على مَا يَـرى فيها لَغَـيرُ صَبُـورِ
ولا بُدَّ مِـن يَـومَين يَوم بَلِيَّةٍ ... إرادةُ جَبَّـارٍ ويَـوم نُشُـورِ
كأنِّي بيَـوم مـا أَخَـذْتُ تَأَهُبـاً ... لِـرَبِّي رَوَاحِـي مَـرةً وبُكُـوري
كَفَى حَسْرةً أنَّ الحوَادِثُ لمْ تَزَلْ ... تُصَـيِّرُ أَهْلَ المُلْكِ أَهْـلَ قُبُـورِ

أَلاَ رُبَّ أَبْنَاءِ اتِّسَـاعِ وفَرْحَـةٍ ... وزَهْـرَةِ عَيْشٍ مُونـقٍ وحُبُـورِ
وأبْنَاءِ لَذَّاتٍ وظِـلِّ مَصَـانعٍ ... وظِـلِّ مَقَـاصِيرٍ وظِـلِّ قُصُـورِ
نَظَرتُ إليهِمْ في بُيوتٍ مِن الثَّرَى ... مُسَـتَّرَةٍ مِن رَضْرَضٍ بستُورِ
وكَمْ صُوَرٍ تَحتَ التُرابِ مُقِيْمَةٍ ... عَـلَى غَيْرِ أَبْشَـارٍ وغَيرِ شُعُورِ
ثَوَتْ في سَرَابِيْلٍ عَلَيها مِن الحَصَى ... ومِنْ لَحَفٍ مِن جَنْدَلٍ وصُخُورِ
إذَا مَـا مَـرَرْنَـا بالقُبُـور لِحَـاجَـةٍ ... مَـرَرْنَـا بـدُورٍ هُـنَّ أَجْمَـلُ دُوْرِ

ألاَ رُبَّ جبَّارٍ بهـا مُتكَـبِّرٍ ويَـا رُبَّ مُخْتَـالٍ بِهَـا وفَخُـورِ
خَلِيْليَّ كَمْ مِن مَيِّتٍ قد حَضَرْتُهُ ولكِنَّني لَـمْ أنْتَفِعْ بِحُضُـورِي
وَكَمْ مِن خُطُوبٍ قد طَوتْني كَثيرَةٍ وكَمْ مِن أمُورٍ قَدْ جَرَتْ وأمُـورِ
وَكَمْ مِن لَيالٍ قد أرَتْني عَجَائِباً لهُـنَّ وأيَّـامٍ خَـلَتْ وشُهُـورِ
ومَن لَم تَزِدْهُ السِّنُ ما عَاشَ عِبْرَةً فَذَاكَ الذي لا يَسْتَضِيءُ بِنُـورِ
مَتَى دَامَ في الدُّنيا سُرُوْرٌ لِأهْلِها فأَصْبَحَ فِيهـا واثِقـاً بسُـرُوْرِ؟
إنْتَهَى

آخَـــرُ :

أَلَمْ تَـرَ أنَّ المَـرْأَ يَحْبِـسُ مَالَهُ
وَوَارِثُـهُ فِيْـهِ غَـداً يَتَمَتَّـعُ
كَأنَّ الحُمَـاةَ المُشْفِقِينَ عَلَيْكَ قَدْ
غَدَاوا بِكَ أوْ رَاحُوا رَوَاحاً فَأَسْـرَعُوا
وما هُوَ إلاَّ النَّعْـشُ لَوْ أتَـوَا بِهِ
تُقَـلُّ فتَلَقَـى فَـوْقَهُ ثُمَّ تُـرْفَـعُ
وَمَـا هُوَ إلاَّ حَـادِثٌ بَعْـدَ حَادِثٍ
عَلَيْكَ فَمِنْ أيِّ الحَـوَادِثِ تَجْـزِعُ
وَمَا هُوَ إلاَّ المَـوْتُ يَأْتِيْ لِوَقْتِـهِ
فَمَالَكَ في تَأْخِـيْرِهِ عَنْكَ مَـدْفَعُ
أَلَا وإذَا وُدِّعْتَ تَـوْدِيْـعَ هـالـك
فآخر يومٍ منـك يـومٌ تُـوَدَّعُ
أَلَا وَكَمَـا شَيَّعْتَ يَـوْماً جَنَـائِزاً
فَأَنْتَ كَمَـا شَيَّعْتَهُـم سَتُشَيَّـعُ

رَأَيْتُكَ فِي الدُّنْيَـا عَلَى ثِقَـةٍ بِهَـا
وَإِنَّكَ فِي الدّنْيَـا لأنْتَ المُـــرَوَّعُ
وَصَفْتَ التُّقَى وَصْفـاً كَأَنَّكَ ذُوْ تُقَى
وَرِيْحُ الخَطَـايَا مِنْ ثِيَـابِكَ تَسْطَعُ
وَلَمْ تُعْنَ بالأمـرِ الذي هُوَ وَاقِـعُ
وَكُلُّ امْـرِىءٍ يَعْنَى بِمَـا يَتَـوَقَّعُ
وَإِنَّكَ لَلْمَنْقُوْصِ فِي كُلِّ حَـالَةٍ
وَكُلُّ بَنِي الدُّنْيَـا عَلَى النَّقْصِ يُطْبَعُ
وَمَا زِلْتُ أَرْمِيْ كُلَّ يَوْمٍ بِعِبْرَةٍ
تَكَـادُ لَهَـا صُمُّ الجِبَـال تَصَـدَّعُ
فَمَـا بَالُ عَيْنِيْ لَا تَجُـوْدُ بِمَائِهَا
وَمَا بَالُ قَلْبِيْ لَا يَـرِقُّ وَيَخْشَـعُ
تَبَارَكَ مَنْ لَا يَمْلِكُ المُلْكَ غَـيْرُهُ
مَتَى تَنْقَضِي حَاجَاتُ مَنْ لَيْسَ يَقْنَعُ
وَأَيُّ امْـرِءٍ فِي غَـايَةٍ لَيْسَ نَفْسُـهُ
إِلَى غَايَةٍ أُخْـرَى سِـــوَاهَا تَطَـلَّعُ
وَبَعْضُ نَبِي الدُّنْيَـا لِبَعْضٍ ذَرِيْعَـةٌ
وَكُلٌّ بِكُـلَ قَلمَّـــاَ يَتَمَتَّـــعُ
يُحِبُّ السَّعِيْدُ العَدْلَ عِنْدَ احْتِجَاجِهِ
وَيَبْغِيْ الشَّقِيُّ البَغْيَ والبَغْيُ يَصْـرَعُ

إِنْتَهَى

اخـــر:

خَفِّضْ هُمُـومَكَ فَـالحَيَاةُ غَـرُوْرُ
وَرَحَى المَنُـونِ على الأنَـامِ تَـدُوْرُ

وَالـمَــرْءُ في دَارِ الـفَـنَـاءِ مُـكَـلَّفٌ
«لاَ مُـهْمَـلٌ فِـيْهَـا وَلاَ مَـعْـذُوْرُ»
وَالنَّـاسُ في الـدُّنْيَـا كَـظِلٍ زَائِـلٍ
كُـلٌ إلـى حُكـمِ الفَـنَـاءِ يَصِـيْـرُ
فَـالنِّكْسُ وَالمَلِكُ الـمُتَـوَّجُ وَاحِـدٌ
لا آمِـرٌ يَـبْـقَـى وَلاَ مَـأْمُـوْرُ
عَجَبَـاً لِمَنْ تَـرَكَ التَّـذَكُّـرَ وَانْثَنَى
في الأمْـرِ وَهُـوَ بِعَيْشِـهِ مَغْـرُوْرُ
وَإِذَا القَضَـاءُ جَـرَى بَـأَمْـرٍ نَـافِـذٍ
غَلِطَ الـطَّبِيْـبُ وَأَخْـطَأَ التَّـدْبِيْـرُ
إنْ لُمْتُ صَرْفَ الدَّهْـرِ فيه أجَـابَنِيْ
أبَـتِ النُّـهَى أنْ يُـعْتَـبَ المَـقْـدُوْرُ
أوْ قُلْتُ لَـهْ أيْنَ المُؤَيَّـدُ قَـالَ لِيْ
أيْـنَ المُـظَفَّـرُ قـبْـلُ وَالمَـنْصُــوْرُ
أمْ أيْنَ كِسْـرَى أزْدَ شِيْـرُ وَقَيْصَـرٌ
وَالهُرْمُزَانُ وَقَبْلَهُمْ سَـابُوْرُ
أيْنَ ابْنُ دَاوُدَ سُلَيْمَانُ الذِيْ
كَـانَـتْ بِجَـحْفَـلِهِ الجِبَـالُ تَمُـوْرُ
وَالـرِّيْـحُ تَجْـرِي حَيْثُ شَـاءَ بِـأمْـرِهِ
مُـنْـقَـادَةً وَبِـهِ الـبِسَـاطُ يَـسِـيْـرُ
فَتَكَتْ بِهِمْ أيْـدِيْ المَنُونِ وَلَمْ تَـزَلْ
خَيْـلُ المنُـوْنِ على الأنَـامِ تُغِيْـرُ

لَوْ كَانَ يَخْلُدُ بالفَضَائِل مَاجِدٌ
مَا ضَمَّتِ الرُّسُلَ الكِرَامَ قُبُوْرُ
كُلٌ يَصِيْرُ إلى البِلَى فَأجَبْتُهُ
إنِّي لأَعْلَمُ وَاللَّبِيْبُ خَبِيْرُ
أنَّ الحَيَاة وَانْ حَرِصْتَ غُرُوْرُ
وَرَأيْتُ كُلاًّ يُعَلِّلُ نَفْسَهُ
بتَعِلَّةٍ وَإلى الفَنَاءِ يَصِيْرُ

إنْتَهى

آخر :

نَادَتْ بِوَشْكَ رَحِيْلِكَ الأيَّامُ
أفَلَسْتَ تَسْمَعُ أمْ بِكَ اسْتِصْمَامُ
ومَضَى أمَامَك مَنْ رَأيْتَ وأنْتَ لِلْـ
بَاقِيْنَ حَتَّى يَلْحَقُوكَ إمَامُ
مَالِيْ أرَاك كَأنَّ عَيْنَكَ لا تَرَى
عِبَراً تَمُرُّ كَأنَّهنَّ سِهَامُ
تَأتِي الخُطُوبُ وأنْتَ مُنْتَبِهٌ لَهَا
فَإذَا مَضَتْ فكَأنَّهَا أحْلَام
قَدْ وَدَّعَتْكَ مِن الصِّبَا نَزَوَاتُهُ
فاجْهَدْ فمَالَكَ بَعدَهُنَّ مَقَامُ
وأرْضَ المَشِيْبَ مِن الشَّبابَ خَلِيْفَةً
فكِلاَهُمَا لَكَ خِلْفَةٌ ونِظَامُ

وكِلاهُما حُجَجٌ عَلَيْكَ قَويَّةٌ
وكِلاهُمَا نِعَمٌ عَلَيْكَ جِسَامُ
ولَقَدْ غَنَيْتَ مِن الشَّبابِ بِغِبْطَةٍ
ولَقَد كَسَاكَ وَقَارُهُ الإسْلامُ
أهْلاً وسَهْلاً بالمشِيْبِ مُؤدِبا
وعلَى الشَّبابِ تَحِيَّةٌ وسَلَام
ما زُخْرُفُ الدُّنْيَا وزُبْرُجُ أهْلِهَا
إلا غُرُوْرٌ كُلُّهُ وحُطَامُ
ولَرُبَّ ذِي فُرُشٍ مُمَهَّدَةٍ لَهُ
أمْسَى عليهِ مِن التُّرابِ رُكَامُ
وَلَكَمْ رَأيْتُ مَحَلَّةً أقْوتْ وَكَمْ
جَدَثٌ رأيْتُ تَلُوحُ فِيه عِظَامُ
والموتُ يَعْمَلُ والعُيونُ قَرِيْرَةٌ
تَلْهُو وتَعْبَثُ بالمُنَى وتَنَامُ
فالحمدُ للّهِ الذِي هُوَ دَائِمٌ
أبَداً ولَيسَ لِمَا سِوَاهُ دَوَامُ
والحمدُ للّه الذِي لجِلالِهِ
وَلِحِلْمِهِ تَتَصَاغَرُ الأحْلَامُ
والحمدُ للّهِ الذي هو لَمْ يَزَلْ
لا تَسْتَقِلُ بِعِلْمِهِ الأوْهَامُ
سُبحانَهُ مَلِكٌ تعالَى جَدُّهُ
ولِوَجْهِهِ الإجْلالُ والإكْرَامُ
إنْتَهَى

أضحَى ذَلِيلاً صَغِيْرَ الشأنِ مُنفَرِداً
وما يُرَى عِنْدَهُ في القَبْرِ بَوّابَا
وقَبْلَكَ النَّاسُ قَدْ عَاشُوا وقَدْ هَلَكُوا
أصْبَحْتَ مِمَّا ستَلْقَى النَفْسُ هَرَّابَا
إكَدَحْ النَفسِكَ مِن دارٍ تُزَايِلُهَا
ولا تَكُنْ لِلَّذِيْ يُؤْذِيكَ طَلّابَا
إنْتَهَى

آخر :

ومما أشير فيه الى بعض المعجزات التي وردت في القران ما يلي :

هو اللهُ مَن أعْطَى هُدَاهُ وَصَحَّ مِن
هواه أراه الخَارقَاتِ بحِكْمَةِ
بِذَاكَ عَلى الطُوفانِ نُوْحُ وَقَدْ نَجا
بِهِ مَنْ نَجا في قَوْمِهِ في السَّفِيْنَةِ
وَغَاضَ لَهُ مَا فَاضَ عَنْهُ اسْتِجَابَةً
وَجَدُّ إلى الجُوْدِيْ بِهَا وَاسْتَقَرَّتِ
وَسَارَ ومَتْنُ الرِّيحِ تَحْتَ بِسَاطِهِ
سُلَيْمَانُ بالجَيْشَيْن فَوْقَ النَسْطَة
وَقَبْلَ ارْتِدَادِ الطَّرْفِ أُحْضِرَ مِنْ سَبَا
لَهُ عَرْشُ بِلْقِيسٍ بِغَيْرِ مَشَقَّةِ
وَأَخْمَدَ لإبْرَاهِيمَ نَارَ عَدُوِهِ
وَفي لُطْفِهِ عَادَتْ لَهُ رَوْضَ جَنَّةِ

آخـــرُ :

اكْدَحْ لِنَفسِكَ قَبْلَ المَوْتَ في مَهلٍ
ولا تكنْ جَاهلاً في الحــقِ مُرْتَاباً
إنّ المنيَّــةَ مَــورُودٌ مَنَــاهِلُهَــا
لَا بُدَّ مِنْهَا ولَوْ عُمِّــرتَ أحْقَــابَا
وفي اللّيَــالِي وفي الأيــامِ تَجْــربةٌ
يَزْدادُ فِيْهَا أُولُو الألبَــاب ألْبَــابَا
بَعْدَ الشَــبابِ يَصِــيْر الصُّلْبُ مُنْحَنِياً
والشَّعْرُ بَعْدَ سَوادٍ كَانَ قَدْ شَــابَا
يُفْنِي النفــوسَ ولَا يُبْقِي عَلَى أحدٍ
لَيــلٌ سَرِيعٌ وشَمْسٌ كَــرُّهَا دَابَا
لِمُســتقرٌ ومِيقَــاتٍ مُقَـــدَّرةٍ
حَتَّى يَعُــودَ شُهودُ النَّاسِ غُيَّــابَا
ومَن تُعَــاقِرهُ الأيــامُ تُبْـــدِلُهُ
بالجارِ جَــاراً وبالأصَحــابَ أصحَابَا
خَلُّوا بُروجــاً وأوطَــاناً مُشَــيَّدَةً
ومُؤْنِسِــينَ وأصْهَــاراً وأنْسَـــابَا
فَيَالَهُ سَفَــراً بُعْــداً ومُغْــتَرَبا
كُسِيْتَ مِنْهُ لِطُــولِ النَّــأيِ أثْوَابَا
بِمُوحِــشٍ ضَيِّـــقٍ نَــاءٍ مَحَــلَّتُهُ
ولَيْسَ مَن حَلَّهُ مِن غَيْبَـــةٍ آبَا
كَمْ مِن مَهِيْبٍ عَظِيْم المُلْكِ مُتَّخِــذٍ
دُونَ السُّـــرادِقِ حُرَّاســاً وَحُجَّــابَا

وَلَمَّـا دَعَـا الأَطْيَـارَ في رَأْسِ شَاهِقٍ
وَقَــدْ قُطِعَتْ جَـاءَتْـهُ غَيْـرَ عَصِيَّـةِ

وفـي يَـدِهِ مُـوْسَى عَـصَــاهُ تَلَقَّـفَـتْ
مِنَ السِّحْـرِ أهْـوَالاً عَلَى النَّفْسِ شَقَّـةِ

وَمِنْ حَجَـرٍ أَجْرَى عُيُـوناً بِضَــرْبَـةٍ
بِهَــا دَائِمـاً سَقَتْ وَلِلْبَحْـرِ شَـقَّتِ

وَيُـوْسُفُ إذ أَلْقَى البَشِيْـرُ قَمِيْصَهُ
عَلَى وَجْـهِ يَعْقُوبٍ عَلَيْـهِ بِأَوْبَـةِ

رَآهُ بِعَيْـنٍ قَبْـلَ مَـقْـدَمِـهِ بَكَـى
عَـلَيْـهِ بِهَـا شَـوْقـاً إليـه فَكَفَّـتِ

وفي آلِ إِسْـرَائِيــلَ مَـائِـدَةُ السَّمَـا
لِعِيْسَى بنِ مَـرْيَمْ أُنْــزِلَتْ ثُمَّ مُـدَّتِ

وَمِنْ أَلَمٍ أَبْــرَى وَمِـنْ وَضَـحٍ غَـدَا
شَفَى وَأَعَـادَ الـطَّيْـرَ طَيْـراً بِنَفْخَـةِ

وَصَـحَّ بِـأَخْـبَـارِ الـتَّـواتُـرِ أَنَّـهُ
أَمَـاتَ وَأَحْيَـا بِـالـدُّعَـا رَبُّ مَيِّتِ

وَأَبْعَــدُ مِن هَــذَا عَـن السِّحْـرِ أَنَّـهُ
رَضِيْـعٌ يُنَـادِي بِـاللِّسَـانِ الفَصِيْحَـةِ

يُـنَـزِّهُ عن ريـبِ الـظُّنُـونِ عَفِـيْفَـةً
مُـبَـرَّأَةً مِـن كُـلِّ سُـوْءٍ وَرِيْـبَـةِ

وقــال لأهْــلِ السَّبْتِ كُـونُــوا إِلَهُنَـا
قُـرُوْداً فَكَـانُـوا عِبْـرَةً أيَّ عِبْـرَةِ

وَصَــرَّعَ أَهْــلَ الفِيْــلِ مِن دُوْنِ بَيْتِــهِ
بِــطَيْــرِ أَبَــابِيْــلٍ صِغَــارٍ ضَعِيْفَــةِ
وَأَحْــرَقَ رَوْضَ الـجَنَّتَيْـنِ عُـقُـوبَـةً
بِــكَــافٍ وَنُــونٍ عِــبْــرَةً لِــلْبَــرِيَّــةِ
إنْتَهَى

آخــر :

وقال يُوْسُفُ بنُ مُحَمَّدٍ الصَّرْصَرِي رحمه اللهُ :

مُـحَمَّــدُ الـمَبْـعُـوْثُ لِلْخَلْقِ رَحْـمَــةً
يُـشَيِّــدُ مَــا أَوْهَـى الضَّــلاَلُ وَيُـصْلِحُ
لَئِـنْ سَبَّـحَتْ صُـمُّ الجِبَـالِ مُجِيْبَـةً
لِــدَاودَ أَوْ لاَنَ الـحَـدِيْـدُ المُـصَفَّـحُ
فَــإِنَّ الصُّخُــورَ الـصُمَّ لانَـتْ بِكَـفِّـهِ
وإِنَّ الـحَصـى فـي كَـفِّـهِ لَـيُـسَبِّـحُ
وإِنْ كَانَ مُوسَى أَنْبَـعَ الْمَامِن الحَصَى
فَمِنْ كَفِّـهِ قَـدْ أَصْبَحَ المَـاءُ يَـطْفَـحُ
وإِنْ كـانَتِ الـرِّيْـحُ الـرُّخَـاءُ مُـطِيْعَــةً
سُلَيْمَــانَ لا تَــأْلُـوْ تَـرُوْحُ وَتَـسْـرَحُ
فَــإِنَّ الصَّبَــا كَــانَـتْ لِنَـصْـرِ نَبِيِّنَــا
بِـرُعْبٍ على شَهْـرٍ بِــهِ الخَصْمُ يَكْلَحُ
وإِنْ أُوْتِيَ المُلْكَ العَـظِيْمَ وَسُخِّـرَتْ
لَــهُ الجِنُّ تَشْفِي مَــا رِضِيْــهِ وَتَـلْدَحُ

فـإنَّ مَفَـاتِيْـحَ الـكُنـوزِ بِـأسْـرَهـا
أَتَتْـهُ فَـرَدَّ الـزَّاهِـدُ الـمُـتَـرَجِّـحُ

وإنْ كـانَ إبـراهـيـمُ أُعْـطِيَ خُـلَّةً
وَمُـوْسَى بِتَكْلِيْمٍ عَلَى الـطُورِ يُمْنَـحُ

فَـهـذَا حَبِيْبٌ بَـلْ خَـلِيْـلٌ مُكَـلمٌ
وخُصِّصَ بـالـرُؤْيَـا وبـالحَقِ أَشْـرَحُ

وَخُصِّصَ بـالحَـوْضِ العَـظِيْمِ وبـاللِّوَا
وَيَـشْفَـعُ لِـلْعَـاصِيْـنَ والنَّـارُ تَـلْفَـحُ

وبـالمَقْعَـدِ الأَعْلَى المُقَـرَّبِ عِنْـدَهُ
عَـطَاءٌ بِـبُـشْـرَاهُ أُقِـرُّ وَأَفْـرَحُ

وبـالـرُتْبَـةِ العُلْيَـا الـوَسِيْلَةِ دُوْنَهَـا
مَـرَاتِـبُ أَرْبَـابِ المَـوَاهِـبِ تَـلْمَـحُ

وفـي جَنَّـةِ الـفِـرْدَوْسِ أَوَّلُ دَاخِـلٍ
لَـهُ سَـائِـرُ الأَبْـوَابِ بـالخَيْـرِ تُفْتَـحُ

انْتَهَى

وقال ابن القيم رحمه الله :

فَيَاسَاهِياً في غَمْرَةِ الجَهْلِ والهَوَى — صَرِيْعَ الأَمَانِيْ عَنْ قَرِيْبٍ سَتَنْدَمُ
أفِقْ قَدْ دَنَى الوَقْتُ الذِيْ لَيْسَ بَعْدَهُ — سِوَى جَنَّةٍ أَوْ حَرُّ نَارٍ تَضَـرَّمُ
وبالسُّنَّةِ الغَرَّاءِ كُنْ مُتَمَسِّكـاً — هِيَ العُرْوَةُ الوُثْقَى التي لَيْس تُفْصَمُ
تَمَسَّكْ بِهَا مَسْكَ البَخِيْلِ بِمَالِهِ — وَعَضَّ عَلَيْهَا بالنَّواجِذِ تَسْـلَمِ
وَدعْ عَنْكَ مَا قَدْ احْدَثَ النَّاسُ بَعْدَهَا — فَمَرْتَعُ هَاتِيْكَ الحَوَادِثِ أَوْخَـمُ
وَهَيِّءْ جَوَاباً عِنْدَمَا تَسْمَعُ النِّدَا — مِنَ الله يَوْمَ العَرْضِ مَاذَا أَجَبْتُمُ

بِه رُسُلِيْ لَمَّا أتوكُمْ فَمَنْ يَكُنْ ... أجابَ سواهُمْ سَوفَ يُجْزَى وَيَنْدَمُ
وَخُذْ مِنَ تُقى الرَّحمن أعْظَمَ جُنَّةٍ ... لِيَوْمٍ بِهِ تَبْدُوْ عِيَاناً جَهَنَّمُ
وَيُنْصَبُ ذَاكَ الجَسْرُ مِنْ فَوْق مَتْنِهَا ... فَهَاوٍ وَمَخْدُوْشٌ وناجٍ مُسَلَّمُ
وَيَأتِيْ إلَهُ العَالَمِيْنَ لِوَعْدِهِ ... فَيَفْصِلُ مَا بَيْنَ العِبَادِ وَيَحْكُمُ
وَيَأخُذُ لِلْمَظْلُوم رَبُّكَ حَقَّهُ ... فَيَابُؤْسَ عَبْدٍ لِلْخَلائِقِ يَظْلِمُ
وَيُنْشَرُ دِيْوَانُ الحِسَاب وَتُوْضَعُ الْـ ... ـموَازِيْنُ بالقِسْطِ الذي لَيْسَ يَظْلِمُ
فَلاَ مُجْرِمٌ يَخْشَى ظَلاَمَةَ ذَرَّةٍ ... ولا مُحْسِنٌ مِن أجْرِهِ ذَاكَ يُهْضَمُ
وَتَشْهَدُ أعْضَاءُ المُسِيء بِمَا جَنَى ... كذَاكَ على فِيْهِ المُهَيْمِنُ يَخْتِمُ
فَيَالَيْتَ شِعْرِيْ كَيْفَ حَالُكَ عِنْدَمَا ... تَطَايَرُ كُتْبُ العَالَمِيْنَ وتُقْسَمُ
أتَأخُذُ باليُمْنَى كِتَابَكَ أمْ تَكُنْ ... بالأخْرى وَرَاءَ الظَّهْرِ مِنْكَ تَسَلَّمُ
وَتَقْرَأ فِيْهَا كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْتَهُ ... فَيُشْرِقُ مِنْكَ الوَجْهُ أوْ هُوَ يُظْلِمُ
تَقُوْلُ كِتَابِي فاقْرَؤُهُ فَإنَّهُ ... يُبَشِّرُ بالفَوْزِ العَظِيْمِ وَيُعْلِمُ
وإن تَكُنِ الأخْرَى فإنَّكَ قَائِلٌ ... الا لَيْتَنِيْ لَمْ أوْتَهُ فَهُوَ مَغْرَمُ
فَبَادِرْ إذاً مَا دَامَ في العُمْرِ فُسْحَةٌ ... وعَدْلُكَ مَقْبُوْلٌ وَصرْفُكَ قَيِّمُ
وَجُدَّ وَسَارِعْ واغْتَنِمْ زَمَنَ الصِّبَا ... فَفِي زَمَنِ الامْكَانِ تَسْعَى وَتَغْنَمُ
وَسِرْ مُسْرِعاً فالمَوتُ خَلْفَكَ مُسْرِعاً ... وَهَيْهَاتَ مَا مِنْهُ مَفَرٌّ وَمَهْزَمُ

إنْتَهَى

وقال **ابن القيم رحمه الله :**

إذَا طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ فَإنَّهَا
أمَارَةُ تَسْلِيْمِي عَلَيْكُمْ فَسَلِّمُوْا
سَلامٌ مِنَ الرَّحْمنِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
وَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ، وفَضْلٌ وأنْعُمُ

عَلَى الصَّحْبِ والإِخْوَانِ والوِلْدِ والألى
رَعَـاهُمْ باحْسَـانٍ فَجَـادُوْا وأَنْعَمُـوْا
وَسَـائِرِ من لِلسُّنَّـةِ المَحْضَةِ اقْتَفَى
ومـا زَاغَ عَنْهَـا فَهْـوَ حَقٌّ مُقَـوَّمُ
أُولئِـكَ أَتْبَـاعُ النَّبِيِّ وحِـزْبِـهِ
وَلَوْلاَهُمُ مَا كَانَ فِي الأَرْضِ مُسْلِمُ
ولَـوْلاَهُمْ كـادت تَمِيْـدُ بـأَهْلِهَـا
ولـكِنْ رَوَاسِـيْهَـا وَأَوْتَـادُهَـا هُـمُ
ولَـوْلاَهُمْ كَـانَتْ ظَـلاماً بـاَهْلِهَا
ولاكِـنَّهُـمْ فِـيْـهَـا بـدُوْرٌ وأَنْـجُـمُ
أُولَئِـكَ أَصْحَـابِيْ فَحَيٌّ هَـلاً بِهِم
وحَـيٌّ هَـلاً بـالـطَّيِّبِيْـنَ وأَنْـعُـمُ
لِكُـلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ سَـلامٌ يَخُصُّـهُ
يُـبَـلِّغُـهُ الأَدْنَـى إِلَـيْـهِ وَيَـنْـعَـمُ
فَيَا مُحْسِناً، بَلِّغْ سَلاَمِيْ وقُلْ لَهُمْ :
مُـحِبُّكُمْ يَـدْعُـوْ لَـكُمْ، ويُـسَلِّمُ
ويَـا لاَئِمِيْ فِـي حُبِّـهِمْ وَوَلائِـهِمْ
تامَّلْ، هَدَاكَ اللّهُ، مَنْ هُوَ أَلْوَمُ
بـأَيِّ دَلِـيْـلٍ أَمْ بِـآيَـةِ حُجَّـةٍ
تَـرَى حُبَّهُم عَـاراً عَلَيَّ، وتَنْقِمُ
وَمَـا العَـارُ إلاّ بُغْضُهُمْ واجْتِنَـابُهُمْ
وحُبُّ عِـدَاهُمْ ذَاكَ عَـارٌ ومَـأْثَمُ

أمَا وَالّذِي شَقَّ القُلُوبَ ، وأوْدَعَ الْـ
مَحَبَّـةَ فِيْهَـا حَيْثُ لاَ تَتَصَـرَّمُ
وحَمَّلَهَـا قَـلْبَ المُـحِبِّ ، وإنَّـهُ
لَيَضْعُفُ عَنْ حَمْلِ القَمِيْصِ ، وَيَألَمُ
وذَلَّلَهَـا حَتّى اسْتَكَانَتْ لِصَـوْلَةِ الْـ
مَـحَبَّـةِ لا تَـلْوِيْ وَلاَ تَـتَلَعْثَـمُ
وذَلَّـلَ فِيْهَـا أنفسـاً دُوْنَ ذُلِّـهَـا
حِيَاضُ المَنَايَا فَوْقَهَـا ، وهْيَ حُوَّمُ
لأنْتُمْ عَلَى قُـرْبِ الدِّيَـارِ وبُعْدِهَـا
أحِبَّتَنَـا ، إنْ غِبْـتُمُ أوْ حَـضَـرْتُمُ
سَلُوا نَسَمَاتِ الرِّيْحِ كَمْ قَدْ تَحَمَّلَتْ
مَحَبَّـةَ صَبٍّ شَوْقُـهُ لَيْسَ يُكْتَمُ !!
وشَـاهِـدُ هَـذَا أنَّهَـا فِي هُبُـوْبِهـا
تَكَـادُ تَبُثُّ الـوِجْـدَ لَـوْ تَتَـكَلَّمُ
وكُنْتُ إذا مَا اشْتَدَّ بِي الشَّوْقُ والجَوَى
وكَادَتْ عُرَى الصَّبْرِ الجَمِيْلِ تفصَّمُ
أعَلِّلُ نَفْسِيْ بِـالتَّـلاقِيْ وقُـرْبِـهِ
وأوْهِمُـهَـا ، لَـكِنَّـهَـا تَـتَـوَهَّـمُ
وأتْبِـعُ طَـرْفِي وِجْهَـةً أنْتُمْ بِهَـا
فَلِيْ بِحِـمَـاهَـا مَـرْبَـعٌ ومُخَيَّمُ
وأذْكُـرُ بَيْتاً قَـالَـهُ بَعْضُ مَنْ خَـلاَ
وَقَـدْ ضَلَّ عَنْـهُ صَبْرُهُ فَهْـوَ مُغْرَمُ

«أسَائِلُ عَنْكُمْ كُلَّ غَادٍ ورَائِحٍ
وأوْمِي إلى أوْطَانِكُمْ وأُسَلِّمُ»

وَكَمْ يَصْبِرِ المُشْتَاقُ عَمَّنْ يُحِبُّهُ
وفِي قَلْبِهِ نَارُ الأسَى تَتَضَرَّمُ

أمَا وَالَّذي حَجَّ المُحِبُّوْنَ بَيْتَهُ
ولَبَّوْا لَهُ عِنْدَ المَهَلِّ، وأحْرَمُوْا

وقَدْ كَشَفُوْا تِلْكَ الرُّؤُوْسِ تَوَاضُعاً
لِعِزَّةِ مَنْ تَعْنُوْ الوُجُوْهُ وتُسْلِمُ

يُهِلُّونَ بالبَيْدَاءِ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا
لَكَ المُلْكُ والحَمْدُ الَّذِي أنْتَ تَعْلَمُ

دَعَاهُمْ فَلَبَّوْهُ رِضىً وَمَحَبَّةً
فَلَمَّا دَعَوْهُ كَانَ أقْرَبَ مِنْهُمُ

تَرَاهُمْ عَلَى الإنْضَاءِ شُعْثاً رُؤُوْسُهُمْ
وغُبْراً، وهُمْ فِيْهَا أسَرُّ وأنْعَمُ

وَقَدْ فَارَقُوْا الأوْطَانَ والأهْلَ رَغْبَةً
وَلَم يَثْنِهِمْ لَذاتُهُمْ والتَّنَعُّمُ

يَسِيْرُوْنَ مِن أقْطَارِهَا وفِجَاجِهَا
رِجَالاً ورُكبَاناً، ولِلَّهِ أسْلَمُوْا

وَلَمَّا رَأتْ أبْصَارُهُمْ بَيْتَهُ الَّذي
قُلُوبُ الوَرَى شَوْقاً إلَيْهِ تَضَرَّمُ

كَأنَّهُمْ لَمْ يَنْصِبُوْا قَطُّ قَبْلَهُ
لِأنَّ شَقَاهُمْ قَدْ تَرَحَّلَ عَنْهُمُ

فَـلِلّهِ كَمْ مِـنْ عَـبْـرةٍ مُـهَـرَاقَـةٍ
وأُخْـرَى عَـلَى آثَـارِهَـا تَتَـقَـدَّمُ
وَقَـدْ شَرِقَتْ عَيْنُ المُحِبِّ بِـدَمْعِهَا
فَيَنْظُرُ مِنْ بَيْنِ الدُّمُـوْعِ ، ويُسْجِمُ
إذَا عَـايَنَتْـهُ العَيْنُ زَالَ ظَـلاَمُهَـا
وَزَالَ عَن القَلْبِ الكَئِيْبِ التَّـأَلُّمُ
وَلَا يَعْرِفُ الطَّرْفُ المُعَـايِنُ حُسْنَهُ
إلى أَنْ يَعُوْدَ الطَّرْفُ ، والشَّوْقُ أعْظَمُ
وَلاَ عَجَبٌ مِنْ ذَا فَحِيْنَ أَضَـافَـهُ
إلى نَفْسِهِ الرَّحْمنُ ، فَهْوَ المُعَظَّمُ
كَسَاهُ مِنَ الإجْـلاَلِ أعْـظَمَ حُلَّةٍ
عَلَيْهَـا طِـرَازٌ بِـالمَـلاَحَـةِ مُعْلَمُ
فَمِنْ أجْلِ ذَا كُلُّ القُلُوبِ تُحِبُّهُ
وتَخْضَـعُ إجْـلاَلاً لَـهُ ، وتُعَـظِّمُ
وَرَاحُوْا إلى التَّعْرِيْفِ يَرْجُوْنَ رَحْمَةً
وَمَغْفِـرَةً مِـمَّـنْ يَـجُـوْدُ ويُـكْـرِمُ
فَلِلَّهِ ذَاكَ المَـوْقِفُ الأَعْظَمُ الَّـذِي
كَمَوْقِفِ يَوْمِ العَرْضِ بَلْ ذَاكَ أعْظَمُ
وَيَـدْنُـو بِـهِ الجَبَّارُ جَـلَّ جَـلاَلُـهُ
يُبَـاهِيْ بِهِمْ أمْلاَكَـهُ ، فَهْـوَ أكْـرَمُ
يَقُـوْلُ : عِبَادِيْ قَـدْ أَتَـوْنِي مَحَبَّةً
وَإنِّـي بِهِـمْ بَـرٌّ أَجُــوْدُ ، وأرْحَمُ

فـأُشْهِدُكُمْ أَنِّيْ غَفَـرْتُ ذُنُـوبَهُمْ
واُعْـطِيْتُـهُـمْ مَـا أَمَّلُوْهُ وأَنْـعَـمُ
فَبُشْرَاكُمْ يَا أَهْلَ ذَا المَوْقِفِ الّذِي
بِـهِ يَغْفِرُ اللّهُ الـذُّنُـوبَ ، ويَـرْحَمُ
ومَا رُؤيَ الشَّيْطَانُ أغْيَظَ فِي الْوَرَى
واحْقَـرَ مِنْـهُ عِنْـدَهَـا ، وَهْـوَ الأمْ
وَذَاكَ لِأمْـرٍ قَـدْ رَآهُ فَـغَـاظَـهُ
فَأَقْبَلَ يَحْثُو التُّرْبَ غَيْـظاً ، ويَلْطِمُ
ومَا عَايَنَتْ عَيْنَـاهُ مِنْ رَحْمَةٍ أَتَتْ
ومَغْفِرَةٍ مِنْ عِنْدَ ذِي العَرْشِ تُقْسَمُ
بَنَى مَـا بَنَى ، حَتَّى إذا ظَنَّ أنَّهُ
تَمَكَّنَ مِنْ بُنْيَـانِـهِ ، فَهْـوَ مُحْكَمُ
أتَى اللّهُ بُنْيَـانـاً لَـهُ مِنْ أسَـاسِـهِ
فَـخَـرَّ عَلَيْـهِ سَـاقِـطاً يَـتَـهَـدَّمُ
وكَمْ قَـدْرَ مَـا يَعْلُو البِنَـاءُ ويَنْتَهِيْ
إذَا كَانَ يَبْنِيْهِ وذُو العَرْشِ يَهْدِمُ !!
وَرَاحُوْا إلى جَمْعٍ فَبَاتُوْا بِمَشْعَرِ الْـ
حَرَامِ وَصَلُّوا الفَجْرَ ، ثُمَّ تَقَـدَّمُوْا
إلى الجَمْرَةِ الكُبْرى يُرِيْدُوْنَ رَمْيَهَا
لِـوَقْتِ صَلاةِ العِيْـدِ ، ثُمَّ تَيَمَّمُوْا
مَنَـازِلَهُم لِلنَّـحْـرِ يَبْـغُـوْنَ فَضْـلَهُ
وإحْيَـاءَ نُسْكٍ مِنْ أبِيْهِم يُعَـظَّمُ

فَلَوْ كَانَ يُرْضِي اللّهَ نَحْرُ نُفُوسِهِمْ
لَدَانُوا بِهِ طَوْعاً ، وللأمْرِ سَلَّمُوْا
كَمَا بَذَلُوا عِنْدَ الجِهَادِ نُحُورَهُمْ
لِأَعْدَائِهِ حَتَّى جَرَى مِنْهُمُ الدَّمُ
ولَكِنَّهُمْ دَانُوا بِوَضْعِ رُؤُوسِهِمْ
وذَلِكَ ذُلٌّ لِلْعَبِيدِ ومِيْسَمُ
ولَمَّا تَقَضَّوْا ذَلِكَ التَّفَثَ الَّذِي
عَلَيْهِمْ ، وَأَوْفَوْا نَذْرَهُم ، ثُمَّ تَمَّمُوْا
دَعَاهُم إلى البَيْتِ العَتِيْقِ زِيَارَةً
فَيَا مَرْحَباً بِالزَّائِرِيْنَ ، وأَكْرِمُ
فَلِلّهِ مَا أَبْهَى زِيَارَتَهُمْ لَهُ !!
وَقَدْ حُصِّلَتْ تِلْكَ الجَوَائِزُ تُقْسَمُ
وَلِلّهِ إِفْضَالٌ هُنَاكَ ونِعْمَةٌ
وبِرٌّ وإِحْسَانٌ ، وَجُوْدٌ ومَرْحَمُ
وَعَادُوْا إِلَى تِلْكَ المَنَازِلِ مِنْ مِنَى
وَنَالُوْا مُنَاهُمْ عِنْدَهَا ، وتَنَعَّمُوْا
أَقَامُوْا بِهَا يَوْماً وَيَوْماً وثَالِثاً
وأُذِّنَ فِيْهِمْ بِالرَّحِيْلِ وأُعْلِمُوْا
وَرَاحُوْا إلى رَمْيِ الجِمَارِ عَشِيَّةً
شِعَارُهُمُ التَّكْبِيْرُ وَاللّهُ مَعْهُمُ
فَلَوْ أَبْصَرَتْ عَيْنَاكَ مَوْقِفَهُمْ بِهَا
وَقَدْ بَسَطُوْا تِلْكَ الأَكُفَّ لِيُرْحَمُوْا

يُنَادُوْنَهُ : يَا رَبُّ ، يَا رَبُّ ، إِنَّنَا
عُبَيْدُكَ ، لا نَدْعُـوْ سِوَاكَ ، وتَعْلَمُ
وَهَا نَحْنُ نَرْجُوْ مِنْكَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ
فَأنْتَ الَّذِي تُعْطِيْ الجَزِيْـلَ وتُنْعِمُ
وَلَمَّا تَقَضُّوْا مِنْ مِنَى كُـلَّ حَاجَـةٍ
وسَـالَتْ بِهِمْ تِلْكَ البِطَاحُ تَقَـدَّمُوْا
إِلى الكَعْبَـةِ البَيْتِ الحَرَامِ عَشِيَّـةً
وَطَافُوْا بِهَا سَبْعاً ، وصَلُّوْا ، وَسَلَّمُوْا
ولَمَّـا دَنَـا التَّـوْدِيْـعُ مِنْهُمْ وأَيْقَنُـوْا
بِـأَنَّ التَّـدَانِيْ حَبْـلُهُ مُتَـصَـرِّمُ
وَلَـمْ يَبْـقَ إِلاَّ وَقْـفَـةٌ لِـمُـوَدِّعٍ
فَلِلَّهِ أَجْفَـانٌ هُنَـالِـكَ تَسْـجُمُ !!
ولِـلَّهِ أَكْبَـادٌ هُنَـالِـكَ أُوْدِعَ الْـ
غَـرَامُ بِهَا !! فَـالنَّـارُ فِيْهَـا تَضَـرَّمُ
ولِـلَّهِ أَنْـفَـاسٌ يَـكَـادُ بِـحَـرِّهَـا
يَـذُوْبُ المُحِبُّ المُسْتَهَـامُ المُتَيَّمُ
فَـلَمْ تَـرَ إِلاَّ بَـاهِتـاً مُتَـحَـيِّـراً
وآخَـرَ يُبْـدِيْ شَـجْـوَهُ يَتَـرَنَّـمُ
رَحَلْتُ ، وأَشْـوَاقِي إِلَيْكُمْ مُقِيْمَـةٌ
ونَـارُ الأَسَى مِنِّيْ تُشَبُّ وتُضْـرَمُ
أُوَدِّعُكُمْ ، وَالشَّـوْقُ يَثْنِيْ أَعِـنَّتِـي
وَقَلْبِيَ أَمْسَى فِي حِمَـاكُمْ مُخَيِّمُ

هُنالِكَ لاَ تَثْرِيْبَ يَوْماً عَلى امْرِىءٍ
إِذَا مَا بَدَا مِنْهُ الَّذِيْ كَـانَ يَكْتُمُ
فَيَـا سَائِقِيْنَ العِيْسَ ، بـاللّهِ رَبُّكُمْ
قِفُوْا لِيْ عَلَى تِلْكَ الرُّبُوْعِ وَسَلِّمُوْا
وَقُوْلُوا مُحِبٌّ قَادَهُ الشَّوقُ نَحْـوَكُمْ
قَضَى نَحْبَهُ فِيْكُم تَعِيْشُوْا وتَسْلَمُوْا
قَضَى اللّهُ رَبُّ العَرْشِ فِيْمَا قَضَى بِهِ
بِـأنَّ الهَـوَى يُعْمِي القُلُوْبَ ويُبْكِمُ
وحُبُّكُمْ أَصْـلُ الهُـدَى ، ومَـدَارُهُ
عَلَيْـهِ، وَفَـوْزٌ لِلْمُحِبِّ ، ومَـغْنَـمُ
وتَفْنَى عِـظَامُ الصَّبِّ بَعْـدَ مَمَـاتِـهِ
وأشْـوَاقُـهُ وَقْـفٌ عَـلَيْـهِ مُـحَـرَّمُ
فَيَا أَيُّهَا القَلْبُ الّذِي مَلَكَ الهَوَى
أزِمَّتَـهُ ، حَتَّى مَتَى ذَا التَّـلَوُّمُ ؟!
وحَتَّامَ لاَ تَصْحُو ؟! وَقَدْ قَرُبَ المَدَى
ودُنَّتْ كُؤُوْسُ السَّيْـرِ والنَّاسُ نُـوَّمُ
بَلى ، سَوْفَ تَصْحُو حِيْنَ يَنْكَشِفُ الغِطَا
وَيَبْدُوْ لَكَ الأَمْرُ الّذِي أَنْتَ تَكْتُمُ
ويَـا مُوْقِـداً نَاراً لِغَيْـرِكَ ضَـوْؤُهَـا
وَحَـرُّ لَـظَاهَـا بَيْنَ جَنْبَيْـكَ يُضْـرَمُ
أَهَذَا جَنَى العِلْمِ الّذِي قَدْ رَضِيْتَهُ
لِنَفْسِكَ فِي الدَّارِيْن : جَاهٌ ودِرْهَمُ ؟!

وَهَذا هُوَ الرِّبْحُ الّذِي قَدْ كَسَبْتَهُ ؟!

لعَمْرُكَ لا رِبْحٌ ، وَلاَ الأصْلُ يَسْلَمُ !!

بَخِلْتَ بِشَيْءٍ لاَ يَضُـرُّكَ بَـذْلُـهُ

وجُـدْتَ بِـشَيْءٍ مِـثْلُهُ لاَ يُـقَـوَّمُ

بَخِلْتَ بِـذَا الحَظِّ الخَسِيْسِ دَنَاءَةً

وجُدْتَ بِدَارِ الخُلْدِ لَوْ كُنْتَ تَفْهَمُ

وبِعْتَ نَعِيْمـاً لاَ انْقِضَـاءَ لَـهُ وَلاَ

نَـظِيْرَ بِبَخْسٍ عَن قَلِيـلٍ سَيُعْـدَمُ

فَهَلاَّ عَكَسْتَ الأمْرَ إنْ كُنْتَ حَازِماً

ولَكِنْ أَضَعْتَ الحَزْمَ لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ

وتَهْـدِمُ مَـا تَبْنِيْ بِكَفِّكَ جَـاهِـداً

فـأنْتَ مَـدَى الأيَّـامِ تَبْنِي وَتَهْـدِمُ

وعِنْـدَ مُـرَادِ اللهِ تَـفْنَـى كَمَيِّتٍ

وعِنْدَ مُرادِ النَّفْسِ تُسْـدِيْ وتُلْحِمُ

وعِنْدَ خِلاَفِ الأمْـرِ تَحْتَجُّ بـالقَضَا

ظَهِيْراً عَلَى الرَّحْمٰنِ ، لِلْجَبْرِ تَزْعُمُ

تَنَزَّهُ مِنْكَ النَّفْسُ عنْ سُوْءِ فِعْلِهَا

وتَـعْـتِـبُ أقْـدَارَ الإلَـهِ وَتَـظْلِمُ

تَحُلُّ أمُوْراً أحْكَمَ الشَّـرْعُ عَقْدَهَـا

وتَقْصُـدُ مَا قَـدْ حَلَّهُ الشَّرْعُ تُبْـرِمُ

وتَفْهَمُ مِنْ قَوْلِ الرَّسُوْلِ خِلاَفَ مَا

أرَادَ لأنَّ الْـقَلْبَ مِـنْـكَ مُعَـجَّـمُ

مُطِيْعٌ لِدَاعِي الغَيِّ عَاصٍ لِرُشْدِهِ
إلى رَبِّهِ يَوماً يُرَدُّ ويَعْلَمُ
مُضِيْعٌ لأَمْرِ اللَّهِ قَدْ غَشَّ نَفْسَهُ
مُهِيْنٌ لَهَا أَنِّي يُحِبُّ ويُكْرَمُ
بَطِيءٌ عَنْ الطَّاعَاتِ أَسْرَعُ لِلْخَنَا
مِنَ السَّيْلِ فِي مجْرَاهُ لَا يَتَقَسَّمُ
وَتَزْعُمُ مَعْ هَذَا بِأَنَّكَ عَارِفٌ
كَذَبْتَ يَقِيْناً بِالَّذِي أَنْتَ تَزْعُمُ
وَمَا أَنْتَ إلاَّ جَاهِلٌ ثُمَّ ظَالِمٌ
وأَنَّكَ بَيْنَ الجَاهِلِيْنَ مُقَدَّمُ
إِذَا كَانَ هَذَا نُصْحُ عَبْدٍ لِنَفْسِهِ
فَمَنْ ذَا الَّذِي مِنْهُ الهُدَى يُتَعَلَّمُ ؟!
وفِي مِثْلِ هَذَا الحَالِ قَدْ قَالَ مَنْ مَضَى
وأَحْسَنَ فِيْمَا قَالَهُ المُتَكَلِّمُ
« فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِيْ فَتِلْكَ مُصِيْبَةٌ
وإِنْ كُنْتَ تَدْرِي فَالْمُصِيْبَةُ أَعْظَمُ »
وَلَوْ تُبْصِرُ الدُّنْيَا وَرَاءَ سُتُورِهَا
رَأَيْتَ خَيالاً فِي مَنَامٍ سَيُصْرَمُ
كَحُلْمٍ بِطَيْفٍ زَارَ فِي النَّوْمِ وانْقَضَى الْـ
مَنَامُ وَرَاحَ الطَّيْفُ ، والصَّبُّ مُغْرَمُ
وَظِلٌّ أَرَتْهُ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا
سَيَقْلُصُ فِي وَقْتِ الزَّوَالِ ، ويَفْصِمُ

وَمُـزْنَةِ صَيْفٍ طَـابَ مِنْهَـا مَقِيْلُهَـا
فَـوَلَّتْ سَـرِيْعـاً ، والحُـرُوْرُ تَضَـرَّمُ
وَمَـطْعَمِ ضَيْفٍ لَـذَّ مِنْـهُ مَسَـاغُـهُ
وَبَعْـدَ قَلِيْـلٍ حَـالُـهُ تِلْكَ تُعْلَمُ
كَـذَا هَذِهِ الـدُّنْيَا كـأَحْـلَامِ نَـائِمٍ
ومِنْ بَعْـدِهَـا دَارُ البَقَـاءِ سَتَقْدَمُ
فَجُـزْهَا مَمَـرّاً لَا مَقَـرّاً وَكُنْ بِهَـا
غَرِيْباً تَعِشْ فِيْهَـا حَمِيْداً ، وتَسْلَمُ
أو ابْنَ سَبِيْلٍ قَالَ فِي ظِلِّ دَوْحَةٍ
وَرَاحَ ، وَخَـلَّى ظِـلَّهَـا يَـتَـقَـسَّمُ
أَخَـا سَـفَـرٍ لا يَسْتَـقِـرُّ قَـرَارُهُ
إلَـى أَنْ يَـرَى أَوْطَـانَـهُ ويُسَـلِّمُ
فَيَا عَجَباً !! كَمْ مَصْرَعٍ وعَظَتْ بِهِ
بَنِيْهَا !! ولَكِنْ عَنْ مَصَارِعِهَا عَمُوْا
سَقَتْهُمْ كُؤُوْسَ الحُبِّ حَتَّى إذا نَشَوْا
سَقَتْهُمْ كُؤُوْسَ السُّمِّ ، والقَوْمُ نُوَّمُ
وأَعْجَبُ مَا فِي العَبْدِ رُؤْيَةُ هَذِهِ الْـ
عَـظَائِمِ ، والمَغْـرُوْرُ فِيْهَـا مُتَيَّمُ
وَمَـا ذَاكَ إلَّا أَنَّ خَمْـرَةَ حُبِّهَـا
لَتَسْلِبُ عَقْـلَ المَـرْءِ مِنْـهُ وتَصْلِمُ
وأَعْجَبُ مِن ذَا أَنَّ أَحْبَابَهَا الأُلَى
تُهِيْنُ ، ولِـلأَعْـدا تُـرَاعِي وتُكْـرِمُ

وَذَلِكَ بُرْهَانٌ عَلَى أَنَّ قَدْرَهَا
جَنَاحُ بَعُوضٍ أَوْ أَدَقُّ وأَلأَمُ
وحَسْبُكَ مَا قَالَ الرَّسُولُ مُمَثِّلاً
لَهَا ، ولِلدَّارِ الخُلْدِ والحَقُّ يُفْهَمُ
كَمَا يُدْلِيَ الإِنْسَانُ فِي اليَمِّ أُصْبُعاً
ويَنْزِعُهَا مِنْهُ فَمَا ذَاكَ يَغْنَمُ
أَلاَ لَيْتَ شِعْرِيْ هَلْ أَبِيْتَنَّ لَيْلَةً
عَلَى حَذَرٍ مِنْهَا ، وأَمْرِيَ مُبْرَمُ
وَهَلْ أَرِدَن مَاءَ الحَيَاةِ وَأَرْتَوِيْ
عَلَى ظَمَإٍ مِن حَوْضِهِ ، وَهْوَ مُفْعَمُ
وَهَلْ تبدُوَنْ أَعْلاَمُهَا بَعْدَ مَا سَفَتْ
عَلَى رَبْعِهَا تِلْكَ السَّوافِي فَتُعْلَمُ
وَهَلْ أَفْرِشَنْ خَدَّيْ ثَرَى عَتَبَاتِهِمْ
خُضُوعاً لَهُمْ كَيْمَا يَرِقُّوْا ويَرْحَمُوْا
وَهَلْ أَرْمِيَنْ نَفْسِيْ طَرِيْحاً بِبَابِهِمْ
وَطَيْرُ مَنَايَا الحُبِّ فَوْقِيَ تَحُوْمُ
فَيَا أَسَفِيْ ، تَفْنَى الحَيَاةُ وتَنْقَضِيْ
وذَا العُتْبُ بَاقٍ مَا بَقِيْتُمْ وعِشْتُمُ
فَمَا مِنْكُمْ بُدٌّ وَلاَ عَنْكُمْ غِنَى
وَمَا لِيْ مِنْ صَبْرٍ فَأَسْلُوَ عَنْكُمُ
وَمَنْ شَاءَ فَلْيَغْضَبْ سِوَاكُمْ فَلاَ إِذاً
إِذا كُنْتُمُ عَنْ عَبْدِكُمْ قَدْ رَضِيْتُمُ

وعُقْبَى اضطِبَارِيْ فِي هوَاكُمْ حَمِيْدَةٌ
ولَـكِنَّـهَـا عَنْكُمْ عِـقَـابٌ ومَـأْثَمُ

وَمَـا أَنَا بـالشَّـاكِي لِمَـا تَرْتَضُوْنَهُ
وَلـكِـنَّـنِـيْ أَرْضَـى بِــهِ وَأُسَـلِّمُ

وحَسْبِيْ انْتِسَـابِيْ مِنْ بَعِيْـدٍ إِلَيْكُمُ
أَلاَ إِنَّـهُ حَظٌّ عَـظِيْـمٌ مَـفَـخَّـمُ

إِذَا قِيْـلَ : هَـذَا عَبْـدُهُمْ ومُحِبُّهُمْ
تَـهَـلَّلَ بِـشْـراً وَجْـهُـهُ يَـتَـبَـسَّـمُ

وَهَـا هُوَ قَـدْ أَبْدَى الضَّـرَاعَةَ سَـائِلاً
لكُمْ بِلِسَانِ الحَالِ ، والقَـالِ مُعْلِمُ

أَحِـبَّـتَـهُ ، عَـطْفـاً عَـلَيْـهِ فَـإِنَّـهُ
لَمُظْمىً ، وإِن المَوْرِدَ العَـذْبَ أَنْتُمُ

فَيَا سَاهِياً ، في غَمْرَةِ الجَهْلِ والهَوَى
صَرِيْعَ الأَمَـانِيْ عَنْ قَـرِيْبٍ سَتَنْدَمُ

أَفِقْ قَدْ دَنَا الوَقْتُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ
سِـوَى جَنَّةٍ ، أَوْ حَـرُّ نَـارٍ تَضَـرَّمُ

وبِـالسُّنَّـةِ الـغَـرَّاءِ كُنْ مُـتَمَـسِّكـاً
هِيَ العُرْوَةُ الوُثْقَى الَّتِي لَيْسَ تُفْصَمُ

تَمَسَّـكْ بِهَا مَسْـكَ البَخِيْـلِ بِمَـالِـهِ
وعُضَّ عَلَيْهَـا بِـالـنَّـوَاجِـذِ تَسْلَمُ

وَدَعْ عَنْكَ مَا قَدْ أَحْدَثَ النَّاسُ بَعْدَهَا
فَمَـرْتَـعُ هَـاتِيْـكَ الحَـوَادِثِ أَوْخَمُ

وهَيِّءْ جَوَاباً عِنْدَمَا تَسْمَعُ النِّدَا
مِنَ اللّهِ يَوْمَ العَرْضِ مَاذَا أَجَبْتُمُ
بِهِ رُسُلِي لَمَّا أَتَوْكُمْ فَمَنْ يَكُنْ
أَجَابَ سِوَاهُمْ سَوْفَ يُخْزَى ويَنْدَمُ
وخُذْ مِنْ تُقَى الرَّحْمنِ أَعْظَمَ جُنَّةٍ
لِيَوْمٍ بِهِ تَبْدُوْ عِيَاناً جَهَنَّمُ
ويُنْصَبُ ذَاكَ الجِسْرُ مِنْ فَوْقِ مَتْنِهَا
فَهَاوٍ، ومَخْدُوْشٌ، ونَاجٍ مُسَلَّمُ
ويَأْتِي إِلَهُ العَالَمِيْنَ لِوَعْدِهِ
فَيَفْصِلُ مَا بَيْنَ العِبَادِ ويَحْكُمُ
وَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ رَبُّكَ حَقَّهُ
فَيَا بُؤْسَ عَبْدٍ لِلْخَلائِقِ يَظْلِمُ !!
ويُنْشَرُ دِيْوَانُ الحِسَابِ وتُوْضَعُ الْـ
مَوَازِيْنُ بِالقِسْطِ الَّذِي لَيْسَ يَظْلِمُ
فَلَا مُجْرِمٌ يَخْشَى ظَلامَةَ ذَرَّةٍ
ولا مُحْسِنٌ مِنْ أَجْرِهِ ذَاكَ يُهْضَمُ
وتَشْهَدُ أَعْضَاءُ الْمُسِيءِ بِمَا جَنَى
كَذَاكَ عَلَى فِيْهِ المُهَيْمِنُ يَخْتِمُ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي !! كَيْفَ حَالُكَ عِنْدَمَا
تَطَايَرُ كُتْبُ العَالَمِيْنَ وتُقْسَمُ ؟!
أَتَأْخُذُ بِاليُمْنَى كِتَابَكَ أَمْ تَكُنْ
بِالأُخْرَى وَرَاءَ الظَّهْرِ مِنْكَ تَسَلَّمُ

وَتَقْـرَأُ فِيْـهِ كُـلَّ شَيْءٍ عَمِلْتَـهُ
فَيُشْرِقُ مِنكَ الـوَجْهُ ، أَوْ هُـوَ يُظْلِمُ
تَقُـولُ : كِتَابِي فَـاقْرَؤُوهُ فَـإِنَّـهُ
يُبَشِّـرُ بِـالفَـوْزِ العَـظِيْمِ ، ويُعْلِمُ
وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى فَإِنَّكَ قَائِلٌ :
أَلا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَـهُ فَهْـوَ مُـغْـرَمُ
فَبَادِرْ إِذاً مَا دَامَ فِي العُمْرِ فُسْحَةٌ
وعَـدْلُـكَ مَقْبُـوْلٌ ، وصَـرْفُـكَ قَيِّمُ
وجُدَّ ، وسَارِعْ ، واغْتَنِمْ زَمَنَ الصِّبَا
فَفِيْ زَمَنِ الامْكَـانِ تَسْعَى ، وتَغْنَمُ
وسِرْ مُسْرِعاً ، فالسَّيْلُ خَلْفُكَ مُسْرِعٌ
وهَيْهَـاتَ مَـا مِنْـهُ مَفَـرٌّ ومَهْـزَمُ !!
« فَـهُنَّ الـمَنَـايَـا أَيَّ وَادٍ نَـزَلْـتَـهُ
عَلَيْهَـا القُـدُومُ أَوْ عَلَيْـكَ سَتَقْـدَمُ »
وَمَـا ذَاكَ إِلاَّ غَـيْـرَةٌ أَنْ يَنَـالَـهَـا
سِـوَى كُفْؤِهَا والـرَّبُّ بـالخَلْقِ أَعْلَمُ
وإِنْ حُجِبَتْ عَنَّـا بِكُـلِّ كَـرِيْهَـةٍ
وحُفَّتْ بِمَـا يُؤْذِي النُّفُـوسَ ويُؤْلِمُ
فَلِلَّهِ مَـا فِي حَشْـوِهَـا مِن مَسَـرَّةٍ
واصْنَـافِ لَـذَّاتٍ بِهَـا يُتَنَعَّمُ !!
ولِلَّهِ بَـرْدُ العَيْشِ بَيْـنَ خِيَـامِـهَـا
وَرَوْضَاتِهَا والثَّغْرُ فِي الرَّوْضِ يَبْسِمُ

فَلِلّهِ وَادِيْهَا الّذي هُوَ مَوْعِدُ الْـ
مَزِيْدِ لِوَفْدِ الحُبِّ لَوْ كُنْتَ مِنْهُمُ

بِذَيَّالِكَ الوَادِيْ يَهِيْمُ صَبَابَةً
مُحِبٌّ يَرَى أَنَّ الصَّبَابَةَ مَغْنَمُ !

ولِلّهِ أَفْرَاحُ المُحِبِّيْنَ عِنْدَمَا
يُخَاطِبُهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيُسَلِّمُ

وَلِلّهِ أَبْصَارٌ تَرَى اللّهَ جَهْرَةً
فَلاَ الضَّيْمُ يَغْشَاهَا وَلاَ هِيَ تَسْأَمُ

فَيَا نَظْرَةً أَهْدَتْ إِلَى الوَجْهِ نَضْرَةً
أَمِنْ بَعْدِهَا يَسْلُو المُحِبُّ المُتَيَّمُ ؟

ولِلّهِ كَمْ مِنْ خِيْرَةٍ لَوْ تَبَسَّمَتْ
أَضَاءَ لَهَا نُوْرٌ مِنَ الفَجْرِ أَعْظَمُ

فَيَا لَذَّةَ الأَبْصَارِ إِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ
ويَا لَذَّةَ الأَسْمَاعِ حِيْنَ تَكَلَّمُ

وَيَا خَجْلَةَ الغُصْنِ الرَّطِيْبِ إِذا انْثَنَتْ
وَيَا خَجْلَةَ البَحْرَيْنِ حِيْنَ تَبَسَّمُ ؟؟

فَإِنْ كُنْتَ ذَا قَلْبٍ عَلِيْلٍ بِحُبِّهَا
فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ وَصْلُهَا لَكَ مَرْهَمُ

وَلاَ سِيَّمَا فِي لَثْمِهَا عِنْدَ ضَمِّهَا
وَقَدْ صَارَ مِنْهَا تَحْتَ جِيْدِكَ مِعْصَمُ

يَرَاهَا إِذَا أَبْدَتْ لَهُ حُسْنَ وَجْهِهَا
يَلَذُّ بِهَا قَبْلَ الوِصَالِ وَيَنْعَمُ

تَفَكَّـهُ مِنْهَـا العَيْنُ عِنْـدَ اجْتِلائِهَـا
فَـوَاكِـهَ شَتَّى طَلْعُهَـا لَيْسَ يُعْـدِمُ
عَنَـاقِـدُ مِنْ كَـرْمٍ وَتُـفَّـاحُ جَنَّـةٍ
ورُمَـانُ أغْصَـانٍ بِهَـا القَلْبُ مُغْـرَمُ
ولِلْوَرْدِ مَـا قَـدْ أُلبِسَتْـهُ خُـدُوْدُهَـا
ولِلْخَمْـرِ مَا قَـدْ ضَمَّهُ الـرِّيْقُ والْفَمُ
تَقَسَّمَ مِنْهَا الحُسْنُ فِي جَمْعٍ وَاحِدٍ
فَيَـا عَجَبـاً مِنْ وَاحِـدٍ يَتَقَسَّـمُ
تُـذَكِّـرُ بـالـرَّحْمنِ مَنْ هُـوَ نَـاظِـرٌ
فَيَنْـطِقُ بـالـتَّسْبِيْـحِ لاَ يَـتَلَعْـثَمُ
لَهَـا فِرَقٌ شَتَّى مِنَ الحُسْنِ أجْمَعَتْ
بِجُمْـلَتِهَـا إنَّ الـسُّلُوَّ مُـحَـرَّمُ
إذَا قَـابَلَتْ جَيْشَ الهُمُـوْمِ بِـوَجْهِهَـا
تَـوَلَّى عَلَى أعْقَـابِـهِ الجَيْشُ يُهْـزَمُ
فَيَا خَاطِبَ الحَسْنَـاءِ إنْ كُنْتَ رَاغِباً
فَهَـذا زَمَـانُ المَهْـرِ فَهْـوَ المُقَـدَّمُ
وَلَمَّـا جَـرَى مَـاءُ الشَّبَـابِ بِغُصْنِهَـا
تَـيَـقَّـنَ حَـقّـاً أنَّـهُ لَـيْسَ يَـهْـرَمُ
وَكُنْ مُبْغِضـاً لِلْخَـائِنَـاتِ لِحُبِّـهَـا
لِتُحْـظَى بِـهَـا مِنْ دُوْنِـهِنَّ وتَـنْعَـمُ
وكُنْ أيِّمـاً مِمَّـا سِـوَاهَـا فَـإنَّهَـا
لِـمِثْـلِكَ فِي جَنَّـاتِ عَـدْنٍ تَـأَيَّمُ

وَصُمْ يَوْمَكَ الأَدْنَى لَعَلَّكَ فِي غَدٍ
تَفُوزُ بِعِيْدِ الفِطْرِ وَالنَّاسُ صُوَّمُ
وأَقْدِمْ وَلاَ تَقْنَعْ بِعَيْشٍ مُنَغَّصٍ
فَمَا فَازَ بِاللَّذَّاتِ مَنْ لَيْسَ يُقْدِمُ
وإِنْ ضَاقَتْ الدُّنْيَا عَلَيْكَ بِأَسْرِهَا
وَلَمْ يَكُ فِيْهَا مَنْزِلٌ لَكَ يُعْلَمُ
فَحَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا
مَنَازِلُكَ الأُوْلَى ، وفِيْهَا المُخَيَّمُ
ولَكِنَّنَا سَبْيُ العَدُوِّ فَهَلْ تَرَى
نُرَدُّ إِلَى أَوْطَانِنَا ونُسَلِّمُ
وَقَدْ زَعَمُوْا أَنَّ الغَرِيْبَ إذا نَأى
وَشَطَّتْ بِهِ أَوْطَانُهُ فَهْوَ مُغْرَمُ
وَأَيُّ اغْتِرَابٍ فَوْقَ غُرْبَتِنَا الَّتِي
لَهَا أَضْحَتْ الأَعْدَاءُ فِيْنَا تَحَكَّمُ
وَحَيَّ عَلَى رَوْضَاتِهَا وَخِيَامِهَا
وَحَيَّ عَلَى عَيْشٍ بِهَا لَيْسَ يُسْأَمُ
وَحَيَّ عَلَى السُّوْقِ الَّذِي يَلْتَقِي بِهِ الـ
مُحِبُّوْنَ ، ذَاكَ السُّوقُ لِلْقَوْمِ يُعْلَمُ
فَمَا شِئْتَ خُذْ مِنْهُ بِلاَ ثَمَنٍ لَهُ
فَقَدْ أَسْلَفَ التُّجَارُ فِيْهِ وَأَسْلَمُوْا
وَحَيَّ عَلَى يَوْمِ المَزِيْدِ فَإِنَّهُ
لَمَوْعِدُ أَهْلِ الحُبِّ حِيْنَ يُكَرَّمُوْا

وَحَيٍّ عَلَى وَادٍ هُنَالِكَ أَفْيَحِ
وتُرْبَتُهُ مِنْ اذْفَرِ المِسْكِ أَعْظَمُ
مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ هُنَاكَ وَفِضَّةٍ
ومِنْ خَالِصِ العِقْيَانِ لَا تَتَقَصَّمُ
ومِنْ حَوْلِهَا كُثْبَانُ مِسْكٍ مَقَاعِدُ
لِمَنْ دُوْنَهُمْ هَـذَا العَطَاءُ المُفَخَّمُ
يَرَوْن بِهِ الرَّحْمنَ جَلَّ جَلالُهُ
كَرُؤْيَةِ بَدْرِ التِّم لَا يُتَوَهَّمُ
كَذَا الشَّمْسُ صَحْواً لَيْسَ مِنْ دُوْنِ أُفْقِهَا
سَحَابٌ وَلَا غَيْمٌ هُنَاكَ يُغَيِّمُ
فَبَيْنَاهُمُ فِي عَيْشِهِمْ وسُرُوْرِهِمْ
وأَرْزَاقُهُمْ تَجْرِي عَلَيْهِمْ وتُقْسَمُ
إذَا هُمْ بِنُوْرٍ سَاطِعٍ قَدْ بَدَا لَهُمْ
وَقَدْ رَفَعُوا أَبْصَارَهُمْ فَإِذَا هُمُ
بِرَبِّهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ قَائِلٌ لَهُمْ :
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، طِبْتُمْ ، ونَعِمْتُمْ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، يَسْمَعُوْنَ جَمِيْعُهُمْ
بِآذَانِهِمْ تَسْلِيْمَهُ إِذْ يُسَلِّمُ
يَقُولُ : سَلُوْنِيْ مَا اشْتَهَيْتُمْ فَكُلُّ مَا
تُرِيْدُوْنَ عِنْدِي ، إِنَّنِيْ أَنَا أَرْحَمُ
فَقَالُوْا جَمِيْعاً : نَحْنُ نَسْأَلُكَ الرِّضَى
فَأَنْتَ الَّذِي تُوْلِيْ الجَمِيْلَ وتَرْحَمُ

فَيُعْـطِيهِمُ هَـذَا ، وَيُشْهِـدُ جَمْعَهُمْ
عَلَيْـهِ ، تَعَـالَى اللّهُ ، فَـاللّهُ أَكْـرَمُ
فَبِـالّـهِ مَـا عُـذْرُ امْـرِئٍ هُـوَ مُؤْمِنٌ
بِهَـذَا ، وَلاَ يَسْعَى لَـهُ وَيُقَـدِّمُ ؟!
ولـكِنَّـمَـا التَّـوفِيْـقُ بِـاللّهِ إِنَّـهُ
يَخُصُّ بِـهِ مَنْ شَـاءَ فَضْـلاً وَيُنْعِمُ
فَيَـا بَـائِعـاً غَـالٍ بِبَخْسٍ مُعَجَّـلٍ
كَأَنَّكَ لاَ تَـدْرِي ، بَلَى سَوْفَ تَعْلَمُ
فَقَدِّمْ ، فَدَتْكَ النَّفْسُ ، نَفْسَكَ إِنَّهَـا
هِيَ الثَّـمَنُ الـمَبْـذُولُ حِيْنَ تُـسَلِّمُ
وخُضْ غَمَرَاتِ المَوْتِ وَارْقَ مَعَارِجَ الْـ
مَـحَبَّـةِ فِـي مَـرْضَـاتِهِـمْ تَتَـسَنَّـمُ
وَسَلِّمْ لَهُمْ مَـا عَـاقَـدُوْكَ عَلَيْـهِ إِنْ
تُـرِدْ مِنْهُمُ أَنْ يَبْـذِلُـوا وَيُـسَلِّمُـوا
فَمَـا ظَفِرَتْ بِـالـوَصْـلِ نَفْسٌ مَهِيْنَـةٌ
وَلاَ فَـازَ عَبْـدٌ بِـالبَـطَالَـةِ يَنْعَـمُ
وإِنْ تَكُ قَدْ عَاقَتْكَ سُعْدَى فَقَلْبُكَ الْـ
مُـعَنـى رَهِيْـنٌ فِي يَـدَيْـهَـا مُسَـلَّمُ
وَقَدْ سَاعَدَتْ بِالْوَصْلِ غَيْرَكَ فَالْهَوَى
لَهَـا مِنْـكَ ، والـواشِيْ بِهَـا يَتَنَعَّمُ
فَـدَعْهَا ، وسَـلِّ النَّفْسَ عَنْهَـا بِجَنَّةٍ
مِنَ العِلْمِ فِي رَوْضَاتِهَا الحَقُّ يَبْسِمُ

وَقَـدْ ذُلِّلَتْ مِنهَا القُـطُوفُ فَمَنْ يُـرِدْ
جَنَـاهَـا يَنَلْهُ ، كَيْفَ شَـاءَ وَيَـطْعَمُ

وَقَـدْ فُتِحَتْ أَبْـوَابُهَـا ، وتَـزَيَّنَتْ
لِخُـطَّابِهَا ، فَـالحُسْنُ فِيْهَا مُقَسَّمُ

وَقَـدْ طَـابَ مِنْهَا نَـزْلُهَـا وَنَـزِيْلُهَـا
فَـطُوبِي لِمَنْ حَلُّوْا بِهَـا وَتَنَـعَّمُـوْا

أَقَـامَ عَلَى أَبْـوَابِهـا دَاعِي الهُـدى
هَلِمُّـوْا إلى دَارِ السَّعَـادَةِ تَغْنَـمُـوْا

وَقَـدْ غَـرَسَ الـرَّحْمنُ فِيْهَا غِـرَاسَـةً
مِنَ النَّاسِ ، والرَّحْمنُ بالخَلْقِ أَعْلَمُ

وَمَنْ يَغْـرِسِ الـرَّحْمنُ فِيْهَا فَـإِنَّـهُ
سَـعِيْـدٌ ، وإلاَّ فـالـشَّقَـاءُ مُحَتَّـمُ

إنتَهى

اخــــر :

نَمْضِيْ عَلَى سُبُلٍ كانوا لَهَا سَلَكُوا
أَسْلاَفُنَا وَهُمْ لِلدِّيْنِ قَـدْ شَـــادُوْا

لَنَا بِهِمْ أُسْـوَةٌ إذْ هُم أئمتنَـــا
وَنَحْنُ بِلَقَــوْمِ أَبْنَــاءٌ وَأُحْفَــادُ

وَالصَّــبْرُ يَا نَفْـسُ خَـيْرٌ كُلُّهُ وَلَهُ
عَوَاقِبٌ كُلُّهَـا نُجْــحٌ وَإِمْــدَادُ

فَاصْـبِرْ هديتَ فَانَّ المَـوْتَ مُشْتَرَكٌ
بَيْنَ الأَنَـامِ وانْ طَاوَلْـنَ آمَــادُ

والنَّـاسُ في غَفَلَاتٍ عَنْ مَصَـارِعِهِمْ
كَأَنَّهُـمْ وهموا الأَيْقَـاظُ رُقَّـادُ
دُنْيـاً تَغُـرُّ وَعَيْـشٌ كُلُّهُ كَـدَرٌ
لَوْلَا النُّفُـوسُ الَّتِي لِلْوَهْمِ تَنْقَـادُ
كُنَّـا عَدَدْنَـا لِهَذَا المَـوْتِ عُدَّتَهُ
قَبْـلَ الوَفَاةِ وَأَنْ تُحْفَـرْنَ أَلْحَـادُ
فَالدَّارُ مِنْ بَعْدِ هَـذِي الدَّارِ آخِرَةٌ
تَبْقَى دَوَاماً بِهَـا حَشْـرٌ وَمِيْعَـادُ
وَجَنَّـةٌ أُزْلِفَـتْ لِلْمُتَّقِـيْنَ وَأَهـ
ـلُ الحَـقِّ وَالصَّـبْرِ أَبْـدَالٌ وَأَوْتَـادُ

فَاعْمَـلْ لِنَفْسِكَ مِنْ قَبْلِ المَمَـاتِ وَلَا
تَعْجَـلْ وَتَكْسَلْ فَإِنَّ المَـرْءَ جَهَّـادُ
لَا يَنْفَـعُ العَبْـدَ إِلَّا مَا يُقَـدِّمُهُ
فَبَادِرِ الفَـوْتَ وَاصْطَـدْ قَبْلَ تصطَادُ
وَالمَوْتُ لِلْمُـؤْمِنِ الأَوَّابِ تُحْفَتُـهُ
وَفِيْـهِ كُلُّ الذِيْ يَبْغِـيْ وَيَرْتَـادُ
لِقَـا الكَرِيْمِ تَعَالَى مَجْـدُهُ وَسَمَا
مَعَ النَّعِـيْمِ الذيْ مَا فِيْـهِ أَنْكَـادُ
فَضْـلٌ مِنَ اللهِ إِحْسَـانٌ وَمَرْحَمَـةٌ
فَالفَضْـلُ لِلَّهِ كَالآزَالِ آبَـادُ
فَالظَّنُ بِاللهِ مَـوْلَانَا وَسَـيِّدِنَا
ظَنٌّ جَمِـيْلٌ مَعَ الأَنْفَـاسِ يَزْدَادُ

نَرْجُـوْهُ يَرْحَمُنَا نَرْجُوْهُ يَسْــتُرُنَا
فَمِنْــه لِلْكُلِّ إمْــدَادٌ وَإيْجَــادُ
نَدْعُوْهُ نَسْــأَلُهُ عَفْــواً ومَغْفــرَةً
مَعْ حُسْــنِ خَاتِمَــةٍ فَالْعمْــرُ نَفَّادُ
وَقَدْ رَضِيْنَــا قَضَــاءَ اللهِ كَيْفَ قَضَا
وَالُّطْفَ نَرْجُــو وَحُسْنُ الصَّــبْرِ إرْشَادُ
إنْتَهَى

قصيدة فيها تَضَرُّعٌ إلى رَبَّ العِزةِ والجَلالِ والكِبريَاء والعَظمة :

يا ذَا الجَلالِ ويا ذا الجُودِ والكرمِ	قَدْ جِئْتُكَ خَائِفاً مِن زَلَّةِ القَدَمِ
ذَنْبِي عَظِيمٌ وَأَرْجُوْ مِنْكَ مَغْفِرةً	يَا وَاسِعَ العَفْوِ والغُفْرانِ والكَرَمِ
دَعَوْتُ نَفْسِي إلَى الخَيْرَاتِ فامْتَنَعَتْ	وأعْرَضَتْ عن طَرِيْقِ الخَيْر والنِّعَمِ
خَسِرْتُ عُمْرِي وَقَدْ فَرَّطْتُ فِي زَمَنِي	فِي غَيْرِ طَاعَةِ مَوْلَايَ فَيَا نَدَمِي
حَمَلْتُ ثِقْلاً مِنَ الأَوْزَارِ فِي صِغَرِيْ	يَا خَجْلَي في غَدٍ مِن زَلَّةِ القَدَمِ
رَاحَ الشَّبَابُ وَوَلَّى العُمْرِ فِي لَعِبٍ	وما تَحَصَّلْتُ مِن خَيْرٍ ولَمْ أقُمِ
زَمَانَ عَزْمِيَ قَدْ ضَيَّعْتُهُ كَسَــلاً	والعُمْرُ مِنِّيْ انْقَضَى فِي غَفْلَةِ الحُلُمِ
قَدْ انْقَضَتْ عِيْشَتِيْ بالذُلِ وَالأسَفِي	إنْ لَمْ تَجِدْ خَالِقِيْ بالعَفْوِ والكَرَمِ
ذِيْ حَالَتِي وانْكِسَارِي لا تُخَيِّبْنِي	إذَا وَقَعْتُ ذَلِيْلاً حَافِي القَدَمِ
أتَيْتُ بالذُّلِ والتَّقْصِيْرِ والنَّــدمِ	أرْجُو الرِّضا مِنْكَ بالغُفْرانِ والْكرمِ
سَارَ المجدُّوْنَ فِي الخَيْراتِ واجْتَهَدُوْا	يا فَوْزَهُم غَنِمُوْا الجَنَاتِ والنِّعَمِ
شِفَاءُ قَلْبِيَ ذِكْرُ اللهِ خَالِقِنَــا	يَا فَوْزَ عَبْدٍ إلى الخَيْرَاتِ يَسْتَقِمِ
صَفَتْ لِأَهْلِ التُّقَى أوْقَاتُهُــم سَعِـدُوْا	نَالُـوا الهَنَـا والمُنَـى بالخَيْـرِ والكَـرَمِ
ضَيَّعْتُ عُمْرِي ولا قَدَّمْتُ لِيْ عَمَــلاً	أنْجُو بِهِ يَوْمَ هَوْلِ الخَوْفِ والزَّحَــمِ

طُوْبَى لِعَبْدٍ أطَاعَ اللهَ خَالِقَهُ — وقَامَ جَنْحَ الدُّجَى بالدَّمْعِ مُنْسَجِمِ
ظَهْرِيْ ثَقِيْلٌ بِذَنبي آهِ واأسَفِيْ — يَومَ اللِّقَاءِ إذَ الأقْدَامُ في زِحَمِ
أرْجُوكَ يا ذَاالعُلاَ كَرْبِي تُفَرِّجُهُ — واشْفِ بِفَضْلِكَ لِي بَلْوَايَ مَعْ سَقَمِيْ
غَفَلْتُ عن ذِكْرِ مَعْبُوْدِي وَطَاعَتِهِ — وقَدْ مَشَيْت إلَى العَصْيَانِ في هَمِمِ
فاغْفِرْ ذُنُوبِي وكُنْ يَا رَبِّ مُنْقِذَنَا — مِن الشَّدَائِد والأهْوَالِ والتُّهَمِ
قد أثْقَلَتْنِي ذُنُوبٌ مَا لَهَا أحَدٌ — سِوَاكَ يَا غَافِرَ الزَّلاَّتِ واللَّمَمِ
كُنْ مُنْجِدِيْ يَا إلٰهِي واعْفُ عن زَلَلِيْ — وَتُبْ عَلَيَّ مِن الآثامِ واللَّمَمِ
لاَحَ المَشِيْبُ وَوَلَّى العُمْرُ في لَعِبٍ — وصِرْتُ مِن كَثْرَةِ الأوْزَارِ في نَدَمِ
مَضَى زَمَاني ومَا قَدَّمْتُ مِن عَمَلٍ — يا خَجْلَتِي مِن إلٰهِي بارِيَ النَّسَمِ
نَامَتْ عُيُوني وأهْلُ الخَيرِ قَدْ سَهِرُوْا — أجْفَانُهُمْ في ظَلَامِ اللَّيلِ لَمْ تَنَمِ
قامُوا إلى ذِكْرِ مَوْلَاهُم فَقَرَّبَهُمْ — وخَصَّهُم بالرِّضَا والفَضْلِ والكَرَمِ
ولَيْسَ لِي غَيْرَ رَبِّ الخَلْقِ مِنْ سَنَدٍ — أرْجُوْهُ يُوْلِيْنِي بالغُفْرانَ والكَرَمِ
لَا أرْتَجِي أحَداً يومَ الزِحَامِ سِوَى — رَبِّ البَرِّيةِ مُوْلِى الفَضْلِ والكَرِمِ
ثم الصلاةُ على المختارِ مِنْ مُضَرٍ — مُحَمَّدٍ المُصْطَفى المَخْصُوصِ بالكَرَمِ

آخـــــر

أُوْصِيْكُمُ يا مَعْشَرَ الإخْوَانِ — عَلَيْكُمُ بِطَاعَةِ الدَّيَانِ
إيَّاكُمُ أنْ تُهْمِلُوا أوقَاتَكُم — فَتَنْدَمُوا يَوماً على مَا فَاتَكُمْ
وإنَّمَا غَنِيْمَةُ الإنسانْ — شَبَابُهُ والخُسْرُ في التَّوَانِي

مَا أَحْسَنَ الطَّاعَةَ لِلشُّبَّانِ
فأسْعَوْا لِتَقْوَى اللَّهِ يَا إِخْوانِي
وأعْمِرُوْا أَوْقَاتَكُمْ بالطَّاعَةَ
والذِّكْر كُلَّ لَحْظَةٍ وسَاعَةْ
ومَنْ تَفُتْهُ سَاعَةٌ فِي عُمْرِهِ
تَكُنْ عَلَيهِ حَسْرَةٌ فِي قَبْرِهِ
ومَنْ يَكُنْ فَرَّطَ فِي شَبَابِهِ
حَتَّى مَضَى عَجِبْتُ مِن تَبَابِهِ
ويا سَعَادَةَ امْرِئٍ قَضَاهُ
فِي عَمَلٍ يَرضَى بِهِ مَوْلاَهُ
أَحَبَّ رَبِي طاعَةِ الشَّبَابِ
يا فَوزَهُمْ بِجَنَّةِ الرِّضْوانِ
فَتُبْ إلى مَولاكَ يا إِنْسَانُ
مِن قَبْلِ أَنْ يَفُوتَكَ الأَوَانُ
ومَن يَقُلْ إِنِّيْ صَغِيْرٌ أَصْبِرُ
ثُمَّ أُطِيعُ اللَّهَ حِينَ أَكْبُرَ
فإنَّ ذَاك غَرَّهُ إِبْلِيسُ
وَقَلْبُهُ مُغَلَّقٌ مَطْمُوْسُ
لاَ خَيْرَ فِيْمَنْ لَم يَتُبْ صَغِيْرَا
ولَمْ يَكُنْ بِعَيْبِهِ بَصِيْرَا
مُجَانِباً لِلإِثْمِ والعِصْيَانِ
مُخَالِفاً لِلنَّفْسِ والشَّيْطَانِ

مُـــلاَزِمـــاً تِـــلاَوَةَ الـــقُـــرْآنِ
مُسْـــتَـعْـصِـماً بالـذِكْـرِ مِـن نِسْـيَانِ

مُـرَاقِـبـاً لِلَّـــهِ فـــي الـشُّـؤُوْنِ
مُحَـاذِراً مِـــن سَـــائِـرِ الـفُـتُـــونِ

مُجَـــانِـبـــاً رَذَائِـــلَ الأَخْـــلاَقِ
مُجَـافِـيــاً كُـــلّاً عَـــدَا الخَـــلّاقِ

مُحَـــارِبــاً لِـنُـزْعَـةِ الـضَّـــلالِ
وَصَـــوْلَـةِ الأَهْـــوَاء وسُـــوْءِ الحَـــالِ

فَإِنْ أَرَدْتَ الـفَـــوزَ بالـنَّـجَـــاةِ
فـاسْـلُكْ سَـبِـيْلَ الحَـقِ والهُـدَاة

يَـا مَـــنْ يَـرُومُ الـفَـوزَ فـي الجنـاتِ
بـالمُـشْـتَـهَـى وَسَـــائِـرِ الـلَّـــذاتِ

إِنْهَـضْ إلَـى السَّجَـدَاتِ في الأَسْحَـارِ
واحْـــرَصْ على الأَوْرَادِ والأَذْكَـــارِ

واحْـذَرْ رِيـاءَ الـنـاسِ في الـطـاعـاتِ
فـــي سَـــائِـرِ الأَحْـــوَالِ والأَوقَـــاتِ

واخْـــتَرْ مِـن الأَصْـــحَـابِ كُـلَّ مُرْشِـدِ
إنَّ الـــقَـــرِيْنَ بالـقَـــرِيْنَ يَقْـتَـــدِي

وصُـــحْـبَـــةُ الأشْـــرَارِ دَاءٌ وعَـــمَـــى
تَزِيْـدُ في الـقَـلْـبِ الـسَّـقِيْمَ الـسَّـقَـمَا

فـــان تَبـعْـــتْ سُـــنَّـــةَ الـنَّبِـــيِّ
فـاحْــذَرْ قَرِيْـنَ الـسُّـــوءِ والـدَّنِـي

واخْـتَرْ مِـن الـزَّوجَـات ذَاتَ الـدِّيْـن
وَكُـنْ شُـجَـاعَـاً فـي حِمَـى العَـرِيْـنِ
وزَوِّدْ الأَولادَ بالآداب
تحْفَـظْ قُـلُوبَهُـم مِـن الأَوْصَـابِ
وهَـذِّبِ الـنُـفُـوسَ بالـقُـرآنِ
ولا تَـدَعْـهَـا نُهْبَـةَ الـشَّـيطانِ
واحْـرِصْ عـلى مَـا سَنَّـه الـرَسُـولُ
فَهوا الهُـدَى والحـقُّ إِذْ يَقُـولُ
دَعْ عَنْـكَ مـا يَقُـولُـه الـضُّـلَّالُ
فَفِـيْـهِ كُـلُّ الخُـسْـرِ والـوَبَـالُ
وأَصْـدَقُ الحَـدِيـثِ قَـولُ رَبِـنَـا
وخَـيْرُ هَـدْيِ الـلَّـهِ عـن نَبـيِّنَـا
يـا أيُّهَـا الـغَـفْـلَانُ عـن مَـوْلَاهُ
انْـظُـرْ بـأَيِ شَـيٍءٍ تَلْقَـاهُ
أَمَا عَلِمْـتَ المـوتَ يأْتِي مُسْـرِعـاً
ولَـيـسَ لِلإنـسَـانِ إلا مَـا سَـعَـى
ولَيْسَ للإنسَـانِ مِـن بَعـدِ الأَجَـلْ
إلاَّ الـذِيْ قَـدَّمَـهُ مِـن الـعَـمَـلْ
فبـادِرِ الـتَـوبـةَ فِـي إمْـكَـانِهَـا
مِـن قَبـلِ أَن تُصَـدَّ عـن إتْـيَـانِهَـا
يـا أيُّهَـا المَـغْـرُورُ مـا هَـذا الـعَمَـلْ
إلـى مَـتَـى هَـذا الـتَّراخِـي والكَـسَـلْ

لَوْ يَعْلَمُ الأَنسانُ قَدْرَ مَوْتِهِ
مَا ذَاقَ طُولَ الدَّهْرِ طَعْمَ قُوتِهِ
مالِيْ أَرَاكَ لَم تُفِدْ فِيكَ العِبَرْ
وَيْحَكَ هذا القَلْبُ أَقْسَى مِن حَجَرْ
وأَفْلَسُ الناسِ طَويلُ الأَمَلِ
مُضَيِّعُ العُمْرِ كَثِيرُ الخَطَلِ
نَهَارُهُ يُمْضِيهِ في البَطَالَةْ
ولَيْلَهُ في النَوْمِ بِئْسَ الحَالَةْ
ادْعُ لَنَا يا سَامِعا وَصِيَّتي
بالعَفْوِ والصَّفْحِ مَعَ العَطِيَّةِ
والسِتْرِ فَضْلاً مِنه لِلْعُيُوبِ
والمَحْوِ في الكِتَابِ لِلذُّنُوبِ
يَا رِبَّ جُدْ بالفَضْلِ والاحسانِ
والرَّوْحِ والرَيْحَانِ والجِنَانِ
ولا تُؤاخِذْنَا عَلى النِّسيَانِ
ولا عَلى الإِخْطَاءِ ولا العِصْيَانِ
يا رَبِّ واحْفَظْنَا مِن الفَتَّانِ
ولا تُذِقْنَا حُرْقَةَ النِيْرَانِ
يا رَبِّ وانْصُرنَا على الأَعْدَاءِ
واحْمِ الحِمَى مِن هِيْشَةِ الغَوْغَائي
ودِينَكَ احْفَظْهُ مَعَ الأَمَانِ
للأَهْلِ في الأَقْطَارِ والأوطَان

والحَمد لله على الختام
والشكر لله عَلَى الإنعام
ما أعظم الأنعامَ مِن مَولانا
وأجْزَلَ الإفضالُ اذْ هَدَانَا
لِنعْمَةِ الايمانِ والإسلامِ
والاقتداءِ بِسَيِّدِ الأنام
ثم صلاةُ اللهِ والسلامُ
ما نَاحَ طَيْرُ الايكِ والحَمَامِ
على النبي المصطفى البشير
الهاشمى المجتبى النَذِيرِ
وآلِهِ ما انبلجَ الصَّبَاحُ
وصَحْبِهِ ما هَبَّتِ الرِّيَاحُ

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا ذَا الجَلَالِ والأَكْرَامِ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوْبِنَا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا يَا مَوْلَانَا ذِكْرَكَ وَشُكرك وآمِنَّا مِن عَذَابِكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ واغفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجمِيْعِ المُسْلِمين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

شعرا :

ولكِنَّا والحمدُ لِلَّهِ لَمْ نَزَلْ ... عَلَى قَولِ أَصْحَابِ الرَّسولِ نُعَوِّلُ
نُقِرُّ بأنَّ اللهَ فَوْقَ عِبَادِهِ ... عَلَى عَرْشِهِ لَكِنَّمَا الكَيْفُ يُجْهَلُ
وكُلُّ مَكَانٍ فَهوَ فِيهِ بِعِلمِهِ ... شَهِيْدٌ عَلَى كُلِّ الوَرَى لَيسَ يَغفَلُ
ومَا أثبتَ البَارِي تَعَالى لِنَفسِهِ ... مِن الوَصْفِ أوْ أبْدَاهُ مَن هُوَ مُرْسَلُ

فَنُثْبِتُهُ لِلّهِ جَلَّ جَلالُهُ كَمَا جاءَ لا نَنْفِي ولا نَتَأَوَّلُ
هُوَ الواحِدُ الحيُّ القَدِيرُ لَهُ البقَا مَلِيكٌ يُوَلِّي مَن يَشَاءُ ويَعْزِلُ
سَمِيْعٌ بَصِيرٌ قَادِرٌ مُتَكَلِّمٌ عَلِيمٌ مُرِيدٌ آخِرٌ هُوَ أَوَّلُ
تَنَزَّهَ عَنْ نِدٌّ وَوَلْدٍ وَوَالِدٍ وَصَاحِبَةٍ فَاللهُ أَعْلَى وأَكْمَلُ
ولَيْسَ كَمِثْلِ اللهِ شَيْءٌ وما لَهُ شَبِيهٌ ولا نِدٌّ بِرَبِّكَ يَعْدِلُ
وإنَّ كِتَابَ اللهِ مِن كَلِمَاتِهِ ومِن وَصْفِهِ الأَعْلَى حَكِيمٌ مُنَزَّلُ
هُوَ الذِكْرُ مَتْلوٌّ بِأَلْسِنَةِ الوَرَى وفي الصَّدْرِ مَحْفُوظٌ وفي الصُّحْفِ مُسْجَلُ
فألفَاظُهُ لَيْسَتْ بِمَخْلوقَةٍ ولا مَعَانِيهِ فاتْرُكْ قَوْلَ مَن هُوَ مُبْطِلُ
وقد أَسْمَعَ الرحمنُ موسَى كَلامَهُ على طُورِ سِينَا والإلهُ يُفَضِّلُ

ولِلطُورِ مَوْلانا تَجَلَّى بِنُورِهِ فَصَارَ لِخَوفِ اللهِ دَكاً يُزَلْزَلُ
وإنَّ عَلَيْنَا حَافِظِينَ مَلائِكاً كِرَاماً بِسُكَّانِ البَسِيطَةِ وُكِّلُوا
فَيَخصُونَ أقْوالَ ابْنِ آدَمَ كُلَّهَا وأَفْعَالَهُ طُراً فَلاَ شَيءَ يُهْمَلُ
ولا حَيَّ غَيْرُ اللهِ يَبْقَى وَكُلُّ مَنْ سِواهُ لَهُ حَوضُ المَنِيَّةِ مَنْهَلُ
وإنَّ نُفوسَ العَالمِينَ بِقَبْضِهَا رَسولٌ مِن اللهِ العظيمِ مُوَكَّلُ
ولا نَفسَ تَفْنَى قَبْلَ إكْمَالِ رِزْقِهَا ولَكِنْ إذَا تَمَّ الكِتَابُ المُؤَجَّلُ
وسِيَّانِ مِنهُمْ مَن وَدي حَتْفَ أَنْفِه ومَن بالظُبَا والسَّمْهَرِيَّةِ يُقْتَلُ
وإنَّ سُؤَالَ الفَاتِنَيْنَ مُحَقَّقٌ لِكُلِّ صَرِيعٍ في الثَّرى حِيْنَ يُجْعَلُ
يَقُولاَنِ : مَاذَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ ماالَّذِيْ تَدِيْنُ؟ ومَن هٰذَا الذِي هُوَ مُرْسَلُ؟
فيارَبُّ ثَبِّتْنَا عَلَى الحقِ واهْدِنَا إلَيْهِ وانْطِقْنَا بِهِ حِيْنَ نُسْأَلُ
وإنَّ عَذَابَ القَبْرِ حَقٌّ ورُوحُ مَن وَدَى في نَعِيمٍ أَوْ عَذابٍ سَتُجْعَلُ
فأَرْوَاحُ أَصْحَابِ السَّعَادَةِ نُعِّمَتْ بِرَوحٍ ورَيْحَانٍ ومَا هُو أَفْضَلُ
وتَسْرَحُ في الجَنَّاتِ تَجْنِي ثِمَارَهَا وتَشْرَبُ مِن تِلْكَ المِيَاهِ وتَأْكُلُ

ولَكِنْ شَهِيْـدُ الحَـرْبِ حَيٌّ مُنَعَّمٌ فَتنعِيْمُهُ لِلرُّوحِ والجِسْمِ يَحْصُـلُ
وأرْواحُ أَصْحَـابِ الشَّقَاءِ مُهانَةٌ مُعَـذَّبَةٌ لِلْحَشْـرِ واللهُ يَعْـدِلُ
وإنَّ مَعَـادَ الرُوحِ والجِسْمِ وَاقِعٌ فَيَنهَضُ مَن قَدْ مَاتَ حَيـاً يُهَرْوِلُ
وصِيْحَ بِكُلِّ العَـالمِيْنَ فأحْضِرُوْا وقِيْلَ : قِفُوهُمْ لِلْحِسَـابِ لِيُسْأَلُوْا
فذَلِكَ يَومٌ لا تُحَـدُّ كُـرُوْبُهُ بِوَصْفٍ فإنَّ الأَمْرَ أدْهَى وأَهْوَلُ
يُحَاسَبُ فِيْهِ المَرْءُ عَنْ كُلِّ سَعْيِهِ وكُلٌّ يُجَازَى بالذِي كَانَ يَعْمَلُ
وتُوْزَنُ أَعْمَالُ العِبَـادِ جَمِيْعُهَـا وقَدْ فَازَ مَن مِـيْزَانُ تَقْـواهُ يَثْقُلُ
وفي الحَسَناتِ الأَجْرُ يُلْفَى مُضاعَفاً وبالمِثْلِ تُجْزَى السَّيِّئَاتُ وتُعْدَلُ
ولا يُدْرِكُ الغُفْرَانَ مَن مَاتَ مُشْرِكاً وأَعْمَالُهُ مَرْدُوْدَةٌ لَيْسَ تُقْبَـلُ
ويَغْفِرُ غَيْرَ الشِرْكِ رَبي لِمَنْ يَشَا وَحُسْنُ الرَّجَا والظَّنِّ باللهِ أَجْمَـلُ
وَإنَّ جِنَانَ الخُلْدِ تَبْقَى ومَنْ بِهَا مُقِيماً عَلَى طُوْلِ المَدَى لَيْسَ يَرْحَلُ
أُعِدَّتْ لِمَنْ يَخْشَى الإلهَ ويَتَّقِي ومَاتَ عَلَى التَّوْحِيْـدِ فَهْوَ مُهَلِّلُ
وَينظُر مَن فيها الى وَجْـهِ رَبِّه بِذَا نَطَـقَ الوَحْيُ المُبِيْنُ المُنَـزَّلُ
وإنَّ عَذَابَ النَّـارِ حَقٌّ وإنَّهَا أُعِدَّتْ لِأَهْلِ الكُفْرِ مَثْوَى وَمَنْزِلُ
يُقِيْمُونَ فِيها خَالِدِيْنَ عَلَى المَدَى إذا نَضِجَتْ تِلْكَ الجُلُودُ تُبَـدَّلُ
ولم يَبْقَ بالإجْمَاعِ فِيْهَا مُوَحِّـدٌ ولَوْ كَانَ ذَا ظُلْمٍ يَصُوْلُ وَيَقْتُلُ
وإنَّ لِخَيْرِ الأَنْبِيَـاءِ شَفَـاعَةً لَدَى اللهِ في فَصْلِ القَضَـاءِ فَيَفْصِلُ
ويَشْفَعُ لِلْعَاصِيْنَ مِنْ أَهْلِ دِيْنِهِ فَيُخْرِجُهُمْ مِن نَارِهِمْ وَهْيَ تَشْعَلُ
فَيُلْقَونَ في نَهْـرِ الحَيَـاةِ فَيَنْبُتُوْا كَمَا في حَمِيْلِ السَّيْلِ يَنْبُتُ سُنْبُلُ
وإنَّ لَهُ حَوْضـاً هَنِيْئاً شَـرَابُهُ مِن الشَّهْدِ أَحْلَى فَهْوَ أَبْيَضُ سَلْسَلُ
يُقَدَّرُ شَهْراً في المَسَـافَةِ عَرْضُهُ كَأَيْلَةَ مِن صَنْعَا وَفي الطُوْلِ أَطْوَلُ
وكِيْزَانُهُ مِثْـلُ النُجُـومِ كَثِيْرَةٌ وَوُرَّادُهُ حَقـاً أَغَـرُّ مُحَجَّـلُ
مِن الأُمَّةِ المُسْتَمْسِكِيْنَ بِدِيْنِهِ وعَنْهُ يُنَحَّى مُحْـدِثٌ ومُبَـدِّلُ
فَيا ربِّ هَبْ لِيْ شَـرْبَةً مِن زُلَالِهِ بِفَضْلِكَ يَا مَنْ لَمْ يَزَلْ يَتَفَضَّـلُ

آخـــر:

وَلَمَّا حَلَلْنَا مِنْ بِجَايَةَ جَانِباً ... تُصَانُ بِهِ تِلْكَ الجُسُوْمُ وتُكْرَمُ
وَجَدْتُ لَهَا طِيْباً وَرَوْحاً ورَاحَةً ... كأَنِّي لِأَنْفَاسِ الصَّبَا أَتَنَسَّمُ
فَقُلْتُ لِصَحْبِي ما الذِي أَمْرَجَتْ لَهُ ... مَقَابِرُ مِنْهَا لَا طِيءٌ ومُسَنَّمُ
فأَوْهَمْتُهُمْ أَنِّي جَهِلْتُ وَإِنَّنِي ... لَأَدْرِي بِذَاكَ الأَمْرِ منهم وأَفْهَمُ
فقالوا طَلَبْنَا عِلْمَ ذَاكَ فَلَمْ نَجِدْ ... سِوَى رِمَمٍ مِمَّنْ تُحِبُّ وتُعْظِمُ
تَضَوَّعَ بَطْنُ الأَرْضِ منها كأَنَّما ... تَفَتَّقَ مِن دَارِيْنَ مِسْكٌ مُخَتَّمُ
فَفَاضَتْ دُمُوْعِيْ عند ذاكَ وَرُبَّمَا ... تَشَهَّرَ بالدَّمْعِ السرارُ المُكَتَّمُ
خَلِيْلَيَّ ما بَالِي وبالُ مَصَائِبٍ ... يُرَاعُ لِذاكْراها فُؤَادِي ويُكْلَمُ
ومِمَّا شَجَانِي وَهْوَ أَعْظَمُ أَنَّنِي ... قَذَفْتُ بها مُسْوَدَّةَ الجَوْف تَلْطِمُ
وَلَمْ أَدْرِ مَا كانَتْ تَحِيَّةُ خَصْمِهِ ... لَهُ هَلْ بِبُشْرَى أَمْ بِشَنْعَاءَ تَقْصِمُ
وَأَعْظَمُ مِنْهُ مَوْقِعاً وَأَشَدُّهُ ... وما خَصَّنِي أَدْهَى عَلَيَّ وأَعْظَمُ
بأَنِي فِي تِلْكَ المَسَالِكِ سَالِكٌ ... أُسَاقُ إِلَيْهَا إِنْ أَبَيْتُ وَأُرْغَمُ
وما أنَا أَدْرِيْ ما الآقِي وما الذِي ... عَلَيْه إِذَا مَا كانَ ذَلِكَ أَقْدَمُ
فَهَلْ مِنْ دَمٍ أَبْكِيْهِ صِرْفاً فإِنَّمَا ... يُبَكَّى على هَذَا مِن المُقْلَةِ الدَّمُ

اللّهُمَّ اعْطِنَا مِنْ الخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُوْ وَاصْرِفْ عَنَّا مِنْ السُّوْءِ فَوْقَ مَا نَحْذَرُ . اللّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوْبَنَا بِرَجَائِكَ وَاقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ . اللّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ عُيُوْبَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمَ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيْرًا يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ اللّهُمَّ وَفِّقْنَا لِسُلُوْكِ سَبِيْلِ عِبَادِكَ الأَخْيَارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْياءَ مِنْهُم وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

شعراً :

إلى كَمْ تَمَادَى في غُرُوْرٍ وَغَفْلَةٍ
وَكَمْ هَكَذا نَوْمٌ إلى غيرِ يَقْظَةٍ
لَقَدْ ضَاعَ عُمْرٌ سَاعَةٌ منه تُشْترى
بمِلْءِ السَّمَا والأرضِ أيَّةَ ضَيْعَةِ

أيُنْفَقُ هَذا في هَوىً هَذِه الّتي
ابى الله أنْ تُسْوىَ جَنَاحَ بَعُوضَةِ

أَتَرْضَى مِن العَيْشِ الرَّغِيْدِ وَعِيْشَةٍ
مَعْ المَلأِ الأَعْلَى بِعَيْشِ البَهِيْمَةِ

فَيَادُرَّةً بَيْنَ المَزَابِلِ أُلْقِيَتْ
وَجَوْهَرَةً بِيْعَتْ بأَبْخَسِ قِيْمَةِ
أَفَانٍ بِبَاقٍ تَشْتَرِيْهِ سَفَاهَةً
وَسُخْطاً بِرِضْوَانٍ ونَاراً بجنةِ
أأَنْتَ صَدِيقٌ أَمْ عَدُوٌّ لِنَفْسِهِ
فإنَّكَ تَرْمِيْهَا بِكُلِّ مُصِيْبَةِ
وَلَوْ فَعَلَ الأَعْدَا بِنَفْسِكَ بَعْضَ مَا
فَعَلْتَ لَمَسَّتْهُم لَهَا بَعْضُ رَحْمَةِ
لَقد بِعْتَها هَوْناً عَلَيْكَ رَخِيْصَةً
وكَانَتْ بِهَذا مِنْكَ غَيْرَ حَقِيْقَةِ

كَلِفْتَ بها دُنْيَا كَثِيْرٍ غُرُوْرُهَا
تُقَابِلُنَا في نُصْحِهَا في الخَدِيْعَةِ

عَلَيْكَ بِمَا يُجْدِي عَلَيْكَ مِن التُقَى
فإنَّكَ في سَهْوٍ عَظِيمٍ وَغَفْلَةِ
تُصَلِّيْ بِلاَ قَلْبٍ صَلاةً بِمِثْلِهَا
يَكُونُ الفَتَى مُسْتَوْجِباً لِلْعُقُوبَةِ
تُخَاطِبُهُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ مُقْبِلاً
عَلَى غَيرِهِ فَيهَا لِغَيرِ ضَرُوْرَةِ
وَلَوْ رَدَّ مَن نَاجَاكَ لِلغَيْرِ طَرْفَهُ
تَمَيَّزْتَ مِن غَيْظٍ عَليهِ وَغَيْرَةِ
فَوَيلَكَ تَدْرِي مَن تُناجِيْهِ مَعْرِضاً
وبَيْنَ يَدَي مَن تَنْحَنِي غَيْرَ مُخْبِتِ
أيَا عَامِلاً لِلنَّارِ جِسْمُكَ لَيِّنٌ
فَجَرِّبْهُ تَمْرِيْنَاً بحَرِّ الظَّهِيْرَةِ
وَدَرِّبْهُ في لَسْعِ الزَّنَابِيرِ تَجْتَرِي
عَلَى نَهْشِ حَيَّاتٍ هُنَاكَ عَظِيْمَةِ
فإنْ كُنْتَ لاَ تَقْوَى فَوَيْلَكَ ما الذِي
دَعَاكَ إلى إِسْخَاطِ رَبِّ البَرِيَّةِ
تُبَارِزُهُ بالمُنْكَراتِ عَشِيَّةً
وَتُصْبِحُ في أثْوَابِ نُسْكٍ وَعِفَّةِ
تُسِيءُ بِهِ ظَناً وَتُحسِنُ تَارةً
عَلَى حَسْبِ ما يَقْضِي الهوَى بالقَضِيَّةِ
فأنْتَ عليهِ أجْرَى منكَ عَلى الوَرَى
بِمَا فِيكَ مِن جَهْلٍ وَخُبْثِ طَوِيَّةِ

تَقُولُ مَعَ العِصْيانِ رَبي غَافِرٌ
صَدَقْتَ وَلَكِنْ غافِرٌ بالمَشِيْئَةِ
وَرَبُّكَ رَزَّاقٌ كَمَا هُوَ غافِرٌ
فَلِمَ لَا تُصَدِّقْ فِيهِمَا بالسَّوِيَّةِ
فَكَيْفَ تُرَجِّيْ العَفْوِ مِن غَيْرِ تَوْبَةٍ
وَلَسْتَ تُرجِّي الرِّزْقَ إلاَّ بِحِيْلَةِ
على أنَّه بالرِّزْقِ كُفِّلَ نَفْسَهُ
وَلَمْ يَتَكَفَّلْ لِلأنَامِ بِجُنَّتِيْ
وما زِلْتَ تَسْعَى بالذِي قَدْ كُفِيْتَهُ
وَتُهْمِلَ ما كُلِفْتَهُ مِن وَظِيْفَةِ
إلهِي أَجِرْنَا مِنْ عَظِيْمِ ذُنُوبِنَا
ولا تُخْزِنَا وَانْظُرْ إلينَا بِرَحْمَةِ
وَخُذْ بِنَواصِيْنَا إليْكَ وَهَبْ لَنَا
يَقِيْناً يَقِيْنَا كُلَّ شَكٍ ورِيْبَةِ
إلهِي اهْدِنَا فِيْمَنْ هَدَيْتَ وَخُذْ بِنَا
إلىٰ الحَقِّ نَهْجاً في سَواءِ الطَّرِيْقَةِ
وكُنْ شُغْلَنا عَن كُلِ شُغْلِ وَهَمِّنَا
وَبُغيَتَنَا عن كُلِّ هَمٍّ وَبُغْيَةِ
وَصَلِّ صَلاةً لا تَنَاهىٰ عَلى الذي
جَعَلْتَ بِهِ مِسْكاً خِتَامَ النُّبُوَّةِ

آخــــر:

صَـرَفْتُ إلى ربِّ الأنَـامِ مَطَـالِبي ... وَوَجَّهتُ وَجْـهِي نَحْـوهُ وَمَـآرِبِي
إلى المَلِكِ الأعْلَى الذي لَيسَ فَوقَهُ ... مَلِيْكٌ يُرَجَّى سَيْبُهُ في المَتَاعِب
إلى الصَّمَدِ البَرِّ الذي فَاضَ جُوْدُهُ ... وعَمَّ الوَرَى طُراً بِجَزْلِ المَوَاهِب
مُقِيْلي إذَا زَلَّتْ بِيَ النَّعْـلُ عَاثِراً ... وَأَسْمَحَ غَفَّـارٍ وأَكْرَمَ وَاهِبِ
فَمَـا زَالَ يُوْلِيْنِي الجَمِيْلَ تَلَطُّفاً ... ويَدْفَعُ عَنِّي في صُدُورِ النَّوائِب
ويَرزُقُني طِفْـلاً وكَهْـلاً وقَبْلَهَا ... جَنِيْنـاً ويَحْمِيْنِي وَبِيَّ المكَاسِب
إذَا أغْلَقَ الأَمْلاكُ دُوْنِي قُصُورَهُمْ ... ونَهْنَهَ عن غِشْيانِهِمْ زَجْرُ حَاجِب
فَزِعْـتُ إلى بَـابِ المُهَيْمِنِ طَارِقاً ... مُـدِلاً أُنَادِي بِاسْمِهِ غَيْرَ هَائِب
فَلَمْ أَلْفِ حُجَّـاباً وَلم أَخْشَ مِنْعَـةً ... وَلَوْ كَان سُؤْلِيْ فَوْقَ هَامِ الكَواكِب
كَـرِيْـمٌ يُـلَبِّيْ عَبْـدَهُ كُلَّمَـا دَعَـا ... نَهَاراً ولَيْلاً في الدُّجَى وَالغَيَاهِب
سَـأَسْـأَلُهُ مَـا شِـئْتُ إنَّ يَمِيْنَهُ ... تَسِحُّ دِفَـاقـاً بِاللُّهَـى والرَّغَائِب
فَحَسْبِيَ رَبِّيْ في الهَـزَاهِـزِ مَلْجَـأً ... وحِرْزاً إذا خِيْفَتْ سِهَامُ النَّوائِب

(اللهُمَّ انْفَعْنَـا بِمَا عَلَّمْتَنَـا ، وَعَلِّمْنَـا مَا يَنْفَعُنَـا ، وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا) فَهَّمْتَنا ، اللهُمَّ إنْ كُنَّا مُقَصِّرِيْنَ في حِفْظِ حَقِّكَ ، وَالوَفَاءِ بِعَهْدِكَ ، فأَنْتَ تَعْلَمُ صِدْقَنَا في رَجَاءِ رِفْدِكَ ، وَخَالِص وُدِّكَ ، اللهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِنَا مِنَّا ، فَبِكَمَالِ جُوْدِكَ تَجَاوَزْ عَنَّا ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، الأَحْيَاءِ مِنْهُم والمَيِّتِيْنَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَّى اللَّهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

وقال شيخنا عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي رحمه الله :

دَعْ عَنْكَ ذِكْرَ الهَـوى والمُولَعِيْـنَ بِهِ ... وانْهَضْ إلى مَنْزِلٍ عَالٍ بِهِ الدُرَرُ

تَسْلُوْ بِمَرْبابِهِ عن كلِّ غَالِيَةٍ ... وعَنْ نَعِيْمٍ لِدُنْياً صَفْوُهَا كدرُ
وعن نَدِيْمٍ بِهِ يَلْهُو مُجَالِسُهُ ... وعن رِيَاضٍ كَسَاهَا النَّوْرُ والزَّهَرُ
انْهَضْ إلى العِلْمِ في جِدٍ بِلَا كَسَلٍ ... نُهُوضَ عَبْدٍ إلى الخَيْراتِ يَبْتَدِرُ
واصْبِرْ على نَيْلِهِ صَبْرَ المُجِدِّ لَهُ ... فَلَيْسَ يُدْرِكُهُ مَنْ لَيْسَ يَصْطَبِرُ
فَكَمْ نُصُوص أَتَتْ تُثْنِي وتمْدَحُهُ ... لِلطَّالِبِيْنَ بِهَا مَعْنَى ومُعْتَبَرُ
أَمَا نَفَى اللهُ بَيْنَ العَالَمِيْنَ بِهِ ... والجَاهِلِيْنَ مُسَاوَاةً إِذَا ذُكِرُوْا
وقَالَ لِلْمُصْطَفَى مَعْ مَاحَبَاهُ بِهِ ... ازْدَدْ مِن العِـلْمِ في عِلْمٍ بِه بَصَرُ
وخَصَّصَ اللهُ أَهْلَ العِلْمِ يُشْدُهُمْ ... عَلَى العِبَادة والتَّوحِيدِ فاعْتَبِرُوْا
وذَمُّ خَالِقِنَـــا لِلْجَاهِلِيْــنَ بِهِ ... في ضُمْنِهِ مَدْحُ أَهْلِ العِلْمِ مُنْحَصِرُ
وفي الحَدِيْثِ إنْ يُرِدْ رَبُّ الوَرَى كَرماً ... بِعَبْدِهِ الخَـيرَ والمَخْلُوقُ مُفْتَقِرُ
أَعْطَـاهُ فِقْهـاً بِدِيْنِ اللهِ يَحْمِلُهُ ... يَا حَبَّـذَا نِعَمـاً تَأْتِي وتُنْتَظَرُ
أَمَا سَمِعْتَ مِثَـالاً يُسْتَضَـاءُ بِهِ ... ويِسْتَفِزُّ ذوِيْ الأَلْبَـابِ إن نَظَرُوْا
بأَنَّ عِلمَ الهُدَى كالغَيْثِ يُنْزِلُهُ ... عَلَى القُلُوبِ فَمِنْهَـا الصَّفْوُ والكَدَرُ
أَمَّا الرِياضُ التِي طَابَتْ فَقَدْ حَسُنَتْ ... مِنْهَا الرُّبَى بِنَبَاتٍ كُـلُّه نَضِـرُ
فأَصْبَحَ الخَلْقُ والأَنْعَـامُ راتِعَـةً ... بِكُلِّ زَوْجٍ بَهِيْجٍ لَيْسَ يَنْحَصِـرُ
وبَعْضُهَــا سَبَخٌ لَيسْتَ بِقَابِـلَةٍ ... إِنْبَـاتَ عُشْبٍ بِهِ نَفْعٌ ولا ضَـرَرُ
يَكْفِيْكَ بالعِلمِ فَضْلاً أَنَّ صَاحِبَهُ ... بالعِزِّ نَالَ العُلاَ والخَيْرُ يُنْتَظَـرُ
يَكْفِيْكَ بالجَهْلِ قُبْحاً أَنَّ صَاحِبَهُ ... يَنْفِيْهِ عَن نَفْسِهِ والعِلْمُ يُبْتَـكَرُ
يَكْفِيْكَ بالجَهْـلِ قُبْحاً أَنَّ مُؤْثِرَهُ ... قَدْ آثَرَ المَطْلَبَ الأَدْنَى وَيفْتَخِـرُ
أَيُّ المَفَـاخِرِ تَرضَى أَنْ تُزَانَ بِهَا ... أَجَهْلُكَ النَّفْسَ جَهْـلاً مَا لَهُ قَدَرُ
أَمْ بِالجَاهَـالَةِ مِنْكَ في شَرِيْعَتِهِ ... كَيْفَ الصَّلاةُ وكَيْفَ الصَّومُ والطُّهُرُ
أَمْ كَيْفَ تَعْقِدُ عَقْداً نَافِذاً أَبَداً ... كَيْفَ الطَّلاقُ وكَيْفَ العِتْقُ يا غُدَرُ
أَمْ افْتِخَـارُكَ بِالجَهْـلِ البَسِيْطِ نعَمْ ... وبالمُرَكَّبِ لا تُبْقِـي ولا تَـذَرُ

تَباً لِعَقْـلٍ رَزِينٍ قَدْ أَحاطَ بِهِ مَعْ الجَهالَةِ رَيْنُ الذَنْبِ والغَـرَرِ
كَمْ بَيْنَ مَن هُوَ كَسْلانٌ أُخُوْ مَلَلٍ فَمَا لَهُ عن ضَيَاعِ الوَقتِ مُزْدَجَرُ
قَدْ اسْتَـلانَ فِراشَ العَجْـزِ مُرتَفِقاً حَتَّى أتَى المُضْعِفَانِ الشَّهْبُ والكِبَرُ
وبَيْنَ مَنْ هُو ذُو شَوْقٍ أُخُوْ كَلِفٍ عَلَى العُلُومِ فَلا يَبْدُوْ لَهُ الضَّجَرُ
يَرْعَى التقي ويَرْعَى مِن تَحفُظِـهِ أوْقَاتَـهُ مِن ضَيَاعٍ كُلُّهُ ضَـرَرُ
لا يَسْتَرِيحُ ولا يُلْوِي أعِنَّتَـهُ عن الوُصُـولِ إلى مَطْلُوبِهِ وَطَرُ
تُلفيهِ طَوْراً عَلَى كُتْبٍ يُطَالِعُهَا يَحْلُو لَهُ مَن جَناهَا مَا حَوَى الفِكَرُ
تُلْهِيْهِ عن رَوْضَـةٍ غَنَاءَ مُزْهِرةً أطْيَارُهَا غَرَّدت والماء مُنْهَمِـرُ
وباحثاً تارةً مَعْ كُلِّ مُنْتَسِبٍ يَبْغِي الرَّشَادَ فَلا يَطْغَى ويَحْتَقِـرُ
وَاهـاً رَجُـلاً فَـرْدا مَحَاسِنُـهُ بالحَزْمِ والعَزْمِ هَانَ الصَّعْبُ والعُسُرُ

وقال رحمه الله تعالى يمدح شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ومؤلفاتهما :

يَا طَالِبـاً لِعُلُومِ الشَّرعِ مُجْتَهِداً يَبْغِي انْكِشَـافَ الحـقِ والعِـرْفَانِ
احْـرِصْ عَلَى كُتْبِ الإمَامَـينِ اللذَيْـ ـنِ هُمَا المَحَـكُّ لِهذِهِ الأزْمَـانِ
العَالِمَـيْنَ العَامِـلينِ الحَافِظَـيْنِ المُعْـرِضَـيْنِ عن الحُطَـامِ الفَانِيْ
عَاشَـا زَمَـاناً دَاعِيَيْنِ إلى الهُدَى مَن زَائِـغٍ ومُقَـلِّدٍ حَـيْرانِ
صَبَرا النُفُوسَ عَلَى جِهَـادِ عَدُوِّهَا لِلْقَلْبِ والأقْـوالِ والأرْكَـانِ
كَمْ نَالَهُمْ مِن نَكْبَـةً وأذِيَّـةٍ هَانَتْ لِـذَاتِ الخَـالِقِ الـدَّيَانِ
نَشَـرَ الالٰهُ لَهُـمْ ثَنَـاءً صَادِقاً إذْ أحْسَـنُوْا في العِلْمِ والإيْمَـانِ
فَقُـلُوبُ أهْلِ الخَـيرِ مِن حُبٍّ لَهُم قَدْ أُشْرِبَتْ وَثَنَـاؤُهُمْ بِلِسَـانِ
أعْـنِي بِـهِ شَيْخَ الوَرَى وإمَامَهُمْ يُعْـزَى إلى تَيْمِـيَّةِ الحَـرانِ
والآخَـرُ المَـدْعُوُ بابْـنِ القَـيِّمِ بَحْـرِ العُـلُومِ العَـالِمِ الرَّبَانِي

فَهُمَا اللذَّانِ قَدْ أَوْدَعَا في كُتْبِهِمْ   غُرَرَ العُلُومِ كَثِيْرَةِ الأَلْوَانِ
فِيْهَا الفَوائِدُ والمَسَائِل جُمِّعَتْ   مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ بِهَا زَوْجَانِ
إِنْ رُمْتَ مَعْرِفَةَ الإِلهِ ومَا لَهُ   مِن وَصْفِهِ وكَمَالِهِ الرَّبَانِي
أَوْ رُمْتَ تَفسِيْرَ الكِتَابِ ومَا حَوَى   مِن كَثْرَةِ الأَسْرَارِ والتِّبْيَانِ
أَوْ رُمْتَ مَعْرِفَةِ الرَّسُولِ حَقِيقَةً   وجَلَالَةَ المَبْعُوْثِ بالفُرْقَانِ
أَوْ رُمْتَ فِقْهَ الدِيْنِ مُرْتَبطاً بِهِ   أَصْلُ الدَّلِيْلِ أدِلَّةَ الاتْقَانِ
أَوْ رُمتَ مَعْرِفَةَ القَصَائِدِ كُلِّهَا   لِلْمُبْطِلِيْنَ وَرَدَّهَا بِبَيَانِ
أَوْ رُمْتَ مَعْرِفَةَ الفُنُونِ جَمِيْعِهَا   مِن نَحْوِهَا والطِّبِ لِلأَبْدَانِ
تَلْقَ الجَمِيْعَ مُقَرَّراً ومُوَضَّحاً   قَدْ بَيَّنَاهَا أحْسَنَ التَّبْيَانِ
جَمَعَتْ عَلى حُسْنِ العِبَارةِ رَوْنَقاً   وَبَهَاءَ مَعْنَى جَلَّ ذُوْ الاتْقَانِ
تَدْعُوْ القُلُوبَ إلى مَحَبَّةِ رَبِّهَا   والذِكْرِ لِلْرحمنِ كُلَّ أوانِ
يَدْرِي بِهَذَا مَنْ لَهُ نَوعُ اعْتَنَا   في كُتْبِهم مَعْ صِحَّةِ العِرْفَانِ
فاحْمَدْ إلهَ الخَلْقِ إنْ كُنْتَ امْرَءاً   تَشْتَاقُهَا وتُحِبُّهَا بِجَنَانِ
واَحْمَدْ إلهَ الخَلْقِ أَيْضَاً ثَانياً   في نَشْرِهَا في هذِهِ الأَزْمَانِ
حَتَّى غَدَتْ بَيْنَ العِبَادِ كَثِيْرةً   مَشْهُوْرَةً في سَائِرِ البُلْدَانِ
فَعَسَى الذِي بَعْث القروم لنشرها   أن يبعث العَزَمَاتِ بعد توان
حتى تكون إلى العلوم سريعة   مشتاقة للعلم والعرفان
ويزيل عن هذي القلوب موانعاً   عاقت وصول العلم والايقان
ويلم هذا الدين بعد تشعث   قَدْ كَادَ أَنْ يَنْهَدَّ لِلأَرْكَان
ويُفَتِّحُ الأبوابَ بَعْدَ مُضِيِّهَا   دَهْراً على التَّغْلِيْقِ والأَدْرَانِ
ويُؤَلِّفُ الرحمنُ بَعْدَ تَفَرقٍ   أَرْوَاحَ أَهْلِ العِلْمِ والإِيْمَانِ
بِجَلَالِهِ وجَمَالِه مُتَوَسِّلاً   يَا دَائِمَ المَعْرُوْفِ والإحْسَانِ
وَعلى الرَّسُولِ مُصَلِّياً وَمُسَلِّماً   والصَّحْبِ والأَتْبَاعِ بالإحْسَانِ

وقال آخـر :

بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِي الوَرَى سَتُعَذَّبُ فَنـاجِ بِخَدْشٍ والكَثِيْرُ يُكَبْكَبُ
أَمَا يَسْتَحِيْ مَن كَانَ يَلْهُو ويَلْعَـبُ (ذُنُوبُكَ يَا مَغْرُورُ تُحصَىٰ وتُحْسَبُ)
(وتُجمع في لَوحٍ حَفِيْظٍ وتُكْتَبُ)

وأَنْتَ بِمَا لَا يُرْتَضَى كُلَ لَيْـلَةٍ أَمَا تَتَّقِي مَوْلَاكَ فِي كُلِّ فِعْـلةٍ
تَبِيْتُ بِلَذَّاتٍ وتَلْعَـابِ طِفْـلَةٍ (وَقَلْبُكَ في سَهْوٍ ولَهْـوٍ وغَفْـلَةٍ)
(وأَنْتَ عَلَى الدُنيا حَرِيصٌ مُعَذَّبُ)

فَلَوْ تَسْتَطِعْ أَخْذَ التَّقِي وَرَحْـلِهِ أُخَـذْتَ ولَو فِي بَيْتِهِ ومَحَـلِهِ
وأَنْتَ عَلَى كَنْزِ القَلِيـلِ وجِـلِّهِ (تُباهِي بِجَمْعِ المالِ مِن غَيْرِ حِلِّهِ)
(وتَسْعَى حَثِيْثاً في المَعَاصِي وتُذْنِبُ)

وتُعْرِضُ عَن فِعْلِ المَراضِي وتَرْتَضِي فِعَالاً تُنَافِي فِعْـلَةَ الدِّيْنِ الرَّضِـي
أَمَا تَرْعَوِي يَا مَن عَلى لَهْوِهِ رَضِي (أَمَا العُمْرُ يَفْنَى والشبيبةُ تَنْقَضِي)
(أَمَا العُمْـرُ آتٍ والمَنِيَّةُ تُطلَبُ)

فلا تَغْتَرِرْ واحْذَرْ فَدُنْيَاكَ يَا الغَدِي إِذَا أُضْحَكتكَ اليومَ أبْكَتْكَ في الغَدِي
أَتَلْهُو بِدَارٍ لا تَـدُوْمُ لِمَرْغَـدِى (أَمَا تَذْكُر القَبْرَ الوَحِيْشَ ولَحْدَهَ)
(بِهِ الجِسْمُ مِن بَعْدِ العَمَارةِ يَخْرَبُ)

وتَقْتَتِلُ الدِيْدَانُ لا شَكَّ حَوْلَهُ ومَا أَحَـدٌ يَنْعِـي ولا يَعِ عَوْلَهُ
أَمَا آنَ أَنْ تَخْشَى العَزِيْزَ وَطـولَهُ (أَمَا تَذْكُر اليُومَ الطَّوِيلَ وَهَوْلَهُ)
(ومِيزَانَ قِسْطٍ لِلْوفَاءِ سَيُنْصَبُ)

فَتُوزَنُ أعْمَـالٌ فَتُجْزَىٰ رِجَـالُهُ وكُلٌّ يُجَـازَى مَا جَنَتْـهُ فِعَـالُهُ
وَوَيْـلٌ لِمَنْ ضَاقَتْ عليه مَجَـالُهُ (أَمَا جَاءَ أَنَّ اللّٰهَ جَلَّ جَـلَالُـهُ)
(إِذَا هَتَكَ العَبدُ المَحارمَ يَغْضَبُ)

فَيهتِكُ سِتْرَ الظالِمينَ بِغِرَّةٍ وكُلُّهُمُوْا عَضَّ الأكُفِّ بِحَسْرَةٍ
ولاتَ مَناصٍ حِيْنَ جَادُوْا بِعَبْرةٍ (أمَا الواحدُ الدّيانُ جَلَّ بِقُدْرةٍ)
(يُنَاقِشُ عن كُلِّ الذُنُوبِ ويَحْسِبُ)

فَيُنصِفُ لِلْمَظْلُومِ مِمَّنْ لَهُ افتَرَى وَيَقْصِمُهُ قَصْماً فَيَبْقَى مُقَحْطَرَا
أمَا زَاجِرٌ يَزْجُرْكَ يَا مَنْ تَبَجْتَرَى (أمَا تَذْكُرُ المِيزَانَ وَيْحكَ مَا تَرَى)
إذَا كُنْتَ في قَعْرِ الجَحِيمِ مُكَبْكَبُ)

أمَا تَمْشِيَنْ بَيْنَ الوَرَى مُتَوَاضعاً أمَاتَتَّقِي رَباً ألاَتَكُ خَاضِعاً
أحَاطَكَ ظَهْراً ثُمَّ بَطْناً ورَاضِعاً (كَأنَّكَ مَاتَلْقَى عَلَى الأرض مَوْضِعَا)
(وَمِنْ بَعْدُ تَلْهُو بالشَّبَابِ وتَلْعَبُ)

رَأيْتَ ولَمْ تَشْعُرْ نَذِيْراً ونَاهِياً وَكُنْتَ بِدُنْيَاكَ الدَّنِيَّةِ سَاهِيَا
سَهِرْتَ وآثَرْتَ الغِنَى ومَلاهِياً (تَرُوْحُ وَتَغْدُو فِي مَرَاحِلِكَ لاهِياً)
(وسَوفَ باشْرَاكِ المَنيةِ تَنْشَبُ)

أتَحْسَبُ أنَّ اللهَ أنْشَى الوَرَى سُدَى سَيأتِيْكَ مَا مِنْهُ تَكُونُ مُكَسَّدَا
وتُنْزَعُ رَوْحٌ ثُمَّ تَبْقَى مُجَسَّدَا (وتَبقَى صَرِيْعاً في التُرابِ مُوَسَّدَا)
(وجِسْمُكَ مِن حَرٍ بِهِ يَتَلَهَّبُ)

وَمَالَكَ عَن دَفْعِ الأذِيَةِ صَوْلَةٌ ومَالَكَ مُذْ جاءَ المُقَدَّرُ حِيْلَةٌ
تَنُوحُ وتَبْكِي بِالدُمُوعِ أهيْلَة (وحَوْلَكَ أطْفَالٌ صِغَارٌ وعَوْلَةٌ)
(بِهِم بَعْدَ مَغْدَاكَ البَنُونُ تَشَعَّبُ)

أيادِيْ سَبَا خَلْفاً ويَمْنَى ويَسْرَةً وكُنْتَ رَهِيْناً لِلْمَنَايَا وقَسْرةً
وجَاءَكَ مَا أوْدَى البَهَا وَمَسَرَّةً (وقَدْ ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ بالدَّمْعِ حَسْرَةً)
(وخَلَّفْتَ لِلْوُارَّاثِ مَا كُنْتَ تَكْسِبُ)

وتَسْعَى لَهُ مِن تَالِدٍ ومُحَصَّلِ وتَسْهَرُ لَو فِي سَدِّ يأجُوجَ تُوْصِلُ

وبِتَّ ولَمْ تَسْمَعْ وِصَاةً لِمُوصِلٍ (تُعَالِجَ نَزْعَ الرُوْحِ مِنْ كُل مَفصِلِ)

(فلا رَاحِمٌ يُنْجِي ولا ثَم مَهْرَبُ)

وضَاقَتْ عَلَيْكَ الرُوْحُ بَعْدَ مُرُوْجِهَا وأنْزِلْتَ عِنْدَ البابِ بَعْدَ بُرُوْجِهَا

وقُرِّبتِ الاكْفانُ بَعْدَ عُرُوْجِهَا (وغُمِّضَتِ العَيْنَان بَعْدَ خُرُوْجِهَا)

(وبُسِّطَتِ الرِجْلان والرَّأْسُ يُعْصَبُ)

وقَامَ سِرَاعُ الناسِ لِلنَّعشْ يُحْضِرُوا وحَفَّارُ قَبْرٍ في المَقَابِرِ يَحْفُرُ

وجَدَّ الذِي في حَوْلِ نَادِيْكَ مُحْضَرٌ (وقَامُوا سِرَاعاً في جَهَازِكَ أحْظَرُوْا

(حَنُوطاً وأكْفَاناً ولِلْمَاءِ قَرَّبُوا)

وصَبُّوا عَلَيْكَ المَاءَ وأنَّ سُمُوعَهُ وحَنَّ قَرِيْبٌ بالبُكَا ورُبُوعُهُ

وكُلُ شَقِيْقٍ جَاءَ جَدَّ زُمُوعُهُ (وغَاسِكُلَكَ المحزُوْنُ تَبْكِي دُمُوعُهُ)

(بِدَمْعٍ غَزِيْرٍ وَاكِفٍ يَتَصَبَّبُ)

كَصَيِّبِ مُزْنٍ ودُقُهُ مُتفَرِقٌ حَزِينٌ ومِن مَا دَمْعِهِ مُتَفَرِّقٌ

وكُلُ رَحِيْمٍ قَلْبُهُ مَتَحّرِقٌ (وكُلُ حَبِيْبٍ لُبُّهُ مُتَحّرِقٌ)

(يُحَرِكُ كَفيِّهِ عَلَيْكَ ويَنْدُبُ)

وجَاؤُوا بأثوابٍ وطِيْب بطِيِّهَا (وقَدْ نَشَرُوا الأكْفَانَ مِن بَعْدِ طِيهَا)

(وقَدْ بَخَّرُوْا مَنْشُوْرَهُنَّ وَطَيَّبُوْا)

وخَاطُوا الذِي يَحْتَاجُ مِنها وأخْرَجُوا طَرَأيدَ لِلَّتحِزْيْمِ مِنْهَا وأدْلَجُوْا

جَمِيْعِاً بِتَجْهازٍ وجِسْمَكَ أدْرَجُوْا .(والقَوكَ فيها بَيْنَهُنَّ وأدْرَجُوْا)

(عَلَيْكَ مَثَانِي طَيِّهُنَّ وعَصَّبُوْا)

وشَالُواكَ مِن بَيْنِ الأخِلَا مُجَرَّداً ومَالكَ خَلْفاً قَدْ تَركْتَ وَخُرَّدا

وصَلَّوْا وُقُوْفاً ثم زَفُوكَ وُرَّداً (وفي حُفْرةٍ القَوكَ حَيْرَانَ مُفْرَدَا)

(تَضُمُّكَ بَيْدَاءٌ مِن الأرْضِ سَبْسَبُ)

بَعْيدٌ عَلَى قُرْبِ المَدَى يَعْلَمُونَهُ وسَائِلُكَ المُجْهَادُ لا يَسْمعُوْنَهُ

وقَبْرَكَ قَامُوْا بَعْدَ ذَا يَسِمُوْنَهُ (ورَاحُوا لِمَّا خَلَّفْتَ يَقْتَسِمُوْنَهُ)
(كأنَّكَ لَمْ تَشْقَى عَليهِ وَتَتْعَبُ)
وتَسْهَرُ حَتَّى كَادَ ظَهْرُكَ يَنْهَصِرْ وجِسْمُكَ مَهْزُوْلٌ بِسَعْيِكَ مُنْعَصِرْ)
وخَلَّفْتَهُ طُراً ومَالَكَ مُنْتَصِـرْ (فيا أَيُّهَا المَغْرُوْرُ حَسْبُكَ فاقْتَصِرْ)
(وخَفْ مِن جَحِيْمٍ حَرُّهَا يَتَلَهَّبُ)
ولا تَمْشِ مِن بَيْنَ البَرِّيةِ مُسْبِلاَ وكُنْ صَالِحاً بَراً تَقِياً مُحَسْبِلاَ
وتُبْ عَن ذُنُوبٍ لاتَكُنْ مُتَكَرْبِلاَ (وجَانِبْ لِما يُرْدِيْكَ في حُفْرةِ البِلاَ)
(فَكُلٌّ يُجَازَى بالذِي كَانَ يَكْسِبُ)
مآكِلُ مَا نَحْتَاجُ مِنْهَا لِقُوتِنَـا شَبِيْهُ حَرَامٍ والسَّمِيْعُ لِصَوْتِنَـا
يُجازِي بِعَدْلٍ لا مَفَرَّ لِفَـوتِنَـا (إِذًا كَانَ هَذَا حَالُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا)
(فَكَيْفَ يَطِيْبُ اليَومَ أَكْلٌ ومَشْرَبُ)
وقُدَّامُنَا قَبْرٌ بِـهِ المـرءُ أَلْكَـنُ ولَوْ أَنَّـهُ سَحْبانُ مَأْثَمٌ أَلْسَـنُ
وكَيْفَ رَبَتْ مِنَّا لُحُومٌ وأَعْكُنُ (وكَيْفَ يَطِيْبُ العَيشُ والقَبْرُ مَسْكَنُ)
(بِه ظُلُمَاتٌ غَيْهَبٌ ثُمَّ غَيْهَبُ)
وخَوْفٌ بِهِ حُزْنٌ طَوِيْلٌ وَرَعْشَةٌ ولَيْتَكُ تَسْلَمْ لاَ يُصِيْبُكَ نَهْشَةٌ
ومُنْكَرُ أَذْ يَسْأَلْ يَهلَكْ وَدَهْشَةٌ (وهَـولٌ ودِيْـدَانٌ وَرَوْعٌ وَوَحْشَـةٌ)
(وَكُلُّ جَدِيْدٍ سَوْفَ يَبْلَى وَيَذْهَبُ)
ومِنْ بَعْدِ ذَا يَوْمٌ وإِنَّ حِسَابَهُ أَلِيْمٌ مَهُـوْلٌ مُفْـزِعٌ وعِقَـابُهُ
عَظِيمٌ لِعَاصٍ مَا أَشَدَّ عَـذَابَهُ (فَيَا نَفْسُ خَافِي اللهَ وارْجِي ثَوَابَهُ)
(فهادِمُ لَذَّاتِ الفَتَى سَوْفَ يَقْـرُبُ)
فيَأْخُـذُ أَطْفَـالاً ويَأْخُـذُ رِمَّـةً وَيَأْخُـذُ شُـبَّاباً وَيَهْـدِمُ نِعْمَـةَ
فَخَلِي بُنَيَّـاتِ الطَّرِيْقِ وَعَسْـمَةً (وقُوْلِي إلٰهِي أَوْلِنِيْ مِنْكَ رَحْمَةً)
(وعَفْواً فإنَّ اللهَ لِلذَّنْبِ يُذْهِبُ)

وخُذْ بِيَدِيْ نَحْوَ الطَّرِيْقِ المُحَمَّدِي   وكُنْ بِي رَحِيْماً واسْتِقَمْ بِي عَلى الهُدَى
ولا تُخْزِنِي في الحَشْرِ واطْلِقْ مُقَيَّـدِي   (ولا تُحْرِقَنْ جِسْمِي بِنَارِكَ سَيِّدِي)
(فجِسْمِي ضَعِيْفٌ والرَّجَا مِنْكَ أقْـرَبُ)

وجُوْدُكَ مَنَّـانِي ولَوْ كُنْتَ أحْقَرَا   وعَفْوَكَ رَجَّا مَنْ هَفَا وتَقَحْطَرَا
وإنِّي وأنْ كُنْتَ البَعِيْدَ و مِنْ وَرَى   (فَمَالِي إلاَّ أنْتَ يَا خَالِقَ الوَرَى)
(عَلَيْكَ اتِّكَالِي أنْتَ لِلْخَلْقِ مَهْرَبُ)

وأنْتَ مَلاذٌ لِلْوَرَى في رُجُوْعِهَا   مُجِيْبٌ لِمَنْ يَدْعُو بِهَامِيْ دُمُوعِهَـا
فَتَرْجُوكَ تَسْمَعْ مِن صَمِيْمِ سَمِيْعِهَا   (ونَدْعُوا بِغُفْرَانِ الذُنُوبِ جَمِيْعِهَا)
(وخَاتِمَةِ العُمْـرِ الَّتِي هِيَ أطْلُبُ)

وأسأَلُ طُوْلَ الدَّهْرِ مَا نَآءَ طَارِقُ   (وصَلِ إلٰهِي كُلَّ مَا نَاضَ بَارِقُ)
(ومَا طَلَعَتْ شَمْسٌ ومَا لاَحَ كَوْكَبُ)

ومَا حَنَّ رَعْدٌ فِي دَيَاجِي لَيَـالِهِ   ومَا انْهَلَّ سَارٍ مُغْدِقٍ مِن خِـلاَلِـهِ
ومَا أمَّ بَيْتَ اللهِ مِن كُلِّ وَإلِهِ   (عَلَى أحْمَدِ الطُّهْرِ النَّذِيْرِ وَآلِهِ)
(فَهُوَ خَيْرُ أهْلِ الأرْضِ طُراً وأطْيَبُ)

وأكمُلِ مَن حَلَّ الصَّفَا والمُحَصَّبَا   وأخْلاهُمُوا خَلْقـاً وخُلْقـاً وَمَنْصِبَا
وأصْحَابِهِ ما اخْضَرَّ عُوْدٌ وأخْصَبَا   (كَذَاكَ سَلامُ اللهِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا)
(وهَبَّتْ شَمالٌ مَعْ جَنُوبٍ وهَيْـدَبُ)

آخـــر :

إلَى كَمْ تَمَادَى في غُرُوْرٍ وَغَفلَةٍ   وَكَمْ هَكَـذا نومٌ إلَى غَـير يَقظَةِ
لَقَدْ ضَاعَ عُمْرٌ سَاعَةٌ منه تُشْترى   بِمِلءِ السَّمَـا والأرضِ أيَّةَ ضَيْعَةِ
أيُنْفَقُ هَذَا في هَوَى هَذِهِ اللَّتِي   أبَى اللهُ أنْ تُسْوَى جَنَاحَ بعوضَةِ
أتَرْضَى مِن العَيْشِ الرَّغِيْدِ وَعِيْشَةٍ   مَعْ المَلأُ الأعْلَى بِعَيْشِ البَهِيْمَةِ

فيادُرَّةً بَيْنَ المَــزَابِلِ أُلْقِيَــتْ وَجَوْهَــرَةً بِيْعَتْ بِأَبْخَسِ قِيْمَـةِ
أَفَانٍ بِبَــاقٍ تَشْتَرِيْهِ سَـفَاهَـةً وَسُخْطاً بِرِضْوَانٍ وناراً بجنـةِ
أَأَنْتَ صَدِيقٌ أَمْ عَــدوٌ لِنَفسِهِ فإنَّكَ تَرْمِيْهَـــا بِكُلِّ مُصِيْبَـةِ
ولو فَعَلَ الأَعْــدَا بِنفسِكَ بَعْضَ مَا فَعَلْتَ لَمَسَّتْهُم لَهَــا بَعْضُ رَحْمَةِ
لَقَدْ بِعْتَهــا هَوْناً عَلَيْكَ رَخيصَةً وكانَتْ بِهَــذا مِنْكَ غَيْر حَقِيْقَةِ
أَلَا فاسْتَفِقْ لا تَفْضَحَنْهَا بِمَشْهَدٍ مِن الخَلْقِ إنْ كُنْتَ ابْنَ أُمٍّ كَرِيْمَةِ
فَبَيْنَ يَدَيْهَا مَشْهَــدٌ وَفَضِيْحَــةٌ يُعَــدُّ عَلَيْهَا كُلُّ مِثْقَالِ ذَرَّةِ
فُتِنْتَ بِهَــا دُنْيَاكَثِيْرٍ غُــرُوْرُهَا تُعَامِلُ في لَذَّتِهَــا بِالْخَــدِيْعَةِ
إذَا أَقْبَلَتْ بَذَّتْ وَإنْ هَي أَحْسَنَتْ أَساءَتْ وإنْ ضَاقَتْ فَثِقْ بالكُدوْرَةِ
وإنْ نِلْتَ مِنْهَا مالَ قارُوْنَ لَمْ تَنَلْ سِوَى لُقْمَةٍ في فِيْكَ مِنْهَا وخِرْقَةِ
وهَيْهَاتَ تُحْظى بالأَماني ولَمْ تَكُنْ لِتَنْزِعَهَا من فِيْكَ أَيْدي المنِيَّةِ
فَدَعْهَا وأَهْلِيْهَا لِتَغْبِطَهُمْ وخُــذْ لِنَفْسِكَ عنها فهو كُلُّ غَنِيْمَــةِ
وَلَا تغْبِـطْ مِنْهَا بِفَرحَةِ سَــاعَةٍ تَعُوْدُ بأَحْزَان عَلَيْكَ طَوِيْــلَةِ
فَعَيْشُكَ فِيْهَا أَلْفُ عَامٍ وتَنْقَضِي كَعَيشِكَ فِيْهَا بَعْضُ يوم وَلَيْلَةِ

آخــــر:

أَبَادَ ذَالمَوْتُ أَمْلَاكاً وَمَا مَلَكَوْا وَدَارَ مُسْتَعْقِباً عَليهِــمُ الفَلَكُ
رَمَى بِهِم حَيْثُ لا قِيْعَــانَ تُمْسِكُهُمْ وَلَا مِراراً بهَا المَرْمِيُّ يَمْتَسِكُ
هوَتْ هُوِيَّ ثَقْــيل الصَّخْرِ أُمُّهُمُ فلا حَسِيْسَ ولا رِكْزٌ ولا حَرَكُ
غَدَتْ رُؤُسِهُمُوْا مِن تَحْتِ أَرجُلِهِم وزُلْزِلَتْ بِهِم الأَطبــاقُ والدَّرَكُ
يا بَطْشَةً مِن حَكِيمٍ ما بِهَا مَهَلٌ وَغَضْبَةً مِن عَزِيْز ما بِهَا دَرَكُ
جُرُّوْا مِن اللّهْوِ مَلْاَى مِنْ أَعِنَّتِهِمْ حَتَّى إذا مَا رأَوْا خَيْلَ الرَّدى بَرَكُوْا

حُطُّوْا بِدَارِ البِلَى في مَنْزِلٍ حَرِجٍ وَلَيْتَهُمْ ويْحَهُمْ فِيْهِنَّ لَوْ تُرِكُوْا
لَطَالَمَا نَقَضُوا مُلْكاً وما هَـدَمُوْا عِزاً وَمَا هَتَكُوْا سِتْراً وما فَتَكُوْا
مَرُّوْا وَمَا بَلَغُوْا كُلَّ الذي طَلَبُوْا ولا قَضَوْا وَطَراً مِن كُلِّ ما تَرَكُوْا
أَضْحَاهُمُ اليومَ صَرْفُ الدهرِ إذ هَلَكُوْا كَمَا أَضَلَّهُمُ بالأَمْسِ إذ مَلَكُوْا

اللهم أنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وعَلاَنِيَتَنَا وتَسْمَعُ كَلاَمَنَا وتَرَى مَكَانَنَا لاَ يخْفَى عَليكَ شيْءٌ مِن أَمْرِنَا نَحْنُ البُؤسَاءُ الفُقَراءُ إليكَ المستغيثونَ المستجيرونَ بِكَ نَسْأُلك أنْ تُقَيِّضَ لِدِيْنِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ ويُزِيلُ مَا حَدَثَ مِن البِدَعِ والمُنْكَراتِ ويُقِيْمُ عَلَمَ الجِهَادِ ويقْمَعُ أَهْلَ الزَّيغِ والكُفْرِ والعِنَادِ ونَسْأَلُكَ أنْ تَغْفِرَ لنَا ولِوَالِدِيْنَا وجميعِ المسلمين برحْمَتِكَ يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فَصْــلٌ)

وفي بعض الخطبِ المَرْوِيّةِ أيُّها الناسُ إن الأمَال تُطوى والأعمــار تَفْنَى والأبدانَ تَحْتَ التُرابِ تَبْلَى وإنَّ الليلَ والنهارَ يَتَرَاكَضَانِ كَتَراكُضِ البَرِيْدِ ، ويُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعْيد ويُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيْد .

وفي ذَلَكَ عِبَادَ اللهِ ما يُلْهِي عن الشهوات ، ويُسَلِّيْ عن اللَّذَاتِ ، ويُرَغِبُ في البَاقِيَاتِ الصَّالِحَات .

وخَطَبَ آخرُ فقال : أيُّها الناسُ إن اللهَ كَتَبَ على الدنيا الفَنَاءَ وعلى الآخِرةِ البَقَاءَ ، فلاَ فَنَاءَ لما كَتَبَ اللهُ عليه البَقاءَ ، ولا بَقَاءَ لِمَا كَتَبَ اللهُ عليه الفَنَاءَ ، فلا يَغُرَنَّكُم شَاهِدُ الدنيا عَنْ غائِبِ الآخِرة ، واقْهَرُوا طُوْلَ الأملِ بِقِصَرِ الأَجَلِ .

وقال بَعْضُ العلماء : لا تَبتْ على غير وَصِيَّــةٍ، وإن كُنْتَ مِن جِسْمِكَ في صِحَّةٍ ، ومِن عُمُرِكَ في فُسْحَةٍ ، فلا تأمن مِن هجوم هادِمِ اللذات ومُفَرِق الجماعات .

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ما منكم مِن أحَدٍ إلاّ وَهُوَ ضَيف ، وما لُه عَارِيَّةٌ ، فالضَّيفُ مُرْتَحِلٌ والعَارِيَّةُ مَرْدُوْدَة .

وقال أحد الحُكماء : لَيْسَ لِلدين مِن عِوَضٌ، وَلا مِن الإيمان بَدَل ، ولا مِن الجَسَدِ خَلَف ، ومن كانَتْ مِطِيَّتُهُ الليلُ والنهار ، فإنه يُسَارُ بِهِ وإنْ لم يَسِرْ .

وقال آخَرُ : أيها الناس إنَّ سِهَامَ الموتِ قَدْ فُوقَتْ إليكم فانظُرُوْهَا ، وحِبَالَةُ الأمل قد نُصِبَتْ بَيْنَ أيدِيكم فاحْذروها وفِتَنُ الدُنيا قَدْ أحَاطَتْ بكم مِن كُل جانب فاتقوها .

ولا تَغْتَرُّوُا بِمَا أنْتم فيهِ مِن حسنِ الحال فإنَّهُ إلى زَوَال ، ومُقِيْمُهُ إلَى ارْتِحَال ، ومُمْتَدُّه إلى تَقَلُّص واضمْحْلَال ، أمَا تَسْمَعُونَ أيُّها الناسِ لِما توعَظُونَ بِهِ ، أما تَعْتَبِرُوْنَ بما إليه تَنْظُرون ، أما تَفَكَّرُوْنَ فِيْمَا عنه تَزُوْلُونَ وفيما إليه ترجْعُون ، وعليه تقدمون .

أين مَن تَقَدَّمَكُم وكان قبلكم مِمَّنْ أمَّل أمَلَكم وسَعَى سَعْيَكم وعَمِل عَمَلَكُم ، أين الذين بَنَوا المدائِنَ ومَلأُوا الخَزَائِنَ واستَعَدُّوا لما هو عندهم كَائِن، أين الذين غَرسُوْا في رَوْضَةِ المُلْكِ ونَظَمُوا الآمالَ في سِلْكٍ ، وَهَتَكُوا حُجْبَهَا أيَّما هَتْكَ وكانُوا في ظاهِرِ أعْمالِهم في ريبِ مِن الزَّمانِ وفي شَك .

اللهم إنّا نسألك قَلْباً سليماً ، ولِسَاناً صَادِقاً ، وعَمَلاً مُتقبّلاً ، ونسألك بَرَكَةَ الحياةِ وخَيْرَ الحيَاةِ ، ونَعُوذُ بِكَ مِن شرِ الحياةِ ، وشر الوفاة

اللَّهُمَ ثَبِّتْ قلوبَنا على دِيْنِكَ وألهِمْنا ذكرَكَ وشُكْرَكَ واخْتِمْ لَنَا بِخَاتِمَةِ السَّعَادةِ واغفِرْ لَنَا ولوالِدَيْنَا وَجَمِيعِ المسلمينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلّى اللهُ على محمدٍ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْــــلٌ)

وقال رحمه الله واعلم أنَّ لِسُوءِ الخاتمة أعَاذَنَا اللهُ منها أسْبَاباً وَلَها طُرُقٌ وأبْوَابٌ أعْظَمُهَا الإقْبَالُ والاكْبَابُ على الدنيا ، والإعْراضِ عن الآخرة ، والإقدام بالمعصية على الله جل وعلا وتقدسٍ .

ورُبَّمَا غَلَبَ على الإنْسان ضَرْبٌ مِن الخَطِيْئَةِ ونوعٌ مِن المَعْصِيَةِ وجَانِبٌ مِن الإعْراضِ عَنِ اللهِ والدار الآخِرةِ ، ونَصيبٌ مِن الإفتِرَاءِ ، فَمَلَكَ قَلْبَهُ وسَبَى عَقْلَهُ ، وأطْفَأَ نُورَهُ ، وأرْسَل عَليه حُجُبَهُ .

فلم تَنْفَعْ فيه تذكرة ، ولا نَجَعَتْ فيه مَوْعِظة ، فَرُبَّمَا جَاءَ الموتُ على ذلك فَسَمِعَ النداءِ من مَكَانٍ بَعِيْد فلم يَتَبَيِّنِ المرادُ ولا عِلِمَ ما أرَادَ ، وإن أعَادَ عليه وأعَاد .

ويُرْوَى أنَّ أحَد رِجَالِ الناصِرِ بنِ عِلْنَاس ، نَزَلَ بِهِ الموت فَجعَلَ ابنُه يَقُولُ لَه : (قَل لا إله إلا الله) فقال النَّاصِرِ يَا موْلَاي ، فأعادَ عَليه ، فأعَادَ ثم أصَابَتهُ غَشْيَةٌ فلما أفاقَ منها قال الناصِر أمَوْلَاي ، ثم قال لابْنِهِ يا فلانُ الناصِرُ إنما يَعْرِفُكَ بِسَيْفِكَ فالقَتْلُ ثم القَتْلُ ثُم مَاتَ .

وقيل لآخَرَ قل لا إله إلا الله عندما نَزَلَ به الموتُ فقال الدارُ الفُلانيةُ أصْلِحُوْا فيها كَذَا ، والجنان الفلانية افْعَلُوا فيها كذا ، وقيل لِرجَلُ نَزَلَ به الموت (قل لا إله إلا الله) فَجَعَلَ يقول بالفَارِسِيَّة دِهْ يا ازْدِهْ دَوَازْدِهْ تَفْسِيْر عَشَرة أحَد عَشَر إثْنَا عَشَر كان هذا الرجل مِن أهل العَملِ والدِيوان فَغَلب عليه الحِساب والميزان .

وقيل إنَّ رَجُلاً نَزَلَ به الموتُ فقِيل له قل لا إله إلا الله فجعل يقول :

يا رُبَّ قائلةٍ يَوْماً وقد تَعِبَتْ أيْنَ الطَّرِيقُ إلى حمام مَنْجَابِ

وهذا الكلام فيه قِصَّة وذلك أنَّ رَجُلاً كانَ وَاقِفاً عَلَى باب دَارِه وكان بابُ دَارِه يُشْبِهُ بابَ الحَمَّام فَمَرَّتْ إمْرَأة لَهَا رَوْنَق ومَنْظِرٌ خَلَّاب وهي تَسْأَل عن طَرِيْق حَمَام مَنْجَاب .

فقال لَهَا هَذَا حَمَّامُ مَنْجَاب وَأشَارَ إلى دَارِه فدخَلَتْ دَارَهُ ودَخَل وَرَائَهَا فَلَمَّا رَأتْ نَفْسَهَا مَعَهُ في دَارِه ، ولَيْسَتْ بِحَمَّامٍ عَلِمَتْ أنَّه خَدَعَهَا فاحْتَالَتْ عَليه بأن أظْهَرَتْ له الفَرَحَ والبِشر باجتماعِهَا مَعَهُ على تِلْكَ الخَلْوَةِ في تِلكَ الدارِ .

وقالَتْ يَنْبَغِي أنْ يَكُونَ عِنْدنَا مَا يَطِيْبُ بِهِ الاجْتِماعُ وتَقَرُّبِهِ عُيُوْنُنَا فَفَرِحَ وقال السَّاعَةَ آتِيْكِ بكُلِ ما تُرِيْدِيْن وَمَا تَشْتَهِيْنَ .

وخَرَجَ وتَرَكَهَا في الدَّارِ ، وظَنَّ أنَّهُ أغْلَقَ عَلَيْهَا البُاب ، وَمَضَى وأتَى بما يَصْلَحُ لَهُمَا ورَجَعَ ودخَلَ الدارَ فَوجَدَهَا قَدْ خَرَجَتْ وذَهَبَتْ ولم يجَدْ لَهَا أثر .

فَهَامَ الرُجلُ بِهَا وذَهَبتْ بِلُبِّهِ فأكْثَرَ الذِكْرَ لَهَا والحُزْنَ والجَزَعَ عَليها وجَعَل يَمْشِي في الطُرُّقِ ويقول :

يا رُبَّ قائِلةٍ يَوْماً وقَدْ تَعِبَتْ أيْنَ الطَّرِيْقُ إلى حَمَامِ مَنْجَابِ

ومَرَّ من عِنْدِ بَيْتِهَا وَهُوَ يُنْشِدُ هذا البَيْتَ وإذا بها تُجَاوِبُهُ مِن دَاخِل دَارِهَا وتَقُول بِصَوْتٍ سَمِعَهُ :

هَلاَّ جَعَلْتَ سَرِيْعاً إذْ ظَفِرْتَ بِهَا   حِرْزاً عَلَى الدارِ أَوْ قُفْلاً عَلى البابِ
إنْ يَنْفَذَ الرِّزْقُ فالرَّزَاقُ يَخْلِفُهُ   والعِرْضُ مِنْ أيْنَ يَا مَغْرُوْرُ يُنْجَابُ

فلما سَمِعَ ذلك جَعَل يُرَدِّدُ ذلك ومات .

وقيل لآخَرَ قُلْ لا إله إلا اللهُ فَجَعَلَ يَهْذِيْ بالغِنَاء وقال وما يَنْفَعُنِي ما تقُولُ ولَمْ أدَعْ مَعْصِيَةً إلا رَكِبتُهَا ثم ماتَ .

وقِيل لآخَرَ قُلْ لا إلهَ إلا الله فقال ومَا يغني عَنِّي وما أعْلمُ أني صَلَيْتُ لله صلاةً ثم مَاتَ ولَمْ يَقُلْهَا .

وقيل لآخَرَ قُلْ لا إلهَ إلا الله فقال هو كافِرٌ بما تقول ومَات .

وقيل لآخَرَ قُلْ لا إلهَ إلا الله فقال كلَّما أَرَدْتُ أنْ أقُوْلَهَا فَلِسَاني يُمْسَكُ عنها .

وقال ابنُ القيم رحمه الله أُخْبَرني مَنْ حضر بَعْضَ الشَّحَاذِين عندَ الموتِ فَجَعَل يِقُول لِلِهِ فُلَيْسْ ، لِلهِ فُلَيْسْ فماتَ .

وأخبرني أَحَدُ التُّجَار عن قَرِيْبٍ لَهُ احْتُضِر وهو عنده فَجَعَلُوا يُلقِنُونَهُ ﴿ لا إله إلا الله ، وهو يقول هذه القِطْعَةُ رخيْصَةٌ هذا مشترى جيد) .

وسُبْحَانَ الله كَم شاهَدَ الناسُ مِن هَذَا عِبَراً والذِي يَخْفَى عليهم مِن أَحْوال المُحْتَضَرِيْنَ أعْظَمُ .

وإذا كان العبد في حال حُضُورِ ذُهْنِهِ وقُوتِهِ وكَمَالِ إدْرَاكِه قد تَمَكَّنَ منه الشيطان واسْتَعْمَلَهُ بما يُرِيْده مِن المَعَاصِي .

وقد أُغْفِلَ قَلْبُهُ عن ذكر الله تعالى وعَطَّلَ لِسَانَهُ عِن ذِكْرِه وجَوَارِحَهُ عن

طاعته فكَيْفَ الظن به عند سقوط قُواهُ واشتغالِ قَلْبِهِ بما هُوَ فيْهِ مَن ألم النَّزْعِ .

وجمع الشيطانُ له كُلَّ قُوَّتِهِ وَهمَّتِهِ وحَشَدَ عليه بجميع ما يقدر عليه لِيَنالَ منه غَرَضَهُ فإنَّ ذلك آخر العمل .

فأقْوى ما يَكُونُ عليه الشَيْطَانُ ذلك الوقت وأضْعَفُ ما يكون هو في تِلْكَ الحالة « أيْ حَالةُ نَزْعِ الرُوْحِ » .

فَمَنْ تَرى يَسْلَمُ على ذلك فَهُنَالِكَ ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخِرَة وَيُضِلُّ اللهُ الظالمين ويَفْعَلُ اللهُ ما يشاء ﴾ .
فكَيْفَ يوفَّقُ لِحُسْنِ الخَاتِمَةِ مَن أغْفَلَ اللهُ قَلْبَهُ عن ذِكره واتَّبعَ هَوَاهُ وكانَ أمْرُهُ فُرُطا .

فَبَعِيْدٌ مِن قَلْب بَعِيْدٍ من الله غافل عنه مُتَعَبِّدٌ هَوَاه مُصَيَّره لِشَهَوَاتِهِ ولِسَانُهُ يَابِسٌ من ذكرهِ وجَوارحُهُ مُعَطَّلةٌ مِنْ طاعَتِهِ مُشتَغِلَةٌ بِمَعْصِيَتِهِ فَبَعِيْد أن يُوَفَّق لِحُسْنِ الخاتِمَةِ . انتهى كلامه رحمه الله .

ونُقِلَ عن شَارب الدخان أنَّه كلما قيل لَهُ قل لا إله إلا الله قال تِتْنْ حَارٍ تِتْنْ حَار .

ونُقِلَ عن بَقال أنَّه كان يُلَقَنُ عِندَ الموت كَلِمَتَيْ الشَّهادَتَيْن فَيَقُول خَمْسَةْ سِتَّةْ أرْبَعَةْ فكان مَشْغُولاً بالحِسَابِ الذي طَالَ لَهُ إلْفُهُ فَغَلَبَ على لِسَانِهِ ولم يُوَفَّق لَلشَّهادَتَين والعياذ بالله
ويُخْشَى على صاحب المعاصِي والمنكرات ومُتخِذي الآتِ اللَّهو مِن شِطْرَنْجٍ وأعْوَادٍ وَأوْرَاقِ لَعِب وبَكَماتٍ واسْطُواناتٍ وكُرَةٍ ومِذْيَاعٍ وتَلَفزيُونِ وفِيْديُو وسِينما وصُورِ ذَوَاتِ الأرْوَاح .

أنْ يَكونَ مَشْغُولاً بها في آخِرِ لَحْظَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ فَيكُوْنُ خِتَامُ صَحِيْفَتِه والعِيَاذُ بالله ما نَطَق به لِسَانُه مِن مَا يأتي فيها مِن المنكَرات مِن أغاني وصُور وتمثِيْلياتٍ ونحو ذلك نسأل الله أنْ يَعْصِمَنَا واخواننا المسلمين منها وقال رحمه الله واعْلَمْ أنَّ سُوءَ الخَاتِمَةِ أعَاذَ نَا الله وإيَّاكَ وجَمِيْعَ المسلمين منها لا تكُونُ لِمَنْ اسْتَقَامَ ظَاهِرُهُ وصَلُحَ بَاطِنُه ، وإنما تكون لِمَنْ كان له فسادٌ في العَقْل وإصْرَارٌ على الكَبَائِر وإقدامٌ على العَظَائم .

فَرُبَّمَا غَلَبَ ذَلِكَ عليه حتى يَنْزِلَ بِهِ الموتُ قبل التَّوبَةِ ويَثِبُ عَليه قَبْلَ الإنَابَةِ ويأخُذُهُ الموتُ قبل إصْلاحِ الطَّوِيَّةِ فَيخْتَطِفُهُ الشيطانُ عِندَ تِلْكَ الدَّهْشَةِ والعِيَاذُ بالله ثم العِيَاذُ بالله أن يَكُونَ لِمَنْ كان مُسْتِقيماً لم يَتَغيَّر عن حالِه ولَمْ يَخْرُجُ عن سُنَّتِهِ .

قال الله تعالى : ﴿ إنَّ الله لا يُغيِّرُ ما بِقَوم حَتَّى يُغَيِّرُوْا ما بأنْفُسهم ﴾ الآية وقد سَمِعْتَ بقصَّةٍ بلعَامِ بن باعُوراء وما آتاهُ الله مِن آيَاتِهِ وأطْلَعَهُ عليه مِن بيِّنَاتِهِ « أخْلَد إلى الأرْضِ واتبع هواه » فَسَلَبَهُ الله سُبْحَانَه جَمِيْعَ ما أُعْطَاهُ وَتركَه مَعَ مَن اسْتَمَالَهُ وَأغوَاهُ .

واعلم رحمكَ الله أنَّ أمْرَ الخَاتِمَةِ ومَا يُحْذِرُ مِن سُوْئِهِ أمْرٌ إذا ذُكِرَ حَقِيْقَة ذِكْرِه انْفطَرتْ لَهُ القُلوبُ وتصَدَّعتْ لَهُ الأكْبَادُ وتقطَّعَتْ .

ولَوْلَا أنَّ الله جَل وعلا حَدَّدَ الآجالِ لَزهَقتِ الأنْفُسُ عِنْدَ أوَّلِ ذِكْرِه ولَكنَّهَا مَرْبُوبةٌ مُدَبَّرةٌ مَقْهُورَةٌ مُصرَّفَةٌ تَخْرُجُ إذا أُذِنَ لَهَا في الخُرُوْجِ وتَلِجُ إذَا أُذِنَ لَهَا في الوُلُوج .

وما يَمْنَعُ القُلُوبَ مِن الإنْشِقَاقِ والإنْصِدَاعِ والإنْفِطَارِ والإنْقِطَاعِ والذي يَلْقَى المخْتُوْمُ لَهُ بِسُوْءِ الخاتمَةِ عَذابٌ لا تَقُومُ له السموٰاتُ والأرْضُ لِشِدَّتِهِ ولا آخِرَ لِمُدَّتِهِ .

وَمَا مِنَّا أَحَدٌ إلاَّ ويَخافُ أنْ يَكُونَ مِمَّنْ يُخْتَمُ له بِسُوْءِ الخاتِمَةِ ، وما الذي أَمَّنَهُ مِنْهُ ، والخَاتِمَةُ مُغَيَّبَةٌ ، والعَاقِبةُ مَسْتُورَةٌ ، والأَقْدَارُ غَالِبَةٌ والنَّفْسُ كما تَرى ، والشَّيْطانُ منها بِحَيْثُ تَدْرِي .

وهي مُصْغيةٌ ومُسْتَمِعَةٌ إليه قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إنَّ النَّفْسَ لأمَّارةٌ بالسُوْء ﴾ فَهِيَ مُلْتَفِتَةٌ نَحْوَ الشيطان ومُقْبِلَةٌ عليه .

هِي النَّفْسُ إنْ تَنْظُر إلى الحقِ نَظْرَةً فإنَّ لَهَا في غِيْرِهِ نَظَـرَاتِ
وإنْ نَهضَتْ يَوْماً إلى اللهِ نَهْضَةً فإنَّ لَهَا عَنْهُ غَداً نَهضَاتِ
إلىَ اللهِ أَشْكُوْهَا فباللهِ حَـوْلُهَا وَبِـاللهِ تَمْضِي في الأمُـوْرِ وتَاتِي

وَرَدَ في الخَبَر عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنَّه قال : « إن الرجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجنةِ فيما يَبْدُو للناسِ وهُوَ مِن أَهْلِ النار .

وإنَّ الرجُلَ لَيعمْلُ عَمَلَ أهل النارِ فيما يَبْدُو للناسِ وهو مِن أَهْلِ الجنة ، وإنما الأعمال بالخواتيم » .

وقال رحمه الله فياللهِ كَم مِن مُجَرٍّ ذَيْلِ إعْجَابِهْ ، مُتَطَاوِل على أَصْحَابِهْ ، مُتَّعَاضمٍ على أقْرَانِهِ وأتْرَابِه ، تُجْمَعُ لَهُ الأماني وتَرْتَاحُ له الغَوَانِي إنْ بُصِّرَ لا يَسْتَبْصِر ، وإنْ أمَرَ لا يَأْتَمِر ، وإنْ زُجِر لا يَنْزَجِرْ ، ويَفْرَحْ ، ويَمْرَحُ ، ويَبْيتُ مِن دُنْيَاهُ مِثْلَ مَا أُصْبح ، قَدْ أبْدَأَ في أمْرِه وَأَعَادْ ، وأَحْكَمُ غَيَّهُ وضَلاَلَهُ فأَجَادْ وأشادَ مِن أَمَلِهِ ما أَشَادْ .

حَتَّى إذَا نَالَ مُرادَهُ أوْ كَادْ ، صاحَتْ به المنِيَّةُ صَيْحَةِ الغَضْبَان وصَدَمَتْهُ صَدْمَةَ اللَّهفَان ، فَهَدَّتْ أرْكَانَهُ ، وكَسَرَتْ أغْصَانَه ، وفَرَّقَتْ أنْصَارَهُ وأعْوَانَه ، فأَصْبَحَ ،قد باعَ النَّفيسَ بالدُوْن ومَضَى يَعُضُ بَنَانَهُ المَغْبُون ولم يَرُحْ بنائل ولا حَصَل على طَائِل .

فيالِلهِ كَم هنالِك مِن مَلك جَبَّارٍ طَوِيْل النَّجاد رفيعُ العِمادِ عَظيمُ الأَجْنَادَ كَثِيرِ الأمداد ، قد مَلَكَ البِلادَ ، وقَهَرَ العِبَادَ ، وَوَصِلَ مِنْ دُنْيَاهُ إلى كَثِيْرٍ مِمَّا أَرَاد .

قَعَدَ وَنَهَضَ وأبْرَمَ ونَقَضَ وجَعَل أَمْرَهُ المُفْتَرَض ، وطالما حَرَّق وَهَدَمَ وكَسَرَ ، وحَطَّم وزَلْزَل ودَمْدَم ، واستُرْحِمَ فَلَمْ يَرْحَمْ ومَضَى على مَا شَاء مِن رَايِهِ وصَمَّمْ .

بَنَى المَدَائنَ والحُصُونَ وأكْثَرَ مِن مالِهِ المخْزُوْن واسْتَعَدَّ في رَأيِهِ لِمَا قد يكون أوْ لا يكون حتى إذا استَحْكَمتِ لَهُ الأُمُور ، وأطَالَ الفَرَحَ والسرُوْر ، وزَخْرَفَ الفُلَلَ والقُصُور ، وظَنَّ أَنَّهُ قد سَاعَدَه فيما بَقِي من أمَلِه المقدور ، قَلَبَتْ له الدنيـا ظَهْرَ المِجَنّ وكَسَتْهُ مِن خَطْبِهَا ومَصَائبها ما أجَنَّ وأذْهَلَ الفَطِن ، وسَقَتْهُ مِن كُرَبِهَا ما يَسْكِرُ به ويُجَن .

نَظَرَتْ بِعَيْنِهَا الشَّوسَاء إليه ، وقَبَضَتْ ما كان في يَدَيْه ، وأَتَتْ بُنْيانَهُ مِن قَواعِدِه فأَلْقَتْهُ عَليه ، فأصْبَحَ وقَدْ هُدِمَ ذَلِكَ البُنْيَان ، وسَقَطَ ذَلِكَ الإيْوَان ، وتَبَدَّدَتْ تِلْكَ المقَاتِلَةُ والفُرْسَان ، وتَفَرَّقُوْا شَذَرَ مَذَرَ بِكُلِّ مَكَان ، وأصْبَحَ كُلُّ ما كَانَ كأنَّهُ مَا كَانَ .

وقِيْلَ مَلِكٌ في سَالِفِ الزَّمَان مَلِكٌ يُقَالُ لَهُ فُلانُ بنُ فُلان ، ولم يَحْصُلْ على شيءٍ مِمَّا مَلَكَ مِن البِلاد ولا ما أَدَّخَرَ مِن المال وأعَدَّ مِن العَتَاد إلاَّ على حَنُوط وكَفَنٍ ، وحُفْرة ضَيِّقَةِ العَطَن يُحْتَبَسُ فِيْهَا ويُرْتَهَن ، بكُلِّ ما عَمِلَ مِن قَبِيْحٍ أو حَسَنْ .

فما تَزَوَّدَ مَمَّا كان يجْمَعُه سِوَى حَنُوطٍ غَدَاةَ البَيْنِ في خِرَقِ
وغَيْرَ نَفْخَةِ أَعْوادٍ تُشَـبُّ لَهُ وقَلَّ ذَلِكَ مِن زَادٍ لِمنْطَـلِقِ

فهناك هنّا نفسه متذكراً ... ما قاله المشتاق منذ زمانِ

والمستهام على المحبة لم يزل ... حاشا لذكراكم من النسيانِ

لو قيل ما تهوى لقال مبادراً ... أهوى زيارتكم على الأجفانِ

تالله إن سمح الزمان بقربكم ... وحللت منكم بالمحل الداني

لأعفرنّ الخدّ شكراً في الثرى ... ولأكحلنّ بتربكم أجفاني

إن رمت تبصر ما ذكرت فغض طر ... فاً عن سوى الآثار والقرآنِ

واترك رسوم الخلق لا تعبأ بها ... في السعد ما يغنيك عن دبرانِ

حدّق بقلبك في النصوص كمثل ما ... قد حدّقوا في الرأي طول زمانِ

واكحل جفون القلب بالوحيين واحـ ... ـذر كحلهم يا كثرة العميانِ

فالله بيّن فيهما طرق الهدى ... لعباده في أحسن التبيانِ

لم يحوج الله الخلائق معهما ... لخيال فلتانٍ ورأي فلانِ

فالوحي كافٍ للذي يعنى به ... شافٍ لداء جهالة الإنسانِ

وتفاوت العلماء في أفهامهم ... للوحي فوق تفاوت الأبدانِ

والجهل داءٌ قاتلٌ وشفاؤه ... أمران في التركيب متفقانِ

نصٌّ من القرآن أو من سنةٍ ... وطبيب ذاك العالم الرباني

والعلم أقسامٌ ثلاثٌ ما لها ... من رابعٍ والحق ذو تبيانِ

علمٌ بأوصاف الإله وفعله ... وكذلك الأسماء للرحمنِ

والأمر والنهي الذي هو دينه ... وجزاؤه يوم المعاد الثاني

والكل في القرآن والسنن التي ... جاءت عن المبعوث بالفرقانِ

والله ما قال امرؤٌ متحذلقٌ ... بسواهما إلا من الهذيانِ

إن قلتم تقريره فمقررٌ ... بأتم تقريرٍ من الرحمنِ

أو قلتم إيضاحه فمبيّنٌ ... بأتم إيضاحٍ وخير بيانِ

(فصل في بيان الاستغناء بالوحي المنزل)
(من السماء عن تقليد الرجال والآراء)

يا طالبَ الحقِ المبينِ ومُؤثِراً عِلمَ اليقينِ وصحةَ الإيمانِ
إسمعْ مَقالةَ ناصحٍ خبرَ الذي عِندَ الورى مُذْ شبَّ حتى الآنِ
ما زالَ مُذْ عقدَتْ يداهُ إزارَهُ قَدْ شدَّ مِئزَرَهُ إلى الرحمنِ
وتخللُ الفتراتِ للعَزَماتِ أمْرٌ لازِمٌ لطبيعةِ الإنسانِ
وتولدُ النقصانِ من فتراتِهِ أوَليسَ سائرُنا بني النُقْصانِ
طافَ المذاهبَ يبتغي نوراً ليهديَهُ وينجيَهُ من النيرانِ
وكأنهُ قدْ طافَ يبغي ظُلمةَ الليلِ البهيمِ ومَذهبَ الحيرانِ
والليلُ لا يَزدادُ إلاَّ قوةً والصبحُ مقهورٌ بذي السلطانِ
حتى بَدَتْ في سَيرهِ نارٌ على طُورِ المدينةِ مَطلعِ الإيمانِ
فأتى ليقبِسَها فلمْ يُمكنْهُ مَعْ تلكَ القيودِ منالُها بأمانِ
لولا تداركهُ الإلهُ بلطفِهِ ولّى على العقبَينِ ذا نكْصانِ
لكنْ توقفَ خاضِعاً متذلِلاً مُستشعِرَ الافلاسِ من أثمانِ
فأتاهُ جندٌ حلَّ عنهُ قيودَهُ فامتدَّ حينئذٍ لهُ الباعانِ
واللهِ لولا أنْ تحلَّ قيودُهُ وتزولُ عنهُ رِبقةُ الشيطانِ
كانَ الرقيُّ إلى الثريا مُصعِداً من دُونِ تلكَ النارِ في الإمكانِ
فرأى بتلكَ النارِ آطامَ المدينةِ كالخيامِ تشوفُها العينانِ
ورأى على طُرقاتِها الأعلامَ قدْ نُصبتْ لأجلِ السالكِ الحيرانِ
ورأى هنالكَ كلَّ هادٍ مهتدٍ يدعُو إلى الإيمانِ والإيقانِ

أَوْ قُلتُم إِيجازُهُ فَهْوَ الذِي ... في غَايةِ الإِيجازِ والتِبيانِ
أَوْ قُلتُم مَعْنَاهُ هَذا فاقصُدُوا ... مَعْنَى الخِطابِ بعَينِهِ وعِيانِ
أَوْ قُلتُم نَحنُ التَراجِمُ فاقصُدُوا ... المَعْنَى بِلا شَطَطٍ ولا نقصَانِ

أَوْ قُلتُمُ بخِلافِهِ فكَلامكُم ... في غَاية الانكارِ والبطْلانِ
أَوْ قُلتُمْ قِسْنا عَليهِ نَظِيرَهُ ... فَقِيَاسُكُم نَوعَانِ مُختَلِفَانِ
نَوعٌ يُخَالِفُ نصَّهُ فَهُوَ المحَا ... لُ وذَاكَ عِندَ اللهِ ذو بُطلانِ
وكَلامُنا فِيه وليسَ كَلامُنَا ... في غَيرِهِ أَعْنِيْ القِيَاسَ الثَانِي
ما لا يُخَالِفُ نَصَّهُ فالناسُ قَدْ ... عَمِلُوا بِهِ في سَائِرِ الأَزْمَانِ
لَكِنَّهُ عِنْدَ الضَرُورَةِ لا يُصَا ... رُ إليهِ بَعْدَ ذا الفِقدَانِ
هَذا جَوابُ الشافِعي لأَحمَدٍ ... للهِ دَرُّكَ مِن إمامِ زَمانِ
واللهِ ما اضْطَرَّ العِبادُ إليهِ فِيمَا ... بَينَهُمْ مِن حَادِثٍ بِزمانِ
فإِذا رَأَيتَ النَصَّ عَنْهُ سَاكِتًا ... فَسُكُوتُه عَفوٌ مِن الرحمنِ
وهوَ المُبَاحُ إِباحَةَ العَفوِ الذِي ... ما فِيه مِن حرجٍ ولا نُكرانِ
فأَضِفْ إِلى هَذا عُمُومَ اللَفْظِ والمعْنَى وحُسْنَ الفَهْمِ في القُرآنِ
فهُنَاكَ تُصْبحُ في غِنًى وكِفَايَةٍ ... عن كُلِ ذِي رَأيٍ وذِيْ حُسْبَانِ
ومُقَدَّراتُ الذِهنِ لمْ يُضْمَنْ لنا ... تِبيَانُها بالنَصِّ والقُرآنِ
وهيَ التِي فِيها اعْتِراكُ الرأيِ مِن ... تحْتِ العَجَاجِ وَجَوْلَةِ الأَذْهانِ
لَكِنْ هُنَا أَمْرانِ لوتَمَّا لَمَا ... احْتَجْنَا إليهِ فحَبَّذا الأَمْرانِ
جَمْعُ النُصُوصِ وفَهْمُ مَعْنَاهَا المرا ... دَ بلفظِهَا والفَهْمُ مرتبتَانِ
إِحْدَاهُمَا مَدْلُولُ ذاكَ اللَفْظ وَضْعًا أَوْ لزُومًا ثُمَّ هَذا الثاني
فِيهِ تَفَاوَتَتِ الفُهُومُ تَفَاوُتًا ... لمْ يَنضَبِطْ أبدًا لهُ طَرَفانِ
فالشيءُ يَلزَمُهُ لَوازِمُ جَمَّةٌ ... عِنْدَ الخَبِيرِ بِهِ وذِيْ العِرْفَانِ

فبقدرِ ذاكَ الخبرُ يحصى من لوا زمِهِ وهذا واضحُ التبيانِ
ولذاكَ من عرفَ الكتابَ حقيقةً عرفَ الوجودُ جميعَهُ ببيانِ
وكذاك يعرفُ جملةَ الشرعِ الذي يحتاجهُ الإنسانُ كلَّ زمانِ
علماً بتفصيلٍ وعلماً مجملاً تفصيلهُ أيضاً بوحيٍ ثانِ

وكلاهما وحيانِ قد ضمنا لنا أعلى العلوم بغايةِ التبيانِ
ولذاك يعرفُ من صفاتِ اللهِ والأفعالِ والأسماءِ ذي الاحسانِ
ما ليس يعرفُ من كتابٍ غيرهِ أبداً ولا ما قالتِ الثقلانِ
وكذاك يعرفُ من صفاتِ البعثِ بالتفصيلِ والاجمالِ في القرآنِ
ما يجعلُ اليومَ العظيمَ مشاهداً بالقلبِ كالمشهودِ رأيَ عيانِ
وكذاك يعرفُ من حقيقةِ نفسهِ وصفاتِها بحقيقةِ العرفانِ
يعرفْ لوازمها ويعرفُ كونها مخلوقةً مربوبةً ببيانِ
وكذاك يعرفُ ما الذي فيها من الحاجاتِ والأعدامِ والنقصانِ
وكذاك يعرفُ ربَّه وصفاتِهِ أيضاً بلا مثلٍ ولا نقصانِ
وهنا ثلاثةُ أوجهٍ فافطنْ لها إنْ كنتَ ذا علمٍ وذا عرفانِ
بالضدِّ والأولى كذا بالامتنا عِ لعلمنا بالنفسِ والرحمنِ
فالضدُّ معرفةُ الإلهِ بضدِّ ما في النفسِ من عيبٍ ومن نقصانِ
وحقيقةُ الأولى ثبوتُ كمالِهِ إذْ كان معطيهِ على الاحسانِ

(فصل في بيان شروط كفاية)

(النصين والاستغناء بالوحيين)

وكفايةُ النصينِ مشروطٌ بتجريدِ التلقي عنهما لمعانِ
وكذاك مشروطٌ بخلعِ قيودِهمْ فقيودُهمْ غلٌّ إلى الأذقانِ

وكذاكَ مَشْرُوطٌ بِهَدْمِ قَواعِدٍ ا مَا أنزلَتْ بِبَيانِها الوَحْيانِ
وكَذاكَ مَشْرُوطٌ بإقْدَامٍ عَلىَ الآراءِ إنْ عَرِيَتْ عَنِ البُرْهَانِ
بالرَّدِ والابْطالِ لا تَعْبَا بِهَا شَيْئاً إذا مَا فَاتَهَا النصَّانِ
لَوْلاَ القَواعِدُ والقُيُودُ وهَذِهِ الآراءِ لاتَّسعتْ عُرى الإيمانِ
لكنَّها واللهِ ضَيِّقةُ العُرى فاحْتَاجتِ الأيْدِي لِذَاكَ توانِ
وتَعَطَّلتْ مِن أجْلِهَا واللهِ أعْدَادٌ مِن النصَّيْنِ ذاتِ بيانِ
وتَضَمَّنَتْ تَقْيِيدَ مُطلَقِهَا واطْلاَقَ المُقَيَّدِ وَهْوَ ذُو مِيزانِ
وتَضَمَّنَتْ تَخْصِيصَ مَا عَمَّتْهُ والتَّعْمِيمُ لِلْمَخْصُوصِ بالأعْيَانِ
وتضمَّنَتْ تفريْقَ مَا جَمعتْ وَجَمْعًا لِلَّذيْ وَسَمْتَهُ بالفُرْقَانِ
وتَضَمَّنتْ تَضْييقَ مَا قَدْ وَسَّعتْهُ وعَكْسُهُ فلتَنظُرِ الأمْرانِ
وتضمَّنتْ تَحْلِيلَ مَا قَدْ حَرَّمَتْهُ وعَكْسُهُ فلْتَنْظُرِ النَّوعانِ
سَكَتَتْ وكَانَ سُكُوتُها عَفْوًا فَلَمْ تَعفِ القَواعِدُ باتِّسَاعِ بِطانِ
وتَضَمَّنَتْ إهْدَارَ مَا اعْتبرتْ كَذَا بالعَكْسِ والأمْرانِ مَحْذُوْرانِ
وتَضَمَّنَتْ أيضاً شُرُوطاً لَمْ تكُنْ مَشْرُوطَةً شَرْعاً بِلاَ بُرْهَانِ
وتَضَمَّنَتْ أيْضاً مَوانِعَ لَمْ تكُنْ مَمْنُوعَةً شَرْعاً بِلاَ تِبيانِ
إلاَّ بأقْيِسَةٍ وَآراءٍ وَتَقْلِيدٍ بِلاَ عِلْمٍ أوْ اسْتِحْسَانِ
عَمَّنْ أتَتْ هَذِي القَواعِدُ مِن جميعِ الصَّحْبِ والاتْباعِ بالاحْسَانِ
مَا أسَّسُوا إلاَّ اتِّبَاعَ نَبِيِّهِمْ لا عَقْلَ فُلْتَانٍ وَرأيَ فُلانِ
بَلْ أنكَرُواْ الآراءَ نُصْحاً مِنْهُمُ للهِ والدَّاعِي ولِلْقُرْآنِ
أوَلَيْسَ فِي خُلْفٍ بِهَا وتَنَاقُضٍ مَا دَلَّ ذا لُبٍّ وذَا عِرْفَانِ
واللهِ لَوْ كانَتْ مِن الرحمنِ ما اخْتَلفتْ ولا انتقضتْ مَدَى الأزْمَانِ
شُبَهٌ تَهَافَتُ كالزُّجَاجِ تَخَالُهَا حَقاً وقد سقَطتْ على صَفْوانِ
واللهِ لا يَرْضَى بِهَا ذُو هِمَّةٍ عَلْيَاءَ طَالِبَةٍ لِهَذَا الشَّانِ

فَمَنَاهَا واللهِ في قَلْبِ الفَتَى وثَبَاتُها في مَنْبَتِ الإِيْمَانِ
كالزرعِ يَنْبُتُ حَوْلَهُ دَغَلٌ فَيَمْنَعُهُ النَّمَا فَتَرَاهُ ذا نقصَانِ
وكذلكَ الإِيمانُ في قلبِ الفَتَى غَرْسٌ مِن الرحمنِ في الإِنْسانِ
والنَفْسُ تُنْبِتُ حَوْلَهُ الشَّهَواتِ والشُّبهاتِ وهيَ كَثِيرَةُ الأَفْنَانِ
فَيَعُوْدُ ذَاكَ الغَرسُ يَبْساً ذاوِياً أَوْ ناقِصَ الثَّمَراتِ كُلَّ أَوَانِ
فَتَراهُ يَحْرُثُ دائِباً وَمُغَلُّهُ نَـزْرٌ وَذَا مِن أَعْظَمِ الخُسْرَانِ
واللهِ لَوْ نَكَشُ النَّبَاتُ وكان ذا بَصَرٍ لِذَاكَ الشَّوْكِ والسَّعْدَانِ
لَأَتَى كَأَمْثَالِ الجبالِ مَغَلُّهُ ولَكَانَ أَضْعَافاً بِلا حُسْبَانِ

وقال رحمه الله تعالى :

يا من يريد ولاية الرحمن دو ن ولاية الشيطان والأوثان
فارِقْ جَمِيعَ النَّاسِ في إِشْرَاكِهِمْ حَتَّى تَنَالَ وِلَايَةَ الرحمنِ
يَكْفِيكَ مَنْ وَسِعَ الخَلَائِقَ رَحْمَةً وكِفَايَةً ذُو الفَضْلِ والاحْسَانِ
يَكْفِيكَ مَن لَمْ تَخْلُ مِن إِحْسَانِهِ في طَرْفَةٍ كَتَقَلُّبِ الأَجْفَانِ
يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ أَلْطَافُهُ تَأْتِي إِلَيْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ
يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ في سِتْرِهِ ويَراكَ حِيْنَ تَجِيءُ بالعِصْيَانِ
يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ في حِفْظِهِ وَوِقَايَةٍ مِنهُ مَدَى الأَزْمَانِ
يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ في فَضْلِهِ متَقَلباً في السِّرِ والإِعْلانِ
يَدعُوهُ أَهْلُ الأَرضِ مَعْ أَهْلِ السَّمَا ءِ فكُلَّ يَوْمٍ رَبُنا في شَانِ
وَهُوَ الكَفِيلُ بِكُلِّ ما يَدْعُونَهُ لا يَعْتَرِي جَدْوَاهُ مِن نُقْصَانِ
فَتَوَسُّطُ الشُفعاء والشُركَاءِ والظُهَرَاءِ أَمْرٌ بَيِّنُ البُطْلانِ

آخــر :

فَلَا تَرْجُ إِلاَّ اللهَ في كُلِّ حَادِثٍ فأَلْقِ إِليهِ بَثَّ شَكْوَاكَ تُحْمَدِ

لَهُ الْمُلْكُ بالأَكْـوَانِ لَا بُمُوَآزِرِنْ وَلَا بِنَصِـيْرٍ فِي الدِّفَـاعِ لِمُعْتَـدِ
قَرِيْبٌ ولَكِنْ بالذُّنُوْبِ تَبَـاعَدَتْ مَسَائِلُنَـا عَنْ رَوْضِ إِحْسَانِهِ النَّدِي
فَقُمْ قَارِعَاً لِلْبَابِ والنَّابِ نَادِمَاً عَلَى ما جَرَى وَارْفَعْ دُعَاءَكَ يَصْعَدِ
وَقُمْ سَائِلاً وَالدَّمْعُ فِي الخَدِّ سَائِلٌ تَجِدْ مَا تَشَا مِن لُطْفِهِ وَكَأَنْ قَدِ
وَقُمْ زُلَفَاً فِي اللَّيْلِ إن نَشَرَ الدُجَى جَنَاحَ غُدافٍ يُلْبِسُ الكَوْنَ عَن يَدِ
وَرُدَّ ظَلَامَ اللَّيْلِ بالذِّكْرِ مُشْـرِقاً فَقَدْ فَازَ مَن بالذِّكْرِ يَهْدِي وَيَهْتَدِي
وَأَمَّا بَنُو الدُنْيَا فَـرَ تَرْجُ نَفْعَهُمْ فَلَا مُنْجِـدٌ فِيهِمْ يُرَجَّى لِمُجْتَـدِ
فَإِنِّي تَتَبَعْتُ الأَنَامَ فَـلَمْ أَجِـدْ سِوَى شَامِتٍ أَوْ حَاسِـدٍ أَوْ مُفَنِّدِ
وَقَدْ رَضَعُوا ثَدْيَ المَهَـابَةِ كُلُّهُمْ وَكُلٌّ بِذَيْلِ الذُّلِ أَصْبَحَ مُرْتَـدِ
فَلَم أَرَ أَرْمَى بالسِّـهَامِ مِن الدُّعَا إلى مَقْتَلِ الأَعْدَاءِ مِن قَوْسِ مِذْوَدِ
وَعَن مَا قَلِيْلٍ يُدْرِكُ السَّهْمُ صَيْدَهُ فَكَمْ صَادَ سَهْمُ اللَّيْلِ مُهْجَةَ أَصْيَدِ
وأُوْصِيْكَ بالتَّقْـوَى لِرَبِّكَ إِنَّهُ سَيَحْمِدُ تَقْوَاهُ المُوفَّقُ فِي غَـدِ
وَخُذْ لَكَ مِن دُنْيَاكَ زَادَاً فإِنَّمَا أَقَامَكَ فِي الدُّنْيَا لِأَخْـذِ التَّـزَوُّدِ
وَعَنْ مَا قَلِيْلٍ قَدْ أَنَاخَ رِكَابُنَا بِقَصْرٍ خَلِيٍّ مُظْلِمِ الجَوِّ فَدْفَدِ
فَإِنَّ اللَّيَالِي كَالمَـرَاكِبِ تَحْتَنَا تُرَوْحُ بِنَا فِي كُلِّ حِيْنٍ وَتَغْتَدِي
فَيَا حَبَّذَا جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا تُحَطُّ رِحَـالَ القَـادِمِ المُتَزَوُّدِ
وَلَيْسَ لَنَا إلاَّ الرَّجَـاءُ فإِنَّـهُ يُبَلِغُنَـا مِن فَضْلِهِ خَيْرَ مَقْعَـدِ

شِـعْراً :

غَفَلْتُ وَحَادِيْ المَوْتِ فِي أَثَرِيْ يَحْدُوْ
فَإِنْ لَمْ أَرُحْ يَوْمِيْ فَلا بُدَّ أَنْ أَغْـدُ
أُنَـعِّمُ جِسْمِيْ بِـاللِّبَـاسِ وَلِـيْنِـهِ
وَلَيْسَ لِجِسْمِيْ مِنْ لِبَاسِ البِلَى بُدُّ

كَأَنِّيْ بِهِ قَدْ مَرَّ في بَرْزخِ البِلَى
وَمِنْ فَوْقِهِ رَدْمٌ وَمِنْ تَحْتِهِ لَحْدُ
وَقَدْ ذَهَبَتْ مِنِّيْ المَحَاسِنُ وَانْمَحَتْ
وَلَمْ يَبْقَ فَوْقَ العَظْمِ لَحْمٌ وَلاَ جِلْدُ

اری العُمْرَ قَدْ وَلَّى وَلَمْ أُدْرِكِ المُنَى
وَلَيْسَ مَعِيْ زَادٌ وَفي سَفَرِيْ بُعْدُ
وَقَدْ كُنْتُ جَاهَرْتُ المُهَيْمِنَ عَاصِياً
وَاحْدَثْتُ أَحْدَاثاً وَلَيْسَ لَهَا رَدُّ
وَأَرْخَيْتُ خَوْفَ النَاسِ سِتْراً مِنَ الْحَيَا
وَمَا خِفْتُ مَنْ سِرِّيْ غَداً عِنْدَهُ يَبْدُو
بَلَى خِفْتُهُ لَكِنْ وَثِقْتُ بِحِلْمِهِ
وَأَنْ لَيْسَ يَعْفُو غَيْرُهُ فَلَهُ الحَمْدُ
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ شَيءٌ سِوَى المَوْتِ وَالبِلَى
عَنِ اللَّهْوِ لَكِنْ زَالَ عَنْ رَأْيِنَا الرُّشْدُ

عَسَى غَافِرُ الزَّلاَّتِ يَغْفِرُ زَلَّتِيْ
فَقَدْ يَغْفِرُ المَوْلَى إِذَا أَذْنَبَ العَبْدُ
أَنَا عَبْدُ سُوْءٍ خُنْتُ مَوْلاَيَ عَهْدَهُ
كَذَلِكَ عَبْدُ السُوءِ لَيْسَ لَهُ عَهْدُ
فَكَيْفَ إِذَا أَحْرَقْتَ بِالنَّارِ جُثَّتِيْ
وَنَارُكَ لاَ يَقْوَى لَهَا الحَجَرُ الصَّلْدُ
أَنَا الفَرْدُ عِنْدَ المَوْتِ وَالفَرْدُ في البِلَى
وَأَبْعَثُ فَرْداً فَارْحَمْ الفَرْدَ يَا فَرْدُ

آخـر :

يـا مَـنْ يُتَـابِـعُ سَـيِّـدَ الثَّـقَـلانِ
كُـنْ لِلْمُـهَيْـمِـنِ صَـادِقَ الإيْـمَـانِ
واعْلمْ بـأنَّ اللّهَ خَـالِقُـكَ الـذِي
سَـوَّاكَ لـم يَحْتَـجْ إلى إنْسَـانِ

خَلَقَ البَـرِيَّـةَ كُلَّهَـا مِن أَجْلِ أنْ
تَـدَعْـوُهُ بـالاخْـلاَصِ والاذْعَـانِ
قَـدْ أرْسَلَ الآيـاتِ مِنْـهُ مُخَـوِّفاً
لِعِبَـادِهِ كَـيْ يُـخْلِصَ الـثَّـقَـلاَنِ
وَأَبَـانَ لِـلإنْـسَـانِ كُـلَّ طَـرِيْقَـةٍ
كَيْ لا يَكُـونَ لَـهُ اعْتِـذَارٌ ثَـانِي
ثـم اقْتَـضَى أَمْـراً وَنَـهْيـاً عَـلَّهَـا
تَـتَمَـيَّـزُ الـتَّقْـوَى عن الـعِصْـيَـانِ
وَوُلِـدْتَ مَفْـطُوراً بِفِـطْرَتِـكِ الَّتِي
لَيْسَتْ سِـوَى التَّصْـدِيْقِ والايمـانِ
وبُـلِيْتَ بـالتَّكْـلِيْفِ أنـتَ مُـخَيَّـرٌ
وَأَمَـامَـكَ الـنَّجْـدَانِ مُـفْـتَـتَـحَـانِ
فَعَمِلْتَ مـا تَهْـوَى وَأَنْتَ مُـرَاقَبٌ
مَـا كُنْتَ مَحْجُـوبـاً عن الـدَّيَّـانِ
ثم انْقَضَى العُمْـرُ الـذِيْ تَهْنَـا بِـهِ
وَبَـدَأْتَ في ضَعْفٍ وفي نُـقْصَـانِ

وَدَنَـا الفِـرَاقُ ولاتَ حِيْـنَ تَهَـرُّبَ
أَيْنَ المَـفَـرُّ مِن الـقَضَــاءِ الـدَّانِـي
والْتَفَّ صَحْبُـكَ يَرْقُبُـوْنَ بِحَسْـرَةٍ
مَـاذا تَكُـونُ عَـوَاقِبُ الحَـدَثَـانِ
واسْتَـلَّ رُوْحَـكَ والقُلُوبُ تَقَـطَّعَتْ
حَـزَنـاً وَالْـقَتْ دَمْـعَهَـا الـعَيْـنَـانِ
فـاجْتَـاحَ أَهْـلَ الـدَّارِ حُـزْنٌ بَـالِـغٌ
واجْتَـاحَ مَن حَضَـرُوا مِن الجِيْـرَانِ
فـالبِنْتُ عَبْـرَى لِلْفِـرَاقِ كَئِيْبَـةٌ
والـدَّمْـعُ يَمْـلأُ سَاحَـةَ الأَجْفَـانِ
والـزَّوْجُ ثُكْلَى والصِّغَـارُ تَجَمَّعُـوا
يَـتَـطَّلَعُـوْنَ تَـطَلُّعَ الـحَـيْـرَانِ
والابنُ يَـذَابُ في جَهَـازِكَ كَـاتِمـاً
شيئـاً مِـن الأَحْـزَانِ والأَشْـجَـانِ
وَسَرَى الحَدِيْثُ وقَدْ تَسَاءَلَ بَعْضُهُمْ
أَوَ مَـا سَـمِعْتُم عَـنْ وَفَـاةِ فُـلاَنِ
قَـالُـوا سَمِعْنَـا والـوَفَـاةُ سَبِيْلُنَـا
غَيْـرُ المُهَيْمِنِ كُـلُّ شَـيْءٍ فَـانِي
وأَتَى الحَـدِيْثُ لِوَارِثِيْـكَ فَـأَسْـرَعُوا
مِن كُـلِّ صَـوْبٍ لِلْحُـطَامِ الفَـانِي
وأَتَى المُغَسِّـلُ والمُكَفِّنُ قَـدْ أَتَـى
لِـيُـجَـلِّلُوكَ بِـحُـلَّةِ الأَكْـفَـانِ

وَيُجَرِّدُوْكَ مِنَ الثِّيَـابِ وَيَنْـزَعُـوْا
عَنْـكَ الحَـرِيْـرَ وَحُلَّةَ الكَـتَّـانِ
وَتَعُـودُ فَـرْداً لَسْتَ حَـامِـلَ حَـاجَـةٍ
مِن هَـذِهِ الـدُّنْيَـا سِـوَى الأَكْفَـانِ
وَأَتَى الحَـدِيْثُ لِوَارِثِيْـكَ فَـأَسْـرَعُـوا
فَـأَتَـوا بِنَـعْشٍ وَاهِـنَ الـعِيْـدَانِ
صَلُّوْا عَلَيْـكَ وَأَرْكَبُـوكَ بِمَـرْكَـبٍ
فَـوقَ الـظُّهُـورِ يُحَفُّ بِـالأَحْـزَانِ
حَتَّى إِلَى القَبْـرِ الذِيْ لَـكَ جَهَّـزُوا
وَضَـعُـوكَ عِنْـدَ شَـفِيْـرِهِ بِـحَنَـانِ
وَدَنَـا الأَقَـارِبُ يَـرْفَعُـونَـكَ بَيْنَهُم
لِلَّحْـدِ كَيْ تُمْسِيْ مَـعَ الـدِّيْـدَانِ
وَسَكَنْتَ لَحْـداً قَـدْ يَضِيْقُ لِضِيْقِـهِ
صَـدْرُ الحَلِيْمِ وَصَـابِـرُ الحَيْـوانِ
وَسَمِعْتَ قَـرْعَ نِعَـالِهِم مِنْ بَعْـدِ مَـا
وَضَعُـوكَ في البَيْتِ الصَّغِيْـرِ الثَّانِي
فِيـهِ الـظَّلَامُ كَـذَا السُّكُـوْنُ مُخَيِّمٌ
والـرُّوْحُ رَدٌّ وَجَـاءَكَ الـمَـلَكَـانِ
وَهُنَـا الحَقِيْقَـةُ والمُحَقِّقُ قَـدْ أَتَى
هَـذَا مَقَـامُ النَّصْـرِ والـخُـذْلَانِ
إِنْ كُنْتَ في الـدُّنْيَا لِـرَبِّكَ مُخْلِصَـاً
تَـدْعُـوْهُ بِـالتَّـوْحِيْـدِ والإِيْـمَـانِ

فَتَظَلُ تَرْفُلُ في النَّعِيْمِ مُرَفَهاً
بِفَسِيْحِ قَبْرٍ طَاهِرِ الأَرْكَانِ
ولَكَ الرَّفِيْقُ عن الفِرَاق مُسَلِيَاً
يُغْنِي عن الأحْبَابِ والأخْدَانِ
فُتِحَتْ عَلَيْكَ مِن الجِنَانِ نَوَافِذٌ
تأتِيْكَ بالأنْوَارِ والرَّيْحَانِ
وَتَظَلُ مُنْشَرِحَ الفُؤَادِ مُنَعَماً
حَتَّى يَقُومَ إِلَى القَضَا الثَّقَلانِ
تَأتِي الحِسَابَ وَقَدْ فَتَحَتَ صَحِيْفَةً
بالنُوْرِ قَدْ كُتِبَتْ وبِالرِّضْوَانِ
وَتَرَى الخَلاَئِقَ خَائِفِيْنَ لِذَنْبِهِمْ
وَتَسِيْرُ أنْتَ بِعِزَّةٍ وَأمَانِ

وَيُظِلُّكَ اللهُ الكَرِيمُ بِظِلِّهِ
والنَاسُ في عَرَقٍ إلى الآذانِ
وتَرَى الصِّرَاطَ ولَيْسَ فيهِ صُعُوبَةٌ
كالبَرَقِ تَعْبُرُ فِيْهِ نَحْوَ جِنَانِ
فَترى الجِنَانَ بِحُسْنِهَا وَجَمَالِهَا
وَتَرَى القُصُورَ رَفِيْعَةَ البُنْيَانِ
طِبْ في رَغِيْدِ العَيْشِ دُوْنَ مَشَقَةٍ
تَكْفِيْ مَشَقَّةُ سَالِفِ الأزْمَانِ
وَالبَسْ ثِيَابَ الخُلْدِ واشْرَبْ وَاغْتَسِلْ
وابْعِدْ عن الأكْدَارِ والأحْزَانِ

سِرْ وانْظُرِ الأَنهَارَ واشْرَبْ مَاءَهَا
مِن فَوْقِهَا الأثمَارُ في الأفْنَانِ
والشُّهْدُ جَارٍ في العُيُونِ مُطَهَّرٌ
مَعَ خَمْرَةِ الفِرْدَوْسِ والأَلْبَانِ
والزَّوْجُ حُورٌ في البُيُوتِ كَوَاعِبٌ
بِيْضُ الوُجُوهِ خَوَامِصُ الأَبْدَانِ

أبكار شِبْهِ الدُّرِ في أصْدَافِهِ ... واللؤْلُو المَكْنُونِ والمَرْجَانِ
وَهُنَا مَقَرٌ لا تُحُولَ بَعْدَهُ ... فِيْهِ السُّرُوْرِ بِرُؤْيَةِ الرَّحْمَن
أمَّا إذَا مَا كُنْتَ فِيْهَا مُجْرِماً ... مُتَتبعاً لِطَرَائِقِ الشَّيْطَانِ
ثَكِلَتْكَ إمُّكَ كَيْفَ تَحْتَمِلُ الأَذَى ... أمْ كَيْفَ تَصْبِرُ في لَظَىْ النِّيْرَانِ
فَإذَا تَفَرَّقَ عَنْكَ صَحْبُكَ وانْثَنَى ... حُمَّالُ نَعْشِكَ جَاءَكَ المَلَكَانِ
جَاءآلاَ مَرْهُوْبَيْنِ مِن عَيْنَيْهِمَا ... تُرمَىْ بأَشْوَاظٍ مِنَ النِيْرَانِ
سَألاَكَ عَن رَب قَدِيْرٍ خَالِقِ ... وَعَنِ الذي قَدْ جَاءَ بالقُرْآنِ
فَتَقولُ لا أدْرِيْ وَكُنْتُ مُصَدقاً ... أقْوَالُ شِبْهِ مَقَالَةِ الثَّقَلانِ
فَيُوبُخَانِكَ بالكلام بِشِدَّةٍ ... وَسَيْضَرِبَانكَ ضَرْبَةَ السَّجَانِ
فَتَصِيْح صَيْحَةَ آسِفٍ مُتَوَجِعٍ ... ويَجِي الشُّجَاعُ وَذَاكَ هَوْلٌ ثَانِي
ويَجِيْ الرَّفِيْقُ فَيَا قَبَاحَة وَجْهِهِ ... فَكَأَنَّهُ مُتَمَرِّدٌ مِن جَانَ
وَتَقُوْلُ يَا وَيْلا أمَالِي رَجْعَةٌ ... حَتَّى أحلَّ بِسَاحَةِ الإيمَانِ
لو عُدْتِ لِلدنيا لَعُدْتَ لِمَا مَضَى ... في جَانِبِ التَّكْذِيْب والعِصْيَانِ

وأنشد بَعْضُهم :

مُرَادُكَ أنْ يَتِمَّ لَكَ المُرَادُ ... وتَرْكُضْ في مَطَالِبِكَ الجِيَادُ
وتَمْضِي في أوَامِرِكَ اللَّيَالِي ... فلا يُعْصَى هَوَاكَ ولا يَكَادُ

لَقَدْ مَلَكَتْ مُضِـلَّاتُ الأَمَانِي قِيَادَكَ فاغْتَـدَيْتَ بها تُقَـادُ
أَلَمْ تَسْمَـعْ بِذِي أَمَلٍ بَعِيـدٍ وآمالُ الفَتَى منهـا بِعَـادُ
رَمَاهُ الموتُ فانقَبَضَـتْ إليهِ أمانِيْـهِ بشيءٍ لا يُـرَادُ
ويَلْقَاهُ بإِثر المـوتِ يومٌ تَمِيْدُ لِهَوْلِهِ السَّبْـعُ الشِّـدَادُ
تُصَمُّ لِوَقْعِهِ الآذانُ صَـمّاً ويَنْطِـقُ مِن زَلازِلِهِ الجَمَـادُ
فكَمْ سَـالَتْ هُنَالِكَ مِن دُمُوعٍ يُغَيِّرُهُنَّ مِن دَمِـهِ الفُـؤَادُ

اخـر :

هُوَ الموتُ فاصْنَعْ كُلَّ ما أَنْتَ صَانِعُ
وأنْتَ لِكَأْسِ الموتِ لا بُدَّ جَارِعُ
ألا أيهـا المَـرْءُ المُخَـادِعُ نَفْسَـه
رُوَيْـداً أتَـدْرِي مَن أرَاكَ تُخَـادِعُ

ويـا جَـامِعَ الـدُّنْيَـا لِغَيـرِ بَـلاغِـهِ
سَتَتْرُكُهـا فـانْـظُرْ لِمَنْ أنْتَ جَـامِعُ
فَكَمْ قَد رأيْتُ الجَامِعِيْنَ قَد أصْبَحَتْ
لَهُمْ بَينَ أطْبَـاقِ التُـرَابِ مَضَـاجِـعُ
لَـوْ أنَّ ذَوِي الأَبْصَارِ يَـرعَـونَ كُلَّمَـا
يَـرَوْنَ لَمَـا جَفَّتْ لِعَيْنٍ مَـدَامِـعُ

طَغَى الناسُ مِن بَعْدِ النَّبِيِّ مُحَمَّـدٍ
فَقَـدْ دَرَسَتْ بَعْـدَ النبي الشَّـرَائِـعُ
وصـارتْ بطونُ المُـرْمِلاتِ خَمِيْصَـةً
وأيتَـامُهـا منهم طَـرِيـدٌ وجَـائِـعُ

وإنَّ بُطُونَ المُكْثِرينَ كأنَّما
يُنَقْنِقُ في أَجْوافِهِنَّ الضَّفادِعِ
فما يَعرفُ العَطْشَانَ مَن طَالَ رِيُّهُ
ولا يَعرْفُ الشَّبْعَانُ مَن هُوَ جَائِعُ
وتَصْرِيفُ هذا الخلقِ لِله وَحْدَهُ
وَكُلُّ إليهِ لا مَحَالَةَ رَاجِعُ
ولِلهِ في الدنيا أعاجِيْبُ جَمَّةُ
تدلُ على تَدْبِيرِهُ وبَدَائِعُ ـ
ولِلهِ أسرارُ الأُمورِ وان جَرَتْ
بها ظاهراً بينَ العِبَادِ المَنَافِعُ
ولله أَحكَامُ القضاءِ بعِلْمِهِ
ألاَ فَهْوَ مُعْطٍ مَا يَشَاءُ ومَانِعُ
اذا ظَنَّ مَن ترَجُو عليكَ بنَفْعِهِ
فدَعْهُ فانَّ الرزقَ في الأرَضِ واسِعُ
ومَن كانَتِ الدنيا مُنَاهُ وهَمُّهُ
سَبَتْهُ المُنَى واسْتَعْبَدَتْهُ المَطَامِعُ
ومن عَقَلَ اسْتَحْيَى وأكْرَمَ نَفْسَهُ
ومَن قَنِعَ اسْتَغْنَى فَهَلْ أنْتَ قَانِعُ
لِكُلِّ امْرِءٍ رَأيان رَأيٌ يَكُفُّهُ
عن الشرِ أحْياناً ورَأيٌ يُنَازِعُ

انْتَهَى

آخـر :

لَـكَ الحَمْدُ وَالنَّعْمَـاءُ وَالمُلْكُ رَبَّنَـا
وَلَا شَيْءَ أَعْـلَا مِنْكَ مَجْـداً وَأَمْجَدُ

مَلِيْـكٌ عَلى عَـرْشِ السَّمَـاءِ مُهَيْمِنٌ
لِعِـزَّتِـهِ تَعْنُـوا الـوُجُـوْهُ وَتَسْجُـدُ

فَسُبْحَـانَ مَنْ لاَ يَقْـدُرُ الخَلْقُ قَـدْرَهُ
وَمَنْ هُـوَ فَوْقَ العَـرْشِ فَرْدٌ مُـوَحَّدُ

وَمَنْ لَمْ تُنَـازِعْـهُ الخَـلائِقُ مُلْكَـهُ
وَإِنْ لَـمْ تُفَـرِّدْهُ الـعِـبَـادُ فَـمُـفْـرَدُ

مَلِيْـكُ السَّمَـوَاتِ الشِّـدَادِ وَأَرْضِهَـا
وَلَـيْسَ بِـشَـيءٍ عَـنْ قَـضَـاهُ تَـأَوُّدُ

هُوَ اللَّهُ بَارِي الخَلْقِ ، وَالخَلْقُ كُلُّهُمْ
إِمَـاءٌ لَـهُ طَـوْعـاً جَمِيْعـاً وَأَعْبُـدُ

وَأَنَّى يَكُـوْنُ الخَلْقُ كَالخَـالِقِ الـذِيْ
يُمِيْتُ وَيُحْـيِي دَائِبـاً لَيْسَ يَـهْمَـدُ

تُسَبِّحُـهُ الطَّيْـرُ الجَوانِـحُ فِي الخَفَـا
وَإِذْ هِيَ فِي جَـوِّ السَّمَــاءِ تُصَعِّـدُ

وَمِنْ خَوْفِ رَبِّي سَبَّحَ الـرَّعْدُ فَـوْقَنَا
وَسَبَّحَــهُ الأَشْجَـارُ وَالـوَحْشُ أَبَّـدُ

وَسَبَّحَــهُ النِّيْنَــانُ وَالبَـحْــرُ زَاخِــراً
وَمَــاطَمَّ مِنْ شَيءٍ وَمَــا هُــوَ مُقْلَدُ

أَلَا أَيُّهَـا القَلْبُ المُقِيْمُ عَلى الهَوَى
إِلى أَيِّ حِيْنٍ مِنْـكَ هَـذا التَّصَــدُّدُ

عَنْ الحَقِّ كالأعْمَى المُمِيطِ عَنْ الهُدَى
وَلَـيْسَ يَـرُدُّ الـحَـقَّ الاَّ مُـفَـنَّـدُ
وَحَــالاَتُ دُنْيــاً لاَ تَــدُوْمُ لأهْلِهَــا
فَبَيْنَ الفَتَى فِيْهَــا مَـهِيْبٌ مُسَــوَّدُ
إذْ انـقَلَبَتْ عَنْـهُ وَزَالَ نَـعِيْـمُـهُـا
وَأَصْبَـحَ مِنْ تُـرْبِ القُبُــوْرِ يُـوَسَّــدُ
وَفَـارَقَ رُوْحـاً كَـانَ بَيْنَ جنَـانِـهِ
وَجَـاوَرَ مَـوْتَـى مَـا لَهُـمْ مُـتَـرَدَّدُ
فَـأيُّ فَـتَـى قَبْلِيْ رَأيْتَ مُخَلَّداً
لـهُ في قَـدِيمِ الـدَّهْـر مَـا يَتَـوَدَّدُ
فَلَمْ تَسْلَمْ الـدُّنْيَـا وَانْ ظَنَّ أهْلُهَــا
بِصِحَّتِهَــا وَالـدَّهْــر قَــدْ يَتَجَــرَّدُ
ألَسْتَ تَـرَى فِيْمَـا مَضَى لَـكَ عِبْـرَةً
فَمَــهْ لاَ تَكُنْ يَـا قَلْبُ أعْمَى يُلَدَّدُ
فَكُنْ خَــائِفـاً لِلْمَــوْتِ وَالـبَعْـثِ بَعْـدَهُ
وَلاَ تَـكُ مِـمَّـنْ غَــرَّهُ الـيَــوْمُ أوْ غَــدُ
فَـإنَّـكَ فـي دُنْـيَـاً غَـرُورٍ لأهْـلِهَـا
وَفِيْهَـا عَـدُوٌّ كَـاشِــحُ الصَّــدْرِ يُـوْقِـدُ
إنْتَهَى

شِعْرَا :

لِمَنْ وَرْقَاءُ بالوَادِي المَرِيْعِ تَشُبُّ بِهِ تَبـارِيْـحَ الضُلُوعِ
عَلىُ فَيْنَانَةٍ خَضْراءَ يَصْفُـوْ عَلىُ أُعْطَافِهَا وَشْيُ الرَّبِيْـعِ

تُرَدِدُ صَوْتَ باكِيَةٍ عليها رَمَاهَا الموتُ بالأَهْلِ الجَمِيْعِ
فَشَتَّتَ شَمْلَهَا وأَدَالَ مِنـهِ غَراماً عَاثَ في قَلْبٍ صَرِيْعِ
عَجِبْتُ لَهَا تَكَلَّمُ وهْيَ خَرسَا وتَبْكِي وهْيَ جَامِدَةُ الدُّمُوْعِ
فَهِمْتُ حَدِيْثَهَا وفَهِمْتُ أَنِّي مِن الخُسْران في أَمْرٍ شَنِيْعِ
أَتَبْكِيْ تِلْكَ أَنْ فَقَدَتْ أَنِيْساً وتَشْربُ منه بالكَأْسِ الفَظِيْعِ
وَها أَنَا لَسْتُ أَبكِيْ فَقْد نَفْسِيْ وتَضْيِيْعِ الحَيَاة مَعَ المُضِيْعِ
ولَوْ أَنِّي عَقَلْتُ اليَوْمَ أَمْرِيْ لأَرْسَلْتُ المَدامِعَ بالنَّجِيْعِ
أَلا يَا صَاحِ والشَّكْوَى ضُرُوْبٌ وذِكْرُ المَوتِ يَذْهَبُ بالهُجُوْعِ
لَعَلَّكَ أَنْ تُعِيْرَ أَخَاكَ دَمْعاً فَمَا في مُقْلَتَيْهِ مِن الدُمُوْعِ

آخـر :

مِثْلُ وُقُوْفِكَ أَيُّهَا المَغْرُوْرُ
يَوْمَ القِيَامَةِ والسَّمَاءُ تَمُوْرُ
مَاذَا تَقُولُ إذَا وَقَفْتَ بِمَوْقِفٍ
فَرْداً وَجَاءَكَ مُنْكَرٌ وَنَكِيْرُ
مَاذَا تَقُولُ إذاً وَقَفْتَ بِمَوْقِفٍ
فَرْداً ذَلِيْلاً والحِسَابُ عَسِيْرُ

وَتَعَلَّقَتْ فِيكَ الخُصُومُ وَأَنْتَ في
يَوم الحِسَابِ مُسَلْسَلٌ مَجْرُوْرُ
وَتَفَرَّقَتْ عنْكَ الجُنُودُ وَأَنْتَ في
ضِيقِ القُبُورِ مُوَسَّدٌ مَقْبُورُ
وَوَدِدْتَ أَنكَ مَا وَلِيْتَ وَلاَيَةً
يَوماً ولا قَالَ الأَنَامُ أَمِيْرُ

وبَقِيْتَ بَعْدَ العِزِ رَهْنَ حَفِيْرَةٍ
فِي عَالَمِ المَوْتَى وَأَنْتَ حَقِيْرُ
وَحُشِرْتَ عَرْيَاناً حَزِيْناً بَاكِياً
قَلِقاً وَمَا لَكَ في الأَنَامِ مُجَيْرُ
أَرَضِيْتَ أَنْ تَحْيَا وَقَلْبُكَ دَارِسٌ
عَافِي الخَرَابَ وجِسْمُكَ المَعْمُوْرُ
أَرَضِيْتَ أَنْ يُحْظَى سِوَاكَ بِقُرْبِهِ
أَبَداً وَأَنْتَ مُعَذَّبٌ مَهْجُوْرُ
مَهِّدْ لِنَفْسِكَ حُجَّةً تَنجُوْ بِهَا
يَوْمَ المَعَادِ وَيَوْمَ تَبْدُوْ العُوْرُ
إنْتَهَى

آخر :

تَبَيَّنَ ثَغْرُ الفَجْرِ لِمَا تَبَسَّمَا
فَسُبَحانَ مَن في الذِكْرِ بالفَجْرِ أَقْسَمَا
فَصَلِ عَلَى المَبْعُوْثِ لِلْخلْقِ رَحْمَةً
عَسَى شَمُلتنا أَوْ لَعَلَّ وَرُبَّمَا
كما شَمَلَتْ آلَ الرسُولِ وَصَحْبِهِ
فَاكرِمْ بِهِمْ آلا وَصَحْباً وأعظِمَا
أَتَى بالهُدَى نوراً إلينَا وَنِعْمَةً
وقَدْ كَانَ وَجهُ الكَوْنِ بالشِّرْكِ مُظْلِمَا
فَجَلَى بأنوارِ الهُدَى كُلَّ ظُلْمَةٍ
وأَطْلَعَ في الآفَاقِ للدِّيْنِ أَنْجُمَا

أتى بِكِتَـابٍ أعْجَـزَ الـخلقَ لَـفْـظُهُ
فـكـلُ بَلِيْـغٍ عُـذْرُهُ صَـارَ أبْـكَمَـا
تَحَـدَّى بـه أهَـلَ البـلاغَـةِ كـلُّهم
فلمْ يَفْتَحـوا فيمَـا يُـعَـارِضُـهُ فَمَـا
حَـوَىَ كلَّ بُـرهَـانٍ عَلى كُـل مَـطْلَب
وَيَعْـرِفُ هَـذا كُـلُّ مَنْ كَـان أفْهَمَـا
وأخْبَـرَ فِيـهِ عَن عَـواقِبَ مَن عَصَى
بـأنَّ لـه بَعْـدَ المَمَـاتِ جَهَنَّمَـا
وَعَـمَّنْ أطَـاعَ الـلَّهَ أنَّ لَـهُ غَـداً
نَعِيْمـاً بـهِ مَـا تَشْتَهي النَّفْسُ كُلَّمَـا
مُـحَمَّـدٌ الـمَبْعُـوْثُ لِلْخَلْقِ رَحْمَـةً
فَصَـلِّ عليـهِ مَـا حَيِيْتَ مُسَلِّمَـا
وأسْـرَى بـه نَحْـوَ السَّمَـواتِ رَبُّـه
وأرْكَـبَـهُ ظَـهْـرَ الـبُـرَاقِ وأكْـرَمَـا
وَقَـدْ فـتِحَـتْ أبْـوابُـهـا لِصُعُـودِه
فَمَـا زَالَ يَرْقَى مِن سَمَـاءٍ إلى سَمَـا
وَلاَقَى بِهَـا قَـوْمـاً مِن لـرسـل كلِّهِمْ
يقـولُ لـه يَـا مَـرْحَبـاً حِيْنَ سَلَّمَـا
وكَـانَ بِـهِ فَـرْضُ الصَّـلاةِ وَحَبَّـذَا
تَـرَدُّدُهُ بَـيْـنَ الـكَلِيْـمِ مُـكَـلِّمَـا
وَصَيَّـرَهَـا مِنْ بَعْـدِ خَمْسِينَ خَمْسَـةً
فُـرُوْضـاً وأمْـرُ اللهِ قَـدْ كَـانَ مُبْـرَمَـا

وعَـادَ إلى بَيْتِ أمِّ هَـانِىء مُـخْبـراً
لَهَـا بـالـذي قَـدْ كَـانَ مِنْـهُ وَمُعْلِمَـا
فَخَـافَتْ عَلَيْـهِ أنْ يُكَـذِّبَـهُ الـمَـلاَ
وَيَـزْدَادُ مَنْ في قَلْبِـهِ مَـرَضٌ عَمَى
فَجَـاءَ إلى البَيتِ العَتيقِ فَـأخْبَـر الـ
ـعِبـادَ فَمِنْهُـمْ مَنْ بِتَكْـذِيْبِـهِ رَمَى
وَكَـان بـهِ الصِّـدِّيقُ خَيـرَ مُصـدِّقٍ
فَصَـدَّقَ خيرَ الـرُّسْلِ في خَبَـرِ السَّمَـا
مُحَمَّـداً الـمَبْعُـوثَ لِلْخَـلْقِ رَحْمَـةً
فَصَـلِّ عليـهِ مـا حَيِّيتَ مُسَلِّمَـا
وَقُمْ حَـامِـداً لِلّهِ في كُـلِّ حَـالَـةٍ
تَجِـدْ حَمْدَهُ في يَـوْمِ حَشْـرِكَ مَغْنَمَـا
وَصَـلِّ على المَبْعـوثِ للخَلقِ رَحْمَـةً
مَـحـمَّـدِ الـمـخْـتَـارِ والآلِ كُـلَّمَـا
سَرى البَرْقُ مِنْ أرْجَاءِ مَكةَ أو سَـرَى
نَسِيْـمٌ على زَهْـرِ الـرُّبَـى مُتَبَسِّمَـا
وَرَضِيْ عَلى الأصْحَابِ أصْحَابِ أحْمَدٍ
وكُنْ لَهُمْ في كُـلِّ حِيْنٍ مُـعَـظِّمَـا

إنْتَهى

وَمِمَّا قِيْلَ في الحثِ على التَّمَسُّكِ بالقـرآنِ الكريمِ مـا قَالَـهُ الصَّنْعَاني :

وليْسَ إغْتِـرَابُ الدِّينِ الاَّ كَمَـا تَرَى
فَهَـلْ بَعْـدَ هَـذَا الاغْتِـرَابُ إيَـابُ
وَلَـمْ يَبْـقَ لِلرَّاجِي سَـلاَمَـةَ دَيْنِـهِ
سِوَى عُـزْلَـةٍ فيهَـا الْجَلِيسُ كِتَـابُ
كِتَـابٌ حَـوَى كُـلَّ العلومِ وكُلُّمَـا
حَـوَاهُ مِن العلمِ الشـريفِ صَـوابُ

فَـإنْ رُمْتَ تَـارِيْخـاً رَأيْتَ عَجَـائِبـاً
تَـرَى آدمـاً إذْ كَـانَ وَهْـوَ تُـرَابُ
وَلاقَيْتَ هَـابِيـلاً قَتِيْـلَ شَقيْقِـهِ
يُـوارِيْـهِ لَـمَّـا أنْ أرَاهُ غُـرابُ
وَتَنْظُرُ نوحاً وَهْوَ في الفُلْكِ قَدْ طَغَى
على الأرضِ مِنْ مَاءِ السَّماءِ عُبَابُ
وانْ شِئْتَ كُـلَّ الأنبِيَـاءِ وَقَـوْمَهُـمْ
ومَـا قَـالَ كُـلُّ مِنْهُمُـو وَأجَـابُـوا
وَجَنَّـاتِ عَـدْنٍ حُـورَهَـا وَنعِيْمَهـا
وَنَـاراً بهـا لِلْمُشْـرِكِيـنَ عَـذَابُ
فَـتِـلْكَ لِأرْبَـابِ الـتُّقَـاءِ وَهَـذِهِ
لِكُـلِّ شَقِـيٍ قَـدْ حَـوَاهُ عِقَـابُ
وإنْ تُـرِدِ الـوَعْظَ الَّـذِي إنْ عَقَلْتَهُ
فـانَّ دُمُـوعَ العَيـنِ عَنْـهُ جَـوَابُ
تَجِـدْهُ وَمَـا تَهْـوَاهُ مِنْ كُـلِّ مَشْـرَبٍ
ولِـلرُّوحِ مِنْـهُ مَـطْعَـمٌ وَشَـرَابُ

وانْ رُمْتَ إِبْرَازَ الأَدِلَّةِ في الـذي
تُـرِيْـدُ فَمَـا تَـدْعُـو إليـهِ تُجَـابُ

تَـدُلُّ على التَّـوحِيـدِ فيـه قَـوَاطِعُ
بِهـا قُـطِعَتْ لِلْمُلْحِـدِيـنَ رِقَـابُ

وَمَـا مَـطْلَبٌ إلاَّ وَفِـيـهِ دَلِـيْـلُهُ
ولَيْسَ عـليـهِ لِـلذَّكِي حِـجَـابُ

وَفِيهِ الـدَّواء مِنْ كُـلِّ دَاءٍ فَثِقْ بِـه
فَـوَالـله مـا عَنْـهُ يَـنُـوبُ كِتَـابُ

يُـرِيْـكَ صِـرَاطاً مُسْتَقِيْمـاً وغَيْـرُه
مَـفَـاوِزُ جَهْـلٍ كُـلُّهـا وَشِـعَـابُ

يَـزِيْـدُ عَلى مَـرِّ الجَـدِيْـدَيْنِ جِـدَّةً
فـألفَـاظُـه مَهْـمَـا تَلَوْتَ عِـذَابُ

وَآيَـاتُـهُ فـي كُـلِّ حِيْـنٍ طَـرِيَّـةٌ
وتَبْلغُ أقْصَى العُمْـرِ وَهْـيَ كِعَـابُ

وَفِيْـهِ هُـدىً لِلْعَـامِـلينَ وَرَحْـمَـةٌ
وفـيـهِ عُـلومٌ جَـمَّـةٌ وَثَـوابُ

(فَصْـلٌ)

ثم إعلِم وفقنا الله وإياك للاسْتِعداد لِما أَمَامَنا مِن الأَهْوَالِ والشَّدائِدِ والكُروبِ والأمورِ المُزْعِجَاتِ .

أنَّه جَدِيْرٌ بِمَنِ الموتُ مَصْرَعُه ، والتُرابُ مَضْجَعُه ، والدُوْدُ أنِيسُهُ ومُنْكر ونَكِيْر جَلِيْسُه ، والقَبْرُ مَقَرُّهُ ، وبَطْنُ الأرض مُسْتَقَرُّهُ ، والقِيَامَةُ مَوْعِدُهُ ، والجنةُ أو النارُ مَوْرِدُهُ .

أَنْ لا يكُونَ لَهُ فِكْر إلاَّ في الموتِ ، ولا ذِكْر إلاَّ لَهُ ، ولا اسْتِعْداد إلاَّ لِأجْلِهِ ، ولا تَدْبِير إلاَّ فيه ، ولا تطَلُّعٌ إلا إليه ، ولا تَأهُبٌ إلاَّ لَهُ ، ولا تَعْرِيْج إلاَّ عليه ، ولا اهْتِمَام إلاَّ بِهِ ، ولا انْتِظَارٌ ولا تَرَبُّصٌ إلا لهُ .

وحَقيْقٌ بالعَاقِلِ أَنْ يُعدَّ نَفْسَهُ مِنِ الموتَى ويَرَاهَا مِن أَصْحَابِ القُبُورِ ، فإنَّ كُلَّ مَا هُو آت قريب قال الله جَلَّ وعلا : ﴿ اقْتَرَبَ للنَّاس حَسَابهُم وهم في غَفَلة مُعْرِضُونَ ﴾ وقال تبارك وتعالى : ﴿ أتى أمر اللهِ فلا تسْتَعْجِلوه ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم : « الكَيِّس مَن دَانَ نَفْسَهُ وعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الموت » الحديث .

واعْلَمْ أنَّه لَوْ لَمْ يَكَنْ في الموت إلاَّ الإعْدَامُ وانحْلاَلُ الأَجْسَامَ ونِسيَانُكَ أُخْرَى الليالي والأيام ، لَكَانَ واللهِ لِأَهْلِ اللّذَاتِ مُكَدِّرًا ، ولَأصْحَابِ النَّعِيم مُنَغِّصاً ومُغيّرا ، ولأرْبَاب العَقول الرَّاجحَةِ عن الرّغبةِ في هَذهِ الدارِ زَاجِراً ومُنَفِّرا ، ولِلْمُنْهَمِكِ في الدنيا وزَخَارِفها مُنذراً ومُزْعِجَاً ومُحَذِّرا .

قال مُطَرِّف بْنُ الشِّخِيْرِ : إنَّ هَاذا الموتَ نَغَّصَ على أهْلِ النَّعِيمِ نعِيْمَهُمْ ، فأطْلُبُوْا نَعِيْماً لا مَوْتَ فيه ، فكيْفَ وَوَرَاءَهُ يوم يُعَدُّ فيه الجَوَابُ وَتَدْهَشُ فيه الأَلْبَابُ ، وتَفْنَى في شَرْحِهِ الأقْلاَمُ والكُتَّابُ .

وَلَمْ يَمْرُرْ بِهِ يَوْمٌ فَظِيْعٌ   أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ يَوْمِ الحِمَامِ
وَيَوْمُ الحَشْرِ أَفْظَعُ منهُ هَوْلاً   إذا وَقَفَ الخَلائق بالمَقَامِ
فكَمْ مِنْ ظَالمٍ يَبْقَى ذَلْيلاً   ومَظْلُومٍ تَشَمَّرَ لِلْخِصَامِ
وشَخْصٍ كانَ في الدُّنْيَا فقيراً   تَبَوَّأَ مَنْزِلَ النُّجْبِ الكِرَامِ
وعَفْوُ اللهِ أَوْسَعُ كُلِّ شيءٍ   تَعَالَى اللهُ خَلَّاقُ الأَنَامِ

ومن كلامِ بَعْضَهِم يا ابْنَ آدمَ لَوْ رَأيْتَ مَا حَلَّ بكَ وما أحَاطَ بأَرْجَائِكَ لَبَقِيتَ مَصْرُوْعاً لما بك ، مَذْهُولاً عن أَهْلِيكَ وأَصْحَابِكَ .

يَا ابْنَ آدمَ أمَا عَلِمْتَ أنَّ بَيْنَ يَدَيْكَ يَوْماً يُصِمُّ سَمَاعُهُ الآذانْ ، ويَشِيْب لِرَوْعِهِ الوِلدانْ ، ويُتْرَكُ فيه ما عَزَّ ومَا هَان ، ويُهْجَر لَهُ الأَهْلُون والأوطَان .

يَا ابْنَ آدَمَ أما تَرَى مَسِيْرَ الأيامِ بِجِسْمِكَ ، وذَهَابَهَا بِعُمْرِكْ ، وإخْراجَهَا لَكَ مِن سَعَةِ قَصْرِكْ إلى مَضِيْقِ قَبْرِكْ ، وبَعْدَ ذلك ما لِذِكْرِ بَعْضِهِ تَتَصَدَّعُ القلوبُ ، وتَنْضِجُ له الجوانح وتَذُوْب ، ويَفِرُ المرءُ على وجْهِهِ فلا يَرْجِعُ ولا يَؤُوْب ، ويَوَدُّ الرجْعَةَ وأنَّى لَهُ المَطْلُوب .

قال اللهُ جَلَّ وعَلا وتَقَدَّسَ : ﴿ وأَنْذِرْهُم يَوْمَ الحَسرَةِ إذْ قُضِيَ الأَمْرُ وهم في غَفْلَةٍ ﴾ وقال تبارك وتعالى : ﴿ ان تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتَا على ما فَرطْتُ في جَنْبِ اللهِ وإن كنْتُ لمنَ الساخِرين أو تقول لو أن الله هداني لكنتُ من المتقين أو تقول حِيْنَ تَرى العذاب لو أن لِي كرةً فأكون من المحسنين ﴾ ، وقال تبارك وتعالى : ﴿ هنالك تَبْلُو كُلُ نَفسٍ ما أَسْلَفَتْ ﴾ وقال عَزَّ مِن قائِل : ﴿ اقترب للناس حِسَابهم وهم في غفلة معرضون ﴾ ، وقال : ﴿ أيود أحَدكم أنْ تَكُونَ له جنة مِن نخيل وأعْنَاب تجري من تحتِهَا الأنهار لَهُ فيها مِن كُلِّ الثمرات وَأَصَابهُ الكبر ولَهُ ذريةٌ ضُعَفاء فأصَابَها إعْصَار فيه نَارَ فاحْترقَتْ كذلك يُبينُ اللهُ لكم الآياتِ لعَلكم تَتفكَّرون ﴾ ، وقال : ﴿وجِيءَ يومئِذٍ بجَهَنَّم يَومَئِذٍ يَتَذَكر

الإنسانُ وأنى له الذكرى يقول يا لَيْتني قَدَمْتُ لحيْاتي ﴾ ، وقال تبارك وتعالى : ﴿ فإذا جَاءَت الطامةُ الكبرى يومَ يتذكر الإنسان ما سعى ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يوم تجد كل نَفسٍ ماعملت مِن خير محضرا وماعملت من سُوء تود لو أنَّ بينها وبَيْنَهُ أمَدا بَعِيدا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ واتَّقُوا يوماً لا تَجْزِي نفْسٌ عن نفْسٍ شيئاً ولا يُقْبَلُ منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم يُنصرون ﴾ ، وقال جل وعلا : ﴿ وأنفقوا مما رزقناكم مِن قبل أن يأتي أحَدَكم الموت فيقول رَبِّ لولا أخرتني إلى أجل قريب فاصدق وأكن من الصالحين ﴾ ، وقال تبارك وتعالى : ﴿ واتقوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فيه إلى الله ثم تُوفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ .

شَعِـرا :

لِأَمْرٍ ما تَصَدَّعَتِ القُلُوبُ ... وَبَاحَ بِسِرِّهَا دَمْعٌ سَكِيْبُ
وَبَاتَتْ فِي الجَوانِحِ نَارُ ذِكْرَى ... لَهَا مِن خَارِجٍ أَثَرٌ عَجِيْبُ
وَمَا خَفَّ اللَّبِيْبُ لِغَيْر شيءٍ ... ولا أُعْيَا بِمَنْطِقِهِ الأرِيْبُ
ذَرَاهُ لَائِمَاهُ فَلا تَـلُوْمَا ... فَرُبَّتَ لائِمٍ فِيْهِ يَحُـوْبُ
رَأَىَ الأَيَّامَ قَدْ مَرَّتْ عَلَيهِ ... مُرُوْرَ الرِيْحِ يَدْفَعُهَا الهَبُوْبُ
وَمَا نَفَسٌ يَمُرُّ عَلَـيه إلاَّ ... ومِنْ جُثْمانِهِ فِيْهِ نَصِيْبُ
وَبَـيْنَ يَدَيْهِ لَوْ يَدْرِي مَقَامٌ ... بِهِ الوِلْدَانُ مِنْ رَوْعٍ تَشِيْبُ
وَهَذَا الموتُ يِدُنِيْهِ إلَيْـهِ ... كَمَا يُدْنِي إلَى الهَرَمِ المشَيْبُ
مَقَامٌ تُسْتَلذُ بِهِ المنَـايَا ... وتُدْعَى فِيْهِ لَوْ كَانَتْ تُجِيْبُ
وماذا الوَصْفُ بَالِغُهُ ولَكِنْ ... هِيَ الأَمْثَالُ يَفْهَمُهَا اللَّبِيْبُ

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لِلْقِيامِ بِحَقِّكَ وَبارِكْ لَنَا في الحلالِ مِن رِزْقِكَ ولَا تَفْضَحْنَا بين خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ داع وأَفْضَلَ مَن رجَاهُ راجٍ يا قاضي

الحاجاتِ ومُجيْبَ الدعواتِ هَبْ لَنَا ما سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجاءَنَا فِيْمَا تَمَنَّيْنَاهُ يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوائِجَ السَّائِلِين ويَعْلَمُ ما فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وحَلاوَةَ مَغْفِرْتِكَ ياأرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلى اللهُ على مُحمدٍ وآلِهِ وصحبه أجمعِين .

(فَصْــــلٌ)

واعْلَمْ أنَّ الموتَ لَنْ يَمْنَعَهُ مِنْكَ مانِع ولا يَدْفعُهُ عَنْكَ دَافِعْ وإنَّ فيه لَزَجْراً لِلَّبِيْب ، وشُغْلاً لِلأرِيْبِ ، ومَنْبَهَةً للنائِم وتَنْشِيْطاً لِلْمُسْتَيْقِظِ .

وأنَّهُ لَطَّالِبُ المُدْرِكُ ، والمُتَّبِعُ اللَّاحِقُ ، والمُغِيْرُ الذي يَبْعَثُ الطَّلِيْعَةَ ، وَيُعَجِّلُ الرَّجْعَةَ ، ويَسْبِقُ النذير العَرْيَان ، لَا يَرُدُّهُ بابُ الحَدِيْدِ الشَّدِيْد ، ولا يَمْنَعُ عَنه البُرْجُ العَالِي المشيد ، ولا الجَيْشُ اللجبُ العَرَمْرَمُ ، ولا البَلَدُ البَعِيْد .

وذَكَرَ أحدُ العُلماء أنَّ جَبَّاراً مِن الجَبَابِرَةِ مِن بَنِي إسْرائيل جَالِسٌ في مَنْزِلِهِ قد خَلَا بِبَعْضِ أهْلِهِ إذْ نظر إلى شَخْصٍ قد دَخَلَ مِن بَابِ بَيْتِهِ .

فثَارَ إليه فَزِعاً مُغْضَبَا فَقَالَ لَهُ مَنْ أنْتَ ومَن أدْخَلَكَ عَلَيَّ دَارِي فقال أَمَّا

الذي أدْخَلِنِي عَلَيْكَ الدار فَرَبُّهَا وأمَّا أنَا فأنَا الذِي لا يَمْنَعُ مِنّي الحِجَابُ وَلا أسْتَأْذِنُ على المُلوكِ ولا أخَافُ صوْلَةَ السّلاطِين وَلا يَمْتَنِعُ مِنّي كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيْد ولا شيطانٌ مَرِيْد .

قال فَسُقِطَ في يَدِ الجبار وارْتَعَدَ حَتَّى سَقَطَ عَلَى الأرض مُنْكَباً على وجْهِهِ ثم رَفَعَ رَأسَهُ إليه مُتحَيِّراً مُتَذَلِّلا فقال لَهُ أنْتَ إذاً مَلَكُ الموتِ قال أنا هُوْ قال فَهَلْ أنْتَ مُمْهِلِي حَتَّى آخُذَ عَهْداً .

قال هَيْهَاتَ إنْقطَعَتْ مُدَّتُكَ وانْقَضَتْ أنْفَاسُكَ ونَفَدَتْ سَاعَاتُكَ فلَيْسَ إلَيَ تَأخِيْرِكَ سَبِيْل قال فإلَى أيْنَ تَذْهَبُ بِي قال إلى عَمَلِكَ الذي قَدَّمْتَهُ وَإلى بَيْتِكَ الذي مَهَّدْتَهُ .

قال فإنِّي لَمْ أُقَدِّمْ عَمَلاً صَالِحاً ولم أُمَهِّدْ حَسَناً . قال فإلى ﴿ لَظَى نَزَّاعَةً لِلشَّوَى تَدْعُو مَن أدْبر وتَولَّى وجَمَعَ فأوْعَى ﴾ فَسَقَط مَغْشِياً عليه (فيا لَهاَ مِن حَسْرَةٍ ويَا لَهَا مِن نَدَامَة ويَا لَهَا مِن عَثْرةٍ لا تُقَال) ا. هـ .

وماتَ أحَدُ الشجعان فَجْأةً بَسكْتَةٍ قَلْبيةٍ فأنْشِدَتِ الأبْيَاتُ الّتَي تَلِيْ فيه ، فيها عِبْرَةٌ فتدَبَّرْهَا وخذ منها دَرْساً لِلْاستعِدْادَ لِما أمامَكَ .

ومُجَرِّرٍ خَطِّيّةً يُوْمَ الوغَـى	مُنْسَابَة مِن خَلْفِـهِ كَالأرْقَمِ
تَتَضاءَلُ الأبْطَالُ سَـاعَةَ ذِكْرِهِ	وتَبِيْتُ مِنْهُ في إبَاءَةِ ضَيْـغَمِ
شَرِسُ المَقَادَةِ لا يَزَالُ رِبِيْئَةً	وَمَتَى يُحِسُّ بنارِ حَرْبٍ يُقْـدِمِ
تَقَعُ الفَرِيْسَةُ منه في فَوْهَاءَ إنْ	يُطْرَحْ بِهَا صُمُّ الحِجَارَةِ يُحْطَمِ
ضَمْآنَ لِلَّمِ لا يَقُـوْمُ بِرِيِّــهِ	إلاَّ المُرُوقُ في الجُسُوْمِ مِن الدَّمِ
جَاءَتْهُ مِن قِبَلِ المَنُونِ إشَارَةٌ	فَهَوَى صَرِيْعاً لِلْيَدِيْن وَلِلْفَمِ
وَرَمَى بِمُحْكَمِ دِرْعِهِ وبِرُمْحِهِ	وامْتَدَّ مُلْقىً كالبَعِيْر الأعْظَمِ
لا يَسْتَجِيبُ لِصَارِخٍ إنْ يَدْعُهُ	أبَدَاً ولا يُرْجى لِخَطْبٍ مُعْظَمِ
ذَهَبَتْ بَسَالَتُـهُ ومَرَّ غَرَامُـهُ	لَمَّا رَآى خَيْـلَ المَنِيّةِ تَرْتَمِي
يَا وَيْحَهُ مِن فارِسٍ مَا بَالُهُ	ذَهَبَتْ فُرُوْسَتُهُ وَلَمَّا يُكْلَمِ
هَذِي يَدَاهُ وهَذِهِ أعْضَاؤُهُ	ما مِنْهُ مِنْ عُضْوٍ غَدَا بِمُثَلَّمِ
هَيْهَاتَ مَا خَيْلُ الرَّدى مُحْتَاجَةٌ	لِلْمَشْرَفِيِّ ولا السِّنَانِ اللَّهذَمِ
هِيَ وَيْحَكُمْ أمْرُ الإلـهِ وحُكْمُهُ	واللهُ يَقْضِيْ بالقَضَاءِ المُحْكَمِ

يا حَسْرةً لَوْ كَانَ يُقْدَرُ قَدْرُهَا ... ومُصيْبَةَ عَظمَتْ ولَمَّا تَعْظُمِ
خَبَرٌ عَلِمْنَا كُلُّنَا بِمَكَـانِهِ ... وكأنَّنا في حَالِنَا لَمْ نَعْلَمِ

ومن مَا يُنْسَبهُ لِلْإمام على رضى الله عنه

أُحُسيْنُ إنِّي وَاعِظٌ ومؤَدِّبُ ... فافْهَمْ فإنَّ العَاقِلَ المُتَأدِّبُ
واحْفَظْ وَصِيَّةَ وَالِدٍ مُتَحَنِّنٍ ... يَغْذُوكَ بالآدَابِ كَيْلا تَعْطَبُ
أُبَنَيَّ إنَّ الرِّزقَ مَكْفُولٌ بِهِ ... فَعَلَيْكَ بالاجْمَالِ فيمَا تَطْلُبُ
لا تَجْعَلَنَّ المَالَ كَسْبَكَ مفْردًا ... وتُقَى إلٰهكَ فاجْعَلَنْ مَا تَكْسِبُ
كَفَلَ الإلَهُ برزقِ كُلِّ بَرِيَّةٍ ... والمالُ عَارِيَةٌ تَجِيءُ وَتَذْهَبُ
والرِّزْقُ أَسْرَعُ مِنْ تَلَفُّتِ ناظِرٍ ... سَبَباً إلَى الإنْسَانِ حِيْنَ يُسَبَّبُ
ومِنْ السُّيُولِ إلَى مَقَرِّ قَرَارِهَا ... وَالطَّيْرِ لِلْأَوْكَارِ حِيْنَ تَصَوَّبُ
أُبَنَيَّ إنَّ الذِّكْرَ فِيْهِ مَوَاعِظٌ ... فَمَنْ الذِي بِعِظَاتِهِ يَتَأَدَّبُ
إقْرأْ كِتَابَ اللهِ جَهْدَكَ واتْلُهُ ... فِيْمَنْ يَقُوْمُ بِهِ هُنَاكَ ويَنْصِبُ
بِتَكَرُّرٍ وتَخَشُّعٍ وتَقَرُّبٍ ... إنَّ المُقَرَّبَ عِنْدَهُ المُتَقَرِّب
واعْبُدْ إلٰهكَ ذَا المَعَارِج مُخْلِصاً ... وأنْصِتْ إلَى الأَمْثَالِ فِيْمَا تُضْرَبُ
وإذَا مَرَرْتَ بآيَةٍ مَخْشِيَةٍ ... تَصِفُ العَذَابَ فَقِفْ وَدَمْعُكَ يَسْكُبُ
يَا مَنْ يُعَذِبُ مَن يَشَاءُ بِعَدْلِهِ ... لا تَجْعَلَنِّي فِي الذِيْنَ تُعَذِّبُ
إنِّيْ أَبُوْءُ بِعَثْرَتِي وَخَطِيْئَتِي ... هَرَباً وهَلْ إلَّا إلَيْكَ المَهْرَبُ
وإذَا مَرَرْتَ بآيَةٍ في ذِكْرِهَا ... وُصِفَ الوَسِيْلَةُ والنَّعِيْمُ المُعْجِبُ
فاسْأَلْ إلٰهكَ بالإنَابَةِ مُخْلِصاً ... دَارَ الخُلُوْدِ سُؤَالَ مَنْ يَتَقَرَّبُ
واجْهَدْ لَعَلَّكَ أَنْ تَحِلَّ بأرْضِهَا ... وتَنَالَ رَوْحَ مَسَاكِنٍ لاَ تَخْرَبُ
وَتَنَالَ عَيْشاً لاَ انْقِطَاعَ لِوَقْتِهِ ... وتَنَالَ مُلْكَ كَرامَةٍ لاَ تُسْلَبُ
بادِرْ زَمَانَكَ إنْ هَمَمْتَ بِصَالِحٍ ... خَوْفَ الغَوَالِب إذْ تَجِيءُ وتَذْهَبُ

وإذا هَمَمْتَ بِسَيءٍ فاغْمِضْ لَهُ ... وتَجنَّبِ الأَمْرِ الذِيْ يُتَجَنَّبُ
واخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلصَّدِيْقِ وكُنْ لَهُ ... كَأَبٍ عَلَى أَوْلَادِهِ يَتَحَدَّبُ
والضَّيْفَ أكْرِمْ مَا اسْتَطَعْتَ جِوَارَهُ ... حَتَّى يَعُدُّكَ وَارِثاً يُتَنَسَّبُ
واجْعَلْ صَدِيْقَكَ مَن إِذَا آخَيْتَهُ ... حَفِظَ الإِخَاءَ وكَانَ دُوْنَكَ يَضْرِبُ
واطْلُبْهُمُوْا طَلَبَ المَرِيْضِ شِفَاءَهُ ... ودَعِ الكَذُوْبَ فَلَيْسَ مِمَّنْ يُصْحَبُ
واحْفَظْ صَدِيْقَكَ فِي المَوَاطِنِ كُلِّهَا ... وَعَلَيْكَ بالمَرْءِ الذِي لا يَكْذِبُ
وَاقْلِ الكَذُوْبَ وقُرْبَهُ وَجِوَارَهُ ... إِنَّ الكَذُوْبَ مُلَطِّخٌ مَن يَصْحَبُ
يُعْطِيْكَ مِن فَوْقِ المُنَى بِلِسَانِهِ ... ويَرُوْغُ عَنْكَ كَمَا يَرُوْغُ الثَّعْلَبُ
واحْذَرْ ذَوِيْ المَلْقِ اللِّئَامِ فإِنَّهُمْ ... فِي النَّائِبَاتِ عَلَيْكَ مِمَّنْ يَحْطِبُ
يَسْعَوْنَ حَوْلَ المَرْءِ مَا طَمِعُوْا بِهِ ... وإِذَا نَبَا دَهْرٌ جَفَوْا وتَغَلَّبُوْا
ولَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيْحَتِي ... والنُصْحُ أَرْخَصُ مَا يُبَاعُ وَيُوْهَبُ

آخـر :

حِيَلُ البِلَى تأْتِي على المُخْتالِ ، ... ومَسَاكِنُ الدُّنيا ، فَهُنَّ بَوَالِ
شُغِلَ الأُلَى كَنَزُوا الكُنوزَ عن التُّقى ، ... وَسَهَوْا ، بِباطِلِهِمْ ، عَنِ الآجالِ
سَلِّمْ على الدُّنيا سَلامَ مُوَدِّعٍ ، ... وَارْحَلْ ، فقدَ نُودِيتَ بالتَّرحالِ
ماأنْتِ ، يادُنيا ، بِدارِ إقامَةٍ ، ... مازِلْتِ ، يادُنيا ، كَفَيْءِ ظِلالِ
وَخَفَفْتِ ، يادُنيا ، بكُلِّ بَلِيَّةٍ ، ... وَمُزِجْتِ ، يادُنيا ، بكُلِّ وَبالِ
قد كُنْتِ ، يادُنيا ، مَلَكْتِ ، مَقادَتِي ، ... فَقَرَيْتِنِي بِوَساوِسٍ ، وَخَبالِ
حَوَّلْتِ ، يادُنيا ، جَمَالَ شَبِيبَتِي ... قُبْحاً ، فَماتَ لِذاكَ نُورُ جَمالي
غَرَسَ التَّخَلُّصُ مِنكِ بَينَ جَوانِحِي ... شَجَرَ القَناعَةِ ، وَالقَناعَةُ مالي
الآنَ أَبصَرْتُ الضَّلالَةَ وَالهُدَى ، ... وَالآنَ فِيكِ قَبِلْتُ مِنْ عُذَّالي
وَطَوَيْتُ عَنْكِ ذُيُولَ بُرْدَيْ صَبْوَتِي ، ... وَقَطَعْتُ حَبْلَكِ مِنْ وِصَالِ حِبَالِي
وَفَهِمْتُ مِنْ نُوَبِ الزَّمانِ عِظاتِها ، ... وَفَطِنْتُ لِلأَيّامِ وَالأَحْوالِ

وَمَلَكْتُ قَوْدَ عِنانِ نَفسِي بالهُدى ، وطَوَيْتُ عَنْ تَبْعِ الهَوى أذيالي
وتَناولَتْ فِكْري عَجائِبُ جَمَّةٌ بِتَصَرُّفٍ في الحالِ بَعْدَ الحالِ
لمّا حَصَلْتُ على القَناعةِ ، لم أزَلْ مَلِكاً ، يَرى الإكْثارَ كالإقْلالِ
إنَّ القَناعَةَ بالكَفافِ هِيَ الغِنى ، وَالفَقْرُ عَيْنُ الفَقْرِ في الأمْوالِ
مَنْ لم يكن في اللهِ يَمْنَحُكَ الهوى ، مَزَجَ الهَوَى بِمَلالَةٍ ، وَثِقالِ
وَإذا ابنُ آدَمَ نالَ رِفْعَةَ مَنزِلٍ ، قَرَنَ ابنُ آدَمَ عِندَها بِسِفالِ
وَإذا الفتى حَجَبَ الهَوى عَن عقلِه ، رَشَدَ الفتى ، وَصَفا مِنَ الأوْحالِ
وَإذا الفتى لَزِمَ التَّلَوُّنَ لم يَجِدْ أبداً لهُ ، في الوَصْلِ ، طعمَ وِصالِ
وَإذا تَوازَنَتِ الأُمُورُ لفَضْلِها ، فالدّينُ مِنْها أرْجَحُ المِثْقالِ
أمسَتْ رِياضُ هُداكَ منكَ خَوالِياً ، وَرِياضُ غَيِّكَ مِنْكَ غَيرُ خَوالِ
قَيِّدْ عَنِ الدّنْيا هَواكَ بسَلْوَةٍ ، وَاقْمَعْ نَشاطَكَ في الهوَى بِنَكالِ
وَبِحَسْبِ عَقْلِكَ بالزّمانِ مُؤَدِّباً ؛ وَبِحَسْبِهِ بِتَقَلُّبِ الأحْوالِ
بَرِّدْ بيأسِكَ عَنكَ حَرَّ مَطامِعٍ ، قَدَحَتْ بعَقْلِكَ أثقَبَ الأشْعالِ
قاتِلْ هَواكَ ، إذا دَعاكَ لِفِتْنَةٍ ؛ قاتِلْ هَواكَ هُناكَ ، كُلَّ قِتالِ
إنْ لَمْ تَكُنْ بَطَلاً إذا حَمِيَ الوَغى ، فاحْذَرْ عَلَيكَ مَواقِفَ الأبْطالِ
إخْزَنْ لِسانَكَ بالسّكوتِ عَنِ الخنَى ، وَاحْذَرْ عَلَيكَ عَواقِبَ الأقْوالِ

وَإذا عَقَلْتَ هَواكَ عَنْ هَفَواتِهِ ، أطْلَقْتَهُ مِنْ شَيْنِ كُلِّ عِقالِ
وَإذا سَكَنْتَ إلى الهُدَى ، وَأطَعْتَهُ ، ألبَسْتَ حُلّةَ صَالحِ الأعْمالِ
وَإذا طَمِعْتَ لَبِسْتَ ثَوْبَ مَذَلّةٍ ، إنّ المَطامِعَ مَعْدِنُ الإذْلالِ
وَإذا سَحَبْتَ إلى الهَوى أذْيالَهُ ، كَسَبَتْ يَداكَ مَوَدّةَ الجُهّالِ
وَإذا حَلَلْتَ عنِ اللّسانِ عِقالَهُ ، ألْقاكَ مِنْ قِيلٍ عَلَيكَ ، وَقالِ
وَإذا ظَمِئْتَ إلى التُقى أسْقَيتَهُ مِنْ مَشرَبٍ عَذْبِ المَذاقِ ، زُلالِ
وَإذا ابتُليتَ بِبَذْلِ وَجْهِكَ ، سائِلاً ، فابْذُلْهُ لِلْمُتَكَرِّمِ المِفْضالِ

إنّ الشّريفَ ، إذَا حَباكَ بوَعْدِهِ ، أَعْطاكَهُ سَلِساً ، بغَيرِ مِطالِ
ماالعتاضَ باذِلُ وَجْهِهِ بسُؤالِهِ عِوَضاً ، وَلَوْ نَالَ الغِنى بسُؤالِ
عَجَباً عَجِبْتُ لِمُوقِنٍ بوَفَاتِهِ ، يَمْشِي التَبختُرَ ، مِشْيَةَ المُختالِ

رَجِّ العُقولَ الصّافياتِ فَإنّها كَنْزُ الكُنوزِ ومَعْدِنُ الإفْضالِ
صافِ الكِرامَ فإنّهُمْ أهلُ النُهى وَاحْذَرْ عليكَ مَوَدّةَ الأنذالِ
صِلْ قاطِعيكَ وَحارِميكَ وَأعطِهِمْ وإذا فَعَلْتَ فَدُمْ بِذاكَ وَوالِ
وَالمَرْءُ لَيْسَ بِكامِلٍ في قَوْلِهِ حَتّى يُزَيِّنَ قَوْلَهُ بِفِعالِ
ولَرُبّما ارْتَفَعَ الوَضيعُ بِفِعْلِهِ وَلَرُبّما سَفَلَ الرَّفيعُ العالي
كَمْ عِبْرَةٍ لِذَوي التَّفَكُّرِ وَالنُهى في ذَا الزَّمانِ وَذا الزَّمانِ الخالي
كَمْ مِنْ ضَعيفِ العَقْلِ زَيَّنَ عَقْلَهُ ما قَدْ رَعَى وَوَعَى مِنَ الأمْثالِ
كَمْ مِنْ رِجالٍ في العُيونِ وَما هُمُ في العَقْلِ إنْ كَشَفْتَهُمْ بِرِجالِ

آخــر:

إنّي ارِقْتُ ، وَذِكْرُ المَوتِ أرّقَني وَقُلتُ لِلدَّمْعِ : أسْعِدْني ، فأسْعَدَني
يا مَنْ يَموتُ ، فَلَمْ يَحزَنْ لمِيْتَتِهِ وَمَنْ يَموتُ ، فَما أوْلاهُ بالحزَنِ
تَبْغِي النّجاةَ مِنَ الأحْداثِ مُحْترِساً وَإنّما أنْتَ وَالعِلاّتُ في قَرَنِ

ياصاحِبَ الرّوحِ ذِي الأنفاسِ في البَدَنِ بَيْنَ النّهارِ ، وَبَينَ اللّيلِ ، مُرتَهَنِ
لَقَلّما يَتَخَطّاكَ اخْتِلافُهُمَا حتّى يُفَرِّقَ بَيْنَ الرُّوحِ والبَدَنِ
طِيبُ الحَياةِ لِمَنْ خَفّتْ مَؤونَتُهُ وَلَمْ تَطِبْ لِذَوي الأثقالِ وَالمُؤنِ
لَمْ يَبْقَ مِمّنْ مَضى ، إلاّ تَوَهُّمُهُ كأنّ مَن قد قَضَى ، بالأمْسِ ، لم يكُنِ
وَإنّما المَرْءُ في الدّنْيا بسَاعَتِه سَائِلْ بذَلِكَ أهلَ العِلْمِ ، وَالزّمَنِ
ما أوْضَحَ الأمْرَ لِلْمُلْقي بِعِبْرَتِهِ بَينَ التّفكّرِ ، وَالتّجْريبِ ، وَالفِطَنِ

أَلَسْتَ ، ياذا ، تَرى الدّنيا مُوَلِّيَةً فَمَا يَغُرُّكَ فيها مِنْ هَنٍ ، وَهَنِ
لأَعْجَبَنَّ ، وَأَنَّـي يَنْقَضِـي عَجَبي النّاس في غفْلَةٍ ، وَالمَوْتُ في سَنَنِ
وظَاعِنٍ ، مِن بَياض الرَّيْط كُسْوَتُهُ مُطَيَّب لِلْمَنَايَا ، غَيْرَ مُدَّهَنِ
غادَرْتُهُ ، بَعْـدَ تَشْيِيْعِيهِ ، مُنْجَدلاً في قُرْبِ دَارٍ ، وفي بُعْدٍ عَنِ الوَطَنَ
لا يَسْتَطِيْعُ انْتِقَاصًا فـي مَحَلَّتِهِ مِنَ القَبِيْح ولا يَـزْدادُ فـي الحسَن
الحَمْدُ للَّهِ شُكْراً ، ما أرى سَكَناً يَلْوِي ، بِبُحْبُوْحَةِ المَوتى ، على سَكَن
ما بالُ قَوْمٍ ، وَقَدْ صَحّتْ عُقولُهم فيْمَا ادّعَوْا يَشْتَرُوْنَ الغَيَّ بالثَّمَنِ
لَتَجْذِبَنِّي يَـدُ الـدّنْيا ، بِقُوتِها إلىَ المَنايا ، وَإنْ نـازَعْتُها رَسَنِي
وَأَيُّ يَـوْمٍ لِمَـنْ وَافَـى مَنِيَّتَـهُ يَـوْمُ تَبَيَّنُ فيـه صُـورَةُ الغبَنَ
للَّهِ دُنْيَـا أُنـاسٍ دائبِيـنَ لَهَـا قَدْ أُرْتِعُوْا في رِياضِ الغَيِّ ، والفِتَنِ
كَسَائِمـاتٍ رِوَاعٍ تَبْتَغِي سِمَناً وَحتَفُهـا لَـوْ دَرَتْ في ذَلِكَ السِّمَنِ

آخــــر:

تَـبَارَكَ مَنْ عَمَّ الـوَرَى بِنَـوَالِـهِ
وَأَوسَعَهُـمْ فَضْـلًا بِـإِسْبَـاغِ نِعْمَـةِ
وَقَـدَّرَ أَرْزَاقـاً لَـهُـمْ وَمَـعَـايِـشـاً
وَدَبَّـرَهُـمْ فـيْ كُـلِّ طَـوْرٍ وَنَـشْـأةِ
أَحَـاطَ بِهِمْ عِلْمـاً وَأَحْصَى عَـدِيْـدَهُم
وَصَـرَّفَـهُم عَن حِكْمَـةٍ والمَشِيْئَـةِ
وللهِ بَـيْـنَ الـمُـؤْمِـنِـيْـنَ وَمِـنْـهُـم
بِـكُـلِّ زمـانٍ كَمْ مُنِيْبٍ وَمُخْبِـتِ
وَكَمْ سَالِـكٍ كَمْ نَـاسِكٍ مُتَعَبِّـدِ
وَكَمْ مُخْلِصٍ فـي غَيْبِـهِ والشَّهَـادَةِ

وَكَـمْ صَابِرٍ كَـمْ صَـادِقٍ مُـتَـبَـتِّـلٍ
إِلَى اللهِ عَنْ قَـصْـدٍ صَـحِـيْـحٍ وَنِـيَّـةِ
وَكَمْ قَـانِتٍ أَوَّابَ فـي غَسَـقِ الـدُّجَى
مِنَ الخَـوْفِ مَـحْشُـوُ الـفُؤَادِ وَمُـهْجَـةِ
تُـنَاجِيْ بِـآيَـاتِ الـقُـرآنِ إِلَــهَــهُ
بِصَـوْتٍ حَـزِيْنٍ مَـعْ بُكَـاءٍ وَخَشْـيَـةِ
وَكَمْ ضَـامِـرِ الأَحْشَـاءِ يَـطْوِي نَهَـارَهُ
بِحَـرٍ هُجَيْـرٍ مَـا تَـهَـنَّـا بِشَـرْبَـةِ
وَكَـمْ مُـقْـبِـلٍ فـي لَـيْـلِهِ وَنَـهَـارِهِ
عَلَى طَـاعَـةِ المَـوْلَى بِجِـدٍّ وَهِـمَّـةِ
وَكَمْ زَاهِـدٍ في هَـذِهِ الـدَارِ مُـعْـرِضٍ
وَمُـقْـتَـصِـرٍ مـنـهـا عَـلَى حَـدِّ بُـلْغَـةِ
تَـزَيَّـنَـتِ الـدُّنْـيَـا لَـهُ وَتَـزَخْـرَفَـتْ
فَـغَضَّ وَلَـم يَـغْـتَـرَّ مِـنْـهَـا بِـزِيْـنَـةِ
وَكَـمْ عَـالِـمٍ بِـالـشَّـرْعِ للهِ عَـامِـلٌ
بِمُـوجَـبِـهِ فـي حَـالِ عُـسْـرٍ وَيُـسْـرَةِ
وَكَمْ آمِـرٍ بِـالـرُّشْـدِ نَـاهٍ عَنْ الـرَّدَى
سَـرِيْـعٍ إِلى الخَيْـرَاتِ مِنْ غَيـرِ فَتْـرَةِ
فَـإِنْ شِئْتَ أَنْ تَحْيَـا سَعِيْـداً مُـوَفَّقـاً
وَتُحْـظَى بِفَـوزٍ عِنْـدَ نَشْـرِ الصَّحِـيْفَـةِ
فَحَـافِظْ عَلَى المَفْرُوْضِ مِنْ كُـلِّ طَـاعَـةِ
وَأَكْـثِـرْ مِنَ الـنَّفْـلِ الـمُفِـيْـدِ لِـقُـرْبَـةِ

بِكُنْتُ لَـه سَمْعـاً إلَى آخِـرِ الـنَّبَـا
عَـنِ الله فِي نَصِّ الـرَّسُـولِ الـمُـثْبـتِ

وَكُـنْ فِي طَـعَـامٍ والْـمَـنَـامِ وَخِـلْطَةٍ
ونُـطْقٍ عَـلَى حَـدِّ اقْـتِـصَـارٍ وقِـلَّةِ

وَجَـالِسْ كِـتَـابَ اللهِ واحْلُلْ بِـسَـوْحِـهِ
وَدُمْ ذَاكِراً فَـالـذِّكْـرُ نُـوْرُ السَّـرِيْـرَةِ

عَـلَيْـكَ بِـهِ فِي كُـلِّ حِيْـنٍ وحَـالَـةٍ
وبِـالفِكْـرِ إنَّ الفِكْـرَ كُحْـلُ البَـصِيْـرَةِ

وَكُـنْ أَبَداً فِـي رَغْـبَـةٍ وَتَـضَـرُّعٍ
إلى اللهِ عن صِـدْقِ افْـتِقَارٍ وَفَـاقَـةِ

وَوَصْـفِ اضْـطِرَارٍ وانْـكِـسَـارٍ وَذِلَّـةٍ
وقَـلْبٍ طَـفُـوحٍ بِـالظُّنُوْنِ الـجَـمِيْـلَةِ

وَبَـعْـدُ فَـإِنَّ الـحَقَّ أَفْـضَـلُ مَـسْـلَكٍ
سَـلَكْتَ وَتَـقْـوَى اللهِ خَـيْـرُ بِـضَـاعَـةِ

وَمَن ضَيَّـعَ التَّقْـوَى وَأَهْـمَـلَ أَمْـرَهَـا
تَغَشَّـتْـهُ فِي الـعُقْبَى فُـنُـونُ النَّـدَامَـةِ

وَمَـنْ كَـانَتِ الـدُّنْيَـا قُصَـارَى مُـرَادِهِ
فقَـدْ بَـاءَ بِـالخُسْـرَانِ يَـومَ القِيَـامَـةِ

وَمَـن لَمْ يَـكُنْ فِـي طَـاعَـةِ اللهِ شُغْـلُهُ
عَـلَى كُـلِّ حَـالٍ لا يَـفُـوزُ بِـبُـغْـيَـةِ

وَمن أَكْثَر العِصْيَانِ مِنْ غَيْرِ تَوبَةٍ
فَذَاكَ طَرِيْحٌ في فَيَافي الغِوَايَةِ
بَعِيْدٌ مِنَ الخَيْرَاتِ حَلَّ بِهِ البَلاَ
وَوَاجَهَهُ الخُذْلاَنُ مِن كُلِّ وِجْهَةِ
تَنَكَّبَ عَجْزاً عَنْ طَرِيْقِ عَزِيْمَةٍ
وَمَالَ لِتَأْوِيْلٍ ضَعِيْفٍ وَرُخْصَةِ
يَهِمُّ بِلاَ جِدٍّ وَلَيْسَ بِنَاهِضٍ
عَلَى قَدَمِ التَشْمِيْرِ مِنْ فَرْطِ غَفْلَةِ
وَقَدْ سَارَ أَهْلُ العَزْمِ وَهُوَ مُخَلَّفٌ
وَقَدْ ظَفِرُوْا بِالقُرْب مِنْ خَيْرِ حَضْرَةِ
وَقَدْ أَدْرَكُوا المَطْلُوبَ وَهُو مُقَيَّدٌ
بِقَيْدِ الأَمَانِيْ وَالْحُظُوظِ الخَسِيْسَةِ
وَلَمْ يَنْتَهِزْ مِن فَائِتِ العُمْرِ فُرْصَةً
وَلَم يَغْتَنِمْ حَالَيْ فَرَاغٍ وَصِحَّةِ
عَجِبْتُ لِمَنْ يُوْصِيْ سِوَاهُ وَإِنَّهُ
لأَجْدَرُ مِنْهُ بِاتِّبَاعِ الوَصِيَّةِ
يَقُولُ بِلاَ فِعْلٍ وَيَعْلَمُ عَامِلاً
عَلَى ضِدِّ عِلْمٍ يَا لَهَا مِنْ خَسَارَةِ
عُلُومٌ كَأَمْثَالِ الجِبَالِ تَلاَطَمَتْ
وَأَعْمَالُهُ في جَنْبِهَا مِثْلُ قَطْرَةِ

وَقَـدْ أنْـفَقَ الأيَّـامَ فـي غَيْـرِ طَـائِـلٍ
كَمِثْـلِ اللَّيَـالِيْ إذْ تَـقَـضَّـتْ وَوَلَّـتِ
عَلَى السَّوْفِ والتَّسْوِيْفِ شَـرُّ مُصَاحِبٍ
وَقَـوْلِ عَـسَـى عَـنْ فَـتْـرَةٍ وَبَـطَالَـةِ
وَلَمْ يَخْشَى أنْ يَـفْجَـاهُ مَـوتٌ مُـجَهِّـزٌ
فَـإنَّ مَجِيءَ الـمَـوْتِ غَـيْـرُ مُـؤَقَّـتِ
وَلَـمْ يَـتَـأَهَّـبْ لِـلرُّجُـوْعِ لِـرَبِّـهِ
وَلَـمْ يَتَـزَوَّدْ لِـلطَّرِيْـقِ الـبَـعِـيْـدَةِ
وَبَينَ يَـدَيْـهِ الـــمَوْتُ والقَبْـرُ والبِلَى
وَبَـعْـثٌ ومِـيْـزَانٌ وَأَخْـذُ الـصَّـحِـيْـفَـةِ
وَجَسْـرٌ عَلَى مَتْنِ الـجَحِيْمِ وَمَـوْقِـفٌ
طَـوِيْـلٌ وَأَحْـوَالُ الحِسَـابِ المَهُـوْلَـةِ
ولَـكِنَّـهُ يُـرْجُـو الـذِي عَـمَّ جُـوْدُهُ
وإحْسَانُهُ وَالـفَـضْـلُ كُـلَّ الـخَـلِيْقَـةِ

إلهٌ رَحِيـمٌ مُـحْسِـنٌ مُـتَـجَـاوِزٌ
إلَيْـهِ رُجُـوعِي فـي رَخَـائِي وَشِـدَّتِيْ
غِيَـاثِيْ إذَا ضَـاقَتْ عَلَيَّ مَـذَاهِـبِي
وَمِنْـهُ أرَجِّي كَشْفَ ضَـرِّي وَمِحْنَتِي
فَيَـا ربُّ ثَبِّتْنَـا عَـلَى الحَـقِ والهُـدَى
وَيَـا رَبَّنَـا اقْبِضْنَـا عَـلَى خَيْـرِ مِلَّةِ

وَعُـمَّ أُصُـولاً والـفُـرُوعَ بِـرَحْـمَـةٍ
وأَهْـلاً وَأَصْـحَـابَـاً وَكُـلَّ قَـرَابَـةِ

وَسَـائِـرَ أَهْـلِ الـدِّيْنِ مِن كُـلِّ مُسْلِمٍ
أَقَـامَ لَـكَ التَّـوْحِيْـدَ مِنْ غَيْـرِ رِيْبَـةِ

وَصَـلِّ وَسَلِّم دَائِـمَ الـدَّهْـرِ سَـرْمَـدَا
عَلَى خَيْـرِ مَبْعُـوْثٍ إِلَى خَيْـرِ أُمَّـةِ

شعرا :

أَسِيْـرُ الْخَـطَايَا عِنْـدَ بَـابِكَ يَقْـرَعُ
يَخَافُ وَيَرْجُو الفَضْلَ فَالْفَضْلُ أَوْسَعُ

مُقِـرٌّ بِـأَثْقَـالِ الـذُّنُـوْبِ وَمُكْثِـرٌ
وَيَـرْجُوكَ فِي غُفْـرانِهَا فَهْـوَ يَـطْمَعُ

فَـإِنَّكَ ذُوْ الإِحْسَـانِ وَالْجُوْدِ وَالْعَـطَا
لَكَ الْمَجْدُ وَالإِفْضَـالُ وَالْمَنُّ أَجْمَعُ

فَكَمْ مِنْ قَبِيْـحٍ قَدْ سَتَرْتَ عَنِ الْوَرَى
وَكَـمْ نِعَـمٌ تَتْـرَى عَـلَيْنَـا وَتَـتْبَـعُ

وَمَنْ ذَا الـذَّيْ يُرْجَى سِـواكَ وَيُتَّقَى
وَأَنْتَ إِلَـهُ الْخَلْقِ مَـا شِئْتَ تَصْنَـعُ

فَيَـا مَنْ هُوَ الْقُـدُّوْسُ لَا رَبَّ غَيْـرَهُ
تَبَـارَكْتَ أَنْتَ اللَّهُ لِلْخَلْقِ مَـرْجِـعُ

وَيَا مَنْ عَلَى العَرْشِ اسْتَـوى فَوْقَ خَلْقِهِ
تَبَـارَكْتَ تُعْـطِى مَنْ تَشَـاءُ وتَمْنَـعُ

بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى وأَوْصَافِكَ الْعُلَى
تَـوَسَّـلَ عَبْـدٌ بَـائِسٌ يَتَضَـرَّعُ
أَعِنِّي على المَـوْتِ الْمَرِيرَةِ كَأْسُهُ
إذا الـرُّوحُ مِنْ بَيْنِ الْجَوانِـحِ تُنْزَعُ
وَكُنْ مُؤْنِسِي في ظُلْمَةِ الْقَبْرِ عِنْدَمَا
يُـركُمُ مَنْ فَـوْقِـيْ التُّـرَابَ وَأُوْدَعُ
وَثَـبِّتْ جَنَـانِيْ لِـلسُّؤَالِ وَحُـجَّتِـيْ
إذَا قِيْـلَ مَنْ رَبٌّ وَمَنْ كُنْتَ تَتْبَـعُ
وَمِنْ هَوْلِ يَوْمِ الحَشْرِ وَالْكَرْبِ نَجِّنِيْ
إذَا الرُّسْلُ وَالأَمْـلاَكُ وَالنَّاسُ خُشَّـعُ
وَيَا سَيِّدِيْ لاَ تُحزِنِيْ فِي صَحِيْفَتِي
إذَا الصُّحْفُ بَيْنَ الْعَـالَمِينْ تُـوَزَّعُ
وَهَبْ لِيْ كِتَـابِي بِـالْيَمِـيْنِ وَثَـقِّلَنْ
لِمِيْـزَانِ عَبْـدٍ فِي رَجَـائِـكَ يَـطْمَعُ
وَيَـارَبِّ خَلِّصْنِيْ مِنَ الـنَّـارِ إنَّهَـا
لَـبِئْسَ مَقَـرٌّ لِـلْغُـوَاةِ وَمَـرْجِـعُ
أَجِـرْنِيْ أَجِـرْنِيْ يَـا إلَهِيْ فَلَيْسَ لِيْ
سَـوَاكَ مَـفَـرٌّ أوْ مَـلاَذٌ وَمَـفْـزَعُ
وَهَبْ لِيْ شِفَـاءً مِنْكَ رَبِّي وَسَيِّـدِيْ
فَمَنْ ذَا الـذِيْ للضُّـرِّ غَيْـرُكَ يَـدْفَـعُ
فَـأَنْتَ الَّـذِيْ تُـرْجَى لِكَشْفِ مُلِمَّـةٍ
وَتَسْمَـعُ مُضْـطرًا لِبَـابِـكَ يَقْـرَعُ

فقَدْ أعْيَتِ الأسْبَابُ وَانْقَطَعَ الرَّجَا
سِوَى مِنْكَ يَا مَنْ لِلخَلائِقِ مَفْزَعُ
إلَيْكَ إلَهِي قَدْ رَفَعْتُ شِكَايَتِي
وَأنْتَ بِمَا أَلْقَاهُ تَدْرِي وَتَسْمَعُ
فَفَرِّجْ لَنَا خَطْباً عَظِيْماً وَمُعْضلاً
وَكَرْبَاً يَكَادُ القَلْبُ مِنْهُ يُصَدَّعُ

وَمَاذَا عَلَى رَبِّي عَزِيْزٌ وَفَضْلُهُ
عَلَيْنَا مَدَى الأنْفَاسِ يَهْمِي وَيَهمَعُ
فَكَمْ مِنَحٍ أعْطَى وَكَمْ مِحَنٍ كَفَى
لَهُ الْحَمْدُ والشُّكْرانُ وَالْمَنُّ أجْمَعُ
وَأزْكَى صَلاَةِ اللَّهِ ثُمَّ سَلاَمُهُ
عَلَى الْمُصْطَفَى مَنْ في الْقِيَامَةِ يَشْفَعُ
إنْتَهَى

آخــر :
وإيَّاكَ والدُّنْيَا الدَّنِيَّةَ إنَّهَا
هِيَ السِّحْرُ في تَخْيِيْلِهِ وافْتِرَائِهِ
مَتَاعُ غُرُوْرٍ لاَ يَدُوْمُ سُرورُهَا
وَأضْغَاثُ حُلْمٍ خَادِعٍ بِهَبَائِهِ
فَمَن أكْرَمَتْ يوماً أهَانَتْ لَهُ غَداً
وَمَنْ أضْحَكَتْ قَدْ آذنَتْ بِبُكَائِهِ

وَمَن تَسْقِهِ كَأساً مِن الشهْدِ غُدْوَةً
تُجَرِّعُهُ كَأسَ الرَّدَى في مَسَائِهِ

وَمَن تَكْسُ تَاجَ المُلْكِ تَنْزَعُهُ عَاجِلاً
بِأَيْدِي المَنَايَا أَوْ بِأَيْدِي عِدَائِهِ
أَلاَ إِنَّهَا لِلْمَرْءِ مِنْ أَكْبَرِ العِدَا
وَيَحْسَبُهَا المَغْرُورُ مِن أَصْدِقَائِهِ
فَلَذَّاتُهَا مَسْمُومَةٌ وَوُعُودُهَا
سَرَابٌ فَمَا الظَّامِي رَوَى مِن عَنَائِهِ
وَكَمْ فِي كِتَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ ذَمِّهَا
وَكَمْ ذَمَّهَا الأَخْيَارُ مِن أَصْفِيَائِهِ
فَدُونَكَ آيَاتِ الكِتَابِ تَجِدْ بِهَا
مِن العِلْمِ مَا يَجْلُوا الصَّدَا بِجَلاَئِهِ
وَمَن يَكُ جَمْعُ المَالِ مَبْلَغَ عِلْمِهِ
فَمَا قَلْبُهُ إِلاَّ مَرِيضاً بِدَائِهِ
فَدَعْهَا فَإِنَّ الزُّهْدَ فِيهَا مُحَتَّمٌ
وإِنْ لَم يَقُمْ جُلُّ الوَرَى بِأَدَائِهِ
وَمَن لَمْ يَذَرْهَا زَاهِداً فِي حَيَاتِهِ
سَتَزْهَدُ فِيهِ النَاسُ بَعْدَ فَنَائِهِ
فَتَتْرُكُهُ يَوْماً صَرِيعاً بِقَبْرِهِ
رَهِيناً أَسِيراً آيِساً مِن وَرَائِهِ
وَيَنْسَاهُ أَهْلُوهُ المُفَدَّى لَدَيْهِمُ
وَتَكْسُوهُ ثَوبَ الرُّخصِ بَعْدَ غَلاَئِهِ
وَيَنْتَهِبُ الوُرَّاثُ أَمْوَالَهُ الَّتي
عَلى جَمْعِهَا قَاسَى عَظِيمَ شَقَائِهِ

وَتُسْكِنُهُ بَعدَ الشَّواهِقِ حُفْرةً
تَضِيقُ بِهِ بَعْدَ اتِّسَاعِ فَضَائِهِ
يُقِيمُ بهَا طولَ الزمانِ وَمآلَهُ
انيسٌ سوى دُوْدٍ سَعَى في حَشَائِهِ
فَوَاهاً لَهَا مِن غُربةٍ ثم كُرْبَةٍ
ومِن تُربَةٍ تَحْوِي الفَتى لِبَلائِهِ
وَمِن بَعدِ ذا يَومُ الحِسَابِ وهَوْلُه
فَيُجزَى بِهِ الانسانُ أوْ فى جَزائِهِ
وَلاَ تَنْسَ ذِكرَ الموتِ فالموتُ غائبٌ
ولا بُدَّ يَوْماً لِلْفَتى مِن لِقَائِهِ
قَضَى اللهُ مَوْلانا عَلى الخَلْقِ بِالفَنَا
ولا بدَّ فِيهم مِن نُفُوذِ قَضَائِهِ
فَخُذْ أُهْبَةً لِلْمَوتِ مِن عَمَلِ التُّقى
لِتَغْنَمَ وَقْتَ العُمْرِ قَبْلَ انْقِضَائِهِ
وإيَّاكَ والآمالَ فَالعُمْرُ يَنْقَضِي
وَأَسْبَابُهَا مَمْدُوْدَةٌ مِن وَرَائِهِ
وَحَافِظْ على دِينِ الهُدَى فَلَعلَّهُ
يَكونُ خِتامَ العُمْرِ عندَ انتِهَائِهِ
فَدَوْنَك مِنِّي فاسْتَمعها نَصِيْحَةً
تُضَارِعُ لَونَ التِّبْرِ حَالَ صَفَائِهِ

وصَلِّي على طُوْلِ الزمانِ مُسَلِّمَاً
سَلاماً يَفُوقُ المِسْكَ عَرْفُ شَذَائِهِ

عَلى خـاتَمِ الرسْـلِ الكِـرَامِ مُحَمَّـدٍ
وأصحـابِـهِ والآلِ أهـلِ كِسَـائِـهِ
واتْبَـاعِهِم في الدينِ مـا اهْتَزَّ بـالـرُّبَـا
رِيـاضٌ سَقَـاهَـا طَلُّهَـا بِنَـدَائِـهِ
إنْتَهى

غـربة الإســلام

على الدِّينِ فلْيَبْكِي ذوُو العِلم والهُدى ... فقـدْ طَمَسَتْ أعلامُـهُ في العَوالِمِ
وقَدْ صَارَ إقبالُ الوَرى واحتيالِهم ... عَلَى هذه الدُّنيـا وجمعِ الدراهمِ
وإصْـلَاحِ دُنياهُم بإفسادِ دِينِهم ... وتحصيلِ ملـذُوذَاتِهـا والمطـاعمِ
يُعادُون فيها بَلْ يُوالُون أهلهَـا ... سَواءً لَدَيهم ذُو التُـقى والجَرَائِمِ
إذْ انْتَقَصَ الإنسانُ مِنها بما عَسَى ... يكونُ لهُ ذُخْراً أتى بالعَظَائِمِ
وأبْدَى أعَاجِيباً مِن الحزنِ والأسى ... على قِلَّةِ الأنصارِ مِنْ كلِّ حازمِ
وناحَ عَلَيْهَا آسفاً مُتَظَلِّمـاً ... وبَاحَ بما في صـدْرِهِ غَيْرَ كاتمِ
فأمَّا على الدِّين الحنيفِي والهُـدى ... ومِـلَّةِ إبراهيم ذاتِ الدِّعـائِمِ
فَلَيْسَ عَلَيْهَا والذي فَلَقَ النَّوى ... مِنَ الناسِ مَن باكٍ وآسٍ ونَادِمِ
وقَدْ دُرِسَتْ منها المعالِمُ بلْ عَفَتْ ... ولَمْ يَبْقَ إلاَّ الاسمُ بينَ العَوالمِ
فلا آمِـرٌ بالعُرفِ يُعرفُ بيْننَا ... ولا زَاجِـرٌ عن مُعْضِلاتِ الجَرائِمِ
ومِـلَّةُ إبراهيمَ غُـودِرِ نَهجُها ... عَفَـاءً فأضْحَتْ طامِسـاتِ المَعَالِمِ
وقَدْ عَدَمتِ فِينا وكَيْفَ وقَدْ سَفَتْ ... عَلَيْهَا السـوافي في جمِيع الأقَالِمِ
وما الدِّينُ إلا الحُبُّ والبُغْضُ والوَلَا ... كَذَاكَ البَرء مِنْ كلِّ غاوٍ وآثِمِ
ولَيْسَ لَهَـا مِن سَالِكٍ مُتمسِّكٍ ... بِدِينِ النبيّ الأبطحيِّ ابنِ هاشِمِ
فَلَسنَا نَرَى مَا حَلَّ بالدينِ وإمَّحَتْ ... به المِـلَّةُ السمحاءُ إحدى القواصمِ

فنأسَى علي التقصيرِ مِنَّا ونَلْتَجِي إلَى اللهِ في مَحْوِ الذنوبِ العظائِمِ
فَنَشْكُوا إلى اللهِ القُلُوبَ التي قَسَتْ ورَانَ عَلَيْهَا كَسْبُ تِلكَ المآثِمِ
ألسْنَا إذا ما جَاءَنَا مُتَضَمِّخٌ بأوضارِ أهلِ الشركِ مِن كلِّ ظالمِ
نهشُّ إليهم بالتحيَّـةِ والثَّنَـا ونَهْرعُ في إكْرَامِهِـم بالوَلَائِـمِ
وقَدْ بَرِءَ المَعْصُومُ مِنْ كلِّ مُسلمٍ يُقيمُ بِدارِ الكفرِ غَيرُ مُصَـارِمِ
ولكنَّما العَقْلُ المَعيْشيُّ عِنْـدنَا مُسَالَمَةَ العَاصِين مِنْ كُلِّ آثِمِ
فيا مِحْنةَ الإسلامِ مِنْ كلِّ جَاهلٍ ويَا قِلةَ الأَنصـارِ مِن كُلِّ عَالمِ
وهذَا أوانُ الصَبْرِ إنْ كُنْتَ حَازِماً عَلَى الدِّين فاصْبِرْ صَبْرَ أهْلِ العَزَائِمِ
فَمَنْ يَتَمَسَّكْ بالحَنِيْفِيَّـةِ التِي أتَتْنَـا عن المعصـومِ صَفْوةَ آدمِ
لَهُ أجْرُ خَمْسِينَ امرءً مِنْ ذَوِي الهدى مِنْ الصحبِ أصْحَابِ النَّبِي الأكَارمِ
فَنُحْ وابْكِ واسْتَنْصِرْ بَربِّكَ رَاغِباً إليهِ فإنَّ اللهَ أرْحَـمُ رَاحِـمِ
لِيَنْصُرَ هَذا الدِّين مِنْ بَعْدِ مَا عَفَتْ مَعَالِمُهُ في الأرضِ بَيْنَ العَوالِمِ
وصـلِّ على المعصومِ والآلِ كلِّهُم وأصحابِهِ أهْلِ التُـقى والمَكَارِمِ
بِعَدِّ ومِيْضِ البَرْقِ والرَّمْلِ والحَصَى وما انْهَلَّ وَدْقٌ مِنْ خِلالِ الغَمَائِمِ

* * *

آخـر :

والله حرَّم مُكْثَ مَنْ هو مُسْلم في كلِّ أرضٍ حلَّهَـا الكُفَّـارُ
ولهُمْ بِهَا حُكْمُ الوِلَايـةِ قاهِـرٌ فارْبأْ بنفسِـكَ فالمَقَـام شَـنَارُ
وانْظُرْ حَديثاً في البَرءَةِ قَـدْ أتَى نَقلُ الثُّقَـاةِ رُواتُـه الأَخْيَـار
فيه البَراءَةُ بالصَّراحَـةِ قَدْ أتَتْ مِن مُسْـلمٍ وكَذلِكَ الآثَارُ
قَدْ صَرَّحَتْ فِيمَنْ أَقَامَ بِبَلْـدَةٍ مُسْتوطِنـاً وَوُلاتُهَـا الكُفَّـارُ
والمـرءُ لَيسَ بمظهـرٍ للـدِّين بَلْ لِلْمُكثِ في أوطَـانِـه يَخْتَـارُ
إلا الَّذي هُوَ عَاجِـزٌ مُستضعَفٌ فالنَّصُّ جَـاءَ بعـذرِه لا العَارُ

والحبُّ والبُغضُ الَّـذي هـو دِينُنا ... وعـداوةٌ في اللهِ وهْيَ عِيَـارُ
وكَـذا المَوَالاةُ الَّتِي لِجَـلالِه ... إنْ أَمْعنَتْ في ذلِكَ الأَنْظَـارُ
أمـرٌ محـالٌ في ولايـةِ مَنْ طَغَى ... لَوْ كَانَ حَقـاً ما دَهَاكَ قَـرارُ
أوْ مَا سَمِعْتَ بقيلهم لنبيِّهم ... والمُؤمنيـنَ أُوْلَئِـكَ الفُجَّـارُ
فانْظُرْ إلى الأعْراف إذا قالُوا لـهُ ... أَغْنِى شُعَيْبـاً قومُـه الأشْـرَارُ

وانْظُرْ إلى ما قال في الكهفِ الَّذي ... فِيـهِ البيَـانُ لِمَـنْ لَـهُ إبْصَـارُ
أو مَا تَرَى أنَّ القُلُوبَ إذَا امْتَلَتْ ... حُبَّـاً وإيمَـاناً لَهَـا أَنْـوَارُ
وَلَهَـا بِذلِكَ غَـيرةٌ فتَغَـارُ مِنْ ... رُؤيـا المَعَـاصِي والسَّعِيـدُ يَغَـارُ
واحْذَرْ مَقَـالَة جاهِلٍ إذْ غَـرَّه ... مِنْ جَهْلِهِ الإعْـرَاضُ والغَـرَّارُ
إذ قال نُظهرُ دِينَنا جهـلاً ولَمْ ... يَـدْرِ الفَـتَى المسكينُ مَا الإظهارُ
فاسْمَع إذاً إظهَارَه عن ظَاهرِ القُـ ... ـرآنِ بَلْ جَاءَتْ بِهِ الآثَـارُ
إظهَارُ هـذ الدِّينِ تصريحٌ لهـم ... بالكفرِ إذْ هُمْ مَعْشَـرٌ كُفَّـارُ
وعَداوةٌ تَبْدُو وبُغْضٌ ظَـاهِـرٌ ... يالَ العقولِ أَمَا لَـكُم أَشْعَـارُ
هَـذا ولَيْسَ القلبُ كَـافٍ بُغْضُـه ... والحُبُّ مِـنه ومَا هُـو المِعْيَـارُ
لَكنَّما المعيَـارُ أنْ تَـأْتِي بِهِ ... جَهْراً وتصـريحاً لهم إذ جَـارُ
فاسئَل إلهـكَ رَاغِبـاً مُتَضَـرِّعاً ... أَنْ لا يُضلَّكَ بالهـوَى الغَـرَّارُ
واسـأَلْهُ في غَسقِ اللَّيـالِي والدُّجى ... أن لا يَصُـدَّكَ عَنْ هُدَاكَ شَرَارُ
وعَلَى النَّبيِّ وصحبِـه والآلِ مَا ... هبَّ النسيمُ ومَاضَتِ الأَنْـوارُ
أزكى الصَّـلاةِ مَعَ السَّلامِ هَدِيَّةً ... مَا انْهَـلَّ مِنْ مُغْدَودِقٍ أمْطَـارُ

آخـــر :

لَيْتَ شِعْرِي سَاكِنَ القَبرِ المشيْدْ ... هَلْ وَجَدْتَ اليومَ فِيهِ مِن مَزِيْدْ
وهَلِ البَاطِنُ فيهِ مِثْلَ مَا ... هُوَ فِي الظَاهِرِ تَزْوِيْقاً وَشِيْدْ

وهَلِ المضْجَعُ فيْهِ لَيِّنٌ أوْ سَعِيْرٌ مالَهَا فيه خُمُــوْدْ
وهَلِ الأرْكَانُ فِيه بِالتُّقَــى نَيِّراتٌ أوْ بأعْمَالِكَ السُوْدْ
لَيْتَ شِعْرِيْ سَاكِن القَبْرِ المشَيْدْ أشَقِيٌّ أنْتَ فيه أمْ سَعِيْدْ
أقَرِيْبٌ أنْتَ مِن رَحْمَةِ مَنْ وَسِعَ العَالَمَ إحْسَانًا وجُوْدْ
أمْ بَعِيْدٌ أنْتَ مِنْهَا فَلَقَدْ طُرِقَتْ دَارُكَ بالوَيْلِ البَعِيْـدْ
ولَقَـدْ حَلَّ بأرْجَائِكَ مَا ضَاقَ عَنْهُ كُلُّ مَا في ذَا الْوُجُوْدْ
أيُّهَـا الغَافِـلُ مِثْلِيْ وإلىَ كَمْ تَعَامَي وتَلَوّي وَتَحِيْدْ
أُذْنُ فاقْرَأْ فَوْقَ رَأسِيْ أحْرُفاً خَرَجَتْ وَيْحَكَ مِنْ قَلْبِ عَمِيْدْ
صَرَعَتْـهُ فِكْــرَةٌ صَادِقَــةٌ وهُمُوْمٌ كُلَّمَا تَمْضِيْ تَعُوْدْ
ونَدَامَاتٌ لأيَّــامٍ مَضَــتْ هُوَ مِنْهَـا في قِيَامٍ وقُعُـوْدْ
وغَداً تَرْجِعُ مِثْلِيْ فِاتَّعِـظْ بِيْ وإلاَّ فَامْضِ وأعْمَلْ مَا تُرِيْدْ
قَدْ نَصَحْنَاكَ فإن لَمْ تَرَهُ سَيَراهُ بَصَــرُ مِنْكَ حَدِيْدْ

شــعْرا:

إذَا شِئْتَ أنْ تَحْيا سَعِيْداً مَـدَىٰ العُمْـرِ
وَتَسْكُنَ بَعْـدَ المَـوْتِ في رَوْضَــةِ القَبْـرِ
وَتُبْعَثَ عِنْـدَ النَّفْــخِ في الصُّــوْرِ آمِنــاً
مِنْ الخَوفِ وَالتَّهْدِيْدِ وَالطَّرْدِ والخُسْرِ
وَتُعْرَضَ مَــرْفُــوعــاً كَــرِيْــمــاً مُــبَــجَّــلاً
تُـبَـشَّــرُكَ الأَمْــلاَكُ بــالــفَــوْزِ وَالأجْــرِ
وَتَــرْجَــحَ عِنْــدَ الــوَزْنِ أعْمَــالُــكَ الَّتِيْ
تُسَــرُّ بِهَـا في مَــوْقِفِ الحَشْــرِ وَالنَّشْــرِ

وَتَمْضِيْ عَلى مَتْنِ الصِّرَاطِ كَبَارِقٍ
وَتَشْرَبَ مِنْ حَوْضِ النَّبي المُصْطَفى الطُّهْرِ
وَتَخْلُدَ في أَعْلى الجِنَانِ مُنَعَّماً
حَظِيّاً بقُرْب الوَاحِدِ الأَحَدِ الوِتْرِ

عَلَيْكَ بِتَوْحِيْدِ الإلهِ فَإِنَّهُ
إِذَا تَمَّ فَازَ العَبْدُ بالقُرْبِ وَالأَجْرِ
وَخُذْ مِنْ عُلُومِ الدِّيْنِ حَظّاً مُوَفراً
فَبِالعِلْمِ تَسْمُو في الحَيَاةِ وفي الحَشْرِ
وَوَاظِبْ عَلى دَرْسِ القُرْآن فَإنَّ في
تِلاَوَتِهِ الأَرْبَاحُ والشَّرْحُ لِلصَّدْرِ
ألا إِنَّهُ البَحْرُ المُحِيْطُ وَغَيْرُهُ
مِنْ الكُتْبِ أَنْهَارٌ تُمَدُّ مِنْ البَحْرِ
تَدَبَّرْ مَعَانِيْهِ وَرَتِّلْهُ خَاشِعاً
تَفُوزُ مِنْ الأَسْرَارِ بالكَنْزِ والذُّخْرِ
وَكُنْ رَاهِباً عِنْدَ الوَعِيدِ وَرَاغِباً
إذَا ما تَلَوْتَ الوَعْدَ في غَايَةِ البِشْرِ
بَعِيْداً عن المَنْهِيّ مُجْتَنِباً لَهُ
حَرِيْصاً على المَأْمُورِ في العُسْرِ وَاليُسْرِ
وَإِنْ رُمْتَ أَنْ تَحْظَى بِقَلْبٍ مُنَوَّرٍ
نَقِيّ مِنْ الأَغْيَارِ فاعْكُف عَلى الذِّكْرِ

وَوَاظِبْ عَلَيْـهِ في الظَّلامِ وَفي الضِّيَـا
وفي كُلِّ حَالٍ بـالـلِّسَـانِ وفـي الـسِّـرِّ

وَصَـفٌ مِـنْ الأَكْـدَارِ سِـرَّكَ إِنَّـهُ
إِذَا مَـا صَفَـا أَوْلاكَ مَعْنىً مِنْ الفِـكْـرِ

وَبِـالجِـدِّ وَالصَّبْـرِ الجَمِيْـلِ تَجِـلُّ في
فَسِيْـحِ العُلى فاسْتَـوْصِ بـالجِـدِّ وَالصَّبْرِ

وَكُـنْ شَـاكِـراً لِـلّهِ قَـلْبـاً وَقَـالَـبـاً
عَلى فَضْلِهِ إِنَّ المَـزِيْـدَ مَـعَ الـشُّكْـرِ

تَـوَكَّـلْ عَـلى مَـوْلَاكَ وَارْضَ بِحُـكْمِـهِ
وَكُنْ مُخْلِصـاً لِلّهِ فـي السِّـرِّ والـجَهْـرِ

قَنُـوعـاً بِمَـا أَعْـطَاكَ مُسْتَغْنِيـاً بِـهِ
لَـهُ حَـامِـداً في حَـالَيْ العُسْـرِ وَاليُسْـرِ

وَكُنْ بـاذِلاً لِلْفَضْـل سَمْحـاً وَلَا تَخَفْ
مِـنْ اللّهِ إِقْـتَـاراً ولا تَـخْشَ مِـنْ فَـقْـرِ

وَإِيَّـاكَ وَالـدُّنْـيَـا فـإِنَّ حَـلَالَهَـا
حِسَـابٌ وفي مَحْظُوْرِهَـا الهَتْـكُ لِلسِّـرِّ

وَلَا تَـكُ عَـيَّـابـاً وَلَاتَـكُ حَـاسِـداً
وَلَا تَـكُ ذا غِشٍّ وَلَا تَـكُ ذَا غَـدْرِ

وَلَا تَـطْلُبَـنَّ الـجَـاهَ يـا صَـاحِ إِنَّـهُ
شَهِيٌّ وفيْـهِ السُّمُّ مِنْ حَيْثُ لَا تَـدْرِي

وَإِيَّــاكَ وَالأَطْــمَــاعَ إِنَّ قَــرِيْــنَــهــا
ذَلِيْــلٌ خَسِيْسُ القَصْــدِ مُتَّضِــعُ القَــدْرِ

وَإِنْ رُمْــتَ أَمْــراً فَــاسْــأَلِ الــلهَ إِنَّــهُ
هُــوَ المُفْضِلُ الـوَهَّـابُ لِلْخَيْــرِ وَالـوَفْــرِ

وَأُوْصِيْــكَ بِـالخَمْسِ التِي هُنَّ يــا أَخِيْ
عِــمَــادٌ لِــدِيْــنِ الــلهِ واسِــطَةُ الأَمْــرِ

وَحَــافِظْ عَــلَيْهَــا بِــالـجمــاعَــةِ دائِــمــاً
وَوَاظِبْ عليْهَــا في العِشَــاءِ وفي الفَجْــرِ

وَقُــمْ فــي ظَــلَامِ الـلَيْــلِ لِـلهِ قَــانِتــاً
وَصَــلِّ لَــهُ وَاخْتِمْ صَــلاَتَــكَ بِــالــوِتْــرِ

وَكُــنْ تَــائِبــاً مِنْ كُــلِّ ذَنْــبٍ أَتَــيْــتَــهُ
وَمُسْتَغْفِــراً فــي كُــلِّ حِيْــنٍ مِنْ الــوِزْرِ

عَسَى المُفْضِــلُ المَوْلَى الكَــرِيْمُ بِمَنِّــهِ
يجُــودُ على ذَنْــبِ المُسِيْئِيْنَ بِــالـغَفْــرِ

فَــإِحْــسَــانُــهُ عَــمَّ الأنــامَ وَجُــوْدُه
عَلَى كُــلِّ مَخْلُوقٍ وَإِفْضَــالُــهُ يَجْــرِيْ

وَصَــلِّ عَــلى خَــيْــرِ الــبَــرِيَّــةِ كُــلِّهَــا
مُحَمَّــدٍ الـمَبْـعُـوثِ بِــالبِشْــرِ وَالنُّــذْرِ

إنتهى

آخـــــر:

وَإنْ تَتَحلَّى بالسَّمَــاحَةِ وَالسَّخَاء يُقَالُ سَفِيْهٌ أَخْرَقٌ لَيْسَ وَاعِيَــا
وَإنْ أَمْسَكْتَ كَفَّاكَ حَالَ ضَرُوْرَةٍ يُقَالُ شَحِيْحٌ ممْسِــكٌ لا مُسَاوِيَا
وَإنْ ظَهَرَتْ مِنْ فِيْكَ يَنْبوعُ حِكْمَةٍ يُقولُونَ مِهْـــذَاراً بَذِياً مُبَــاهِيَا
وَعَنْ كُلِّ مَا لَا يَعْنِ إنْ كُنْتَ تَارِكاً يَقُولُونَ عَنْ عِيٍّ مِنَ العَجْزِ صَاغِيَا
وَإنْ كُنْتَ مِقْدَاماً لِكُلِّ مُلِمَّةٍ يُقَالُ عَجُولٌ طَائِشُ العَقْلِ وَاهِيَا
وَإنْ تَتَغَاضَى عَنْ جَهَــالَةِ نَاقِصٍ يَعُدُّوكَ خَوّاراً جَبَــاناً وَلاهِيَــا
وَإنْ تَتَقَاصَى بِاعْتِزالِكَ عَنْهُمُوا يَخَالُوكَ مِنْ كِبْرٍ وَتِيْهٍ مُجَافِيَـا
وَإنْ تَتَـدَانَى مِنْهُــم لِتَآلُـفٍ يَظُنُّوكَ خَدَّاعاً كَذُوْباً مُرَائِيَــا

تَرَى الظُّلْمَ مِنْهُم كَامِناً فِي نُفُوسِهِم كَذَا غَدْرُهُم فِي طَبْعِهِمْ مُتَوَارِيَا
فَفِيْ قُوَّةِ الانْسَــانِ يَظْهَرُ ظُلْمُهُ وَفِي عَجْزِهِ يَبْقَى كَمَا كَانَ خَافِيَا
وَهَيْهَاتَ تَنْجُو مِنْ غَوَائِلِ فِعْلِهِم وَأَقْوَالِهِمْ مَهْمَا تَكُنْ مُتَحَـاشِيَــا
فَمَنْ رَامَ إرْضَاءُ الأنام بِقَــوْلِهِ وَفِعْلٍ غَدَا لِلْمُسْتَحِيْلِ مُعَانِيَا
وَمَنْ ذَا الذِيْ أَرْضَى الخَلَائِقَ كُلَّهُم رَسُولاً نَبِيًّا أَمْ وَلِيّــاً وَقَاضِيَــا
وَأَعْظَمُ مِنْ ذَا خَالِقُ الخَلْقِ هَلْ تَرَى جَمِيْعَ الوَرَى فِي قِسْمَةٍ مِنْهُ رَاضِيَا
إِذَا كَانَ رَبُّ الخَلْقِ لَمْ يُرْضِ خَلْقَهُ فَكَيْفَ بِمَخْلُوقٍ رِضَاهُمْ مُرَاجِيَا
فَلازِمْ رِضَى رَبِّ العِبَــادِ إِذاً وَلَا تُبَالِ بِمَخْلُوقٍ إِذَا كُنْتَ زَاكِيا
وَسَدِّدْ وَقَارِبْ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا يُكَلَّفُ عَبْدٌ فِعْلَ مَا كَانَ قَاوِيَا

إِنْتَهَى

يَــا نَفْسُ تُـوبِي فَــإِنَّ المَـوْتَ قَــدْ حَـانَــا
وَاعْصِي الْهَــوى فَـالْهَــوى مَـا زَالَ فَتَّـانَــا

أمَا تَرَيْنَ المَنَايَا كَيْفَ تَلْقُطُنَا
لَقْطاً فَتُلْحِقُ أُخْرَانَا بِأُوْلاَنَا
في كُلِ يَوْمٍ لَنَا مَيْتٌ نُشَيِّعُه
نَرَى بِمَصْرَعِهِ آثَارَ مَوْتَانَا
يَا نَفْسُ مَالِي وَلِلأَمْوَالِ أَتْرُكُهَا
خَلْفِي وَأُخْرَجُ مِن دُنْيَايَ عُرْيَانَا
أبَعْدَ خَمْسِيْنَ قَدْ قَضَيْتُهَا لَعِبَا
قد آنَ أنْ تَقْصُري قَدْ آنَ قَدْ آنا
ما بَالُنَا نَتَعَامَى عَن مَصَائِرِنَا
نَنْسَى بغَفْلَتِنَا مَن لَيْسَ يَنْسَانَا
نَزْدَادُ حِرْصاً وَهَذَا الدهرُ يَزْجُرَنا
كان زَاجِرنَا بِالحِرصِ أَغْرَانَا

أَيْنَ المُلوكُ وَأَبْنَاءُ المُلُوكِ وَمَن
كَانَتْ تَخِر لَه الأَذْقَانُ إِذْعَانَا
صَاحَتْ بِهم حَادِثَاتُ الدهرِ فانْقَلَبُوا
مُسْتَبْدِلِيْنَ مِن الأَوْطَانِ أَوْطَانَا
خَلَّوا مَدَائِنَ كَانَ العِزُ مَفْرَشُهَا
واسْتُفْرِشُوْا حُفَراً غُبْراً وَقِيْعَانَا
يا زَاكضاً في مَيَادِينِ الهَوَى مَرِحاً
وَرَافِلاً في ثِيَابِ الغَيِّ نَشْوَانَا
مَضَى الزمانُ وَوَلَّى العُمْرُ في لَعِبٍ
يَكفيكَ مَا قَدْ مَضَى قَد كَانَ مَا كَانَا
إنْتَهى

القول الأسنى

في نظم الأسماء الحسنى

تأليف

الشيخ حسين بن علي بن حسين بن شيخ الإسلام
محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله تعالى

جَمِيعُ الثَّنا والحمدُ بالشُكْرِ أكْملُ ... ولله مَجمُوعُ الثَّلاثَةِ أجْعَلُ
له الحمدُ أعْلَى الحمد والشُكرِ والثنا ... أعَزُّ وأزْكَى ما يَكُونُ وأفْضَلُ
له الحمدُ حَمْداً طَيِّباً ومُبَارَكاً ... كَثيرَ فُضَيْلٍ حَاصِلٌ مُتحَصَّلُ
مَلا العَرشِ والكُرسِي مَعَ الأرْضِ والسما ... ومِلءَ الذي بَيْنَ الطَرائِقِ يَفْصِلُ
وإني بحمدِ اللهِ والشكرِ والثنا ... لِنَيْلِي مِن اللهِ الرِضَى أتوسَّلُ
إلى اللهِ أُهْدِي الحمدَ والشكرَ والثَّنَا ... لَه الحمدُ مَوْلاَنا عليه المُعَوَّلُ
وأشهدُ أنَّ اللهَ لا رَبٌّ غَيْرَه ... كَرِيمٌ رَحِيمٌ مُرْتَجَى ويُؤَمَّلُ
وأشْهَدُ أنَّ مَارَبٌّ بَلْ لَا مُدبِّرٌ ... سِواهُ ولَولاهُ الوُجُودُ مُعَطَّلُ
قَدِيرٌ كَرِيمٌ مُحْسِنٌ وَلَهُ البَقَا ... جَوادٌ ولِلْخيراتِ فهُوَ المُنَوِّلُ
ومَن دُونَه عَبدٌ ذَلِيلٌ مُدَبَّرٌ ... مُقِلٌ مِن الأوْزارِ أوْ مُتحَمِّلُ
هُوَ اللهُ ذُو العِزِ القَدِيْم إلَهنَا ... عَزِيْزٌ مُعِزٌ مَنْ لَهُ يَتَذَلَّلُ
هُوَ الواحِدُ الفردُ المُهَيْمنُ رَبّنَا ... هوَ الواحِدُ المَوْجُودُ والمُتَفَضِّلُ
جَوادٌ كريمٌ مُحْسنٌ دَائِمُ النَّدَى ... وَجَوْدَاهُ لا تَبْلَى ولا تَتَبَدَّلُ
عَفُوٌ يُحبُ العَفْوَ مِن كُلِّ خَلْقِهِ ... عن الجُودِ والاحسانِ لاَ يَتَحَوَّلُ

إذا سُئِلَ الخيراتِ أَعْطَى جَزِيْلَها ... ويَرفَعُ مَكْرُووهَ البَلاَ ويُزَوِّلُ
تَبارَكَ فَهْوَ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ ... جَوادٌ كَرِيمٌ كامِلٌ لا يُمَثَّلُ
يَسِحُ مِن الخيرات سَحاً عَلى الوَرَى ... فَيُغْنِي وَيُقْنِي دَائِماً ويُحَوِّلُ
تَجِلُّ عن الأَوْصَافِ عِزَّةُ ذَاتِهِ ... أَعَزَّ مِن الأَوْصَافِ أَعْلَى وأَكْمَلُ
إذَا أَكْثَر المُثْنِي عَلَيْهِ مِن الثَّنَا ... فَذُوْا العَرْشِ أَعْلَى فِي الجَلالِ وأَجْمَلُ
بأَسْمَائِهِ الحُسْنَا مَا يُؤْذِنَ الوَرَى ... عَلَى بَعْضِ مَدْلُولاَتِهَا لَوْ تَأَمَّلُوْا
فَفِي إِسْمِهِ « رَبٌّ » مُدَبِّرُ خَلْقَهُ ... وفي « اللهِ » مَعْنَىً لِلْعِبَادَةِ يَشْمَلُ
وفي إِسْمِهِ « اللهُ » الإلهُ إشَارَةٌ ... إِلَى أَنَّه المَعْبُودُ والنِّدُّ يَبْطُلُ
وفي إِسْمِهِ « الغَفَّارُ » يَغْفِرُ لِلْوَرَى ... إِذَا انْتَقَلُوْا عن غَيِّهِمْ وتَنَقَّلُوا
وفي إِسْمِهِ «القَاضِي» فَيَقْضِيْ بِمَا يَشَاء ... وفي « قَادِرٍ » ما شَاءَ رَبُّكَ يَفْعَلُ
وفي إِسْمِهِ « الأَعْلَى » عُلُوُّ جَلاَلِهِ ... وفي إِسْمِهِ « الصَّبَارُ » يُمْلِيْ ويُمْهِلُ
وفي إِسْمِهِ « الفَعَالُ » يَفْعَلُ مَا يَشَا ... حَكِيمٌ فَلا عَمَّا يُدَبِّرُ يُسْأَلُ
وفي إِسمِهِ « الجَبَّارُ » يَجْبُر كَسْرَنَا ... ولِلْعُسْرِ باليُسْرَيْنِ فِيْنَا يُبَدِّلُ
وفي إِسْمِهِ « الجَبَّارُ » رِفْعَةُ ذَاتِهِ ... وأَخْذٌ عَلَى العَاصِي شَدِيْدٌ ومُعْضِلُ
وفي إِسْمِهِ « المُعْطِي » الكَرِيم دَلاَلَةٌ ... عَلَى أَنَّهُ يُعْطِيْ دَوَاماً ويَبْذِلُ
وفي إِسْمِهِ « السَّتَارُ » أَسْتَارُهُ الَّتِي ... عَلَى أَكْثَرِ العَاصِيْنَ تُرْخَى وتُسْدَلُ
وفي إِسْمِهِ « البَاقِي » دَلِيلٌ بَقَائِهِ ... جَدِيْداً وأَنَّ الخَلْقَ يَبْلَى ويُسْمَلُ
وفي إِسْمِهِ القَيُومِ » أَهْدَى دَلاَلَةً ... عَلَى أَنَّهُ عَن خَلْقِهِ لَيْسَ يَغْفُلُ
وفي إِسْمِ « عَزِيزٍ » عِزَّةٌ مُسْتَمِرَّةٌ ... بِهَا يُهْلِكُ العَاصِيْ لَهُ ويُنَكِّلُ
وفي « ناصرٍ » نَصْرٌ لِمَنْ شَاء إِذْ يَشَا ... ومَن لاَ يَشَا يَبْقَى حَسِيْراً ويُخْذَلُ
وفي إسْمِهِ «الهادِي فَيَهْدِي إلى الهُدَى ... ويَهْدِي إلى النَّهْدَيْنِ في المَهْدِ أَطْفُلُ
وفي إِسمِهِ «الكَافِي»الوَكِيل وفي إسْمِهِ ... « حَسِيْبٌ وَكِيْلٌ » أَنَّهُ لَيْسَ يُهْمِلُ
وفي إِسمِهِ «الرحمنُ» رَحْمَتهُ الوَرَى ... وفي إِسمِهِ « ربٌّ » عَلَيْهِ التَّوكُّلُ

وفي إِسْمِهِ «القَاضِي» فيَقضِي بَمـا يَشَا ... ويَقْضِي غداً بَيْنَ البَرايَا فَيَعْدلُ
وفي إِسْمِهِ «الخلاقِ» لَمْ يَخْلُقِ الوَرَى ... سِوَاهُ «جَوَادٍ» دَائِمٍ لَيْسَ يَغْفُـــلُ
وفي إِسْمِهِ «البارِي» بَرَى كُلَّ خَلقِهِ ... وأَلْطَافُه تَتْرَى دَوَاماً وتَـنْزِلُ
«عَليمٌ» فلا يَخْفَى عَلَيْـهَ مِن الـوَرَى ... ولَوْ غَابَ في شِقٍّ مِن الأَرْضِ خَرْدَلُ
«حَسِيْبٌ» فَيُحصِيْ كُلَّ شَيءٍ وفي الذِي ... جَرَى بَيْنَنا يَومَ القِيَامَةِ يَفْصِـلُ
«خَبِيْرٌ» فَيَقْضِي مَا يَشَاءُ وكُلَّ مَا ... قَضَاه مَضَى حَتْماً ولا يَتَفَـتَّلُ
«لَطِيفٌ» بالَطْافِ كُثْرٍ وبَعْضُها ... يُرَى ظَاهِراً بَيْنَ الوَرَى يَتخَلَّلُ
«سَمِيعٌ» فَلَا صَوتٌ خَفِيٌ يَفُوتُهُ ... وإِنْ دَقَّ جِداً واخْتَفَى لَيْسَ يُشْكِلُ
وَ «بَرٌ» يُحبُّ البِرَّ يَرْفَعُ أَهْلَهُ ... عَلَى الناسِ في يَومِ الجَزَاءِ يُفَضَّلُ
«حَكِيمٌ» فَيَقْضِي مَا يَشَاء بِحِكْمَةٍ ... «حَليمٌ» فلا يَخْشَى فَواتاً فَيَعْجِلُ
«كَبِيرٌ جَليلٌ ماجِدٌ واجِدٌ» لَـهُ ... مِن الجُودِ والاحسانِ مَا لَيْسَ يُجْهَلُ
«وُدُوْدٌ رَحِيمٌ» بالمطِيعِ مِن الوَرَى ... فَمَنْ جَاءَهُ يَمْشِي أَتَاهُ يُهَـرْوِلُ
وفي إِسْمِهِ «التوابِ» يَقْضِيْ بِتَوْبَةٍ ... لِمَنْ تَابَ صِدْقاً يَسْتَجِيْبُ وَيَقْبَلُ
وفي «أَحَدٍ» سُبْحَانَهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ ... نَظِيرٌ ولا مِثْلٌ بِهِ يَتَمَثَّـلُ
وفي «صَمَدٍ» سُبْحَانَه يَصْمُدُ الوَرَى ... إِليـهِ جَمِيْعاً أَصْمَـدٌ لَيْسَ يَأْكُلُ
وفي إِسْمِهِ «الأَعْلَى» كَمالُ عُلُوِهِ ... أَعَزَّ وأَعْلَى مَا يَكُونُ وأَكْمَلُ
وفي إِسْمِهِ «المُعْطِي» يُغِيثُ إِغَاثَةً ... بِهَا كَرْبُ مَن يَدْعُو بِهِ يَتَحَلَّلُ
وفي إِسْمِ «مُجَيْبٍ» يَسْتَجِيْبُ لِمَنْ دَعَا ... ويُعْطِي لِمَنْ شَا مَا يَشَا حِيْنَ يُسْأَلُ
وفي كُلِّ إِسْمٍ لِلْإِلـهِ دَلَالَـةٌ ... وفيها مَعَانِي جُوْدِهِ لَوْ تَأَمَّـلُوا
وفي كُلِّ فَرْدٍ لَوْ أُحيطَ بِعلْمِـهِ ... مَعَـانٍ وَلَكِنْ مَنْ لَهَا يَتَوَصَّــلُ
يَبِيْنُ وَيَبْـدُوا بالتَّأَمُلِ بَعْضُهَـا ... تَأَمُّلُ مَن فِي عِلْمِهَـا مُتَـوَغِّلُ
يَبِيْنُ لِمَنْ يَتْلُو الكتـابَ مُرَتِلاً ... ومُـدَّبِـراً آيـاتِـــهِ يَتَعَقَّــــلُ
هُوَ اللهُ فَوْقَ العرشِ عَالٍ عَلَى الوَرَى ... عَليه اسْتَوى كَيْفَ اسْتَوَى لَيْسَ يُعْقَلُ
أَبانَ لَنا فِي الذِكْرِ عِلْمَ اسْتَوائِهِ ... عَلَى عَرْشِهِ والكَيْفُ يَخْفَى ويُجْهَلُ

وَمَن قَالَ فِي كَيْفَ اسْتَوَى فَهْوَ كَاذِبٌ ... عَلَى اللهِ فِيمَا قَالَه مُتَقَوِّلُ
وَمَذْهَبُنَا : أَنْ لَا نُشَبِّهَ رَبَّنَا ... وَأَنْ لَا نَقُلْ: كَيْفَ اسْتَوَى أَوْ نُعَطِّلُ
وَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ ... لَهُ العِزُّ وَالتَّدْبِيرُ وَالحُكْمُ وَالعُلُو
وَأَشْهَدُ أَنَّ «الأَوَّلُ» اللهُ وَحْدَهُ ... وَ«آخِرُ» يَبْقَى سَرْمَداً يَتَبَتَّلُ
هُوَ اللهُ مَبْسُوطُ اليَدَيْنِ كِلَاهُمَا ... تَسِحُ مِنَ الاحسانِ سَحَّاءَ تَهْطُلُ
إِذَا وَعَدَ المَوْعُودَ أَنْجَزَ وَعْدَهُ ... سَرِيعاً بِلَا رَيْبٍ وَلَا شَكَّ يَحْصُلُ
«قَرِيبٌ مُجِيبٌ» يَسْتَجِيبُ لِمَنْ دَعَا ... «جَوَادٌ» إِذَا أَعْطَى العَطَا يَتَجَزَّلُ
يَسِحُ مِنَ الاحسانِ سَحاً عَلَى الوَرَى ... «وَهُوبٌ، جَوادٌ، مُحْسِنٌ» مُتَفَضِّلُ
تَبَارَكَ لَا يُحصَى عَلَى ذَاتِهِ الثَّنَا ... وَلَوْ بِالثَّنَا كُلُّ الخَلَائِقِ أَجْمَلُوا
إِذَا كَانَ شُكْرُ العَبْدِ نَعْمَاهُ نِعْمَةً ... فَأَيْنَ يُطَاقُ الشُّكْرُ مِن أَيْنَ يَحْصُلُ
فَسُبْحَانَ مَن كُلُّ الوَرَى سَجَدُوا لَهُ ... إِذَا سَبَّحُوا أَوْ كَبَّرُوهُ وَهَلَّلُوا
قَضَى اللهُ أَنْ لَا يَعْبُدُ الخَلْقُ غَيْرَهُ ... وَأَنْ لَا بِهِ شَيءٌ وَإِنْ جَلَّ يَعْدِلُ
«عَلِيمٌ» بِأَحْوَالِ الوَرَى وَبِمَا جَرَى ... وَمَالَيْسَ يَجْرِي لَوْ جَرَى كَيْفَ يَحْصُلُ
«لَطِيفٌ» فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنَ الوَرَى ... خَفِيٌّ وَلَا يَنْسَى وَلَا الرَّبُّ يَذْهَلُ
لَهُ تُرْفَعُ الأَعْمَالُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ ... بِأَيْدِي رِكُرَامٍ كَاتِبِينَ وَتُحْمَلُ
عَلَيْهِ اعْتِمادِي وَاتِّكَالِي وَرَغْبَتِي ... وَإِصْلَاحُ شَأْنِي مُجْمَلٌ وَمُفَصَّلُ
تَعَالَى فَأَخْلَاقُ البَرَايَا بِمَا قَضَى ... وَقَدَّرَهُ مِن أَيِّ شَكْلٍ تَشَكَّلُوا
فَمِنْهُمْ مُنِيبٌ مُسْتَجِيبٌ لِرَبِّهِ ... صَبُورٌ عَلَى الضَّرا لَهَا يَتَحَمَّلُ
يُحِبُّ اكْتِسَابَ الصَّالِحَاتِ مِنَ التُّقَى ... وَمِن زِينَةِ الدُّنْيَا مُقِلٌّ مُقَلِّلُ
مُطِيعٌ سَرِيعٌ فِي أَوَامِرِ رَبِّهِ ... مُنِيبٌ إِلَى مَعْبُودِهِ مُتَذَلِّلُ
كَثِيرُ البُكَا مِن خَشْيَةِ اللهِ رَبِّهِ ... مَفَاصِلُهُ يُخْشَى عَلَيْهَا تَفَصَّلُ
لَه فِي النَّدَى رَوْضٌ وَفِي الجُودِ مَنْهَلٌ ... وَمِنْ ذَا إِلَى ذَا دَائِماً يَتَنَقَّلُ
إِذَا جِئْتَهُ تَبْغِي النَّدَى وَجَدْتَهُ ... رَحِيباً خَصِيباً بِالنَّدَى يَتَهَلَّلُ

يُبَادِرُ في المَعْرُوْفِ مَهْمَـا أَتَيْتَـهُ … كَأَنَّكَ تُعْطِيْهِ الذِي أَنْتَ تَسْأَلُ

يُحِبُّ اكْتِسَابَ المالِ وَالجُودُ عِنْدَهُ … أَعَزُّ مِن الدُنْيَا جَمِيْعاً وأَفْضَـلُ

تَقِيُّ نَقِيُّ العِرْضِ مَصْحُوْبُهُ النَّدَى … زَهِيٌّ بَهِيٌّ إِنْ تَكَلَّـمَ مِقْـوَلُ

جَرِيءٌ عَلَى الأَعْدَا قَرِيْبٌ مِن النَّدَى … سَرِيْعٌ إلى الهَيْجَا يَقُولُ وَيَفْعَـلُ

قَرِيْبٌ النَّـدَى والجُـودِ مَا حَلَّ حَلَّـهُ … وأَنْ يَرْتَحِلْ يَتْبَعْهُ حَالاً وَيَرْحَـلُ

جَمِيْعُ صِفَاتِ الجُودِ مُسْتَوْجِبٌ لَهَا … مِن الأَصْلِ في أَصْلِ النَّدَى مُتَأَصِّلُ

وفي الناسِ مَن يَبْذُلْ لِدُنْيَاهُ دِيْنَهُ … ويَرضَى بِذَا عن ذا بَدِيْلاً يُبَـدِّلُ

يَنَالُ بِهِ مَالاً وجَـاهاً ورِفْعَـةً … ويَشْقَى ويَرْدَى في المَعَادِ وَيَسْـفُلُ

وفي الناسِ مَن ظُلْمُ الوَرَى عَادةٌ لَهُ … ويَنْشُرُ أَعْذَاراً بهَـا يَتَـأَوَّلُ

جَرِيْءٌ عَلَى أَكْلِ الحَرامِ ويَدَّعِي … بأَنَّ لَهُ في حِـلِّ ذَالِكَ مَحْمَـلُ

فَيَا آكِلَ المالِ الحرامَ أُبِنْ لَنَـا … بِأَيِّ كِتَابٍ حِلُ مَا أَنْتَ تَأْكُلُ

أَلَمْ تَدْرِ أَنَّ اللهَ يَدْرِي بِمَا جَرَى … وبَيْنَ البَرايا فِي القِيامَةِ يَفْصِـلُ

حَنَانَيْكَ لَا تَظْلِمْ فإِنَّكَ مَيِّـتٌ … وبالموتِ عَمَّا قَدْ تَوَلَّيْتَ تُسْـأَلُ

وتَوْقَفُ لِلْمَظْلُومِ يَأْخُذُ حَقَّـهُ … فَيَأْخُذُ يَوْمَ العَرْضِ مَا كُنتَ تَعْمَلُ

ويَأْخُذُ مِن وِزْرٍ لِمَنْ قَدْ ظَلَمْتَهُ … فَيَأْخُذُ يَوْمَ العَرْضِ مَا كُنْتَ تَعْمَلُ

فَيأْخُذُ مِنْكَ اللهُ مَظْلَمَـةَ الذِي … ظَلَمْتَ سَرِيْعاً عَاجِلاً لَا يُؤَجَّـلُ

تَفِرُّ مِن الخَصْمِ الذِي قَدْ ظَلَمْتَهُ … وأَنْتَ مَخُوفٌ مُوْجَفُ القَلْبِ مُوْجَلُ

تَفِرُ فَلَا يُغْنِي الفِرَارُ مِن القَضَا … وأَن تَتَوَجَّلْ لا يُفِيْدُ التَّوَجُّـلُ

فَيَقْتَصُ مِنْكَ الحَقَ مَنْ قَدْ ظَلَمْتَهُ … بِلاَ رَأْفَةٍ كَـلاًّ ولا مِنْكَ يَخْجَـلُ

وفي الناسِ أَهْلُ البِرِ والصِّدْق والوَفَا … ولِلْعَدْلِ أَهْلٌ يَعْـدِلُونَ إذَا وَلُوْا

وفي الناسِ مَن بِالكِبْرِ يَسْتَحْقِرُ الوَرَى … ويَطْغَى إن اسْتَغْـنَى إِذَا يَتَمَـوَّلُ

فَخُورٌ إِذَا وَلَّاهُ مَوْلَاهُ نِعْمَـةً … مَرُوْحٌ وَمُخْتَـالٌ بِهَـا يَتَبَهْـكَلُ

شَحِيْحٌ ولَوْ عَمَّنْ يَعُـولُ بِنَفْسِـهِ … بِأَدْنَى قَلِيْلٍ نَاقِصِ القَـدْرِ يَبْخَـلُ

حَسُودٌ عَدُوُّ الجُودِ والبَذْلِ والنَّدَى ... يَصُدُّ عن الخَيرَاتِ عَنْهَا يُخَذِّلُ

جَبَانٌ عن الأعْدَا بَعِيدٌ مِن النَّدَى ... جَمُوعٌ مَنُوعٌ في الخَنَا مُتَوَغِّلُ

جَمِيعُ خِصَالِ الشَّرِ مُسْتَصْحِبٌ لَهَا ... وعَن كُلِّ أَسْبَابِ المَعَزَّةِ أَعْزَلُ

وفي الناسِ مَن لَا يَملأُ البَحْرُ بَطْنَهُ ... فَقِيرُ فُؤَادٍ دَائِماً يَتَسَوَّلُ

وفي الناسِ مَن يُغْرِي الوَرَى بِلِسَانِهِ ... وبَيْنَ البَرَايَا لِلنَّمِيمَةِ يَحْمِلُ

يَرَى أَنَّ في حَمْلِ النَّمِيمَةِ مَكْسَباً ... تَراهُ بِهَا بَيْنَ الوَرَى يَتَأَكَّلُ

وفي الناسِ أفَاكٌ حَيُولٌ مُخَادِعٌ ... غَشُومٌ ظَلُومٌ مَاكِرٌ مُتَحَيِّلُ

وَكُلٌّ سَيأْتِي فَرْعُهُ مِثْلَ أَصْلِهِ ... وعن مِثْلِ شَكْلِ الأَصْلِ لَا يَتَحَوَّلُ

فأهْلُ النَّدَى والجُوْدِ لا يَبْرَحُ النَّدَى ... مَعَ الجُودِ فِيما أَنْسَلُوا يَتَسَلْسَلُ

ونَسْلُ شِرارِ الناسِ في الشَّرِ وَالرَّدَى ... عَلَى سُنَنِ الآبَاءِ أَرْدَى وأَرْذَلُ

عَلَى سُنَنِ الآبَا وَأخْلاقِ مَن مَضَى ... وإنْ مُتِّعَتْ تِلكَ النُسُولُ وأَطْوَلُ

فَنسْلُ جَبانٍ أَوْ بَخِيلٍ كَمِثْلِهِ ... ونَسْلُ الزَّكِي الفَحْلِ أَزْكَى وأَفْحَلُ

جَنَى الكَرْمِ يَأْتِي طَيِّباً مِثْلَ أَصْلِهِ ... ويَأْتِي جَنَاءُ الحَنْظَلِيَّةِ حَنْظَلُ

وَأُوصِي بِتَقْوَى اللهِ كُلَّ مُكَلَّفٍ ... إلَيْهَا أَفِيئُوا أَيُّهَا النَاسُ أَقْبِلُوا

وَعُضُّوا عَلَيْهَا بالنَّواجِذِ إنَّهَا ... هُدَى اللهِ يَهْدِي لِلْخَلائِقِ فاقْبَلُوا

خُذُوا بالهُدَى أَخْذاً قَوِياً فإنَّهُ ... نَجاةٌ ومَنْ يأْخُذْ بِهِ لا يُضَلَّلُ

وأَدُّوا فُرُوْضَ الدِّينِ بَعْدَ أَدَائِها ... كَوَامِلَ فِي أَوْقَاتِهَا وتَنَفَّلُوا

عَلَيْكُم بِتَقْوَى اللهِ لَا تَتْرُكُونَهَا ... فإنَّ التُقَى أَقْوَى وَأوْلَى وأَعْدَلُ

لِباسُ التُّقَى خَيْرُ الملابِسِ كُلِّهَا ... وأبْهَى لِبَاسٍ في الوُجُودِ وَأَجْمَلُ

فَمَا أَحْسَنَ التَّقْوَى وأَهْدَى سَبِيْلَهَا ... بِهَا يَنْفَعُ الإِنْسَانَ مَا كَانَ يَعْمَلُ

فَيَا أيُّهَا الإِنْسَانُ بادِرْ إِلَى التُّقَى ... وسَارِعْ إلى الخَيْرَاتِ مَادُمْتَ مُمْهَلُ

وأَكْثِرْ مِن التَّقْوَى لِتَحْمِدَ غِبَّهَا ... بِدَارِ الجَزَا دَارٌ بِها سَوْفَ تَنْزِلُ

وقَدِّمْ لِمَا تَقْدَمْ عَلَيْهِ فإنَّمَا ... غَداً سَوْفَ تُجْزَى بالذِي أَنْتَ تَفْعَلُ

وأحسِنْ ولا تُهمِلْ إذا كُنْتَ قادراً ... فَدَارُ الفَنَا الدُنْيَا مَكَانَ التَّرحُّلِ

وسَارِعْ إلَى الخَيْراتِ لَا تُهمِلَنَّهَا ... فإنَّكَ إنْ أَهْمَلْتَ مَا أَنْتَ مُهْمِلُ

ولَكِنْ ستُجْزَى بالذِي أنْتَ عَامِلٌ ... وَعَمَّا مَضَى مِن كُلِّ مَا نِلْتَ تُسْأَلُ

فَلَا تُلْهِكَ الدُنْيَا فَرَبُّكَ ضَامِنٌ ... لِرِزْقِ البَرَايَا ضَامِنٌ مُتَكَفِّلُ

فَمَنْ آثَرَ الدُنْيَا جَهُولٌ وَمَنْ يَبِعْ ... لِآخْرَاهُ بالدنيا أضَلُّ وأجْهَلُ

فَلِذَّاتُها والعِزُّ والجَاهُ والغِنَى ... بأضْدَادِهَا عَمَّا قَلِيلٍ تَبَدَّلُ

فَمن عَاشَ في الدنيا وإنْ طَالَ عُمْرُهُ ... فلا بُدَّ عَنْهَا رَاغِماً سَوفَ يُنْقَلُ

ويُنزلُ داراً لا أنِيسَ لهُ بهَا ... لِكُلِّ الوَرَى رُجْعاً مَعَادُ ومَوْئِلُ

ويَبقَى رَهِيناً في التُّرابِ بما جَنَى ... إلَى بَعْثِهِ من أرْضِهِ حيْنَ يَنسِلُ

يُهَالُ بِأهْوالٍ يُشيِّبُ ببعْضِهَا ... ولا هَوْلَا إلاَّ بَعْدَهُ الهولُ أهْوَلُ

وفي البعثِ بعدَ الموتِ نَشْرُ صُحائفٍ ... ومِيْزانُ قِسْطٍ طائِشٍ أوْ مثقلُ

وفي البعثِ بعدَ الموتِ نَشْرُ صاحائِف ... ومِيزانُ قِسْطٍ طَائِشٍ أوْ مُثَقَّلُ

وحَشْرٌ يَشِيْبُ الطِفْلُ مِن عُظْمِ هَوْلِهِ ... ومِنْهُ الجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ تَزَلْزَلُ

ونارٌ تَلَظَّى في لَظَاهَا سَلَاسِلٌ ... يُغَلُّ بها الفُجَّارُ ثُمَّ يُسَلْسَلُوا

شَرَابُ ذَوِي الإجْرَامِ فيها حَمِيمُهَا ... وزَقُّومُهَا مَطْعُومُهُمْ حِيْنَ يأْكُلوا

حَمِيمٌ وغَسَّاقٌ وآخَرُ مِثْلُهُ ... مِن المُهلِ يَغْلِي في البُطُونِ ويَشْعَلُ

يزيدُ هَوَاناً مَنْ هَوَاها فلا يَزَلْ ... إلى قَعْرِهَا يَهْوِي دَوَاماً ويَنْزِلُ

وفي نارِهِ يَبْقَى دَواماً مُعَذَّباً ... يَصِيْحُ ثُبُوْراً وَيْلَهُ يَتَوَلْوَلُ

عليها صِرَاطٌ مَدْحَضٌ ومَزَلَّةٌ ... عليه البَرايَا في القِيَامَةِ تُحْمَلُ

وَفيها كَلَالِيبٌ تَعَلَّقُ بالوَرَى ... فهَذا نَجَا مِنْهَا وَهَاذا مُخَرْدَلُ

فلا مُجْرِمٌ يَفْدِيْهِ مَا يَفْتَدِي بِهِ ... وإنْ يَعْتَذِرْ يَوماً فلا العُذْرُ يُقْبَلُ

فَهَذَا جَزَاءُ المُجْرِمِينَ عَلَى الرَّدى ... وهذا الذي يومَ القِيَامةِ يَحْصُلُ

أعُوذُ بِرَبِّي مِن لَظَى وعَذابِهَا ... ومِن حَالِ مَن يَهْوَى بِها يَتَجَلْجَلُ

ومن حالِ من في زمهريرٍ معذبٍ — ومَن كانَ بالأغلالِ فيها مُكبّلُ
وجنّاتُ عدنٍ زخرفتْ ثم أزلفتْ — لقومٍ على التقوى دواماً تبتّلوا
بها كلُّ ما تهوى النفوسُ وتشتهي — وقرّةُ عينٍ ليسَ عنها ترحّلُ
ملابسُهم فيها حريرٌ وسندسٌ — واستبرقٌ لا يعتريه التنحّلُ
ومأكولُهم من كل ما يشتهونه — ومن سلسبيلٍ شربُهم يتسلسلُ
وأزواجُهم حورٌ حسانٌ كواعبٌ — على مثلِ شكلِ الشمسِ بل هنَّ أشكلُ
يطافُ عليهم بالذي يشتهونه — إذا أكلوا نوعاً بآخرَ بدلوا
بها كلُّ أنواعِ الفواكهِ كلها — وسكانها مهما تمنوه يحصلُ
فواكهها تدنوا إلى من يريدها — تناولها عند الإرادة يسهلُ
وأنهارُها الألبانُ تجري وأعسلُ — وخمرٌ وماءٌ سلسبيلٌ معسّلُ
يقالُ لهم: طبتمُ سلمتم من الأذى — سلامٌ عليكم بالسلامة فادخلوا
بأسبابِ تقوى الله والعملِ الذي — يحبُّ إلى جناتِ عدنٍ توصلوا
إذا كانَ هذا والذي قبله الجزا — فحقٌّ على العينين بالدمع تهملُ
وحقٌّ على مَن كانَ بالله مؤمناً — يقدّمُ لهُ خيراً ولا يتعلّلُ
وإنْ يأخذ الإنسانُ زاداً من التقى — ولا يسأمُ التقوى ولا يتململُ
وإنّ أمامَ الناسِ حشراً وموقفاً — ويوماً طويلاً ألفُ عامٍ وأطولُ
فيالكَ من يومٍ على كلِّ مبطلٍ — فظيعٍ وأهوالُ القيامةِ تعضلُ
تكونُ به الأطوادُ كالعهنِ أو تكن — كثيباً مهيلاً أهيلاً يتهلهلُ
به ملةُ الإسلامِ تقبلُ وحدها — وَمِن أيّ دِينٍ غيرُها فهو يَبْطلُ
بِهِ يُسْألُونَ النَّاسَ مَاذا عَبَدْتُمو — وماذا أجبتمَ مَن دَعَا وهوَ مُرْسَلُ
حَسابُ الذي يُنقادُ عرضٌ مُخفّفٌ — وَمِن لَيْسَ مُنقاداً حِسابٌ مُثَقَّلُ
وَمِن قَبلِ ذا فالموتُ يأتيكَ بَغْتَةً — وهيهاتَ لا تَدْري مَتَى الموتُ يَنْزِلُ
كُؤوسُ المنايا سَوفَ يَشْرَبُها الوَرَى — عَلَى الرَّغم شُبَّانٌ وشِيْبٌ وأكْهُلُ

حنانيك بادرها بخير فإنما ... على الآلة الحدبا سريعاً ستحمل

إذا كنت قد أيقنت بالموت والفنا ... وبالبعث عما بعده كيف تغفل

أيصلح إهمال المعاد لمنصف ... وينسى مقام الحشر من كان يعقل

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... أبن لي ابن يوم الجزا كيف تغفل

أترضى بأن تأتي القيامة مفلساً ... على ظهرك الأوزار في الحشر تحمل

إلهي لك الفضل الذي عمّ الورى ... وجوداً على كل الخليقة مسبل

وغيرك لو يملك خزائنك التي ... تزيد مع الانفاق لا بدّ يبخل

وإني بك اللهم ربي لوا اثق ... وما لي بباب غير بابك مدخل

أعوذ بك اللهم من سوء صنعنا ... ومن أن تكن نعماك عنا تحوّل

وأني لك اللهم في الدين مخلص ... وهمّي وحاجاتي بجودك أنزل

إلهي فثبتني على دينك الذي ... رضيت به ديناً وإياه تقبل

وهب لي من الفردوس قصراً مشيداً ... ومنّ بخيرات بها أتعجل

ولله حمد دائم بدوامه ... مدى الدهر لا يفنى ولا الحمد يكمل

مداد كلام الله عدة خلقه ... رضى نفسه ينمو ويسمو ويفضل

يزيد على وزن الخلائق كلها ... وأرجح من وزن الجميع وأثقل

وإني بحمد الله بالحمد أبتدي ... وأنهي بحمد الله قولي وأكمل

صلاة وتسليماً وأزكى تحية ... تعم جميع المرسلين وتشمل

وأزكى صلاة الله ثم سلامه ... على المصطفى أزكى البرية تنزل

نبي زكي الأصل والفرع أصله ... مع الفرع في أصل الندى متأصل

جميع خصال الخير مستوعب لها ... إلى سوحة تهوى وتأوى وتكمل

وقال آخر :

كأني بنفسي وهي في السكرات ... تعالج أن ترقى إلى اللهوات

وقَدْ زُمَّ رَحْـلي واسْتَقَلَّتْ رَكائِبي ... وَقَدْ اذنَتْنِي بالرحِيْلِ حُدَاتِي
إلَى مَنْزل فيه عَذابٌ وَرَحْمَةٌ ... وَكَمْ فِيهِ مِن زَجْر لَنَا وعِظَاتِ
ومِنْ أَعْيُنٍ سَالَتْ عَلَى وَجَنَاتِها ... ومِنْ أوجُهٍ في التُربِ مُنْعَفِرَاتِ
ومِن وَارِدٍ فيه عَلى مَا يَسُرُّهُ ... ومِن وَارِدٍ فيه عَلَى الحَسَرَاتِ
ومِن عَاثِر ما أنْ يُقَالَ لَهُ لَعَا ... على مَا عَهِدْنا قَبْلُ في العَثَرَاتِ
ومِن مَلكٍ كانَ السُّرُورُ مِهَادُهُ ... مَعَ الآنسِاتِ الخُرَّدِ الخَفِـرَاتِ
غَدَا لا يَذُوْدُ الدُّوْدَ عَن حُرِوجْهِهِ ... وكان يَذُوْدُ الأسْدَ في الأجماتِ
وعُوِّضَ أُنساً مِن ضِبَاءِ كِنَاسِهِ ... وأرَامِـهِ بالـرُّقْشِ والحَشَـرَاتِ
وصارَ بِبَطْنِ الأرضِ يَلْتَحِفُ الثَّرى ... وكانَ يَجُرُّ الوَشْيَ وَ الحَبَراتِ
وَلَمْ تُغْنِهِ أَنصَارُهُ وجُنُـودُهُ ... ولم تَحْمِهِ بالبِيضِ والأسَـلاَتِ
وَمِمَّا شَجَاني والشُجُوْنُ كَثِيْرَة ... ذُنُوبٌ عِظَامٌ أَسْبَلَتْ عَـبَراتِ
وَأَقْلَقَنِي أنِّي أَمُوْتُ مُفَـرِّطاً ... عَلَى أَنَّنِي خَلَّفْتُ بَعْدُ لِذَاتِي
وَاغْفَلْتُ أَمْرِي بَعدهُم مُتَشِبطاً ... فَيَاعَجَباً مِنِّي ومِن غَفَـلاتِي
إلَى اللهِ أَشكُوْ جَهْلَ نَفسِي فإنَّها ... تَمِيْلُ إلى الرَّاحَـاتِ والشَّهَوَاتِ
ويا رُبَّ خِلٍّ كُنْتُ ذَاصِلَةٍ لَهُ ... يَرَى أنَّ دَفْنِي من أَجَلِّ صلاتِي
وَكُنْتُ لَهُ أُنساً وشَمْساً مُنِيرَةً ... فَأَفْرَدَنِي في وحْشَةِ الظُلُماتِ
سَأَضرِبُ فُسْطَادِي على عَسْكَرِ البِلَى ... وأَرْكُزُ فِيْهِ لِلْـنُّزْلِ قَنَـاتِي
وَأَرْكَبُ ظَهْـراً لَا يَؤُوْبُ بِرَكِبِ ... ولا يُمْتَـطَى إلاَّ إلَى الهَلَـكَاتِ
ولَيْسَ يُرَى إلاَّ بِسَـاحَة ظَاعِنٍ ... إلى مَصْـرَعِ الفَرْحَاتِ والتَّرَحَاتِ
يُسَيِّرُ أدْنَي النَّاسِ سَيْراً كَسَـيْرِهِ ... بِأَرْفَعِ مَنْعِيّ مَن السَّـرَوَاتِ
فطَوراً تَراهُ يَحْمِـلُ الشُمَّ وَالرُّبَا ... وطَوْراً تراهُ يَحْمِـلُ الحَصَيَـاتِ
وَرُبَّ حَصَـاةٍ قَدْرُهَا فَوْقَ يَذْبُلٍ ... كَمقْبُوْلِ ما يُرْمَى مِن الجَمَـراتِ
وكُلُ صَغِيْر كانَ لِلّهِ خالِصـاً ... يُرَبَّى على ما جَاءَ في الصَّدَقَاتِ

وكُلُّ كَبِيْرٍ لا يَكُوْنُ لِوَجْهِهِ فَمِثْلُ رَمَادٍ طَارَ في الهَبَوَاتِ
ولَكِنَّهُ يُرْجَى لِمَنْ مَاتَ مُحْسِناً وَيُخْشَى عَلَى مَنْ مَاتَ في غَمَراتِ
وَمَا اليَوْمُ يَمْتَازُ التَّفَاضُلُ بَيْنَهُم ولكِنْ غداً يَمْتَازُ في الدَّرَجَاتِ
إذَا رُوِّعَ الخَاطِي وَطَارَ فُؤَادُهُ وَأُفْرِخَ رَوْعُ البَرِّ في الغُرُفَاتِ
وما يَعْرِفُ الإنْسانُ أَيْنَ وَفَاتُهُ أَفِي البَرِّ أَمْ في البَحْرِ أَمْ بِفَلَاةِ
فيا إخْوَتِي مَهْمَا شَهِدْتُمْ جَنَازَتِي فقُومُوْا لِرِبِّيْ واسْأَلُوْهُ نَجَاتِي
وجُدُّوْا ابْتِهالاً في الدُّعَاءِ واخْلِصُوْا لَعَلَّ إلٰهِي يَقْبَلُ الدَّعَواتِ
وقُولُوا جَمِيْلاً إنْ عَلِمتُم خِلافَهُ وأَغْضُوْا عَلَى ما كانَ مِن هَفَوَاتِي
ولا تَصفُوني بالذِيْ أنا أَهْلُهُ فَأَشْقَى وَحَلُّوْنِي بخَيْرِ صِفَاتِي
ولا تَتَنَاسَوْنِي فَقِدْماً ذَكَرْتكمُ وَوَاصَلْتكُم بالبِرِّ طُوْلَ حَيَاتِي
وبالرَّغْمِ فارَقْتُ الأَحِبَّةَ مِنْكُمُ وَلَمَّا تُفارِقني بِكُمْ زَفَرَاتِي
وإنْ كُنْتُ مَيْتاً بَيْنَ أَيْدِيْكُمْ لَقاً فَرُوْحِيَ حَيٌّ سَامِعٌ لِنُعَاتِي
أنا جِيْكُم حياً وإنْ كُنْتُ صَامِتاً أَلَا كُلُكُم يَوْماً إليَّ سَيَاتِي
ولَيْسَ يَقُوْم الجِسْمُ إلا بِرُوْحِهِ هُوَ القُطْبُ والأعْضَاءُ كالأَدَوَاتِ
ولا بُدَّ يَوْماً أنْ يَحُوْرَ بِعَيْنِهِ لِيُجْزَى على الطَّاعَاتِ والتَّبَعَاتِ
وإلاَّ أَكُنْ أهْلاً لِفَضْلٍ ورحمةٍ فَرَبِي أَهْلُ الفَضْلِ والرَّحَمَاتِ
فمازلْتُ أَرْجُو عَفْوَهُ وجِنَانَهُ وأَحْمَدُه في اليُسْرِ والأَزِمَاتِ
وأَسْجُدُ تَعْظِيماً لَهُ وَتَذَلُّلاً وأَعْبُدُهُ في الجَهْرِ والخَلَوَاتِ
ولَسْتُ بِمُمْتَنٍ عليه بِطَاعتي لَهُ المنُّ في التَّيْسِيْرِ لِلحَسَنَاتِ

آخر :
مَا دَارُ دُنْيَاً لِلْمُقِيمِ بِدَارِ وبِها النُفوسُ فَرِيْسَةُ الأَقْدارِ
مَا بَيْنَ لَيلٍ عاكفٍ ونَهارِهِ نَفَسَانِ مُرْتَشِفَانِ لِلأَعْمَارِ

طُولُ الحياةِ إذا مَضَى كَقَصِيْرِهَا   واليُسْرُ لِلأَنْسَانِ كَالإِعْسَارِ
والعَيشُ يَعْقِبُ بالمرارَةِ حُلْوَهُ   والصَّفْوُ فِيه مُخَلَّفُ الأَكْدَارِ
وكأنما تَقْضِيْ بُنِيَّاتُ الرَّدَى   لِفَنَائِنَا وَطَراً مِن الأَوْطَارِ
والمَرْءُ كَالطَّيْفِ المُطِيْفِ وعُمْرُهُ   كَالنَّوم بَيْنَ الفَجْرِ والأَسْحَارِ
خَطْبٌ تَضَاءَلَتَ الخَطُوبُ لِهَوْلِهِ   أَخطَارُهُ تَعْلُو عَلَى الأَخطَارِ
نُلْقِي الصَّوارِمَ والرِمَاحَ لِهَولِهِ   ونَلَوْذُ مِن حَرْبٍ إلى اسْتِشْعَارِ
إنَّ الذينَ بَنَوا مَشِيْداً وانْثنوا   يَسْعَونَ سَعْيَ الفاتِكِ الجَبَّارِ
سُلِبوا النَّضَارَةَ والنَّعِيْمَ فَأَصْبَحُوا   مُتَوَسِّدِيْنَ وَسَائِدَ الأَحْجَارِ
تَركُوا دِيارَهُمُ على أعْدَاهِم   وتَوَسَّدُوا مَدَراً بِغَيرِ دِثَارِ
خَلَطَ الحِمَامُ قَوِيَّهُمُ بِضَعْيفِهم   وغَنِيَّهُمُ سَاوَى بِذِي الأَقْتَارِ
والخَوْفُ يُعْجِلُنا عَلَى آثارِهِم   لابُدَّ مِن صُبْحِ المُجِدِّ السَّارِي
وتَعَاقُبُ المَلَوَيْن فِيْنَا ناثِرٌ   بِأَكَرِّ مَا نَظَمَا مِن الأَعْمَارِ

إنْتَهَى

فصل في التحْذِير مِن النار وَمَا أعِدَّ لِأَهْلِهَا

قال الله تَبَارَكَ وتَعَالَى : ﴿ فَاتَّقُوا النَارَ التي وقُودُها الناسُ والحجارةُ أعِدَّتْ للكافرين ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهْلِيكم ناراً وقود الناس والحجارة ﴾ وقال ﴿ إنَّ لَدَيْنَا أنكالًا وجحِيَماً وطَعَاماً ذا غُصَّةٍ وَعَذاباً أَلِيْمَا ﴾ فيا أَيُّها الغَافِلُ عن نَفْسِهِ المغْرُوْرُ بَما هُوَ فيه مِن شَوَاغِلِ الدُنْيَا المُشرِفَة على الإِنْقِضَاءِ والزَّوَالِ ، دَعِ الاشْتِغَالَ والتَّفكُرَ فِيْمَا أَنْتَ مُرْتَحِل عَنْه ، واصْرِفْ فِكْرَكَ واجْتِهَادِكَ إلى مَوْرِدِكَ الذي سَتَرِدِهُ ، فإنَّكَ أُخْبِرتَ أَنَّ النارَ مَوْرِدٌ لِلْجَمِيع .

قال اللهُ جَلَّ وَعَلَا وتَقَدَّسَ : ﴿ وإنْ منكُم إلاَّ وَارِدُهَا كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضيا ﴾ فأَنْتَ مِن الوُرُوْدِ على يَقِيْنَ ، ومن النجاةِ في شَكٍ .

فاسْتَشْعِر في قَلْبِكَ هَوْلَ ذَلِكَ المَوْرِدِ فَعَسَاكَ تَستَعِدَّ لِلنَّجاةِ منه ، وتَأَمَّلْ في حَالِ الخَلائِقِ وقد قاسَوْا من دَواهي القِيَامَةِ وأَهْوالِهَا وشَدَائِدِهَا ما قاسَوْا .

فَبيَنما هُم في كُرَبِهَا وأهْوَالِهَا وَدَوَاهِيْهَا وقُوْفاً يَنتَظِرُوْنَ حَقِيْقَةَ أَخْبَارِهَا وَتَشْفِيْعَ شُفَعَائِهَا إذْا أَحَاطَتْ بالمُجْرِمِيْنَ ظُلُمتٌ ذاتُ شُعَبٍ وأُظَلَّتْ عَليهم نارٌ ذَاتُ لَهَبٍ وسَمِعُوْا لَهَا زَفِيراً وجَرْجَرَةً تُفْصِحُ عن شِدَّةِ الغَيْضِ والغَضَبِ .

قال الله تباركَ وتعالى : ﴿ إذَا رَأَتْهُمْ مِن مَكَانٍ بَعِيْدٍ سَمِعُوْا لَهَا تَغَيُّظاً وزَفِيْرا ﴾ ، فَعِنْدَ ذلك أَيْقَنَ المُجْرُمُوْنَ بالعَطَبِ ، قال اللهُ عَزَّ مِن قَائِلٍ : ﴿ ورأَى المُجْرِمُوْنَ النارَ فظنُوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوْهَا ولم يَجْدُوْا عَنها مَصْرِفَا ﴾ .

وجَثَتِ الأُمَمُ عَلى الرُكَبِ حَتَّى أُشْفَقَ البُرَءاءُ مِن سُوءِ المُنْقَلَبِ ، قال الله جل وعلا وتقدس : ﴿ وتَرَى كل أمَّةٍ جَاثية كُلُ أَمَّةٍ تدعى إلى كتابها اليومَ تجْزَوْنَ مَا كنتم تَعْمَلُون ﴾ .

وخَرَجَ المنادِي قائلاً أيْنَ فُلَانُ المُسَوِّفُ نَفْسهُ في الدنيا بِطُوْلِ الأملِ ، المضَيِّع عُمُرَهُ في سُوْءِ العمل .

فَيُبَادِرُوْنَه بِمقَامِعَ مِن حَدِيْد ويَسْتَقْبِلُونَهُ بِعَظَائِمِ التَّهْدِيْد ويَسُوْقُونَهُ إلى العَذَابِ الشَّدِيْد ويُنَكَسُوْنَهُ في جَهَنَّمَ ويَقُولُونَ لَهُ : ﴿ ذُقْ إنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الكريم ﴾ .

فأُسْكِنُوا دَاراً ضَيِّقَةَ الأَرْجَاءِ ، مُظْلِمَةَ المَسَالِكَ ، مُبْهَمَةَ المهالك ، قال الله جل وعلا :﴿ وإذا أُلقُوا منها مَكَاناً ضَيِّقاً مُقرنين دَعَوا هُنَالِكَ ثُبُورَا ﴾ دَارٌ

يُخَلَّدُ فيها الاسْير ويُوْقَد فيها السعِير شرابهم الحميم ومُسْتَقَرُّهُم الجَحِيْم .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ هذه جهنم التي يُكذب بها المجرمون يَطُوفون بَيْنَهَا وبَيْنَ حَمْيم آن ﴾ وقال تعالى : ﴿ إنها ساءت مُسْتَقراً ومقاما ﴾ الهَاوِيَةُ تَجْمَعُهُمْ والزَّبَانِيَةُ تَقْمَعُهُمْ .

قال تبارك وتعالى : ﴿ فالذين كَفَرُوا قُطِعَتْ لهم ثيابٌ من نار يُصَب مِن فوق رؤوْسِهِمُ الحميم يُصْهَر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامِعُ مِن حَدِيْد كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا منها مِن غَمٍّ أُعِيْدُوْا فيها وذوقوا عَذاب الحريْق ﴾

وقال تعالى : ﴿ إنها عليهم مُؤْصَدة في عَمَدٍ مُمَدَّدَة ﴾ أَمَانِيُّهُمْ فيها الهَلاكُ ، وما لِهُمْ منها فكاك ، قال تعالى : ﴿ ونادوا يا مالك لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قال إنكم مَاكِثُون ﴾ قَدْ شُدَّتْ أَقْدَامُهُم إلى النواصي ، واسْوَدَّتْ وجُوْهُهُمْ مِن ظُلْمَةِ المَعَاصِي .

يُنَادُوْنَ مِن أكْنافِها ويَصِيْحُوْنَ في نَواحِيْهَا وأطْرَافِهَا يَا مالك قد حَقَّ عَلَيْنَا الوَعِيْد يَا مَالِكُ قد أَثقَلَنَا الحَدِيْد ، يَامِالِكُ قد نَضِجَتْ مِنَّا الجُلُودُ ، يَا مَالِكُ العَدَمُ خَيْرٌ مِن هَذَا الوُجُوْد ، يَا مَالِكُ أُخْرِجْنَا منها فانَا لا نَعُوْد .

فَتَقُول الزَّبَانِيَةُهَيْهَاتَ لَاتَ حِينَ مناص ، ولا خُرُوْجَ لَكُمْ مِن دَارِ الهُوْن قال الله جل جلاله وتَقَدَّسَتْ أسماؤه : ﴿ قالوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوتنا وكنا قوماً ظَالين، رَبَّناأخرِجْنَامنهافإن عُدْنا فإنا ظالمون ، قال اخْسَؤُا فيها ولا تُكَلِّمُوْن ﴾ .

ولو خَرَجْتم لَكُنْتُم إلَىَ ما نُهِيْتُوا عنه تَعُوْدون قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إذْ وَقِفُوا على النار فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ ولا نكذب بآيات رَبنا ونكُونَ من المؤمنين ، بل بَدَا لَهُم ماكانوا يُخْفُونَ مِن قَبل وَلو رُدُّوْا لعَادُوْا لِمَا نهو عنه وإِنَّهُمْ لكاذبون ﴾ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ يقْنَطُون وعلى تَفرِيْطِهِم فِي جَنْب الله يَتَأسَّفُون ولا يُنْجِيْهِمُ الندم ولا يُغنِيهُم الأسَفُ بَلْ يُكَبُوْنَ على وجُوهِهِمْ مَغْلُولِيْن قال تَعالى : ﴿ فَكَبكِبُوا فيها هُمْ والغَاوُوْن وجُنُوْدُ إِبْلِيْسَ أجْمَعُون ﴾ .

النارُ مِن فَوقِهِم والنارُ مِن تَحتِهِم والنارُ عن أيْمَانِهم والنارُ عن شمائِلِهِم قال اللهُ جَلَّ وعَلا : ﴿ لِهُمْ مِن فوقِهِم ظُللٌ مِن النار ومِن تَحْتِهِم ظُللٌ ﴾ فهم غَرْقَى فِي النارِ طَعَامُهُمْ نارٌ وشرابُهُمْ نارٌ ولِبَاسُهُم نارٌ ومِهَادُهم نارٌ قال الله جل وعلا : ﴿ لَهُم مِن جَهَنَّمَ مِهادٌومِن فَوقهم غَواشٍ ﴾ .

فَهُمْ بَيْنَ مُقَطَّعَاتِ النِيرانِ وسَرَابْيلِ القطِران وضرب المقامِعِ وثِقْل السَّلاسِلِ فهم يَتَجَلْجَلُوْنَ فِي مَضَايقهَا ويَتَحَطَّمُوْنَ فِي دَرَكَاتِهَا ويَضْطَرِبُوْنَ فِي غَواشِيْهَا تَغْلِي بِهِم النارُ كَغَلْي القُدُوْرِ ويَهْتِفُونَ بالوَيْلِ والثُبور .

قال تعالى : ﴿ فالذين كَفَرُوْا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثيابٌ مِن نار يُصَبُّ من فَوق رُؤُسِهِم الحَمِيْم يُصْهَرُ بِهِ ما فِي بِطُوْنِهم والجلود ولهم مقامِعُ مِن حَدِيْد كُلَّما أرَدُوا أن يَخْرُجُوا منها مِن غَمٍّ أعيدوا فيها وذوقوا عَذابَ الحَرِيْق ﴾ .

قِيْلَ إنَّ مَقَامِعَ الحَدِيْد تُهْشَمُ بِهَا جِباهُهُمْ فَيَتَفَجَّرُ الصَّدِيدُ فِي أفْوَاهِهِم وتَنْقَطِعُ مِن العَطَشِ أكْبَادُهُم وتسِيْل على الخُدُوْدِ أحْدَاقُهم وتَسْقُطُ مِن الوَجَنَاتِ لُحُومُهَا وتَتَمَزَّقُ الجُلُود .

قال الله جل وعلا : ﴿ كلما نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُم جُلُوداً غَيْرَهَا ﴾ قد عَرِيَتْ مِن اللَّحْمِ عِظَامُهُمْ فَبَقِيَتْ الأرْوَاحُ مَنُوطَةً بالعُرُوْق وعلائق العَصَب وهِيَ تَنِشُّ فِي لَفحِ تِلْكَ النِيران وهِمْ مَعَ ذلك يَتَمَنُّونَ الموتَ فَلا يمُوْتُون .

قال الله جل وعلا وتقدس : ﴿ وياتيهِ الموتُ مِن كل مكانٍ وما هو بِميت ومن ورائه عَذَابٌ غَلِيْظ ﴾ فكيف بكَ لَو نَظَرْتَ إلِيْهِم وقد سُوِّدَتْ وجوههم

وأُعْمِيَتْ أبْصَارُهُم وأُبْكِمَتْ ألْسِنَتُهُمْ وقُصِمَتْ ظُهُورُهُم وكُسِرَتْ عِظَامُهُمْ ومُزِّقَتْ جُلُوْدُهُم وَغُلَّتْ أيْدِيهم إلى أعْنَاقِهم وجُمِعَ بَيْنَ النَّواصي والأقْدَام .

قال تَعَالى : ﴿ يُعْرَفُ المُجْرِمُوْنَ بِسِيماهُم فيؤخَذُ بالنَّواصِي والأقدام ﴾ وقال تعالى : ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وُجُوهِهم عُمْياً وبُكْماً وصماً مأواهُم جَهَنَّم كلما خبت زدناهم سَعِيْرًا ﴾ .

فَلهِيْبُ النارِ سَارٍ في بَوَاطِنِ أجْزَائِهم وحَيَّاتُ الْهَاوِيَةِ وعَقَارِبُهَا مُتَشَبِّثَةٌ بِظَواهِرِ أعْضَائِهم . ذَكَرَ الترمذي من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « يَخْرُج عُنُقٌ مِن النار يوم القيامة لَهُ عَيْنَانِ تُبْصران وأُذُنَانِ تَسْمَعَان ولِسَانٌ يَنْطِقُ يَقُولُ إني وُكِّلْتُ بثلاثة بِمَنْ جَعَلَ مَعَ الله إلهاً آخَرَ وبِكُل جَبَّارٍ عَنِيْد وبالمصُوِّرِيْن » .

وذَكَرَ الترمذيُ مِن حَدِيثِ أبي أمَامَةَ عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ ويُسْقَى مِن ماءٍ صَدِيْد يتجرَّعُهُ ولا يكادُ يُسِيْغُهُ ﴾ قال : يُقَربُ إلىَ فِيْهِ فيكْرَهُهُ فإذا أدْنِي منه شَوى وجْهَهُ وَوقَعَتْ فروة رَأسِهِ فإذا شرب قَطَعَ أمْعَاءَهُ حتى يَخْرُجَ مِن دُبُرِه يقول الله عز وجل : ﴿ وسقُوا مَاء حَميْماً فَقَطَّعَ أمْعَاءهم ﴾ ويَقُول : ﴿ وإن يَسْتَغِيثوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالمْهلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشرابُ وساءَتْ مُرْتَفَقا ﴾ .

وأنشـــدوا :

أَمَا سَمِعْتَ بأَهْلِ النَّارِ في النَّارِ ... وعن مُقَاسَـاةِ مَا يَلقَوْنَ في النَّارِ
أَمَا سَمِعْتَ بأَكْبَادٍ لَهُم صَـدَعَتْ ... خَوفاً مِن النـارِ قد ذَابَتْ عَلَى النارِ
أَمَا سَمِعْتَ بأَغْـلالٍ تُنَـاطَ بِهم ... فَيُسْحَبُونَ بِهَـا سَحْبـاً عَلَى النّارِ
أَمَا سَمِعْتَ بِضِيْقٍ في مَجَالِسِهِـمْ ... وفي الفِـرَارِ ولا فِـرَارَ في النَّـارِ

أَمَا سَمِعْتَ بِحَيَّـاتٍ تَدِبُّ بِهَا ... إِلَيْهِمُ خُلِقَتْ مِن خَـالِصِ النَّـارِ
أَمَا سَمِعْتَ بِأَجْسَـادٍ لَهُم نَضِجَتْ ... مِن العَـذَابِ ومِن غَلْيٍ عَلَى النَّارِ
أَمَا سَمِعْتَ بِمَا يُكَلَّفُـونَ بِهِ ... مِن ارْتِقَـاءِ جِبَـالِ النَّارِ في النَّارِ
حَتَّى إِذَا مَا عَلَوْا عَلَى شَوَاهِقِهَا ... صُبُّـوْا بِعُنْفٍ إِلَى أَسَافِلِ النَّـارِ
أَمَا سَمِعْتَ بِزَقُّـومٍ يُسَـوِّغُهُ ... مَاءٌ صَدِيْدٌ ولا تَسْـوِيْغَ في النَّـارِ
يُسْقَوْنَ مِنْهُ كُئُـوْساً مُلِّئَتْ سَقَماً ... تَرْمِى بِأَمْعَـائِهِم رَمْيَـاً عَلَى النَّـارِ
يَشْوِيْ الوُجُوهَ وُجُوْهاً أُلْبِسَتْ ظُلَماً ... بِئْسَ الشَّرَابُ شَرَابُ سَـاكِنِي النَّارِ
ولا يَنَـامُوْنَ إِنْ طَافَ المَنَـامُ بِهِمْ ... ولَا مَنَـامَ لِأَهْلِ النَّـارِ في النَّـارِ
إِنْ يَسْتَقِيْلُوا فلا تُقَـال عُثْرَتُهُـمْ ... أَوْ يَسْتَغِيْثُوْا فَلا غِيَـاثَ في النَّـارِ
وَإِنْ أَرَادُوْا خُرُوْجـاً رَدَّ خَارِجُهُمْ ... بِمَقْمَعِ النَّـارِ مَدْحُوْراً إِلَى النَّـارِ
فَهُمْ إِلَى النَّـارِ مَدْفُوْعُوْنَ بِالنَّـارِ ... وَهُمُ مِن النَّـارِ يُهْرَعُـوْنَ لِلنَّـارِ
ما أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُـمْ مِن عَذَابِهِمُ ... ولا تُفَـتَّرُ عَنْهُمْ سَوْرَةُ النَّـارِ
فَهَذِهِ صَدَعَتْ أَكْبَـادَ سَامِعِهَـا ... مِن ذِي الحِجَي ومِن التَّخْلِيدِ في النَّارِ
ولَوْ يَكُونُ إِلَى وَقْتٍ عَذَابَهُمْ ... في النَّـارِ هَوَّنَ ذَاكُمْ لَفْحَـةَ النَّـارِ
فَيَا إِلَهِيْ ومَنْ أَحْكَـامُهُ سَـبَقَتْ ... في الفِرْقَتَيْنِ مِن الجَنَّـاتِ والنَّـارِ
رَحْمَاكَ يَا رَبِّ في ضَعْفِي وفي ضَعَتِي ... فَمَا وُجُودِكَ لِيْ صَبْرٌ عَلَى النَّـارِ
ولا عَلَى حَرِّ شَمْسٍ إِنْ بَرِزْتُ لَهَا ... فَكَيْفَ أَصْبِرُ يا مَوْلَاىَ لِلنَّـارِ
فَإِنْ تَغَمَّـدَنِي عَفْوٌ وثِقْـتُ بِهِ ... مِنْكُمْ وَإِلاَّ فإِني طُعْمَةُ النَّـار

آخـر :

يا مُنْفِقَ العُمْرِ في حِرْصٍ وفي طَمَعٍ ... إِلَى مَتَى قَدْ تَوَلَّـى وانْـقَضَى العُمُرُ
إِلى مَتَى ذَا التَمَـادِي في الضَّلَالِ أَمَـا ... تَثْنِيكَ مَوْعِظَةٌ لَوْ يَنْفَعُ الذِكَرُ
بادِرْ مَتَاباً عَسَى مَا كَانَ مِن زَلَلٍ ... وَمَا اقْتَرَفْتَ مِن الآثَامِ يُغْتَفَرُ

وجَنِّبْ الحِرْصَ واتْرُكْهُ فَمَا أُحَدٌ يَنَالُ بالحِرْصِ مَا لَمْ يُعْطِه القَدَرُ
وَلا تُؤمِلْ لِمَا تَرْجُو وَتَحْـذَرُهْ مَن لَيسَ فِي كَفِّهِ نَفْعٌ وَلَا ضَرَرُ
وَفَوِّضِ الأَمْرَ لِلْرَّحْمٰنِ مُعْتَمِـداً عَلَيْهِ في كُلِ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ
وَاحْذَرْ هُجُومَ المَنَايَا واسْتَعِدَّ لَهَا مَادَامَ يُمْكِنُكَ الإعْدَادُ والحَـذَرُ
إنْتَهى

آخـر :
لِمَنْ جَدَثٌ أَبْصَرْتُه فَشَجَاني وأرْسَل في شَجْوِ الهُمُومِ عِنَاني
سَفَكْتُ عَليهِ أدْمُعِي فَسَقَيْتُهُ كَمَا هُوَ مِنْ كَأْسِ الشُجُوْنِ سَقَانِي
وقَفْتُ بِهِ حَيْرَانَ وقْفَةَ هَائِـمٍ أُعَالِجُ قَلْباً دَائِمَ الخَفَقَـانِ
وما بِيَ مَنْ في القَبْرِ لَكِنْ رَأَيْتُهُ على حَالَةٍ فِيهَا وشِيْكَ أرَانِي

آخـر :
ولَمَّا قَسَا قَلْبِي وضَاقَتْ مَذَاهِبِيْ جَعَلْتُ الرَّجَا مِنّي لِعَفْوكَ سُلَّمَا
تَعَاظَمِنِي ذَنْبِيْ فَلمَّـا قَرَنْتُـهُ بِعَفْوكَ رَبي كَانَ عَفْوُكَ أعْظما
فِللّهِ دَرُّ العَارف النَّـدْبِ إنَّهُ تَسحُّ لِفَرْطَ الوَجْدِ أُجْفانُـهُ دَمَا
يُقِيْمُ إذَا ما اللَّيْلُ مَدَّ ظَلَامَهُ عَلَى نَفْسِهِ مِن شِدَّةِ الخَوْف مأْتَمَا
فَصِيْحاً إذَا كَانَ مِنْ ذِكْرِ رَبِّهِ وفِيْمَا سِوَاهُ فِي الوَرَى كَانَ مُعْجَمَا
ويَذْكُرُ أَيَّاماً مَضَتْ مِن شَبابِهِ وما كان فيها في الجَهَالَةِ أجْرَمَا
فَصَارَ قَرِيْنَ الهَمِّ طُول نَهَارِهِ ويَخْدِمُ مَوْلَاهُ إذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا
يَقُولُ إلهِيْ أُنْتَ سُـؤْلِي وبُغْيَتِي كَفَى بِكَ لِلرَّاجِيْن سُـؤْلاً ومَغْنَمَا
فأنْتَ الذي غَذَّيْتَني وكَفَلْتَنِيْ وما زَلْتَ مَنَّـاناً عَليَّ ومُنْعِمَا
رَجوتُكَ مَوْلِي الفَضل تَغْفِرُ زَلَّتي وتسْتُرُ أوزَارِيْ وَمَا قَدْ تَقَدَّمَا
إنْتَهى

آخــر :

قِفْ بالقُبُور بِأَكْبَـادٍ مُصَدَّعَةٍ ... وَدَمْعَـةٍ مِن سَوَادِ القَلْبِ تَنْبَعِثُ
وَسَلْ بها عن أُنَاسٍ طَالَمَا رَشَفُوْا ... ثَغْرُ النَّعِيْمِ وَمَا فِي ظِلِّهِ مَكَثُوْا
مَاذَا لَقُوْا فِي خَبَايَاهَا ومَا قَدِمُوْا ... عَلَيهِ فِيْهَا ومَا مِن أَجْلِهِ ارْتَبَثُوْا
وعَن مَحَاسِنِهم أنْ كَانَ غَيَّرَهَا ... طُوْلُ المَقَامِ بِبَطْنِ الأرْضِ واللُّبَثُ
وَمَا لَهُم حَشَرَاتُ الأرْضِ تَنْهَشُهُمْ ... نَهْشاً نَزُوْلُ لَهُ الأعْضاءُ والنَّجَثُ
وتِلْكُمُ الفَتَيَاتُ إذْ طُرِحْنَ بِهَـا ... هَلْ كانَ فِيْهِنَّ ذَالتَّغْيِيْرُ والشَّعَثُ
فإنْ يُجبْكَ عَلَى لأيٍ مُجِيْبُهُمُوْا ... ولَنْ يُجيْبَ وأنَّى يَنْطِقُ الجَـدَثُ
فانْظُرْ مَكَانَكَ فِي أَفْنَاءِ سَاحَتِهِمْ ... فَإِنَّهُ الجِدُّ لَا هَزْلٌ ولَا عَبَثُ

إنْتَهَى

آخـــر:

لِمَنِ الأقْبُرُ فِي تِلْكَ الرُّبى ... مَلأَتْ صَدْرِيَ شَجْواً وأُسَى
لِمَنِ الأوْجُهُ فيها كَسَفَتْ ... بَعْدَ حُسْنٍ وجَمَالٍ وضِيَـا
لِمَنِ الأجْسَـامُ فيهـا بَلِيَتْ ... بَعْدَ زَهْوٍ وشَـبَابٍ وانْتِشَـا
ومَنِ الفُرْسَانُ فيها قَدْ نَسُوا ... رَوْعَةَ الحَرْبِ بِرَوْعَـاتِ الثَّرا
ورَمَوْا إذْ هَتَفَ المـوتُ بهم ... بِسُيُوفِ الهِنْدِ رَوْعاً والقَنَـا
ومَن الخُرَّدُ فِيهـا شَـدَّمَا ... فَتَكَتْ قَبْـلَ آسَـادِ الشَّـرَا
نَظَرَ المـوتُ إِلَيْهَا فَغَـدَتْ ... تَنْفُرُ الأنْفُسُ منهـا إذْ تُـرَى
لِمَن الأقْبُرُ فِي تِلكَ الرُّبَى ... أَلْبَسَتْ جِسْمِيَ أَثْـوَابَ الضَّنَا
يَا جُفُـوْناً أَرْسَلَتْ أدْمُعَهَـا ... مَابِذَا بَأْسٌ لَوْ أَرْسَـلْتِ الدِّمَا
صَاحِ يَا صَاحِ وُنِيْرَانُ الجَوى ... عَلِقَتْ مِنِّي بِأَثْنَـاءِ الحَشَـا
لا تَظَنَـنَّ بُكَائِـي لَهُمُـــوْا ... لَيْسَ واللهِ لهُمْ هَـذَا البُكَا

إنما أبْكِيْ لِنفسي لا لَهمْ فَكَأنِي اليَوْمَ فِيْهِمْ أوْ غَدَا
هَامِدُ الجَمْرةِ مَوْهُونُ القُوَى دَائِمُ الحَسْرةِ مَقْطُوعُ العُرَى

آخَـرُ :

يَا طَالِباً رَاحَةً مِنْ دَهْرِهِ عَبَثاً
أقْصر فَمَا الدَّهْرُ إلاَّ بالهُمُوْمِ مُلِيْ
كَمْ مَنْظَرٍ رَائِقٍ أفْنَتْ جَمَالَته
يَدُ المَنُوْنِ وَأعْيَتْهُ عَنْ الحِيَلِ
وَكَمْ هُمَامٍ وَكَمْ قَرْمٍ وَكَمْ مَلِكٍ
تَحْتَ التَرَابِ وَكَمْ شَهْمٍ وَكَمْ بَطَلِ
وَكَمْ إمَامٍ إلَيْهِ تَنْتَهِي دُوَلٌ
قَدْ صَارَ بالموتِ مَعْزُولاً عَنْ الدُّوَلِ
وَكَمْ عَزِيْزٍ أذَلَّتْهُ المَنُونُ وَمَا
أنْ صَدَّهَا عَنْهُ مِنْ مَالٍ وَلَا خَوَلِ
يَا عَارِفاً دَهْرَهُ يَكْفِيكَ مَعْرِفَةٌ
وَإنْ جَهلْتَ تَصَارِيْفَ الزَّمَانِ سَلِ
هَلْ في زَمَانِكَ أوْ مَنْ قَبْلَهُ سَمَعتْ
أذْنَاكَ أنَّ ابْنَ أُنْثَى غَيْرُ مُنْتَقِلِ
وَهَلْ رَأيْتَ أُنَاساً قَدْ عَلوا وَغَلَوا
في الفَضْلِ زَادُوا بِمَا نَالُوا عَنْ الأجَلِ
أوْ هَلْ نَسِيْتَ «لِدُوْا لِلْمَوْتِ» أوْ عَمِيَتْ
عَيْنَاكَ عَنْ وَاضِعٍ نَعْشاً وَمُحْتَمِلِ

وَهَلْ رَعَى المَوْتُ ذَا عِــزٌ لِعِزّتِهِ
أَوْ هَلْ خَلا أَحَــدٌ دَهْراً بِلا خَلَلِ

المَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّــاسِ دَاخِلُهُ
لَكِنَّ ذا الفَضْــلِ مَحْمُولٌ عَلَى عَجَلِ
وَلَيْسَ فَقْدُ إِمَــامٍ عَــالِمٍ عَــلَمٍ
كَفَقْدِ مَنْ لَيْسَ ذَا عِلْمٍ وَلا عَمَــلِ
وَلَيْسَ مَوْتُ الذِيْ مَاتَتْ لَهُ أُمَمٌ
كَمَوْتُ شَخْــصٍ مِنْ الأَوَغَــادِ وَالسَّفَلِ
إنْتَهَى

آخر :وكَيفَ قَـرَّتْ لِأَهْــلِ العِلم أَعْيُنُـهُمْ
أَوْ اسْتَلَذُوْا لَـذيـذَ النَـومِ أو هَجَعُـوْا
والمـوتُ يُنــذِرُهُمْ جَهْـراً عَــلانِيَـةً
لَـوْ كانَ لِلقـومِ أَسْمَـاعُ لَقـد سَمِعُـوا
والـنــارُ ضــاحِيَــةٌ لا بُــدَّ مَــوْرِدُهُــمْ
وليسَ يَــدْرُونَ مَن يَنْجُــو وَمَنْ يَقَــعُ
قَــدْ أَمْسَتْ الــطَّيْــرُ والأَنْعَـامُ آمِنَـةً
والنّـونُ في البَحرِ لا يُخْشَى لهَـا فَزَعُ
والآدمِيّ بِـهَــذا الـكَسْـبِ مُـرْتَـهَـنٌ
لَــهُ رَقـيـبٌ عــلى الأَسْــرارِ يَـطَّلِعُ
حَتَّى يُـرَى فِيـه يَومَ الجَمْـعِ مُنْفَـرِداً
وخَصْمُـــهُ الجِلْدُ والأَبْصَــارُ والسَّـمَــعُ
وإذْ يَـقُــومُــونَ والأَشْــهَــادُ قَــائِـمَــةٌ
والجِنُّ والإِنسُ والأَمْـلاكُ قَـدْ خَشعُـوا

وطارتْ الصُّحُفُ في الأيْدِي مُنْشَرَةً
فيها السَّرائِرُ والأخْبَارُ تُطَّلَعُ
فَكَيْفَ بالنَّاسِ والأنْبَاءُ وَاقِعَةٌ
عَمَّا قَليلٍ وَمَا تَدْرِي بِمَا تَقَعُ
أَفِي الجِنَانِ وَفَوزٍ لا انْقَطاعَ لَهُ
أَمْ في الجَحِيمِ فَلا تُبْقِي ولا تَدَعُ
تَهْوِيْ بُسُكَّانِهَا طَوْراً وَتَرْفَعُهُمْ
إذَا رَجَوْا مَخْرَجاً مِنْ غَمِّهَا قُمِعُوا
طَالَ البُكاءُ فَلَم يَنْفَعْ تَضَرُّعُهُم
هَيْهَاتَ لا رِقَّةٌ تُغْنِي ولاَ جَزَعُ
إنْتَهَى

آخــر:

يا نَائِماً وَالمَنُونُ يَقْضَى — وَغَالِباً والحِمَامُ أوْفَى
جَاءَكَ أمْرٌ وَأيُّ أمْرٍ — طَمَّ على غَيْرِهِ وعَفَّى
هَلْ بَعْدَ هَذَا المَشِيْبِ شَيْءٌ — غَيْرَ تُرابٍ عَلَيْكَ يُحْثَى
فلَيْسَ هَذَا الأمْرُ سَهْلاً — ولا بِشَيْءٍ عَلَيْكَ يَخْفَى
مِن بَعْدِ مَا المَرْءُ في بَرَاحٍ — يَهْتَزُّ تِيْهاً بِهِ وَظَرْفَا
سَاكِنُ نَفْسٍ قَرِيْرُ عَيْنٍ — يَرْشُفُ ثَغْرَ النَّعِيْمِ رَشْفَا
إذْ عَصَفَتْ في دَارِهِ رِيْحٌ — تَقْصِفُ كُلَّ الظُهُوْرِ قَصْفَا
فباتَ في أهْلِهِ حَصِيْداً — قَدْ جَعَفَتْهُ المَنُونُ جَعْفَا
فَعَادَ ذَاكَ النَّعِيْمُ بُؤْسَا — وصَارَ ذَاكَ السُكُوْنُ رَجْفَا
وسِيْقَ سَوْقاً إلَى ضَرِيْحٍ — يُرْصَفُ بالرَّغْمِ فِيْهِ رَصْفَا

وبَاتَ لِلدُّوْدِ فِيهِ طَعْماً ... ولِلْهَوامِّ العِطَاشِ رَشْفَا
وَلَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ رَهِيناً ... بِكُلِّ مَا قَدْ هَفَا وأَهْفَا

آخر:

ومُجَرِّر خَطِّيَّة يوْمَ الوغَى ... مُنْسَابَة مِن خَلْفِهِ كالأَرْقَمِ
تَتَضَاءَلُ الأَبْطَالُ سَاعَةَ ذِكْرِهِ ... وتَبِيتُ منه في إبَاءَةِ ضَيْغَمِ
شَرِسُ المَقَادَةِ لَا يَزَالُ رِبِيئَةً ... وَمَتَى يُحِسُّ بِنَارِ حَرْبٍ يُقْدِمِ
تَقَعُ الفَرِيْسَةُ مِنْهُ في فَوْهَاءَ إنْ ... يُطْرَحْ بِهَا صُمُّ الحِجَارة يُحْطَمِ
ضَمْآنَ لِلَّدمِ لا يَقُوْمُ بِرِيِّهِ ... إلاَّ المُرُوقُ في الجُسُوْمِ مِن الدَّمِ
جَاءَتْهُ مِن قِبَلِ المَنُونِ إشَارَةٌ ... فَهَوَى صَرِيْعاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفمِ
وَرَمَى بِمُحْكَمِ دِرْعِهِ وبِرُمْحِهِ ... وامْتَدَّ مُلْقىً كالبَعِيْرِ الأَعْظَمِ
لا يَسْتجِيبُ لِصَارِخٍ إنْ يَدْعُهُ ... أَبَداً ولا يُرْجَى لِخَطْبٍ مُعْظَمِ
ذَهَبَتْ بَسَالَتُهُ وَمَرَّ غَرَامُهُ ... لَمَّا رَآى خَيْلَ المَنِيَّةِ تَرْتَمِي
يَا وَيْحَهُ مِن فَارِسٍ مَا بَالُهُ ... ذَهَبَتْ فُرُوْسَتُهُ ولَمَّا يُكْلَمِ
هَذِي يَدَاهُ وهَذِهِ أعْضَاؤُهُ ... ما مِنْهُ مِنْ عُضْوٍ غَدَا بِمُثَلَّمِ
هَيْهَاتَ مَا خَيْلُ الرَّدَى مُحْتَاجَةٌ ... لِلْمَشْرَفِيِّ ولا السِّنَانِ اللَّهْذَمِ
هِيَ وَيْحَكُمْ أَمْرُ الإلٰهِ وحُكْمُهُ ... واللهُ يَقْضِيْ بالقَضَاءِ المُحْكَمِ
يا حَسْرَةً لَوْ كَانَ يُقْدَرُ قَدْرُهَا ... ومُصِيبَةً عَظُمَتْ ولَمَّا تَعْظُمِ
خَبَرٌ عَلِمْنَا كُلُّنَا بِمَكَانِهِ ... وكَأَنَّنا في حَالِنَا لَمْ نَعْلَمِ

آخر:

أَلَم تَسْمَعْ عن النَّبأِ العَظِيْمِ ... وعَن خَطْبٍ خُلِقْتَ لَهُ جَسِيْمِ
وَزِلْزَالٍ يَهُدُّ الأَرْضَ هَدّاً ... ويَرْمِيْ في الحَضِيْضَةِ بالنُّجُوْمِ
وأَهْوالٍ كَأَطْوَادٍ رَوَاسِيْ ... تَلَاطَمُ في طُلُوعٍ كالهَشِيْمِ

فَمِنْ رَاسٍ يَشِيبُ وِمن فُؤَادٍ يَذُوبُ وِمن هُمُومٍ في هُمُوْمْ
وسَكرانٍ ولَمْ يَشْرَبْ لِسُكْرٍ وهَيْمانٍ ولَمْ يَعْلَقْ بِرِيْمْ
وَمُرْضِعَةٍ قَدْ أَذْهَلَها أَسَاهَا فَمَا تَدْرِيْ الرَّضِيْعِ مِن الفطِيْم
ومُؤْتَمِةٍ تَوَلَّتْ عن بَنِيْهَا وأَلْقَتْ باليَتِيْمَةِ واليَتِيْم

وحُبْلَى أَسْقَطَتْ ذُعْراً وخَوْفاً فياللّهِ لِلْيَوْمِ العَقِيْمِ
وهَذَا مَشْهَدٌ لا بُدَّ مِنْهُ وجَمْعٌ لِلْحَدِيْثِ ولِلْقَدِيْمِ
وما كِسْرَى وَقَيْصَرُ والنَّجَاشِي وتُبَّعُ والقُرُوْمُ بَنُوا القُرُوْمِ
بِذَاكَ اليومِ إلاَّ في مَقَامِ أَذَلُّ مِن التُرابِ لِذِي السَّلِيمِ
وما لِلْمَرءِ إلاَّ مَا سَعَاهُ لِدَارِ البُوسِ أَوْ دَارِ النَّعِيْمِ
وأَنْتَ كما عَلِمْتَ وَربُّ أَمْرٍ يَكُونُ أَذاهُ أَوْقَعُ بالعَلِيْمِ
فَدَعْ عَيْنَيْكَ تَسبَحْ في مَعِيْنٍ وقَلْبَكَ ذَرْهُ يَقْلُبُ في جَحِيْم
وشُقَّ جُيُوبَ صَبْرِكَ شَقَّ ثُكْلَى تَعَلَّقَتِ ابْنُها رَجُلاً سَهُوْمْ
وَمَاذَا الأَمْرُ ذَلِكُمْ وَلَكِنْ تُشَبِّهُ بالبِحَارِ يَدُ الكَرِيْمِ
إنْتَهَى

اخر :
أُمْدُدْ يَمِيْنِكَ مِن دُنْيَاكَ آخِذَةً كِتَابَ فَوْزِكَ إِذْ تَحْتَلُّ أُخْرَاكَا
فَلَسْتَ تُدْرِكُ ما فِي ذَاكَ مِن أَمَلٍ إلاَّ بِوَاسِطَةٍ مِن دَارِ دُنْيَاكَا
فإنْ تَكَاسَلْتَ أَوْ قَصَّرْتَ في طَلَبِ كُنْتَ المُخَيَّبَ والمَطْلُوب إذْ ذَاكَا
يا نَائِمَ القَلْبِ عَنْ أَمْرٍ يُرَادُ بِهِ نَبِّهْهُ وَيْحَكَ إنَّ الأَمْرَ حَاذَاكَا
واشْدُدْ حُزَيْمَكَ وَاكْشِفْ سَاعِدَيْكَ لَهُ فَرُبَّمَا حُمِدَتْ بالجِدِّ عُقْبَاكَا
كَمْ رابِحٍ بِكِتَابٍ كَانَ أَمْلاَهُ هَنَا بما شَاءَ لا مَنْ كَانَ أَفَّاكَا
فَظَلَّ مُرْتَقِياً أَدْرَاجَ مَكْرُمَةٍ في عَدْنٍ أَوْ نَازِلاً في النارِ أَدْرَاكَا
وطَلَعَةُ الموتِ تُبْدِي عن حَقِيقَةِ مَا تُمْلِيْ فإيَّاكَ أَنْ تَنْسَاهُ إيَّاكَا
إنْتَهَى

آخـر :

ماذا تُؤمّلُ والأيّامُ ذاهِبَـةٌ ومِنْ وَرائِكَ لِلأيّامِ قُطّـاعُ
وصَيْحَـةٍ لِهُجومِ المَوْتِ مُنْكَرةٌ صُمَّتْ لِوَقْعَتِهَا الشنْعَاءِ أسْـمَاعُ
وغُصّةٍ بِكُؤوسٍ أنْتَ شَـارِبُهَا لَهَا بقَلْبِكَ الآمٌ وَأوْجَـاعُ
يا غَافِلاً وهْوَ مَطْلُوبٌ ومُتَّبَعٌ أتَاكَ سَيْلٌ مِن الفُرْسَانِ دَفّاعُ
خُذْهَا إليْكَ طِعَاناً فِيْكَ نَافِذةً تَعْدِى الجَلَيْسَ وأمْرُ لَيْسَ يُسْطَاعُ
إنَّ المنِيَّةَ لَوْ تُلْقى عَلَى جَبَلٍ لأصْبَحَ الصَّخْرُ منْهُ وَهْوَ مَيّاعُ

إنْتَهَى

آخـر :

واذكُرْ رُقَادَكَ في الـثَّرى في قَعْـرِ مُظْلِمَـةٍ بِهَـيمْ
قد نُحّيَتْ تِلْـكِ الحُـلَى واستُبْدِلَتْ تِلْكَ الرُّسُـومْ
وتُرِكْتَ وَيْحَـكَ مُفْـرَداً لَا أهْـلَ فِيْـهِ ولا حَمِـيْمْ
حَـيْرانَ تَفْـزَعَ لِلْبُـكَا لَهْفَـان تَأنَسُ بالغُمُـومْ
حَتَّى يُنَـادَى بالـوَرَى فتَقُـوْمُ أسْـرعَ مَا تَقُـوْمْ
عَرْيانَ مُصْطَفِـقَ الحَشَـا هَيْمَانَ مُجْتَـمِعَ الهمُـوْمْ
والنـاسُ قَدْ رَجَفَتْ بِهِـمْ حَرْبٌ هُنَـا لِكُمُوْا عَقِيْمْ
في مَأزَقٍ تَهْفُـوْ بِـهِ لَفَحَـاتُ نِيْرانِ السُّمُـوْمْ
وَبَدَتْ هُنَـاكَ سَـرَائِرٌ قَدْ كُنْتَ قَبْلُ لهـا كَتُـوْمْ
وَرَأيْتَ في مَحْصُـوْلِهَا ما شِـئْتَ مِنْ خُسْـرٍ وشُوْمْ

اخـر :

اعتـزِلْ ذكـر الغـواني والغَـزَلْ وقُلِ الفصـلَ وجـانبْ من هَـزَلْ
وَدَعِ الـذِّكـرى لأيـامِ الصِّبـا فَـلأيـامِ الصِّبـا نـجمٌ أفَـلْ
إنّ أهْنـا عِيشَـةٍ قَضَّـيْتَـهـا ذهَبـتْ لـذَّاتُـهـا والإثْـمُ حَـلّ
واتْـرُكِ الـغَـادَةَ لا تحـفـل بِهـا تُمْس فى عِـزّ رفـيـعٍ وتُـجـلّ

وافْتكِرْ في مُنتهى حُسْنِ الَّذِي أَنْتَ تهواهُ تَجِدْ أَمْراً جَلَلْ
وَاهْجُرِ الخَمْرَةَ إنْ كُنْتَ فَتىً كَيفَ يَسْعَى في جُنُونٍ مَنْ عَقَلْ
واتَّقِ اللهَ فَتَقْوَى اللهِ مَا بَاشَرَتْ قلْبَ امْرِىءٍ إلاَّ وَصَلْ
لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرْقاً بَطَلاً إنَّمَا مَن يَتَّقِي اللهَ بَطَلْ
صَدِّقِ الشَّرْعَ ولا تَرْكَنْ إلىَ رَجُلٍ يَرْصُدُ في اللَّيْلِ زُحَلْ
حَارَتِ الأفْكَارُ في قُدْرةِ مَن قَدْ هَدَانَا سُبْلَنَا عَزَّ وَجَلّ
أيْنَ نُمْرُودُ وكَنْعَانُ ومَن مَلَكَ الأرْضَ وَوَلَّى وعَزَلْ
أيْنَ عَادُ أيْنَ فِرعَونُ وَمَنْ رَفَعَ الأهْرَامَ مَن يَسْمَعْ يَخَلْ
أينَ مَن سَادُوا وشَادُوا وبَنَوْا هَلَكَ الكُلُّ فلمْ تُغْنِ الْقُلَلْ
أينَ أرْبَابُ الحِجَى أَهْلُ النُّهَى أيْنَ أهْلُ العِلمِ والقَومُ الأوَلْ
سَيُعِيْدُ اللهُ كُلاً مِنْهُمُ وسيَجْزي فاعِلاً ما قَدْ فَعلْ
يا بُنيَّ اسْمَعْ وَصَايَا جَمعتْ حِكَماً خُصَّتْ بِهَا خَيْرُ المِللَ
اطْلبِ العِلمَ ولاَ تكْسَلْ فَمَا أبْعدَ الخَيرَ عَلَىٰ أهْلِ الكَسَلْ
واحْتَفِلْ لِلْفِقْهِ في الدِّيْنِ وَلاَ تَشتَغِلْ عَنْه بِمَالٍ وخَوَلْ
واهْجُرِ النَّومَ وَحَصِّلْه فَمَنْ يَعرفِ المَطْلُوبَ يحقِرْ مَا بَذَلْ
لا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أرْبَابُهُ كُلُّ منْ سَارَ على الدَّربِ وَصَلْ
في ازْدِيَادِ العِلمِ إرْغَامُ العِدَى وجَمَالُ العِلم إصْلاحُ العَمَلْ
أنَا لا أخْتَارُ تقبِيْلَ يَدٍ قَطعُهَا أجْمَلُ مِن تِلك القُبَلْ
إنْ جَزَتْني عنْ مَديحِي صِرْتُ فِي رِقِّهَا أوْلاَ، فَيكْفِيْني الخَجَلْ
مُلْكُ كِسْرَىٰ عنه تُغْني كِسْرَةٌ وعنِ البَحْرِ اكْتِفَاءٌ بالوَشَلْ
أعْذَبُ الألَفاظِ قَوْلي لَكَ : خُذْ وأمَرُّ اللَفظِ نُطْقِي بِلَعَلّ

إعْتبِرْ ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ تلْقَهُ حقّاً ﴿ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾
لَيْسَ ما يَحْوي الفَتَىٰ مِن عَزْمِهِ لَا وَلَا مَا فَاتَ يَوماً بالكَسَلْ
اطْرَحِ الدُّنيا فَمِنْ عَاداتِها تخْفِضُ العَالي وتُعلِي مَنْ سَفَلْ
عِيشَةُ الرَّاغِبِ في تحْصِيلِهَا عِيشَةُ الزَّاهِدِ فِيهَا أَوْ أَقَلّ
كَمْ جَهُولٍ وهْوَ مُثْرٍ مُكثِرٌ وعَلِيمٍ مَاتَ مِنْهَا بالعِلَلْ
كَم شُجَاعٍ لم يَنَلْ منها المُنَىٰ وجَبانٍ نَالَ غاياتِ الأمَلْ
فاتْرِكِ الحِيلَةَ فِيهَا واتَّئِدْ إنَّمَا الحِيْلَةُ فِي تَرْكِ الحِيَلْ
أَيُّ كَفٍّ لم تَنَلْ مِمَّا تُفِدْ فَرَمَاهَا اللهُ مِنْهُ بالشَّلَلْ
لا تقلْ أَصْلي وفَضْلي أبَداً إنَّما أَصْلُ الفَتَىٰ ما قَدْ حَصَلْ
قَدْ يَسُودُ المَرْءُ مِن غَيرِ أبٍ وبِحُسْنِ السَّبكِ قد يُنْفَىٰ الزَّغَلْ
وكَذا الوَرْدُ مِنَ الشَّوْكِ ومَا يَطلَعُ النَّرجسُ إلا مِنْ بَصَلْ
مَعَ أنِّي أحْمَدُ اللهَ عَلىٰ نَسَبي إذْ بِأبي بَكْرٍ اتَّصَلْ
قِيمَةُ الإنسانِ ما يُحْسِنُهُ أكْثَرَ الإنسانُ مِنْهُ أَوْ أقَلّ
أكْتُمِ الأمْرَيْنِ فَقْراً وغِنَىً واكْسَبِ الفِلْسَ وَحاسِبْ مَنْ مَطَلْ
وادَّرِعْ جِدّاً وكَدّاً واجْتَنِبْ صُحْبَةَ الحَمْقَىٰ وأرْبَابَ الدُّوَلْ
بَيْنَ تَبْذِيرٍ وبُخْلٍ رُتْبَةٌ وكِلَا هَذَيْنِ إنْ زَادَ قَتَلْ
لا تخُضْ في حَقِّ سَاداتٍ مَضَوْا إنَّهم لَيْسُوا بأهْلٍ لِلزَّلَلْ
وتَغافَلْ عَن أُمورٍ إنَّهُ لم يَفُزْ بالحَمْدِ إلَّا مَنْ غَفَلْ
لَيسَ يَخلُو المَرءُ مِن ضِدٍّ وَلَوْ حاوَلَ العُزْلَةَ في رأسِ جَبَلْ
مِلْ عنِ النَّمَّامِ وَازْجُرْه فَمَا بَلَّغَ المَكْروهَ إلَّا مَنْ نَقَلْ
دَارِ جارَ السوْءِ بالصَّبرِ فإن لم تَجِدْ صبْراً فمَا أحْلَىٰ النُّقَلْ
جَانِبِ السُّلْطَانَ واحْذَرْ بَطْشَهُ لا تُعانِدْ مَنْ إذا قالَ فَعَلْ

لا تَلِي الحُكْمَ وإن هُمْ سَأَلُوا رَغْبَةً فيكَ وَخَالِفْ مَن عَذَلْ
إنَّ نِصْفَ الناسِ أعْداءٌ لِمَنْ ولِيَ الأحْكامَ هذا إنْ عَدَلْ
فهْو كالمَحْبُوسِ عنْ لَذَّاتِهِ وكِلا كَفَّيْهِ فِي الحَشْرِ تُغَلّ
إن لِلنَّقصِ والاسْتِثْقالِ فِي لَفْظَةِ القاضِي لَوَعظاً ومَثَل
لا توازَى لذةُ الحكمِ بِما ذاقَه الشخصُ إذا الشخصُ انْعزلْ
فالوِلاياتُ وإن طابَتْ لِمَن ذاقَها فالسُّمّ في ذاكَ العَسَلْ
نَصَبُ المنْصِبِ أوْهىٰ جَلَدِي وَعَنَائي مِنْ مُداراةِ السَّفِلْ
قَصِّرِ الآمالَ في الدُّنْيا تَفُزْ فَدَلِيلُ العَقْلِ تَقْصيرُ الأَمَلْ
إنَّ مَنْ يَطْلُبُهُ المَوْتُ عَلىٰ غِرَّةٍ مِنهُ جَدِيرٌ بالوَجَلْ
غِبْ وَزُرْ غِبّاً تَزِدْ حُبّاً فمَن أكْثَرَ التَّرْدادَ أقْصَاهُ المَلَلْ
خُذْ بنصْلِ السيفِ واتْركْ غِمْدَهُ واعْتَبِرْ فضْلَ الفتىٰ دُوْنَ الحُلَلْ
لا يُضُرُّ الفضْلَ إقْلالٌ كَمَا لا يضُرُّ الشمسَ إطباقُ الطَّفَلْ
حبُّكَ الأوْطانُ عَجْزٌ ظاهِرٌ فاغْتَرِبْ تَلْقَ عَنِ الأهْلِ بَدَلْ
فَبِمُكْثِ المَاءِ يَبْقَى آسِناً وسُرَىٰ البدْرِ بِهِ البَدْرُ اكْتَمَلْ
أيُّهَا العَائِبُ قَوْلِي عَبَثاً إنَّ طِيْبَ الوَرْدِ مُؤْذٍ لِلْجُعَلْ
عَدِّ عنْ أسْهُمِ قَوْلِي واسْتَتِرْ لا يُصِيبَنَّكَ سَهْمٌ مِن ثُعَلْ

وَصلاةً وسلاماً أبداً للنبيِّ المصطفىٰ خيرِ الدُّوَلْ
وَعلىٰ الآل الكِرامِ السُّعَدا وعَلىٰ الأصحابِ والقومِ الأُوَلْ
مَا ثَوَىٰ الرَّكْبُ بِعُشَّاقٍ إلىٰ أيمنِ الحيِّ وَما غَنَّىٰ زَمَلْ
إنْتَهى

آخـــر:

أتلْهُوْ بَيْنَ تِلْفازٍ وكـوْرَهْ وأنْتَ مِن الهَلَاكِ عَلَى شَفِـيْرِ
فيا مَنْ غَـرَّهُ أمَـل طـوِيْـل به يَدْنُـو إلى أجَـلٍ قَصِـيْرِ
أتَفْـرَحُ والمَنِيَّـةُ كل يَـوْمٍ تُرِيْكَ مَكَانَ قَـبْرِكَ في القُبُـورِ
هِي الدنيا وإنْ سَرَّتْكَ يَوْماً فإنَّ الحُزْنَ عاقِبَـةُ السُّـرُوْرِ
سَتُسْلَبُ كُلَّ مَا جَمَّعْـتَ فِيْهَـا كَعَـارِيَـةٍ تُـرَدُّ إلى مُعِـيْـرِ
وتَعْتَـاضُ اليَقِـيْنَ من التَّضَنِّـيْ ودَارَ الحَـقِ مِن دَارِ الغُـرُوْرِ

آخـر :

فـلِلّهِ دَرُّ الـعَـارِفِ الـنَّـدْبِ إنَّـهُ
تَسِحُّ لِفَـرْطِ الـوَجْـدِ أَجْفَـانُـهُ دَمَـا

يُقِيْـمُ إذَا مَـا اللَّيْـلُ مَـدَّ ظَـلَامَـهُ
عَلَى نَفْسِـهِ مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ مَـأْتَمَـا
فَصِيْحاً بِمَـا قَـدْ كَـانَ مِنْ ذِكْـرِ رَبِّـهِ
وَفِيْمَـا سِوَاهُ في الـوَرَىٰ كَـانَ أعْجَمَـا
وَيَـذْكُـرُ أَيَّـامـاً مَضَتْ مِنْ شَبَـابِـهِ
وَمَـا كَانَ فِيْهَـا بِـالجَهَـالَـةِ أَجْـرَمَا
فَـصَـارَ قَـرِيْنَ الـهَمِّ طُـوْلَ نَـهَـارِهِ
وَيَـخْـدِمُ مَـوْلَاهُ إذَا اللَّيْـلُ أظْـلَمَـا

يَـقُـولُ إلَهِـيْ أنْتَ سُـؤْلِيْ وَبُـغْيَـتِـيْ
كَفَى بِـكَ لِلرَّاجِيْـنَ سُؤْلاً وَمَـغْنَـمَـا

عَسَى مَنْ لَـهُ الاحْسَانُ يَغْفِـرُ زَلَتِيْ

وَيَسْتُـرُ أَوْزَارِيْ وَمَـا قَـدْ تَـقَـدَّمَـا

إنْتَهَى

آخـر :

إلى كَمْ إذَا مَا غِبْتُ تُرْجَى سَلاَمَتِي

وَقَـدْ قَعَدَتْ بِي الحَـادِثَـاتُ وَقَـامَتِ

وَعُمِّمْتُ مِن نَسْـجِ القَتِيْـرِ عِمَـامَـةً

رُقُـومُ البِلَى مَـرْقُـومَـةٌ بِعِمَـامَتِي

وَكُنْتَ أَرَى لِي فِي الشَّبَـابِ عَلاَمَـةً

فَـصِـرْتُ وَإِنِّي مُنْكِـرٌ لِـعَـلاَمَتِـي

ومَـا هِـيَ إلا أَوْبَـةٌ بَعـدَ غَـيْـبَـةٍ

إِلَى الغَيْبَـةِ القُصْـوَى فَثَمَّ قِيَـامَتِي

كَـأَنِّيْ بِنَـفْسِـي حَسْـرَةٌ وَنَـدَامَـةً

تُقَـطِّعُ إِذْ لَمْ تُغْنِ عَـنِيْ نَـدَامَـتِي

مُنَى النَّفس مِمَّا يُوْطِيءُ المَرْءَ عَشْوَةً

إذا النَّفْسُ جَـالَتْ حَـوْلَهُنَّ وَحَـامَتِ

وَمَنْ أَوْطَـأَتْـهُ نَفْسُــهُ حَـاجَـةً فَقَـدْ

أَسَـاءَتْ إِلـيْـهِ نَـفْـسُـهُ وَأَلاَمَـتِ

أَمَـا وَالذِي نَفْسِيْ لَـهُ لَـوْ صَـدَقْتُهَـا

لَـرَدَّدْتُ تَـوْبِيْخِي لَهَـا وَمَـلاَمَـتِي

فَـلِلَّهِ نَفْسٌ أَوْطَـأَتْـنِي مِـن العَـشَـا

حُـزُوْناً وَلَـوْ قَـوَّمْتُهَـا لاَسْتَقَـامَتِ

وَلِلّهِ يَوْم أيَّ يَوم فَظَاعَةً
وَأَفْظَعُ مِنْهُ بَعْدُ يَومُ قِيَامَتِي
وَلِلّهِ أَهْلِي إذْ حَبَوْنِيْ بِحُفْرَةٍ
وَهُمْ بِهَوانِي يَطْلُبُونَ كَرامَتِي
وَلِلّهِ دُنْيَا لا تَزَالُ تَرُدُّنِي
أَبَاطِيْلُهَا في الجَهْلِ بَعْدَ اسْتِقَامَتِي
وَلِلّهِ أَصْحَابُ المَلاَعِبِ لَوْ صَفَتْ
لَهُمْ لَذَّةُ الدُّنْيَا بِهِنَّ وَدَامَتِ
وَلِلّهِ عَيْنٌ أَيْقَنَتْ أَنَّ جَنَّةً
وناراً يَقِيْنٌ صَادِقٌ ثُمَّ نَامَتِ

آخر :

كأنْكَ لم تَسْمَعْ بأخْبَارِ مَن مَضَى ولمْ تَرَ في الباقينَ مَا يَصْنَعُ الدهرُ
فإنْ كُنْتَ لا تَدْرِي فَتِلْكَ دِيارُهُم عليها مجَالُ الريحِ بَعْدَكَ والقَطْرُ
وهَلْ أبْصَرَتْ عيناكَ حَيّاً بِمَنْزِلٍ على الأرض إلاَّ بالفَنَاءِ لَهُ قَبْرُ
وأهلُ الثَّرَى نَحوَ المَقَابرِ شُرَّعٍ ولَيْسَ لهم إلا إلى رَبِّهِمْ نَشْرُ
على ذاكَ مَرُّوا أجْمَعونَ وهَكَذَا يَمُرُّونَ حتّى يَسْتَرِدَّهُمُ الحَشْرُ
فلا تَحْسَبنَّ الوفْرَ مَالاً جَمَعْتَهُ ولَكِنَّ مَا قَدَّمْتَ مِن صالحٍ وفْرُ
ولَيْسَ الذي يَبْقَى الذي أنتَ جَامِع ولكنَّ مَا أوْلَيْتَ منه هُو الذُّخْرُ
قَضَى جَامِعُوا الأمْوَالِ لم يَتزوَّدُوا سِوَى الفَقْرِ يَا بُؤْساً لِمَنْ زَادُهُ الفَقْرُ
بَلى سَوْفَ تَصْحُو حِينَ يَنْكَشِفُ الغطَا وتَذْكُرُ قَولِي حِينَ لا يَنْفَعُ الذِّكْرُ
وما بَينَ مِيْلادِ الفَتى وَوَفَاتِهِ إذا نَصَحَ الأقْوَامُ أنْفُسَهُم عُمْرُ
لأنَّ الذي يَأتِي كَمِثْلِ الذي مَضَى وما هُو إلاَّ وَقْتُكَ الضَّيِّقُ النَّزْرُ

فصَبْراً على الأوقَاتِ حتى تَحُوزَهَا فعمَّا قَلِيْل بَعْدَها يَنْفَعُ الصَّبْرُ

إنْتَهى

اخـــــر :

أتيت إليكَ يا ربَّ العِبَادِ بإفلاسِي وذُلِّي وانْفِرَادِي

وهَا أنَا واقفٌ بالبَابِ أبْكِي زَمَاناً ما بَلَغْتُ بِهِ مُرَادِي

عَسَى عفوٌ يُبَلِّغُنِي الأمَانِي فقَدْ بَعُدَ الطَريقُ وقَلَّ زَادِي

ومَالِيْ حِيْلَةٌ إلا رَجَائِي ومنْكَ على المَدَى حُسْنُ اعْتِقَادِي

ولَوْ أقصيتَنِي وقَطَعْتَ حَبْلِي وحَقِّكَ لا أُحُولُ عن الوِدَادِ

فجُدْ بالعَفْوِ يا مَولايَ وارْحَمْ عُبَيْداً ضَلَّ عن طُرْقِ الرَّشادِ

وقَدْ وَافَى بِبَابِكَ مُسْتَجِيْراً يَخَافُ مِن القَطِيعَةِ والبِعَادِ

آخر : إذا شِئْتَ أنْ تَرْثِي فَقيْدًا مِن الوَرَى وَتَدْعُو لَهُ بَعْد النبي المُكَرَّم

فَلا تَبكِيَنْ إلَّا عَلىَ فَقْدِ عَالم يُبَادِرُ بالتَّفْهِيْم لِلْمُتَعَلِّمَ

وفَقْدِ إمَامٍ عَالِمٍ قَامَ مُلْكُهُ بأنْوار حُكْمِ الشَرعِ لا بالتَّحَكُمِ

وفَقْدِ شُجَاعٍ صَادِقٍ في جِهادِهِ وقد كُسِرَتْ رَايَتُهُ في التَّقَدُمِ

وفَقْدِ كَرِيْمٍ لا يَمَلُّ مِن العَطَا لِيُطْفِيءَ بُؤسَ الفَقْرِ عن كُلِّ مُعْدِمٍ

وفَقْدِ تَقِيٍّ زاهِدٍ مُتَوَرِّعٍ مُطِيْعٍ لِرَبِّ العَالَمِيْنَ مُعَظِمٍ

فَهُم خَمْسَةٌ يُبْكَى عَلَيْهِم وغَيْرُهم إلى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أمُّ قشعم

إنْتَهَى

آخــر :

يا أيُّها العَاصِي المُسَيءُ إلى مَتَى تَعْصِى الإله وتَغْتَذِي بنَوالِهِ

قُمْ في الدَّيَاجِي طالباً مرضاته واخْضَعْ وذُلَّ لعِزهِ وجَلَالِهِ

واخْضَعْ إليه ونادِهِ بِتَذَلُّلٍ يَا مَن يَجُودُ على الكئيبِ الوَالِهِ

يا مَن إذَا سَأَلَ المقصر عَفْوَهُ فَهْوَ المُجِيْبُ بفضْلِهِ لِسُؤآلِهِ
حَاشَاكَ تَمْنَعُهُ رِضَاكَ وَقَدْ أَتَى مُتَنَصِّلاً مِنْ عُظْمِ قُبْحِ فِعَالِهِ

آخــر :

قَطَعْتُ زمانِي حِيْناً فَحِيْنَا أُدِيْر مِن اللَّهْوِ فيه فُنُوْنَا
وأهْمَلْتُ نَفسِي وما أُهْمِلَتْ وهَوَّنْتَ مِن ذَاكَ مَا لَمْ يَهُوْنَا
ورُبَّ سُرُوْرٍ شَفَى غَلَّةً وَوَلَّى فأعْقَبَ حُزناً رَصِيْنَا
وكَمْ آكِلٍ سَاعَةَ لما يُرِيْد يُكَابِدُ ما أورثَتْهُ سِنِيْنَا
وما كان أغْنَى الفَتَى عن نَعيْمٍ يَعُودُ عَلَيهِ عَذَاباً مُهِيْنَا
وكِمْ وَعَظَتْنِي عِظَاةُ الزمان لَو أنِي أصِيْخُ إلىَ الوَاعِظِيْنَا
وكَمْ دَعَانِي دَاعِي المَنُوْن وأسْمَعَ لو كُنْتُ فِي السَّامِعِيْنَا
وماذا أؤمِّل أو أرْتَجِيْه وقد جُزْتُ سَبْعاً على الأرْبِعِيْنَا
فلو كانَ عَقْلِي مَعِي حَاضِراً سَمِعْتُ لَعَمْرِي منه أنِيْنَا
ولَنْ يَبْرحَ المَرْءُ فِي رَقْدَةٍ يَغِطُّ إلى أنْ يُوَافِي المَنُوْنَا
فَتُوْقِظُهُ عِنْدَها رَوْعَة تَقطَّعُ منه هُنَاكَ الوَتِيْنَا
وإذْ ذَاكَ يَدْرِيْ بِمَا كان فِيه وتَجْلُو الحَقَائِقُ مِنْهُ الظُنُوْنَا

إنْتَهَى

تُغازِلُنِي المَنِيَّةُ مِن قَرِيبِ وتَلْحَظُنِي مُلاحَظَةَ الرَّقِيبِ
وتَنْشُرُ لِي كِتاباً فيهِ طَيِّي بِخَطِّ الدَّهْرِ أسْطُرُه مَشِيبِي
كِتابٌ فِي مَعَانيهِ غُمُوضٌ يَلُوحُ لِكُلِّ أوَّابٍ مُنِيبِ
أرَى الأغْصارَ تَعْصِرُ ماءَ عُودِي وقِدْماً كُنْتُ رَيَّانَ القَضِيبِ
أدَالَ الشَّيْبُ يا صاحِ شَبَابِي فعُوِّضْتُ البَغِيضَ مِن الحَبِيبِ
وبُدِّلْتُ التَّثاقُلَ مِنْ نَشَاطِي ومِنْ حُسْنِ النَّضارَةِ بالشُّحُوبِ
كَذاكَ الشَّمْسُ يَعْلُوهَا اصْفِرارٌ إذَا جَنَحَتْ ومالَتْ لِلْغُرُوبِ

تُحارِبُنـا جُنـودٌ لا تُجـاري ولا تُلْقـى بآسادِ الحُـروبِ
هِيَ الأقْدارُ والآجالُ تأتِـي فَتَنْـزِلُ بالمُطَبِّبِ والطَّبِـيبِ
تُفَوِّقُ أسْهُماً عن قَوْسِ غَيْبٍ وما أغراضُها غَيْرُ القُلوبِ
فأنَّـى باحْتِـراسٍ مِنْ جُنـودٍ مُؤَيَّـدَةٍ تُمَـدُّ مِنَ الغُيـوبِ
وما آسى عَلَى الدُّنيا ولكنْ على ما قد رَكِبْتُ مِن الذُّنوبِ
فيا لَهفي على طُولِ اغتِراري ويا وَيْحي مِن اليومِ العَصِيبِ
إذا أنا لم أنُحْ نَفسِي وأبكي على حُوبِي بِتَهْتَانٍ سَكُـوبِ
فَمَنْ هذا الذي بَعْدي سيَبكي عليها مِن بَعيدٍ أو قريبِ؟

آخـر :

فَأَمْسَـوْا رَمِيْمـاً في الـتُّراب وَعُطِّلَتْ مَجَـالِسُهُمْ مِنْهُمْ وأخـلِيَ الْمَقَـاصِـرُ
وَحَـلُّوا بِـدَارٍ لَا تَـزَاوُرَ بَيْنَهُـمْ وَأَنَّـي لِسُـكَّانِ الْقُبُـورِ الـتَّزَاوُرُ
فَمَـا أَنْ تَـرَىٰ إلَّا قُبُـوْراً ثَـوَوْا بِهَـا مُسَـطَّحَةً تَسْفِيْ عَلَيْهَـا الأَعَـاصِـرُ
فَمَـا صَـرَفَـتْ كَـفُّ الْمَنِيَّـةِ إذْ أَتَـتْ مُبَـادَرَةً تَهْـوِي إلَيْهَـا الـذَّخَـائِـرُ

آخر

فإنْ تكُ مِن أهلِ السعادةِ والتقَى فإنَّ لها الحُسْنَى بحسْنِ فِعالِها
تفوزُ بجناتِ النَّعِيمِ وحُورِهَا وتَحْبَرُ في رَوْضَاتِها وظِلالِها
وترزق مِمَّا تشتهي مِنْ نَعِيمِها وتَشْربُ مِن تَسْنِيمِهَا وزلالِها
وإنَّ لهُمْ يومَ المزيدِ لموْعِداً زِيادةُ زُلْفَى غيرُهُمْ لا ينالُها
وجوهٌ إلى وَجْهِ الإلهِ نَواظِرٌ لقَدْ طالَ ما بالدمْعِ كانَ ابتلالُها
تجلَّى لها الربُّ الرحِيمُ مُسلِّماً فيزْدادُ مِن ذاكَ التَّجلِي جمَالُها
بمَقْعدِ صِدْقٍ حَبَّذا الجارُ ربُّهُمْ ودارُ خلودٍ لمْ يخافوا زَوالَها
فواكِهُهَا مِمَّا تلذُّ عيونُهُمْ وتطَّرِدُ الأنْهارُ بينَ خِلالِها
على سُرُرٍ موضُونةٍ ثم فرشُهُمْ كمَا قالَ فِيها رَبُّنا واصِفاً لَهَا
بطَائِنُها إسْتَبرقٌ كيفَ ظَنُّكُمْ. ظَواهِرُها لامُنْتَهَى لِجمالِها

إنتهى

آخر

قال رحمه الله : فى وصف العلم ووصية طلابه :

العِلْمُ أعلى وأحلى مالَه استمعتْ ... أُذْنٌ وأعرَبَ عنه ناطقٌ بفَمِ
العلمُ غايتُه القُصْوى ورُتبتُه ... العَلْياءُ فاسْعَوْا إليه ياذوي الهِمَمِ
العلمُ أشرفُ مطلوبٍ وطالبُه ... لِلّهِ أكرمُ مَن يَمْشي على قَدَمِ
العِلمُ نورٌ مُبينٌ يَستضىءُ بِهِ ... أهْلُ السَّعادةِ والجُهّالُ فى الظُّلَمِ
العلمُ أعلى حياةٍ لِلْعِبادِ كما ... أهْلُ الجهالةِ أمواتٌ بجهلِهِم

***

العلمُ واللهِ ميراثُ النبوةِ لا ... مِيْراثَ يُشبهُهُ طوبى لمقتسِمِ
لأنّهُ إرْثُ حقٍ دائمٍ أبداً ... وما سِواهُ إلى الإفْناءِ والعدَمِ
العلمُ ميزانُ شرعِ اللهِ حيثُ به ... قِوامُهُ وبِدُونِ العِلمِ لم يَقُمِ
وسُلطةُ العِلمِ تَنقادُ القلوبُ لها ... إلى الهدَى وإلى مَرْضاةِ ربِّهِم
ويَذْهَبُ الدينُ والدُّنيا إذا ذَهَبَ العِـ ... ـلمُ الذي فيه مَنْجاةٌ لِمعتصِمِ
العلمُ يا صاحِ يَسْتَغْفِرْ لِصاحبِهِ ... أهْلُ السَّمواتِ والأرضينَ مِن لَمَمِ
كذاكَ تَستغفرُ الحيتانُ فى لُجَجٍ ... مِن البحارِ لَهُ فى الضَّوءِ والظُّلَمِ

وخارجٌ فى طِلابِ العلمِ مُحتسِباً ... مُجاهدٌ فى سبيلِ اللهِ أيُّ كَمِي
وأنَّ أجنحةَ الأمْلاكِ تَبسُطُها ... لِطالبيهِ رِضًى مِنهُمْ بصُنعِهِمُ
والسّالِكونَ طريقَ العِلمِ يَسْلُكُهُمْ ... إلى الجِنانِ طَرِيقاً بارِىءُ النَّسَمِ
والسامعُ العِلْمَ والواعِي لِيحفظَهُ ... مُؤدِّيا ناشراً إيّاهُ فى الأمَمِ
فيا نَضارتَهُ إذْ كانَ مُتَّصِفاً ... بِذا بِدعوةِ خيرِ الخلقِ كُلِّهِمُ
كَفاكَ فى فضلِ أهلِ العلمِ أنْ رُفِعُوا ... مِنْ أجْلِهِ دَرَجاتٍ فوقَ غيرِهِمِ
وكانَ فَضْلُ أبينا فى القديمِ على ... الأمْلاكِ بالعِلمِ مِن تعْليمِ ربِّهِمِ
كذاكَ يُوسُفُ لمْ تَظهرْ فضيلتُهُ ... لِلعالمينَ بغيرِ العِلمِ والحِكَمِ
وقدَّمَ المُصطفى بالعِلمِ حامِلَهُ ... أعْظِمْ بذلكَ تقديماً لِذى قَدَمِ
كَفاهُمُوا أنْ غَدَوْا لِلْوَحْيِ أوْعِيَةً ... وأضحَتِ الآيُ منهُ فى صُدُورِهِمِ

وأنْ غَدَوْا وكلاءً في القيامِ به قولاً وفعلاً وتعليماً لغيرهم
وخصَّهم ربُّنا قصْراً بخشْيَتِه وعقْلِ أمثالِه في أصْدَقِ الكلم
ومعْ شهادتِه جاءتْ شهادتُهمْ حيْثُ استجابوا وأهلُ الجهلِ في صَمَم
والعالمونَ على العُبّادِ فضْلهمُ كالبدرِ فضْلاً على الدّرِي فاغتنم

وبالمهمّ المهمّ ابْدأ لتدركه وقدّم النصَّ على الآراءِ فافتهم
قدّمْ وجوباً علومَ الدين إنّ بها يُبِينُ نهجُ الهُدى من مُوجِب النِّقم
وكلُّ كسْرِ الفتَى فالدِّينُ جابرُهُ والكسْرُ في الدين صَعْبٌ غيرُ ملْتئم
ما العِلْمُ إلّا كتابُ اللهِ أوْ أثرٌ يجلُوا بنورِ هُداهُ كلَّ مُنبهم
ما ثَمَّ علمٌ سوى الوحْي المبينِ وما منهُ اسْتمدَّ ألا طوبى لمغتنم
والكتْمُ للعِلْم فاحْذرْ إنّ كاتمَهُ في لعْنَةِ اللهِ والأقوامِ كُلِّهم
ومنْ عقوبتِه أنْ في المعادِ له من الجحيمِ لجامًا ليْسَ كاللُّجُم
وكاتمُ العلْمِ عمّنْ ليْسَ يحْملُهُ ماذا بكتْمانْ بلْ صونٌ فلا تلُم
وإنّما الكتْمُ منْعُ العِلْم طالبَهُ من مسْتحقٍ لهُ فافهمْ ولا تَهِم
واتبع العِلْمَ بالأعمالِ وادْعُ إلى سَبيلِ ربّكَ بالتّبْيانِ والحِكَم
واصْبرْ على لاحقٍ من فتْنةٍ وأذى فيْه وفي الرُّسْلِ ذكرى فاقتدهْ بهم
لواحدٌ بكَ يَهْدِيْه الإلهُ لذا خيْرٌ غداً لكَ من حُمْرٍ من النعم
واسْلُكْ سَواءَ الصِّراطِ المستقيمِ ولا تعْدلْ وقلْ: ربيَ الرحمنُ واستقِم[1]
يا طالبُ العلمِ لا تبْغي به بدَلاً فقد ظفِرْت وربِّ اللّوحِ والقلم
وقدّسِ العِلْمَ واعْرفْ قدْرَ حُرْمتِه في القولِ والفعلِ والآدابِ فالتزم
واجْهدْ بعزمٍ قويٍ لا انثناءَ لَهُ لوْ يعْلمُ المرءُ قدْرَ العلْمِ لمْ يَنَم
والنّصحَ فابذِلْهُ للطّلابِ محتسباً في السِّرِ والجهْرِ والأستاذَ فاحترم
ومرْحباً قلْ لمنْ يأتيكَ يطْلُبُهُ وفيهم احْفظْ وصايا المصْطفى بهم
والنّيةَ اجْعلْ لوجْهِ اللهِ خالصةً إنّ البناءَ بدُونِ الأصْلِ لمْ يقُم
ومنْ يكنْ ليقولُ الناسُ يطْلبُه أخسرْ بصفقتِه في موْقفِ النّدم
ومنْ به يبْتغيْ الدُّنيا فليْسَ لهُ يومَ القيامةِ من حظ ولا قِسم

إيَّاكَ وَاحْذَرْ مُمارَاتِ السَّفِيهِ بِهِ كَذَا مُبَاهَاتِ أَهْلِ العِلْمِ لا تَرُمِ
فَإِنَّ أَبْغَضَ كُلِّ الخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ إِلَى الإِلَهِ أَلَدُّ النَّاسِ فِى الخِصَمِ
وَالعُجْبَ فَاحْذَرْهُ إِنَّ العُجْبَ مُجْتَرِفٌ أَعْمَالَ صَاحِبِهِ فِى سَيْلِهِ العَرِمِ

إنتهى

آخر

ضَيَّعْتَ عُمْرَكَ يَا مَغْرُورُ فِي غَفَلٍ قُمْ لِلتَّلَافِي فَأَنْتَ اليَوْمَ فِي مَهَلِ
وَاسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِمَّا فَاتَ مِنْ زَمَنٍ وَانْدُبْ بِتَوْبَةٍ عَلَى أَيَّامِكَ الأُوَلِ
بَادِرْ إِلَى صَالِحِ الأَعْمَالِ مُجْتَهِداً فَالنُّجْحُ فِي الجِدِّ وَالحِرْمَانُ فِي الكَسَلِ
كُنْ لَا مَحَالَةَ فِي الدُّنْيَا كَمُغْتَرِبٍ عَلَى رَحِيلٍ دَنَى أَوْ عَابِرِ السُّبُلِ
دَارُ الخُلُودِ مُقَاماً دَارُ آخِرَةٍ إِنَّ الإِقَامَةَ فِي الدُّنْيَا إِلَى أَجَلِ
وَكُلُّ مَنْ حَلَّ فِي الدُّنْيَا فَمُرْتَحِلٌ يَوْمًا لِمَنْزِلَةٍ فِي إِثْرِ مُرْتَحِلِ
هَلَّا اعْتَبَرْتَ فَكَمْ حَلُّوا وَكَمْ رَحَلُوا وَإِنَّمَا النَّاسُ فِي حِلٍّ وَمُرْتَحِلِ
إِذَا تَحَجَّهُمْ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ لَمْ يُغْنِ عَنْكَ اقْتِنَاءُ المَالِ وَالحُلَلِ
يَقُومُ عَنْكَ الأَطِبَّاءُ وَالصَّدِيقُ إِذًا وَقَدْ طَوَوْا صُحُفَ التَّدْبِيرِ وَالحِيَلِ
فَيُدْرِجُونَكَ فِي الأَكْفَانِ مُنْتَزِعًا عَنْكَ الثِّيَابَ مِنَ الأَبْرَادِ وَالحُلَلِ
وَيُودِعُونَكَ تَحْتَ الأَرْضِ مُنْفَرِداً وَيَتْرُكُونَكَ مَحْجُوبًا مِنَ المُقَلِ
وَقَائِلٌ مِنْهُمُ قَدْ كَانَ خَيْرَ أَبٍ وَقَائِلٌ مِنْهُمُ قَدْ كَانَ خَيْرَ وَلِيٍّ
فَبَعْدَ ذَلِكَ لَا يَدْرُونَ مَا فَعَلُوا وَهَمُّهُمْ فِي اقْتِسَامِ الإِرْثِ بِالجَدَلِ
وَبَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ فِي مُخَاصَمَةٍ وَإِنَّهُمْ بَيْنَ مَنْصُورٍ وَمُنْخَذِلِ
وَيَأْخُذُونَ قَرِيبًا فِي مَعَايِشِهِمْ لَا يَذْكُرُونَكَ فِي خَلْوٍ وَمُحْتَفَلِ

يَا أَيُّهَا الغِرُّ لَا تَغْرُرْكَ صُحْبَتُهُمْ خَيْرُ المُصَاحِبِ عِنْدِي صَالِحُ العَمَلِ
فِيمَ التَّغَافُلُ وَالأَيَّامُ دَائِرَةٌ فِيمَ التَّكَاسُلُ وَالأَحْوَالُ فِي حِوَلِ
فِيمَ العَوِيلُ لَدَى دَارٍ خَلَتْ وَعَفَتْ فِيمَ البُكَاءُ عَلَى الآثَارِ وَالطَّلَلِ

فيمَ التّصابي وأيّامُ الصِبَا غُبِرَتْ   فيمَ النسِيْبُ ولا إبانَ للغَزلِ
فكَيْفَ تلْعَبُ والخَمْسُونَ قَدْ كَمُلَتْ   وكَيْفَ تَلْهُوْ ونارُ الشّيْبِ في شُعلِ
دَعْ ذِكْرَ لَيْلَى ولُبْنَى وازْدِيادِهِمَا   ثم ارْتِحالهِمَا مِن هذهِ الحِلَلِ
تلْكَ الغَوانِي وإنْ أَخلَصْنَ خُلّتها   واللهِ لسْنَ بَريئاتٍ مِن الدّخلِ
حُبّ الأحِبّةِ حِرْمانٌ ومَنْدمةٌ   فالغَوْلُ عَاقِبَةٌ للشّارِبِ الثّمِلِ
يارَبِّ صَلِّ وسَلّمْ دائماً أبَداً   عَلَى نَبِيّكَ طَهَ سَيّدِ الرُّسُلِ

[فصـــــــل]

قال أحد العلماء : لا يكن هم أحدكم في كثرة العمل ، ولكن ليكن همه في إحكامه وإتقانه ، وتحسينه .

فإن العبد قد يُصَلي وهو يَعْصِي الله في صلاته ، وقد يصوم وهو يَعْصى الله في صيامه .

وقيل لآخـر : كيفَ أصْبَحْتَ فبكى ، وقال أصبحتُ في غَفْلةٍ عَظِيمةٍ عن الموت مَعَ ذُنوُب كثيرة قد أحَاطَتْ بي ، وأجلٌ يسرع كل يوم في عمري ، ومَوْئِل لستُ أدري علامَا أهجم ثم بكى .

وقـال آخـر : لا تَغْتَم إلا مِن شىء يَضُرك غداً (أي في الآخرة) ولا تفرح بشيءٍ لا يَسُرك غدا ، وأنفعُ الخوف ما حَجزَكَ عن المعـاصي ، وأطـال الحُزْنَ مِنْكَ على ما فاتك من الطاعة ، وألْزمَكَ الفِكْرَ في بَقِيةِ عُمرك .

وقال آخر : عليك بصحبة مَن تُذَكِّرُك الله عز وجل رُؤيَتُه ، وتقع هَيْبَتُه على باطنك ، ويَزيْدُ في عَملك مَنْطِقُه .

ويُزَهِدُكَ في الدنيا عَمله ، ولا تَعْصِى الله مادُمْتَ في قُربه ، يَعِظكَ بلِسانِ فِعْلِهِ ولا يَعِظُكَ بلِسانِ قَوْلِهِ .

قال إسرافيل : حضرتُ ذى النون المصري وهو في الحبس وقد دَخل الشُرطَي بطعام له ، فقام ذُو النون فنفض يده (أي قبضها عن الطعام) .

فقيل له : إن أخاك جَاءَ به ، فقال : إنه على يَدَيْ ظالم ،

قال : وسمعتُ رجلاً سأله ما الذي أتعبَ العبادَ وأضْعَفَهُم ؟

فقال : ذكر المقام وقلةُ الزاد ، وخوفُ الحساب ، ولم لا تذوبُ أبدانُ العمال وتذهلِ عُقولُهم ، والعرضُ على الله جل وعلا أمامَهم ، وقراءة كتبهم بين أيديهم .

والملائكة وقوفٌ بين يدي الجبار يَنْتَظِرونَ أمْرَهُ في الأخيار والأشرار ، ثم مثَّلوا هذا في نفوسهم وجَعَلُوه نُصْبَ أعْيُنِهِم .

وقال : سَقَمُ الجسد في الأوجاع ، وسقم القلوب في الذنوب ، فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه ، كذلك لا يجد القلب حلاوة العبادة مع الذنوب .

وقال : مَن لم يعرف قدر النعم ، سُلِبَها مِن حَيثُ لا يعلم .

ما خلع الله على عبد خلعة أحسنَ ولا أشرفَ مِن العقل ولا قلده قلادة أجمل من العلم ولا زينه بزينة أفضل من الحلم وكمال ذلك التقوى .

وقال آخر : أدركتُ أقواماً يَسْتَحْيُونَ مِن الله في سَوادِ الليل مِن طُول الهَجْعَةِ ، إنما هو على الجنب فإذا تحَرَّكَ قال لنفسه : ليَسَ لك قومي خُذِي حَظَّكِ مِن الآخرة .

وقال أبو هاشم الزاهد : إن الله عز وجل وِسَمَ الدنيا بالوحشة ، ليكن أنْسُ المريدين به دونها ، وليُقْبِلِ المطيعُونَ له بالاعراض عنها ، وأهْلُ المعرفة بالله فيها مُسْتَوْحِشون ، وإلى

الآخرة مُشتَاقُون .

ونِظَر أبو هاشم إلى شَرِيْكِ القَاضِي يَخْرجُ مِن دَارِ يحيى بن خالد فبكى ، وقال : أعوذ بالله مِن عِلْمٍ لا ينفع .

وقال أسود بن سالم : ركعتان أصليهما أحب إلي من الجنة بما فيها فقيل له هذا خطأ .

فقال : دَعُونا مِن كلامكم ، رَأيْتُ الجنةَ رضا نَفْسِي ، وركعتين أصليهما رضا رَبي ، ورضاء ربي أَحَبُّ إليَّ مِن رضا نفسِي ، تأمل يا أخي دِقَّةَ هذا الفهم لله دره .

وقال وهيب : الايمان قائد ، والعمل سائق ، والنفس بينهما حَرونْ ، فإذا قادَ القائدُ ولم يَسُق السَائِقُ لم يُغن ذلك شيئا .

وإذا سَاقَ السائقُ ولم يقدَ القائد لم يغن ذلك شيئا ، وإذا قادَ القَائِدُ وساقَ السائقُ اتَّبَعَتْهُ النفسُ طوعاً وكرهاً وطابَ العملَ .

قال بعضهم يوبخ نفسه ويعظها : يانَفْسُ بادري بالأوقاتِ قبل إنصرامها ، واجتهدِ في حراسة لَيَالِي الحياة وأيامها .

فكأنكِ بالقبور قد تشَقَّقَتْ ، وبالأمور وقد تَحَقَّقَت ، وبوجوه المتقين وقد اشرقت ، وبرؤوس العصاه وقد أطرقت ، قال تعالى وتقدس ﴿ **ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنَّا موقنون** ﴾ يانفس أما الوَرِعُونَ فقد جَدُّوا ، وأما الخائفون فقد استعدوا ، وأما الصالحون فقد فرحوا وراحوا وأما الواعظون فقد نصحوا وصاحوا .

العلم لا يحصل إلا بالنصب والمال لا يجمع إلا بالتعب ، أيها العبد الحريص على تخليص نفسه إن عزمت فبادر وإنْ هممت فثابر واعلم أنه لا يُدْرِكُ العز والمَفَاخِر من كان في الصف الآخر .

دَبُّوا إلى المجدِ والساعُونَ قد بَلغُوا جُهْدَ النُفُوسِ وشَدُّوا دُوْنَه الأُزُرَا
وسَاوَرُوْا المجدَ حَتَّى مَلَّ أكْثَرُهُم وعَانَقَ المَجْدَ مَن وافَى ومَنْ صَبَرا
لا تَحْسَبِ المجــــدَ تَمْراً أنْتَ آكلُه لَنْ تَبْلُغَ المجدَ حَتَّى تَلْعَق الصَّبِرَا

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[إعلم وفقنَا الله وإيَّاك وجميع المسلمين]

أن ظُلْمُ العبدِ نَفْسَه يَكُونُ بتَركِ مَا يَنْفَعُها وهي مُحْتاجة إليه وذلك فعل ما أمر الله به وبفعل ما يضرها ، وذلك المعاصي كلها .

كما أن ظلم الغير كذلك إما بمنع حقه أو التعدي عليه ، فإن الله أمر العباد بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم .

وجــاء القـرآن بالأمـر بالاصـلاح والنهي عن الفســاد ، والصلاح كله طاعة والفساد كله معصية .

وقد لا يعلم كثير من الناس ذلك على حقيقته فعلى المؤمن أن يأمر بكل مصلحة وينهى عن كل مفسدة .

وكل ما أمر الله به راجع إلى العدل وكل ما نهى عنه راجع إلى الظلم .

والظلم الذي حرمه الله على نفسه أن يترك حسناتِ المُحْسِن فلا يَجْزِيْه بها ، أو يُعَاقِب البري على مالم يَفعله مِن السيئات .

أو يعاقب هذا بذنب غيره ، أو يحكم بين الناس بغير العدل ونحو ذلك مما ينزه الله جل وعلا عنه وذلك لكمال عدله وحمده .

و من أسباب قوت الإيمان ونوره سماع القرآن وتدبره ومعرفة أحوال النبي ﷺ ومعجزاته .

والنظر في آيات الله والتفكر في ملكوت السموات والأرض

والتأمل في أحوال نفس الإنسان ومثل رُؤية أهل الايمان والنظر في أحوالهم ونحو ذلك .

لله دَرُّ رجَالٍ وَاصلُوا السَّهَــــرَا ... واسْتَعْذبُوا الوجْدَ والتَّبْريْحَ والفِكَرا
فُهُمْ نُجُومُ الهُدَى واللَّيْلُ يَعْرِفُهُم ... إذا نَظَرْتَهُمُوا هُمْ سَادَةٌ بُـــررَا
كُلٌّ غدَا وَقْتُهُ بالذِّكْرِ مُشْتَغِـــلاً ... عَمَّا سِوَاهُ ولِلَّذَاتِ قَـــدْ هَجَرَا
يُمْسِي ويُصْبِحُ في وجْـــدٍ وفي قَلَقٍ ... مِمَّا جَنَاهُ مِنَ العصيان مُنْذَعِـــرَا
يَقُولُ ياسَيِّدي قَدْ جِئتُ مُعْتَرِفــاً ... بالذَّنْبِ فاغْفِرهُ لِيْ ياخَيْرَ مَن غفَرَا
حَمَلْتُ ذَنباً عَظِيماً لا أطِيْقُ لَــهُ ... ولم أطِعْ سَيِّدي في كُلِّ مَا أمَـــرَا
عَصَيْتُهُ وهْوَ يُرخي سِتْرَهُ كَرَمـــاً ... يا طَالَمَا قَد عَفَا عَني وَقَدْ سَـــتَرا
وطَالَمَا كَانَ لي في كُلِّ نَائِبَـــةٍ ... إذا اسْتَغَثْتُ بِهِ مِنْ كُرْبَةٍ نَصَـــرا
وإنَّني تَائِبٌ مِمَّا جَنَيْتُ وقَـــدْ ... وَافَيْتُ بَابَكَ يا مَوْلايَ مُعْتَـــذِرَا
لَعَلَّ تَقْبَلَ عُـــذْري ثم تَجْبُرُني ... يَوْمَ الحِسَابِ إذا قُدِّمْتُ مُنْكَسِرَا
وقَدْ أتَيْتُ بِذُل رَاجِيـــاً كَرَماً ... إليكَ يا سَيِّدِي قَدْ جِئْتُ مُفْتَقِرَا

اللهم أجرنـا من النـار وأدخلنا الجنة مع الأبرار برحمتك ياعزيز ياغفار ، اللهم استر عوراتنا وأمن روعَاتنا وأقلنا من عثراتنا ولا تفضحنا بين يديك ياأرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

[فصــــــــل]

قال محمد بن مَهْدِي : والله لا تَجِدُ فَقْدَ شيء تَركْتَهُ ابتغاء وجْهِ الله ، كُنْتُ أنا وأخي شَرِيكين فأصَبْنا مالاً كثيراً فَدخَلَ قلبي مِن ذلك شيء فتركته لله وخرجتُ منه .

فما خَرَجْتُ مِن الدنيا حتى رَدَّ الله عَليَّ ذلك المالَ عَامَّتَهُ إليَّ وإلى وَلَدِي ، زَوَّجَ أخي ثلاثَ بناتٍ مِن بَنِيَّ ، وزَوَّجْتُ ابْنِتي مِن

ابنِـــــه .

ومَاتَ أخِي فَورثَهُ أبِي ومَاتَ أبِي فوَرِثْتُه أنا ، فرَجَعَ ذلك كله إليَّ وإلى وَلدِي في الدنيا .

عن عطاء الحسن الخرساني أنه كان يقول : إني لا أوصيكم بدنياكم أنتم مُستوصون بها ، وأنتم عليها حراص .

وإنما أوصيكم بآخرتكم ، فخذوا من دار الفناء لدار البقاء ،

واجعلوا الموتَ كشيء ذقْتُموه ، فوالله لَتَذُوْقنّه ، واجْعَلُوا الآخرة كشيء نَزَلْتُموه فوالله لَتَنْزُلُنَّهَا .

وهى دَارُ الناس كلهم ، ليس من الناس أحَدٌ يَخْرجُ لِسَفَر إلا أخَذَ له أهْبَتَه ، فمنَ أخذ لسفره الذي يُصْلِحُهُ اغْتَبطَ .

ومَن خَرجَ إلى سَفر لم يأخُذْ لَه أهْبَتَهُ ندم ، فإذا أضحى لم يَجِدْ ظلا ، وإذا ظِمىء لَم يجد ماءً يَتَروى به ، وإنَّما سَفَرُ الدنيا مُنْقَطِع ، وَأكْيَسُ الناس مَن قَامَ يَتَجَهَّزُ لِسَفر لا يَنْقَطِعُ .

وقال آخر يُوْصِي أخاً له : إعلم أنكَ تَلْقَى ما أسْلَفْتَ ولا تَلْقَى ما خَلَّفْتَ فمَهِّدْ لِنَفْسِكَ فإنَّكَ لا تَدْرِي مَتَى يَفْجؤكَ أمْرُ رَبك قال فأبكاني كلامُه وهَوَّنَ علي الدنيا .

قيل للقمان الحكيم : ما بَلغَ بكَ مَا نَرى (يُرِيْدُوْنَ الفَضْلَ) قال : صِدْقُ الحَدِيْث ، وأداء الأمانة ، وترك ما لا يعني .

عن جابر الجعفي ، قال قال لي محمد بن علي بن الحسين : ياجابر إنِّي لَمَحْزُون ، وإنِّي لَمُشْتَغِلُ القلب ، قُلْتُ وماحُزْنُكَ ، وما شُغْل قلبْكَ ؟

قال : ياجابر إنه مَن دَخَل قَلْبَهُ صَافي خَالِصُ دينِ الله شغلَهُ عَمَّا سِـــــواه .

ياجابر مَا الدنيا ما عَسَى أن تكونَ هَلْ هُو إلا مركبٌ رَكبتَهُ أو ثوبٌ لَبِسْتَه أو إمرأةً أصَبْتَهَا .

ياجـابر إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لبقاءٍ فيها ، ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم .

ولم يُصِمَّهُمْ عن ذكر الله ما سمعوا بآذانهم من الفتنة ، ولم يعمهم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة ، ففازوا بثواب الأبرار.

إن أهـل التقـوى أيْسَرُ أهـل الـدنيا مَؤونة وأكثرهـم لك مَعُونَة، إنْ نَسيْتَ ذَكَّروكَ ، وإن ذَكَرتَ أعَانُوك .

قَوَّالِيْنَ بحَق ، قوامين بأمر الله ، فأنزِلِ الدنيا كَمَنْزِلٍ نَزَلْتَ به وارْتَحَلْتَ منه .

أو كمال أصَبْتَهُ في مَنامكَ فاسْتيْقَظْتَ وليس معك منه شيء ، واحفظ الله تعالى ما اسْترعاكَ مِن دينه وحِكمته .

قال بَعضُهم : فَكِّر في ذَنْبكَ ، وتُبْ إلى رَبك ، يَنْبُتُ الوَرَعُ في قلبـك ، واقْـطَعِ الـطمـعَ إلا مِن رَبـكَ ، ذَمَّ مَوْلانا الدنيا فمدَحْناها ، وأبغَضَهَا فأحْبَبْنَاهَا ، وزهَّدَنا فيها فآثَرْنَاهَا ، ورَغِبْنَا في طلبها ، دَعَتكُم إلى هذه الغَرارة دَوَاعِيها فأجَبْتُم مُسرعينَ مُناديها خَدَعَتكم بِغُرورها تتَمرغُونَ في زهَرَاتها وزَخَارِفها ، قال الله جل وعلا ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ﴾ .

أتى الحسن بكوز من ماء لِيُفْطِرَ عليه فلما أدناه إلى فيه بكى وقال ذكرت أمنية أهل النار .

قولهم ﴿ أن أفيضوا علينا من الماء ﴾ وذكرت ما أجيبوا به ﴿إن الله حرمهما على الكافرين﴾ .

وقــال كعب الأحبـار : لأن أبكي من خشية الله فتسيل دموعي على وجنتي أحب إلي من أتصدق بوزني ذهبا .

وعن إبراهيم بن الأشعث قال : كنا إذا خرجنا مع الفضيل في جنـازة لا يزال يعظ ويذكر ويبكي حتى لكأنه يودع أصحابه ذاهبٌ إلى الآخرة حتى يبلغ المقابر .

فيجلس فكأنه بين الموتى جَلَس من الحزن والبكاء حتى يقوم وكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها .

وكـان يقـول : الخـوف أفضـل من الرجاء ما دام الرجل صحيحا فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل من الخوف .

يقـول : إذا كان في صحته محسنا عظم رجاؤه عند الموت وحسن ظنه (أي بالله) .

وإذا كان في صحته مسيئا ساء ظنه عند الموت ولم يعظم رجـــــاؤه .

تُحَدِّثُني الآمالُ وهِي كَذُوبَةٌ ... تُبَدِّلُ في تَحْدِيْثِهَا وتُحَـــرِّفُ
بأني في الدنيا أَقضِي مآربي ... وبَعْدُ يُحَقِّقُ الزُهْدُ لي والتَّقَشُّفُ
وتِلْكَ أمانِي لا حَقِيقَةَ عِندَهَا ... أفي فِرَقِ الضِدَّيْنِ يُبْغَى التَّأَلُفُ

وقال محمد بن علي بن الحسينَ رضى الله عنه لابنه : يابني إيَّاكَ والضجَرَ والكَسَلَ فإنهما مفتاحُ كل شَر إنك إن كَسِلْتَ لم تود حقا ، وإن ضَجرْتَ لم تصبر على حق .

وقال : ما من عبادة أفْضَلُ من عفَّةِ بطن أو فرج ، وما من شىء أحب إلى الله عز وجل من أن يُسْال ، وما يدفع القضاء إلا الدعاء ، وإن أسْرَعَ الخير ثَواباً البِر ، وأسرع الشر عقوبة البغي .

وكفى بالمرء عيبـا أن يُبصِرَ مِن الناس ما يَعْمَى عليه من

نفسِهِ، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه ، وأن يؤذي جليسَه بما لا يَعْنِيه .

كان الربيع بن خيثم إذا أصبح قال : مَرْحَباً بملائكة الله اكتُبوا بسم الله الرحمن الرحيم سبحانَ الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

وقال : إذا تكلمتَ فاذكر سمع الله إليك وإذا هممت فاذكر علمه بك وإذا نظرت فاذكر نظره إليك .

وإذا تَفَكَّرْتَ فاذكر اطلاعه عَليكَ فإنه يقول ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** ﴾ .

رأى بعضُهم رجـلاً يَستمع إلى رجلٍ يَقَعُ في عِرض آخر فقال له : نَزِّهْ سَمْعَكَ عن استماع الخَنَاء كَما تُنزه لسانَكَ عن القول به ، فإنَّ المستمعَ شَرِيْكُ القائل ، وإنما نظر في شَرِّ ما في وعَائِهِ فأفْرَغَهَا في وِعَــــائِكَ .

إذا أخْبَرَتَ عن رَجُلٍ برِيءٍ ... مِن الآفاتِ ظَاهُره صَحِيْــــحُ
فسَلْهُم عَنْهُ هَلْ هُوَ آدمِيٌّ ... فإنْ قالُوا نَعَمْ فالقَوْلُ رِيْحُ
ولكِنْ بَعْضُنَــــا أَهْلُ اسْتِتارٍ ... وعِندُ الله أجْمَعُنا جَــــرِيحُ
ومن إنعامِ خَالقنا عَلينَــــا ... بأنَّ ذُنُوبنا لَيْسَتْ تَفُــــوحُ
فَلَوْ فاحَتْ لأَصْبَحْنَا هُرُوبــــاً ... فُرادَى في الفَــــلا ما نسْتَريحُ
وضاقَ بكُلِ مُنْتَحِلٍ صَلاحــــاً ... لِنَتْنِ ذُنوبهِ البَلَدُ الفَسِــيْحُ

المعاصي تنقسم إلى قسمين • قسم ذنوب جوارح ظاهرة مثل القذف والغيبة والظلم والاغتصاب والقتل والزنا واللواط والسرقة ونحو ذلك .

والقسم الثاني : وهي ذنوب القلوب وهن المهلكات القاصمات ومنها : الشرك والشك والنفاق والكفر والاغترار بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله .

ومنها احتقار الذنوب والتهاون بها والتسويف بالتوبة والإنابة والإصرار على المعاصي والرياء والتيه والكبر والعجب والخيانة والغدر والحسد والغل والحقد والبغض .

وسوء الظن والجفاء والقطيعة والعقوق والقسوة والشح والحرص والشره على ما لا ينبغي الحرص والشره عليه .

ومنها : الطغيان بالمال والقوة والجاه واحتقار النعم والاحتقار بمصائب الدين ومنها الاستهانة بعلم الله ونظره وسمعه واطلاعه .

ومنها قلة الحياء من الله عز وجل وتقدس وقلة الحياء ممن على اليمين وعلى الشمال من الملائكة عند فعلك ما يكرهه الله ونحو ذلك من الذنوب التي لا يسلم منها إلا من عصَمه الله .

[موعظة]

قال ابن الجوزي : ياعجبا كيف أنس بالدنيا مفارقها ، وأمِن النارَ واردُها ، كيف يَغفُلِ مَن لا يُغْفَل عنه ، كيفَ يفرحُ بالدنيا مَن يَومُه يهدِم شَهْرَه ، وشَهُره يهدِم سَنته وسَنتُه تهدْم عُمُرَه ، كَيفَ يَلْهو مَن يَقوده عُمُره إلى أجلِهِ وحياتُه إلى موته .

إخواني : الدنيا في إدْبار ، وأهلُها منها في استكثار ، والزارع فيها غير التَقي لا يَحصُدُ إلا الندم .

ما أفْضَحَ الموتَ لِلدُّنْيَا وَزينَتِهَا ... جدّاً وما أفْضَح الدُّنْيَا لأهْلِيْهَا

لا تَرْجِعَنَّ على الدنيا بلائمةٍ ... فَعُذْرُهَا لَكَ بادٍ في مَسَاوِيْهَا

تُفْني البَنِينَ وتَفْنى الأهل دائِبةً ... ونَسْتَنِيمُ إليها لا نُعَادِيهَا
فَمَا يَزِيْدُكُمُوا قَتْلُ الـذي قَتَلَتْ ... ولا العَدَاوة إلا رَغْبةً فيها
آخر : لِسَانُكَ للدُنْيا عَدُوٌ مُشَاحِنٌ ... وقَلْبُكَ فيها لِلِّسَانِ مُبَايِنُ
وما ضَرَّهَا ما قُلْتَ فيها وقَدْ صَفَا ... لَهَا مِنْكَ وِدٌ في فُؤادِكَ كَامِنُ
آخر : ولم أرى كالدُنْيَا نَذُم صُرُوْفَهَا ... ونُوسِعُهَا شَتْماً ونَحْنُ عَبيْدُهَا
آخر : يَذُمُونَ دُنْيَاهُم وهُمْ يَحْلِبُونها ... ولم أرَى كالدُنْيَا تُذَمُّ وتُطْلَبُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصـل]

إعلم وفقَنَا الله وإيَّاكَ أن الصلاة عماد الدين وأجل مَباني الاسلام بعد الشهادتين .

ومَحَلُّها مِن الدِيْن مَحَلُ الرأس مِن الجسدِ فكما أنه لا حَيَاةَ لمن لا رأس له فكذلك لا دِيْنَ لِمَنْ لا صَلاةَ له .

جعلنا الله وإيَّاكم مِن المحافظين عليها الخاشعين فيها الدائمينَ عليها المقيمينَ لها قال جل وعلا ﴿ **وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ وقال عَزَّ من قائل ﴿ **آلم ذلك الكتاب لا ريْبَ فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة** ﴾ وقال ﴿ **منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين** ﴾ .

فالإنابة هي الرجوع إلى الله ، والتقوى هي امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ، والاقامة للصلاة الاتيان بها على الوجه الذي أمر الله به .

قال جلا وعلا ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم**

خاشعـون ﴾ إلى قوله **﴿ الذين على صلواتهم يحَافظون ﴾** وقال رسول الله ﷺ « صلوا كما رأيتمون أصلي » فالمصلى على الاتباع والاقتداء برسول الله ﷺ في صلاته على الوجه الذي نقله عُلماء الأمة مِن السلف والخلف رضى الله عنهم هو المُصَلِي المعدودُ عند الله من المقيمين للصلاة والمحافظين عليها .

وللصلاة صُوْرةٌ ظاهرةٌ وحقيقة باطنة لا كمال للصلاة ولا تمامَ لها إلَّا بإقامتهما جميعاً .

فأما صُورتُها الظاهرة فهي القيام والقراءةُ والركوعُ والسجودُ ونحو ذلك مِن وظائف الصلاة الظاهرة .

وأمـا حقيقتُهـا البـاطنةُ فمِثلُ الخشوع والإخباتِ وحُضُورِ القلب وكمال الاخلاص .

والتدبر والتفهم لمعاني القراءة ومعاني التسبيح ونحو ذلك من وظائف الصلاة الباطنة .

فظاهر الصلاة حفظ البدن والجوارح وباطن الصلاة حفظ القلب .

ومن المحـافـظة على الصـلاة والاقـامـة لها كمال الـطهارة والاحتياط فيها في البدن والثوب والمكان .

قال عليه الصـلاة والسـلام « الطهور شطر الإيمان » وفي الحديث الآخر « الطهور مفتاح الصلاة وإسباغِ الوضوء وتثليثه مِن غير وسوسة ولا إسراف » .

فإن الوَسْوَسَةَ في الطهارة والصلاة مِن عمل الشيطان يُلَبِّسُ بها على مَن ضَعُفَ عَقلُه وقَلَّ علمه .

وقـد وردت الأحاديث الصحيحة « أن مَن توضأ فأحْسَنَ

الـوضـوء خرجَتْ خطاياه مِن أعضائه ودَخَلَ في الصلاة نقياً مِن الذنوب » .

ومِن المحافظة على الصلاة والإقَامَة لها المبادرة بها في أول مَوَاقِيتها وفيَ ذلك فضلٌ وأجر عظيم .

وهـو دليل على محبـة العبد لربه وعلى المسارعة في مرضاته ومحابه قال ﷺ « أول الوقت رضوان الله وآخره عفو الله » .

وقبيح بالمؤمن العاقل أن يدخل عليه وقت الصلاة وهو على شغل من أشغال الدنيا فلا يتركه ويقوم إلى فريضة الله التي كتبها الله عليه فيؤديها .

وما يفعل ذلك إلا من عظمت غفلته و قلت معرفتُه بالله وعظمته وضعُفَتْ رَغبته فيما أعَدَّ الله لأوليائه في الدار الآخرة .

وأما تأخيرها عن وقْتها فلا يَجُوزُ وفيه إثم عظيم .

ومِن المحـافظة على الصلاة والاقامة لها الخشوع وحُضور القلب وتدبرُ القِراءة وفهمُ مَعَانيها واسْتشعارُ الخُضُوعِ والتواضُعِ لله عند الركوع والسجود .

وامتلاءُ القلب بتعظيم الله وإجلاله وتقديسه عند التكبير والتسبيح وجميع أجْزَاءِ الصلاة .

والحرص والاجتهاد في دفع الخواطر والهواجيس في شؤون الدنيا والإعراض عن حديث النفس في ذلك .

ويكون همه في الصلاة وحُسنُ تأدِيَتها كما أمر الله .

فإن الصـلاة مع الغفلة وعـدم الخَشـوع والحضـور قليلة الجدْوَى .

فاجتهد في تَدَبُّرِ ما تقول من كلام ربك واحرص على الطمأنينة فيها .

فإن الذي لا يتم الركوع والسجود في الصلاة سارق لها كما ورد في الحديث وورد أن من حافظ عليها وأتمها تخرج بيضاء تقول حفظك الله كما حفظتني .

والذي لا يتم الصلاة تخرج سَوْدَاءَ مُظْلِمة تقول ضَيَّعَكَ الله كما ضَيَّعْتَني ثم تُلَفُّ كما يُلَفُّ الثوبُ الخَلَق فيضربُ بها وجْهُهُ .

رأى رَجُلٌ حاتم الأصم واقفاً يَعِظُ الناسَ فقال : ياحَاتِمُ أرَاكَ تَعِظُ الناسَ أفَتُحْسِنُ أنْ تُصَلِي قال نعم قال : كيف تُصَلي ؟

قال : أقومُ بالأمر وأمْشِي بالسَّكيْنَة وأدْخُل بالهَيْبَة وأكبرُ بالعَظَمَةِ وأقرأ بالترتيل واجْلَسُ للتشهد بالتمام وأسلم على السنة .

وأسَلمُهَا إلى ربي وأحْفَظُها أيامَ حَياتِي وأرْجِعُ باللَّومِ على نفسِي وأخَافُ أن لا تُقْبَلَ مني وأرجُو أن تُقْبَلَ مني وأنا بَيْنَ الرجا والخوف .

وأشكر مَن عَلَّمَني وأعَلِّمُ مَن سَألنِي وأحمدُ رَبي إذ هَدَاني .

قال له محمد بن يُوسف : مثلك يصلح أن يعظ .

روى أن زين العابدين بن علي بن الحسين رضى الله عنهم كانَ يَتَغَيَّر عند الوضوء ويصفر لونه فإذا قام إلى الصلاة أخذَتْه رِعْدَةٌ .

فَقيل له في ذلك فقال : أتدْرُونَ بين يدَي مَن أقُوم .

وقال أبو بكر الوراق : ربما أنصرف من الصلاة وأنا اسْتَحِي مِن الله جَلَّ وعلا ولا حَيَاءَ رَجُلٍ انْصَرَفَ مِن الزنا .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[مواعـــــــظ]

عن أبي بكر بن عياش قال : قال لي رَجُلٌ مَرَّةً وأنا شَابٌّ خلِّصْ رَقَبَتَك ما اسْتَطَعْتَ في الدنيا من رِقِّ الآخرة .

فإن أسِيْرَ الآخـــرة غير مفكوك أبدا قال أبو بكر : فمـــا نَسِيْتُهَا أبداً .

وكان يقومُ الليل في قَبَاءِ صُوف وسَراويلٍ وعُكازة يَضَعُهَا في صَدْره فَيَتَّكِىءُ عليها حين كَبرُ فيُحْيي لَيْلَتَهْ ويُذَكِّرِهُ حَمْلُ العَصَى بالسَّفَر إلى الآخرة .

قال بعضهم :

حَمَلْتُ العَصَا لا الضّعْفَ أوْجَبَ حَمْلَهَا عَليَّ ولا أنِّي نَحَلْتُ مِن الكِبَـــرْ
ولكِنَّنِي ألْزمْتُ نَفْسِيَ حَمْلَهَـــا لأعْلِمَهَا أنَّ المُقِيمَ عَلى سَـــفَرْ

قال بعض أصحاب وكيع بن الجراح : كان لا ينام حتى يَقْرَأ ثلثَ القرآن ثم يقوم في آخر الليل فيقرأ المُفَصَّلَ ، ثم يجلس فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر فيصلي ركعتين .

وعن عاصم قالَ : سمعتُ شقيقَ بن سلمـة يقـول وهو ساجد : رب اغْفِرْ لي رب اعْفُ عَني إن تَعْفُ عني تعف عَنى تَطوُّلاً مِن فَضْلِك .

وإنْ تعذبني تُعَذِّبْني غَيْرَ ظالم لِي ، قال ثم يَبْكِي حتى أسمعَ نَحِيبَه مِن وَراءِ المسجد .

عن خَيْثَمَة قال : كان يُعْجِبُهُم أنْ يَمُوتَ الرجَلُ عند خِيْرٍ يَعْمَلُه إما حَجٌ وإما عُمرةٌ وإما غَزاةٌ وإما صِيَام رمضان .

قال الـربيع بن أبي راشـد وقد رأى رجلا مريضاً يتصدق بصدقة فقسمها بين جيرانه .

فقال : الهدايا أمام الزيارة فلم يلبث الرجل إلا أياماً حتى مات فبكى عند ذلك الربيع بن أبي راشد وقال : أحسن والله بالموت وعلم أنه لا ينفعه من ماله إلا ما قدم بين يديه .

قال أحمد بن عبدالله بن يونس كان معروف بن واصل التيمي إمام مسجد بني عمرو بن سعد .

قيل إنه كان يختم القرآن في كل ثلاث سفراً وحضرا وأنه أم قومَه سِتين سَنةً لم يَسْهُ في صَلاتِهِ لأنها كانت تهمُّه .

وقال عبدالملك بن أبْجَر : ما مِن الناس إلا مُبْتَلِى بعافِية لِيُنْظَر كيفَ شُكْرُه أو مُبْتَلى ببَلِيَّةٍ لِيُنْظَر كيفَ صَبْرُه .

وفي الخبر يأتى على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يُعَيُّرونَهُ بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل في المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك . قلت : هذا حاصل في عصرنا فَتَأمَّلْ .

عن معمـر مؤذنِ سُليمان التيمي قال : صَلَّى إلى جَنْبي سُليمان التيمي العشاء الآخرة وسَمِعْتُه يَقْرأ ﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾ .

قال فلما أتى على هذه الآية ﴿ **فلما رأوه زُلفَةً سِيئُتْ وجوه الذين كفروا** ﴾ جعل يُرَدِّدُهَا حتى خَفَّ أهل المسجد وانصرفوا قال فَخَرجْتُ وتَركْتُه .

قال : وعدت لأذان الفجر فإذا هو في مقامه قال فَتَسَمَّعْتُ فإذا هو لم يَجُزْهـا وهو يقول ﴿ **فلما رَأَوْهُ زُلفةً سِيئَتْ وجوه الذين كفروا** ﴾ .

وقيل له أنْتَ أنْتَ (أيْ يُثْنُونَ عليه) قال : لا تقولوا هكذا

لا أدري ما يَبْدُو لي من ربي عز وجل ، سَمِعْتُ الله يقول ﴿ وبدا لهم مِن الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ .

ولمَّا حَضرهُ الموتُ قال لابنه : يامُعْتَمِرُ حَدِّثني بالرُّخَصِ لَعَلِّي أَلْقَى الله عَزَّ وَجَل وأنا حَسَنُ الظَّنِ بِهِ .

عن الأعمش قال : قال عمرو بن عُتْبَة بنُ فَرْقَد سَأَلْتُ الله ثلاثاً فأعْطَاني اثْنَتين وأنا انْتَظِرُ الثالثةَ .

سَأَلتُه أنْ يُزَهِّدَني في الدنيا فما أبالي ما أقْبَلَ وما أدْبَرَ وسألتُه أن يُقَوِّيَني على الصلاة فَرزَقَني منها وسألته الشهادة فأنا أرجوها .

كان طلحة بن مُصَرِّف يقول في دعائه : اللهم اغفر لي ريائي وسُمْعَتِي .

قال خُلَيدُ العصري : كلنا قد أيْقَنَ بالموت وما نرى له مستعدا ، وكلنا قد أيْقَنَ بالجنة وما نرى لها عاملا .

وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى لها خائفا ، فعلام تعرجون ، وما عسيتم تنتظرون ، المـــوت فهو أول وارد عليكم من الله بخير أو بشـــر .

إخواني : إنكم تغدون وتروحون في آجال قد غيبت عنكم لا تدرون متى تهجم عليكم فالوحا الوحا والنجا النجا فالطالبُ مُسْرِع .

يَجِدُّ بنا صَرْفُ الزَّمَانِ وَنَهْزِلُ ... ونُوقَظُ بالأحْدَاث فيه ونَغْفُلُ
ومَا الناسُ إلا ظاعِنٌ أوْ مُوَدِّعٌ ... ومُسْتَلَبٌ مُسْتعْجَلٌ أو مُؤَجَّلُ
وما هَذِهِ الأيامُ إلا مَنَـــازِلٌ ... إذا مَا قَطَعْنَا مَنْزِلاً بَانَ مَنْزِلُ
فَنَاءٌ مُلِحٌ مَا يُغِبُ جمِيْعَنَـــا ... إذا عاشَ منَّا آخِرٌ مَاتَ أَوَّلُ
وكم صَاحِبٍ لي كُنْتُ أكرهُ فَقْدَهُ ... تَسَلَّمَهُ منِّي الفَنَاءُ المُعَجَّـــلُ

إسمعـوا عظة الـزمانِ إنْ كُنْتُم تَسْمَعُون ، وتَأمَّلُوا تَقَلُّبَ الأحوال إن كنتم تُبصِرون .

قال يحيى بنُ مُعَاذ : لو سَمِعَ الخلائق صوتَ النِيَاحَةِ على الدنيا مِن أَلْسُنَةِ الفَنَاءِ لَتَسَاقطتِ القُلوبُ منهم حَزَنا .

ولـو رأت العُقولُ بعَينِ الايمان نُزْهَةَ الجنةِ لَذَابتِ النُفوسُ شَوقاً إليها .

ولو أدْرَكَتِ القُلوبُ المحبةَ لِخَالقَها لَتَخَلَّعَتْ مَفَاصِلُهَا ولهاً فسُبْحَانَ مَن أغفلَ الخَلِيْقَةَ عن كُنْهِ هذه الأشياءِ وألهَاهُم بالوَصْفِ عن حَقَائِقِ هذه الأنباء .

من نَالَ من جوهَرِ الأشياء بُغْيَتَهُ	يأسَى ويَحْقِرُ قَوماً حَظُهُم عَرَضُ
إنى لأعْجَبُ مِن قَـــومٍ يشغَفُهُمُ	حُبُّ الزَّخَارفِ لا يدرُونَ مَا الغرضُ
ألا عُقُول ألا أحْلامَ تَزْجُرُهُــــمُ	بَلَى عُقُولٌ وأحْلامٌ بها مَـــرَضُ

اللهم تقبل توبتنا ، واغسل حَوْبَتَنَا ، وأجِبْ دعـــوتنا ، وثَبِّتْ حُجَّتَنَا ، واهْـد قُلوبَنـا ، وسَدِّدْ ألسِنَتَنَا ، واسْلُلْ سَخِيْمَةَ صُدُورنا .

واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

[فـــوائد ومواعـــــظ]

إعلم يا أخي أن الناس عند الموت ثلاثة أقسام : الأول : ذو بصيرة علم أن الانسان وإن طال عمره في الدنيا فهو كخطفة برق لَمَعَتْ في السماء ثم عادت للاختفاء .

فلا يثقل على العاقل اللبيب الخُروج من الدنيا إلا بقدر ما

يفـوتـه مِن خِدمـةِ ربه عز وجل ، والازدياد مِن ما يقربه إليه ، والاشفاق مما يقول أو يقال له .

كما قال بعضهم لمَّا قيل له لِمَ تجزع قال : لأني أَسْلُكُ طريقاً لم أعْهَدْهُ ، وأقدم على ربي جل وعلا ولا أدري ما أقول وما يقال لي .

ومِثْـلُ هذا الشخص لا يَنْفُـر من الموت بل إذا عَجَزَ عن العبادة رُبَّما أشتَاقَ إليه .

وقال بعضُهم في مناجاتِهِ : إلهي إنْ سَألْتُكَ الحياة في دار المهات فقد رغبتُ في البعد عنك ، وزهدتُ في القرب منك .

فقد قال نَبيُكَ وصَفيُك ﷺ « مَن أَحَبَّ لِقَاءَ الله أَحَبَّ الله لِقَاءَهُ ومَن كَرِهَ لِقَاءَ الله كَرِهَ الله لقاءه » .

الثاني : رجلٌ رديء البصيرة مُتَلَطِّخُ السريرة مُنْهَمِكٌ في الدنيا مُنْكِرٌ للبعث ، قد رضي بالحيـــــاة الدنيا واطمأن بهَا ويَئِسَ مِن الآخـــــرة .

فهـذا مَصِـيْرُهُ كما ذكـر الله ﴿ **إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون** ﴾ .

القسم الثاني : مَن خلطوا عملا صالحاً وآخر سَيئاً واعترفوا بذنوبهم وهؤلآء أيضاً مصيرهم كما ذكر الله ، قال الله جل وعلا وتقـدس ﴿ **وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم** ﴾ .

ثم اعلم أن طول العمر محبوب ومطلوب إذا كان في طاعة الله ، لقوله عليه الصلاة والسلام « خيركم من طال عمره وحسن عمله » وكلما كان العمر أطول في طاعة الله ، كانت الحسنات أكثر

والدرجات أرفع .

وأما طوله في غير طاعة ، أو في المعاصي ، فهو شر وبلاء ، تكثر السيئات ، وتضاعف الخطيئات .

ومن زعم أنه يحبُ طول البقاء في الدنيا لِيَسْتَكْثِر مِن الأعمال الصالحةِ المقربة إلى الله تعالى فإن كان مع ذلك حريصاً عليها ومُشمَّراً فيها ومجانباً لما يشغل عنها من أمور الدنيا فهو بالصادقين أشبه .

وإن كان متكاسلاً عنها ومُسَوِّفاً فيها أي الأعمال الصالحة فهو مِن الكاذبين المُتَعَلِّلين بما لا يُغْني عنه .

لأن مَن أحب أن يَبْقَى لأجلَ شيء وَجَدْته في غاية الحرص عليه مَخَافَةَ أن يَفُوتَهُ ويُحَال بَيْنَهُ وبَيْنَه .

ولا سِيَّما والعمل الصالح مَحَلُّه الدنيا ولا يمكن في غيرها لأن الآخرة دارُ جَزَاء وليست بدار عمل .

فتفكر يا أخي في ذَلكَ عَسَى الله أن يَنْفَعَنَا وإيَّاك واستعن بالله واصْبر واجتهد وشَمِّرْ وبَادر بالأعمال الصالحة قبل أن يُحَالَ بَيْنَكَ وبَيْنَهَا فلا تجد إليها سبيلا .

وكن حذر من مفاجأة الأجل فإنك غرضٍ للآفات وهَدَفٌ مَنْصُوبُ لِسهام المنايا وإنما رَأسُ مالك الذي يمكنكَ إن وَفَّقَكَ الله أن تشتري به سَعَادةَ الأبد هذا العُمْر .

قال الله جل وعلا ﴿ **أو لم نعمركم ما يَتَذَكَرُ فيه من تذكر** ﴾ الآية فإيَّاك أن تنفق أوقاتَه وأيامَهُ وسَاعَاته وأنفاسَه فيما لا خير فيه ولا منفعة فيطول تَحَسُّرَكَ ونَدَمُك وحُزْنُكَ بعد الموت .

إذا كان رأسُ المالِ عُمْركَ فاحْتَزِرْ
عليه من الإنفاقِ في غَيْرِ وَاجب

قال محمد بن القاسم خادم محمد بن أسلم قالَ محمد بن أسلم : مالي ولهذا الخلق كُنتُ في صلب أبي وحْدِي .

ثم صرت في بطن أمي وحْدِي .

ثم دَخَلْتُ الدنيا وحْدِي .

ثم تُقْبَضُ رُوحي وحدي .

ثم أدخل في قبري وحدي .

ثم يأتيني منكرٌ ونكير فيسألاني وحدي ، فإن صرت إلى خير صرت وحدي .

ثم يوضع عملي وذنوبي في الميزان وحدي .

وإن بُعِثْتُ إلى الجنة بُعِثْتُ وحدي .

وإن بُعِثْتُ إلى النار بعثتُ وحدي ، فما لي وللناس .

ثم تفكَّرَ سَاعَةً فوقَعَتْ عليه الرِّعْدَةُ حتى خشِيْتُ أن يَسْقُط

قال وسمعته يحلف كذا وكذا مرة يقول : لو قَدِرْتُ أن أتطوَّعَ حَيْثُ لا يَرَاني مَلَكَايْ لفعَلْتُ .

ولكني لا أستطيع ذلك خوفاً مِن الرياء .

وكان يدخل بَيْته ويُغْلِقُ بابه ويدخل معه كُوزاً مِن ماء فلم أدري ما يصنع .

حتى سَمِعْتُ إبناً له صَغِيراً يحكى بُكَاءَهُ فنهَتْهُ أمُهُ فقُلْتُ لها : ما هذا البكاء ؟

فقالت : إنَّ أبا الحسن يدخل هذا البيتَ فيقرأ القرآن ويبْكي فيَسْمَعُه الصَّبي فيَحْكيه (أي يقلده) .

وكان إذا أرادَ أن يَخْرُجَ غَسَل وجهه واكتحل لئلا يُرى عليه أثَرُ البُكاء .

بلَغ يا أخي الذين يذكرون أعمالهم للناس من حج وصدقة وصيام رِيَاءً وسُمْعَةً .

وكان يَصِل قوماً ويُعْطِيهم ويكسُوهُم فيَبعَثُ إليهم ويقول لِلرسُولِ : أنظر أن لا يَعْلمُوا مَن بَعَثه إليهم ويأتيهم هو بالليل فيذهب به إليهم ويخفي نفسه .

ولا يعلمـون مَن الذي أعطاهم ولا أعلم أنه وَصَل أحَداً بأقل من مائة درهم إلا أنْ لا يمكنه ذلك .

ودَخَلْتُ عليه قبل موته بأربعة أيام فقال : يا أبا عبدالله أبشر بما صَنَعَ الله بأخيكَ مِن الخير قَدْ نَزَلَ بي الموتُ وقد مَنَّ الله علي أنه ليس عندي درهم يُحَاسِبُني الله عليه .

وقد علم ضَعْفِي فإني لا أطيقُ الحسابَ ، فلم يَدَعْ عندي شيئا يُحَـــاسِبني الله عليه ثم أغلق البـــابَ ولا تأذن لأحدٍ علي حتى أمـــوت .

واعلم أني أخرجُ مِن الدنيا وليس أدَعُ مِيْراثَاً غيرَ كِسَائِي ، وإنائي الذي أتَوَضَأ فيه وكُتبي .

وكانت معه صُرةٌ فيهاَ نحو ثلاثينَ دِرهما ، فقال : هذا لابْني أهْداهُ إليه قريبٌ لهُ ولا أعلم شيئا أحَلَّ لي منه لأن النبي ﷺ قال «أنْتَ ومالُك لأبيك» .

فكَفِّنُـوني منهـا وابْسُـطُوا على جَنَـازَتي لِبَـدِي وغَـطوا عليَّ بكسائِي وتَصَدَّقُوا بإنائِي أعطُوهُ مِسْكِيناً يَتوضأ منه ثم مات باليوم الرابع رحمه الله .

قيل إنه مرض قيس أحد الكرماء فاسْتبطأ إخوانَهُ في عيادته فسأل عنهم فقالوا : إنهم يستحيون لِمَا لَكَ عليهم مِن الدَّين .

فقال : أخْزَى الله مالاً يَمْنَعُ الإخوانَ عن الزيارة .

ثم أمر مُنادياً ينـــادِي مَن كان لِقَيْسٍ عليه مـــال فهو منه في حِلٍ .

فكُسِرَتْ عَتَبَةُ دَارِهِ بالعَشِي لِكثرة عُوَّادِه .

وأتى رجل صديقاً ودَقَّ عليه البابَ فلما خَرَجَ قال : لماذا جئتني ؟ قال : لِأَرَبعمائة دِرهم دَيْنٌ عَليَّ .

فدخل الدار ووزن له أرْبَعمائة درهم وسلمها له ودخل الدار يبكي .

فقـالت إمـرأته : هَلاَّ تَعَلَلْتَ واعتذرت حِينَ شَقَّ عَليكَ الاجابة ؟

فقـال : إنـما أبكي لأني غفَلْتُ عنه ولم أتَفَقَّدْ حَاله حَتى احتاجَ أنْ يُفَاجِئَني به .

وحكى عَن حُذيفـة العَدَوي قال : انطلقتُ يومَ اليَرمُوك لِطلَب ابن عمٍ لي ومَعِي شيء مِن مَاءٍ وأنا أقولُ إن كان به رَمَقٌ سَقَيْتُه ومَسَحت وجْهَهُ فإذا أنابه فَقُلْتُ : أسْقِيْكَ فأشار إليَّ نَعَمْ فإذا رَجُلٌ يقول آهْ فقال ابنُ عَمي : انْطَلِقْ إليه .

فجئتُ إليه فإذا هُوَ هِشَامُ بنُ العاص فقلتُ اسْقِيْكَ فسَمَعَ هشـــامُ آخر يقول آهْ فقال : انطلقْ به إليه فجئْتُ إليه فإذا هُوَ قد مَـــات .

ثم رجعت إلى هشام فإذا هو أيضاً قد مات .

ثم رَجَعْتُ إلى ابن عَمِّي فإذا هو قد مات .

إلى كَمْ ذا التراخي والتَّمادي وحادي الموتِ بالأرواحِ حَادي
فلو كُنَّا جَماداً لاتَّعَضْنَـــا ولَكِنّا أشَـــدُّ من الجَمَـــادِ
تُنَادِينا المَنِيّـــةُ كُلَّ وقتٍ ومَا نُصْغِي إلى قَولِ المُنَادِي
وأنفاسُ النُفوس إلى انْتِقَاصٍ ولكنَّ الذُّنوبَ إلى ازْدِيَـــادِ
إذا مَا الزَّرْعُ قَارَنَهُ اصْفِـــرَارٌ فليسَ دَواؤُهُ غيرَ الحَصـــادِ
كأَنَّكَ بالمشيب وقـــد تَبَدَّى وبالأُخْـــرى مُنَاديها يُنَادِي
وقالوا : قَدْ قَضَى فاقْرَوْا عليه سَلامَكُمُ إلى يَوْمِ التَّنَـــادِ

عن أبي معشر قال : رأيت عَونَ بن عبدالله في مجلس أبي حازم يبكي ويمسحُ وجْهَهُ بدُمُوعه .

فقيل له لِمَ تمسح وجْهَكَ بدمُوعِكَ قال : بَلغني أنه لا تصيب دموع الانسان مكانا من جسده إلا حرم الله عز وجل ذلك المكان على النار .

وقـال : قلبُ التـائب بمنـزلة الزُجَاجة يُؤَثِّر فيها جميعُ مَا أصَابَها فالموعظة إلى قلوبهم سَرِيْعَة وهُمْ إلى الرقة أقرب .

فَدَاوُوا القلوبَ بالتوبة فَلَرُبَّ تائِب دعَتْه توبَتُهُ إلى الجنة حتى أوفَدَتْهُ عليها ، وجالسوا التوابين فإن رحمة الله إلى التوابين أقرب .

سَمِعَ المسعودي رَجُلاً يَقُولُ أيْنَ الزَّاهِدُوْنَ في الدنيا الراغبون فيما عند الله فقال اقْلِب المعنى وضَعْ يَدَكَ على مَن شِئْتَ .

عن صالح المريِّ قال : كان عَطَاء السلمي قد أضَرَّ بنفسه حتى ضَعُفَ قال قُلتُ له : إنكَ قد أضْرَرْتَ بنفسكَ وأنا مُتَكَلِفٌ لَكَ شَيْئًا فلا تَردّ كَرَامَتِي قال أفعل .

قال : فاشتريتُ سَويقا مِن أجودِ ما وَجَدْتُ وسَمْنَا فجَعَلْتُ له شُرَيْبَةً وليَنتُهَا وأرْسَلْتُها مَعَ ابْنِي وكُوْزاً مِن مَاءٍ وقُلْتُ له لا تَبرَحْ حتى يَشْرَبَهَا فرجَعَ فقال قد شربهَا .

فلما كان من الغد جَعَلْتُ له نحوَهَا فرجَّعَها ولم يَشرَبْهَا فأتيْتُه فلمتُه فَقُلْتُ : سبحان الله رَدَدْتَ عليَّ كرامتي إن هذا مما يُعِيْنُك، ويقويك على الصلاة وعلى ذكر الله .

قال : يا أبا بشْرٍ لا يَسُوْءُكَ الله قد شَرِبْتُها أولَ مَرة فلما كان الغَدُ راودْتُ نَفْسِي على أن تُسِيْغَهَا فما قَدِرْتُ ذلك .

إذا أَرَدْتُ أنْ أشرَبَهَا ذكرتُ هَذِه الآية ﴿ **يَتجرعُهُ ولا يكادُ يُسِيْغُه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بمَيّت ومن وَرَائِهِ عذاب غليظ** ﴾ .

فبكى صالح عند هذه وقال : قُلتُ لِنَفْسِيْ أَرَاني في وَادٍ وأنْتَ في آخر .

وقـال العلاء بن محمد : دخلتُ على السلمي وقدْ غُشِيَ عليه، فقلت لإمـرأته ما شأن عطاء ، فقالت : سَجَّرَتْ جارتُنا التنور فنظر إليه فخَرَّ مُغْشِياً عليه .

وقال : إذا ذَكَرْتُ أهلَ النار وما ينزل بهم من عذاب الله وعقابه تَمَثَّلَتْ لي نَفْسِي بهم .

فكيفَ لِنَفْسٍ تغَلُّ يَدُهَا إلى عُنُقِهَا وتسحَبُ في النار ، ألا تَصِيحُ فتبكي .

وكيف لنفس تعذب ألا تَبْكِي ، وما أقل غَنَاءُ البُكاء عن أهله إنْ لَمْ يرحمهم الله .

وقال له بشر بن منصور : ماهذا الحزن ؟ قال : ويحكَ الموت في عُنُقِي والقـبر بَيْتِي ، وفي القيامـة موقفِي ، وعلى جسر جهنم طريقي ، وربي ما أدري ما يصنع بي ، ثم تَنَفَّسَ فغُشِيَ عليه .

وقال عُمَر بن درهم لِعَطاء : حتى متى نسهو ونلعب وملك

الموت في طلبنا لا يَكُفَ فصَاحَ عَطاءُ صَيْحَةً خَرَّ مَغْشِياً عليه .

واجتمع الناس وقعد عمر عندَ رَأسه فلم يزل على حاله حتى المغرب ثم أفاقَ فحُمِل .

قيل إن أبا عثمان المنتخب أنشد نور الدين أبياتاً تتضَمَّنُ ما هو مُتَلَبُسٌ به نور الدين في ملكه من المكوس والضرائب وفيها تخويف وتحذير شديد له كانت هذه الأبيات سَبَباً لوضعها عن الناس :

مِثّلْ وُقُوْفَكَ أيها المغْـــرُوْرُ ... يوم القِيَامَةِ والسماءُ تَمُـــورُ

ماذا تقولُ إذا نُقِلْتَ إلى البلىَ ... فرْداً وجَاءَكَ مُنكَرٌ ونَكِيْـــرُ

ماذا تقولُ إذا وقَفْتَ بمَوْقـــفٍ ... فَرْداً ذَلِيْلًا والحساب عَسِيْـــرُ

وتَعَلَّقَتْ فِيْكَ الخُصُوْمُ وأنْتَ في ... يوم الحِسَابِ مُسَلْسَلٌ مَجْـــرُوْرُ

وتَفَرَّقَتْ عَنْكَ الجُنُوْدُ وأنتَ في ... ضِيْقِ القُبُورِ مُوَسَّدٌ مَقْبُـــورُ

وَوَدِدْتَ أنكَ مَا وَلِيْتَ ولايَـــةً ... يَوْماً ولا قال الأنامُ أمـــيرُ

وبَقِيْتَ بَعْدَ العِزِّ رَهْنَ حَفِيْـــرةً ... في عَالَمَ الموتى وأنْتَ حَقِيْـــرُ

وحُشِرْتَ عُرْيَاناً حَزِيْناً باكِيـــاً ... قَلقاً ومالكَ في الأنام مُجِيْـــرُ

أرَضِيْتَ أنْ تحْيَا وقَلْبُكَ دَارِسٌ ... عَافي الخَرَابِ وجِسْمُكَ المَعْمُوْرُ

أرَضِيْتَ أنْ يُحْظَى سِوَاكَ بقُرْبِهِ ... أبداً وأنْتَ مُعَذَّبٌ مَهْجُـــوْرُ

مَهِّدْ لِنَفْسِكَ حُجَّـــةً تَنْجُو بهَا ... يَوْم المعادِ ويَوْمَ تَبْدُوْ العُـــوْرُ

فلما سمع نور الدين هذه الأبيات بَكى بكاءً شديداً وأمر بوضع الضرائب والمكوس في سائر البلاد وكتب إلى الناس ليكون منهم في حل مما كان أخذ منهم ويقول لهم إنما صرف ذلك في قتال أعدائكم من الكفرة والذب عن بلادكم ونسائكم وأولادكم وكتب

ذلك إلى سائر ممالكه وبلدان سلطانه وأمر الوعاظ أنْ يستحلوا له من التجار والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصـــــــل]

قال محمد بن واسع : ما آسَى مِن الدنيا إلا على ثلاث : صاحب إذا اعْوَجَجْتُ قَوَّمَني ، وصلاة في جماعة يُحْمَل عَني سهوها وأفوزُ بفَضْلِها ، وقوتٍ مِن الدنيا ليس لأحد فيه منة ، ولا لله عز وجل علي فيه تبعة .

كان بالكوفة رجل قد خرج عن دُنْياً واسعَةٍ وتعَبَّدَ فقال الفضَيْلِ لِعَبدِالله بن المبارك : إنَّ هَاهُنا رَجُلاً مِن الْمُتَعَبِّدين قَدْ خَرجَ عن دُنْياً واسِعَة فامْضِ بنا إليه نَنْظُر عَقلَه .

فجاؤا إليه وهو عليل وعليه عَبَاءَةٌ وتحت رأسِهِ قِطْعَةُ لبنَة فسلم عليه ابنِ المبارك ثم قال لَهُ : ياأخي بَلغنَا أنه مَا تَركَ عبدٌ شيئاً لله إلا عَوَّضَهُ الله ما هو أكثر منه فما عَوَّضَكَ ؟

قال : الرِّضَـا بمَا أنا فيه فقال ابنُ المبارك حَسْـبُكَ ، وقاما على ذلك .

وأوصى بعضهم أخاً له في الله فقال: لا يُلْهيَنَّكَ الناس عن ذات نفسك فإن الأمر يخلص إليك دونهم ولم أرَ شَيْئاً أحسنَ طلبا ولا أسرع إدراكاً مِن حسنةِ حديثة لذنب قديم .

قال خليد العصري : كلنا قد أيقن بالموت وما نرى له

مستعدا ، وكلنا قد أيقنَ بالجنة وما نرى لها عاملا ، وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى لها خائفا ، فعلام تعرجون .

وما عسيتم تنتظرون الموت فهو أول وارد عليكم من الله بخير أو شر فيا إخوتاه سِيروا إلى ربكم سيرا جميلا .

وقال آخر : ابن آدم لو رَأيتَ يَسِيْرَ ما بَقِيَ مِن أجَلِكَ ، لزَهِدْتَ في طولِ مَا ترجُو مِن أمَلِك ولَرَغِبْتَ في الزيادة مِن عَمَلِك ، ولَقَصَّرْتَ مِن حِرْصِكَ وحِيَلِك .

وإنما يَلْقَاكَ نَدَمُكَ إذا زَلَّ بكَ قدَمُكْ ، واسْلمكَ أهْلُكَ وحَشَمُكْ ، وتَبَرأ منك القريب ، وانْصَرفَ عنكَ الحَبِيْب ، فلا أنتَ إلى دُنْياكَ عَائِد ولا في حَسَنَاتِكَ زائِد .

أَبَداً تُفهِّمُنَا الخُطوبُ كُرُورَهَا ونَعُودُ في عَمَهٍ كَمَنْ لا يَفْهَمُ
تَلْقَى مَسَامِعَنا العِظَاتُ كأنما في الظل يَرْقُم وَعْظَه مَن يَرقُمُ
وصَحَائفُ الأيامِ نحنُ سُطورها يُقْرَا الأخِيرُ ويُدْرج المتقدِّمُ
لَحْدٌ على لَحْدٍ يُهَالُ ضَرِيحُهُ وبأعَظُم رِمَمٌ عليها أعْظُمُ
مَنْ ذا تَوقَّاه المنونُ وقَبْلنَا عادٌ أطاحَهم الحِمَامُ وجُرْهُمُ
والتُّبَّعانِ تَلاحقَا ومُحَرِّقٌ والمُنْذِرَانِ ومَالِكٌ ومُتَمِّمُ

رأى مالك بن دينار رَجُلاً يُسِيءُ في صلاته فقال : ما أرْحَمَني لِعِيَالِه .

فقِيْلَ له يُسِيءُ هذا صلاتَه وترحم عِيالَه قال : إنه كبيرهم ومنه يَتعَلَّمُون .

وقال سهلُ بنُ عبدالله : اسْتَجْلب حَلاوةَ الزُهْدِ بِقصرِ الأملِ ، واقْطَعْ أسبابَ الطمعِ بصحة اليأس ، وتعرض لرقة القلب بمُجَالَسَةِ أهل الذكر .

واسْتَفْتِحْ بابَ الحزن بطول الفكر ، وتَزَيَّنْ لله بالصدق في كل الأحوال .

وإيَّاكَ والتَّسْويفَ فإنه يُغْرِقُ الهلكى ، وإيَّاكَ والغفلةَ فإن فيها سواد القلب ، واسْتَجْلِبْ زِيَادَةَ النِّعَم بعظيم الشكر .

كان السلف أحرص ما يكونون علىَ أوقاتهم لأنهم يَعْرفونَ قيمةَ الوقت وأنه إذا فاتَ لا يُسْتَدْرك فهو أعز شيء يُغَار عليهَ أن يَنْقَضِي بدون عَملٍ صالح .

فالوقت ينقضي وينصرم بنفسه ، فمن غفل عن نفسه تصرمت أوقاتُه وعظمُ فواتُه واشْتَدَّتْ حَسَراتُه .

فكيفَ حَالُه إذا عَلِم عند تحقق الفواتِ مِقدارَ مَا أضَاعَ ، وطلبَ الرجُوعَ فَحِيْلَ بَيْنَهُ وبَيْنَه ، وطلب تناول الفائت ، وكيف يُرَدُّ الامسُ الفائت في اليوم الجديد .

قال الله جل وعلا ﴿ **وقالوا آمنا به وأنَّى لهم التناوشُ من مكان بعيد** ﴾ ومُنِعَ مِمَّا يُحِبُّه ويَرْتضيه .

وعلم أن ما اقتناه ليس للعاقل مما ينبغي أنْ يقتنيه ، وحيل بينه وبين ما يشتهيه .

فيا لها من حسرة ما إلى رد مثلها من سبيل .

كان الحسن يقول : أصول الشر ثلاثة : الحرص ، والحسد، والكبر .

فالكبر منع إبليس من السجود لآدم ، والحرص أخرج آدم من الجنة ، والحسد حمل ابن آدم على قتل أخيه .

وقال غيره : لَيْسَ لِثلاثٍ حِيْلَة فقر يُخالطه كَسَل ، وخُصومة يُداخِلها حسد ، ومَرض يُداخله هرم .

ثلاثة ينبغي مداراتهم : الملك المسلط ، والمرأة الحمقى ، والمريض .

وقال آخر : لا نوم أثقل من الغفلة ولا رق أملك من الشهوة ولولا ثقل الغفلة لم تظفر بك الشهوة .

وقال آخر : يا ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا يرده عليك الفوت ، ومالك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت .

وكان يقول : ذنوبٌ مزدحمة على عاقبةٍ مبهمة .

إلهي أرحمني لقدرتك علي ولحاجتي إليك .

إلهي ضيعت بالذنب نفسي فارددها بالعفو عَليَّ يا أجود الأجودين .

يا مَن يغضب على مَن لا يسأل لا تمنع مَن قد سألك .

وقيل لآخر وهو يَجُود بنَفْسِهِ قل ، فقال : اللهم إني نصحت خلقكَ ظاهرا ، وغششت نَفْسِي باطنا ، فهَبْ لي غِشّي لِنَفْسِي ، لِنُصْحِي لخَلْقِكَ ثم خرجت روحه .

وقال آخر : من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعده في ديوان الرجال .

وقال : حسن أدب الظاهر عنوان على حسن أدب الباطن لأن النبي ﷺ قال « لو خشع قلب هذا لخَشَعَتْ جَوَارِحُه » .

وسئل عن الرجال فقال : القائمون بوفاء العهود قال الله تعالى ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ .

مَن نظر في سير السَّلفِ عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال .

وقيل لحمدون ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا قال : لأنهم تكلموا لعز الاسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن .

ونحن نتكلم لعز النفوس وطلب الدنيا ورضا الخَلْق .

قُلتُ : فكيفَ لو رأى أهْلَ هذا الزمان وما أصِيبُوا به مِن التكَالُب على الدنيا والافْتِتَانِ بِزَخَارِفِهَا ومغرياتها فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

يا آمِنَ السَّاحَةِ لا يُذْعَرُ	بَيْنَ يَدَيْكَ الفَزَعُ الأكْبَرُ
وإنَّمَا أنْتَ كَمَحْبُوسَةٍ	حُمَّ رَدَاهَا وَهْيَ لا تَشْعُرُ
والمَرْءُ مَنْصُوبٌ لَهُ حَتْفُهُ	لَوْ أنَّهُ مِن عَمَهٍ يُبْصِرُ
وهَذِهِ النَّفْسُ لَهَا حَاجَةٌ	والعُمْرُ عن تَحْصِيْلِهَا يَقْصُرُ
وكُلَّمَا تُزْجَرُ عَن مَطْلَبٍ	كَانَتْ بِهِ أكْلَفُ إذْ تُزْجَرُ
وإنَّما تَقْصُرُ مَغْلُوبَةً	كالمَاءِ عن عُنْصُرِهِ يَقْصُرُ
ورُبَّمَا أَلْقَتْ مَعَاذِيْرَهَا	لَوْ أنَّهَا وَيْحَهَا تُعْذَرُ
وناظِرُ الموتِ لَهَا نَاظِرٌ	لَوْ أنَّهَا تَنْظُرُ إذْ يَنْظُرُ
وزَائِرُ الموتِ لَهُ طَلْعَةٌ	يُبْصِرُهَا الأكْمَهُ والمُبْصِرُ
وَرَوْعَةُ المَوْتِ لَهَا سَكْرَةٌ	ما مِثْلُهَا مِن رَوْعَةٍ تُسْكِرُ
وبَيْنَ أطْبَاق الثَّرى مَنْزِلٌ	يَنْزِلُهُ الأعْظَمُ والأحْقَرُ
يَتْرُك ذُوْ الفَخْرِ بِهِ فَخْرَهُ	وَصَاحِبُ الكِبْرِ بِهِ يَصْغُرُ
قَدْ مَلأتْ أرْجَاءَهُ رَوْعَةٌ	نَكِيْرُهَا المَعْرُوْفُ وَالمُنكَرُ
وبَعْدُ ما بَعْدُ وأعْظِمْ بِهِ	مِن مَشْهَدٍ ما قَدْرُهُ يُقْدَرُ
يُرْجَفُ مِنْهُ الوَرَى رَجْفَةً	يَنْهَدُّ منها المَلأُ الأكْبَرُ

وليْسَ هَـذَا الوَصْفُ مُسْـتَوْفِياً كُلَّ الذِي مِن وَصْــفِهِ يُذْكَرُ
وإنَّمَا ذَا قَطْـرَةٌ أُرْسَـلَتْ مِنْ أَبْحُـرٍ تَتْبَعُهَـا أَبْحُـرُ
وقَدْ أتَاكَ الثَّبْتُ عَنْـهُ بِمَا أَخْبَرَكَ الصـادِقُ إذْ يُخْـبِرُ
فاعْمَـلْ لَهُ وَيْكَ وإلاَّ فَلَا عُـذْرَ وَمَا مِثْلُكَ مَنْ يُعْـذَرُ

سِهَـامُ الْمَنَايَـا فِي الـوَرَى لَيْس تُمْنَعُ
فَكُـلٌّ لَـهُ يَـوْمـاً وَانْ عَـاشَ مَصْـرَعُ
وَكُـلٌّ وانْ طَـالَ المَـدَى سَوْفَ يَنْتَهِي
إلى قَعْـر لَحْـدٍ في ثَـرَىً مِنْـهُ يُـوْدَعُ
فَقُـلْ لِلَّذِي قَـدْ عَـاشَ بَعْـدَ قَـرِيْنِهِ
إلى مِثْـلِهَـا عَمَّـا قَـلِيْـلٍ سَتُـدْفَـعُ
فَكُلُّ ابْنِ أُنْثَى سَوْفَ يُفْضِيْ إلى الرَّدَى
وَيَـرْفَـعُـهُ بَعْـدَ الأَرائِـكِ شَـرْجَـعُ
وَيُـدْرِكُـهُ يَـوْمـاً وَانْ عَـاشَ بُـرْهَـةً
قَضَـاءٌ تَسَاوَى فِيْـهِ عَـوْدٌ وَمُـرْضَـعُ
فَـلَا يَفْـرَحَنْ يَـوْمـاً بُـطُولِ حَيَاتِـهِ
لَبِيْبٌ فَمَـا فِي عَيْشِـهِ الْمَـرْءُ مَـطْمَـعُ
فَمَـا الْعَيْشُ إلاَّ مِثْـلُ لَمْحَـةِ بَـارِقٍ
وَمَـا الْمَوْتُ إلاَّ مِثْـلُ مَا الْعَيْن تَهْجَـعُ
وَمَـا النَّـاسُ إلاَّ كَـالنَّبَـاتِ فَيَـابِسٌ
هَـشِيْـمٌ وَغَضٌّ إثْـرَ مَـا بَـادَ يَـطْلَعُ
فَـتَـبـاً لِـدَارٍ مَـا تَـزَالُ تَـعُـلُّنَـا
أَفَـاوِيْـقَ كَـأْسٍ مُـرَّةٍ لَيْس تُـقْـنِـعُ

سَحَـابُ أَمَـانِيهَـا جَهَـامٌ وَبَـرْقُهَـا
إذا شِيْمَ بَـرْقٌ خُـلَّبٌ لَيْسَ يَـهْـمَـعُ
تَـغُـرُّ بَنِيْهَـا بِـالـمُنَى فَـتَـقُـودُهُـمْ
إلى قَعْـرِ مَهْـوَاةٍ بِهَـا المَرْءُ يُـوْضَـعُ
فَكَمْ أَهْلَكَتْ فـي حُبِّهَـا مِنْ مُتَيَّمٍ
وَلَم يَحْـظَ مِنْهَـا بِـالمُنَى فَيُمَتَّـعُ
تُمَنِّيْـهِ بِـالآمَـالِ فِي نَيْـلِ وَصْلِهَـا
وَعَنْ غَيِّـهِ فِي حُبِّهَـا لَيْسَ يَـنْـزِعُ
أَضَـاعَ بِهَـا عُمْـراً لَهُ لَيْسَ رَاجِعَـاً
وَلَـمْ يَـنَـلِ الأَمْـرَ الّـذِي يُـتَـوَقَّـعُ
فَصَـارَ لَهَـا عَبْـداً لِجَمْعِ حُـطَامِهَا
وَلَمْ يَهْنَ فِيهـا بِـالَّـذِي كَـانَ يَجْمَـعُ
وَلَـوْ كَـانَ ذَا عَقْـلٍ لأغْنَتْـهُ بُلْغَـةٌ
مِنَ العَيْشِ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَكُ يَجْشَعُ
إلى أَنْ تُـوَافِيْـهِ المَنِيَّـةُ وَهُـوَ بَـالْ
قَـنَـاعَـةِ فِيْـهَـا آمِـنـاً لاَ يُـرَوَّعُ
مَـصَـائِبُـهَـا عَمَّتْ فَـلَيْسَ بِـمُـفْـلَتٍ
شُـجَـاعٌ وَلاَ ذُو ذِلَّـةٌ لَـيْسَ يَـدْفَـعُ
وَلاَ سَـابِحٌ فِي قَعْـرِ بَحْرٍ وَطَـائِـرٌ
يُـدَوِّمُ فـي بُـوْحِ الفَـضَـاءِ وَيَـنْـزِعُ
وَلاَذُو امْتِنَـاعٍ فـي بُـرُوجٍ مُشَيْـدَةٍ
لَهَـا في ذُرَى جَـوِّ السَّمَـاءِ تَـرَفُّـعُ

أَصَــارَتْـهُ مِنْ بَعْـدِ الحَيَاةِ بِـوَهْـدَةٍ
لَـهُ مِنْ ثَـرَاهَـا آخِـرَ الـدَّهْـرِ مَضْجَـعُ
تَسَـاوَى بِهَـا مَنْ حَـلَّ تَحْتَ صَعِيْدِهَـا
عَلى قُـرْبِ عَهْـدٍ بِـالمَمَـاتِ وَتُبَّـعُ
فَسِيَّــانِ ذُو فَـقْــرٍ بِهَــا وَذُوُوْا الـغِنَـى
وَذُوْ لَكَنٍ عِـنْـدَ المَـقَــالِ وَمِصْـقَـعُ
وَمَنْ لَمْ يَخَفْ عِنْـدَ النَّـوَائِبِ حَتْفَـهُ
وَذُوْ جُبْنٍ خَـوْفـاً مِنَ المَـوتِ يُسْـرِعُ
وَذُوْ جَشَـعٍ يَسْــطُو بِـنَـابٍ وَمِخْـلِبٍ
وَكُـلُّ بُـغَـاثٍ ذِلَّـةً لَـيْسَ يَـمْـنَـعُ
وَمَــنْ مَـلَكَ الآفَــاقَ بَــأْسـاً وَشِـدَّةً
وَمَنْ كَـانَ مِنْهَـا بِــالضَّـرُوْرَةِ يَقْنَـعُ
وَلَــوْ كَشَفَ الأَجْـدَاثَ مُعْتَبِــراً لَهُـمْ
لِـيَنْــظُرَ آثَــارَ الـبِلَى كَـيْـفَ يَـصْـنَـعُ
لَشَــاهَــدَ أَحْــدَاقــاً تَسِيْــلُ وَأَوْجُهــاً
مُعَفَّــرَةً في التُّــرْبِ شُــوْهــاً تُـفَــزِّعُ
غَــدَتْ تَحْتَ أَطْبَـاقِ الثَّـرَى مُكْفَهِـرَّةً
عُبُـوْساً وَقَـدْ كَـانَتْ مِنَ البِشْـرِ تَلْمَـعُ
فَلَمْ يُعْـرَفِ المَـوْلَى مِنَ العَبْــدِ فِيْهِم
وَلَا خَــامِـلًا مِــنَ نَــابِـهٍ يَتَـرَفَّـعُ
وَأَنَّـى لَــهُ عِـلْمٌ بِــذَلِـكَ بَــعْـدَمَــا
تَبَيَّنَ مِنْـهُمْ مَـا لَــهُ الـعَيْـنُ تَــدْمَـعُ

رَأى مَـا يَسُوءُ الـطّرْفَ مِنْهُمْ وَطَـالَمَـا
رَأى مَــا يَسُــرُّ النّــاظِـرِيْـنَ وَيُمْتِـعُ
رَأى أعْـظُمـاً لاَ تَسْتَـطِيْعُ تَمَـاسُكـاً
تَـهَـافَـتَ مِـنْ أَوْصَـالِـهَـا وَتَـقَـطَّعُ
مُـجَـرَّدَةً مِنْ لَـحْمِـهَـا فَهِيَ عِـبْـرَةٌ
لِـذِيْ فِـكْـرَةٍ فِيْـمَـا لَـهُ يَتَـوقَّـعُ
تَخُـوَّنَهـا مَـرُّ اللَّيَـالِي فَـأَصْبَحَتْ
أَنَـابِيْبَ مِنْ أَجْـوَافِهـا الـرِّيْـحُ تُسْمَـعُ
إلــى حَــالَـةٍ مُسْــوَدَّةٍ وَجَــمَــاجِـمٍ
مُـطَأْطَـأَةٍ مِـنْ ذِلَّـةٍ لَـيْس تُـرْفَـعُ
أُزِيْـلَتْ عَنِ الأَعْـنَـاقِ فَهِيَ نَـوَاكِسٌ
عَلى التُّرْبِ مِنْ بَعدْ الـوَسَائِـدِ تُوْضَـعُ
عَـلاَهَـا ظَـلاَمٌ لِـلْبِلَى وَلَـطَالَـمَـا
غَدَا نُورُهَـا في حِنْدِسِ الـظُّلْمِ يَلْمَعُ
كَـأَن لَمْ يَكُنْ يَوْمـاً عَـلاَ مَفْـرِقـاً لَهَـا
نَـفَـائِسُ تِـيْـجَـانٍ وَدُرٍ مُـرَصَّـعُ
تَبَـاعَـدَ عَنْـهُمْ وَحْشَـةً كُـلُّ وَامِقٍ
وعَـافَـهُمُ الأَهْـلُونَ والنَّـاسُ أَجْـمَـعُ
وَقَـاطَعَهُمْ مَنْ كَـانَ حَـالَ حَيَـاتِـهِ
بِـوَصْلِهِمُ وِجْـداً بِهِمْ لَيْسَ يَـطْمَـعُ
يُبَكِّيْهِـمْ الأَعْـدَاءُ مِنْ سُـوءِ حَـالِهِمْ
وَيَـرْحَمُهُمْ مَنْ كَـانَ ضِـداً وَيَجْـزَعُ

فَقُــلْ لِلّذِي قَــدْ غَــرَّهُ طُــوْلُ عُمْــرِهِ
وَمَــا قَــدْ حــوَاهُ مِنْ زَخَـارِفَ تَخْــدَعُ

أَفِقْ وَانْــظُرِ الــدُّنْيَــا بِعَيْــنٍ بَصِيْــرَةٍ
تَجِـدْ كُــلَّ مَــا فِيْهَــا وَدَائِــعَ تَــرْجِــعُ

فَأَيْنَ المُلُوكُ الصِّيْدُ قِـدْماً وَمَنْ حَوَى
مِنَ الأَرْضِ مَا كَانَتْ بِهِ الشَّمْسُ تَطْلَعُ

حَــوَاهُ ضَــرِيــحٌ مِنْ فَضَــاءِ بُسَيْــطِهَــا
يُقَصِّــرُ عَنْ جُثْـمَــانِــهِ حِيْــنَ يُــذْرَعُ

فَــكَمْ مَــلِكٍ أَضْــحَــى بِهَــاذَا مَــذَلَّــةٍ
وَقَــدْ كَــانَ حَيَّــاً لِلْمَــهَــابَــةِ يُتْبَــعُ

يَقُــودُ عَلى الخَيْــلِ العِتَــاقِ فَــوَارِسَــاً
يَسُــدُّ بِهَــا رَحْبَ الفَــيَــافِي وَيُتْــرِعُ

فَــأَصْبَــحَ مِنْ بَعْــدِ التَّنَعُّمِ فِي ثَــرَى
تُــوَارِي عِــظَامــاً مِنْــهُ بَهْمَــاءُ بَلْقَــعُ

بَعِيْــداً عَــلى قُــرْبِ المَــزَارِ إِيَــابُــهُ
فَلَيْسَ لَــهُ حَتَّى القِيَــامَــةَ مَــرْجِــعُ

غَــرِيْبــاً عَنِ الأَحْبَــابِ والأَهْــلِ ثَــاوِيــاً
بِــأَقْصَى فَــلاَةٍ خَــرْقُــهُ لَيْس يُــرْقَــعُ

تُــلِحُّ عَلَيْــهِ الــسَّــافِيَــاتُ بِــمَــنْــزِلٍ
جَــدِيْبٍ وَقَدْ كَــانَتْ بِــهِ الأَرْضُ تُمْــرِعُ

رَهِيْنــاً بِــهِ لاَ يَنْلِــكُ الــدَّهْــرَ رَجْعَــةً
وَلاَ يَــسْتَــطِيْــعَنَّ الــكَــلاَمَ فَــيُــسْــمَــعُ

تَوَسَّدَ فِيهِ التُّرْبَ مِنْ بَعْدِ مَا اغْتَدَى
زَمَاناً عَلَى فُرُشٍ مِنَ الخَزِّ يُرْفَعُ
كَذَلِكَ حُكْمُ اللهِ فِي الخَلْقِ لَنْ تَرَى
مِنَ النَّاسِ حَيّاً شَمْلُهُ لَيْسَ يُصْدَعُ

آخر: هَذِهِ قَصِيدَةٌ وعْظِيَّةٌ أَلْقِ لَهَا سَمْعَكَ:

أَنِسْتُ بِلأْوَاءِ الزَّمَانِ وذِلِّهِ ... فيا عِزَّةَ الدنيا عَلَيْكِ سَلامُ
إلَى كَمْ أُعَانِي تِيْهَهَا ودَلاَلَهَا ... أَلَمْ يَأْنِ عَنْهَا سَلْوَةٌ وَسَآمُ
وقد أَخْلَقَ الأَيَّامُ جِلْبَابَ حُسْنِهَا ... وأَضْحَتْ وَدِيبَاجُ البَهَاءِ مَسَامُ
عَلَى حِيْنَ شَيْبٌ قَدْ أَلَمَّ بِمَفْرِقِي ... وعَادَ رُهَامُ الشَّعْرِ وهُوَ ثَغَامُ
طَلائِعُ ضَعْفٍ قَدْ أَغَارَتْ عَلَى القُوى ... وثَارَ بِمَيْدَانِ المِزاجِ قَتَامُ
فَلا هِيَ فِي بُرْجِ الجَمَالِ مُقِيمَةٌ ... ولا أَنَا فِي عَهْدِ المُجُونَ مُدَامُ
تَقَطَّعَت الأَسْبَابُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... ولَمْ يَبْقَ فِينَا نِسْبَةٌ وَلِئَامُ
وعادَتْ قَلُوصُ العَزْمِ عَنِّي كَلِيْلَةً ... وقَدْ جُبَّ مِنْهَا غَارِبٌ وَسَنَامُ
كَأَنِّي بِهَا والقَلْبُ زُمَّتْ رِكَابُهُ ... وقُوِّضَ أَبْيَاتٌ لَهُ وَخِيَامُ
وَسِيْقَتْ إلى دَارِ الخُمُولِ حُمُولُهُ ... يَحُنُّ إِلَيْهَا والدُّمُوعُ رُهَامُ
حَنِينَ عَجُولٍ غَرَّهَا البَوُّ فَانْثَنَتْ ... إِلَيْهِ وفِيْهَا أَنَّةٌ وَضُغَامُ
تَوَلَّتْ لَيَالٍ لِلْمَسَرَّاتِ وانْقَضَتْ ... لِكُلِّ زَمَانٍ غَايَةٌ وَتَمَامُ
فَسُرْعَانَ مَا مَرَّتْ وَوَلَّتْ وَلَيْتَهَا ... تَدُوْمُ وَلَكِنْ مَا لَهُنَّ دَوَامُ
دُهُورٌ تَقَضَّتْ بالمسَرَّاتِ سَاعَةً ... وَيَوْمٌ تَوَلَّى بالمَسَاءَةِ عَامُ
فلِلَّهِ دَرُّ الغَمِّ حَيْثُ أَمَدَّنِي ... بِطُولِ حَيَاةٍ وَالهُمُومُ سِهَامُ
أَسِيْرُ بِتَيْمَاءِ التَّحَيُّرِ مُفْرَداً ... وَلِيْ مَعَ صَحْبِي عِشْرَةٌ ونَدَامُ
وَكَمْ عِشْرَةٍ مَا أَوْرَثَتْ غَيْرَ عُسْرَةٍ ... وَرُبَّ كَلَامٍ فِي القُلُوبِ كِلَامُ
فَمَا عِشْتُ لا أَنْسَى حُقُوقَ صَنِيْعِهِ ... وَهَيْهَاتَ أَنْ يُنْسَى لَدَيَّ ذِمَامُ

كَمَا اعْتَادَ أَبْنَاءُ الزَّمَانِ وَأَجْمَعَتْ عَلَيْهِ فِئَامٌ إِثْرَ ذَاكَ فِيَامُ
خَبَتْ نَارُ أَعْلَامِ المَعَارِفِ والهُدَى وَشُبَّ لِنِيْرَانِ الضَّلالِ ضِرَامُ
وَكَانَ سَرِيرَ العِلْمِ صَرْحاً مُمَرَّداً يُنَاغِي القِبابَ السَّبْعَ وَهْيَ عِظَامُ [1]
مَتِيناً رَفِيعاً لا يُطَارُ غُرابُهُ عَزِيزاً مَنِيعاً لآ يَكَادُ يُرَامُ
يَلُوحُ سَنَابَرْقِ الهُدَى مِن بُرُوجِهِ كَبَرْقٍ بَدَا بَيْنَ السَّحَابِ يُشَامُ
فَجَرَّتْ عَلَيْهِ الرَّاسِيَاتُ ذُيُولَهَا فَخَرَّتْ عُرُوشٌ مِنْهُ ثُمَّ دِعَامُ
وسِيقَ إِلَى دَارِ المَهَانَةِ أَهْلُهُ مَسَاقَ أَسِيْرٍ لا يَزَالُ يُضَامُ
كَذَا تَجْرِيَ الأَيَامُ بَيْنَ الوَرَى عَلَى طَرَائِقَ مِنْهَا جَائِرٌ وقِوَامُ
فَمَا كُلُّ ماقَدْ قِيلَ عِلْمٌ وحِكْمَةٌ وما كُلُّ أَفْرادِ الحَدِيْدِ حُسَامُ
ولِلدَّهْرِ تَارَاتٌ تَمُرُّ على الفَتَى نَعِيْمٌ وبُؤْسٌ ، صِحَّةٌ وَسَقَامُ
وَمَنَ يَكُ فِي الدُنيا فَلَا يَعْتِبَنَّهَا فَلَيْسَ عَلَيْهَا مَعْتَبٌ وَمَلَامُ
أَجِدَّكَ ما الدُّنْيَا وَمَاذَا مَتَاعُهَا ومَاذَا الذِيْ تَبْغِيْهِ فَهْوَ حُطَامُ
تَشَكَّلَ فِيْهَا كُلُّ شَيْءٍ بِشَكْلِ مَا يُعَانِدُهُ وَالنَّاسُ عَنْهُ نِيَامُ
تَرَى النَّقْصَ فِي زِيِّ الكَمَالِ كَأَنَّمَا عَلَى رَأْسِ رَبَّاتِ الحِجَالِ عِمَامُ
فَدَعْهَا ونَعْمَاهَا هَنِيئاً لِأَهْلِهَا ولاتَكُ فِيْهَا رَاعِياً وَسَوَامُ
تَعَافُ الغَرانِيْنُ السِمَّاطَ عَلى الخِوَى إِذَا مَا تَصَدَّى لِلطَّعَامِ طَغَامُ
عَلَى أَنَّهَا لَا يُسْتَطَاعُ مَنَالُهَا لِمَا لَيْسَ فِيْهِ عُرْوَةٌ وعِصَامُ
ولَوْ أَنْتَ تَسْعَى إِثْرَهَا أَلْفَ حَجَّةٍ وقَدْ جَاوَزَ الطِبْيَيْنِ مِنْكَ حِزَامُ
رَجَعْتَ وقَدْ ضَلَّتْ مَسَاعِيْكَ كُلُّهَا بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ لاتَزَالُ تُلَامُ
هَبِ إِنَّ مَقَالِيْدَ الأُمُوْرِ مَلَكْتَهَا ودَانَتْ لَكَ الدُنيا وَأَنْتَ هُمَامُ
ومُتِّعْتَ بِاللَّذَاتِ دَهْراً بِغِبْطَةٍ أَلَيْسَ بِحَتْمٍ بَعْدَ ذَاكَ حِمَامُ
فَبَيْنَ البَرايَا والخُلُودِ تَبَايُنٌ وبَيْنَ المَنَايَا والنُّفُوس لِزَامُ
قَضِيَّةٌ انْقَادَ الأَنَامُ لِحكْمِهَا وما حَادَ عَنْهَا سَيِّدٌ وغُلَامُ

ضرورية تقضي العقولُ بصدقها ... سَل إن كانَ فيها مِرْيَةٌ وخِصَامُ
سَلِ الأرْضَ عن حالِ الملوكِ الَّتي خَلَتْ ... لهم فَوقَ، فَوقَ الفرقدين مَقَامُ
بأبوابهم للوافدين تراكُم ... باعتابِهم للعاكِفين زِحامُ
تُجْبكَ عن أسرار السيوفِ التي جَرَتْ ... عَليْهم جَواباً لَيْسَ فيه كَلَامُ
بِأَنَّ المنايا أَقصَدَتْهمُ نِبَالُها ... وما طَاشَ عن مَرْمَى لَهُنَّ سِهَامُ
وَسِيقُوا مساق الغابِرينَ إلى الرَّدى ... وأقفرَ منهم مَنزَلٌ ومَقَامُ
وحَلُوا محلاً غَيْرَ ما يَعهدُونه ... فَلَيْسَ لَهم حتى القيام قِيامُ
أَلَمَّ بهم رَيبُ المنونِ فَغَالَهُم ... فهم بَيْنَ أطباقِ الرُغام رُغَامُ

إنْتَهَى

اللهم اغفر لنا جميع ماسلف منا من الذنوب، واعصمْنا فيما بقى من أعمارنا، ووفقنا لعملٍ صالحٍ ترضى به عنا.

اللهم ياسامع كل صوت، ويابارىء النفوس بعد الموت، يا من لا تشتبه عليه الأصوات، ياعظيم الشأن، ياواضح البرهان، يا من هو كل يوم في شأن، اغفر لنا ذنوبنا إنك أنت الغفور الرحيم.

اللهم ياعظيم العفو، ياواسع المغفرة، ياقريب الرحمة، ياذا الجلال والاكرام، هب لنا العافية في الدنيا والآخرة.

اللهم ياحيُّ وياقيوم فرِّغْنا لما خَلقْتنا له، ولا تُشْغلنا بما تَكَفَّلْتَ لنا به، واجعلنا مِمَّن يؤمِنُ بلقائِك، ويَرْضى بقضائِك، ويقنعُ بعطائك ويخشاك حقَّ خشْيَتِك.

اللهم اجْعل رِزْقَنا رَغدَا، ولا تشمِتْ بنا أحَدَا.

اللهم رَغِّبْنا فيما يبقى، وزهدنا فيما يفنى، وهب لنا اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه، ولا يُعَوَّلُ في الدين إلا عليه.

اللهم إنا نسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفينا شر ما أهمنا وما لا نهتم به وأن تعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

اللهم ياعليم ياحليم ياقوي ياعزيز ياذا المن والعطا والعز والكبرياء يامن تعنوا له الوجوه وتخشع له الأصوات.

وفقنا لصالح الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك إنك على كل شيء قدير.

اللهم إنا نسألك رحمةً من عندك تهدي بها قُلُوْبنا، وتجْمعُ بها شمْلنا، وتَلُم بها شعثنا، وترفع بها شاهدنا، وتحفظُ بها غائبنا، وتزكي بها أعمالنا، وتلهمنا بها رشدنا، وتعصمنا بها من كل سوء ياأرحم الراحمين.

اللهم ارزقنا من فضلك، وأكفنا شر خلقك، وأحفظ علينا ديننا وصحة ابداننا.

اللهم ياهادي المضلين وياراحم المذنبين، ومُقِبْل عثرات العاثرين، نسألك أن تُلْحِقنا بعبادك الصالحين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين.

اللهم ياعالم الخفيات، ويارفيع الدرجات، ياغافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا أنت إليك المصير.

نسألك أن تذيقنا برد عفوك، وحلاوة رحمتك، يا أرحم الراحمين. وأرأف الرائفينب وأكرم الأكرمين.

اللهم اعتقْنا مِن رقِّ الذُنُوبْ، وخَلِّصْنَا مِن أشر النُّفوسْ، وأذْهِبْ عَنَّا وحْشةَ الإساءَة، وطَهِّرْنا من دَنَس الذنوب، وباعِد بيننا وبين الخطايا

وأجِرْنا من الشيطان الرجيم.

اللهم طَيِّبْنا للقائِكْ، وأهِّلْنا لِوَلائِكْ وأدْخِلْنَا مَع المَرْحُومين من أوليائِكْ، وتوفنا مُسْلِمين والحقنا بالصالحين.

اللهم أعِنَّا على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتِكْ، وتلاوَةِ كِتَابِكْ، واجْعلنا من حزبِكَ المُفْلِحين، وأيِّدْنا بجُندِكْ المنصورين، وارْزُقْنا مرافقة الذين أنْعَمْتَ عليهم من النبيين والصِّدِيقين والشهداء والصالحين.

اللهم يافالق الحبِ والنَّوى، يامُنْشِيء الأجْسادِ بعد البلى يامُؤي المنقطعين إليْه، ياكافي المتوَكِّلين عليه، انقطع الرَّجاءُ إلا مِنْك، وخابت الظُنُون إلا فيْكْ، وضَعُف الاعتماد إلا عليك نسألُك أن تُمْطِر محل قُلُوبنا من سحائب بِرِّكَ واحْسانِكْ وأن توفقنا لموجبات رحمتك وعزائم مغفرتك إنك جواد كريم رؤوف غفور رحيم.

اللهم نسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وعملاً متقبلاً، ونسألك بركة الحياة وخير الحياة، ونعوذ بكَ من شر الحياة، وشر الوفاة.

اللهم إنا نَسْألُك نفْسًا مُطمَئِنَّةً، تُؤمِنُ بِلقائِكْ وتَرْضى بقضائِكْ، وتقْنَعُ بِعطائِكْ، يا أرأف الرائفين، وأرحم الراحمين.

اللهم إن نَسْألُك التوفيق لما تِحِبُّه من الأعمال، ونسألُك صِدْق التبوكلِ عليكْ، وحُسْنَ الظَنِّ بك يارب العالمين.

اللهم اجعلنا من عبادكَ المُخْبتين، الغُرِّ المُحَجَّلِين الوَفْدِ المُتقبَّلين.

اللهم إن نَسْألُك حَياةً طَيِّبةً، ونَفْسًا تَقِيَّة، وعيْشةٍ نَقِيَّة، ومِيتةً سَوِيَّة، ومرَدًّا غيْرَ مُخْزى ولا فاضح.

اللهم اجعلنا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح، ومن المؤيدين بنصرك وتأييدك ورضاك.

اللهم افتـح لدعائنا باب القبول والإجابة واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك ياأرحم الراحمين.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

عبدالعزيز بن محمد السلمان

غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين

(فَصْــــلٌ)

فـــائدة

وَقَفَ قَوْمٌ عَلَى عَالِمٍ فَقَالُوْا إنَّا سَائِلُوكَ أَفَمجِيْبنا أَنْتِ قَالَ سَلُوْا وَلا تُكْثِرُوْا ، فَإِنَّ النَّهارَ لَنْ يَرْجِعَ والعُمُرَ لَنْ يَعُوْدَ ، والطَّالِبَ حَثِيْثٌ في طَلبِهِ ، قالُوْا فأَوْصِنَاَ ، قال تَزَوَّدُوْا عَلَى قَدْرِ سَفَرِكُمْ فإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ مَا أَبْلَغَ البُغْيَةَ ، ثُمَّ قَالَ الأيَّامُ صَحَائِفُ الأعْمَارِ فَخلِدُوْهَا أَحْسَنَ الأعْمال ، فإِنَّ الفُرَصَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَاب ، وَالتَّوَانيْ مِنْ أَخْلَاقِ الكُسَالَى وَالخَوَالِفِ ، وَمَن اسْتَوْطَنَ مَرْكَبَ العَجْزِ عَثَرَ بِهِ ، وتَزَوَّجَ التَّوَانيْ بِالكَسَلِ فَوُلِدَ بيْنهما الخُسْرَان اهـ .



اللهم يا حي يا قيوم ياذا الجلال والاكرام أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلياء أن تعز الاسلام والمسلمين وأن تذل الشرك والمشركين وان تدمر أعداء الدين اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لى شأني كله لا إله إلا أنت.

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

اللهم إنى اسألك علماً نافعاً ورزقاً طيباً وعملاً متقبلاً يا حي يا قيوم ياذا الجلال والإكرام.

اللهم ارحم في الدنيا غربتي وارحم في القبر وحشتي وارحم في الآخرة وقوفي بين يديك.

اللهم اعتق رقبتي من النار وأوسع لي من الرزق الحلال واصرف عنى فسقة الجن والانس.

اللهم إني أسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه وظاهره و باطنه وأوله وآخره وعلانيته وسره اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والعزيمة على الرشد والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم والفوز بالجنة والنجاة من النار يا حي يا قيوم ياذا الجلال والإكرام.

اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأ برار.

ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار.

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً.

ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً.

اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء.

اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك.

اللهم إنا نعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وغلبة الدين وشماتة الأعداء.

اللـهـم إنـا نـعـوذ بـك مـن عـذاب جنهـم وعـذاب القبر وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال.

ربـنـا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اللـهـم إني أعـوذ بـرضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك و بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

اللـهـم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيهـا معاشي واصلح لي آخرتي التي إليها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كـل خير والـموت راحـة لي من كل شر. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اللـهـم إني اسـألـك رحمة مـن عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء.

اللـهـم طـهـر قلبي من النفاق ولساني من الكذب وعملي من الرياء وعيني من الخيانة إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

اللـهـم إني أسـألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعـلـم وأعـوذ بـك مـن الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

اللـهـم إني اسـألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عـلـيه وسلم وعبادك الصالحون وأعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وعبادك الصالحون.

رب قني عذابك يوم تبعث عبادك.

اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل.

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا. رب اشرح لي صدري و يسر لي أمري رب اغفر خطيئتي يوم الدين.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك يا حي يا قيوم ياذا الجلال والاكرام.

رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه واصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإنيَ من المسلمين. وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين. آمين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(خاتِمَةٌ ، وَصِيَّةٌ ، نَصِيْحَةٌ)

إِعْلَم وَفقَّنَا اللَّهُ وإِيَّاكَ وجَمِيعِ المسلمين لما يُحِبَّهُ اللَّهُ ويَرْضَاهُ أَنَّ مِمَّا يَجِبُ الاعْتِنَاءُ بِهِ حِفْظًا وعَمَلاً كلامُ اللَّهِ جَلَّ وعَلَا وكَلامُ رسوله ﷺ .

وأَنهَ يَنْبَغِي لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تعالى أَنْ يَحُثَّ أَوْلَادَه على حِفْظ القُرآن وما تَيسَّرَ مِن أَحَاديثِ النبي ﷺ المتفق على صحَّتِهَا عنه كالبُخَارِي ومُسْلم .

ومِن الفقه مختصَرَ المقْنع لِيَتَيسَّرَ لَهُ اسْتِخْرَاجُ المسائل ويَجْعَلُ لأَولادِهِ مَا يَحُثُّهُم على ذَلِكَ .

فَمَثَلاً يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ القُرآنَ على صَدْرِه حِفْظًا صَحِيْحًا عَشرَةَ آلافِ أَوْ أَزْيَد أَوْ أَقل حَسَبَ حالِهِ في الغِنَى .

ومِن الأَحَاديث عُقودَ اللُؤلؤ والمرْجَان فيما اتفق عَلَيْهِ الإمَامَانِ البُخَارِي ومسلم ، يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ ذَلِكَ سِتَّةَ آلاف من الرِّيالات

فإِنْ عَجَزُوا عن حِفْظِهَا فالعُمدة في الحديث يَجْعَلُ لِمَنْ حَفِظها ثلاثةَ آلافٍ أَوْ الأَربعين النَّواوِيَّة ويَجْعَل لمن يَحْفَضها أَلْفاً مِن الريالات

ويَجْعَـلُ لِمَنْ يَحْفَظُ مُخْتَصَرَ المقنع في الفقه أَلْفَيْنِ مِن الريالاتِ فالغيبُ سَبَبٌ لحفظ المسائل وسَبَبٌ لِسُرعَةِ اسْتِخْرَاج ما أُرِيْدَ مِن ذَلِكَ وما أَشْكَلَ مَعْنَاه أَوْ يُدَخِّلُهُم في مَدَارِسِ تَحْفِيْظِ القُرآن فَمَدَارِسُ تَعْلِيْمِ القُرآنِ وَالسُّنَّةِ هِيَ مَدَارِسُ التَّعْلِيْمِ العَالِي المُمْتَازِ البَاقِي النافِعِ في الدُنْيَا والآخرَةِ .

فَمَنْ وَفقَّهُ اللَّهُ لِذَلِكَ وعَمِلَ أَوْلادُهُ بذَلِكَ كان سَبَبًا لِحُصُولِ الأَجرِ من اللَّهِ وسبَبًا لِبِرِّهِم بِهِ ودُعَائِهِم لَهُ إِذَا ذَكَروْا ذَلِك منهُ ولَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا مُبارَكًا يَعْمَلُ بِهِ أَولادُهُ مَعَ أَولادِهِم فَيزيْدُ الأَجْرَ لَهُ ولَهُم نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوفِّقَ الجَميعَ لِحُسْنِ النِّيَةِ إِنَّهُ القادِرُ عَلَى ذَلِكَ وصلى الله على محمد وآله وصَحْبه وسَلم

تمَّ هذَا الجُزْءُ الثالث بعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيْقِهِ وَنسْأَلُ اللهَ الحَيَّ القَيُّوْمُ العَلِيَّ العَظِيْمَ ذا الجَلَالِ والإِكْرَامِ الوَاحِدَ الأَحَدَ الفَرْدَ الصَّمَدَ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كفواً أَحَدٌ أَنْ يُعِزَّ الإِسْلَامَ والمُسْلِمِيْنَ وأَنْ يَخْذُلَ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِيْنَ وَأَعْوَانَهُمْ وأَنْ يُصْلِحَ من في صلاحه صَلاحٌ للإِسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ وَيُهْلِكَ منْ في هلَاكِهِ عز وصلاح للإِسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ وَأَنْ يَلُمَّ شَعَثَ المُسْلِمِيْنَ وَيَجْمَعَ شَمْلَهُمْ وَيُوَحِّدَ كَلِمَتَهُمْ وَأَنْ يَحْفَظَ بِلَادَهُمْ ويُصْلِحَ أولادَهُمْ وَيَشْفِ مَرْضَاهُمْ وَيُعَافِي مُبْتَلَاهُمْ وَيَرْحَمَ مَوْتَاهُمْ وَيَأْخُذَ بِأَيْدِيْنَا إلى كُلِّ خَيْرٍ وَيَعْصِمَنَا وإِيَّاهم مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَيَحْفَظنا وإِيَّاهم مِن كُلِّ ضُرٍ وأَنْ يَغْفِرَ لنا ولوالدينا وجميع المسلمين بِرَحْمَتِهِ إِنَّه أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلى الله على محمد وعلى آله وَصَحْبِهِ أجمعين .

والله المسئول أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به نفعاً عاماً إنه سميع قريب مجيب على كل شيء قدير .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرفِ المرسلين نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين . ومَن تَبِعَهُم بِإِحسان إلى يومِ الدين وسلم تسليماً كثيراً .

عبد العزيز المحمد السلمان
المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض
سَابِقاً